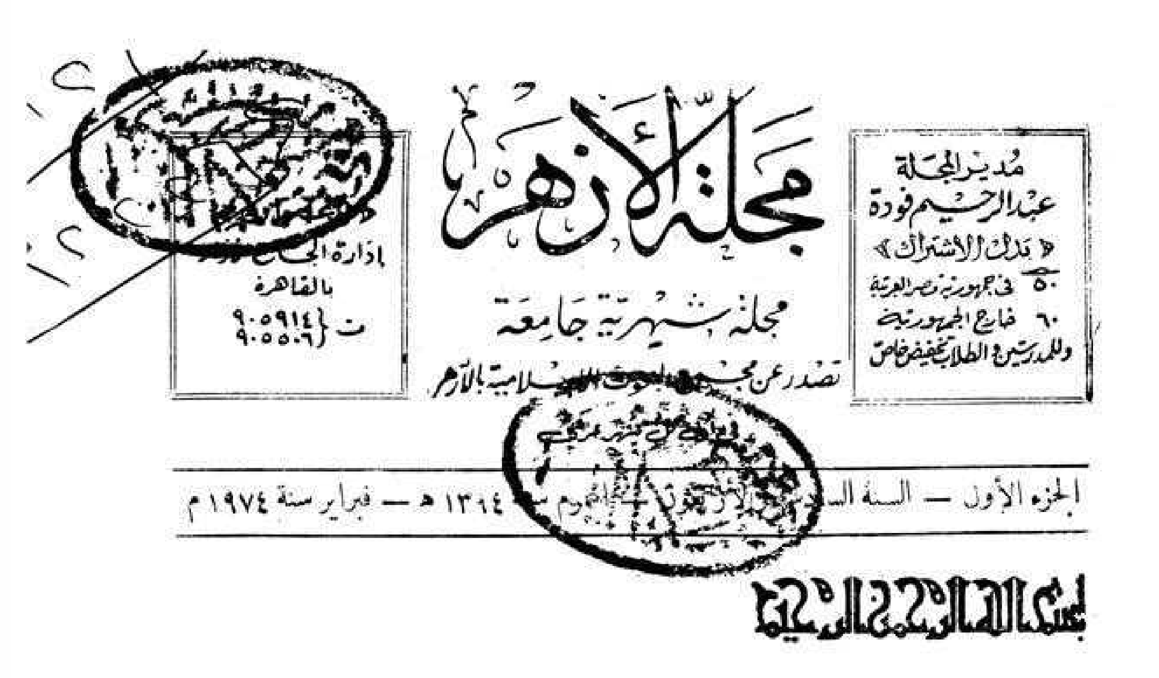



# العام الهجرى الجديد


للأستاذ عبد الرحيم فودة


انه عام أربعة وتسعين وثلاثمائة وألف ...

يقبل على المسلمين بما أقبل به غيره عليهم ، فيذكرون هجرة النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين من مكة الى المدينة ، وكيف كانت هذه الهجرة حركة تحرك بها الوجود كله ، وانتقل بها الصراع بين الايمان والكفر من الحرم الآمن فى مكة الى شتى الميادين حولها ، ثم الى كل مكان كان يلتقى فيه جند الله بجنود الشيطان حتى أكمل الله دينه ، وأتم نعمته ، وأنزل على رسوله قوله : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

ولكنه مع هذا يتميز بجديد عن غيره من الأعوام التى سبقت ، فانه يقبل عليهم وبين يديه هذا الحدث الضخم الذى هز انتباه العالم ، وتردد صداه

فى الآفاق ، وأثار فى نفوس العرب والمسلمين الشعور بالثقة ، والاستعداد للبذل ، والايمان بالنصر ، والاعتصام بالله ، ذلك الحدث هو اقتحام خط بارليف فى العاشر من رمضان ، والالتحام الرائع الرهيب مع أعداء الله وأعداء دينه فيما وراءه ، ثم نشوة المقاتلين بهتاف : الله أكبر وهم يهجمون على الموت ، ويقتحمون المواقع ، ويدمرون الدبابات ، ويسقطون الطائرات ، ولا يبالون وهم فى المعمعة أيقعون على الموت أم يقع الموت عليهم ...

ذلك دون شك لم يكن يقع فى وهم واهم أو حلم حالم ممن نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، ولكنه وقع ، وكان وقعه مفاجأة زادت المؤمنين ايمانا ، وأكدت تصميم العرب والمسلمين على مواجهة العدو بكل ما يستطيعون من قوة ، وما يملكون من سلاح ، ثم كان اجماعهم على منع البترول عن أعدائهم مفاجأة أخرى كبرى رفعت من قيمهم وأقدارهم ، وعرفت - من لم يكن يريد أن يعرف - شأنهم ووزنهم ، بل عرفتهم بأنفسهم ، وبالمكانة الكريمة العظيمة التى وضعهم الله فيها ثم أزلهم الشيطان عنها ، كما يفهم من قوله : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » ... وقوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ...

فاذا استقبلنا هذا العام بالتفاؤل والأمل - لهذه البشريات التى تقدمته - فذلك شعور لا تكلف فيه ، بل هو أمر طبيعى نرجو الله مخلصين أن يسدد خطانا عليه ، ونحن نعمل على هداه ، ونجاهد فى سبيله ، ونسترشد برسوله ، ونرى فى الجهاد الوظيفة الشريفة التى كرمنا بها ، واجتبانا لها ، كما يفهم من قوله : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » ...

ونعوذ بالله أن يكون الأمل والتفاؤل بمقدم هذا العام مجرد شعور تنبض به المشاعر ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : « ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وان قوما غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .. ولهذا نسأله أن يكون هذا الشعور طاقة دافعة للعمل .. وحافزا قويا على الجهاد ، وعزما مصمما على النصر .

وقد كانت الهجرة التى ابتدأ بها التاريخ الاسلامى ، وانتقل بها العالم من ظلام الى نور ومن جهل الى علم ، ومن ضلال الى هدى . . بداية الجهاد الموصول الطويل الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » .

ولم تكن هجرة النبى والمسلمين من مكة الى المدينة التماسا لواحة يجدون فيها برد الراحة ؛ فقد كان وكانوا يعلمون أنهم سيجدون مجالا أوسع للجهاد من مكة ، وسيلقون فيها من اليهود والمشركين والمنافقين أكثر مما عانوه بمكة ، بل سيتابعون جهادهم فى كل مكان يلتقى فيه الكفر مع الايمان ، وانما كانت الهجرة امتثالا لأمر الله وانتقالا بالصراع من دائرة صغرى الى دوائر أخرى كبرى ، وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » ، وقوله فى المهاجرين : « الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » .

فالهجرة كانت للجهاد والنصرة ، ولم تكن فرارا من الموت فى سبيل الله ، فقد كان الموت احدى الحسنيين عند المؤمنين ، يرون فيه شرف الاستشهاد ، والحياة الحقيقة كما يقول الله:«والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم» ، وكما يقول الله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

**عبد الرحيم فودة**

# خروج بني إسرائيل بين الدعاية والتاريخ

للأستاذ أحمد موسى سالم

كان ظهـــــور موسى النبي بين الضـارعين والبكائين والجاحدين من بني اسرائيل عــلامة مضيئة أمام من لا يبصر ، ونعمة كبرى عنـــد من لا يشكر • لقـــد كان ظهور موسى القوى الأمين بداية محنـــة الغرور ، وصناعة الأكاذيب ، وتجارة الحروب بين هذه الأجيال المتفاسدة والمتعاقبـة من اليهود ه الذين اعتبروا أن موسى بالآيات والخروج والتوراة هو الدليل على نظرية التفوق ، أكثر منه الدعوة الى ضرورة الايمان •

وعلى أرض سيناء بدأت قصة التيه الأبدى تخط أول سطورها السرابية فى حياة اليهود وشتاتهم ، حيث بدأ نحو ستة آلاف من الرجال والنســاء والأطفـــــال يقرأون مستقبلهم وراء موسى من خلال هذه السطور بالصراخ والهلع ، والتلفت طلبا للمـاء والطعام والآيات • كانت هذه الجموع المكتئبة تشق الجدب والعراء وراء القـــائد النبي الذى لا يربطها به الا خيط من الطمع • لقد كان موسى وهـــو يتتبع الطريق الذى وعاه خـــلال عشر سنوات بين مصر ومدين •لا يشغله الا أن يحقق الأمن للهاربين من خطر التطويق ، ومن مخاطر الطريق ، ومن نزغ الشـــيطان ، بينمـا كان الذين ســـــاروا وراءه يسوقون أغنامهم ، ويستحثون دوابهــم • ويتفقـــدون أوعيتهم وأموالهـــــم ومسروقاتهم لا يريدون ولا يتحدثون الا عن نزغ الشيطان •

لقد سار شيطانهم معهم يكبر فى كل خطوة ، ويتوالد فى كل مرحلة ، حتى التبس بهم والتبسوا به ، لايقضون فى أمر بغير رأيه ، ولا يشهدون عن شيء الا بلسانه ، ولا يرون حقا ولا باطلا الا بعينيه ، وهكذا فى نهـــاية الشوط الأول من الخروج عندما صعد

موسى الى الجبـــل وتلقى الألواح ، وعنـدما نزل ليتـلو على بنى اسرائيل كلام الله ، كان الشيطان قد سبقه اليهم فعبدوا عجلا ذهبيا له خوار !

**طريق الخروج :**

خرج بنو اسرائيل من مصر عبر سيناء ، ثم بعد أحقاب طويلة يجىء من ينتسبون اليهم ليدخلوا مصر غزوا عن طريق سيناء ، بينما بقوة رد الفعل، وبحكم سنن التاريخ ، تمتد حراب جيش مصر الى صـدور وظهور من تناسوا دروس المـاضى ، ليخرجوا هاربين صاغرين كما خرجوا من قبل. ولـكن أعجب ما يؤدى اليـه صلف العدوان أن يزعم يهود هـذا العصر أن خروجهم وراء موسى من مصر يرتب لهم حقوقا للدخول اليها ، وعلى الأقل يجعل من سيناء جزءا من وطنهم الذى يعودون اليه ، كما يجعل من فلسطين جزءا آخر !

ولقد كان من أسباب طمع اليهود فى بلادنا تحت شـعار الصهيونية ـ أننا كما يجب أن نعترف ـ أهملنـا التـــاريخ ، بل عشنا فى غفلة عنه ، واعتبرناه فى بعض الأحيان ترفا ، وفى أحيان أخرى وجدنا أن قراءتنا للتاريخ الذى يكتبه الآخرون عنا أيسر لنا من أن نكتب نحن هـذا التاريخ ، حتى وان كان هو تاريخنا ، وحتى وان كان الآخرون هم أعداءنا !

لذلك احتل الأعداء دون أن ندرى أو دون أن نبالى ، هذا الموقع الأساسى فى تشكيل معلوماتنا ، وفى تحـديد الشخصية القومية لأمتنا ، وصنع العدو مايشاء من التزوير والتغيير والتحريف لحقائق وأحداث تاريخنا حتى أصبح أمرنا علينا غمة فى فهم العصور التى مرت بنـا ، وفى تحقيق الأحـــداث الشهيرة التى جرت على أرضنا ، ومن بينها حادث الخروج الذى اسـتغله العدو فى مجالات متنوعة ، وبنشاطات مكثفة ، ونحن صـــابرون نعلم ولا نواجه ، أو لا نعلم ولا نحاول !

وبالنسبة لهذا الحدث الذى سجله القرآن الكريم فى موضعه من وصف حياة بنى اسرائيل ، والذى ســجلته التوراة بطريقتها التى خرجت بهـــا عن التحقيق التـــاريخى الى العمل الدعائى من طريق الأحاجى والألغاز فان هنـــاك ســؤالين أســاسين تتحـــدد بهما مواجهة الدعاية الاسرائيلية،ويستقيم بالجواب الصحيح عنهما وضع حادث الخروج فى موضعه الدقيق من تاريخ بنى اسرائيل : أما

السؤال الأول فهو : ما هي العوامل الأساسية التى حكمت اختيار طريق الخروج فى نظر موسى ؟

وأما السؤال الآخر فهـــو : أين نزلت التوراة ؟ • • • وهل نزلت كما ظل الادعاء طويلا على أحد جبال الطور فى سيناء الجنوبية المصرية ؟

**الخروج الى مدين :**

نستطيع أن نحـــدد الاجابة عن العوامل التى حكمت اختيار الخروج القهرى كما أدركهـا موسى ، وكمـا كانت قابلياته للاستفادة منها فى تحديد أهداف رحلته وطرقها كاملة ودقيقة — فيما يأتى :

أولا — كانت وجهة موسى بالضرورة خاضعة فى تحديدها الى العامل الأول والمهم وهو اختيار مكان خارج نفوذ مصر يتوفر فيه الأمن المنشود كعنصر أساسى ، كما يتوفر فيه الماء والمرعى ، وكما يلزم أن يكون قريبـا من أحد الطرق الرئيسية للقوافل للبيع والشراء واجتـــلاب ما يلزم من الحاجات الضرورية • ولم تكن مثل هـــذه الأوصاف متـــوفرة فى مكان يعرفه موسى كل المعرفة فى غير مدين التى يعيش فيها انسباؤه بحالة طيبة تجعل منهم مضيفين أو حماة له ولقومه •

ثانيا — فى الاتجاه الى مدين كان عامل الخـــوف من ملاحقة القوات المصرية فى سيناء لبنى اسرائيل بعـد انذار يأتى اليها من مصر ، أو من قيام القبائل البدوية فى سيناء بحركة تطويق للهاربين بعد تحريضها على ذلك من السلطة المصرية التى تعيش بالولاء لها سببا فى أن يقرر موسى الاسراع فى طريق الفرار حتى يضمن الخروج بالهاربين من دائرة الحدود المصرية التى يصل اليها نفـــوذ السلطة فى مصر •

ثالثا — عبر مرحلة الفـــرار كان لابد من اختيار الطريق الذى لا يشق فيه على من هربوا بأغنامهم ودوابهم وأحمالهم أن يجـدوا المـاء والمرعى بالقدر الذى يتيح لهم حرية الحركة والقدرة على الاستمرار فى الســير السريع •

فى حدود الخطة التى وضعها موسى تحت حكم هذه العوامل سار بنـــو اسرائيـــل وراء موسى الى مدين على الطريق الرئيسى للقوافل التجـــارية المتجـــه من « مارة » شمال شرقى

السويس وبالقـــرب من الساحل الشرقى لخليج السويس ، وهـــو الطريق الذى يقصد الى البتراء مارا بايليم أى ايلات أو العقبة ، والذى يدور بعـد ذلك لينضم الى الطريق المتجه الى الحجاز واليمن .

من موضع عين « المارة » أو المرة لان ماءها كان زعقا بدأت رحلة التيه الأبدى لبنى اسرائيل الذين درجوا على هذا الطريق التجارى منتشرين فى صفوف تتسع الى نحو عشرين كيلو مترا ، وتتلاحق بطول نحو خمسة كيلو مترات ، وذلك حتى يتيسر لهم اتاحـة فرصـــة الرعى لماشـــيتهم ، وكلما اختلت الصـــفوف أو انقطع المتخلفون تنادوا فى هلعهم لينتظموا ، وأحيانا كان يتخلف المتخلفون منهم من السخط وكأنما تشدهم يد الشك الى الوراء ، ثم اذا انقطعوا حملت اليهم الريح أصداء صوت المطاردين فاندفعوا كأنما اعصـار من الخوف والرعب يقذف بهم الى أمام !

وفى غضون شهر تقريبا وصلوا الى العقبة ومنها استداروا على رأس الخليج فدخلوا برية ســين وهم لا يزالون يدرجون فوق الطـــريق التجارى باتجاه جنوبى شرقى محاذين لساحل خليج العقبة أول الأمر ، ثم مبتعدين جهة الشرق نحـو خمسة وعشرين كيلو مترا حيث الاقليم الجبلى فى شرق خليج العقبة حيث تقع أرض مدين ، وحيث يقوم جبل حوريب ، الذى هو جبل الرب أو جبل موسى الذى نزلت عليه التوراة .

**نزول التوراة :**

من هنا تتبين أن الاجابة عن السؤال الآخـر وهو « أين نزلت التوراة » يكون على التحقيق أنها لم تنزل على أى جبل من جبال الطور فى ســيناء المصرية ، لأنها نزلت على جبل بركانى لا يزال يحمل أوصاف جبـل موسى أو جبل التوراة فى أرض مدين .

ولـكن يهود أوروبا عندما انجزوا خططهم الصـــهيونية باتجاه فلسطين بدأوا يمولون حركات وجماعات كثيرة بهدف مزدوج هو استكشاف أرض سيناء وفلسطين من جديد ، ثم عمـــل الدعاية الملائمة لـكل منطقة أو قطر لاعداد من فيه لتقبل فـــكرة الغزو الصهيونى على أنها من الحقـــوق المشروعة ، أو من الأقدار المحتومة ، أو من المشروعات العملية المفيدة !

وقد نجحت الصهيونية فى انجلترا بالذات فى ان تجند أنواعا من الناس من رجال الدين ومن علماء الحفريات والجيولوجيا أو اللغات الذين يعملون بصورة أو بأخرى تحت عنوان الجواسيس أو العملاء للصهيونية العالمية لكى يتعاقبوا على الدخول الى سيناء وفلسطين لمسح الأراضى ، ودراسة السكان ، والكشف عن المعادن ، وبث الاشاعات ، والادعاء أخيرا بأنهم يبحثون فى تحقيق خروج بنى اسرائيل من مصر ! !

من هذه الجماعات كان ما يسمى بالحلف المدرسى لمقاومة أعداء السامية، وقد تأسس هذا الحلف حوالى سنة ١٨٥٠ ، وأصدر أحد أعضائه فى سنة ١٨٥٦ وهو الدكتور فى اللاهوت « آرثر بنرين ستانلى » كتابا بعنوان « سيناء وفلسطين » وذلك بعد أكثر من رحلة عبر فيها سيناء بالطول وبالعرض ثم زار فيها دير سانت كاترين ، وتحدث الى كثير من الرهبان ومن حولهم من البدو ، ثم خرج بانطباعات يؤكد بها الدعاية الصهيونيه التى تقول ان التوراة نزلت على جبل موسى المجاور لجبل سانت كاترين حيث أقيم هناك دير للروم الارثوذكس سنة ٥٤٥ م •

واستمر طبع هذا الكتاب المسخر للدعاية الصهيونية حتى أوائل القرن العشرين ، بهدف استمرار اثارة الحماس الاوروبى للغزو الصهيونى المرتقب لأرض فلسطين وسيناء ، ولتأكيد وترويج الشائعات عن مشاهد مثيرة لنزول التوراة فوق الجبل الذى اختار الايواء اليه رهبان الدير الذى أنشأه ابان حكم الرومان لمصر الامبراطور جوستينيانوس •

**أثر جمل النبى :**

ويمضى الدكتور ستانلى فى ترويج الكثير من الاشاعات التى يهم الصهيونية أن تروج لها فى الغرب ، وفى بلادنا أيضا حيث لا يقرأ صفوة المثقفين الذين يسمون أنفسهم « الانتلجنسيا » الا كتب الغرب • ومن هذه الاشاعات ما يزعمه نقلا عن رحلاته المشبوهة من أنه رأى أثر خف جمل النبى محمد صلى الله عليه وسلم على الصخر فى منطقة جبل موسى ، بجوار

قدم موسى نفسه ، وأن هذا الأثر قد وقع ــ كما يدعى ستانلى ــ فى رحلة النبى من مكة الى القدس فى « الاسراء » فقد رأى لزاما عليه ــ كما يزعم ستانلى بلغة الاسرائيليات ــ أن يزور مكان نزول التوراة !!

وامعانا فى تأكيد الخرافة يروى الدكتور ستانلى أن النبى محمدا صلى الله عليه وسلم قد حضر الى هذا المكان « المقدس » مرة أخرى فى شبابه ، وأن الرهبان ــ كما يزعم ــ أكدوا له أنهم شاهدوه راكبا جمله ، وأن نسرا قد ارتفع فى الجو وظل محلقا فوق رأسه فأدركوا أنها اشارة الى عظمته المستقبلة .

ويبقى أن المهم هو ما أرادت الدعاية الصهيونية الدؤوب أن تصبه فى الأسماع من أن نبى المسلمين يشهد بآثار خف الجمل أن هذه المنطقة الجبلية فى بلاد الطور ، والتى عاش فيها الرهبان بعد سنة ١٠٦ بعد سقوط دولة البتراء هى الأرض المقدسة التى شهدت مخاض مولد التوراة ، وأهم أحداث الخروج والعهد القديم !

ولكن اليوم ونحن نحرث أرض الاشاعات فى التاريخ لنكشف التراب عن الحقائق نتبين أن هؤلاء الرهبان الذين فروا من ظلم الرومان فى مصر ، ومن مذابحهم الجماعية للمسيحيين اليعاقبة بها قد ذهبوا فى فرارهم أول الأمر متتبعين طريق الخروج الصحيح حتى وصلوا الى العقبة ، وهناك أنشأوا أبرشية فاران فى الجزء الجنوبى من أخدود وادى العربة لرعاية من بالقلالى والكهوف الكثيرة من الرهبان .

فلما أن سقطت دولة الأنباط سنة ١٠٦ وعاصمتها البتراء التى ذكرنا أنها على الطريق التجارى الذى سلكه بنو اسرائيل فى خروجهم ، وكان سقوطهافى قبضة الرومان الوثنيين تهديدا مباشرا لهؤلاء الرهبان الذين ذاقوا شراسة الطغيان الرومانى وعاينوا مذابح القوات الرومانية الوثنية فى الاسكندرية وغيرها من مدن وأقاليم ومصر . فبادر هؤلاء الرهبان الى ترك أماكنهم حول العقبة والى الانتقال غربا الى بلاد الطور المصرية حيث بحثوا فى جبالها الوعرة والمنيعة عن ملجأ يحميهم من الرومان ومن اضطراب الأمن بعد سقوط الحكومة العربية المركزية فى البتراء .

وهكذا كان انتقال هؤلاء الرهبان بنفس مواقعهم الأولى ، أى أنهم نقلوا معهم نفس الأماكن التى كانت معالم الطريق النهائى للخروج عند رأس خليج العقبة باتجـــاه مدين ، فسموا جبل موسى جبلا فى الطـور لم تطأه قط أقدام موسى ، وسموا وادى فاران المجاور لهذا الجبل على اسم مكانهم الأول، بوادى العربة البعيد ، حتى يظل اسم ابرشيتم الأولى تردده الأفواه ، وهكذا فى أكثر الأسماء التى جاءوا بها معهم حتى كأنهم لم ينتقلوا من موضعهم فى جبال العقبة والنقب .

ثم تجىء الصهيونية فتستفيد ممـا صنعه الرهبان بغير قصد الا حمـاية أنفسهم فى تأكيد هذا الادعاء المخالف لحقائق التاريخ وهو أن التوراة نزلت على أرض الطور من جبال ســيناء المصرية ، وان هـذا بمنـطق اليهود والصهيونية يرتب حقا فى اغتصـــاب الأراضى بالقوة !

على انه مهما كان الأمر ، ومهمـــا طال الزمن فان « طريق الخروج » كان وسيظل يحكى النهاية المحتومة لأبناء اسرائيل ، أو لمن تشبهوا بهم ، وانتسبوا اليهم ، ممن عبدوا الشيطان، واستعبدهم العـــدوان ، هى نهاية الخروج الصاغر ، والتيه الأبدى ، وصرير الأسنان ! ... ان شاء الله ؟

**احمد موسى سالم**

# دراسات قرآنية :

# أسس الأمة الرشيدة فى الإسلام

للأستاذ مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » ٩٠ » من سورة النحل .

## البيان

لابد لكل بنيان من أساس يقوم عليه ، وكلما كان الأساس عميقا قويا ، كان البنيان متينا ثابتا ، لا ينال منه الزمان ، ولا يؤثر فيه مرور الحدثان .

والأمة المسلمة هى خير أمة أخرجت للناس ، بما وضع الله لها فى كتابه العظيم ، من أسس قوية تقيم بنيانها المتين عليها ، فلا يستطيع الزمان أن ينال منها ، ولا معاول الهدم أن تؤثر فيها ، كلما أقامت مجتمعها على الأسس التى ارتضاها الله لها .

وقد اشتمل القرآن الكريم على قواعد متينة ، ينبغى أن تقوم عليها الدولة المسلمة ، منها ما هو أساس لعقيدتها ، ومنها ما هو أساس لعبادتها لربها ، ومنها ما تبنى عليه معاملاتها .

والآية الكريمة التى نقدمها للقارىء الكريم فى هذا العدد من المجلة ، تعطينا بيانا وافيا للدعائم التى ينبغى أن تقوم عليها معاملات المسلمين ، يستوى فيها الراعى منهم والرعية ، ويعتبر ما جاء فيها دستورا لمكارم الأخلاق وعوالى السجايا والشيم .

أخرج البارودى وأبو نعيم — فى معرفة الصحابة — عن عبد الملك بن عمير قال : « بلغ أكثم بن صيفى (١) مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يأتيه ، فأبى قومه ، فانتدب

---

(١) كان أكثم حكيم العرب .

رجلان (١) ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالا نحن رسل أكثم ، يسألك : من أنت وما جئت به ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أنا محمد ابن عبد الله • عبد الله ورسوله ، ثم تلا عليهم هذه الآية « ان الله يأمر بالعدل ••• » قالوا ردد علينا هذا القول،فردده ـ عليه الصلاة والسلام ـ عليهم حتى حفظوه،فأتيا أكثم بن صيفى فأخبراه ، فلما سمع الآية قال : انى لأراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهى عن مذامها ، فكونوا فى هذا الأمر رأسا ، ولا تكونوا فيه أذنابا » •

وكانت هذه الآية سبب استقرار الايمان فى قلب عثمان بن مظعون ومحبته للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما أخرجه أحمد والطبرانى والبخارى فى الأدب •

ولكون هذه الآية أما للفضائل جامعة لفروعها ، أقامها عمر بن عبد العزيز ـ حين آلت اليه الخلافة ـ مقام ما كان بنو أمية يجعلونه فى أواخر خطبهم من سب الامام على ـ كرم الله وجهه ـ بسبب الخلاف الذى نشب بينه وبين معاوية بن أبى سفيان الأموى ، وكان ذلك من أعظم مآثر عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ، وبذلك انتهت تلك الجريمة الكبرى التى كان خطباؤهم يقترفونها •

وقال بعض أولى العلم : لو لم يكن فى القرآن غير هذه الآية الكريمة لكانت كافية فى كونه تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة ، ولذا جاءت عقب قوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » •

### العدل فى الأمر كله

أمر الله فى هذه الآية بثلاث من أمهات الفضائل ، ونهى عن ثلاث من أمهات الرذائل ، وأول ما أمر الله به فيها « العدل » وسنجعل مقالنا اليوم فى تبيانه وشرح أبعاده ، وذكر بعض الأمثلة منه فى قضايا صدر الاسلام ، وما تلاه من العصور الذهبية للمسلمين •

العدل هو الانصاف ، وان شئت فقل هو التوسط فى الأمور بين طرفى الافراط والتفريط ، ولاشك أن لكل معاملة جوانب ثلاثة ، افراطا وتفريطا

(٢) اى خرجا وتكفلا بالذهاب اليه صلى الله عليه وسلم •

ووسطا بينهما ، وخير هذه الجوانب وسطها ، ففى الحديث ينبغى الاعتدال والصدق ، وتجنب الكتمان والكذب ، وفى الزوجات تبغى التسوية بينهن فى القسم والنفقــة والبشاشــة واللين ، وتجنب الاهمــال والظــلم لبعضهن ، وتمييز البعض الآخر بالرعاية والعناية وفى الجيران يعدل بينهم بالاعتدال فى معاملتهم ، وعدم التفرقة بينهم بالافراط أو التفريط ، وفى الامارة والرياســة يعدل الحاكم بالتسوية بين الناس فى حسن المعاملة والشفقة ، والحرص على المصلحة ، ودرء المظالم ، فلا يفرق فى ذلك بين غنى وفقير ، وعظيم وصعلوك ، وقريب وغريب ، وفى القضاء يعدل القاضى بانصاف المظلوم من ظالمه ورد حقه اليــه ، وان كان ظــالمه ذا جاه ورياسة •

أخرج ابن أبى حاتم عن محمــد ابن كعب القرظى أنه قــال : دعانى عمر بن عبد العزيز فقال لى : صف لى العدل ، فقلت بخ : ســألت عن أمر جسيم ، كن لصغير الناس أبا،ولكبيرهم ابنــا ، وللمثل منهم أخا ، وللنســاء كذلك وعاقب الناس على قدر ذنوبهم، وعلى قــدر أجسادهم ، ولا تضربن لغضــبك ســـوطا واحدا فتكون من العادين •

وما قاله محمد بن كعب القرظى لأمير المؤمنين عمر بن عبــد العزيز نماذج من العدل ، دعا اليهــا منصب السائل ومكانه من أمته ، وهذا لا ينافى اتساع رقعة تطبيقه ، ودخوله فى جميع معــاملات العبــاد ، ولا ينبغى لحاكم أو قاض أن يقبل شــفاعة فى حق الله أو لعباده رفع اليه ، ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنهــا أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه الا أسامة بن زيد • فلما كلمه فيها قال صلى الله عليه وسلم: « يا أسامة أتشفع فى حد من حدود الله ، انما هلك بنو اسرائيل أنهم اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليــه الحــد ، والذى نفس محمد بيــده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » •

وكــان أشرف البطون فى قريش مخزوم وبنو عبد مناف ، فلما سرقت المخزوميــة ، وثبتت السرقة عليهــا ، لم يبال الرسول بنسبها ، ولم يقبل فيها شفاعة حبيبه أسامة بن زيد ، بل لامه على شــفاعته فى حد من حدود الله وصل أمر الفصل فيه اليه ، وضرب

المثل بسيدة نساء العالمين ، وقال : لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها - وحاشاها رضى الله عنها - ليعلم الناس أن حقوق الله وحقوق عباده متى وصلت الى القاضى أو الحاكم ، لا يحق له أن يتراخى فى تطبيق حكم الله فيها ، ولو على أقرب المقربين له •

وروى مالك فى الموطأ أن جماعة أمسكوا لصا ليرفعوه الى عثمان - رضى الله عنه - فتلقاهم الزبير فكلمهم فيه(١) فقالوا اذا رفع الأمر الى عثمان فاشفع فيه عنده ، فقال : « اذا بلغت الحدود السلطان ، فلعن الله الشافع والمشفع » •

وروى أبو داود فى سننه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله فى أمره ، ومن خاصم فى باطل وهو يعلم ، لم يزل فى سخط الله حتى ينزع ، ومن قال فى مسلم دين ما ليس فيه ، حبس فى ردغة الخبال ، حتى يخرج مما قال : قيل يارسول الله ، وما ردغة الخبال ، قال : عصارة أهل النار (٢) ، فذكر النبى صلى عليه وسلم الحكام والشهداء والخصماء وهؤلاء أركان الحكم •

وكما لا يحل التراخى فى حكم الله بشفاعة لا يحل بهدية ورشوة ، ومن عطل حكمه تعالى وهو قادر على اقامته فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، وهو ممن اشترى بآيات الله ثمنا قليلا ، كما قرره ابن تيمية وغيره •

### المأمون ينصف امرأة من ولده

أخبر الحافظ فى تاريخه بدمشق ، باسناده الى العباس بن محمد الهاشمى قال : انى لواقف بين يدى المأمون ، اذ دخلت امرأة متظلمة فى أخريات الناس ، وعليها أطمار بالية ، وقد أذن المؤذن الأولى ، وهم بالقيام فقالت :

ياخير منتصف يهدى له الرشد ... ويا اماما به قد أشرق البلد
تشكو اليك سليل الملك أرملة ... عدا عليها فلن يقوى به أحد
فابتز منى ضياعا بعد منعتها ... وقد تفرق عنى الأهل والولد

---

(١) اى طلب منهم العفو عنه قبل ان يصل امره الى عثمان رضى الله عنه.

(٢) فى القاموس الردغة : الماء والطين والوحل الشديد ، ثم قال : وردغة الخبال ويحرك - عصارة اهل النار .

فأجابها المأمون مرتجلا :

من دون ما قلت عيل الصبر والجلد
منى ودام به فى قلبى الكمد
هذا أوان صلاة الظهر فانصرفى
وأحضرى الخصم فى اليوم الذى أعد
والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا
أنصفك منه والا المجلس الأحد

قال : فجلس يوم الأحد ، ودخلت المرأة فقال لها : وأين الخصم ؟ فقالت هو بين يديك ، وأشارت الى ولده العباس ، فقال لأحمد بن أبى خالد : خذ بيده فأجلسه معها ، ففعل ، فادعت عليه بالضيعة ، وجعلت ترفع صوتها عليه ، فقال لها أحمد : خفضى من صوتك ، فانك بين يدى أمير المؤمنين ، فقال : اسكت فان الحق أنطقها والباطل أسكته ، وظهر الحق معها فقضى لها عليه ، وأمر برد ضيعتها اليها ، وغرم ولده ما أخذه من ريعها .

## القاضى شريك يحكم على أمير الكوفة

روى عمر بن هياج بن سعد قال : أتت امرأة يوما شريك بن عبد الله قاضى الكوفة ، وهو فى مجلس الحكم ، فقالت : أنا بالله ثم بالقاضى ، قال : من ظلمك ؟ قالت الأمير موسى بن عيسى ابن عم أمير المؤمنين ، كان لى بستان على شاطىء الفرات ، فيه نخل ورثته عن أبى ، وقاسمت اخوتى ، وبنيت بينى وبينهم حائطا ، وجعلت فيه رجلا فارسيا يحفظ النخل ويقوم به ، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع اخوتى ، وساومنى ورغبنى ، فلم أبعه ، فلما كانت هذه الليلة ، بعث بخمسمائة غلام وفاعل ، فاقتلعوا الحائط ، فأصبحت لا أعرف من نخلى شيئا ، واختلط بنخل اخوتى ، فقال : ياغلام : احضر طينة ، فأحضرها ، فختمها وقال للمرأة : امضى الى بابه حتى يحضر معك ، فجاءت المرأة بالطينة المختومة ، فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال : قد أعدى القاضى عليك (١) ، وهذا ختمه ، فقال : ادع لى صاحب الشرطة ، فدعا به ، فقال : امض الى شريك وقل : ياسبحان الله . ما رأيت أعجب من أمرك ، امرأة ادعت دعوى لم تصح ، أعديتها على (٢) ، قال

---

(١) اى استعين به عليك .
(٢) اى اعنتها ونصرتها على .

صاحب الشرطة : ان رأى الأمير أن يعفيني من ذلك ، فقال : امض ويلك ، فخرج وقال لغلمانه : اذهبوا واحملوا الى حبس القـاضى بساطا وفراشـا وما تدعو الحاجة اليه ، ثم مضى الى شريك ، فلما وقف بين يديه أدى الرسالة ، فقال لغلام المجلس : خذ بيده فضعه فى الحبس ، فقال صاحب الشرطة ، والله قد علمت أنك تحبسنى فقدمت ما أحتاج اليه الى الحبس .

وبلغ موسى بن عيسى الخبر ، فوجه الحاجب اليه ، وقال له : رسول أدى رسالة فأى شىء عليه : فقال شريك : اذهبوا به الى رفيقه فى الحبس،فحبس، فلما صلى الأمير موسى العصر ، بعث الى اسحق بن الصباح الأشعثى والى جماعة من وجوه الكوفة من أصـدقاء القـاضى شريك ، وقال لهم : أبلغوه السلام،وأعلموه أنه استخف بى وأنى لست كالعامة ، فمضوا اليه وهو جالس فى مسجده بعد صلاة العصر ، فأبلغوه الرسالة ، فلما انقضى كلامهم قال لهم : مالى أراكم جئتمونى فى غبرة من الناس فكلمتمونى (١) ، من ها هنا من فتيان الحى ؟ فأجابه جماعة من الفتيان ، فقال : ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل، فيذهب به الى الحبس ، ما أنتم الا فتنة وجزاؤكم الحبس،قالوا له:أجاد أنت؟ قال حقا حتى لا تعودوا لرسالة ظالم ، فحبسهم فركب موسى بن عيسى فى الليلة الى باب السجن ، وفتح الباب وأخرجهم كلهم ، فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء ، جاءه السجان فأخبره ، فدعا بالقمطر فختمه ، ووجه به الى منزله ، وقـال لغلامه : الحق بنقلى — أى متاعى — الى بغداد ، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم،ولكن أكرهونا عليه ، ولقد ضمنوا لنا فيه الاعزاز حين تقلدناه منهم ، ومضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد ، وبلغ الخبر موسى بن عيسى فركب فى موكبـه فلحقـه ، وجعل يناشـده الله ويقول : يا أبا عبـد الله تثبت ، انظر : اخوانك تحبسهم ؟ دع أعوانى ، قال : نعم ، لأنهم مشوا لك فى أمر لم يجز لهم المشى فيه ، ولست ببارح أو يردوا جميعا الى السجن ، والا مضيت الى أمير المؤمنين المهدى ، فأستعفيه مما قلدنى، فأمر موسى بردهم

(١) الغبرة بضم الغين لون الغبار ، أى مالكم جئتمونى من أجل جماعة فى لون الغبار لاعانتهم الظالم .

جميعا الى الحبس ، وهو واقف والله مكانه ، حتى جا السجان فقال : قد رجعـوا جميعا الى الحبس ، فقـال لأعوانه : خذوا بلجام دابته بين يدى الى مجلس الحكم ، فمروا به بين يديه حتى أدخل المســجد ، وجلس فى مجلس القضـاء ، فجاءت المرأة المتظلمة،فقال :هذا خصمك قد حضر، فقال موسى ــ وهو مع المرأة بين يديه ــ أنا قد حضرت ،وأولئك يخرجون من الحبس ، فقال شريك : أما الآن فنعم ، أخرجوم من الحبس ، فقال : ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة، قال : صدقت ، قال : ترد ما أخذت منها وتبنى حائطها سريعا كما كان ، قال : أفعل ذلك ، قال شريك للمرأة : أبقى لك عليـه دعوى ؟ قـالت : لا وبارك الله عليك وجزاك خيرا ، قال : قومى ، فقامت من مجلســه ، فلما فرغ قام وأخذ بيـد موسى بن عيسى وأجلسه فى مجلســه وقال : السلام عليك أيها الأمير ، أتأمر بشىء ؟ فقال : أى شىء آمر بهوضحك، فقال له شريك : أيهـا الأمير ، ذاك الفعل حق الشرع ، وهذا القول الآن حق الأدب ، فقام الأمير وانصرف وهو يقـول : من عظم أمر الله أذن الله له عظماء خلقه •

بعد أن ذكرت لك ــ أيها القارىء الكريم ــ هذا النمـوذج الممتـاز من عدالة القضاء فى الاسلام وقدسـيته ، وحرمة القــاضى وعزته وحريتـه ، أحييـك وأعــدك بشرح باقى الآية الكريمة ، فالى العدد القــادم ، رعاك الله ؟ .

**مصطفى محمد الطير**

### من هدى السنة :

# عاقبة المجاهد فى سبيل الله

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

( تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى ، وايمان بى ، وتصديق برسلى ، فهو ضامن أن أدخله الجنة ، وأرجعه الى منزله الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة ، والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم ، لونه لون دم وريحه ريح مسك ، والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى ، والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ) رواه مسلم .

**اللغة :**

( تضمن الله ) أى تكفل والتزم فضلا منه وكرما ،

( جهاد ) المراد به شرعا الدعوة الى الدين الحق ، وقتال من لم يقبله ،

( وأرجعه ) بفتح الهمزة من رجع المتعدى ، ومنه قوله تعالى : « فان رجعك الله الى طائفة منهم » (١) .

( أجر ) ثواب وجزاء .

( غنيمة ) يقال : غنمت الشىء أغنمه غنما أصبته غنيمة ومغنما ، والجمع الغنائم والمغانم ، قال الله تعالى : «وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها (٢)» ، والغنيمة ما أخذ بقتال من أهل الحرب .

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٨٣

(٢) سورة الفتح آية رقم ٢٠

( والذى نفس محمد بيده ) صيغة قسم بالله عز وجل .

(كلم) جرح ، ويقال : كلمته كلما جرحته .

( مسك ) المسك عند العرب أفضل الطيب .

( سرية ) جماعة من الجيش تبعث لمقاتلة العدو ، سميت بذلك لأنها تسرى وتسير اليه فى خفية .

( تغزو ) تقاتل .

( لا أجد سعة فأحملهم ) لا أستطيع أن أوفر دابة لكل واحد من المسلمين تحمله عند الخروج للقتال .

**البيان :**

الجهاد أشرف الأعمال غاية ، وأنبلها قصدا ، وأجلها أثرا ، وهو المنهج القويم الذى به تسترد الأمة حقها ، وتوفر أمنها ، وتبلغ أسمى الأمانى ، وتظفر بأزكى العواقب ، وتجنى أطيب الثمرات ، قال تعالى :

« يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (١) » .

والحديث الذى نحن بصدده يبين لنا ما للمجاهد عند الله تعالى من كريم المنزلة ، ورفيع المقام ، فاذا خرج للجهاد بقلب سليم ، وهمته عالية ، فلم يدفعه الى الخروج الا الحرص على اعلاء كلمة الله ، والايمان به ، والتصديق برسله فقد تكفل له سبحانه ، والتزم فضلا منه وكرما أن يحوطه بوافر العناية ، ويمنحه مزيد التشريف والتكريم ، فاذا استشهد أدخله الجنة ليظفر بما أعد له من نعيم خالد ، وعطاء جزيل ، واذا سلمت نفسه رجعه الى منزله الذى خرج منه ، ومعه ما نال من أجر أو غنيمة .

وتنكير كل من أجر ، وغنيمة يفيد التفخيم والتعظيم ، والمعنى أنهما نوعان من الأجر والغنيمة بلغا من

(١) سورة الصف الآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣

التعظيم مبلغا كبيرا ، فلا يخضعان للتحديد والتقدير .

وظاهر الحديث أنه اذا غنم المقاتل لا يحصل له أجر ، وليس ذلك مرادا .

بل المراد : أو غنيمة معها أجر أنقص من أجر من لم يغنم .

وانما اقتصر الحديث على ذكر كل من : أجر ، وغنيمة لأنه يراد المقدار الكامل من كل منهما .

ويؤيد هذا التأويل الذى ذهبنا اليه ـ وهو أن الذى يغنم يرجع بأجر ، لكنه أنقص من أجر من لم يغنم ـ ما رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا :

( ما من غازية تغزو فى سبيل الله ، فيصيبون الغنيمة الا تعجلوا ثلثى أجرهم من الآخرة ، ويبقى لهم الثلث ، فان لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم ) .

وقد فهم بعض العلماء ان « أو » فى قوله : ( نال من أجر أو غنيمة ) بمعنى الواو .

فيرجع كل مقاتل بمجموع الأمرين : الأجر والغنيمة .

ومعنى ذلك أنه أصبح شرطا فى كل مقاتل أن يرجع بمجموع الأمرين ولكن الواقع يرد هذا الفهم ، فان بعض المقاتلين يرجع بغير غنيمة ، وبهذا يبدو رجحان التأويل السابق .

ولمكانة المجاهد فى سبيل الله ، وعظيم منزلة الشهيد أقسم عليه الصلاة والسلام على أن أى جرح يجرحه المقاتل يكون يوم القيامة لونه لون الدم ، ولكن يفوح منه أطيب أنواع الرائحة ، ليكون فى ذلك اظهار لفضل المجاهد على رءوس الأشهاد ، واعلان عما استحقه من وسام الشرف والكرامة .

وصيغة القسم التى أقسم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى قوله : ( والذى نفس محمد بيده ) تملأ النفس ايمانا بجلال الخالق وعظمته ، واذعانا لقوته وسطوته ، وتصديقا للرسول عليه الصلاة والسلام فى قسمه ، واهتماما بخبره ، ولتأكيد شرف الجهاد فى نفوس المؤمنين يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيغة القسم المتقدمة على أنه لولا أن يشق على المسلمين بمتابعته فى الخروج الى الحرب ما قعد أبدا خلف أى جماعة من

الجيش تخرج للغزو فى سبيل الله ، وانما يصحب كل جماعة ويرافقها ، ويبين أن عذره فى التخلف أحيانا راجع الى أنه لا يجد قدرة على أن يسافر بجميع المسلمين بعد أن يهىء لهم وسائل السفر من دابة وغيرها ، وهم أيضا عاجزون عن القيام بتحصيل أسباب السفر ، وتلحقهم المشقة والآلم اذا ألجأتهم الضرورة الى التخلف عنه صلوات الله وسلامه عليه ، فمن أجل رحمته عليه الصلاة والسلام بأمته ، ومزيد رعايته لحالهم ترك متابعة الخروج مع المجاهدين ، وهو أشد ما يكون حرصا عليها ، وشوقا اليها ، وصدق الله تعالى حيث يقول فى معرض الامتنان بارساله ، والتنويه بشأنه عليه الصلاة والسلام : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »(١) .

ولما كانت منزلة الشهيد على أروع صورة من الجلال والكمال ، وأنه يتلقى من ربه صنوفا من النعيم والتكريم لا تخطر على بال أراد عليه الصلاة والسلام أن يزيد هذه المنزلة تثبيتا فى العقول ، وتمكينا فى القلوب، فأقسم مرة ثالثة بالصيغة السابقة على أنه أحب أن يغزو فى سبيل الله ، ثم يقتل ، ثم يحيا ، فيغزو فيقتل ، ثم يحيا فيغزو فيقتل ، ليبلغ أوفى ما أعد للشهيد من فضل سابغ ، وجزاء كريم ، ولا ريب أن هذا أبلغ أسلوب فى اشعال جذوة الحماس للجهاد ، والحرص على الصمود والاستبسال.

وما كان لمؤمن بعد هذا البيان النبوى الرائع أن يرغب بنفسه ، أو يجبن فى مقاتلة عدوه ، فالله عز وجل سيمنح المجاهدين الصادقين الهداية والسداد ، والعون والامداد انجازا لوعده كما قال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين »(٢) .

**مايرشد اليه الحديث :**

يرشد الحديث الى أمور نجملها فيما يأتى :

١ ـ التنويه بشأن الجهاد فى سبيل الله تعالى .

٢ ـ الاشادة بمنزلة المجاهد وكريم عاقبته .

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١٢٨

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٦٩

٣ ـ الايمان بالله ورسله أعظم وسيلة ينال بها المجاهد رعايته تعالى وتكريمه .

٤ ـ الاخلاص فى الأعمال ، وابتغاء وجه الله بها ينهضان بالعبد الى رفيع الدرجات .

٥ ـ الاكبار لأمر الشهيد ، والاعلان عن فضله على رءوس الخلائق يوم القيامة .

٦ ـ مشروعية تمنى الخير ، والتزود من صالح الأعمال .

٧ ـ مزيد رحمته عليه الصلاة والسلام بأمته ، واشفاقه لحالهم .

٨ ـ حرص الصحابة رضى الله عنهم على الاقتداء بالرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وملازمته فى عموم أحواله .

٩ ـ ترك بعض المصالح لتحقيق مصلحة راجحة ، أو لدفع مفسدة .

١٠ ـ يحسن أن يبين القائد وجهة نظره فى عدم مشاركته لجنوده فى بعض العمليات الحربية رعاية لشعورهم ، وتطييبا لقلوبهم .

وفقنا الله تعالى للنهوض بأعباء الجهاد ، وبارك لنا فى آثاره ، ومنحنا الصلابة فى الحق ، والثبات فى الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأيدنا بروح من عنده ، وأتم علينا نعمة النصر ، انه عز وجل حسبنا ومولانا ، ونعم المولى ونعم النصير ؟

**منشاوى عثمان عبود**

# التخطيط النبوى للهجرة

للأستاذ محمد جمال الدين

التخطيط هو المدخل العلمى الصحيح الى انجاز الأعمال على أفضل وجه ، وفى العصر الحديث زادت أهمية التخطيط حتى أصبحت قوة الأمم تقاس بالتزامها بالمنهج العلمى فيه ، ونشأ ما يسمى بعلم الادارة الذى أصبح اتباع أصوله دعامة أساسية فى بناء الدولة العصرية وتطورها فى كل النواحى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية ..

وطبقا للأصول العلمية لا تصبح الخطة سليمة الا اذا مرت بمراحل معينة تبدأ بتحديد الهدف والحصول على الحقائق والمعلومات • ثم استعراض طرق العمل الممكنة • وتقدير المشكلات التى تعترضها • وحساب للاحتمالات المختلفة ثم الوصول الى القرار بشأن الطريق الواجب اتباعه •

وعملية التخطيط بهذا الوصف عملية عقلية يستخدم فيها الانسان عقله الذى يعد من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى عليه • والذى ميزه به على سائر المخلوقات •

والناس فى استخدامهم للعقل درجات .. فمنهم من يقصر ذلك على « تحصيل » المعارف ، ومنهم من لا يكتفى بالتحصيل بل يضيف اليه « الانتاج العقلى » ، ومنهم من لا يقنع بذلك بل يرقى الى مستوى استخدام عقله فى « التنبؤ » وتقدير احتمالات المستقبل ليس على أساس الرجم بالغيب ، ولكن على أساس من امعان النظر فى الحقائق والمعطيات والملاحظة الموضوعية ، والاحاطة بكل أبعاد المشكلة والقدرة على التصور والاستنتاج المنطقى وبعد النظر •

وليس من شك فى أن الطائفة الأخيرة من الناس التى تستخدم العقل

الى أقصى طاقاته ، هى الطائفة الموفقة حقا الى التخطيط العلمى السليم الذى يكفل للعمل المقرر كل أسباب النجاح ، وهى أيضا الطائفة التى تقدم أكثر من غيرها أجل الأعمال لصلاح حال المجتمع الذى تعيش فيه •

ولقد اهتم الاسلام بالعلم اهتماما بالغا ، وجعله أساسا للقوة والرقى ، ولم يسو بين الجاهلين والعلماء ، ورفع قدر أهل العلم • والنبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه – وقد كانت أول آية نزلت من القرآن على قلبه تتضمن القراءة التى هى مفتاح العلم ، والقلم الذى هو آلة العلم والمعرفة والتاريخ والحضارة ، وان الله هو الذى علم الانسان كل شىء – هو خير أسوة للمسلمين فى مجال التخطيط العلمى، فقد أخضع لنهجه كل أعماله ، ووضع منذ أربعة عشر قرنا أسس علم الادارة الذى هو اليوم من علوم العصر الحديث •

والتخطيط النبوى للهجرة من مكة الى المدينة مثل رائع ينطوى على كل أركان التخطيط العلمى الذى لا يدع شيئا لعوامل المصادفة •

• موعد الهجرة أخفاه تماما فلم يعلم به الا أبو بكر وعلى ، وهو درس فى أهمية السرية والكتمان يؤكده قول الرسول : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » •

• خرج فى الثلث الأخير من الليل الى منزل أبى بكر ومنه خرج من فتحة فى ظهره •

• ترك فى منزله سيدنا عليا نائما فى فراشه مغطى بغطائه فصرف بذلك المراقبين المحاصرين للبيت عنه،فاذا نظروا الى فراشه ظنوه راقدا فيه فلا يبحثون عنه •

• لم يتجه فى سيره شمالا وهو الاتجاه الطبيعى والمباشر من مكة الى المدينة ، ولم يتجه غربا سالكا طريق الساحل بل اتجه الى الجنوب الشرقى وهو اتجاه لا يتصور الانسان أن يلجأ اليه مهاجر يستهدف الشمال ، ولا يمكن أن يفكر فيه المشركون حينما يكتشفون الأمر فيسارعون الى اللحاق به •

• لم يستمر فى السير طويلا ، بل لجأ الى غار ثور ليحقق مزيدا من تضليل قريش فى حالة ما اذا بحثوا عنه فى كل اتجاه • واختفاؤه السريع بهذه الصورة يحدث صدمة نفسية لهم توقعهم فى بلبلة

وذهول وتشل تفكيرهم وتجعل تصرفاتهم عصبية بعيدة كل البعد عن التخطيط الواعى السليم .

• ولقد كان اختياره لمكان الاختباء غاية فى التفكير الفذ ، فقد اختاره مكانا وعرا ، فانه حتى الآن اذا ما أراد شاب قوى أن يصعد الى مكان الغار وجد فى هذا صعوبة كبيرة ، هذا بينما كان الرسول فى سن الثالثة والخمسين من عمره عام الهجرة .

• كلف عبد الله بن أبى بكر بأن يقوم بدور رجل المخابرات ، فيتسمع ما تقوله قريش فى مكة ثم يذهب ليلا الى الغار ليبلغ الرسول . فالرسول بذلك لم يكن منقطعا عن أحوال أعدائه ، وهو يعلمنا بذلك أن استمرار استطلاع أخبار العدو ضرورة حيوية تمكن من اتخاذ الاجراءات التى يستلزمها الموقف فى الوقت المناسب مما يوفر للخطة الأصلية أسباب النجاح .

• وبالفكر العلمى العميق لم يفته أن عبد الله بن أبى بكر عند عودته الى مكة كل ليلة سوف يترك آثار أقدامه على الأرض وقد يكتشفها المشركون ، لذلك كان عامر بن فهيرة يرعى غنم أبى بكر نهارا ثم ينتظر عبد الله بن أبى بكر حتى يخرج من الغار فيسير خلفه حتى تزيل آثار الغنم آثار أقدامه .

• كانت أسماء بنت أبى بكر تحضر الطعام الى الغار فكان لا بد من توقيت دقيق بين الراعى وبين الذى ينقل الأخبار والذى يحضر الطعام .

• بعد مرور ثلاثة أيام خرج الرسول من الغار ومعه أبو بكر واستمرا فى السير جنوبا ثم غربا الى الشاطىء ثم شمالا بحذاء الساحل ، وهو طريق غير مألوف الى المدينة ، ولا شك أن اختباء الرسول ثلاثة أيام فى الغار يضاعف من الضغط النفسى على قريش حتى يدب اليأس فى قلوبهم وتفتر عزائمهم فى البحث عنه .

• كان دليل الرسول وصاحبه فى الهجرة الى المدينة عبد الله بن أريقط رغم أنه لم يكن مسلما وهو الذى أعد الرواحل التى سافرا عليها .

وهذا الفعل غاية فى التمويه على الأعداء ، فالذى يتصور أن يتجه

النظر الى صحابى يكون محل ثقة النبى عليه الصلاة والسلام ، أما أن يكون المسئول عن الرواحل والدليل فى الرحلة والشريك فى هذا السر الكبير الذى أخفاه الرسول عن المسلمين غير مسلم فهذا آخر ما كان يمكن أن يرد على ذهن قريش .

• بل ان أمر الاتصال بعبد الله بن أريقط فى شأن الرواحل خضع لتفكير دقيق ، اذ أنه اذا اتصل به عبد الله بن أبى بكر ، فقد تستريب فى ذلك قريش ، وكذلك اذا ما حدثته أسماء ، ولكن اذا اتصل به عامر بن فهيرة ، وهو راع مثله ومن طبيعة الراعى أن يتحرك ليقابل راعيا ، فليس فى الأمر أية ريبة ..

• وطوال الرحلة كان الرسول وصاحبه يسريان على سفينة الصحراء الليل كله وينيخان بالنهار للراحة .

• كل ذلك ينهض دليلا على التخطيط المحكم الذى أعد لكل أمر عدته حتى تتحقق المهمة بنجاح تام .

ويعلمنا الرسول أيضا فى التخطيط مبدأ تقسيم العمل بحيث تخصص مهمة كل فرد فى الجماعة حسب قدراته وامكانياته الشخصية ، فقد كان لكل فرد ساهم فى عملية الهجرة دور محدد : على بن أبى طالب له دور ، وعبد الله وأسماء لهما مهمة ، وكذلك عامر وعبدالله ابن أريقط .

• ويعلمنا الرسول أيضا مبدأ التنسيق حسب أحدث الأصول العلمية فلا يقتصر فى التخطيط على تقسيم العمل وتوزيعه ، بل يجب أن ينسق بين مختلف القائمين بالعمل، ويكون التنسيق فى المكان والزمان ، وبذلك يخرج العمل منسجما متكاملا .. وهكذا يضع لنا الرسول الكريم القاعدة العلمية التى تقول بأنه بدون عملية التخطيط يصبح العمل بغير هدف واضح وغير منظم ، وبدون عملية التنسيق يكون العمل مبعثرا مشتتا غير منسجم .

• وأخيرا وليس آخرا يعلمنا الرسول أن التـواكل والاستكانة وترك الحذر ليست من الاسـلام ، بل لا بد من أن نعد كل أمورنا اعدادا علميا دون أن نترك شيئا للمصادفة، فان رسول الله كان يعلم أن الله حافظه وعاصمه وناصره ، لـكنه كان لا يهمل الأخذ بالأسـباب • بل أخذ جانب الحذر حتى لا يقع فى أيدى المشركين • وحتى يكون قدوة لغيره عملا بقول الله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .؟

**محمد جمال الدين**

# أدب الفطرة في صحابة رسول الله

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نزل عليه ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفل وأبو أيوب فى العلو ، فانتبه أبو أيوب ليلة فقال :

نمشى فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنحوا فباتوا فى جانب ، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله : السفل أرفق بى ، فقال : لا أعلو سقيفة أنت تحتها ، فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العلو ، وأبو أيوب فى السفل ، فكان يصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما فاذا جيء به اليه سأل عن مواضع أصابعه فيتتبع موضع أصابعه فصنع له طعاما فيه ثوم فلما رد اليه سأل عن مواضع أصابعه فقيل له : لم يأكل ففزع وصعد اليه ، فقال : أحرام هو ؟ • فقال : لا ولكنى أكرهه ، قال : فانى أكره ما تكره ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالوحى ، يعنى مجيء الملك ، أخرجه مسلم •

لله أنت يا أبا أيوب ، ولله أدبك السامى وذوقك الراقى ، وشعورك النبيل !! انك لم تدرس هذا الأدب فى مدرسة أو جامعة ، ولم تلقنه من معلم ولكنه كان وحى فطرتك السليمة ونفسك الشفافة ، وحسك المرهف ، لقد أبى عليك أدبك واحساسك أن يكون سكنك فوق سكن الرسول فى دارك ، ورفضت هذه الصورة من مظهر العلو على رسول الله ورأيت أن تضعه حيث وضعه الله من علو حسى ومعنوى ورجوته أن يتحول من أسفل الدار الى أعلاه ليكون كما قدر له عالى المكانة والمكان •

وقصة أبى أيوب هذه : أن رسول الله لما وصل الى المدينة مهاجرا من

مكة احتشد له الأنصار من كل قبيل وكل حي وتزاحموا على ناقته كل يحاول أن يأخذ بزمامها ليقودها الى حيه أو منزله فيفوزوا بشرف ضيافته ونزله والرسول يقول لهم : دعوها فانها مأمورة ، وما زالت تنتقل من حي الى حي حتى بركت عند دار بنى مالك ابن النجار حيث مسجده الآن وقريبا من منزل أبى أيوب وسرعان ما احتمل أبو أيوب رحل الرسول ومتاعه الى منزله ليكون عنده حتى تهيأ له ولأهله المنازل ، وما كان أسعد أبا أيوب بهذه الضيافة !! انها لذخر الآخرة وشرف الدنيا وغاية ما يطمع فيه انسان من المثوبة والشرف ، وطوبى لأبى أيوب بما نال .

ولقد كان لمنزل أبى أيوب سفل وعلو فنزل الرسول فى سفله وبقى أبو أيوب فى علوه .

وفى دهشة الفرح وزحمة الاستقبال لم يتنبه أبو أيوب الى ما فى ذلك من مجافاة اللياقة وسوء الاختيار فكيف يكون رسول الله رب العالمين وخير خلق الله أجمعين فى سفل الدار وأبو أيوب فى علوها ؟! ومضى على ذلك بعض الوقت حتى كانت ليلة تنبه فيها أبو أيوب من غفلته هذه وأخذ يحاسب نفسه فى استحياء وتحرج ، كيف أمشى على سقف يظل رسول الله ؟ انها احدى الهنات بل أفظع الغلطات ، ثم انحاز بأهله الى جانب مسكنه فى العلو حتى لا يصادف فى تحركه مكانا يكون رسول الله تحته وما أن سنحت الفرصة حتى أفضى الى رسول الله بالعذر ورجاه أن يتحول من أسفل الدار الى أعلاها حتى يتقى أن يكون فوق رسول الله ، ولقد قابل رسول الله عذره ورجاءه بأرق ما يقابل به معتذر وهدأ روعه وطيب خاطره وبين أن الخير فيما كان ، لأن النزول فى السفل أرفق به وأيسر عليه وعلى أصحابه حتى لا يتجشموا مشقة الصعود الى العلو ولكن أبا أيوب ألح عليه فى التحول الى العلو فاستجاب الرسول الى رغبته ، وتحول الى أعلى الدار وأخذ أبو أيوب يتابع الحفاوة برسول الله أكرم الضيوف وأعزهم وأغلاهم وأوفرهم بركة بل أخذ يستكثر من الثواب والفضل بخدمة رسول الله والمصطفى من خلقه لابلاغ وحيه وهداية عباده ، فكان يصنع له الطعام ويبعث به اليه ، فاذا أعيدت أوانى الطعام بما بقى منه سأل أبو أيوب عن مواضع أصابع رسول الله من الطعام ، وحرص أن يأكل هو

وزوجه أم أيوب من تلك البقية التماسا لبركته واستلذاذا بطعمته وظل أبو أيوب يتابع ارسال الطعام حتى أرسل له ليلة عشاء كالمعتاد فأعاده رسول الله دون أن يطعم منه فارتاع أبو أيوب وانزعج وذهب مسرعا الى رسول الله يستطلع السبب ، وفى نفسه ما فيها من خواطر الخوف والانزعاج من أسباب رفض الرسول الأكل من ذلك الطعام فهدأ الرسول روعه وطمأنه وذكر أنه ليس هناك من الأسباب ما يوجب الانزعاج ، وما السبب الا أن الطعام قد عولج طبخه بالثوم أو البصل وأن رسول الله يكره رائحتهما ، لأنه يناجى ربه ويتلقى وحيه ، ويحب أن يكون طيب الفم زكى الرائحة ، ولما اطمأن أبو أيوب أراد أن يستفسر من الرسول عن حكم أكل البصل أو الثوم حين رفض الأكل ولماذا رفض أكلهما ؟ فسأل الرسول أحرام هما فلا يحل أكلهما ، فأجابه الرسول بأنهما ليسا بحرام ولكنه يكرههما لرائحتهما فكرههما أبو أيوب لكراهة الرسول . ولقد أخذ الفقهاء من هذا الحديث ومن غيره مما تعرض لذكر الثوم والبصل كراهة أكلهما حين العزم على الاختلاط بالناس فى الجمع والجماعات حتى لا يتأذى الناس من رائحتهما وقرر بعض الفقهاء أنه اذا دخل آكلهما المسجد أخرج منه وذهب الظاهرية الى تحريم أكلهما بناء على أن صلاة الجماعة فرض عين ، ومما جاء فى ذلك ما روى فى صحيح مسلم عن رسول الله قال : « من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا أو ليعتزل مساجدنا وليقعد فى بيته » تلك قصة استضافة أبى أيوب رسول الله وهذا أدبه الرفيع معه ، وتلك منقبة اختصه الله بها وظل أبو أيوب فى فضلها وبركتها وفخرها مدى حياته ، فقد قدرها له مشيخة الصحابة واعتدوها له سابقة ومكرمة وكافأوه عليها ، فقد روى محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنه أنه لما قدم أبو أيوب البصرة ، وكان ابن عباس نائبا عليها من جهة على بن أبى طالب خرج له ابن عباس عن داره حتى نزل فيها كما أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى داره وملكه كل ما أغلق عليه بابها ولما أراد الانصراف أعطاه ابن عباس عشرين ألفا وأربعين عبدا .

لم يكن باعث ما صدر من أبى أيوب نحو رسول الله الا الحب القدسى الألهى المجرد عن الغرض الدنيوى ،

حب الأرواح والقلوب لا حب الشهوات والمصالح ذلك الحب الذى جعل الصحابة يسترخصون دماءهم وأرواحهم فداء لرسول الله ولدعوته وكانوا أهلا لثناء الله عليهم بقوله : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » ؟

**أبو الوفا المراغى**

---

# الوطن العربى كله ميدان للمعركة

للدكتور عباس حلمى اسماعيل

ظلت مصر ـ القلب النابض للوطن العربى ـ مقبرة للغزاة الذين طمعوا فى موقعها ، لأنها حسبما قال الاسكندر المقدونى : « مركز العالم بأسره ، اذا انبعثت منها أنصاف الأقطار فانها تمر بجميع الأمصار ، ولذا يسهل على القابض عليها أن يصل منها الى حيث يريد ويختار » • فامتدت الأطماع الى المشرق والمغرب وتنافس الفرس والروم مرارا فى غزو بلاد الحجاز من الشمال ، ثم عدلوا عنه واتجهوا الى بلاد اليمن حيث تحكمه الدولة الحميرية العربية • وأخذ الروم ينشرون المسيحية تمهيدا لبسط سيادتهم ، وأمروا نجاشى الحبشة بغزو اليمن وتم غزوه فعلا سنة ٥٢٥ م واتخذ أبرهة الحبشى من صنعاء عاصمة وبنى بها كنيسة كبرى لتكون نواة لدولة مسيحية كبرى تمد نفوذها على شبه الجزيرة العربية ، فتتصل دولة الحبشة المسيحية بدولة الروم التى تمتد الى غسان • ثم خرج أبرهة بالأحباش الى مكة ليهدم الكعبة ، ويصرف العرب الى كنيسة صنعاء ويحوز ما تجمعه قريش من الحجاج •

غير أن أمل الأحباش قد خاب عند ما أرسل الله جلت قدرته سنة ٥٧١ م تكريما لميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الطير الأبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، مس أحدها أبرهة فأخذت أجزاء جسمه تتساقط حتى مات • وكان اخفاق الحملة معجزة كبرى بلغ من اعجازها أن قامت حركة وطنية مباركة فى دولة حمير لتخليص اليمن من الحكم الحبشى والنفوذ الرومانى ، ونجحت الحركة وتحررت شبه الجزيرة العربية كلها وتولى أمر بلاد اليمن عربى هو سيف بن ذى يزن • وظل العرب يتربصون الدوائر بالرومان حتى ظهر الاسلام بنوره الذى أشرقت له الظلمات ، فطهر المسلمون

الوطن العربى من دنسهم فى القرن السابع الميلادى ، وهددوا عاصمتهم نفسها ، ثم امتدت فتوحاتهم الى أوربا ذاتها ففتحوا أسبانيا وصقلية وجنوب ايطاليا ووصلوا الى مشارف فرنسا .

وعند ما تفرق المسلمون تمكن الأوربيون باتحادهم من استرجاع المدن الواحدة بعد الأخرى ، ثم جاءت الحروب الصليبية لتكمل هذا العمل ، فتهادن الغرب اللاتينى مع الشرق اليونانى رغم خلافهم العقدى العميق، واتحد الاقطاعيون الفرنسيون مع تجار المدن الايطالية واستولوا على بلاد الشام ، واشتغل الملاحون الايطاليون بنقل الحجاج الى بيت المقدس بأجور مخفضة ، وتحولت منظمات الرهبان الى بيوت تجارية تبيع الرقيق باسم الصليب . ثم حولوا نشاطهم نحو مصر اذ اعتقدوا أنه لا فائدة من محاربة العرب فى الشام ما دامت مصر قائمة بقوتها تتزعم الوحدة العربية ، وشجعت المدن الايطالية هذا الاتجاه طمعا فى دخول البحر الأحمر والسيطرة على التجارة الشرقية وتجميعها فى ميناء الاسكندرية التى أطلق عليها المؤرخ الصليبى وليم الصورى سوق الدنيا بشقيها الشرقى والغربى

Forum publicum utrique orli

وبعد أن استقلت كل دولة أوربية بشأنها بدأت تعمل فى مجال الاستعمار وكان أسبقها البرتغال ، فقامت بتصفية المراكز العربية الهامة على الساحل الشرقى لافريقية والخليج العربى والبحر الأحمر ، واستولت على الخطوط العربية الممتدة بين كانتون بالصين والسويس . ثم أرادت فرنسا على عهد الثورة الفرنسية الكبرى أن تلحق الضرر بانجلترا فى مستعمراتها ، بعد أن عجزت عن ضربها فى دارها ، فغزت مصر وبهذا تنبهت انجلترا لأهمية الموقع الجغرافى لمصر وأخذت تعمل على احتلالها ضمن سياسة السيطرة على كل الشعوب بآسيا وافريقية . وبعد أن فشلت فرنسا فى الاحتفاظ بمصر اتجهت نحو الاستيلاء على الساحل الافريقى المقابل لها ،وبدأت بالجزائر ثم احتلت تونس ومراكش . واحتلت انجلترا عدن سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩م) وفى السنة ذاتها أنشأت لنفسها قنصلية فى القدس ليتسنى لها وضع اليهود بفلسطين تحت حمايتها ولتبرر تدخلها فى الشئون الداخلية للبلاد ، ولترضى اليهود الذين يسيطرون على الحياة السياسية والاقتصادية فى عشرات

الدول . ثم احتلت مصر بغية الهيمنة على قناة السويس ، وأرغمت مصر على جعل حدودها الجنوبية عند وادى حلفا لتفصل السودان عنها ضمن المشروع الذى يهدف الى تقسيم أفريقية العربية .

ثم ترابطت الحركة الصهيونية بالاستعمار عندما أعلن رائدها تيودور هرتزل بأسلوب المنافق لساسة بريطانيا وروسيا وألمانيا والنمسا ، أنه لا أمل للصهيونين بالاستيلاء على فلسطين الا اذا نالوا المساعدة من دولة استعمارية بوعد رسمى وباقناع السلطان التركى عبد الحميد واغرائه أو تهديده ، ومقابل هذه المساعدة يتعهد الصهيونيون أن يخدموا الدولة الاستعمارية بجعل فلسطين الخاضعة للحكم الصهيونى قاعدة لأطماع تلك الدولة فى الشرق وتأمين الحماية لقناة السويس . ووعد ألمانيا بجعل فلسطين رقعة ألمانية فى ربوع السلطنة العثمانية، ووعد روسيا بجعل فلسطين شوكة فى جنب المصالح البريطانية فى المنطقة ، وتعهد لقيصر روسيا ورئيس النمسا بمحاربة الأفكار الاشتراكية ووضع أموال الصهيونين وصحفهم ومواهبهم فى خدمة الرجعية الأوروبية. ولم يكن يهم هرتزل وهو يسعى لكسب الوعد من هو الذى سيعطيه الوعد وانما ركز تفكيره فى تحقيق الحلم المنشود ، فجرب مع وليم امبراطور ألمانيا ليساعده بنفوذه لدى السلطان عبد الحميد وزار هرتزل العاصمة العثمانية سنة ١٣١٤ هـ ( صيف ١٨٩٦ م ) ليقنع السلطان بالموافقة على اسكان يهود العالم بفلسطين واعطائهم الحق فى انشاء دولة أو شبه دولة ، ورغم اغراء السلطان بملايين الجنيهات كان جوابه : « لا أقدر أن أبيع قدما واحدا من البلاد لأنها ليست لى بل لشعبى ، لقد حصل شعبى على هذه البلاد باراقة دمائهم وقد غذوها فيما بعد بدمائهم وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا ... ليحتفظ اليهود بملايينهم » .

وبلغ من تضليل المخطط الصهيونى أن بعث هرتزل رسالة مليئة بالتمويه والمراوغة الى السيد يوسف ضياء الخالدى رئيس بلدية القدس جاء فيها : « لقد كان اليهود وسيظلون دائما أخلص الأصدقاء لتركيا وذلك منذ فتح السلطان سليم بلاده لليهود الذين اضطهدتهم أسبانيا ، وهذه الصداقة ليست مجرد أقوال وانما هى

مستعدة للتحول الى أفعال ولتقديم العون الى المسلمين • ان فكرة الصهيونية التى أنا خادمها المتواضع لا تميل الى اتخاذ موقف عدائى من الحكومة العثمانية ، بل ان الأمر على العكس من ذلك فان هذه الحركة تستهدف توفير موارد جديدة للدولة العثمانية • ان تيسير الهجرة الى بلادكم لعدد من اليهود الذين عرفوا بالذكاء والمهارة فى مضمار المال والمشروعات سيؤدى الى زيادة رفاهية البلاد ، وهذا أمر لا يمكن أن يشك فيه أحد وهذا ما ينبغى أن تفهمه وتوضحه للجميع • ان اليهود لا يعتمدونو على أية قوة محاربة تقف خلفهم وهم أنفسهم ليسوا محاربين ، ان اليهودى مسالم الى أقصى حد وهو قنوع اذا ترك يعيش فى سلام واذن فليس ثمة ما يدعو الى الخوف من هجرتهم •

أما فيما يتعلق بالأماكن المقدسة فان أحدا لا يفكر فى المساس بها ، ولقد كتبت وقلت عدة مرات ان هذه الأماكن لايمكن أن تكون ملكا خاصا لأى دين أو جنس أو شعب • ان الأماكن المقدسة ستظل مقدسة بالنسبة للعالم أجمع للمسلمين والمسيحيين واليهود ، والتفاهم الأخوى على وضع الأماكن المقدسة سيكون رمزا للسلام الذى يتطلع اليه باهتمام كل ذوى النيات الحسنة الصادقة •

انك ترى ياسيدى أن الشعب غير اليهودى فى فلسطين سيواجه مشكلة أخرى •• ولكن من ذا الذى يمكن أن يفكر فى اخراج أولئك الناس من ديارهم ؟ اننا سنضاعف رفاهيتهم وثرواتهم بما نحمله معنا من رفاهية وثراء • هل تعتقد أن أى عربى يملك فى فلسطين أرضا أو بيتا يقدر ثمنه بثلاثة آلاف فرنك أو أربعة يمكن أن يغضب جدا اذا ارتفع سعر أرضه خلال فترة قصيرة وتضاعف ربما فى بضعة أشهر ؟ ان ذلك سيحدث حتما بعد وصول اليهود ، هذا ما ينبغى توضيحه لأبناء البلاد ، كذلك يجب أن يدركوا أنهم سيكسبون أصدقاء أوفياء ، كما أن السلطان سيكسب رعايا مخلصين طيبين سيعملون على ازدهار الحياة فى ذاك الاقليم الذى يعد وطنهم التاريخى • وعندما ينظر المرء الى الأمور من هذا الجانب وهو جانب الحق ، يرى أنه يجب عليه أن يصبح صديقا للصهيونية مادام صديقا لتركيا • وأملى ياسيدى أن تكفى هذه

التفسيرات لتزيد عطفكم على حركتنا ... لقد أوضحنا هدفنا علنا وبكل اخلاص وولاء .

وأرسلت الى صاحب الجلالة السلطان مقترحات عامة ، ويسرني أن أعتقد أن صفاء ذهنه الشديد سيجعله يقبل الفكرة من حيث المبدأ على أن تبحث تفاصيلها فيما بعد . واذا رفض الفكرة فاننا سنبحث ، وصدقني اذا قلت لك اننا سنجد ما نحن في حاجة اليه . ولكن سيكون معنى ذلك أن الفرصة الأخيرة التي تتاح أمام تركيا، لكي تنظم أوضاعها المالية وتسترد قوتها الاقتصادية ستزول الى الأبد . ان الذي يقول لك هذا الكلام اليوم هو صديق مخلص لتركيا وعليك أن تتذكره » (١) .

وظل خلفاء هرتزل من الصهيونيين يكتبون مثل هذه الرسائل الى رؤساء الدول الصغيرة والكبيرة ، أملا في أن تجوز الحيلة عليهم ، ولكن كثيرا منهم تنبه الى خطورة ما يرمي اليه المخطط الصهيوني .

وما لبثت الدول الاستعمارية أن تفاهمت على تقسيم الوطن العربي ، فما كادت الحرب العالمية الأولى تبدأ حتى أنفذت انجلترا جيشا استولى على البصرة.ووقتما كانت تفاوض العرب على أساس تحريرهم من الاستعمار التركي واقامة دولة عربية لهم في نظير مساعدتهم لها ضد تركيا ، كانت تفاوض الصهيونيين لوضع أموالهم ونفوذهم وخبرتهم تحت تصرفها في مقابل الاعتراف بفلسطين وطنا قوميا لهم ، وتحقيق غرضهم في جمع شتاتهم في دولة واحدة تمتد من النيل الى الفرات . وفعلا أعطى وعد بلفور اشارة المرور لمشروع عدواني كان قد ولد ونما منذ اعتقد هرتزل أنفلسطين أرض بلا سكان ، ومن ثم مضى يطلب تلك الأرض لشعب بلا أرض

وبفضل تلك الاشارة تمكن المشروع من الاستمرار في النمو الى أن تجسد منذ ربع قرن . ثم زاد عدد المهاجرين من الصهيونيين في فلسطين ممن تتراوح أعمارهم بين أربع عشرة وأربعين سنة ومن المدربين عسكريا وأصحاب المهن الفنية والتدريبات الصناعية ، مما يدل على وجود خطة للانطلاق الى البلاد المجاورة وغيرها في شتى الميادين . ويرجون أن يكون

---

(١) وثائق صحيفة الأهرام .

لهم جيش من مليون جندى ، ويشجعهم الاستعمار فى هذا الاتجاه منذ صمم العرب على تصفيته ، لتكون فلسطين قاعدة له فى وسط وطنهم تهدد أمنه دواما وتقطع امتداد أرضه وتمتص امكانياته وطاقاته .

ومنذ قامت الثورة التحررية الرائدة بمصر واقتدت بها شقيقاتها ، خشى الاستعمار أن تعصف تطورات حركة التحرر العربية المنتصرة فى هذه المنطقة ببقية النفوذ الاستعمارى سياسيا كان أم اقتصاديا وبوجه خاص فى مجال الثروة البترولية ، وحاول الاستعمار تدعيم هذا الوجود عن طريق الأحلاف والقواعد العسكرية ومنطق الفراغ المزعوم ، ولما فشلت كل هذه المحاولات أخذ الاستعمار الجديد يركز على القاعدة الصهيونية يكدس بها الأسلحة . ويوجد نوعا من تقسيم العمل العدوانى ، يتولى الاستعمار الجديد مسئولية الضغط السياسى والاقتصادى ضد الأمة العربية تاركا للقاعدة مهمة كلب الحراسة الذى يتحرك وفقا لمخططات سادته .

غير أن الأمة العربية المجيدة تمارس حسم الموقف بجمع شملها وحشد كافة طاقاتها الذاتية وبالاتفاق على أسلوب للعمل المشترك فى البترول والأرصدة ، لمواجهة أحفاد هرتزل الذى تمسكن ليتمكن ، وأنجب ذئابا وصقورا متوحشة وليس حملانا وحمائم مسالمين الى أقصى حد كما زعم ، فأحفاده هم الذين أنشأوا العصابات المسلحة وقتلوا الأطفال الأبرياء وطردوا العرب من ديارهم واستولوا على مقدراتهم وعبثوا بمقدساتهم ؟

**عباس حلمى اسماعيل**

# من سجل المجد : أبو القاسم الزهراوى

للأستاذ عبد العظيم محمود الديب

« هذه صفحات مطوية من تاريخ آبائنا وأمجادهم ، نحاول اليوم نشرها آملين أن يكون فى ضوئها ونورها ما يهدى الصاعدين الى العلا ويكشف الطريق أمام السائرين الى المجد ويأخذ بيد المتطلعين الى عز أمتهم ورفعتها •

ثم هى صفحات من أمجادنا فى ناحية قد تبدو بعيدة عن الأذهان وفى ميدان قد يظن أننا لم نكن من فرسانه ولم نجر فى حلبته ـ بله أصحابه المسيطرين عليه ـ وأعنى به ميدان العلم • ذلك أن نور العلم الحديث الذى يشع علينا ـ الآن ـ من الغرب قد يعشى بعض العيون ويبهرها فتنسى ما سواه ولا ترى غيره • وأملى أن نقول مع شاعرنا :

نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى ونفعل فوق ما فعلوا »

**روح العصر ـ بيئة الزهراوى :**

اسمه : خلف بن عباس • وكنيته أبو القاسم ، ولقبه الزهراوى •

والزهراوى نسبة الى الزهراء ، والزهراء ضاحية قرطبة ، حاضرة الأندلس فردوس العرب المفقود •

كانت الخلافة فى الأندلس تنافس الخلافة فى المشرق ، وقرطبة تنافس بغداد ، وهيأ جو الأندلس وطابعها لعربها التفوق فى كثير من المجالات العلمية والفنية على عرب المشرق ، وصارت الأندلس منارة من أعلى منارات العلم ، بل أعلاها • يقول صاحب كتاب ( صناجة الطرب فى أخبار العرب) ص٤٤٣: « ان مدارس الأندلسيين كانت على غاية من الاتقان ، فقصدها أهل أوربا فى القرون الوسطى وقرأوا العلم فيها ثم تزودوه منها الى بلادهم ؟ ففى سنة ٢٦٠ هـ ـ

٨٧٣ م أمر ( هرتموث رئيس دير مارى غالن ) جماعة من رهبانه بدرس اللغة العربية لتحصيل معارفها ، وكان الرهبان البندكتيون يطلبون العلوم بشوق لا مزيد عليه ... » .

ويقول جوستاف لوبون فى كتابه ( الاسلام والحضارة العربية ) : كانت قرطبة مدة ثلاثة قرون أكثر مدن العالم نورا ، وكانت حضرة ملوكها وقصور خلفائها ـ لكثرة عنايتهم بالعلم وحرصهم على استجلاب العلماء اليها من كل فج وصوب ـ أشبه بمجامع علمية ، وقاعات خزائن كتبهم كأنها دور حكمة فيها معامل كبيرة غصت بالناسخين والمجلدين والمذهبين والنقاشين ، ومن خزائن كتبهم ما كانت جرائد أسمائها تستغرق عشرات المجلدات ، وبلغ عدد الكتب فى مكتبة قرطبة العامة نحو أربعمائة ألف مجلد ٤٠٠٫٠٠٠ وكانت جامعات قرطبة من أعظم جامعات الأرض ، تقرأ فيها العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والكيماوية .

**الزهراء :**

أما الزهراء التى نشأ فيها عالمنا الزهراوى ، فكانت قرطبة العظمى ، يقول فيها صاحب كتاب (نفح الطيب) : « من عجائب أبنية الدنيا أنشأها الناصر بالقرب من قرطبة فى أول سنة ٣٢٥ هـ وهى من أهول ما بناه الانس وأجله خطرا وأعظمه شأنا ، وكان الناصر ينفق على عمارة الزهراء ثلث جباية الأندلس ، وقد أمر بقطع شجر الجبل الأسود المحيط بها وغرسه تينا ولوزا ولم يكن منظر أحسن منها ولا سيما فى زمان الأزهار وتفتح الأشجار ، وهى بين الجبل والسهل » .

فى هذه البيئة العالمة المتحضرة الجميلة ولد الزهراوى ونشأ .

**مولده ووفاته :**

لا غرابة اذا لم يعن أحد بتسجيل تاريخ ميلاد الزهراوى شأنه فى ذلك شأن أعلام هذه العصور الذين أهمل أمرهم فى بدء حياتهم حيث لم يكن أحد يدرى ما سيكون لهم من مجد .

ولكن الغريب هذا الاضطراب الذى رأيناه فى تاريخ وفاته فقد بلغ الاختلاف بين كتب التراجم أكثر من مائة سنة ، وبعد لأى وعناء ظهرت لنا قرائن قاطعة (١) تؤكد أنه ولد فى سنة ٩٣٦ م ـ ٣٢٥ هـ وتوفى ١٠١٣ م ـ ٤٠٣ هـ وهذا بالتقريب طبعا .

---

(١) أنظر بحثا خاصا للكاتب « صاحب الفضل الاكبر على الطب الجراحى . الزهراوى » .

وهـذه الفتـرة مـن أبهى وأزهى فترات الأندلس • فالزهراوى ثمـرة ناضـجة لهـذا الغراس الطيب الذى وضعـه العـرب بالأندلس ورعوه أتم رعاية •

ونحن لن نسـتطيع أن نرى الزهراوى فى مرآة التـاريخ فقـد أهملت ذكره كتب المعاصرين له ومن جاء بعـدهم من المؤرخين ولم يذكره « ابن خلكان » فى وفيـات الأعيـان ولا صاحب شذرات الذهب ولا تاريخ حكماء الاسلام • وكل ما ورد عنه فى كتب رجال الأندلس وتاريخها لم يعد سطورا عدة كتبها عالم الأندلس وامامها ابن حزم فى مجال المفـاخرة بأهل الأندلس • وأخذ هذه السطور عنه الحميدى ورددها معظم المؤرخين فى اقتضاب ملحوظ •

ومن هنا لن نستطيع أن نرى الزهـراوى وهو يدرج فى مغـانى الزهراء فتى يافعا يغـدو ويروح على أساتذته وفى صحبة زملائه وفى رعاية آبائه •• فلن نعـرف أسـاتذته ولا زملاءه ولا كيف نشـأ وترعرع ولن نتمـكن من معـرفة شىء من عاداته وأخلاقه وصفاته وميـوله وثقـافته واهتماماته واتجاهاته •

لن نعـرف شـيئا من هـذا عن الزهراوى • فقد أهمـله المؤرخون وأجزم بأن هذا كان مقصودا متعمـدا وان كان هذا يبدو مؤسـفا حقـا !!! فلن تفوتنا فرصة رؤية الزهراوى من خلال آثاره العلمية وأفضاله على العلم والانسانية ، فلئن فاتنا أن نراه ناشـئا صبيا متعلما فسنراه عالما خطيرا عملاقا فتيا يزحم العلماء ويملأ تاريخ الطب •

سنرى الزهراوى العالم من خلال كتـابه الذى أشـاد به ابن حزم فى رسـالته عن أمجـاد أهل الأندلس وآثارهـم حيث قـال : « وألف ( التصريف لمن عجـز عن التـأليف ) خلف بن عبـاس الزهـراوى ، وقد أدركناه وشاهدناه ، ولئن قلنا : انه لم يؤلف فى الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل فى الطبائع لنصدقن »

**التصريف لمن عجز عن التأليف :**

هذا هو كتـاب الزهـراوى الذى أجمعوا على أنه ألفـه ، وأجـزم بأنه كان له كتب أخرى • فالحميـدى ـ وهو معاصر له ـ يقـول : « وعلمـه الذى يسـبق فيه علم الطب » أى أنه كان عالما بأكثر من فن من فنون العلم• ولن نقف هنا كثيرا لنبحث عن مؤلفات الزهراوى ، فلعلها ذهبت مع ما ذهب

من آثار الأندلس حين اجتاحت جحافل أوربا المتبربرة المتعصبة بلاد الأندلس الطاهرة .

ويكفى ( التصريف ) وحده فخرا للزهراوى فهو كما يقول الأستاذ الدكتور صلاح عفيفى مدرس الجراحة العامة بجامعة القاهرة : « دائرة معارف طبية مؤلفة من ثلاثين كتابا » ولم يحظ كتاب من العناية بالشرح والترجمة والطبع والنشر مثل ما حظى به ( التصريف ) .

وكل الباحثين متفقون على أن أهم جزء فى ( التصريف ) هو الجزء الخاص بالجراحة .

ومن هنا فلن نعرض كثيرا لما فى الأجزاء الأخرى ، ففى هذا الجزء وحده تظهر عظمة الزهراوى ـ رغم ما فى باقى الأجزاء من مجهودات علمية بارزة لاتنكر ، بل وكشوف وابتكارات لم يسبق اليها ـ الا أن هذا الجزء وحده ينفرد بخاصية : هى أنه أول كتابة منظمة فى فن الجراحة وعلى أنها فرع خاص مستقل من فروع الطب ، وهى أول كتابة عن الجراحة بروح الاحترام والتقدير .

**منزلة الزهراوى :**

فمن خلال هذا الجزء تبدأ لنا عظمة الزهراوى واضحة شامخة اذا لاحظنا ما يأتى :

١ ـ أن الزهراوى أحدث ثورة فى ميدان الطب الجراحى . يقول صاحب كتاب ( الطب العربى ) :

« ظلت الجراحة والتشريح على حال من الاهمال عند الغربيين ، ويحتقرها العرب كما كانوا يحتقرون كل حرفة يدوية حتى جاء أبو القاسم فحطم بحديد جرأته تلك القيود وبدد بساطع حجته تلك الأوهام ، ونهض بالجراحة من سافل محطها الى أسمى ما يليق بها من الكرامة والرقى ، فخالف بعزيمته المألوف ، وخرج على المعتاد المعروف ، وحث على درس الجراحة » (١) ، وطالب بتشريح الموتى وقال : « ان جهل التشريح جر الى نتائج وخيمة » ومن يطالع كتابه لايتمالك أن يعتقد بأنه قد شرح الجثث هو نفسه ، لأن وصفه الدقيق لاجراء العمليات المختلفة لايمكن أن يكون نتيجة نظريات فقط .

٢ ـ وهو أول من رسم الأعضاء

(١) ونرى أن هذا هو السر فى اهمال المؤرخين له سواء من المعاصرين او من جاءوا بعده . وكأنى بهم كانوا يزرون به ويعيبون عليه أن يغمس يديه فى دماء الجراح وقيحها مخالفا بذلك كبار الأطباء .

والهيكل العظمى فى الكتب الطبية •

٣ ـ وهو أول من استحدث رسم الآلات فى كتابه وقد أورد منها نحو مائتى شكل وكان هو مخترع الكثير منها •

٤ ـ وهو أول من وصف العمليات الجراحية فى كتابه وطريقة اجرائها والاحتياطات اللازمة لها ، وفى كل فقرة كان يضيف الطرق التى يجرى بها عملياته وملاحظاته الى معلوماته السابقة ، ويكتب التقارير عن الحالات التى يسجل فيها انتصارا جديدا ، وكان حريصا دائما على أن يروى تجاربه الشخصية وما كان يصيبه من صعوبات وكيف ذللها •

وقد بلغت العمليات الجراحية التى أجراها ووصفها فى ـ هذا الجزء من كتابه ـ العشرات وسنورد أمثلة لها •

٥ ـ كان أول من استعمل ربط الشريان لايقاف النزيف قبل ( امبروزباريه ) الفرنسى ومع ذلك تنسب اليه ظلما •

٦ ـ وهو أول من وصف عملية الحصاة عند النساء عن طريق المهبل ، ووصف عملية اخراج الحصاة من المثانة وهى ذاتها المسماة الآن باسم ( خرق كوكس ) ، ويذكر له أنه أشار بتفتيت الحصوة داخل المثانة اذا عجز عن اخراجها لكبر حجمها •

٧ ـ وهو أول من أدخل خيوط الحرير وأوتار العود فى العمليات الجراحية ، وما زال استخدامها جاريا للآن •

٨ ـ كما شرح عملية استئصال اللوزتين وقد ظلت حتى عصرنا على ما وصفها مع تغيير فى شكل الآلات ( ولم تتغير طريقتها الا منذ سنوات قلائل ) •

٩ ـ كذلك أجرى عملية فتح القصبة الهوائية ووصفها وما زالت تجرى للآن •

١٠ ـ كذلك استعمل البذل فى الاستسقاء ، وما زال جاريا للآن •

١١ ـ كما وصف كيفية استئصال العقد اللمفاوية الرقبية المزمنة •

١٢ ـ كما كان أول من حول مجرى البول •

١٣ ـ كما تحدث عن علاج السرطان واستئصاله •

١٤ ـ كما ذكر علاج الأطفال الذين يولدون بدون مجرى بولى خارجى ظاهر أو مجرى ضيق •

١٥ ـ كما ذكر الختان والأخطاء الشائعة فيه •

١٦ ـ كان أول من تحدث عن علاج الحروق مقسما اياها الى الدرجات الثلاث التى ما زالت معروفة حتى اليوم •

١٧ ـ كما أشار الى جراحة العظام والتجبير وذكر أن هذا الفرع فى أيدى العوام وأدعياء الطب وطالب بأن تقتصر مزاولتها على المتخصصين ( وها نحن أولاء بعد ألف عام نشكو مما شكا منه الزهراوى ) •

١٨ ـ كما كان أول من وصف الاستعداد الخاص فى بعض الأجسام للنزيف ( الهيموفيليا ) وأثر الوراثة فى ذلك •

١٩ ـ ولم ينس جراحة التجميل ، فقد تحدث عن اصلاح صدور الرجال التى تشبه صدور النساء واصلاح التضخم الزائد بها •

٢٠ ـ ومما يذكر له بالفخر أنه أوصى بألا يندفع الطبيب فى العمليات الجراحية دفعة واحدة ، ودائما ينبه قراءه الى أخطاء العمليات الجراحية ووجوب اتخاذ الاحتياطات اللازمة لها •

٢١ ـ وكان أول من أصلح طرق البتر وكان من قبله يبترون القسم المعتل فقط أما هو فقد أوصى بالقطع فى الأنسجة السالمة عن بعد من الأنسجة المريضة ، وكذلك أوصى باستئصال جميع الأجزاء المريضة فى الالتهابات العظمية • وذلك خير ما توصى به الجراحة الحديثة •

٢٢ ـ كما توسع فى استعمال الكى ، وأشار الى أهميته • وكان يستعمله كثيرا ويفضله على المشرط مخالفا بذلك تعاليم اليونان •

ويعنينا هنا أن نشير الى براعته العجيبة حين تحدث عن أداة الكى ، فقال فى ذكاء ودقة ملاحظة نادرين : « ان الكى بالحديد أحسن وأفضل من الذهب للأسباب الآتية :

× اذا حميت مكواة الذهب فى النار لن تعلم درجة حماوتها بسبب لونها •

× ثم انها تبرد سريعا •

× واذا اشتدت الحرارة صهرت وذابت •

ولذا صار الكى بالحديد عندنا أسرع وأقرب الى الصواب » •

واذا وضعنا هذا الكلام أمام المقاييس العلمية الحديثة نجد أن هذا

الرجل الذى كان يعتمد على حواسه الخمس فى استقصاء أفضلية الحديد على الذهب على حق فى قوله : « ان لون الذهب يمنع معرفة درجة الحرارة التى نريدها هل هى الحمراء أو البيضاء مما لا يتيسر معرفته فى الذهب فى غير الظلام » .

أما النقطة الثانية وهى ( أنها تبرد سريعا ) فمن المعلوم أن درجة حرارة الذهب النوعية ٠٣٢٤ر والحديد ١١٣٨ر٠ وهنا نرى أن هذا الرجل الذى كان يعتمد على حاسة النظر فقط لم يخطىء نظره فى ٠٨١٤ر٠ من درجة الحرارة .

أما النقطة الثالثة وهى ( الصهر ) فقد ثبت صدقها علميا أيضا ؛ اذ أن درجة صهر الحديد ١١٠٠ والذهب ١٠٦٤ وانا لنعجب من قوة الملاحظة الحادة التى مكنت صاحبها من الشعور بفرق ٣٦ درجة حرارة بعد الألف .

**الزهراوى فى ميدان الآلات الطبية :**

كان للزهراوى فى هذا المجال باع واسع فمع ما قلناه قبلا من أنه استحدث رسم الآلات فى كتابه،فقد اخترع آلات كثيرة اختراعا من العدم مثل : منظار المهبل ، وسنارة السليلة الأنفية الأذنية ( الزوائد الأنفية ) ، كما أحدث كلاليب تفتيت الحصوة فى المثانة .

وله حديث طويل عن الخامات التى تصنع منها الآلات ويقسمها بحسب الغرض من استعمالها ، فآنا يفضل الحديد وآنا الذهب أو غيره بحسب الغرض والموضع الذى تستخدم فيه .

كما تحدث عن أشكال الآلات بسبب اختلاف المواضع المستخدمة فيها .

**فضل الزهراوى على الطب :**

يقول «كامبل» من مؤرخى العلوم الغربيين ) : « يمثل أبو القاسم مرحلة هامة من مراحل تطور الطب وتقدمه بما ابتدعه من فنونه وألوانه وبما حفظه وشرحه من طب الأقدمين ، شغل أبو القاسم قرونا عدة من تاريخ الطب ، وملأ طبه العالم مئات السنين فقد عاشت الدنيا عيالا على طبه منذ القرن الحادى عشر حتى القرن الخامس عشر » .

وفى تاريخ الطب العربى « كان التصريف دليل جراحى أوربا فى عصر النهضة وكتاب التدريس فى الجامعات

المختلفة بأوربا كجامعة سالرنو ومونبلييه وغيرهما حتى القرن السابع عشر » .

« وقد استشهد ( جى دى شولياك ) بأقوال أبى القاسم أكثر من مائتى مرة » .

وقال الأستاذ ( بوشون ) فى كتاب تاريخ الطب والمذاهب الطبية ص ٥٣٢ ما تعريبه : « ان جراحة أبى القاسم التى ترجمها حديث ( لوسين دكران ) هى وايم الحق مبتكرة وأهل للمديح الكثير الذى وصفها به ( فبريس دكا بندانتى ) القائل : ان أبا القاسم يعد المثل الأعلى للعلم الى أن قال : وقد حبيت بهذا الطبيب الجراحة العملية الخطيرة المندرسة منذ عهد بعيد » .

وفى عام ١٩٢١م وقف الأستاذ ( فورغ ) الجراح الخطير يلقى خطابه فى حفل مرور ٧٠٠ سنة على جامعة مونيلييه فكان مما قال : « .. وظهر فى قرطبة أبو القاسم الذى أحدثت كتبه الجراحية فى جامعاتنا هذه أعظم الأثر » .

وقد ترجم ( جيراردى كريمون ) الجزء الخاص بالجراحة الى اللاتينية فانتشر انتشارا هائلا ، كما ترجم الكتاب كله أكثر من مرة لأكثر من لغة .

وورد فى كتاب ( الفرد فرنكلين ) التنقيب عن أصول الجراحة ورقيها فى فرنسا ص ٣٧ « جدد أبو القاسم ذلك الرحب الجسور فن الجراحة فطار ذكره فى الأقطار ودخلت مؤلفاته ايطاليا فكان فيها أبو القاسم دليل الجراحين فى أعمالهم وفى تصانيفهم ، وما الجراحون الذين نبغوا فى ايطاليا بعد أبى القاسم الا نقلة ومقلدون لهذا الرجل العظيم . وقد نظر لهؤلاء الجراحين بعين الاعجاب وعدوا مجددين للجراحة على أنهم فى الحقيقة لم يزيدوا على الجراحة أقل شىء جديد ( الى أن قال ) : وقد أخذ من كتاب أبى القاسم ( روجى دى بارمة ) كل القواعد التى تتألف منها مصنفاته ولم يذكر مأخذها ، وانتحلها لنفسه ، ونال بذلك الشهرة والمكانة العظيمة » .

فهل نجاوز الحقيقة والصدق اذا قلنا : ان الزهراوى صاحب الفضل الأول والأكبر على الطب الجراحى فى العالم ؟ .

**عبد العظيم محمود الديب**

# النظام الإدارى فى الإسلام

## طرق الإدارة ومركز الضبط الإدارى منها

للدكتور مصطفى كمال وصفى

( ٤ )

من المعلـوم أن طـرق الادارة تنقسم ــ بصفة عامة ــ الى ثلاثة :

الأولى : بالادارة المباشرة (١) وهى أن تقـوم السلطة الاداريـة بنفسها بادارة المرفق العـام ، بأن تتولاه وزارة من الوزارات بنفسها أو بواسطة مصلحة أو فرع تابع لها . وذلك مثلا كالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، أو مجمع البحـوث الاسلامية ، فهما تابعـان لبعض الوزارات ويقـومان بأعمال ذات صـفة مرفقية تحتاجها هذه البلاد ، وهى الخدمة العلميـة للاسلام ، وكان معمل تكرير البترول بالسويس كذلك ، وقد يكون اختلف وضـعه الآن . أو تتـولاه منظمة مستقلة ؛ كهيئة عامـة أو مؤسـسة عامة أو شركة من الشركات العـامة، ومثال ذلك الهيئة العـامة للطباعة ، أو الهيئة العامة للكتاب ، أو المؤسسة المصرية العـامة للطباعة والنشر ، أو دار الشعب للطباعة والنشر أو دار التعاون للطباعة والنشر ، أو الشركة العامة للمصانع الحربية أو لمصـانع الطائرات ، فهـذه كلهـا أنـواع للمنظمات العامة ما بين هيئـة عامة ومؤسسة عامة وجمعية تعاونية عامة وشركة عامة تقوم بأعمال مرفقيـة ــ لا شك فيها ، بطريق الادارة المباشرة .

والثانيـة : بطـريق الاعانات (٢) أو بطريق الاقتصاد المختلط (٣) .

فقد تعمد الدولة بدلا من التدخل المباشر بطـريق الادارة المبـاشرة ، وبدلا من أن تتولى المشروع بنفسها بوزارة أو ادارة أو مصلحة أو منظمة عامة ، تقوم بدلا من ذلك بتقـديم الاعانات لبعض الجهات الخاصة التى قد

---

(1) le regie direct.
(2) sulventions.
(3) economie direct.

ترفعها ــ فى الوقت نفسه ــ الى مصاف الهيئات ذات النفع العام (١) وذلك كبعض الهيئات العلمية المعروفة عندنا : كجمعية الدراسات الاسلامية، أو الجمعية المصرية للاقتصاد والتشريع، فهى تتلقى معونة سنوية فى ميزانيتها وتقوم فى الواقع بخدمات ذات نفع عام كاصدار المجلات العلمية وتنظيم المحاضرات والدراسات العليا ومنح المؤهلات العلمية فيها ونحو ذلك .

ومنه أيضا منح المعونات الاقتصادية، بالاعفاء الضريبى أو الجمركى ، وانشاء المناطق الجمركية الحرة ، والحماية من الواردات ونحو ذلك . ومنه كذلك تمكين بعض الهيئات الخاصة من بعض وسائل القانون العام كالاستيلاء الجبرى لمنفعتها وتحصيل الرسوم ونحو ذلك .

وفى هذه الأحوال لا تكون صفة النفع العام واضحة وضوحها فى حالة الادارة المباشرة ، ولذلك تترك للجهد الفردى الحر ، ولكن تخفض التكاليف أو تمنع مخاطر الخسارة أو نحو ذلك بطريق من طرق الاعانة السابق ذكرها أو غيرها .

وكذلك من طرق الاشتراك فى أداء الخدمات العامة : الطريقة المسماة بطريقة الاقتصاد المختلط ، وهى أن تشترك الدولة بجزء من رأس المال ، غالبا أكثر من النصف بقليل ( ٥١٪ مثلا ) مع بعض الأفراد ، وقد كانت شركة السكر عندنا كذلك . كما أن قوانين التأميمات الصادرة فى ٢٣ يوليو ١٩٦١ قد عمدت الى هذه الطريقة فأشركت الدولة جبرا فى كثير من المشروعات بأكثر من نصف رأس المال ضمانا للسيطرة على الادارة .

والثالثة : هى طريقة الضبط الادارى ، وهى تقوم على الترخيص والمراقبة فى الغالب . فتصدر الدولة قوانين أو لوائح تقيد نشاطا فرديا من الأنشطة بشروط خاصة ، ولا يمنح الترخيص بممارسة هذا النشاط الا بعد التحقق من استيفاء هذه الشروط . ثم يكون بعد ذلك للجهة الادارية المختصة أن تقوم بالتفتيش وضبط المخالفات وأحيانا توقيع الجزاءات المترتبة على ذلك . ومثالها : الترخيص لمركبات التاكسى ، فيكون

---

(١) d'utulité public

بناء على شروط معينة مع المراقبة المستمرة لهذا النشاط . وبذلك فان خدمة النقل تتعرض لهذه الطرق الثلاثة على درجاتها المختلفة.فأحيانا تتولاها الدولة بنفسها كالسكك الحديدية ، وأحيانا تعاونها الدولة كمشروعات النقل الجوى والنقل بالسيارات (كما كان قبل التأميمات) وأحيانا تتركها للأفراد تحت اشراف الضبط الادارى كما فى النقل بسيارات التاكسى داخل المدن وبينها.

والدولة قد تتخذ سياسة من هذه السياسات الثلاثة حسبما تتبينه من المصلحة ولظروف مختلفة .

فاذا نظرنا الى هذه الطرق فى ضوء السياسة الاسلامية ، فانه يتبين لنا ما يلى :

فبالنسبة للطريقة الأولى : وهى طريقة الادارة المباشرة : فانها ـ فى الواقع ـ غير مرغوبة شرعا ، لأمور :

١ ـ أن الاسلام لا يعتمد ـ فى الأصل ـ على نظام الدولة ، منعا من ضعف النظام بضعفها وانهياره بانهيارها .

ومن المؤكد أن الاسلام يعتمد أولا على قوة العقيدة ودافع الاسلام فى القيام بالمصالح ودرء المفاسد . فاذا ضعف هذا الدافع ، لا تكون مندوحة من استبدال الطرق الرسمية بالطرق الحرة .

وهذا أمر ملحوظ فى وظيفتى الحسبة والجهاد .

فبالنسبة للحسبة ، فقد بدأت ـ فى أول الأمر ـ تطوعا ، لأنها فرض كفاية توجب على كل مسلم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فلما كف الناس عن أن يقوموا بواجبهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وثقل عليهم أن يتدخل بعضهم فى شئون بعض،وعمت المفاسد بحيث لم يعودوا يتناهون عن منكر فعلوه ، ومن نهاهم عادوه ، لم يعد مندوحة من أن يقوم بهذه الوظيفة عمال رسميون . وسمح الفقه أن يقوم بذلك ـ الى جانب الرسميين الذين يقومون به أصالة ـ ناس من المتطوعين . ثم أمعنت الأمور فى الفساد لما صارت الأمور الى الرشوة وعز أن تجد رجلا نزيها يقوم بولاية الحسبة والعمل فى هذه

الوظيفة .. فكان كف المتطوعين عن التدخل من باب أولى . ونحن نذكر أن جماعة من الحنابلة حسن لهم أن يشنوا غارات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى بغداد على الغشاشين فى الأسواق وعلى النساء المتبرجات وأهل اللهو والمجون ، فكانت فتنة اذ لم يستجب الناس ولم يرتدعوا وأصروا على منكراتهم ، ولم تظاهر السلطات العامة هؤلاء المتطوعين ، وعرف عن الحنابلة ـ من ذلك الوقت ـ شدة التزمت والمغالاة ، وفشلت هذه الطريقة نهائيا .

وكذلك بالنسبة للجهاد ، فانه فى البداية كان تطوعا . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الخروج ، فمن خرج خرج ، ومن لم يخرج لم يخرج ، ولكن كانت النظرة اليه على ما هو واضح فى سورة « براءة » وما جاء فيها من التنديد بالمخلفين ، وذلك بسبب حمية الايمان واعتبار المتخلف مغموصا عليه بنفاق ( كما جاء فى حديث كعب بن مالك وتوبته ) .

واستمر ذلك حينا طويلا ، ثم جاء زمان تقاعد الناس عن الخروج ، وتحولت الثغور الى تكايا للصوفية ، وصارت كلمة « المرابط » تطلق ـ بكثير من السخرية ـ على (الدرويش) الذى يعرف أمور الدنيا ، وظهرت كتائب المرتزقة وطلاب السلطة ، وخاصة من الأرقاء والمماليك الذين كانوا يشترون خصيصا للتدرب على أعمال الجندية، وتمكنوا من الوصول الى مراتب السلطنة والنيابة والادارة فى مصر والهند . وأما العامة فصاروا بعيدين عن الجهاد ، وجنحوا الى السلم والدعة ولم يعودوا يحسنون أمور النظام العسكرى والمقاتلة وبذلك تحولت هذه العبادة من أن يقوم بها الناس كفرض كفاية ـ أو عين عند فجأة العدو ـ الى نظام عسكرى يلقى على عاتق محترفى العسكرية ، ويجهله المدنيون جهلا تاما ويفرون منه اذا طلب منهم ، فيضطر السلطان الى تسخيرهم وتكليفهم جبرا فيما يتطلبه من الخدمات والمؤن .

وبذلك فان ظاهرة تدخل الدولة فى الحياة الادارية وتوليها لها ليست ظاهرة صحة فى النظام الاسلامى .

وان كثرة الهيئات والمنظمات والمنشآت الادارية هى أيضا دليل على بعد الجماعة عن الاسلام ، فكلما كثرت الأشكال الادارية ، كلما دل ذلك على بعد الجماعة عن الاسلام، وصارت مهددة — فى مبدئها — بضعف الأجهزة الادارية الناشئة وفسادها . فأنت ترى أن الحسبة لما آلت الى الموظفين العموميين أفرغ الناس أيديهم من الفضيلة .. وصار الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر مكروها حتى من السلطان نفسه ، وبذلك اكتست البيئة الاسلامية بطابع الفسق والفجور والسخرية من الصالحين ، مما يتعذر معه تطبيق الاسلام على وجهه الصحيح ؟ لأن القاعدة الأساسية هى : أن الاسلام يتطلب بيئة اسلامية ، والبيئة الاسلامية تتطلب الرجل المسلم اسلاما صحيحا . فاذا وجد المسلم الصحيح ، وجدت به البيئة الاسلامية الصحيحة ، وتيسر تطبيق الشريعة الاسلامية ، وان لم يوجد ذلك فانه يتعذر تطبيقها جبرا بواسطة موظفين يظهرون — والله أعلم بالبواطن — الانتصار للشريعة . وبذلك انهارت البيئة الاسلامية بعد أن تحولت الحسبة الى وظيفة عامة ، ولم تنهض لهذا السبب . وكان العلاج الحقيقى ليس بانشاء ولاية آمرة قاهرة ، بل بعلاج الايمان والنظر فى أسباب ضعفه فى النفوس ليكون كل مسلم حارسا للاسلام فى ذاته .

وتأيد ذلك باقلاع المسلمين عن فرض الجهاد ، والقائه الى طوائف الجند المحترفين والعسكر المجلوبين، ففى الداخل آلت الأمور الى الفوضى اذ ما لبث الجند أن تسلطوا على الخلافة العباسية الثانية فصاروا يحجرون على الخليفة ويسملون أعين الخلفاء ويقتلون ضربا — بعد ربطهم فى الغرائر — حتى آلت أمور السلطنة الى أيديهم ، فدارت المنازعات بينهم علنا ، والقتال على السلطة علنا فى الشوارع . وقد ظهر ذلك بوضوح فى عهد المماليك بمصر اذ صارت المقاتلة العلنية على السلطة والفتن هى سمة العصر وميزته الظاهرة . وفى الخارج ضعفت شوكة الاسلام ، نعم نجد أننا كسبنا بعض المعارك الكبرى فى عهود المماليك ، ولكن التاريخ الاسلامى حافل فى هذه الفترة بمعاهدات الذل والهوان واضطرار

المسلمين الى دفع الجزية الفادحة ، حتى صار التطبيق العملى للسير شيئا آخر غير ما كتبه الفقه • وصارت دروس الفقه فى ذلك أشبه بتلاوة ( المحفوظات ) المأثورة التى تقرأ ولا تطبق • وذلك أيضا بسبب الاعتماد على النظام الرسمى دون الدخول الى التطبيق الاسلامى من بابه الصحيح : وهو باب المحافظة على الدين واعتبار ذلك الضرورة الأولى المبداة التى لا سابق لها فى المقاصد الشرعية الاسلامية •

فمن استغنى عن الايمان،استغنت عزة الايمان عنه ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم •

وفى الفقه نصوص كثيرة تبدى الكراهة من تدخل السلطان فى الحياة الاقتصادية بالبيع والشراء والتسعير• وهذا محمول على أوقات سيادة النظام الاسلامى الحقيقى وقوة البيئة الاسلامية • فانه اذا كان الناس قائمين على الدين مراقبين بأنفسهم فى أنفسهم أموره وأحكامه ، فان تدخل السلطان يكون معرقلا للقانون الطبيعى الذى يؤتى ثماره ونتائجه الحتمية فى هذه الحالة بحسن سير الحياة العامة وعدم احتياجها لتدخل السلطة • فلا يكون ذلك التدخل الا تعسفا ومعاندة لطبائع الأمور • ولكن لما ضعف الايمان فى القلوب وانصرف الناس عن القيام بما يجب عليهم ، وجدنا أن بعض الفقهاء المتأخرين لا يمانعون فى ذلك، لأنه ـ كما قدمنا ـ لم يعد مندوحة ـ من الوزع بالسلطان بعد أن ضعف وازع الدين • فنجد أن الامام ابن القيم فى كتابه الطرق الحكمية (١) يقول فى التسعير أن « منه ما هو ظلم محرم ومنه ما هو عدل جائز فاذا تضمن ظلم الناس واكراههم بغير الحق على البيع بثمن لا يرضونه أومنعهم مما أباح الله لهم فهو حرام• واذا تضمن العدل بين الناس مثل اكراههم على ما يجب عليهم من المعاوضة بثمن المثل ومنعهم ، يحرم عليهم من أخذ الزيادة على عوض المثل ، فهو جائز بل واجب • فاما القسم الأول فمثل ما روى أنس قال: (غلا السعر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله لو سعرت لنا ؟ فقال : ان الله هو

---

(١) صفحة ٢٤٤

القابض الرازق الباسط المسعر وانى لأرجو أن ألقى الله ولا يطالبنى أحد بمظلمـة ظلمتها اياه فى دم ولا مال ) رواه أبو داود والترمذى وصححه . فأذا كان الناس يبيعون سلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم منهم ، وقد غلا السعر وارتفع ـ اما لقلة الشىء واما لكثرة الخلق ( أى قلة العرض وزيادة الطلب ) فهذا الى الله فالزام النـاس أن يبيعوا بقيمـة بعينها : اكراه بغير حق » ؟

**مصطفى كمال وصفى**

# محمد إقبال
## فلسفة القوة والعمل فى الإسلام

للدكتور عبد المعطى محمد بيومى

تلك سنة الله فى الأمم والشعوب ، تهرم وتشيب كما يشيب الأفراد ويهرمون ، بل قد تتعرض أحيانا لما يتعرض له الأفراد من التحلل والفناء حتى اذا تلقت دما جديدا نفضت عنها غبار الشيخوخة وقامت من جديد ، قوية ناهضة تؤدى رسالتها فى هذا الوجود .

والأمة الاسلامية وحدها هى التى حباها الله نعمة الخلود فهى أمة خالدة تحمل فى جوهرها الأصيل عناصر البقاء لأن كتابها ـ وهو مبرر وجودها ـ باق ممتد البقاء فان تهرم هذه الأمة وتضعف حينا من الدهر فان الله يبعث من بنيها من يصيح فيهم صيحة اليقظة « فاذا هم قيام ينظرون » .

والناظر فى هذه الأمة يدرك فى وضوح أنها بدأت منذ أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن تترنح أمام الضربات الظالمة التى انهالت عليها من هنا وهناك من كل عدو حقود حتى بلغ ترنحها الى حد التواء اعناق الكثيرين من أبنائها عن مبادئها وانحرافهم عن مقدراتها الأصيلة حتى بات واضحا أن هذه الأمة فى حاجة الى شىء ما دم جديد يبعث فيها الحياة ويجدد القوة .

قد يكون هذا الشىء مفكرا أصيل الفكر قوى النفس ، يضع لها المعالم والشارات لتضع بتوجيهه قدمها على الطريق الصحيح ، وقد يكون شاعرا قوى القلب صادق التعبير عميق الاحساس ينفث فيها من روحه ويمنح قلبها حبات قلبه وقد يكون زعيما قوى الايمان قوى الارادة يصنع من الأمة النموذج الحى .

وفى العقد الثانى من هذا القرن بلغت أمة الاسلام بعض غايتها

المنشــودة فى رجل من أبنائها أراده الله هذه المرة من الهند شاعر الاسلام وفيلســوفه الكبير الدكتور محمد اقبــال .

اجتمعت لهذا الفيلسوف المجــدد كل مواهب الانســانية الراقيــة ، فوهب الايمان والفكر والشعرجميعا الى جانب قــوة الادراك وصــدق الاحساس .

لخص حياته كلها وغايته منها فى كلمات .. قال :ـــ

« انى لم أكن يوما فى احـــدى الجماعات أو الهيئات قائدا ولا جنديا أخضع لقائد ، فقد استنفدت أعوام حيــاتى المــاضية دراســة واطلاعا لحقيقــة الاســلام وتفهما لفنــون السياســـة والآداب وكان تأثرى واتصالى بروح الأصول والتعــاليم الاســلامية مما أكسبنى فى حيــاتى بصيرة خاصة اكتشفت على ضوئها أن الاسلام حقيقة عالمية ، وما دام المسلمون محتفظين بهذه الروح قوية كاملة ، فانى سأحاول ما وســعنى الجهــد أن أبعث من تلك البصيرة فى نفسى قوة تشعل فى شغاف قلوبهم جذوة الشعور وتركز أصول الاسلام ومبادئه التى هى وحــدها الضمان لتحقيق النتيجة المرجوة .

... لو أشهــدنا جعلنا دستور الحياة ونظام العمل قائمين على أصول الاسلام ومبادئه فى الهنــد وحدها لأشهدنا العــالم أمة مثالية تؤثر فى حياة جميع المسلمين وربما امتد أثرها كذلك الى جميع أقطار الكون وهذا هو الهدف الذى نصبو اليــه حين نحاول أن ننشىء فى الهنــد مدنية ممتازة وحضارة متميزة » كانت تلك اذن غايته :ـــ

- تجــديد الأفــكار الدينيــة الاســلامية لاتخــاذها نظام حياة ومنهج عمل .
- بعث الروح الاســلامية من من جــديد واستنهاض همم المسلمين .

وقد كان مخلصا الاخلاص كله فى جهاده لهذه الغاية التى ملكت عليه كل قلبــه وفكره فلم يدع وســيلة الا طرقها من وســائل السياسة أو وســائل الفلسفة والشعر أو الآراء والخطب المتناثرة هنا وهناك .

وأعتقد أنه بالامكان رسم صورة مصغرة لجهاد اقبال فى ناحيتيه السياسية والفلسفية فى هذا المقال :

١ ـ ففى مجال السياسة : عمل اقبال على تأكيد شخصية المسلمين فى الهند فكان أول من نادى بانفصال المسلمين فى دولة خاصة تشكل من الولايات التى يغلبون فيها وقد رأى أن قيام هذه الدولة سيحقق أمرين : أولهما : تقديم الاسلام للعالم كله عن طريق نموذج دولة عصرية تهتدى فى قوانينها ونظام حياتها بالاسلام حتى يدرك العالم ما فى هذا الدين من عناصر التقدم والحضارة الراقية.

ثانيهما : تجنب الظلم الواقع على المسلمين فى الهند وانهاء المذابح التى كان يروح ضحيتها الآلاف من المسلمين وجمع المسلمين فى وحدة شاملة تجنبهم شرور الخلاف .

ذلك ان المسلمين فى الهند تحملوا بأمانة عبء الكفاح من أجل الحرية والاستقلال فما أن أثمر كفاحهم حتى طرحت فى الأفق فكرة « القومية الهندية » فأحدثت هذه الفكرة ردود فعل مختلفة بين المسلمين الذين انقسموا فى شأنها شيعا وأحزابا .

« فارتضى كثير منهم ـ كما يقول نهرو ـ تلك القومية محاولين أن يوجهوها الوجهة التى يريدونها ، وكثيرون عطفوا عليها وظلوا مع ذلك بعيدين عنها شاكين فيها فى حين أن كثيرين غيرهم شرعوا فى التحول العظيم الى اتجاه انفصالى كان استشراف اقبال الشعرى قد هيأهم له » .

والواقع أن اقبالا لم يهيىء النفوس لفكرته فى اقامة دولة باكستان باستشرافه الشعرى فقط بل وضع كل طاقاته فى خدمتها والترويج لها بوحى من عقيدته واحساس ملح بأنه ينصرها ، وأعانه قوة بيانه وقدرته على ايراد الحجج لتدعيم ما يذهب اليه كما أعانه فهمه لكثير من روح الشريعة الاسلامية وتفاصيلها الدقيقة من تفنيد الفكرة التى طرحت وكانت ترمى الى تعايش المسلمين والهندوس فى قومية هندية مشتركة رغم الخلافات الدينية كما هو حادث فى مصر ولبنان مثلا .

قال : « ولكن ما أبعد هذه المقارنة وما أشد الفرق بين الهند وسواها فبينما يجيز الاسلام الاتصال بأهل الكتاب على أن يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم الى حد اجازة تزويج المسلم بالكتابية ، وبينما تتحقق المصالح

المشتركة بالتعاون فى الأمة الواحدة ترى الهنادك يعتبرون المسلمين نجسا ماديا فلا يعاملونهم ولا يختلطون معهم ولا يتحببون اليهم من قريب أو من بعيد وكذلك ينظر المسلمون اليهم كوثنيين ليس لهم من الأرض نبوة ولا من السماء كتاب ورغم ما يبذله المسلون من التسامح فما يزداد هؤلاء الا تنكرا واستخفافا وامتهانا للمسلم والعمل دائبا على استئصال شأفته وابادة ملته » •

ومع وضوح هذه الأدلة وقوتها فان الرابطة الاسلامية بالهند ظلت عشر سنوات ( ١٩٣٠ - ١٩٤٠ ) منتظرة أن تأتى « القومية الهندية » بالخير المرجى للمسلمين دون جدوى فبدأت العمل من أجل باكستان سنة ١٩٤٠ ولم تكن الفكرة بحاجة الى اقناع الشعب الهندى المسلم بل كانت حلم الجميع ولذلك تحقق حلم الفيلسوف سنة ١٩٤٧ وقامت دولة باكستان •

ومهما يقال عن باكستان فكرة وتطبيقا فان اقبالا والذين صنعوا حلمه طالما حذروا من أمرين شديدى الخطر : أن تتحول باكستان الى العلمانية أو القومية العرقية فهل نجت باكستان فى مسيرتها من تأثير هذين الخطرين ذلك موضوع آخر •

على أنه بالرغم من جلال فكرة باكستان وكفايتها لتملأ حياة الدامى اليها الا أن فلسفة اقبال كانت أشمل وأوسع من حدود الهند كانت على امتداد العالم الاسلامى كله •

والرائع فى فلسفة اقبال أنها جاءت بعد تراث هائل من الفكر البشرى وبعد قرون طويلة من الحوار بين الاسلام والفلسفة اليونانية هذا الحوار الذى جهد فيه فلاسفة المسلمين على التوفيق أو التلفيق بين الفكر الاسلامى واليونانى ولم ينج أحد من هؤلاء الا قليلا من التأثر بفلاسفة اليونان والدهش والانبهار أمامهم •

لكن اقبالا يترفع أمام المفكرين اليونان وغيرهم من المعاصرين ترفع الغنى الذى يملك مالا يملكه غيره ، فنرى أن أفلاطون وأرسطو وغيرهما من المتأثرين بهما انما كان يقودهم التفكير الغنمى بمعنى تفكير القطيع الذى ينساق وراء شهوات العقل على غير عاصم من وحى سماوى يقيه شر الزلل •

يقول فيما ترجمه عنه الدكتور عبد الوهاب عزام :

راهب الماضين أفلاط الحكيم
مذهب الشاء تولى فى القديم

ويقول:« واعتراضى على أفلاطون هو فى أصله اعتراض على كل النظم الفلسفية التى تقصد الى الفناء لا البقاء والتى تغفل المادة وهى أكبر العقبات فى سبيل الحياة وتدعو الى الفرار منها لا الى تسخيرها والتسلط عليها .

هو موقف فلسفى عام اذن يتخذ اقبال ليقرر به حقيقة وليهاجم به كل ما عداها أما هذه الحقيقة فهى ان لابد من الاتصال بالمادة لتسخيرها لا الزهد فيها والفرار منها ومن هنا فهو ينتقد بشدة فكرة الفناء الصوفى الذى يتوصل اليه بالانعزال عن المادة وخلع ربقتها كما يهاجم فكرة وحدة الوجود التى تقوم على ان الانسان نقطة تائهة فى محيط الكون وعلى هذه النقطة التائهة ــ الذات الانسانية ــ ان تمعن فى السكر حتى تصل الى الفناء فى الله .

يقول : « ان حالة السكر فى اصطلاح الصوفية تنافر الاسلام وقوانين الحياة وحالة الصحو « وهى الاسلام » موافقة لقانون الحياة ، وانما قصد الرسول صلى الله عليه وسلم الى انشاء أمة صاحية ( فى حالة الصحو ) ولهذا تجد فى صحابة رسول الله الصديق الأكبر والفاروق الأعظم ولاتجد حافظا الشيرازى » .

ولذلك كان طبيعيا أن تكون الذات الانسانية ومحاولة تأكيدها هى نقطة الانطلاق فى فلسفة اقبال يقول :

« الحياة كلها فردية وليس للحياة الكلية وجود خارجى . حيثما تجلت الحياة تجلت فى فرد أو شىء والخالق كذلك فرد ولكنه أوحد لا مثل له .

... أرى أن هدف الانسان الدينى والأخلاقى اثبات ذاته لانفيها وعلى قدر تحقيق انفراده أو وحدته يقرب من هذا الهدف ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « تخلقوا بأخلاق الله » فكلما شابه الانسان هذه الذات الوحيدة كان هو كذلك فردا بغير مثيل » .

أنا ـ أو خودى ـ أو مين(١) ـ أو الذات الانسانية عند اقبال هى اذن مركز الحياة تقوى بتحديد الأهداف النبيلة والسعى الى تحقيقها وتضعف بالسؤال والمذلة وكلما كان الهدف أكبر وكانت المعاناة فى تحقيقه أكثر كلما عظمت الذات وقويت .

يقول : « طوبى لمن لا يزال فى أثر المحمل .. !

أى لذة فى الاضطراب قبل الوصول ؟! »

ويؤكد اقبال أن القرآن الكريم حدد للانسان المسلم المقاصد النبيلة وهى قيم الحياة الكريمة وما على المسلم الا أن يثبت ذاته بالجهاد من أجلها .

والطريق الى تربية الذات مراحل ثلاثة :

١ ـ طاعة الله سبحانه .

٢ ـ ضبط النفس بتوحيد الله ونفى الخوف والشهوات .

٣ ـ النيابة لله فى الأرض (٢) بمعنى أن يسيطر الانسان على العالم المادى ويسخر قواه لقوة الانسان بعد احكام بنائه الروحى وهنا يستحث اقبال المسلمين لينهضوا بهذه الناحية فهم أولى من غيرهم لأن كتابهم الدينى يدعوهم الى ذلك

يقول : « يا من عى حماره فى طريق الحياة .!

ومن غفل عن معركة الحياة .!

قد بلغ المنزل رفاقك وأنزلوا ليلى من محملها .

وأنت كقيس فى الصحارى هائم!!»

وفى العلاقة بين الفرد والجماعة لم يكن اقبال يرى أن يسيل ميزان الارتباط بينهما على حساب ناحية دون أخرى ويرى أن المذاهب الاجتماعية المادية المعاصرة سمن وعفن وأن الانتاج والرفاهية المادية مع خراب القلب لا تجدى فتيلا .

ولذلك فان المسلم ببنائه المادى والروحى ، هو الانسان الكامل وله فى نظره وجودان : وجود انسانى يشارك المسلم به كل انسان ، ووجود ايمانى له فيه عقيدة خاصة ورسالة معينة وهو حى خالد لا يمكن أن

---

(١) خودى أنا بالفارسية ومين أنا بالاوردية .

(٢) د . عبد الوهاب عزام . محمد اقبال : حياته وفلسفته وشعره .

ينقرض لأنه حقيقة عالمية « ان المسلم كالشمس اذا غربت فى جهة طلعت فى جهة أخرى فلا تزال طالعة » .

ولقد وجه اقبال كثيرا من الرسائل الى العرب خاصة ، وطالما أهاج هذا الفيلسوف تلك الجذوة التى اتقدت بها قلوب العرب حينا من الدهر فأشهدوا العالم صورا مشرقة ومثلا لم تتكرر .

يقول : « ان غريزتكم العربية الاسلامية ميزان للخير والشر ، وأنتم ورثة الأرض اذا تألق نجمكم فى آفاق السماء أفلت نجوم الآخرين وطوى بساطهم .

... لقد تشتت شمل أمتك يا محمد يا رسول الله فالى أين يلجأ المسلم الحزين ؟! والى من يأوى ؟ لقد سكن بحر العرب المضطرب المائج وفقدت الأمة العربية ذلك اللوع وذلك القلق الذى عرفت به ! فالى من أشكو ألمى وأين أجد من يساعدنى على آلامى وأحزانى ؟ وماذا يفعل حادى أمتك ؟ وكيف يقطع الطريق الشاسع ويطوى السفر البعيد ؟ ! » .

ومع هذه اللوعة والشكوى فلم يكن اقبال يائسا من طلوع الفجر فى العالم الاسلامى مهما طال الليل والظلام .

يقول : « اذا رأيت النجوم شاحبة منكدرة تخفق ، فاعلم أن الفجر قريب ! » ؟

**د. عبد المعطى بيومى**

# جريمة الرأى وحرية الكلمة فى الاسلام

للأستاذ توفيق على وهبة

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين » •

حرية الانسان فى ابداء رأيه ، أو ما يعتقد أنه الصواب ، من أهم الحقوق التى يقررها الاسلام ويكفلها لأفراد المجتمع ، ولا رقابة على الفرد أو حجرا عليه فى رأيه طالما كان الرأى خالصا لوجه الله سبحانه وتعالى ، ولصالح المجتمع ••

أما اذا تعدى الرأى حدوده بأن اعتدى على الدين أو دعا الى توهين العقيدة الاسلامية أو مس شخص الحاكم بدون وجه حق اعتبر ذلك جريمة يجب العقاب عليها ، لأن الجانى نصب من نفسه مدعيا وقاضيا ومنفذا ••

**وجريمة الرأى ذات شقين :**

(أ) مجرد ابداء الرأى المنحرف سواء أكان ضد الحاكم أو ضد الدين •

(ب) تجاوز ابداء الرأى الى الفعل المنحرف بالاعتداء على شخص الحاكم بدون بينة ، كما حدث للخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم حيث قتلوا بأيد أثيمة غادرة حاقدة لم يكن لها من هدف الا الكيد للاسلام ومحاولة تقويض بنيانه ••

**امثلة من الآراء المنحرفة ضد الحكام (١) :**

(أ) يروى أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم بعد توزيعه الغنائم فى غزوة حنين وقال له : اتق الله يا محمد • فقال صلى

---

(١) راجع الجريمة والعقوبة فى الفقه الاسلامى لأستاذنا العلامة الشيخ محمد أبو زهرة ( الجزء الأول — الجريمة ) •

الله عليه وسلم : « فمن يطع الله ان عصيته أيأمنني أهل الأرض ولا تأمنوني » ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله ، فلم يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « ان من ضئضىء هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » .

وهكذا رفض الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه أن يعاقب الرجل الذى اعتدى عليه بالقول ولكنه بين أن هذا الرجل وأمثاله اذا اعتدوا على الدين أو دعوا الى توهين العقيدة الاسلامية فانه يقاتلهم ويأمر بقتالهم .

(ب) وصل الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثيابا فقسمها بين المسلمين ، وكان بينها ثوب يمتاز بالجودة فرفض توزيعه عليهم حتى لا يغضب من لا يكون من نصيبه ، وطلب من القوم أن يرشدوه الى فتى من قريش نشأ نشأة حسنة ليعطيه اياه فأسموا له « المسور بن مخرمة » فدفعه اليه ، فنظر اليه سعد بن أبى وقاص على المسور ، فقال ما هذا ؟ قال : كسانيه أمير المؤمنين . فجاء سعد الى عمر فقال : تكسونى هذا البرد ( الثوب ) وتكسو ابن أخى مسورا أفضل منه ، فقال : يا أبا اسحق انى كرهت أن أعطيه أحدكم فيغضب أصحابه فأعطيه فتى نشأ نشأة حسنة لايتوهم فيها أنى أفضله عليكم ، فقال سعد : فانى قد حلفت لأضربن بالبرد — الذى أعطيتنى — رأسك ، فخضع عمر برأسه . وقال : رأسى عندك يا أبا اسحق ، وليرفق الشيخ بالشيخ ، فضرب رأسه بالبرد .

كان هذا الموقف السمح لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ممن اعتدى عليه ، لم يعنفه .. ولم يعاقبه ، بل رفق به ، ومكنه من رأسه ليبر فى قسمه..ولم يغضب عمر لنفسه ..!!

(ج) بدأ بعض أصحاب الهوى والغرض يطعنون فى الخليفتين

الطاهرين النقيين التقيين عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ورفع فى الجنة درجتهما فلم ينتقما منهم قط وكانا يستمعان الى النقد الخارج عن الحدود ، والذى لم يقصد منه الا التجريح والاهانة ولا يغضبان ولا ينتقمان بل كانا يصفحان عن المعتدين ..

وحدث أن كان الامام على كرم الله وجهه يخطب على المنبر أن هاجمه بعض مخالفيه ورموه بالكفر ، وقال نفر منهم لا حكم الا لله . فما كان منه الا أن قال : « كلمة حق يراد بها باطل . نعم . انه لا حكم الا لله ، ولكن هؤلاء يقولون لا أمر الا لله ، وأنه لابد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل فى امرته المؤمن ، ويستمتع فيها الكافر ، ويبلغ جيها الأجل ويبلغ فيها الفيء ، ويقاتل به العدو ، وتأمن به السبل ، ويؤخذ به للضعيف من القوى حتى يستريح بر ويستراح من فاجر » .

(د) يروى أن رجلا من الخوارج سب أمير المؤمنين على بن أبى طالب وهدد بقتله فنقل أحد أصحاب الامام ذلك اليه فقال له : اشتمه كما شتمنى ، فقال : انه يريد قتلك . فقال : ولكنه لم يقتلنى . وترك الرجل .

ورغم ما فى هذا التصرف من عظمة وجرأة وسمو فى الأخلاق ، الا أنه كان الأحرى بالامام أن يحتاط لنفسه عندما علم بعزم الرجل على قتله ؟ اذ أن حياته ليست ملكا له وحده بل من صالح المسلمين بقاء أمير المؤمنين ليقودهم ويصلح أحوالهم . ولكنه كرم الله وجهه لم يأبه بذلك وترك الرجل ، ولم يأخذ الحيطة الواجبة ، أو الحراسة اللازمة للمحافظة على حياته ، ولم يعر انتباها لتهديد الرجل واكتفى بقوله : « ولكنه لم يقتلنى » أى أنه مادام الرجل لم ينفذ جريمته فليس هناك ما يدعو الى عقابه ..

هذه أمثلة قليلة وغيرها كثير مما يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الأخيار الأطهار لم يعاقبوا على جريمة الاعتداء بالقول على شخصهم واعتبروا أنفسهم مثل غيرهم من عامة الناس ، لا فضل لهم عليهم ، ولا حق لهم أكثر مما للناس من حقوق .. فمن سبهم عفوا عنه ولم يعاقبوه .

أما ما تقرره الحكومات والدول الحديثة من العقاب الصارم الذى يوقع على من يرتكب جريمة السب فى ذات الملك أو الرئيس واعتبار ذاته مصونة لا تمس ، عقوبات وضعية وصلت الى النظم الحديثة من قوانين العصور الوسطى التى كانت تعتبر أن الملك يحكم بالحق الالهى المقدس وانه يعلو جميع البشر الذين يحكمهم ولا يجوز الطعن فيه أو معارضته ..

ولكن الاسلام لا يعرف هذه الجريمة ولم يحدد لها عقابا كما هو واضح من الوقائع السابقة .. ذلك هو الشق الأول لجريمة الرأى حينما تكون موجهة ضد الحاكم ، اذا لم تستتبع بأفعال تمس شخصه ، فما هو موقف الاسلام من هذه الجريمة اذا كانت موجهة ضد الدين ؟

ان الاسلام يتعرض لحملات تضليل وتشويه شرسة منبعثة من داخل بلاد الاسلام من مسلمين وغير مسلمين ، وهذه الحملات يجب أن توقف فورا ، وأن يخرس الضالون المضلون المرجفون الحاقدون الى الأبد .. ان الهجوم على الاسلام من أعدائه أمر مفهوم ومعلوم بحركة الحقد والضغينة اللذين يملآن قلوبهم وصدورهم .

أما الغريب حقا فهو ما نلحظه — أحيانا — من هجوم خفى أو علنى من بعض المنتسبين الى الاسلام بالاسم والاسلام منهم برىء .

وقبل أن نبين رأى الاسلام فى هؤلاء نوضح ما يلى :

١ — تنص دساتير الدول العربية والاسلامية على أن دين الدولة الرسمى هو الاسلام — ويستتبع ذلك أن يقوم كيان الدولة على أساس الدين الاسلامى ويجب أن تكون الشريعة الاسلامية هى الحكم بين الناس فى تعاملهم وفى كل ما يخصهم من أمور الدين والدنيا ، وأى مساس أو خروج عن تعاليم الاسلام يعد مساسا بالدولة نفسها وعدوانا على سلطتها ..

والنص على دين الدولة فى الدستور من النظام العام الذى لا يجوز مخالفته ، ويعاقب كل من يخالف النظام العام للدولة أو يحاول الاعتداء عليه ، وعلى ذلك فكل اعتداء أو هجوم على الدين الاسلامى

يستوجب عقاب فاعله بأشد العقوبات .. ولكنى لا أدرى لماذا تتراخى الحكومات عن معاقبة هؤلاء المجرمين والضرب على أيديهم حتى توقف عبثهم وتمنع نشر أباطيلهم ..

وقد يقول قائل ان الدساتير تنص أيضا على حرية العقيدة ، ولكن حرية الاعتقاد المكفولة للجميع لا تمنح لأحد مهما كانت عقيدته أو شخصيته الحق فى مهاجمة دين الدولة الرسمى .

وتنص الدساتير كذلك على حرية الرأى ، وهذه الحرية مكفولة أيضا فى الحدود التى لا تسمح بالاعتداء على حق الغير .. فاذا ما جاوز الرأى الحدود المطلوبة فاعتدى على الغير وجب وقفه فورا وعقاب صاحبه ..

ان عمليات الهجوم التى منى بها الاسلام منذ نشأته وحتى الآن لم يكن الباعث عليها حرية الفكر أو الاعتقاد ، ولكن الواقع الحقيقى لكل هذا هو محاولة تقويض كيان الدولة والقضاء عليها اذا استطاعوا الى ذلك سبيلا ..

٢ ـ ظهرت فى أواخر عهد الخلفاء الراشدين دعاوى منحرفة وهدامة ضد الاسلام من الفرس وغيرهم الذين دخلوا الاسلام ظاهرا ، وكانوا فى الباطن يحاولون هدمه والقضاء عليه حتى يمكنهم اقامة دولتهم التى أبادها المسلمون ..

ثم ظهر الخوارج والزنادقة الذين تمكنوا من أن ينفثوا سمومهم وسط المسلمين ، وأن يكونوا من أنفسهم قوة استطاعت محاربة الدولة العباسية ولكن المهدى هزمهم بعد حرب مريرة قاسية ..

ومن هذا يتضح أن من أعداء الاسلام من يعتنقه ليندس فى صفوف المسلمين ثم يروج لدعاواه الباطلة ضد الاسلام ، وينشر الأباطيل والضلالات التى تقوض الدين وتنزعه من صدور أبنائه ، فيستطيع هؤلاء الأعداء أن يفتكوا بالمسلمين بعد أن يقضوا على الاسلام لعلمهم أن هذا الدين يجعل من المسلمين قوة واحدة ، ووحدة قوية تقف فى وجه من يحاول الاعتداء عليه أو على البلاد الاسلامية .

وكانت أولى جرائم الرأى ضد الدين ما ظهر أيام خلافة الامام على ابن أبى طالب كرم الله وجهه من بعض الشيعة الذين ادعوا انه اله أو حل فيه الاله ، وقد عاقبهم الامام بالقتل حيث اعتبرهم مرتدين عن الاسلام .

ولم يعاقب الامام على الرأى اذا لم يكن كفرا ، أو يؤدى الى الكفر ، ولم يستتبع هذا الرأى بفعل يمس شخص الحاكم أو أشخاص المسلمين ..

أما الخليفة الثالث عثمان بن عفان وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقد ثبت أنهما كانا يعاقبان على جريمة الرأى تعزيرا اذا كان الجانى يؤول الأحكام الاسلامية تأويلا خاطئا حيث اعتبراه قد أخطأ فى الرأى فيجب عقابه حتى لا يعود الى ذلك .

**راى الأئمة المجتهدين فى جرائم الرأى (١) :**

١ — يرى الامام مالك وكثير من الحنابلة وبعض الشافعية قتل الداعى الى البدعة . يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : « جوز طائفة من أصحاب الشافعى وأحمد وغيرهما قتل الداعية الى البدع المخالفة للكتاب والسنة ، وكذلك كثير من أصحاب مالك . وقالوا انما جوز مالك وغيره قتل القدرية لأجل الفساد فى الأرض لا لأجل الردة » .

فالقتل فى رأى هؤلاء ليس لأجل الرأى بل لما يؤدى اليه من الفساد فى الأرض .

٢ — يرى الامام أبو حنيفة أن عقوبة الداعى الى البدعة هى التعزير بما يمنع الشر وهو دون القتل ما داموا لا يحملون السلاح ، أما اذا حملوا السلاح للقتال اعتبروا مقاتلين فعلا ووجب قتلهم .

هذا عن الشق الأول من جريمة الرأى ، أما الشق الثانى وهو اذا استتبع هذا الرأى فعل يؤدى الى المساس بشخص الحاكم فلا يوجد فى الاسلام وصف لهذه الجريمة يزيد عن الوصف العادى باعتبارها جريمة اعتداء على النفس يجب فيها

(١) المرجع السابق .

القصاص فاذا قتل الحاكم قتل المعتدى اذا كان واحدا ، أو قتلت الجماعة – اذا كانوا جماعة – قصاصا كما هو الحال فى جريمة القتل العادية تطبيقا لقوله سبحانه وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم »

أما اذا كان العدوان على ما دون النفس فيكون القصاص من جنس الجريمة : العين بالعين والسن بالسن والأذن بالأذن وهكذا ..

تلك هى جريمة الرأى فى الاسلام أردنا بها كما قلنا تنبيه المسلمين الى ما يحاك ضد دينهم . فعلى الحكومات الاسلامية التصدى لهذه الفئة الضالة وردعها حتى لايستشرى أمرها . وأن تنفذ فيهم حكم الله بقتل من يستحق القتل ، وعقاب من يستحق التعزير .

والى هؤلاء الذين ضلوا ممن ينتسبون الى الاسلام ويهاجمون دين الله أتلو هذه الآيات البينات من كتاب الله سبحانه وتعالى عظة وذكرى لعلهم يهتدون . وأدعو الله مخلصا أن يعودوا الى الصواب ويتبعوا الطريق السوى ، ويتوبوا الى الله لعل الله يتوب عليهم :

« يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » .

توفيق على وهبة

# الضرر الذى من أجله شرعت الشفعة

للدكتور ابراهيم دسوقي الشرباوي

شرعت الشفعة فى الاسلام لرفع الضرر الذى قد يصيب الشريك أو الجار ، فان الضرر يجب أن يدفع وأن يجتنب ما أمكن ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا ضرر ولا ضرار » . ولهذا كان شرع الشفعة متفقا مع الأصول العامة للشريعة ومحققا لروحها ، وان كانت على خلاف ما وضع للملكية من حدود ، وما سن لعقودها من قواعد . وما جعل لها من آثار . فان الأخذ بالشفعة جبرا عن المشترى ينافى قاعدة اشتراط الرضا فى انتقال الملك من شخص الى آخر ، ولكنه استثناء دعت اليه المصلحة ، ولم يترتب عظيم ضرر للبائع ولا للمشترى ، فقد توفر للبائع معه ما يبغى من مال عوضا عن ملكه وكان المشترى فى غنى عما اشتراه قبل شرائه وقد وجد من هو أحق منه ، ومن فى صرف الصفقة عنه الى غيره ظلم له ، فقدم عليه دفعا للاضرار به وتمكينا له من حقه . وما شرعت الشرائع الا لهذه الغاية فكانت شريعة الشفعة لذلك متفقة مع الأصول العامة .

وقد أجمع الفقهاء على أن الشفعة انما شرعت لدفع الضرر ، ولكنهم اختلفوا فى نوع هذا الضرر على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنه الضرر اللاحق بالقسمة ؛ لأن الشريك الحادث قد يطالب الشريك القديم بالقسمة فيترتب على ذلك من المؤن ، والضيق فى المرافق ما يتضرر به ، فان له قبل القسمة أن يرتفق بالدار أو بالأرض كلها ، وبأى موضع شاء ، فاذا وقعت الحدود ضاقت به الدار أو الأرض وقصر على موضع منها . وفى ذلك ضرر بين عليه ، فمكنه الشارع

بحكمته ورحمته من رفع هذا الضرر عن نفسه ؛ بأن يكون أحق بالمبيع من الأجنبى الدخيل عليه ، ونهى الشارع الشريك أن يبيع نصيبه حتى يؤذن شريكه ، فان باع ولم يؤذنه فهو أحق به .

وهذا القول اشتهر عن المالكية والشافعية وهم يقصرون الشفعة على ما يقبل القسمة من العقار وما ألحق به (١) .

القول الثانى : انه الضرر اللاحق بالشركة . لأن الشركة مثار للاختلاف والنزاع . وقد أمكن زوالها برغبة الشريك فى البيع . ولا يضره أن يبيع نصيبه لشريكه بالثمن الذى يريد أن يبيع به للأجنبى فيستبد الشريك بالملك كله ويزول عنه الضرر بدون اضرار بالشريك البائع ؛ لوصوله الى الثمن الذى هو مقصوده من البيع . فاذا لم يفعل ذلك وباع نصيبه لأجنبى كان ذلك منه ابقاء لضرر الشركة الممكن زواله ، بل ربما كان فيه احداث ضرر آخر اذا كان الشريك الحادث سىء المعاملة ، أو مخالفا للشريك القديم فى الطبع والعادة ، فلهذا مكن الشارع الشريك القديم من الأخذ بالشفعة ؛ ليرتفع عنه هذا الضرر .

وهذا القول اشتهر عن الظاهرية . وهم الذين يثبتون الشفعة فى كل شركة سواء أكانت فى عقار أو منقول وسواء كان العقار أو المنقول مما يقبل القسمة أم لا (٢) .

القول الثالث : أنه ضرر الجوار والشركة . لأن الجار قد يسىء الى جاره وخصوصا اذا كان غليظ الطبع ردىء الخلق سىء العشرة . فيعلى الجدار ويمنع الضوء ويطلع على العثرة ، ويشرف على العورة ، ويؤذى جاره بأشد أنواع الأذى ، ولا يأمن جاره بوائقه . وهذا مما يشهد به الواقع . فالجار يتضرر كما يتضرر الشريك ؛ فله حق الشفعة ليرفع عن نفسه الضرر .

---

(١) الزرقانى على الموطأ جـ ٢ ص ١٧٦ ، منح الجليل جـ ٢ ص ٥٨٧ ، فتح العزيز جـ ١١ ص ٣٨٠. ، متن المهذب جـ ١ ص ٣٨٠.

(٢) اعلام الموقعين جـ ٢ ص ٨٧ ، المحلى لابن حزم جـ ٩ ص ٨٧

وهذا القول اشتهر عن الحنفية . وهم الذين يثبتون الشفعة للشريك والجار . هذا ، وعلى كل حال سواء كان الضرر هو ما ينشأ عن القسمة أو عن الشركة أو عن الجوار فالشفعة مشروعة لهذه الحكمة . وهى اتقاء الضرر الذى قد يحصل للشفيع اذا لم يأخذ المبيع بالشفعة . ويكفى فى الضرر أن يكون محتملا . ولا يشترط أن يكون محققا . فان الحكمة لا يلزم تحققها ولا اطرادها ، بل يكفى احتمالها ، وتحققها فى الجنس لا فى الأفراد ، ولأنه لا يمكن التحقق من الضرر ؛ لأن الشفيع لا يعلم من أمر الشريك الحادث أو الجار الحادث شيئا ؛ حتى يمكن أن يعلم ان كان يتفق معه فى أخلاقه وعاداته أو لا يتفق . فلو أوجبنا تحقق الضرر على الشفيع لكنا فى الواقع قد ألقينا عليه عبئا ثقيلا وسلبنا منه حقه وأوقعناه فى الضرر بالفعل .

**شبهتان على مشروعية الشفعة :**

الشبهة الأولى : أن الأخذ بالشفعة فيه ضرر محقق على المشترى . فانه ما أقدم على الشراء الا وهو يعتقد أن فى شرائه مصلحة له . فأخذ ما اشتراه قهرا عنه يفوت عليه تلك المصلحة التى اعتقدها ، ولا شك أن ذلك ضرر عليه محقق .

أما ضرر الشفيع فهو ضرر موهوم ويحتمل وقوعه وعدم وقوعه . وليس معقولا أن يدفع الضرر الموهوم بحصول ضرر محقق .

والجواب عن هذه الشبهة أن ضرر الشفيع وان كان موهوما بمعنى أنه لم يقع بالفعل الا أن وقوعه هو الغالب والكثير . وكل يوم نشاهد صفقات كثيرة لا يؤخذ فيها بالشفعة للعجز عن ثمنها مثلا ونشاهد الأضرار تقع على الشركاء والجيران ، ونسمع صرخات الشكاوى فى كل مكان . ومعلوم أن الغالب فى بنى الانسان النزوع الى الشر وقليل منهم من طبعه لا يميل الى ايذاء الناس والاضرار بهم .

فكان من حكمة الشريعة الغراء . ومن حسناتها أن تعمل على تلافى ذلك الضرر قبل وقوعه . ولا يكون ذلك الا بتشريع الشفعة ، أما المشترى فانه لم يخسر شيئا ؛ لأن الشارع أوجب له أخذ ما دفعه عوضا عما اشتراه وأخذ منه . ومجرد أخذ المبيع

منـه لا يعتبر ضررا فى جانب ضرر الشفيع .

الشبهة الثانية : أن تشريع الأخذ بالشفعة فيه ضرر لمن يريد البيع لأنه يؤدى الى كساد السلع وعدم الرغبة فيها . فان المشترى اذا علم انه اذا اشترى قد يؤخذ منه ما اشتراه بالشفعة فانه يحجم عن الشراء . والشريك أو الجار قد يمتنع عن الشراء لاطمئنانه أن غيره لا يقدم على الشراء . وحينئذ لا يتمكن من يريد البيع من الشركاء أو الجيران من بيع سلعته وهو فى أشد الحاجة الى بيعها ، ولاشك أنه ضرر على من يريد البيع .

والجواب عن هذه الشبهة ان كساد السلع وعدم الرغبة فيها بسبب تشريع الشفعة انما هو وهم باطل . فالمشاهد اقدام الناس على بيع انصبائهم واقبال الناس على شرائها ؛ لاطمئنانهم الى عجز الشركاء أو الجيران عن الثمن أو لعدم الرغبة فى تملك المبيع .

**سبب الشفعة :**

الناظر فى تعريف الشفعة يرى أنها استحقاق مرتب على أمرين لابد منهما .

الأمر الأول : اتصال عقار الشفيع بالعقار المبيع عن البيع .

الامر الثانى : انتقال ملك الجار أو حصة الشريك بمعاوضة كالبيع .

وقد اختلف الفقهاء فى كونهما سببا للشفعة على ثلاثة أقوال :

القول الأول : ان السبب هو اتصال الملك . وأما انتقال الملك بمعاوضة فشرط فى سببيته . وقد ذهب الى ذلك جمهور الحنفية ولأن الشفعة شرعت لدفع ضرر الجوار الحادث . والضرر انما يتحقق عند الاتصال المذكور .

ودفع هذا فانه لو كان الاتصال سببا لصلح اسقاط الشفعة قبل انتقال الملك لوجود السبب . ولكن اسقاط الشفعة فى هذه الحالة لا يصح ؛ اذ يجوز له بعد انتقال الملك أن يطلبها[1]

القول الثانى : أن السبب انتقال الحصة بالمعاوضة . وأما الاتصال

---

(١) الزيلعى وعليه حاشية الشلبى جـ ٥ ص ٢٣٩ ، العناية على الهداية جـ ٧ ص ٤٠٦

قبل المعاوضة فهو شرط فى سببيته . وقد ذهب الى ذلك المالكية وجماعة من الفقهاء ؛ لأن استحقاق أخذ الحصة يترتب على الانتقال ويمنع قبله ولو مع اتصال الملك . فلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم .

ودفع هذا بأن لزوم الوجود من وجوده والعدم من عدمه لا يقتضى كونه سببا . فان جزء السبب المركب اذا كان متأخرا فى الزمان يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم . ومن أمثلة ذلك القبول فى البيع ونحوه . فانه يلزم من وجوده بعد الايجاب وجود التملك ومن عدمه عدمه ، وهو جزء سبب ؛ اذ السبب مجموع الأمرين (١) .

القول الثالث : أن السبب مجموعهما . واليه ذهب شيخ الاسلام من الحنفية لأن الحق يوجد بوجودهما ويرتفع بارتفاعهما ولكل منهما دخل فيه . فلو وجد أحدهما دون الآخر لا يوجد الحق فكان مجموعهما سببا مركبا منهما (٢) .

هذا ، والمختار ما ذهب اليه شيخ الاسلام من الحنفية من أن كلا من الاتصال وانتقال الملك بعوض سبب مركب منهما ؛ لقوة دليله ؛ ولأن القول بسببية أحدهما دون الآن مع أن لكل منهما دخلا فى ثبوت الشفعة تحكم ؟

**د . ابراهيم دسوقى الشهاوى**

---

(١) الحطاب جـ ٥ ص ٣٢٩ ، والبنانى جـ ٤ ص ١٨٥ ، منح الجليل جـ ٣ ص ٦٠٥ .

(٢) التكملة على الهداية جـ ٧ ص ٤٠٧ .

# عدم قصر الألفاظ على معانيها الشائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

تمتاز الفصحى بأن لمعظم ألفاظها أكثر من معنى ، بيد أن كثيرا من المثقفين وبخاصة من هى مهنتهم يكتفون للفظ بمعنى واحد هو المشهور ، ويهملون ما عداه •

لهذا رأيت من واجبى أن أقوم بنصيبى فى سد هذه الثلمة ، وتذليل تلك العقبة ، وذلك بأن أمدهم بما ند عنهم من المعانى لطائفة من الألفاظ تكون نماذج يترسمونها ، لعلهم يهتدون بها الى ما أشكل عليهم أمره ، ويكشفون عما طمس الاهمال والتقصير معالمه ؟ ففى ذلك نماء لمحصولهم اللغوى ، كما فيه فرصة يتخيرون بها من المعانى ما يجعل أساليبهم متناسقة ، لا مرسلة بددا ، ومتناظمة لا طرائق قددا ، وآنئذ تشع على قارئها وسامعها الظلال والأضواء وجودة السبك وحلاوة النسج •

ولا يغيبن عن الأذهان أن الالفاظ هى حلل المعانى والآراء ، والألحان ، وترجمان الحوادث والأفكار ، بها تسم المسميات ، وتتخصص المبهمات وتتميز المستحدثات والمبتكرات •

وعلم اللغة يذكر برجاحة العقل طالبه ، وينعت بصفاء الذهن صاحبه ، ويستحق الحمد عند كل العقلاء حاويه ، ويستوجب الثناء الحسن من كل الأفاضل واعيه ، هو ناسج أبراد العربية ، وحائك غلائلها ، ومشرق شمسها ، ومظهر وحيها •

والالمام بكل معانى اللفظ يروى غلة الباحث ، ويخلق منه أديبا

مسماحا ، ويغريه بأن يتقبل البلغاء فى تتاجهم ، ويحمله على أن يدرك ما فى الآثار الأدبية من ألوان البلاغة.

فمن عنى بتحصيل معانى الألفاظ وحفظها مع فهم ثاقب ، ولب راجح ، وقريحة صافية ، ولسان عضب ، فحل نثره ، وجزل شعره ، وأصبحت عيون الأدباء نحوه روامق ، وألسنتهم بمدحه نواطق .

## المقال الأول

**من أمثلة ذلك :**

١ ـ انهم يزعمون أن الثناء مقصور على الخير ، ولا يكون فى الشر ، والحق أنه عام فيهما ، تقول أثنيت على فلان خيرا وبخير ، وأثنيت على غيره شرا وبشر ، وذلك لأن معنى أثنيت عليه وصفته والوصف يكون بالشر كما يكون بالخير ، هكذانص عليه جماعة منهم صاحب المحكم وصاحب البارع وعزاه الى الخليل ابن أحمد .

وقد اقتصر بعض رجال اللغة على قولهم : أثنيت عليه بخير ، ولكنهم لم ينفوا غيره ، ومن هذا اجترأ بعضهم فقال : لا يستعمل الا فى الخير والمدح وفى هذا نظر ، لأن تخصيص الشىء بالذكر لا يدل على نفيه عما عداه ، والزيادة من الثقة مقبولة .

ولو كان الثناء لا يستعمل الا فى الخير لكان قول القائل : أثنيت على فلان كافيا فى المدح ، ولكان قوله : وله الثناء الحسن لا يفيد الا التأكيد والتأسيس أولى .

واستعماله فى الشر ورد عن أفصح العرب عليه الصلاة والسلام ، ففى الصحيحين : «مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا ، فقال عليه السلام : وجبت ، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال عليه السلام : وجبت ، وسئل الرسول عن قوله وجبت فقال : هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت عليه النار » .

وقد نقل النوعان فى واقعتين تراخت احداهما عن الأخرى عن العرب الفصحاء عن أفصح العرب ، فكان ذلك أوثق من نقل أهل اللغة ، فانهم قد يكتفون بالنقل عن واحد لا تعرف حاله ، وقد يعرض له ما يخرجه عن حيز الاعتدال .

٢ ـ ويزعمون أن الاشادة بالانسان مقصورة على مدحه وذكر محاسنه ،

والحق أنها عامة تستعمل فى المدح وفى الذم .

تقول : أشاد به أو بذكره اذا رفعه بالثناء عليه وذكر مآثره وممادحه ، وأشاد به منددا بذكر مقابحه ، وأشاد عليه اذا شهره وأفشى عليه مكروها ، وأشاد عليه قبيحا وبقبيح ، وفى الحديث « من أشاد على مسلم عورة يشينه بها شانه الله تعالى بها يوم القيامة » .

قال الشاعر :

أتانى أن داهية نآدا (١)
أشاد بها على خطل(٢) هشام

ومثل الاشادة الاشعار ، تقول : أشعرت أمر فلان اذا جعلته معلوما مشهورا ، وأشعرت فلانا اذا جعلته علما بقبيحة أشدتها عليه .

٣ ـ ويقصرون الناب على معنى واحد ، هو السن خلف الرباعية ، جمعها أنيب ، وأنياب ، ونيوب ، ومن الأخير قول المتنبى :

اذا رأيت نيوب الليث بارزة
فلا تظنن أن الليث يبتسم

تقول : نيبه اذا عضه بنابه ، وعضته أنياب الدهر ونيوبه

ولكن العرب وضعت هذا اللفظ لمعنيين آخرين مع هذا المعنى ، : أحدهما للناقة المسنة تقول : نيبت الناقة اذا أسنت وصارت نابا ،جمعها أنياب ، ونيوب ، ونيب بالكسر ومن الأخير قولك : لا أخيس بالعهد ما حنت النيب

والمعنى الآخر للناب هو سيد القوم كما فى قول الشاعر :

كنت لهم فى الحدثان نابا
أنفى العدا وضيغما (٣) وثابا

ولم أكن هردبة(٤) وجابا(٥)

٤ ـ ويقصرون اللب على قلب الشىء وخالصه ، كلب الجوز واللوز

---

(١) النآد : تقول : نادته الداهية اذا فدحته ونالت منه فهى نآد .

(٢) الخطل بفتحتين : الخطأ .

(٣) الضيغم : الاسد كالليث .

(٤) الهردبة : العجوز والجبان المنتفخ الجوف .

(٥) الوجاب : الاحمق الجبان .

ونحوهما ، تقول : حب البر ولبب اذا صار له حب ولب ، ورأيت الولد يلب اللوز أى يكسره ويستخرج لبه ومثل اللب فى المعنى اللباب وزان غراب •

والواقع أن له معنى آخر هو العقل تقول : أقبل على السلطان بلبه ، وهو ذو لب ، ومن أولى الألباب ، وفى التنزيل : « فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون » •

٥ ـ ويقصرون النجر بالفتح وزان البرق على نحت الخشب ، يقال : نجر الرجل العود ينجره نجرا من باب نصر اذا نحته ، فالعود منجور ، واسم الفاعل نجار ، وحرفته النجارة بالكسر أما النجارة بالضم فهى ما انتحت من الخشب بالنجر •

والحق أن للنجر معنى آخر ينبغى لدارس العربية أن يعرفه ، هو الأصل والطبع والمنبت كالنجار (١) بكسر النون وضمها •

تقول : فلان كريم النجر والنجار ، أى كريم الأصل ، كما تقول : هو كريم النحت والنحيتة ، أو هو كريم الأصل والمحتد بكسر التاء ؟

**عباس ابو السعود**

---

(١) ومنه المثل « كل نجار ابل نجارها » يعنى فيه كل لون من الأخلاق ولا يثبت على رأى قاله رجل كان يغير على الناس ويسلبهم ابلهم ، ثم يأتى السوق فيعرضها للبيع ، فيقول المشترى : من اى ابل هذه ؟ فيقول البائع :

تسائلنى الباعة اين دارها … لا تسألونى وسلوا ما نارها

كل نجار ابل نجارها

ويضرب هذا المثل فيمن اخلاقه متفاوتة .

# من آثار الهجرة المحمدية

للأستاذ محمود النواوى

يقول ابن كثير فى سيرته .

« وقد شرفت المدينة بهجرته عليه السلام اليها . وصارت كهفا لأولياء الله وعباده الصالحين . ومعقلا وحصنا منيعا للمسلمين ودار هدى للعالمين » .

ولقد شرفت حقا بهجرة النبى وصحبه . فان الله سبحانه آثرها على بقاع الأرض بأن ينبعث منها نور الحق وأن تكون مصدر الهداية وحصن الدعوة ؛ فحل فيها الوفاق الذى وحد الكلمة محل الخلاف الذى طال مداه حتى أنهك القوى ، وأشرف بأبناء قبيلة على الردى ، والله يفعل ما يشاء .

وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ودعا لها بالبركة ولأهلها بالمغفرة ، ونوه بها فى عدة أحاديث من بينها ما ثبت فى الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها[1] » .

أيها القارىء الكريم :

انه على الرغم من استهداف الدعوة الاسلامية أول العهد المدنى لعداوة اليهود وحسدهم للنبى صلى الله عليه وسلم وصحبه . وعلى الرغم من استهداف المؤمنين لخصومه أولئك المنافقين وتألبهم مع أولئك الحاسدين أشد الناس عداوة للمؤمنين . نعم انه

---

(١) أرز مثلثة الراء أروزا : تقبض وتجمع وتثبت : وارزت الحية لاذت بجحرها ورجعت اليه وثبتت فى مكانها . وفى هذا التشبيه النبوى الكريم من الدقة وقوة الفصاحة ما هو بين لكل أديب . فلا تشبيه أدل على التمكن والاستقرار منه .

ولعلنا نلمس ذلك فى المدينة المنورة بعد قرابة اربعة عشر قرنا وفى عهد طغى فيه سيل الضلال والانحراف .

على الرغم من ذلك لقد أخذت دعوة الاسلام سمتها الى الوجود • واستقام لها الأمر بعد انحرافه فتضافر أنصار الله والمهاجرون اليهم من أولياء الله • على النهوض بأعباء الأمر ومقاومة الباغين هنا وهناك • وفى كل مكان طغى فيه سيل الجهل • وجمد فيه القاسطون على الباطل ولقد صار جند الله كما وصفهم الله فى كتابه خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر • وكما وصفهم بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم • وبأنهم كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ونما بعد أن كان قليلا ضعيفا وسجل لهم أنهم موصوفون ببعض ذلك فى التوراة وببعضه فى الانجيل فما أعظم شأنهم • وما أعزهم باعزاز ربهم • وما أحراهم أن يصطفيهم الله لحمل مشاعل هدايته الى عباده •

ولقد كان مما هيأ الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يبدأ بعد دخول المدينة المنورة ببناء المسجد الثانى مسجد المدينة بعد مسجد قباء بقليل لضرورة المسجد لشئون دعوة الاسلام فلم تكن لهم قاعات بحث ولا محاكم ولا معاهد ولا مدارس ولا ثكنات ولا مأوى غير هذا البيت الكريم الذى أذن الله فى شأنه كما أذن فى كل بيوته أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار •

لقد رسم النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين فى هذا الحرم الشريف نهج العبادة وحفظ فيه سبيل النهوض بأعباء الدولة اصلاحا وهداية فى ظل الأخوة الهادفة المتعاونة • فجعله مصدر الشورى بينهم ومجمع العلم والمعرفة والارشاد لكل ناشد سبيل الرشاد وأعلن فيه دعوة الحق فصار يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين •

لقد تمكن فيه من كل ما حال دون تحقيقه فى المسجد الأول بمكة المكرمة وثنيات عبدة الأصنام واستقسامهم فيه بالازلام • وحراستهم لخرافاتهم • ومقاومتهم لكل ما يخالف موروثاتهم من الذين اتخذوا الأنداد مع الواحد الأحد وقالوا قلوبنا فى أكنة مما

تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون •

ولقد كانت أفواه المؤمنين مكممة • وتصرفاتهم فى العبادة الحق مقاومة • مستضعفين فى الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس •

فالآن اذ تنفس صبحهم واتخذوا بيت الله مراحا ومفدى لهم يأمن فيه الخائف ، ويعز فيه الذليل ويقوى فيه الضعيف ، لأنهم صدقوا وصبروا، والعاقبة للصابرين •

واختار النبى صلى الله عليه وسلم لهم ذلك المكان الخرب الذى كان مقبرة للمشركين فصار جنة للمؤمنين تتعاقب فيه ملائكة الليل والنهار ويتجلى الله فيه على عباده الأبرار حتى تكون فيه الصلاة كألف فيما سواه وآثر النبى صلى الله عليه وسلم أن يكون داخل المدينة ليشهد الجماعة ومجالس العلم أكثر أهلها ويسعد بالسعى اليه جمهور المسلمين فيها •

ثم بنى حوله حجرات أمهات المؤمنين ليكن مرجعا قريبا لكل ضالة • وليكون هو صلوات الله عليه أدنى الى أمته وأقرب الى جماعته لا يشغله عنهم سوى لحظات يقضى فيها حق أهله أو حق بدنه غير مؤثر شيئا على حق الله رب العالمين وحق عباده المؤمنين •

وعقد النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت أنس لا فى المسجد معاهداته اذ كان يشهدها من ليس من أهل المسجد كاليهود • وهو توجيه الى الدقة فى تطبيق الأحكام ، ومن أحق بذلك من سيد الأنام وهو الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا •

كانت تلك المعاقدات فى ألوان مختلفة تنم عليها روايات أصحاب الأثر ، فهم يذكرون أن النبى صلى الله عليه وسلم عقد محالفة بين الوافدين من المهاجرين والذين تبوأوا الدار من قبلهم • وتلك سياسة رشيدة بها تندمج العناصر بعضها فى بعض • وترتفع الفوارق بين بعض وبعض مصداق لقول الله سبحانه ( انما المؤمنون اخوة )[1] •

وهى منة الله التى من سبحانه بها على رسوله وعلى المؤمنين فى قوله

(١) الحجرات : ١٠

سبحانه : ( هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين • وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم )(١) • وهى القوة التى حذر الله المسلمين من التفريط فيها وذكرهم بنعمته بها فى قوله جل شأنه : ( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها)(٢)•

ويروى أحمد فى مسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والاصلاح بين المسلمين ويقول ابن اسحاق : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاقدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم • ومما أوردوه فى ذلك الكتاب أن قريشا ويثرب ومن تبعهم أمة واحدة • وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم • وأن من تبعهم من اليهود فله النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم •

وجاء فيه أيضا ( أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين • وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ ( يهلك ) الا نفسه وأهل بيته •

وقد جعل هذا الميثاق يهود بنى النجار وبنى الحارث وغيرهم مثل يهود بنى عوف • وجعل بطانة يهود كأنفسهم وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم • وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وأنه لا تجار حرمة الا باذن أهلها • وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ، وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها • وأن بينهم النصر على من دهم يثرب وأنه لا يحول

---

(١) الانفال : ٦٢ ، ٦٣

(٢) آل عمران : ١٠٣

وشفا حفرة : طرف حفرة . والمعنى انهم كانوا قريبين من التردى فى جهنم لولا محمد صلى الله عليه وسلم .

هـذا الـكتاب دون ظالم أو آثم • وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم أو أثم •

وهو ميثاق رفيع وقيمة من الاطناب فى مقام يحتاج اليه ما يدل على مبلغ حرص النبى صلى الله عليه وسلم على السلام وأنه لا يريد الايقاع الا بالخائن أو المتلاعب الآثم ؛ ولذلك فهو يستثنى الآثم والظالم فى كثير من فقراته • وفيه من النبوءات بمداهمة يثرب ، ويأثم من خان العهد وخرج على الميثاق كما تمثل ذلك فى قريش واليهود • ومن لا يقدرون العهـــد قدره •

ولقد خان اليهود ونقضوا ميثاقهم فى عدة ظروف كانوا يتوهمون أنهـا تشفى غليلهم من الاسلام • والاسلام فوق كيدهم وكيد كل خائن أثيم •

ولقد كانت خيانة اليهود سبيلا الى دحرهم • وتطــهير الأرض المشرفة من رجسـهم ايثارا للسلام وشـقا لطريق دعاة الاسلام ( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولـكن الله ذو فضل على العالمين ) •

وقد قام البرهان فيما بعد على سوء نية اليهود وأنهـم مخـادعون فى معاهـــداتهم يدبرون فى السر مع اخوانهم المنـافقين • ما يزعمون أنه يعوق سير الدعـوة وهم يعلمون أن الـكتاب منزل من عند الله بالحـــق فما أشد حمقهم • وما أبشع ما صور لهـم حسدهم على أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده •

كانت المعاهدات اذا أمرا جللا له أثره وخطـره فى اجتمـــاع كلمـة الصادقين • وفى كشف نوايا المفسدين ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضـه على بعض فيركمه فى جهنم أولئك هم الخاسرون •

أما المعاهـــدات فى المدينة قبل أن ينقذهم الله بدينة فقد كانت تقوم على الأهواء والعصبيات الهوجاء فلم تجتمع كلمتهم ولا اطمأنت نفوسهم • ولكن بالحق تطمئن القلوب •

ومما يتصل بذلك أمر المؤاخاة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يبرمها بين أصحابه بين المهاجرين بعضهم مع بعض • وبين المهاجرين مع الأنصار • كان يفعـــل ذلك بين فرد وفرد فيما بينته كتب السير وفصله رجال الأثر • وكان يحثهم على ذلك فيمـا لم يفعله بنفسه صلى الله عليه وسلم •

فيقول : تآخـــوا فى الله أخوين أخوين .

روى الامام أحمد فى مسنده بسنده الى أنس رضى الله عنه قال : حالف النبى صـــلى الله عليه وســـلم بين المهاجرين والأنصار فى بيتنا .

وقال ابن اسحق : وآخى رسـول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فيما بلغنـــا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل :

« تآخوا فى الله أخوين أخوين » .

ورواية البخارى وغيره تدل على أن رسول الله صلى الله عليه وســـلم آخى بين أفراد معينين .وأفراد معينين فيدل المجموع على أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وذلك .

وقد تجلى مظهر الأخوة والحب فيمـا روى أحمـد فى مسنده بسنده الى أنس قال : قال المهـــاجرون يا رسول الله : ما رأينا مثـل قوم قدمنا عليهم أحسن مؤاساة فى قليل ولا أحسن بذلا فى كثير ، لقد كفونا المؤونة . وأشركونا فى المهنأ . حتى لقد خشينا أن يذهبـوا بالأجر كله فقـال النبى صلى الله عليه وسلم : لا ما أثنيتم عليهـم ودعـوتم لهـم .

وفيما رواه البخارى بسنده الى أبى هريرة رضى الله عنه قال : قالت الأنصار : اقسم يا رسول الله بيننا وبين اخواننا النخيل . قالوا : لا ! قالوا : أفتكفوننا المؤونة ونشرككم فى الثمرة ؟ قالوا سمعنا وأطعنا .

أيها القارىء الكريم :

ان هــذه الصورة الكريمة من مظاهر المعـاهدات وألوان المؤاخاة ونتائجها فى تأليف القلوب لصــور جديرة أن تبين ما فى هذا الدين من ثروة مثرية . واصــلاحات خارقة وانسانيات فاضـلة كان يعــوزها خصوبة النفوس وتهيؤها لقبــولها فحين وجدت التربة الصالحة اتجهت بهــا فى كل مجـال كريم فأشرقت أنوارها اصلاحا للبشرية وتطهيرا لها من كل رجس ومرض . وهكذا يظل هذا الدين مهمـا تطاولت السنون ، وتعاقبت الأجيال يهتف بمن يستجيب له ويصلح لكى يتقبله ، فياليت قومى يعلمون . فيعتصموا بحبله ويلتفوا تحت رايتـه . ويلوذوا به اخوانا متحابين . واخوة لا مجال للتفريق بينهم من كل شيطان مارد . هداهم الله وأصلح بالهم .

ثم ان الأحكام الشرعية فى العبادات وغيرها نمت فى هذا الجو الصالح ، كما يقول ابن اسحق : « لما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واجتمع اليه اخوانه من المهاجرين والأنصار استحكم أمر الاسلام فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام ، وتبوأ الاسلام بين أظهرهم » .

وقد اتصل بذلك مشروعية الأذان لاعلاء شأن الاسلام . واعلام المصلين بوقت كل فريضة ، وقد جعله النبى صلى الله عليه وسلم شعار المسلمين حتى كان اذا أراد بلدا بالغزو فسمع الأذان كف عن القتال وكان يأمر بذلك أصحابه .

وفى هذا الجو المطمئن الصالح أخذ شأن الاسلام ينتشر رويدا رويدا حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا بما يرشد كل ناشد للحق أو داع الى الخير أن يهاجر فى سبيل الله حتى يجد الجو الصالح . كما يقول سبحانه: ( يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون ) . وقوله جل شأنه : (والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ) .

**محمود النواوى**

# عنت اليهود

للدكتور ابراهيم على أبو الخشب

حينما وصل النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة مهاجرا واستقبله هنالك أهلوها بالترحاب والارتياح ، والهشاشة والرضا ، لم يصرفه ذلك عن عناصر فى هذا المجتمع ـ كالمنافقين واليهود ـ لاترحب بهذا الدين فراح يرسم للدولة الجديدة أبعادها وحدودها • ويقيم حولها الأسوار التى تضمن لها المناعة من عوامل الضعف ، وأسباب الهزال ، وكانت المؤاخاة التى ربط بها بين جماعة المهاجرين والأنصار حجر الأساس لبناء مجتمع متماسك قوى ، يمكن أن يعول عليه ، ويطمئن اليه ، ويأمن لوجوده ، ثم لم يكتف بهذا الصنيع دون أن يكون هنالك ميثاق آخر يصل المسلمين بالمشركين واليهود ، وقد كان اليهود هنالك قوة ضاربة لا بد أن يحسب لها الحساب ، وأن يضع الخطوط الطويلة العريضة لحياة الدولة معهم ، وعيشها فى جوارهم ، والى أى مدى يكون ضررهم وأذاهم ، وشرورهم وآثامهم ، وهو صلى الله عليه وسلم لم يقدر فى نفسه بادىء ذى بدء أن يعاملهم معاملة المنبوذين ، أو الوباء الذى تطارده البشرية وتقاومه الأجناس والشعوب ، وانما أراد بهذا الذى فعله من معاهدة اشتركوا فى التوقيع عليها ، أن يكون ذلك دستورا يحتكمون اليه ، اذا تعرضوا لعدوان من ذات أنفسهم أو من غيرهم ، وهو بهذا كله يضمن لهم حياة الاستقرار والسلام ، والطمأنينة والأمن ، والانصاف والعدالة ، وما كان لهم قبل وجوده بينهم ، ونزوحه اليهم ، مثل هذا العيش ، ولا تلك الحياة ، وكأنما كانت هجرته صلى الله عليه وسلم الى بلدهم عناية الهية تداركتهم بها رحمة الله سبحانه وتعالى ، اذ أصبحوا يشعرون بكرامة الانسان الذى أراد له ربه أن يكون سيد الكون من غير شك ، لكن الجبلة الفاسدة ، والنحيزة العفنة ، والطبع الشرير ، لا تصلح بالعلاج ،

ولا يستقيم حالها بالمعاناة ، وستظل هكذا مهما بذل لها المصلحون من الجهدوالحيلة ، والكياسةوالسياسة، والرأى والتدبير ، وبخاصة اذا كان أصحاب هــذه القلوب المريضة قد توارثوا هذا الداء عن الآباءوالأجداد منذ أزمان ضاربة فى القــدم ، أو متغلغلة فى بطون التاريخ ، ولايجهل أحد ما صنــع محمد صلى الله عليه وسلم مع هؤلاء جميعا من جميل ، وما أســدى اليهم من معــروف ، وما تحمله منهم من مضاضة وعنت ، رجاء أن يستقيم عودهم الأعوج ••• لكن الأيام والليالى كانت دائما أبدا تكشف عن ضــمائرهم الخبيثــة ، ونياتهم السوداء ، وميولهم المسفة ، وطباعهم المرذولة ، وسلوكهم الذى كان كله هدما وتقويضا لهذا البناء الذى أراد الاسلام أن يقيمه لسعادة البشرية ورخائها •• وقد تمثل ذلك كله فى جحد المواثيق ، ونقض العهود، وتدبير الشر ، واحــكام الــكيد ، واختلاق العيوب ، واشاعة الفوضى، واشـــعال نيران الفتن ، فيما بين المســلمين ، ثم فيمــا بينهــم وبين المشركين ، حتى اذا لم يجدوا من هذا كله شفاء لغليلهم ، وارواء لظمئهم ، ذهبــوا الى مكة ليــوقظوا عداوة قريش لهذا الذى كان يسفه أحلامهم، ويحقــر آلهتهم ، ويرمى عقــولهم بالطيش والجهل،والبهتان والكذب، ولم يكتفوا من تلك العداوة الحقيرة باغرائهم لقريش أن تنال من محمد نيلها ، وتشــفى غليلها ، حتى ترى محمدا وأصحابه أنها معهم تقــاتل بسيوفهم ، وتنضم الى صفوفهم ، وترد عنهم كيد العــدو ، وعدوان الواغل ••• ولقد كان من فســاد طويتهــم ، وتمــكن الأمراض فى قلوبهم ، أن كان منهم أساتذة فى النفاق يفتنون فيه ، ويتقنون تلقينه للنــاس ، وتدريبهم عليه ، ولم يكن عبد الله بن أبى بن سلول الا تلميذا تخرج فى هــذه المدرسة على أيدى أولئك الأساتذة ••

أوشك حين وفد النبى صلى الله عليه وسلم على المدينــة مهاجرا أن توضع على رأسه أكاليل الغار من الأوس والخــزرج ليكون الســيد المطاع ، والملك الجالس على عرش القلوب ، وكأنما كان يثأر لنفســه ، ويشفى حقدا كامنا فى قلبه ، أن فاته ســلطان واســع ، وجاه عريض ، ونفوذ يحلم به أرباب التيجان ، فأما

اليهود فهم ذلك الصنف من الناس الذى أعطى العهود ثم خاس بهـا ، ماذا كان له من عذر وراء هذا كله ••
ويقول أساتذة التاريخ ان المسلمين كانوا يبالغون فى التغاضى عن كيد اليهـود ، وسخائم نفوسهم ، درءا للشر ، وقمعا للفتنـة ، وابقاء على وحـدة الدولة متماسكة ، الى أن عادوا من غزوة بدر ، وفيهم معنى من الشعور بالقـوة والعزة ، وقد رأوا أنهم ليسوا بحاجة الى المصانعة والسـكوت ، أو ارخـاء العنـان للمعتدى ، وكان من شعراء هؤلاء النـاس من يهجو النبى وأصـحابه أمثال أبى عفك وكعب بن الأشرف الذى كان يحرض قريشا على الثأر لأصحاب القليب ، وفى هذا الوقت لم يجدوا بدا من استعمال الشدة ، والضرب على تلك الأيدى العابثة ••
وهذا الموقف الذى وقفه صلى الله عليه وسلم منهم ، والذى لم يكن قائما على أنصاف الحلول ــ كما يقولون ــ حين قضى بجـلائهم عن أوطانهم ، ونزولهم عن أموالهم وديارهم ، كان هو النتيجة الحتمية التى لا مفر منها لمن تكون نحيزته على هذا المثال من الشر والانحطـاط •• وقد برهنت الأيام على أن هـذا العلاج الذى أخذهم به صلى الله عليه وسلم كان لابد منه ، وفى هذا الصراع الذى يقـوم بينهم وبين غيرهم من الناس فى مختلف الأوطـان برهان لا شك فيه على أن استعمال القسوة معهم أقل ما يمـكن أن يكون فى تلافى ضررهم ، واتقاء آثامهم ، والحيلولة بين عدوانهم الذى تجنى به جماعاتهم على الانسانية فى مختلف العصـور والأزمان ، وهذا المقدار الذى قصه القرآن الكريم من تمردهم على الله وقتلهم الأنبيـاء بغير حق كفيـل ــ وحده ــ أن يجعلهم من الجرائيم التى يجب القضاء عليها ، والعمـل على تطهـير هذا الـكون من أذاهم الذى لا شك فيـه ، على أن الذى يقـارن تاريخهم المـاضى بتاريخهم الحـاضر لا يرى الا أن السلسلـة المتكاملة الحلقات يشبه بعضها بعضا ولا يتميز أولها عن آخرها فى قليل ولا كثير ، وبخاصـة حينما تضيف الى ذلك كله تعـاليمهم التى تمـلأ رؤوسهم أنهم شعب الله المختـار ، وأن السيادة لهم على الناس ، وأنهم بهذا الاقتصاد الذى يتلاعبون به ، ويتحكمون فيـه ، يشعلون نيران

الحــروب فى البسيطة ، ليصلوا من وراء ذلك الى أن يكون زمام العالم بأيديهم يتلاعبــون به ، ويضعــون الأغلال فى أعناق البشرية ، وهــذه هى السيادة التى يريدونها ، والتى لا تقوم الا على التمويه والكذب ، لأنهـــا ليست من الوجـــدانات والعواطف ، والقلوب والأفئــدة ، وسيظل حنق العـــالم يطاردهم ، وكراهيته تلاحقهم ، ولعناته تنزل على رؤوسهم ، وسيدركون فى يوم من الأيام ــ قريبــا أو بعيـــدا ــ أن الأسلوب الذى أخذوا أنفسهم به ، ليكونوا لبنــة فى هــذا المجتمـع الانسانى ، لم يصادفه التوفيق ، ولم يقتــرن بالســداد ، وكان السبب الأصيل فى فشله واخفاقه ، أنه كان قائما على الأثرة لا الايثار ، وعلى الكراهية لا على الحب ، وعلى الظلم لا على العدل ، وعلى الشره لا على القنــاعة ، وما بشىء من هــذه كله يصــلح الفرد لأن يكون عضــوا فى مجتمع ينشــد الانصاف والحب : والســـلام والأمن ، والهـــدوء والاســتقرار ، والبر والمعــروف ، والصفاء والسعادة ، ولكن الله الذى جعل الأمثلة للنــاس من الناس قد جعل منهم العظة لخلقه ، وما أكثر ما فيهم من الشواهد والعبر ؟

**د . ابراهيم على أبو الخشب**

# العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العظيم

## ( ١٨ )

### لغـــة دوليـــة

وصف الله كتـــابه الكـــريم بأنه نور مبين ، وأنه روح من أمره ، وأنه أنزله على رسوله ليخـــرج به النـــاس من الظلمات الى النـــور ، ووصفه فى كثير من الآيات بأنه عربى وأنه بلسان عربى مبين ، وقد أجمع فقهاء الاسلام على أن ترجمته الى لغة أخرى تذهب عنه صفة القرآن ؛ لأن أســـلوب الترجمة هو أســـلوب المترجم ومدى فهمه للقرآن الكريم وقد يخطىء فى فهمه كما يخطىء فى تعبـــيره ، وكتاب الله الخالد لا يأتيـــه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد ، وقد أمر الله المسلمين جميعا أن يقرءوا ما تيسر من القـــرآن ، وقد انعقـــد الاجماع أو ما يشبه الاجماع على أن الصـــلاة لا تتم الا بقراءة القرآن ، وقد عرفنا فيما سبق أن الامام أبا حنيفة رجـــع الى الاجماع المنعقد على أنه لا تجوز الصلاة الا بقراءة القـــرآن بأسلوبه العربى المنزل من الله ، ولهذا ذكـــر الزيلعى جـ ١ ص ١١١ وهو من كبار أئمة الحنفية بأنه « لا تجوز القراءة بالتفسير فى الصلاة اجماعا » . وأفتى المفسر الحنفى المشهور الآلوسى جـ ١٢ ص ١٥٥ من تفسيره بأنه : « من تعمـــد قـــراءة القـــرآن أو كتـــابته بالفارسية فهو مجنون أو زنديق ، والمجنون يداوى ، والزنديق يقتل » .

والصلاة عماد الاسلام ، من تركها جاحدا لها وجب قتله بوصفه مرتدا عن الاسلام منكرا لأركانه ، ومن تركها كسلا أو تهاونا فهو ــ على

أرجح الآراء ــ فاسق ، وعلى الامام أن يعاقبه فاذا أصر على تركها وجب قتله حدا كما يقتل الزانى المحصن ، قال صلى الله عليه وسلم : « ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » رواه مسلم والترمذى وأبو داود والنسائى ، وروى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » .

ولهذا قال الامام على وأحمد بن حنبل وابن المبارك بكفر تارك الصلاة جحودا أو تهاونا أخذا بظاهر النص .

ولما كانت الصلاة لا تتم الا بقراءة القرآن أصبح تعلم العربية وتلاوة القرآن فرضا على جميع المسلمين ، وحكم الدعاء فى الصلاة ، والتلبية والدعاء فى الحج ، حكم تلاوة القرآن الكريم فى أدائها بالعربية ، والاسلام يحض المسلمين حضا على تلاوة القرآن فى الصلاة وفى غير الصلاة ، روى البخارى وأبو داود والترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وروى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم : « ان الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب » وروى عنه صلى الله عليه وسلم من حديث آخر عن القرآن « .. من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم .. » .

ويجب على من قرأ القرآن أن يتدبره قال تعالى : « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب » وقد أنبأنا الله سبحانه أن من لم يتدبر آيات كتابه الكريم كان مثل من وضع على قلبه الأقفال وأوصده دون تلقى الرحمات، قال تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » ؟ ولا يمكن أن يتم هذا دون دراسة العربية وفقهها ؟ ولهذا انعقد اجماع الأئمة على وجوب دراسة العربية وعلى أنها مفروضة على جميع المسلمين ، وبهذا انتشرت فى ربوع القارات الثلاث المعروفة ، فى بدء الاسلام ، وأصبحت لغة العالم العلمية العامة عدة قرون ، فلما ضعف المسلمون وتفرقوا وذهب بأسهم انحسرت

العربية عن عدة بلاد اسلامية مثل الهند وايران وأفغانستان وتركيا وأندونيسيا ، ولكنها تركت آثارها العميقة فى هذه الشعوب من حيث وفرة ألفاظها وأشعتها الحضارية والروحية ، فمعظم مفردات الفارسية والأردية والبنغالية الآن ترجع الى أصول عربية ، هذا الى جانب أن الخط العربى هو وسيلة كتابة هذه اللغات .

ونحن نعلم أن المسلمين فى هذه البلاد وأمثالها يحفظون فاتحة الكتاب وبعض الآيات أو السور القصيرة بالعربية دون فهم أو تدبر ويؤدون بها الصلاة ولكن دعاء الله ومناجاته بألفاظ غير مفهومة للمصلى تجعل صلاته ناقصة وخشوعه غير تام ، وقد كتب الله الفلاح للمؤمنين « الذين هم فى صلاتهم خاشعون » وأوعد بالعقاب الساهين عن صلاتهم « ويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون » .

ولهذا لا نستطيع أن نفصل الاسلام عن العربية ولا أن نفصل العربية عن الاسلام .

*
* *

وعلى المسلمين أن يقوموا بالدعوة الى الاسلام ، وأن ينشروا مبادئه القويمة ومقوماته المثالية السامية . وأن يعرفوا شعوب العالم بدعوته التحررية الكبرى وحضارته المزدهرة ، وأن ينشروا هذا مترجما الى اللغات العالمية الشهيرة فاذا استجابت الجماعات المستنيرة من هذه الشعوب للاسلام لقنوها تفصيلات العبادات والمعاملات ، وعلموها العربية لسان هذا الدين القويم ، وترجمان القرآن الكريم وهذا ما فعله المسلمون الأولون كما أن عليهم الدعوة الى العربية وتيسير تعليمها وفهمها لجميع الأمم والشعوب لأنها لغة الاسلام ولأنها السبيل لأداء عبادات الاسلام .

ان العالم كله يشعر بحاجته الماسة الى لغة عالمية تربط شعوبه وتوحد ثقافاته وتكون وسيلة للتقارب الفكرى والتبادل العلمى والترابط الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ، ان الزمن يسابقنا وعلينا أن نسبق الزمن والا تخلفنا عن غيرنا بسبب ما استسلمنا اليه من تواكل واستهانة واستخفاف .

لقد نادى « ليبنتز » الفيلسوف الشهير بحاجة العالم الماسة الى لغة عالمية موحدة لتقريب المسافة بين بنى الانسان ولجعل التراث الانسانى وحدة منسجمة لا تناقض فيها ولا سوء ادراك ، وهو يرى أن هذه اللغة كفيلة بازالة ما بين الطوائف الدينية من خلافات كما أنها كفيلة بالمواءمة بين القديم والحديث .

وظل هذا الأمل يراود كبار الباحثين فى أنحاء العالم حتى اخترع الدكتور البولندى زامنتهوف لغة جديدة سماها لغة الاسبرانتو Esprantto واقترحها لغة للعالم كله وراعى فيها بساطة الكتابة ومطابقتها للنطق واقتبس معظم مفرداتها من اللغات الحية ، ولشدة حاجة العالم الى مثل هذه اللغة نشطت الدعوة اليها نشاطا كبيرا ، وأقبل عليها كثير من الباحثين فى أنحاء العالم ، ولا تكاد دولة من دول العالم تخلو من لجنة تضم عددا من المثقفين يتضامنون فى الدعوة لهذه اللغة ، وفى القاهرة جمعية تدعو لهذه اللغة وتحاول تيسير تعليمها لمن يشاء . وقد انعقدت عشرات المؤتمرات الدولية العديدة لأتباع هذه اللغة واجتمع فيها المندوبون من أنحاء العالم ، وزعموا أن حديثهم فى هذه المؤتمرات ـ على اختلاف جنسياتهم ـ كان يدور بهذه اللغة ، ويزعم بعض المتحمسين لها أن بعض الدول اعترفت بما لها من مزايا وقررت تدريسها فى بعض معاهدها واستعملتها للدعاية ولاجتذاب السائحين ، وأن بعض الاذاعات خصصت لها جانبا من الزمن مثل محطات باريس وفرسوفيا وفينا . وأن بعض البنوك والشركات التجارية أصبحت تستخدم هذه اللغة ، ونحن نعتقد أن فى هذا مبالغة كبيرة ، ولكن فيه دلالات قوية على شدة حاجة العالم الى لغة عالمية نابضة بالحياة زاخرة بالتراث الفكرى والعلمى تستعملها شعوب ودول عديدة تكفل لها استمرار الحياة لا لغة ميتة أو مصطنعة مثل الاسبرانتو التى يعرف أتباعها جيدا أنها لغة فقيرة فى القيم الانسانية الخالدة والتراث الفكرى المجيد ، وأنها لغة ميتة لا يتحدث بها أى شعب فى العالم كله .

وقد دفع هذا بعض المفكرين الى بذل محاولات جديدة ، فبذل الفيلسوف الفرنسى الشهير كوتودا جهودا جبارة لتكوين لغة جديدة سماها « الايدو » وهى تهذيب للاسبرانتو ، ووضع لها معجما خاصا ، ولكنها محاولة لم يصادفها النجاح • ومكان اللغة العالمية لا يزال شاغرا فهل تتقدم العربية لشغل هذا الفراغ ؟

ان الانصاف يقتضينا أن نذكر أن هناك طائفة كبيرة من علماء الاجتماع يرون استحالة وجود لغة عالمية موحدة ، ويستندون فى هذا الى أدلة عديدة أهمها :

١ ـ اختلاف التكوين الطبيعى لأعضاء النطق باختلاف الشعوب ، ويؤيد هذا أن بعض الشعوب تنطق حروفا صوتية على حين تعجز شعوب أخرى عن نطقها مثل حروف العين ، والصاد ، والضاد ، والظاء ، والباء الفارسية P والفاء المشبعة V والقاف •

٢ ـ اختلاف الظروف الجغرافية والطبيعية والاجتماعية توحى باختراع كلمات خاصة ملائمة تخالف الأمة فيها الشعوب الأخرى ، فالبيئة الصحراوية غير البيئة البحرية ، وسكان الجزر غير سكان الجبال ، وسكان المنطقة القطبية غير سكان الغابات الاستوائية •• ولكل بيئة مصطلحاتها وتقاليدها المتوارثة •

٣ ـ تختلف الشعوب تبعا لتفاوت مدى الثقافات العلمية والفنية وتبعا لاختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية • وهذا يستدعى اختلاف وسائل التعبير طبقا للمستويات المختلفة •

٤ ـ تفاوت الشعوب تفاوتا يقتضيه اختلاف المواهب والمدارك والمشاعر الوجدانية والتأملات الفلسفية ولكل حال ما يناسبها من وسائل التوضيح والتعبير •

٥ ـ الأمة الواحدة تختلف أحوالها من جيل الى جيل : فهى حينا قوية وحينا ضعيفة ، وهى تارة موحدة وتارة منقسمة • وهى آونة ناعمة تحت ظلال السلم وهى آونة مشتبكة فى حروب طاحنة مدمرة ، ولكل ظرف من هذه الظروف وسائله المناسبة فى أساليب التعبير •

ولهـذا كان لابد من وجـود الاختلاف فى الكلمات والأصـول والدلالات باختـلاف الشـعوب وباختلاف العصور .

ويضربون لهذا مثلا باللاتينية التى انفرط عقـدها الى لغات أوربيـة عديدة ، كما يضربون المثل باختـلاف اللغة الواحدة من جيل الى جيل ، فالانكليزية عند تشوسر وشكسبير غيرها عند أدباء الانكليزية الآن ، والفرنسية عند كورنى وراسين غيرها عند أدباء الفرنسيين اليوم ، بل ان الانكليـزية الآن فى انجلتـرا تغـاير الى حد كبير الانكليزية فى أمريكا من حيث النطـق والهـجاء ومدلولات الألفـــاظ ، حتى ان الانجليز يسخرون الآن من اللهجـة الأمريكية ، والأمريكان يسخرون من اللهجة الانجليزية ، ولا يتمالكـون أنفسهم من الضحك عند سماعها ، مما اضطرت معه القيادة الأمريكية فى الحـرب العالميـة الأخيرة الى اصدار أوامرها الى قواتها فى انجلترا بأن ينفذ كل جندى الأمر التالى : « لا تسخر باللهجـة البريطانية لأن لهجتك قد تكون مثـار سخرهم ، ولكنهم أكثر أدبا من أن يظهروا لك ذلك » .

* * *

ولهـؤلاء الباحثين نقـول : ان اختلاف التكوين الطبيعى لأعضـاء النطق واختلاف الظروف والأحوال والبيئات لا تمنع المثقفين من اتقان لغة أجنبية أو عدة لغات اتقانا تاما ، وبخاصة بعد أن تطورت وسـائل تعليم اللغـات بالطريقـة السمعية والبصرية مما ييسر على شـعوب العـالم أن تتفق على لغة موحـدة تتفاهم بها جميع الأمم والشعوب ، ولا يمنع هذا من أن تكون هناك لغة شعبية محلية لكل أمة أو عدة أمم خاصة ، ويساعد على ايجـاد اللغة العالمية عدة عوامل أهمها :

١ ــ التقارب العالمى الحـديث فقد تضاءلت أبعاد المسـافات تبعا لسرعة المواصلات ،فكل انسـان يستطيع أن يطوف الآن حول الكرة الأرضية فى بضعة أيام .

٢ ــ قوة وسائل الاعلام الحديثة فالصحف والمجلات العـالمية تطبـع ملايين النسـخ وتوزعهـا بأسرع

الطيارات النفاثة فى أنحاء العالم ، والاذاعة ألغت المسافات فاننا نستطيع أن نسمع فى القاهرة اذاعة لندن وباريس والهند وغيرها من الاذاعات العامة فى الوقت الذى يسمعها فيه المقيمون بهذه البلاد ، وبعد اختراع الأقمار الصناعية أمكن السماع والرؤية فى الوقت نفسه على بعد آلاف الأميال ؛ ولوسائل الاعلام آثارها فى تقارب الثقافات واللغات .

٣ ـ الظروف العالمية السائدة الآن فرضت التقارب الدولى بحيث لا تستطيع أى دولة أن تعيش منعزلة عن المجتمع الدولى بأى حال .

٤ ـ قامت هيئات دولية عديدة فرضت توثيق الصلات بين الأمم والشعوب مثل هيئة الأمم ومجلس الأمن ، ومحكمة العدل الدولية وهيئة الصحة العالمية ومؤسسة اليونسكو الثقافية ؛ وكلها تحدث آثارها العميقةفى التقارب بين مختلف الثقافات ، وشتى اللغات .

٥ ـ ان تشابك المصالح الدولية من حيث المؤثرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية يفرض عليها التقارب والتعاون مما يساعد على تقارب اللغات والثقافات وهذا هو طريق الوحدة العالمية المنشودة .

٦ ـ ومثل هذه الآثار العميقة تحدثها المؤتمرات الدولية العديدة ، وتبادل العلاقاتالتجارية ، والندوات العلمية الدولية ..

٧ ـ وأعمق من هذا كله تبادل الثقافات العلمية عن طريق أساتذة الجامعات والطلاب والبعثات العلمية والخبراء العالميين والزيارات العلمية والسياحية وتعاون الشركات العالمية ونشاط حركات الترجمات بين شتى اللغات ، وبخاصة فى مجال الثقافات المسرحية والسينمائية وأفلام التليفزيون .

ولهذا كله نشطت فى أرقى الدول جمعيات عديدة لغوية وفيلولوجية

تعمـل جاهدة لايجاد لغة عالمية أو الاتفاق على احدى اللغات الحيـة المعاصرة ، وقد تعـددت مقترحاتها حتى جاوزت الخمسين ، ولكل منها مبرراته كما أن لكل منها معوقاته ، ولكنها جميعها تحمل أقوى الدلالات على حاجة العالم الى لغة عالمية تلبى حاجة العـالم كله فى عهـد السرعة والتقارب والتطلع الى الاتحاد .

ونعود فنتساءل هل تتقدم العربية لشغل هـذا الفراغ ؟ سنحاول أن نجيب عن هذا فى المقال التالى ان شاء الله ؟

« للبحث بقية »

**على عبد العظيم**

# دروس من الهجرة

للأستاذ أحمد عمر هاشم

وقد أفاءت الهجرة النبوية على المحيط الاسلامي دروسا كريمة كان لها أكبر الأثر فى توجيه الحياة الى الرشد والسداد ، ولما كان للهجرة أثرها الجليل فقد اتخذت مبدأ للتاريخ ، فقد كتب أبو موسى الأشعرى الى عمر رضى الله عنه : أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ ، فجمع عمر رضى الله عنه الناس فقال بعضهم : أرخ بالمبعث ، وقال بعضهم: أرخ بالهجرة ، فقال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل ، فأرخوا بها .. وابتدأ التاريخ منها بالمحرم ، لأنه الشهر الذى ابتدأ فيه العزم والتصميم على الهجرة ، فان بيعة العقبة كانت فى شهر ذى الحجة ، فبدأ الاعداد للهجرة بعد البيعة وذلك فى المحرم .

اذا فان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يقطع بالرأى فى اتخاذ الهجرة مبدأ للتاريخ الا بعد المشاورة وأخذ الآراء ، حتى قيل ان البعض أشار أن يكتب بتاريخ الروم ، فقيل : ان الروم يطول تاريخهم يكتبون من ذى القرنين ، وأشار البعض بتاريخ فارس ، فقيل : ان فارس كلما قام ملك طرح من كان قبله فاجتمع الرأى كما سبق على الهجرة .. ومعلوم أن للتاريخ أهمية عظيمة ، فيه تعرف مواليد الرواة ووفياتهم وبه يمكن الوقوف على صدق الرواة وعدمه ومعرفة الأعمار وما الى ذلك من الفوائد ..

ولنمر سريعا على بقية دروس الهجرة المباركة ، ففيها تبصرة وعبرة لأولى الأبصار .

ولقد كان من أهم الدروس التربوية : الفدائية ، والتضحية التى قام بها أعظم نفر مثلوا أروع نماذج المجتمع الاسلامى فى جهاده وفدائه ، وهؤلاء هم :

١ ـ أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه الذى مثل رجولة الرجل والصديق .

٢ ـ على بن أبى طالب رضى الله عنه الذى ضرب مثلا بشبابه ظل أسوة على مر العصور لجميع الشباب .

٣ ـ أسماء بنت أبى بكر التى قامت بدور المرأة المسلمة ، وأدت واجب التضحية على أعظم مايكون .

٤ ـ عبد الله بن أبى بكر الذى قام بدور الاستطلاع ، فجمع أخبار الأعداء ، وهى مهمة من أخطر ما يكون ، انها ( المخابرات ) فى أشرف قصد وأسمى غاية لله ولرسوله .

٥ ـ عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الذى مثل الجندية الاسلامية فى أسمى معانيها وأدق صورها ، حيث قام بتوفير الأمان ، فرعى غنم الصديق ليروح الى الغار فى الليل ليأخذوا حاجتهم منها ، وليعفى بالغنم آثار المشى الى الغار فيضل عنهم الأعداء .

ومن دروس الهجرة كذلك : الثقة بالله وصدق الايمان به ، وماله من أثر فى حياة المسلم يجعله لا يخشى الا الله كما قال صلى الله عليه وسلم لأبى بكر حين قال له : لو نظر أحدهم الى تحت قدميه لرآنا ، قال : ماظنك باثنين الله ثالثهما ، لاتحزن ان الله معنا . كذلك كان من تعاليم الهجرة، بيان ثمرة الصبر ، وأن مع العسر يسرا ، وفضيلة الأنصار ، وايثارهم اخوانهم من المهاجرين ، نتيجة مؤاخاة الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم ، فأثمرت هذه المؤاخاة معانى اسلامية رائعة وكونت مجتمعا مؤمنا، يشرق بمكارم الأخلاق .

## فى الهجرة نصر وفتح :

وان حادث الهجرة النبوية لمن أروع الأحداث الشاهقة فى تاريخ الاسلام ، فقد انتصرت به أمة ، وفتحت له دنيا ، وتواكبت على مساره أجيال ، ولئن حفت به مخاطر مهولة، وتلاحقت عبر أيامه ظلمات جامدة فقد كانت بوارق الأمل تشرق فوق صحراء الزمن وتنبثق بين صخور الظلام رافعة شعارها الأخضر : « لاتحزن ان الله معنا » . ولقد عاشت الدعوة الاسلامية فترة ما قبل الهجرة على أشواك من الحياة الجافة

تحيط بها ضلالة الوثنية الرعناء ، وجهالة الشرك العنيد ، وانطلقت من هذه الظلمات المتراكمة عداوات واحن ، أخذت طريقها فى مطاردة الدعوة والداعية ، ومحاولة الاجهاز عليهما فى وقت واحد ، واتخذت قريش كل ألوان الأذى والعنت لتصرف الناس عن هذه الدعوة ، وتطفىء نورها بينهم ، وذاق المستضعفون من هذا الاضطهاد ما ذاقوا الا أنهم كانوا يستعذبون العذاب فى سبيل الله وكلهم يقين وثقة أن ليل التآمر والغدر لابد أن يسفر عن نصر قريب فكان المؤمنون متمثلين قول ربهم سبحانه وتعالى : «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب » ولقد بث الرسول صلى الله عليه وسلم فى أصحابه روح الايمان ، والصبر فى الأزمات ،يقول خباب بن الأرت : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة ، فقلنا له : الا تستنصر لنا ؟ فقال عليه السلام : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الأرض فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق ما دون لحمه وعظمه ، وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الا الله عز وجل أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون .

هذا والهجرة فى مفهومها الصحيح لم تكن فرارا ضعيفا من مطاردة المشركين ، لتختفى الدعوة وأصحابها عن تلك العيون المحدقة ، وانما كانت انتقالا ببذور الدعوة الى تربة صالحة يخرج نباتها باذن ربه ، واتجاها الى مناخ ملائم تترعرع فيه لتؤتى أكلها كل حين .

والحرب النفسية والمادية التى شنها أعداء الاسلام على الدعوة لم يكن القصد منها القضاء ـ فقط ـ على الداعية والمؤمنين التابعين له ، وانما كان أهم ما يعنيهم يومها أن تنتصر الوثنية وجندها ، وتنهزم هذه الدعوة الجديدة فلا يبرق لها شعاع بين أنحاء البلاد ، ولكنهم لم يستطيعوا اطفاء نورها ؛ لأن الله سبحانه يأبى الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وفى

مكرهم ومؤامرتهم لم يصلوا الى شىء؛ لأن رب الدعوة حارس لها ، ومؤيد رسوله : « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ؛ لذا كان تمسك أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوتهم ، وتغلغلها فى دمائهم وأرواحهم انتصارا للدعوة ، مهما بالغ الأعداء فى التنكيل بهم .

وان أمثلة الايمان والشجاعة التى ضربها أمثال بلال وآل ياسر وغيرهم انما كانت أنماطا صادقة الرؤى لانتصار الدعوة لدى هؤلاء المؤمنين المخلصين حتى ولو انتهى بهم الأمر الى القتل أو الموت خلال تمسكهم بدينهم وهجرتهم بدعوتهم ، قال تعالى : « والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسناوان الله لهو خير الرازقين» هذا وقد تحدث القرآن عن الهجرة حديث الانتصار قال تعالى : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

وقد أثمرت المؤاخاة التى أبرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكونت أساسا لأعظم مجتمع مثالى تألقت فيه معانى الحب والاخاء ، وأشرقت بين جنباته بطولة العقيدة التى حققت النصر فى الغزوات وتحقق على يديها الفتح المبين .

## لا هجرة بعد الفتح :

ولنختتم حديثنا عن الهجرة بهذا الحديث الشريف : عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح :

« لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، واذا استنفرتم فانفروا » .

كانت الهجرة فى مبدأ أمر الاسلام فرضا على من أسلم ، لأن عدد المسلمين بالمدينة قليل ، ولأن الحاجة الى اجتماعهم وتوحدهم ضرورية ، تقوية لجانبهم ، ونصرة وأمانا لهم ، حتى يسلموا من أذى قومهم من الكفار حيث كانوا يذيقونهم من العذاب والتنكيل ما يذيقونهم ، ويستغلون ضعف قوتهم فى محاولة ارجاعهم عن الدين ،ونزل فيهم قول الله تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة

ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض .. » وبعد أن فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة التى أخرجوا منها بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا حينئذ سقط فرض الهجرة ، وبقى فرض الجهاد فى سبيل الله والنية الصادقة المخلصة ، اذا دهم العدو البلاد .

وقد بقى من أنواع الهجرة : هجرة من أسلم فى دار الكفر واستطاع أن يخرج مهاجرا بعقيدته وعبادته . فالمفارقة انما تكون بسببين : الأول : الجهاد . والثانى : النية الصالحة ، كالفرار من دار الكفر والخروج فى طلب العلم ، والفرار بالدين من الفتن فما لم يستطع الانسان تحصيله بالهجرة يمكنه تحصيله بالجهاد والنية الصالحة ،

ثم وجه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين الى وجوب الاستنفار فى سبيل الله ، اذا طلب ذلك أولو الأمر « واذا استنفرتم فانفروا » سواء كان ذلك للجهاد أو نحوه من الأعمال الصالحة ..

نسأل الله تعالى أن يوفق أمتنا فى جهادها فى سبيل الله ، وأن يتمم لنا النصر الذى وعد به : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

**د . أحمد عمر هاشم**

# الراشي والمرتشي

للأستاذ عبد المنصف محمود عبد الفتاح

---

الرشوة : ما يعطيه الشخص لحاكم وغيره ، ليحكم له ، أو يحمله على ما يريد ، وجمعها : رشا .. يقال : رشوت فلانا أرشوه : أعطيته رشوة فارتشى : أى أخذ ، وترشيته : لا ينته كما يصنع الحاكم بالرشوة ، واسترشى فى حكمه : طلب رشوة عليه ...

والراشي : من يعطى الذى يعينه على الباطل .. والمرتشى : الآخذ ..

ورشوت الدهر صبرا ، حتى قضى لى عليكم ، وأصله رشا الفرخ رأسه : اذا مده الى أمه لتزقه .. واسترشى الفصيل طلب الرضاع ..

والرشوة : حرام بالاجماع سواء أكانت للحاكم أو للقاضى أو للعامل أو لغيرهم ، لما لها من آثار سيئة ، وعواقب وخيمة ، وأضرار جسيمة .. قال الله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » البقرة آية : ١٨٨ .. قيل : هو أن يدفع الانسان الى الحاكم رشوة ، ليحكم له ، أو يحمله على تحقيق رغبته .. والمعنى على هذا التأويل : لا تصانعوا الحكام بأموالكم ، ولا ترشوهم ، ليقطعوا لكم حق غيركم .. عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشى فى الحكم » رواه الترمذى وابن ماجة وابن حبان .. واللعن : هو الطرد والابعاد من رحمة الله .. وعن ثوبان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لعن الله الراشي والمرتشى والرائش » يعنى الذى يمشى بينهما .. وهو السفير بين المعطى والآخذ وان لم يأخذ على سفارته أجرا ، فان أخذ فهو أشد حرمة .. رواه أحمد والبزار والطبرانى ..

والرشوة التى تعطى للقاضى : ان كانت ليحكم له بغير حق فهى حرام على الآخذ والمعطى ؛ لأن الراشى يساعد المرتشى على تضييع الحقوق ، ويغريه بالرشوة على التحكم فيما هو حق لغيره ، فيستمرىء الحصول على المال ، من هذا الطريق غير المشروع .. والمرتشى : قد أخذ مال غيره ، ومنع الحق عن صاحبه .. وهو جور وظلم ..

وان كانت ليحكم له بالحق على غريمه فهى حرام على الحاكم دون المعطى ؛ لأنها لاستيفاء حقه ، وقيل : تحرم على المعطى أيضا ؛ لأنها توقع الحاكم فى الاثم ..

وأما الهدية : فان كانت ممن يهاديه قبل أن يعهد اليه بهذا المنصب فلا تحرم استدامتها .. وان كانت قد أعطيت له بعد أن ولى هذا الأمر : تزلفا أو لقضاء حاجة ، أو كانت ممن بينه وبين غيره خصومة عنده فهى حرام على الحاكم والمهدى ..

ولعل أشد وعيد ورد فى شأن الذين يمدون أيديهم الى الرشوة أو بها ، ذلك الداء الوبيل والمرض الخطير ، الذى يودى بحياة المجتمع ، ما رواه الطبرانى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الراشى والمرتشى فى النار » وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ولى عشرة فحكم بينهم بما أحبوا أو بما كرهوا جيء بمغلولة يده ، فان عدل ولم يرتش ولم يحف فك الله عنه ، وان حكم بغير ما أنزل الله وارتشى وحابى فيه ، شدت يساره الى يمينه ، ثم رمى به فى جهنم ، فلم يبلغ قعرها خمسمائة عام » رواه الحاكم ...

وروى عن مسروق رضى الله عنه : أنه كلم ابن زياد فى مظلمة فردها ، فأهدى اليه صاحب المظلمة وصيفا فرده ولم يقبله .. وقال : سمعت ابن مسعود يقول : « من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلا أو كثيرا فهو سحت !! فقال رجل : يا أبا عبد الله ما كنا نظن أن السحت الا الرشوة فى الحكم ، فقال : « ذلك كفر ونعوذ بالله » .. ( أى لمن استحل ذلك ) ومصداق هذا ما رواه الطبرانى بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « الرشوة فى

الحكم كفر ، وهي بين الناس سحت » ولم يفت ابن مسعود أن يفسر السحت بقوله : « السحت : أن تطلب لأخيك حاجة ، فتقضى فيهـدى اليك هدية ، فتقبلها منه » •• قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : « هدايا العمـال سحت » وفى رواية أخرى : « هدايا العمال غلول » الامام أحمـد عن أبى حميد الساعدى ••

وروى ابن سعيد عن طريق فرات ابن مسلم قال : « اشـتهى عمر بن عبد العزيز التفاح ، فلم يجد فى بيته شيئا يشترى به !! فركبنا معه فتلقـاه غلمـان الدير بأطبـاق تفاح فتنـاول واحدة فشمها ، ثم رد الأطبـاق •• فقلت له فى ذلك ، فقال : لا حاجة لى فيه •• فقلت : ألم يكن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما : يقبلون الهدية ؟ فقال : انها لأولئك هدية ، وهى للعمال بعدهم رشوة » ••

وكثيرا ما كان يحمل الورع بعض الولاة والقضاة الأتقياء على طلب الاقالة من مناصبهم ، مختارين طائعين ، مخافة الوقوع فى خطر الرشوة الداهم ، أو الاحتراق بما يتطاير من شررها ••

روى أن عافية بن يزيد القاضى كان يلى القضاء ببغداد للمهدى ( الخليفة العباسى ) فجاءه يوما وهو خال ( أى ليس معه أحد ) فاستأذن عليه ، فلمـا دخل طلب منه أن يعفيه من القضاء ، وأن يقيله من ولايته ، فظن المهدى أن بعض الولاة قد عارضه فى حكمه ، فكاشـفه بظنـه وقال له : ان كان عارضـك أحد لتنكرن عليه ذلك !! فقال القاضى : لم يكن شىء من ذلك •• قال المهدى : فما سبب استعفائك من القضـاء ؟ قال : يا أمير المؤمنين تقدم الى خصـمان منـذ شـهر فى قضية مشكلة وكل يدعى بينة وشهودا ويدلى بحجج تحتاج الى تأمل وتثبت •• فـرددت الخصـــوم رجـــاء أن يصطلحوا ، وأن يظهر الفصل بينهما •• فسمع أحدهما أنى أحب الرطب •• فعمد فى وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب فجمع رطبا ما رأيت أحسن منه ولا يتهيأ فى هذه الأيام جمع مثله لأمير المؤمنين ، ورشا بوابى بدراهم ، على أن يدخل على الرشـوة ، فلمـا أدخلهـا على أنـكرت ذلك وطردت بوابى •• وأمـرت برد الـرطب الى الرجل ، فرد عليه •• فلما كان اليوم: وهو يوم المحـاكمة ، والفصـل فى

القضية ، تقدم الخصمان فما تساويا فى عينى ولا فى قلبى .. فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل ، فكيف يكون حالى لو قبلت ؟ ولا آمن أن تقع على حيلة فى خلقى ودينى .. وقد صار بعض الناس الى ما رأيت !! فأقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله من المحن والعثرات، واعفنى عفا الله عنك !! ..

قبيح بنا أن نتقدم بالرشوة الى من بيده انجاز أعمالنا ونحاول أن نميله لأخذها ، فنجنى عليه شر جناية ، ونعوده على مخالفة القوانين القاضية بتحريمها ، ونعلمه الطمع والجشع ، ونلفته الى شىء قد لا يكون فى حسبانه ، ولم يتعود عليه من قبل ، وفى هذا افساد لنفسه ، وتخريب لذمته ، وبيع لضميره بدراهم معدودة وأقبح من هذا وأفظع أن نحاول بالرشوة أو المحسوبية أو المحاباة ، تخطى ذوى الجدارة والكفاءة فى الوظائف والأعمال ، أو الحصول على ما ليس من حقنا ، أو الحاق الضرر بغيرنا ، فان ذلك من الاثم بمكان كبير ..

**محاسبة الحكام للولاة والعمال :**

ولا يتبادر الى الذهن ، أن تحريم الرشوة قاصر على الحكام والقضاة فحسب بل انه يشملهم وغيرهم من كل من ولى من أمور الناس شيئا .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا ، فما أخذه بعد ذلك ، فهو غلول » ..

عن أبى حميد الساعدى أنه قال : « استعمل النبى صلى الله عليه وسلم ابن اللتبية على صدقات بنى سليم،فلما جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وحاسبه : قال : هذا الذى لكم ، وهذه هدية أهديت لى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلا جلست فى بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا .. ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد : فنى أستعمل رجالا منكم على أمور مما ولانى الله فيأتى أحدكم فيقول : هذا لكم وهذه هدية أهديت لى .. فهلا جلس فى بيت أبيه وبيت أمه ، حتى تأتيه هديته ان كان صادقا .. فوالله لا يأخذ أحدكم منها شيئا بغير حقه : الا جاء الله يحمله يوم القيامة ، فلأعرفن أحدا منكم لقى الله ، يحمل بعيرا له رغاء ، أو بقرة

لها خوار ، أو شاة تيعر .. ثم رفع يديه حتى رؤى بياض ابطيه .. ألا هل بلغت » .. رواه البخارى ومسلم فقد أنكر النبى صلى الله عليه وسلم على عامله المذكور ، أخذه الهدية ؛ لأنها هدية تهدى لأجل علة .. وفى الحديث : دلالة على أن هدايا العمال يجب أن تجعل فى بيت المال ، وأنه ليس لهم منها شىء ..

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بلغه أن عامله على مدينة حمص ، اشترى دارا بسبعة آلاف درهم ، فاستدعاه اليه وسأله .. كم راتبك فى اليوم ؟ قال : ثلاثة دراهم ، فقال عمر : فما تصنع بها ؟ قال : أعود بدرهمين على عيالى وأحتفظ بدرهم .. قال : كم لك فى عملك ؟ قال : سنتان، فقال عمر بعد حساب يسير : ان ما يمكنك أن تقتصده فيهما : سبعمائة درهم فمن أين جئت بالباقى ؟ قال الوالى : كانت تصلنى هدايا من بعض الناس .. قال عمر : لو كنت فى بيتك ولم تكن حاكما ، أكان يهدى اليك ، ثم أمر بعزله عن الولاية ، ومصادرة أمواله ووضعها الى بيت مال المسلمين ..

وسمع ذات يوم أن أبا سفيان بن حرب عاد من الشام بعد أن زار ابنه معاوية فيها ، وكان واليا عليها .. ولما أقبل عليه أبو سفيان قال له عمر : أجزنا يا أبا سفيان ( أى اعطنا جائزة مما عندك ) فقال أبو سفيان : ما أصبنا شيئ فنجيزك !! ..

فنزع عمر رضى الله عنه خاتمه من يده ، وأرسله الى هند زوج أبى سفيان ؛ ليكون معه أمارة على أنه موفد اليها من عنده ، وأمره أن يقول لها : انظرى الخرجين اللذين جئت بهما فابعثيهما ، ثم استبقى أبا سفيان عنده .. وذهب الرسول ودعا بالخرجين وفيهما عشرة آلاف درهم ، فأخذها عمر ووضعها فى بيت المال ..

هكذا تكون محاسبة الحاكم لعماله وذويهم ، والتشديد عليهم ، والتفطن لأحوالهم ، وعدم الغفلة عنهم ، لئلا يتخذوا من جاههم أداة يبتزون بها أموال الرعية ، ويجمعون الثروات الطائلة عن طريق الهدية ، أو ما يسمى بالكسب غير المشروع ؟

**عبد المنصف محمود عبد الفتاح**

# العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال الدين

---

## (١٥)

كان « الحكواتى » العربى القديم يمثل حكاياته أمام حشود من الناس فى الأسواق والساحات الواسعة أو الميادين الكبيرة حيث يحتشدون بعد عمل أو تجارة أو صلاة جمعة أو عيد أو مناسبة دينية معروفة ، وقد يتخذ أحيانا صحن المسجد أو الدار الكبير مسرحا له ، وقد يقف على منصة عالية أو يجلس على دكة خشبية أو بين الناس ، وحيث انه كان يلقى حكايته بصفةمستمرة دونانقطاع الا لاستراحة قصيرة يسترد فيها أنفاسه ، ويستريح فيها المشاهدون قليلا ، لذلك لم يكن هناك وقت لتغيير ملابسه ، وانما كان التلوين الصوتى يعطى سمات الشخصية التى يحكى عنها ، الى جانب تغيير غطاء الرأس فقط أثناء العرض لبيان الحرف المختلفة أو لتباين الأعمار أو لتقديم الأنماط المختلفة من الجنسيات، كما كان يستعين على تقديم فصوله باستعمال منديل وعصا فتصحب دقات العصا النمر التى يقلد فيها الوحوش والطيور(١) .

وهكذا كان الحكواتى يقوم مقام فرقة مسرحية بأكملها ، وقد يستعين بزميل أو زميلين له يساعدانه فى تصوير الشخصيات أو يردان عليه بعض جمل الحوار ، أو بتقليد حركات معينة ، حتى لقد بلغوا خمس شخصيات فى نهاية العصور الوسطى العربية ، أما الجمهور المشاهد فقد كان يسمع ويرى ويعجب بالتصفيق تارة ، وبالكلمات تارة ، وبالتعاطف حركة وشعورا فى بعض الأحيان . وكان الحكواتى يقلد بالحركة

---

(١) دراسات فى المسرح والسينما عند العرب . ص ٤٠

والاشارة والصوت ، لدرجة تقنع مشاهده بواقعية ما يقدمه كأن يقلد بصوته مواقف الوعيد والزجروالغضب ويحكي بنبراته مشاعر الفوز والنصر والغزل ، وقد يقلد غير العرب في لهجتهم وحركاتهم ، ويعمد في كثير من الاحيان الى ابراز ما يشبه الحوار بين رجلين أو امرأتين أو رجل وامرأة ، أو بين أطفال .. وهكذا .

أما لغة التمثيل فكانت الشعر أحيانا والنثر في كثير من الأحيان وكان يقوم مقام الربط والنقل والتركيز بين الأحداث ، وقد يصحب آلة موسيقية معه لتقوم بدور الايقاع أو الايحاء بمعنى معين لتأكيد الحدث أو الحكاية، أما التمثيل عند الحكواتي فهو يعتمد على قدرته في التعبير بالصوت والنبرة والاشارة والحركة ، وكنموذج لما عثرنا عليه من حوار في هذا اللون من التمثيل العربي القديم نقدم جزءا من حوار يدور بين الجازية والحارس في سيرة بني هلال(١) ، فالحارس يقف على باب تونس ، وهي تحتال عليه لكي يفتح الباب لها ولجمع من النسوة من بني هلال وقد تنكرن في زى البائعات ومعهن أبو زيد الذى تنكر هو الآخر في زى امرأة على الرغم من سمرة بشرته :

الجازية : يا بواب منصور ، افتح لى باب السور ، ندخل بدستور ونبيع العطارة .

الحارس : المفتاح ما هو بيدى ، أروح أشاور سيدى ، ذا الباب الحديدى ، فتحه مشاورة .

الجازية : افتح وكن طايع ، جبنا لك بضايع ، وتحت بدايع تصلح للامارة .

الحارس : لا أفتح ولاش ، ولا عقلى بلاش ، ان كنتم عطاش اشربوا من البيارة .

وهكذا يستمر الحوار بهذه اللغة الشعرية ، وبهذا الأسلوب المسرحى الخالص ، وهو أسلوب ينقل لنا لغة العصر ، أو لغة الحديث المتداول في وقته ، كما أنه ينقل لنا صورة واضحة من العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة .

---

(١) الشاعر والربابة : بحث لعبد الحميد يونس ـ مجلة المجلة العدد ٣٨ فبراير ١٩٦٠ ص ٢٢ ـ ٢٩

عرف الحكواتى فى البلاد العربية، وأخذ فى كل منها صورة المجتمع ، باختلافات لا تكاد تذكر ، فهو فى تونس مثلا كان يسمى « راوية » ، يجلس على منصة عالية جدا ، ومعه عصا طويلة يرد بها على المتخاصمين والمتناحرين حول أبطال السير الشعبية (١) ، ويمنعهم من أن يقتتلوا حول مصائر الأبطال ، ويدافع بها أيضا عن نفسه حين تقضى وقائع السيرة أن ينتصر بطل على بطل فيثور أنصار المهزوم ، بل قد تصل الى ضرب الراوية أيضا .

وهذا المسرح كان يطلق عليه فى المغرب اسم « مسرح الحلقة » وهو عبارة عن تجمع لعشرات من المتفرجين على شكل حلقة يدور فى وسطها التمثيل ، أما الممثلون فيقومون بأدوار ثابتة ، يعرفونها مسبقا ، ويلبسون ملابسها الملائمة ، ويديرون ظهورهم أو وجوههم الى المتفرجين لكى يروا التعبيرات المختلفة التى تتناسب معها ، وقد يصل ذلك الى حد اشراك المتفرجين معهم فى الاهتمام بالعرض عن طريق دعوة واحد أو أكثر منهم الى المساهمة فى التمثيل بين الحين والحين وذلك عن طريق توسيع الحلقة أو تضيقها ، أو الصلاة على النبى وأولياء الله الصالحين ممن يتواجدون فى منطقة التمثيل (٢) .

وفى الجزائر كان يجرى هذا اللون من تمثيل الحكواتى فى ساحة القرية ويدور الحوار فيها بين شخصين يؤديان بعض المشاهد الفكاهية التى تتناول موضوعات تتعلق بأحوال القرية ، وأحيانا يمثلان مشاهد قصيرة تتخذ أسلوب ( المونولوج ) حيث يقلد الممثل الذى كان يطلق عليه اسم الجوال شخصيات الفارس والمناضل والبطل القومى ، وقد ظلت هذه الصورة للجوال فى الجزائر فترة طويلة حتى جاء الاحتلال الفرنسى فأبطلها — مع ما أبطله من صور وألوان أخرى — عام ١٨٤٣ لكثرة ما كان يسخر من جنود الاحتلال وأساليبهم فى معاملة الشعب (٣) .

(١) الكوميديا المرتجلة فى المسرح المصرى — على الراعى — كتاب الهلال رقم ٢١٢ نوفمبر ١٩٦٨ ص ٧ — ٨

(٢، ٣) المسرح الجزائرى — ارليت روث — عرض سمير عوض فى مجلة المسرح العدد ٤٩ يناير ١٩٦٨ ص ٦٢ — ٦٥

أما فى تركيا ، التى ما زالت تعد دولة اسلامية لها صلات وثيقة بالعرب والعربية منذ الدولة العثمانية وما قبلها والى الآن ، فقد عرفت ألوانا درامية منذ غزاها السلاجقة فى أوائل القرن الحادى عشر (١٠٧١ م) • فقد عثروا فى سهول آسيا الوسطى على نصوص من المجادلات والمحاورات العلنية التى يمكن اعتبارها مسرحيات مرتجلة من فصل واحد ، وهذا دليل على أن الدراما عرفتها تركيا قبل هذا التاريخ، أما العثمانيون فكان من المعروف أنهم مولعون بفنون الرقص الحماسى والغناء الفردى والجماعى ، والمحاورات المرتجلة التى كانت تعبر عن نوع خاص من ألوان الفن الدرامى ، لذلك فقد تكونت فى كل فصيلة فى الجيوش العثمانية فرقة تقدم هذا اللون ، وتضم ممثلين وراقصين ومغنين محترفين ، وقد أثبتت الأوصاف التى تركها مؤرخو المسرح التركى (١) أن ثمة نوعا من التمثيليات كان يقدم أثناء الاحتفالات والأفراح ، وهى تمثيليات فكاهية يقوم بها الممثلون الرجال وحدهم ، وكانوا يعتمدون على الارتجال وحضور البديهة دون نص مكتوب ، مع القدرة على الابتكار فى الحوار الذى يدور بينهم ، وقد ظل هذا اللون سائدا فى تركيا حتى أواخر القرن التاسع عشر حيث عرفت المسرح بشكله المعاصر ، وبتوافد الفرق المسرحية الأجنبية عليها •

ولقد عرفت مصر الممثل الجوال أو الحكواتى بصور مختلفة ، عرفت « المحبظ » أو الممثل الفرد الذى كان يعرض فنه فى حفلات الزواج والختان فى بيوت الأغنياء وكان يجتذب اليه حلقات من المتفرجين والمستمعين فى الأماكن العامة ، وكان اما رجلا أو صبيا ويؤدى أدوار النساء بعد أن يرتدى زيهن ، أما العرض فقد كان يبدأ بالموسيقى والرقص ثم يليه مشهد مسرحى يحتوى على قصة كملة من لون النقد الاجتماعى • وقد يقوم بالأدوار أكثر من محبظ واحد لعرض جوانب القصة وشخوصها ، ووسط حلقة يتبادل فيها الممثلون مع الجمهور بعض النكات والتعليقات ، يعد بعضها

---

(١) المسرح فى تركيا ــ فصل من كتاب الوان من النشاط المسرحى فى العالم . مختار السويفى ــ كتب ثقافية ــ الدار القومية للطباعة والنشر ــ العدد ١٦٨ عام ١٩٦٢ ص ٤٧ ــ ٤٩

مسبقا ، ويرتجل البعض الآخر أثناء التمثيل عفو الخاطر ، لأن الممثل كان يعد مؤديا ومؤلفا معا ، دون تخصص فى عمل معين ، وكان تجاوب الجمهور معه يجرى بالتعليق أو الاستحسان المسموع أو التنديد المصحوب بالعنف، ويروى الرحالة الدانمركى كارستين نيبر (١) أنه شاهد مسرحية مصرية عام ١٧٨٠ تمثل باللغة العربية ، وكان يؤدى الدور الرئيسى فيها - وهو دور سيدة - ممثل لم يستطع أن يخفى لحيته الكبيرة ، مما جعل المتفرجين لا يقتنعون بالدور ويكرهون الممثلين على التوقف ولما تبلغ المسرحية منتصفها ، وكان التمثيل فى مصر فى ذلك الوقت ينزع الى وصف الحياة الشعبية ، واستخدام اللهجات الخاصة وسيلة للاضحاك ، الى جانب الرغبة فى الارتجال الذى كان معروفا وممارسا فى التجمعات الشعبية المختلفة منذ أيام الفاطميين ومن قبلهم ؟

**محمد كمال الدين**

(١) الكوميديا المرتجلة - على الراعى - ص ٢٠

# من وحى المعركة فى العاشر من رمضان

للأستاذ محمود بكر هلال

مصرُ التى كانت تَئِنُّ مـــن الأَسَى باتت قَرِيرَهْ
والأُمَّةُ العمياءُ من آلامها صارت بصيره
وغَدَتْ بإكبار الشعو ب لماَ بَدَا منهاجديره !!!
ومَحَتْ عن العَرَب المذلـ ـةَ وهْىَ قادرةٌ قديرَه
حِينَ استعاد الجيشُ فى سيناءَ أَمجادًا كبيره
وقضى على أُكذوبة عن جيش صهيونٍ حقيره
قالوا بأَنهمُ الصقو رُ فلا تَخُورُ لهم مَسيرَه
وهُمُو إذا نَشِبَ القتا لُ أُسودُ غابات خطيره
والعُرْبُ أصفارٌ وليـ ـس لوضعها فى الغَدِّ سيرَه !!!
ولقد هزمناهم وبا توا خاضعين بَشرٍّ حِيرَه !!!
وتفرقوا بَدَدًا ولم تَضْمُدْ جيوشهمُ الكثيره !!!
والناسُ كادُوا يؤْمِنو ن بهذه الدعوى الصغيره
بل رَدَّدُوها طيلَةَ السَّنَوَات فى لُغَــةٍ مُثيره
حتى استرد الجيشُ فى الجولان أَمجادَ العشيره

واجتاح كالإعصارِ ما قد شيدتْ جولدا مَئيرَه !!!
فوق القنال وخطِّ بَر ليِف وسيناءَ العَسيرَه
وَانْدَاحَ كالتيَّار لَمْ يَرْهَبْ لصهيونٍ سعيرَه !!!
عَبَرَتْ جيوشُ محمدٍ أَقْوَى موانعِها الغزيره
ومَشَتْ على أَمواجِهَا فى لحظةٍ صُغرى قصيرَه
وأتَتْ بما لم يستطعْ جيش بمعجزة خطيره
وانقض يقتحم الحصو نَ وصارَ مَن فيها أسيرَه
ضاقت بصهيونَ الذى خانَ الأَماناتِ الكبيرَهْ
وتبسمت سيناءُ بَعْد عبُوسها وغَدَتْ قريرَه
وعَلاَ بها اللهبُ المقدسُ يُحْرِق الفئةَ المَكيره
ويُطَهِّر الرَّمْلَ الذى قد دنَّسُوه فى الجزيره
دَأبُوا على العدوان والنكرانِ والخطط الحقيره
من عَهْد أيام الكليم وهُمْ على تلك الوَتيره
فهمو الطَغاةُ ودأبُهم بَغْىٌ وأفعالٌ صغيره
لايَأبَهُونَ بأَىِّ دين أو بعَهْد أو شعيرَه
بل دينهُم نهب الوَرَى من غَيرِ ذنب أو جريره
والله أنذرهم فَلَم يَرضَوْا ولم يَخْشَوْا نذيرَه
والكفرُ فى دمهم وفى أعماقهم وله خميرَه

وغَدًا سيأفُلُ نجمهُم ويقررُ الباغى مَصيرَه

وغدًا سترجع أرضُنا وهْى المطهَّرَةُ المُنيره

وتَرِفُ أعلامُ السلا م على فلسطينَ الأثيرَه

فلقد عزَمنا والعزيمةُ فى كتائبنا كبيره

أن نسترد حقوقَنا وكرامَةَ الوادى وفيره

بقيادة السادات كا ن اللهُ مولانا نصيرَه

**محمود محمد بكر هلال**

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **دولة الفكرة**
**التى اقامها الرسـول عقب الهجـرة**
**تاليف : الأستاذ فتحى عثمان**

هـذا الكتيب الذى نشرته مكتبـة وهبة بالقاهرة يقع فى أقل من مائة صفحة من القطع الصغير ، ولكن على الرغم من صفحاته المعدودات ، يعرض دراسة موضـوعية مركزة ، عن قضية ما يزال لها خطرها فى حياتنا كشعب مسلم يبحث عن حقيقة نفسه ..

وقد أوجـز الناشر منهـج هـذه الدراسة التى ترى : أن دولة الفكرة التى أقامها الرسول عقب الهجرة هى حلم البشرية ، انها دولة لا تقوم على حتميـة ظروف الأرض أو الـدم ، ولكنها تقوم على اختيار الانسان بوعيه الكامل وارادته الحـرة ، وبالنسـبة للفـكرة : فكل أرض سـواء ، وكل سلالة سواء ، انها تخاطب الفكر فى أى انسان وكل انسان .

اذن فلم تكن دولة الفـكرة دولة مكة أو قريش ، ولا دولة المدينـة أو الأوس والخزرج ، بل كانت دولة الاسلام المعروض على عقل كل انسان، دولة التقى فيها المهاجرون والأنصـار مع صهيب الرومى ، وبـلال الحبشى وسـلمان الفارسى .. هذا اللقـاء التاريخي الفريد ، فكانوا جميعا أعضاء مؤسسين ، ومواطنين أصـلاء فى هذا المجتمع وهذه الدولة ، وهكذا تحقق الحلم المنشود فى ذلك الزمن السعيد.

والمؤلف الذى قـدم الى المكتبـة الاسـلامية عديدا من الدراسـات الاسلامية الواعية الهادفة يحمـل الى جانب تخرجه فى كلية الآداب ـ مؤهلا عاليا فى الدراسات القانونية ، أقول ذلك لأن قيـام دولة ـ أية دولة ـ يحتاج الى التكييف القانونى ، وهـذا مما يجعل للدراسة قيمتها ـ ولا سيما عند ما عرض المؤلف للبناء القانونى لدولة الاسلام ..

في الدراسة التي بين أيدينا سبع نقاط جوهرية بحثها المؤلف :

تقويم جديد وتاريخ جديد ــ دولة الهجرة ــ البناء القانوني ــ الكيان المعنوي ــ دولة أيديولوجية ــ دولة عالمية ــ العقد الاجتماعي والتضامن الاجتماعي .

ويشير المؤلف الى أن الانسانية تحلم بالدولة الايديولوجية ذات الفكرة والعقيدة ، كما تحلم بالدولة العالمية ، ولا جدال في أن الكتلتين الكبيرتين في العالم تحاولان تحقيق هذا الحلم ، الا أن الكتلة الغربية تبرز فلسفتها في الجانب السياسي وهو عرضة للتغيير ، والكتلة الشرقية تجد هذا الطابع أبرز ، لكنه لم يجنب أهله الشقاق ، وكثيرا ما يهتز حين يختنق بمسلمات الحتمية التي تقوم عليها الفلسفة الماركسية ، هذا ــ وليس نجاح الكتلتين أكبر في مجال تحقيق الدولة العالمية ، فالعالم الحر (الغربي) تنغصه الحزازات الأمريكية والانجليزية والفرنسية وغيرها ، والدول الاشتراكية عالمية من الناحية النظرية ، ففي الاتحاد السوفيتي مثلا أكثر من مائة قومية ، لكن العبرة في الطابع العالمي للدولة ، هو في قيامه على الاختيار الحر ، وتحقيقه المساواة بين جميع عناصر التركيب الاجتماعي للدولة : أفرادا وأمما ...

أما دولة الهجرة .. فقد كانت عالمية كما كانت ايديولوجية ــ على أساس من الواقع التاريخي الأمين ، وهذا كتاب رسول الاسلام ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ الذي يحدد الدولة الجديدة ــ كما أورده ابن هشام ، وقد ورد في ديباجته :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، انهم أمة واحدة من دون الناس » .

وفي هذا اعلان صريح للأساس الايديولوجي العالمي للدولة الجديدة ، انها أمة الفكرة والعقيدة من دون الناس ، باب الولوج اليها هو الايمان ، ويستوي الجميع في الانتماء اليها .

وبعد ــ فلا ريب في أن المؤلف قدم لنا دراسة قيمة في موضوع جدير بالعناية ، وقد امتازت الدراسة بالمقارنة

التى يجب أن تحفل بها أية دراسة اسلامية جادة .. لكن كنت أود أن يعنى المؤلف بما وجه الى الاسلام من اعتراض على عالمية دولته وفكرته ، فالمستشرقون بل وبعض كتابنا المنتمين الى الاسلام والمتأثرين بهم يصرون فى كتاباتهم على الصاق العنصرية بالاسلام وفكرته ودولته ـ كذلك أحال المؤلف القارىء الى مؤلفاته كثيرا ، وأسهب كثيرا فى النقل من كتب أخرى ... وأخيرا كنت أود أن لا تخلو هذه الدراسة من عرض للواقع الأليم لدولة الاسلام ، ومن مجابهة للتحديات العنيفة التى تهب على الفكر الاسلامى من كل صوب وحدب ...

قراءات :

« ان دافع الاستشهاد فى سبيل العقيدة هو الذى جعل من جنود الاسلام قوة لا تقهر ، لقد تدفق أتباع محمد عبر العالم كله ، فلم يمض مائة عام حتى وصلوا الى أسبانيا غربا ، ونهر السند شرقا ، وأصبحوا سادة على امبراطورية أعظم من امبراطورية روما فى أوج قوتها ، وقد حدث ذلك لأن الدافع المحرك للمحارب المسلم كان هو الايمان » .

من كتاب « الدعوة الى الاسلام » لسير توماس أرنولد .

**محمد عبد الله السمان**

# هل حقق كتاب "المقرب لابن عصفور؟"

نقد ودراسة للأستاذ أحمد اللبيب

(١)

كنت أبحث في صور مخطوطات تتعلق بموضوع رسالتي التي أعدها في القرآن الكريم وذلك في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، ومن بين المخطوطات : كتاب المقرب في النحو لابن عصفور وشروحه ، وقد وقعت على نسخة مطبوعة في المعهد من هذا الكتاب هي الجزء الأول بتحقيق الأستاذين أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبورى - مطبعة العانى ببغداد - فسررت بذلك ، لأن كتاب المقرب أصل من الأصول النحوية ، ولكن سرورى بالجزء المحقق لم يدم لما يأتي :

١ - فتحت الكتاب لأستعرض موضوعاته فلم أجد لها فهرسا اطلاقا ، فعجبت لكتاب مطبوع في أواخر القرن العشرين بدون فهرس ، والعجيب أن المخطوطة التي اعتمدا عليها في التحقيق رقم ١٦٧ - معهد المخطوطات في آخرها فهرس لموضوعات كتاب المقرب .

٢ - بدأت أقلب الصفحات حتى وقعت على الموضوع الذي يتصل بموضوع رسالتي ، وقرأت الموضوع فاذا النص مضطرب : ما بين حذف « جواب أداة » وتمثيل على عكس مذهب صاحب الكتاب ، وزيادة متوهمة أنها مرادة وليست كذلك ، وكل هذه الأخطاء العلمية في ثلاث صفحات من الحجم الصغير ، ثم قلبت باقي الصفحات فحصرت ملاحظاتي على ما في مبحث القسم[١] وحده ، وسيأتي تفصيلها .

٣ - نظرت في أسفل الصفحات المذكورة لعلي أجد تثبيت خلاف وارد

(١) القسم بفتح القاف والسين .

بين النسخ أو تعليقا يشير الى تصويب بعض ذلك أو خفائه ، فلم أجد شيئا من ذلك .

٤ ـ وجدت فى وسط الكتاب وريقة منفصلة مفردة فيها بعض تصويبات فتفاءلت بها ونظرت فى أرقام الصفحات المذكورة فيها فلم أجد أى شىء فى الصفحات التى سأعرض ما فيها من تحريفات ، ولم تكن تلك التصويبات شيئا مذكورا بالنسبة لما فى الجزء ، اذ أنها واضحة وقسط منها فى التعليق الوارد على بعض الصفحات فى الكتاب وليست من النص فى شىء لأنها مدركة لدى القارىء .

٥ ـ رجعت الى المقدمة فاذا فيها النص الآتى ص ٢٨ ( اتبعنا فى تحقيق المقرب المنهاج الآتى وصفه ـ ١ ـ تحرير النص كما ينبغى التحقيق ، ٢ ـ اثبات الخلاف الوارد بين النسختين ) . فهل الأمر كذلك ؟!

( ٢ )

أما الأخطاء الواردة فى الصفحات الثلاث فهذا بعض منها :

التحريف الأول والثانى :

ص ٢٠٥ النص المطبوع المحقق ( وأما الحروف التى تربط المقسم به بالمقسم عليه ان كانت الجملة الواقعة جوابا ( للو ) وما دخلت عليه نحو قوله :

أما والله أن لو كنت حرا وما بالحر أنت ولا العتيق

وان كانت غير ذلك ( فان واللام ) فى الايجاب ، ( وما ولا ) فى النفى ) أ . هـ .

تحديد الخطأ :

فى هذا النص المحقق المطبوع اضطراب فى موضعين :

١ ـ اختلال بنقص جواب ( أما ) التى فى مطلع النص (١) .

٢ ـ تحريف معنى بزيادة لام جر على ( لو ) حرفت المعنى السابق وأغلقت فهم المعنى اللاحق .

التفصيل :

جواب ( أما ) موجود فى المخطوطة رقم ١٦٧ معهد المخطوطات ـ بجامعة

(١) يعنى قوله : وأما الحروف .

الدول العربية بالقاهرة ، وهى التى اعتمد عليها المحققان والمخطوطة رقم ١٦٨ والمخطوطة رقم ١٦٩ والجواب الساقط هو قوله ( فأن ) .

ونص المخطوطات التى ذكر فيها الجواب : ( وأما الحروف التى تربط المقسم به بالمقسم عليه ، فأن ، ان كانت الجملة الواقعة جوابا ( لو ) وما دخلت عليه نحو قوله :

أما والله أن لو كنت حرا
وما بالحر أنت ولا العتيق

وان كانت غير ذلك فان واللام فى الايجاب وما ولا فى النفى ) .

فالكلام فى المخطوطات مستقيم، أما المطبوع المحقق فليس قابلا لاستقامة الكلام وان ذكر ما سقط من النص ، لأن لام الحر التى زيدت فى التحقيق على ( لو ) تمنع الكلام من الاستقامة اذ أن النص قبل زيادة اللام على (لو) يفتقر الى جواب ( أما ) فقط وأما جواب ( ان ) وما دخلت عليه فى قوله : ( ان كانت الجملة .. ) فمذكور وهو ( لو ومادخلت عليه ) .

وبعد زيادة اللام على ( لو ) افتقر الكلام الى جوابين : جواب ( أما ) وجواب ( ان ) وما دخلت عليه .

أما المخطوطة رقم ( ١٦٦ ) فهى التى لم يذكر فيها جواب (أما) ونصها ( وأما الحروف التى تربط المقسم به بالمقسم عليه ان كانت الجملة الواقعة جوابا لو وما دخلت عليه نحو قوله :

أما والله أن لو كنت حرا
وما بالحر أنت ولا العتيق

وان كانت غير ذلك ، فان واللام فى الايجاب ، وما ولا فى النفى ) .

وحرف ( لو ) الوارد فى نص المخطوطات مخالف لما ورد فى النص المحقق .

ونص المخطوطات رقم ١٦٦ ورقم ١٦٧ ورقم ١٦٨ ورقم ١٦٩ (ان كانت الجملة الواقعة جوابا لو وما دخلت عليه ) وهذا هو الصحيح .

ومعنى النص : ان الحروف التى تربط القسم بجوابه هى : أن اذا كانت الجملة الواقعة جوابا للقسم ، لو وما دخلت عليه ، مثل البيت المذكور فى النص ، وان كانت جملة جواب القسم غير لو وما دخلت عليه ، فالرابط « ان واللام » فى الاثبات و ( ما ولا ) فى النفى .

وقد مثل لذلك المصنف كما سيأتى بيانه .

قال ابن عصفور فى شرحه لكتاب الجمل للزجاجى فى المخطوطة رقم ٧٠ والمخطوطة رقم ٧١ معهد المخطوطات لما انتهى من الكلام على روابط الجملة الواقعة جواب قسم : ( الا أن يكون جواب القسم لو وجوابها فان الحرف الذى يربط المقسم به بالمقسم عليه اذ ذاك انما هو ( أن ) نحو والله أن لو قام زيد لقام عمرو ) •

وقال ابن هشام فى « المغنى » فى مواضع زيادة أن المفتوحة ج ١ ص ٣٣ : ( الثانى أن تقع بين لو وفعل القسم مذكورا كقوله :

فأقسم أن لو التقينا وأنتم
لكان لكم يوم من الشر مظلم

أو متروكا كقوله :

أما والله أن لو كنت حرا
وما بالحر أنت ولا العتيق

هذا مذهب سيبويه وغيره ، وفى مقرب ابن عصفور أنها فى ذلك حرف جىء به لربط الجواب بالقسم) أ ه•

وذكر ذلك البغدادى فى : خزانة الأدب ج ٢ ص ١٣٥

وقال السيوطى فى « الهمع » ج ٢ ص ٤١ فى بحثه فيما يتلقى به القسم من الحروف : ( وأن المفتوحة قاله ابن عصفور فى المقرب واستدل بقوله :

أما والله أن لو كنت حرا
وما بالحر أنت ولا العتيق ) أ ه

وعلى هذا فالظاهر أن المحققين توهما أن أن مكررة من ( فأن ) ومصحفة منها فحكما بزيادة ( فأن ) لأنهما لم يفهما معنى السياق فعولا على النسخة التى سقط منها الجواب مع أنهما لم يعتمداها فى التحقيق على ما ذكراه فى مقدمتهما للكتاب •

والذى يؤيد ذلك تصرفهما فى زيادة اللام على ( لو ) لأنهما توهما أن المراد من لفظة ( جوابا ) فى قوله ( ان كانت الجملة الواقعة جوابا ) انما هى ( للو ) و ( لو ) فى جميع نصوص المخطوطات ليس فيها لام جر فتوهما سقوطها فزاداها فاستعجم الكلام ، وفاتهما أن قوله ( •• الواقعة جوابا ) يعنى جوابا للقسم •

التحريف الثالث :

ص ٢٠٤ النص المطبوع المحقق ( فأما قولك تالله هل قام زيد فليس بقسم لأنه ليس بخبر ألا ترى أن المعنى أسألك بالله هل قام زيد ولا يسوغ أن يكون التقدير : أقسم بالله ) .

تحديد الخطأ :

فى هذا النص تحريف فى المثال الأول ( تالله هل قام زيد )

والنص الصحيح : (فأما قولك : بالله هل قام زيد فليس بقسم ...)

وقد قرر المصنف بأن العرب لم تقل : تالله هل قام زيد كما توهمه المحققان ، ولا والله هل قام زيد .

قال البغدادى فى خزانة الأدب ج ٤ ص ٢١١ : ( واستدل ابن عصفور على أن مثل : بالله هل قام زيد ونحوها ليس بقسم بثلاثة أشياء .

١ ـ انه لم يجىء فى كلام العرب وقوع الحرف الخاص بالقسم نحو التاء والواو موقع الباء فلم يقولوا : تالله هل قام زيد ولا والله قام زيد) أ ـ هـ .

وكلام المصنف بعد المثال مباشرة يدل على أن المثال الصحيح هو ( بالله هل قام زيد) وليس (تالله هل قام زيد) فقد قال : ( ألا ترى أن المعنى أسألك بالله هل قام زيد ولا يسوغ أن يكون التقدير أقسم بالله ) فلم يقل تالله فى باقى العبارة .

وفى المخطوط رقم ١٦٧ التى اعتمد عليها المحققان ورتقا فيها عيوب الأخرى كما ذكراه فى المقدمة ورد النص فيها صحيحا بخط واضح ليس فيه تحريف ونصها : ( فأما قولك بالله هل قام زيد فليس بقسم ... ) .

أما المخطوطة رقم ١٦٦ فلم يعجم الحرف المتصل بلفظ الجلالة أى لم ينقط ..

وأما المخطوطة رقم ١٦٨ ورقم١٦٩ اللتان لم يعتمد المحققان عليهما فقد ورد المثال بالتاء هكذا ( فأما قولك تالله هل قام زيد .. ) .

فلم عدلا عن النص الصحيح كما فى المخطوطة رقم ١٦٧ المعتمدة فى التحقيق كما ذكرا فى المقدمة ؟ ولماذا لم يثبتا الخلاف الوارد بين النسختين المعتمدتين كما التزما بذلك فى المقدمة؟

وكيف جزما بأن الحرف المتصل بلفظ الجلالة هو ( التاء ) وليس ( الباء ) مع أن النسخة التى اعتمداها خلاف ما أثبتاه والنسخة ١٦٦ لم تعجم الحرف ؟

والنص المتقدم يوضح مذهب ابن عصفور فى الخلاف فى مثل ( بالله هل قام زيد ) هل يسمى قسما ؟ أم سؤالا واستعطافا ؟ •

فمختار جمهرة العلماء ومنهم ابن عصفور أن مثل ذلك لايسمى قسما وانما هو سؤال والتقدير ( أسألك بالله هل قام زيد ) ، لأن القسم لايجاب الا بجملة خبرية لأنه انما أتى به لتأكيد الجملة الخبرية •

وبعض النحويين يسميه قسم سؤال ومنهم : رضى الدين فى شرح الكافية وابن مالك فى التسهيل ، وقد تعرض الدماميني لذلك فى شرح التسهيل المسمى « تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد » مخطوطة مكتبة الأزهر رقم **١٠٥٧** خاص ، **٣٧٥١** عام فى باب القسم ورقة **٢٩٧**

ولذ قال ابن عصفور فى النص المتقدم ( ألا ترى أن المعنى أسألك بالله هل قام زيد ولا يسوغ أن يكون التقدير أقسم بالله ) لأن بالله هل قام زيد ليس بقسم كما ذكره أول النص أما ما أثبته المحققان فتقدم أن ابن عصفور ينفى وروده عن العرب •

التحريف الرابع والخامس :

النص المحقق المطبوع ص **٢٠٤**
( وكذلك تاء القسم وواوه وهاء التنبيه وهمزة الاستفهام وقطع ألف الوصل، ولام القسم بمعنى باء القسم الا أن التاء قد يدخلها معنى التعجب وتلزم ذلك فى اللام ) •

الخطـأ

فى هذا النص تحريفان :

١ - قولهما ( ولام القسم بمعنى باء القسم ) • والصحيح : ( ولام القسم بمعنى تاء القسم ) •
٢ - قولهما (وتلزم) • والصحيح : ( ويلزم ذلك فى اللام ) •

أما الأول : فالصواب ( ولام القسم بمعنى تاء القسم ) هكذا قال المصنف لا بمعنى باء القسم كما أثبتاه فى التحقيق ؟ لأن الباء ليس فيها معنى تعجب ، والتاء تأتى للتعجب ولغيره ، واللام ملازمة له ، ولذلك قال المنصف

بعد ذلك مباشرة ( الا أن التاء قد يدخلها معنى التعجب ) ولم يقل الا أن الباء •

ونص المخطوطة رقم ١٦٦ ورد على الصحيح هكذا ( ولام القسم بمعنى تاء القسم ) •

والمخطوطات رقم ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ وردت أيضا بالتاء الا أنه يوجد تحت التاء نقطتان ، والنقط التى تحت التاء انما هى تابعة للحرف الذى قبل التاء وهو الألف المقصورة التى أصلها ياء لأنها ممتدة تحت حرف التاء وجعل النقط فوق الألف المقصورة التى أصلها ياء انما هى طريقة لبعض الكتاب المتقدمين •

وبعض الكتاب طريقته عكس ذلك فى اعجام بعض الحروف الصحيحة مثل الفاء فانه يجعل النقطة دائما تحتها ويجعل القاف بنقطة واحدة وهذه الطريقة تتمثل فى شرح أبى حيان لكتاب المقرب ـ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٤٥٩ نحو ، ومنها نسخة مصورة فى معهد المخطوطات برقم ١٧٠ •

قال سيبويه ج ٢ ص ١٤٤ : ( وقد تقول : تالله وفيها معنى التعجب وبعض العرب يقول فى هذا المعنى « لله » فيجىء باللام ولا تجىء الا أن يكون فيه معنى التعجب قال أمية ابن أبى عائذ :

لله يبقى على الأيام ذو حيد

بمشمخر به الظيان والآس

انتهى كلام سيبويه :

وفى المقتضب للمبرد ج ٢ ص ٣٢٤ ( ومن حروف القسم ـ الا أنها تقع على معنى التعجب ـ اللام وذلك قولك : لله ما رأيت كاليوم قط كما قال : ( وأنشد بيت سيبويه ) وقد وقع التاء فى معنى التعجب ) أ • هـ •

وقال الزمخشرى فى المفصل فى كلامه على حروف القسم : ( وفى التاء واللام معنى التعجب وربما جاءت التاء فى غير التعجب واللام لا تجىء الا فيه ) أ • هـ •

وأما التحريف الثانى : فى النص فهو قوله : ( وتلزم ذلك فى اللام ) والصواب ( ويلزم ذلك فى اللام ) •

وعبارة المحققين توقع النص فى تناقض واضطراب •

فأما التناقض فان قولهما ( وتلزم ذلك ) يصرف الذهن الى أن الضمير في ( تلزم ) راجع الى التاء في قوله (الا أن التاء قد يدخلها معنى التعجب) فكيف تكون التـــاء لازمة للتعجب والمصـــنف ذكر أن معنى التعجب لا يلزمها وهذا تناقض ظاهر •

وأما الاضطراب ففي باقي العبارة ( وتلزم ذلك في اللام ) اذ أن مفهوم العبارة أن التاء تلزم معنى التعجب في اللام • وهذا معنى مضطرب والصحيح خلاف ما حققاه والصـــواب ( ويلزم ذلك في اللام ) والمعنى أن لام القسم الداخلة على لفظ الجلالة ، يلزمهـا معنى التعجب •

قال ابن عصفور في شرحه للمقرب مفسرا هذا النص في المخطوطة رقم ١٠٦ معهد المخطوطات : ( وقولي : الا أن التاء قد يدخلها معنى التعجب أعني أنك قد تقول : تالله لا يبقى أحد • تقسم على عمـــوم الفناء لجميع البشر وتعجب من ذلك ولا يلزمها التعجب بل قد تقول تالله لا يقوم زيد ، وقد تقسم على نفي القيام عن زيد من غير تعجب من ذلك وليست كذلك اللام بل يلزمها معنى التعجب نحو قولك لله لا يبقى أحد ) انتهى شرح ابن عصفور •

فهل حررا النص ؟ ! !

التحريف السادس :

النص المطبـوع ص ٢٠٥ ( فعلى هـــذا الجملة المقسم عليها ان كانت اسمية وكانت موجبـــة أدخلت على المبتـدأ ان[1] وفي جرها اللام فقلت والله ان زيدا لقائم ) •

موضـــع التحريف قولهما ( وفي جرها اللام ) والصواب ( وفي خبرها اللام ) •

ونص المخطوطات رقم ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ ( وفي خبرها اللام ) والضـــمير في ( خبرها ) راجع لان كما يظهر من تمثيل المصنف •

والغريب أن الراء في اللفظـــة المحرفة المطبوعة متوجة بشدة مما يدل على أن المحققين توهما أن المراد هكذا فضبطا الحرف بالشكل •

---

(١) بكسر الهمزة وتشديد النون •

التحريف السابع :

النص المحقق المطبوع ص ٢٠٥ ( وان كانت الجملة فعلية فان كان الفعل ماضياً دخلت عليه في الايجاب اللام وحدها نحو قوله :

( حلفت لهـا بالله حلفة فاجر
لناموافما ان من حديث ولامال )

في هذا البيت تحريف في الكلمة الأخيرة وهي قولهما ( ولا مال ) والصواب ( ولا صال ) ، فان قال المحققان بأن هذا خطأ مطبعي ، فلماذا لم ينبها عليه في ورقة التصويبات المشار اليها أول الكلام . ولماذا تركا البيت بدون شرح مع أنه يحتاج الى توضيح معناه . وبيان موضع الاستشهاد به عند النحاة .

والبيت لا مرىء القيس ونصه في المخطوطات رقم ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ :

( حلفت لهـا بالله حلفة فاجر
لناموافما ان من حديث ولاصال)

وهو من شواهد الرضى في حذف « قد » والاكتفاء باللام في جواب القسم وهو ضرورة عنده واستشهد به الزمخشرى في المفصل على دخول لام القسم على الماضى جوازا ، وعند ابن يعيش على أن دخول اللام على الماضى بدون « قد » قليل .

وترتيب البيت في خزانة الأدب ، الشاهد الخامس عشر بعد الثمانمائة ج ٤ ص ٢٢١ .

قال البغدادى في الخزانة ( ان كان الماضى قريبـا من زمن الحال أدخل عليه اللام وقد ، نحو ( تالله لقد آثرك الله علينا ) وان كان بعيدا من زمن الحال أدخلت عليه اللام وحدها كهذا البيت وهذا مذهب ابن عصفور ومن تبعه ) أ . هـ .

ومعنى البيت أنه حلف بالله لمحبوبته أن القوم ناموا ولم يبق متحدث مع خليل ولا مستدفىء بنار ، ومعنى صالى مصطلى أى مستدفىء . قال ابن منظور في اللسان مادة ( صلا ) : ( واصطلى بها استدفأ وفي التنزيل ( لعلكم تصطلون ) قال الزجاجى جاء في التفسير أنهم كانوا في شتاء فلذلك احتاج الى الاصطلاء ) أ . هـ .

والآية الكريمة في سورة القصص آية ٢٩ ، وقول الشاعر (حلفة فاجر)

أى كاذب لأن حلفه ليس مطابقا لحالة القوم وانما أقسم لها لأجل أن تأمن من أن يكون أحد منهم يقظانا فتنقاد اليـه .

التحريف الثامن :

النص المطبوع ص ٢٠٨ ( ويجوز أن تضمن أفعال القلوب كلها معنى القسم فتلقى اذ ذاك بما يتلقى به القسم فتقول علمت ليقولن زيد كما تقول والله ليقومن زيد ) .

المثال المحرف هو ( علمت ليقولن زيد ) والصـواب : ( علمت ليقومن زيد ) كما فى المخطوطات رقم ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ ونصها ( فتقول علمت ليقومن زيد ) .

وتعليق غريب :

علق المحققـان على تعريف ابن عصفور للقسم بأن أشـارا فى رقم التعليق الى الجزء الأول ص ٣٣ من كتاب مغنى اللبيب لابن هشام ونص التعريف :

( القسم : هو جملة يؤكد بهـا جملة أخرى كلتاهما خبرية ) .

وما ذكره ابن هشـام فى ذلك الموضـع ، لا علاقة له بتعريف ابن عصفور للقسم وانما كان يتكلم على ( أن ) المفتوحة حيث قال : ( وفى مقرب ابن عصفور أنها حرف جىء به لربط الجواب بالقسم ) كما تقدم تفصيله فى آخر الخطأ الثانى .

واذا زعم المحققـان أن المطبعـة المظلومة ، قد حرفت وبترت وزادت ونقصت . فلمـاذا لم يقرآ ما طبعته « المتهمة » ، ويتأكدا من توثيق النص قبل توزيع الكتاب ؟

ولماذا لم يجعل المحققان فهرسـا لموضـوعات الجزء المطبوع مع أن النسخة المعتمدة تشتمل على ذلك ؟

وكل ما تقـدم يدعـونا الى أن نتساءل : هل حقق كتاب المقرب لابن عصفور ؟ ؟

وفق الله جمـيع الباحثين الى الطريقة المثلى والهدف الأسمى والنية الصادقة ؟

**أحمد بن العزيز اللهيب**

# باب الفتوى

للأستاذ محمد أبو شادى

**السؤال** : ما حكم الشرع فى تولى المرأة وظائف النيابة العامة فى بعض أمور الأحوال الشخصية وكذلك تولية المرأة القضاء ؟

**الجواب**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن الآية الكريمة تقول : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » .

وظاهر أن الآية فى الأموال وهى صريحة فى أن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل وشرطت أن يكون معها رجل .

ومقتضى هذا أن شهادتها وحدها بدون الرجل لا تقبل .

وفى بعض المواضع لا تقبل شهادتها أصلا ولو مع الرجال وذلك فى الحدود والقصاص .

وذلك لأن الشهادة ولاية ، فبالأولى لا يصح تولية المرأة القضاء ؟ اذ هو ولاية أى ولاية .

ويؤكد هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » وهو حديث صحيح رواه البخارى وغيره من أئمة الحديث .

فان مناط النهى فى الحديث ليس شيئا سوى أنها امرأة وما جبلت عليه بطبيعتها من صفات تحول دون صلاحيتها للولاية . من ذلك تأثرها بالعاطفة وسرعة انفعالاتها مما يجعل الحق والصواب بجانبها .

وظاهر الحديث الاطلاق فى الولاية فتشمل الولاية العامة والولاية الخاصة ومنها ولاية القضاء .

واذا كانت النيابة جزءا من أعمال القضاء لأنهـا فرع عنه ولهـا من السلطات ما يخول لها اصدار القرارات التى لها قوة الأحكام فانها تأخذ حكم القضاء وعليه فلا تولى المرأة وظائف النيابة العامة مطلقا سواء كان ذلك فى أمور الأحوال الشخصية أو غيرها .

والله تعالى أعلم ؟

**السؤال** من السيد/عبد البـاقى عبد الرحمن أبو العيش .

**اثنان اخوة أسسا شركة منذ ١٩٥٠** برأس مال قـدره ٩٠٠٠ جنيه ، ثم دخل شريك آخر فى الشركة ودفع ٣٠٠٠ جنيه وعلى أن تكون الشركة بينهم كل بحق الثلث ، كمـا دفع الشريك الأخير ألف جنيـه خارج العقد نظير اسم الشركة وسمعتهـا التجارية .

ثم اختلف الشركاء الثلاثة وأرادوا فـض الشركة ، وعرض الشريكان الأولان مبلغ ٣٠٠٠ + ٦٠٠ للشريك الثـالث ، ولكنـه رفض ذلك وأقام دعوى ورفضت دعواه .

١ ـ هل للشريك المتخارج حـق استرداد المبلغ المدفوع خارج العقد ؟

٢ ـ ما حكم مصاريف القضايا التى دفعها الشريك الثالث دون وجه حق؟

## الجـواب

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسلام على سيد المرسلين سـيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين أما بعـد فنفيد بأن مبلغ ١٠٠٠ جنيه المدفـوع فى مقابل اسـم الشركة وسمعتها التجارية لا يسترد اذا كان العرف التجارى جاريا على ذلك وكانت الشركة انمـا تكسب نظرا لشيوع اسمها وكان الشريك الأخير قد دخل فيها على ذلك .

أما نفقات الدعاوى فـلا يدفع الشريك الجديد منها شيئا متى كان قد خرج من الشركة وتعتبر هذه من الأموال التى تدفعها الشركة وحدها فى مقابل الدفاع عن نفسها .

والله تعالى أعلم ؟

**السؤال** من السيد/الأستاذ محمـد أبو شادى .

شخص مقيم بالقاهرة وله أقارب يسـتحقون الزكاة يقيمـون فى بلد آخر : هل يجوز له أن يدفع اليهم زكاة الفطر ؟

### الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسلام على سيد المرسلين سـيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه يجوز نقل الزكاة الى الأقارب ببلد أخرى لأنها حينئذ صدقة وصلة .

والله تعالى أعلم ؟

**السؤال** : هل يجـوز اسـتخدام الأنسـولين المستخلص من بنـكرياس الخنزير فى العـلاج حيث ثبت بالأبحـاث التى أجريت عن طريق مركز الأبحاث والرقابة الدوائية أنه عند التحضير ؛ فان المـادة الحيوانيـة تتبدل صفاتها وأنها تفقد كل علاقاتها الحيوانية ، كما أن الحاجة من الناحية العلاجية توجب توفر أشكال متعددة من الانسولين لاختـلاف احتياجات المرضى ( أرفق مع الاسـتفتاء نص تقـرير مـركز الأبحـاث والرقـابة الدوائية ) .

### الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسلام على سيد المرسلين سـيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن للفقهاء فى الاستحالة هل هى مطهرة للنجس أو غير مطهرة رأيين :

الأول : أنها مطهرة وبه أخـذ الامام محمد من فقهاء الحنفية وغـيره من الفقهاء ، وعليه الفتوى فى مذهب الامام أبى حنيفة ـ رضى الله عنه ـ مستندين فى ذلك الى تبدل الصفات وتجدد الأسماء ، والأحكام منوطـة بالأسماء المرتبطة بالصفات .

من ذلك السرقين اذا حرق فصار رمادا والزيت النجس اذا صنع فصار صابونا .

الثانى : أنها غير مطهرة وبه أخـذ كثير من الفقهاء مسـتندين فى ذلك الى أن الجوهر والمـادة لم تتبدل وعليه فما تقدم من الأمثلة لا يحكم بطهارته .

والخلاف فى غير دم الأنعام يصير لبنا ودم الغزال يصير مسكا والخمر يصير خلا وجلد الميتة يدبغ فتلحق بالثياب .

فاذا نظرنا الى تقرير مركز الأبحاث والرقابة الدوائية بشأن الأنسولين المتخذ من بنكرياس الخنزير من أن صفاته قد تبدلت وأنه فقد كل علاقاته الحيوانية وأنه من الناحية العلاجية يجب توفر أشكال متعددة من الأنسولين لاختلاف احتياجات المرضى ٠

ترى اللجنة أنه لا مانع من استعمال الأنسولين المتخذ من بنكرياس الخنزير فى العلاج أخذا بالرأى الأول ٠

والله تعالى أعلم ؟

---

# أنباء و آراء

للاستاذ على الخطيب

أرسل الأستاذ « حامد يوسف بهلول » المدرس بمعهد كفر الشيخ الدينى بالقصيدة التالية الى المجلة :

**« رسالة شهيد الى زوجه » :**

لا تكتمى سرى وقولى عن دمى
قولى لأطفالى أبينى أعلمى

قولى لأطفالى أبوكم لم يزل
حيا بقلب العالمين وتمتمى

فأنا الذى ما مات هاهى مهجتى
تهفو بخفق غاضب متجهم

قصى عليهم قصتى وبطولتى
حتى يشبوا للفدا للمغنم

لا تحرميهم من حياة أبوة
كانت لهم أملا أبينى أفهمى

فأنا الذى أرنو أراقب خطوهم
فى حفرتى والرمل لطخه دمى

سالت دمائى كى تروى ظامئاً
فى رمل سينا ، كم بسينا من ظمى

الرمل والأحجار والليل الذى
يطوى فضاء الكون تحت الأنجم

مدت لنا يدها وقالت : قربوا
منى لألثمكم بقلبى لا فمى

واذا بشوق فى الفؤاد يهزنا
ويشدنا فى خفة لم تعلم

وانساب صوت من رمال ربوعنا
صاخت له الآذان كالمتنغم

صوت الشهيد بأرض سينا لم يزل
يدعو فلبينا الندا بتقدم

أم الصغار وهبت نفسى راضياً
للقدس لفلسطين تيهى واعلمى

ان الزمان حديثنا فى سمعه
ونضالنا أمسى قرين الأنجم

فعبورنا الأمواج دون مخاوف
والشمس مشرقة ـ فخارك فانعمى

لا تحرمى الأطفال من قلب لهم
فى الرمل يخفق بالشغاف المفعم

قـودى خطاهم للنضـال فانما أمسى لك الابن الأبى وقلبـه
أنت الأبوة والأمـومة علمى لرضـاك ينشـد للعلا لن ترغمى
فاليك قد وكل انتقـاء خليفتى ألقى عصا ( موسى ) وقال لنا اعبروا
واليك ثأرى فاطلبى أو فاغرمى وتوكلوا فالله حصـن المحتمى
مصر البطـولة والرجولة والفدا فاذا بمـاء البحر يحمل جندنا
أنت العظيمة والكريمة فاسلمى واذا بخطهمو يطـأطىء يرتمى
أرضعت ( أنور ) من لبانك فاغتدى وبقـوة الله القـوى تحطمت
بطـلا هماماً عزمه لم يهـدم أسـطورة الجيش الذى لم يهزم

---

**● الفيصـل : لا حقوق لاسرائيـل فى القدس :**

قال الملك الفيصل فى حديثه الى العالم الاسلامى المذاع فترة الحج :

ان اسرائيل ليست لها حقوق أو أماكن مقدسة فى القدس ، انه لاصحة لما يدعيه الاسرائيليون من وجـود هيكل سليمان فى مدينة القـدس ؛ لأن حقائق التاريخ تؤكد أن الرومان نقلوا الهيكل عندما اسـتولوا على المدينة •

**● رئيس موريتانيا والتضـامن العربى الافريقى :**

أشـاد المختار ولد داده رئيس حكومة شنقيط ( موريتانيا ) العربية بالتضامن العربى الافريقى ، وقال : ان حكومته تنوى العمل لخـدمة هـذا التضـامن ، وان هذا التضـامن سيكون الأساس الذى ستقوم عليـه سـياسة بلاده ، وأعلن أن بلاده ساهمت بمبلغ مليون دولار فى رأس مال البنك الاقتصـادى والزراعى العربى •

**● مؤتمر أوربى عربى :**

اقترح وزير خارجية فرنسا فكرة عقد مؤتمـر للدول العربية ودول السوق المشتركة لدرس امكانيـات التعاون الاقتصادى بين الدول المتقاربة جغرافيا التى يملك بعضها القدرات التكنولوجيـة ويملك بعضها الآخر الوسائل المـالية والرغبة فى التنمية •

وقد أعلن السيد/محمود رياض الأمين العام للجامعة العربية عن ترحيبه باقتراح ( ميشيل جوبير ) وزير خارجية فرنسا وصرح بأنه من المفيد أن ينظم هذا الحوار العربى الأوربى الذى اقترحه جوبير على المجلس الوزارى للسوق .

● ... **الاعتراف بحكومة فلسطين**

صرحت مصادر المقاومة الفلسطينية بأن الاتصالات السياسية الحالية للمقاومة مع عدد من الدول الصديقة قد أكد أن اثنتين وثمانين دولة على استعداد للاعتراف بحكومة فلسطين فور تشكيلها ، ومعروف أن ثمانى ومائة دولة تعترف فعلا بالمنظمة الفلسطينية .

كذلك اتخذت الأمم المتحدة قرارا بحق أى مقاومة وطنية هدفها القضاء على الاستعمار فى أراضيها .

● ... **مع تنفيذ قرارات مؤتمر القمة العربى:**

تم توقيع الاتفاق التنفيذى النهائى لمشروع خط أنابيب البترول بين السويس والبحر الأبيض المتوسط فى العشرين من ذى القعدة ٩٣ - ١٢/١٤ وقد تم الاتفاق مع كل من المملكة العربية السعودية ، والكويت ، وأبى ظبى ، وقطر على تكوين شركة مصرية رأس مالها ٤٠٠ أربعمائة مليون دولار تتولى تنفيذ وتشغيل المشروع .

● ... **العربية لغة رسمية فى الأمم المتحدة :**

فى الحادى والعشرين من ذى القعدة ١٣٩٣ ( ١٩٧٣/١٢/١٥ ) وافقت لجنة الميزانية والمالية التابعة للجمعية العامة على اعتبار اللغة العربية لغة رسمية بالأمم المتحدة الى جانب غيرها مما اختير لغة رسمية .

وقد اتفقت الدول العربية مجتمعة على أن تتكفل بكل تكاليف استخدام اللغة العربية فى دوائر الأمم المتحدة ، وتقدر هذه النفقات بثمانية ملايين وثلاثمائة ألف دولار فى السنوات الثلاث القادمة والتى تنتهى بنهاية عام ١٩٧٦ م على أن تتولى الأمم المتحدة التكاليف بعد هذه الفترة .

● ... **مع المؤتمر الاسلامى :**

أذاع ذو الفقار على بوتو رئيس وزراء باكستان تصريحا عن أمله فى أن تجد نهضة العالم الاسلامى التعبير البناء عنها فى مؤتمر القمة الاسلامى

الذى سيعقد بمدينة لاهور ـ بباكستان فى شهر صفر القادم ، قال : « انه يوجد على امتداد المنطقة من الغرب على المحيط الاطلنطى الى أندونسيا على المحيط الهادى رغبة مجددة وقوية فى تحرير العالم الاسلامى من السيطرة السياسية والاقتصادية الأجنبية .

ان القوى التى سيطرت على العالم الاسلامى وأذلته واستغلته لزمن طويل بدأت تشعر ـ الآن ـ بأثر النهضة السياسية والشعور بالوحدة بين الشعوب الاسلامية » .

● « دبلومان » للجنائى والشريعة بحقوق عين شمس :

وافق د . محمد كامل ليلة وزير التعليم العالى على انشاء دبلومين للقانون الجنائى والشريعة بقسم الأستاذية ( الدكتوراه ) بالكلية لتكون كل منهما أحد الدبلومات المؤهلة لتسجيل رسائل الأستاذية .

● ... الذكاء والقنبلة الذرية :

أعلن تيودور تايلور أحد علماء الفيزياء الأمريكيين الذين ساهموا فى تصميم كثير من الأسلحة الذرية : أن أى شخص يتمتع بقدر من الذكاء يستطيع أن يصنع قنبلة ذرية .

وقال : ان من السهل جدا الحصول على البيانات الخاصة بصنع القنبلة من الوثائق التى تنشرها حكومة الولايات المتحدة ، كذلك يمكن شراء المعدات اللازمة لانشاء المفاعل الذري من المخازن العسكرية ، وهو أمر ميسور ليس عليه حظر ، أما المواد المشعة فانه يمكن سرقتها من المنشآت الذرية ، كما يمكن الحصول على معلومات صناعة القنبلة من دائرة المعارف الأمريكية .

● تصريحات اسقف أمريكى عن اسرائيل :

صرح كبير من أساقفة الولايات المتحدة عقب زيارة له لاسرائيل فى الثامن من ذى القعدة ٩٣ ـ ( ٢/١٢/ ١٩٧٣ ) بأنه علم بوجود اتفاقية سرية بين الفاتيكان واسرائيل تتعلق بمستقبل القدس ، وأنها اتفاقية لا يوافق عليها الملك حسين .

كذلك صرح الأسقف بأن السلطات الاسرائيلية ضبطت كثيرا من جنودها مختبئين فى بيوت العرب فى الضفة الغربية رافضين الاشتراك فى القتال ،

وزاد الأسقف بأنه علم خلال زيارته أن عدد القتـلى الاسرائيليين يبـلغ فى حقيقته ثلاثة أو أربعة أمثـال الأرقام الرسـمية التى أعلنتهـا الحـكومة الاسرائيلية •

● ... من وجهة نظر كيسنجر :

كيسنجر وزير خارجيـة الولايات المتحدة يهـودى ، وهو يقـوم موقف اسرائيل بالآتى :

ان العودة الى موقف ماقبل الحرب ( الحـرب الأخـيرة فى العـاشر من رمضان ) ليست فى صالح اسرائيل ، فخسائر اسرائيل كانت واحدا من كل ٤٩٤ من سكانها ، والعرب يحصلون على أسلحة حديثـة أكثر تعقيـدا من موسكو ، ويتعلمون كيف يستخدمونها ويحرمون اسرائيل من ميزة القتـال على جبهة واحدة فى وقت واحد •

**مجلة الأزهر** : هذا التصريح أشبه بصلوات اليهود لحائط المبكى •

● كلمة لباراليف من سجل مباحثات ( الكيلو ١٠١ ) :

انه من الصعب علينا الانسحاب الى خطـوط ٢٢ أكتـوبر ، لأن وضـع قواتنا سيكون صعبا وسيئا ، وأفضـل لنـا أن نتكلم عن الانسحاب الكلى الى شرق القناة ولا نتكلم فى البقـاء غرب القناة ، لأننا ـ بصراحة ـ لا نستطيع أن نأمن على أنفسنا من البقـاء غرب القناة •

● تقرير خطير يبين علاقة التدخين بغاز أول أكسيد الكربون :

أثبتت دراسـة أجـراها فريق من أطبـاء جامعة ويسكنسون على تسـعة وعشرين ألفـا من المتبرعين بدمائهم أن الأمريكيين يتعرضون بصفة منظمة لخطر تزايد غاز أول أكسيد الكربون فى دمائهم ، وهذا الغاز سام لا لون له ولا رائحة وينتـج من عدم الاحتراق التـام للمـواد التى تحتـوى عنصر الكربون مثل التبغ والوقود ، وزيادة نسـبة هذا الغـاز فى الدم تزيد من احتمـالات الاصـابة بأمراض القلب بشكل خطير ، وجاء فى التقرير : ان التـدخين هو أخطـر عامل فى تزايد التعرض لأول أكسيد الكربون وتليه أمور أخرى كالعمل فى بعض المصانع وعادم السـيارات ، ومضى التقـرير يؤكد :

أن نسبة هذا الغاز فى دم المدخنين بلغت أكثر من ١٫٥ ٪ وهى نسبة خطيرة جدا خلت منها دماء الذين يقطنون الريف ولا يدخنون .

مجلة الأزهر : سبق أن قدمت هيئة الأطباء الملكية بلندن تقريرا أثبتت علاقة التدخين ببعض أنواع السرطان، وقد قامت بعض الحكومات بوضع عبارات تحذير من التدخين على علب ( السجاير ) أملا فى اقلاع المواطنين عنها .

**الهزيمه تنسحب**

انسحبت القوات الاسرائيليه يوم الجمعة الثانى من المحرم ١٣٩٤ من المنطقة الجنوبية التى تشمل الأدبية ومنطقة السويس .

وينتهى فى الساعة السادسة مساء التاسع والعشرين من المحرم ١٣٩٤ انسحاب قوات الثغرة الى الشرق

وقد تلقى الرئيس السادات البرقية التالية من الملك الحسن الثانى بهذه المناسبة .

« اننا نعرب لكم فى هذه المناسبة عن اعجابنا العظيم بالمقاومة الصلبة للشعب المصرى وجيشه الشجاع الذى تحمل عبئا عظيما فى النضال من أجل استعادة الكرامة العربية ورفع راية العرب والمسلمين بفضل تضحياته الهائلة » .

وقد بعث الرئيس السادات ببرقية الشكر التالية للملك الحسن الثانى :

« تلقيت بكل التقدير برقيتكم الرقيقة التى حملت الى خالص التهنئة وصادق المشاعر والاشادة بمدينة السويس الباسلة التى صمدت أمام العدو بعزم وايمان ، وضرب أهلها المثل الأعلى فى البذل والفداء .

ان النصر الذى حققه الجيش المصرى فى نضاله ضد المعتدين الاسرائيليين لم يكن نصرا لمصر وحدها وانما هو نصر للأمة العربية جمعاء ، ولا يخالجنى شك فى أن تضافر الأمة العربية والتآخى العربى ووحدة الصف هى التى صنعت النصر ، ويسرنى أن أشيد بكل فخر واعزاز بموقف جلالتكم وتأييدكم الكامل لمصر خلال معركتها المصيرية وأن أسجل وقفة الشعب المغربى

الشقيق مع الشعبين المصرى والسورى فى معركته والدور البطولى للجيش المغربى •

والله أسأل أن يقود على الطريق خطانا ويدعم وحدتنا ويرعى جهودنا المشتركة حتى يتم علينا نصره الأكبر، ويتحقق لشعوب أمتنا ما نرجوه لها جميعا من شريف المكانة وسامى المنزلة ، ومع تحياتى الصادقة أعرب لكم باسمى وباسم الشعب المصرى عامة وشعب السويس خاصة عن أخلص الشكر القلبى على المشاعر الأخوية راجيا أطيب الأمانى لشخصكم والعزة والتقدم والرخاء لشعب المغرب الشقيق •

على أحمد الخطيب

---

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول
رئيس مجلس الادارة
على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب رقم ١٦٧ / ١٩٧٤

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية
٣٥١س١٩٧٤-٦٠٠٤

In fact, death for the sake of God is life. Nay, a life to be lived in search for anything else, while overlooking the love of Him and His Pleasure, is apathy, death, and nothingness. God, be He Exalted : "Can he who was dead and w ehave raised him unto life and set for him a light whereby he can walk amongst men be like him who is in utter darkness from which he can never emerge ?" (VI : 122).

The Prophet Muhammad said : "Verily, to go through the way of God or to come thereform is better than the world and all that therein is". He also said : "None of the dwellers of Paradise would like to come back to wordly life and to possess everything that is in earth, save the shaheed who wishes to suffer martyrdom ten times on account of the highly eminent privileges which are granted him (in Paradise)".

We also read about the Prophet that after he had been forsaken by his people in Mecca, and later by the Banu Thaqif in Ta'if, he stood before his Lord in prayer invoking Him saying :

"O Lord ! I make my complaint unto Thee of my helplessaness and frailty and my insignificance befor mankind. Most Merciful Thou art the Lord of the poor and feeble and Thou art my Lord. Into whose hands wilt abandon me? Into the hands of strangers that beset me round about ? or of the enemy Thou hast given at home the mastery over me ? If Thy Wrath be not upon me, I have no concern; but rather Thy Favour is the more wide unto me. I seek for refuge in the Light of Thy Countenance. It is Thine to chase away the darkness and to give peace both for this world and the next; let not Thy Wrath light upon me, nor Thin Indignation. It is Thine to show anger until Thou art pleased ; and there is none other power nor any resource but in Thee".

*(To be Continued)*

For this reason, the immediate sight of God, "Beatific Vision", is the most a man would hope for on the Day of Judgment as is asserted by certain exegetes in commenting upon God's Saying : "That Day will faces be resplendent, looking toward their Lord" (LXXV : 21-22).

Man cannot attain to that sublime merit save through piety and good works. But the basic rule in exemplary devotion lies in man's renunciation of being conscious of his own existence, and offering willingly his soul in defence of the principles and the tenets of the Faith in which he is believing and with which he is always endeavouring to comply so as to gain God's Pleasure.

Thus the faithful who combats infields and exposes himself to death so as to maintain the worthy tenets God hath decreed to uphold, and to defend the Faith that comprises the sum total of righteousness, will rise through his sacrifices to the highest grade of merit, and come nearer the sublime standing of those who are fully conscious of God from amongst His Saints who are most beloved by Him.

(It is to be noted that) if the unlettered were to look at those who deal with algebraic equations, geometrical theorems, scientific and philosophical terminology, they would hold them in contempt and ridicule. They would say : what are these trivialities with which these people are busying themselves ?

Were they to know of the fact that these mathematical studies and scientific and astronomical inquiries have always been a great help for man to build up this civilization, to harness the forces of nature to his service, and to remove the difficulties confronting him in his living, they would soon accuse themselves of being trivial, ignorant and short-sighted.

Similarly there are in life countless instances that can be cited to assert that the uneducated is averse to what he regards as unknown to him and that discernment is the way to affection and content.

The faithful who has come to be fully conscious of God, ardent to love and asknowledge Him as his Lord, ready to worship Him and to comply with His Commands, as he did assent to be a servile servant to Him, percieving that full submission and surrender to Him is core of dignity and noblity, thereby experiencing genuine happiness and contentment in his heart, would never hesitate, after having offered Him his time, wealth and toil, to sacrifice his life for his Lord's Pleasure.

His Bounties, Blessings, and the Splendour of His Creation.

Out of the whole body of mankind, the Prophet Muhammad is characterized by having the clearest perception of God and by the deepest devotion to Him. Throughout the narratives of his Biography, it is possible to appraise the extreme feeling of happiness he had been experiencing, as due to his genuine recognition and full consciousness of God.

The narratives of his Biography related that, at the begining of his mission, there was fatrah, an interval during which inspiration was suspended. He fell short of the affair and became greatly downcast. One day he was almost on the point of casting himself in precipice, deeply regretting the stoppage of inspiration, and his missing the felicity he used to feel because of his nearness to God.

The Glorious Quran commanded the Great Prophet to "keep vigil the night long, save a little — a half thereof, or deduct therefrom or add thereto" (LXXIII : 2-4). The canonical compendia of authentic traditions related that the Prophet Muhammad had been in the habit of obeying God's Command. Thus, during less than two thirds of the night, the half, or the one third, the Prophet Muhammad used to stand to prayer with those who had been converted to the Faith, taking so long a time in reciting the Quran, bowing down, and prostrating, that 'A'isha (God be pleased with her) requested him to lighten the exercise of his devotion, being anxious about his repose

It is also reported on the authority of al-Mughira ibn Shu'ba that the Prophet Muhammad used to perform his worship until his feet became swollen, so he was asked : "Do you impose such tasks upon yourself, whilst God hath forgiven thee of thy sin that which is past and that which is to come? "The Prophet said: "Should I not be a grateful servant ?".

Had the Great Prophet not been fully conscious of God, he would not have experienced such esctatic delight in prolonging the duration of this worship. Nay, he would have loathedhastily performing the bowing and the prostration as is the wont of many Muslims nowdays.

Such would indicate man's delight and happiness in being fully conscious of this Creator are beyond compare. Man's bliss in mentioning the Name of God, in glorifying and worshipping Him surpasses any sort of enjoyment in worldly life. If man were to be sincere in his prayer, he would be fully absorbed in his devotion, unmindful of anything save God.

This Universe, so stupendous, mysterious, marvellous, and awe-inspiring as it is, had been created by God to make it of service and pleasure to mankind. He be He Exalted, said:"Hast thou not seen how God hath made all that is in the earth subservient unto you ? And the ship runneth upon the sea by His Command, and He holdeth back the heaven from falling on the earth unless by His Leave. Verily, God is for mankind, Full of Pity, Merciful" (XXII : 64).

"God it is Who hath made the sea of service unto you that the ships may run thereon by His Command, and that ye may seek of His Bounty, and that haply ye may be thankful; and hath made of service unto you whatsoever is in the heavens, and whatsoever is in the earth ; it is all from Him. Herein verily are portents for people who reflect" (XLV : 10-11).

"Who hath made the earth a resting-place for you, and the sky canopy; and causeth water to pour down from the sky, and brought forth therewith fruits for your sustenance "(II:21).

These and other Quranic verses, needless to enumerate in this connection, indicate explicitly that God, Glory be to Him, had created the earth, the heavens, and what is between for man's satisfaction, happiness, security and peacefulness.

Man to whom God had created and given all these things, and had lavished on him so much care, patronage, protection, dignity, and honour as to favour him with his image, and breathed into him of His Spirit, and accorded him the privilege of reasoning, sight, hearing, knowledge and intelligences, this man had only been given all of these bounties so that he might acknowledge, glorify, and worship his Creator. God, be He Exalted, said : "I created the jinn and human-kind only that they might worship Me. Seek no sustenance from, nor do I ask that they should feed Me. For God is He Who giveth (all) sustenance, the Lord of unbreakable Might" (LI: 55, 57).

In this wordly life, there are enticing charms, empty pomp, and dazzling glitter identified with riches, women, offspring, and gains all of which attract man and prevail upon his heart and mind. Yet once he has realized God's Existence and kept his mind on worshipping Him, all these fleeting pleasures come to be phantoms devoid of any eclat or splendour, save what would help him to reinforce his conviction and deepen his worship.

There is no doubt that delight in worshio and devotion, and the happiness due to belief in God, are beyond compare; experiencing them would make one percieve

times no nation had ever based its sovereignty on a system derived from a religious creed. This is even applicable to the Christian States before Islam. Though authority in these states can be described as religious, yet with the exception of the dogma ascribed to Christianity, and certain rituals imposed by the Church through its teachings, it was mainly based on the person of the ruler and certain manmade institutions.

When Islam came, Arabs had been living in the Age of Jahiliyyah, Barbarism, engaging in incessant warfare incited by clannishness, greed, love of reputation or due to indulgence in aggressiveness and wrongdoing. Often did war break out because of something most trivial such as the mere utterance of a word or the showing of a disdainful look. All these conflicts can be ascribed to the fact that they lacked a system of beliefs and laws, or institutions that bind them and their tribes together. Nay the majority of them were heathens ruled by certain customs, traditions and usages.

When the Arabs were converted to Islam, the new Faith forbade certain usages and admitted others. From amongst the former, conflicts that had been resorted to out of clannishness, craving for booty, vengeance, indulgence in wrong-doing, or seeking to be renowned for feats of daring had been forbidden.

Islam recognized and admitted that wars be waged in defence of honour, territory, property, and everything deemed sacred. Yet seeking these aims was considered as striving in exalting the Word of God to the uppermost and as upholding His Faith.

In commenting on the work entitled al-Bidayah, Sheikh al-Islam Burhan al-Din Ali Ibn Abi Bakr al-Marghinani said: "It is not permissible to fight against those to whom the Call to Islam had not been conveyed. They should be invited to the Faith before starting hostilities,. because the Prophet (peace be on him) is reported to have exhorted the commanders of his warriors, saying : "Call upon them to testify that there is no god but God, because by conveying the Call to them, they would percieve that we fight them for the Faith, and not to usurp their property, nor to enslave their women and offspring.

Islam's Waltanschanung''

God had created the Universe ; but had it not been for life He had transmitted therein, (the earth) would have remained desolate and wortheless. By causing life to emerge, plants and trees to grow (in exuberance), He had lavished prominent signs of beauty and splendour, and made every created thing mention His Name to praise and glorify Him.

trible, or people. Wars are equally waged in self-defence, also to save honour, property, sacred shrines, or to maintain power and domination over other peoples. Combats might be due to more than one of these motives and objectives.

In pre-Islamic times, peoples witnessed firece battles between states, nations, and groups. Ancient historical sources recorded the vicissitudes of these wars, why they had been waged and their hoped for objectives. These wars were mostly intended to gain more conquests, to satisfy a craving for aggression or to consolidate domination over other peoples.

Such had been the aims of war against ancient nations, i. e. Phoenicians, Cana'anittes, Amorites, Hittes, and later between the Medes and Greeks, the Romans and Egyptians or between the Abyssinians and the Arabs.

The ancient world had never witnessed wars waged for the sole purpose of propagating or maintaining a certain creed or culture, save what had been done by some rulers and kings who used to compel their subjects to renounce any alien belief to which they might have been converted. To safeguard the old established cults sectarians were subjet to all sorts of torture. Yet such persecutions had never been inflicted for the sake of defending or maintaining a certain creed but only intended for the personal interests and authority of the rulers concerned.

This is evidently proved by what had occured between Kings, Emperors, Pharoahs, Ceasars, and Chasroes, and certain minorities from amongst their subjects who had been guided to faith in God.

Ancient historical sources, the stories of prophets and saints, and the Glorious Quran as well, reported that these rulers believed that they were the gods, or at least they enforced their subjects to hold that belief.

The Lord of the worlds hath related in His Book that the Pharoah of Moses said to his subjects : "O my people ! Is not mine the soverignty of Egypt and these rivers flowing under me ? Can ye not then discern ?" (XLIII, 51). Pharoah had made little account of his subjects, so they obeyed him.

Equally had this been done by Nimrod who said to Abraham : "I give life and cause death"(II : 258). Similarly was the case of other Chosroes.

The sovereignty of ancient nations had lain chiefly in the personal authority of the rulers, together with those who collaborated with them, seeking to enhance their prestige or to gain material advantage. Throughout ancient

Such rendering has been held by certain contemporary thinkers from amongst non-Muslims, asserting that the martyr, shaheed, was given that appellation in religious terminology, because when he had taken part in battle against unbelief and infidels, he offered his life in defence of his Faith. Such supreme sacrifice is the truest shaheed, testimony to his firm belief in the genuineness of Creed; or his achievement serves as evidence before God that he is a true believer in the Faith. Thus, he needed nobody to testify on his behalf that his belief had been firm and genuine.

The Islamic Term had not divested the Word Shaheed of its Enitre Linguistic Sense.

If Islam had modified the old meanings of certain (Arabic) words and introduced novel renderings, this does not indicate that the new usage was totally devoid of the original meanings.

Thus, the former meanings of the word shaheed signifying presence, knowledge, or beholding were still attached to what is implied in the religious sense of the word, as is clearly demonstrated in the above-mentioned reasons accounting for the shifting that had taken place in the significance of the word from its original linguistic meaning to its novel Islamic connotation.

Both usages of the word : the linguistic and the Islamic, converge on that each of them has retained the significance of attendance, beholding, or knowledge. But after these meanings had been loosly applied in the linguistic usage, it came to be specially restricted to the one who (died) after having taken part in battle to exalt the Word of God to the uppermost, and to strive in His Way, thereby emphasizing his whole-hearted steadfastness and the genuineness of his Faith.

Such is the viewpoint of those who assert that shaheed in the form of 'fa'eel' should be taken in the sense of 'faail' (present participle); that is to say : the one who testifies to the truth of God's Faith either through argument and demonstration or through sword and spear. This convergence of the two usages can also be accounted for by the rest of reasons reported to explain why the one who had been killed in God's Way is called Shaheed (martyr).

Martydrom According to Islam's Viewpoint. War Aims : Since olden times peoples have tended to wage wars to realize numerous and divergent objectives. Motivated by pugnacious impulses, they might be seeking renown, booty, vengeance, or the safeguarding of one's country,

the appellation of shaheed. Some of these are cited in the following:

1 — Because the Shaheed is alive, as if his soul were beholding (shaahidah) that is to say being present.

2 — Because God bearth witness (Yashhadu) to the Favour and Merit He had treasured for the shaheed the moment he had been killed and his soul had departed his body.

3 — Because God and His Angels testify on his behalf that he would be entitled to Paradise.

4 — Because God testifies that the shaheed would be saved from Hell-fire.

5 —Because Angels testify that the shaheed had given his life a sublime end.

6 — Because Angels testify to his excellent adoption of God's Guidance.

7 — Because God bearth witness on the shaheed's behalf that he had righteous intention.

8 — Because the shaheed beholds the Angels when he is breathing his last.

Al-Fakhr al-Razi's Standpoint.

In his commentary of the Quran, Al-Fakhr Al-Razi rejected the interpretation of the shaheed in Islam as the one who had been killed by the unbelievers, because the Faithful might long for martyrdom in that way ; thereby they would be setting their hearts on being killed by unbelievers. This is quite impermissible according to the rulings of the Shariaat, since wishing to be killed by unbelievers is tantamont to unbelief. How then can a Muslim be allowed to ask God what is considered as unbelief ? Moreover, the Messenger of God is reported to have said : : "The one who dies from the diseases of the stomach is shaheed ; who dies from drowning is shaheed".

For this reason, Al-Razi was of opinion that shaheed in the form of 'fa'eel' should be taken in the sense of 'faa'il', that is to say shaahid, witness who testifies to the truth of God's Faith, either through argument and demonstration or through sword and spear; since martyrs are those who are staunch in justice. They are mentioned by God, be He Exalted, in His saying : "There is no god but He ; that is the witness of God, His Angels, and those endued with knowledge, standing firm in justice" (3 : 18).

The one who had been killed in God's Way, is called a shaheed, martyr, because he had given his life to help in realizing the victory of God's Faith, and also on account of his testimony that it is the sole Truth and that everything else is folsehood.

convey another meaning ; since it considered the duty of every Muslim not only confined to help his brother when he is wronged but also in case he be doing wrong, he should be helped by deterring him from pursuing the committing of such evil action against his brother Muslims.

Bukhari, in his Sahih, related on the authority of Anas that the Prophet had said : "Help your brother whether he be the oppressor or the oppressed. There upon, the Companions asked : O Messenger of God ! It is clear that we should help our brother if he is oppressed, but what does helping the oppressor mean ? He answered : "It is by holding him back". In another version the Prophet said : "Restraining an oppressor from indulging in wrong-doing is helping him".

Similarly, many words that had commonly been used in pre-Islamic times indicating certain meanings were given by Islam novel connotations hitherto unknown to the Arabs, such as salat, (worship), hajj (pilgrimage), zakat (poor-due), and sawm (fasting).

Salat had been formerly taken du'a, prayer or invocation ; Islam rendered it as indicating specified utterances and actions that start with 'takbir' and end with 'tasliim'. Hajj is a word that originally meant repairing to a place anywhere ; but Islam limited its usage to the sense of making pilgrimage to God's Sacred Sanctuary in accordance with certain conditions and rituals to be observed and fulfilled at a specified date in the year.

Zakat meant growth or purification ; Islam made it convey the sense of a definite due to be paid to the poor by the rich adult Muslim whose wealth attains the nisab (the amount which is legally liable to be taxed). Equally sawm, fasting, formerly signified refraining from doing anything, including the taking of food. Islam restricted the sense to abstinence from food, drink, and cohabitation from sunrise to sunset throughout the month of fasting.

The Martyr in Islam :

As Islam modified the denotation of certain words, the same was done as regards the word shaheed, the original sense of which was derived from 'hudur', attendance, 'ilm', knowledge, or 'mushahada', beholding. It was turned into a technical term, denoting the one who had been killed in the Way of God, while displaying enduring patience ever advancing and never retreating.

Reasons for such modification :

Ibn Hajar, in his commentary on Bukhari's Sahih, entitled 'Fath al-Bahri' (the Revelation of the Creator), compiled in the chapter dealing with jihad various interpretations that account for giving

# THE DOCTRINE OF MARTYRDOM IN ISLAM

## (From a scholarly work submitted to the Islamic Research Academy of Al-Azhar by Sheikh Hassan Khalid, Mufti of Lebanon)

The meaning of the word Shaheed Before Islam :

The commonest usage of the word shaheed, as adopted by poets and speakers before Islam had been solely confined to its bare linguistic sense (which is beholder or witness). Nay, pre-Islamic Arabs were not known, ever to have used the words ; shaahid or shaheed in other than its linguistic denotation.

This is amply attested by the fact that one of the Companions asked the Prophet (peace be on him) saying : "A man fights for the sake of spoils, another for renown, a third 'liura makanuhu', so as to be seen in his place. Whom from amongst these would be (considered as fighting) in the way of God ? The Prophet said : The one who fights to exalt the Word of God to the uppermost, is striving in God's Way".

This tradition demonstrates that the Companions, most of whom had been born in pre-Islamic times, were quite unable to distinguish fighting for reputation from what was due to other motives. This is why the Prophet (peace be upon him) had been asked by one of them to explain such a difference. Equally is this a further indication stressing the fact that pre-Islamic Arabs had been using the word shaheed, solely in its linguistic sense.

The Changes Wrought by Islam in Certain Linguistic Usages.

With the advent of Islam, alongside with the momentous revolution it had wrought in the domain of beliefs, social institutions, and ethical concepts, there had occurred no less important changes in many linguistic expressions and usages that had been transformed or at least modified in their implications.

(For instance), pre-Islamic Arabs had a widely accepted maxim that goes to say : "help your brother wether he be the oppressor or the oppressed". When Islam came, it kept for the Arabs that precept, but changed its purpose so as to mean something quite different from what it had already implied.

Literally, it indicated that the Arab should help his brother wether he be wronged or doing to others. Islam made that saying

those who spent and fought afterwards; and Allah has promised good to all; and Allah is Aware of what you do) 57 : 10.

« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم » .
( آل عمران : ٩٢)

(By no means shall you attain to righteousness until you spend (benevolently) out of what you love; and whatever thing you spend, Allah surely knows it) 3 : 92.

« وسيجنبها الاتقى . الذى يؤتى ماله يتزكى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى . الا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى . »
( الليل : ١٧ — ٢١ )

(But the God-fearing shall escape it (punishment in the future life), Who gives away his wealth, purifying himself. And he gives to none for favours to be recompensed; Except the seeking of the pleasure of his Lord, the Most High. And he shall soon be well pleased), 92 : 17-21.

« الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . ( البقرة : ٢٧٤ )

(As for those who spent their property by night and by day, secretly and openly, they shall have their reward from their Lord and they shall have no fear, nor shall they grieve) 2 : 274.

« قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال . »
( ابراهيم : ٣١ )

(Say to My servants who believe that they should keep up prayer and spend out of what We have given them, secretly and openly, before the coming of the day in which there shall be no bartering nor mutual befriending) 14 : 31.

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم » . ( الصف : ١٠ — ١٢ )

(O ye who believe! Shall I show you a commerce that will save you from painful doom?

Ye should believe in Allah and His messenger, and should strive for the cause of Allah with your wealth and your lives. That is better for you, if ye did but know.

He will forgive you your sins and bring you into Gardens underneath which rivers flow, and pleasant dwellings in Gardens of Eden. That is the supreme triumph) 61 : 10-12.

# THE CALL TO SPEND IN THE WAY OF GOD

## — In Verses From The Holy Quran —

« وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين».

( البقرة : ١٩٥ )

(And spend in the way of Allah and cast not yourself to perdition with your own hands, and do good (to others) ; surely Allah loves the doers of good) 2 : 195.

« مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ».

( البقرة : ٢٦١ — ٢٦٢ )

(The parable of those who spend their property in the way of Allah is as the parable of a grain growing seven ears (with) a hundred grains in every ear ; and Allah multiplies for who He please ; and Allah is Ample-giving, Knowing.

(As for) those who spend their property in the way of Allah, then do not follow up what they have spent with reproach or injury, they shall have no fear nor shall they grieve) 2 : 261-262.

« ... والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ».

( التوبة : ٣٤ )

(...And (as for) those who hoard up gold and silver and do not spend it in Allah's way, announce to them a painful chastisement) 9 : 34.

« انما المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون » .

( الحجرات : ١٥ ) .

(The believers are only those who believe in Allah and His Apostle then they doubt not and struggle hard with their wealth and their lives in the way of Allah ; they are truthful ones) 49 : 15.

« آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير » . ( الحديد : ٧ )

(Believe in Allah and His Apostle, spend out of what He has made you to be successors of ; for those of you who believe and spend shall have a great reward) 57 : 7.

« وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير » .

( الحديد : ١٠ )

(And what reason have you should not spend in Allah's way ? and Allah's is the inheritance of the heavens and the earth ; not alike among you are those who spent before the victory and fought (and those who did not) : they are more exalted in rank than

arisen out of Latin or as the Indian languages like Hindi, Bengali, Marati, etc. have arisen out of Sanskrit.

Another reason of the spread of Arabic and its survival was its consciousness and precision which enabled it to meet the demands of simple folk and cultured people, primitive surroundings and civilized environments. Moving south from cradle in Hijas, Arabic supplanted the languages of the south Arabia and then crossed the sea to East Africa. Moving North, it superseded Aramaic Language in Palestine, Syria and Mesapotomia. Turning West to Africa Arabic ousted Coptic in Egypt and eliminated Barbar dialect in North Africa. Then the way was opened to West Africa and the Sudan. From Morocco it crossed the Strait of Gibralter to Spain and Malta island etc. Arabic as a conquering language, supplanting other languages reserves a remarkable role in linguistic history.

Another favourable quality of Arabic is its capability to leave deep marks on other languages. We have seen Arabic has influenced many languages of the regions which came in touch with it. The influence which Arabic exerted upon Persian, Turkish, Malay, and Urdu has been over-whelming. These languages have borrowed from Arabic, many words and usages and adopted its script and admixture.

In fact, a satisfactory knowledge and literature of non-Arab Muslim lands like Persia, Turky and Malay is not possible without a considerable knowledge of Arabic. Persian, Pushtu, Urdu and Malay use Arabic script today. Turkish had been using Arabic script until November 1928, when Kamal Ataturk decreed the use of the Latin Alphabet. Arabic script has widely spread in Africa in the wake of Islam. In Sudan- Guinea belt of Africa many languages make use of Arabic script.

Educated Muslims in regions who speak unwritten languages write in Arabic for scholarily and correspondence. The language of Galla tribes, who live in the area extending from the central part of Kenya along the river Tana to the central part of the Abyssinian plateau, is not a written language but the Arabic script has been used by Muslim Gallas to write their language. In the sub-continent of India, a few languages make use of Arabic script occasionally : Malayalam, Tamil, Gujarathi and Sindhi.

Thus, the Arabic language, in terms of its geoghraphical position, the number of its speakers, the extend of its influence in the Muslim World, and as the vehicle of the vast literature ; in addition to its favourable qualities, and continuous long history, is by far one of the most important languages of the world.

engraved on rock. These are : Thamudic inscriptions discovered in various part of North and Central Arabia ; the Lihyanite inscriptions which come mostly from the region of Hijas ; and the Safatic inscriptions found mostly around the Safa mountains in South and Southeast of Damascuss.

In the first half of the seventh century the Quran was revealed to the Prophet Muhammad (Peace be upon him). It is unique in all respects and inimitable. The spread of Islam heralded the spread of Arabic as a spoken language and the rise of vast Arabic literature. Since then Arabic has never seased to act spoken and a literary language, and it did not lose ground in the world of Islam. Arabic is therefore a language with a long and continuous history.

The inherent qualities have an important role in the survival and the vitality of the Arabic language. It is a vigorous language. Vigorous speech is necessarily short. Arabic is fond of a brevity, which is regarded by the arhetoricians as the real creterion of eloquence, It is generally recognized fact that an Arabic translation of something written in any other language would be shorter than the original.

It is syntatically capable of expressing most subtle ideas and the faintest meanings. It was the language of natural science and medicine in the middle ages, and Greek science and Philosophy were transmitted to medivial Europe through Arabic translations. There is no doubt that this syntatical efficiency is naturally due to a long process development. Its conservatism and vigour have done a great deal in keeping the language almost intact through the ages,

So that ancient Arabic literature from different parts of the Arab world could converse the each other without any difficulty or the effects of different environments. This conservative spirit has also reduced the dichotomy between classical Arabic and the spoken dialects. A close examination of these dialects will show that they do not substancially differ from the written language.

This quality, in particular, has contributed to the presevation of the language by diminishing the effects of time and place. The Arabic language, being spoken over such a wide area from Iraq to Morocco, has naturally developped some dialects and local variations of pronounciations. But essentially they are all dialects of the same language, and literates all over this area read the same classical language. Now any new language has arisen out of it as French, Spanish, Italian, etc. have

of its Holy Book was able to challenge other languages in their own home. This religion of Islam was the main force which first spread Arabic and then preserved it through the ages. Further more, Islam imerged into the world as a force of civilization, morality and knowledge that commanded respect and a coherent doctrine.

It is a tribute to Arabic As a language that Muslim Scholars of non-Arab origin were able to employ it as well as the Arabs themselves. Being the language of the Quran, Arabic has inseparably been interwoven with Islam. Whether they speak it or not, the Muslims must recite the Quran in its original Arabic. In addition to this, the daily prayers should be in Arabic, so that every Muslim must have some slight acquaintance with the Arabic language.

The Arabic is the language of the Prophetic Traditions, which comes immediately after the Quran. It is also the language of Islamic branches of knowledge based on the Quran and Hadith (the Prophetic Traditions), i.e. Tafsir (commenteries on the Quran), Fiqh (Jurisprudence), Mysticism, etc. For all these reasons Arabic has become the religious language of all Muslims : of one sixth of the world population.

The geographical importance of the Arabic language is evident from the following facts :

Arabic is the language of a vast strategical area extending from the Gulf to the Atlantic Ocean. These areas taken together from a geographical unity which played, still plays and will play an important role in the process of the world developments and the history of humanity. This region naturally constitutes a land bridge between three continents. So the geographical importance of this region bestowes linguistic importance upon the language which it harbours.

The Arabic is a language with a long history. Although the Arabs before the Prophet Muhammad (peace be upon Him), preserved their language on stone monuments in a few cases only, they had already developed a national poetry to high perfection. The pre-Islamic Arabic language was not only an ordinary spoken language but a highly developed language reflecting the poetic talents and literary forms. It is worth noticed that the poetry was the sole medium of literary expressions in those days. Every tribe had its poets, and their words went to the hearts and bosoms of all who heard them, and flew across the desert.

The earliest written documents of classical Arabic, discovered in central and North Arabia and the adjacent Syrian desert, yields three related groups of inscriptions

# MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: ABDUL RAHIM FUDA

| MUHARRAM 1394 | ENGLISH SECTION | FEBRUARY 1974 |
|---|---|---|

## IMPORTANCE OF ARABIC LANGUAGE

*By*

DR. MOHIADDIN ALWAYE

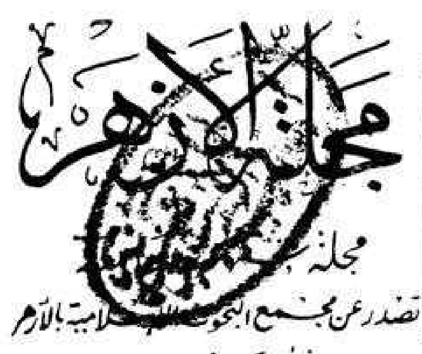
The Arabic Language, being the language of Islam, the vehicle of a vast literature, the treasure of Islamic heritages, and in terms of the large number of its speakers, and the extent of its influence is one of the most important world languages. In addition to this, considering its important geographical position in the world, its long continuous history, and its inherent qualities, Arabic is the most important living language that history has ever known.

Being the language of the Quran Arabic spread with Islam over three continents diplacing many languages in the way. Main reason of these remarkable linguistic conquest is mainly due to the Islam of course but its inherent qualities as a language must have also contributed to this end. Soon it has become the spiritual language of Muslims.

The vast Arabic literature extending from the time of the Prophet upto the present day is a common Islamic heritage, for it is the work of Muslim Scholars, whether Arabs or not, writing in Arabic. When Arabic script has widely spread in Asia and Africa in the wake of Islam and the Arabic language, it has deeply influenced other languages of those areas, i.e. Persian, Turkish, Urdu, Malay, Pushtu, etc.

Several reasons may be given for the linguistic conquests of the Arabic, in the full sense of the word. The main reason of course is the spread of Islam. As Islam was able to challenge other creeds on their own ground, the language

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص






في أول كل شهر عربي

الجزء الثاني — السنة السادسة والأربعون — صفر سنة ١٣٩٤ هـ — مارس سنة ١٩٧٤ م


بسم الله الرحمن الرحيم

# الشعور بالواجب

للأستاذ عبد الرحيم فودة

الشعور بالواجب هو الأساس اللازم لأدائه . والطاقة الدافعة للنهوض به ، والقوة المحركة لكل أجهزة الدولة وخلايا المجتمع ..

ومعناه أن يعرف الانسان كل ما يكلف به ، ويدرك قيمته . ويؤمن بأنه حق عليه يجب أن يؤدى ، وأمانة في عنقه يجب أن تصان ، فانه متى عرف ذلك ، وآمن به ، ووثق بقيمته وأهميته ، ثم ذكر أنه محاسب عليه أمام الله ، وأمام ضميره وأمام المجتمع الذى يعيش فيه ، بذل في سبيل القيام به والمحافظة عليه كل ما يستطيع من جهد وقدرة وخبرة ليبرىء ذمته . ويريح ضميره . ويرضى ربه . ثم ليظفر بالأجر المضمون عند الله كما يفهم من قوله تعالى : « انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » وقوله جل شأنه : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها »

والحقوق العامة للمجتمع كالحقوق الخاصة للأفراد من حيث هى أمانات أوجب الله أداءها حيث قال : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وحيث قال : « يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » بل ان حقوق المجتمع أعظم حرمة من حقوق الأفراد ، والاعتداء عليها أعظم جرما واثما من الاعتداء على حق فرد أو عدة أفراد .

وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم أن كل فرد فى المجتمع مكلف برعاية ما يكلف به ، مما أوجب الله رعايته ، يستوى فى ذلك الحاكم والمحكوم ، والخادم والمخدوم كما يفهم من قوله عليه الصلاة والسلام : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

فالشعور بالواجب والاحساس بالمسئولية قدر مشترك بين جميع الأفراد فى المجتمع . وان كانت الواجبات تختلف باختلاف أقدارهم وقواهم ، ومناصبهم ومراتبهم ، وهم على اختلافهم مطالبون بأن يدفعوا الظلم فى أى مكان يقع فيه ظلم ، وأن يأخذوا على يد الظالم اذا لج فى الظلم وتمادى فى الاثم ، والا عرضوا أنفسهم لعقاب عام وعذاب شامل ينزل بالمذنب والبرىء ، ويقع على المحسن والمسىء ، كما يفهم من قول الله : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعذاب » .

وقد مثل النبى صلى الله عليه وسلم المجتمع بسفينة يجب أن يتعاون أصحابها وركابها على دفع الخطر عنها والا غرقت بهم جميعا ، وهلكوا جميعا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا فى سفينة (أى كان لكل منهم سهم فيها) فكان بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها اذا استقوا مروا على من فوقهم وقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم

وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا .. ونجوا جميعا »

نقول هذا ونحن نستأنف مرحلة جديدة ، بعد النصر الذى أحرزه جيش مصر فى العاشر من رمضان واسترد به كرامتنا وشرف سمعتنا ، ومهد به الطريق للاصلاح والتعمير ، وبناء المجتمع العربى والاسلامى بناءا جديدا ، بل مهد الطريق لاجتماع الكلمة ، والتئام الشمل ، ووحدة الصف وحشد القوى الهائلة التى كان يخفيها التفرق ، والتمزق . حتى كاد ينطبق علينا قول الله فى أعدائنا : « بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » ولكن الله كشف معدن هذه الأمة الأبية النقية التى اجتباها لحمل رسالته والجهاد فى سبيله . فكان هذا الموقف الرائع تجاه الصهيونية والاستعمار والدول التى تمالئهما وتدور فى مدارهما وتسير فى مسارهما .

وبقى أن يمضى الموكب الراشد على هدى الايمان بالله ، والشعور بالواجب ، يمتلىء بهما قلب كل مسلم فى كل بلد يعيش فيه مسلم ، ليكون قوة نافعة فى المجتمع ، وطاقة دافعة للتقدم .. والله ولى التوفيق ؟

**عبد الرحيم فودة**

# الدّينُ مَصدَرًا للحُرّية

للأستاذ أحمد موسى سالم

للدين موقف مبدئى من الحرية لايزال يفتقد فى عصرنا مزيدا من الضوء لتفهم أبعاده • فلقد مضى الكلام عن الدين يدور دائما حول ركنه الركين وهو « اخلاص العبودية لله » حتى كاد أن يختفى الامتداد المتكامل مع هذه العبودية الخالصة لله والمنبثق عنها ، وهو حرية الانسان •

كذلك فانه عندما قامت ثورات أوربية كثيرة منذ الثورة الفرنسية على أسس علمانية غير دينية ، رافعة شعارات اجتماعية للمطالبة بأنواع من الحريات والحقوق للأفراد والشعوب فلقد كاد أن يكون من المقرر فى مفهوم العصر الحديث وحضارته أن «الحرية» كانت كسبا من مكاسب النهضة والثورات الأوربية ، كما أنها وهى لاتزال مطلبا من مطالب هذا العصر لم تكن على الأقل بهذا الوضوح والتحديد فى رسالة الدين •

ولما كانت الحقيقة غير ذلك من حيث ان الدين الحق فى تطبيقاته الاسلامية الأولى كان هو مصدر الحرية الكاملة التى تبنى الوجود والأمن للانسان والمجتمع ، فقد أصبح لزاما فى مقدمة الأبحاث لاحياء المجتمع بالدين والعلم أن نزيح الحجب عن هذا الارتباط العضوى بين الدين والحرية ، وأن نتبين الى أى حد يكون فيض الحرية عن الايمان ، والتزام الايمان بالحرية أساسا لتكوين الفرد فى الاسلام ، وارساء حقوقه ، وتحديد علاقاته بالغير وبالمجتمع ، وأن نفهم كيف أن الحرية من هذا المنبع ، وبهذا الامتداد ، تتخطى جميع أزمات الحرية فى العالم المعاصر ، كما تخطتها فى العالم القديم ، من حيث ان الحرية كمطلب وضعى أو تعاقدى لاتزال تستند ـ كما كانت ـ الى قرارات سياسية ، أو نصوص دستورية ، كثيرا ما تعصف بها الصراعات ، أو تقعد بها عن أهدافها أشكال التفسيرات والتأويلات •

## الحرية قبل الاسلام :

كانت الحـرية ـ ولاتزال ـ فى صورتها الساذجةهى : « قدرة الانسان على أن يتصرف فى طاقته الذاتية التى يملكها وفق ارادته ، وبحسب حاجته » ومنذ القدم اكتشف الانسان أنه لابد من قانون ضابط لحريته فى التصرف حتى لا يتعرض للأخطار الطبيعيـة ، أو للصـدام المهلك مع ارادات غيره من البشر ، أو على الأقل لعـذاب النفس وانقسامها عند ممارسة الظلم •

غير أن هذا القانون الضابط للحرية، والذى لا تولد الحرية بغيره ظل الى أحقاب طويلة بعيدا عن الظهور والتأثير فى مجتمع انسانى يكون أسوة لغيره ، وظلت الأطماع والقوى الغاشـمة وتزوير مواقف العدل والرحمة تجاه المقهورين هى السائدة والغالبـة على العالم ، الى أن ظهر الاسـلام امتدادا لرسـالات الدين السابقـة فأعلن بالتطبيق ، وفى الواقع ، هذه الدعوة التى أشـاعت الحرية فى العـالم ، وجعلتها حقا كالحياة ، أو جعلتها هى الحياة ، حين طوعتها وجعلتها حرية المجميع ، وحيـاة للجميع ، وليست حرية فرد أو طبقة على حساب الجميع •

ولقد كانت المقارنة ولاتزال ممكنة بالنسبة لما كان سائدا من النظم المضادة للحرية فوق أكثر البلاد العربية التى حكمها الاكاسرة من الشرق فاستعبدوا العراق وجزءا من اليمن ، وحكمها القياصرة من الغرب فاستعبدوا مصر والشام وشمال أفريقية ، وذلك قبل ظهور الاسلام •

فى تلك الأمبراطوريات التى أزاح الاسلام والمسلمون مظالمها عن أرجاء الوطن العربى فى حروب تاريخيـة للتغيير والتحرير كانت الحـريات السـائدة حريات مقلوبة على الوجـه الآتى :

١ ـ حرية الطغيان للملوك والكهنة•

٢ ـ حـرية الاستعباد والسـخرة لزارعى الأرض •

٣ ـ حرية الهرب من الحيـاة للزاهـدين المتجولين ، أو المعتزلين الخائفين •

فى فارس كانت الزرادشتية التى ادعت تصحيح المعتقدات القديمة قـد قسمت الوجود الى قسمين متصارعين تحت قوتين أو الهين هما اله النور واله

الظلام • ثم يأتى مانى فيخلط عقيدة زرادشت بدعوة عدمية زهدية تحرم الزواج ، ثم يأتى مزدك فينقلب الى النقيض ويبيح للناس شيوعية المال والنساء بالعنف ، مبالغة فى الاستمتاع بشهوات الحياة وازالة كل الحدود •

وهكذا عاشت فارس قبل الاسلام تتخبط فى الظلم والظلام تحت أقدام أكاسرتها وموابذتها ـ كهنتها ـ بعيدا عن ادراك القانون الضابط للحرية ، والذى لا تولد بغيره الحرية •

وأما فى الامبراطورية البيزنطية فانه على الرغم من أن أباطرتها آمنوا أخيرا بالمسيحية دينا للمحبة ، وللكف عن قهر الانسان ، فلقد كان دأب هؤلاء الأباطرة امتدادا على عصور وثنيتهم أن يتجاوزوا كل الحدود فى اضطهاد الشعوب المحكومة ، وسرقة جهودها ومواردها،واقامة المذابح لكل المخالفين لهم فى المذهب ، وبخاصة فى مصر والشام ، وبذلك بقيت الحرية فى تلك الامبراطورية التى رفعت أعلام المسيح فى الظاهر معنى لا يجرؤ على الظهور ، واذا ما وجد مرة فرصة للظهور فانه وسط الفخاخ المنصوبة للحرية والأحرار كان لا يجد القدرة طويلا على السير •

لقد كانت الأرض فى نظر القياصرة ـ وبخاصة أرض الوطن العربى ـ ملكا للأباطرة وطبقتهم ، أى ملكا للأثرياء يتصرف فيه الأثرياء لصالح الأثرياء • وكان سىء الحظ هو الذى يقع أسير حرب لتلك الدولة اذ يصبح على الفور رقيقا • ولما كانت الحرية قد قتلتها وثنية الحكام ـ المسيحيين فى الظاهر ـ فان الحرب العدوانية التى تشجع عليها حرية قهر الآخرين واستعبادهم أصبحت هى صناعة الرومانيين المفضلة ، وأتاحت لهم الى قرون طويلة أن لا يرحموا أعداءهم أى رحمة ، وأن يقتلوهم ويستعبدوا نساءهم وأطفالهم •

وفى الصراع على الحرية بين أباطرة الرومان وبين شعب مصر الذى آمن بالمسيحية عند ظهورها ذهب ضحية الاضطهاد الوثنى عدد لا يحصى من المصريين ما بين سنتى ٦٨ و ٦٤١م كان على رأسهم مرقس الرسول الذى قتله الجنود الرومان الوثنيون فى كنيسة الاسكندرية الأولى سنة ٦٨ ثم جروا جسده فى شوارع المدينة ، وخلال تلك القرون نشأت أطوار الرهبنة الأربعة ، وفر عدد كبير من الفلاحين تاركين الأرض بغير زراعة

ليدخلوا الأديرة البعيدة فى الجبال ، حتى كانت سنة ٦٤١ الفاصلة فى التاريخ ، وأشرق على مصر يوم التحرير .

لقد كان من الحتم فى حكمة الله ورحمته أن يسقط على الأرض العربية قهر الغرباء ، وأن تنحل حرية الطغاة فى استنزاف شعوبها لكى تشرق الحرية بقوتها الدافعة للحياة ، وبنظامها الخالد الصالح لكل البشر ... لكى تشرق الحرية الحقيقية ، حرية الجميع من أجل قوة الجميع وحياة الجميع ، وكان ذلك عند ظهور الاسلام ، وقيام حركة التحرير الواسعة التى شملت كل الأراضى والشعوب العربية المستعبدة ، حيث تحررت – بسقوط كل من – الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية – مصر والشام والعراق وشمال افريقية وحيث اختفت مع الحرية التى جاء بها الاسلام مذابح الاضطهاد ، وظهرت حرية الاعتقاد .

**الله والحرية :**

قلت ان الانسان وهو يطلب الحرية منذ القدم اكتشف حاجته الى هذا القانون الذى يحكم به قدرته على « التصرف فى طاقته وفق ارادته وبحسب حاجته » وأقول هنا ان الانسان قد اتجه منذ البداية الى البحث عن هذا القانون الضابط لحريته من خلال التعرف ثم الايمان بهذه القوة العليا فوق كل القوى ، التى تتصرف فى هذا الكون والطبيعة والحياة بمشيئتها التى لا تحد ، وبقوانينها الضابطة للاتساق والاستمرار فى حركة الأشياء ، وحركة الحياة دون اختلال .

لقد بحث الانسان فى نفسه وفى الآفاق وراء هذه القوة المبدعة للحياة فى تفسيره لهذه الحياة ، ليكون التزامه بها ، وايمانه بشرائعها وقوانينها ، ضابطا لمسار حريته ، وأمنا لنفسه فى استخدام طاقاته ، وهاديا لارادته من الانحراف والعثار على طرق حياته .

لقد سأل الانسان نفسه فى أطوار وبقاع مختلفة عن هذه القوة الخالقة المسيطرة ، هل هى العناصر المؤثرة عليه كالشمس والقمر ، والنجوم والرياح ، والأنهار والبحار ، أم هى قوة أقوى من هذه العناصر ، وفوق هذه العناصر ، لأنها قوة خالقها الذى

أبدعها ، وأوحى فيها أمرها ، والذى له عليها بمشيئته الخالدة سلطان الخلق والأمر •

لقد تفكر الانسان طويلا ،واستطاع بتفكره الدائم أن يتعلم ويعلم وهو يرقب مشاهد الخلق المتعاقب فىالآفاق الممتدة من حوله ، ويكتشف «النظام» و « الحركة » و « الاتساق » و « الصيرورة » فكان ايمانه بظواهر « المشيئة » و « العلم » و « الغاية » و « الاستمرار » من كل ما تهيأت له مشاهدته ومتابعته علىأرض الرسالات المشرقة ، والمفتوحة للنظر والادراك أساسا لايمانه بهذا الاله الواحد ، المهيمن على الكون بالنظام والعلم والاتساق الىغاية مقدرة بعد الخلق ، غاية جلية فى قلوب المؤمنين ، وأمام أعينهم وعقولهم •

وهكذا تهيأ للانسان بيقظة فطرته لما يجرى بين نفسه وبين الآفاق ، واتساع نظرته العلمية لكل ما تشهده عيناه فىالكون ـ أن يستمع ويستجيب الى صوت الله القادر على كل شىء ، والضابط والمريد والمنظم لكل شىء ، وأن يزداد ايمانه به ، والتزامه بشرائعهوحدوده ، وبضوابطه للحرية وللحياة كلما نزلت رسالة منه الى عباده ، على لسان رسول من رسله ، وكانت جميع رسالاته دعوة للاسلام اليه •

وعندما نزل القرآن الكريم ، واكتملت الشريعة الاسلامية ،تحددان العبودية للهـ التى هى مصدر الارادة الحرة والحرية الكاملة ـ ليست ذلا ولا قهرا ولا كبتا ، وانما هى عزة بالله وأمن وحياة وحصانة دائمة • انها حصانة من القهر ، ومن الذل ، ومن الحاجة ، ومن الخوف ، على الطريق التى يفتحها الايمان لتأمين الحياة وتنميتها للفرد والمجتمع ، وهذا هو الاطار السليم ، والمضمون الخصب لحقيقة الحرية كما يبحث عنها الانسان ، وهو الطريق الواضح الى استقامة ارادة المؤمن فى كل أقواله وأعماله كما يهديه اليها الايمان والاسلام •

وهكذا فى ارتباط عبادة الله بالتزام الطريق المستقيم يقول الله : « ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » •

وفى ارتباط العزة على القهر بالعبودية لله يقول الله : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » •

وفى أن الايمان الحق مصدر كل أمن يقول الله : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » •

**القرآن وحقوق الانسان :**

ولكن ••• أين هى الآيات التى تناول بها القرآن الكريم معنى الحرية بمفهوم عصرى كالذى كان يتحدث به الناس منذ الثورات الأوربية العلمانية ، وكالذى لا يزالون يتحدثون به الى اليوم شرقا أو غربا ؟

لقد كان ولا يزال ظاهرا فى القرآن الكريم أن الحرية بمعناها السياسى ، والتى تدور حول التخلص من أغلال الاستعمار ، أو بمعناها الاجتماعى والتى تدور حول التخلص من السخرة والقهر الطبقى ، لم تكن هى القضية الأساسية والمباشرة فى آياته ، وما ذلك الا لأن من نزل اليهم القرآن أول الأمر داخل الجزيرة العربية على العهد الخالص للنبى صلى الله عليه وسلم كانوا أحرارا سياسيا رغم استفحال الحكم الاستعمارى من حولهم ، وكانوا أقرب فى نظامهم القبلى الى الحرية الاجتماعية المثالية ، حيث يتساوى تماما فى العلاقات الانسانية ، ويتكافأ فى الحقوق والواجبات أفراد كل قبيلة بذاتها ـ وانما كانت القضية الكبرى هى ازالة جميع عوائق الشرك والأصنام عن طريق العبودية الخالصة لله ، ليعود أمر الاسلام الى الله كما كان عليه أيام ابراهيم واسماعيل ، من حيث ان هذه العبودية الخالصة لله هى المصدر الوحيد الى عزة الانسان به ، والى تملكه لارادته الواعية للطريق المستقيم ، والى التزامه بالشريعة التى ترده عن التهلكة فى التطرف ، وتجمع القبائل المتنافرة على الألفة والوحدة والسلام •

ثم كانت هذه العبودية الخالصة لله بالاسلام اليه هى مصدر الحفاظ على نعمة الله بالحرية السياسية والحرية الاجتماعية لعرب الجزيرة الذين دخلوا فى دين الله أفواجا ، هذه الحرية التى كان يتهددها تسلل اليهود بالفتنة والموبقات وتجارة الربا والخمر والرقيق والأسلحة الى أسواق العرب ، باذلين الجهد لتفريقهم ، واستنزاف طاقاتهم ، واثارة الحروب بينهم ، الى أن يقعوا ويقع بيت الله تحت قبضة أحد الاستعماريين المتربصين !

وعلى الجملة لقد كانت القضية الكبرى للحرية فى الاسلام متحدة بقضية العبودية الخالصة لله ، فمن كمال الاخلاص لله تفجر ينبوع الحرية الدائم فى القرآن الكريم بألفاظ جديدة يحاول العالم المعاصر جاهدا أن يحاكيها أو أن يقترب منها، وذلك باعلان القرآن حقوق الانسان التى سبقت كل عصر ، ولم يسبقها أى عصر ، والتى ثبت كمالها وصدقها واستجابة البشر لها بالتطبيق الواسع والأمين فى مجتمع سليم ، هو أسوة كل المجتمعات من بعده ، وهو المثال المرفوع أمام أعيننا لمجتمع عصرنا الجديد ، مجتمع العلم والايمان .

لقد كانت هذه الحقوق التى تعنى « الحريات » تجسيدا عمليا لما قام به الدين من تقنين الحرية النابعة من قانونه الأساسى للايمان ، ومن ارساء حماية هذه الحقوق فى مجتمع المؤمنين باعتبارها الضامن لممارسة الحرية بجميع أبعادها ، وكما تفىء بها شريعة الهية تقوم على اخلاص العبودية لله ، واخلاص الاسلام اليه ، حيث من هذا الاخلاص — وليس من سواه — تنبثق حرية الانسان ؟

**احمد موسى سالم**

# دراسات قرآنية :

# أسس الأمة الرشيدة فى الإسلام

للأستاذ مصطفى محمد الطير

( ٢ )

قال الله تعالى :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » .

الآية ٩٠ من سورة النحل

**البيــان :**

تحدثنا فى العدد السابق عن شمول هذه الآية الكريمة للقواعد الرشيدة ، التى ينبغى أن يقوم عليهـا المجتمـع المسلم ، وأنهـا تعتبر دسـتورا لمكارم الأخلاق ، وتحدثنا عن العدل ووجوب تطبيقـه فى أمور الناس ، وصـلات بعضهـــم ببعض ، حتى يعـم الأمن والسلام بينهم ، وذكرنا بعض النماذج المجيدة لتطبيق السلف الصالح له ، ولما كان الحديث عن صوره المشرقة فيهم يطول ، فلهذا نكتفى بما قدمناه ، ولعلنا نعود اليه بعـد استكمال شرح الآية الكريمة ، وبيـــان ما فيها من المراشد وآداب السلوك .

**الاحسان**

قد علمت أيها القارىء الكريم أن الله تعالى كمـا أمرنا بالعــدل أمرنا بالاحسان ، والاحسان هو القيام بالأمر حسبما يليق به شرعا ، وهو يعـم فى التطبيق ، العقائد والعبادات ، والأقوال والأعمال والأخلاق .

فالاحسان فى العقيدة يكون بتوحيد الخلق ونفى الشريك عنه ، ووصفه ـ جل وعلا ـ بكل كمال ، وتنزيهـه عن كل نقص ، والايمـان برسـوله محمد صلى الله عليه وسلم وبملائكته وكتبـه ورســله واليـــوم الآخر ، وبالقــدر خيره وشره ، حلوه ومره ، ومن ينحـرف عن هـذا اللـون من الاحسان فهو من الكافرين الهالكين .

والاحسان فى العبادات أن تأتى بها على وجهها ، بأركانها وشروطها المشروعة من الله على لسان حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ، مع اخلاص النية فى أدائها لله رب العالمين ، فان تركت بعضها أو لم تحقق شرطا من شروط صحتها ، فاتك الاحسان واتسم عملك بالقبح ، وكنت بهذا التفريط المعيب من الخاسرين ، وان استوفيتها بأركانها وشروطها ،ووشيتها وجملتها بالنوافل والاخلاص ، عظمت درجة الاحسان، بقدر ما أضفت الىواجباتها من النوافل والاخلاص ،وأعلى درجات الاحسان فى العبادة « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » كما قال صلى الله عليه وسلم، فانك اذا تمثلت فى ذهنك عظمة الخالق وأنت تؤدى العبادة له ، وكنت فى ذلك كأنك تراه، أو لم تبلغ ذلك القدر العظيم من الاستحضار القلبى ، ولكنك تدرك أنه تعالى يراك أثناء أدائك لها ، فأنت بلا شك ستكون حريصا فى سرك ، على أن تكون بحيث ترضى الله تعالى فى حركاتك وسكناتك وخواطرك وخشوعك ، حتى تبلغ القمة من الكمال ، أرأيت لو أنك كنت أمام ملك من ملوك الأرض بحيث تراه ويراك ، فماذا أنت فاعل فى أداء مراسيم الطاعة له ، انك بلا شك ستبذل وسعك فى ابرازها على وجه الكمال والاخلاص ، حتى يعلم اخلاصك فيحسن جزاءك ، فما ظنك بمثولك بين يدى ملك الملوك ، الذى يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور .

فاذا حصلت على احدى درجتى الكمال من الاحسان ، أحرزت من رضا الله وجزائه ، بقدر درجة احسانك .

وأما احسانك فى الأقوال فبأن تكون فى حدود الاعتدال ، بحيث تؤلف القلوب ولا تنفرها ، وتجمع بين الناس ولا تفرقهم ، لا خشونة فيها ولا تخنث ، ولا مجون ولا فحش ، وكلما اختلطت بآيات قرآنية أو أحاديث نبوية ، أو حكم تربوية ، ارتفعت مكانتها فىالاحسان ، ونالت رضا الله وثوابه ، بقدر ما تضمنته من الأهداف والأغراض الكريمة ، والنصوص القرآنية والنبوية الموجهة .

وأما الاحسان فى الأعمال فباتقان الصنعة والحرفة ، وأدائها لمستحقها على أحسن وجوهها ، فاذا كنت أجيرا

وفيت العمل الذى أجرت عليه ، وأجدته كما لو عملته لنفسك •

واذا كنت موظفا فى الدولة ، أعطيتها حقها من الزمن المقرر ، والعمل المتقن ، والانجاز المعتدل ، ويسرت للمواطنين مصالحهم ، وأكرمت يدك عن تناول الرشوة فى سبيل تيسيرها لهم ، وأكرمت لسانك عن البذاء تلهب به كرامتهم ، واذا كسبت لمعاشك ففى جد ومن مصدر مشروع •

واذا كنت من الزراع هيأت أرضك للزراعة بعناية ، وأحسنت انتقاء البذور ، وتعهدتها بعد الزرع بالرى والنظافة ، حتى يتضاعف حصادها ، ويكثر خيرها •

واذا كنت من رجال العلم أو القلم ، ربأت بنفسك عن أن تقول ولا تفعل ، وأن ترشد ولا تسترشد ، وأن تأمر ولا تأتمر ، وأن تنهى ولا تنتهى •

والناس فى هذا اللون من الاحسان درجات متفاوتة ، بعضهم فى السماء ، وآخرون فى الغبراء •

وأما الاحسان فى الأخلاق ، فيكون بالصدق والعفاف ، والمروءة والنجدة ، والعفة والألفة ، وعلو الهمة واباء الضيم ، ولين العريكة وحسن الجوار ، والبشاشة وحسن اللقاء ، والصبر وسعة الصدر ، والحلم وكظم الغيظ ، وأن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، قال تعالى : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » الى غير ذلك من مكارم الأخلاق ، والناس فى هذا النوع متفاوتون ، حسب تفاوتهم فى علو الهمة وانخفاضها •

## مأثورات فى مكارم الأخلاق

لما كانت مكارم الأخلاق وأحاسنها ذات منزلة شريفة فى المجتمع الانسانى ، عنيت بها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واهتمت بها حكمة الحكماء •

وحسبك فى فضلها أنها جعلت الغرض الأساسى لبعثة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وقد جاء فى السنة أن الاسلام لا يكمل الا بحسن الخلق ، قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله اختار لكم الاسلام دينا ، فأكرموه بحسن الخلق والسخاء ، فانه لا يكمل الا بهما » كما جاء فيها

أنه لا يظفر بمزيد حب النبى والقرب من مجلسه سوى أحاسن المسلمين أخلاقا ، قال صلى الله عليه وسلم : « ان أحبكم الى وأقربكم منى مجالس يوم القيـامة أحاسنكم أخلاقا ، الموطأون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون » كما جاء فيها أنهم أهل الجنة ، قال صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنة كل هين لين سهل طلق » .

وأعلى مراتب الاحسان أن تحسن الى من أساء اليك ، فانه هو الفضل ، أما احسانك الى من أحسن اليك فهو مكافأة وليس فضلا .

ومن مأثور الحكمـاء فى حسن الخلق : من حسن خلقه فهو من نفسه فى راحة ،والناس منه فى سلامة ، ومن ساء خلقه فالناس منه فى بلاء ، وهو من نفسه فى عناء .

وقال حكيم فى العشرة الزوجية : عاشر أهلك بأحسن أخلاقك ، فان الثواء فيهم قليل : يريد أن من كان بقاؤه فى أهله قليلا ، وكان يقضى معظم وقته فى عمله ، فينبغى أن يكون مع أهله حسن الخلق حين يكون بينهم ، حتى يشعروا بالحنين اليه حين يغيب ، وتكون أخلاقه الكريمة سلواهم فى غيبته ، أما ان ساء خلقه فيهم فان أمر أهله فى غيبته يكون على العكس من ذلك .

وجاء فى سوء الخلق قول حكيم : من ساء خلقه ضـاق رزقه : وذلك واضح ، فان سـوء الخلق يصرف الناس عن معاملة صاحبه ، فيضيق بذلك رزقه .

واعلم أن أكثر ما يطلق عليه الاحسان فى العرف ، هو التصدق والفضل ، ومنه ما أخرجه البخارى فى تاريخه أن على بن أبى طالب — رضى الله عنه — مر بقوم يتحدثون فقال : فيم تتحدثون أنتم ؟ فقالوا نتذاكر المروءة ، فقال : أوما كفاكم الله عز وجل ذلك فى كتابه اذ يقول : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » فالعدل الانصاف ، والاحسان التفضل ، فما بقى بعد هذا ؟ » .

ولكن تفسيره بمـا يعم المروءة وغيرها أولى ، على نحو ما ذكرناه ، ليتناول جميع المقاصد الشرعية ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى تفسير الاحسان : « أن تعبد الله كأنك

تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك » وقوله تعالى : « وأحسن كما أحسن الله اليك » وقوله : « فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها » حيث قابل الاحسان بالاساءة .

## حسن الخلق له حدود

حسن الخلق له حدود اذا جاوزها انقلب الى الضد ، انظر – مثلا – الى لين الخلق ، اذا استعمل مع من لا يقدره ولا يستفيد به ، خرج عن الاحسان ، وأتى بعكس المطلوب .

فالذى ينبغى مع من لا يبالى ولا يرعوى عن الغى هو الانقباض والحزم والقسوة أحيانا ، قال الشاعر :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس أحيانا على من يرحم

وانظر الى المودة : انها تكون فضيلة وهى فى حيز الاعتدال ، فاذا بولغ فى اظهارها كانت ملقا ، واذا كانت غير نابعة من القلب كانت نفاقا ، والملق ذل ، والنفاق لؤم ، وليس لمن وصف بهما ود مبرور ، ولا أثر مشكور ، عن جابر – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شر الناس ذو الوجهين ، الذى يأتى هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه » ويرحم الله ابراهيم بن محمد اذ يقول :

وكم من صديق وده بلسانه
خؤون بظهر الغيب لا يتذمم (١)

يضاحكنى عجبا اذا ما لقيته
ويقذعنى(٢) منه اذا غبت أسهم

كذلك ذو الوجهين يرضيك شاهدا
وفى غيبه ان غاب صاب وعلقم

وبالجملة ينبغى أن تكون مكارم الأخلاق فى حدودها المشروعة ، حتى لا تنقلب الى الضد .

## الانتصار للحق من الاحسان

من أخلاق الاسلام ، وواجباته الانتصار للحق ورد الباطل ، حتى لا يجترىء الناس على حرمات الله تعالى ، ويعم الفساد الأرض ، كما حدث فى بنى اسرائيل ، فانهم «كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه » وكان سلفنا الصالح يؤدون واجبهم فى ذلك ، لا يخافون لومة لائم ، ولاعقاب أمير .

---

(١) أى لا يستنكف ولا يمتنع .

(٢) مضارع قذعه أى رماه بالفحش .

ومن أمثلة ذلك ما رواه عمر بن حبيب القاضى قال : حضرت مجلس الرشيد يوما ، فجرت مسألة ، فتنازعها الخصوم وعلت الأصوات فيها ، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فدفع بعضهم الحديث ، وزادت المدافعة والخصام ، حتى قال قائلون : أبو هريرة متهم فيما يرويه ، وصرحوا بتكذيبه ، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ، ونصر قولهم ، فقلت أنا : الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو هريرة صحيح النقل ، صدوق القول ، فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر الى الرشيد نظر مغضب وانصرفت الى منزلى ، فلم ألبث أن جاءنى غلام ، فقال أجب أمير المؤمنين اجابة مقتول ، وتحنط وتكفن ، فقلت: اللهم انك تعلم أننى دفعت عن صاحب نبيك فسلمنى منه ، فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسى ، حاسر عن ذراعيه ، بيده السيف ، وبين يديه النطع(١) ، فلما بصر بى قال : يا عمر بن حبيب : ما تلقانى أحد من الدفع والرد لقولى بمثل ما تلقيتنى به ، وتجرأت على ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ان الذى قلته ووافقت عليه ، وجادلت عنه ، ازراء(٢) على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به ، فانه اذا كان أصحابه ورواة حديثه كذابين ، فالشريعة باطلة ، والفرائض فى الأحكام والصيام والنكاح والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة ، فالله الله يا أمير المؤمنين أن تظن ذلك أو تصغى اليه ، وأنت أولى أن تغار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أحييتنى يا عمر بن حبيب أحياك الله — وكررها ثلاثا — وروى أنه أكرمه بعطاء قدره عشرة آلاف درهم .

## ايتاء ذوى القربى

ذو القربى هو صاحب القرابة ، والمراد به ما يعم جميع الأقارب من جهة الأم أو الأب ، وقد أمر الله بايتائهم من النعم التى أنعم الله بها عليك ، على وجه الهدية والبر ، أو الصدقة .

وتخصيص ذوى القرابة بالذكر ، لتوكيد حقهم فى البر والصلة ،

---

(١) النطع بساط من الجلد ، وهو بفتح النون وكسرها مع سكون الطاء ويكون أيضا بوزن عنب .

(٢) الازراء العيب ، تقول : أزرى بفلان أو على فلان : أدخل عليه عيبا أو أمرا يريد أن يلبس به عليه : قاموس .

وأولويتهم على سواهم ، وقد أكد الله فى التوصية بذوى الأرحام فقال : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا ».

ولا ريب أن ايتاءهم يوثق صلة المودة بينهم وبين قريبهم الذى أعطاهم ويجبر خواطرهم ، ويملأ قلوبهم بالرضا عنه ، أما العكس فانه يورث الكراهية له فى نفوسهم ، ويحفظهم عليه ويفرحهم فى نوائبه ، وربما يحرضهم شحه وبخله على الكيد له والاضرار بمصالحه .

فعلى المسلم أن يحرص على البر بأقاربه ، فان ذلك من صدق الايمان، وحسن النظر فى العواقب ، والى اللقاء فى العدد المقبل ، حيث نأتى بتمام تفسير الآية الكريمة ، والله تعالى هو الموفق ؟

**مصطفى الطير**

من هدى السنة

# بطولة صحابي

للأستاذ منشاوي عثمان عبود

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله ، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد ، وانكشف المسلمون ، قال : اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء ، يعني أصحابه ، وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء ، يعني المشركين ، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال : يا سعد ابن معاذ الجنة ورب النضر ، انى أجد ريحها من دون أحد ، قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد الا أخته ببنانه .

قال أنس : كنا نرى ـ أو نظن ـ أن هذه الآية نزلت فيه أو في أشباهه : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »[1] رواه البخاري .

**تعريف براوي الحديث :**

هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي النجاري ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزيل البصرة ، جاءت به أمه أم سليم الى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وقالت : يا رسول الله ، هذا غلام يخدمك ، فوجد فيه أنس أكبر العزاء عن والده ، ونشأ في بيت النبوة ، وشاهد ما لم يشاهده غيره من أحوال النبي صلى الله عليه

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٣ .

وسلم وأفعاله ، وغزا معه ثمانى غزوات ، ودعا له عليه الصلاة والسلام أن يرزقه الله مالا وولدا ، ويبارك له ، فكان من أكثر الأنصار مالا وولدا ، وكان ريح بستانه يشم منه ريح المسك •

وحين قدم النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان عمر أنس عشر سنين ، وحين مات كان عمره عشرين سنة ، وعاش بعده ٨٣ سنة ، فساعده ذلك على تلقى الكثير من الحديث ، ونشره ، واستقر بالبصرة بعد المدينة ، وهو آخر من مات بها من الصحابة ، توفى سنة ٩٣ هـ بموضع قريب من البصرة ، ودفن بمكان يعرف بقصر أنس ، وروى له ٢٢٨٦ حديثا — رضى الله عنه وأرضاه •

**اللغـة :**

( لئن الله أشهدنى ) اللام دالة على قسم مقدر — ومعنى ( أشهدنى ) أحضرنى •

( ليرين الله ما أصنع ) جواب القسم المقدر — ومراده الثبات عند ملاقاة الأعداء ، والمبالغة فى قتالهم •

( وانكشف المسلمون ) انهزموا بسبب المخالفة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم •

( أعتذر اليك مما صنع هؤلاء ) المراد أطلب عفوك ، وعدم مؤاخذتك على ما وقع من فرار المسلمين •

( وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء ) أعلن براءتى مما ارتكبه المشركون من بغى وعدوان •

( الجنة ) بالنصب على تقدير عامل نصب ، أى أريد الجنة ، أو نحوه •

( انى أجد ريحها من دون أحد ) أى أحس رائحتها الطيبة فى موضع أقرب من جبل أحد •

( فوجدنا به بضعا وثمانين ) البضع بكسر الباء ما بين الثلاث والتسع •

( وقد مثل به المشركون ) التمثيل بالقتيل قطع أعضائه من أنف وأذن ونحوهما •

( ببنانه ) البنان الأصبع ، وقيل طرف الأصبع •

( نرى ، أو نظن ) شك من الراوى ، والفعلان بمعنى واحد •

( صـدقوا ما عاهدوا الله عليـه ) التزموا الوفاء بما نذروه لله ، وعاهدوه عليه أن يناصروا رسـوله ، ويتفانوا فى قتـال أعدائه ـ وهم رجال من الصحابة نذروا أنهم اذا أدركوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ثبتوا ، وقاتلوا حتى يستشهدوا .

( فمنهـم من قضى نحبـه ) أدى نذره ، ووفى بعهده مع الله تعالى حتى استشهد فى سبيله ، يقال : نحب نحبا نذر نـذرا ، وقضـاء النحب الوفاء بالنذر .

( ومنهم من ينتظر ) أى وبعض آخر ينتظر القتل فى سبيل الله أيضا .

( وما بدلوا تبـديلا ) لم يغيروا ، ولم يخـلوا بشىء من العهـد الذى أخذوه على أنفسهم .

## البيـان

صـحابى جليـل اسـتظل بلواء الاسـلام ، ووجد حـلاوة الايمان ، فاعتز بدينه ، وهاجه الشوق الى اعلاء كلمته ، ورفع مناره ، ونشر هدايته ، فاتخذ من القتال فى سبيل الله معراجا لتحقيق مأربه ، وبلوغ غايته ، هـذا المقاتل الباسل هو أنس بن النضر عم أنس بن مالك راوى الحديث .

وقد كان من أمر هـذا الشـجاع البطل أنه لم يتيسر له حضور غزوة بدر . وهى اول حـرب وقعت فى الاسلام ، وانتصرت فيها دولة الحق والايمان على قوى الشرك والضلال ، وظفر كل مقـاتل فى هـذه الغزوة بوسام رفيع ، ومجد خالد ، وعطـاء جزيل ، ـ فحرص أنس بن النضر على أن يستعيض عما فاته ، ويبـذل طاقته وروحه فى سـبيل الله لينـال مثل هـذا الفضل البـاهر ، والمقـام الكريم ـ فذهب الى الرسول صـلى الله عليه وسلم بقلب عامر بالايمان ، ونفس تفيض حماسة الى الجهـاد ، وشـوقا الى الاسـتشهاد ـ وذكر له ما كان منه من الغياب عن غزوة بدر ، ونذر اذا قدر له أن يحضر قتـال المشركين أن يثبت أمامهم ، ويصـمد فى مجالدتهم ، ويتفانى فى حربهم ، ويكون على صـورة رائعة من القوة والشجاعة ، والتضحية والفداء يطلع الله تعـالى عليهـا فيمنحـه عظيـم التشريف والتكريم ، وأكد هذا النذر بالقسم ، فقال : ( لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ) ـ

وفى قوله : ( ليرين الله ما أصنع ) دون أن يذكر صنع أمور معينة ، أو أشياء محددة ـ دلالة كبرى على أدبه مع ربه ، وتقديره لقدره ، وحاجته اليه فى كل شأن من الشئون، وايمانه بأنه لا يقع فى الكون الا ما تعلق به علمه تعالى ، واقتضته حكمته ـ فخشى حينئذ أن يلتزم شيئا خاصا فيعجز عن الوفاء به ـ لذا كان اقتصاره على قوله : ( ما أصنع ) منبئا عن الدقة فى التعبير ، والفقه فى الدين •

فلما كانت غزوة أحد فرح هذا الصحابى الجليل بقدومها ، حيث وجد فيهافرصة مواتية لتحقيق أمله ، والوفاء بنذره ، والظفر برضوان ربه ، فاشترك فيها ، وأبلى بلاء حسنا ، وسجل بطولة ماجدة خالدة •

### فكرة عن غزوة احد

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل جبل أحد خلف ظهره ، واستقبل المدينة ، وأقام الرماة عند الجبل ، وأمرهم أن يبقوا فى أماكنهم، ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين ، أو عليهم ، فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم ، والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا ، والمسلمون على اثارهم يقتلونهم ، حتى اذا فشلوا وتنازعوا ، فقال بعضهم لبعض : قد انهزم المشركون ، فما موقفنا ههنا ؟ فأدخلوا عسكر المسلمين ، وخذوا الغنيمة مع اخوانكم ، ـ وقال بعضهم : لا تخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة ، فكر المشركون على الرماة ، وقتلوا عبد الله بن جبير ، وأقبلوا على المسلمين حتى هزموهم ، وقتلوا من قتلوا •

وفى هذا نزل قوله تعالى : ( ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين )(١) •

وتدل الآية الكريمة على أن المسلمين فى أول الغزوة تحقق وعد

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٥٢

الله لهـــم بالنصر على أعـــدائهم ، فهزموهم ، وقتلوهم قتـلا ذريعـا ، وذلك بسبب اتباعهم للتخطيط الحربى الذى وضعه القائد الأعلى للمسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جبنوا ، وتنازعوا ، وخالف بعضـهم أمر الرسول عليه الصلاة والسلام — حرصـا على الغنيمـة والدنيـا نزلت الهزيمة بهم ، فى الوقت الذى ابتلى المسلمون فيـه بالسلب بعد العطـاء ، والانهزام بعد الانتصار اتجه أنس الى ربه معتذرا اليه عما تسبب فيه بعض المسلمين من نزول البـلاء ، ومعلنـا براءته مما اقترفه المجرمون من بغى وعـدوان ، ويدل هـذا على أنه لم يرض الفعـلين ، وتعبـيره فى جنب المسلمين بالاعتذار ، وفى جانب المشركين بالبراءة يفيـد أن المخالفة التى وقعت من المسـلمين لم يـكن الباعث عليهـا تعمـد الاثم ، وانمـا كانت خطأ نشأ عن تأول واجتهاد ، بخلاف ما ارتكبـه المشركون ، فان الدافـع اليـه التمرد على الحـق ، والامعان فى العتو والافساد •

ففى التعبـير عن كل فـريق بمـا يناسبه شاهد على عمق الفهم ، وصدق القول ، وسداد القائل وبلاغته ، قال الزين بن المنـــير من أبلـغ الكـلام وأفصحه قول أنس بن النضر فى حق المسلمين : ( أعتذر اليك ) ، وفى حق المشركين ( أبرأ اليك ) ، فأشار الى أنه لم يرض الأمـرين جميعـا مع تغايرهما فى المعنى •

وتقدم الى ساحة الوغى بايمـان راسخ ، وحماس دافق ، واحساس صادق بالجنة ، وما أعد فيها للشهداء من رفيـع المنزلة ، وكريم الجزاء ، وطار قلبه شوقا الى الجهاد ، وحرصا على الصمود والاستشهاد ، فاسـتقبله سعد بن معاذ رضى الله عنه ، فأقسم له أنه يبتغى الجنـــة — وأنه يحس بقربهـا ، ويشم طيب ريحهـا — ثم انقض على الأعداء مقتحما جمعهم ، مستخفا بأمرهم ، مستبسلا فى قتالهم، والتنكيل بهم ، وأبدى بطولة رائعـه تقصر دونها همم الأبطال ، — وحسبك فى الاشـادة بهـذه البطـولة الأمور الآتية :

الأول :

ما ذكره سعد بن معاذ فى شـأنه لرسول الله صلى الله عليـه وسلم ، حيث قال :

فما استطعت يا رسول الله ما صنع أنس ، — فقد اعترف سـعد بأنه لم

يستطع أن يقدم اقدامه ، ولا أن يصنع صنيعه •

الثانى :

ما وجد من اصابات بجسده ، فقد أحدث به المشركون منهذه الاصابات عددا يزيد على الثمانين ، ما بين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ومثلوا به بعد قتله ، وغير كل هذا معالم جسمه ، فما عرفه أحد الا أخته الربيع بنت النضر ، عرفته ببنانه ، لأنه ـ كما جاء فى بعض الروايات ـ كانحسن البنان ، وتصرف الأعداء معه على هذا النحو يكشف عن حنقهم الشديد عليه ، لما غاظهم به من طول الصمود وشدة البأس ، ورهيب القتال •

الثالث :

ما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم من أنه نزل فى أنس وفى أشباهه قوله تعالى : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » فقد أفادت الآية الكريمة أنه من الرجال الأبرار الذين عاهدوا الله تعالى على نصرة دينه ، والاستشهاد فى سبيله ، فكانوا صادقين فيما وعدوا به ، أوفياء بما التزموه ، فمنهم من أنجز وعده فاستشهد فى سبيل ربه ، ومنهم من ينتظر القتل فى سبيله ، وهم جميعا لم يخلوا بشىء من العهد الذى أخذوه على أنفسهم ، وكفى بهذا تشريفا وتكريما •

الرابع :

أنه جاد بنفسه فى سبيل الله حين عظم الخطر ، وضعف الأمل فى الظفر ، فقدمها راضيا مستبشرا ، وهذا من أعظم مظاهر الجود والاحسان ، كما قال الشاعر العربى:

يجود بالنفس اذ ضن الجواد بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

رضى الله تعالى عن الصحابى البطل أنس بن النضر ، ورفع مقامه بين الشهداء •

**ما يرشد اليه الحديث :**

يرشد الحديث الى أحكام وفضائل نجتزىء منها بما يأتى :

١ ـ ينبغى للمؤمن أن يتدارك ما فاته من صالح الأعمال •

٢ ـ التنويه بشأن الجهاد ، والاستشهاد فى سبيل الله تعالى •

٣ ـ فضل الوفاء بالعهد ، ولو شق على النفس حتى يصل الى اهلاكها •

٤ ـ طلب الشهادة فى الجهاد لا يتناوله النهى عن الالقاء الى التهلكة •

٥ ـ الاشادة بفضل أنس بن النضر وما كان عليه من رسوخ الايمان وعظيم الشجاعة وعلو الهمة فى الجهاد •

٦ ـ مهما صنع الأعداء بالشهيد من تشويه وتمثيل فلن يضره شيئا ، لأنه تعالى سيعوضه عن ذلك جمال العاقبة ، ورفيع المنزلة •

٧ ـ استحضار المقاتل لما أعد له عند ربه خير ما يحمله على الثبات والشجاعة فى جبهة القتال •

٨ ـ يطلب الثناء والتقدير لمن صنع معروفا ، أو أنجز خيرا اظهارا لفضله، وحفزا لغيره على التأسى به •

٩ ـ الاستجابة لأمر الله ورسوله أقوم منهج فى تحقيق النصر والسعادة •

منحنا الله عز وجل مزيد الهداية والرشاد ، وأقامنا على صراط أسلافنا الأمجاد ، وأتم علينا نعمة النصر والاسعاد ؟

**منشاوى عثمان عبود**

# نادرة أعرابي تتحول إلى درس علمي

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن اعرابيا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يصلى ركعتين ، ثم قال : اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد تحجرت واسعا ، ثم لم يلبث أن بال في ناحية المسجد فأسرع الناس اليه ، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال : انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ، صبوا عليه سجلا من ماء أو قال ذنوبا من ماء .

أخرجه الترمذي وأبو داود ،وفي رواية البخاري والنسائي مفرقا في موضعين الذنوب الدلو العظيمة وكذلك السجل وانما يسمى بذلك اذا كان فيها ماء . في الأعراب جفاء وحدة وصراحة أورثها اياهم مناخهم وطبيعة معاشهم وظروف حياتهم وبعدهم عن مواطن الحضارة وندرة احتكاكهم بالناس في المعاملة ، فالاحتكاك بالناس في المعاملة وبخاصة أهل الحضارة يرقق الطباع ويهذب النفوس ويكسب العلوم والمعارف .

وللأعراب نوادرهم التي تناقلتها كتب التاريخ والأدب مفرقة أو مجموعة في فصول وكتب ،وهي على ما بها من فكاهة مضحكة قل أن تخلو من حكمة أو عظة أو تجربة ويسودها جميعها طابع الصراحة والصدق والبعد عن الرياء والنفاق .

ولقد احتوى حديثنا هذا نادرتين من تلك النوادر ، احداهما قولية والثانية عملية كانتا من أعرابي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واغتنمهما الرسول فرصة للتعليم والارشاد وبين رأى الاسلام فيما قال الاعرابي وما فعل ، ولم يتخذ منهما ملهاة يلهو بهما هو وأصحابه وحاشاه من ذلك وليس هذا شأن من اصطفاه ربه للرسالة والقيادة ، فقد

كان ينتهز كل فرصة ويترصد كل سبيل لينفذ منها الى ما يريد من بث تعاليمه وبخاصة اذا كانت تعاليم الهية أمر بتبليغها لتكون هدى وهداية •

احدى هاتين النادرتين أن الأعرابى دعا ربه بحضرة الرسول وحين دعا قال : اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم أحدا معنا ـ والدعاء كما نعلم ملاذ المكروب والملهوف والمضطر والمظلوم وكل ذى حاجة وحين تقصر أسباب هؤلاء عن تحقيق رغباتهم ومطالبهم يلوذون بربهم مستغيثين متضرعين وهو الملاذ الحق لقوته وقدرته وحوله وطوله ورأفته ورحمته فيقبل عليهم ويحوطهم بعنايته ويفتح لهم أبوابه ويعجل باجابة الدعاء حين يكون من الحكمة والمصلحة اجابة الداعى الى ما دعا ويرجىء الاجابة ويدخر ثواب الدعاء حين تكون الحكمة فى الارجاء والابطاء « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه »

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : ما من رجل يدعو الله بدعاء الا استجيب له فاما أن يعجل له فى الدنيا واما أن يدخر له فى الآخرة واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم ، أو يستعجل قالوا : يارسول الله وكيف يستعجل ؟ قال : يقول : دعوت ربى ما استجاب لى •

دعا الأعرابى فخص نفسه ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالدعاء فانتهز النبى الفرصة ليصحح خطأ الأعرابى فيما دعا به ، وبين له أدب الاسلام فى الدعاء • قال للأعرابى تلميحا واشارة: لقد أخطأت فيما دعوت حين خصصت نفسك ومحمدا وطلبت لهما الرحمة ولم تعمم بالدعاء المسلمين فحجرت واسعا وضيقت باب الخير فلم تجعله الا لك ولى مع أن باب الخير واسع ورحمته سابغة تسع المسلمين جميعا بل تسع غيرهم ، فلماذا لا تدعو للمسلمين جميعا وتطلب لهم الرحمة كما طلبت لى ولك ، ان المسلمين كنفس واحدة وينبغى لكل منهم أن يحب للآخر مايحب لنفسه ولا يرضى الاسلام بالأثرة والأنانية وسنته فى الدعاء وفى طلب الخير عامة أن يكون للمسلمين جميعا ، ومما جاء فى ذلك مما يتصل بوجوب تعميم الدعاء قوله صلى الله عليه وسلم : اذا دعا أحدكم

فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء .

وهكذا جعل الرسول من قول الأعرابى درسا فى أدب الدعاء فى الاسلام .

والنادرة العملية الثانية التى كانت من الأعرابى وأثارت غضب الصحابة فهموا ان ينالوا منه ويضربوه لولا تدخل الرسول وحكمته وتهديه لعلاج الأمر ، أن الاعرابى قام فى المسجد فجعل يبول فيه منتهكا حرمته غير مبال بتنجيسه وتقذيره فحاول الصحابة أن يمنعوه ويقطعوا عليه بولته وعنفوا عليه فى ذلك فاستمهلهم النبى وقال كما فى بعض روايات الحديث لا تزرموه أى لا تقطعوا عليه بوله ، وقد انتهز الرسول هذه النادرة أو البادرة من الأعرابى وأخذ يبين رأى الاسلام فى احترام المسجد وعلاج نجاسته وتطهيره من بول الأعرابى وغيره وفى بيان أدب الحديث وعلاج أغلاط الناس حين ينحرفون عن أحكام الاسلام عمدا أو خطأ أو جهلا ، وأغلب الظن أن ما فعله الأعرابى كان عن جهل منه وأنه لم يكن يعرف تفاصيل أحكام الاسلام فى النجاسات وفى وجوب صيانة المساجد منها ، أما أمر تطهير المسجد من بول الأعرابى فقد قال الرسول : ان تطهيره يكون بأن يصب عليه دلو كبير من الماء يذهب بهذا البول الى بطن الأرض حين تمتصه مع الماء الذى أريق عليه كما قال بعض الفقهاء فى تعليل ذلك وينبغى أن يلاحظ أن المسجد لم يكن مفروشا حينذاك والا لكان لعلاج تلك النجاسة طريق آخر ، وقد كان هذا الحديث مجالا لأبحاث الفقهاء واجتهاداتهم فى أحكام نجاسة البول وتنجيس الأرض به وكيفية تطهيرها منه وتطهير غيرها من بدن أو ثوب ، وقد تناولت ذلك كله كتب الفقه من كل المذاهب فى تفصيل يشبع رغبة المستزيد .

أما الأمر الثانى الذى أراد النبى أن يستغله من هذه البادرة ليذكر أصحابه به فهو أسلوب الجدل فى التعليم والوعظ وعلاج الانحراف وقد أجمل الرسول فى هذا الحديث ما فصل فى كثير من آيات الكتاب الكريم وسنة رسوله العظيم عن هذا الأسلوب وخاصة اذا كان الجدال مع المحادين لله ورسوله والمعاندين لكتابه

ودينه ، وبين أن خاصة هذا الأسلوب وما ينبغي أن يتميز به هو اليسر والرفق واللين، فالكلمة الرقيقة تعمل عمل السحر في اجتذاب القلوب وتأليف النفوس وصدق رسول الله اذ يقول : ان من البيان لسحرا ، والكلمة الطيبة تثمر المودة والألفة والاستجابة الى المبدأ الصالح ودعوة الحق ، والكلمة الجافة الغليظة لاتثمر الا ما يمر مذاقه ويعاف طعمه ويسوء أثره من جفاء وخصام وعناد ومكابرة وقد استفاضت الآيات والأحاديث بالدعوة الى لين الحديث والتلطف فيه والتحذير من تغليظه وتخشينه ويكفينا في هذا وذاك قول الله سبحانه وتعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » •وقوله جل جلاله للرسول صلى الله عليه وسلم : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » •

والكلمة اللينة ثمرة التواضع وأمارة الثقة والاقتناع بما يقال ، أما الصخب والضجيج واللجاج في الحجاج فهو دليل الكبر والتعالي والتهمة في صحة ما يراد ابلاغه وافهامه والاقناع به •

لقد فهم الرسول عقلية الأعرابي ومقدار تفهمه للأمور فوجهه الى الصواب فيما قال وفعل برفق وكذلك وجه صحابته حتى لا تثور حمية الأعرابي فيستعصي على التوجيه ويركب متن الشطط فيعمد الى الرفض والمكابرة ، وهكذا كان أسلوب الرسول تطبيقا عمليا لقوله : حدثوا الناس بما يفهمون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟

**ابو الوفا المراغي**

# أوهام الكتاب في ذكر الأنساب

للأستاذ السيد حسن قروة

اتفق لى فى شهر ديسمبر (١٩٧٣) أن قرأت ثلاث مقـالات فى ثلاث مجلات لها وزنها واعتبارها فى الوطن العربى ، والعـالم الاسلامى تعرضت لأنسـاب بعض أسـلافنا الأجلاء ، فوقعت فى أخطاء أكنت أود ألا تقـع فيها ، ولا سيما اذا كانت الكتابة عن رجال أمثال عمر وخالد ومصعب بن عمير رضى الله عنهـم ، ومن حق هؤلاء السادة اذا كتبنا عنهم أن نوفيهم حقهـم من التجلة والاكبـار ، وفى مقدمة ذلك الصدق فى ايراد أنسابهم ، وبيان أقدارهم وآثارهم •

وانه لمن صميم القـومية العربيـة معرفة أصولنا ، وصلات القـربى بين كل عشيرة وعشيرة ، وقد كان علماء الأنسـاب العـرب يدققـون فى سرد الآباء والأجداد ، ويعنـون بشـجرة القبيلـة ، ويرجعـون كل بطن الى عشـيرته ، وكل مولى الى مواليـه ، لا يضنون بجهـد ، ولا يبعـدون عن الحق • وحين نشأ التاريخ العربى فى العصر العباسى ، وصـارت له كتب مؤلفة كانت تلك السمة هى العـلامة المميزة لكل ما يسطرون ويدونون ، يتخذون الاسـناد سـبيلهم الى بلوغ القصد ، وجلاء الحقيقة ، فاذا حدث اختـلاف فى نسب أداروا فيه الرأى حتى يتبين لهم وجه الصواب ، وانهم لبالغوه •

وعلم الأنساب ليس خاصـا بالأمم المتبـدية ، بل لا يزال له خطـره فى الأمم المتحضرة ، وما زلنا نقرأ أنساب النـاس فى الشرق والغـرب ، بل لمفكرى الغرب غرام بعيد المدى بهذا العـلم فى العصر الحـديث ، وكم للمستشرقين من جولات حول نسب الرسـول الكريم محمـد بن عبد الله صلى الله عليه وسـلم يوضحون بهـا ارتفاع نسبه الى الخليل ابراهيم عليه السلام •

والمجلات التى وقع فيها الخطأ هى : ( منبر الاسلام ، الثقافة ، العربى ) جاء ذلك فى مقالات ثلاثة لثلاثة من الكتاب ، نعتز بهم ، ويحسن القراء الظن بكتاباتهم ، ويأخذون ما يقولونه بثقة واطمئنان ، وما ينشر فى تلك المجلات وغيرها ثقافة والثقافة يجب أن تجىء الى الأذهان صافية لا تشوبها شائبة الخطأ أو النسيان ، وما يكتب فيها يعتمد على الأناة والفحص والتقصى لا عجلة ولا اقتطاف ، وما كان من الثقافة فى الدراسات الانسانية يرتفع بالصدق الى شامخ الأداء الفنى الذى يطيب للنفوس وللعقول على السواء ، ويجد فيه الحس مرتعه ، والذهن مجتلاه •

وقد كنت أوثر أن أضرب صفحا عما جاء فى تلك المجلات الرائدة لولا أنى رأيت أن تركه مما لا يرضاه الصدق والمنطق والحقيقة التاريخية ، ولأنى أحب أن أكون انسانا يشارك فى اسداء الخير ، ودفع الغمة عن الأفهام حين ترد على طريق الأقلام ، ولأن القارىء والكاتب معا شريكان فى البحث عن الحقيقة ، والوصول بها الى هدفها وهو عظيم •

والصدق يملى علينا أن نذكر الحقائق ولا نتغاضى عن شىء منها ، وبخاصة أنها مذكورة مسطورة فى كتب التراث لا يعز على أحد العثور عليها ، ونشرها ناصعة رائعة أمام طالبيها ، والكاتب فى المجلة ـ وهدفه التثقيف ـ لا يستكثر على الحقيقة مجهودا ، شأنه فى ذلك شأن المدرس فى المدرسة ، والمحاضر فى الجامعة يعنيه أول ما يعنيه الأمانة العلمية ، أما الأسلوب وجماله ، والبراعة فى الأداء فهما فى المحل الثانى ، واذا نسى شيئا أو سها عنه أو أخطأ فيه بادر حين يتبين له وجه الصواب الى اعلان ما وصل اليه بحثه ، وجلى الغاشية عن عيون تلاميذه أو مريديه ، وهو بذلك يكتسب ثقة أكثر واعظاما أكبر ، ويجد فى نفسه فرحة الباحث ، وراحة الرائد ، وغبطة الواجد •

أقول هذا بمناسبة ما قرأت فى تلك المجلات التى أشرت اليها آنفا ، وها أنذا آخذ فى ذكر تلك الأخطاء ، وأتبعها بصحيح الآراء والله الهادى الى الصواب •

١ ـ جاء فى مجلة ( منبر الاسلام ) مقال للأستاذ ( أحمد زين ) وهو

كاتب معروف ببحوثه النافعة ، ولكنه أدركته « أوهام الخواص » فأخطأ فى نسب ( مصعب بن عمير ) الصحابى الشهيد ، فقد كتب عنه تحت عنوان « درس من غزوة أحد – رجل وامرأة فى معركة الصمود » أما المرأة فهى أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية ( الأنصارية ) وأما الرجل فهو مصعب ابن عمير ، وهو الذى يعنينى هنا ، فقد أورد الكاتب نسبه هكذا : « مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف – حامل اللواء – يلتقى نسبه مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم فى جده الثانى .. » وهذا خطا . من اين جاء الخطأ للكاتب ؟ ان الكاتب لم يتم قراءة نسب مصعب ، ولو أتمه لبانت له الحقيقة ، ولعرف أنه لا يلتقى مع محمد صلى الله عليه وسلم فى ( جده الثانى ) فهاشم المذكور ليس من أجداد النبى ، وانما هو تشابه أسماء ، ووهم من أوهام الخواص ، وتعال معى نقرأ نسب مصعب كما هو معروف فى كتب السيرة والتاريخ ، وقد ذكر فى أكثر من موضع حين هاجر الى الحبشة ، وحين استشهد ، وحين كتب عن شخصيته ابن سعد فى الطبقات ، وأنقل لك نسبه من كتابين أمامى : الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ، وتاريخ الأمم والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى . قالا : « ومن بنى عبد الدار بن قصى مصعب الخير ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى » فعلى هذا يجتمع مع رسول الله فى ( قصى ) وهو الجد الرابع له ، فورود هاشم وعبد مناف فى نسب مصعب هو الذى جلب الخطأ الى الأستاذ أحمد زين .

وعبد الدار بن قصى أخو عبد مناف ابن قصى جد الرسول ، ولعبد الدار جد مصعب منزلة سامية فى قريش شأنه شأن أخيه فى الجاهلية ، وقد كان عبد الدار أحب أبناء قصى الأربعة الى أبيه ؛ لذا خصه بأعظم وظائفه : وهى سدانة الكعبة ، ودار الندوة واللواء ، وأعطى عبد مناف الرفادة وسقاية الحجيج ، وسنرى أثر ذلك ابان ظهور الاسلام ، وأغلب الظن أن عبد الدار كن معجبا بأخيه عبد مناف فسمى ابنه باسمه ، ومن ثم كان عبد مناف فى نسب مصعب بن عمير ثم هاشم أيضا .

واذا نظرت الى نسب أم الرسول وجدت فى نسبها ( عبد مناف ) وهى

من بنى ( زهرة ) وتجتمع مع الرسول فى الجد الخامس ونسبها هو « آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم ــ الملقب بكلاب ــ وزهرة أخو قصى الأكبر وعم عبد مناف جد الرسول لأبيه ، وفى ظنى أيضا أن زهرة أعجب بابن أخيه عبد مناف فسمى ابنه باسمه ، ونرى كثيرا من بطون قريش قد أسمت ( هاشما ) لنفس السبب ، ولأن هاشما أتى بالبركة والحياة الرغدة لقومه بايلاف قريش وسن الرحلتين الى الشام واليمن صيفا وشتاء ، ترى ذلك فى بنى مخزوم ، وبنى سهم ، وفى بنى عبد الدار ــ كما قدمنا ــ .

ونعت مصعب بن عمير بحامل اللواء ؛ لأن رسول الله ــ صلوات الله عليه ــ أمره بحمل اللواء فى غزوتى بدر وأحد مجاراة لقريش فى عرفها ، واتباع قصى فيما قضى به ، وهو أن اللواء لبنى عبد الدار ، وما دامت قريش تفى لعبد الدار وهى كافرة فالنبى أولى منهم بالوفاء ، ومعه صاحبه مصعب فى جهاده أعداءه ، وفى غزوة أحد أخذ اللواء بنو عبد الدار وهم مشركون واحدا اثر واحد فاستحر فيهم القتل حتى كادوا يفنون ، فأبت قريش الكافرة يومئذ الا أن يكون اللواء لأصحابه فحمله مولى لبنى عبد الدار ، وقد سجل شاعر الرسول حسان بن ثابت ذلك الموقف حين خاطب أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب شاعر قريش فى تلك الآونة ، قال حسان :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى
مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبدا
وعبد الدار سادتها الاماء

بل حسان صرح باسم ذلك العبد فى قصيدة أخرى ، واسمه ( صواب ) وكان لبنى أبى طلحة ( من بنى عبد الدار ) قال :

فخرتم باللواء وشر فخر
لواء حين رد الى ( صواب )
جعلتم فخركم فيها لعبد
من الأم من وطىءعفر التراب

وما من شك فى أن بنى عبد الدار كان لهم شأن ملحوظ فى قريش لكثرتهم وثروتهم حتى رأينا ( هند

بنت عتبة ) تحرض فرسانهم يوم أحد قائلة :

ويهـا بنى عبـد الدار
ويهـا حمـاة الديـار
ضربا بكل بتار

وقد أكثرت من الاستدلال،وتقصى النسب ، وبيان منزلة عبد الدار فى قريش لأوضح الفكرة توضيحا يفيد القارىء ويرضى الحقيقة ، وكفى بنى عبد الدار سيادة وعزا ومكرمة أن سدانة الكعبة بقيت لهم فى الاسلام كما كانت لهم فى الجاهلية وقد حدث بعد فتح مكة سنة ٨ هـ أن انتزع على ابن أبى طالب كرم الله وجهه مفتاح الكعبة منهم ظنا منه أن أمر قصى قد مضى وانقضى ، ولكن الرسول الكريم رد المفتاح الى بنى عبد الدار ، وجعل سدانة الكعبة لهم الى ما شاء الله .

ولم يكن مصعب وحيد والديه كما قال الكاتب بل كان له اخوة منهم أبو عزيز الذى كان مع أمه (خناس) وهى أم مصعب مع قريش فى غزوة أحد.وبهذا أكون قد قضيت واجبى نحو مصعب طيب الله ثراه .

٢ ـ وقرأت فى مجلة ( الثقافة ) « عـدد خاص ـ طه حسين المفكر الأديب » للأستاذ محمد عبـد الغنى حسـن وعنـوان مقـاله : « الأداء الفنى عند طه حسين » هذه العبارة . « والذين يعيبون التكرار على طه حسين كما يعيبون عليه الاطالة فيما يجزى، فيه الايجاز ينسون أن البلاغيين وأهل البيـان قد نصـوا على أن للتـكرار والاطالة مواطن لا يحمد فيها غيرهما، وذلك من رعاية المقتضيات التى لا تتم البلاغة الا بها ، فحين تلكأ مروان عن مبايعته ليزيد بن معاوية قال له يزيد : « أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فاعتمد على أيهما شئت » وذلك ايجاز فى مقام كان يقتضيه ويدعو اليـه . أما بعد ذلك بزمن ، فقد كان المقـام يقتضى الاطالة والتكرير ، ومن هنا عقب الأديب الكبير ( ابن قتيبه ) على قول يزيد بن معاوية بقوله : ان هذا لو قيل الآن لم يأت بالتأثير المطلوب ، والصواب أن يطيل ويكرر ، ويعيـد ويبتدىء ، ويحذر وينذر » .

وأنا هنا لا أناقش الأستاذ عبدالغنى رأيه فى الاطالة والايجاز ، ولا ابن قتيبة رأيه فى دعواه ، ولكنى أصحح وهما من « أوهام الخواص » حال بين الكاتب وحقائق التاريخ ، لم يتلـكأ ( مروان ) المذكور عن بيعة ( يزيد

ابن معاوية ) ولم يكتب اليه يزيد ، والكاتب هنا جمع بين أول العصر الأموى وآخره ، فى أوله الأسماء ، وفى آخره الأحداث ، وكيف كان ذلك ؟ يزيد بن معاوية بن أبى سفيان تولى الخلافة سنة ٦٠ هـ ولم يخرج عليه أحد من بنى أمية لا مروان ولا غير مروان حتى مات سنة أربع وستين من الهجرة ، انما التاريخ يذكر أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان حين استولى على الحكم بعد مقتل ابن عمه ( الوليد بن يزيد ) سنة ١٢٦ هـ تلكأ مروان بن محمد بن مروان عن مبايعة يزيد بن الوليد ، فكتب اليه يزيد هذا تلك العبارة التى تغنى عن الجيش اللجب لصدقها فى التهديد ، ونص الرسالة كما جاءت فى العقد الفريد لابن عبد ربه : « أما بعد ، فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت ، والسلام » ولولا أن الأستاذ الكاتب كرر يزيد ابن معاوية مرتين ، وذكر مروان دون تحديد أبيه أو زمنه ما نوهت بهذا التصحيح ، ويزيد بن الوليد صاحب الرسالة الموجزة كان ينعت بالناقص ، والعرب تقول : الناقص والأشج أعدلا بنى مروان . والأشج هو عمر بن عبد العزيز توفى سنة ١٠١ هـ .

٣ - وقرأت فى مجلة ( العربى ) عدد ( ذو القعدة ) للأستاذ عبد الستار أحمد فراج مقالا عن « خالد بن الوليد فى اليرموك » قوله : « خالد بن الوليد بالنسبة لعمر بن الخطاب ذو قرابة ، فأم عمر هى حنتمة بنت هشام ابن المغيرة أخت أبى جهل ، وابنة عم خالد بن الوليد » وأنا أعذر الأستاذ عبدالستار فى جعله عمر بن الخطاب ابن أخت أبى جهل ، فقد ذكرت بعض الكتب ذلك خطأ بل هى ابنة عم لأبى جهل ، ولخالد بن الوليد ، وكان ينبغى للكاتب أن يمحص القول قبل أن ينشره ، ويراجع الرأى قبل أن يصدره ، والحقيقة بنت البحث كما يقول المناطقة . جاء فى ( أسد الغابة فى معرفة الصحابة ) وأمه ( عمر بن الخطاب ) حنتمة بنت هاشم بن المغيرة . وقيل بنت هشام بن المغيرة ، وعلى هذا تكون أخت أبى جهل ، وعلى الأول تكون ابنة عمه . قال أبو عمرو: من قال ذلك - يعنى بنت هشام - فقد أخطأ .

وفى « تاريخ عمر بن الخطاب » لابن الجوزى . قال فى نسب عمر رضى الله عنه : « وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة ، وقد حكى أبو نعيم الأصفهانى عن ابن اسحاق : أمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة ، وأبو جهل خاله ، فتأملت فاذا هو غلط ، وقد ذكره الدارقطنى فقال : هى حنتمة بنت هاشم ، وقال عبد الغنى الحافظ : حنتمة بنت سعد بن المغيرة وهو غلط والصحيح ما ذكرناه » وهذا عجيب ، فعمر شخصية عظيمة ، وبنو مخزوم أخواله أنسابهم واضحة ، ولا أدرى لم كل هذا الاختلاف ؟ فلم يذكر فى أثناء الجهاد فى مكة والمدينة أى قول عن خئولة أبى جهل لعمر ، وقد كان عمر اذا تحدث عن أخواله تحدث عن خالاته فى بنى مخزوم ، فقد كان يخدمهن ، فيعطينه شيئا من الزبيب ، ومن سيرة عمر تبين لنا أن له خالا واحدا قتله بيده فى غزوة بدر اسمه العاصى بن هاشم بن المغيرة ، وقد صرح بقتل خاله فى حديث جرى بينه وبين سعيد بن العاصى الأموى .

وقد ذكرت الطبقات الكبرى نسب عمر على الوجه الآتى : « عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه وأرضاه ــ ابن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى ابن كعب ــ وكعب الجد الثامن للرسول ــ ويكنى أبا حفص . وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم » .

وفى الطبرى جاء عنوان « ذكر نسب عمر رضى الله عنه » وبعد أن ذكر نسب أبيه قال : « وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم » فلا مشاحة فى هذا النسب وهو نسب صريح ، وكيف لا يكون كذلك وهو ابن الخطاب من بنى عدى بن كعب بن لؤى ، وأمه من بنى مخزوم ريحانة قريش ، ومنهم الفوارس العظام فى الجاهلية والاسلام ، وكفاهم فخرا خالد بن الوليد ولا شك أن الأستاذ عبد الستار لحقت قلمه ( أوهام الخواص ) فجعل أبا جهل أخا لأم عمر رضى الله عنه وهو ابن عمها كما أشرنا سابقا .

هذا وأرجو أن أكون قد كشفت في كل ما سطرت في هذا المقال عن حقائق في النسب والتاريخ تميط اللثام عن مكانة أسلافنا العظام بين قومهم ، وجلونا أنسابهم للقارىء والكاتب على السواء يحدونا في هذا قول عمر رضي الله عنه : « صديقي من أهدى الى عيوبي » وما هي بعيوب ، انما هي هفوات قلم ، وعجلة في الأداء ، وبالله التوفيق ؟

السيد حسن قرون

# شخصية المسلم وكيف يكونها الاسلام ؟

للأستاذ على القاضى

**معنى الشخصية :**

يعرف علماء النفس الشخصية بأنها : مجموعة الصفات والخصائص المختلفة التى يتميز بها فرد عن غيره . فهى نظام متكامل من مجموعة الخصائص العقلية والاجتماعية والذهنية والجسمية الفطرية والمكتسبة تتفاعل مع الظروف والأوضاع الاجتماعية التى يعيش فيها الفرد .

**تكوين الشخصية :**

تكون الشخصية نتيجة تفاعل دائم بين استعدادات الفرد الموروثة وبيئته ، فالانسان يولد مزودا بطائفة من استعدادات فطرية منها الذكاء والقدرات الخاصة والمزاج والدوافع ويعيش فى بيئته بين ناس وأشياء والبيت له أثره عن طريق ما يدور فيه من العواطف والصلات ، وأغلب علماء النفس يرون أن مرحلة الطفولة وبخاصة الطفولة المبكرة التى يقضيها الطفل فى البيت ذات أثر عميق فى الحياة النفسية للفرد ، وفى تحديد الخطوط الأساسية للشخصية فيما بعد ، والمدرسة لها أثرها عن طريق الرفاق والمدرسين ومركز الطفل فى المدرسة وما الى ذلك .

والاسلام لهذا كله يتدخل فى تكوين الطفل منذ البداية فيطلب أن يكون أساس اختيار الزوج والزوجة التقى ، ولذلك ينهى عن الزواج من خضراء الدهن ، وهو بذلك يكسبه صفات وراثية سليمة ثم يهيىء له جوا هادئا قائما على أساس من المودة والسكن والطمأنينة بحيث يعطى للطفل كل حاجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية فى ظل الاسلام ومثله .

ويرسم الاسلام طريق التربية فى البيت وفى المسجد وفى المدرسة وفى المجتمع فى ظل القيم الاسلامية ، اذ أن مما يعين على تكوين الشخصية القوية أن تسير فى طريق الخير الذى يعطى

للشخصية حيويتها وقدرتها على أن تكون ايجابية تحفظ قوام حياتها العقلية والجسمية والروحية من أن تبدد فى الشباب ، ولذلك فان الرسول يسدى نصيحة للمسلم بقوله : ( قل آمنت بالله ثم استقم ) والقرآن بين له ( ان الله لا يضيع أجر المحسنين ) وطريق الشر وان كان يلذ للانسان فى أوله ويجد فيه السرور فان ذلك قصير الأمد ثم يفضى الى أن تتهدم الشخصية تماما ، ومن هنا فقد حرم الله طريق الشر كله ، وأبان للمسلمين أن الله لا ينظر الى صورهم وأجسامهم ولكن ينظر الى قلوبهم وأعمالهم .

والمسلم مع هذا مطالب بألا يغالى فى العبادة بمعناها المحدود ، بل عليه أن يعطى جسمه حقه وروحه حقها . ومصدر الاضطرابات التى نراها فى مجتمعنا الحديث العناية بناحية واهمال الأخرى ، وفى الحديث الشريف : « ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » ويقول الرسول : ( روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا تعبت كلت ) .

ومما يقوى شخصية المسلم أن يسير فى حياته فى أسلوب الاعتدال ففى المال لا يسرف ولا يقتر متبعا قوله تعالى : ( ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ) وفى الطعام كذلك ( وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ) وقد أثبت الطب الحديث أن كثيرا من الاضطرابات العقلية والجسمية انما تجىء من الاسراف فى الطعام والشراب ، بل ان كل ما حرمه الاسلام انما حرمه من أجل الحفاظ على الكيان الانسانى ومن ذلك : الخمر والمخدرات لأنها تفقد الانسان سيطرته على أعصابه ، ومن ذلك أيضا : الربا والقمار والغش والكذب والنميمة والتجسس ، لما لذلك من أثر على الصحة النفسية للفرد والمجتمع . ثم هو يقويها بالرياضة الجسمية وبالتعاون على الخير وبالتواصى بالحق والصبر وبتهيئة الجو الاسلامى الذى يعمل على اسعاد الفرد واسعاد المجتمع ويجعل المسلم يشعر بالرضا والاطمئنان ويعمل الخير للمجتمع . وبذلك يكون الفرد قويا ، والمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف .

والفرد فى جماعة المؤمنين له شخصية وله كيان خاص وله حقوقه قبل الأفراد وقبل المجتمع ، ذلك لأن الاسلام لا يذيب الفرد فى المجتمع ولا يجعل الفرد يطغى على المجتمع ، ولذلك قال الله فى كتابه الكريم : ( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ) فى صيغة الجمع • وهذا يدل على أن الفرد له شخصيته المستقلة • ومن هنا يمكننا أن نقول : ان الاسلام ضد افناء الفرد فى المجتمع وبالتالى ضد اهدار حريته والغاء كيانه الخاص •

**الشخصية المتكاملة :**

الشخصية المتكاملة هى الشخصية الناضجة التى تستطيع أن تنتج انتاجا معقولا فى حدود استعداداتها وقدراتها وتستطيع أن تعقد مع الناس صلات اجتماعية راضية مرضية مع تحمل صعوبات الحياة والشعور بالرضا وضبط النفس وعدم التناقض فى التصرفات • والاسلام يحرص على أن يكون المسلم ذا شخصية متكاملة تستطيع أن تعمل وأن تنتج وأن تكون راضية عن نفسها وعن تصرفاتها المطابقة لنظام الاسلام •

وليس المهم أن يوجد بالانسان نقص • ولكن المهم ألا يعوقه هذا النقص عن السير فى الطريق الذى يحقق له هدفه فاذا ما حدث للمؤمن أزمة أو شدة على غير ما كان يتوقع فعليه أن يطمئن الى أن الخير قد يكون فى ذلك ( وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا )• والشدة التى تأتى للمسلم فيها فائدة لأنها تعوده تحمل الصعاب الموجودة بالحياة ، ومع ذلك فللصابر أجره عند الله ( انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ) •

ولكن الانسان عليه فى البداية أن يفكر فى الأمر ويستشير أهل الذكر ويستخير الله فاذا عزم فليتوكل على الله فاذا ما كانت النتيجة على غير ما يهوى فلا ينبغى أن يفلت الزمام منه ولا أن يقضى وقته فى التحسر على ما فات ، يقول النبى الكريم : ( واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شىء فلا تقل لو أن كذا كان كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وماشاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان ) فالمسلم لذلك لا يتحسر على ما فات اذ أن ذلك مجهد للنفس بلا فائدة ، واذا ما كانت الشدة بالنسبة لجماعة

المؤمنين فانها شدة لا تلبث أن تزول ، والصراع بين الحق والباطل صراع فى وضعه الطبيعى والله يقول فى مثل هذا الموقف : ( ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ) والشدة التى يقع فيها المؤمنون من طبيعتها أن تميز الخبيث من الطيب وتظهر المخلص من غيره وتظهر المؤمن فى بوتقة الشدة ( أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب ) ومع ذلك فان على المؤمن أن يؤدى واجبه وأجره على الله • أما النصر فيأتى بالطريقة التى يراها الله ( وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ) •

ويتوج هذا كله بالأمل فى كل الأحوال فالمسلم الكامل لا ييأس أبدا ( ولا تيأسوا من روح الله ) واليأس والايمان لا يجتمعان فى قلب مؤمن كما يقول النبى عليه السلام •

والمسلم بعد هذا مسئول عن تصرفاته لا عن تصرفات غيره (ولا تزر وازرة وزر أخرى ) ( لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ) وهو كالحارس المسئول عن منطقة خاصة عليه أن يحرسها ( كلكم على ثغرة من ثغر الاسلام فلا يؤتين من قبله ) وكل عضو فى المجتمع راع ومسئول عن رعيته ( كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ) •

**مقومات الشخصية الاسلامية :**

يقول علماء النفس : ان مقومات الشخصية هى الصحة الجيدة والذكاء والشجاعة والمهارة والحماسة والحكم السليم والخلق والثقافة والتواضع والثقة بالنفس والعدالة •

والاسلام يرى هذه المقومات ويضعها فى اطارها الاسلامى الذى يميز شخصية المسلم من غيرها من الشخصيات فهو يعنى ببناء النفس من الداخل ، وهو يصوغ المسلم صياغة انسانية جديدة أساسها الصلة بالله وابراز خصائص الانسانية العليا ويطهره من أدران الغرائز الدنيا والتجافى به عن كل ما لا يتفق مع كمال انسانيته وطبيعة فطرته ، واستكمال معانى القوة والجمال والسمو بعقله ووجدانه وجسمه ليكون فى أحسن تقويم •

والقرآن يبين للمسلم مكانتـه من مخلوقات الله فالله سبحانه وتعـالى كرمه وفضله على كثير من مخلوقاته ( ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقنـاهم من الطيبـات وفضلنـاهم على كثـير ممن خلقنـا تفضيلا ) • وذلك لأنه سـواه ونفخ فيـه من روحه وطلب من الملائـكة الأطهار أن يسجدوا له ( فاذا سويته ونفخت فيـه من روحى فقعـوا له ساجدين ) ثم جعـله خليفـة له فى الأرض وجعل هـذه الأمة خير أمة أخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتنشر العـدل فى هذه الأرض كمـا تنشر المساواة بين الناس جميعا •

### الاسـلام يزيل العقبـات ليحـرر الشخصية الاسلامية :

والاسلام يزيل كل العقبات التى تقف أمام شخصية المسلم لينطلق فى هـذه الحيـاة مؤديا لواجبـه طبقـا للأساس الذى رسمه له الاسلام فهو خير من يحرره من الخوف • والخوف بجميع أنواعه : الخوف من الفقـر ، ومن الهم ، ومن الحزن ، ومن العجز ومن الكسـل ، ويطلب منـه أن يدعو دائما ( اللهم انى أعوذ بك من الهـم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبـة الدين وقهـر الرجال ، اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر ) ذلك لأن المسلم متصل بالله اتصالا كاملا ومسلم وجهـه له وهو يطلب منـه الهداية والعون والقوة فهو لا يعبـد غيره ولا يستعين بغيره ، وهو يطلب منه أن يهديه الصراط المستقيم مرات عديدة فى كل يوم واذا كان الله هو سنده وعونه فممن يخاف ؟ وما الذى يهمـه فى هـذه الحيـاة ؟ والأمة لو اجتمعت على أن ينفعـوا المسـلم لم ينفعوه الا بشىء قد كتبه الله له ولو اجتمعت على أن يضروه لم يضروه الا بما كتب الله عليه كما جاء فى وصية الرسول عليه السلام لابن عباس رضى الله عنه •

وراحة الانسان وسعادته تأتى من الصـلة القوية بالله ـ أما المـال فهو حلوة خضرة اذا أخـذه المسلم من طريق الحـلال وأنفقـه طبقـا لتعاليم الاسلام ، والا فهو شر ومع ذلك فليس للانسـان من ماله الا ما أكل فأبلى أو لبس فأبلى أو تصدق فأبقى ، واذا

خاف الانسان الفقر فعليه أن يطمئن فما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها والله قد تكفل بالرزق ( وفى السماء رزقكم وما توعدون ) .

وحاجات الانسان الضرورية تكون فى الأمن وفى الصحة وفى الضرورى من القوت ( من بات آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ) وهذا ما قرره علماء الاقتصاد فى العصر الحديث .

واذا خاف الانسان من طغيان حاكم فعليه أن يطمئن الى الله والى قوته فالله قادر على أن يهلك الطاغية كما أهلك طغاة كثيرين فان مد لهم فى الأجل فلحكمة يعلمها . ومع ذلك فالمؤمن الذى يبتلى بحاكم ظالم هو فى رحمة الله وفى رضوانه وكل ما يصيبه له ثوابه والنصر والهزيمة من عند الله ( ان ينصركم الله فلا غالب لكم ) واذا نصر المؤمنون الله فقد تكفل الله بنصرهم ( ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ) أما ما يصيب الفئة المؤمنة من الاضطهاد والتعذيب فذلك طبيعى ليميز الله الخبيث من الطيب . وليبين الصادق من الكاذب ( وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ) وعناية الله بالفئة المؤمنة دائمة وثوابه محيط بهم ورحمته لهم واسعة .

وقد بلغ من عناية الاسلام بتكوين شخصية المسلم وبث الاطمئنان فى قلبه أن بين له أن كل ما فى الكون صديق له خلقه الله من أجله ( خلق لكم ما فى الأرض جميعا ) كما بين له أن الله رحيم به اذا دعاه فهو المجيب له ( واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان ) وان طلب منه العون أعانه بل أن النبى الكريم يبين قوة صلة العبد بالله بهذا التشبيه الرائع الذى يقول فيه : ( أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه ) .

**خاتمة :**

وبهذه التربية استطاع الاسلام أن يكون شخصية المسلم المتكاملة التى تعيش فى سعادة والتى تؤدى رسالة الله فى هذا المجتمع فتنشر الأمن والطمأنينة فى هذه الحياة وتحمل

المودة والعطف والمساواة التامة بين الناس فيسعد المجتمع أيضا •

واذا سعد الفرد وسعد المجتمع فقد اكتمل كل ما يريده الانسان ، وهذا ما تسعى الفلسفات المعاصرة فى الوصول اليه لولا أنها أخطأت الطريق ، وفى ذلك يقول ديوارنت فى كتابه ( قصة الحضارة ) ( الخاصة المروعة فى حضارتنا هى أن تقدمها المادى أكبر بكثير من تقدمها الروحى ـ اننا نغالى فى تقدير انجازاتنا المادية ولا نقدر أهمية العنصر الروحى فى الحياة حق قدره ) •

والخطة التى وضعها الاستشراق لتحطيم شخصية المسلم تتلخص حسب ما جاء فى كتاب ( المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والاسلامى ) فى قوله ( دعوة المسلم الى الكفر تلقى نفورا فى المجتمع الاسلامى ويكاد يكون من المحال احراز تقدمفيه باعتناق هذه الدعوة •

ولذلك ينبغى أن تكون الخطة أولا تجريد شخصية المسلم من الالتزام بالتكاليف وتحطيم قيم الدين الأساسية فى نفسه بدعوى العلمية والتقدم دون مساس بقضية الآلهة مؤقتا لأنها ذات حساسية خاصة •

وبمرور الزمن ومع الف المسلم لهذا التجريد يسهل فى نهاية الأمر تحطيم فكرة الآلهة أساسا فى عقله ووجدانه ـ واذا بقيت افتراضا فلا ضرر منها ولا خطر لأنها حينئذ لن تكون سوى بقايا دين كان موجودا ذات يوم بعيد ) •

وقد نجحوا الى حد كبير فى تنفيذ مخططهم ولكن العالم الاسلامى استيقظ وبدأ يزيح عن طريقه كل العقبات ليسير فى الطريق السليم طريق الاسلام الذى يحقق للمسلمين ذاتيتهم وسعادتهم وللبشرية آمالها واطمئنانها •

**على القاضى**

# عباد الرحمن

للدكتور أحمد عمر هاشم

من المؤمنين رجال نعتهم الله تعالى بأشرف النعوت وأسماها ، وهى : « العبودية » ، وتوجهم باضافة التشريف الى جناب رحمته ، فسماهم « عباد الرحمن » وصفة الرحمن، من الصفات الخاصة بالله تعالى شرعا فلا يصح اطلاقها على غيره من المخلوقين ، وهى تعنى سعة الرحمة فى الدنيا ، حيث يعم بها المؤمنين وغيرهم .

وقد بين الله تعالى أحوال عباد الرحمن فى « الدنيا » : حيث عاشوا حياتهم المترعة بالايمان والعمل. وبين أحوالهم أيضا فى « الآخرة » : حيث يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما . وأما ما اتصفوا به من صفات ، فهى تنقسم الى قسمين .

القسم الأول : صفات ايجاب ، تدل على عظمة ايمانهم وعملهم ، وأنهم لا يكتفون فى جانب العبادة بما وجب عليهم ، بل يتسمون بمكارم الأخلاق ، والكثير من النوافل ، حتى يصلوا الى مكانة الحب والقرب . وهذا النوع من الصفات ، منه ما يتعلق بأنفسهم ، وتذللها للكبير المتعال ، ومنها ما يتعلق بمعاملاتهم مع الغير ، ومنها ما يتعلق بمعاملاتهم مع ربهم سبحانه وخشيتهم منه ،ورجائهم لعفوه ورحمته وجنته .

والقسم الثانى : صفات سلب، نفت عنهم فساد العقيدة ، وفساد الخلق ، وأثبتت لهم غاية من أشرف الغايات ، وهى تكوين مجتمع مثالى ، تنبثق أسسه من تقوى الله تعالى : أما الصفة الأولى من القسم الأول : فهى ما ذكره الله فى قوله : « الذين يمشون على الأرض هونا » فهم لا يتكلفون ، ولا يتصنعون ،ولا يتعالون ولا يتبخترون، بل تظللهم السكينة ، ويعلوهم الوقار والتواضع ، وقد أكد القرآن الكريم النهى عن السير مرحا وخيلاء ، فمهما بلغ الانسان فى ذلك ، فانه لن يقطع الأرض بمشيه ، ولن يبلغ طول

الجبال بتمـايله واعجابه بنفسه ، قال تعالى : « ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخـرق الأرض ولن تبـلغ الجبال طولا » وبين سبحانه فى وصية لقمـان لابنـه ، النهى عن التكبر ، ووضح كيفية السير المحمود عند الله تعالى ، بأن يتوسط السائر بين الدبيب والاسراع ، « ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختـال فخور • واقصـد فى مشيك ••• »

وخوفا من تسرب رذيلة الاعجـاب ، أو ذهاب وقار الايمـان ، يوجـه الرسول صلوات الله وسـلامه عليـه أمتـه أن يأتوا الى الصـلاة فى زى السكينة المشرق ، فيقـول صـلى الله عليه وسلم : « اذا أتيتم الصـلاة فلا تأتوها وأنتم تسـعون واتوها وعليكم السـكينة فمـا أدركتم منهـا فصلوا ، وما فاتكم فأتموا » وقد أبرز القـرآن والسـنة مغبـة أمر هـذه الرذيلة ـ الخيلاء ـ وما تعود به على صاحبها من عذاب وغضب فى الدنيـا والآخرة ، أما فى الدنيا ، فأخبر الله تعـالى عن قارون أنه خرج على قومه فى زينته ، وأن الله قد خسف به وبداره الأرض وفى الحديث المتفق عليـه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال : « بينمـا رجل يمشى فى حلة تعجبـه نفسـه مرجل رأسـه يختال فى مشـيته اذ خسـف الله به فهـو يتجلجـل فى الأرض الى يوم القيامة » •

وأما فى الآخرة : فقد بين الرسول صلوات الله وسلامه عليه كيف تجر هذه الرذيلة صاحبهـا الى مهـاوى الهلاك ، وفيما رواه الترمذى بسنده، عن سـلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم : « لا يزال الرجـل يذهب بنفسـه حتى يكتب فى الجبـارين فيصيبه ما أصابهم » • واذا ما تسرب البطر الى نفس الانسان فسد خلقه ، وغضب الله عليـه فلا ينظر اليه يوم القيامة ، ففى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم قال : « لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا » أما المسـلم الهـين اللين السهل ، فجزاؤه عند الله كبير ، روى الترمذى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار : تحرم على كل قريب هين لين سهل »

وقد عنى القرآن الكريم ، والحديث النبوى بهذه الظاهرة وحفلت آدابهما بها ، لأنها مناط السلوك النفسى فى الانسان ، ومن ثغراتها يمكن أن تتسرب شتى الرذائل ، أما حين يدفع الانسان عن حياته وسيره الغفلة والجهل والكبر والتعالى فهو آنئذ فى وعى روحى ، يتبصر طريق عباد الرحمن فيسلكه فى تواضع حتى يرفعه الله ، واذا كانت الصفة الأولى تنم عن حال الانسان مع نفسه ، فان « الصفة الثانية » لعباد الرحمن تنم عن حالهم مع الغير ، وعلاقاتهم الانسانية ، وهى : « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ففى قولهم وردهم على المسىء سلام من الأذى ، وسداد فى القول وتستهدف هذه الصفة مبدأين : « الأول » الاعراض عن الجاهلين وعن لغوهم ، فلا يرد السفه بمثله ، كما قال تعالى : ( خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ) وكما قال : ( واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ) « والمبدأ الثانى » هو أنهم يحاولون — ما استطاعوا — أن يخمدوا جذوة الشر ، حتى لا يتفاقم الخطر ، وحتى لا يستشرى الفساد ، روى الامام أحمد باسناد صحيح : « حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن الأعمش عن أبى خالد الوالبى عن النعمان بن مقرن المزنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : — وسب رجل رجلا عنده ، فجعل المسبوب يقول : عليك السلام — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أن ملكا بينكما يذب عنك كلما شتمك هذا ، قال له : بل أنت وأنت أحق به ، واذا قلت له : وعليك السلام قال : « لا بل عليك وأنت أحق به » .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة فى ذلك ، فبين جوهر السلام ، وهو الحلم والأناة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس : ان فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة ، رواه مسلم ، ومخاطبة الناس الذين يجهلون أقدار العظماء وولاة الأمور ، عندما تكون فى الحق ، يصبح لها وزنها ووضعها ، مهما تكن الصيغة التى تظهر بها ، وقد أثمرت وترعرعت فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى جو الاسلام النقى بحيث أصبح الصحابة يتلقونها بحفاوة ، ويحيطونها

بحماية بالغة ما دامت فى الحق ، ولذلك كان للمعارضة الحرة رعايتها فى عهدهم مهما تكن الأحوال ، فذات يوم جاء رجل الى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقال له : اتق الله يا عمر ، وكررها مرات ... وحاول بعض الجالسين أن يزجر الرجل ، قائلا له : صه فقد أكثرت على أمير المؤمنين . ولكن أمير المؤمنين يقول له : « دعه ، فلا خير فيكم اذا لم تقولوها ولا خير فينا اذا لم نسمعها » .

ولكن مقابلة الجهل بالحلم ، والتهور بالأناة ، مشروط بما اذا لم يترتب على ذلك مذلة للانسان المسلم ، أو ثلم للعرض والدين ، فاذا ترتب عليه ذلك ، فان الواجب حينئذ هو الدفاع تعظيما لحرمات الله ، وحفاظا على حدود الشريعة ، قال تعالى : « ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .

ثم انتقلت الصفات بعد ذلك الى بيان صلة عباد الرحمن بالرحمن ، وذلك فى قوله تعالى : « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » ، فهم يقطعون الليل فى عبادة الله وطاعته ، كما قال تعالى : « كانوا قليلا من الليل مايهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون » .. ولقيام الليل ثلاث ثمرات فى الدنيا :

الأولى : اخلاص النية والعمل لله تعالى ، فان ممارسة العبادة بالليل ، حينما يخلو كل حبيب بحبيبه ، وتسكن الحياة يفترشون لله أقدامهم ، ويسلمون له أنفسهم ، فهى عبادة أبعد ما تكون عن الظهور الا لله ، فهى لهذا تطبع سلوك المسلم بالاخلاص فى كل سلوكه ومعاملاته مع الله ومع الناس .

الثانية : أن هذا اللون من العبادة الخالصة لله ، والتى لا يراها الا هو ، تكون شكرا لله تعالى على أنعمه التى أفاضها على الانسان ظاهرة وباطنة ، وعلى ما رزقه اياه من حيث لا يحتسب ، وفى الحديث المتفق عليه ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله ، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا؟ وهذه العبادة وهى فى محل الشكر لله تعالى تزيد

من فضـــل الله على الانســـان « لئن شكرتم لأزيدنكم » •

الثالثة : التعرض لساعة القبـول ، وتلقى رحمات الله تعـالى ونفحاته ، روى الامام مسلم قال حدثنـا عثمـان ابن أبى شيبه حدثنا جرير عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ان فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وذلك كل ليلة » بل ان الله تعالى ينزل كل ليلة الى ســماء الدنيا فى وقت من الليل تسـكن فيه الدنيا ، ولا يحظى بمقابلة فيوضـات رحمتـه الا من قام لله داعيـا ، روى الامام مسـلم بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال : ( ينزل ربنا تبارك وتعـالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليـــل الآخر فيقـول من يدعونى فأستجيب له ؟ ومن يسألنى فأعطيه ؟ ومن يسـتغفرنى فأغفـر له ) ، وأما ثمرة قيـام الليـل فى الآخرة : فهى دخول الجنة التى أعدها الله تعـــالى لعباده المخلصين الشـاكرين • روى الترمذى بسنده عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » •

ومن صفاتهم : أنهم مع عباداتهم ، دائبون فى الدعاء ويعيشون بين الخوف والرجاء ، فيدعون ربهم ، أن يصرف عنهم عذاب جهنم ، فان عذابها موجع لازم ، وانها ساءت مستقرا ومقاما •

ثم اتجهـت الآيات بعـد ذلك الى ابراز صفـات السـلب التى تنفى عن « عباد الرحمن » كل نقيصة أو رذيلة ، وتبين كيفية تصرفهم فى أموالهم دون اسراف أو تقتير : « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » أى وسطا ، وقل الله تعـــالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : « ولا تجعـــل يدك مغلولة الى عنقـك ولا تبسطها كل البســـط فتقعـــد ملوما محسورا » • انها الصورة الصحيحة التى رسمها القرآن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وواجب أمته الاهتداء والاقتداء بها •• وقد طلب الاسـلام من أتباعه التزين للمسـاجد ، كمـا وجههم الى الاستمتاع بالأكل والشرب ، دون اسراف ، قال تعـــالى : « يا بنى آدم خـذوا زينتكم عند كل مسـجد

وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين• قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنـوا فى الحيـاة الدنيـا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » •

وروى عن الحسن : أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام للصـلاة لبس أجود ثيابه ، وكان يقول : « ان الله جميل يحب الجمال » وفى الحديث : « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير مخيلة ولا اسراف فان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » ، ومن صفاتهم أنهم : « لايدعون مع الله الها آخر » فالله هو الواحد الأحد الفرد الصـمد الذى لم يلـد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد • يسـتدلون على وحدته بالعالم المخلوق فهم يستعملون عقولهم ، ويرون الحقيقة تشرق ايمانهم ،فلا يدعون مع الله الها غيره ، لأن جميع ما عداه لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ولا حيـــاة ولا نشورا •ومن صفاتهم : أنهم لايعتدون على النفس التى حـرم الله قتلهـا الا بالحق ، وهو الكفر بعـد الاسـلام أو الزنا بعـد الاحصـان . أو قتـل النفس •

ومن صفاتهم : أنهم لا يعتدون على الأعراض ، فلا يقـربون ما حرم الله عليهم •

وكان ظاهر السياق، أن تتقدم هذه المنكرات التى نفاها الله تعـالى عن عبـاد الرحمـن ، وتتأخر صـفات الايجاب ، فان الموصوف بالأوصـاف السابقة لايمكن أن يكون متصفا بشىء من تلك المنكرات الشنيعة ،والجواب : أن ذلك انما كان تعريضـا بما عليـه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم فان المؤمنين مطهـرون مما عليه أعداؤهم من الرذائل ، عن ابن مسعود : قلت : يارسول الله أى الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، قلت : ثم أى ؟ قال : أن تقتـل ولدك خشية أن يأكل معك ، قلت : ثم أى ؟ قال : أن تزانى حليلـة جارك • وبعـد أن نفى الله تعالى هذه الجرائم عنهم وضح عـاب من يقترفهـا ، فبين أنه يلقى النكال ويضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه محتقـرا ذليـلا ، فيـلاقى نصيبه من العذاب المـادى والمعنوى •

كما بين سبحانه جزاء من يقلع عن هذه الرذائل ويتوب الى ربه صـادقا مخلصا ، يجمع بين الايمان والعمل ، جزاؤه : أن يبدل الله سيئاته حسنات•

وللعلماء رأيان فى هذا التبديل : « الأول » : أنه فى الدنيـــا ، وذلك بتوفيق الله لهم الى صالح الأعمـال ، وتيسيرها عليهـم ، « والثـانى » : أن التبديل فى الآخرة ، وذلك بأن يضع بدل عقاب السيئة ، ثواب الحسـنة ، فهو تبديل الجزاء لا تبديل الأعمال ، وعلى كل فيمكننا التوفيق بين الرأيين بأنهما متفقان على أن التبديل لا يكون الا بعد التوبة والايمـــان والعمـــل الصالح •

وقد ظن المشركون ـ بعـد نزول هذه الآيات ـ أنها خاصـة بمن آمن قبل نزولها ، فنزلت الآية التالية تبين أن حال التائبين سـواء قبـل النزول وبعده : « ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا » ، وقد قيل : « لله أفرح بتوبة العبد من المقل الواجد ، والظمآن الوارد ، والعقيم الوالد » •

ومن صفاتهم : أنهم لا يشـــهدون الزور ، فلا يحضرون مجالس الباطل ولا يساعدون عليه أحدا من الناس ، وانما ينكرونه فينزهون أنفســهم عن الشر وأهـل الشر ، والزور شـامل لكل باطل ، فهم مطهرون منه ، واذا مروا به فانما يمرون كراما مطهرين، منـــكرين له ومعرضـــين عنـه ، فان استطاعوا تغييره غيروه ، كما قال صلى الله عليـه وسـلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيـده ، فان لم يسـتطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » • ومن صفـاتهم : أنهم اذا ذكروا بآيات ربهـم اعتبروا بما فيها ، واستنبطوا الموعظة الحسنة ، ووقفوا على ما فيها من هداية وارشاد ، فهم يقبلون عليها بآذان واعية وقلوب متفتحة ، فحالهم هى حال المقـربين ، بعيدة عما عليه أولئك المبعدون الذين اذا استمعوا الى آيات ربهم كانوا كمن به صمم لا يعى ما يقال ، ومن به عمى لا يبصر • ومن صفاتهم كذلك : أنهم يطلبـون من ربهـم أن يهبهم الذرية الصالحة التى تجمـع بين الايمـــان والعمـــــل ، والأزواج المؤمنـات ، والدرجات العالية ، فى الطـاعة حيث يقتدى بهم فيها ، ولا شك أن فى هذا رقيـا لبنـاء الأسرة التى هى جزء من المجتمع الكبير • فهم يعالجون المجتمع ويقومون على اصلاحه ، ويرون أنهم حين يهبهـم ربهـم الذرية الصـالحة والأزواج الصالحات ، تقر عيونهم ، فهم يحبون لهم ما يحبون لأنفسهم ،

ولقد كان المجتمع الأول يعج بالفساد والجهـالة ، قبـل أن يشرق نور الاسـلام ، وتنتشر هدايتـه ، فكانت عبادة الأوثان ،فلما جاء الهدى الالهى على يد الرسول صلى الله عليه وسلم بفرقانه ، فرق بين الحق والبـاطل ، وكان الرجل يرى ولده أو أخاه أو والده كافرا ، ويعلم أنه ان ظل هكذا كان جزاؤه النار ، فيظل فى عيشـة مريرة ، اذ أن أحب النـاس اليـه لم يهتد بهديه ، ولم يتبـع هـدى الله ، فكان المسلمون يطلبون من ربهم أن يهبهم من ذريتهم وأزواجهم من يعبد الله ويطيعـه حتى يكون سـعيدا فى دنياه وفى أخراه •

فعباد الرحمن اذن تتجه رغبتهم الى اصـلاح بيئتهم ، ومعالجتهـا من كل فساد •

ثم أوضحت الآيات بعـــد ذلك جزاءهم عند ربهم ، وما أعده لهم فى آخرتهـم من غرفات عالية فى الجنـة جزاء على ماقدموه من صالح الأعمال، فتلقاهم الملائكة بالتحية والسلام وهذه الدرجات انما اسـتحقوها بفضـل صبرهم على طـاعة ربهـم ، وترك شهواتهم •

وقد أمر الله تعالى رسوله عليـه الصلاة والسلام أن يقول للنـاس ، ويبين لهم أنه لا قيمة لهم عنده الا بالعبـادة ، ولولاها ما اهتم بهم ، لأن هذا هـــو الهدف من خلقهم ، قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » •

ولـكن الـكافرين الذين عمـوا وصموا ، وجه الله خطابه اليهم قائلا : « فقـد كذبتم فسوف يكون لزاما » وبهذه الصـفات اشتملت الآيات على الضروريات وهى حفـظ النفـس والعرض والمـال والعقل من الاشراك والعقائد الفاسدة ، كما اشتملت على حال العبد مع ربه ، وحاله مع الناس ، وبذا يتبين لنا أثرها القوى فى بنـاء المجتمع الاسـلامى الصـالح الذى ترفرف عليه سعادة الدنيا والآخرة ، وتنتشر فيه الطمأنينة والأمان ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من «عباد الرحمن» وأن يوفق أمتنا الى التخلق بصفاتهم انه سميع مجيب الدعاء ؟

**د • أحمد عمر هاشم**

# مَنْ يثبُت لهُ حق الشّفعَة

الدكتور ابراهيم دسوقي الشهاوي

اتفق الفقهاء على ثبوت الشفعة للشريك الذى له حصة شائعة فى ذات المبيع ما دام لم يقاسم ، واستدلوا على ذلك بقضاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله .

أما قضاؤه صلى الله عليه وسلم ، فما رواه البخارى وأحمد عن جابر رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالشفعة فى كل مالم يقسم (١) .

وما رواه مسلم والنسائى عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم : قضى بالشفعة فى كل شركة لم تقسم ربعة أو حائط ، لا يحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه ، فان شاء أخذ ، وان شاء ترك ، فان باعه ولم يؤذن فهو أحق به (٢) .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم فما رواه مسلم عن جابر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الشفعة فى كل شرك ، فى أرض أو ربع أو حائط لا يصلح أن يبيع حتى يعرض على شريكه فيأخذ أو يدع ، فان أبى فشريكه أحق حتى يؤذنه(٣) » .

فهذه الأحاديث صريحة فى ثبوت الشفعة للشريك الذى له حصة شائعة فى ذات المبيع ما دام لم يقاسم هذا .

وبعد اتفاقهم على ثبوت الشفعة للشريك الذى له حصة شائعة فى ذات المبيع ما دام لم يقاسم ، فانهم قد اختلفوا فى ثبوتها للشريك فى حقوق المبيع والجار الملاصق الذى لا شركة له فى حقوق المبيع .

---

(١) سبل السلام ج ٣ ص ١١١ .

(٢) عمدة القارى ، شرح صحيح البخارى ج ١٢ ص ٢٢

(٣) شرح النووى على مسلم ج ١١ ص ٤٦ والشوكانى ج ٥ ص ٢٨٠ .

والشركة فى حقوق المبيع هى كون الشخص له حصة فى حقوق الملك كالطريق الخاص ومسيل الماء الخاص • وقد انحصر هذا الاختلاف فى ثلاثة أقوال :

القول الأول : لا تثبت الشفعة لهما • ذهب الى ذلك جمهور الفقهاء •

القول الثانى : تثبت لهما الشفعة • ذهب الى ذلك الحنفية •

القول الثالث : تثبت الشفعة للشريك فى حقوق المبيع • ولا تثبت للجار الملاصق الذى لا شركة له فى هذه الحقوق • ذهب الى ذلك العنبرى وسوار والامام أحمد فى رواية وابن تيمية (١) •

**الأدلة ومناقشتها**

استدل جمهور الفقهاء على عدم ثبوت الشفعة للشريك فى حقوق المبيع والجار الملاصق الذى لا شركة له فى حقوقه بالسنة والمعقول •

أما السنة :

فأولا : ما رواه البخارى عن جابر رضى الله عنه • أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى : « بالشفعة فى كل ما لم يقسم • فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة » •

وثانيا : ما رواه أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه • أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « اذا قسمت الدار وحدت فلا شفعة فيها » •

ووجه الدلالة من هذين الحديثين• أنهما يفيدان صراحة ثبوت الشفعة فيما لم يقسم • وعدمها اذا حصلت القسمة وبينت الحدود • والشريك فى حقوق المبيع والجار الملاصق حق كل منهما فى الملك مقسوم ومحدود فلا شفعة لهما •

وأجيب عن الاستدلال بالحديثين : بأن حديث جابر قيد نفى الشفعة بقيدين :

الأول : وقوع الحدود ، والثانى تصريف الطرق • والمقيد بقيدين لا يوجد مع فقد أحدهما • فالحديث يفيد أنه اذا وقعت الحدود وبقيت الطرق مشتركة لم تنتف

(١) المغنى للحنابلة ج ٥ ص ٤٦١ ، المحلى لابن حزم ج ٩ ص ٩٩ ، اعلام الموقعين ج ٢ ص ٦٥ ، الشوكانى ج ٥ ص ٢٨١

الشفعة . وعلى هذا يكون الحديث مفيدا نفى الشفعة عن الجار الذى لا شركة له فى حقوق المبيع . أما حديث أبى هريرة وان كان ظاهره يفيد نفى الشفعة بحصول القسمة ووقوع الحدود الا أنه مقيد بتصريف الطرق المقيد به حديث جابر . فيحمل حديث أبى هريرة المطلق على حديث جابر المقيد . بمعنى أنه يقيد بتصريف الطرق . وبذلك لا يفيد نفى الشفعة عن الشريك فى حقوق المبيع . ويؤيد ذلك ما رواه جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الجار أحق بشفعة جاره . ينتظر بها وان كان غائبا اذا كان طريقهما واحدا » .

وثالثا : ما رواه البخارى عن جابر رضى الله عنه قال : « انما جعل النبى صلى الله عليه وسلم الشفعة فيما لم يقسم . فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة (١) » .

ووجه الدلالة من هذا الحديث . أنه حصر الشفعة فيما لم يقسم بانما . وهى تدل على اثبات الحكم للمقصور عليه ونفيه عما عداه . فتفيد نفى الشفعة بعد القسمة . وكل من الشريك فى حقوق المبيع . والجار الملاصق الذى لا شركة له فى حقوق المبيع . قد وقعت الحدود فى ملكهما فتنتفى عنهما الشفعة بنص هذا الحديث .

وأجيب عن هذا الاستدلال بمنع أن « انما » فى هذا الحديث للحصر الحقيقى . لأنها تأتى للتأكيد كما فى قوله تعالى : « انما أنت منذر » وتأتى للاثبات بطريق الكمال دون نفيه عن الغير كما تقول : انما الكريم محمد » . أى الكامل فى الكرم محمد . ولم ترد به نفى الكرم عن غيره . « وانما » فى الحديث تحتمل ذلك . لأن الشريك فى الملك كامل فى سبب الشفعة . ولذا قدم على غيره . فيجوز أن يكون المراد الشفعة له بطريق الكمال . دون نفيها عن غيره . ومع هذا الاحتمال لا يتم به الاستدلال(٢) .

وأما المعقول : فقالوا : ان الشارع كما يقصد رفع الضرر عن الجار ، فكذلك يقصد رفع الضرر عن المشترى . ولا يرفع الضرر عن الجار بادخال الضرر على المشترى . فان المشترى

---

(١) الشوكانى ج ٥ ص ٢٨١ ، نصب الراية جـ ٤ ص ١٧٥ ، المغنى ج ٥ ص ٢٦٣

(٢) التكملة على الهداية ج ٨ ص ٤١٢

يحتاج الى دار يسكنها أو أرض يزرعها . فاذا سلط الجار على اخراج المشترى فقد أضر به ضررا بليغا . والضرر مدفوع بالنص وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » .

وعلى هذا المنوال فى أى دار اشتراها ولها جار . على أنه يتعذر طلب دار ليس لها جيران . فكان من تمام الحكمة ألا تجب الشفعة متى وقعت الحدود وصرفت الطرق . خصوصا وأن الشفعة معدول بها من سنن القياس . لما فيها من تملك مال الغير بغير رضاه . غير أنا عرفنا ثبوت هذا الحق فيما لم يقسم بالنص معللا بدفع ضرر القسمة لكونه ضررا لازما فلا يلحق به غيره وهو المقسوم. لوجود الفارق بينهما . فان الملك فى الشركة مختلط . وفى الجوار متميز . ولكل من الشريكين مطالبة شرعية ومنع شرعى . فالمطالبة شرعية بالقسمة . والمنع الشرعى من التصرف بالهدم والبناء وغيرهما من كل ما يتوقف التصرف فيه على اذن الشريك . فلما كانت الشركة كذلك كانت محلا للاستحقاق . بخلاف الجوار . فليس فيه هذا المعنى . فلا يجوز الحاق الجار بالشريك وبينهما هذا الاختلاف(١) .

وأجيب عن المعقول . بأن الفرق الذى ذكر لا يمنع الالحاق . فان الشفعة انما شرعت لدفع ضرر الدخيل. وهذا الضرر كما يحصل للشريك يحصل للجار . فوجب شرع الشفعة له . ليدفع الضرر عن نفسه ؟

**د. ابراهيم دسوقى الشهاوى**

---

(١) أعلام الموقعين جـ ٢ ص ٩٤ ؛ التكملة على الهداية جـ ٧ ص ٤١٢

# النظام الإدارى فى الإسلام

## طرق الإدارة ومركز الضبط الإدارى منها

للدكتور مصطفى كمال وصفى

— ٥ —

مما تقدم يتبين أن تدخل الدولة بالادارة المباشرة ليست وسيلة أصيلة فى الاسلام ، بل وسيلة احتياطية اذا انصرف الناس عن القيام بواجباتهم المفروضة عليهم دينا بالقيام بالمرافق العامة ، واقامة المصالح والخدمات فيما بينهم طبقا لما يقتضية الاسلام •

وقد كانت الوظائف التقليدية للدولة الاسلامية ، التى تتولاها بطريق الادارة المباشرة محدودة ، وفى مقدمتها : رعاية المرافق الدينية بامامة الصلاة ـ وكان يؤمها الخليفة أو الأمير بنفسه ـ واقامة الشعائر من آذان وجمعة وعيدين وغيره والحج ، واقامة القضاء ، والشرطة ، الجهاد ، والمظالم والحسبة والبريد وحفظ الأموال ببيت المال وانفاقها • وأما سائر المرافق والخدمات العامة فقدكان الأفراد يقومون بها تحت رقابة الدولة وضبطها ، وذلك بما نسميه بطريق الادارة الشعبية •

فالاسلام فى جوهره نظام تضامنى• ويقتضى هذا التضامن أن يتولى الناس بعضهم بعضا لقوله تعالى : «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، فيتكافلون ويتضافرون ، بحيث لا يضيع ضعيف ولا فقير ولا محتاج بينهم • وأساس هذا هو ـ كما بينا ـ أن القيام بهذه المصالح فرض كفاية •

ولكن ضعف الوازع الايمانى يؤدى الى ضرورة تدخل الدولة •

وبذلك فان هذا التدخل هو من المصالح المرسلة التى يتطلبها الوقت من القائم على الأمر • فان سارت الأمور سيرها الطبيعى ، وأنتجت القوانين الطبيعية ـ كالعرض والطلب ـ أثرها الطبيعى ( لأن هذه القوانين هى من أوجه الله سبحانه وتعالى ، فهو المسعر وهو الدهر ) كان تدخل السلطان قبيحا • وان سار الناس على هواهم وخالفوا شرعة الاسلام حملهم السلطان جبرا بتدخله وجاز له ذلك

كما قرر ابن القيم وغيره مما أوردناه. وكان تدخله في ذلك حسنا .

ولكن ليس التدخل بان نتبع الفرع ونترك الأصل .

فان للنظام الاسلامى مناهجه وأصوله التى يجب أن تتبع فى تنفيذه .

وكل مبدأ له وسائله . ولا يصلح على الاطلاق أن نخر على وسائل مبدأ آخر وندخله علينا ، ونقول : هذا هو الاسلام أو لا ينافى الاسلام .

والباب الطبيعى لذلك ، هو مراعاة ترتيب المقاصد الشرعية على الوجه الذى أقره فقهاء الاسلام .

وذلك بأن يكون التدخل - أولا وقبل كل شيء - لضرورة حفظ الدين ، ثم لضرورة حفظ النفس ، ثم لضرورة حفظ النسل - وهو من قبيل النسل - ثم لضرورة حفظ العقل - وهو قطعة من النفس - ثم لضرورة حفظ المال . فان فرغنا من ذلك بدأنا بتحقيق الحاجيات - برفع المشقة والحرج - فى هذه الأمور الخمسة بترتيبها السابق ، وهى الدين ، والنفس ، والنسل ، والعقل ، والمال ،

فاذا انتهينا من هذا أيضا ، توجهنا الى التحسينات فى هذه الأمور الخمسة ذاتها وبترتيبها .

وقد تبينت - فيما تقدم - أهمية حفظ الدين وتقديمه على غيره ، وذلك ليس تعصبا أو تقديسا نظريا ، ولكن لأن الدين هو أساس النظام الاسلامى، وقوام هذه الحياة . فهذ النظام عقيدى مذهبى بطبيعته ولا يتيسر تطبيقه الا اذا قامت العقيدة وأخذت مكانتها اللازمة.

ولذلك فان أعمال التوعية الدينية لها أهم المكانات وأرفعها فى النظام الاسلامى، وذلك بخدمة العلم وافشائه بين الناس وتوفير العلماء ووسائل البحث العلمى وأماكن العلم . وكذلك فان اقامة الشعائر الاسلامية من صلاة وصيام وزكاة وتوفير دور العبادة وأماكنها والمحافظة على المظهر والجوهر فى ذلك هو من أهم وظائف الدولة الاسلامية . وكانت امامة المسلمين فى الصلوات الخمس من أوجب واجبات الأمير فى عصور الاسلام الأولى ، وجلوسه فى المسجد ، والنداء بالأذان ومنع الظهور بالافطار ، واخراج الزكاة ، وعناية كتب الفقه بالبحث فى العبادات قبل المعاملات

وتقوية الوازع الدينى فى المعاملات ؟ بأن سبب التعامل ليس نشدان الربح والمصلحة الخاصة ، بل اقامة المصالح وتيسير حصول الجماعة على احتياجاتها ، بل ان من المعاملات ما هو قربى محضة كالقرض ويفسده أن يجر الى نفع أو مقابل .

فضبط الحياة الدينية ورعايتها هو اذن أول واجبات التدخل الادارى فى الحياة الاسلامية .

ولنضرب مثلا من فريضة العلم ، وحالها اذا انصرف الناس عن الدين ، وأن ضخامة المعاهد وفخامتها ورونقها ليس دليلا ـ على الاطلاق ـ على حسن القيام بهذا المرفق .

فانه لما كان الناس يعلمون ويوقنون بأن القيام بالعلم فريضة ، كان العالم ينبرى الى التعليم حسبة لله . فكان يجلس فى المسجد ليعلم الناس فلا يحتاج ذلك لأبنية ولا مؤسسات ولا تجهيزات . وكان الناس يهرعون اليه من تلقاء أنفسهم يستمعون ويتعلمون. فلما كف العلماء من احتساب وجه الله الكريم فى ذلك ، وتطلبوا الأجور الباهظة عليه ، صار من المتعين تحصيل مثل المصروفات أو الرسوم من المتعلمين ، ولم يعد الجلوس فى المسجد ملائما ، خاصة بعد أن انصرف الناس الى علوم ليست من الدين فى شىء . فلا بأس أن ندرس القانون الادارى الاسلامى فى المسجد ، ولكنه يبدو غريبا أن ندرس القانون الادارى الفرنسى وانجلو ساكسونى والجرمانى فيه ـ ونأمر الناس باتباعه ! وبذلك تطلب الأمر انشاء المبانى وسارت الأمور فى طريق آخر وأنشئت الوزارات والمصالح والأنظمة واللوائح والادارات والتفاتيش ووسائل الرقابة.. كل ذلك لأن العالم لم يعد يحتسب الله فى علمه ، والمتعلم لا يريد علما ، ولكن يريد ملكا اداريا فى ميادين الكسب والرزق .

فاذا انضبط ذلك ، جاء بعده ضبط النفس فالنسل فالعقل فالمال .

ولكن لا يأتى ضبط المال قبل ضبط الدين . ولا مراعاة التحسينات ـ كترقية الفنون ووسائل الترفيه ـ على حساب ضبط ضرورة الدين والنفس .

ومن هنا تتضح المقارنة بين تخطيط التدخل الاسلامي للدولة ، وتخطيط التدخل الوضعي لها .

ففي النظم الوضعية يقوم التخطيط على اعتبارات اقتصادية واجتماعية في المقام الأول، ثم يعتبر الدين بعد ذلك من الكماليات ، لأن الدين - في هذه النظم - هو حالة وجدانية داخلية بين المرء ونفسه لجلب راحته النفسية وليس نظاما اجتماعيا .

وقد بدأت فلسفة النظم الوضعية في أوروبا بمحاولة هدم سيطرة الكنيسة على السلطة الزمانية ومنع تدخلها فيها، وصار من المقرر أنه لا يجوز سن التشريعات للأغراض الدينية بعد أن عزلت تماما عن أغراض الحياة العامة. ثم ما لبثت السلطة الزمانية أن تغولت واستبدت بالناس ، فاتجهت هذه الفلسفات الى تقييدها أيضا فنشأ القول بأن حرية الانسان مطلقة مالم يقيدها القانون أو يضر استعمالها بالغير . وفي ظل هذا التفكير انطلقت النفوس نحو الاستغلال الذميم باسم حرية الارادة . وليست قصة تاجر البندقية الذي فرض على مدينه رطلا من لحمه اذا لم يف بدينه الا انعكاسا وتعبيرا عن ظروف الوقت . والا فان القاضي لم يجد أن هذا الشرط ليس مشروعا في ذاته ، وعمد الى حيلة لكي يمنع الدائن من التنفيذ . وسادت فلسفات الحرية الاجتماعية والتجارية (مركنتيا لزم) وتجارة الذهب والبحث عن الثروات وتراكمها وصار شعار الوقت هو : « دعه يمر دعه يعمل (١) » وذلك بمنع عوائق التجارة ، واطلاق الدوافع الفردية . وبظهور التفاوت الاجتماعي بين القادرين على الثراء ومن توصلوا اليه وبين المساكين الذين اتخذوهم الآخرون سخرية وتسلطوا عليهم لضعفهم، ظهرت مبادىء اجتماعية واقتصادية جديدة دعت الى التقييد والى تدخل الدولة لكبح جماح الاستغلال والفارق الطبقي . بتدخل الدولة اقتصاديا واجتماعيا في الحياة العامة . وصار هذا الاتجاه جليا في غضون القرن الحالي ، الذي يصح أن نسميه عصر المؤسسات والمنظمات .

وتزداد ظاهرة التدخل - خاصة الاقتصادي - في جميع النظم الشرقية

---

(١) Laissez passer, laissez faire.

والغربية ـ بشكل واضح فى جميع أنحاء العالم .

وسبب ذلك انهم يرون أن الدافع الاقتصادى هو المحرك الأول فى هذه الحياة .

وهذا خطأ ووهم .

فان علماء النفس ـ عندهم ـ لا يقررون أن الدافع الأول اقتصادى بل الرأى الغالب عندهم الآن ـ الذى يقول به فرويد وعلماء التحليل النفسى ـ أن الدافع الأول هو الغريزة الجنسية . نعم ان هذا القول ليس صائبا تماما ـ بل تداخله المغالاة الواضحة ـ ولكنه لا يخلو من الحق . وهو على الأقل ينفى عن الاقتصاد ـ وبحق أيضا ـ أن يكون الدافع الأولفى الحياة ؛ لأن الاقتصاد هو الحصول على المنفعة المادية . فان الانتاج والتنظيم والتداول والاستهلاك كل ذلك من أجل الحصول على المنفعة المادية . فالسلعة الخام أقل قيمة من السلعة بعد تصنيعها ولذلك فالانتاج بالتصنيع هو عمل اقتصادى . وكذا بالنسبة للزراعة وغيرها من وسائل الانتاج . وكذلك فان التداول عمل اقتصادى لأنه يزيد من منفعة السلعة . فالمادة الاولية فى موطنها الأول ـ كالمعدن فى الجبل أو الخشب فى الغابة ـ أقل قيمة مما لو نقل الى مكان يستفاد منه فيه . وليست الزيادة هى ثمن السلعة وتكاليف النقل وأرباح التجار وعمولات الوسطاء فقط ، ولكن ذلك يدخل فيه حساب الطلب . وبذلك فان أعمال التجارة من نقل وسمسرة وتأمين وغير ذلك هى أعمال اقتصادية لأنها تخلق المنفعة وتزيد القيمة . والملاحظ أنه بعد كل هذه الجهود الاقتصادية يحصل الانسان على المال ليبدده على شهواته ولهواته ! !

وهذا يؤيد رأى علماء النفس فى أن الاقتصاد ليس الدافع النهائى فى هذه الحياة .

وبذلك فان تأليه القرن العشرين للاقتصاد والمال والمادة هو تأليه فاسد . وقال الله تعالى : « ويعبدون ما يضرهم ولا ينفعهم » ومن أضراره أنه يؤدى الى التصارع الدنىء ، لأنه لا يرفع الهمة الا بقدر الحصول على المادة ويتجاهل المعنويات والأدبيات، ولذلك فانه فى الدول الآخذة بهذه التخطيطات الاقتصادية البحتة نلاحظ

انهيارا لا شك فيه فى القيم :كالحريات والمساواة والأخلاق والعبادات والدين والأسرة • • وكل ذلك يصير كماليا ومتأخرا عن الحصـــول على المنفعة المـادية • • ويضحى به فى سبيلها •

ثم ان هذه المؤسسات والانشاءات والهياكل التنظيمية والادارية والتى أنشـأت ـ فى الواقع ـ أزمة لامراء فيها فى التنظيم الدستورى والادارى ، وتعقدت الأمور تعقدا لاخلاص منـه تقريبا ، لا يصير لها أى لزوم اذا قام الناس بمـا يجب عليهم نتيجة ليقظة الايمان والضمير • ولذلك فأجدى على الدولة أن تتوجه الى التوعية الايمانية من أن تدخــل فى هذه المتاهة غير المتناهيــة من التنظيمات والرقابات • ولا شيء أبأس من الانسان وهو واقع فى تروس هذه الآلات الجبارة • • كالفأر فى الطاحون الدائر • •

وهذه الآلات الضخمة انما تعود على الدولة بالمسئولية واللـوم والتقريع ، اذ هى تتحمــل بوائق الظروف غير المنظورة والقوى القاهرة التى قــد تؤدى الى فشل الادارة وعجزها عن تحقيق المصلحة العامة • ومن الأكيد ـ بل من المستحيل ـ أن يدور هـذا الجهاز الضخم بدقة بعد أن تجمعت المصالح والمرافق والخدمات فصارت مشروعا كبيرا فى يد واحدة • هـذا فضلا عن مضار الاحتكار ومساوئه •

فاذا أضفنا الى ذلك ان القائمين على الادارة العامة ليس الا ناتج هــذا المجتمع ، وانهم يفســدون اذا فسد سائر البشر ، لتبين لنـا بوضوح أن اغفال التوعيــة الايمانية والاهتمـام بالنواحى الاقتصادية لن يزيد الأمر اصلاحا • ما دام أن القائمين على هذه النواحى الاقتصادية تنقصهم النواحى الايمانية والأدبية • فهذا كقــول الشاعر :

نعيب زماننــا والعيب فينـا
وما لزماننـا عيب سـوانا !!

فالمدرسة ليست بنـاء بديعـا منمقا مجهزا بالحدائق والمعامل والصــور والتماثيل • • بل هى معلم ، ولو على قارعة الطريق •

والمستشفى ليست قصرا مشيدا فى فخامة الفنادق ، ولا آنسات رشيقات يقمــن على المرضى ولا غرفا مجهـزة بأحدث الآلات • • بل قلب انسانى يقوم بأعمال الطب والتمريض ، وأيضا

ـ وباصرار ـ ولو بدون أجهزة ولو على قارعة الطريق .

والحرب ليست أسلحة حديثة ومعدات ذرية.. بل شجعة وايمان . مازالت كذلك وستظل كذلك الى الأبد . .

والخلاصة أن هذه الهياكل الوثنية الجديدة ، وهذه المعابد التى أنشئت لعبادة المال والاقتصاد ، وأنشأت هذا التزمت فى تدخل الدولة والمغالاة الشديدة ليست بشىء . بل المهم معابد الايمان والعقيدة . وأن يعرف الانسان الفرد واجب نفسه ، وان يكون تدخل الدولة أولا ـ ولا بأس بعد ذلك بسائره ـ من أجل تمكين الايمان وحفظ الضرورة الأولى للجماعة وهى الدين ؟

**د . مصطفى كمال وصفى**

# كيف يشوه التاريخ في أعين أبنائنا ؟

للأستاذ عبد العظيم محمود الديب

دخل على ابنى ــ وهو بعد لما يكمل العاشرة من عمره ــ وفى عينه حيرة وفى قلبه رجفة وفى يده كتاب التاريخ للصف الخامس الابتدائى ، المقرر هذا العام ، وتساءل فى مرارة : أبى : هل كان معاوية مسلما ؟ وهل كان عمرو بن العاص مسلما ؟ ولماذا قتل عثمان بن عفان ؟ وكيف ؟ ومن قتله ؟ وهل صحيح هذا الكلام ؟ أليس هؤلاء من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ أليس هؤلاء من الذين دافعوا عن الرسول وحاربوا الكفار ؟

ووجدت نفسى أمام مشاعر هذا الطفل الحائر واجما تماما . أقول : أمام مشاعره . نعم أمام مشاعره لا أمام أسئلته ، فقد كان الفزع يطل من عينيه والحيرة تغشاه !!!

ولم أستطع أن أدارى ما اعترانى من ألم ووجوم مما جعل الطفل الصغير يشعر بالندم على ما سبب لأبيه من آلام فيدير الحديث ناحية أخرى ، ويتهيأ للانسحاب من أمامى مضيفا الى ما كان يعانيه من حيرة وقلق مشاعر الندم . ولكنى تماسكت وناديته سائلا : ماذا تريد ؟ وعم تسأل ؟ ...

وتناولت منه كتاب التاريخ وأخذت أقرأ من ص ٧٧ فطالعنى بها : ( الفتنة وتوحيد صفوف المسلمين بعدها ) ..

وبدأت أحاول بكل ما أوتيته من قدرة على الشرح وبكل ما عرفته من فنون التربية وعلم النفس وطرق التدريس .. حاولت بكل ما استطعت أن أبسط له هذه المعلومات وأقدمها له ميسرة معللة بطريقة لا تصدم شعوره ولا تشوه الصورة الناصعة التى رسمها فى ذهنه وقلبه لأولئك الأبطال ... ورحت أسهب وأطنب وأسبب وأعلل ... وانصرف المسكين من أمامى يتكلف الابتسام ويظهر الاقتناع بما

قلته ، ولكن صفاء عينى الطفـــل لم تستطع أن تكتم ما يمور فى داخله .

ورحت أنا أسأل : من المسئول عن تشويه تاريخنـا بهذه الصـورة ؟ من وراء هذا العرض الممسـوخ لتـاريخ ديننا ؟

( قد يكون مافى هذا الكتاب له ظل من الحقيقة ، وقد يمكن التعويل على شيء من هذه المرويات ) ولكن لمـاذا الاصرار على ابراز هذه الزوايا دون غيرها ؟ لماذا تعطى هذه الجوانب أكبر من حجمها ؟ بل لمـاذا الاصرار على تعليمها لأولادنا فى هذه السن المبكرة؟ وهم لمـا يقـــدروا بعـــد على ادراك البواعث والملابسات والموازنات ، ولمـا يستطيعوا بعد السيطرة على انفعالاتهم .

نعم لمـاذا الاصرار على تعليـم هذا لأطفالنا بهذا التفصيل ؟

ثم لمـاذا يكون هذا الأسـلوب فى التاريخ الاسلامى وحده ؟

نعم . لمـاذا يكون هذا الأسـلوب فى التاريخ الاسلامى وحده ؟؟؟

لقد درس ابنى فى العام الماضى فى الصف الرابع تاريخ الفراعنة ورأى فيه صـورة من أضاءوا الدنيا وبددوا ظلامها بحضارتهم وعلمهم وعزتهـم وأمجـــادهم ، فظـل يتغنى بأحمس وأضرابه ، ويبـــاهى بأنه من أصـل فرعونى !!!

ألم يكن لدى الفراعنـة فتن ؟ ألم تثر بينهم منازعات واحن ؟

فلماذا التاريخ الاسلامى وحده ؟ لمـاذا تاريخ الفراعين يقـدم لأبنائنـا صافيا ناصعا ؟ ولمـاذا تاريخ الاسـلام وحده يظهر مكدرا غائما ؟

أهى صدفة ؟ أم تدبير ؟؟

لا أشك فى أن هذا تدبير !! تدبير أحكمت حلقـــاته من قبـل . تدبير أحكمت حلقاته من يوم كتب على هذا البـلد أن يكون ( دنلوب ) مستشارا لوزارة المعارف ( التربية والتعليم ) !! فقد شدد هذا المستشار قبضته وطالت مدته حتى انطبعت بصمـــاته وبقيت ظلاله جاثمة . فزال ولمـا تزل آثاره وفلسفته .

لقـــد كان وضع دنلوب مستشارا لوزارة المعـــارف عن وعى وادراك لمهمته ،فقد علم أساطين الاستعمار أن

قتل الشعوب بالرصاص يثيرها ولكن قتلها بتمزيق تاريخها واجتثاث جذورها وتشكيكها فى نفسها ومبادئها ونحو ذلك من الأساليب الماكرة التى لا تطلق فيها رصاصة ولا يضرب فيها عصا أو سوط أيسر وفى نفس الوقت أخطر •

وليس بعسير أن نستشهد بأقوال لكثير من دهاقين الاستعمار وقادته يصرحون فيها بأن التعليم ومناهجه من وسائلهم فى قتل الشعوب ووأد مبادئها وعقائدها •

ولقد أدرك ذلك شاعر الهند الكبير « أكبر حسين » الملقب بلسان العصر فقال بطريقته الساخرة اللاذعة :

« يالبلادة فرعون الذى لم يصل تفكيره الى تأسيس الكليات وقد كان ذلك أسهل طريقة لقتل الأولاد !! ولو فعل ذلك لم يلحقه العار ، وسوء الأحدوثة فى التاريخ » ويقول الشاعر محمد اقبال : « ان التعليم ( يعنى على الطريقة الغربية ) هو الحامض الذى يذيب شخصية الكائن الحى ثم يكونها كما يشاء ، ان هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيرا من أى مادة كيمائية ، هو الذى يستطيع أن يحول جبلا شامخا الى كومة من التراب » •

ان التعليم ليس عملية عشوائية تلقائية ،وليس مجرد معلومات وأفكار وآراء يشحن بها ذهن التلميذ •ولكن التعليم فى واقع الأمر يقوم على فلسفة ومبادىء ذات خطوط واضحة بينة توضح المناهج وتختار المعلومات وتنسق بحيث تعمق هذه الفلسفة ، وتقرر هذه المبادىء ، لا فى الأذهان والعقول فحسب بل من قبل تجعلها تملأ القلوب وتسيطر على العواطف وتربى الاتجاهات وتخلق الاهتمامات التى تتفق مع هذه الفلسفة وتلك المبادىء •

فهل من فلسفة التعليم وأهدافه عندنا تشويه تاريخ الاسلام ورجاله ؟ بالقطع « لا » فمن أول أهداف المنهج الذى وضعته وزارة التربية والتعليم : اعتزاز التلميذ بتاريخه ومبادئه •

ان من يطلع على هذا الكتاب ( التاريخ للصف الخامس الابتدائى ) يعجب كيف كتب وبأى روح •ويكفى أن نضع أمام المسئولين الحقائق الآتية بكل ايجاز وبدون تعليق :

١ ـ عند الفصل الثانى بعنوان ( الخلفاء الراشدون والفتوحات الاسلامية ) من ص ١٧١ ـ ١٩١ وبه صفحتان خرائط • فجملة ما كتب فى الفصل كله ١٨ صفحة • ولك أن تعجب معى حين تعلم أن الحديث عن الفتنة احتل خمس صفحات أى نحو الثلث !! أليس من حق التلميذ الصغير أن يفزع وينزعج حين يرى ثلث عهد الخلفاء الراشدين فتنا وصراعا ! ! وأين الرشد اذا ؟؟

٢ ـ فى ص ١٧٧ س ١٢ يقول : « بويع على بن أبى طالب بالخلافة لأنه ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة » كذا !!

ويسأل التلميذ الصغير ببساطة : ألم يكن على بن أبى طالب ابن عم الرسول وزوج ابنته يوم وفاته ؟؟؟

٣ ـ فى ص ١٨١ س ١٤ « وبذلك أصبح معاوية خليفة للمسلمين واتحد العرب تحت قيادته » ما هذا ؟ « اتحد العرب » • فأين المسلمون من الفرس فى المشرق ؟ ومن البربر فى المغرب ؟!

٤ ـ فى ص ١٨٢ س ٢ « كان ضعف دولتى الفرس والروم فى عصر الخلافة الرشيدة مشجعا للعرب على غزو بلادهما » !! كذا ؟؟

خلافة رشيدة ويشجعها ضعف جيرانها على أن تغزوهم • !!! فأين الرشد ؟؟ ويعلم هذا لأولادنا فى الوقت الذى يتنادى فيه العالم بالدعوة الى السلام ورعاية حقوق الضعفاء ، فى هذا الوقت نفترى على الخلفاء الراشدين ونقول لأبنائنا : ( انهم استضعفوا جيرانهم فهجموا عليهم ) •

٥ ـ فى ص ١٨٦ س ١٥ يقول وهو يتحدث عن سبب فتح مصر : « كما نبه عمرو بن العاص الخليفة الى ثراء مصر وكثرة خيراتها » هكذا !! فتح ونهب • حرب وسفك من أجل الثروة والخيرات !!!

وانى لأتساءل : من أين للمؤلف هذه المعلومات ؟ أكشف عن نيات عمرو وعمر ؟ أم استنتج ذلك من سيرتهما ؟ أم وجدوه مسطورا مصرحا به مرويا عنهما فى كتب التاريخ ؟؟

وبينما يغمز نية عمرو وعمر هذه الغمزة يمر سريعا على ما ثبت صراحة ويقينا من معاونة أهل مصر لعمرو وترحيبهم برجاله وحسن استقبالهم

للمسلمين ( الدعاة ) • ولا أقول الفاتحين •

٦ - فى ص ١٨٦ س ٦ وما بعده يذكر قصة عزل خالد بن الوليد بدون أن يقتضيها السياق • بل يقحمها اقحاما • ويتركنا فى حيرة ، أهذا كتاب موجز من دروس التاريخ أم مطول من مطولاته ؟؟

٧ - فى ص ١٧٤ س ٥ « اتسعت الدولة فى عهده ( يعنى أبا بكر رضى الله عنه ) اتساعا كبيرا على حساب دولتى الروم والفرس • انظر : على حساب دولتى الروم والفرس • واقرأ الصفحة كلها لترى أن العبارة مقحمة فى السياق لا محل لها •

هذه مجرد نماذج من هذا الكتاب• والكتاب موجود فى كل يد مطبوع منه فى هذا العام وحده أكثر من نصف مليون نسخة •

والكتاب أيضا مجرد نموذج لما يدرس لأبنائنا فهناك أمثلة أخطر منه سنعود الى كشفها فى وقت قريب ان شاء الله •

وربما يقول قائل : ما ذنب المنهج والمؤلف ؟ وهذه هى حقائق التاريخ ؟

وقد أقول : نعم • ولكن تبقى أسئلة :

هل هذه هى الحقائق الوحيدة ؟ وهل هذه هى السن المناسبة لدراستها ؟ وهل يتفق ذلك مع الفلسفة والمبادىء التى يقوم عليها التعليم والتربية فى بلادنا ؟ هذا على فرض أنها حقائق !!

ثم مرة ثانية لماذا تاريخ الاسلام وحده يكتب بهذه الصورة ؟

هل من سميع ؟؟

**عبد العظيم محمود الديب**

# دور المرأة في المجتمع الإسلامي

للأستاذ توفيق على وهبة

**المرأة راعية :**

يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابن عمر رضى الله عنهما : ( كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ) •

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الانسان من ذكر وأنثى ويسر كلا لما خلق له ، وبطبيعة الانسان ، للرجل عمله فى الحياة والمجتمع وللمرأة عملها • فبحكم تكوين الرجل عليه أن يعمل ويكدح ليعول زوجته وأبناءه ، والزوجة تنجب الأولاد وترعاهم وتربيهم وتقوم على شئون المنزل ، وليس فى ذلك غضاضة لأى منهما ولا يقلل من قدر دورهما فى الحياة ، فعمل المرأة الأساسى فى منزلها وان كان الاسلام لا يمنعها من الخروج والعمل خارج المنزل والكدح فى الحياة الى جانب الرجل اذا كانت هناك ضرورة تدفعها الى ذلك لكى تعول نفسها أو تنفق على أولادها أو والديها العاجزين على الكسب أو من تعول من اخوة أو أقارب اذا لم يكن لهم من يعولهم سواها •

أما اذا لم تكن هناك ضرورة لعمل المرأة فان الاسلام قد أعفاها من الكدح فى الحياة وخصها بتدبير شئون أسرتها وتربية أولادها وهى بذلك تقدم خدمة كبرى لبلادها ومجتمعها لأن حسن تنشئتها لأبنائها يؤهلهم لكى يكونوا أفرادا صالحين فى المجتمع يقومون على خدمته ويعملون فى سبيل اسعاده •

ان لخروج المرأة وعملها بعيدا عن بيتها أضرارا كثيرة ••• فهو يؤدى الى تفتيت العلاقات الأسرية ، لأن

المرأة العاملة لا يمكنها التوفيق بين عملها وحسن تربية أولادها فهى اما أن تتركهم لامرأة أخرى ترعاهم أو تودعهم احدى دور الحضانة وفى كلتا الحالتين لايجد الطفل الحنان والعطف الأموى الذى أودعه الله سبحانه وتعالى فى الأم ، فبعد أمه عنه يجعله لا يحس بحنانها ، ويفقد رعايتها وفى ذلك خطورة أيما خطورة على حياة الطفل ومستقبله ، اذ يخرج الى معترك الحياة وهو يشعر أنه لم يجد من يحنو عليه فيقسو قلبه ، وتجف منه ينابيع الرحمة ، لأن فاقد الشىء لا يعطيه . فاذا كان الطفل قد افتقد حنان الأم فى صغره فلن يستطيع هو أن يمنح هذا الحنان فى كبره وذلك تدمير لقوى المجتمع وضياع لأهم ما أورثه الله فى هذه الأرض وهو الانسان .

ان الابن الذى لا يرعاه أبواه ويتركانه للآخرين لا يمكن لهؤلاء الغرباء عنه أن يعوضوه عن والديه ، ويتركونه تائها ضائعا لا يلقنونه من الأخلاق الفاضلة ، والعادات الطيبة ما لابد له أن يتعلمه ،ولكنه قد يتعلم منهم الكثير من العادات القبيحة التى قد تدمر مستقبله ، بل ومستقبل المجتمع بأسره ، ان فتح باب العمل أمام المرأة على مصراعيه تدمير للمجتمع من حيث لا ندرى ... حقيقة انالمرأة نصف المجتمع ويجب أن تشارك فى بنائه ، ولكن بالطريقة التى تحفظ هذا المجتمع وتنميه ، لا التى تدمره وتحطم كيانه . يجب على أولى الأمر اذا أرادوا ترك هذا الباب كما هو أن يقللوا من ساعات العمل الىأقل قدر حتى ولو أدى ذلك الى تقليل الأجر حتى تجد المرأة العاملة الوقت الكافى لتربية أولادها ورعايتهم وتدبير أمور بيتها .

اننى لا أدعو بذلك الى الغاء حق حصلت عليه المرأة ، وانما أدعو الى حسن استغلال هذا الحق وقصره على حالاتالضرورة ووضع النظم الكفيلة بالوصول به الى صلاح المجتمع بأسره لا الى دماره وانهياره .

يمكن أن يمنع عملالمرأة المتزوجة على أن يرفع أجر زوجها ويسمح

لغير المتزوجات أو من يعولن غيرهن بالعمل ، أو يمكن كما قلنا تقليل ساعات العمل للمتزوجات ... ان هناك كثيرا من الحلول لو أردنا للمجتمع الصلاح وللذرية حسن الرعاية والنشأة الطيبة ...

ان أخشى ما أخشاه أن يجيء يوم وكل النساء تعمل ، ويبقى الأبناء فى ضياع ، فتضيع معهم القيم والمبادىء والأخلاق ... ان الذين يتشدقون بدعاوى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل انما يدعون الى طريق خطر لأن الله الذى خلق كلا من الرجل والمرأة من نفس واحدة ، يسر كلا منهما لما خلق له ، فالمرأة بحكم تكوينها الجسمانى تحمل وتضع وترضع وتربى أولادها ووضع فى قلبها الحنان والرحمة . . . وأعطى الرجل قوة فى الجسم ليستطيع العمل والكدح فى الحياة . فلو أراد الله سبحانه وتعالى أن يغير من ذلك لفعل ولكن الناس يتجاهلون الحكمة التى من أجلها خلق الله سبحانه وتعالى الانسان من ذكر وأنثى ولعلهم يعودون الى رشدهم فيعلمون أن الله لم يخلق هذا الاختلاف عبثا أو لهوا سبحانه وتعالى علوا كبيرا ... انما خلق الله جل وعلا هذا الاختلاف لكى تعمر الأرض وتبقى الحياة وتستمر الى أن يرث سبحانه الأرض ومن عليها ...

ان المجتمع الذى لا يستطيع أن يضمن الحياة الكريمة للمرأة كما أرادها لها الاسلام مجتمع متأخر ، ولن ينهض الا اذا أكرم المرأة وأعلى شأنها كما أراد الله سبحانه وتعالى لها أن تكون ...

ان المرأة التى تخدم وطنها بحسن رعايتها لأبنائها وتنشئتهم نشأة طيبة أفضل من تلك التى تكدح وتعمل خارج بيتها بدون ضرورة ، لكى ترفه عن نفسها ، أو لكى تمضى الوقت الى غير ذلك من الحجج التى لا معنى لها ...

المرأة الراعية فى بيت زوجها هى التى تقدم لبلادها الجنود الذين يدافعون عنه ويحمونه من أعدائه ، والأطباء الذين يحاربون المرض والمهندسين الذين يعلون البناء ، والساسة والقادة وكل الذين يخدمون الوطن فى كل المجالات ، ان مس الأم وريحها وريقها خير لابنها من

الشهد عند غيرها كما جاء فى حكم للصديق أبى بكر رضى الله عنه ضد عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما طلب ضم أحد أبنائه اليه حيث قال له : « ان مسها وريقها وريحها خير له من الشهد عندك » ورفض منح الفاروق حضانة ابنه الصغير .

ان الدعوة الى قصر عمل المرأة خارج منزلها على الضرورة فقط لايمنع من تعليمها وتثقيفها ومشاركتها فى الحياة العامة وانما المطلوب هو منح المرأة الفرصة المناسبة للقيام بعملها الطبيعى وهو الزوجية والأمومة للمحافظة على كيان المجتمع ومستقبل الانسان فى هذا المجتمع .

ان الرجل فى الشريعة الاسلامية هو مسئول شرعا عن الانفاق على زوجته وأولاده ومن تلزمه نفقتهم ، ولا يطلب من المرأة الانفاق مهما كانت غنية ، لأنها قبل الزواج مسئولة من أبيها أو اخوتها وبعد الزواج من زوجها أو أولادها وهى لاتكلف بأى عمل يخرجها عن طبيعتها ، فاذا دعت الضرورة الى عملها فلابد أن تعمل فى الأعمال التى تتناسب مع تكوينها وأنوثتها وبما لا يخرجها عن وقارها وحشمتها ...

واذا كان الرجل هو المكلف بالانفاق كان الواجب أن نفتح أمامه مجال العمل أولا لأن مزاحمة المرأة له فى عمله قد يعطل بعض الرجال عن الكسب وذلك وضع لا يرضاه الاسلام ولاتقبله شريعة الله ؛ لأنه قد يضيع من يعولهم هذا الرجل الذى نافسته المرأة وأخذت مكانه فى العمل وقد لا تكون هى فى نفس حاجته وضرورته ...

اننى لا أقول ذلك تجن على المرأة أو تضييع لحقوقها ، وعلم الله أنى ما أردت الا الخير لها والعودة بها الى طبيعتها وحقيقتها ، وكيف أدعو الى الاضرار بها وهى نصف المجتمع وشقيقة الرجل فى كفاحه وجهاده فى الحياة ، يقول صلى الله عليه وسلم : « النساء شقائق الرجال » ويقول عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال : « ألا واستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم » .

لقد خلق الله الناس من ذكر وأنثى لكى يعمروا الأرض وتستمر الحياة . يقول الامام الشيخ محمد عبده : « ان

ما يجب على المرأة أن تتعلمه من عقائد دينها وآدابه وعباداته محدودة ولكن ما يطلب منها لنظام بيتها وتربية أولادها ونحو ذلك من أمور الدنيا كأحكام المعاملات ان كانت فى بيت غنى ونعمة - تختلف باختلاف الزمان والمكان والأحوال كما تختلف بحسب ذلك الواجب على الرجال . ألا ترى الفقهاء يوجبون على الرجل النفقة والسكن والخدمة اللائقة بحال المرأة ؟ ألا ترى فروض الكفايات قد اتسعت دائرتها . ثم يقول : « أى الأمرين أفضل فى نظر الاسلام : أتمريض المرأة لزوجها - ان هو مرض - أم اتخاذ ممرضة أجنبية تطلع عليه - وتكشف من أحواله ما لايحب هو أو دينه أن تراه؟ وهل يتيسر للمرأة اذا كانت جاهلة بقانون الصحة وبأسماء الأدوية أن تمرض زوجها أو تقوم بتربية أبنائها تربية تحفظ عليهم صحتهم وعقولهم ».

ويقول : « هذه الدرجة التى رفع الله النساء اليها لم يرفعهن اليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع بل لم تصل اليها أمة من الأمم قبل الاسلام ولا بعده ، وهذه الأمم الأوربية التى كان من تقدمها فى الحضارة أن بالغت فى احترام النساء وتكريمهن وعنيت بتربيتهن وتعليمهن الفنون والعلوم - لا تزال دون هذه الدرجة التى رفع الاسلام النساء اليها ، ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف فى مالها بدون اذن زوجها ، وغير ذلك من الحقوق التى منحتها اياها الشريعة الاسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصفا . وقد كان النساء فى أوربا منذ خمسين سنة بمنزلة الارقاء فى كل شىء كما كن فى عهد الجاهلية عند العرب أو أسوأ حالا » .

هذا ما أردت بيانه وتوضيحه فان كنت قد أصبت فمن الله وان كنت قد أخطأت فمن نفسى وأستغفر الله « ان أريد الا الاصلاح ما استطعت » .

ونختم بالذى هو خير :

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » ؟

**توفيق على وهبه**

# إدارة الأعمال فى الإسلام

الدكتور عباس حلمى اسماعيل

يحرص قادة الانتاج بالدول المتقدمة فى أيامنا هذه ، على أن يتشاور مدير العمل مع العمال ، ويجمع بين الحزم والاهتمام بمصالحهم، ويتميز بالتواضع، ويتمتع بحب العمال واحترامهم ، وأن يغرس فيهم حب العمل ، ويقدر الخبرة ، ويلتزم بالمحافظة على ما وكل الى مجموعهم من أعمال • وهذا كله نادى به الاسلام منذ أربعة عشر قرنا •

فلقد حث القرآن الكريم على التمسك بمبدأ الشورى ، ولذا كان من حق كل مسلم أن يبدى رأيه فى أى أمر ، ذكرا كان أم أنثى ، صغر هذا الأمر أو كبر ، حتى يتبين المسلمون وجه الصواب والسداد فيه • ولم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن الشورى هى الطريق الصحيح ، لمعرفة أصوب الآراء ، فضلا عن أنها مظهر من مظاهر المساواة ، وحرية الرأى ، وحرية النقد ، والاعتراف بشخصية الفرد ، فى اطار مصلحة الجماعة ، وبالشورى تجند الكفايات والمواهب المتنوعة لصالح العمل •

والمفهوم أن مدير العمل راع مسئول عن رعيته ، فعليه أن يقدر عمل العاملين ، ويشيع فيهم العدالة ، فتبدو لألاءة وضاءة ، وأن يكون حازما يحسن اختيار عماله وأعوانه،ويحاسبهم على ما قدموه ، ويضرب على أيدى العابثين والمفسدين ، حتى يحفظ على العمل كيانه ، ويدفع كل فرد الى أداء ما يجب عليه فى أمانة واخلاص ، فيزيد الانتاج •

والايمان والعمل فى الاسلام ـ دين الفطرة ـ مسئولية عين ، لا مسئولية كفاية ، أى أنهما تبعة الوجود لكل فرد بذاته ، لا يغنى أحد عن أحد بايمانه وعمله • وعلى المدير أن يوفر للعمال المسكن الصحى ، والغذاء الكامل ، والملبس الملائم ، من غير تقتير ولا اسراف ، كما يهيىء لهم وسائل الأمن والاستقرار • ويجب ألا يطغيه

منصبه ، أو يغريه سلطانه ، بالاستبداد والظلم ، بل يوجه جهده الى اقامة أسس العدل ، فيعطى كل ذى حق حقه ، ولا يفرق فى المعاملة بين العمال، لهوى أو قرابة أو صداقة ، مما يؤثر فى النفس ، فينحرف بها عن الحق ، ولذا قال عمر بن الخطاب فى كتابه الى سعد بن أبى وقاص فاتح فارس سنة ٢١ هـ ( ٦٤٢ م ) : « أما العدل فلا رخصة فيه فى قريب ولا بعيد ، ولا فى شدة ولا رخاء ، والعدل وان رئى لينا ، فهو أقوى وأطفأ للجور ، وأقمع للباطل » .

ويجب أن يتحلى المدير بالتواضع ، ليتوثق الايلاف بينه وبين اخوانه ، فيعطف كبيرهم على صغيرهم ، ويحترم صغيرهم كبيرهم ، ويحب لأخيه ما يحبه لنفسه . وليست مظاهر الأناة والاعتداد واحترام النفس كبرا ، ولا شيئا من كبر ، لأن الكبر هو بطر الحق وغمط الناس . ولذا حذر عبد الحميد الكاتب الكتاب من الكبر فقال : « اياكم والكبر والسخف والعظمة،فانها عداوة مجتلبة من غير احنة » .

وعلى المدير أن يميز بين بطانة الخير وبطانة السوء ، وأن يعمل بنصائح الأولى ، لأنها تناجى بعمل الخير والطاعة ، وتحب له أن يسلك سبيل الحق ، وأن يعمل لنفع الجماعة ، وهى لذلك تبصره بالصالح والفاسد ، وتبين له الصواب والخطأ ، وتوضح له الحقائق دون تمويه ، وتصرح له بنقائصه وعيوبه ، فلا تكتمها ضعفا ، ولا تداريها مجاملة ورياء . ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن أعظم ألوان الجهاد ، وأجزلها ثوابا عند الله ، أن يجهر الانسان بما يعتقد أنه حق وعدل فى وجه حاكم ظالم ، دون أن يخشى فى الله لومة لائم . وألا ينقاد وراء الغير دون أن يكون له رأى ، فيقول الرسول الكريم : « لايكن أحدكم امعة يقول : أنا مع الناس ، ان أحسن الناس أحسنت ، وان أساءوا أسأت . ولكن وطنوا أنفسكم : ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا أن تجتنبوا اساءتهم » . ذلك أن كل انسان عرضة لأن يأثم ويخطىء ، والذين لا يأثمون ولا يخطئون قط هم الموتى وحدهم ، لأنهم لا يتحركون ولا يتكلمون .

وجدير بالمدير ألا ينسى حق العامل، فى الروح والراحة ، اجماما لعافيته ،

فالعمل حين يشوبه الملل ، يفقد الكثير من كم الانتاج وكيفه •

وقديما قيل :

ما أتينا الى الحيـاة لنشـقى
فأريحوا أهل العقول العقولا

كل من يجمع الهموم عليه
أخذته الهموم أخـذا وبيلا

وينبغى للرئيس أن يرعرع فرص الحب ، لتبقى المحبة ريانة نامية ، فان الحب يعبد الطريق أمام الخير ، ولكى ينتصر الحب ، لابد أن يتجرد من كل عرض زائل ومنفعة رخيصة ، وذلك بأن يكون خالصا صافيا • والحب لدى الرسول صلى الله عليه وسلم أسمى من أن يـكون وسـيلة للمحاباة ، حتى لا يتحول الى أنانية وجور • والتفاؤل المتهلل عنده ، هو الربيع الذى تنتعش فيه القدرات الانسانية ، فتعمل فى غبطة وابتهاج ، فلا جرم اذا توثقت العلاقة بين الحياة الناجحة والبشاشة المبشرة • والرحمة عنده يجب أن تكون ضمير كل عمل،يبذلها الجميع بذل السماح، وينالها الجميع حقا لا صدقة ، تخفيفا لأعباء الحياة العسـيرة ، التى يعمـل البشر داخلها •

والحق أن العمل قوام الحياة وسر القوة ، وأساس التطور والرقى ، فعلى المسئول الأول عن كل عمل أن يغرس فى عماله حب العمل ؛ لأن الله ورسوله والمؤمنين سـيرون أعمالهم ، وأن الله يجازى عليها ، وأن الرسـول فضـل العامل على العابد،ومقت المكفى الفارغ، فكان يشرك أصـحابه فى العمـل ، ويسهم فيه بيده بارادة قحامة : حمل الحجارة فى بناء مسجد المدينة،وضرب بمعوله فى حفر الخندق حولها ، ورفع التراب فوق كتفه • ومن أصحابه من أنشد وقد رآه يعمل :

ان قعـدنا والنبى يعمـل
فذاك منـا العمل المضـلل

ويرغب الرسول صلى الله عليه وسلم فى العمـل وكسـب الرزق ، بعرق الجبين من أى طريق حلال ، فقال : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده » • لأن المـال الذى يكسبه الانسان من عمل يده ، خير من المـال الذى يناله بغير معاناة • والعمل يفيد صاحبه قوة ونشاطا ، ويدفع عنه ذلة الحاجة ، ويشعره بشخصيته وقيمته فى الحيـاة • أما البطـالة فتقضى على المواهب ، وتسقط الكرامة ، كما سقط

الرجل من عين عمر ، عندما علم بأنه ليس له حرفة .

أبى الدهر أن ينقـاد الا لعزمة
يخر لهـا الدهر العتى ويخنع
ومن يتجنب فى الحيـاة زحامها
فليس له فى ساحة المجد مشرع

لقد تعقدت الحياة اليوم ، وصعب من أمرها ما كان سهلا . وغدا المستقبل رهنا بالكد والجـد والعمل المضنى ، فمن لم يشق لنفسه طريقا بين صخوره وأمواجه ، ضاع فى زحمته ، وراح ضحية توانيه .

هذه الشمس رسـول للعمل
طـارت الطير الى أرزاقهـا
املأوا النفس بعـزم وأمـل
واضربوا للرزق فى آفاقها

ولاريب أن للمسلمين تجـارب وخبرات فى نظام العمل ، وممن أحبوا أن ينقـلوا الى النـاس تجـاربهم وخبراتهم ، ليأخذوها عنهم ويفيدوا بها،الأديب أبو محمد عبد الله بن المقفع، الذى عمل كاتبا لبعض ذوى الأمر ، فى أخريات الدولة الأموية وأوائل الدولة العبـاسية ، فيقول فى كتـابه الأدب الكبير : « اذا تراكمت عليك الأعمال ، فلا تلتمس الروح فى مدافعتهـا يوما بيوم ، والروغان منها ، فانه لا راحة لك الا فى اصدارها ، وان الصبر عليها هو الذى يخففها عنك ، والضجر هو الذى يراكمها عليك . فتعهد من ذلك فى نفسك خصلة ، قد رأيتها تعترى بعض أصـحاب الأعمال ، وذلك أن الرجل يكون فى أمر من أمره ، فيرد عليه شغل آخر ، أو يأتيه شاغل من الناس يكره ايتاءه . فيكدر ذلك بنفسه تكديرا يفسد ما كان فيه ، وما ورد عليه حتى لا يحكم واحدا منها . فاذا ورد عليك مثـل ذلك ، فليكن معك رأيك وعقلك ، اللذان بهما تختـار الأمور،ثم اختر أولى الأمرين بشغلك، فاشـتغل به ، حتى تفـرغ منـه ، ولا يعظمن عليـك فـوت ما فات ولا تأخر ما تأخر ، والملحوظ أن هذه النصيحة تخطيط سليم ، يتناول الأهم قبل المهم ، وتوجيه الى التواصى بالحق والصبر ، لتصلح الدنيا ويسعد الناس.

ويتجلى فيما كتبه الحسن بن سهل ، وزير الخليفة المـأمون ، الى محمد ابن سماعة القـاضى ، المؤهلات التى يجب توافرها فى مـدير العمـل ،

كالنزاهة والاخلاص والخبرة ، فيقول حوالى سنة ٢٣٠ هـ ( ٨٤٥ م ) : « أما بعد فانى احتجت لبعض أمورى الى رجل جامع لخصال الخير ذى عفة ونزاهة طعمة ، قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب ، ليس بظنين فى رأيه ، ولا بمطعون فى حسبه ، ان اؤتمن على الأسرار قام بها ، وان قلد مهما من الأمور أجزأ فيه ، له سن مع أدب ولسان ، تعقده الرزانة ، ويسكنه الحلم ، تكفيه اللحظة ، وترشده السكتة ، له تواضع العلماء ، وفهم الفقهاء وجواب الحكماء ، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، دلائل الفضل عليه لائحة ، وأمارات العلم له شاهدة ، مضطلعا بما استنهض ، مستقلا بما حمل ، وقد آثرتك بطلبه ، وحبوتك بارتياده ، ثقة بفضل اختيارك ، ومعرفة بحسن تأتيك » .

وأفاد المسلمون من المنهج العلمى فى مواجهة مشكلاتهم ، فقبسوا من كتاب المناظر ، للحسن بن الهيثم ، فى أواخر القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) هذا النموذج : « نبتدىء باستقراء الموجودات ، وتمييز خواص الجزئيات ، وانتقاد المقدمات ، والتحفظ من الغلط فى النتائج ، ونجعل غرضنا فى جميع ما نستقريه ونتصفحه ــ استعمال العدل ، لا اتباع الهوى ، ونتحرى فى سائر ما نميزه ، وننقده ــ طلب الحق الذى به يثلج الصدر ، ونصل بالتدرج واللطف الى الغاية التى عندها اليقين،ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التى يزول معها الخلاف ، وتنحسم به مواد الشبهات » .

أما العمال فعليهم الطاعة ، فى المنشط والمكره ، وقد عرف المسلمون الطاعة وعزها ، وبرد ظلها ، وطيب مرتعها ، على قول عمرو بن مسعدة كاتب الخليفة المأمون . يؤدى كل منهم دوره ، فى أمانة وصدق ، حتى يكون نافعا ، فينداح وفاؤه ويتراحب ، حتى يسع الناس جميعا ، فان جميع المؤمنين اخوة ، شعار كل منهم،كما علمه ربه : أنا المسلم كل الناس لى أهل واخوان ، لهم عونى ولى ومنهم اذا ما احتجت أعوان .

قلوب ملؤها حب واخلاص وايمان، فلا حقد ولا غش ولا غدر ولا كفران. وكل مسئولية أمانة ، وهى تتطلب عملا متقنا ، عن بينة ، لخير الجميع ، كل لما هو ميسر له .

أتقنـوا يحببكم اللـ ـه ويرفعكم جنابا

اطلبوا الحق برفق واجعلوا الواجب دابا

واستقيموا يفتح اللـ ـه لكم بابا فبابا

وعلى أعضاء مجلس الادارة ألا يتزاحموا ، وأن يوسع بعضهم لبعض ، واذا طلب منهم المدير أن ينهضوا من مقاعدهم فليتركوها - بلا ملل أو ضجر - لمن هم أحق بالراحة أو الاكرام ، لتقدمهم فى السن ، أو لمكانتهم فى المعرفة والخبرة ، بل ان الواجب أن يتركوها بدافع من أنفسهم . وأن يحسن كل عضو الاستماع لمن يتكلم ، ولا يقاطعه أو يسفه رأيه،ولا يتكلم فى غير حاجة، واذا أراد الكلام ، فليستأذن أو ينتظر دوره ، ولا يرفع صوته فوق صوت من هو أكبر منه ، فان أرفع المتجادلين صوتا أضعفهم حجة ، وأقل الناس شعورا بكفايته ونزاهته أكثرهم دعاية ، كل أولئك يسترون ضعف باطنهم بقوة ظاهرهم . وعلى العضو ألا يجادل بغير علم ، حرصا على الوقت الذى لا يعوض، وحتى لا يستشرى الفساد ، ويستفحل جثومه وخطره ، كما حدث فى بيزنطة ، نتيجة المناقشات البيزنطية العقيمة . وألا يذل نفسه ، بأن يتعرض من البلاء لما لا يطيق ، فيعجز ويسخر منه الناس ، لأنه لم يعرف قدر نفسه . لا ينطق بالكلمة الا اذا ملكها ، وكان متأكدا من صحتها، والا ملكته الكلمة، فأصبحت حجة عليه .وأن يؤثر الخير كما يراه ، على الخير كما يراه الناس ، اقتداء بعلى بن أبى طالب كرم الله وجه . وألا يبدأ عملا قبل أوانه،وانما ينتظر حتى يأذن له رئيسه . وألا يفارق المجلس الا باذن وليسلم ، فليست تحية الوصول بأحق من الآخرة ، حتى يشعر الجالسين أنه ما تركهم كرها لهم ، وما قام من مجلسهم غاضبا عليهم، ولكنه مازال على وده ومسالمته لهم .

ومما يومىء ويدل على أن المسلمين حرصوا على خيرات الناس ، أنهم عملوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« من قطع سدرة فى فلاة يستظل بهـا ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها ـ صوب الله رأســه فى النار » • وقول ابن عمه على رضى الله عنه : « دع الاسراف مقتصدا واذكر فى اليوم غدا ، وامسك من المـال بقدر ضرورتك ، وقدم الفضل ليوم حاجتك » • فحافظوا على المرافق العامة ، بل اقتصدوا فى المـاء ، ولو كانوا بقرب عين أو بئر ، ودبروا فى المواد ، وصنعوا بأقل الخامات ، وأفادوا من الامكانيات المتاحة ، للحصول على أكبر انتاج ممكن ؟

**د • عباس حلمى اسماعيل**

# الطفل من الخلية حتى الولادة

للدكتور حسن عز الدين الجمل

( تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ •
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ) ( الآية ١ ، ٢ من سورة الملك )

ما الحياة ؟

وما تعريف الحياة ؟

ليس هناك اتفاق حول تعريف هذه الحياة الدنيا ••• ولكن المتفق عليه هو مميزات ومظاهر الحياة على الأرض • فما مميزات وظواهر تلك الحياة ؟ ••

ان أهم هذه المظاهر هي ، شدة الحساسية ، والاستجابة للمؤثرات الخارجية والداخلية ، والاهتزاز والحركة الدائبة ، وهي ما تسمى « الديناميكية » المستمرة •

والكائن الحي يبدأ حياته بخلية واحدة ، وفي حالة الانسان ، فان هذه « الخلية الأولى » هي « خلية عبقرية » تنتج من اندماج خليتين أخريين ، تسمى احداهما الحيوان المنوى ، وهي تصنع في خصية الذكر ، وتسمى الثانية البويضة وهي تصنع في مبيض الأنثى • وهذه هي « الخلية الأولى » أو « النطفة الأمشاج » التي نتجت بعد اختلاط حيوان منوى واحد ، من ملايين المنويات الموجودة في الماء الدافق من المنى ، مع بويضة المرأة • وقد تم حساب عدد الحيوانات المنوية الموجودة في الدفقة الواحدة من الذكر بحوالى ٢٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠ أي أن كل هذه المئات من الملايين من الخلايا الحية تصب في الأرحام في كل مرة •

فما الخلية ؟ ومم تتكون ؟؟

هذه الخلايا عبارة عن قطع دقيقة الحجم من مادة حية تسمى

« البروتوبلازما » ، وهى مادة عجيبة فى جودتها ، غامضة محيرة استطاع الأطباء أن يعرفوا العناصر الداخلة فى تركيبها ، ولكنهم عجزوا عن صنعها بضم تلك العناصر بعضها الى بعض .وكل ما وصلوا اليه أن الخلية الحية تتكون من كتلة «بروتوبلازمية» هلامية مثل « الجيلاتين » . نصف سائلة ، بين الصلابة والسيولة ، وتسمى السائل الخلوى ، تسبح به حبيبات .

والخلية تبلغ من ضآلة الحجم والصغر أنك لا تستطيع رؤيتها بالعين المجردة . ولكن اذا نظرنا الى جسم الخليـة الحيـة وهى تحت «الميكروسكوب» فان أول ما يسترعى انتباهنا منها هو الحركة الدائبة وعدم الثبات من فرط حساسية « البروتوبلازم » تتحرك هذه المادة الحية ونرى الحبيبات فيها تلف وتدور حول كرة أكثر صلابة فى وسط الخلية وهى النواة . . .

وهذه النواة أكثر كثافة من مادة الخلية . والنواة هى التى تحمل المميزات الوراثية فى الخلية ، وقد تبين أنها مصنوعة من البروتين. وهذا البروتين النووى ، مادة معقدة ، مصنوعة من عشرات من الأحماض الأمينية متصل بعضها ببعض اتصالا مميزا خاصا ، لتؤلف كلمة ، أو « شفرة » خاصة بهذا الكائن الحى ، وهذا البروتين النووى هو حامض « الديزوكسى ريبو نيو كليك » . . . وهى المادة الموجودة بنواة الخلية .

وفى حالة النمو تتكاثر الخلية بالانقسام ، وتختص النواة بنسخ الصفات الوراثية فى الخلايا الجديدة على منوال الخلية الأولى .

وفى داخل كل نواة سر خاص ، أو «فورمة» خاصة عليها تطبع الخلايا الجديدة التى تنقسم اليها . وبهذا تحتفظ كل خلية بطابعها ويحتفظ كل كائن حى بصفاته وشخصيته أثناء نموه ، ثم يورثه لأبنائه لتبقى بعد موته .

ويقال ان صورة من الصفات الوراثية موجودة فى جسم الخلية ، خارج النواة ، مصنوعة من مادة أخرى هى حامض «ريبو نيو كليك» . وان كان أصل الصورة يحفظ فى مكان أكثر أمنا ، داخل النواة .

وفى حالة الانسان تنقسم البويضة المخصبة ،أو النطفة أو «الزيجوت» ، هذه الخلية الواحدة الأولى ، تنقسم فى بطن الأم : الى خليتين ، ثم الى أربع ثم الى ثمان ثم الى ست عشرة خلية • ويستمر هذا الانقسام فى متواليات حسابية ، حتى يتم شكل النطفة على هيئة « التوتة » ثم تدخل هذه التوتة من احدى قناتى الرحم ، وتتحرك التوتة فى قرارها المكين الى أن تتعلق وتنغمس وتغوص فى جدار الرحم • ويحدث هذا فى حوالى اليوم الثامن من عمر الجنين تقريبا • فأصغر ما اكتشف من أجنة البشر وجد فى اليوم الثامن فى أول عهده بمرحلة الغوص والتعلق فى جدار الرحم • وأثناء ذلك يستمر الانقسام بعد أنتعلقت « التوتة » بجدار الرحم حتى نهاية الأسبوع الثالث • وعند منبت هذه « العلقة » فى جدار الرحم تتكون المشيمة أو السرة للامداد الغذائى • ومن ثم سمى هذا الطور بـ « العلقة » •

وببداية الأسبوع الرابع تقريبا ، تبدأ مرحلة الانقسام السريع التى فيها تتميز جميع الأجهزة والأعضاء الأساسية للجسم • وتبدأ مرحلة التخلق وينمو الجنين الى أن يصبح فى حجم القطعة من اللحم بقدر ما يمضغ ، وعلى شكل هلال ، ثم تظهر الفقرات وكأنها بصمات الضروس والأسنان على تلك المضغة التى هى فى حجم أحد أصابع اليد • أى أن الجنين يكون فى حجم وشكل « المضغة » فى فم الانسان •

ويستمر الانقسام الى ملايين الملايين من الخلايا والى ما شاء الله ، وينمو الجنين الى أجل مسمى،ثم يولد الطفل • ويتم ذلك فى تسعة أشهر تزيد أو تنقص •

وهكذا نرى أن الانسان ، من الناحية « البيولوجية » ما هو الا مجموعة من الخلايا المتخصصة فى وظائف مختلفة • وان كان كل جزء من جسمه وكل خلية من أعضائه خلقت لوظيفة • وان الانسان بأجمعه قد خلق لحكمة ولم يخلق عبثا ؟

**د . حسن عز الدين الجمل**

# العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العظيم

## (١٩)

### ضرورة حتمية

ان ما دعونا اليه ـ فيما سبق ـ من أن اللغة العربية جديرة بأن تكون اللغة العالمية الأولى التى تربط أمم العالم ودوله برباط وثيق لا يقوم على الأمانى ولا على الأحلام ، ولا ينبعث عن التعصب أو الأنانية ، فان الدعوات الكبرى لا تقوم الا على منهج علمى دقيق يرتكز على الأدلة العقلية والبراهين المنطقية ، كما يرتكز على التجارب الواقعية العديدة ، والا كانت هذه الدعوات مجرد أوهام وخيالات .

واللغة الجديرة بأن تكون اللسان العالمى الأول ينبغى أن تقوم على أبجدية قليلة الحروف ، وليس على آلاف الحروف كالصينية ، وينبغى أن تعتمد على نحو سهل وعلى كتابة املائية واضحة وعلى تراث انسانى خالد ، ويجب أن يتوافر فيها عنصر الثبات والاستقرار بحيث لا تتعرض للتغيير والتبديل فى كل جيل ، وأن تكون ذات مناعة وقوة تجعلها تصمد أمام التيارات المحلية والعالمية ، وفى مواجهة المؤثرات الاجتماعية والسياسية على أن تكون وراءها شعوب عديدة قوية تحيا بها وتهبها الحياة .

ولا نجد لغة تنطبق عليها هذه الشروط جميعها الا اللغة العربية ، وهى صالحة بما فيها من طواعية وحيوية وثراء للتعبير عن الفنون والفلسفة والعلوم ، وبهذا استطاعت أن تستوعب جميع الحضارات العالمية القديمة وأن تضيف اليها حضارة عالمية رائعة حلقت فى الآفاق بجناحين قويين أحدهما يمثل المادية الواقعية ، والثانى يمثل الروحانية المثالية ، وهى ـ بلا شك ـ أساس الحضارة الغربية الحديثة بشهادة كبار الباحثين من الغربيين ـ أما نحو اللغة العربية ففيه تعقيدات عديدة ، ولكن من السهل حذفها ،

ومن السهل اعداد نحو واضح بعيد عن التعقيدات التي لا تقدم ولا تؤخر في صحة الأداء ، وقد خطا مجمع اللغة العربية خطوات موفقة في تبسيط النحو العربي وتيسيره للراغبين ، كما خطا في تيسير الكتابة العربية والهجاء الاملائي خطوات كبرى استطاع بها أن يختصر حروف الطباعة المشكولة شكلا كاملا من أكثر من أربعمائة حرف الى مائة وخمسة وثلاثين حرفا ، وهو اختصار يوفر كثيرا من الجهد والمال ، وبه يصبح صندوق الطباعة العربية قريبا من صندوق الطباعة بالحروف اللاتينية وعددها مائة وخمسة عشر حرفا ، وبهذا تزول العقبات التي تعوق العربية عن بلوغ الصدارة بين اللغات، وتمتاز العربية عن سائر لغات العالم بأنها تضم تراثا انسانيا خالدا يمتد في الزمان أكثر من خمسة عشر قرنا ، ويمتد في المساحة قديما من الصين الى جبال البرانس ومن أواسط روسيا وآسيا الى المحيط الهندي ، ويمتد في مساحته حديثا من الخليج العربي الى شواطىء المحيط الأطلسي ومن تركيا شمالا الى أواسط افريقيا جنوبا •

ولا تزال العربية نابضة بالحياة زاخرة بالقوة وقد قطعت شوطا كبيرا في استيعاب الحضارة الحديثة ، ولن تمر سنوات حتى تستوعب جميع ألوانها من علوم وفلسفة وآداب ، وقد بدأت في البذل والاعطاء ، كما كان شأنها في جميع العصور •

أما اللغات الأخرى فانها دائمة التغيير والتبديل والانقسام الى لغات أخرى مما يفصل بينها وبين الماضي بفواصل عديدة تتسع مع الزمن حتى ينتهي بها الأمر الى تمزيق ما بينها وبين أصولها من صلات ، كما حدث للغة اللاتينية وما انقسمت اليه من لغات أوربا الحديثة ، وقد ذكرنا أن الانكليزية في انجلترا تكاد تنفصل عنها في أمريكا ، والبرتغالية في البرتغال تكاد تنفصل عنها في البرازيل، والاسبانية في اسبانيا توشك أن تختلف عنها في دول أمريكا اللاتينية •

أما العربية فاننا نقرأ شعراءها وخطباءها ونتأثر بهم منذ خمسة عشر قرنا ، ونحن نستمتع الآن بما كتبه شعراء نجد قبل الاسلام وشعراء الأندلس ( في اسبانيا ) بعد الاسلام • كما نتأثر بما صاغه الأبيوردي

والأرجانى ومهيار وبديع الزمان من كبار أدباء ايران ، ونهتز طربا بما نقرأ لشعراء المهجر بأمريكا من ابداع وهذا الثبات القوى لا يتعارض مع ما تتمتع به العربية من حيوية وقوة ونماء أتاح لها أن تستوعب شتى الحضارات وأن تتفاعل مع غيرها من اللغات . وأن تفوقها فى كثير من ألوان الثقافات .

قال « رينان » فى كتابه « تاريخ اللغات السامية » : « من أغرب ما وقع فى تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ، فقد كانت غير معروفة بادىء بدء ، فبدت فجاءة على غاية الكمال ، سلسة أى سلاسه غنية أى غنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد الى يومنا هذا أدنى تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة ، ولا أدرى هل وقع ذلك للغة من لغات الأرض قبل أن تدخل فى أطوار أو أدوار مختلفة ... ما عهدت قط فتوحا أعظم من الفتوحات العربية ولا أشد سرعة منها، فان العربية ولا جدال قد عمت أجزاء كبرى من العالم ، ولم ينازعها الشرف فى كونها لغة عامة أو لسان فكر دينى أو سياسى أسمى من اختلاف العناصر الا لغتان : اللاتينية واليونانية ، وأين مجال هاتين اللغتين فى السعة من الأقطار التى عم انتشار اللغة العربية فيها » ، ونضيف الى تساؤل رينان سؤالنا : أين اللاتينية والاغريقية الآن ؟ لقد أصبحت كل منهما لغة أثرية تاريخية ندرسها لما تضمه من تراث قديم . أما العربية فلا تزال فتية قوية نابضة بالحياة(١) .

ويقول جورج ساراتون : « أصبحت العربية فى النصف الثانى من القرن الثامن للميلاد لغة العلم عند الخواص فى العالم المتمدن ، وصارت حاملة علم التقدم الصحيح وحافظت على تفوقها وتصدرها فى المرتبة الأولى بين جميع الألسن الأخرى الى آخر القرن الحادى عشر على أقل تعديل ... وكان كل من يريد أن يطلع على آراء عصره مضطرا أن يتعلم أولا اللغة العربية ... ولذلك اتهم المجددون فى النهضة الأوربية أمثال

(١) الاسلام والحضارة العربية لمؤلفه محمد كرد على ج ١ ص ١٨٠

روجر باكون بالاسلام لأنهم كانوا يعرفون العربية(١) • •

ولقد تركت العربية آثارها الفكرية واللغوية فى اللاتينية وما تفرع عنها من اللغات كما تركت آثارها فى الاسبانية والبرتغالية وقد قرر بعض الباحثين أن كل كلمة اسبانية تبدأ عندهم بأل التعريف العربية هى عربية لا محالة وقد وضع العلامة انجلمان Engelmann معجما كبيرا للمفردات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من أصل عربى ، ويقرر الأستاذ موسى كريم فى كتابه « البرازيل والشرق » : أنه ليس فى الأرض لغة تقرب بتعبيراتها ومترادفاتها وجمالها وأمثالها من اللغة العربية كاللسان الذى يتحدثون به اليوم فى البرازيل والبرتغال ، ويرى بعض الباحثين أن ربع الألفاظ الاسبانية مأخوذ من العربية •

ولقد انتشرت العربية فى جنوبى أوربا وجزر البحر الأبيض المتوسط مثل جزائر البليار وجزيرة صقلية ، وجزيرة مالطة حيث ظلت متأثرة بالعربية حتى الآن ، فأهل مالطة يتحدثون بلغة مختلطة من العربية والايطالية وفيها ألوف باقية من الأصول العربية •

ومن المعروف أن العرب استولوا على اقليم سبتمانيا فى الجنوب الغربى من فرنسا على ساحل البحر الأبيض المتوسط وعلى مدينة ناربون وجعلوها قاعدة أعمالهم البحرية كما استولوا على كثير من المدن الساحلية ثم على مرسيليا وعلى اقليم بروننسيا ووصلوا الى بواتيه على مسافة ٣٣٢ كيلو مترا من جنوب غربى باريز ، واستمر العرب فترة طويلة فى اقليم سبتمانيا وعقدوا عهودا مع السكان وأدخلوا كثيرا من ألفاظهم فى لغة السكان ، ويذكر سيديلو فى كتابه تاريخ العرب : « ان التوحش كان ضاربا أطنابه على غاليا ( فرنسا ) وعلى جرمانيا ( المانيا ) على حين كان العرب قابضين على زمام الأحكام فى جنوبى فرنسا من جبال البرينات الى جبال الألب ••• وفى ذلك العهد انتقلت الى الغرب عادة استعمال الأرقام العربية والكسور العشرية وبقيت

(٢) المصدر السابق ص ١٨١ ، ١٨٢

أسماؤها مع ما لحقها من التعديل عربية صرفة ، وجاءت التعبيرات النادرة الى اللغة الفرنسية من اللغة العربية أكثر مما جاءتها من اللاتينية ،

وألقى المستشرق يهودا الأستاذ بجامعة مجريط ( مدريد ) محاضرة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة فى مارس سنة ١٩٢٨ قال فيها : « أخذ الناس يدركون الآن أن أوربا فى القرون الوسطى مدينة للحضارة العربية التى اغترف من مناهلها المسلمون واليهود والنصارى على السواء ، وأدركوا أن العلوم الطبيعية والقوانين الفلسفية والرياضية وأسس العمران كانت تستمد روحها فى زمن النهضة والاصلاح من ذلك المنهل العذب منهل الحضارة العربية ، وأصبح علماء العصر الحديث كلما تعمقوا فى دراسة هذه الحضارة أدركوا أثرها البليغ فى حضارة اليوم ، وكشفوا مئات الكلمات الداخلة فى اللغات الأوربية من أيام تلك الحضارة » .

ولا داعى لأن نستطرد فى الاستشهاد على أصالة العربية وقوتها ومرونتها وحيويتها ، وعلى أنها ظلت لغة الحضارة الأولى فى العالم عدة قرون ، فقد أصبح هذا حقيقة تاريخية ملموسة يكاد يجمع عليها الباحثون ولما انحسرت موجات الفتوحات الاسلامية ظلت اللغة العربية تؤدى رسالتها الخالدة فى الشعوب التى تحررت من سلطان العرب السياسى ، واذا كانت هذه الشعوب أو بعضها استعمل لغة خاصة به فقد ظلت العربية فيها لغة العلمولغة العبادة مئات السنين ، وقد تركت العربية طابعها على كثير من لغات العالم ذكرنا بعضها ، ونضيف الى ما سبق أن العربية أثرت فى اللغة الفارسية حتى يقدر بعض الباحثين أن العربية أمدتها بما يقرب من نصف ألفاظها ، ويمكن أن يقال مثل هذا فى اللغات الأوردية والملايوية والأفغانية والبربرية ، ويذكر ماسينيون فى ( تقويم العالم الاسلامى ) أن العربية اليوم فى السنغال هى لغة المسلمين ، وتعتمد بقية اللغات الوطنية على الحروف العربية فى كتابة لغاتها ، وهى شائعة فى السودان الفرنسى وفى شاطىء العاج ، ويعتمدون فى النيجر على الحروف العربيةوكتابة اللغات المحلية وفى نيجيريا يتم تدريس العربية بالمدارس الابتدائية ، واللغات الوطنية

فيها تكتب بالحروف العربية ، والعربية منتشرة فى تشاد وجيبوتى ، وللعربية تأثيرها القوى كتابة ونطقافى اثيوبيا وفى قازان والقرم والفلبين ، أورد العلامة مليه فى كتابه القيم ( اللغات فى أوربا الحديثة ) : « أن اللغة العربية لا تتراجع من أرض دخلتها لأنها لغة مدنية ولغة دين، وعلى الرغم مما بذله المبشرون من جهود ، وعلى الرغم من مكانة الحضارة التى جلبتها الشعوب المسيحية ، فان أحدا من المسلمين لم يعتنق النصرانية » •

وللعربية معاقل حصينة قوية لاتزال قائمة شامخة فى البلاد غير العربية مثل أقسام الاستشراق فى جامعات العالم الكبرى ؛ ولقد أتيح لى أن ألقى عدة محاضرات بالعربية فى كلية الدراسات الشرقية فى نابولى بايطاليا ، فكانت فقرات محاضراتى يتم تسجيلها أولا فأولا ، ثم سرعان ما تكتب بالآلة الكاتبة العربية ، ثم يتم تصويرها فى دقائق معدودة أثناء هذه المحاضرات ولا تمر دقائق معدودة حتى توزع المحاضرة مطبوعة كاملة على الطلبة جميعا مع احتفاظ الكلية بعشرات النسخ منها ؛ وبالكلية مكتبة ضخمة تضم من نوادر المخطوطات العربية ما لا نجد مثيلا لبعضه فى دار الكتب المصرية • وتضم الكلية عشرات من شواهد القبور الرخامية مكتوبة بالخط العربى الكوفى للمسلمين الذين أقاموا فى سردانية فترة من الزمان مما جعل الباحثين الايطاليين يجزمون بأن الجزيرة خضعت لحكم المسلمين فترة طويلة مستندين فى ذلك على التواريخ المدونة على تلك الشواهد ؛ وان كان التاريخ لم يذكر شيئا عن وجود العرب فى هذه الجزيرة •

ومن المعاقل الحصينة للغة العربية مدينة (لايدن) فى هولندا حيث أخرج المستشرقون فيها كثيرا من الذخائر العربية والتراث الاسلامى المجيد • ومن أهم آثارهم دائرة المعارف الاسلامية والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث كما أن من المعاقل الحصينة• للغة العربية فى الهند مقاطعة ديوباند فى الهند وتقوم فيها كلية دار العلوم شامخة راسخة يدرس فيها الطلبة المراجع العربية الأصيلة مثل شرح الأشمونى وحواشيه والسعد وحواشيه وكتب أصول الفقه والمراجع الكبرى فى التفسير والحديث وعلم الكلام •

وأذكر أن المؤتمر الاسلامى بالقاهرة أعطى منحا دراسية لبعض طلبة هذه الكلية سنة ١٩٦٠ ليكملوا دراساتهم بالأزهر ، فعادوا الى – وكنت مشرفا عليهم بالمؤتمر الاسلامى – يقولون اننا لم نستفد شيئا لأننا نعيد فى الأزهر دراسة ما درسناه فى ديوباند ، فناقشتهم فيما ذكروه فوجدتهم صادقين فوجهتهم الى جامعة القاهرة . لأن الأزهر لم يكن قد استوفى كلياته الحديثة فى هذا الوقت .

فاللغة العربية كانت لغة عالمية أولى، ولا تزال تحمل طابع العالمية الى الآن وقد برر العلامة الفيلسوف دى بور Deboer الأستاذ بجامعة امستردام علة هذه المكانة السامية العالمية بقوله : « كانت هذه اللغة بما حوت من كثرة فى المفردات ووفرة فى صور التعبير ، وبما فى طبيعتها من قبول للاشتقاق خليقة أن تتبوأ مكانها بين لغات العالم، ولو وازناها باللغة اللاتينية فى ثقلها وقلة مرونتها أو باللغة الفارسية فى فرط اسهابها لوجدناها تمتاز عنهما بما فيها من صور لفظية قصيرة تدل على المعانى المجردة ؛ وهذه خاصة عظيمة النفع فى ممارسة العلوم ، فنحن نستطيع أن نعبر بهذه اللغة العربية عن أدق الفروق بين المعانى . . » ونستطيع أن نضيف الى ما ذكره دى بور أن اللغة العربية تجمع بين الدقة المميزة وبين البلاغة المعجزة فهى لغة أدب وفن من الطراز الأول وهى لغة علم وفلسفة من الطراز الأول ، وهما قلما يجتمعان فى أثر واحد فى أى لغة من اللغات ، ولكنهما اجتمعا معا فى آيات الذكر الحكيم .

وحسبنا أن نضرب مثلا بآية قرآنية كريمة موجزة ، قال تعالى : « وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور[1] » .

ونترك ما فيها من البلاغة جانبا لأن معجزة القرآن الكبرى هى بلاغته فى الدرجة الأولى ، ونكتفى بالدقة العلمية فى صياغة هذا الأسلوب ، وندع الحديث لابن قيم الجوزية فى

---

(١) سورة الشورى : ٤٨

تعليقه على الآية الكريمة(١) : « أتى فى تعليق الرحمة المحققة اصابتها من الله تعالى باذا ، وأتى فى اصابة السيئة بان(٢) ، فان ما يعفو الله عنه أكثر ، وأتى فى الرحمة بالفعل الماضى الدال على تحقق الوقوع ( أذقنا الانسان منا رحمة ) ؛ وفى حصول السيئة بالمستقبل الدال على أنه غير محقق ولابد ( تصبهم سيئة ) ، وأتى فى وصول الرحمة بفعل الاذاقة الدال على مباشرة الرحمة لهم ، وأنها مذوقة لهم . والذوق هو أخص أنواع الملابسة وأشدها ، وأتى فى الرحمة بحرف ابتداء الغاية ( من ) مضافة اليه تعالى فقال : ( منا رحمة ) ، وأتى فى السيئة بباء السببية مضافة الى كسب أيديهم ، وأكد الجملة الأولى التى تضمنت اذاقة الرحمة بحرف ان (انا) دون الجملة الثانية ، واسرار القرآن أكثر وأعظم من أن تحيط بها عقول البشر » ـ للبحث بقية .

**على عبد العظيم**

---

(١) يشك فى وقوعه . بدائع الفوائد جـ ٣ ص ٥٤

(٢) اذا ظرف شرطى لما يتوقع حدوثه مثل قوله تعالى : « اذا جاء نصر الله والفتح ... » وان أداة شرط لما يشك فى وقوعه مثل قوله تعالى : « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » .

# العرب والمسرح

للأستاذ محمد كمال الدين

## ( ١٦ )

اكتشف بعض الباحثين - من الأجانب والعرب - على مدى نصف القرن الأول الحالى كثيرا من الادلة التاريخية ، والنصوص الشعبية ، غنائية ( ودرامية ) تؤكد معرفة العرب للمسرح منذ فجر التاريخ ، ومن هؤلاء مثلا « سير فلا تدرز بيترى » وزوجته « مرجريت مرى » ، فقد عثرا فى قرية « هوارة » بالفيوم على نص مسرحية باسم « الفرس » لتيمو ثيوس من القرن الرابع قبل الميلاد،وأحد نصوص الشاعر اليونانى الملحمى «هوميروس» ، وثلاثة برديات لأرسطاليس ، وبعض المسرحيات الكوميدية للشاعر هيروداس ، وفى قرية « جوروب » غرب الفيوم أيضا عثرا على محاورتين لافلاطون هما لاخيس وفيدون وأكثر من مائة بيت من ملحمة انتيوبى ليوربيديس ، وأجزاء من مسرحيات ايسخولوس وسيفوفوكليس وأربع كوميديات كاملة لميناندر[١] • وهذا كله يثبت أن الحضارات تتفاعل وأن التأثير والتأثر بين الشعوب أمر مؤكد ، فبفضل المعاملات التجارية قديما ، وانتقال الأفراد من بلد الى بلد ، تداخلت الحضارات،واتصلت الشعوب ببعضها، ونقلت صورا من حياتها الى بعضها البعض ، ويؤكد التاريخ أن الحضارة اليونانية كانت ثمرة للحضارة المصرية القديمة والحضارة البابلية ، ثم انتقلت الحضارة اليونانية الى الدولة الرومانية، وتعد الحضارة السكندرية مثالا على تفاعل الحضارات المختلفة من شرقية وغربية ، مع تميز كل حضارة بخصائص معينة ، فالحضارة اليونانية

---

(١) مقدمة نص درامى عربى مجهول المؤلف عثر عليه شوقى عبد الحكيم خلال رحلة استكشافية لاحدى بعثات مركز الفنون الشعبية الى الفيوم عام ١٩٥٦ ، ونشره بمجلة المسرح مع نص آخر فى العددين ٤٠ ، ٣١ ( أبريل مايو ١٩٦٧ ) .

اتجهت نحـــو السياسة والفنون ، والحضـارة المسـيحية اتجهت نحـو الدين ، وهكذا ، فلما نشأت الحضارة العربية تميزت بالدين والعلم والفلسفة جميعا واستطاعت أن توفق بينها (١) ، وهذا يثبت أن الحضارة لا تمـــوت وانما تنتشر وتنتقل من بلد الى بلد ، تؤثر وتتأثر ، وتتشكل تشكيلا جديدا، وتخطو الى الأمام ، فلا تندثر ، وانما تظهر بأشكال مختلفة ولا تبتعد عن الجوهر ، ومن هذا ما حكاه أحـــد علماء الآثار من أن بعثة أجنبية شاهدت حفـلا راقصا لاحدى الفرق الشعبية المحلية فى الفيوم ، واكتشف أحـــد أعضائها أن الرقصة هى بنفسها رقصة بعث أوزوريس كما تسجلها النقوش التى تصور الأسطورة ، وقد احتفظت بكل مقوماتها بدقـة عجيبة منذ آلاف السنين ، ومن هـــذا أيضا نصوص درامية تصلح للتمثيل ، بل انها كانت تمثل بالفعل ، مثـل نصى : « سـارة وهاجر » ، «سعد اليتيم » وكلاهما من مكتشفات بعثة الفنون الشـــعبية فى الفيوم ، وكانت تقدمهما احدى الفرق الشعبية المحلية هناك ولا يعرف لهما مؤلف معين ، وان كان لـكل منهمـا اصداء تاريخية بعيدة تعـود الى فجر التاريخ المصرى وتتصـــــل بهما عبر أجيال طويلة الى دخول الاسلام الى مصر ثم الى الحكم الفاطمى ، بعـد اضافات تتناسب مع كل عصر ومجتمع، وهما تقومان على الحـــواديت التى ورثهـا كل عصر عن العصر السابق عليه بعد اضافة أو حـــــذف بعض المشاهد ، أما النص الأول « ســـارة وهاجر » فيحكى قصة سارة والخليل ابراهيم ومولد اسماعيل ثم رؤيا ذبحه وفدائه ، ويقوم بالحكاية أشـــخاص بأســـماء هاجر وســـارة وابراهيم واسماعيل واحـــدى الفتيات وبعض الرعيان ، ويقوم بالتعلق (كورس) من بعض المنشدين ، يربط بين الأحداث، كما نسمع صوت الملاك جبريل حين نزل يبشر ابراهيم برحلته ، وكذلك صوت السكين تأبى لذبح اسماعيل ، ويدور الحوار بالشعر العامى وبالغناء الملحن بمصـــــاحبة بعض الآلات الموسيقية البدائية ، ونقتطف من النص هذا الجزء الذى يفتتح به :

الكورس :

كانوا سارة والخليل أيام صباهم •

---

(١) فضل العرب على الحضارة بحث لأحمد فؤاد الأهوانى — المجلة — عدد ٢٩ مايو ١٩٥٩ ص ١٢ — ٢٤

بادعين فى الحسن والمولى عطاهم .

مدة من ليام ولا بلغوش مناهم من الدرارى لا صبى ولا بنية .

من الدرارى لا صبى يابن الأكابر .

سارة :

يا خليل الله لقيمته تدن صابر .

بس طاوعنى وتزوج بهاجر لأنها حرمة شريفة ومهتدية .

ابراهيم :

لأنها حرية أنا خايف عليكى .

بس من غيرة النسا قاسية عليكى .

حالف يمين العمر ما اتزوج عليكى

لو عطونى فى خلافك ميت صبية .

ميت صبية فى خلافك لو سمحتى .

افعلى يا بنت عمى بما أمرتى .

الكورس :

بس يا سارة على الغيرة صبرتى .

يتبنيلك قصر فى الجنة العلية .

سارة :

يتبنيلى قصر بس اذا كنت راضى .

اسمح تزوج وأنا اللى أبلغ مرادى .

ويستمر الحوار على هذا النمط حتى آخر النص الذى يستغرق نصف ساعة تقريبا وقد يمتد الى ساعة كاملة، وواضح فيه القدرة على التعبير عن القصة فى لغة سهلة واضحة ، وبطريقة درامية لا شك فيها . وتنتهى القصة عند تلبية ابراهيم نداء ربه بذبح ولده اسماعيل ، وافتدائه بكبش عظيم ، ويصور الكورس هذا المشهد بتعليق مناسب يقول فيه :

الكورس :

انطرح على الأرض والخليل مشاور .

قام سحب سكينة مسنونة مضية .

قام سحب سكينة مسنونة جريحة .

ناوى يذبح سماعين أبو القامة المليحة .

انطقت السكين وقالت ملا فضيحة .

السكين :

دبح سماعين يا ربى بلية .

دبح سماعين بلية يا خليلى ٠

دا أنت مرسل أرسلك ربى الجليلى ٠

الكورس :

انثنت السكينة فى يد الخليلى ٠

وانفدى سماعين بكبش للضحية ٠

انفدى سماعين بكبش للتمامى ٠

لجل تفسير الخليل فى هذا المنامى ٠

والعرب كلهم ضحم بأغنامى وصار من الزمن هادا عيد الضحية(١) ٠

أما نص « سعد اليتيم » فانه يأخذ من أسطورة أوزيريس الفرعونية اطارها العام بعد أن حذف المنشدون الأقباط أولا ثم المسلمون بعد ذلك ما يتنافى مع عقيدتهم ، ومع ذلك يظل الموقف الأساسى فى هيكله العام : أخ طيب وآخر شرير ، الشرير يقتل الطيب وينتقم ابنه له ، كما نجد بعض المشاهد القديمة مازالت باقية ، كمشهد العجوز التى نسيها المحتفلون فأفسدت بينهم وجلبت الدمار ، وهى تشبه ربات الغضب اللاتى يتسببن فى اشعال حرب طروادة ٠ وكمشهد الصندوق الذى حمل سعدا فى الماء وهو يشبه الصندوق الذى حمل أوزوريس وكذلك صندوق سيدنا موسى ، كذلك يذكرنا مشهد اصابة الأم بفقد بصرها بعد طول فراق ابنها ثم عودة بصرها بعودة ابنها بقصة سيدنا يعقوب حين ادعى أبناؤه أن يوسف أكله الذئب فابيضت عيناه من الحزن ، ثم رجع اليه البصر حين عثروا على يوسف بعد مدة طويلة من الزمن حيث القوا على أبيهم بقميص يوسف فارتد بصيرا ٠ والنص يستغرق فى تمثيله أكثر من ساعتين ويحتوى على مشاهد كثيرة وشخصيات متعددة منها الأمير فاضل والأمير بدران ، والعجوز والأميرة فوز والصياد ، والعبيد وصبيحة ، والملكة الزوجة ، والخادم سعيد وسعد والقاضى والوهيدى دمج ، والملك المعز وزوجته فضلا عن الكورس الذى يتخلل المشاهد بالتعليق أو التمهيد للمشهد التالى ، أما لغة الحوار فهى

---

(١) النص الكامل لمسرحيتى « سارة وهاجر » ، « سعد اليتيم » مجلة المسرح عددى ابريل ومايو ١٩٦٧ ـ ثم أنظر مقدمة فاروق عبد الوهاب لمسرحية سعد اليتيم .

الشعر العامى أيضا وقد بلغ قدرا بعيدا من النضج والوضوح واكتمال التعبير ويسر الانتقـال من جـو الى جـو ، وهذا النص على قدمه مازال يقدم حتى اليوم فى الفيوم وغيرها من البـــلاد المصرية العربية الضاربة بتقاليدها الى عصور التاريخ السابقة والآخذة من كل حضارة بطرف ، وما أكثر ماشهده الشرق العربى من حضـــارات ، وما مرت به من أحداث وخطوب •

**محمد كمال الدين**

---

# عدم قصر الألفاظ على معانيها الشائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

( ٢ )

٦ ـ ويقصرون كلمة الكافر على من لا يؤمن بالله ورسله واليوم الآخر، جمعه كفرة كما في قوله تعالى : « أولئك هم الكفرة الفجرة » وكفار كما في قوله : « وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار » وكافرون كما في قوله : « والله متم نوره ولو كره الكافرون » والأنثى كافرة ، جمعها كوافر كما في قوله سبحانه : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » .

والحق أن لهذه الكلمة معاني عدة : فهي بمعنى الزارع ، مأخوذة من كفر الشيء اذا غطاه ، والزارع يغطي البذر بالتراب ويكفره ، فهو كافر ، والزراع كفار كما في قوله عز شأنه : « كمثل غيث أعجب الكفار نباته » .

وتقول : كفر السحاب السماء اذا سترها فهو كافر ، وكفرت الريح الرسم اذا غطته فهي كافرة وكفر الليل بظلمته كذا فهو كافر ، والبحر كافر ، تقول : غابت الشمس في الكافر ، والداخل في السلاح كافر جمعه كفار ، ومنه الحديث :«لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» والغمام كافر لأنه يستر ما فوقه كما في قول لبيد :

في ليلة كفر النجوم غمامها

والجاحد أيضا كافر بالنعمة ، وهو ضد الشاكر ، تقول : كفر النعمة وبها اذا سترها يكفر كفورا من باب دخل وكفرانا أيضا ، وقوله تعالى : « انا بكل كافرون » أي جاحدون ، وقوله : «فأبى الظالمون الاكفورا» أي جحودا، وقوله : « انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » أي جاحدا ، وفي الدعاء : نشكرك ولا نكفرك ، أي لا نجحد نعمتك وتقول : كفر بكذا اذا تبرأ منه ، قال تعالى : « اني كفرت بما أشركتموني من قبل » .

٧ ـ ويزعمون أن الهوى بضم الهاء وشد الياء خاص بالانحدار ، والحق أنه عام بين الانحدار والصعود ، تقول : هوى الرجل يهوى هويا بضم الهاء وتفتح ، وزاد ابن القوطية وهواء بالمد اذا سقط من علو الى سفل ، قال

هوى الدلو أسلمها الرشاء(١)

ويقال أيضا هوى الرجل يهوى هوة وهويا بضمهما اذا صعد وارتفع ، وهوى فلان الجبل واليه هويا صعده قال :

يهوى مخارمها(٢) هوى الأجدل(٣)

وقال آخر :

والدلو فى اصعادها عجلى الهوى •

وقال الشماخ :

على طريق كظهر الأيم(٤) مطرد
يهوى الى قنة فى منهل عال

وهوى وزان غنى ويضم ، وتهواء بالفتح هى من الليل ساعة ، تقول : جلست فى المسجد هويا أو تهواء اذا جلست فيه ساعة ليلا ، ومضى هوى من الليل أو تهواء اذا مضى منه ساعة •

٨ ـ ويقصرون البيت على ما يصنع للسكنى من الشعر أو المدر ، وعلى بيت الشعر ، وهو أحد أجزاء القصيدة • قال أحد الشعراء :

وبيت على ظهر المطى بنيته
بأسمر مشقوق الخياشيم يرعف

ولكن العرب وضعت لفظ البيت ليؤدى معانى عدة منها :

١ ـ المرأة ، قال بدوى لآخر : هل لك بيت ؟ يريد ألك امرأة ؟

قال :

مالى اذا أنزعها صأبت(٥)
أكبر غيرنى أم بيت ؟

يريد أن الهموم ركبته ، بيد أنه لا يعرف مأتاها ، أهى من شيخوخته أمن زوجه •

وقال :

هنيئا لأرباب البيوت بيوتهم
سوى بعل جمل لا هنيئا له جمل

---

(١) الرشاء : الحبل
(٢) المخارم : جمع مخرم وزان منزل وهو أنف الجبل
(٣) الأجدل : الصقر
(٤) الأيم الحية والأصل الأيم بالتشديد ولكنه خفف كلين ولين ، وهين وهين
(٥) صأبت : صحت

ويقال : بات فـلان اذا تزوج ، وبنى فـلان عليه بيتا اذا أعرس

٢ ـ الكعبة كما فى قوله تعالى : « وليطوفوا بالبيت العتيق » وقـوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » •

٣ ـ فرش البيت ، كما فى قولك : تزوجت فلانه على بيت ، تريد عـلى فرش يكفى البيت •

٤ ـ وبيت العرب شرفها ، يقال : بيت تميم فى حنظلة أى شرفها •

٩ ـ ويقصرون الخبط بفتح فسكون على معنى واحد هو الضرب ، يقـال : خبطه يخبطه خبطا من باب ضرب اذا ضربه ضربا شـديدا ، كتخبطه واختبطه •

وخبط البعير الأرض اذا ضربهـا بيده •

والواقع أن للخبط معانى أخرى : تقول : خبط فلان فلانا اذا أنعم عليه من غير معرفة بينهمـا وخبطه أيضـا اذا سـأله المعروف من غير آصرة ، وخبط فى قومه بخير اذا نفعهم

قال : عمرو بن شأس يخـاطب مليكه •

وفى كل حى قـد خبطت بنعمـة
فحق لشـأس من نداك ذنوب(١)

ويقال : خبط الولد من الشـجرة ورقها اذا أسـقطه ، فالورق خبط بالتحريك ، فعـل بمعنى مفعول أى مخبوط ، ولهذا يقال : علف الرجل دابته الخبط ، وخبط الشيطان فلانا اذا مسه بأذى فخبله كتخبطه ، ومن هذا قوله تعالى : « يتخبطه الشيطان من المس » •

١٠ ـ ويقصرون كلمة خلف بفتح فسكون على معنى وراء ضد قدام ، اذ يقال : جاءه من خلفه أى من ورائه ، والحق أن للخلف معنيين آخرين •

فهو الأمة تأتى بعد الأمة ، ومنـه قوله عز شأنه : « فخلف من بعدهم خلف أضـاعوا الصـلاة واتبعوا الشـهوات » وهو أيضا الردىء من القول ، يقال : سـكت ألفا ونطق خلفا ، أى سكت عن ألف كلمة ثم تكلم بخطأ •

---

(١) الذنوب بالفتح : الحظ والنصيب

١١ ـ ويقصرون الريش بكسر الراء على ما يكسو الطائر ، ويكثر فى جناحيه ليساعده على الطيران ، ولكن العرب وضعت هذا اللفظ لمعان عدة :

فهو اللباس الفاخر ذو الزينة كالرياش بالكسر ، وقد جعل الله اللباس ريشا أى زينة وجمالا ، فقال: « وقد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا » وذلك مستعارة من الريش الذى هو كسوة الطائر وزينته، قال جرير :

فريشى منكم وهواى معكم
وان كانت زيارتكم لماما(١)

والريش أيضا الخير ، يقال : رشته ريشا من باب باع اذا أنلته الخير فارتاش .

قال :

فرشنى بخير طال ما قد بريتنى(٢)
فخير الموالى من يريش ولا يبرى

وقال النابغة :

كم قد أحل بدار الفقر بعد غنى
قوما وكم راش قوما بعد اقتار (٣)

وكذلك هو ما يلزق على السهام لتصيب أهدافها ، تقول : راش المحارب السهم بريشة اذا ألزق عليه الريش كريشه بتشديد الياء ، فالسهم مريش اسم مفعول من الثلاثى، ومريش اسم مفعول من الرباعى المضعف .

وقيل أن الريش هو المال ، والخصب والمعاش .

١٢ ـ ويقصرون المولى على الله جل شأنه ، مستأنسين بقوله : « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا » والحق أنه يطلق أيضا على ابن العم ، تقول : هو مولاى ، وهم موالى ، قال تعالى : على لسان زكريا عليه السلام : « وانى خفت الموالى من ورائى » يقصد بنى عمه ، وكانوا أشرار بنى اسرائيل ، فخاف ألا يحسنوا الخلافة من بعده على أمته .

---

(١) لماما بالكسر : أى فى بعض الأحيان

(٢) بريتنى : هزلتنى

(٣) الاقتار : الفقر

ويطلق كذلك على الوارث ، كما فى قوله سبحانه : « ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون » أى ورثة يلونه .

والموالى الأدعياء(١) ، فقد قال تعالى: « وما جعل أدعياءكم أبناءكم » اذا كانوا ينسبونهم لأنفسهم ، ثم قال : «ادعوهم لآبائهم » ثم قال : « فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » فقولوا : هذا أخى ومولاى .

والمولى أيضا السيد ، والعبد ، والمنعم ، والمنعم عليه ، والمحب ، والناصر ، والحليف .

١٣ ـ ويقصرون كلمة السفاح بصيغة المبالغة على من يسفك الدماء ، أو يريق الماء أو الدمع ، اذ يقال : سفح الرجل دم عدوه سفحا فهو دم مسفوح ، ومنه قوله تعالى : « أو دما مسفوحا » وسفح الماء اذا هراقه ، وسفح الدمع اذا صبه ، الكل من باب منع وقد يستعمل الفعل لازما فيقال : سفح الماء أو الدمع اذا انصب فهو سافح .

وتقول : بين الجيشين سفاح بالكسر أى قتال ، لأنهما يتسافحان الدماء والحق أن لهذا اللفظ ثلاثة معان أخر ، يجب أن يلم بها دارس العربية والمولع بها أحدها الرجل المعطاء السخى غزير الكرم .

والثانى : الفصيح الذى يخلب الألباب بفصاحته وقوة عارضته .

والثالث الفاجر ، تقول : سافح الرجل سفاحا ومسافحة ، وتسافح تسافحا اذا فجر ، ومن هذا يقال : سافح فلان فلانة اذا زاناها ، لأن كلا منهما يسفح ماءه ويصبه .

١٤ ـ ويقصرون القائل على من يقول ويتحدث ، والحق أن له معنى آخر هو النوم أو الاستراحة فى نصف النهار ، تقول : قال الرجل يقيل قيلا ، وقيلولة ، ومقالا ، ومقيلا بفتحهن فهو قائل ، ومن المصدر الأخير قول كفار قريش للنبى صلى الله عليه وسلم : انا لأكرم مقاما وأحسن مقيلا ، فأنزل الله جل شأنه قوله : « أصحاب الجنة خير مستقرا وأحسن مقيلا » ، والمقيل هو

---

(١) الأدعياء : جمع دعى وزان غنى وهو من تبنيته ، وكذا المتهم فى نسبه

الاستراحة نصف النهار اذا اشتد الحر ، وان لم يكن مع ذلك نوم ، والدليل على ذلك أن الجنة لا نوم فيها ، وجمع القائل قيل كركع ، وقيال ككتاب ، وقيل كصحب اسم للمجمع قال :

ان قال قيل لم أكن فى القيل

فجمع فى قوله هذا بين اسم الجمع وجمع التكسير ، وتقول : تقيل القوم اذا ناموا فى القائلة .

قال سيبويه : ولا يقال فى التعجب ما أقيله ، لأنهم استغنوا عنه بما أنومه، كما استغنوا عن ودعت بتركت .

١٥ ـ ويقصرون كلمة الفوز على معنى الظفر والنجاة .

ولكن العرب وضعتها أيضا لمعنى عكس المعنى المشهور ، هو الهلاك ، تقول : فز فلان بجائزة سنية ، وأفازه الله اذا أظفره ونجاه .

وقوله تعالى : «بمفازة من العذاب» معناه بمنجاة منه .

وتقول أيضا : فاز فلان اذا مات ، وفوز تفويزا بالتشديد اذا هلك فصار فى مفازة مابين الدنيا والآخرة .

والمفازة تطلق على المنجاة وعلى المهلكة ، قال ابن الأعرابى : سميت بذلك لأنها مهلكة من فوز تفويزا اذا هلك ، لأنها مظنة الموت ، وقال الأصمعى : سميت بذلك تفاؤلا بالسلامة ؟

عباس أبو السعود

# المعجزة الباقية . . !

## للدكتور مختار الوكيل

---

زهونا بميراث النبيّ مُحَمَّدٍ
ولذنا بقرآن الإله تهجدا
إذا أقبل الليل أنثنينا لسورة
نطالع فيها الباقيات على المدى
إذا أقبل الليل أستضأنا بنوره
لأن لنا فيه ملاذاً ومسجدا
هدىً ذلك ( القرآن ) للناس كلهمْ
وليس لبعض منهمو نزل الهدى
وفى هدأة الليل الحنون ترنّمت
لهاةٌ بآيات وضاء هى الندى
وعيدٌ ووعدٌ بالجنانِ ، ورحمة
وعهد بغفران لمن تاب واهتدى
ونارٌ أُعِدّتْ للذين تجبّروا
عُتُوّاً ، فضلّوا انتهى أمرهم سُدى
ودينٌ ودنيا ، والعصور التى خلت
فلم يبق منها فى الحياة سوى صدى

فياسيد الرُسْلِ الكرام تحيةً
إليك من القلب الذى قام مُنْشِدَا

لقد جئت من ربِّ الأنام بِمُعْجزٍ
على الدهر يبقى فى الصدور مُرَدَّدًا

مضت معجزاتُ الرُسْلِ فور ظهورها
وقرآنك الباقى على الدهر سرمدا

عجبت لمن ينأى عن النور جاهلاً
وفيه شفا الروح والعزُّ والندى

فيا من إلى (القرآن) تُنْمَى أصولُهم
أعزُّوا كتاب الله ترضون أحمدا

الدكتور مختار الوكيل

---

# وصية للحسن البصرى

يابن آدم ، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا ، يابن آدم ، اذا رأيت الناس فى الخير فنافسهم فيه ، واذا رأيتهم فى الشر فلا تغبطهم به ، الثواء هاهنا قليل ، والبقاء هناك طويل . أمتكم آخر الأمم وأنتم آخر أمتكم ، وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون ؟ المعاينة ؟ فكأن قد .

هيهات هيهات ، ذهبت الدنيا بحاليها ، وبقيت الأعمال قلائد فى أعناق بنى آدم ، فيالها موعظة لو وافقت من القلوب حياة !أما انه والله لاأمة بعد أمتكم ، ولا نبى بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم . أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم ، وانما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم .. ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على علم منه ، اختاره لنفسه ، وبعثه برسالته ، وأنزل عليه كتابه ، وكان صفوته من خلقه ، ورسوله الى عباده ، ثم وضعه من الدنيا موضعا ينظر اليه أهل الأرض ، وآتاه منها قوتا وبلغة ، ثم قال : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » ، فرغب أقوام عن عيشه ، وسخطوا ما رضى له ربه ، فأبعدهم وأسحقهم ...

يا ابن آدم ، اذكر قوله : « وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » . عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك .

لو تكاشفتم ما تدافنتم . تهاديتم الأطبق ولم تتهادوا النصائح . قال ابن الخطاب : رحم الله امرأ أهدى الينا مساوينا . أعدوا الجواب فانكم مسئولون . المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أخذه من قبل ربه . ان هذا الحق قد جهد أهله وحال بينهم وبين شهواتهم ، ومايصبر عليه الا من عرف فضله ، ورجا عاقبته . فمن حمد الدنيا ذم الآخرة ، وليس يكره لقاء الله الا مقيم على سخطه .

يا ابن آدم ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى ، ولكنه ما وقر فى القلوب ، وصدقته الأعمال .

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

**فلسفة المعرفة فى القرآن :**
**للأستاذ على عبد العظيم :**

هذه الدراسة الطيبة التى تقع فى زهاء ثلثمائة صفحة ، هى أعداد سلسلة البحوث الاسلامية التى تصدر تباعا عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف ، وقد قدم لهذه الدراسة فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار الأمين العام للمجمع ، فأشار الى أنه من أجل ما يتميز به الاسلام حفاوته بالعقل ، وتقديره لحركته ، وآية ذلك أنه فتح آفاق الوجود رحيبة ، يحلق فيها الفكر ما شاء له التحليق ، ويجوب جنباتها بكل حريته ، ويتأمل ويبحث ويوفق وينسق ويستخرج الخبء ويستكنه المجهول ، دون قيد يكبله ، أو غل يرهقه ..

والمؤلف غنى عن أن نقدمه الى القراء الذى يعرفونه أستاذا جليلا عمل فى كثير من المناصب التربوية والثقافية ، وأستاذا فى كثير من الجامعات الاسلامية والعربية ، وكاتبا اسلاميا ذا غيرة على الفكر الاسلامى : ماضيه وحاضره ومستقبله .

أما دراسته التى بين أيدينا فهى من الدراسات الجادة التى لها أهميتها اليوم ، وعواصف التحديات العنيفة المسعورة تهب على الفكر الاسلامى — وبخاصة التراث — من الشرق المادى الالحادى ، والغرب الصليبى الحاقد ، بل ومن داخلنا نحن حيث تتطاول عليه أقلام مأجورة مشبوهة تنتمى الى الاسلام وهى فى الحقيقة أعداء للاسلام : فكره ونظامه ودولته ومجتمعه ..

لقد قسم المؤلف هذه الدراسة الى عشرين فصلا : تناول فى الفصول الستة الأولى ، المعرفة : وسائلها ، وميادينها ، ومناهجها ، وموازينها ، ومعالمها ، ثم مصادرها ، أما بقية الفصول العشرين ، فقد عرض فيها فيما عرض للغرائز والعواطف البشرية ، والملكات النفسية والمدارك

العقلية ، والموازين القياسية ثم أهداف المعرفة .

وحول أهداف المعرفة ، أشار المؤلف الى الجدل الطويل الذى ثار بين الفلاسفة والعلماء حول أهداف المعرفة ، حيث ذهب البعض منهم الى أن المعرفة نفسها هدف أساسى لمن ينشدها ، وعبروا عن هذا بقولهم : « المعرفة للمعرفة » كما قالوا : « الفن للفن » و « الأدب للأدب » وجنح بعض آخر الى أن الهدف من المعرفة هو أن يتخذها الباحث وسيلة لزيادة استمتاع الانسان بحياته المحدودة على هذا الكوكب الأرضى ، ومال بعض ثالث الى اتخاذ المعرفة وسيلة لرقى الحضارة والمدنية لأمتهم أو لجميع الجنس البشرى على السواء ... أما القرآن فقد وسع دائرة المعرفة فى الاسلام ، وجعلها وسيلة الى الوصول الى خيرى الدنيا والآخرة ، ومن هنا كان الهدف الأكبر للمعرفة فى الاسلام هو الاتصال بالله لأنه سبحانه هو المثل الأعلى للحق والخير والجمال ، وهى جماع ما تتطلع اليه جميع الكائنات ..

الحقيقة أن المؤلف فى هذه الدراسة الموجزة أثار كثيرا من القضايا العقلية والمناهج العلمية وعرض لمناقشتها ، وكان أن قرر أن القرآن الكريم نبهنا الى أن نعتمد فى تفكيرنا على منهج الاستقراء ، ومنهج القياس ، ثم أثبت أن القرآن سبق بأكثر من ألف عام أو تزيد الى التنبيه الى بعض ظواهر التفكير التى أوضحها علم النفس الحديث ، ومع ذلك فقد كنت أود أن يهتم المؤلف بالقضية الكبرى .. قضية الايمان نفسه ، فيتصدى لموجة الالحاد المادى لا من خلال آثاره القديمة وحسب ، بل من خلال تحدياته الحديثة المعاصرة .. ويبقى بعد ذلك أن نشير الى أن دراسة المؤلف دراسة قيمة جديرة بأن يستوعبها شبابنا المسلم المثقف الذى أصبح اليوم هدف الالحاد المادى والتبشير الصليبى معا ...

**الاسلام والمشكلة الجنسية :**
**للدكتور مصطفى عبد الواحد**

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة المتنبى بالقاهرة يقع فى مائتى صفحة من القطع الكبير ، والمؤلف الذى يعمل الآن أستاذا فى كلية اللغة العربية بمكة المكرمة من العلماء

الدائبين على الانتاج فى مجال الفكر الاسلامى ، والعاملين بعقيدة وتفان على احياء التراث الاسلامى ، وكتابه الذى بين أيدينا والذى يطبع للمرة الثانية متضمنا نظرات الى الواقع تستهدى روح الاسلام ، هو دراسة جادة هى ألزم ما تكون اليوم لشبابنا المسلم من الجنسين ، الذى تسلط عليه أفكار توهم بأنها أفكار حضارية، بينما هى فى الواقع أفكار انحلالية يراد منها أن تهبط بقيمنا وأخلاقنا وتقاليدنا الى الحضيض .

فى هذه الدراسة ـ كما يقول الناشر : عرض متكامل للنظرة الاسلامية الواضحة المستقاة من الكتاب والسنة ... الى مشكلة الغريزة .. وما يحيط بها من نظريات ونظم ، تلك المشكلة التى جعلت منها الحضارة المادية معضلة .. بل التى اتخذها تجار الشهوات سلاحا فتاكا ...

فى هذه الدراسة أبواب ثلاثة رئيسيه : الغريزة بين الفوضى والنظام، وفيه عرض لغريزة الجنس ، كيف نستجيب لها ؟ فوضى الغريزة وضبطها وتوجيهها ، هل الأسرة ضرورة ؟ ماذا يفعل الشباب ؟ مارأى الاسلام ؟

وفى الباب الثانى « أبواب الفوضى » ناقش المؤلف بلا هوادة : الأزياء الفاضحة ، السينما العابثة ، المواخير ، مسئولية الاذاعة ، الصحافة المكتسبة ، المخدرات والمسكرات، أدب الخطيئة، الاختلاط والحب الزائف ، أما الباب الثالث والأخير « المرأة بين الأنوثة والانسانية » فقد تناول فيه المؤلف : وضع المرأة فى المجتمع ، قضية المساواة ، تعليم المرأة وعملها ، ثم المرأة ومشكلات المجتمع ..

الحقيقة أن الدكتور مصطفى عبد الواحد ، اهتم فى هذه الدراسة الطيبة اهتماما بالغا بمناقشة الأفكار المنحرفة، التى أصبح لها فى المجتمعات الاسلامية ـ بكل أسى وأسف ـ مكان مرموق ، وسوق رائجة ، وترحب بها كل وسائل الاعلام ، ناقش مثلا « أدب الخطيئة » وهذا تعبير جديد ، ورأى أن « أدب الخطيئة » ليس ابداعا ولا فنا .. بل هو عمل أدنى من ذلك وأحط ، والعجيب أن من كتاب « أدب الخطيئة » أو « أدب الفرش » كما سماه المرحوم العقاد ـ من يزعم أن ما يصدر عنه ، انما هو ابداع فنى بحت ، وتعبير عن الصور التى تتراءى له ، فلماذا اللوم والعنف ؟ ويتساءل

المؤلف : هل يمكن عزل الفن عن الحياة كما يدعى هؤلاء أن الفن للفن ؟ أو هل يمكن أن يقوم الفن بهدم الحياة ؟ ان الفن نتاج بشرى ، واذا تعارض هذا النتاج مع مصلحة المجتمع وأضر به ، فان من المحتم على الفنان الأصيل، أن يكبح جماح فنه الذى يهدد الحياة بخطر الفوضى والانحلال •••

وبعد ـ فالمؤلف فى شجاعة وأفق واسع قدم لنا دراسة قيمة ، عن مشكلة يتردد كثير من علمائنا فى أن يحوموا حولها ،وكأن مثل هذه القضية لا تعنى مجتمعاتنا الاسلامية فى قليل أو كثير •

**على طريق النصر :**
**لفضيلة الشيخ عبد العزيز محمد عيسى:**
**وزير شئون الأزهر :**

هذا كتيب صدر عن الشئون العامة بالأزهر ، متضمنا مقالات كتبها فضيلة الوزير ، أو أحاديث أذاعها ، أو محاضرات ألقاها ، وهذه المقالات والأحاديث والمحاضرات جميعها أو معظمها من وحى المعركة المقدسة التى كتب الله فيها النصر لا للأمة العربية وحسب ، بل للأمة الاسلامية جمعاء ، فالمعركة معركة عقيدة لأنها دفاع عن أرض اسلامية ، ومقدسات اسلامية وتراث اسلامى •

من الموضوعات التى عرض لها فضيلة الوزير : الجهاد أفضل الأعمال ، قوة الايمان سلاح النصر ، الصبر كنز من كنوز الجنة ، ثم يوم سيناء ••

ولقد كان لحسن اختيار الموضوعات، وجودة تبويبها وتنسيقها، بالاضافة الى ما اشتملت عليه هذه الموضوعات من عرض شيق ممتع •• كان لهذا كله أثره فى أن يجتذب الكتاب القارىء الى استيعابه والافادة منه ، وفى أن يمنح جنودنا البواسل طاقة جديدة من الايمان والثقة العالية فى نصر الله •

**بدون تعليق :**

كلمات نسوقها الى هواة التجنى على الاسلام ، وأدعياء الدفاع عن حقوق المرأة ، نسوقها الى هؤلاء وأولئك بدون تعليق•• هذه الكلمات نشرت فى جريدة الأخبار فى باب « أخبار حواء » الذى تحرره الأستاذة فاطمة سعيد •

« هل تعلمين أن المرأة الأمريكية لم يتدعم وضعها الاقتصادى ومساواتها فى الحقوق مع الرجل الا مع بداية

القرن العشرين ؟ فقد أصبح من حق الزوجة أن تتمتع بحق الملكية والاشراف على أملاكها الخاصة ، وكتابة العقود ، ورفع الدعاوى أمام المحاكم ... فى الوقت الذى كانت المرأة العربية تتمتع فيه بكل هذه الحقوق وأكثر منها منذ فجر الاسلام ! »

**قراءات**

واحدة من اثنتين : اما أن نختار الاسلام طريقا لنا وأساسا فى بناء نهضتنا ، ووصل ماضينا بحاضرنا ومستقبلنا .. وحينئذ يجب اتخاذ طريق حاسم وجاد لاحيائه فى نفوس الجيل الجديد .. واما أن تكون الأخرى .. وهى القاصمة .. وحينئذ فلا داعى لاستمرار الخداع ... وللشعب المسلم فى كل مكان أن يرفع الحجاب عن عينيه .. ويختار طريقه .. ان المسألة ليست مسألة دين وحسب يجب الحرص عليه ، ولكنها مع ذلك مسألة مصير ومستقبل وبعث لهذه الأمة .. لابد أن نخطط له ، ونعمل جادين من أجله » .

من كتاب « من وحى الاسلام والأحداث » للدكتور عبدالمنعم النمر .

**محمد عبد الله السمان**

# باب الفتوى[1]

للأستاذ محمد أبو شادى

**السؤال : من السيد الأستاذ محمد فهيم محروس المحامى**

توفى المورث عن تركة وترك ابنين وزوجة وأولاد بنتين توفيتا قبله وكان قد أوصى بوصية اختيارية لأولاد البنتين كما أوصى لزوجته بوصية أخرى فى صورة عقد بيع ابتدائى .
فكيف توزع تركة هذا المتوفى ؟

**الجواب**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأن ثلث التركة من أطيان وعقارات وأموال فى التجارة وغيرها بعد تقويمها يتعلق به الوصية الواجبة والاختيارية مقدما الوصية الواجبة أولا وهى ما يخص أولاد البنتين بمقدار ما يخص البنتين فى حدود الثلث ، وما بقى من الثلث ان وسع الوصية الاختيارية نفذت جميعها وان لم يسعها باقى الثلث نفذ منها ما يسعه هذا الباقى بعد الوصية الواجبة والباقى من التركة بعد الوصية الواجبة والوصية الاختيارية وهو الثلثان يقسم ميراثا على الورثة الشرعيين الزوجة والابنين فيخص الزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث والباقى للابنين تعصيبا بالسوية بينهما والله تعالى أعلم.

**السؤال: من السيد الدكتور زكى هاشم ومحمد ابراهيم ومحمد فهيم وأسامة توفيق المحامين**

أربعة اخوة هم عبد الله وعبد المحسن وعبد الرحمن وخالد شركاء فى ادارة عمل تجارى .

توفى كل من عبد الله وعبد المحسن سنة ١٩٤٢ عن ورثة قصر . واستمر كل من عبد الرحمن وخالد فى مباشرة عمل الشركة ، وفى عام ١٩٥٥ توفى خالد عن ورثة ، اثنان منهم قصر .

وبعد وفاة خالد طالب ورثته بحقوقهم فى الشركة من عمهم عبد الرحمن ، ويمثل هذا الحق نصف

قيمة مشروع الشركة التى قام خالد وعبد الرحمن بممارستها معا ،ورفض عبد الرحمن الاستجابة الى ذلك • ورفع ورثة خالد هذا الأمر الى القضاء ، وقبل الفصل فيه نهائيا حصلت تسوية باتفاق بين طرفى الدعوى فتم من ضمن التسوية دفع مبلغ من النقود لورثة خالد عن طريق الصلح • وفى سنة ١٩٧٢ أى بعد ثلاثين سنة من وفاة عبد الله وعبد المحسن رفع ورثة عبد الله وعبد المحسن قضية ضد ورثة خالد مطالبين بحصة فى الأملاك المسلمة من عبد الرحمن ضمن التسوية السابق الاشارة اليها •

فهل لهؤلاء الحق فى ذلك ؟ وهل تبيح الشريعة للورثة المذكورين المطالبة بأى شىء من ورثة خالد ؟ •

ومرافق لهذا ملخص من الحكم الابتدائى الصادر لورثة خالد والذى تم استئنافه وحصل الصلح قبل الفصل فى هذا الاستئناف •

**الجواب**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأنه اذا لم يكن قد تم تصفية الشركة بين ورثة عبد الله وعبد المحسن وبين كل من عبدالرحمن وخالد المتوفى سنة ١٩٥٥ فان لهؤلاء الورثة الحق فى مطالبة عمهم عبد الرحمن وورثة عمهم خالد بحصتهم فى الأملاك التى وقعت بها التسوية وسكوتهم عن المطالبة بحصتهم بعد علمهم بالتسوية لا يسقط حقهم فيها شرعا لأن هذه المدة لا تبلغ مدة الحيازة التى لا يسمع معها دعوى المنازع لواضع اليد ولا بينته •

والله تعالى أعلم •

**السؤال:من السيد/الأستاذ محمد أمين حباس من البحرين**

وهب الشيخ محمد يحيى البستكى من أهالى البحرين الى بنتيه أمينة وميمونة أرضا مقاما عليها عقارا ، وذلك لأنهما قائمتان بخدمته وأنهما لم يتزوجا وأن باقى أولاده وهم ابن وبنتان متزوجتان •

قام الواهب بتسجيل هذه الهبة رسميا أمام المختصين بالبحرين ( نسخة من عقد الهبة ) فطعن ابنه وبنتاه المتزوجتان فى هذه الهبة بحجة أنه طاعن فى

السن وأن هذا مخالف للشرع بسبب عدم العدل بين الأولاد .

رفع الأمر الى القضاء الذى انتهى حكمه فى أول درجة الى صحة الهبة ( أرفق صورة من الحكم ) .

وعند الاستئناف قضت المحكمة الاستئنافية الشرعية ببطلان الهبة استنادا الى كبر سن الواهب والى عدم عدله بين أولاده ( أرفق صورة من هذا الحكم ) .

فرفع الأمر الى لجنة الفتوى بالأزهر للتفضل بابداء الرأى الشرعى فى هذه الهبة وفقا للمذهب الشافعى ، مع رجاء النظر فى الأحكام الصادرة بنصوصها .

## الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن التسوية بين الأولاد فى العطية انما تطلب عند الاستواء فى الحاجة أو عدمها . فأما اذا تفاوتت الحاجات ففضل الوالد بعض ولده المحتاجين على غيرهم فانه لا مانع منه فقد فضل أبو بكر عائشة ـ رضى الله عنهما ـ ببعض ماله ، كما فضل عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ابنه عاصما بشىء من ماله كذلك وفضل عبد الله بن عمر بعض ولده على بعضهم ـ رضى الله عنهم جميعا .

وعلى هذا يحمل قوله صلى الله عليه وسلم «اتقوا الله وأعدلوا فى أولادكم» وما ورد من النهى عن التفضيل محمول على عدم المقتضى له فانه حينئذ يكون منهيا عنه . على أن النهى الوارد فى الحديث ليس للتحريم بل للكراهة .

وحيث أن الواقعة التى معنا فيها البنتان الموهوب لهما غير متزوجتين وهما فى حاجة الى من يعولهما ويساعدهما ويرغب فى زواجهما فان تصرف الوالد الواهب لهما واقع فى محله ولا مخالفة فيه بشىء من نصوص الشرع ، وذلك وفق مذهبى الشافعى وأحمد ـ رضى الله عنهما .

ولا يؤثر فى هذا الحكم أن الوالد الواهب كبير السن مادام صحيح العقل متكامل القوى .

والله تعالى أعلم .

# أنبـاء و آراء

للاستاذ على الخطيب

• ••• مصر

سافر الرئيس السادات فى مساء الجمعة ٢٥ من ذى الحجة ـ وعقب انتهاء محادثاته مع كيسنجر ـ الى السعودية ثم تلا ذلك زيارته سوريا فالكويت والبحرين وقطر وأبا ظبى ، واختتم جولته بزيارة المغرب فالجزائر •

وهى زيارات قام بها الرئيس لاجراء محادثات مع الأقطاب العرب أكد خلالها أن التنسيق كامل بين مصر وسوريا والمقاومة الفلسطينية ، كما أكد أن اتفاق الفصل بين القوات مجرد خطوة عسكرية للعودة الى مؤتمر جنيف •

• ••• شئون عربية :

فى الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ١٣٩٣ افتتح الخبراء العسكريون لسبع دول عربية اجتماعاتهم لبحث مشروع انشاء قاعدة عربية للصناعات الحربية •

ويعتبر انشاء قاعدة عربية للصناعات الحربية واحدا من قرارات مؤتمر القمة السادس المنعقد بالجزائر •

وينضم للخبراء العسكريين خبراء اقتصاديون لوضع أسس المشروع وما يتطلبه من اعتمادات مالية •

وفى ضوء قرارات مؤتمر القمة هذا تم تأسيس الشركة العربية لأنابيب البترول برأس مال قدره ٤٠٠ مليون دولار •

• ••• بدأ الاتحاد العربى للصلب ـ بعد عقد جمعيته العمومية ـ فى القاهرة فى الثلث الأخير من ذى الحجة سنة ١٣٩٣ ـ اجراء مسح شامل لخامات الحديد فى المنطقة العربية ، وكذلك احتياجات الأسواق العربية من مختلف أنواع الحديد •

وتهدف هذه الدراسة الى تنسيق التعامل بين الدول العربية فى مجال

الحـديد والصـلب بحيث تكون كل دولة عربية على علم بامكانيات شقيقاتها من حيث الخامات الموجودة فيها •

• ••• مع فلسطين

فى التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة ١٣٩٣ ـ استقبل الملك الفيصـل ياسر عرفات والوفد المرافق له واجتمع الوفد أيضا بالأمير سلطان وزير الدفاع السعودى •

• ••• أغلقت النمسا ـ بصفة نهـائية ـ معسكر شوناو الذى كانت تديره الوكالة اليهـودية لاسـتقبال المهاجرين الى اسرائيل •

• بلغ عدد السكان اليهود بالأرض المحتلة مليونين وثمانمائة ألف بزيادة قدرها ٢ر٣٪ خلال عام ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م •

• ••• ليبيا

قـرر مجلس قيـادة الثورة الليبى اصـدار قانون بمنح الجنسية الليبية للخبرات العربية اللازمة لخطة التنمية وبناء القاعدة الصناعية والزراعية ذات الخبرة الحديثـة ـ صـدر القرار فى الثامن من ذى الحجة سنة ١٣٩٣ هـ

• ••• قواد العدو

• أعلنت قيادة العدو العسكرية فى ٢٩ من ذى الحجة ٩٣ توجيه اللوم الى آريل شارون وتوبيخه لأنه أضر بالروح القتاليـة لـدى الجيش الاسرائيلى •

آريل شارون ـ الذى أضر بالروح القتالية لجنـود العدو ـ هو مغـامر ( الثغرة ) •

اضطر ( شارون ) الى ترك الجيش بعد أن فقـد أنصـاره بسبب نتيجة مغامرته ، كذلك ـ وجه ديان اللوم الى جونين ـ قائد العدو فى سيناء ورأى أنه « يستحق رصاصة فى رأسه » لعدم استخدامه المعدات التى كان من شأنها اشعال النار فى قناة السويس •

• ••• العدو •• وأفكار جديدة

أخرج ( أديك بلومنفليد ) عضـو الجمعية العامة لحلف شمال الأطلنطى، ورئيس اللجنـة السياسـية للمجلس الأوربى ـ فكرة تخدم اسرائيل فقد طالب « بأن تـدرس اسرائيـل فكرة انضمامها الى ( الحلف ) وأن تنضم اليه بعض الدول العربية » ؟ فيجمع

حلف الأطلنطى بذلك بين اسرائيل والعرب .

على أن العرب ـ وهم يؤمنون بالسلام العادل ـ لا يقرون صلحا ـ أبدا ـ مع اسرائيل .

• ... باكستان

أممت الحكومة الباكستانية جميع ( البنوك ) فى باكستان اعتبارا من اليوم التاسع من ذى الحجة سنة ١٣٩٣ وأصدر رئيس وزرائها ذو الفقار على بوتو قانونا يعطى الحكومة وحدها حق تأسيس ( البنوك ) ببلاده . وصدر قرار ـ فى نفس الوقت ـ باستبعاد أى استثمار أجنبى على البترول فقد تقرر أن تضع حكومة باكستان يدها على كل عمليات تسويق المنتجات ( البترولية ).

باكستان ـ احدى الدول الاسلامية ـ التى تنادى بأن الثروة الطبيعية فى الأراضى الاسلامية ـ هى أغنى ثروات العالم، ويجب أن تكون هذه الثروات فى خدمة مواطنيها ورفع مستواهم .

• ... افريقيا

يعمل المسئولون العرب على تزويد الدول الأفريقية الصديقة ( بالبترول ) تنفيذا لقرار مؤتمر القمة السادس بالجزائر حتى لا تتأثر اقتصادياتها ـ كدول نامية ، وقدم الى القاهرة ـ بخصوص هذا الأمر وزراء خارجية سبع دول يمثلون ـ مع ممثلى منظمة الوحدة الافريقية ـ لجنة شكلهامجلس وزراء خارجية المنظمة ، لوضع أسس دعم التعاون بين دول الجامعة ودول المنظمة .

وقد استقبل الملك الفيصل بعض الرؤساء الأفريقيين الذى بحث معه ـ الى جانب ذلك ـ خطة عربية أفريقية حول مستقبل القدس .

كذلك تقرر ـ فى مصر ـ التوسع فى تصدير الأدوية الى البلاد العربية والافريقية ، وسيتم تصدير أدوية مصرية الى الدول الافريقية ، قيمتها مليون جنيه لتحل محل الدواء الاسرائيلى .

وقد افتتح د/حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الاعلام ( المؤتمر الأفريقى الأول للباجواش ) فى الحادى عشر من ذى الحجة سنة ٩٣ والذى سيكون أساسا عن تنمية افريقيا.

كانت مصر – فى اجتماع الباجواش الأخير بفنلندا – قد طالبت بأن تكون للافريقيين مجموعة ممثلة فيه •

أنشئت حركة الباجواش منذ **٢٣** عاما من مشاهير العلماء فى الدول الكبرى ثم توسعت لتشمل افريقيا وغيرها من بلدان العالم •

والباجواش قرية كندية اجتمع فيها فريق من العلماء لأول مرة عام **١٩٥٧** أثناء اشتداد الحرب الباردة بين الكتلتين،وكان هدف المجتمعين التوصل الى حلول للمشاكل التى تجابه العالم ونقلها الى المستويات المؤثرة فى الحكومات والهيئات والتنظيمات •

يرأس جماعتها – فى مصر – دكتور محمود محفوظ •

• رئيس جابون يعلن اسلامه

أدى الرئيس بونجو فريضة الحاج هو وأعضاء حاشيته الذين أشهروا اسلامهم جميعا أثناء زيارتهم للسعودية •

وقد أعلن ( راديو ) الرياض فى الحادى عشر من ذى الحجة نبأ اسلام الحاشية وأداءها لفريضة الحج •

وكان الرئيس بونجو قد أعلن اسلامه خلال شهر رمضان **١٣٩٣** وتسمى باسم عمر بونجو •

• من ملاحظة للأستاذ جلال الجويلى لرجال ( السينما )

نشرت الأهرام ملاحظة للأستاذ الجويلى فى منتصف ذى الحجة **١٣٩٣** جاء فيها : أدعو رجال ( السينما ) عندنا الى مؤتمر عاجل موضوعه الأول هو ضمائرهم • أدعوهم أن يسألوا أنفسهم أى جرائم ترتكب فى حق هذا الشعب من خلال موجة الجنس والاثارة التى تجتاح الأغلبية العظمى من ( الأفلام ) فى بلادنا والتى تحتوى مشاهد رخيصة تستهدف استقطاب المراهقين حول شباك التذاكر •

**على الخطيب**

have been made by Him as a means to purify them from their sins and to increase their Reward to the extent of raising them to the rank of martyrs.

The Martyr in Battle is the one Who is Intended. Classification of Martyrs : The jurists had classified martyrs into three categories :

1—Shaheed al-duniya, the martyr of worldly life to whom the ahkam, rulings of martyrdom are applicable ; thus the prayer for the dead is not to be uttered over him, nor should he be wrapped in a shroud, but has to be buried in his bloodstained garments. Yet he would not be entitled to a reward identical with what is accorded to the shaheed al-akhirah, the martyr of the Hereafter, since he had fought and had been killed while seeking a worldly objective.

2—Shaheed al-duniya wal-akhirah, the martyr of this world and the next who had fought and had been killed in his endeavour to exalt the Word of God to the uppermost. In his jihad he had displaved devotion to God, enduring patience, ever advancing and never retreating. Thus the prayer for the dead is not to be uttered over him, nor sholud he be wrapped in a shroud, but has to be buried in his bloodstained garments. God would accord him in the Hereafter ample and great merit.

3—Shaheed al-akhirah, the martyr of the Hereafter is he who dies of burning, of the plague, of a disease of the belly, of being buried alive, or the other sorts of death mentioned in the traditions which will be enumerated in the sequel. All of these Shuhada have to be washed, wrapped in shrouds, and the prayer for the dead is to be uttered over them. Yet God would bestow upon them the Reward of martyrs.

(to be continued).

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل أول
رئيس مجلس الادارة
على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٤

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٢٤٠١ق١٩٧٤-٦٠٠٢

Bukhari, in his Sahih, reported on the authotiy of Abu Hurairah that the Prophet (peace be on him) had said : "There are five sorts of martyrs : al-matoun, the one who dies of the plague, al-mabtoun, the one who dies of adisease of the belly, al-ghariq, the one who dies of drowing, sahib al-hadm, the one who is buried alive, and the shaheed who is killed in the Way of God".

Al-Mundhiri quoted Abu Hurairah as saying : "A man came to the Prophet and asked : O Messenger of God ! What is your opinion if a man came to seize my property, (what should I do ?) The Prophet answered : You should not give it up. But do tell me, the man added, if he tried to kill me so as to take it by force ? Then kill him, said the Prophet. Again did the man ask : But were he to kill me ? The Prophet said : Then thou art a martyr. the man said : But if of killed him ? The Prophet replied : He would be in Hell-fire".

Equally did Ibn Hajar report traditions providing a further variety of martyrs. To those already mentioned are the one who dies of burning of pleurisy, a woman who dies during pregnancy, and a mother who dies in child-bed.

In Nasai's Sunan there is a tradition marfu (the record of a word or deed by the Prophet reported by a Companion who heard or saw it), related on the authority of Ibn Zeid : He who is killed while seeking redress from an injustice he had undergone is a martyr". Also is reported on the authority of Abu Malik al-Ashari a tradition of the category called 'marfu' which goes to say : "He who had his neck broken because his horse or his camel had thrown him off is a martyr ; equally is the one who had been stung by a reptile".

Darqotni considered as authentic the tradition reported on the authority of Ibn Umar : "The stranger who dies (in a foreign land where no friend or relative is with him) is a martyr". Ibn Hibban reported on the authority of Abu Hurairah : "He who dies Murabit, while on a frontier duty is a martyr. Tabarani reported on the authority of Ibn Abbas a hadith of the marfu category : He who dies in bed in God's Way is a martyr ; the same is applied to the one who is choked or who is devoured by wild beasts".

Ibn Hajar stated that out of the genuine traditions he had compiled there are more than twenty cases of death, each of which is ranked as martyrdom. Ibn al-Jin reported that all of them are violent deaths which — as a Favour from God to the faithful of the Muhammedan Community —

traditions that were reported to have been said by the Prophet (peace be on him). Al-Hafiz al-Mundhiri, in his summary of Muslim's Sahih cited on the authority of Abu Musa al-Ashari that a bedouin Arab came to the Prophet and said : "O Messenger of God ! A man might fight for the sake of spoils, another for renown, a third to be seen in his place, whom from amongst these (would be considered as fighting) in the Way of God ? The Prophet answered : It is he who fights so as to exalt the Word of God to the uppermost".

It is related that Sulayman ibn Yasar said : "people seprated from Abu Hurairah, but one Syrian came to him and said : Relate to me a tradition you had heard from the Prophet (peace be on him). Abu Hurairah said : I had heard the Prophet say : The first to be tried on the Day of judgement is a man who had been martyred. He would be brought and asked about a Bounty that had been bestowed upon him, to which he did recognise and acknowledge. When God asked him about what he had done thereof, he said : It is for Thine Sake had I fought until I was martyred. God Said : Thou utterest falsehood. In fact thou hadst been fighting so that people might exalt thine boldness. Then God ordered that he be dragged and thrown into Hell-fire".

It is reported on the authority of Qatadah that the Prophet (peace be on him) had been addressing Muslims saying that striving in God's Way and cherishing faith in Him are considered as the most meritorious of works. Thereupon, a man asked : "O Messenger of God : Were I to fall fighting in the Way of God, would my sins be forgiven ? The Prophet answered : "Yes, if you display enduring patience, (faith in a future reward), ever advance and never retreat. This does not apply to the sin of debt. Gabriel informed me of this".

Who are the Martyrs ? Evidently do traditions maintain that the shaheed is the one who fights in the Way of God, endeavouring to exalt His Word to uppermost (until he is killed). But there are other tradition that give further definition to the term shaheed. Imam Ahmad ibn Hanbal, and Ibn Hibban reported on the authority Said ibn Zeid that the Prophet had said : "Whom do you regard as a martyr ?" The companions replied : "it is he who had been killed in the Way of God". The Prophet said : "Of a truth in that case the martyrs of my people would be few. He who is killed in self-defence is a shaheed. He who is killed while securing from danger his propery or the inmates of his household is a shaheed".

the surahs: the Cow (II), the Family of Imran (III), and Repentance (IX).

In reading what the Exegetes had written about "asbabal-nuzul", the occasions of their revelations, we find obviously that they had been sent down alluding to those who had been killed in the Battles of Badr and Ohod.

If we recall that there had been no Muslims killed in the battles waged before Badr and Ohod, we can decide that the term shaheed was first applied to the Muslim who had been killed in the fight between the Faithful and the infidels in defence of Islam, and in striving to exalt to the heights the Word of God; and that had taken place, starting from the Battle of Badr.

This is emphasized by the fact that works on the Sira reported for the first time that the Prophet (peace be on him) exhorted the believers to fight saying : "By Whom in Whose Hands is my soul, any man who fights them (the unbelievers) today, displaying enduring patience ever advancing and never retreating, till he is killed, would be entitled by God entry into Paradise".

Thereupon, Umayr ibn al-Humam exclaimed, while he was eating some dates he had been holding in his hands : "Excellent ! then there would not be anything that might hinder me from entry into Paradise, but only to be killed by these infidels". He threw away the dates took his sword, and fought valiantly until he was killed by Khalid ibn al-Alam.

Ibn Ishaq reported that Harith ibn Suraqah had been the first among Muslims to be martyred in the Battle of Badr. Hibban ibn al-Arqah killed him with an arrow that hit his throat. Harithah's mother, al-Rabi, daughter of al-nadr, and aunt of Anas, came to the Prophet and said : "O Messenger of God, you know how much is Haritha to me. were he in Paradise, I would bear patiently my loss of him ; if otherwise you would see what I am going to do. The Prophet said : Is it one Garden ? Nay, they are many, and your son is in the Firdaus".

Though we consider it most likely that the term shaheed in its specific religious sense was first applied in the Battle of Badr, yet no doubt that there had been prior to that Battle martyrs who had expired while enduring patiently the torture poured upon them by the infidels of their folk in Mecca and elsewhere.

Shaheed According to Religious Terminology.

The Source of Preciseness : The main source for determining the sense of the word shaheed as a religious term is the numerous

living, throughout his Caliphate, content with the least means of subsistence, eating crumbs of bread, wearing patched garments, and restsng his head on bare ground.

It is no wonder that all these people, their colleagues and followers had had an unshaken belief in God, fully acknowledging His Favours and Bounties. Thus they had lived for their Creator as active champions, devoted teachers, and courageous warriors. Most of them had been killed as martyrs in His Way, gaining thereby the highest dignity, merit, and nearness to God.

As a result of their firm belief, the enemy enetrtained feelings of awe and admiration towards them, as regards the mission that had been sent to them. As a further outcome of their faith, the institutions of the Muslim state had worked well without a huge body of guards and policemen for the keeping of public order; since every Muslim had been keeping watch over public interests, considering himself responsible to Society and State, and that any loss suffered by either of them is, in fact, his and that a gain for either is really beneficial to him.

The whole of these results arose from this outlook which had implanted in the souls of its adherents faith in God, and striving in His Way, as it had made their loves and hates entirlly dependent on what pleaseth or displeaseth God (al-huble lillah wal-bughd lillah).

**When the Term Shaheed was Used for the First Time.**

It is extremely difficult to determine precisely the date when the word shaheed, martyr was first used in its religious specific sense with which we have already dealth at great length; it is owing to the fact that it is hardly possible to find out a source in which that term is explicitly used to convey that sense.

Works on the Sira, the Biography of the Prophet, reported for instance the names of the first converts to Islam from amongst men, women and lads, together with early martyrs. But in our cursory persual of the sources, we have not come across a text indicating the date in which the term shadeed had been used for the first time in the history of Islam.

Nevertheless, the Gloriots Quranic verses that refer to those who had been killed in the Way of God, shed on the subject in question some light that brings us, to a certain extent, nearer to the facts, though not conclusively. In reviewing these verses, we find that most of them are included in

If the early leaders from amongst the Prophet's Companions, and those who had followed them in their footsteps had, in entire self-abnegation, toiled and striven in God's Way, and gained for the Muslim Nation all the power, glory and ascendancy she had attained, those in authority nowadays are suffering from being forsaken by collegues and assistants simply because the latter are following their vain desires and seeking their personal interests; a deplorable plight that is most embarrassing and disheartening !

Islam tends to raise its adherents to the standard of identifying themselves with their nation, forgetting everything related to their personal interests. For this reason, it has forbidden them to pursue conjucture and to be swayed by passion. So much had been the insistence that numerous Quranic verses had dealt at great length with this topic. God be He exalted saith: "Then seest thou such a one as taketh as his god his own vain desire, and God sendeth him astray purposely, and sealth up his hearing and his heart, and setteth on his sight a covering? Who then will guide him after God (hath withdrawn Guidance) ? Will ye not then receive admonition?" (XLV:23).

"And if the Truth had been in accord with their desires, verily the heavens and the earth and whosoever is therein would have been corrupted" (XXIII : 70).
"They are but names which ye have devised, ye and your fathers, for which God hath revealed no warrant. They follow but a guess and that which (they) themselves desire and now the Guidance from their Lord hath come unto them" (LIII.22).

Here, we can perceive the asceticism of the Great Prophet, his turning away from the pomp and allurements of life; may we realize his eagerness to shun the ways of luxury and wealth. He had expressed his ardent desire to be indigent so long as he lived and that when he dies he would be gathered (on the Day of Resurrection) with the needy.

We can, as well, understand why his successor Abu Baker who had been before Islam a wealthy merchant offered generous contribution for the propagation of the Call, and presented all that he had owned to the expedition that had been in straitened cirumstances. When the Prophet (peace be on him) asked him: "O Abu Bakr! How much of your wealth have you put in store for your household ". He answered:" I have retained for them God and His Messenger".

We can equally perceive why Umar Ibn al-Khattab, had been living, throughout his Caliphate,

When that man died, the Prophet said that he was in Hell-fire. The Companions went and found out that he had deceitfully taken from the booty a cloak.

Contrary to the above is fighting in God's Way. The faithful in battle has only one aim that is remarkably noble and righteous. It is God's Pleasure, and the endeavour to gain either of the two glorious things : The merit of martyrdom, entitling him to Paradise and eternal bliss, or securing victory to the Faith for which he is striving, and frustration and defeat to unbelief and infidels ...

For this reason, the Mujahid is found to be yearning for victory and intent to fight wholeheartedly whatever might be his rank or training in warfare, paying no heed in battle whether he be an obscure private soldier or a commander in chief, whether other people renounce him or hold him in high esteem. It is because he is totaly absorbed in battle, having no thought of himself, save to win victory for the faithful and to inflict defeat upon the infidels.

This explanis the answer of Khalid Ibn al-Walid when he was informed that he had been dismssed from his command by the Caliph Umar shortly before the Battle of Yarmoke. Khalid said : "I do not fight for the sake of Umar, but for that of Umar's Lord."

If the warrior be influenced by such an attitude, his feelings would be infamed, personal ambition annihilated, courage roused to feats of daring, in full hope to win either victory or martyrdom.

Such had been the tendency that inspired Khalid and his equals and collegues from amongst the great Muslim Commadens who used to say to their enemies before starting the battle : "We have brought to you warriors who are desirous of death in as much as you are desirous of life".

This is why Muslims had been dreaded by their enemies and why they had won a resounding victories until they conquered the Kingdom of the Persians and parts of that the byzantines; they thus hoisted the banner of Islam throughout East and West.

Can such words uttered by anyone fighting for spoils or renown especially were he a commander and came to be informed of his dismissal at a crucial stage or when he would be encountering an enemy better equipped or of superior number?

It is most distressing when we see nowadays what is shamefully done by a considerable number of people to certain leaders once the latter in compliance with the requirements of public interests deprive them of some material gains or privileges they have been hoping to attain.

wrong-doers or their kindred. (With new victims further vengeful acts would be incited and the exaction of retribution would continue indefinitely), causing untold calamities within a single people, as had been the case of ancient nations, Arabian tribes in the pre-Islamic Age, and certain backward peoples of today.

It is also to be remarked that war for plunder is rather lawless and disordered. The combatants would most likely be lacking in accord, obedience, and readiness for sacrifice once they have missed the spoils they covet. Nay, they would soon take to their heels when they find that their lives would be endangered. Were they to be ardent seekers for booty or intent to be renowned for audacity, they would be much more concerned with their own safety.

For this reason, the armies in which warriors bought to secure material gains were destined to suffer defeat as had happened to the Persians and Byzantines in their battles against Muslims. This is why Islam had forbidden Muslim warriors to act unfaithfully. Gos, be He Exalted said : "Whose deceiveth will bring his deceit with him on the Day of Resurrection" (III : 161).

Bukhari in his Sahih reported that Abu Hurayra had said : "The Prophet (peace be upon him) mentioned in an address, the "ghulul", defrauding, and considered it a most wicked offence. Then he added : "I should not find anyone of you on the Day of Resurrection burdened with a sheep that is bleating, a horse that is neighing. He would, then, say :O Messenger of God ! Come to my rescue. I would say: I have not the least power against God. I had delivered unto thee His Commandment). Another would be burdened with a camel that is grumbling. He would say :O Messenger of God ! Rescue me. I would say I have not the least power against God I had delivered unto thee (His Commandment). A third would be burdened with (Samit, mute property (as opposed to flocks-Tr.) He then, say :O Messenger of God ! Rescue me. I would say : I have not that least power against God. I had delivered unto thee (His Commandment).

A fourth on his neck there would be fluttering pieces of paper. He would say : O Messenger of God ! Rescue me. I would say : I have not the least power against God, had I not informed thee of His Commandment ?".

It is also reported that Abdullah Ibn Amr said : "The Prophet (Peace be on him) had been providing for a man named Karkara (who was in charge of looking after the luggage).

# THE DOCTRINE OF MARTYRDOM IN ISLAMIC

*By*

SHEIKH HASSAN KHALID

— II —

The Aims of Combat in Islam.

Hence, fighting in Islam was intended to realize such a noble aim. Other objectives had been relinquished, and fighting had, thereby, come to be for the defence of the Faith, for the uphold- of its tenets and legal systems It is a battle for principles, not for the sake of satisfying a fleeting caprice, the taking of vengeance, nor the seeking for spoils. It is only in God's Way that war should be waged, not for egoistic ends ; it is a combat unblemished by aggression, mutilation, nor tyranny and wrong-doing.

God, Glory be to Him saith : "Fight in the Way of God those who fight against you, but begin not hostilities. If ye punish, (only) as ye were punished; but if ye are patient, it is best for those who are patient" (XVI : 126).

The Outcome of this Standpoint and is Dimensions.

We have already mentioned that the objectives of combat might be for vengeance, booty, fame, the safeguarding of country, property, or for self-defence. We have demonstrated that Islam had limited these goals and summed them up in one ultimate aim : that is combat in the Way of God. But we have known that this sort of struggle comprises a considerable number of the above undertakings foremost of which are self-defence, the safeguarding of territory, property, people, and honour; since fighting in God's Way implies action for the upholding of beliefs and institutions God had commanded to maintain and to comply with their injunctions. From amongest the rulings of these beliefs are self-defence, and the safeguarding of honour, people, territory, and property.

The bearing of this outlook implies that combat for vengeance is rather confind to a limited aim. Besides, it is incited only by those who seek retaliatory action, in which innocents would certainly be victimized. There is no possibility that vengeance (within the nation) would keep for her unity and harmony. Often there would be certain individuals who would attack others; then the sufferers would avenge themselves by attacking in their turn the

first collected into one volume in the time of Abu Bakr, and later on when copies were made from that original in the time of Uthman, there was the unanimous testimony of all the Companions that every verse that found a place in that collection was part of the Divine Revelation. As to what is called the differences of reading or writing we should bear in mind the following facts :

The Quran was revealed in the dialect of the Qureish, for it is in their language that it was revealed. If there was only difference it was a difference only as to the mode of writing or tone of reciting certain words. There was no change of words, no change of verses, and no change in the order of chapters, but as the Companions of the Prophet believed every word and every letter of the Holy Quran to be the revealed Word of God, they gave importance even to the slight difference in writing or reading in the Holy Quran.

There were slight differences in the spoken language of different tribes, the language of the Qureish being the model for the literary language. Now the Holy Quran was revealed in the dialect of the Qureish, the lieterary language of Arabia. But when towards the close of the Prophet's life people from different Arabian tribes accepted Islam in large numbers it was found that they could not pronounce certain words in the idiom of he Qureish, being habituated from childhood to their own idiom, and it was then that the Prophet allowed them to pronounce a word according to their own peculiar idiom. This was done only to facilitate the receitation of the Holy Quran. The written Quran was one, it was all in the cheste idiom of the Qureish, but people belonging to other tribes were allowed to pronounce it in their own way. It would be seen from this that these differences very insignificant.

The reading of the Quran is considered a pious duty by every Muslim and is actually performed in practice by every person, man, woman and child. The Quran is the original source from which all principles and ordinances of Islam are drawn. It is actually the real foundation on which the whole superstructure of Islam rests, being the only, absolute and final authority in every discussion relating to the principles and the laws of Islam, it is perfectly right to say that the Holy Quran is the Sole Source from which all the teachings and the practices of Islam are drawn.

This was the reason why Zaid was chosen to collert the Quran writings in the time of Abu Bakr, and again to do thl work of transcribtion in the times of Uthman.

The whole Quran thus was arranged by the Ptophet himself under the Divine guidance and existed in a complete and orded form in the memories of people in the life time of the Prophet, but no complete written copies of it existted at the time, nor could such copies be made while the Prophet was still alive and still recieving revelation. But the whole of the Quran in one arrangement was safely preserved in the memories of men who were called 'Qurra' (reciters). It happened, however, that many of the reciters fell in the famous battle of 'YAMAMA' in the Caliphate of Abu Bakr, and it was then that Umar urged upon Abu Baker the necessity of compiling a standard written copy of the Quran. And this was compiled, not from the hundreds of copies that had been made by individual companions for their own use, but from the manuscripts written under the direction of the Prophet himself. The arrangement followed was that of the oral recitation as followed in the time of the Prophet. Thus a standard written copy as prepared which was entrusted to the care of Hafza, wife of the Prophet and daughter of Umar (Al-Bukhari).

In fact the Holy Quran was preserved in complete written copies and, in the memories of the Companions of the Prophet under his own arrangements. guidance and supervision. The third Caliph Uthman orderes copies to be made from the standard copy prepared from the manuscript written in the presence of the Prophet, following the order of chapters which was followed by the reciters under the directions of Prophet himself. Uthman also ordered to make those copies from the original copy which was entrusted to the care of Hafza, under the supervision of the great writers Companions of the Prophet : Zaid Ibn Thabit, Abdullah Ibn Zubair, Said Ibn Al-As, Abdu Rahman Ibn Haris Ibn Hisham. When they had made the required number of copies from the original copy, Uthman returned the original to Hafza, and sent to every quarter one of these standard copies, and ordered all other copies or leaves on which the Quran was written to be burnt.

There is a collective testimony of the purity of the Quranic text. It is a fact that every verse of the Holy Quran was, when revealed, promulgated and made public; it became a part of the public prayer and was repeated day and night to be listened to by on audience of hundreds. When the written manuscripts of the Holy Quran were

The revelation of the Quran in portions, and its arrangement, was a part of the Divine scheme. The Holy Quran is itself clear on these two points :

وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ( الفرقان ٣٢ ) .

(And those who disbelieve say why has not the Quran been revealed to him all at once. Thus, that we establish your heart by it, and we have arranged it well in arranging) 25 : 32.

And :

ان علينا جمعه وقرءانه فاذا قرآناه فاتبع قرءانه ثم ان علينا بيانه ( القيامة ١٧ — ١٩ ) .

(Lo ! upon Us devolves the putting together thereof and the reading thereof; And when We read it, follow you the reading; Then Lo ! upon Us (rests) the explanation thereof) 75 : 17-19.

These verses show that the collecting together of the various parts of the Quran and its arrangement were effected by the Prophet under the guidance of Allah through His angel Gebriel. History also bears testimony to this statements, for there are numerous persons whom the Prophet used to write down portions of the Holy Quran immediately after their revelation. Among them are the following profound companions of him : Zaid ibn Thabit, Abu Bakr, Umer, Uthman, Ali, Zubair, Ubbayy, Hanzala, Abdullah ibn Saad Abdullah ibn Arqam, Abdullah ibn Rawaha, khalid and Aban bin Said.

It was customary with the Prophet of Allah (peace be upon him) that when the portions of different chapters were revealed to him, and when any verse was revealed, he called one of those writers of the Holy Quran and said to him: Write this Verse in the chapter where such and such verses occurred. Though The Holy Quran was revealed in protions, yet it is a mistake to suppose that it remained long in fragmentary condition.

Its very name implies, it was a book from the first, and though it could not be complete until the last verse was revealed, it was never without some form of arrangement. For this, there is the clearest testimony internal as well as external, that every single verse or part of a verse and evry Chapter that was revealed had its own definite place in the Holy Book. At Makka in the earliest days there were Abu Bakr, Ali, Khadija, wife of the Prophet, and others who wrote down the portions revealed. The Prophet took the greatest care to have a writer and writing materials with him under all conditions, and even when he had to fly for his life to Medina, he had still writing material, with him (Bukhari). At Madina, 'Zaid ibn Thabit' was chiefly called upon to do this work, and in his absence any of the other writers would take his table.

only as ideas instilled into the mind or in the form of words uttered or heard, but actually as Divine messages in words delivered through the Angel. In the terminology of Islam this is called 'Wahy Mathluww' (revelation that is recited). The Holy Quran was from beginning to the end delivered in this form to the Prophet Muhammad (peace be upon him). In does not cintain any other form of revelation. It is, in its entirety, the revelation recited to the Prophet Muhammad distinctily in words. Thus the Quran is wholly the highest form of Divine revelation.

We are told in reports that before the highest form of revelatoin came to the Prophet, that is to say, before he received the first Quranic revelation used to have received the lower forms of revelations. According to Al-Bukhari, the first that came to the messenger of Allah of revelations were good visions so that he did not see a vision but it came true as the dawn of the day. The details of the law as expounded by him, and as met within the Sunna, belong to the first form of revelation; an idea instilled into the mind. This is called 'Wahy Khafiyy' (Inner revelation).

The most authentic book of 'Sahih al-Bukhari' explains the nature of the Quranic revelation to the Prophet, quoting Haris bin Hisham, that once enquired of the Prophet how the revelation came to him and the reply was ; "It comes to me sometimes as the ringing of a bell and this is hardest on me, then he leaves me and I remember from him what he says; and sometimes the Angel comes in the shape of the man and he talks to me and I remember what he says". In both cases the Angel Gebreil came to the Prophet and was seen by him; and delivered certain message in words which the Prophet at once committed to memory.

The only difference between the two cases was that in one case the angel appeared in shape of a human being and uttered the words in a soft tone as one man talks to another; in the other case it is not stated in what form the angel came, but we are told that the words, were uttered like the ringing of a bell, that is to say in hard tone, but still it was the Angel Gebriel who brought the message, as is clearly shown by the use of the personal pronoun - he leaves me - in the first part of the above report So whether the angel appeared in human shape or not, whether the message was delivered in a hard or soft tone, the one thing certain is that it was a message delivered in words; and therefore the Quranic revelation is entirely one message delivered in one form.

(And surely this is a revelation from the Lord of the worlds, the Faithful Spirit has come down with it upon your heart, that you might be of the warners, in Plain Arabic language) 26:192-195;

قل نزله روح القدس من ربك بالحق ( النحل – ١٠٢ ) .

(The Holy Spirit has brought it down from thy Lord with the Truth) 16.102 And:

قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله ( البقرة ٩٧ ) .

(Say: Whoever is an enemy to Gebriel, surely he revealed it to thy heart by Allah's command) 2:97.

Thus, both the Holy Quran and the authentic reports make it clear that Divine revelations were brought to the Prophet Muhammad, as well as the prophets before him, by the Angel Gebriel who is also called the Holy Spirit or the Faithful Spirit or the Great Namus.

The Holy Quran is the word of God revealed through the Holy Spirit, that is the Angel Gebriel. Though it was revealed in portions, as pointed out above, yet the entire revelation is one whole, delivered in one and the same manner. According to the Holy Quran, revelation is granted to man in three forms :

وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم ( الشورى ٥١ ) .

(And it is not for any mortal that Allah should speak to him except by revelation or from behind a veil or by sending a messenger to reveal what He will by His permission. Lo! He is Most High, Most Wise) 42:51.

The first of these forms is called 'Wahy' which is used in ts literal sense *i.e.* an inspiriation or a suggestion thrown into the mind. It is not a message in words but simply an idea which clears up a doubt or a difficulty and it is not the results of a meditation.

The second form is described as speaking from behind a veil. The third form is that in which the messenger *i.e.* the Angel bearing the message, is sent to the recipient of the Divine Revelation, and the Divine message is delivered in words. This is the highest form of revelation. This third form of revelation is limited to the Prophets of God only, and the Angel entrusted with the Divine message in words is Gebreil.

For the delivery of the highest and most important Divine messages to humanity a higher from of revelation is chosen *i.e.* a from in which the message is not simply an idea but it is clothed in actual words. The Prophet's faculty of being spoken to by God is so highly developed that he recieves the Divine messages, not

(Lo! We, even We, revealed the Reminder, and Lo! We verily are its Guardian) 15:9.

'Al-Tanzil' (the Revelation from an high) :

وانه لتنزيل رب العالمين . ( الشعراء : ١٩٢ ) .

(And Lo: It is a revelation of the Lord of the worlds) 26:192.
Al-Hukm (the Judgement) :

وكذلك انزلناه حكما عربيا . ( الرعد : ٣٧ ) .

(Thus We have revealed it, as to be a judgement of authority) 13: 37.

'Al-Huda' (the Guidance):

وانا لما سمعنا الهدى آمنا به . ( الجن : ١٣ ) .

(And when we heard the Guidance, we believed therin) 72:13.

'Al-Bayan' (the Explanation or Plain Statement) :

هذا بيان للناس . ( آل عمران : ١٣٨ ).

(This is plain statement for mankind) 3:138

'Al-Burhan' (the Proof) :

يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ( النساء ١٧٤ ) .

(O mankind! Verily now has come to you a proof from your Lord) 4:174.

'Al-Nour' (the Light) :

واتبعوا النور الذى أنزل معه ( الاعراف ١٥٧ ) .

(And follow the light which is sent down with him) 7:157.

'Al-Haqq (the Truth) :

وقال جاء الحق وزهق الباطل ( الاسراء : ٨١ ) .

(And say Truth has come and falsehood has vanished away) 17 : 81.

Besides these names, there is also a large number of qualifying words applied to it. For instance, it is called : 'Kareem' (honourable); 'Majeed' (Glorious; 'Hakeem' (Wise) ; Mubarak' (Blessed) 'Mubeen' (the one making things manifest); 'Fas'l' (Decision); 'Azeem' (Great).

The name 'Quran' is frequently mentioned in the Book itself which also states, to whom, when in what language, how and why it was revealed. In one of the reports speaking of the revelation to Prophet Muhammad, the Angel who brought the revelation is called 'al Namus al-Akbar' (the great Namus). Namus means the Angel who is entrusted with bringing down the messages of God to His Prophets. The same report adds that it was the very same Angel that brought revelation to Moses.

It should be noted that the Holy Quran's statement in this regard:

وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين . الشعراء ١٩٢ — ١٩٥).

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

| SAFAR 1394 | ENGLISH SECTION | MARCH 1974 |
| --- | --- | --- |

## THE AUTHENTICITY OF THE HOLY QURAN

*By*

DR. MOHIADDIN ALWAYE

The word 'Quran' is an infinitive noun from the root 'Qaraa' which signifies: he collected together things or he read or recited. According to some authorities, the name of this Holy Book, Al-Quran, is due to its gathering in itself the principal teachings of all the world Divine Books, rather its being a collection of the fruits of all the sciences etc. It also means a book that is or should be read. It was revealed in Arabic language to Prophet Muhammad (peace be upon him) who delivered it to mankind. It was revealed in portions, every portion being written and committed to memory as soon as it was revealed. The revelation of it was spread over 23 years of the Holy Prophet's life.

The Holy Quran speaks of itself under various names. It is called' Al-Kitab' (the Book) :

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .
( البقرة : ٢ ) .

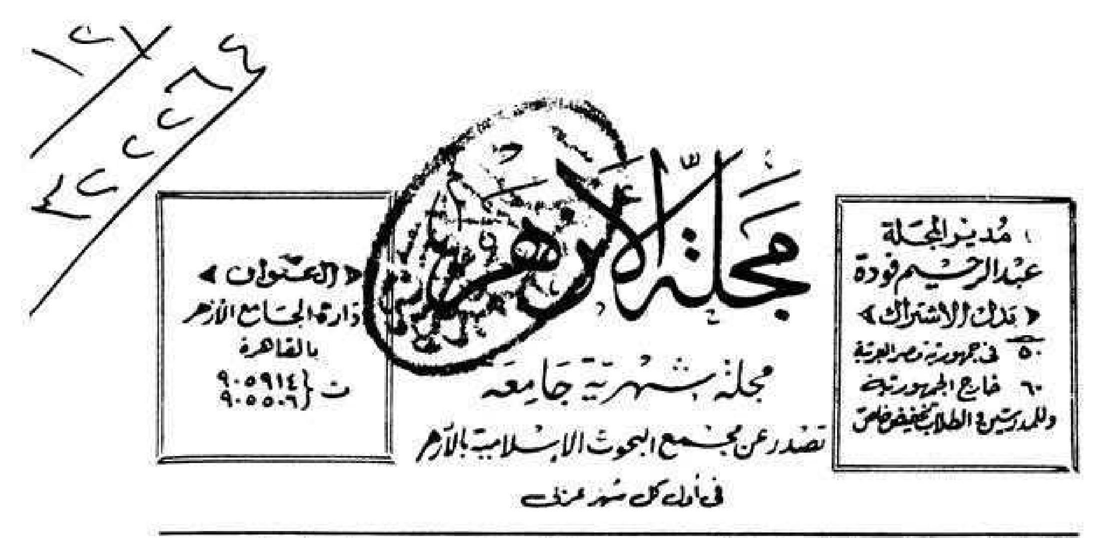
(This is the Book whereof there is no doubt a guidance unto those who ward off (evil) 2:2, It signifies the writing which is complete in itself.

'Al-Furqan' (the Distinguisher between right and wrong and between truth and falsehood):

تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . ( الفرقان : ١ ) .

(Blessed is He who revealed the Distinguisher (the criterion) to His servant that he may be a warner to the peoples) 25:1 'Al-Dhikr' (the Reminder) .

انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .
( الحجر : ٩ ) .




الجزء الثالث ـ السنة السادسة والأربعون ـ ربيع الأول سنة ١٣٩٤ هـ ـ إبريل سنة ١٩٧٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

# الاحتفال بذكرى المولد النبوى

للأستاذ عبد الرحيم فودة

احتفلت مصر ـ كعادتها ـ حكومة وشعبا بذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول ، بما تعودت أن تقيمه من أحفال فى المدن والقرى ، تعبيرا عن ابتهاجها بهذه الذكرى فى هذا الشهر الأغر ، ولم يقف احتفالها بها عند اليوم الثانى عشر بل امتد أسبوعا كاملا فى هذا العام الذى حقق الله لها فيه النصر ورفع هامتها وهامة العرب معها بين جميع شعوب العالم ، فكانت الذكرى ـ كذلك ـ تذكيرا بما اقترن بمولده صلى الله عليه وسلم من بشائر الخير، اذ كان العرب قبل ظهور نوره بين قوتين عظيمتين تتنازعان السيادة عليهم وعلى العالم ، وكانوا فيما بينهم قبائل يغير بعضها على بعض ، ويتربص بعضها ببعض حتى خف وزنهم ، وهان شأنهم ، الى حد أن تعرض حرمهم الآمن الى امتهان أبرهة الأشرم ،

فأقبل بجيش كثيف ليهدم الـكعبة ويصرف عنها أنظــار الحجيج الى الـكنيسة التى بناها بصنعاء ، ولـكن الله صان بيته وحماه ، وأرسل على المغيرين طـيرا أبابيل ترميهم بحجارة فاتكة مهلـكة ، وكان ذلك عام مولده صلى الله عليه وسـلم فـكان بشارة سارة بما آل اليه أمر البيت ، وأمر محمد ، وأمر العرب ، وأمر الاسلام والمسلمين ، اذ صار البيت من بعد ذلك كما يقول الله : « جعل الله الـكعبة البيت الحرام قياما للناس » وكمـــا يقول : « واذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا» وصار محمد الى مايفهم من قول الله فيه : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » وقوله له : « انا أعطينـــاك الـكوثر » « انا فتحنا لك فتحا مبينا » « وما أرسلناك الا رحمـــة للعالمين » وصار أمر العرب الى ما يفهم من قوله تعالى لهم : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » وقوله ســـــبحانه : « كنتم خير أمة أخرجت للنـــــاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنـكر وتؤمنون بالله » وقوله جل شأنه : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على النـاس ويكون الرسول عليكم شهيدا » أما الاسلام ـ وهــو دين الفطرة ، وملة ابراهيم ، والدين القيم : فقد صار الى ما يفهم من قول الله فيه : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحـق ليظهره على الدين كله » وأما المسـلمون فقد صاروا الى ما يفهم من قول الله لهم : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليــوم أكملت لـكم دينـكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لـكم الاسلام دينا » •

وهكذا نجد مولده صلى الله عليه وسلم مولد أمة ، ومولد تاريخ جديد مجيد فى حياة الانسانية عامة ، ومولد النور الغامر الباهر الذى وجد الناس على هداه الهدى والخير والحـــق والـكرامة كما يفهم من قول الله : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » وقوله : « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور » وقوله : « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » وقوله : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الـكتاب ولا الايمان ولـكن

جعلناه نورا نهـــدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم» فهو عليه السلام نور ، والـكتاب الذى أنزل عليه نور ، والدين الذى بعث به نور • فاذا احتفل المسلمون بذكرى مولده ، دون أن يؤمروا بذلك فى كتاب الله وسنته عليه الصلاة والسلام ـ فذلك تقليد حميد يصـلنا بسيرته العطرة ، وشريعته القويمة ، ورسالته العظيمة ، وثمرة ذلك أن نقتدى به فى كل ما كان يعمله ، وأن نتبعه فى كل ما يدعو اليه ؛ فان ذلك هـــو الطريق الى حب الله ، كما يفهم من قوله تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لـــكم ذنوبكم » وقوله سبحانه : « من يطع الرســـول فقد أطاع الله » وقوله جل شأنه : « لقـــد كان لـكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » •

عبد الرحيم فودة

---

## المعجزة الباقية

جـاء النبيون بالآيات فانصرمت

وجئتنـــا بحـــكيم غير منصرم

آياته كلمـــا طال المدى جدد

يزينهن جلال العتق والقـــدم

شـوقى

# الشريعة الإسلامية مصدرا لحقوق الإنسان

للأستاذ أحمد موسى سالم

يذكرنا النجاح الذى حققه مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهور بهذه الثروة الانسانية والحضارية التى منحها الاسلام للمسلمين وللعالم فى علوم وأحكام القرآن والسنة حول مبادىء الحريات وحقوق الانسان .

ان هذا النجاح لتجمع الشعوب الاسلامية يذكرنا بقوة بضرورة تنشيط وتعميم عناصر هذه الحضارة العربية الاسلامية التى لا زلنا نمتلك أهم مصادرها فى القرآن والسنة ـ فى حياتنا الفكرية والثقافية والعملية ، بحيث يصبح طابع حضارتنا المعاصرة فى وجه التيارات الغربية علينا شرقية وغربية هو طابع الالتزام الأمين المؤسس على الدين ، والقائم بمفهوم الايمان والتطبيق العملى له على ضمان انسانية الانسان .

ان الأوربيين المعاصرين يعتبرون أن « الحرية » هى القضية الكبرى التى استطاعت حضارتهم فى العصر الحديث أن تدفع بها الى المركز الأول فى اهتمام البشر . وعندما قامت الثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر اعتبروا أن الحرية هى الدين الجديد ، وبذلك تركوا الدين ليمارسوا حرية الكلام عن الحرية ، وما يزالون يتكلمون فقط عن الحرية ، ويختلفون على صورها ومذاهبها الى اليوم . . .

وبعض الناقدين للاسلام من الالحاديين فى أوروبا يغضبون فى مجال البحث فى الحرية اذا ما ذكرناهم بأن الطاقة التى تبذلها أوروبا منذ القرن الثالث عشر لملاحقة رغبتها فى الحصول على الحرية الحقيقية لم تكن الا الشحنة التى استمدتها من المثال الذى قدمته لها الحضارة العربية الاسلامية عن هذه الحرية الكاملة بالاعتقاد والتطبيق ، وان الثورات السياسية والدينية والعلمية والعقلانية والاشتراكية التى قامت بها أوروبا منذ ذلك التاريخ حتى نهاية القرن التاسع

عشر لم تمكنها بعد من تحقيق هذا المثال الاسلامي للحرية الكاملة ٠

لقد كان تأثير الحضارة العربية الاسلامية ممتدا الى أوروبا من مناراتها في جامعات الأندلس وفرنسا وايطاليا وألمانيا ومدن البحر الأبيض المتوسط حيث كانت الكتب والعلوم العربية تداولها الأيدي بلهفة رغم الحظر الكنسي عليها ٠ وكان العالم الجديد الذي تفتحه هذه الكتب أمام آمال طلبة العلم والعلماء غير مسبوق في الخيال الأوروبي ولا مطروق ٠ وعلى الرغم من أن الأوربيين قد عزلوا عنصر الايمان من عناصر هذه الحضارة العربية الاسلامية فقد وجدوا في كل ما تفتحه هذه الحضارة من مغاليق الحريات في التفكير والتعبير والاعتقاد والمساواة والعمل والبحث العلمي والنمو الاجتماعي مثارا لخيالهم ، ورافعا لحماسهم ، ليخرجوا من القيود التي وجدوا أنفسهم يتخبطون فيها تحت سلطة الأباطرة المتألهين ، والبابوات المعصومين ، وتجريدات وسفسطات فلاسفة اليونان ٠

وكان التأثير المباشر لهذه الحضارة العربية الاسلامية بالغا على الذهن الأوروبي عندما نشبت الحروب الصليبية ؛ فلقد حدث خلال قرنين من الالتحام الدموي بين الجيوش الأوربية المهاجمة والجيوش الاسلامية المدافعة أن فتح ملوك أوروبا المغامرون ، وفرسانها المفلسون ، وفلاحوها الضائعون أعينهم المشدوهة على الآثار العظيمة المتبقية من حضارة أعدائهم ، ونظم حياتهم ، وتخطيطات مدنهم ، وعلاقات أفرادهم ، فكانت الحرية التي يتنفسها جميع الناس أعظم ما صدمهم ، وكان « الناس » أنفسهم في هذه المدن الغارقة في الشمس والظل والهواء أعجب ماهزا مشاعرهم ، وأثار فضولهم ودهشتهم ٠٠٠

لقد اكتشف الأوربيون أن «الناس» في المدن العربية التي شاهدوها ، أو التي احتلوها ثم أكرهوا على تركها بالقتال ـ هم السلطة ، وهم الحقيقة الانسانية ، وهم الحركة والحياة ٠ لقد تحققوا من أن هؤلاء « الناس » مع تنوع أعمالهم يعيشون أشبه ما يكونون بوحدات متجانسة في سبيكة حضارية واحدة خلال حركة كل يوم ٠ فالمدينة العربية الاسلامية تقوم

فى تخطيطها دائما حول مركز أساسى يشع بالسواسية والطهارة والعلم هو المسجد الجامع • فليس مركز أى مدينة أو قلبها هو قصر الملك أو قلعة النبيل أو الاقطاعى كما هو فى بلادهم• وفى هذا المسجد يتلاقى العامة والحكام كل يوم ، حيث تتلامس المناكب ، وتتهاوى الفروق ، وينمو الحب ، وتذوب الضغائن ، وينفرج الطريق الواسع والآمن نحو المستقبل •

لقد اكتشف المقاتلون الصليبيون أن « الناس » فى المدن العربية الاسلامية يتساوون فى كل حدود الكفاية للحياة الكريمة • انهم متساوون فى الصلاة ، وفى حق الحياة ، وحق الاعتقاد ، وحق العمل ، وحق التعلم ، وحق التملك ، وحق بناء الأسرة ، وحق رعاية النشء ، وحق النقد ، وحق العدالة ، وحق العيش اللائق ، وحق السكن المريح ، وحقوق أخرى تتقابل وتتكامل مع الالتزامات فوق أن تحصى أو تعد ، وأهمها « السواسية » •••

ولئن كان فى هذه المدن العربية قصور باذخة ذات حدائق يعيش فيها الحكام والأغنياء فانها غير مغلقة فى وجوه عامة الناس ، وليست موضع رهبة أو رعب منهم • كما أن محدودى الدخل من الصناع والحرفيين قد وجدوا فى المبانى الكبيرة أو المجمعات السكنية ما يستمتعون به من مزايا القصور ومعمارها وجمالها واتساعها من غير اسراف أو تضييق • ففى هذه المجمعات التى أطلقوا عليها اسما قديما لمعنى الحى أو الأهل وهو « الربع » ، والتى لم تعرف أوروبا مثيلها للعمال الا فى القرن العشرين كان يسكنها عشرات الأسر الصغيرة ، وكان مبناها الضخم الذى يغلق عليه باب واحد ينقسم الى مساكن مستقلة نظيفة وكاملة المرافق ، بينما يتوسطه فناء كبير لا يحجب عن السكان الشمس أو الهواء أو السماء ، كما تتوسط الفناء نافورة مربعة تنعكس عليها بالليل والنهار صور كواكب وأجرام السماء ، بينما يلعب حولها الأطفال ، وتطل عليها نوافذ ومشربيات السكان •

عن هذه المواجهة القاسية والمفيدة بين أوروبا والعرب خلال الحروب الصليبية يعكس المؤرخ الهولندى ( هندريك فان لون ) صورة هذا التغير الذى أصاب الأوربيين بتأثير الحضارة

العربية الاسلامية فيقول : « ان الصليبين بدأوا قتالهم وهم يضمرون أشد البغض للمسلمين ، وأعظم الحب للشعوب النصرانية فى الدولة الرومانية الشرقية وفى أرمينية . ثم تغيرت قلوبهم تغيرا تاما فأخذوا يحتقرون الروم فى الدولة البيزنطية ، وبدأوا يقدرون خصال أعدائهم المسلمين الذين أثبتوا أنهم ذوو مروءة ، وأنهم خصوم شرفاء . . . بذلك انتهت الحروب الصليبية وقد أصبحت منهجا ثقافيا عاما يتعلم به ملايين من شباب أوروبا معنى الحضارة » ! !

**تيارات عدائية :**

ولكن على الرغم من هذا التغير الكبير الذى أصاب أوروبا داخل رحى الجهاد الاسلامى الثقيلة فى الحروب الصليبية ، وأمام عجائب المدن والناس كما انفتحت الأعين عليها فى مغرب الحضارة العربية الاسلامية لأجيال تتعاقب من مقاتليها وشعوبها خلال قرنين ، فان أوروبا مع تتابع ثوراتها المتنوعة لم تحقق الحرية التى عجزت – عندما عزلت عنصر الايمان – عن استيعابها من مصدرها الأول وهو حضارة المسلمين . .

ثم يجىء هذا العصر لنجد أن أوروبا مع تضخم قوتها بحضارة الأدوات والأسلحة المدمرة ووسائل الترفيه الجماعية ، ومع جهدها لاضعاف الشعوب العربية والاسلامية داخل حصار كثيف ومتغلغل من خططها العدوانية – قد أصبحت تميل شرقا وغربا الى نسيان هذا المصدر الاسلامى لكل ما حاولته من أجل الحرية ، ولكل ما غرسته على طريق النهضة ، بل انها أصبحت تحت التأثير الصهيونى تعمل على طمس آثار هذه الحضارة ، وعلى اخفاء علومها وكتبها ومبادراتها ، وذلك حتى لا يتجمع الوجدان العربى فى تياره القومى باتجاه استعادة الشعوب العربية ثقافة الاسلام ، وحضارة الاسلام ، بكل ضرورات العصر وامكاناته وحيويته على هذه الرقعة المتوسطة من العالم القديم والحديث . .

هذا الموقف من الجحود الذى تغرى به الصهيونية ، وتفرضه شراسة الأطماع الاستعمارية هو الذى دفع الى استمرار احتراف التهجم الظالم على الاسلام ، وعلى العرب الذين حملوا بأصدق الجهاد ، وأكرم الخلق ، وأعظم الأسوة رسالة القرآن ، وحضارة

الاسلام ، وثقافة الدين . وهو تهجم يتقاذف ويتجدد ويتنوع في اتهامات تحترف تلفيقها أجهزة متخصصة ، لتحرك بها تيارات عدائية نشطة ، ومن ثم فان دور من يرددونها كالببغاء الحمقاء في أقفاص التبعية يجيء أخيرا ليكون من حظ بعض المثقفين في البلاد العربية والاسلامية ، وأكثرهم ممن تلقنوا العلم على مقاعد الأوربيين في جامعاتهم ، وممن شربوا كراهية التراث من كئوسهم ، وممن انحشروا معهم ليبصروا الحياة بمناظيرهم ، ونحو أهدافهم !

فهؤلاء هم الذين يبرزون بيننا في كل المنعطفات ، وعلى رؤوس الطرق ليحاربوا الماضي اذا ما كان فقط ماضيا اسلاميا ، ويتجاهلون أنه لاتوجد ثورة للحرية أو نهضة بالانسانية في تاريخ العالم وتاريخ أوروبا لم ترتكز قواعدها على ماض ملهم ، لتستبق منه عبر واقع متغير نحو مستقبل منشود لقد كان هذا شأن كل الثورات التحريرية والثورات الانسانية.حتى بلاد اليونان الصغيرة التي تابعت ثوراتها في القرن التاسع عشر للانسلاخ عن الحكم التركي كانت تستلهم ماضيها أيام الأوليمب مع تفاهته، وماضيها أيام صراعاتها المسلحة مع الفرس برا وبحرا مع أنها كانت صراعات استعمارية على أرض العرب وخيرات التجارة . بل ان أوروبا كلها ، وانجلترا بالذات كانت شديدة التحمس لثورة اليونان على الأتراك لا بدافع المناصرة للحق على العدوان ، وانما حماسا للتاريخ اليوناني القديم الذي تدين له أوروبا بالكثير من أساطيرها ومعتقداتها وفلسفاتها ، وفي سبيل هذا الماضي قاتل الشاعر الانجليزي (بيرون) على أرض اليونان لنصرة قضية اليونان حتى قتل .

وفي مجرى هذه التيارات الدعائية ضد الاسلام باتجاه عالمي كأنه ظاهرة انحرافية في خلق الحضارة الأوروبية القديمة والحديثة يستمر هذا التهجم بلسان المحترفين ، أو بألسنة الهواة ، أو بصراخ مباشر من قادة العدو الاسرائيلي . بل ان هذه الهجمات قد توسعت بعد ظهور الكتلة الأطلسية التي تضم أمريكا وغرب أوروبا فأصبحنا اليوم أمام تسلل لهذه الظاهرة التهجمية على الاسلام داخل أكثر المؤتمرات الدولية ، بطريق مباشر أو غير مباشر ، بأسلوب صريح أو غير صريح ، حيث تختلط السياسة بالعلم،

ويغتال الحقد الأمانة ، وتمضى خطط التهجم الظالم على الاسلام ، وعلى الشريعة الاسلامية ، والتاريخ الاسلامى ، الى آخر الشوط • • •

على سبيل المثال ـ وما أكثر الأمثلة فى الداخل والخارج ـ حدث أن المعهد الدولى لحقوق الانسان نظم ندوة لأساتذة القانون الدولى فى العالم خلال شهر يوليو من العام الماضى ، وذلك لدراسة موضوع حقوق الانسان بجملته من الناحيتين : النظرية والعملية فى القانون الدولى ، مع تعميق هذه الدراسة بالرجوع الى المصادر التاريخية والدينية لحقوق الانسان •

بهذا التحديد كان موضوع هذه الندوة الدولية ذا أهمية كبرى للجامعات المصرية ، وبالتأكيد فانه كان ذا أهمية كبرى لعلماء الدين ولجميع المؤسسات والمجامع العلمية الاسلامية فى بلادنا من حيث ان جزءا أساسيا من أبحاث الندوة كان عن مدى سبق الدين فى شرائعه الى تقرير حقوق الانسان • ولكن ـ وهذا ما ينبغى أن يكون موضوع مراجعة وتصحيح ـ لم يحدث أن اقترابا مباشرا أو غير مباشر قد جرى بين مؤسساتنا الاسلامية وبين هذه الندوة وأمثالها من نوعها • وأكثر من ذلك فان موضوع مبادىء الحريات وحقوق الانسان ونسبتها فى السبق بالوجود نصا وتطبيقا الى الشريعة الاسلامية ـ لا يزال من الموضوعات غير المطروقة ، أو على الأقل « المغمورة » فى مجال الثقافة الاسلامية المعاصرة •••

لقد كان الأزهر بوصفه أقدم جامعة فى العالم ، وبوصفه أوسع منابع العلم صدرا ، وأسبقها حضورا ـ أقول كان غائبا عن هذه الندوة التى تناولت بالدراسة موقف الشريعة الاسلامية من حقوق الانسان ، ولذلك فانه لم يشهد ، وبالطبع لم يكن يتوقع ما جرى فيها من بروز هذا التيار المعادى للاسلام ، والمتهجم على حقائقه وحقوقه ، مع الاعتراف الصريح بأن اسرائيل هى وراء هذا التهجم على لسان عضو فى الندوة لا يزال يحمل اسما من أسماء المسلمين !

فى تلك الندوة وقف أحد أساتذة القانون الدولى وهو للأسف مسلم تركى ليتهجم بطريقة شاذة وساخرة على الاسلام ، مبتدئا بأن ينفى وجود أية صلة بين الاسلام وبين حقوق

الانسان بمفهومها المعاصر ، سواء من الناحية التشريعية أو التطبيقية ، وليردد الكثير مما يذيعه المستعربون الأجانب من مفترياتهم حول الرق وحقوق المرأة وحرية الاعتقاد وسلطة الحاكم المسلم ... الخ ، وليشهد فى نفس الوقت للدلالة على مصدر هجماته التقليدية بالأبحاث التى قامت بها جامعات اسرائيل فى نطاق فلسفة حقوق الانسان .

**حقوق الانسان :**

ولكن فى تباشير اليقظة الاسلامية المعاصرة لم يكن الجو خاليا فى تلك الندوة الدولية أمام الاستاذ التركى الدكتور حسين لينفخ طويلا فى بوقه الدعائى لصالح اسرائيل وضد العرب والمسلمين ، فلقد كان حاضرا عن مصر الدكتور عبد العزيز محمد سرحان أستاذ القانون الدولى بجامعة عين شمس ، وهو واحد من نخبة علمائنا فى الجامعات الذين ارتكزوا فى مادتهم العلمية على قاعدة أصيلة من الوعى الاسلامى الملتزم فهما وفقها وسلوكا ، وكان لزاما أن يتصدى له ويرد عليه .

لقد سأله مندوب مصر سؤالا مباشرا فقال : « هل أنت تتكلم عن الشريعة الاسلامية وعما أكدته من حقوق الانسان ، أم أنت تتكلم عن المفهوم التركى الحديث لحقوق الانسان » !؟

وتملص الدكتور حسين من الاجابة ولاذ بالصمت ... !

فاستأنف مندوب مصر الحديث ليفند كل ما ورد بكلمته من مفتريات ، وليقدم الحقائق المدعمة بالأسانيد فى صميم الدراسة التى هى جزء من عمل الندوة ، بادئا كلمته بالنصح والزجر للمندوب التركى عن التصدى للحديث عن الشريعة الاسلامية ، وعن حقوق الانسان فى هذه الشريعة ، ذلك لأن الشخص الذى يتصدى بالأمانة العلمية لهذا الموضوع لابد وأن يكون على علم بالمصادر الأساسية للشريعة الاسلامية التى تتمثل فى القرآن الكريم ، وفى الحديث النبوى ، وفيما جرى عليه العمل من جانب الدولة العربية الاسلامية ، وهذه كلها مكتوبة باللغة العربية التى لايعرف منها الدكتور حسين الا كلمة واحدة هى الاسم الذى يحمله ، والذى لا يحسن النطق به .

لقدكان هذا الصوت ـ لذى رتفع من مصر ـ قادرا فى ذلك المحفل العلمى الدولى على رد الهجمة على الاسلام ، وعلى اضاءة الطريق لأعضاء تلك الندوة القانونية من غير المسلمين ـ ولمن تبلغ اليهم أنباؤها فى العالم الاسلامى والوطن العربى ـ لكى نعرف مدى ما نملكه من هذه الثروة الانسانية والحضارية التى منحها الاسلام للمسلمين وللعالم فى علوم وأحكام القرآن والسنة واجتهادات العلماء اللاحقين على هذه العلوم والأحكام •••

لقد كان من أهم ما أعاده هذا الصوت الصادق الى أذهان المستمعين تذكيرهم بأن الدلالة العلمية على تناول الشريعة الاسلامية لحقوق الانسان هى دلالة قاطعة للغاية ، استنادا الى أن هذه الأحكام الخاصة بالحقوق ، والواردة فى القرآن الكريم ، والسنة الشريفة انما ترجع الى القرن السابع الميلادى ، أى قبل نشوء القانون الدولى العام المعاصر بنحو تسعة قرون ما دام أن أوروبا ترجع بنشوء هذا القانون الى القرن السادس عشر ، ومن هنا يتأكد السبق الذى جاءت به أحكام الشريعة الاسلامية ، وبخاصة اذا كانت قواعدها مازالت حتى الآن على المستوى المعاصر ـ ان لم تكن أفضل منه ـ لما وصلت اليه حقوق الانسان •

وربما كان من أهم ما ذكرهم به هذا الصوت الصادق من بلادنا أن هذه المبادىء للحريات ولحقوق الانسان التى حرصت الشريعة الاسلامية على احترامها يمكن تطويرها فى التطبيق العملى لكى تواجه وتشمل كل التطورات التى تسفر عنها الأبحاث العلمية الحديثة ومتطلبات الحضارة فى مراحلها المختلفة • وانه لا يكفى القول بأن الفقه الاسلامى قد أسهم بصورة هامة فى الحضارة العربية الاسلامية ، وفى تعميق حماية حقوق الانسان ، بعد أن درس مبادئها الأساسة بالنسبة للانسانية كافة ، وذلك لأن هذا الاسهام ليس مجرد واقعة تاريخية يمكن أن يكتفى المسلم بالفخر بها فى عصره الحاضر ، ولكن هذا الاسهام الفقهى الاسلامى فى رعاية

وحماية هذه الحقوق الانسانية ما يزال حتى وقتنا الحالى قادرا على التأثير فى تطوير المبادىء القانونية التى تحكم حقوق الانســان نحو ما هو الأفضل فى التطبيق •

هكذا ارتفع فى الوقت المناسب هذا الصوت الاسلامى المستنير لمندوب مصر من أساتذة جامعة عين شمس فى تلك الندوة الدولية واسعة الاشعاع بآثارها الفكرية على العالم ، وان كنا لم نكد فى مصر أن نحس بها ، حتى فى نطاق تنبه المؤسسات الاســـلامية وجامعة الأزهر اليها • ومع ذلك فقد ارتفع والحمد الله هذا الصوت ، كما انتبه به أعضاء تلك الندوة الدولية من كل العالم الى أن مثل هذا الصوت الاسلامى الانسانى العالمى المستنير لا يزال يتردد بكل الأمل والوضوح والنقاء واليقين بين أصواتنا العربية الـكثيرة !

**احمد موسى سالم**

---

# دراسات قرآنية :

# أسس الأمة الرشيدة في الإسلام

للأستاذ مصطفى محمد الطير

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ٩٠ » .

من سورة النحل

تكلمنا عن الشق الأول من هذه الآية في المقالين السابقين ، واليوم نتكلم عن الشق الثانى منهما ، وهو قوله تعالى : « وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » الآية .

اعلم يا أخى المسلم - وفقنى الله واياك - أن الفحشاء ما فحش وقبح من قول أو فعل ، وفسرها بعض المحققين بما اشتد قبحه من الذنوب ، ورأى الامام ابن عباس أن المراد بها فى الآية الزنا ، ولعل تخصيصه الفحشاء بالزنا لدخول غيره من الفواحش فى المنكر الذى سيأتى شرحه ، بمشيئة الله تعالى .

ولا يوجد فى كبائر الذنوب بعد الشرك بالله وعقوق الوالدين أفحش من الزنا ، فانه فاضح للعرض ، مفسد للخلق ، مستتبع لآثار سيئة فى المجتمع الاسلامى ، فالزانية ان كانت خالية من الزوج ، شاع فى الناس فحشها ، وأبغضها أهلها ، ولفظها المجتمع ، وربما تخلص منها ذووها بقتلها ، انهاء لفضيحتهم ، واستردادا لبعض كرامتهم ، وان وضعت ثمرة اثمها ، ضاقت بها ذرعا ، وربما فكرت فى وأدها ، تخلصا من لصوق عارها ، وتخفيفا للحملات الثقيلة عليها ، ووقفا لسريان الشائعات حولها .

فان لم تفكر فى ودها ، فكرت فى القائها فى صناديق القمامة ، أو على أبواب المساجد ، أو فى زاوية من الطريق ، ومن يدرى . فربما مات الوليد بردا أو جوعا ، أو التهمته الحيوانات الضارية الجائعة ، وهل عرضته للردى سوى هذه الأم الزنيمة الخاطئة ؟

وان كانت متزوجة لوثت فراش الزوجية برجس خيانتها ، وهى تخدع زوجها بمظهر الطهر والعفاف الذى تبدو به أمامه ، ولا تقتصر جنايتها على

ذلك الا ثم ، بل تتجاوزه الى افساد أخلاق فتياتها وفيتانها ، والحاق ولدها من سفاحها بزوجها ـ وهو منه برىء ـ واعطائه بالبنوة المزعومة حق الميراث منه بهتانا وزورا ، والله من ورائها محيط .

أما الزانى : فهو حيوان عديم الشرف ، ساقط الكرامة ، مستهين بأعراض الناس ، لا يهمه سوى قضاء نزواته ، وان خرب البيوت ، ودمر الأسر ، وفضح الأعراض ، ونشر الرذيلة ، وتسبب فى قتل وليده من السفاح أو قتل أمه ، فهل يوجد فرق بينه وبين أحقر حيوان يقضى نزوته ، ولا يفكر فى آثارها .

ولخطورة الزنا على المجتمع ، شرع الله فى أول التشريع الاسلامى بالنسبة للزانيات ، وجوب امساكهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ، وشرع لها ولرفيقها وجوب الايذاء ، ثم تدرج الحكم الى جلد البكر ـ ذكرا كان أو أنثى ـ مائة جلدة ، ولمن تزوج منهما الرجم حتى الموت ، فما أعدلك يا أحكم الحاكمين ، أليس من دمر البيوت ، يستحق أن يدمر ، ومن حطم الفضيلة جدير به أن يحطم ، واحدة بواحدة ، والبادىء أظلم ، واليك بعض الأحاديث النبوية الشريفة فى عقوبة الزانى وفظاعة جرمه .

## عقوبة الزنا فى الدنيا والآخرة

أهدر الاسلام دم الزانى المحصن لشناعة جريمته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، الا باحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » أخرجه الشيخان وغيرهما ، والمراد بالثيب الزانى من سبق له زواج من الذكور أو الاناث .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر » أخرجه مسلم والنسائى .

وحق الجار أن يأمن شر جاره وبوائقه ، ليعيشا فى أمن وسلام ، لا يفكر أحدهما فى اضرار أخيه فى نفس أو مال أو عرض ، والى ذلك دعا الاسلام وأوصى به ، فان اعتدى

جار على عرض أخيه ، فقد خانه فى موطن الأمن ، وارتكب ذنبا من أعظم الذنوب ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : ( سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، قلت : ان ذلك لعظيم ، ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك ، قلت ثم أى ؟ قال : أن تزنى بحليلة جارك ) أخرجه الشيخان وغيرهما .

ومن غاب زوجها عنها فأغراها جارها أو غيره على الفاحشة ، فان جريمته تكون أفحش ، لأن استدراجها يكون أيسر ، وحمايتها تكون أوجب ، والعقاب على اغوائها يكون أعظم .

وقد عظم الله جريمة الزنا حتى جعلها قريبة من الكفر ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

نسأل الله العصمة من هذا الشر الوبيل ، لكل مسلم ومسلمة .

## عمر يعفو عمن قتلت مغتصبها

لم يكن عمر بن الخطاب لينام عن جريمة غامضة ، حتى يفك طلاسمها ، ويصل بفراسة وحكمة الى تفاصيلها ويقضى فيها .

قال الليث بن سعد : أتى عمر ابن الخطاب يوما بفتى أمرد ، وجد قتيلا على وجه الطريق ، فسأل عمر عن أمره واجتهد ، فلم يقف له على خبر ، فشق ذلك عليه ، فقال : اللهم أظفرنى بقاتله ، حتى اذا كان على رأس الحول ، وجد صبى مولود ملقى بموضع القتيل ، فأتى به عمر ، فقال : ظفرت بدم القتيل ان شاء الله تعالى ، فدفع الصبى الى امرأة وقال : قومى بشأنه وخذى منا نفقته ، وانظرى من يأخذه منك ، فاذا وجدت امرأة تقبله وتضمه الى صدرها ، فأعلمينى بمكانها ، فلما شب الصبى جاءت جارية فقالت للمرأة : ان سيدتى بعثتنى اليك لتبعثى بالصبى معى حتى تراه وترده اليك ، فقالت اذهبى به اليها وأنا معك ، فدخلنا بالصبى على سيدة الجارية ، فلما رأته أخذته فقبلته وضمته اليها ، فاذا هى ابنة شيخ من الأنصار ، فأتت عمر فأخبرته ، فاشتمل

على سيفه ثم أقبل الى منزل المرأة ، فوجد أباها متكئا على باب داره ، فقال يافلان : ما فعلت ابنتك فلانة ، قال جزاها الله خيرا يا أمير المؤمنين ، هى من أعرف الناس بحق الله وحق أبيها ، مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها ، فقال عمر : قد أحببت أن دخل اليها فأزيدها رغبة فى الخير وأحثها عليه ، فدخل أبوها ودخل عمر معه ، فأمر من عندها فخرج ، وبقى هو والمرأة فى البيت ، فكشف عمر عن السيف وقال : اصدقينى والا ضربت عنقك ، وكان لا يكذب ، فقالت على رسلك ، والله لأصدقنك ، ان عجوزا كانت تدخل على فاتخذتها أما ، وكانت تقوم من أمرى كما تقوم الأم ، وكنت لها بمنزلة البنت ، ومكثنا كذلك حينا ، ثم انها قالت يابنية : انه قد عرض لى سفر ، ولى ابنة فى موضع أتخوف عليها فيه أن تضيع ، وقد أحببت أن أضمها اليك حتى أرجع من سفرى ، فعمدت الى ابن لها شاب أمرد فهيأته كهيئة الجارية ، وأتت به لا أشك أنه جارية ، فكان يرى منى ما ترى الجارية من الجارية ، حتى اغتفلنى يوما وأنا نائمة ، فما شعرت حتى علانى وخالطنى ، فمددت يدى الى شفرة كانت الى جنبى فقتلته، ثم أمرت به فألقى حيث رأيت ، فاشتملت منه على هذا الصبى ، فلما وضعته ألقيته فى موضع أبيه ، فهذا والله خبرهما على ما أعلمتك ، فقال : صدقت ثم أرضاها ودعا لها وخرج ، وقال لأبيها : نعمت الابنة : ابنتك ، ثم انصرف : انتهت رواية الامام الليث ابن سعد لهذه الخصة العجيبة ، التى تحذر كل مسلم ومسلمة من العجائز الماكرات اللائى يدخلن البيوت ، فان خداعهن وكيدهن عظيم ،كما تدل على مبلغ حرص عمر على تعقب الجريمة حتى يأخذ مرتكبها حقه من العقاب ، ليستتب الأمن فى ربوع المسلمين ، كما تنبىء عن سعة أفقه فى تنفيذ أحكام الله ، فانه قد أعفاها من عقوبة القصاص فى جريمة القتل التى ارتكبتها ، لأنها كانت دفاعا عن العرض ، والدفاع عن العرض يهدر دم من يحاول اغتصابه فكيف بمن يغتصبه فعلا ؟

## المنكر

هذا هو الاثم الثانى الذى تنهى عنه الآية الكريمة ، والمنكر : هو ما أنكرته وحرمته الشريعة الاسلامية الغراء ، ويدخل فيه الشرك بالله تعالى « ان الشرك لظلم عظيم » « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق » ويدخل فى المنكر أيضا عقوق الوالدين ، فهو أكبر الكبائر بعد الشرك بالله تعالى ، فقد صح عن الرسول أنه قال : « أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين » ولذا جعل الاحسان اليهما فى المرتبة التالية بعد التوحيد ، قال تعالى : « وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا » .

ويدخل فى المنكر قتل النفس والفرار من الزحف على العدو ، وشرب الخمر ولعب الميسر ، وأكل الربا ، والمقامرة وترك الصلاة والزكاة والصيام والحج عند القدرة عليه ، والغيبة والنميمة والحقد والحسد ، وأكل مال اليتيم ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والاعتداء على ممتلكاتهم ، والنظرة الفاجرة الى النساء ، والفحش فى القول ، والخيانة فى الأمانة ، وافشاء أسرار الناس ، وغير ذلك من المحرمات التى أنكرها الشرع الحكيم، ويحتاج تفصيلها وبيان الحكمة فى تحريمها الى سجل كبير ، وحسبنا اليوم ما ذكرناه ، مما لا يختلف فى تحريمه اثنان ، ولا ينكر مضاره عاقل .

## البغى

البغى : هو التطاول بالظلم والعدوان على غيرك ، ويدخل فيه كل منكر تعدى أثره السيىء الى سواك ، وقد نهى الله عنه فى هذه الآية الكريمة ، لما يسببه للناس من متاعب ، وما يحدثه لهم من حرج ، وما يقض لهم من مضاجع ، فكم من بيوت خربت ، ونفوس أزهقت ، وأسر شردت ، وكرامة هتكت : بسبب المظالم ذات الأشكال الصارخة ، والنيران المحرقة ، والصور المخيفة المزعجة .

فما أعظمك يارحمن يارحيم ، وما أكثر برك بعبادك ، وما أوسع رحمتك بهم ، حين أمرتهم بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، ونهيتهم عن الفحشاء والمنكر والبغى ، ليعيشوا فى سعادة وهناء ، فى جو مجتمع فاضل

ملىء بالخير والأمن والسلام، وما أعظم مسئولية الحكام والأمراء في تحقيق هذه المبادىء وسيطرتها على سلوك الناس ، وما أكرمهم على الله ان عدلوا ، وما أشد عذابهم ان جاروا ، قال صلى الله عليه وسلم : «أحب الناس الى الله وأقربهم السلطان العادل ، وأبغضهم الى الله وأبعدهم السلطان الجائر » وقال : « المقسطون في الدين على منابر من نور(١) » وفي رواية « ان المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدى الرحمن ، بما أقسطوا في الدنيا » والمقسطون : هم العادلون .

وما أعظم حكمة الامام على اذ يقول : العالم حديقة سياجها الشريعة، والشريعة سلطان يجب لها الطاعة ، والطاعة سياسة يقوم بها الملك ، والملك راع يعضده الجيش ، والجيش أعوان يكفلهم المال ، والمال رزق تجمعه الرعية ، والرعية سواد يستعبدهم العدل ، والعدل أساس قوام العالم . اهـ وكان كسرى أنوشروان يلقب بالملك العادل ، وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ولدت في زمن الملك العادل » وكان هذا الملك يقول : لا ملك الا بالجند ، ولا جند الا بالمال، ولا مال الا بالبلاد ، ولا بلاد الا بالرعايا ، ولا رعايا الا بالعدل ، فلزمت العدل واعتمدت عليه ، فأمنت الرعايا وعمرت البلاد .

## صفة الامام العادل

كتب الحسن البصرى لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز عندما ولى الخلافة ، يصف له الامام العادل ، حين بعث اليه يطلب منه أن يصفه له فقال :

اعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى جعل الامام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف ، والامام العادل يا أمير المؤمنين ، كالراعى الشفيق ، الحازم الرفيق ، الذى يرتاد لها أطيب المراعى ، ويذودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكفيها من

(١) والحديث بتمامه في رواية أخرى « ان المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور ، عن يمين الرحمن ، الذين يعدلون فى حكمهم فى أهليهم وما ولوا » .

أذى الحر والقر ، والامام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده ، يسعى لهم صغارا ، ويعلمهم كبارا ، ويكسب لهم فى حياته ، ويدخر لهم بعد وفاته ، والامام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة ، الرفيقة بولدها ، حملته كرها ، ووضعته كرها ، وربته طفلا ، تسهر لسهره ، وتسكن لسكونه ، ترضعه تارة ، وتفطمه أخرى ، تفرح لعافيته ، وتغتم لشكايته ، والامام العادل كالقلب بين الجوارح ، تصلح بصلاحه ، وتفسد بفساده ، والامام العادل هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم (١) وينظر الى الله (٢) ويريهم ، وينقاد لله ويقودهم اليه •

ولا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده ، واستحفظه ماله وعياله ، فبدد المال وشرد العيال ، فأفقر أهله ، وأهلك ماله ، واعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم • انتهى •

ولما وصل هذا الكتاب الى عمر ابن عبد العزيز ، جعله من نفسه موضع العناية ، ومن رعيته موضع التنفيذ •

ويختم الله هذه الآية فيقول : « يعظكم لعلكم تذكرون » ليؤكد وجوب الاعتبار بما جاء فيها ، وتنفيذ مبادئها الرشيدة ، لنسعد بتطبيقها فى دنيانا وأخرانا ، والله تعالى هو الموفق والمعين ؟

مصطفى محمد الطير

---

(١) يريد انه يسمع القرآن ويكلفهم العمل به .

(٢) اى يراقبه فى تصرفاته .

من هدى السنة :

# شرف نسبه صلى الله عليه وسلم

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن واثلة بن الأسقع ـ رضى الله عنه ـ قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم ) .

أخرجه مسلم والترمذى .

**تعريف براوى الحديث :**

هو الصحابى الجليل واثلة (بالثاء) ابن الأسقع (بقاف بعد السين المهملة) الليثى من أصحاب الصفة ـ أسلم والنبى صلى الله عليه وسلم يتجهز الى غزوة تبوك ، وشهدها معه ، وروى له ستة وخمسون حديثا ، انفرد البخارى بحديث ، ومسلم بآخر ، قال ابن معين : توفى سنة ٨٣ هـ ـ وقال سعيد بن خالد : وهو ابن مائة وخمس سنين ـ رضى الله عنه وأرضاه(١) .

**اللغة :**

( اصطفى ) اختار وأخذ الصفوة .

( كنانة ) الكنانة بكسر الكاف هى فى الأصل جعبة السهام من جلد ثم سميت بها القبيلة .

( اسماعيل ) هو ابن ابراهيم ـ عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ كما تفيده رواية أخرى للترمذى جاء فيها :

( ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل، واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة ) وذكر الباقى . .

(١) انظر خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى اسماء الرجال للخزرجى . وكتاب اسد الغابة فى معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير .

( قريشا ) أصل القرش الجمع ، وتقرشوا اذا تجمعوا ، وبذلك سميت قريش ، وهى قبيلة ـ ورأس هذه القبيلة هو النضر بن كنانة ومن لم يلده فليس بقرشى •

وقيل قريش هو فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة ـ فعلى هذا القول أن من لم يلده فهر فليس بقرشى وان ولده النضر ، فوقع الوفاق على أن بنى فهر قرشيون ـ وعلى أن بنى كنانة الذين لم يلدهم النضر ليسوا بقرشيين ـ ووقع الخلاف فى بنى النضر ، وبنى مالك •

وفهر هو الجد العاشر للنبى صلى الله عليه وسلم ـ والنضر هو الجد الثانى عشر ـ ذلك لأنه صلوات الله وسلامه عليه محمد ، بن عبد الله ، ابن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصى ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤى ، بن غالب، ابن فهر ( واسمه أيضا قريش ) بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان الى آخر النسب الشريف ••

( هاشم ) الهشم كسر الشىء اليابس ، يقال : هشم الثريد أى ثرده ومنه سمى هاشم بن عبد مناف•

**البيان :**

اقتضت حكمة الله تعالى أن يعد نبيه عليه الصلاة والسلام لمهمة خطيرة ، ورسالة خالدة ، ويجعل فيه أسوة حسنة ، وقدوة مباركة ، ومثلا أعلى للهداية والرشاد ، فاختاره طيب العنصر ، نقى الجوهر ، شريف النسب ، كريم المحتد ، وطبعه على أكمل الصفات ، وأزكى الخلال ، وها هو ذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم يعتز بنعمة ربه عليه فى شرف نسبه ، وبأنه صفوة مختارة من آبائه الأكرمين فى كل مرحلة من مراحل هذا النسب الماجد الرفيع •

فأخبرنا صلوات الله وسلامه عليه خبرا صادقا مصحوبا بصيغة التأكيد بأن الله عز وجل اختار كنانة من ولد اسماعيل ، وفى هذا اشادة بالنسب الشريف ، وتنويه به من وجهين :

الأول : اضافته الى اسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وهو معروف بين

أهل الكتاب خاصة وبين الناس عامة بشريف المنزلة ، ورفيع المقام ، وقد خلد القرآن الكريم مجده ، وسجل فضـــله ، فجعله فى عداد عباد الله الأبرار ، ورســله الـكرام ، وأثنى عليه بمـا امتاز به من صدق الوعد وانجازه ، وحرص على هداية قومه ، ودعوتهم الى سبيل الرشاد ، فـكان يأمرهم باقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وبذلك بلغ عند ربه منزلة سامية ، ومقاما عليـــا ، وظفر بعظيم محبته ورضوانه ، كما قال سبحانه :

« واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا . وكان يأمر أهله بالصـــلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا(١) » .

الثانى : أنه كمـــا حصل شرف النسب بالاضافة الى اسماعيل عليـــه الصلاة والسلام حصلت زيادة هـذا الشرف بالاضـــافة الى أطيب ولد اسماعيل عنصرا ، وأكرمهم معدنا ، وهو كنانة .

ثم يمضى عليه الصلاة والســلام فى قوله ، فيخبر بأن الله تعـــالى اصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاه من بنى هاشم - وفى هذا اعلان صريح بأن النسب الشريف ظل فى كل فترة من الزمن يأخـــذ حظه من السمو والرفعة ، وبقى يتـــدرج فى معارج الكمال ، حتى وصل غايته ، وبلغ قمته ، وصار على أتم حال ، وأروع مثال .

هـــذا وينبغى أن يعلم أن شرف النسب من الـكمالات البشرية التى تجب فى حـــق جميع الرسل ، لأن ذلك أعون على نجـــاح دعوتهم ، والاقتنـاع بحجتهم والاســتجابة لشريعتهم وأيضـا فان شرف النسب يدفع صاحبه الى الترفع عن الدنايا ، والتزود من المحاسن والمكارم، فيظهر للناس من سيرة الرسول ما يحفزهم الى تصديقه ، والاذعان له .

ولو فرض أن وجد القوم مأخذا فى نسب رســول كان ذلك أدعى الى الاستخفاف بأمره ، والاعراض عنه ، وصرف القلوب عن هدايته .

---

(١) سورة مريم آية رقم ٥٤ ، ٥٥

من أجل هذا شاءت ارادة العلى الحكيم أن يجعل نسب جميع الرسل سليما باهرا كالسبيكة الخالصة لايجد الناقد الالمعى فيه مغمزا .

روى البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل اليه فى ركب من قريش ، وكانوا تجارا بالشام فى المدة(١) التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هادن فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بايلياء ، فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم ، ودعا بترجمانه ، فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ فقال أبو سفيان: فقلت : أنا أقربهم نسبا ، فقال : أدنوه منى ، وقربوا أصحابه ، فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : قل لهم : انى سائل هذا الرجل ، فان كذبنى فكذبوه ـ فو الله لولا الحياء من أن يأثروا على كذبا لكذبت عنه ، ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب ثم قال هرقل للترجمان معقبا على مقالة أبى سفيان هذه : قل له : سألتك عن نسبه ، فذكرت : أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها(١) .

فاتجاه هرقل الى سؤاله عن نسب النبى صلى الله عليه وسلم ، والى أن يكون السؤال عن النسب أول سؤال له عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وتعقيبه على اجابة أبى سفيان بما ذكر ـ يدل ذلك كله دلالة قاطعة على وجوب اتصاف الرسل بشرف النسب ، وعلى أهمية هذا الشرف فى التعرف عليهم .

كما يدل على عظيم نسبه صلى الله عليه وسلم قول أبى سفيان فيه ـ مع عداوته له ، حيث لم يكن أسلم حينذاك ـ ( هو فينا ذو نسب ) واذا كانت رسالة أى رسول الى قومه تقتضى أن يكون معروفا بشرف النسب بينهم ـ فان رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم باعتبار

---

(١) يعنى مدة الصلح بالحديبية .

(٢) انظر الحديث بتمامه فى صحيح البخارى « كتاب بدء الوحى » .

عمومها ، وخلودها ، وعظم أمرها ــ تقتضى أن يكون نسبه عليه الصلاة والسلام أجل شأنا ، وأروع مظهرا •

لذا فان هذا النسب المجيد لم ينله أحد ، ولم يرق اليه بشر •

روى أبو نعيم فى الدلائل عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال : ( قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد ، ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم ) •

وكذلك أخرجه الطبرانى فى الأوسط •

قال فى المواهب : قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر : لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن •

ولكى نتصور جانبا من عظمة الرسالة الاسلامية حسبنا أن نستحضر حال العالم قبل مبعثه صلوات الله وسلامه عليه ، فقد كانت خريطة الدنيا مشوهة الوضع ، ممسوخة الصورة ، قبض على ناصية الحكم فيها من سلبوا ارادة الأمم ، وقتلوا مشيئتها ، وساموا أهلها الخسف والهوان ، وجعلوا حياتهم جحيما مستعرا ، وشقاء مقيما ، وحجبوا عنهم نور العلم مخافة أن يبصروا حقهم ، فينكمش سلطان سادتهم وأما الأمة العربية فلم تكن أحسن حالا ــ فقد غابت عنها شمس الهداية ، وأظلت الناس سحب قائمة من الباطل الأثيم والضلال البعيد ، فعبدوا الأصنام ، واقترفوا الموبقات ، وارتكسوا فى حمأة الرذيلة ، فانتكست عقولهم ، واختل تقدير الأشياء فى اعتبارهم ، فحسبوا الشرك دينا ، وسفك الدماء شجاعة ، وانتهاك الحرمات اقداما ، ووأد البنات عفة وشرفا •

عندئذ كان العالم كله فى أمس الحاجة الى مبلغ عن الله تعالى يدعو الناس كافة الى توحيده سبحانه ، والاخلاص فى عبادته ، ويأخذ بيدهم الى الصراط السوى ، والمنهج القويم ، ويفتح لهم أبواب الخير والرشاد •

فاختار الله ــ عظمت نعمته ــ لهذه المهمة الجلى أكمل أصفيائه نسبا ،

وأعظمهم خلقا ـ وفيه تجلى فضله على عباده ، ورحمته بخلقه ، وصدق تعالى حيث يقول فى شأنه صلوات الله وسلامه عليه :

( وما أرسلناك الا رحمة للعالمين(١) ) •

**ما يهدف اليه الحديث :**

يهدف الحديث الى أمور نجتزىء منها بما يأتى :

١ ـ بيان شرف نسبه صلى الله عليه وسلم •

٢ ـ عظيم رعايته تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام باصطفاء أجداده وأصوله فى جميع مراحل النسب •

٣ ـ ينبغى أن يذكر الانسان ما خصه الله به من فضل ـ تحدثا بنعمته سبحانه واعتزازا بكرمه •

٤ ـ يحسن أن يكون الداعى الى الخير والاصلاح بحال من النسب يحمل الناس على تقديره ، ليكون هذا أبلغ فى الاقبال عليه ، ونجاح دعوته •

٥ ـ للمتكلم أن يؤكد خبره ـ اهتماما به ، وتقريرا له فى ذهن السامع ، جعلنا الله تعالى أهلا لمزيد فضله وكرمه ، ومنحنا حسن الاتباع لخير أنبيائه ورسله ، انه سبحانه ولى النعمة والتوفيق ، والهادى الى أقوم طريق ؟

**منشاوى عثمان عبود**

---

(١) سورة الانبياء آية رقم ١٠٧

# دارٌ وَوَصِيَّة

للأستاذ السيد حسن قرون

نعى النعاة الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى فطار الى بيته الناس من كل حدب وصوب ، من المدينة وضواحيها ، من سكان المدر وأهل الوبر رجالا ونساء ، شيوخا وشبابا ، ليشيعوا جنازته ، جنازة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يلفهم الاخاء والوفاء فى رداء الايمان والاسلام ، يستوى فى ذلك من عاشره فى مكة ، ومن رافقه فى الهجرة ، ومن صاحبه فى المدينة . ومن آخاه فى الجهاد تحت راية رسول الله ، ومن شب قرآ، قد نيف على الثمانين .

تجمعوا فى داره كمطر تدفق فى غدير انتظارا لموكب الرحيل الأخير ، وتحلقوا حلقات ، كل حلقة لها حديثها الطيب فى مناقب الفقيد الكريم ، وبينما هم كذلك ارتفع صوت جهير ، فيه انكار . وفيه تذكير : أيحبس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل غائب ؟ فلنصل عليه . ونظر الجمع الحاشد الى مصدر الصوت فاذاهم بوالى المدينة مروان بن الحكم الأموى يكرر ما قال ، ويصر على الصلاة وتشييع الجنازة دون انتظار ، هنا لك هب عبد الله بن الأرقم يعارض الوالى ، ويعلن وصية أبيه ، يقول لسامعيه : لقد أوصى الأرقم فى مرضه أن يصلى عليه سعد بن أبى وقاص ، ومروان يشتد ويحتد ، ويرى ذلك خلافا لما جرى عليه أمر المسلمين ، وطال التلاحى بين الوالى وعبد الله ، واكفهر الجو ، وأظلم ما بينهما ، وهدد الوالى باستخدام حقه ، وأقبل بنو مخزوم يناصرون أخاهم ، وينكرون على مروان نقضه وصية الأرقم وتدخل بعض الحاضرين خوف أن تصير الجنازة ملحمة يكثر فيها القتلى والجرحى ، وكان أن

ارعوى الوالى وترك بنى مخزوم وما يشاءون • وانتظر مشيعو الجنازة سعد بن أبى وقاص ، وكان بقصره فى (العقيق) على عشرة أميال من المدينة فخف الى دار الأرقم حين بلغه الخبر ، فأم الجمع الحاشد ، وصلى صلاة الجنازة ، ودعا ما شاء الله له أن يدعو ، وفى أصيل ذلك اليوم من سنة(١) ٥٥ هـ تحرك النعش فتحركت ذكريات عزيزة ترف على الثغور متدفقة من الصدور ، وساروا حتى بلغوا ( البقيع ) حيث ووري الأرقم مغمورا بالدعاء ، مذكورا بالثناء ، محمودا فى الأرض والسماء •

من ذلك الفقيد الذى زلزلت له المدينة ، وارتجت لنعيه البادية واختصم حوله والى المدينة والمخزوميون ؟ انه الصحابى الكريم الأرقم بن أبى الأرقم بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم • ومخزوم فى قريش ريحانتها ، وفى الحرب لها قيمتها ، وحسبك منها أنها السبط الوحيد الذى نافس بنى عبد مناف السيادة فى الجاهلية ، وكان لها الجاه والثراء ، والشجاعة والسخاء ، منها الأبطال المغاوير ، والسادة ، الميامين ، واذا ذكر خالد ابن الوليد تجلت لك فضائلها من كل سبيل •

والأرقم صاحب رسول الله من سادتها ، وذوى الكرامة فيها انحدر من أبوين كريمين أب مخزومى قرشى وأم خزاعية ( أميمة بنت الحارث ) وخاله نافع الخزاعى عامل عمر بن الخطاب على مكة • وكان الأرقم فى ريق الشباب حين أسلم فكان سابع سبعة فى الاسلام ـ كما يروى أحفاده ـ آمن بالله ورسوله ، فغدت داره كهفا يلوذ بها كل خائف ، ويطمئن فيها كل مضطرب ، اتخذها النبى ( دار الاسلام ) فى مكة يدعو الى الهدى ، ويستقبل فيها كل من شرح الله صدره للايمان ، ليتزود بزاد التقوى ، وليكون من السابقين • وقد تكون دار الأرقم أشهر الدور ، فلا يذكر تاريخ صحابى أسلم فى أم القرى الا ذكرت تلك الدار ولا يؤرخ للدعوة الاسلامية فى منبعها الا أرخ لها ، فهى الدار الأولى التى نعمت بالنور ابان ظهوره ،

---

(١) نفس العام الذى توفى فيه سعد بعده .

وهى الدار التى شهدت تلاوة القرآن يتلوه فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى ، وكم من صحابى جاء اليهـا يسعى ، ليلقى فيها النبى محمدا منشرحا صدره، خافقا قلبه ، منهم مصعب بن عمير ، وعمار بن ياسر ، وصهيب بن سـنان ••• وعمـر بن الخطـاب وغيرهم ، ولكل من دخلها تاريخ يذكره الأبناء والمسلمون على توالى العصور ، فترد ذكرياتهم الحبيبة هـكذا : قال عمار بن ياسر لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله فيها ، فقلت له : ما تريد ؟ قال لى : ماتريد أنت ؟ فقلت أردت أن أدخـل على محمد فأسمع كلامه • قال : وأنا أريد ذلك ، فدخلنا عليه ، فعرض علينـا الاسلام فأسلمنا ، ثم مكثنا يومنا على ذلك حتى أمسينا ، ثم خرجنا ونحن مستخفون • قال الرواة : فكان اسلام عمار وصهيب بعـد بضـعة وثلاثين رجلا •

هذه الصورة المتألقة تلقاك فى دار الأرقم من حين الى حين تبـدى لك دوافع الايمان ، ومسالك النجباء فى الاسـتخفاء وغدا يكثرون فيعتزون ويظهرون ويملأون العيون •

ويفخر أحفاد الأرقم بداره فيقول حفيده سمعت جدى عثمان بن الأرقم يقول : أنا ابن سبعة فى الاسلام ، أسلم أبى سابع سبعة ، وكانت داره على الصفا ، وهى الدار التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يكون فيها فى أول الاسلام ، وفيها دعا النبى الناس الى الاسلام وأسلم فيها قوم كثير •

واسلام عمر بن الخطاب له قصـة فى دار الأرقم • قال الـرواة : ان الرسوم قال ليلة الاثنين فيها : اللهم أعز الاسـلام بأحب الرجلين اليك : عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام ( أبى جهل ) ويهمنا من قصة اسلام عمر المشهد الأخير منها ، لأنه وقع فى تلك الدار بعد أن شـج عمر رأس أخته فى بيتها لأنها أسلمت ، تحدثه فرق لها ، وطلب اليهـا أن تعطيه الصحيفة التى معها ، فأبت حتى يتطهر ، فاستجاب لها ، وناولتـه الصحيفة ، وكانت سورة طه ، فقرأ منها الى « اننى أنا الله لااله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » فقال عند ذاك : دلونى على محمد ، فدلته على الدار التى هو فيها دار الأرقم فى أصل الصفاء فانطلق عمر وكأن الايمان سرى الى قلبـه •

كانت دار الأرقم عامرة بمن آمنوا ، والرسول فيها يوحى اليه ، وعلى بابها حمزة بن عبد المطلب ، وطلحة بن عبيد الله وأناس من الصحابة ، ومعروف أن عمر كان من أشد الناس على أصحاب محمد ، فحين تراءى لهم متقلدا سيفه وجل الصحابه وذ عروا فلما رأى حمزة ما نزل بهم عند مرآه قال لهم : هذا عمر ، فان يرد الله به خيرا يسلم ، ويتبع النبى صلى الله عليه وسلم ، وان يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا ، فخرج الرسول يتلقى عمر ، فأخذه بمجامع ثوبه وحمائل سيفه ، وقال له : أما أنت منتهيا يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ؟ اللهم هذا عمر بن الخطاب ، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب هنالك قال عمر : أشهد أنك رسول الله ، فكبر الصحابة تكبيرة تفتحت لها أبواب السماء ، فنزل جبريل يقول : يا محمد ، لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر ، وبلغ المسلمون باسلامه أربعين رجلا وعشر نسوة •

شهدت دار الأرقم تلك الفرحة الشاملة ، ومنها خرج المسلمون فى صفين فى أحدهما حمزة وفى ثانيهما عمر ـ بمشورته ـ فى مسيرة نحو الكعبة فطافوا ظاهرين ، والملأمن قريش ينظرون ، كان ذلك فى السنة السادسة من مبعث خاتم الأنبياء • فدار الأرقم لها شأنها ، وصاحبها له منزلته بين المجاهدين ، سبق الى الاسلام وجاهد فى سبيل الله بماله ونفسه • وانك لتراه بعد الهجرة جنديا صادق اللقاء لايتخلف عن غزوة ، شهد بدرا وقلده رسول الله سيفا ، وأحدا والخندق والمشاهد كلها ثم استعمله الرسول على الصدقات ولئن فاتته الشهادة فى سبيل الله لم تفته الرغبة فيها ، فقد كانت أمنيته أن يكون شهيدا •

وقد أقطعه رسول الله داره التى قضى نحبه فيها فى ( بنى زريق ) من أحياء المدينة ، فعاش فيها ، راضيا بها يراها كفاء داره فى مكة•وعمر الأرقم طويلا ، فشهد أيام الخلفاء الراشدين، ولم يدخل فى فتنة عثمان ، ولا فى النزاع الذى قام بين على ومعاوية ، تهمه العبادة ويكفيه ماناله من صحبة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ـ فلما وافاه الأجل اختار سعد بن أبى وقاص للصلاة عليه وأغلب الظن أن اختياره سعدا كان طبعيا فلم يبق فى

المدينة من السادة العظام من يعدل سعدا فى سابقته وبلائه فى نصرة الاسلام ، وقد يكون فى نفس الأرقم اعجاب بسعد قديم يرجع الى الأيام الأولى للاسلام حين كان سعد يؤدى الصلاة ويضرب من يدفعه عنها ، وسعد يعد من المبشرين بالجنة الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض .

ولدار الأرقم تاريخ وقضية لابأس بايرادهما ، فالرجل مذكور فى السيرة بداره وايثاره ، وقد أحس بمنزلتها ، وأنها تراث يصان لما حفلت به من الأعمال الجليلة ففيها تخرج أبطال وقواد وولاة وباتيون ينشرون النور ، ويرتفعون بالانسان الى مناط التكليف والاصلاح وبناء الحضارة ، فما ذا صنع بها ؟ جعلها صدقة ، وسجل ذلك فى كتاب أشهد عليه هشام بن العاص ومولاه ، والشاهد هشام أخو عمرو بن العاص ، وأمه مخزومية .

ونص(١) الوقف أو الصدقة كما سماها : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قضى الأرقم فى ربعه(٢) ماحاز الصفا ، انها محرمة بمكانها من الحرم ، لا تباع ولا تورث ، ولم يغير أحد أيام الخلفاء الراشدين وبنى أمية ما قضاه ، « فلم تزل صدقة(٣) فيها ولده يسكنون ومؤاجرون ، ويأخذون عليها حتى زمن أبى جعفر المنصور العباسى » .

ومن عجيب الطبائع أن بنى أمية لم يهتموا بها واهتموا بدار الندوة ، فبذلوا فيها كثير الأموال حتى كانت لهم ، أما بنى العباس فجعلوا همهم فى الاستيلاء على دار الأرقم ، وكلتاهما فى مكة ، ويجول فى ذهنى تعليل يعود الى أن بنى أمية حرموا وظائف جدهم قصى فلما سادوا وضعوا أنظارهم على كل أمر له بال من مكارم قريش ، ليكونوا هم كل شىء ، ووصل الأمر بهم الى الاعتزاز بزمزم وهى مكرمة عبد المطلب ، ترى ذلك فى رسالة التهديد التى أنفذها الخليفة هشام ابن عبد الملك الى خالد القسرى سنة ١٢٩ هـ حين نوى عزله عن العراق ، واتجاه العباسيين يناقض ما جرت عليه أمية ، فقدكان ميراثهم من قصى عظيما ؟

(١) الطبقات الكبرى .
(٢) الدار نفسها .
(٣) الطبقات الكبرى .

لهم السقاية والرفادة وعمارة المسجد الحرام ، وهم أقرب الناس الى محمد بعد أولاد فاطمة الزهراء فعولوا أن تكون دار الأرقم في حوزتهم ، لأنها كانت مثابة الدعوة الاسلامية في أول أمرها ، فقد حازوا الخلافة وآن لهم أن يؤيدوها بكل ما يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن ما جرى من أبي جعفر المنصور يقتضي الأسف منا ، فقد اعتسف الأمر اعتسافا ، وتصرف الحاكم المستبد ، وهو الذى ثار ليقيم العدالة ويزيل المظالم . عن يحيى بن عمران بن عثمان بن الأرقم قال : انى لأ علم اليوم الذى وقعت ( الدار ) في نفس أبي جعفر ، انه ليسعى بين الصفا والمروة في حجة حجها ، ونحن على ظهرها في فسطاط فيمر تحتنا لو أشاء أن آخذ قلنسوه عليه لأخذتها ، وانه لينظر الينا من حين يهبط بطن الوادى حتى يصعد الى الصفا .. وماذا كان بعد ذلك ؟ يجيب التاريخ أن محمد بن عبد الله العلوى الملقب بالنفس الزكية خرج على المنصور فبايعه الحجاز بالخلافة ، وانتهى النزاع بقتل النفس الزكية ، والقضاء على حركة العلويين ، واتهم عبد الله بن عثمان بن الأرقم بممالأة النفس الزكية وان لم يخرج مقاتلا ، فانتهزها المنصور ، وكتب الى عامله بالمدينة أن يقبض عليه ويطرحه في الحديد ، ودس اليه رجلا من أهل الكوفة اسمه ( شهاب بن عبد رب ) ليدخل اليه في سجنه لينفذ ما أراده .

دخل شهاب على عبد الله بن عثمان السجن - وهو شيخ كبير جاوز الثمانين من عمره وقد ضجر من الحديد وظلمة السجن - فقال له : هل لك أن أخلصك مما أنت فيه وتبيعنى دار الأرقم ؟ فان أمير المؤمنين يريدها ، وعسى ان بعته اياها أن أكلمه فيك فيعفو عنك . قال عبد الله : انها صدقة ، ولكن حقى منها له ومعى فيها شركاء اخوتى وغيرهم . فقال : انما عليك نفسك ، أعطنا حقك وبرئت ، فأشهد له بحقه ، وتم بيع حقه بسبعة عشر ألف دينار ، وتتبع شهاب بقية الورثة - ان صح التعبير - ففتنهم بكثرة المال فباعوه . فصارت دار الأرقم لأبي جعفر ، وجرت بعده عليها تقلبات الزمن فصارت للمهدى الذى صيرها للخيزران أم موسى الهادى وهرون الرشيد فبنتها وعرفت بها ، ثم صارت لجعفر بن موسى الهادى ،

وسكنها أناس ليسوا من أبناء الخلافة، واستقرت أخيرا فى يد أمير اسمه غسان بن عباد من ولد موسى الهادى. ولو كان لأبى جعفر بصر بالآثار ، ورعى بالقيم التاريخية ــ كما يفعل الناس اليوم ــ لا تخذ اجراء غير الذى أجراه ، فما معنى أن يأخذها لنفسه ثم يورثها بنيه من بعده ؟ كان الأجدر به أن يعيد اليها شعارها فيجعلها للسلمين جميعا ، يوسعها ويضيف اليها حتى تكون للدراسة والاعتبار والافتخار أيضا . وكثير من الدور التى شهدت محمدا فى مولده أو مخرجه كان ينبغى أن ينظر اليها نظرة الاحتفاظ بها كمرفق عام ، وأنى لنا ذلك والرسول عليه الصلاة والسلام يقول فى شأن دور بنى هاشم فى مكة :وهل أبقى عقيل لبنى هاشم دورا ؟

ونعود الى الأرقم من بعد أن عشنا فى داره حين كانت تزهو بالرسول وأصحابه والوحى والذكر الحكيم ، وحين كانت تزخر بأولاده وحين صارت الى المنصور وأولاده ــ فنذكر أن الأرقم عاشر الرسول كثيرا وخالطه وجاهد معه ، واستمع الى القرآن يتلوه ، والى خطبه وأحاديثه ، ولكنه لم يذكر مع المحدثين كأبى هريرة مثلا ، وما روى عنه يعد قليلا ونادرا، وظنى أنه كان من المتحرجين فى رواية الحديث شأنه فى ذلك شأن الزبير بن العوام ، ومن تمام ذكره أن نعرض شيئا مما رواه ، فهو يدل على شخصه ونفسه ، وأسد الغابة فى معرفة الصحابة ، يورد له حديثين على النحو التالى :

١ ــ أخبرنا أبو ياسر عبد الوهاب ابن هبة الله بن حبة باسناده الى عبدالله ابن أحمد بن حنبل . قال حدثنى أبى : حدثنا عباد بن عباد المهلبى ، عن هشام بن زياد ، عن عثمان بن الأرقم المخزومى عن أبيه وكان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . قال : « ان الذى يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ، ويفرق بين الاثنين بعد خروج الامام كالجار قصبه(١) فى النار » .

(١) القصب المسقى وجمعه اقصاب .

والحديث الثانى رواية عن عثمان نفسه قال عن الأرقم : «انه تجهز يريد بيت المقدس ، فلما فرغ من جهازه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يودعه، فقال : ما يخرجك أحاجة أم تجارة ؟ قال : لا يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، ولكنى أريد الصلاة فى بيت المقدس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام . قال : فجلس الأرقم » .

رضى الله عن الأرقم بن أبى الأرقم فقد كان من السابقين المجاهدين ، وحسبه أنه الصحابى الذى يذكر بصاحب رسول الله وأن داره كانت دار الاسلام يوم كان الاسلام فى حاجة الى دار وقرار ؟ .

**السيد حسن قرون**

---

# من الأسس الاسلامية لبناء المجتمع

للأستاذ محمد كمال الدين

يقوم المجتمع الاسلامى على مبادىء يتضمنها دينه الحنيف ، وهى أقوم مبادىء يمكن أن يبنى عليها مجتمع، وبها وصل المسلمون فى عهد النبوة وفى عهد الخلفاء الراشدين ثم فى عهد الدولتين : الأموية والعباسية الى مستويات راقية وناهضة استطاعوا بها التغلب على كل معوقات الحياة ، فاستتب الأمن وتحقق الرخاء الاجتماعى ، وتقدم العلم والتعليم ، وقويت الجيوش ، وتمكنوا من فتوحات اسلامية وصلوا بها الى مشارف الصين وفرنسا ، وحققوا فيها نظاما اسلاميا عادلا ، ونهضوا بها نهضات مشرفة . وكل ذلك بفضل ما استمده المسلمون من دينهم من مبادىء سامية تقوم أساسا على المحبة والتعاون والاخلاص للعقيدة وتطبيق نصوصها بضمير الحق والعدل والاخاء .

والدين الاسلامى ـ بما يتضمنه من أسس عميقة الجذور شاملة الأهداف ـ يسعى الى اقامة مجتمع سليم البنيان ، واضح الطريق ، ولا غرو فهو الدين الذى اختاره الله سبحانه وتعالى لهداية البشر والوصول بهم الى مراقى الحق والسلام ، يقول تعالى « ان الدين عند الله الاسلام » ويقول : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » .

ونحن فى هذا البحث نقف عند أجمع هذه الأسس التى يقيم عليها الاسلام مجتمعا أمثل وينهض به وهى :

### أولا ـ الفضيلة

من الأسس الهامة فى بناء المجتمع الاسلامى ، أساس الفضيلة ، ومنها تنبع التقوى التى هى حصن المؤمنين ، وملاذ المهتدين ، وقد ذكرت آيات التقوى فى القرآن الكريم كثيرا: «ومن

يتق الله يجعل له مخرجا» (الطلاق٢)، «ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا» (الطلاق ٤) ، «ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا» ( الطلاق ٥ ) «ولأجر الأخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون» (يوسف ٥٧ ) «انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين» ( يوسف ٩٠ ) ، «ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب» ( الحج ٣٢ ) ، «ان المتقين فى مقام أمين . فى جنات وعيون» ( الدخان ٥١ ) . . . الخ .

وتقوى الله تتمثل كل يوم امام المسلم فى اقامته شعائر الدين ، فيشعر مع كل فريضة صلاة انه أدى حق الله نحوه ، وحق نفسه على نفسه ، وكذلك حين يؤدى فرائض الصوم والحج والزكاة ، يشعر بالائتلاف مع أفراد مجتمعه الصغير والكبير بل مع المجتمع الانسانى كله ، وبهذا جميعه يربى الفرد ضميره الاجتماعى ، ومن الضمير تنبع الفضيلة كأساس هام لبناء المجتمع الفاضل .

واذا كان المجتمع ينبى على تقوى الله ، واستنان سننه ، واقامة شعائره ، فهناك عوامل قد تقوض هذا البناء ، وحتى يسلم المجتمع من هذه العوامل، وجب أن تقوم مبادىء تستلزمها الفضيلة لتحميها وتؤكد مراميها السامية ، من هذه المبادىء منع ظهور الرذيلة ، وفى هذا يقول الرسول الكريم : «ان من أبعد الناس عن الله منازل يوم القيامة المجاهرين ،قيل ومن هم يا رسول الله ؟ قال : ذلك الذى يرتكب عملا بالليل - قد ستره الله عليه فيصبح يقول فعلت كذا وكذا يكشف ستر الله» ، ويقول الرسول أيضا فى حديث رواه الامام الشافعى فى سنده : «أيها الناس ، من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فاستتر فهو فى ستر الله ، ومن أبدى صفحته أقمنا عليه الحد» ، ولذلك كانت عقوبة المعلن للرذيلة لا تقل فى بشاعتها عن مرتكبها ، ان اعلان الرذيلة يشجع من به ميل اليها ، ويقول تعالى فى كتابه الكريم : «ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة» (النور ١٩) ، ويحذر الله تعالى من ذلك بقوله : «ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن» (الانعام ١٥١) ، والفواحش هى كل فعل آثم ينهى عنه الله

والرسول والمجتمع السليم الناضج بما فيه من عادات وتقاليــد تحض على الخير .

ومن هذه المبادىء أيضا: الحياء ، وهو اللياقة الانسانية ، فاذا اســتحى الشخص من الناس لم يظهر بالقبيح بينهم ، بل سيظهر بالفاضل من العمل والسلوك وكل مجتمع ينهار فيــه الحياء باسم الحرية أو بأى اسم آخر فان ذلك المجتمع ينهار فيــه الخير وتقطع فيه الأوصال ، وقد حث الرسول على الحياء واعتبره فارقا بين الانطلاق المردى وبين الحرية الحقيقية الكاملة ويقــول فى ذلك : ان ممــا توارثه الناس من كلام النبوة الأولى « اذالم تستح فاصنع ماشئت » أى أن الفارق بين الانطلاق المزرى والقيود الفاضلة هــو الحياء ، وفى هــذا أيضا يقول الرسول الكريم « الحياء خير كله » ويقول : « لكل دين خلق ، وخلق الاسلام الحياء » .

والمبــدأ الثــالث لحماية الفضــيلة كأســاس من أسس بقاء المجتمع هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد ذكر بنصــه فى القرآن الكريم ، فى قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للنــاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (آل عمران ١١٠) ويقول أيضا : «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئــك هم المفلحون » ( آل عمران ١٠٤ ) .

وللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر درجات ثلاثة ، قسمها الحديث النبوى الشريف : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضــعف الايمان » ويشرح الرسول هذا الحديث عمليا فى حديث آخر يقول فيه : « مثل المدهن فى حدود الله أى الذى يمالىء الناس فلا ينبههم الى الشر ، كمثل قوم استهموا فى سفينة ، بعضهم فى أسفلها وبعضهم فى أعلاها،فكان الذى فى أسفلها اذا أراد المــاء نادوا به،أى من يكونون فى أعلاها ، فلما أحس بهذا التأذى أخذ فأسا ينقر به السفينة من أسفلها ، فقيل له لم تنقرها ؟ قال لأنى أريد المــاء وأنتم تأذيتم ، فان أخذوا على يده نجا ونجوا معه ، وان تركوه هلك وهلكوا معه » ويشرح الرسول عاقبة عدم الأخذ بالمعروف فى حديث ثالث يقول فيه : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون

عن المنكر ، ولتأخذن على يدى الظالم وتحملونه حملا على الحق،أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم تدعون فلا يستجاب لكم » •

لقد اعتبر الرسول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو رباط للجماعة الاسلامية ، فالرجل فى بيته يجب أن يكون داعيا للخير فى أسرته ، والرجل فى مجتمعه يرشد أفراده ويوجههم للخير • وبهذه المبادىء كلها يقوم المجتمع الفاضل الذى يبنى على مبادىء الحق ، مبادىء الخير والكرامة والعفة والصدق ، مبادىء الحياء والخشية من الله والخلق الكريم ، ومجتمع يقوم على هذه المبادىء لابد أن يؤتيه الله تعالى خيرى الدنيا والآخرة ، والله عنده حسن الجزاء •

يمكن أن يقوم مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أساسا مستقلا من الأسس الدينية لبناء المجتمع ، وذلك الى جانب كونه مبدأ من مبادىء حماية الفضيلة فى المجتمع الانسانى وهذا ما أشرنا اليه •

ولكى يصل المجتمع الى هذه المرتبة الانسانية ينبغى أن تقوم تربية الفرد من الأساس على مبدأ الصراحة فى الحق ، فيقول ما له وما عليه ويؤدى أمانة الكلمة أو الفعل بما يستحقه من أداء وأن يدل غيره الى الخير ، وينصحه بالحسنى ، وأن يعرف حدود نفسه وحدود غيره ، فلا يعتدى ولا يدعو الى باطل ، وليحاول هذا بشتى طرق التعبير حتى يقوم المعوج ، ويصلح الفاسد ، ويحق الحق •

وفى المجتمع الحديث يقوم القانون بدور كبير فى الاصلاح الاجتماعى ، فهو يحكم بين الناس بما تقتضيه العدالة الواجبة ، وهى عدالة مستمدة من تعاليم الأديان السماوية، فلا تجور ولا تظلم ، ولا تنصر مخطئا ، أو تحابى شريرا ، وهى بذلك توقظ فى الناس حب العدل ، والانتصاف للخير ، وتدعو أن تكون علاقة الناس بعضهم ببعض هى علاقة المعروف والتآخى ، علاقة المودة والعطف •

ولقد جبل بعض الناس على حب الشر والفساد ، هؤلاء لا تقويم لهم بغير الضرب على أيديهم ، حتى لا تذيع الفاحشة ، أو ينتشر الفساد ، ولقد صرحت بعض المذاهب الاسلامية ـ مثل أصحاب المذهب الحنبلى ـ بقتل

مرتكب الفاحشة ، ولا يعاقب القاتل أو يؤاخذ ، واعتبرت أن من يحاول منع رجل ذى جبروت من ارتكاب شر بالقول أو الفعل ، ثم قتله هذا الرجل ، بلغ مرتبة الشهداء .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو رباط للجماعة الاسلامية ، ومبدأ يهتدى به كل عاقل : يهتدى به الرجل فى بيته فيدعو أهله للخير ، ويعلمهم الصلاح والتقوى ، ويهتدى به الرجل فى مجتمعه الصغير فى حيه أو بين جيرانه،فيهديهم ويرشدهم ويوجههم، ويهتدى به الرجل فى عمله ، فيبلغ هذا المبدأ نطاقا أوسع ، وأفقا أكبر ، اذ ينقلها كل رئيس الى مرؤسيه ، وكل ذى تأثير أو نفوذ الى من يليه ، فيكون التوجيه أشمل ، والفائدة أعم ..

## ثانيا ـ الحرية

نشأت الدعوة الاسلامية فى بيئة تنوء بالعصبيات وضروب الضلال والاستغلال ، وفى مجتمع اختلطت فيه القيم والعبادات والخرافات ، وكانت معجزة الاسلام أن تجىء الدعوة الى اله واحد فى مثل هذه البيئة التى لا تعرف غير الفوارق بين الطبقات وتعدد الآلهة وأن تطالب تلك الدعوة أيضا بحق الانسان فى الحرية والكرامة ، أيا كان نسبه أو مكانته فى المجتمع .

والحرية فى الاسلام مبدأ مقرر ، وأساس جوهرى ، وقد أشار اليه القرآن الكريم فى أكثر من سورة ، وذكره الرسول الكريم فى أكثر من حديث ، وعمل به الصحابة وقادة المسلمين فى شتى عصورهم ، ونضرب لذلك أمثلة فى قوله تعالى: «وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه» (الاسراء ١٣)، وقوله تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة » ( المدثر ٣٨ ) ، وقوله تعالى : « وأن ليس للانسان الا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الاوفى » (النجم ٣١) وهى آيات تقرر أن الانسان له عقله واختياره بين النجدين ، وتقرر أنه مسئول عن فعله « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ومن أحاديث الرسول فى هذا الصدد أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » وقوله أيضا : « السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية ،

فى أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ، ولعل مثا آخر نأخذه من قول الخليفة عمر بن الخطاب لواليه على مصر عمرو بن العاص حين أعتدى ابنه على الشبان من عامة الشعب « متى استبعدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » •

ولعل من أوضح الدلائل على جعل الاسلام الحرية أساسا جوهريا من أسس الحكم أنه جعل ولاية أولى الأمر مستمدة من حكم الجماعة ، وهو مبدأ الشورى الذى جاء فيه قوله تعالى : «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » ( الشورى ٣٨ ) فاذا كان اختيار الحاكم أو الرئيس على هذا الأساس ، ويقوم محله اليوم مبدأ الانتخاب الجماهيرى ، فان مبدأ الحرية هو الذى يتيح اختيار أصلح الأشخاص خبرة وصلاحية وكفاءة ، ويحقق التعاون المثمر بين الحاكم والمحكوم أو بين الرئيس والمرؤوس •

ولا يمكن تصور الحرية بلا قيود ، وهذه القيود لحماية الانسان كعضو فى مجتمع • والحر هو الانسان الذى يسود نفسه ويتحكم فى أهوائه وشهواته ، ولا يكون عبدا لهما بل يسيطر عليهما بما له من تقدير للأمور وحسن توجيه لها •

وتتنوع الحرية بحسب الأوضاع الاجتماعية ، فهناك الحرية السياسية التى تجعل من كل انسان رشيد مالكا لزمام نفسه مسئولا عن تصرفاته ، ومنها حرية التفكير والتعبير بما يحقق الابداع الخلاق ، وبما لا يمس الآداب أو الحرمات ، بل يحض على الحوار الهادف وتبادل الرأى وصولا الى خير الحلول فى مجالات العلم والثقافة ، وهناك حرية العمل فى أن يختار المرء العمل المناسب له بمحض اختياره ، ويسلك من مسالك العيش ما يجعله عزيزا كريما باعتماده على نفسه وهناك الحرية الاقتصادية فيكون للمرء أن يكتسب ما شاء فى الحدود المشروعة بحيث يمتنع الاستغلال أو الكسب غير المشروع ، وهناك حرية الملك ، وهى الحرية التى تبيح للمرء امتلاك مايشاء من أرض أو عقار بحيث لا يؤدى ذلك الى الأضرار بالغير ، فاذا أضرت الملكية بالغير أبيح نزعها أو مصادرتها ، وفى هذا يقول الحديث النبوى الشريف

« لا ضرر ولا ضرار ، ولا استئثار ولا غلول » .

وهكذا تقوم الحرية فى الاسـلام مبدأ اجتماعيا مقررا ، تتيح للمسلم أن يختار سبيله بملء ارادته ، وأن يكون فى نفس الوقت مسـئولا عن هـذا الاختيار ، وأن تكون حريته فى اطار الحرية الاجتماعية العامة بحيث لاتسبب حريتـه لغيره أى ضرر أو عائق أو حيف ، وبالحرية يكفل الاسـلام للانسـان كرامتـه وانسانيته وعزته ، وللمجتمع وحـدته وسـلامة بنيانه ومنعته ، وللبشرية كلها أقول السبل لحياة يظلها العدل والاخاء والمساواة ؟

**محمد كمال الدين**

# مؤتمر "لاهور"

## وإيمان القيادة

للأستاذ محمد نعيم

كان مؤتمر لاهور حدثا هاما فى تاريخ الأمة الاسلامية وتجسيدا حيا لمبدأ التضامن الاسلامى بعد سنوات طويلة من التفرق والتشتت والانشقاق.

وحيث التأم العقد الاسلامى فى اجتماع الذروة بشخص الملوك والرؤساء توجهت القلوب المؤمنة وتابع أكثر من ستمائة مليون مسلم فى مختلف أنحاء العالم وقائع المؤتمر يوما بيوم بل ساعة بساعة وان افتقدوا غالبا الاعلام الاسلامى الذى يشبع تعطشهم الى مزيد من أخباره وتفاصيله .

وانطلق المؤتمر مستلهما روح العاشر من رمضان المجيد .. واحتلت قضية الشرق الأوسط مكان الصدارة فى أعماله وهنأ رؤساء الدول فى كلماتهم الرئيسين : السادات والأسد بالانتصار الذى حققه الجيشان المصرى والسورى فى حرب رمضان .. وقالوا لهما :

لقد أعدتم الشرف للعرب والمسلمين . لقد تم فى لاهور الاحتفال بالنصر ..

**كلمة القائد المؤمن :**

وتحدث الرئيس محمد أنور السادات عن معارك سيناء والجولان فملأ بحديثه القلوب بعد الأسماع .. قال القائد المؤمن ان التاريخ سيسجل معركة العاشر من رمضان ، كأشرف وأروع معارك التاريخ لأنها كانت معركة استعادة الحق والكرامة .. معركة قبول التحدى ورفض التخلف .

وقال الرئيس : ان معركة العاشر من رمضان كانت نقطة تحول فى تاريخ العالم وأن العالم لن يعود الى ما قبل العاشر من رمضان لا عسكريا ولا اقتصاديا ..

وأكد الرئيس : أنه لابد أن يعاد تشكيل عالم ما بعد العاشر من رمضان لأن كل شيء قد تغير فعلا في موازين القوى •• في فن الحرب والاقتصاد •• والطاقة ورأس المال وطرح الرئيس - أمام شعوب العالم الاسلامية - قضية المستقبل وهي أن يكون للمجتمع الاسلامي الذي يمثل أكثر من ٦٠٠ مليون نسمة في جميع أنحاء الأرض - دور قوي لا يقل عن موقف الدول الأفريقية أو موقف دول عدم الانحياز وأن يكون تأييده عاليا مدويا واضحا للعالم كله ••

**لا خلاف .. وان اختلفت النظم :**

وعلى مدى ثلاثة أيام أكد المؤتمرون أن العالم الاسلامي يمكنه أن يوحد كلمته مهما اختلفت النظم والممارسات السياسية القائمة به وأن تعاون المسلمين وتماسكهم وتكاتفهم في المجالات المختلفة أمر حيوي لتكامل القوة الاسلامية الذاتية •

وبروح الاسلام الحقة تمت المصالحة بين الدولتين الاسلاميتين الكبريين في آسيا •• بنجالاديش ثانية دولة اسلامية في العالم من حيث عدد السكان •• وباكستان رابع دولة •• واعترف بالشخصية الفلسطينية المستقلة واعتبرت منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني بلا تحفظ حتى من جانب الأردن ••

وعندما تكهرب الجو أثناء القاء كلمة رئيس وفد أفغانستان التي تضمنت اشارات غاضبة الى باكستان بسبب مشاكل الحدود •• قال الرئيس السادات في تعليق بسيط •• يجب أن ندخل هذا المؤتمر وقد نسينا خلافاتنا •• وعاد الصفاء في الحال •

وأثبتت العقيدة المشتركة أنها الرباط الذي لا يمكن فصمه بين الشعوب الاسلامية وأن التضامن الاسلامي دعوة تقوم على مبادىء المساواة والاخوة وكرامة الانسان ••

**النضال باق ما دام هناك احتلال :**

واتجه المؤتمر نحو المستقبل • وأجمع الملوك والرؤساء على أن النضال لا يجب أن يتوقف وعلى أن النجاح الذي تحقق ليس سوى مرحلة أولى وأن السلاح لن يوضع الا عندما يتم تحرير القدس والأراضي المحتلة ويستعيد الفلسطينيون حقوقهم المشروعة •

واجماع عام على ارغام اسرائيل على التراجع داخل حدودها واعادة الأراضى السورية والمصرية والأردنية الى أصحابها •• واستعداد لتقديم كل المساعدات الممكنة •• وتأكيد بأن أكثر من ستمائة مليون مسلم يقفون الى جانب سوريا ومصر والأردن ••

وخشى البعض أن يتحول التضامن الاسلامى الى كلمة لا معنى لها اذا لم يترجم بتدابير بناءة وقرارات عملية •• وجاء الرد سريعا ومشجعا ••

ووافقت الدول الاسلامية دون أى تحفظ على اقتراح الرئيس هوارى بومدين الخاص بالتنمية والعلاقات الاقتصادية الدولية ، كما وافقت على مبادرة الرئيس الجزائرى بعقد مؤتمر تحت اشراف منظمة الأمم المتحدة من أجل مناقشة أسعار المواد الأولية •

ومن ناحية أخرى اتفق على اقامة سوق اقتصادية اسلامية ، وتكوين منظمة دائمة للدول الاسلامية على غرار منظمة الوحدة الأفريقية يناط بها بحث شئون المسلمين بالعالم وتسوية الخلافات التى قد تنشأ بين الدول الاسلامية •

**الطريق الى الوحدة :**

وتوج مؤتمر لاهور أعماله ببيان ختامى حقق آمال جماهير المسلمين العريضة فى الوحدة والرفاهية •• ووضع ثقل العالم الاسلامى كله الى جانب ثقل العالم العربى فى سبيل ايجاد حل عادل لقضية فلسطين وانقاذ الأماكن المقدسة •

وتضمنت قرارات المؤتمر التاريخية النقاط التالية :

• ان التضامن الاسلامى يحتم أن تقوم الدول الأعضاء فى مؤتمر القمة الاسلامى بتقديم كل صور الدعم الى مصر وسوريا والأردن والشعب الفلسطينى فى نضالهم المشروع لاستعادة أراضيها المحتلة واسترداد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى •

• يتعهد المؤتمر باتخاذ جميع الاجراءات اللازمة من أجل ارغام اسرائيل على الانسحاب فورا ، وبدون أية شروط من جميع الأراضى العربية التى جرى احتلالها فى يونيو ١٩٦٧

• ويعتبر المؤتمر أن اعادة جميع الحقوق الوطنية المشروعة للشعب

الفلسطيني هي شرط مسبق وأساسي لاقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ، ويطلب من جميع الدول أن تؤيد ـ بكل الوسائل ـ شعب فلسطين ـ في نضاله من أجل استرداد هذه الحقوق •

• ويؤكد المؤتمر أن منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات هي الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني في نضاله المشروع • ويطالب الدول الأعضاء التي لا يوجد فيها مكاتب لمنظمة التحرير ، أن تمنح كل التسهيلات اللازمة لهذا الغرض •

**.. وتدويل القدس مرفوض :**

• ويطالب المؤتمر بالاجماع بانسحاب اسرائيل فورا من مدينة القدس المحتلة ويؤكد أن اعادة المدينة المقدسة الى السيادة العربية ضرورة قصوى غير قابلة للتغير ، لأي حل لقضية الشرق الأوسط ورفض أية محاولة لتدويل مدينة القدس •

**اتحاد اسلامي ضد الفقر والمرض :**

وفيما يتعلق بالموضوعات الأخرى التي تناولها البيان السياسي أعلن المؤتمر تصميمه على حقوق التضامن الاسلامي بين الدول الاسلامية وتنميته واحترام استقلال كل دولة وسلامة أراضيها وعدم التدخل في الشئون الداخلية لأي منها ، وحل ما قد ينشأ بينها من خلافات بالوسائل السلمية وبروح الأخوة •

وأعلن الملوك والرؤساء عزمهم على أن يقيموا على أساس من التضامن الاسلامي والتعاون المتبادل اتحادا بين دولهم الشقيقة يكرس للقضاء على الفقر والمرض في البلاد الاسلامية والاسهام في رفاهية شعوبها والتزامهم باقامة هيكل جديد للعلاقات الاقتصادية العالمية على أساس من المصالح المشتركة لجميع الدول والمساواة فيما بينها ولتأييد كفاح العالم الثالث من أجل تحقيق استقلال سياسي واقتصادي حقيقي •

وقرر المؤتمر مساعدة الدول الاسلامية وغيرها من البلدان النامية التي تأثرت بارتفاع أسعار البترول ومعاملتها على أساس تفضيلي كما دعا الدول الاسلامية الى اتخاذ اجراءات عاجلة لخلق اطار تنظيمي لتحقيق أهداف التعاون الاقتصادي بينها •

ولأجل المصلحة العامة تقرر أن يقوم مندبو الدول الاسلامية فى الأمم المتحدة وغيرها من الهيئات بالتشاور معا بغرض اتخاذ مواقف مشتركة متفق عليها فى شتى القضايا المطروحة ..

**نجاح المؤتمر ..**

وبهذا حقق مؤتمر لاهور أهدافه الأساسية فى الدفاع عن الكيان الاسلامى الكبير واقامة الوحدة الاسلامية ، كما أكد من جديد أن التضامن الاسلامى لا يقوم على معاداة أية جماعة انسانية ولاعلى التفرقة بسبب العنصر أوالتراث ولكن على المبادىء الايجابية الخالدة .

وأخيرا ..

.. تحية للقيادة العربية الواعية التى هيأت للعمل الاسلامى انطلاقته الكبرى .

.. تحية للقائد الذى جمع قادة العرب والمسلمين على المحبة والاخاء والتفاهم المتبادل .

.. تحية لقائد الكفاح الوطنى الذى أعاد للأمة العربية والاسلامية كرامتها وعزتها .

.. تحية للقائد المؤمن محمد أنور السادات ؟

**محمد نعيم**

# الإسلام وبراءة المرأة

للأستاذ محمد محمد الشرقاوى

حين تستبد ببعض الرجال عوامل الشك فى سلوك المرأة .. أو التشكيك فى سمعتها والنيل من شرفها .. يطالبهم الاسلام بكل حزم أن يتريثوا فى الأمر ، ويتلبثوا فى الاتهام حتى لا « تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (١) » .. وهذا لا يعنى التغافل عن مسلك المرأة ، ولا التعامى عن تصرفاتها .. بل معناه الاعداد الكامل لهذا الموقف .. بجميع البراهين والأدلة القاطعة ، وقطع كل احتمال للبراءة والخلاص .. حتى يستطيع الرجل مواجهة مسئوليته تجاه شكوكه وأوهامه بصورة محددة واضحة .. لا يكتنفها لبس ، ولا يخامرها غموض .. وفيما وراء ذلك عليه أن يعتصم بالصمت ، وضبط النفس وسلبية الحكم حتى يتبين حقيقة الحال .. وينقشع عنه ضباب الريب كما قال الشاعر :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وفى ذلك يروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اياكم والظن .. فان الظن أكذب الحديث ، وهذا الظن المحذر منه فى هذا الحديث وفى قوله تعالى : «اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم(٢)» هو الجرى وراء الظنون النفسية وتصديقها ، والاستجابة لمدلولاتها ، وتحويلها من خواطر قلبية الى حقائق واقعية ، تبنى عليها أحكام الحوادث ، وتتمخض عنها آثار الحادثات .. يقول الخطابى : « المراد بالظن المحرم

---

(١) الحجرات : ٦

(٢) الحجرات : ١٢

التهمة التى لا سبب لما يوجبها ، كمن اتهم شخصا بالفاحشة ، ولم يظهر عليه ما يقتضى ذلك .. » ، ويقول النووى : « المراد بالظن المحظور التحذير من تحقيق التهمة ، والاصرار عليها ، وتقررها فى النفس بدون دليل ، أما ما يعرض للمرء فى خاطره ، ولا يستقر عنده .. فان هذا لا يكلف صاحبه به كما فى الحديث الشريف : « تجاوز الله عما تحدثت به الأمة أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل (١) » ونقله عياض عن سيفان.. وهذا يعفى الانسان مما يتوارد على مرآة وجدانه من صور متلاحقة ، وأحاديث نفس متزاحمة . تتدفق فى مخيلته تدفق النهر الهادر ، وتترك فى شعوره وارادته انطباعاتها النابضة .. وهى أبعد ما تكون عن الواقع ، وأقرب ما تكون الى الهرف والخرف، .. وقد حذر الاسلام تحذيرا مؤكدا من الاسترسال فى تلك الظنون ، والخضوع لمؤثراتها المضللة ، وايحاءاتها الملفقة .. وهذا مع عدم الاخلال بواجب الحيطة والحذر فى معاملة الآخرين ، واتخاذ سياج عاصم من التشكك ، والدقة ، واساءة الظن أحيانا .. ولكن بدون قلب الأمور ، وعكس الطبائع من تصيير الخيال واقعا ، وتجسيد الوهم حقيقة .. وهو ما يعبر عنه بحزم الأمور ، ومن أمثلتهم : « سوء الظن عصمة » وقولهم : « والحزم سوء الظن بالناس » ، وما أخرجه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى والعسكرى من حديث أنس مرفوعا : « احترسوا من الناس بسوء الظن (٢) » وهذا ما دعا الزمخشرى الى تقسيم الظن الى أربعة أقسام (٣) : واجب ، ومندوب ، وحرام ، ومباح .. فالواجب حسن الظن بالله ، والحرام سوء الظن به تعالى ، وبأهل العدالة الموثوق بهم من المسلمين ، وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم : « اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » ، والمندوب حسن الظن بمن ظاهره العدالة ، والمباح مثل قول أبى بكر لابنته عائشة رضى الله

---

(١) سبل السلام جـ ٤ ص ٢٨١

(٢) سبل السلام جـ ٤ ص ٢٨٢

(٣) المرجع السابق .

عنهما وقد وقع فى قلبه أن زوجته حامل فى اثنين : « انما هو أخواك .. أو أختاك » كما يباح الظن السىء بكل مستهتر بالقيم ، مستخف بالأخلاق والدين ، متظاهر بالفسق والمجون .. من حيث انه قد أعلن بهذا عن نفسه ، وأعذر غيره فى الاحتراس منه ، واساءة الفكرة عنه ، ومما يميز الظنون الواجب اجتنابها عما سواها : أن كل ما لا تعرف له أمارة صحيحة ، وسببا ظاهرا كان حراما يجب اجتنابه (١) اذا عرف صاحبه بالتستر والصلاح ، بخلاف من اشتهر بين الناس بتعاطى الريب حيث نقابله بعكس ذلك .

ولعل أكثر الناس هدفا لسهام التهمة ، وطلقات الاشاعات هم النساء ، ولا سيما اذا حبتهن المقادير قسطا من جمال ، أو حداثة فى سن ، أو كان فيهن ميل الى الخلطة والتعارف ، أو نزوع الى اللامبالاة .. أو كانت ظروفهن المعيشية تكتنفها عوامل تحرك الغيرة ، وتثير البلبلة .. ، ومهما يكن من أمر .. فان هذا لا يبرر اطلاقا الاجتراء على الصاق الشين بالمرأة ، أو اقتحام سياج حصانتها وعفتها .. انقيادا لمجرد الظنون والاحتمالات التى لا أساس لها من واقع ، ولا سند لها من حجة ، أو استسلاما لشكوك تختلقها أوهام الرجل ، وأشباح تصورها له أحاسيسه المرهفة ، وتقديراته الجانبية .. واذا وقع رب الأسرة فريسة لهذا الوهم الجارف فقد ينزلق الى أخطاء فعلية .. أو كلامية تدمر حياته الزوجية ، وتنهى علاقته الأسرية ، وتكون شرا ووبالا عليه وعلى أولاده ومجتمعه لا يجبره ندم عميق ، أو حسرة مضنية . وأخشى ما نخشاه من ذلك أن يصل الأمر الى حد قذف الرجل للمرأة بالعار والشنار ، أو يقع فى عرضها وشرفها بالاتهام الصريح ، بالفعل القبيح ..

ولقد عالج الاسلام تلك الظاهرة الاجتماعية الخطيرة بأسلوب نفسى ، وآخر مادى .. حرصا منه على صيانة الأنساب ، والآداب ، وابقاء على

---

(١) الزمخشرى المرجع السابق .

الرابطة المقدسة لتظل فى محراب أمنها ونقائها .. بعيدة عن شوائب التهمة ، وأدران الشكوك حتى يتم الزوجان رسالتهما فى الحياة فى اطار من الثقة المتبادلة ، والمحبة الوطيدة .

فأما الأسلوب النفسى فقد ظهر فى محاربة القرآن الكريم للظنون الآثمة، ونهيه عن تلقف الأنباء الضارة ، والوشايات المشبوهة بدون تمحيص ولا تثبت ، ومن غير تدقيق ولا تلبث .. وفى ذلك يقول الله تعالى : «يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم » والآية الكريمة تشير الى أن الظنون قسمان : قسم لا بأس بمزاولته والاهتمام به وهو الذى تؤيده الأدلة ، وتسانده البراهين، وقسم يحرم اقترافه ، والتعويل عليه وهو ما ليس كذلك يقول صاحب الكشاف فى تفسير هذه الآية(١) : « ان فى الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبين لذلك ولا تعين ، لئلا يجترىء أحد على ظن الا بعد نظر وتأمل ، وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة ، مع استشعار للتقوى والحذر ، ثم روى الحديث الشريف : « ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء » أى من غير دليل على ذلك » . ويقول الله تعالى فى آية أخرى : « يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » وفى قراءة ابن مسعود « فتثبتوا » والتثبت والتبين متقاربان معنى وهما طلب الثبات والبيان والتعرف(٢) .

كما يظهر هذا العلاج النفسى الموجه الى براءة المرأة ، كفكفة شكوك الرجل فيما رواه البخارى : « أن ضمضم بن قتادة أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : ولد لى غلام أسود ــ وكان ضمضم أبيض اللون وكأنه يستنكر أن يولد للأبيض ولد أسود ، وهذا تعريض بنفى نسب الغلام منه ، والحاق التهمة بأمه ــ فقال صلى الله عليه وسلم : هل لك من ابل ؟ .. قال : نعم ، .. قال :

---

(١) الكشاف جـ ٢ : ٣٩٨

(٢) المصدر السابق : ٣٩٣

ما ألوانها ؟ .. قال : حمر ، قال : فهل فيها من جمل أورق ( أي في لونه بياض الى سواد ) قال : نعم ، قال : فأنى ذلك ؟ .. ( أي من أين أتاه هذا اللون الذي ليس في أبويه ) فقال الرجل : لعله نزعه عرق ، وهكذا تركه الرسول عليه الصلاة والسلام يجيب نفسه بنفسه ، ويقنع عقله بمنطقه ، وكأنه يقرر حقيقة الوراثة النوعية لأفراد الجنس ويتحدث بلغة علماء القرن العشرين ، الأمر الذي أكده الرسول صلى الله عليه وسلم حين رد عليه في النهاية وقال له : « فلعل ابنك هو نزعه عرق » فانصرف الرجل بعد أن ارتاحت أعصابه ، ولان قياده ، وتلقى الحكمة صافية من نبع الحكمة .. مدعمة بقياسها ، مشفوعة بنظائرها وأشباهها.

أما الأسلوب المادي في علاج تلك المشكلة الاجتماعية الخطيرة فهي تحذير الشريعة للأزواج من مغبة الانزلاق الى القول الجزاف في اتهام المرأة والظن بها بدون بينة مثبتة ، أو حجة ملزمة ، ووضعتهم حينئذ بين فكي الرحى .. فاما الحد في الظهر ثمانين جلدة مع وصف الفسق ورد الشهادة .. ، واما اللعان بين الزوجين وما يعقبه من فرقة .. يقول صاحب الكشاف[1] : « قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا بالغا عاقلا غير محدود في قذف ، والمرأة بهذه الصفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا ، واذا كان عبدا أو محدودا في قذف ، والمرأة محصنة حد كما في قذف الأجنبيات ، وما لم ترافعه المرأة الى الامام لم يجب اللعان بينهما ، واللعان : أن يبدأ الرجل فيشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ، ويقول في الخامسة : ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، ثم تشهد المرأة أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا ثم تقول في الخامسة : ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ، ثم يفرق القاضي بينهما تفريقا هو في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد بن الحسن ، وعند زفر والشافعي : تقع الفرقة بينهما بنفس اللعان ، وعن عثمان العبي : لا تقع فرقة أصلا ، ويرى أبو يوسف وزفر والحسن بن زياد

---

(١) الكشاف جـ ٢ : ٨٤

والشافعي أنها فرقة بدون طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما أن يجتمعا بعده بوجه من الوجوه ، أما أبو حنيفة ومحمد فيريان التحريم هنا مؤقتا بحيث اذا أكذب الزوج نفسه وحد حد القذف جاز له أن يتزوجها ..

وهكذا نرى الاسلام يحوط براءة المرأة بالضمانات الكفيلة بحمايتها من قالة السوء وظن المنكر ، ويضيق على الرجل في ذلك الخناق حتى لا يفسح الطريق أمام شكوكه الملحة ، واتهاماته الطائشة ، ويحذر كل من تسول له نفسه أن يشهر بشرف المرأة ، أو يعرض بعفتها ونزاهتها من عاقبة أمره ، وينذره بالويل والثبور وعظائم الأمور كما فى قوله تعالى : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة »(١) وقوله جل وعلا : « ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم•يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون(٢) » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم غيورا على كرامة المرأة وعفتها ، ويجد من نفسه الشريفة سرورا بالغا ، وانشراحا عميقا اذا برئت بين يديه ساحة امرأة ، وزال عنها ضباب الشك والريبة روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم تبرق أسارير وجهه فقال : ألم ترى الى مجزز المدلجى .. نظر آنفا الى زيد ابن حارثة ، وأسامة بن زيد فقال : هذه الأقدام بعضها من بعض » ... وذلك أن السيدة أم أيمن الحبشية واسمها بركة كانت زوجة لزيد بن حارثة رضى الله عنهما ، وكانت حبشية سوداء أخذها عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم من سبى الحبشة الذين قدموا زمن الفيل ، فوهبها لابنه عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم فاتخذها عبد الله وصيفة له ، وقد تزوجت قبل زيد عبيدا الحبشى فولدت له أيمن واشتهرت به ، فلما بنى بها زيد وولدت له أسامة كان البون شاسعا بين لون الولد ولون أبيه اذ كان الابن حالك السواد،

(١) سورة النور : ١٩

(٢) سورة النور : ٢٣ ، ٢٤

وكان الأب ناصع البياض .. فكان الكفار يقدحون فى نسب أسامة لهذه النعلة اللونية .. ويغمزون بذلك شرف أم أيمن التى حضنت الرسول بعد وفاة أمه ، وأحسنت رعايته .. كما يسيئون بذلك كله الى الرسول صلى الله عليه وسلم الذى كان أسامة حبه وابن حبه ، .. فلما دخل مجزز المدلجى - وكان قائفا يستدل من الملامح الذاتية للشخص على انتسابه لآبائه بعد المقارنة والتفحص - رأى زيد بن حارثة وابنه أسامة نائمين وقد تغطيا بقطيفة ولم يظهر منهما الا أقدامهما المتباينة الألوان .. فحين وقع بصره على تلك الأقدام نطق بالحقيقة الواقعة التى تحمل فى ثناياها براءة أم مؤمنة ، وشرف والد كريم ، ونسب ابن أحبه الرسول من كل قلبه ، وجعله قائدا لجيشه فى أخريات أيامه وقال : « هذه الأقدام بعضها من بعض » ؟.

**محمد محمد الشرقاوى**

# القرآن يؤيد التوأمان : العلم والإيمان

للأستاذ أكرم القدسي

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » فصلت : ٥٣ « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون • الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠ •

فى هذا البحث سأحاول بعون الله تعالى كشف النقاب عن بعض الأدلة القرآنية الواضحة التى بينها الله فى الكتاب والتى تثبت كروية الأرض وحركة دورانها حول نفسها فى فلك الشمس بما يتشكل منه الليل والنهار، ولئن جاء هذا البحث متأخرا فلأن البعض من أنصاف أرباع المتعلمين من الناس من الذين أعمى التقليد الأعمى أبصارهم لا زالت أعينهم مغلقة عن رؤية الحق الواضح الذى بينه الله فى الكتاب مقلدين رأى المتأخرين تقليدا أعمى يجادلون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير • ولقد أردت من وراء هذا البحث أن أبين للناس ما أنزل الله اليهم من البينات والهدى والكتاب المنير لكى أنجو عند الله من وطأة تهديد ووعيد منطوق ومفهوم الآية الكريمة التى توجت بها صدر هذا المقال • وقد نهجت فى منهجى هذا سبيل الحق والاعتدال ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب • ولا خلاف بأن الاعتدال هو الطريق الواضح فلا افراط فيه ولا تفريط معه ـ لا الى أقصى اليمين ولا الى أقصى اليسار ـ ولكنه الوسط العدل والصراط الحق المستقيم ، محاولا بذلك التوفيق بين حماس الشباب المؤمن بالله وباليوم الآخر، وعلى علم بالأبحاث الكونية وعلوم الجيولوجيا والهيئة التجريبية الموافقة لمنطوق ومفهوم الآيات القرآنية وبين حكمة الشيوخ الأعلام من العلماء العاملين المحافظين على أصول هذا الدين لكى لا يكون القرآن الكريم كتاب الله العظيم هدفا وشواهد

لنظريات أولئك الملاحدة من مدعي العلم والتجريب الذين لا يريدون من وراء ذلك الا تنفيذ مخططاتهم بأن ينفذوا الى عقول الشباب المؤمن للتشكيك فى العقيدة والدين أمثال (داروين) واضع نظرية تطور الانسان من قرد حيوان الى فيلسوف انسان •• هذه النظرية الخبيثة التى لا يراد منها الا تجريد الانسان المؤمن من كافة المثل العليا للانسانية والقيم الروحية وجعله فى مستوى الحيوان المسخر لهذا الانسان ليعيش فقط للشهوة والطعام عدا كون هذه النظرية الخرافية تفتقر الى الكثير من الشواهد والأدلة والبرهان للنهوض بها بعد أن أفلست وتقوقعت على نفسها وهى تبحث عن الحلقة المفقودة بين هياكل وجماجم القردة ، علما بأن علوم الجيولوجيا والبيولوجيا والتكنولوجيا تسخر من هذه النظرية التى لا زالت فى الحضيض بالرغم من الأبحاث الكثيرة التى أجريت لها حتى أن من بين الذين تراجعوا عنها من العلماء من يقول : ( ان داروين لم يقل أن القردة اذا ارتقوا وتطوروا صاروا انسانا بشرا واذا كان هذا القول قد ورد فعلا فانه مدسوس عليه وعلى جميع علماء التطور لأن الانسان المتحضر جنس والقرد الحيوان جنس آخر ـ والتشابه فى الصورة والهيكل بين الانسان المتحضر والقرد الحيوان لا يلزم التطور والتجانس والارتقاء بينهما لأن ذلك لا يكون الا فى الجنس الواحد ولا ينتقل الى الجنس الآخر ) •

وهنا نريد أن نقف قليلا عند كلمة ( مدسوس عليه[1] ) وهذا ما حرص عليه علماء الدين الأعلام من أن يتورط الشباب المؤمن فيتقبلوا النظريات المدسوسة على العلم باسم العلم والتى لا يقصد من ورائها الا الاباحية والتحلل من القيم الأخلاقية والخوض فى الشهوات الحيوانية لدسهم على العلم وباسم العلم « أن الانسان من أصل حيوان » فتنهار بذلك جميع القيم الروحية والمقومات المثالية التى تنهض بالانسان الى مستوى خليفة الله فى الأرض • فلنتأمل مدى الأبعاد الداروينية التى يراد منها هدم العقائد

---

(١) من كتاب قصة السماوات والأرض للدكتور محمد جمال الفندى والدكتور محمد يوسف حسن .

الايمانية والمثل العليا الانسانية والقيم الروحية والأخلاقية والله أعلم ، حيث يقول تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم » وقوله الحق : « انى جاعل فى الأرض خليفة » صدق الله العظيم •

لهذا أقول : اننى مع أولئك الشيوخ الأعلام الذين حددوا موقفهم بصراحة ووضـوح من نظريات علماء الهيئـة والتطور والتجريب باعتبار أن القرآن الكريم هو كتاب هداية ودين قبل أن يكون دليـلا على شـواهد ونظريات الخلق والتـكوين التى هى وسـيلة للايمان لا غاية يقف عندها الانسان •

ولكن عند ما تستوى النظريةالعلمية وتخـرج من حيز التجربة الى حيز الواقع وتصبح بعـدها حقيقة ثابتـة مقبـولة مـؤيدة بالدليـل والبرهان ولا تتعارض مع نصوص الاسلام فلابد بعـد ذلك من أن يتـدخل القرآن باعتباره الدستور الالهى الجامع لكل خير وعلم وفضيلة ولا بد من أن نجد فى نصـه الصريح ما يؤيد العـلم الصحيح لأن العلم والايمان توأمان يؤيد بعضـهما البعض ويكون تدخل القرآن عند ذلك مستحبا ومرعبا فيه بحيث تفسر الحقائق القرآنية بالحقائق العلمية الثابتة التى استقر عليها العلم وأيدها الايمـان والبرهان ، وانتفى عنها الجدل والنقصان ونحن اذ نؤمن بحق علم اليقين أن هذا الكون العظيم هو من خلق الله تعالى العظيم خالق الكون والانسان والحياة فلا تعارض اذا بين خلق‌الله ودين الله وكتاب‌الله• « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » •

فالعلم الصحيح يكون دائما موافقا ومتفقـا مع النص الصريح وسنرى كيف أن القرآن الكريم هـو الحق المبين والصراط المستقيم هدى ورحمة للعالمين يتفق دائما مع نتائج الحقائق الثابتة عن العلوم والمكتشفات بالدليل والبرهان لأن القاعدة الأصولية تقول : « صـحة النتـائج تدل على صـحة المقدمات » و « سوء النتائج يدل على سوء المقدمات » وكذا صواب النتائج •• وكذا خطأ النتـائج •• وهـذا بلا ريب من دلائل كشف الستار عن حقيقـة الاسـلام ، دين الله العظيم والصراط المستقيم ، وعلى مدى فعالية اعجاز آيات القرآن الكريم ومنها قوله تعـالى فى سـورة الـزمر : « خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل

على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار » فى هذه الآية القرآنية الكريمة دلالة واضحة وصريحة على كروية الأرض فى نص القرآن الكريم ، كما تدل أيضا على دوران الأرض حول نفسها فى فلك الشمس بما يتشكل منه الليل والنهار نتيجة حتمية لدورتها المنظمة فى مدارها حول نفسها مؤكدا سبحانه وتعالى هذه الحقيقة بآيات بينات وشواهد واضحات فى القرآن . منها قوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء » وفى قوله تعالى : « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » وفى قوله تعالى : « رب المشرقين ورب المغربين » وغير ذلك من الآيات الكثيرة لقوم يعقلون ولقوم يتفكرون .

هذه الحقائق القرآنية الثابتة التى أظهرها العلم بعد أن سبق اليهاو كشف عنها وبينها القرآن الذى دل بآياته البينات على كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس هذه الحقيقة التى لم تعد بعد الآن مجرد نظرية علمية جغرافية فحسب بل أصبحت حقيقة علمية ثابتة مرئية ، تجاوزت الدليل والبرهان الى الواقع المنظور بعد أن وافق رسمها وتخطيطها الجغرافى تصويرها الاليكترونى التليفزيونى الفوتوغرافى بأنها حقا كما نبأنا الله عنها بأنها كروية مكورة الشكل مستديرة تدور حول نفسها فسبحان الله الذى « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » ولعل تسمية الأرض علميا بالكرة الأرضية نظرا لأنها مكورة الشكل لا يتعارض أبدا بين هذه الآية والآية الأولى من سورة التكوير : « اذا الشمس كورت » فالتكوير لغة وتفسيرا هو اللف والدوران وفى القاموس المحيط أمثلة على ذلك منها : «العمامة مكورة» بمعنى لفها وجمعها حول الرأس فيتضح كيف أن معنى التكوير فى الآيتين واحد وأن معنى الآية الكريمة « اذا الشمس كورت » كناية عن لفها ودورانها حول نفسها والقائها خارج الجاذبية فتكور وتمور فى فضاء الكون الفسيح الى ما شاء الله ، والله أعلم بمصيرها ومنتهاها . والقرآن الكريم اذ يؤكد حقيقة التكوير للأرض مرتين

فى آية الزمر انما يفعل ذلك تنبيها لنا للاستفادة من فهم تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل هو كروية الأرض ودورانها حول نفسها (١) بما يتشكل منه آيتى الليل والنهار ( ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) ، وهذه الأدلة القرآنية تأتى نتيجة حتمية ردا على أباطيل وافتراءات أولئك المخرفين من مرتزقة الدين الذين أساءوا لأنفسهم كما أساءوا فى الفهم والغلو فى الدين فكانت أفكارهم الجامدة المتحجرة المنفرة من الدين سببا نعانى منه اليوم فى مجتمعنا المتحضر وذلك فى اتهام الاسلام والمسلمين بالرجعية والرجعيين ، كل ذلك بسبب قول هؤلاء المتطفلين على الدين ( بأن لا دليل فى القرآن الكريم يدل على كروية الأرض ) ، هذا القول الباطل لم يقل به عالم بعلوم القرآن واللغة والتفسير وما قال به هؤلاء المرتزقة الا لجهلهم فى الدين وعدم فهمهم ودراستهم للقرآن الكريم القائل فى محكم التنزيل ( وما أوتيتم من العلم الا قليلا ) ( وقل رب زدنى علما ) •

مع العلم أن أنصاف أرباع المتعلمين هم أخطر على الدين من الجاهلين لأنهم يحسبون أنهم على علم وأنهم يحسنون صنعا فيحاولون بغير علم أن يجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق •

وقد بين الله تعالى فى الكتاب بالدليل الواضح أن الأرض كروية الشكل تدور حول نفسها وحول الشمس كما فى سورة الزمر وغيرها من السور مما لا يحتاج معه الى تأويل والله يهدى السبيل وهو حسبى ونعم الوكيل•(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون• هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ) صدق الله العظيم •

وقد بين كل من العلامة المرحوم محمود شكرى الألوسى فى كتابه ( ما دل عليه القرآن ) والعالم الأستاذ المرحوم أحمد فوزى الساعاتى فى رسالته (البرهان فى اعجاز القرآن ) : بأن القرآن الكريم يتضمن الكثير من الآيات القرآنية والشواهد التى تدل على

---

(١) فى فلك الشمس حيث تتم دورة كاملة خلال كل ٢٤ ساعة •

كروية الأرض ودورانها حول نفسها في مدارها في فلك الشمس ولا ينافي كرويتها ما يدل في ظاهر بعض الآيات القرآنية على المد والبسط والشق والفرش والدحي ولا تعارض أبدا بين هذه الآيات وبين الآيات التي تدل بوضوح على كرويتها ذلك لأن المراد بالآيات الظاهرة هي التوسعة بما يحصل الانتفاع به بوجود الحياة فيها ولا يلزم من ذلك نفي كرويتها • مع العلم بأن الأرض كما هي في فضاء الكون الفسيح بأجوائها (١) وبحارها وأنهارها وجبالها وسهولها ووديانها كتلة واحدة مكورة تدور حول نفسها في مدارها في فلك الشمس وأن الكرة العظيمة ترى كالسطح المستوى بحيث يقرب أقواس سطحها الى الخط المستقيم كما هو معلوم في علم الهندسة ،والجدير بالذكر أن القرآن الكريم صالح لكل المستويات الفكرية والمفاهيم المختلفة عند الانسان ويكمن سر اعجازه أنه صالح لكل عصر وزمان وكأنه أنزل فيه ، فينهل منه كل منهم حسب استعداده وفهمه وتفكيره ومستواه كما قال الله تعالى : ( ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ) صدق الله العظيم •

والقرآن الكريم اذ يدل بوضوح على نتيجة المسلمات العلمية والكونية انما يفعل ذلك تبيانا للناس وتبيتا للمؤمنين واعجازا منه لدعوة أولئك الحيارى المترددين بين زحمة المبادىء والعقائد والمذاهب الأدبية والسبل الفلسفية حيث يقف الاسلام المتمثل بالقرآن الكريم على مفترق الطرق ينادي أبناءه التائهين في خضم هذا العصر المضطرب الحزين ، المتنكرين لاسلامهم وقرآنهم منذ حين يذكرهم بالعهد والميثاق (٢) ويدعوهم الى

(١) علما بأن اجواء الكرة الأرضية طبقات من بخار الماء والهواء والغازات الأكسجين والادروجين والنتروجين واكسيد الكاربون وغيره •

(٢) الوصايا العشر في سورة الأنعام •

المثالية الاسلامية(١) والصراط المستقيم بآيات من القرآن الكريم بلسان عربى مبين ( وأن هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفـرق بكم عن سـبيله ذلكم وصاكم به لعلـكم تتقون ) صدق الله العظيم .

وخلاصة القول : ان العربى المسلم انسان ايجابى عقائدى تقـدمى قيادى واع يتفـاعل مع العلم والايمـان ، وتقدمية وايجابيـة عقيدة الاسـلام ، فيجدد فهمه للقرآن وللمثالية الاسلامية فى كل عصر وزمان ثائرا على التخلف والفساد والجهـل والالحاد والظلم والاستبداد وبهذا القدر كفاية ..

( ربنـا آمنـا بمـا أنزلت واتبعنـا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ) .

والحمد لله رب العالمين والصـلاة والسلام على خاتم النبيين وامام المرسلين وآله وصحبه أجمعين .

( قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين ) قرآن كريم

**اكرم القدسى**

---

(١) الاسلامية : سيد المذاهب الادبيـة قائم بذاته جامع لـكل خـير وفضيلة يستلهم مفاهيمه من تعاليم الاسلام الدين الـكامل والمنهج الشـامل والنعمة التامة لخير هذه الامة .

اقرأ كتاب : ( الاسلامية والمذاهب الأدبية ) للدكتور نجيب الكيلانى .

و ( الطريق الى اتحاد اسلامى ) للدكتور نجيب الكيلانى .

و ( اقبـال ) للدكتور نجيب الكيلانى .

# مَنْ يثبُت لهُ حق الشّفعَة

للدكتور ابراهيم دسوقى الشهاوى

— ٢ —

بينا فى المقال السابق رأى جمهور الفقهاء فى عدم ثبوت الشفعة للشريك فى حقوق المبيع والجار الملاصق الذى لا شركة له فى حقوقه وناقشنا أدلتهم، ونأخذ فى عرض باقى الآراء مصحوبة بأدلتها توطئة للوصول الى الرأى الراجح فى هذا الموضوع •

رأى الحنفية :

يرى الحنفية ثبوت الشفعة للشريك فى حقوق المبيع والجار الملاصق الذى لا شركة له فيها بالسنة والمعقول • واستدلوا بما يأتى :

من السنة :

أولا : ما رواه البخارى عن عمرو ابن الشريد عن أبى رافع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( الجار أحق بصقبه ) (١) •

ووجه دلالة هذا النص الشريف ، أن الصقب معناه القرب (٢) • والباء للسببية ، فمعنى الحديث : الجار أحق من المشترى الذى لا جوار له بسبب قربه ، والمراد من الحق الشفعة ، بدليل التصريح بها فى حديث سمرة ، وهو ما رواه الترمذى عن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« جار الدار أحق بالدار من غيره »

فيكون حديث أبى رافع مفيدا لثبوت الشفعة للجار الملاصق بمنطوقه ، لأن معناه الجار أحق بشفعة جاره بسبب قربه ، ويفيد ثبوت الشفعة للشريك فى حقوق المبيع بطريق دلالة النص ، لأنه أقوى منه حالا ، اذ لايزال بينهما اشتراك فى حقوق المبيع •

---

(١) عمدة القارى جـ ١٢ ص ٧٣ ، نصب الراية جـ ٤ ص ١٧٤

(٢) القاموس المحيط جـ ١ ص ٨٢ ، ٩٢

وأما المعقول فقالوا :

ان العلة فى ثبوت الشفعة للشريك فى ذات المبيع هى اتصال الملك اتصالا يدوم ويتأبد ، فتثبت له الشفعة عند وجود المعاوضة بالمال ليدفع الضرر عن نفسه ،وهذا المعنى موجود بالنسبة للشريك فى حقوق المبيع والجار الملاصق فيلحقان بالشريك فى ذات المبيع بطريق دلالة النص، لأن الشفعة تثبت فى الشركةلافضائها الى المجاورة فتثبت لهما الحاقا به ، وانما قدم الشريك فى ذات المبيع عليهما ، لأن الاتصال بالشركة فى ذات المبيع أقوى (١) •

وقد أجيب عن هذا الاستدلال ، بأنه مبنى على أن الشفعة شرعت لدفع ضرر المجاورة والاتصال • وهذا غير مسلم ؛ لأن الشفعة شرعت لدفع ضرر القسمة أو الشركة •

ورد هذا الجواب بأن ضرر القسمة أمر مشروع لا يصلح علة لالحاق الضرر بالمشترى وانتزاع ملكه جبرا عنه وضرر الشركة لو كان علة فى ثبوت الشفعة لوجب أن تثبت الشفعة بالشركة فى المنقول • والمخالفون لا يقولون بالشفعة فى المنقول أصالة • وانما الشفعة فى العقار وما فى حكمه •

والرأى الثالث والأخير • أن الشفعة تثبت للشريك فى حقوق المبيع • ولا تثبت للجار الملاصق الذى لا شركة له فى حقوقه • وقد استدلوا بالسنة والمعقول أيضا •

أما السنة : فما رواه أحمد وأبو داود والترمذى عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجار أحق بشفعة جاره ، ينتظر بها وأن كان غائبا ، اذا كان طريقهما واحدا(٢) » •

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أنه يفيد بمنطوقه ثبوت الشفعة للجار بشرط اتحاده مع جاره فى الطريق ، فاذا وجد الشرط ثبتت الشفعة • وان لم يوجد لم تثبت ، لأن المشروط ينتفى بانتفاء شرطه • فهو يفيد ثبوت الشفعة للجار الذى له شركة فى

---

(١) المبسوط جـ ١٤ ص ٩٣ ، والتكملة على الهداية جـ ٧ ص ٤١٠ .

(٢) الشوكانى جـ ٥ ص ٢٨٤ ، نصب الراية جـ ٤ ص ١٧٣

حقوق المبيع ، وينفيها عن الجار الذى لا شركة له فى حقوقه .

وقد أجيب عن هذا الاستدلال بأن افادة الحديث عدم ثبوت الشفعة للجار الذى لاشركة له فى حقوق المبيع ، مبنى على القول بحجية مفهوم المخالفة ، ونحن لا نسلم القول بحجيته . فالحديث يدل بمنطوقه على ثبوت الشفعة للجار عند اتحاد الطريق ، أما عند اختلافها فالحديث ساكت عنه ، ويعرف حكمه من دليل آخر ، وقد وجد ، وهو حديث أبى رافع :

« الجار أحق بصقبه » . وحديث سمرة عند الترمذى « جار الدار أحق بالدار من غيره » .

ولو سلمنا القول بمفهوم المخالفة ، فهو معارض بمنطوق الأحاديث التى تثبت الشفعة للجهاز مطلقا ، والمفهوم لا يقوى على معارضة المنطوق ، فلا يحتج به .

وأما المعقول : فهو أن شرعية الشفعة لدفع ضرر الدخيل ، وهو فى الغالب يكون مع شدة الاختلاط . وذلك لا يكون الا مع الاشتراك فى نفس المبيع أو فى حقوقه ومرافقه الخاصة به . ويقل الضرر عند عدم ذلك . وعند قلة الضرر يكون ضرر المشترى أعظم فلا يناسب شرع الشفعة .

وأجيب عن هذا : بأن ضرر الجار لا يقل عن ضرر الشريك فى المبيع أو فى حقوقه ؛ فان الجار الجديد قد يكون سىء الخلق ، غليظ الطبع ، لا يأمن جاره بوائقه ، فلا فرق بين الشريك والجار فى حصول الضرر المتوقع . فالمناسب شرع الشفعة للجار كما شرعت للشريك ، وخصوصا فى هذا الزمن الذى قلت فيه مراعاة حق الجار . فأخذ الجار بالشفعة فيه كمال العناية بقواعد العدل والانصاف .

الرأى المختار :

والمختار من الأقوال الثلاثة التى عرضناها هو قول الحنفية بثبوت الشفعة للشريك فى حقوق المبيع والجار الملاصق الذى لا شركة له فى حقوق المبيع ؛ لقوة أدلتهم ، ولأن العمل به يحقق المقصود من الشريعة ، وهو رفع الضرر ما أمكن ، وخصوصا عن الجار الذى أوصى الله ورسوله برعايته

ومعاملته معاملة حسنة • ولا شك أن تشريع الشفعة له لرفع الضرر عنه من المعاملة الحسنة التى شرعها الله تعالى له •

من تثبت له الشفعة فى القانون الوضعى ؟

تثبت الشفعة فى القانون الوضعى لأربعة :

الأول : الشريك الذى له حصة شائعة فى العقار المبيع •

الثانى : الجار المالك • وهو من يملك عقارا متصلا بالعقار المبيع • وتثبت له الشفعة فى ثلاث حالات :

الحالة الأولى : اذا كان العقار المبيع من الأراضى المبنية أو المعدة للبناء • بشرط أن يكون العقار المبيع متصلا بعقار الجار المالك ولو من جهة واحدة •

الحالة الثانية : اذا كان العقار المبيع غير مبنى وغير معد للبناء كالأرض الصالحة للزراعة سواء أكانت مزروعة بالفعل أم لا ، بشرطين :

الشرط الأول : أن تكون أرض الجار ملاصقة للأرض المبيعة من جهتين متجاورتين كالحدين الشرقى والقبلى • أو غير متجاورتين كالحدين الشرقى والغربى •

الشرط الثانى : أن تساوى أرض الجار نصف قيمة الأرض المبيعة • فاذا انعدم الشرطان أو أحدهما فلا شفعة للجار •

الحالة الثالثة : اذا كان للعقار المبيع حق ارتفاق على عقار الجار • أو كان لعقار الجار حق ارتفاق على العقار المبيع ، سواء كانت العقارات مبنية أو معدة للبناء ، أو زراعية ، وسواء كانت العقارات فى المدن والقرى أو فى غيرهما • فتثبت الشفعة للجار بشرط أن يكون عقار الجار متصلا بالعقار المبيع ولو من جهة واحدة •

الثالث : مالك الرقبة • وهو من يملك عقار للغير عليه حق انتفاع كمن يملك دارا ولغيره حق السكن بها مدة معينة • أو أرضا زراعية لغيره حق زراعتها مدة معلومة • فاذا باع صاحب حق الانتفاع حقه كان لمالك العين حق أخذه بالشفعة ليتخلص من حق الانتفاع المقرر للغير على عقاره • ويعود اليه الملك تاما •

الرابع : صاحب حق الانتفاع . وهو من له حق الانتفاع على العقار المبيع كله أو بعضه . كأن كان مستأجرا له مدة معينة مثلا . فلو بيع هذا العقار المقرر عليه هذا الحق . كان لصاحب حق الانتفاع أخذه بالشفعة . هذا اذا كان صاحب العقار واحدا . أما اذا كان متعددا وباع أحدهم نصيبه ولم يأخذ باقى الشركاء بالشفعة فانه فى هذه الحالة يكون لصاحب حق الانتفاع الأخذ بها(١) .

**مقارنة بين الشريعة والقانون**

بالنظر فى القانون الوضعى الخاص بمن تثبت له الشفعة يتبين لنا :

أولا : أنه أثبت الشفعة للشريك الذى له حصة شائعة فى ذات المبيع . فوافق فى هذا رأى فقهاء الشريعة .

ثانيا : أنه أثبت الشفعة للجار الملاصق فوافق بذلك قول الحنفية فى المبدأ . ولكنه خالفهم فى التقييد بأمور لم يقل بها الحنفية كاشتراط الملاصقة من جهتين . وكون ثمن أرض الجار مساويا نصف ثمن الأرض المبيعة . وذلك فيما اذا كان العقار أرضا صالحة للزراعة .

وقد قصد القانون بذلك التضييق من دائرة الشفعة . ولكنه غفل عن مقصود الشارع من شرع الشفعة . وهو رفع الضرر الحاصل بالمجاورة . سواء وجدت هذه الأمور أم لم توجد .

وثالثا : أنه أثبت الشفعة لمالك الرقبة اذا بيع حق الانتفاع المقرر على ملكه . ولصاحب حق الانتفاع اذا بيع العقار المقرر على هذا الحق . والشريعة لم تثبت الشفعة لهما ؛ لأن الشفعة انما تثبت فى العقار . وحق الانتفاع ليس عقارا . فلا تثبت فيه الشفعة ولا به ، لأنه حق مؤقت غير مؤبد وغير مستقر . فالضرر فيه زائل أو قليل . والشفعة انما شرعت لرفع الضرر الكثير الذى شأنه الدوام والاستمرار . ولو قيس الضرر الذى يلحق المشترى من انتزاع ملكه وحرمانه من ثمرة صفقته بالضرر الذى يلحق صاحب حق الانتفاع أو مالك الرقبة؛ لوجدنا الأول يفوق

---

(١) أنظر الشفعة فى القانون الاهلى والمختلط وفى الشريعة الاسلامية . تأليف د . محمد كامل مرسى ــ ط ثانية .

الثـــانى بـكثير ، وارتـكاب أخف الضررين واجب ، والشفعة لم تشرع الا لرفع الضرر الأشد فى مواجهـة الضرر الأخف ، على أن وقوع هاتين الحالتين نادر ، والأحكام انما توضع لمـا هو الكثير الغالب .

ومن ذلك يتبين بوضوح أن الحق ما ذهب اليه فقهاء الشريعة من عدم ثبوت الشفعة لمـالك الرقبة وصاحب حق الانتفاع . وثبوتها للجار بدون اشتراط المجاورة بالحد من جهتين ، وبدون تحديد لثمن عقاره ؟

**د . ابراهيم دسوقى الشهاوى**

# النظام الإدارى فى الإسلام

## طرق الإدارة ومركز الضبط الإدارى منها

للدكتور مصطفى كمال وصفى

— ٦ —

من المقرر – كما بينا – أن الدولة تتدخل فى الحياة العامة بطريق من ثلاث ، هى الطرق المعروفة باسم « النشاط الادارى » .

وقد عرضنا من قبل للطريقة الأولى ، وهى الادارة المباشرة .

ونتعرض الآن للطريقة الثانية ، وهى التدخل بالمساعدة .

ويكون التدخل بالمساعدة اما بأداء المعونات الاقتصادية للمشروعات الخاصة – بالمدفوعات المالية أو بخفض الضرائب ونحوه والمعونات والحماية الجمركية – أو بالاقتصاد المشترك أو المختلط . وهو أن تساهم الدولة – كشريك – فى مشروع خاص ، فتدفع جزءا من رأس المال ، غالبا ما يزيد على النصف حتى تتسلط على الادارة .

وهذه الطريقة – فى حد ذاتها – أكثر موافقة للاسلام .

ولكنها فى الدولة الاسلامية ليست منتظمة ولا مؤكدة . وذلك بسبب أن موارد الدولة الاسلامية – كوظيفتها – لا تكفى لمواجهة الاقتصاد بشكله الحديث . وخاصة أنها أصبحت مشغولة – بلا ريب – بتكاليف التسليح الباهظة ، التى تتطلب – بلا أدنى ريب – لجوءها الى الأفراد للقيام بهذا الواجب لقوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

فلا شك أن المعونة والمساعدة من أوجب واجبات بيت المال ، وعليه أن ينفق منها للأغراض الشرعية السابق ذكرها . كما أنه – فيما نرى – لا بأس بالمشاركة بالمال ، فان الشركة عقد شرعى ، وهو جائز ما دام للأغراض والمقاصد الشرعية .

انما يجب أن تسمح المالية العامة بذلك ، وهى ليست معدة بحيث تتسع

لما يطرأ من أسباب الصرف ، خلافا للميزانية الحديثة فانها تعد فى ضوء المصروفات أولا ، ثم تدبر الموارد اللازمة لكى تغطى هذه المصروفات •

وهى مشغولة ـ فى الغالب ـ فى أغراض التسليح ونحوه مما لا يدع مجالا للتوسع فى هذه السياسة ، لأن الدولة الاسلامية هى دولة مجاهدة ولا سبيل لعزتها الا عن طريق تثبيت هيبتها •

ومن المعلوم أن الموارد الاسلامية تقوم أولا على الغنائم ، وهى ما أخذ من الأعداء ، وخاصة أراضى البلاد التى توقف لمصالح المسلمين ـ كما هو مقرر عند المالكية والحنابلة ـ ويكون ما يدخل منها فى بيت المال من خراج من ضمن الموارد التى تصرف على المصالح • ومساعدة المشروعات هى من المصالح بلا ريب طبقا لضوابط المقاصد الشرعية •

وأما الزكاة فالغالب أن يقوم مخرجوها بانفاقها فلا تدخل فى الموارد العامة • وان دخلت تقيدت بمعارفها الشرعية التى نص عليها القرآن •

وكذا الأوقاف والحبوس مقيدة بمصارفها • وقد لايتسع أى من ذلك للانفاق على مساعدة المشروعات العامة •

وأما فرض الفروض للنوائب والنوازل فليس مصدرا معتادا • بل هو استثنائى • وقد عرض له الامام أبو عبيد بن سلام بما يشعر التحديد، فقرر جوازها قال فى معونة أهل البادية ونحوهم ممن لا يأخذون من الفىء : « ولأولئك من الحقوق فى المال ، لا تدفع اذا نزلت ، وهى ثلاثة أوجه : الأول : ان يظهرعليهم عدومن المشركين فعلى الامام والمسلمين نصرتهم والدفع عنهم بالأبدان والأموال لقوله تعالى : ( وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر ) والثانى:أن تصيبهم الجوائح من جدوبة تحل ببلادهم فيصيرون منها الى الحطمة (الشدة) فى الأمصار والأرياف ،فلهم فى المال المغوثة والمواساة ، والثالث: أن يقع بينهم الفتق (الفتن والمنازعات) فى سفك الدماء حتى يتفاقم فيه الأمر، ثم يقدر على رتق ذلك الفتق واصلاح ذات البين وحمل تلك الدماء بالمال ( أى بدفع الدية والقود ) فهذا حق واجب لهم ، فهذه الحقوق الثلاثة

هى التى تجب لهم فى الكتاب والسنة: الجائحة ، والفتق ، وغلبة العدو من المشركين ، وعليها كلها شواهد فى التنزيل والآثار (١) .

وبذلك فإن أبواب هـــذه المعونات تقوم على ما يلى :

١ ـ أن يوجد المـال الـكافى فى بيت المـال .

٢ ـ أن يتوجـــه الى الصرف فى ذلك فى المصـارف المعتبرة شرعا .

٣ ـ أن لا تقصد الذمم الخاصـة لهذا الأمر الا فى حدود ما تسمح به الشريعة من الاعانة فى النـــوازل ، وهذا أمر استثنائى .

فأما عن توجه الصرف فى ذلك الى المصارف المعتبرة شرعا ، فان بيت‌المال ـ كمـــا هـــو معروف ـ ينفق على الأغراض المقررة فى المصـــالح أو المقاصد الشرعية السابق ترتيبها ، وهى حفـــظ ضرورات الدين ، والنفس ، والنسل ، والعقل ، والمـال ، ثم حفظ الحاجيات ثم التحسينات فى هـــذه الأمور بترتيبها .

فيصح فى ذلك أن تبذل المعونات لمشروعات الرى والصرف واقـامة الجســور والقنـاطر ، والمستشفيات والمدارس ونحوها،فهذه‌أوجه‌للصرف نصت عليها كتب الفقه .

وكذا يصـــح بذلهـــا فى اقامة مشروعات انتاج مثل الأدوية ، ومصانع انتاج الأغذية ، والأثاث ، والاسكان ، والمواصلات ، ومن باب أولى المصانع الحربية ، وتمويل سائر المشروعات التى تتحقق بهـا المصالح الشرعية . وليس الأمور المـكروهة فى الشرع أو الممنـــوعة فيـــه كالملاهى وأمكنـة المقامرة والفنون غير الاسلامية كنحت التماثيل ، فلا يجـوز ذلك ولو أدى الى الدخل؛لأنه لايكون كسبا حلالا، ولا يجوز تنشيط السياحة عن هذا الطريق .

وغنى عن البيان أنه يبدأ فى ذلك بالضرورات على ترتيبها قبل الحاجيات وهذه قبل التحسينات . فاقامة المدارس أولى من غيرها لأنها تؤدى الى حفظ الدين ، واقامة المستشفيات قد تكون أولى من اقامة الطرق لأن الأولى أمس

---

(١) طبعة مكتبة الكليـات الأزهرية ســـنة ١٩٦٨ بتحقيق الهراس . ص ٣٢٥ ، ٣٢٦

بحفظ النفوس ، وان كانت للأخرى - وهى اقامة الطرق وتيسير المواصلات - دخل فى ذلك ، لأن حياة النفوس قد تتوقف عليها .

وهذا أيضا من المصالح المرسلة التى تطبق فى كل وقت بما فيه نظر للصالح العام . فليس دائما انشاء المدرسة أولى من انشاء المستشفى ولا انشاء المستشفى أولى من انشاء الطريق ، بل تسمح مرونة التخطيط والتطبيق بمسايرة الاحتياجات المطلوبة واستيفائها حسب حكم الوقت ومتطلباته .

ولا بأس - فيما نرى - من أن تنطوى المساعدة على اشتراط التسلط على ادارة المشروع،بأن تضمن الحكومة لها أغلبية فى رأس المال ، لأن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة ، وهذا من المبادىء الشرعية .

وما دامت الدولة والأفراد كلاهما مقيد بأهداف واحدة ومشروعية نعم ان المصلحة والهدف يكون اليد العليا فى المشروع الذى تساعده .
نعم أن المصلحة والهدف يكون واحدا فى الشريعة الاسلامية ، ولكن الدولة أكثر شعورا وتمحضا للصالح العام من الفرد الذى قد تلابسه نوازع المصلحة الخاصة ولو من حيث لا يشعر .

ويجب أن تكون المعونة فى ذاتها بوسائل مشروعة ، فلا يجوز أن تكون طريقة الاعانة غير مقبولة شرعا ، ولو أدت الى غاية مشروعة .

فلا يجوز فرض القروض على المشروعات المنافسة حماية لمشروع معين ، ما دامت هذه الفروض بانذات ليست مشروعة فى الاسلام ، ولا تقرير احتكار لهذا المشروع فى غير الأحوال الجائزة شرعا ، اذ لا تغنى مشروعية الغاية عن عدم مشروعية الواسطة . فنحن لا نعرف فى الاسلام أن الغاية تبرر الواسطة .

وانما يجوز أن تكون المعونة مثلا بنحو الاقطاع ، تمليكا أو انتفاعا ، مع ما يتضمنه الاقطاع من الاختصاص والاحتكار .

فيجوز أن تكون المساعدة فى شكل منح الشركة امتياز استخراج معدن - من ملح أو بترول أو حديد -

بمقـــابل قليـــل • أو بلا مقابل فى الأحوال التى يجوز فيها ذلك •

ويجوز أن تكون المساعدة فى شكل استعمال مجانى أو بجعـــل مخفض لأموال الدولة ، ولو بالقرار واقامة المبـــانى وغرس الأشجار ونحو ذلك فهذا ـ فيما نراه ـ لا ينافى الشرع •

وهذه الوسيلة نوصى بهـــا مالم تعارض الاعتبارات الشرعية والمـالية السابق ذكرها •

ولكنها أصبحت الآن أقل أهمية فى التطبيق العملى بسبب ظهور التوســع فى الادارة المباشرة بكثرة المؤسسات العامة والشركات العامة التابعة لهـا ، وسائر الوحدات التابعة للدولة •

فانه اذا قامت الدولة بالعمـــــل بنفسها ، انعدمت مناســـبة المساعدة والاسهام فيه •

ولذلك فقد اختفت هذه الطريقة نهائيا من معظم البلاد الشيوعية • وأخذ بها بعضها الأخر بطريق محـــور ، وذلك كما فى البلاد التى تتوسع فى الجمعيات والمجمعات التعـــاونية أو المـــلوكة للعاملين ، والتى تنال من الدولة مزايا باهظة وامتيازات كبيرة واعفاءات فى الضرائب وغيرها •

والملـــكيات التعاونية مشروعة فى الاسلام لأنها من قبيل الشركة،ولذلك فمعونتهـــا ـ بالطرق الشرعيـــة ـ مشروعة لا بأس بها • فاذا أسهمت الدولة فى الملكية التعاونية كان ذلك ـ فى الغالب ـ اقتصادا مختلطا ينطبق عليه ما رأيناه •

ولا بأس بذلك أيضا فى الاسلام ـ فيما نرى ـ مالم يعارض الأصـــول الشرعية السابق ذكرها ؟

دكتور مصطفى كمال وصفى

# أبو حنيفة... وحرية الرأى

للأستاذ عبد الغنى أحمد ناجى

المتتبع لتاريخ أبى حنيفة يجد فيه منذ صغره ذلك الرائد المنادى به دائما فى مجال الاجتهاد ، فنضوج فكره كان يسبق عمره ، وكبر قلبه قد وفر له الرجولة قبل أوانها ، وحرية رأيه كانت تشير اليه منذ الصغر أن يقتعد مقاعد الفقهاء ، فهو الذى فى حداثته يصحب الشعبى فى سفينة ثم يسمعه يقول : « لانذر فى معصية ، ولا كفارة فيه » فيرد قائلا : « بل فيه الكفارة » ثم يردف ذاكرا الدليل والبرهان فيقول : « ... لأن الله سبحانه وتعالى جعل فى الظهار الكفارة بعد أن جعله معصية ، فقال : « وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا » وقد أوجب فيه الكفارة » فما كان من زعيم المحدثين الا أن قال للغلام أبى حنيفة : « أقياس أنت » ؟ . هذه الحادثة تدلنا على أن أبا حنيفة كان مفطورا على حرية الرأى منذ صغره ، وتنبىء بأنه سيكون له شأن كبير فى مجال الرأى والاجتهاد ، فلا تمنعه الحجب الكثيفة أن يدلى بالرأى متى استضاء فى عقله الحق والصواب .

على أنه بعد أن استوى ونضج ، وخاض غمار القياس والاجتهاد لم يثبت عنه أنه جنح الى الرأى مع وجود النص القرآنى ، أو الحديث النبوى ، ولنسمع دفاعه بنفسه نافيا هذه التهمة ، يقول : « .... وكل شىء تكلم به عليه الصلاة والسلام فعلى الرأس والعين ، قد آمنا به ، وشهدنا بأنه كذلك ، نشهد بأنه عليه الصلاة والسلام لم يأمر بشىء يخالف أمر الله ، ولم يقل غير ما قاله الله تعالى ، وما كان من المتكلفين ، قال تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ... » ثم يقول أبو حنيفة : « كذب والله وافترى على من يقول :

اننا نقدم القياس على النص ، وهـــل يحتاج بعد النص الى قياس ؟ ! » • ويذكر طريقته فى الاجتهاد ، والقياس فى مجال الدفاع أيضا فيقول : « ••• نحن لا نقيس الا عنـــد الضرورة الشديدة ، وذلك أننا ننظر دليـــل المسألة من الكتاب أو السنة أو أقضية الصحابة ، فان لم نجـــد دليلا قسنا حينئذ مسكوتا عنه على منطوق به » •

وكأننا به وهو يقتحم هذا الميدان ، ميدان الاجتهاد مدافعا مناكب المناوئين ـ يفيض اعتزازا بما منحه الله تعالى من فكر ثاقب ، ورأى نزيه ، وقصد عف ، ورغبة هاتفة به أن يسخر تلك النعم الآنفة فى نفع المسلمين ، وتجلية مزايا ديننا الحنيف ، فلقد سئل : « اذا قلت قـــولا ، وكتاب الله يخالف قولك ؟ ، قال : أترك قولى لـــكتاب الله تعالى ، قيل : فاذا كان خبر رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يخالف قولك ؟ قال : أترك قولى بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيـــل : فاذا كان قول الصـــحابى يخالف قولك ؟ ، قال : أترك قولى بقـــول الصحابى ، قيل : فاذا كان قول التابعى يخالف قـــولك ؟ ، قال : اذا كان التابعى رجلا فأنا رجل ! ! » ، فالرجل أبو حنيفة يقف أمام النص القرآنى ، والحديث النبوى ، وقول الصحابى فى تسليم مطمئن ، وماذا بعد القرآن ، والحديث ، وأقوال رجال حـــول صاحب الحـــديث ـ يكسب التسليم المطمئن ؟ ! • ولـكنه حينمـا يأتى به السائل المستدرج الى التابعى ينطق بالاجابة التى تنبىء عن أنه كان فى نشوة التسليم والاطمئنان ، اذ ينشط قائلا : « اذا كان التـابعى رجلا فأنا رجل ! ! » • ما أروعها من جملة منبئة عن حرية رأيه ، وصحة قصده ، واعتزامه السير فى دروب الاجتهاد ، ليذلل الطريق ، ويمهد السبيل ، حتى لاتوجد عقبة كئود ، أو حاجب كثيف بين الدين والحياة : «••• فأنا رجل» •

ويقول فى نهاية تجليته لخطته فى الفقه ، والتى تتلخص فى اعتماده على الكتاب ثم السنة ، ثم قول الصحابى ، يقول : « •• فاذا انتهى الأمر الى ابراهيم ، والشعبى ، والحسن ، وابن سيرين ، وسعيد بن المسيب ـ وعد من مجتهدى التـــابعين وتابعيهم ـ فلى أن أجتهد كما اجتهدوا » •

واذا كان هناك من حديث لا يطمئن له فهـــو حديث الآحاد الذى يرويه

واحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى عدم اطمئنانه له ينهج نهجا سليما ، اذ يعرض الحديث فان وجده يخالف ظاهر القرآن أو السنة المشهورة ، أو العمل المتوارث بين الصحابة ـ رفضه فى جسارة رفضا نخال كل منصف لا يضن عليه بالتأييد .

ولاتساع أفقه ، وكبر قلبه ، وافراط حدبه على الناس ـ لا يقبل حديث الآحاد فى الحدود ؛ لأنها تدرأ بالشبهات ، ومن ثم وجدناه يقول : « عندى صناديق من الحديث ما أخرجت منها الا اليسير الذى ينتفع به » ولعل هذا من اطمئنانه الى سلسلة معينة من الرواة ، هى سلسلة حماد عن ابراهيم عن علقمة والأسود عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لا يطمئن الى غيرها :

اجتمع أبو حنيفة والأوزاعى بدار الحناطين بمكة ، فسأله الأوزاعى عن سبب عدم رفع أيديهم عند الركوع فى الصلاة ، وعند الرفع منه ، فأجابه: لأنه لم يصح عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ شىء فيه ، قال الأوزاعى: كيف وقد حدثنى الزهرى عن سالم عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان يرفع يديه اذا افتتح الصلاة ، وعند الركوع ، وعند الرفع منه ، قال : « حدثنا حماد عن ابراهيم عن علقمة والأسود ، عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع يديه الا عند افتتاح الصلاة ولا يعود الى شىء من ذلك ، قال الأوزاعى : أحدثك عن الزهرى عن سالم عن أبيه ، وتقول : حدثنى حماد عن ابراهيم ! ! ، فأجاب أبو حنيفة : كان حماد أفقه من الزهرى ، وكان ابراهيم أفقه من سالم ، واذا كان لابن عمر صحبة ، أوله فضل صحبة ، فالأسود له فضل كثير ، وعبد الله هو عبد الله .

والرجل الذى يحترم حرية الفكر لا يضيق ذرعا بمن يفكرون أو يعارضون ، بل يقابلهم بشاشة تنبىء عن رضا القلب ، وتلألؤ الفكر ، اما لرجاحة عقله ، ورحابة أفقه ، وسعة صدره ، واما لوثوقه بالنصر مهما جادله المجادلون ، فالنور الساطع من عقله يكشف أمامه المجادل اللجوج

حتى يكاد يكشف معه نيته وقصده ؟ ليتمكن أبو حنيفة من الوقــوف على الثغرة التى يحدث من جهتها الاقناع: جاءه رهط يحاجونه فيما ذهب اليه من أن قراءة الامام تغنى عن قراءة المـأموم ، فقال لهم : لا يمكننى مناظرة الجميع ، فولوا أعلمـــكم ، فاختاروا لجـداله أعلمهم ، قال : وهـل اذا ناظرته أكون قد ناظرتكم ؟ ، قالوا : نعم ، قال : ان ناظرته لزمتكم الحجة؟ لأنـكم اخترتمـوه ، فجعلتـم كلامه كلامكم ، وهكذا نحن ( يقصـــد نفسه هو وأصحابه ) ـ اخترنا الامام ، فقراءته قراءتنا ، وهو ينوب عنـــا ، فأقروا بالالزام .

ثم هو بثاقب فـــكره منضما الى جسارته فى الحق ، وحدبه البالغ على المسلمين ـ يجد الناس يفجئون بما يقتضى الحل فى ضـــوء الدين ، من متطلبات الحياة المتطـــورة ، فيستعين الله ، فيلهمه أن يغـــوص فى النص تاركا ظاهره ، باحثـــا عن علته التى يدور عليهـا التحليل والتحريم ، ثم يصـدر أحكامه وفتـاويه على مقتضى العلل ، لا على ظـواهر النصوص ، واجـدا فى ذلك من التخفيف على النـاس ما لا ينكره الا المتنطعون أو المتعصبون ، يقرأ حديث صدقة الفطر الذى ينص على اخراج صاع من تمر أو شـعير ، فيقول : انمـا المراد أن يتصدق المرء بصاع أو ثمن صاع ، أو دقيق الصاع ، اذ العلة حينئذ اشعار الفقير بقـــدر من السرور فى يـوم السرور العام ، وهو يوم العيد ، وهذا متحقق حتما بالصاع أو بثمنه .

وان تقديره الفكر والرأى لا يقف عند حد رحابة صدره أمام المعارضين وانما يتعداه الى مرحلة أبعد مدى فى هذا المجال ، فيوجه تلاميذه الى تلك الحرية التى يعشقها ، ويربيهم عليها، ويأخـذهم بهـا ليكونوا بجواره فى حياته ، وعلى طريقته بعد رحيله ، حتى يرى الناس أبا حنيفة كلما رأوا واحدا منهم ، فلقد كان ينصح تلاميذه بألا يأخذوا كلام الغير على أنه قضـــايا مسلمة ، كائنا من كان ذلك الغير ، ولو كان أبا حنيفة نفسه ، يقول لهم: « لا يحل لمن يفتى من كتبى أن يفتى حتى يعلم من أين قلت » ، ويقـــول : « رأينا هذا أحسن مما قدرنا عليه ، فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهو أولى (بالصواب) منا » ـ انها عبارة الواثق من فكره ، أو الحافظ لفكر غيره قدره ، ومن ثم كان لا يجد غضاضة فى جبهه

بالتخطىء ، ولو فى ملأ من تلاميذه ؛ لأن العظيم لا يهمه سوى ظهور الصواب لديه ، أو لدى غيره ، قال شاهد عيان : « كنت عند أبى حنيفة وهو فى مجلسه ، وعنده أصحابه ، فجاء غلام أو شاب ، فألقى عليه مسألة ، فأجاب فيها ، فقال له : أخطأت يا أبا حنيفة ، فسكت ، ثم ألقى عليه أيضا مسألة ، فأجاب ، فقال : أخطأت يا أبا حنيفة ، فقلت لمن حوله من أصحابه : سبحان الله ، لا تعظمون هذا الشيخ ولا تبجلونه ! ! ، يجىء شاب أو غلام فيخطئه ، وأنتم سكوت ! ، فالتفت الى أبو حنيفة ، وقال : دعهم ؛ فانى عودتهم هذا من نفسى » .

ولقد أثمرت تربيته لتلاميذه على حرية الرأى أينع الثمار ، وقدمت مدرسته للاسلام والمسلمين رجالا كانوا أجدى على الناس من بعض الفتوحات العظيمة ، كأبى يوسف ، ومحمد ، وزفر ، والحسن ، وغيرهم ، قال رجل : أخطأ أبو حنيفة ، فقال آخر : كيف يخطىء ومعه أبو يوسف وزفر ؟ . ثم عد بقية من التلاميذ ، وقال : من كان هؤلاء جلساءه لم يكد يخطىء ؛ لأنه ان أخطأ ردوه .

وان الذى كان يراهم بين يديه ، وهو يعرض عليهم المسألة ، ليدلى كل فيها برأيه ، أو ليبحث كل واحد جانبا من زواياها ــ كان يرى أستاذا يصنع الرجال ؛ ليكونوا أئمة فى الرأى الحر ، والفكر السديد ، وكان يرى أيضا تلاميذ قد بهرهم نهج الأستاذ فى التدريس فانجذبوا اليه ، وكيف لا ينجذبون وهو يفتح لهم قلبه قبل عقله ، ويعطيهم وده وحبه قبل علمه ، وفكره ، ويمد أمامهم طريق الحرية فى البحث والنقاش ، وهذا هو مفتاح الموهبة ، وسبيل العبقرية .

بهذه الحرية فى الرأى ، والتى كانت ترتكز على قصد سليم ، واستهداف للمصلحة العامة دون تطلع الى شهرة أو اعلان عن نجاح ــ سطع الفقه الاسلامى بلألائه الوضىء على حياة الناس ومشكلاتهم اليومية ؛ ليبدد ظلام الحيرة ، وضباب الخبط على غير هدى ، وليشع على كل مستعص غامض شعاعا يوجد له الحل المقنع ، والجواب الرشيد ، ثم بهذه الجرأة المبنية على حب غامر لاسعاد الناس فى الحياة ، وايمان عميق بأن دين الله هو السبيل الوحيد الى هذا الاسعاد المنشود ــ استطاع أبو حنيفة النعمان

أن يجعل الفقه الاسلامى يفى بمطالب الحضارة الاسلامية ، فلا يقف تحرج يشبه الجمود أمام التطــور الحتمى الذى يتمخض عن أمور لا يرتاح لها ضمير المسلم الا بعد أن يقول فيهـــا الدين كلمته المطمئنة ، وقد عاش أبو حنيفة حياته كلها ليستنبط هذه الكلمة المطمئنة ، فى اجتهاد بصير ، قائم على قيـــاس مقبول ومعقول لدى من كان على شاكلته من الحصفاء .

وبعد ، فرحم الله الرجل الذى لم يجد حرجا ـ عندما اســتكمل كل مقومات الفقيه الخبير ـ أن يقول : انى أرى ، انى رأيت ؛ حتى لا تقف الشريعةالاسلامية عندظواهر النصوص فى حياة متجددة ؛ لأن الله لا يريد لشريعته هذا الوقوف ، كما لا يريد لخلقه الجمـــود ، قال أبو حنيفة : « من يطلب الفقـــه ولا يتفقـه مثل الصـــيدلانى ، يجمع الأدوية ، ولا يدرى لأى داء هى ، حتى يجىء الطبيب ، كذلك طالب الحـــديث لا يعرف وجـــه حديثه حتى يجىء الفقيه » .

فرحم الله الفقيـــه الذى جاء ليخرج الدواء ؟

**عبد الغنى احمد ناجى**

# العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العظيم

## ٢١ – الى الهدف المنشود

ان اللغة بالنسبة الى الانسان هى مظهر ثقافته العامة وتخصصه العلمى وشخصيته المتميزة ، وهى معيار سلوكه ورشده ، وهى مسبار عواطفه الوجدانية العميقة •

واللغة بالنسبة الى الأمة هى مظهر حضارتها وعنوان تقدمها العلمى والفنى والاجتماعى ، وهى الى هـذا كله الرابطة القوية التى تربط ماضيها بحاضرها وتبرز أصالتها وتقاليدها العريقة ، وهى التى توثق الصلات الاجتماعية بين طوائفها وجماعاتها وتصهرها فى بوتقة واحدة وتجعلها كتلة متماسكة مترابطة صامدة أمام الحوادث العاصفة والتيارات القوية والعاتية ، ولهذا كانت اللغة فى مقدمة الأسس المتينة التى تكون القوميات وتدعمها وتميزها وتحفظها من النكبات • والوحدة الدينية لا تقل أثرا عن الوحدة اللغوية فى توثيق الوحدة القومية • والعربية لغة ودين معا ، فهى لغة العرب أجمعين وهى – فى الوقت نفسه – لسان الاسلام القويم ؛ ولهذا كانت من أقوى الأسس فى تكوين القومية العربية ، ونرجو أن تكون من أقوى الأسس فى تكوين القومية الاسلامية التى وجهنا اليها الدين الحنيف •

( وأما منا ) مثل واقعى يتجلى فى تكوين « اسرائيل » فانها مكونة من أوشاب متفرقة وطوائف متباينة وجنسيات متغايرة ؛ ولكن الذين خططوا لها أدركوا أن العاطفة الدينية وحدها لا تكفى لتكوين هذه الدولة المصنوعة ؛ فدبروا اتخاذ لغة موحدة تكون لسانا لجميع سكان هذه الدولة الدخيلة ، فعملوا على احياء اللغة العبرية التى تلاشت منذ ألفى عام أو أكثر لتكون لغة قومية ولتكون فى الوقت نفسه مظهرا دينيا،ولم يدخروا

جهدا ولا مالا فى احياء لغة ميتة ضعيفة فقيرة ، واستطاعوا بالجهد والمثابرة والبذل أن يبثوا فيها الحياة ، فأصدروا بها الصحف ونشروا الكتب ، وأقاموا المدارس والجامعات والمؤسسات العامة ، وأصبحت العبرية لسان الشعب ولغة التعليم فى بضع سنين • والدول الغربية تعلم جيدا ما للغات من الأثر فى نشر حضارتها وثقافتها ونفوذها السياسى ورواج سلعها التجارية ورفعة مكانتها الدولية ؛ ولهذا تسابقت فى انشاء المعاهد والجامعات التى تنطق بلغاتها القومية بين الدول الأجنبية ، وبذلت فى هذا نفقات طائلة وأوفدت خير أساتذتها للتدريس فى هذه المعاهد والجامعات ، وبعضها جعل ايفاد المدرسين كالتجنيد الاجبارى ، ولقد أنشأت أمريكا عدة جامعات أمريكية خارج الولايات المتحدة منها : الجامعة الأمريكية فى بيروت والجامعة الأمريكية بالقاهرة غير مئات المدارس الثانوية والاعدادية المنبثة فى أنحاء العالم ، وكأنها قواعد عسكرية لغرض سيطرتها الثقافية على الشعوب ، وبالقاهرة عدة مدارس انكليزية وفرنسية وألمانية وايطالية وأسبانية • • • تدرس الأجنبية كل منها بلغتها القومية ، هذا بالاضافة الى المكتبات العامة والمراكز الثقافية المتعددة ؛ هذا الى جانب آلاف المنح الدراسية التى تمنحها كل دولة لمن تستضيفهم من طلاب الدول الأخرى الراغبين فى الدراسات التخصصية العليا •

لأنها تعلم أن نشر لغتها القومية فى العالم هى نشر لنفوذها الاجتماعى والاقتصادى والسياسى •••• وترصد لهذا الميزانيات الضخمة والأموال الطائلة كما تسارع الى ارسال خبرائها الفنين الى الدول الأخرى فضلا عن الأساتذة والمدرسين الى عشرات الآلاف من الكتب والصحف والمجلات ولا تكتفى بهذا بل تخصص قسما هاما من اذاعاتها لنشر لغاتها بين الدول والشعوب بما يسمونه الاذاعات الموجهة •

* * *

ان واجبنا نحو شريعتنا الاسلامية ونحو لغتها القومية يقتضينا أن نبذل جهودا جبارة لنشرها فى العالمين والا كنا مقصرين فى تبليغ الرسالة مفرطين فى حمل الأمانة قابعين فى نطاق التبعية ناكلين عن المنزلة السامية التى هيأ الله لها المسلمين حينما أوصاهم بأن يكونوا

أمة فضلى فائدة للبشرية جمعاء حيث قال لهم : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » وجهودنا فى نشر العربية تقتضى جهادا داخليا وجهادا خارجيا مع التنسيق بينهما أدق تنسيق •

* * *

أما الجهود الداخلية فتستدعى أن يتعاون فيها المجمع اللغوى ووزارات التربية والتعليم وشئون الأزهر والتعليم العالى والثقافة والاعلام فضلا عن المجلس الأعلى للعلوم والفنون والآداب ومنظمة الوحدة الافريقية ورابطة الشعوب الاسلامية والجامعة العربية طبقا لمنهج مرسوم كل فيما يخصه ، وتتناول هذه الجهود :

١ ـ تبسيط قواعد اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة لتيسير تعليمها لأبناء الشعوب العربية والاسلامية مع حذف التفصيلات الخلافية والتعقيدات الفلسفية ؛ وجعل هذه العلوم وسيلة لاتقان العربية لاغاية مقصودة لذاتها ، ولقد قطع المجمع اللغوى فى هذا شوطا طويلا •

٢ ـ تيسير قواعد الكتابة الاملائية مع مراعاة الضبط بالشكل ، ومن الخير مراعاة النطق وبخاصة فى كتابة الهمزة والألف اللينة ، وقد بذل المجمع اللغوى فى هذا جهودا مشكورة نرجو أن تجد طريقها للتنفيذ •

٣ ـ العناية بتدريس العربية بالمدارس العامة وبالجامعات باعتبارها من أهم مقومات القومية العربية والرابطة الاسلامية مع العناية باعداد الأساتذة والمناهج وأسلوب التعليم واقامة المباريات التشجيعية ورصد واعداد الكتب والأشرطة التسجيلية والجوائز القيمة •

٤ ـ العمل جديا على جمع التراث العربى من أنحاء العالم وتحقيقه ونشره لابراز ما فيه من ثروة أدبية وعلمية وفنية ضخمة قلما نجد لها نظيرا فى العالم •

٥ ـ تعريب أمهات المصادر العلمية الحديثة بالتعاون مع الدول العربية ؛ لجعلها أساسا لتعريب التعليم فى جميع الكليات العملية فى الدول العربية •

٦ ـ مقاومة جموح المتمسكين بالعامية فى اذاعة الأغانى المبتذلة

والمسرحيات التافهة ، المذاعة باسم ( الفولكلور ) الشعبى أو الفن الأدبى والفن والأدب منها براء .

٧ - استغلال وسائل الاعلام فى نشر العربية الفصحى سواء عن طريق الأغانى الوطنية أو المسرحيات الأدبية أو الأحاديث الموجهة مع الاقتباس من التراث العربى الخالد ، ومع العناية بتخصيص اذاعة جادة لتعليم العربية لغير العرب على أن تعد الاذاعة كتبا خاصة بهذا التعليم يلتقى فيها المتعلم بهدفه عن طريق القراءة وطريق الاستماع معا .

٨ - اعداد معاهد علمية خاصة لتعليم الأجانب الوافدين اللغة العربية بأحدث الوسائل العلمية من تسجيلات صوتية ومن كتب مدرسية متدرجة بحسب المراحل التعليمية واعداد معجم مبسط للكلمات المستعملة كثيرا وهى لاتتجاوز بضعة آلاف .

أما الجهود الخارجية فتستدعى الاستعانة بالدول العربية متساندة وتقتضى القيام بما يلى :

١ - أن تعنى كل دولة عربية ببذل المنح الدراسية العديدة لتجذب اليها الآف الطلبة من الدول الاسلامية غير العربية لنشر اللسان العربى المبين

٢ - أن تهتم كل دولة عربية بايفاد البعوث الاسلامية الى البلاد غير العربية لنشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية مع مراعاة حسن اختيار الأئمة والوعاظ والأساتذة والقراء وكبار المحاضرين ، ولمصر فى هذا جهد مشكور .

٣ - انشاء فروع للجامعات العربية وبخاصة الجامعة الأزهرية بالخارج لنشر اللغة العربية واحياء التراث الاسلامى المجيد .

٤ - انشاء مراكز ثقافية عربية اسلامية بالحواضر الكبرى فى العالم وبخاصة فى الدول الاسلامية على أن تتبعها معاهد خاصة لتعليم العربية لأبناء الشعوب الاسلامية ولأبناء الجاليات العربية المغتربة حتى يتسنى لهم الحفاظ على لغتهم القومية وما تحمله من أعراق مجيدة ، وهم يبلغون مئات الآلاف فى أمريكا الشمالية واللاتينية .

٥ - انشاء معاهد مراسلات دولية عربية واعداد دروسها ومطبوعاتها

وتسجيلاتها اعدادا علميا دقيقا فى شتى ألوان المعرفة والفنون والآداب ، مع منح شهادات دراسية واعداد منح تعليمية لخريجي هذه المدارس .

٦ ـ العمل على نشر الكتاب العربى فى العالم مع العناية بطبعه وتزويده بالصور والرسوم التوضيحية ، والعمل على نشر المجلات الثقافية والصحف والمطبوعات ، ولقد كانت مصر فى مستهل القرن العشرين تغمر العالم بالمصاحف والكتب الدينية والأدبية باللغة العربية من تخوم الصين وأندونيسيا حتى غرب أفريقيا وأمريكا اللاتينية ، ثم جاءت ظروف استدعت انكماش هذه النهضة وقد آن لها الآن أن تستأنف نشاطها من جديد ، كما آن للفرق المسرحية والغنائية أن تسهم بنصيبها فى هذا المجال كما فعلت من قديم .

٧ ـ توثيق الصلات بالمغتربين من العرب حتى لاينسوا أوطانهم وعقيدتهم ولغاتهم فى غمار الشعوب الأجنبية ، وتوثيق الروابط بالجاليات العربية المهاجرة من قديم الى أنحاء العالم ، وبخاصة فى أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية واستراليا وغيرها من القارات .

٨ ـ توثيق روابط الجامعات العربية بالجامعات الاسلامية الكبرى فى شتى أنحاء العالم وبخاصة فى ماليزيا والفلبين وتايلاند وأندونيسيا والهند وباكستان وايران وأفغانستان.وتوثيق الروابط العلمية بمراكز المستشرقين ، وبالكليات والمعاهد المتخصصة فى دراسة اللغات الشرقية والعربية والملحقة بجامعات العالم الكبرى لتبادل المنح الدراسية وتبادل الأساتذة وعقد المؤتمرات العلمية للدراسات العربية والاسلامية .

* * *

وهناك جهود ينبغى بذلها فى محيط التجمعات الدولية ذات النفوذ القوى بين الدول والشعوب ؟ ويمكن تحقيق هذه الجهود عن طريق :

١ ـ الجامعة العربية وبها ادارة عامة للثقافة ومجلة للمخطوطات ومعهد للثقافة العربية ، وبها صور لنوادر التراث العربى جمعتها من أنحاء العالم ولا يزال أمامها مجال واسع للاستقصاء والتكميل .

ومن واجبها أن تحشد جهود الدول العربية وطاقاتها فى خدمة الثقافة العربية ونشرها فى ربوع العالم وبخاصة فى البلاد الاسلامية كما أن

عليها أن تستخدم اللغـــة العربية فى مجالات نشاطها الدولى فان من أهم واجباتها احترام قوميتها العربية وفرض لغتها القومية •

٢ ـ منظمة الوحدة الافريقية ، وهى تضم عـدة دول عربية وعـدة دول اسلامية غير عربية ؛ ولغات دولهـــا شتى ، ولـكن فى مقدمتها اللغـــة العربية ، وتســتطيع الدول العربية والاسلامية أن تجعل العربية اللغـة الأساسية فى هذه المنظمة وأن تعمل على نشرها فى نطاق القارة الافريقية ، فانها بهـــذا تدعم وحدتها وتستكمل بنيانها ، وتقيم تعاون دولها وشـعوبها على أساس متين • وفى مصر كثير من أبناء الشعوب الافريقية يدرسون فى معاهدها وفى جامعاتها وبخاصـــة فى الأزهر ، وهؤلاء يمـكن أن يكونوا عونا فى تحقيق هذا الأمل المنشود ، وبخاصة اذا علمنا أن معظم اللغـات الافريقيـة تأثرت بالعربيـة الى حـد كبير •

٣ . رابطـة الشعوب الاسلامية ، تعقد مؤتمراتها فى الحجاز عقب مواسم الحج وتضم طائفة ممتازة من كبـار علماء وزعماء المسلمين ، وهــؤلاء يستطيعون أن يتعاونوا فى بذل الجهود القوية لنشر التعاليم الاسلامية باللغة العربية لغة الاسلام القومية ؛ وهـذه الرابطة تعمل الآن على توثيق الروابط الاقتصـــادية بين الشعوب والدول الاسلامية • وهى بسبيل انشاء بنـك اسلامى كبير يلتزم التمسك بالتشريع الاســـلامى العظيم ، وعليها أيضا أن تهتم بلغة القرآن الكريم ، كما اهتمت بالمعاملات المـالية طبقا للاسلام •

٤ ـ القاهرة مقر المؤتمر الأسيوى الافريقى • وهـــو يضم عددا كبيرا من الشـــعوب العربية والشـــعوب الاسلامية فى قارتى آسيا وافريقيا ، وينبغى أن يحرص أعضاؤه على جعل اللغـــة العربية لغته الرسمية ، ولن يكون هذا عسيرا اذا صدقت النيات وصحت العزائم وتم التخطيط الملائم •

• • •

والانصاف يقتضينا أن نذكر جهود جمهورية مصر العربية فى هذا السبيل فانها أنشأت لخدمة الثقافة الاسلامية والعربية المؤسسات الآتية :

١ ـ مدينة ناصر للبعوث الاسلامية، أنشأها الأزهر وهى تضم آلاف الطلاب

من نحو خمسين جنسية عالمية ، وفدوا الى الأزهر لدراسة الثقافة الاسلامية والعربية ، وتهيء المدينة لهم وسائل الاقامة والطعام والراحة والثقافة الاجتماعية والعلمية والروحية .

٢ ـ مجمع البحوث الاسلامية ويضم أعلام العالم الاسلامى من كبار العلماء والباحثين والدارسين ، ويعقد مؤتمرا سنويا علميا كبيرا للبحث والدراسة والقاء المحاضرات العلمية ، وتقوم أمانة المجمع بطبع هذه الأبحاث كما تقوم بنشر سلسلة من الدراسات العربية والاسلامية لكبار الباحثين وتعنى بنشر التراث الاسلامى المجيد .

٣ ـ مجمع اللغة العربية ويضم صفوة من كبار علماء وأدباء اللغة العربية فى العالم من عرب ومستشرقين وقد عمل على تيسير قواعد اللغة العربية وقواعد الكتابة الاملائية ، ووضع فهارس عربية عديدة للمصطلحات العلمية الحديثة ، ونشر عدة معاجم لغوية ممتازة .

٤ ـ أنشأت جمهورية مصر العربية عدة مراكز ثقافية اسلامية أو أسهمت فى انشائها فى مختلف الحواضر العالمية مثل المركز الثقافى فى واشنطن ، وفى لندن ، والجزائر وقسطنطينة وطرابلس وبنغازى وتنزانيا .

٥ ـ أرسلت آلاف المثقفين من الأئمة والوعاظ والقراء والمدرسين والأساتذة الى شتى بلاد العالم وبخاصة فى قارة آسيا وقارة افريقيا كما أن لها مبعوثا دينيا فى البرازيل وآخر فى الأرجنتين .

٦ ـ أنشأت الجامعة العربية معهدا كبيرا للدراسات العربية وقد أصدر أبحاثا ودراسات قيمة تناولت جميع الشئون العربية من أدبية واقتصادية وجغرافية وتاريخية واجتماعية ، ويقوم بالتدريس فيه نخبة من كبار العلماء والباحثين المتخصصين من شتى الدول العربية . ويضم مئات الطلبة العرب الممتازين من خريجى الجامعات العربية فى شتى التخصصات .

٧ ـ للجامعات المصرية فروع ومعاهد خاصة فى بعض الدول العربية مثل فرع الخرطوم وفرع بيروت التابعين لجامعة القاهرة ، ومثل معهد مصراته الدينى بالجمهورية العربية الليبية التابع للأزهر ، وكانت هناك مدرسة مصرية ثانوية كبيرة فى الرباط

وقـد ضمتها اليهـا المملكة المغربيـة ، وما أشـد حاجة البلاد الاسلامية غير العربية الى هذه الكليات والمعاهد .

٨ ـ أنشأت مصر معهـــدا كبيرا للدراسات الاسلامية يحاضر فيـــه كبار الأساتذة ويضم آلافا من خريجى الجامعات فى العالم الاسلامى ، وعلى حداثة هذا المعهد فانه يؤدى رسالته خير أداء .

٩ ـ أنشأت مصر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، وقد قام باتصالات عديدة بزعماء المسلمين فى شتى أنحاء العـــالم ووزع عشرات الآلاف من تسجيلات المصحف المرتل والـكتب الاسلامية العديدة واسطوانات تسجيل العبادات وأصدر صحيفة دينية كبيرة هى « منبر الاسلام » .

١٠ ـ خصصت مصر اذاعة للقرآن الـكريم تذيع المصحف المجود والمرتل كما تذيع دراسات قرآنية عديدة ، وهى محطة اذاعة قوية يتردد صوتها على الأثير فى ربوع الدول الافريقية والآسيوية على السواء ولكن دور مصر القيادى يجعلنا نطمع فى المزيد .

والانصاف يقتضينا أن نشيد بمـــا يبذله حكام بعض الدول العربية من جهود موفقة فى هذا السبيل وبخاصة أمراء الـــكويت والخليج العربى ، ولا نزال نطمع فى التخطيط الدقيق ، والتنظيم والتنسيق ، والتنفيذ السريع؟

( للبحث بقية )

**على عبد العظيم**

# عدم قصر الألفاظ على معانيها الشائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

— ٣ —

١٦ — ويقصرون كلمة سواء على معنى المماثلة والمساواة ، اذ يقال : لى صديقان فى العلم وغيره سواء ، أى هما متماثلان أو متساويان ، وان شئت قلت : هما (سواء ان) ، وهم سواء أو أســواء أى متماثلون أو متساوون ، وفى التنزيل : « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » أى انذارك وعدم انذارك متماثلان ويقال : فلان سواء القدم أى مستويها ليس لهــا أخمص[1] ، ومررت برجل ســواء والعدم أى وجوده وعدمه مستويان .

والحق أن العرب وضعت هــذا اللفظ لمعان أخرى الى جانب هــذا المعنى .

١ — أحدها الوسط كما فى قولك : ضربت سواء فلان أى وسطه ، ومنه قوله تعــالى : « فاطلع فرآه فى سواء الجحيم » أى فى وســطها ، وقوله : «خذوه فاعتلوه[2] الى سواء الجحيم» .

٢ — والثانى العدل كما فى قولك : أعامل الناس على سواء أى بالعــدل ، ومنه قوله عز شأنه : « فانبذ اليهم على سواء » أى فاطرح اليهم العهد على عدل منك ومنهم ، وهو حال من النابذ والمنبوذ اليهم .

٣ — وسواء الشىء غيره كما فى قولك : لم أرض بسوائك شاهدا ، اى بغيرك وكما فى قول الأعشى :

وما عدلت عن أهلها لسوائكا .

١٧ — ويقصرون كلمة أسماء على أنها جمع اسم مستأنسين بقوله تعــالى « الله لااله الا هــو له الأسماء الحسنى » .

والاسم مشتق من السمو ، وهــو العلو والرفعة ، ووزنه افع ، والذاهب منه لامه وهى الواو .

والواقع أن لأسماء معنى آخر ، هو علم لأنثى ، ومنه السيدة أسماء بنت

---

(١) الأخمص : ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض .

(٢) اعتلوه : خذوا بتلبيبه وجروه .

أبى بكر رضى الله عنهما ، وأصـــله وسماء من الوسامة وهى أثر الحسن، وهمزته من الواو والفرق بين اللفظين أن الأول جمع ، والثانى مفرد ، وأن الأول مصروف كما فى قوله تعـــالى « ان هى الا أســـماء سميتموها أنتم وأباؤكم » ، وقوله : « أتجادلوننى فى أسماء سميتموها » .

أما الثـــانى فممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث ، يقال : قامت أسماء فى أثناء الهجرة بعمل عظيم للنبى صلى الله عليه وسلم وأبيها ، وتاريخ أسماء مملوء بالحكمة والشجاعة والصبر ، فأسماء فى المثال الأول فاعل مرفوع بضمة واحدة ، وفى المثـــال الثانى مضاف اليه مجرور بالفتحة نيابة عن الـكسرة .

١٨ - ويقصرون كلمة الصـاهلة على أنها صفة لأنثى الخيل ، اذ يقال : حصان صاهل ، أى لصوته بحة وأنثاه صاهلة ، وخيل صواهل ، ومن المجاز صهل الذباب صهيلا ، وهو صـــوته المتدارك فى العشب ، قال ابن مقبل

كأن صـــواهل ذبانه
قبيل الصباح صهيل الحصن

والحق أن للصاهلة معنى آخر هو الصـــهيل ، مصدر جاء على فاعلة ، تقول : صهل الفرس من بابى ضرب ومنع ، صـــهيلا ، وصـــهالا بالضم ، وصاهلة ومثل ذلك باقية بمعنى بقاء ، كما فى قوله تعالى : « فهل ترى لهم من باقية » ، وناشئة بمعنى نشوء ، كما فى قوله سبحانه : « ان ناشئة الليل هى أشد وطئا » ، وكاذبة بمعنى كذب كما فى قوله جل شـــأنه : « اذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة » ، وعافية بمعنى معافاة ، تقول : عافاه الله من المرض معـــافاة ، وعفـاء بالـكسر ، وعافية .

١٩ - ويقصرون التفضل على معنى الاحسان والتطول ، وتقـــديم بعض العون الى من هو بحاجة اليه .

والحق أن له معنيين آخرين الى جانب هذا المعنى يجب أن يدركهمـا كل من يولع بلغة الكتاب الحكيم : أحدهما ادعاء الفضل وهو غير فاضل ، تقول : فلان يتفضل على قومه اذا كان يدعى الفضل عليهم ، ومنه قوله تعالى : « ما هذا الا بشر مثلـكم يريد أن يتفضل عليكم » ، أى أن الـكفار قالوا : ان نوحا هذا ليس الا بشرا مثلـــكم يريد أن يكون له الفضل عليكم فى القدر والمنزلة ويسودكم .

والمعنى الآخر المخالفة بين طرفي الثوب ، تقول : تفضل الرجل أو المرأة ، اذا توشح بثوب واحد وخالف بين طرفيه على عاتقه .

٢٠ – ويقصرون الفعل مشى على معنى المشي وهو السير والمرور كما هو فاش وشائع والواقع أن له معانى أخرى ، تقول : مشى فلان اذا كثرت ما شيته كأمشى ، ومشى اذا اهتدى ، ومنه قوله تعالى : « ويجعل لكم نورا تمشون به » أي تهتدون ، ومشى فلان اذا نم ، والمشاء النمام ، ومنه قوله تعالى : « ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم » والمشاة بالضم الوشاة ، والماشية والابل والغنم ، ويقال : مشت المرأة اذا كثر أولادها ، وناقة ماشية اذا كانت ولادة ، ومشى بطن فلان ، وأمشاه الدواء اذا أسهله وألان بطنه .

٢١ – ويقصرون القص على المعنيين المشهورين ، وهما قص الشعر ونحوه ، وقص الأخبار ، تقول : قص الرجل شعره أو ظفره ، وقصصه فهو مقصوص ، ومقصص ، واسم الآلة مقص بالكسر ، جمعه مقاص بتشديد الصاد على مفاعل ، تقول : رمى بقصاصة شعره ، وهي ما أخذ بالمقص ، والقصة بالضم شعر الناصية ، وكل خصلة من الشعر ، جمعها قصص كغرف ومدد ولك أن تقول : قصيت(١) أظفاري تقصية بمعنى قصصتها .

وتقول من المعنى الثاني : قص الرجل الخبر أو الحديث أو الرؤيا قصا من باب قتل ، والاسم القصص ، ومنه قوله تعالى : « نحن نقص عليك أحسن القصص » أي نبينه لك أحسن البيان ، وقوله : « لا تقصص رؤياك على اخوتك » والقصة والقصص من هذا ، تقول له قصة عجيبة وقصص حسن ، وله قصص بالكسر جمع قصة ، وقصائص جمع قصيصة ، وأقاصيص جمع أقصوصة بالضم كأعجوبة وأعاجيب ، قال هدبة بن خشرم :

فقصوا عليه ذنبنا وتجاوزوا
ذنوبهم عند القصيصة والأثر

أي عند القصة والحكاية .

والقصة أيضا الشأن والأمر ، تقول : ما قصتك ؟ أي ما شأنك ؟

(١) قصيت أظفاري : أصله قصصتها ، فاجتمع ثلاثة أمثال ، فأبدل من احداها ياء للتخفيف .

والحـــق أن للقص والقصص معنى آخر هو تتبع الأثر ، تقول : قـص الرجل أثر فلان قصـــا وقصصا اذا تتبعه شيئا فشيئا ، ومنه قوله عز شأنه : « وقالت لأخته قصيه » أي تتبعي أثره لتعرفي أين مكانه ، ويجوز في هذا أن يقـــال بالسين بدلا من الصاد ، تقول : قسست أثر فلان قسا .

ومن تتبع الأثر أيضا قوله تعالى : « فارتدا على آثارهمـــا قصصا » أي فرجعـــا من الطريق الذي سلـكاه يقصان الأثر .

والقص والقصص لهما معنى آخر ، هو الصدر ، أو وسطه ، أو عظمه ، جمعه قصاص بالـكسر كبغل وبغال ، وكذلك هـــو من الشاة ما قص من صوفها .

والقصاص ، والقصاصاء بكسرهما ، والقصاصاء بالضم القود ، وهو القتل بالقتل ، والجرح بالجرح ، ومنه قوله ســـبحانه : « والجروح قصاص » وقوله : « ولـكم في القصاص حياة » والتقاص بشد الصـــاد التناصف في القصاص قال :

فرمنا القصـــاص وكان التقا
ص حكما وعدلا على المسلمينا

**عباس أبو السعود**

---

# ذكرى المولد النبوى الشريف

للأستاذ : محمود بكر هلال

ذكرى يضىء بهـا الزمان ويزهر
كالصبح عن نور الحقيقة يسفر

سعدت بهـا الدنيا وكان ضياؤها
أملا يهز العالمين ويسحر

فالكون كان عماية وضلالة
والنـاس من ظلم الحياة تسخر

هـذا هرقل يسوم أمته الأذى
ويسوقها سوق النعام ويزجر

وهنـاك كسرى قد علا ايوانه
فتراه ينهى فى العباد ويأمر

وبمصر فرعون يقول : أليس لى
مصر وتجرى فى ثراها الأنهر ؟

والنـاس تخبط فى الضلال وعيشهم
خمر ووأد للبنات وميسر ! ! !

وغدت حيـاة الناس ليلا داجيا
والعقل حيران المذاهب قاصر

والأرض ضجت من مظالم أهلها
ومضت تثور على الفساد وتنذر

وتتابع الأرهاص فى جنباتها
وبدت ملائكة السماء تبشر

يا أرض فابتهجى فأحمـد قادم
يهدى الحيـارى فى الحياة وينصر

ويقيم دين الله لمـاح السنا
وله القيـادة واللـواء الأكبر

حتى اذا أذن الاله تجملت
دنيـا الأنام وطاب منهـا المنظر

وتلألأ النـور البهى محـمد
وانساب فى الدنيـا جلال طاهر

وبليـلة الميـلاد أشرق نوره
وانجـاب ليل « جاهلى » كافر

وهوى على الأذقان أرباب الهوى
وانفض من حول الكئوس السمر

والحـان خرت والكئوس تفزعت
وغدت جفـافا فى يد تتحسر ! ! !

طاحت أباطيل الجهـالة كلهـا
لمـا بدا النـور الشريف الأزهر ! ! !

تفـديه أرواح تراه نورهـا
فهـو الحبيب الى النفـوس الطاهر

وتقيم دين الله لا تخشى الردى
وتجيب ان نـادى الحنيف وتنصر

لـكنما الشرق الذى قاد الورى
بالنـور فارتفع العبـاد وأبصروا

قـد قـلد الغرب المضل وعره
منـه بريق زائف متـحير ! ! !

فالى متى والشرق غاف غافـــل
وابن العروبة فى الغواية ســادر ؟

ونبينـــا بعث الممـــالك حرة
ومضى وعهد النـــاس عهد زاهر

فاذا أرادوا عزة تســـموبهم
وتضمهم بين الأنام أواصر ؛

فليرجعـــوا لمحمـــد وكتـــابه
والله جـــل هـــو المعين الناصر

**محمود محمد بكر هلال**

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

• **الرسول صلى الله عليه وسلم لفضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود**

كتاب جديد لفضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ، شيخ الأزهر ، وهو يعرض لمحات من حياة الرسول ، وأضواء من هديه فى مائة وثمانين صفحة • وقد قدم فضيلته لهذا الكتاب بمقدمة فى زهاء ثلاثين صفحة ، أشار فيها ــ الى أن الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ امتزج بالقرآن روحا وقلبا وجسما ، وامتزج به عقيدة وأخلاقا ، وتشريعا ، فكان قرآنا يسير فى الناس ، وكان القرآن روحا ينتقل ، وكان قلبا ينبض ، وكان لسانا ينطق بالهداية والارشاد ، كما أثار فضيلة الامام الأكبر فى المقدمة قضية من القضايا المهمة : قضية بشرية الرسول عليه السلام • فأشار الى بعض الناس حينما يقرأون القرآن : « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى » يقف عند كلمة بشر ، فيحاول التركيز عليها وينسى «يوحى الى» ويهملها اهمالا ، فيتحدث عن الرسول وعن خطئه فى الرأى وعن اصابته وينسى فى كل ذلك : « وما ينطق عن الهوى » •

وأود أن أقول هنا : ان الذين يقفون عند حد قوله تعالى : « انما أنا بشر » لا يمكن اعتبارهم مسلمين• ومن هؤلاء المستشرقون والمبشرون ومعهم الزائفون • وأعتقد أن هؤلاء هم الذين يعنيهم فضيلة الامام الأكبر، لكن المسلم المؤمن ايمانا كاملا بمحمد عليه الصلاة والسلام بشرا من جانب ورسولا يوحى اليه من جانب آخر • وعندما يناقش مسألة الاجتهاد فى الرأى ، والخطأ والصواب فيه ، فيما يمس شئون الدنيا ، فانما يناقش جزءا من بشرية الرسول عليه الصلاة

والسلام ، ولا يجـول بخاطره على الاطـلاق أن يمس جانب النبوة أو يساوره شك فى قوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى » معتقدا أن الاجتهاد فى الرأى فى شـئون الدنيا بالنسبة للرسل عليهم السـلام لا ينقص من أقدارهم شيئا كأنبياء موحى اليهم ، وقد فهم الامام الغزالى من الكتاب والسنة الصحيحة مالم يدركه امام كبير كالفخر الرازى فى كتابه « عصمة الأنبيـاء » يقـول الامام الغزالى فى الصفحات الأولى من الجزء الرابع الاحياء :

« التوبة فرض عين فى حق كل شخص ، لا يتصور أن يستغنى عنهـا أحد من البشر ، كما لم يستغن آدم .. ان كل بشر لا يخـلو عن معصية بجوارحه .. اذ لم يخل عنه الأنبياء كما ورد فى القرآن والأخبـار من خطـايا الأنبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم ... » .

فى اعتقادى أن مقدمة كتاب الامام الأكبر .. « الرسول صلى الله عليه وسلم » والتى اسـتوعبت ثلاثين صفحة ــ على جانب من الأهمية ، أما بقية الـكتاب ، فقد عرض فيها الامام الأكبر لنسبه الشريف والاسراء والمعـراج ، والهجرة ، والوحى ، والعلم فى الاسلام ، ثم لجوانب من سيرته عليه الصلاة والسلام ، فهو نبى التوبة ، وهو العابد ، وهو الذى بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق ..

وموضـوع « العلم فى الاسـلام أوسع دائرة » الذى عرض له فضيلة الامام الأكبر ، موضوع له أهميته ، ففضيلته يرى أن أوربا اذا كانت قد اقتصرت على العـلم المـادى ، فان الاسلام لم يقف عند ذلك ، وانمـا وجه الانسانية الى مصدر آخر للعلم والمعرفة : هو القلب أو هو الروح والبصيرة ، ويجمع الاسلام الاتجـاه العلمى الحديث الى الاتجاه البصيرى فى قوله تعالى : « ان السمع والبصر والفـؤاد كل أولئـك كان عنه مسئولا » فالسمع ، والبصر ، همـا أساس العلم المـادى : علم التجربة ، والملاحظة ، أما القلب : فانه أسـاس العلم الالهامى ــ واذا كان الاسلام ، أوسع نظرة فى الجانب العلمى عن الحضارة الحديثة ، وأدق وأشمل ، فانه يختلف معها اختلافا جذريا حاسما فى مسألة الارادات والنـوايا ، وفى أمر الأسباب والبواعث ، وفى اتجـاه الغايات والأهداف ..

• **الوحدة الاسلامية**

**للأســـتاذ زيد بن عبد العزيز ابن فياض**

هذا الــكتاب الذى يقع فى مائة صـــفحة وعشر من القطع الـكبير ، نشرته مطابع القصيم بالرياض ، هو لعالم فاضل وكاتب واسع الأفق من علماء المملـكة العربية الســعودية وأدبائها ، سبق أن قدم الى المـكتبة العربية والاسلامية زهاء عشرين كتابا فى الفكر الاسلامى وفى الأدب والنقد والتراجم لمشاهير التاريخ الاسلامى • والقضايا السياسية الاسلامية •

والحق أن الكتاب الذى بين أيدينا يعتبر دفعة قوية لكاتب مسلم ، يعيش الاسلام بكل قضاياه الفكرية والسياسية فى وجدانه ، ومن الموضوعات التى أثارها وهى جديرة بالعنـاية : نيجريا ومؤامرات الاســتعمار والحــرب الصليبية ، الوحدة العربية والوحدة الاسلامية ـ نريدها جامعة اسلامية ـ الناقمون على وحدة المسلمين ـ درس من زنجبار ـ العــرب والأتراك ـ قبرص بين العــدل والعــدوان ـ الاستعمار المقنع ـ لحساب من هــذه الخصومات ؟ ـ سوكارنو وابن بيلا ـ اسلامية لا عنصرية ـ فى دعوة الاسلام عز للعرب ـ ثم : ماذا ينتظر للعالم الاسلامى ؟ وتحت عنوان « الوحدة العربية والوحدة الاســلامية » يشير المؤلف الى أن الوحدة العربية أمل كل عربى ، ومطمح سام لرغبات أمة من الخليج الى المحيط • • وعلى هذا الأساس فنحن نشعر بغبطة وبهجة لدى حصول أى تقارب عربى أو اتحــاد عربى ، والاســـلام دين الوحدة ، ومعظم العرب ينسبون الى الاســـلام الذى لا يقتصر على دعـــوة عربية وحسب ، وانما يدعو لوحدة أشمل وأوسع التى لا تتناول مائة مليون عربى وحسب ، بل مئات الملايين ، واذا علمنا أن شريعـة الاســـلام ناسخة لجميع الشرائع قبلها ، وأن محمدا عليـــه الصلاة والسلام قد بعث الى النـاس كافة ، علمنا أنه يدعو لوحدة لا تقتصر على جنس أو لون أو وطن ، وانمــا تشمل الأبيض والأســود والأصفر ، والأجناس المختلفة والأوطان المتباينة•• انها دعوة عالمية ••

الحق أن القضايا التى تناولهــا المؤلف فى كتابه كلهـا مثير ، ومن أبرزها قضية الاســلام والعنصرية ، حيث قرر أن الاسلام لا يعترف ـ ومحال أن يعترف ـ بالعنصرية وأن

التفاتة الى الذين حملوا راية العلم من قبل ، تظهر بما لا يدع مجالا للشك فى أن هذا الدين قام به مسلمون على مختلف أقطارهم وأجناسهم لأنه دين البشرية جمعاء • ثم قضية الصلة بين العرب والأتراك ، فالمؤلف يرى أن العلاقات العربية التركية كانت متينة ، وبعد أن تقاسم الاستعمار تركة الرجل المريض ، عمل على فصم عرى التعاون بين العرب والأتراك ، وحاول اجتذاب تركيا للتغرب ونبذ الاسلام • • وزاد فى شقة البعد بين العرب والأتراك المناداة بالقوميات والعصبيات • مما اضعف رابطة الدين فى النفوس • والذى يثير المؤلف ، أن بوادر التقارب الجديد من جانب الشعب التركى الذى يصر على التدين وحبه للمسلمين ، لا تجد اهتماما من بعض البلاد العربية ، بينما تتعلق بصداقات وهمية واستهلاكية غير عملية •

وامتاز هذا الكتاب بالجرأة والصراحة فى كل ما عرض له ، من القضايا السياسية التى يمثل العرب أو الاسلام طرفا فيها ، الا أن بعض القضايا كانت فى مسيس الحاجة الى الاشباع ، والمناقشة الهادئة ، ولا شك أن الغيرة مطلوبة ولا سيما اذا كانت المسألة لونا من التحدى للاسلام والمسلمين ، وهذا ما فعل المؤلف فى بعض القضايا التى كانت تستلزم قلما حادا لا يعرف الهوادة •

• • •

**• نحو التربية الاسلامية الحرة**

**للعلامة الأستاذ أبى الحسن الندوى**

المؤلف ليس فى حاجة الى التعريف ، فهو أحد علماء الهند المبرزين ، الذين لهم دور طليعى فى الجهاد الاسلامى بالقلم وباللسان معا — بالاضافة الى ما قدمه العالم الكبير الى المكتبة الاسلامية من مؤلفات لها مكانها المرموق •

وهذا الكتيب الذى لم تتجاوز صفحاته أربعا وستين صفحة من القطع الصغير والذى نشرته دار المختار الاسلامى بالقاهرة — على صغر حجمه هذا — يعتبر منهجا ذا أهمية بالغة فى التربية الاسلامية ، فنرى المؤلف يبدأ رسالته بقوله : « ان مسألة التعليم فى البلاد الاسلامية مسألة مستقلة قائمة بذاتها لأن الأمة الاسلامية أمة خاصة فى طبيعتها ووصفها •• هى أمة ذات مبدأ وعقيدة ، ورسالة ودعوة ، فيجب أن يكون تعليمها

خاضعا لهذا المبدأ والعقيدة ، وهـــذه الرســـالة والدعوة .. كذلك يرى المؤلف أن العالم الاسلامى فى حاجة ملحة الى نظـــام تعليمى اسلامى فى الروح والوضع،والسبك والترتيب .. أما المواد الهامة فى مجال التربية فهى القرآن ، والسيرة النبوية ، وتاريخ الصحابة .. فالتربية المعنوية ضرورة ملحة ، لأن التربية لا تقل أهمية عن التعليم ... ويطالب المؤلف بصـوغ نظام التربية من جـديد ، مشيرا الى النتائج السيئة التى عادت علينـــا من تطبيق النظـــام التعليمى الغربى فى الشرق الاسلامى ، فلقد كان نظـــام التعليم الغربى محاولة عميقة وخفية لابادة العنصر الاســلامى والقضـاء عليه ..

ويختم المؤلف رســـالته القيمة بضرورة العمل على ايجـــاد مجتمع علمى اسلامى ، وكان الأمثل أن يكون مجمعا علميا اســـلاميا ، يؤلف كتبا تجمع بين جدة الاطـــلاع وغزارة المـادة ، ومتانة البحث ، وبين اثبات العقيدة الاســـلامية ، والتوفيق بين العلم والدين .

• • •

**• طرائف عربية**

ان لمجلة « العربى » التى تصـدر بالكويت الشقيق مكانة فى نفوس قراء العربية ، وهذا مما لاريب فيـــه ، ومقالاتها جادة ، وأبوابها فيها الطرافة والجدية الثقافيـة ، ومنها « طرائف عربية » وفى عدد يناير المـاضى وهو العدد الممتاز ، سجل المحرر فى هذا البـــاب احدى الطرف عن الخمر ، تقول :

يقول أبو نواس فى الخمر :

ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر
ولا تسقنى سرا اذا أمـــكن الجهر

ويقال : انه كان يمشى فى بعض الطرق فيسمع بعض الأحداث يرددون هذا البيت ، فقال أحدهم : هل لـــكم أن تجيبـــونى ، لم قال ابن هانىء « وقل لى هى الخمر » ؟ فقال الفتى : « انما أراد أن تكون المتعة من الخمر تامة فى كل الحـــواس الخمس ، فشارب الخمر يلمسها ويذوقها ويشمها ويراها ، فلم يبق الا السمع، لذلك قال ابن هانىء « وقل لى هى الخمر » ليسمع اســـمها فتتم المتعة للحواس جميعها » .

قال أبو نواس :

والله اننى لم أقصد ذلك « ولكنك أحسنت وأحسنت » •

لا أعتقد أن نشر مثل هذه الطرفة يليق بجلال مجلة « العربى » التى لها فى نفوس قرائها كل اجلال وتقدير •• وكفى •

* * *

**قراءات :**

« لقد جئت لأتولى قيادة الجيش الثامن •• فراعنى ما وجدت • • وجدت جيشا مهزوما ممزقا ، يلعق جراحه فوق رمال الصحراء الساخنة • • كان العتاد يعوزنا • • وكانت كميات الطعام التى تصل الينا لا تفى بحاجة الجنود منه ، ولكننى لم آبه كثيرا بهذا النقص الذى تعانيه ••كنت أدرك حقيقة واحدة •• وهى أن الغذاء الوحيد الذى يحتاج اليه جنودى ، هو الغذاء الروحى •• كانت مشكلتى الأولى هى : كيف أرفع من روحهم المعنوية •• فبدون هذه الروح ، لايمكن لأى جيش أن يحقق انتصارا مهما كانت الخطط العسكرية ناجحة وموفقة » •

من كتاب لمونتجمرى قائد قوات الحلفاء فى الصحراء الغربية فى الحرب العالمية الثانية •

**محمد عبد الله السمان**

# باب الفتوى [١]

للأستاذ محمد أبو شادي

**الأدب مع الله فى الصلاة**

السؤال : هل يجوز للرجل أن يصلى وهو عارى الرأس •

الجـــواب

كثيرا ما سئلت عن ذلك وكنت أجيب عنه شفاها ولكن بعض المهتمين بالشؤون الدينية وتبصير الناس بالحق والهدى رغب الى أن أكتب كلمة فى هـذا الموضـوع ، فأختصرت القـول وأوجزت فى البيان لعدم الحاجـــة الى أكثر من هذا المقال• يجوز للرجل أن يصلى مكشوف الرأس ، فانهـــا تكشـف فى الاحـرام وجوبا غير أن الأفضل أن يصلى على الصورة التى كان يفعلها النبى صلى الله عليه وسلم ، اذ هى أفضل الحالات وأكمل الهيئات ولم ينقل الينا فيما نقل الثقات من هديه فى صـــلاته وملبسه أنه صلى مكشوف الرأس مع توفر الدواعى لنقله لوفعله ومن زعم ثبوت ذلك عنه فعليه الدليل، والحق أحق أن يتبع بل المنقول الثابت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان من عادته لبس العمامة أو القلنسوة أوهما معـــا فى مجالسه وفى خطبه وفى اســـتقباله الوفود وفى سلمه وحربه فقـد دخل مكة يوم الفتح وعليـه عمامة ســوداء وكانت عمامته تسمى « السحاب » أهداها لعلى بن أبى طالب وكانت له عمائم أخرى وسئل ابن عمر كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتم فقال يدير كور العمامة على رأسه ويغرشها من ورائه ويرخى لها ذؤابة وعنه رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اعتم سدل أى أرخى طرف عمامته •

ووردت عدة أحاديث فى اسدال طرفها وفى عدبتها وفى موضعها من الوراء أو الجانب الأيمن أو الأيسر وكلها ظاهرة فى التزامه لبسها فى كل

أحوالهولم ينقل الينا ولا عرف عنه صلى الله عليه وسلم أنه جلس بين أصحابه أو مشى فى الطريق أو خطب أو استقبل الوفود أو غزا وهو حاسر الرأس دون عمامة أو قلنسوة ، ومن ادعى شيئا من ذلك فعليه البرهان ، وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم عمم عبد الرحمن بن عوف وعمم على ابن أبى طالب يوم غد يرخم بعمامة سدل طرفها على منكبه ، وقال : ان الله أمدنى يوم بدر ويوم حنين بملائكة معممين هذه العمة ؟ أى لأن المسلمين يتعممون بخلاف المشركين ، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : ان هذا بين فى أن الفرق فى الاعتقاد والعمل بلا عمامة حاصل فلولا أنه مطلوب أن يفرق بين الفريقين بلبس العمامة لم تكن هناك فائدة أ هـ وقال أبو بكر ابن العربى ان العمائم سنة المرسلين أ هـ وخير المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله فتكون العمامة من سنته أيضا •

وقد استن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك جريا على عادة أشراف العرب حيث كانوا لا يجلسون فى المجالس ولا يخطبون فى المجامع ولا يحضرون فى المحافل الا وعلى رءوسهم العمائم فكانت العمائم عندهم شعار الكرامة والعزة والسيادة والرياسة والمروءة والوقار ولا زالت هذه العادة بين العرب الى وقتنا هذا وسرت منهم الى غيرهم من المسلمين فى الممالك الاسلامية الا من شذ ونأى بجانبه عن تقاليد الاسلام المتوارثة والعادات العربية الصحيحة أنفة من العرب والعروبة واستكبارا فى الأرض واحياء لعصبية جنسية ممقوتة بل لا زلنا نشعر نحن المسلمين فى بلادنا من أجل تأصل هذه العادة فى نفوسنا بأن من يغشى مجالس العظماء والسادة عارى الرأس قد أخل بالمروءة وتجرد من الحياء وكان حقيقا بالعتاب بل بالعقاب •

ولا شك أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يختار لنفسه من الأحوال والأفعال والصفات والهيئات الا أشرفها وأفضلها وأعزها وأكرمها فلا يعقل بعد أن وصف العمائم بأنها سيما الاسلام وانها الفارق بين المسلمين والمشركين وأنها شعار الملائكة يوم بدر ويوم حنين وبعد أن عرف عنه لبسها فى سلمه وحربه وفى مجلسه وعلى منبره ـ أن يدعها فى صلاته ولو جازت الصلاة بدونها لأن الجواز مرتبة والكمال

والتأدب مرتبة أعلى وأعظم ، وللرسول أعظم المراتب وأجلها ؟ من ذلك يظهر أن لبس العمامة عادة عربية قديمـة وسنة نبوية قويمة وتقليد اســـلامى متوارث وعنوان على المروءة والشرف فاذا كان مطلوبا من المسلم أن يحافظ على هـــذه العـــادة والسنة فى عامة الأحـــوال ، لاجرم أن يكون طلب المحافظة عليها فى الصلاة آكد وألزم لتأكد الأدب فيها مع الله تعالى أكثر من غيرها •

والآن وقد تنوع غطاء الرأس من عمامة الى طربوش الى طاقية ونحوهما كما تنوع فى عهده صلى الله عليـــه وسلم من عمامة الى قلنسوة اليهمـــا معا ، ينبغى أن يعلم أن مناط الأفضلية تغطية الرأس بأى غطاء متعارف لما فى كشفها من ســـوء الأدب وان كانت الصلاة جائزة ســـواء أكانت الرأس مغطاة أم مكشوفة فمن صلى مغطى الرأس فقد فعل الأكمل ومن صـــلى عارى الرأس جازت صلاته ولـــكن مع القصـــور عن مرتبة الـــكمال والله أعلم •

### السؤال

**السؤال : من المواطن الســـيد / عبد الله مصطفى العريس •**

ما القول فيمن أفطر فى رمضـان قبـــل غروب الشمس بتسع دقائق مستندا الى أذان المؤذن فى الاذاعـة ( مثلا ) ثم تبين خطؤه ـ هل عليـــه قضاء ذلك اليوم أم أن قضاءه مرفوع عنه لـــكونه أفطر مخطئا لا متعمدا ؟ ما حكم الشرع ؟

### الجواب

الحمد لله رب العالمين والصـــلاة والسلام على سيد المرسلين ، ســـيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد : بأن من أكل فى رمضان وهو صائم ظانا الغروب ثم تبين له أن النهار باق يجب عليه القضاء والكفارة على ما صـــح فى مذهب الامام أبى حنيفة والقضاء فقط عند بقية الأئمة •

والله تعالى أعلم •

# أنباء و آراء

للاستاذ علي الخطيب

**« الاسلام ومعركة العاشر من رمضان » :**

سيطرت على أوربا في القرون الوسطى نظرية سياسية كانت من أخطر النظريات وألهبها جحيما لبني البشر، فالنظرية تقول :

« الدول بطبيعتها أعداء »

ولكن معركة العاشر من رمضان أظهرت قبسا من نور الاسلام في وحدة العرب التي أعطت بسخاء لا تريد جزاء ولا شكورا ، ثم في الوحدة الاسلامية التي تجلت باهرة في « لاهور » فرضى عنها المسلمون من قلوبهم • كلتا الوحدتين ساعدتا في حق وبذلتا في حق وساندتا في حق لا يعرف عدوانا ولا يقوم على عداوة ولا يهدف الى عدوان •

**مع المؤتمر الكبير بداية ونهاية :**

• في الاثنين ١٠ من شوال ١٣٩٣ وفي « اسلام أباد » أعلنت حكومة باكستان أن ذا الفقار على بوتو رئيس وزراء باكستان ، والسيد تنكو عبد الرحمن السكرتير العام للمؤتمر الاسلامي اقترحا عقد مؤتمر للدول الاسلامية لبحث أزمة الشرق الأوسط •

وكان اقتراحا حكيما في وقته فقد جاء اعلانه والعمل له بعد الصمود الرائع للقوى العربية ـ جميعا في المنطقة ـ وكان السيد ذو الفقار على بوتو قد زار الرياض في يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان • بعد زيارة أخرى له موفقة وحكيمة في تركيا •

وكان واضحا أن الأمة العربية تعيش ـ في عصرها الحاضر ـ أروع أيامها •

وأذاع الملك الحسن الثاني في الرابع من شوال حديثا جاء فيه •

ان الأمة العربية قد استعادت كرامتها وأحرزنا انتصارا على أنفسنا وأعدائنا •

ثم دعا الحسن الى استغلال الانتصار الى أقصى حد .

• وفى السادس عشر من شوال شهد فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير الأزهر مؤتمرا عقد بمدينة البعوث الاسلامية ضم نحو ألفى طالب ينتمون الى أربع وسبعين دولة اسلامية ودعا المؤتمرون حكومات دولهم الى :

قطع علاقاتها باسرائيل .

والعمل لانسحابها فورا من الأراضى المحتلة .

والى اعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

• فى الاثنين الثامن عشر من شوال ـ وصل القاهرة السيد تنكو عبد الرحمن الأمين العام السابق للمؤتمر الاسلامى ـ وأجرى ـ بصفته ـ أمينا فى هذا الوقت ـ اتصالات مع المسئولين بشأن الدعوة لعقد مؤتمر لوزراء الخارجية الاسلامية يقوم بوضع جدول أعمال مؤتمر القمة الاسلامى .

• وفى الثلاثاء السادس والعشرين من شوال حضر الى القاهرة السيد عبد الحفيظ بير ذادا وزير التعليم الباكستانى ومبعوث السيد بوتو يحمل رسالة للرئيس السادات حول اقتراح باكستان الخاص بعقد مؤتمر قمة اسلامى لبحث تطورات الأحداث بالشرق الأوسط وزار المبعوث عدة بلدان عربية أخرى .

• وصرح السيد بير ذادا بقوله :

ان الهدف الرئيسى من المؤتمر المقترح هو توفير دعم اسلامى شامل للجهد العربى ، واتخاذ خطوات ايجابية وبناءة لمساعدة الدول العربية التى تعرضت للعدوان الاسرائيلى ، وقال :

ان النزاع العربى الاسرائيلى لايعتبر نزاعا يخص الدول العربية وحدها ولكنه يهم مباشرة العالم الاسلامى كله .

• فى الاثنين الثانى من ذى القعدة انعقد بالجزائر المؤتمر السادس للملوك ورؤساء الدول العربية ثم تبعه المؤتمر السابع المحدود بالجزائر أيضا فى الأربعاء الحادى والعشرين من المحرم وانتهى الى اجماع تام حول القضايا التى بحثت .

وصدر عنه البيان التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

فى اطار العمل العــربى المشترك الذى أرسى أسسه مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى الجزائر فى شهر نوفمبر ١٩٧٣ ، وانطـلاقا من ايمان الأمـة العربية بوحدة مصيرها وضرورة تكاتفها والعمل يدا واحدة فى سـبيل قضيتها اجتمع فى مدينة الجزائر يومى ٢٠ و ٢١ من المحرم ١٣٩٤ الموافق ١٣ و ١٤/٢/١٩٧٤ كل من صـــاحب الجلالة الملك الفيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية وسيادة الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية وسيادة الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السـورية وسـيادة الرئيس هوارى بومـدين رئيس مجلس الثـورة والحكومة للجمهـورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية •

وقد أكد القادة الأربعة على قرارات مؤتمر قمة الجزائر التى تنص على :

أولا ــ الانسـحاب الـكامل من الأراضى العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ من قبل العدو •

ثانيـا ــ ضــمان حقوق الشـعب الفلسطينى فى أرضه ووطنه •

• ثم كان المؤتمر الاسلامى الثانى للملوك ورؤساء الدول الاسلامية دعما تاما وكاملا لكل هـذه المبادىء وسندا شريفا للأمة العربية يهديه نبع خالص من نور الله وكتابه المبين •

وبدأ المؤتمر الـكبير يوم الجمعـة ٣٠ من المحرم ١٣٩٤ ــ ٢٢/٢/١٩٧٤ وحضره سـت وثلاثون من المـلوك والرؤساء وممثليهم ، كذلك حضره السـيد ياسر عرفات الذى اسـتقبل استقبال رؤساء الدول وانعقد المؤتمر عقب صلاة الجمعة بمدينة لاهور •

وكان من آثاره الحسـنة زوال الخـلاف بين باكسـتان وبنجالاديش واعتراف الأولى بهـا بمساع مصرية حميدة وكان أمام المؤتمر قضية واحدة هى :

أزمة الشرق الأوسـط بأجزائهـا الثلاثة : عروبة القدس ــ وانسحاب اسرائيل من الأراضى المحتلة ــ وحقوق شعب فلسطين •

وصدر بشأنها القرارات التالية :

• ان مؤتمر القمة الثانى يؤكد من جديد التزامه بالقرارات الصادرة عن المؤتمرات الاســلامية السابقة لوزراء الخارجية بشأن مدينة القدس الشريفة تدين اسرائيــل بالتــدابير التى تتخذها لتهويد مدينة القدس ورفضها للامتثال لقرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن التى تطالبها بالغـاء كافة الاجراءات المؤدية الى ضم مدينة القدس الشريفة الى اسرائيــل أو تغيير الطـابع الدينى والتاريخى للقدس باعتبار هذه التدابير والاجراءات لاغية وكأنها لم تكن •

ويطالب المؤتمر بانسحاب اسرائيــل الفورى من القدس الشريفة ويعلن أن اعادة السيادة العربيــة للقــدس شرط أساسى ولازم لأية تسـوية فى الشرق الأوسط ، وأن أى حل لا يعيد هــذا الوضع الى سابق عهده لا تقبله البلدان الاســـلامية ويعارض أى محاولة لتدويلها •

ويقرر المؤتمر مواصلة الجهاد فى سبيل تحرير مدينة القــدس وصيانة مقدســاتها والاصرار على ألا تكون موضعا لأية مساومة أوتنازل أو الحلول الوسـطة ، كمـا يرحب بأى مساع صديقة تخدم ذلك •

• ان القدس هى الرمز الوحيـد لالتقاء الاسلام بالتراث المقدس لابراهيم وموسى والمسيح وجميعهم أنبياء وضعهم المسلمون فى أسمى مراتب التبجيل وعلى ذلك فان الدول الاســلامية لا يمكن أن تقبل أى اتفاق أو تسوية تتضمن استمرار الاحتلال الاسرائيلى لمدينة القدس أو وضعها تحت أى سيادة غير عربية •

• ونص القرار الخاص بالشرق الأوســط والقضــية الفلسطينية على ما يلى :

المســاندة الـكاملة والفعالة لمصر وسوريا والأردن والشعب الفلسطينى فى نضالهم المشروع لاسترجاع جميع أراضيهم المحتلة بكافة الوسائل •

• العمل فى كافة المجالات لحمل اسرائيــل على الانسحاب الفورى غير المشروط من جميع الأراضى العربيــة التى تم احتلالها ، كما تتعهد الدول الأعضاء باتخاذ كافة الاجراءات المناسبة من أجل تحقيق هذا الانسحاب •

• يطالب المؤتمر جميع دول العالم بمساندة شـعب فلسطين فى نضـاله ويجدد التأكيد على أن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى ونضاله المشروع •

• ادانة جميع الدول التى تقـدم الدعم العسكرى والاقتصادى والبشرى لاسرائيـل ومطالبتهـا بالـكف عن الاستمرار فى ذلك من الآن •

• مطالبة الدول الأعضاء والتى لها علاقات مع اسرائيل بقطع هذه العلاقات فورا فى كافة المجالات تدعيما للتضامن الاسلامى •

• يحيى المؤتمر المبـادرات البناءة التى قامت بها الدول الأفريقية لتأييـد الحق العربى • ويدعو المؤتمر الدول الأعضاء الى مواصـلة تأييـدها للقضايا الافريقية •

• اختتم المؤتمر الاسلامى الـكبير أعماله يوم الأحد الموافق الثـانى من صفر ١٣٩٤ ـ ٢٤ فبراير ١٩٧٤

وقد اتخذ المؤتمر خطوات ايجابيـة عمليـة للقضـاء على الفقر والجهل والمرض فى البلاد الاسـلامية وانهـاء استغلال الدول المتقدمة للدول النامية ، وقرر انشاء لجنـة تتكون من ممثلين وخبراء من مصر والجزائر والكويت وليبيا وباكستان والسـعودية والسنغال وايران واندونسـيا ، مهمتها ايجـاد الوسـائل والأسـاليب الكفيلة بتحقيق هذه الأهداف وضمان رفاهية الشعوب الاسلامية ، وطلبوا من اللجنة أن تبدأ عملها فورا وأن تقدم مقترحاتها خلال شـهرين الى مؤتمر وزراء الخارجيـة لبحثها وتنفيذها بصفة عاجلة ؟

**على الخطيب**

# مدينة القدس

## المشروع المقدم من مجمع البحوث الاسلامية
## باسم الأزهر الى المفوض المصرى فى باكستان وجنيف

القدس مدينة مقدسة فى نظر المسلمين بحكم عقيدتهم الدينية التى تضمن التصديق بجميع الرسالات السماوية وبجميع أنبياء الله ورسله ، وبسبب ذلك حافظوا عليها وعلى جميع مقدساتها الموسوية والمسيحية والاسلامية ، بعدل تام سجله التاريخ ؛ وظلت على مدى تاريخ المسلمين موضع رعايتهم العادلة التى اعترف بها ورضى عنها العالم أجمع •

أولا : ان ( بيت المقدس ) كنعانية عربية ، أسسها أصحابها قبل أول عهد لليهود بها بأكثر من ألفى سنة • ومن اسمها الكنعانى العربى ( أورسالم ) اشتق اسمها العبرى واسمها الغربى •

ثانيا : ان ابراهيم واسحاق ويعقوب ( اسرائيل ) وموسى لم يملكوها • بل ان ابراهيم لم يجز لنفسه أن يملك مقدار قبر يدفن فيه زوجته سارة ، فالتجأ الى (بنى حث) أصحاب الأرض، وقال لهم : « أنا غريب ونزيل عندكم • اعطونى ملك قبر معكم لأدفن ميتى أمامى » • فقبل ( بنوحث ) طلبه ؛ لأنه رئيس من الله بينهم • ولكن ابراهيم عرض ثمنا لمغارة كان يملكها عفرون ابن صوحر ليتخذها مقبرة ، فرفض عفرون الثمن ، وعرض المغارة هبة ، ولكن ابراهيم أصر على الشراء ودفع الثمن لعفرون » •

( سفر التكوين ٢٣/٣ ـ ١٦ )

وتكرر ذلك مع ابنه يعقوب ، فانه : « أتى الى مدينة شكيم التى فى أرض كنعان • • • وابتاع قطعة الحقل التى نصب فيها خيمته من يد بنى حمور •• » •

( سفر التكوين ٣٣/١٨ ـ ٢٠ )

ثالثا : ان أول اتصال للاسرائيليين ببيت المقدس كان حين فتحها داود ، ودام حكمه هو وابنه سليمان نحو ثمانين سنة ، ثم انشقت مملكة داود الى اسرائيل ويهوذا ، وأضحت المدينة عاصمة يهوذا وحدها ، ولم تعترف اسرائيل للمدينة بالسيادة الدينية •

ثم أطاح البابليون بيهوذا وسبوا أهلها .

وفي خلال الحكم الاسرائيلي ظل العرب يعيشون في مدينتهم المقدسة . ويسميهم العهد القديم أحيانا « الاسماعيليين » وبذلك يتضح أن العرب لم تنقطع صلتهم بمدينتهم المقدسة حتى في زمن الاحتلال الاسرائيلي الغابر .

رابعا : أنشأ الكنعانيون حضارة ضخمة في البلاد في حين لم ينشيء اليهود حضارة ولم يحققوا أمنا .

وبعد الموجة الكنعانية الأولى تتابعت على بلاد كنعان التي عرفت فيما بعد باسم فلسطين خلال القرون التالية موجات ، بين كبيرة وصغيرة ، من شبه جزيرة العرب أدت الى صبغها بالصبغة العربية وارساء أصول العرب فيها ولايزال معظم سكان القرى الفلسطينية ينحدرون من الأصول الكنعانية . يقول العلامة المحقق السير جيمس فريزر : « ان الناطقين بالعربية من فلاحي فلسطين هم ذراري القبائل التي استوطنت فلسطين قبل الغزوة الاسرائيلية ، وأنهم مازالوا متصلين بالأرض ، لم ينفكوا عنها ، ولا اقتلعوا منها ، ولئن طغت عليهم الفتوحات فانهم ثبتوا وأقاموا » .

وقد وجد ابراهيم ملكا كنعانيا يقدس هذا المكان ( القدس ) واعترف ابراهيم بقداسته ، وهذا هو بداية حرمنا الأول ، وجاء سليمان بعد ألف سنة وأقام هيكلا .

وابراهيم هو أول نبي للاسلام ، ووالد لاسماعيل جد العرب ، فاذا أخذنا بوجهة النظر العنصرية فابراهيم أبونا ، وذا أخذنا بوجهة النظر الدينية فابراهيم أول أنبيائنا ، ونحن نصلي ونبارك عليه في صلاتنا خمس مرات كل يوم .

خامسا : دمر الرومان أورشليم التاريخية مرتين ، ومحوا اسمها جزاء أعمال اليهود ، وتحقيقا لنبوءة أنبيائهم ولنبوءة السيد المسيح . وبذلك انقطعت صلة اليهود بالمدينة وبالأرض وبالهيكل مدة ثمانية عشر قرنا متواصلة .

**كنيسة القيامة :**

ان كنيسة القيامة بعد أن أعيد بناؤها سنة ١٨١٠ باذن من السلطان العثماني — على أثر الزلازل والحرائق التي كانت قد أتت على معالمها قد أصبح منذ ذلك

التاريخ لكل الطوائف المسيحية نصيب فيها ،كل طائفة تعرف ما يخصها فهى لا تسمح لطائفة أخرى أن تتعدى عليها وتستند كل طائفة فى أملاكها على وثائق وعهـود من جميـع الحكومات التى حكمت هذه البلاد •

وكان المسلمون موضع ثقـة جميع هـذه الطوائف يعدلون بينها ويرعون مصالحها •

**فتح بيت المقدس ، وعهد عمر :**

يقول أحد كتاب القرن التاسع عشر وهو قرن التعصب ضد الاسلام مشيرا لمسلك عمر فى امتناعه عن الصـلاة فى الكنيسة :

وعندما اتفق الطرفان على شروط الصـلح وتم توقيعهـا طلب عمر من البطريرك أن يدله على مكان يصـلى فيه ، فدعاه الى أن يصلى حيث يقف فى الكنيسة ، ولكن عمر رفض أن يصلى هناك ، ثم أخذوه الى كنيسة قسطنطين حيث فرشـوا له حصيرة ليصلى عليهـا ولكنه رفض هذا المكان أيضا ، وخرج من الكنيسة وصـلى على درجاتهـا الخارجية ، ولمـا سأله البطريرك عن رفضه للصـلاة فى الكنيسة أجاب : أخشى أن يقول المسلمون : هنا صـلى عمر ويتخـذوها مسجدا وحتى يثبت عدله طلبقلما وورقةوكتب للبطريرك عهدا منع المسلمين فيه من الصلاة حتى على درجات الكنيسة الا بفرد واحد •

« ان هذا التحفظ النزيه فى كتابة الميثاق لوضع حد لمـا قد يخامر أصحابه من الطمع لا يمكن الا أن ينتزع اعجابنا بالرجل • ومهما بلغنا من التمدن فى هـذا القـرن ( التـاسع عشر ) فاننا لا نتصور أن هناك ما هو أشرف من هذه الصفات التى تحلى بها المسلمون عندما فتحوا القدس •

ومن كنيسة قسطنطين توجه موكب الخليفة الى كنيسة صهيون التى قال عنها البطريرك أنها مسجد داود فأجابه الخليفة ، أريد مكانا لا صاحب له ، فتوجهوا الى خرائب بيت المقدس التى كانت القمامة ملأتهـا الى القنـاطر والأقواس فى أعلاه وأندلقت منها الى الطريق•وهنا قال البطريرك لانستطيع الدخول الا زحفا على الأيدى والركب، فقال عمر ، فليكن ذلك ، وأخذ يجمع القمامة ويحملها ليرميها بعيدا ، واقتدى به الجنـد حتى نظفوا المـكان وبانت الصخرة للعيان •

**العهـدة العمرية :**

وكان الفتح العمرى لمدينة القدس سنة ١٥ هـ ( ٦٣٦ م ) مبدأ السيادة الفعلية للعرب المسلمين على هذه المدينة والاهتمام بشئونها ورعاية سكانها وتأمين حقوقهم •

وقد كتب أمير المؤمنين عمر وثيقة الأمان التالية وهى التى عرفت فيما بعد بالعهدة العمرية •

« بسم الله الرحمن الرحيم :

« هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايليـا من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسـهم وأموالهم وكنـائسهم وصـلبانهم ، سقيمها وبريئها وسـائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صـلبهم ولا شىء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضـار أحد منهم •

ولا يسـكن بايليا أحد من اليهود وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن أحب من أهل ايلياء أن يسـير بنفسـه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم • ومن كان فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه ما على أهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم • ومن رجع الى أهله فانه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصدوا حصادهم » •

وظلت القدس مكان رعاية الخلفاء الراشدين وبنى أمية من بعدهم ، وفى العهد الأموى بنيت فيه الصـخرة والمسجد الأقصى ، وتواصل العدل فى عهد العباسيين ، ومما تميز به عهـد الرشيد أنه عامل الرهبان والقسس والزوار والمسيحيين باعتبارهم أهـل كتاب ، نص القرآن الكريم على حسن معاملتهم ومثلهم في ذلك اليهـود • وانما نشير الى هذه المعاملة فى هذا العهد لأنه كان عهد تعصب دينى فى أوربا •

وقد شهد بمعاملة الرشيد ، الامبراطور شارلمـان فـكان يتبادل معه الهدايا كل عام • وفى القرن التاسع عشر زار برنارد الحكيم القدس وذكر

أن المسلمين والمسيحيين فى القدس على تفاهم تام وأن المدينة يسودها الأمن •

ومثل لذلك بقوله : اذا سافرت من بلد الى بلد ومات جملى أو حمارى وتركت أمتعتى مكانها وذهبت لاكتراء دابة من البـلدة المجاورة فاننى أعود فأجد كل شىء على حاله لم تمسه يد •

وفى بداية الحـكم الصـليبى الاستعمارى الذى دام نحو تسعين سنة حدثت مذابح للمسلمين بلغت سبعين ألفـا من الأنفس الى جانب النهب والسلب ، مما لا نحب أن نثير غباره حرصا على روح السماحة والمودة التى تجمع بين المسلمين والنصارى العرب الذين لم يؤيدوا تلك الحركة الصليبية الغربية الاستعمارية •

وعندما قرر صلاح الدين استرداد بيت المقـدس كان حريصا على أن يجنب المـدينة ويلات الحروب والحصـار ، فقبل شروط التسليم والعفو الذى أصدره ونفذه على جميع المواقع الصليبية التى سلمت اليـه • وقد تواترت آراء المؤرخين المسيحيين فى بيان العـدالة ، بل السماحة التى عامل بها صلاح الدين اللاتين الذين انتصر عليهم واسترد منهم القدس •

فمن ذلك ما يقـوله المـؤرخ الانجليزى (كوكس) : « لقـد لقى اللاتين من رحمة صلاح الدين ولطفه وانعامه فوق ما انتظروا • ومن المؤكد أن مثل هذه المعاهدة لو عقدت فى زمن بطرس الناسك وجود فرى لخرقت ساعة النصر ، وانصب الويل على المغلوب » •

كما يقول اليستير دنـكان :

« لقد كانت أول مرة نجت فيهـا القـدس من المذابح ، عندما فتحهـا عمر بن الخطاب وهـو فاتح احترم المدينة باعتبارها مدينة مقدسة تتصل بالله تعالى وأنبيائه • والقرآن يقول : ( ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ) وفضلا عن ذلك فان عهد عمر بن الخطاب مع سكان بيت المقدس النصارى يتسم بسماحة يندر أن يجـدها التاريخ من فاتح منتصر لأعدائه الذين قد قهرهم فى هذه المدينة » •

وقد ظلت سياسة المسلمين والعرب فى شأن القدس هى هذه السياسـة التى بدأت بعهـد عمر وأكدها صـلاح الدين ، وتمثلت فى رسـالة متصرف القـدس ( عزت بك ) الى

القيادة الانجليزية فى الحرب العالمية الأولى عندما كانت الجيوش الانجليزية تهاجم المدينة للاستيلاء عليها • فقد دفعه الحرص على سلامة المدينة المقدسة وحماية ســـكانها مسلمين ومسيحيين ويهودا من ويلات الحرب أن يسلمها ، كيـلا تصاب مقدساتها بنيران المدافع التى كانت مصـــوبة نحوها ، مدفوعا الى ذلك بعهد عمر وعهد صلاح الدين وهـــو ما كان يحافظ عليه بوصفه محافظا للمـدينة باسم دولة اسلامية وهذا هو نص هذه الرسالة التاريخية :

« منذ يومين والقنابل تتساقط على القـــدس المقـــدسة لدى كل ملة ، فالحـــكومة العثمانية رغبة منها فى المحافظـــة على الأماكن الدينية من الخراب قد سحبت القوة العسكرية من المدينة •

وأقامت موظفين للمحافظة على الأماكن الدينية كالقيامة والمســـجد الأقصى ، وعلى أمل أن تكون المعاملة قبلـكم على هذا الوجـــه فانى أبعث بهذه الورقة مع وكيل رئيس بلدية القدس حسين بك الحسينى » ••

( ١٣٣٣/١٢/٨ هجرية )

وخلاصة الموقف ازاء الاشراف على هذه المدينة المقدسة هو : بما أن هذه المدينة تحتوى على مقدسات يهـودية ومسيحية واسلامية فان الاشراف يجب أن يكون لمن يؤمنون باحترام هـذه الديانات الثلاث ايمانا متصلا بعقيدتهم الدينية ، لا اعترافا سياسيا تدعو اليـه عوامل المصالح • والاسلام كما هـو معروف ، يجعل الايمان بما أنزل على سـيدنا موسى وما أنزل على سـيدنا عيسى ، عليهما السلام ، جزءا لايتجزأ من العقيدة الاسلامية •

وبذلك لا ضمان لجميع هـــذه المقدسات الا تحت حكم اســـلامى عربى •

وقد دل التاريخ فى مدى أربعـة عشر قرنا على قيام الحكم الاسلامى العربى بهذه الرعاية ؟ مهما اختلفت الدول الاسلامية التى يمثلها هـــذا الحكم ـ وعلى العـــكس من هذه السياسة كان الأمر حينما كانت السلطة تؤول لغير المسلمين فى الفترات القصيرة التى انحسر فيها الحـــكم الاسلامى العربى •

أما ما يهمس به سرا أو يعلن عنه جهرا من تدويل القدس فأمر يرفضه الأزهر رفضـــا تاما باسم الاسلام والعرب • لأن ذلك يخرج بالمدينة المقدسة عن وضعها الطبيعي والتاريخي الذى استمر قرونا فى أمن ونظـــام وفيـــه افتئات على حقوق العرب والمسلمين ، اذ ينتقص حقوقهم فى بلادهم التى أثبت التاريخ والتجربة حسن قيامهم على حكمها •

كما أن التـــدويل يعرض المدينة المقدسة للقلاقل وضروب الفساد التى تكتنف البقاع المدولة ، كما اتضح ذلك في المدن التى أصابتها محنـــة التدويل ، مما دعا الى العدول عنه •

ومع أن المدينة فى وضعها العربى الاسلامى تكون مفتوحة لكل زائر ، ومقدسة لكل ذى دين ، فان تدويلها يجعلها عرضة ليكون من أصـــحاب الرأى فى ادارتها من لهم معتقدات غير سماوية ، بحيث لا يكون لهـــم نفس الاحترام والتقـديس للديانات السماوية الثـــلاث التى تتمثل فى القدس •

القدس مدينة مقدسة عربية التاريخ اسلامية السماحة والحكم تتمتع فيهـا اليهودية والمسيحية والاسلام بالحرية التامة على قدم المساواة •

بهذا يأمر الاسلام وبهـذا يرضى العرب ولا نرضى بغيره بديلا ؟

شيخ الأزهر

ورئيس مجمع البحوث الاسلامية

**دكتور عبد الحليم محمود**

---

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

**على سلطان على**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٤/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٦٠٠٢-١٩٧٤س٢٢٤٩

of Ohod ; an assertion denied by Shafi and his following. The Hanafites went so far in corroborating their standpoint as to relate that the Prophet had uttered on the day of Ohod seventy prayers over Hamzah. Yet this report could be interpreted as to mean that the Prophet had been uttering prayers over other martyrs whose bodies had been brought one by one before him, besides, that of Hamzah.

Thus, the transmitter of the tradition in question, thought that these prayers had been repeated seventy times, saying that : "The Prophet had uttered over Hamzah seventy prayer''.

Hence, the Hanafites refuted the evidences adduced by Shafi and his followers, claiming that the of Jabir is not well-authenticated Nay, they asserted that Jabir, on the day of Ohod had been quite busy ; since his father, brother, and maternal uncle had been killed in that battle, and that he had gone back to Medina to make the necessary arrangements for carrying their bodies thither Thus he ing, not seen the Prophet while he had been uttering prayers over the martyrs.

On account of the above, jabir related what he had related. Anyone who had beheld the Prophet on that Day, reported that he had been uttering prayers over the martyrs. Then Jabir heard the Prophet's crier bidding Muslims to bury the martyrs where they had fallen ; so he did as he had been bidden

Thus for ; but it is to be remarked that the prayer over the dead is, in fact, not only intended as an intercession with God for the deceased, but it is also performed as a manifestation of the dead man's honour and consideration in the Sight of God.

For this reason, it is a privilege specifically conferred on Muslims ; accordingly the Prophet had forbidden uttering the prayer for the dead over the hypocrites. Hence, the shaheed is more deserving to be greatly honoured.

Moreover, however might be man's purification from sins, he would never reach the stage in which it would be superfluous to pray for him. Do we not receall that the Companions had uttered the prayer for the dead over the Prophet whose rank is undoubtedly far much higher than that of the martyr.

Though the shaheed is alive in the Presence of God, yet his life is conceived in accordence with the rulings of the Hereafter. But conformably to the rulings bearing on this worldly life, he is certain dead, and the rulings related to the decesed have to apply to him...

(to be concluded)

is contrary to that of the Hanbalites who do not admit the idea of increasing or lessening the shrouds. The Malekites are of opinion that the martyr should be wrapped up in his garments, if they were enough to cover his body ; otherwise, further ones should be added.

The Prayer Over the Shaheed, Actually and Virtually :

Imam al-Shafi, Malik and Ahmad ibn Hanbal, had adopted the viewpoint that no prayer should be uttered over the martyr, on account of the tradition, reporting on the authority of Jabir ibn Abdal-Malik that the Prophet (peace be on him) had ordered the burial of the martyrs of Ohod, to be with their bloodstained garments. Hence, they not washed, neither there were any prayers uttered over them.

They had adduced the proof that prayer for the dead is an intercession with God for them. But, as to martyrs, God had blotted out their sins, accorded them forgiveness, and bestowed upon them life in His Presence. They would be walking about in Pradise with a proud gait trailing their garments, experiencing therein full enjoyment and excellent sustenance. They would, thereby, be in no need of what is required for others.

This is all the more true since the Prophet is reported to have said : "Most efficacious is the sword in obliterating sins". Nay, it is in leaving out prayer over the martyrs that others would be urged to seek martyrdom so as to attain the merit of having to dispense with such a prayer

But the prayer for the dead has to be uttered over the prophets whose rank in God's Sight is certainly higher than that of the martyrs. Yet God had down the divergence between the two ranks, as regards description, since the rank of Prophethood is unacquired, whilst that of martydom has to be gained. Hence, such differentiation if found to have required a corresponding one in treatment.

Added to the above is what God hath said of martyrs : "Think not of those who are slain in God's Way as dead. Nay, they live finding their sustenance in the Presence of their Lord" (III : 169).

Such a prayer had been decreed for the dead ; then how can it be applicable to martyrs of whom we are told to be alive ?

Despite all these arguments, the Hanafites had rejected that viewpiont and had gone to say that on the contrary the prayer for the dead has to be uttered over the martyr, adducing various reasons they had quoted and texts they had adopted.

It is to them well-certified that the Prophet (peace be on him) had uttered prayers over the martyrs

of Badr where water had been abundant, and the casualties much more numerous than those at Ohod. Nevertheless, the Prophet (peace be on him) had buried those martyrs without washing. Moreover, such was also the case regarding the martyrs of the Battles of al-Khandaq and Kheiber. These (precedents) go to prove conclusively that the martyr should not be washed from a juristic viewpoint; with the exception of the martyred Muslim who had gone to battle in a state of legal impurity.

In that case, jurists held divergent views Shafi, Ahmad ibn Hanbal and Abu Hanifa excluding his two Companions (Abu Yusuf and Muhammad ibn al-Hassan) were of opinion that this sort of shaheed should be washed, because it is asserted that Hanzalah ibn al-Rabib had been martyred in the battle of Ohod, and that the angels washed him.

The Prophet (peace be on him) is reported to have said : "I have seen the Angels, between heaven and earth, washing, with rain water in silver basins, the body of Hanzalah ibn Ab Amer". Abu Said said : "We have gone there, and have seen water dropping from Hanzalah's head."

Then the Prophet sent someone to ask his widow about him. She answered that he had gone to battle in a state of legal impurity.

The Legal Rulings Regarding the Shrouding of the Martyr :

The shaheed is to be wrapped up in the garments in which he had been killed, since the Prophet (peace be on him) is reported to have said : "Wind them as they are, in their wounds and their blood". It is related that Zeid ibn Sawhan had said before expiring the Battle of the Camel : "Wash not off my blood nor take out my garments, for I am contentious, and I will argue against the one who had killed me on the Day of Judgement".

Also had Ammar ibn Yasser said before breathing his last, in the battle of Siffin : "wash not off my blood, nor take out my clothes, for I am going to meet Muawiyah on the Main Road al-Jaddah)". The same had been reported about Hujr ibn Adyy

Yet weapons, leather, fur stuffed garments, slippers and cap have to be taken off, because they had been worn as a safeguard against enemy attacks. Hence, they are to be dispensed with after death. Besides, such had been the current usage among pre-Islamic Arabs who used to bury their warriors together with weapons; and Muslims had been forbidden to imitate them.

Nevertheless, it is permissible either to add to or lessen the shrouds of the martyr. Such is the viewpoint of the Hanafites which

the people of righteousness who comes to be killed by 'ahl al-baghy', the wicked oppressors. It is because Muslims are exhorted to join the former in fighting against the latter, as stated in God's Saying: "And if two parties among the believers fall to fighting, then make ye peace between them. But if one party of them doeth wrong to the other, fight ye that which doeth wrong to the other, fight ye that which doeth wrong till it return to the Command of God ; then if it return, make peace between them justly, and act equitably, for God loveth the equitable" (XLIX:9).

It is because the one who had sacrificed his life seeking God's Pleasure is quite equal to the one who had been killed while fighting against the infidels. For this reason, Imam Ali did not wash those who had been martyred from amongst his followers in fighting against the transgressors in the Battle of Nahrawan.

The Martyr Actually and Virtually Haqiqatan wa-Hukman) · There are two sorts of martyrs :

1. The actual and virtual ;
2. The virtual.

The former is the whom we have already known, and to whom the legal rulings regarding him are applicable ; thus he is not to be washed, nor is the prayer for the dead is to be uttered over him, according to a certain viewpoint. As to the latter, he is to be dealt be Washed :

The Martyr Actually is not to be Washed :

One of the legal rulings regarding the actual and virtual shaheed is to leave out the washing of his body as we have explained above. This is on account of the tradition in which the Prophet is reported to have said, referring to those who had for been killed in the battie of Ohod : "wrap them up in their blood-stained garments, for anyone who had been wounded in the Way of God would, on the Day of Judgement, come, and his jugular veins would be streaming with blood, the colour of which would be shining, and smelling of musk.

It is decidedly certain that the martyrs of Badr and Ohod had not been washed, as reported by Oqbah ibn Amer. Here we find a confirmation to the above viewpoint and a refutation to the opinion of those who thought it permissible to wash the martyr's body, assuming that the refraining from performing the legal ablution of the martyrs' bodies was due to the fact that those who had fallen in the Battle of Ohod, from amongst the Companions, were so considerable that it was hardly possible to get from Medina the water required for their legal washing.

But if this be held as true, how can it be applicable to the martyrs

and others. to such martyrdom is also entitled the just Imam with whom his subjects mistakenly quarrel about a controversial issue. So they rise in revolt against him instigated by certain corrupt rioters who murder him, as had happened to the two Caliphs: Uthman and Ali -(God be pleased with them).

Dissimiler to these (true martyrs) is the one who is killed while rebelling against a faithful ruler known ot be deveoted to his people and country, and striving strenuously to raise the banner of his Faith and to make firm its foundations within and outside his domain. But it should be noted that the rebellion aroused by such a rioter be due to misunderstanding a doubtful case he had come across in the behaviour of that ruler, his utterances, stands, measures, or relations.

The First Martyr in Islam:

Thus of a truth, we can say that the first to be martyred in Islam was Sumayyah mother of Ammar. She endured patiently the torture inflicted on her husband Yasser, and her son Ammar by the Banu Makhzoum (in Mecca before the Hijrah). Then she was murdered by the lance Abu Jahl had thrust into her body, after having said to her: "Thou hast believed in Muhammad, because thou hast been fascinated by his fine looks".

The Legal Rulings Regarding the Martyr:

We have already explained that the shaheed in religious terminology is the one who had fallen in battle. Here, we should like to give further details about the juristic definition of the term, and to quote at great length the rulings applicable to the martyr.

The author of Tabyeen al-Haqaiq "(The revealing of facts on the treasure of subtleties), said in defining the shaheed: "It is the Muslim who is killed by Ahl al-Harb, enemies of Islam, oppressors, or murdered by highwaymen; for the Prophet (peace be on him) said: "He who is killed while defending his property is a martyr. Similarly is the one who had been mortally wounded in battle, or the another Muslim or a dhimmi, and no 'diya', blood-money has thereby to be paid".

It would be the same if killing were directly dommitted or through an action leading to it. As an instance of the latter case is were directly committed or thr-Muslim town, hitting a house and causing its collapse, thus entailing the death of all its inmates who would thereby be considered martyrs.

Also if the splinters of a shell led to the cutting off a tree in a way that caused the death of a Muslim. he would be a martyr. Equally is the one, from amongst

the Prophets and saints. He is the one who after his martyrdom would wish retuning to life so as to be martyred several times in fighting against the infields.

There is no doubt at all in the conclusion drawn from the above argument, because the one who, in compliance with God's Command, plungs into the fight against infields, offering his life, thereby emphasizing the genuineness of his Faith and support of God's Words, is in no wise similar to the one who dies in bed suffering unresignedly the agonies of death. The latter might show endurance that would secure for him ample reward from God.

Yet how can a thinker of sound mind admit that the one who says forty times during his sickness (before expiring) : "There is no god save Thee, Gloried be my Lord, I have been one of the worng-doers'', the one who had never missed the performance of the witr-prayer in his stay or travel, the one who had uttered before expiring twenty-five times: "O Lord! Bestow upon me Thine Blessings before and after my death"? and the one who dies of a psychical ailment, seasickness, or of an attack of acute vomiting, how can a thinker admit that anyone of these be equal in merit to the one who had set out in God's Way to struggle against unbelief, and fight (to death) the infidels who "debar men from God's Path seeking to make it crooked". (See: Radd al-Muhtar).

Cases of Death in God's Way:

The nature of our study requires us to remark here that martyrdom in God's Way for the exalting of His Words and the maintaining of His Faith, should not necessarily be the outcome of fighting against the infidels. It might either be due to the torture inflicted by the infidels upon the faithfull as has happened to Sumayyah and Yasser, the parents of Ammar (God be Pleased with them), or it might be caused by a sudden attack as had occured to a considerable number of qurra, readers whom the Messenger had sent to teach the Banu Amer (conformably to their desire) — the Quran, and to enlighten them in the tenets of the Faith. Yet the Banu Amer treacherously attacked the qurra and killed them in cold blood.

There might, as well as be someone, from amongst Muslims, who, incompliance with God's Command, endeavours to oppose a certain "munkar'', indecency, committed by an unjust Imam. But when the latter is exhorted to desist from wrong-doing, he, while being led by arrogance to more crime, would kill such a Muslim (who would, thereby, be rendered a martyr).

There are numerous instances of these martyrs in the later epochs of the Caliphs, Mamelukes,

ing with uttering over them the prayer for the dead are inapplicable to them.

But God forbid that the merit of those who had offered their lives to exalt His Word and to sustain His faith be made equal to those who had died of burning, drowning, of a disease of belly, etc., and that the privileges of the former be only confined to their exemption from being washed, wrapped, and the uttering of prayers over them.

Nay, the injunction to bury them in their bloodstained garments without washing their bodies or uttering prayer over them, is to manifest the regard and dignity showed to them by God, and to let their pure blood be a witness testifying to their whole-hearted faith and true devotion to God, be He Exalted. Such peremeinence and high honour are mainly due to the purity and integrity with which they are qualified and the great merit they had won and owing to which they had surpassed what is accorded to those who had met other sorts of death.

In fact we are bewildered by Confusing the martyrs in the battlefield with those mentioned in numerous traditions. More puzzled are we by mixing up the life of those martyrs in the presence of their Lord with the life of (in the Hereafter) of those who had died in a different way.

That the souls never pass away is a truism held by the Faithful as beyond any doubt. They firmly elieve that after death the soul goes to her Greator, there would abide, living like the souls of martys. Does this mean that our bewilderment be dispelled by the way would be accorded the same sort of life in the Presence of their Lord ?

Had it been so, then why did God, Glory be to Him and Exalted be His Wisdom inform us that those who had been martyred in the battlefield would be accorded such supreme privilege ?

From the above, we perceive the preponderance of view-point stating that the martyrdom of the one who hid been killed in battle is distinguished from that of others who had died of burning, of drowning, etc. Equally is the life of the martyr in the Presence of their Lord given a further privilege, in comparison with the life of the other righteous people who had met different sort of death.

Also is the marty in the battlefield the one who is intended in the Holy Quran and the exalted tradition which dealt with the subject of martyrdom and for which this brief study has been dedicated.

It is he who rightfully deserves the gaining of this great merit and pre-eminent destiny in which he would join the procession of

# THE DOCTRINE OF MARTYRDOM IN ISLAM -III

*By*
SHEIK HASSAN KHALID

What is Meant by the Martyr of the Battle-Field ?

Here we find a series of cases, entitling to martyrdom, but the number of which is rather undecided. Hence is lowered th merit of the martyr, since it becomes indistinguishable from the merits accorded to other sorts of deaths; an assumption that can hardly be admitted. This is emphasized by Ibn Hajar who quoted Ali ibn Abi Talib as saying : "Any kind of death for a Muslim would render him a martyr".

It might have been for this reason that Ibn Hajar said in commenting upon the above saying : "It seems that those who have already been mentioned would not be accorded the same merit".

Such is indicated by the tradition reported on the authority of Jabir by Ahmed (Ibn Hanbal), and Ibn Hibban in his Sahih, by Darimi, Ahmad Ibn Hanbal and Tahawi on the authority of Abdullah ibn Hobshiyy, and by Ibn Majah on the authority of Amr Ibn Otbah that the Prophet (Peace be on him) had replied when asked about the most meritorious sort of jihad : "It is the jihad of one whose horse had been hocked and whose blood had been shed".

Thus we come to the conclusion that though martyrdom is explicitly accorded to anyone who had died conformably to the above-mentioned cases or to others referred to in the six canonical compendia of Hadith, yet it implies different grades of merit the highest and most dignified of which is the one accord to whomsoever had been killed while engaging the infidels so as to exalt th Word of God to the uppermost. Nay, the rank of such martyrs is the most worthy of honour since Gor had extolled them and spoken of them as living.

Traditionists had already come to this conclusion, for they had stated that there are two sorts of martyrs :

1—Shaheed al-dunya, the martyr of wordly life or shaheed al-dunya wal-akhirah, the martyr of this life and the next; that is to say he who is killed in a war against the infidels.

2—Shaheed al-akhirah, the martyr of the Hereafter who dies of a disease of the belly, of plague, drowning, or of being buried alive, etc. All of them are entitled to a reward equal to that of the first sort of martyrs; yet the worldly rulings distinguishing the latter such as the leaving out of the washing of their bodies and dispens-

all bars of colour and race, and the basis of the unity of the human race was laid upon the grand principle that the whole human race was one, and that all men, wherever they may be found, were a single naton (2 : 213). Such unity could not be accomplished unless the finality of prophethood was established, for if prophets continued to appear after the world prophet, they would undoubtely demand the allegiance of this or that section, and shatter the very foundations of the unity at which Islam aimed by giving a single Prophet to the whole world.

It may, however, be further added that by bringing Prophethood to a a close, Islam has not deprived the world of a blessing which was available to previous generations. The object of sending a Prophet to a people was to make known the Divine will, and point out the ways by walking in which men could hold communion with God, That object was also brought to perfection through the great world-Prophet, whose message was so perfect that it met that requiremens not only of all contemporary nations but of all future generations as well. This plainly claimed by the Holy Quran, a claim not put forward by any other heavenly book or any other religion : "This day I have perfected for you your religion and completed on you My blessng" (5 : 3).

The perfection of religion and the completion of the blessing of Prophethood thus go hand in hand, and the blessing of Prophethood being made complete in the person of the Holy Prophet, it is a distortion of facts to say that if no more Prophets appeared, the Muslits would be without the blessing of Prophethood, since they possess that blessing in its most complete form. Religion being made perfect and Prophethood being made complete, there remained no need for another religion after Islam or for another Prophet after the Holy Prophet Muhammad, (pease and blessing be upon him).

---

# PERFECTION OF RELIGION AND COMPLETION OF PROPHETHOOD*

The idea that Prophethood came to a close in the person of the Holy Prophet Muhammad is not a stray idea. On the other hand it is natural conclusion of the universalization of the theory of revelation which is the basic principle of the religion of Islam. Revelation, according to the Holy Quran, is not the solitary experience of this or that nation but the spiritual experience of the whole of the human race. Allah is spoken of in the very opening verse as the RABB of all the nations of the world, the Nourisher unto perfection, physically as well as spiritually, of the whole human race. Starting from that broad basis, the Holy Quran develops the theory that prophets were sent to every nation: "There is not a people but a warner has gone among them" (35:24); "Every nation has had an Apostle" (10:47). At the same time it is stated that every prophet was sent to single nation and, therefore, though Prophethood was in one sense a universal fact, it was more or less a national institution, the scope of the preaching of every Prophet being limited to his own nation.

The advent of the Holy Prophet Muhammad universalized the institution of Prophethood in a real sense. The day of the national Prophet was over, and one Prophet was raised for the whole world, for all nations and for all ages :

تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ( الفرقان ١ ) .

"Blessed is He who sent down the Furqan upon His servant that he may be a warner to all the nations" (25:1).

قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض ( الاعراف ١٥٨ ) .

"Say, O people ! I am the Apostle of Allah to you all, of Him Whose is the kingdom of the heavens and the earth" (7:158).

وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ( سبا ٢٨ ) .

"And We have not sent thee but to all the people as a bearer of good news and as a warner, but most people do not know" (34 : 28).

The world-Prophet therefore took the place of the national Prophets, and the grand idea of unifying the whole human race and gathering it together under one banner, was thus brought to perfection. All geographical limitations were sweft away as were

* The Religion of Islam.

restriction on recording was lifted.

The Companions of the Prophet, their followers and desciples exercised great caution and prudence in accepting and transmitting reports. Pious and God fearing, they were careful in quoting the Prophet for what he sought to inculcate in them in the way of interpretations of God's Religion, verdicts in reply to questions put to him, or judgements in the disputes he considered. Such was their wonted habit whenever such reports or questions were needed in connection with some incident referred to them. Many of them also were careful to report Hadith in the same words as they had heard from the Prophet except where the wording was forgotten. In the latter case some of the Prophet's Companions took the liberty of transmission according to meaning with due acknowledgement that the text was not the same as pronuoced by the Prophet (peace be upon him).

Most of the collectors of Hadith paid more attention to the investigation of the narrators than the other critical tests, and they were justified in this, for their object was to produce reliable collection of Hadith and, therefore, their first concern was to see that the Hadith could be authentically traced back to the Prophet through a trustworthy chain of narrators. This part of the criticism was the more essential, as the longer chain of narrators, the more difficult would it have been to test their reliability, other tests could be applied to any Hadith at any time, and the laps of a thousand years could in no way affect the value of these tests, but the passing away of another century would have rendered the task of the examiniation of the chain of narrators so difficult as to be for all practical purposes impossible. Hence the collectors of Hadith rightly focutsed their attention on this test. Nor did the work of collecting the Hadith close the door to further criticism.

The above explanation would determine the role of Sunna or Hadith of the Prophet in expounding Islamic Rulings, as a principle of the Religion and the second source of Islamic legislation. And its abandonment would be rejection of the ordinance of the Holy Quran itself as set out in the above quoted verses. This represents the unanimous attitude and practice of true Muslims at the time of the Prophet and in subsequent.

The Companions of the Prophet while translating into practice his sayings endeavoured also to preserve them in memory as well as in writing. It is, however, a fact that whatever the Companions heard from the lips of the Prophet they tried to keep in their memory as it was chief means of their preservation. It is reported that the Prophet sometimes objected to the writing down of the Hadith, lest it be mixed up with Holy Quran, as it is clear from the following report: Abu Huraira is reported to have said: The Prophet of God came to us while we were writing Hadith, and said: What is this that you are writing ? We said : Hadith which we hear from you. He said : What ! a book other than the Book of Allah? You should well know that people before you have missed the path of righteousness because of what they had written besides God's Book".

Now the objection of the Prophet to the writing down of the Hadith clearly shows fear lest Hadith be mixed up with the Holy Guran, though there was nothing essemtially wrong in writing down the Hadith, nor did the Prophet ever forbid its being done, on the other hand, as late as conquest of Mecca we find him giving orders himself for the writing down of a certain Hadith at the request of a hearer. He also wrote letters, and treaties were also put down in writing. What he feared as the report clearly shows, was that if his sayings were written down generrally like the Quran, the two might get confused together, and the purity of the text of the Quran be effected. on the other hand, memory was a reliable means for the preservation of Hadith for the Holy Quran itself was safely preserved in the memory of the Companions of the Prophet in addition to being committed to writing.

The Arab had a wonderfully retentive memory. and he had to store up his knowledge of countless things in his memory. In fact, had the Holy Quran been simply preserved in writing, it could not have been handed down intact to future generations. The aid of memory was invoked to make the purity of the text of the Quran doubly sure. Some scholars held the view that the objection to writing down Hadith was only in the early years of Islam when a confusion of the Hadith with the Quran was feared,. For the only writing material then that time was leaves and stones which provided only a limited writing space were the Quran and the Hadith if written together, could be so confused. However when the Quran later spread among the people. and it was memorised and could be identified, there was no longer any posibilsty of confusion and the

Holy Quran has made clear this point in the following verse :

لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ( الاحزاب ٢١ ) .

(Verily in the messenger of Allah you have a good example) 33 : 21 Every Muslim, therefore, stood in need of both the Holy Quran and Hadith. To clear this point we can take as examples two most important religious institutions of Islam ; Prayer and Zakat. When the injunctions related to prayer and Zakat were delivered no details were supplied, and it was the Prophet himself who by his own actions gave the details of the performance of the Prayer. And yet it was the Prophet who gave the detail rules and regulations for the payment and collection of Zakat. These are but two examples.

The transmission of the Hadith or the practices and sayings of the Prophet from one person to another, thus became necessary during the Prophet's lifetime. In fact, the Prophet himself used to give instructions with regard to the transmission of what he taught. There are ample historical evidences that whenever a people embraced Islam, the Prophet used to send to them one or more of his Companions who not only taught them the Holy Quran but also explained to them how the injunctions of the Holy Book were to be carried out in practice. It is also on record that people came to the Prophet and demanded teachers who could teach them the Quran and the Sunna.

The Companions of the Prophet knew well that his actions and practics were to be followed, should no express direction be met with in the Holy Quran. It is related that when Muad ibn Jabal, on being appointed governnor of Yaman by the Prophet, was asked how he would judge cases, his reply was,' by the Book of Allah.' Asked what he would do if he did not find a direction in the Book of Allah, he replied: 'by the Sunna of the Apostle of Allah". And what he would do if he did not again find a direction in the Sunna, he replied: 'I will then contrive an opinion'. whereupon the Prophet approvingly said: 'Thanks be to God for having guided the emissary of God's messenger to God's Path.'

The Sunna was therefore recognised in the lifetime of the Prophet as affording guidance in religious matters. The need of the Sunna, its force as law, and its preservation are all traceable to the lifetime of the Prophet. A special importance was, from the first, attached to his sayings and deeds which were looked upon as a source of guidance by his followers. They were conscious of the fact that these things must be preserved for future generations. Hence they not only kept them in their memory but even resorted to write them down for their preservation.

mercy and good things for those who surrendered to Allah) 16 : 89.

وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ( النحل ٦٤ ) .

(And We have revealed the Scripture unto thee only that thou mayst explain unto them that wherein they differ, and (as) a guidance and a mercy for a people who believe) 16 : 64.

وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ( النحل ٤٤ ) .

(And We have revealed unto thee Remembrance that thou mayst explain to mankind that which hath been revealed for them and that haply they may reflect) 16 : 44.

Thus, the Holy Quran is given precedence over the Sunna as a basis of the religion and a source of its basic principles. The Sunna or the Hadith becomes subservient to it and an interpreter of its rulings. This is due to the certainty of the contents of the Holy Quran both as a whole and in detail, which is not the case with the Hadith. The latter could be deemed certain only if viewed as a whole and not in detail, for while the Prophet's sayings, acts and rulings are sure to have imanated from him and constituted what is known as Sunna, no particular one of them could be taken for granted unless it has been commonly reported, which is a rare case, or otherwise presumed through study and the consideration of available evidence in the light of controls prescribed by the scholars of the Hadith, and established by news reporting and varification rules.

The Quran therefore, should have a precedence over the Hadith, being definitly certain and not supposed. The Companions of the Prophet after his death, are reported to have been used whenever a case was referred to them or advice, to consult the Holy Quran the first place then the Sunna in the absence of a relevent Quranic ruling, otherwise they contrived an opinion of their own if they failed to find the answer in the Sunna. This procedure had received the Prophet's approbation. If we consider to what extent can teachings of Islam, its principles and its laws, be drawn from the Sunna of the Prophet, we can see that the Holy Quran generally deals with the broad principles or essentials of religion, and going into details in very rare cases. The details were generally supplied by the Prophet himself, either showing in his practice how an injunction shall be carried out or by giving an explanation in words.

Since Islam covered the whole sphere of human activities, many points had to be explained by the Prophet by his example in action and word. On the moral side his was the pattern which every Muslim was required to follow. Tho

4 : 69

من يطع الرسول فقد أطاع الله ( النساء ٨٠ ) .

(Whoso obeyth the messenger, obeyth Allah) 4 : 80.

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ( الاحزاب ٣٦ ) .

(And it becometh not a believing man or a believing woman, when Allah and His messenger have decided an affaire (for them), that they should (after that) claim any say in their affair ; and whoso is rebellious to Allah and His messenger, he verily goeth astray in error manifest) 33 : 36.

Several other Quranic verses speak of the authority of the Prophet such as :

يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ( الأعراف ١٥٧ ) .

(He will enjoin on them that which is right and forbid them that which is wrong. He will make lawful for them on good things and prohibit for them only the foul ; and he will relieve them of their burden and fetters that they used to wear) 7 : 157.

انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ( النور ٦٢ ) .

(They are only the true believers who believe in Allah and His messenger and, when they are with him on some common errand, go not away until they have asked leave of him) 24 : 62. And,

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ( النور ٦٣ ) .

(Make not the calling of the messenger among you as your calling one of another. Allah knowth those of you steal away, hiding themselves. And let those who conspire to evade orders beware lest grief or painful punishment befall them) 24 : 63.

Now the Quran has made it clear that the obedience to the Prophet is a pre-requiste of true faith, and it has also given order in conjunction with caution for prospective offenders. The Holy Quran, however is the first source and the structure on which the Sunna is based. It, therefore, provides the origin of all proofs as the Almighty God saids :

انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ( النساء ١٠٥ ) .

(Verily, We reveal unto thee the Scripture with the truth, that thou mayest judge between mankind by that which Allah showth thee) 4 : 105.

ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين (النحل ٨٩).

(And We reveal the Scripture unto thee as an exposition of all things, and a guidance and a

# MAJALLATU'L AZHAR

**(AL-AZHAR MAGAZINE)**

MANAGER: ABDUL RAHIM FUDA

| RABI' AWWAL 1394 | **ENGLISH SECTION** | APRIL 1974 |
|---|---|---|

## THE SIGNIFICANCE OF SUNNA OR HADITH OR THE PROPHET

*By*

DR. MOHIADDIN ALWAYE

Sunna or Hadith is the second source from which the teachings of Islam are drawn. In effect it covers the sayings, the practices and actions of the Prophet, and also his silent approval of the action or practice of another. God has ordained the obedience of His messenger. Several verses of the Quran may be quoted in this effect which go to prove that Sunna or the Hadith provided the second source of the principles of the religion.

It is incumbent on Muslims to act upon it in demonstration of their obedience to God and His messenger. Its abandonment, on the other hand, would be a repudiation of God's Book and a rejection of His ordinance as set out in the following verses of the Holy Quran :

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ( النساء ٥٩ ) .

(O ye who believe ! Obey Allah and obey the messenger ) 4 : 59,

وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ( النور ٥٦ )

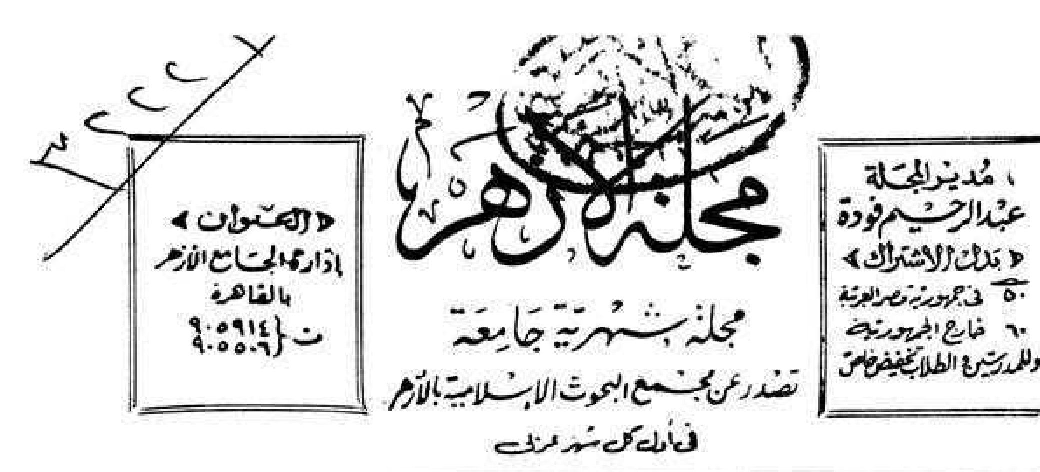
(Obey the messenger that haply you may find mercy) 24:56.

وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ( الحشر ٧ ) .

(And whatsoever the messenger gives you, take it. And whatsoever he forbiddth, abstain from it) 59 : 7

ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ( النساء ٦٩ ) .

(Whose obeyth Allah and the messenger, they are with those unto whom Allah has shown favour ..)




مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

الجزء الرابع — السنة السادسة والأربعون — ربيع الآخر سنة ١٣٩٤ هـ — مايو سنة ١٩٧٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

# التّقدّم .. والتّخلّف

للأستاذ عبد الرحيم فودة

التقدم والتخلف كلمتان شاع استعمالهما فى هذا العصر ، وكثر تداولهما على الألسنة والأقلام ، فتطلق الأولى على حال الشعوب التى أخذت بأسباب العلم ووسائل الحضارة ، وتقدمت اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، ونعمت بحظ وافر من الرخاء والثراء والمدنية ، وتطلق الثانية على حال الشعوب أو الجماعات أو الأمم التى لم تأخذ بوسائل الحياة العصرية ، وظلت تعيش عيشة بدائية كما كانت ، أو عيشة بسيطة لقصورها أو قصور وسائلها عن اللحاق بالأمم والشعوب المتمدنة .

ولا شك أن كثيرا من الشعوب الاسلامية تعد متخلفة بالنسبة الى غيرها فى وسائل الحياة والمدنية والحضارة وان كانت بقيمها الخلقية وحياتها الاجتماعية لاتزال أفضل وأمثل على الرغم مما تقاسيه وتعانيه من جهل وفقر وضعف .

غير ان التخلف فى هـــذا الجانب مرده الى الجهـل بالاســـلام وليس للاسلام دخل فيه فانه يدعو الى العلم والعمل والحياة الطيبة ، بل هـــو الحياة بكل ما يتسع له معنى الحياة من حيوية ويقظة وقوة واستمتاع بكل ما أودع الله فى الـكون من خيرات وثمرات ، كما يفهم من قـــول الله تبـارك وتعالى : « يا أيهـا الذين آمنو استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لمـا يحييكم » وقوله : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصــة يوم القيـامة » وقوله : « هو الذى جعـل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ».

والمتأمل فى القرآن يجده فى كثير من آياته يلفت أنظار المؤمنين الى أن كل ما حولهم مسخر لهم ، فى الأرض التى تقلهم ، وفى السماء التى تظلهم ، وفيما بين الأرض والســـماء من ماء وهواء وكواكب ، وما لا يقع تحت حصر واستقصاء . مثل قوله تعـالى : « هو الذى خلق لـكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سـبع سـموات وهو بكل شىء عليم » وقوله : « هو الذى أنزل من السماء ماء لـكم منه شراب ومنـــه شجر فيـــه تســـيمون . ينبت لـكم به الزرع والزيتـون والنخيـل والأعنـاب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقـــوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مســخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقـــوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منــه لحمـا طريا وتستخرجوا منه حليـة تلبســـونها وترى الفلك مواخر فيــه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »

غير ان استثمار هذه الأشياء لابد معه من اســتثمار العقـول والمواهب بالعلم والعمل فان الانسان بذاته كون آخر كما قال القائل :

وتحسب أنك جـرم صـغير
وفيك انطوى العـالم الأكبر

ومن ثم أنكـر الله عـــلى الذين لاينتفعون بعقولهم وحواسهم اهمالهم هذه النعم الكبرى ، وجعلهم فى مستوى الأنعام ، بل فى مستوى أقل وأضل ، كما يفهم من قوله تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنـم كثـيرا من الجن والانس لهم قلـوب لا يفقهـون بها ولهم أعـين

لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

فالتخلف الذى صار اليه العرب والمسلمون مصدره البعد عن مصدر القوة وهو الاسلام ، والعمل به والقيام بما يدعو اليه ، والتزام منهجه كما يفهم من قول الله : « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » .

ان هذا القرآن كما يقول الله فيه : « يهدى للتى هى أقوم » وكما يقول للرسول صلى الله عليه وسلم : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .

والصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو طريق الحق والخير والحياة الطيبة ، فمن حاد عنه ضل وساء حاله ومآله ، وهذا هو التخلف الذى نعانيه ويود أعداؤنا أن نبقى فيه : «ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

«ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

نسأل الله السلامة وحسن العاقبة فانه كما يقول سبحانه : « من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؟

**عبد الرحيم فودة**

# استخدام الأرقام الأوربية فى الكتابة

## للأستاذ أحمد موسى سالم

أكثر من حكاية عجيبة أثيرت فى الدورة الأربعين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والتى تم انعقادها فى صفر الماضى ، وكلها تشير من قريب أو بعيد الى أخطار قديمة ومستحدثة تتهدد اللغة العربية فى الصميم .

وأخطر مافى هذه الأخطار أنها لا تعلن عن نفسها بدق النواقيس ، أو باطلاق النار المباشر على قلب اللغة الفصحى لتموت فى لحظة — ولن تموت — ولكنها أخطار طفيلية المزاج تتحرك وراء أقنعة كثيرة حتى لا يفطن اليها الحراس ، وأحيانا كثيرة ترتدى هى ملابس الحراس !

والحكاية الأولى هى بلاغ بتوصية غريبة من الاتحاد البريدى العربى للدول العربية ينصحها باستخدام الأرقام الأوربية فى الكتابة بدلا من الأرقام العربية ! أى أن على البلاد العربية من اليوم وغدا أن توقف استعمال ١ — ٢ — ٣ — ٤ بهذا الرسم العربى لكى تستخدم الأرقام الأوربية 4-3-2-1 بديلا لها . وما ذلك الا لأن الاتحاد البريدى العربى اكتشف بعد مرور عشرة قرون تقريبا أن هذه الأرقام الأوربية ليست الا أرقاما عربية ، كما يعترف الأوربيون أنفسهم الى اليوم ، ! ... وحرام — اذا كنا نعرف الحرام — أن نفرط فى تراثنا الأصيل الجليل اذا كنا قد اكتشفناه ! . هذا فضلا عن الفائدة التى سيحققها العرب باستخدام الأرقام الأوربية — بدلا من العربية — بالنسبة للسياح الأجانب ، ولعلاقاتهم المتزايدة مع أوربا ، وغير ذلك ، وغير ذلك .. مما يكمن فيه السر والخير !!

ولكن دولة الكويت العربية تبادر فتكتشف بعد الدراسة الأولية أن توصية الاتحاد البريدى العربى لا تستند الى أسس علمية وتاريخية ثابتة • ولذلك ـ فانها ـ أى الكويت ـ أحالت الى كل من المجمع اللغوى فى القاهرة ودمشق وبغداد بوصفها هيئات علمية متخصصة أمر الفحص والتمحيص لهذه التوصية المباغتة • كما أنها عززت مع هذا الطلب وجهة نظرها ببطلان هذا الزعم الخاص بعربية الأرقام الأوربية • وكان من الطبيعى أن يحيل المجمع اللغوى بالقاهرة رغبة الكويت عندما وصلت اليه فى هذه الدورة الأربعين الى لجنة من أعضائه لدراستها •••

**الأرقام والحروف :**

والحقيقة أن العجب لا يكاد ينقضى من هذه المطاردة التى تلح على اللغة العربية سواء بمشروعات تستهدف تفكيك قواعدها ، أو تنشيط عامياتها ، أو الدعوة الى كتابتها بالحروف اللاتينية •• أو مثل هذه الدعوة المتواضعة لاستخدام الأرقام الأوربية ••• أولا ••• ثم تأتى الحروف بعد ذلك !!

ان هذه المحاولات والهجمات تتجدد كما نلاحظ مع كل منعطف تخطو اليه الأمة العربية على طريق استرجاع حيويتها ، وانتزاع ارادتها ، وتحقيق وحدتها ، ومسابقة عصرها • لقد حدثت أعظم محاولة لتحطيم اللغة العربية أيام العثمانيين لضمان استكانة العرب للقيد العثمانى ، ولكن المحاولة فشلت بعد مرحلة من شبه الموت والمحاق ، وصحت الأمة العربية صحوتها ابتداء من الأزهر معقل الدين واللغة ، ونطقت فى صحوها ورفضها بلسانها ، وكان نطقها بليغا ومدويا فى ثوراتها المتعاقبة •••

ومن خلال منعطفات اليقظة ظهرت هذه المحاولة من جديد منذ نحو مائة سنة فى كتاب أصدره رفاعة الطهطاوى يدعو فيه الى التصنيف بالعامية بعد ضبطها ، مع اشارته الى أهمية تعليم اللغة العربية التى لا غنى عنها فى فهم الكتاب والسنة • وقد فشلت هذه المحاولة بسرعة •

ولكن وعندما ظهرت حركة كمال أتاتورك الذى انسلخ بتركيا عن الاسلامية والعربية ، واستخدم الحروف اللاتينية لكتابة اللغة التركية ووضع القبعة على رأس تركيا الحديثة

كان فى ذلك أشـد الاغـراء لمجلـة المقتطف لتقف على أقدامهـــا وتدبج المقالات الحماسـية طالبـة الاستسلام لجميع الدعوات التى طرحها الاستعمار بشأن اللغـة العربية ، ولو أدى الأمر الى ذبحها صاغرة تحت أقدامه !!...
وتفشـل مقـالات المقتطف ، وتموت المجلة نفسها بعد ذلك !

ثم تستمر المحاولات التى يحمـل سجلها أسماء الكثيرين ، ولـكن اسم عبد العزيز فهمى يبرز من خلال تيار سـياسى نجح الغـرب فى اسـتقطابه لمحاولة تنفيذ المغامرة التركية فى مصر ، مع الخلاف الشديد بين موقف المواطن التركى الذى يبيـع الثوب العربى فى الكتـابة ليستبدل به الثوب الأوروبى وبين المواطن العربى الذى يراد له أن يخلع ثوبه العربى ... لماذا ؟ ... هل ليقف عاريا لا يتحرك ، وصـامتا لا يتكلم ؟ ... أم ليسـتبدل الجـلد والملامح الأوربية بجلده العربى ... وملامحه الأصـيلة !؟... وتفشـــل المحاولة أيضا .

واليـوم فى هذا المنعطف الجـديد الذى تشق به الأمة العربية بعد مشقات بالغة طريق آمال كبيرة تفتحه معـارك العاشر من رمضان تعود هذه الدعوات فى صورة خفية جديدة ، وذلك حيث تظهر حكاية استخدام الأرقام الأوربية بديلا لمـا هو فى أيدينا بالفعـل من الارقـــام العربيـــة ، ومن ثم اذا استخدمناها ظهر السؤال الجاهز من الآن : « اذا كنا قد اسـتخدمنا الأرقام الأوربيـة بدلا من العربيـــة فلمـاذا لا نستخدم الحروف الاوربية أيضـا حتى لا نقع فى التناقض الذى تضـعنا فيه كتابة أوربية للأرقام ... وعربية للحروف !؟

**العرب والأرقام :**

والآن ونحن نناقش هـذه الدعوة الغريبـــة نسـأل : هل الأرقام التى يستخدمها الأوربيون اليوم هى أرقام عربية ؟... اذن فما هى حقيقة الأرقام التى نكتبها اليوم ونقـول نحن انهـا عربية !؟

الحقيقة التاريخيـة الثابتة هى أن الأرقام التى يســتخدمها الأوربيـون اليوم ، وهذه التى يستخدمها العـرب هى على السواء أرقام فى أصلها الأول هنـــدية ، ولـكن العـرب فى عصر نهضتهم بالاسلام طوروها فى مراحل متعددة وأضافوا اليها الصـفر ، كما أضافوا اليها اضافاتهم العلمية الواسعة

فى الحساب والرياضيات الأخرى • ومن العرب انتقلت الأعداد أو الأرقام الى أوربا من طريقين وفى مرحلتين على الأقل :

أما الطريق الأول : فكان طريق الراهب جربرت الذى تعلم الأعداد مع بعض العلوم العربية من بعض العلماء المسلمين فى الأندلس ، وقد أصبح هذا الراهب بفضل ما تعلمه وما نقله عن العرب وما قام بتعليمه من الحساب العربى رجلا متميزا فى القرون الوسطى ، بل لقد ترقى فأصبح فى نهاية القرن العاشر هو البابا سلفستر المستنير بعلوم المسلمين •

وأما الطريق الثانى : فكان الكتاب المترجم عن الخوارزمى عالم الرياضة والفلك العربى الذى تعلمت أوروبا على يديه الأعداد بأرقامها العشرة أى باضافة الصفر ، مع طريقة الحساب الجديدة التى أصبحت اليوم علما منسوبا الى الخوارزمى وهو اللوغارتيمات •

ولكن كيف شقت الأرقام الهندية طريقها الى العرب ، وكيف نتأكد اليوم أن الأرقام التى يستخدمها العرب اليوم ويستخدمها الأوربيون ليست فى أصلها الأول عربية ؟

الجواب على ذلك بايجاز هو أن العرب مثل اليونان كانوا يستخدمون الحروف الأبجدية أول الأمر للدلالة على الأرقام فمثلا ألف = ١ وباء = ٢ وجيم = ٣ و دال = ٤ الخ • ولكن بعض الكتب الهندية حول طريقة كتابة الهند للأرقام عرفت طريقها الى البلاد العربية عن طريق بعض أديرة السوريان• ثم وصلت كتب مماثلة الى العرب بعد ظهور الاسلام ، وبالذات فى عهد الخليفة المنصور ، وكانت تتضمن فى دراسة للفلك وحركات النجوم هذا النوع من الحساب الهندى الذى كانوا يسمونه « سند هند » أى « البقاء الخالد » فأمر المنصور بترجمة واحد منها الى العربية وناط ذلك بالعالم العربى محمد بن ابراهيم الفزارى ، ومن يومها بدأ العرب فى استعمال هذه الأعداد ، وفى تطويرها حسب ما يوافقهم •

ثم جاء محمد بن موسى الخوارزمى فى عهد المأمون فى القرن التاسع الميلادى فأعاد تأليف هذا الكتاب عن الأعداد ، وهو الكتاب الذى تعددت

ترجماته فى أوروبا منذ القرن الثانى عشر .

منذ ذلك التـــاريخ كان معـروفا للعـرب أن الأرقـام التى طوروها فى ضوء مرحلتهم العلمية المتقدمة هى فى الأصـل هنـدية ، وكانوا لا يجدون غضاضة فى تقرير هذه الحقيقة فقـد كانوا من القـوة والاســتقامة بحيث لا يفخرون الا بأعمـالهم وهى فوق الحصر .

ان عالما كبيرا مثل البيرونى يقـرر فى وضوح أنالعرب أخذوا من الهند مايوافقهم من الأعداد دون أن يتقيدوا بأشكالها ، اذ كان المهـم عنـدهم هو وضوح التوافق بين رسم العـدد وبين دلالته المقصودة منه عند القارىء .

وأما الخوارزمى الذى عـلم أوربا الأعداد التى يسـمونها الآن بالأرقام العربية فانه يقـرر بنفسـه أن العرب اســتخدموا نوعين من الاشـارات العددية عند الهنود ، ويظهر ذلك فى أن الاشارات أو الأرقام الدالة على ٥ و ٦ ، ٧ ، ٨ تختلف فى كتابة عربية عنها فى كتابة أخرى عربية أيضا ...

هذا القول الذى يقوله الخوارزمى يحسم قضية الأصل الهنـدى للأعداد التى اسـتخدمها العرب والأعداد التى نقلوها فى طور من أطوار استخدامها الى أوربا . وكذلك فان هـذا القـول يعطى الاجـابة المحددة عن السبب مع وحدة الأصل الهندى فى هذا الفارق الواضح بين الأرقام التى يسـتخدمها العـرب الآن والأرقام التى يستخدمها الأوربيون .

ان شـــهادة الخوارزمى تؤكد أن الأرقام الهندية تعربتفى أيدى العرب على صـــورتين أو أكثر : واحـدة استخدمها العرب فى المشرق العـربى بعد تطوير مستمر بحسب ما يوافقهم وما يوافق لغتهم ، والأخـرى تـولى الأوربيون تطويرها منصورتها الأولى التى انتقلت اليهـم من العـرب حتى انتهت الى الشكل الحالى الذى يظهـر الخـلاف واضحـا بينـه وبين النمط العربى لكتابة الأعداد .

هذا الخلاف اذن بينالرسم العربى للأعـداد والرسـم الأوروبى لهـا فى الوقت الحاضر يحـدد مدى الفـارق الكبـير بين اتجـاه التطوير العـربى للأعـداد التى اســتخدموها بتـأثير خصـــائصهم اللغوية والقـومية وبين اتجاه التطوير الآخر الذى ســار فيه

الأوربيون بالأعداد التى انتقلت اليهم من العرب وفقا لخصائصهم اللغوية والقومية .

لقد كان مدى هذا الخلاف بسيطا منذ القرن الثانى عشر عندما بدأت كتب الخوارزمى العربى تعلم أوربا الأعداد والحساب ، ولكنه أخذ يتسع مع الأيام بحيث أصبح من المحقق اليوم رغم ما توهمته توصية الاتحاد البريدى العربى أن الأرقام الأوربية المعاصرة هى ثمرة المزاج والارادة والخصائص الأوربية القومية ، ومن السفه أو السذاجة أن يقال اليوم استنادا الى مصدرها العربى منذ عشرة قرون انها أرقام عربية !

لقد كان الأوربيون منذ القرن العاشر يكتبون أرقامهم التى وصلت اليهم من العرب من اليمين الى الشمال كما كان يكتبها العرب ثم عادوا فعدلوا عن ذلك بما يوافق طريقتهم الأصلية فى الكتابة وأخذوا يكتبونها من الشمال الى اليمين .

وكان الأوربيون بالتأثير العربى الأول ينطقون بعض الأرقام نطقا عربيا مثل ٤ فيقولون عنها « أربس » و ٥ فيقولون « كويماس » و ٧ فيقولون « زيبس » و ٨ فيقولون « تمنياس » ثم عدلوا عن ذلك فى جميع لغاتهم تقريبا ما عدا الصفر الذى ينطقونه فى كثير من لغاتهم « زيرو » ...

ان معنى هذا بكل وضوح أن الأرقام العربية الهندية الأصل قد تطورت على أيدى العرب حتى وصلت الى صورتها العربية الراهنة فى المشرق العربى . وأن هذه الأرقام العربية عندما وصلت الى أوربا فى مرحلتها الأولى طرأت عليها تطورات أوربية خالصة منها الكتابة من الشمال الى اليمين ، ومنها النطق ، حتى أصبحت فى الصورة المعاصرة المعبرة تماما عن المزاج اللغوى والخصائص القومية للشعوب الأوربية بصفة عامة .

فاذا كانت بعض بلاد المغرب العربى تحت تأثير اقترابها الجغرافى من أوروبا عن طريق اسبانيا عندما كانت وبعد ما كانت عربية لازالت تكتب الأرقام بصورتها الأوربية القديمة فان ذلك لا يعنى مطلقا أنها تمثل التمسك بصورة الأرقام العربية الخالصة كما انتقلت الى أوروبا من المشرق العربى، وانما تعنى فقط ، وبكل الأسف ، أنها لا تزال تتبع الطريق الذى خضعت

فيه لاستخدام الأرقام القـــادمة من المشرق العربى عند وصولها الى أوروبا دون أن تحتفظ بالطريق مفتوحا بينها وبين المشرق العربى لتظل قادرة على متابعة التطوير الذاتى والقومى لكتابة هذه الأعداد بالصورة التى انتهت الينا اليوم •

ان مطالبـــة بعض أهل المغـــرب فى هذا العصر باستخدام الأرقام الأوربية استنادا الى أنها منقولة أصلا عن العرب هو فى الحقيقة أشبه بمن يطالب اليوم من العرب بأن نعيد استعمال الكلمات العربية التى نقلها عنا الأوربيون بنفس استعمالاتها المشوهة فى اللسان الأوربى اســتنادا الى نفس الزعـــم وهــو أن الأوربيين يقولون عن هذه الكلمات أنها وصلت اليهم من العرب • فمثلا علينا أن نستعمل كلمة « ترسانة » المحرفة بالعاميـــة من « أرســينال » بدلا من الكلمة العربيـــة الأصلية التى نقلهـــا الغرب وهى « دار الصناعة » ، وكذلك علينا أن نستعمل كلمة « أميرال » بدلا من « أمير البحر » وكلمـــة « كامل » بدلا من « جمـــل » وكلمـــة « كابل » بدلا من « حبل » وكلمة « كافيه » بدلا من « قهوة » وهـــكذا عشرات ومئات الكلمات ، ان المطلوب هو أن نعيـــد استخدام لغتنا بأسلوب الرطانة الأوربية لتكون أكثر عصرية وعالمية !!

**تجربة الجزائر :**

وفى عـــودة الى الدورة الأربعـــين لمجمع القاهرة اللغوى أذكر فى سياق هـــذا الموضـــوع ما أثاره البحث الذى تقدم به العالم الجزائرى أحمد توفيق المدنى عن « كلمات من صميم اللغـــة العربية » اكتشف استعمالها فى مدينة الجزائر وحدها ، فلقد حـــرك هـــذا البحث القيـــم كثـــيرا من الشـــجون والذكريات النائمة فى صدور عدد من أعضاء المجمع عن مأساة شعب الجزائر وملحمتـــه فوق مشرحة الاســـتعمار الفرنسى عندما أراد هذا الاستعمار أن يستأصل بالجراحة العسكرية وبقـــايا غطرســـة ملوك فرنســـا قلب الشـــعب الجزائرى ولسانه •••

وقد تحدث الدكتور ابراهيم اللبان عضـــو المجمـــع عن مرحلة الجهـــاد الجزائرى المسلح بكل أنواع الأسلحة لتجنب السقوط والضـــياع فى هاوية

« الفرنســـة » من أجل الاحتفـــاظ بالجزائر « عربية » فقال :

« ان بحث الأستاذ المدنى يذكرنا بكفاح الجزائر المجيد ضد ما حاوله الاستعمار من تمزيق الوحدة الوطنية والعربيـــة بخلق لهجـات جديدة ، أو بتشـجيع اللهجـة العـامية لقتـل الفصحى • وقد استطاع الفرنسيـون مدة احتلالهم الجزائر أن يقطعوا فى هذه المحاولة شوطا كبيرا • ولا زلت أذكر وأنا طفل صور بعض اخواننـا الجزائريين الذين كنوا يفـدون الى الاسـكندرية فى جـامع المغـــاورى ويمتهنون بعض الحرف الصـغيرة • اننى لا زلت أذكر كيف أننا مع تعاطفنا معهم كنا نعجز عن فهم ما يقولون • وكنت أعجب أيضا حين أرى بعضهـم يمتهن حرفا صغيرة مع اجادتهم اللغة الفرنسـية اجـادة تامة وممارســتهم كتابتها كتابة صحيحة وبارعة •••

«لقد كان وراء هذه المـأساة محاولة اقتلاع اللســان العـربى ووضع بديل صناعى له هو اللسان الفرنسى ، وذلك لمحـو قوميـة الجزائريين العربيـة ، وانتزاعهم من وطنهم الأم ، وقهـرهم بعد ذلك وهم عزل من أية شـخصية تاريخيةووطنية ليكونوا أرقاما مسخرة لخدمة امبراطورية المستعمر !

وينبغى أن أذكر اليـوم بالاحترام والاكبار ذلك الرجل العظيم الشـيخ البشـير الابراهيمى الذى طالما زارنى وأنا عميد كلية دار العلوم يطلب منى مرة بعد أخرى أن أقبـل طلبة من الجزائر فى دار العـــلوم ففتحت لهم الباب على مصراعيه ، وقد عادوا جميعا الى الجزائر ليعملوا على العودة بلسان الجزائريين الى حظيرة اللغة العربية » انتهى •

كذلك أذكر فى سياق موضوعنا عن هجمة الدعوة الى استخدام الأرقام الأوروبية هـذا البحث الآخر الذى ألقاه فى دورة المجمع الدكتور حسين على محفوظ عن « أثر اللغة العربيـة فى اللغة الفارسية » فلقد تولى هـذا البحث أيضا تذكير عدد من أعضـاء المجمع بما تتركه السياســة القومية من تنشيط جهـد كل أمة للمحافظـة على لغتهـا • وفى مجال التـذكر يتـكلم الدكتور ابراهيم مدكور من أعضـاء المجمع تعقيبا على هـذا البحث فيروى حديثا جرى بينه وبين العالم الايرانى تقى زاده عنـــدما كان رئيسا لمجمع

ايران اللغوى حيث يقول له العالم الايرانى : « انهم يفكرون هنا ـ أى الايرانيون ـ فى أن يخلقوا لغة فارسية بلا عربية ، ولكنها لن تكون فارسية » !

ويمضى الدكتور مدكور فى عرض ملاحظاته التى أثارها البحث فى أثر اللغة العربية على الفارسية فيقول : « انه على الرغم من تأثير النزعة الفارسية على السياسة السائدة فان الايرانيين جميعا يرون أن لغتهم أصبحت قطعة منهم ، وهى بما فيها من زاد عربى يعززها دائما انهم يحفظون فى المدارس الابتدائية والثانوية قدرا من القرآن الكريم ، كما يجرى شرح قدر منه فى الدراسات العليا » .

وفى سياق موضوعنا أيضا يتناول الأستاذ عباس حسن فى تعقيبه على أحد الأعضاء قضية تعريب التعليم فى الجامعة ، فيروى بعض ذكرياته عن الخلاف أو الحرب الكلامية التى نشبت حول هذه القضية بين كل من الدكتور السنهورى الذى كان يرى التعريب لدراسة مواد القانون بكليات الحقوق ، وبين الدكتور محمد كامل مرسى الذى كان يتكلم بلسان الأساتذة الأجانب الذين كانوا يعلمون هذه المواد باللغات الأجنبية ، وقد بالغ الدكتور كامل مرسى فى معارضته تعلم القوانين باللغة العربية حتى قال ان السماء ستسقط على الأرض لو صار التعليم فى كلية الحقوق باللغة العربية !!

ويمضى الأستاذ عباس حسن فيقول: « ولقد تغلب الرأى الوطنى والقومى للدكتور السنهورى فى تعريب التعليم فى كلية الحقوق ، وكانت النتيجة أن السماء لم تسقط على الأرض ، وأن مثل هذا التعريب حدث فى كلية العلوم ، وفى كلية الهندسة التى تدرس معظم العلوم فيها الآن بالعربية » .

وهكذا أتيح لأعضاء المجمع اللغوى الموقرين أن يتناولوا هذه الموضوعات البالغة الخطورة فى اهتمام هادىء لا يتجاوز ما يتطلبه السمر العلمى الرفيع .. !

ان خطر تجربة الجزائر لا يزال ماثلا يتهدد جميع الأقطار العربية ، فالأهداف التى يضعها الاستعمار الجديد أمام عينيه لا تزال هى الأهداف القديمة تجاه محو اللغة العربية ،

وتعميم اللهجات العامية ، واستئصال كلمات ومعان وقيم بذاتها من موسوعة فكر واعتقاد هذه الأمة ...

وان موضوع تعريب التعليم على الوجه الأكمل لم ينته بعد . فالعامية تتفشى فى المدارس وبين المعلمين صغار السن والتجربة أيضا . وتعليم اللغة العربية يحتاج الى الارتفاع به فى جميع المدارس والمستويات الى مرتبة الهدف القومى . انه يحتاج الى تعريب كامل ، والى تأصيل قائم على الخبرة وعلوم التربية ، والى التزام محدد بادراك مستوى من النطق السليم ، ووعى النحو ، وفهم أدق التراكيب اللغوية يسمح لجميع المتعلمين بأن يستثمروا تعلمهم للغة على أنها المدخل الطبيعى لدراسة وفهم جميع العلوم الأخرى ، بل واكتساب قدرة أفضل على تعلم اللغات الأجنبية ...

ان المطلوب الآن أمام مرحلة جديدة من حياتنا يبرز فيها المعنى القومى والطابع العربى أن نعد مشروعات كثيرة وقائية نحافظ بها على بناء وتقدم وانتشار اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، ولغة التقدم الذى نأمل تحقيقه فى المستقبل القريب كما حققناه فى الماضى البعيد . وبذلك نضمن سقوط الهجمات الخفية والسافرة على لغتنا الانسانية ، كما نضمن عملا جادا وجهادا شريفا فى رعاية وتنمية هذه اللغة الخالدة لجميع العلماء والمتخصصين يتجاوز السمر العلمى ، واجترار الذكريات !!

**أحمد موسى سالم**

دراسات قرآنية :

# البيت السعيد فى الإسلام

للأستاذ مصطفى الطير

قال الله تعالى :

« ومن آياته ان خلق لـكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »

الروم : ٢١

سبحانك اللهم أنشأت بنى الانسان من طين ، وأعددتهم للتناسل ، وشرعت لهم فى جميع الشرائع نظام التزاوج بين الذكور والاناث ، على وجه عف كريم ، يصون الأعراض ويحفظ الأنساب ، ويقتضى المودة والرحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

ولما كان من شريعة الله تعالى ، أن يكون الزوج قواما على أسرته ، والزوجة ريحانة الأسرة وبهجتها ، وغارسة الأصول الخلقية فى ذريتها ، فلهذا كان لا بد أن يكون الزوجان على وفاق ، وتجانس فى الأخلاق وتعاون فى تربية الأولاد ، وعفة فى العرض ، ونظافة فى اللسان .

ومن الأمور المسلمة أن البيت أساس المجتمع ، فاذا صلح صلح المجتمع كله ، واذا فسد فسد المجتمع كله ، فلهذا يجب أن يهتم الدعاة والمصلحون بعلاج أمراضه ، واصلاح شئونه ، حتى تظل أمتنا فى مكان العزة والقيادة الصالحة بين المسلمين .

ان أمتنا على مشارف نهضة شاملة ، وحركة واثبة نحو بناء أمتنا ، بعد أن نعمت بالنصر ، وأفاقت من ذل الهزيمة ، وسوف تقدم علينا تيارات فكرية وخلقية مختلفة الأشكال والألوان من كل جانب ، فعلينا أن نفتح لها عيونا يواقظ ، وقلوبا رواشد ، فما اتفق منها مع ديننا وأخلاقنا أقررناه ، وما خالفه وجافاه حملنا عليه ورددناه .

والبيت اذا أسس على التقوى ، كان عونا على رد تلك التيارات عن مجتمعنا فاذا انحرف عن الجادة عضو منه رده اليها عضو آخر منها ، امتلأ فؤاده ايمانا وخشية لله رب العالمين .

ووصول الدعاة الى أعماق البيوت سهل ميسر فى جيلنا الذى نعيش فيه ، فعن طريق المنابر والصحف والمذياع ( والتليفزيون ) نستطيع أن نبلغ دعوة الحق الى رواد المساجد وقراء الصحف ، وسكان البيوت ، ورواد الفنادق ، فعلينا أن نبلغها فى أساليب جديدة ، وطرق مبتكرة جذابة ، لنستهوى بها القلوب ، ونجتذب الأرواح ، ونمتلك المشاعر ، وقد ربحت تلك الوسائل حتى الآن نسبة غير قليلة من سيدات المجتمع وآنساته، وشيوخه وشبابه ، وكلما جددنا فى أساليبنا ، وأحسنا عرض ما عندنا ، من القيم الدينية ، والمناهج الخلقية ، ارتفعت نسبة أرباحنا من بنى قومنا وبناتهم ، شيبهم وشبابهم .

والمرأة أساس هام للبيت ، ومدرسة عظيمة الأثر فى ناشئتنا ، ففى جوها ينبتون ، ومنها يتعلمون ، وبأخلاقها يتخلقون ، فاذا كانت صالحة مستقيمة عاقلة مدبرة ، نشأ أولادها على خلالها، وتأثروا بأخلاقها وطباعها ، وكانوا فى مستقبلهم نافعين لأنفسهم وأمتهم ، واذا كانت غير ذلك ، انعكس الحكم بالنسبة لأولادها ، وكلما انتشرت الاستقامة فى أبناء الأمة قوى بنيانها ، وعز شأنها وامتدت هيبتها ، والعكس بالعكس .

لهذا كان اختيار الرجل لشريكة حياته ، وأم أولاده ، من أعظم مسئولياته نحو نفسه ، ونحو ذريته وأمته .

**أساس اختيار الزوجة :**

والناس من قديم يتفاوتون فى دواعى اختيارهم لزوجاتهم ، فمنهم من يختارها لجمالها ، ومنهم من يختارها لمالها ، ومنهم من يختارها لحسبها أو خلقها ، وقد أجمل النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : « تنكح المرأة لمالها وجمالها ، ولحسبها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

وقد استحدث الناس أغراضا أخرى مثل كونها مثقفة أو موظفة ، لتساعد زوجها بدخلها من وظيفتها ، ومن الممكن رجوعها الى الأغراض التى تحدث عنها الرسول من حيث الهدف، وان لم ترجع اليها من حيث الصورة والعبارة .

والحديث دل على أن المرأة المتدينة يعتبر الحصول عليها مغنما وكنزا ، يستحق أن يوصى الرسول بالظفر به

بقوله : « فاظفر بذات الدين » وأن ينبه الى خطورة تركه بقوله «تربت يداك» أى تربت يداك ان لم تظفـر بـذات الدين ، وهذا اما كنـاية عن الفقر ، أو عن تلوث الشخص ان تزوجهـا غير متدينة ، لأنها اما أن تحمله بطيشها على التبذير فيفتقر ، أو أن تتمرغ فى الرذيلة لضعف دينها وخلقها ، فتدنس عرضه .

استمع الى الرســول وهو يحذرك من اختيارها لغناها أو لجمالها وحده ، اذ يقول: «لا تزوجوا النساء لحسنهن ، فعسى حســـنهن أن يرديهـــن ، ولا تزوجـوهن لأمــوالهن ، فعسى أموالهن أن تطغيهن ،ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة ســوداء ذات دين أفضل » .

فاختيار المرأة لجمالها أو مالها من غير نظر الى عفة ودين ، أمر محفوف بالخطـر ، لأن صـــمام الأمان غير موجود ، وهو الدين والخلق ، كمـا أن اختيارها للحسب وحده ، أو مع أى غرض آخر سوى الدين والخلق، قد يكون ســببا للتفـاخر على الزوج وتنغيص عيشه .

فعليــك أن تجعـل الدين والخلق أساس الاختيار ، فاذا انضم الى ذلك الجمال أو المـال أو الحسب ، فقد ازددت خيرا ، وان جمعت ذلك كله فى شريكة حياتك ، فقد اخترت امرأة مثالية ، اجتمعت فيها مباهج الحيـاة ، وأسباب السعادة وراحة النفس ، وان كان اجتماع هذه الصفات ينـدر فى النساء ، وخير النساء من اجتمع فيها الجمال والطاعة ، قال صلى الله عليه وسلم : «خير النساء من تسر اذا نظرت وتطيع اذا أمرت » فان جمالها يقصر نظر الزوج عليها ، فلا يحاول أن يمد عينيه عمدا الى ســواها ، ان كان له خلق ودين ، وطاعتها له تعصمه عن التطلع الى سواها ، وتجعل العيشـة هنيئة لا غصة فيها .

ولكون الجمال مما يطلب فى المرأة بعـد الدين ، شرع النظر الى وجهها وكفيها قبل الزواج ، سواء أذنت له أم لم تأذن ، ولهـــذا كان بعض الصالحين لا يزوجون بناتهم الا بعـد النظـــر اليهن ، احترازا من الغش والجهالة ، وكان الأعمش يقول : كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم ، وينبغى أن يكون الوجه خاليا

من الطلاء والمساحيق ، ليبدو على حقيقته ، ،فان ذلك قد يغطى دمامة ، ويوارى قبحا ، وكما ينبغى أن ينضم الجمال الى الدين ، ينبغى أن يصاحبهما طيب المحتد وعراقة النسب ، بأن تكون المرأة من آل بيت عرفوا بالمكارم ، فان ذلك أمارة على أنها كأصلها ، جاء فى الحكم : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » كما جاء فيها أيضا : « اياكم وخضراء الدمن » والمراد منها المرأة الحسناء فى المنبت السوء ، وقد أثبت العلماء أن قانون الوراثة ، كما يسرى فى صفات الأجسام ، يسرى فى الأخلاق ، وهذا المبدأ مسلم به من قبل البعثة المحمدية ، وفى ذلك يقول الله تعالى حكاية عن قوم مريم لما جاءتهم بعيسى تحمله : « ياأخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا » يعنون أن أصولها كريمة الأخلاق ، فكيف تنحرف عنهم ولا ترث طهرهم ، وذلك قبل أن يتبين لهم شأنها من الطهر ، وشأن ولدها عيسى من الكرامة على الله تعالى .

ولا شك أن أصل المرأة الطيب يفيدها فى خلقها ، فانها تترفع عن مخالفة فى سلوكها ، وتربى أولادها على سنة أهل بيتها .

### المرأة الغريبة

ينبغى اختيار الزوجة من أسرة غريبة عن أسرة الزوج ، فان ابن القريبة يخلق ( ضاويا ) أى نحيلا ، لضعف اشتهائها بسبب الالف ، بخلاف الأولى ، قال صلى الله عليه وسلم : اغتربوا ولا تضووا » وقد : أثبت الأطباء بأبحاثهم العلمية صدق هذه الحقيقة ، التى أخبر عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، منذ أربعة عشر قرنا .

### المرأة البكر

تفضل البكر الثيب ، لخلو قلبها عن رجل آخر ، وقد حض النبى صلى الله عليه وسلم جابرا رضى الله عنه على الزواج من البكر بقوله له : « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك » وذلك حين أخبره أنه تزوج ثيبا ، فان وجدت أسباب ترجحها على البكر كانت أولى ولذا أقر النبى صلى الله عليه وسلم جابرا لما أخبره أنه تزوجها لترعى أخواته الصغيرات ، لوفاة أمهن .

وللبكر ثلاث فوائد : (١) خلو قلبها من التعلق بزوج سابق ، وسرعة الفها لزوجها وحبها له (٢) أن قلب

الزوج يسارع الى حبها ولا ينفر منها، لأن الطبع غالبا ينفر ممن مسها غيره (٣) أنهـا لا تنغص عيشه بذكر مآثر زوجها الأول ، انتقاصا لمـآثره هو ، وحنينا لأول عهدها بالزواج ، على حد قول القائل :

.... ما الحب الا للحبيب الأول

**ما يطلب فى الزواج**

وكما أن الدين يحض الرجل على أن يتزوج من ذات الدين والخلق ، فانه يحض ولى المرأة على أن يختار لها الزوج المتـدين ، ليعيش الزوجـان متجانسين سعيدين ، ويشب أولادهما فى جو من الوفـاق الزوجى وتقوى الله تعالى ، فيكونوا فى مستقبلهم على منهجهما خلقا ودينا ، فان اختاره لهـا فاسـقا ، فقد أخطأ فى حقهـا وقطع رحمها ، قال صلى الله عليه وسلم : « من زوج كريمتـه من فاسق فقـد قطع رحمهـا » وقال رجل للحسن : خطب ابنتى جماعة ، فممن أزوجها ؟ قال : ممن يتقى الله ، فانه ان أحبها أكرمها ، وان أبغضها لم يظلمها .

فان زوجها وليهـا من فاسق كان آثما .

وينبغى أن يختاره ذا نسب ، فكما أن العرق دساس فى الزوجة ، فهو فى الزوج كذلك ، فان صفات الوالدين ترثها ذريتهما كما قدمنا .

وينبغى أن يختاره الولى ذا وسامة وحسن ان أمـكن ، فكما أن الرجل يختار زوجه حسناء ، فالعكس كذلك، فان قسم الله لها زوجا دميما ، فعليها أن ترضى به ما دام صاحب دين وخلق كريم ، كما ينبغى أن يرضى بها الزوج ان كانت كذلك ، فان لم تستأمر فيه فلهـا الحق فى فسخ النـكاح ، قال الأصمعى : دخلت البـادية ، فاذا أنا بامرأة من أحسن النـاس وجهـا ، متزوجة رجـلا من أقبحهم وجهـا ، فقلت لها : أترضين أن تكونى زوجة لمثله ، فقالت : يا هذا لقـد أسأت فى قولك ، لعله أحسن فيما بينـه وبين خالقه فجعلنى ثوابه ، ولعلى أسـأت فيما بينى وبين خالقى فجعله عقوبتى ، أفلا أرضى بما رضى الله لى فأسكتنى .

وكما أبيح للرجل أن ينظر الى وجه المرأة وكفيها ، يباح للمرأة أن تنظر منه مثل ذلك ، وكما يجب على المرأة أن لا تطلى وجهها بالمساحيق ، حتى يبـدو على حقيقته ، يجب على

الرجل أن يمتنع عما من شأنه أن يظهره على غير حقيقته ، روى أن رجلا تزوج على عهد عمر ، وكان قد خضب شعره بالحناء ، فلما زال خضابه بدا شيبه ، فرفع أهل زوجته أمره الى عمر ، وقالوا حسبناه شابا ، فأوجعه ضربا وقال : غررت القوم .

**كيف تعرف أخلاق الخطيبين ؟**

اعتاد بعض أهل العصر أن يسمحوا للخطيبين بالمجالسة والخروج وحدهما بحجة ، أن يتعرف كلاهما الآخر على حقيقته ، وقد ترتب على هذا المنهج شر كبير لاداعى لتفصيله ، وما هكذا يتعرف على أخلاق الخطيب ، وما مثله يسمح به الشرع الشريف الحريص على سلامة العرض والشرف . ان أخلاق الزوج وطباعه تعرف بالسؤال من جيرانه ، وممن يشركونه فى العمل ، كما تعرف بمناقشة ولى الأمر له ومعاشرته بعض الوقت حتى يتبين حاله ، فاذا ظهر أنه مستقيم ، ارتبط معه ، والا عدل عنه .

وأخلاق الزوجة تعرف بالسؤال عنها من جيرانها ومعارفها الذين لا عداوة بينهم وبين ذويها ، فان عرفت فيهم بالطهر والعفاف ، وحسن القول فيها ، فليتقدم لخطبتها وليتوكل على الله ، والا عدل عنها الى سواها فى صمت وسكون ، والله يختار لكليهما ما فيه خيره وسعادته .

**المغالاة فى المهور والأثاث :**

الاسلام لا ينظر الى الزواج على أنه عملية تجارية ، فيها بيع وشراء ومزايدة فى السعر ، بل ينظر اليه على أنه رابطة تعاونية مقدسة لحفظ النوع البشرى ، وتأسيس الأسرة السعيدة ، وما الصداق الا نحلة أوجبها الله على الأزواج ، اظهارا لرغبتهم فى زوجاتهم ، وطلبا لمودتهن ورضاهن ، وايذانا بأنهن لم يهبن أنفسهن لهم ، كما كان يحدث قبل الاسلام ، الأمر الذى كان يسقط درجة المرأة فى المجتمع ، وكذا عند زوجها بعد حين .

واذا كان الزواج رابطة مقدسة ، وليس عملية تجارية ، فينبغى أن يكون المهر الذى يفرض على الأزواج يسيرا حتى يسهل عليهم دفعه ، ولا يعجزوا عن الوفاء به ، ولا يجعلهم ينصرفون عن الزواج الى الانحراف ، فتبقى الفتيات عوانس ، وقد يلجأن الى

الانحراف ، وشر ذلك على المجتمع أشد من شر الحروب والأمراض ، قال صلى الله عليه وسلم : « اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

**أثاث البيت لا يجب على الزوجة :**

وكما نوصى أولياء النساء أن لا يبالغوا فى صداقهن ، نوصى الراغبين فى الزواج أن لا يطلبوا من أولياء الزوجة أو منها أثاثا معينا ، فان الزوج ليس له على زوجته سوى حق الزوجية من المتعة والمودة والرحمة ، كما لها عليه هذا الحق أيضا الى جانب السكنى والنفقة ، أما الأثاث الذى اعتادت النساء أن يأتين به الى بيت الزوجية ، فليس واجبا عليها الدخول به ، فلذا يعتبر فى الشريعة ملكا كاملا لها ، فليس للزوج فيه نصيب ، فان المهر الذى دفعه لها انما هو عطية واجبة عليه من الله لها ، لتكون راضية النفس بانسلاخها عن أهلها ، لتصبح زوجته ويكون له حق الاستمتاع بها وبمودتها ورحمتها وانجاب الأولاد منه دون غيره ، وأما أثاث بيت الزوجية فهو واجب عليه وليس واجبا عليها ، فاذا جاءت به الزوجة فهو كرم منها ومن أهلها .

فلهذا كله لا يحق للزوج أن يسأل عما جاء به أصهاره من أثاث ، ولا أن يشترط فيه شروطا معينة ، كما لا يحق له السؤال عن شئون الزوجة المالية ، فان ذلك كله مكروه ومخل بالمروءة ، وقد اعتبر الثورى من يفعل ذلك لصا ، وبعد فان الصداق اليسير من السنة النبوية ، والأثاث الخفيف من السنة النبوية أيضا ، على أن يأتى به الزوج دون الزوجة ، فقد تزوج النبى صلى الله عليه وسلم بعشرة دراهم وأثاث بيت ، وكان رحى يد وجرة ووسادة من أدم ( أى من جلد ) حشوها ليف ، فاذا أدخل الزوج على الجهاز شيئا من اللين والحسن ، فانما يفعل ما يريحه ويدخل السرور عليه وعلى زوجته ، ويزيد من متعتهما بالحياة ، فان جاءت الزوجة معها بأثاث ، فذلك كرم منها لا يشق عليها فيه .

وكان عمر بن الخطاب يقول : ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم ، ولو كانت المغالاة

بمهور النساء مكرمة لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبى وداعة السهمى على درهمين ، مع أن ابن المسيب كان من أغنياء المسلمين ، ثم حملها اليه ، وأدخلها من الباب وانصرف ، ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها •

وينبغى أن لا يقل الصداق عن عشرة دراهم ، خروجا من خلاف بعض العلماء الذى أوجب هذا القدر •

**آداب المعاشرة الزوجية :**

على الزوجين أن يتعايشا بالمعروف وأن يجعلا التسامح أساس عشرتهما ، وأن يؤدى كلاهما حق صاحبه شرعا وعرفا ،وفيما يلى آداب كليهما وحقوقه بالنسبة للآخر •

**حقوق الزوج :**

من حقه على زوجته أن لا تعطى شيئا من بيته أو ماله الا باذنه ، ما لم تعلم رضاه ، فان أعطت بغير اذنه ولا علم برضاه كان الوزر عليها والأجر له ، وعليها أن لا تخرج من بيتها الا باذنه ، فان خرجت بغير اذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع كما جاء فى الحديث الشريف ، وأن لا تصوم تطوعا الا برضاه ، فان فعلت فلا ثواب لها ، أما الصوم الواجب فلا يتوقف على اذنه ، بل تصوم حتما وان لم يرض بصيامها ، لأن حق الله أولى من حقه ، وأن لا تخونه فى نفسها أو ماله ، وأن لا تأذن فى بيته لأجنبى ، ولا لقريب لا يود دخوله ، وأن تطيعه فى غير معصية ، وأن تكون قليلة الكلام ، وأن لا تكثر من الصلة بجاراتها ، فان ذلك قد يفسد العلاقة الزوجية بينهما ، وأن يعف لسانها عن سب أولادها وغيرهم ، وأن لا تفخر عليه بمال أو جمال أو حسب أو شهادة علمية تعلو شهادته ، وأن لا تزدريه لقلة وسامته ، أو فقر أسرته ، وأن لا تمتنع عن التزين له ، بحجة اشتغالها بتقوى الله أو خدمة بيتها ، فان التزين للزوج مشروع ، قال تعالى : « ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن » الآية : قال الأصمعى : رأيت امرأة فى البادية ، عليها قميص أحمر ، وهى مختضبة ، وبيدها مسبحة ، فقلت ما أبعد هذا من ذاك ، فقالت :

ولله منى جانب لا أضيعه
وللهو منى والبطالة جانب

قال الأصمعى : فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له •

**وصية امرأة عظيمة لابنتها :**

لما تزوج الحارث بن عمر ملك كندة ، ابنة عوف بن محلم الشيبانى ، أوصتها أمها عند توجهها الى زوجها بوصية نافعة لكل فتاة ، وقد رأينا أن نذكرها لتكون قانونا للحياة الزوجية كلما أمكن ذلك ، فقد عملت بها زوجة ملك ، وأنجبت منه الملوك السبعة الذين حكموا اليمن بعده .

قالت الأم لابنتها : عليك بالصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموضع عينيه ، والتفقد لموضع أنفه ،فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك الا طيب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدو عنه عند منامه ، فان حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مبغضة ، وعليك بالاحتفاظ ببيته وماله، والارعاء على نفسه وعياله ، فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والارعاء على العيال جميل التدبير ، ولا تفشى له سرا ، ولا تعصى له أمرا فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وان عصيت أمره أوغرت صدره ، ثم اتقى مع ذلك الفرح ان كان ترحا ( أى ان كان حزينا ) والاكتئاب عنده ان كان فرحا ، فان الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكونى أشد ما تكونين له اعظاما ، يكن أشد ما يكون لك اكراما ، وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما تكونين له مرافقة ، واعلمى أنك لا تصلين الى ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ،فيما أحببت وكرهت ، والله يخير لك .

**حقوق الزوجة على زوجها :**

من حقها عليه أن يعاشرها بالمعروف ــ وان كان يكرهها ــ لقوله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

وقد أعظم الله حقهن فى حسن العشرة بقوله : « وأخذن منكم ميثاقا غليظا » وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الله الله فى النساء ، فانهن عوان [1] فى أيديكم ، أخذتموهن

(١) أى أسارى لديكم ، والمقصود انهن أصبحن فى رعايتكم بعد مفارقة أهليهن .

بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله » .

وحسن العشرة يتمثل فى لين القول ، وبسطة الوجه ، والمشورة والدعابة اليسيرة التى لا تفقده وقاره ومنزلته ، والاعتدال فى الغيرة عليها ، فلا تكون منه فى غير موضعها ، قال صلى الله عليه وسلم : « ان من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل ، وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة » وقال : « لا تكثر الغيرة على أهلك ، فترمى بالسوء من أجلك » فان رابك منها شيء فلك حق مراقبتها والغيرة عليها بحكمة ،حتى تكفها عن بواعث الريبة، قال صلى الله عليه وسلم : « فأما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة » فان تحققت ريبتك فيها ، فانفصل عنها من غير تلويث سمعتها وسمعة أهلها ، حفاظا على سمعة أولادك ، وسترا لعرض ذويها .

ومن حق الزوجة على زوجها أن يطعمها ويكسوها حسب حاله ودخله، والاعتدال فى ذلك مشروع ، قال تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » .

والنفقة على الأهل عظيمة الثواب عند الله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم : « دينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك » وقال : « خيركم خيركم لأهله » .

ومن حقها وحق الله عليه فيها ، أن لا يدخل عليها الغرباء ، وأن لايسمح لها بالاذن لهم فى غيبته ، وأن يهيىء لها سكنا بين جيران صالحين ، وأن لا يسلبها مالها أو مصوغاتها أو راتبها ، فان ساعدته فذلك كرم منها ، وليس واجبا عليها ، وأن يساعدها فى شئون البيت ، وبخاصة فى هذا الوقت الذى قل فيه الخدم ، وعملت فيه الزوجات بالمصالح الحكومية وغيرها ، وليس ذلك نقصا فى حقك أيها الزوج ، ولا افتياتا عليك ، بل هو واجب مشروع لأنه تعاون على البر ، والله يقول : « وتعاونوا على البر والتقوى » ولأن البيت مشترك بينهما ، وليس بيتها وحدها ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقم بيته ( أى يكنس قمامته وهى الكناسة ) وكان يخصف نعله ويرفع ثوبه بيده الشريفة .

ومن حقهـــا وحق الله عليـه أن يعلمها ما تجهل من الأحكام الشرعية، وأن يسأل لها العالم عما يجهلانه من الأحكام الخاصة بالنساء ، تلك هى أهم حقـــوق الزوجين ، فان عمـلا بهـا رفرفت على بيتهما السعادة ،والله تعالى هو الهادى الى سواء السبيل ؟

**مصطفى الطير**

---

# بين التجسس والغيبة

للأستاذ ابو الوفا المراغى

عن المستورد بن شداد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أكل برجل مسلم أكلة ، فان الله يطعمه مثلها من جهنم ، ومن كسى ثوبا برجل مسلم فان الله يكسوه مثلها من جهنم ، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء ، فان الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة . أخرجه أبو داود . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يبلغنى أحد عن أحد من أصحابى شيئا ، فانى أخرج اليهم وأنا سليم الصدر ، قال عبد الله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مال فقسمه النبى صلى الله عليه وسلم ، فانتهيت الى رجلين جالسين وهما يقولان : والله ما أراد محمد بقسمته التى قسمها وجه الله والدار الآخرة ، فثبت حتى سمعتهما ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فاحمر وجهه فقال : دعنى فقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر . أخرجه الترمذى .

غريب الحديث ، الأكلة بضم الهمزة : اللقمة ، وبفتحها : المرة الواحدة مع الاستيفاء ومعنى أكل برجل مسلم أكلة ، ان الرجل يذهب الى عدو الرجل فيتكلم فيه بغير الجميل يجيزه عليه بجائزة ، والغيبة ، ذكر الانسان أخاه بما هو فيه مما يكره . فان لم يكن فيه فهو البهتان ، والتجسس البحث عما يكتم من الأمور ، والتحسس بالحاء المهملة قريب منه ، وهو ما يدركه الانسان ببعض حواسه .

ليس هناك ارتباط بين رذيلتين من الرذائل الانسانية أشد مما بين هاتين الرذيلتين : الغيبة والتجسس حتى يكادا أن يتحدا فى بعض الأحيان ، فالمغتاب يحاول أن يتجسس على العيوب الخفية

ليستغلها ضد من يغتـابه ، والمتجسس يحاول أن يبحث عن الأخبار والخفايا الشائنة ليتقرب بها الى من يتجسس له فى الغالب ويجمع بين هاتين الرذيلتين ان الباعث عليها هو تحقيـق المنفعـة الذاتية والأغراض الشخصية ، وأنهما لا يرضاهما لنفسه الا خسيس النفس ساقط المروءة ضعيف الهمـة جبـــان لا يستطيع أن يواجه الأمور بشجاعة وفى ضوء النهار فيحاولهما فى الظلام وفى الخفاء، ولارتباطهما قرنهما الله وسلكهما فى نظام الرذائل ونهى عنهما بأعنف الأساليب وصورهما فى أبشع الصور حيث قال جل شأنه فى أواخر ســورة الحجرات : « يا أيهـا الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نســاء من نساء عسى أن يكن خيرا منهــن ولا تلمزوا أنفسـكم ولا تنابزوا بالألقاب » أى لا يدعو بعضكم بعضـا بمـا يكره من الألقاب ، ثم قال ســبحانه : « يا أيهـا الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظـن اثم ولا تجســــوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيـه ميتـا فكرهتمـوه » ولهذا الارتباط جمعنا بينهما فى كلمتنا هذه بحديثين صدرناها بهما، والحديث الأول فى الغيبة ، وقد أجمـل النبى صلى الله عليه وسلم فيه أهم الأغراض التى تبعث عليهـا وهى الأغراض التى قلنا عنها انها أغراض ذاتية ، فالانسان يغتاب الرجل عنـد عدو ذلك الرجل ليأكل بذلك من طعامه أو ينتفع بشىء من ماله أو جـاهه أو يستجديه ثوبا أو كساء ، ويغتاب الرجل بما يخدشه فى دينه أو دنياه ، ويسمع ذلك الناس ويرائيهم بأنه هو الغيور على الحرمات والكرامات ، ولا شـك أن الاغتيـاب لهذه الأغراض والبواعث ، وخصوصا اذا كان بالقول المفترى المكذوب ، مما يؤذى المسلم وينال من شرفه ومكانه بين المسلمين ، لهذا حرمها الاســلام وتوعد عليها بأشد العذاب على النحو الذى ورد فى الحـديث حيث توعـد من يأكل لقمـة من رجـل نظـير أن يغتـاب عنده رجلا فان الله سـيطعمه لقمة مثلها من نار جهنم ، وكذلك من اكتسى ثوبا من رجل نظير أن يغتـاب عنده مسلما فان الله سيكسوه ثوبا من نار جهنم ، ومن اغتاب مسلما ليسمع الناس ويرائيهـم بتقـواه وغيرته على الدين ، فانه سيسمع به يوم القيـــامة ويعلم الخلق بأنه ما فعل ذلك خالصا

لله وغيرة على دينه ، وانما فعل ذلك ليسمع ويرى الخلق تقواه ، فلا يستحق ثوابا ولا جزاء حسنا بل يجزى الهوان على رؤوس الأشهاد .

والغيبة تكون بذكر ما يكرهه المرء فى الدين والدنيا سواء كرهه لنفسه أو لمن يرتبط به ممن يلحقه عاره ، ولا يبيح الاسلام ذكر عيوب الخلق الا عند الضرورة وللمصلحة العامة مثل التحدث عمن يرشحون للولاية أو يتصدرون للشهادة أو يتحملون عبء رواية حديث رسول الله أو يظلمون الناس ويغتصبونهم حقوقهم أو يستهترون بالفسق ويجهرون به على أن يكون ذلك فى حدود الواقع من أحوالهم وأعمالهم .

وقد ألمح المتنبى الى تلك المعانى فأوجز وأجاد حيث قال :

وأكبر نفسى عن جزاء بغيبة
وكل اغتياب جهد من لا له جهد

والحديث الثانى فى التجسس ، وهو تتبع أخبار الناس وعوراتهم والبحث عنها لابلاغها الى الآخرين واستغلال ذلك فى غرض ذاتى لا لمصلحة عامة ، وشر أنواع التجسس هو التجسس العام أى التجسس على عورات الأمة ومواضع الضعف فيها وابلاغها الى أعدائها ، لأن ذلك التجسس لايلحق ضرره فردا واحدا كما فى التجسس الخاص بل يلحق الأمة جمعاء وقد يودى بها ويورثها الذل والاستعباد ، ومن آثار التجسس أنه يغرس الضغائن والأحقاد بين الناس ويورث بينهم الشرور ويفقدهم الثقة ويجعل بعضهم لبعض عدوا ويبعث فيهم روح الانتقام فتنحل أواصرهم ، وتتفتت وحدتهم ، ولذا حرمه الله كما حرم الغيبة لأن آثار الشر فيهما متشابهة ، ولقد أمر الرسول أصحابه ــ كما جاء فى الحديث ــ ألا يبلغه أحد عن أحد منهم شيئا ، أى لا يتجسسوا ، وعلل ذلك بقوله : فانى أخرج اليهم سليم الصدر ، أى ليس فى نفسى من أحد منهم غيظ ولا حقد ، وأحب أن أظل كذلك معهم ، ونقل الأخبار والمعايب الى عن واحد منهم يوغر صدرى ويكدر صفوى ، ويحفظ قلبى ، ولقد أكد ذلك بتطبيق عملى ، فحين نقل اليه أحد أصحابه أن بعض الناس أساء القول فيه فى قسمة بعض المال بين أصحابه جهلا وزورا : والله

ما أراد محمد بما قسم وجه الله والدار الآخرة بعد أن تثبت من ذلك القـول حين تسمع اليهم وتوقف عندهم ليتأكد، تغـير وجه رســـول الله من الغضب وقال لمن نقله اليه : دعنى عنك ، أى اتركنى ولا تحـدثنى « مثـــل هـذه الأحاديث ، فانه من الأذى الذى لابد أن يلاقيه الرسول ويصبر عليه ،ولقد صـبر موسى على ما أوذى به ، وكان أكثر من ذلك فصبر عليه وما على الا أن أصبر كما صبر .

وبالكتاب وبالسنة وبالقول وبالعمل وبالتفصيل وبالتعليل بين صلى الله عليه وسلم ما قرره الاسـلام فى التجسس وأنه محظور لا يترخص فيه الا ضـد أعداء الأمة حين تلجىء الضرورة الى استعماله للوقاية منهم أو تعرف مواضع الضعف فيهم والاحتياط من مفاجآتهم فحينئذ يكون سلاحا لابد من استخدامه والاستعانة به ، وقد استخدمه رسول الله فى بعض معاركه لهذه الأغراض . والتجسس للأعداء نوع من موالاتهم وهو حرام لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة » .

وقد قرر أكثر الفقهاء قتل الذى يتجسس على المسـلمين للأعداء وهذا هو ما تفعله الدول الآن وخاصة أثناء الحروب لتأمين جبهاتها وجيوشها .

وبقى مـن الـكلام فى الحـديثين الكلام على ما تضمناه من دقيق التشبيه وبديع الكنـاية وقد صـور الحـديث الأول عدل الله فى الجزاء على الغيبة وأنه الجزاء الوفاق، فيكافى لقاء اللقمة فى الدنيا على غيبة المسلم لقمة مثلهـا من النار وبالكساء على الغيبـة كســاء مثله من النار وبالرياء والسمعة عليـه تسميع وافتضاح ، كما تضمن الحديث الثانى تلك الكناية الرائعة فقـد كنى بسلامته ، ولا شك أن الغل والضغن داء تشقى به الصـــدور وتعتـــل به الأجسام ؟

**ابو الوفا المراغى**

---

# الشاعر الشهيد... عبد الله بن رواحة

للأستاذ السيد حسن قرون

كان الشعر أدنى وسائله الى الله ورسوله ، ولا أقول هذا تهوينا لمنزلة الشعر ، وانما أقوله تقريرا للواقع ، فقد كان ابن رواحة أحد السبعين الذين بايعوا محمدا صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الأخيرة ، واختير ليلتها نقيبا ضمن الاثنى عشر نقيبا الذين اختارهم جبريل لرسول الله ، ثم أحد الأبطال الذين ناضلوا كفار قريش في كل موقعة : شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها على مدى صحبته لخاتم الأنبياء والمرسلين ، ثمانية أعوام قضاها تحت قبة الايمان مجاهدا بسنانه ولسانه ، ولا جدال فى أنه كان من الأبطال ، ولا أدل على ذلك من أنه كان أحد الثلاثة الذين انتدبهم رسول الله يوم بدر لمنازلة عتبة وشيبة والوليد بن عتبة ،ولولا أن عتبة رفض منازلة الأنصار لرأينا له موقفا نبيلا جليلا ، ولثقة النبى به أرسله مبشرا أهل العالية بالنصر على كفار قريش فى تلك الغزوة ،وفى غزوة الأحزاب كان أحد رسل النبى الى بنى قريظة حين نقضوا عهد رسول الله وميثاقه ، واستخلفه رسول الله على المدينة حين خرج الى غزوة ( بدر الموعد ) وبعثه سرية فى ثلاثين راكبا الى ( أسير بن رازم اليهودى ) بخيبر ، فأنهى اليه أن رسول الله « يستعملك ويحسن اليك ، فأظهر ( أسير ) الموافقة ، وأبطن الغدر ــ فى خبر يطول ــ فلما رآه بصدد الغدر به وبأصحابه قاتله ومن معه حتى انتهت المعركة بقتل أسير وجنوده ،واستعمله النبى خارصا على ثمار خيبر الى أن انتدب لحرب الروم ، ومع ذلك فأنا هنا أعيش معه فى شعره ، وشعره صدى لفعله ، فشعره سيفه ، وسيفه شعره .

كيف بدأ شعر الجهاد ؟ وجوابنـا على هذا السؤال يقتضى بسطا وتفصيلا، لأنه يتصل بالشعر على عهد الرسول صلى الله عليـه وسـلم ، وقد اعتـاد مؤرخو الأدب ونقاد الشعر أن يجعلوا للرسول شعراء ، ولقريش شـعراء ، ويتحدثوا عن خصائص ذلك الشـعر وبيان ألوانه ويجعلوا ذلك قد حـدث بعد الهجرة ، وبعـــد معــركة بدر بالذات ، ولم يخطئوا فى نظرتهم وفى توقيتهم ، بيـد أنى أود أن أذكر أن قريشا لم تكن تقول الشعر فى الجاهلية ولم تستحدثه ومحمد فى مكة يدعوهم الى الايمـــان ، ويتلو عليهـم القرآن اكتفـــاء منهـا بتعـذيب أصـحابه ، واضطهادهم ، والنيل منهم ، وقد يبلغ السفه بهم أن ينالوا من سـيد الخلق نفسه ، وكان أبو طالب يصدهم بيـده وشعره ولم يأبه رسول الله بشـــعر أبى طالب ، وانما كان يرضيه ذبه عنه، وانتصاره له ،وقد بقى شعر أبى طالب يروى فى كل حدث ، وكل موقف ، فانظر معى الى الشـــهيد ( عبيدة بن الحارث بن المطلب ) حين جىء به الى رسول الله وقد أصيب فى بدر بضربة من عتبـة بن ربيعـة قـال : « ألست شهيدا يارســـول الله ؟ قال : بلى . فقال عبيدة : لو كان أبو طالب حيـا لعـلم أنى أحق بمـا قـال منـه حيث يقول :

ونســـلمه حتى نصرع حـوله
ونذهل عن أبنائنـا والحـلائل

ولـكن الأمر يختلف حين انتـقلت الدعوة الى المدينة ، وصارت المدينـة حاضرة لها ، وبنوقيلة أنصار الرسول، وحدثت الأحداث الموجعـة لقريش ، هنالك فزعت الى الشـعر تنال به من محمد وأصحابه ما لم تنله بالسيف ، وأصبح لها شعراء أظهرهم أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الله ابن الزبعرى ، وضرار بن الخطـاب الفهرى ، وكان شـعر هؤلاء الشـعراء يروى،ويؤذى قوما آمنوا بالله ورسوله، فأرادوا أن يكون لهم شاعر ينافح عنهم، ويعارض شعراء قريش ، فيكون لهم النصر فى ميدان الشعر وميدان الحرب فقال قائل لعلى بن أبى طالب : اهج عنا القوم الذين هجونا ـ وقد يكون ذلك منهم لأن أباه يقول الشعر ـ فقال على : ان أذن لى رسـول الله صلى الله عليه وسلم فعلت . فقال رجل : يارسول الله : ايذن لعلى كيما يهجو عنـا هؤلاء القوم الذين هجونا . فقـال : ليس هناك . ثم قال للأنصار : ما يمنع الذين

نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ فكان أن قام حسان بن ثابت وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة بما دعا اليه الرسول • قال الرواة(١) :

فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله ابن رواحة يعيرهم ( بالكفر ) وكان في ذلك الزمان أشد القول على الكفار قول حسان ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا وتفقهوا في الاسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة •

وهذا ما دعاني الى العناية بشعره ، والنظر الى كيف هو ؟ وما مدى تمثيله لحياة قائله وملامح الدعوة الاسلامية فيه ؟ ولاشك في أنه كان يقول الشعر في الجاهلية ، وله ميراث فيه ، فجده لأمه عمرو بن الاطنابة كان شاعرا يحفظ الناس شعره ، ويتمثلون به ، منهم : معاوية بن أبي سفيان في حرب صفين حين كان يهم بالفرار من جيش علي ، فما رده الا شعر بن الاطنابة ثم هو من بني الحارث بن الخزرج ، وفي الخزرج شعراء كثيرون منهم حسان وأبوه وابنه ، وكان يحسن الكتابة ـ والكتابة في العرب قليلة ـ ويظهر من سيرته أنه تخلى عن الشعر يوم ملأ الايمان قلبه ، وصار أنصاريا همه في رفع راية الاسلام ، والقضاء على عبادة الأصنام ، والنادرة الآتية تؤيد ما نقول : قال الرواة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن رواحة ـ وكان في سفر ـ انزل فحرك بنا الركاب ، قال : يارسول الله قد تركت قولي ذلك • قال عمر : اسمع وأطع ـ وكان من أطوع المسلمين لرسول الله ـ فنزل وهو يقول :

(٢) لاهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولاصلينا

فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام ان لاقينا

ان الألى قد بغوا علينا
وان أرادوا فتنة . أبينا

فقال النبي : اللهم ارحمه • فقال عمر : وجبت •

وهذا الشعر خالص مرجعه الى قلب الشاعر ، ونفحات القرآن ، ففيه الهداية والصلاة والتصدق ،

---

(١) الأغاني أخبار حسان •

(٢) اللهم

والسكينة والتثبيت ، ولا توجد فى شعر جاهلى ، ولا فى شعر شاعر مخضرم دفعة واحدة ، وقد اتخذه الصحابة نشيدا يوم كانوا يحفرون الخندق . عن البراء ابن عازب قال : كان رسـول الله يوم الأحزاب ينقل معنا التراب ، وقد وارى التراب بطنه ، ويقول : « لاهم لولا أنت ما اهتدينا » الأبيات ، وحين يبلغ « أبينا » يرفع بها صوته صلى الله عليه وسلم . ومن هذا القبيل من الشعر الذى يصلح للغناء الجماعى شـعره الذى قاله وهو آخذ بخطام ناقة رسول الله وهو يطوف بالكعبة فى عمرة القضاء سـنة سـبع من الهجرة . قال ابن رواحة :

خلوا بنى الـكفار عن سبيله
خلوا فكل الخير مع رسوله
نحن ضربنـا كم على تأويله
كما ضربنـا كم على تنزيله
ضربا يزيل الهـام عن مقيله
ويذهل الخليـل عن خليله
يارب انى مؤمن بقيـله

ولأن عمر رضى الله عنـه يعـرف قسوة هذا الشعر على قريش ، وقد تجمعوا فى دار الندوة ليروا محمدا وصحبه قال : يابن رواحة ، أيها يطلب سكوته . فقال رسول الله ياعمر انى أسمع ، فأسكت عمر . وقال لابن رواحة : قل لاله الا الله وحده ، نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده . فقالها ابن رواحة ، فرددها المسلمون وراءه ، وامتلأ بها فضاء مكة .

قلنا ان شعره كان شديد الوقع على قريش بعد اسـلامها ، فانظر الى هذا الشعر الذى طلب عمر اليه أن يسكت عنه ترفيه الوخز الأليم ؟ فالشطر الأول منها «خلوا بنى الكفار عن سبيله» فيه كل ما يؤلم النفس ويوجع القلب ، أمر لمن ؟ لبنى الكفار . لماذا ؟ ليخلوا الطريق للهادى ؟ فطالمـا وقفوا حجر عثرة أمامه ثلاث عشرة سـنة وهم يصدون عن الدين ، خلوا فكل الخير مع رســوله ، ومع ذلك لا يؤمنون ولا يتعقلــون . وانظـر الى قريش تضرب لأجـل التـنزيل ، وتضرب للتأويل وهو المـآل فعزيز عليهم أن يعيروا بتجافيهـم عن الدين والتنزيل والتـأويل ، أى نكوصـهم عنـه أولا وأخيرا .

وقد عرف ابن رواحة منزلة شعره فحكى عن نفسه قال : مررت فى مسجد رسول الله،ورسول الله جالس، وعنده ناس من أصحابه فى ناحية منه . فلما رأونى أضبوا (١) الى : ياعبد الله ابن رواحة ، ياعبد الله بن رواحة . فعلمت أن رسول الله دعانى ، فانطلقت نحوه ، فقال : اجلس هاهنا ، فجلست بين يديه . فقال : كيف تقول الشعر ؟ كأنه يتعجب لذلك ـ قلت : أنظر فى ذلك ثم أقول.قال : فعليك بالمشركين، ولم أكن هيأت شيئا،فنظرت فى ذلك ، ثم أنشدته فيما أنشدته : وبدأ الشعر بخطاب قريش :

خبرونى ـ أثمان العباء ـ متى
كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

قال : فرأيت رسول الله كره بعض ما قلت : أنى جعلت قومه « أثمان العباء » فقلت :

ياهاشم الخير ان الله فضلكم
على البرية فضلا ما له غير (٢)

انى تفرست فيك الخير أعرفه
فراسة خالفتهم فى الذى نظروا

ولو سألت أو استنصرت بعضهم
فى جل أمرك ما آووا ولا نصروا

فثبت الله ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

فأقبل بوجهه متبسما وقال : واياك فثبت الله . وهذا الشعر يقطر ايمانا ، وحبا صادقا لرسول الله ، وهو لا يبارح الحق فقد تفرس فيه الخير فراسة عميت عنها قريش ، ولذلك لايصلحون للنصر ولا للايواء ، ثم دعا له بالتثبيت على ما آتاه الله من حسن ، وما أجل ما آتاه : انه الرسالة لهداية البشرية . وقد نال على هذه الأبيات دعاء مثل دعائه ، وهو دعاء مجاب ، انه دعاء الرسول ، ولا يضير الشاعر أن كرر القافية فى البيت الثالث والرابع « نصروا » فلكل مقام وشتان بين النفى والاثبات ، ثم هو فى موقف الارتجال .

واذا نظرنا الى شعره الذى قاله فى غزوة ( مؤتة ) حين تهيأ للرحيل، وحين رحل ، وحين استعد للقتال ، وحين دخل فى الميدان وجدنا الأداء

---

(١) اتجهوا
(٢) تغيير

النفسى فى أجلى صورة ، وأصـدق ابانة ؟ انه من القلب الى القلب ، فيه شفيف روح ، وخفقة وجـدان ومنطق شهيد •

وأنا هنا لا أؤرخ لغـزوة مؤتة ، ولا أجتهد فى بيان أسباب هزيمتها ، ولا أفاضـل بين قوادها انمـا همى كله فى ذلك الشعر الذى سـجل انطباعاتها على جنان ذلك الشاعر الذى يرى الأمور من خلال ذلك الجنان ، فهو يتحدث ملهما ، ويرفرف هائما ، مشتاقا الى الجنة يريدها ، ولا سبيل له اليها الا الجهاد والاستشهاد •

ولهذه الغزوة أسـباب منها أن رسول الله بعث ( الحارث بن عمير الأزدى ) الى ملك بصرى بكتـاب ، فلما نزل مؤتة عرض له ( شرحبيـل الغسـانى ) فقتله • فاشـتد ذلك على رسول الله ، وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بالجرف وهم ثلاثة آلاف • فقال رسـول الله : « أمير الناس زيد ابن حارثة ، فان قتـل فجعفر بن أبى طالب ، فان قتل فعبد الله بن رواحة ، فان قتـل فليرتض المسلمون بينهم رجلا ، فيجعلوه عليهم » وحانت ساعة الوداع فبكى ابن رواحة • فقالوا له : ما يبكيك ؟ قال : أما والله ما بى حب الدنيـا ، ولا صبابة بكم ، ولـكنى سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار « وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا » فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود ؟ فقـال المسلمون صحبكم الله ، ودفع عنكم وردكم الينا صالحين •

فقال ابن رواحة :

لكننى أسأل الرحمـن مغفـرة
وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنـة بيدى حران مجهـزة
بحربة تنفـذ الأحشاء والكبـدا

حتى يقولوا اذا مروا على جدثى
أرشدك الله من غاز وقد رشدا

هو لا يريد عودة الى داره ، بل يسأل الرحمن الغفران ، وضربة سيف تقذف دماءه ، وطعنة رمح تسلك كبده وأحشاءه حتى يقول كل مار بقبره : هذا الغازى الذى رشد ، وقاتل حتى استشهد •

ويتحدث ربيبه زيد بن أرقم فيقول عن مسيره الى مؤتة : فو الله ليسير ليلة اذ سمعته يتمثل بأبياته هــذه ــ والخطاب لناقته :

اذا أديتنى وحملت رحــلى
مسيرة أربع بعــد الحساء
فشــأنك أنعم وخــلاك ذم
ولا أرجع الى أهــلى ورائى

وجاء المسلمون وغادرونى
بأرض الشــام مشتهى الثواء
هنــالك لا أبالى طلع بعــل
ولا نخــل أســافلها رواء

قال زيد فلمــا سمعت منه ذلك بكيت ، فخفقنى بالدرة . وقــال : ما عليك يا لكع يرزقنى الله الشــهادة وترجع بين شعبتى (١) الرحل ثم مضى الجيش الاســلامى حتى بلغ مشارف الشــام ، فنزلوا ( معــان ) وجاءهم الخبر أن ( هرقل ) قد نزل ( مآب ) من أرض البلقاء فى مائةألف من الروم ، ومائة ألف من المستعربة ( قبائل لخم وجذام وبنى القين وبهراء وبلى ) فأدركوا قلة جيشهم وكثرة جيش عدوهــم ، فمكثــوا ليلتــين يتشاورون . وقالوا : نكتب الى رسول الله ، ونخبره بعدد عدونا ؛ فاما أن يمــدنا برجال واما أن يأمرنا بأمره فنمضى له . وغاظ هــذا الموقف ابن رواحة فاندفع ــ كما يقول العقاد ــ بحماسة الشاعر ، وحميــة الشهيد . فقال : « ياقوم والله ان الذى تكرهون للذى خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فانما هى احــدى الحسنيين : اما ظهور واما شــهادة » فقالوا : صدق والله ابن رواحــة ، ومضوا الى لقاء عدوهم ، ويسمى ابن رواحة يومى المشورة حبسا ، فيقــول شعرا فيه تصوير لحالتهم ــ والحديث عن الخيل ــ :

أقامت ليلتــين علـى معــان
فأعقب بعد فترتها جموم (٢)

فرحنــا والجيــاد مســومات
تنفس من مناخرها الســموم

فلا وأبى ( مآب ) لنأتينهــا
ولو كانت بهــا عرب وروم

فهو طالب جهاد واستشهاد ، لايهاب عربا ولا روما ، والتقى الجيشــان ــ

---

(١) الطبرى جـ ٢

(٢) نشــاط

غير المتكافئين فى العدد والعدة ـ فى ( مؤتة ) فاستشهد الأميران : زيد ابن حارثة وجعفر بن أبى طالب ، وجاءت نوبته ، وكان معجلا ، فأتاه ابن عم له بقطعة لحم ، فأخذها منه ، فانتهس منها نهسة ، ثم سمع الحطمة فى ناحية الجيش فقال : وأنت فى الدنيا ثم ألقاها من يده ، وحمل سيفه وحمل اللواء وارتجز :

يا نفس ألا أراك تكرهين الجنة
أحلف بالله لتنزلنه
طائعة أو لتكرهنه

ونظر الى صاحبيه وقال :

يا نفس الا تقتلى تموتى
هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت
ان تفعلى فعلهما هديت

واندفع يقاتل حتى سقط شهيدا فى جمادى الأولى من السنة الثامنة من الهجرة .

واتفق المسلمون على خالد بن الوليد فكان القائد الذى احتال ببراعته الحربية حتى رجع بالجيش الى المدينة . فابن رواحة منذ فصل من المدينة وودع الرسول وأصحابه وهو يهتف بالشهادة ، ويمهد لها ، فلما أتيحت له الفرصة لم يرض بغيرها بديلا . لقد كان شعره قطرات دمه قبل أن يسيل على رماح الروم ، وروحه كانت متعلقة بروح الله قبل أن يحمل اللواء ، فهنيئا له الجنة ومنزلة الشهداء .

عن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما نزلت « والشعراء يتبعهم الغاوون » قال : عبد الله بن رواحة : قد علم الله أنى منهم فأنزل : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » فالله أكرمه بهذا الاستثناء ، ورفع عنه مذمة الشعراء الذين يقولون مالا يفعلون .

هذا الشاعر (١) وجبت له الرحمة ، ونال رضا الله ورسوله ، ولنا فيه القدوة الحسنة ، والنموذج الكريم ؟

**السيد حسن قرون**

---

(١) ليس له عقب .

# سد الذرائع .. عند الفقهاء

للدكتور محمد محمد الشرقاوى

ظهر على مسرح الفقة الاسلامى عامل من عوامل استنباط الحكم الشرعى المناسب لعمل من الأعمال التى لم يجد الفقهاء لها أو عليها نصا صريحا من الكتاب العزيز أو السنة المطهرة ، وقد تعارف العلماء على تسميته بسد الذرائع ، وشاع هذا اللون الاجتهادى فى الفقه أكثر ما شاع على لسان المالكية بنوع خاص واتخذوا منه محورا هاما دارت حوله عجلة الرأى والاجتهاد فى تتابع وكثرة جعلت منه قاعدة عامة من قواعد الفقه التى تتنزل عليها الحوادث الوافدة ، والمتغيرات المتجددة فى دنيا الناس لتأخذ لنفسها الحكم الشرعى الملائم حسبما يملى على المجتهدين اجتهادهم ، ويسعفهم بحثهم وتقصيهم .

وكان هذا أثرا من آثار الفتح الاسلامى ، وانفتاح العلماء والمجتهدين على آفاق جديدة زاخرة بالجديد من الحوادث ، والمتنوع من الأعمال ، فبرز فى محيط العمل الفقهى والنشاط الاجتهادى ما سمى «بالرأى» وسرعان ما ساير الحياة فى شتى اتجاهاتها ، ولبى الكثير من متطلباتها ، وقد استهدى فيه الفقهاء بالمبادىء العامة للدين ، والقواعد الكلية التى فهمت من مختلف النصوص .. فتعددت وجوه الرأى ، وتنوعت ضروبه . فسمى مرة قياسا ، ومرة أخرى استحسانا ، وثالثة مصالح مرسلة ، أو براءة أصلية ، أو بناء على الأصل ، أو استصحابا ، أو سدا للذرائع .. وفى هذا يقول ابن قيم الجوزية فى اعلام الموقعين : « ان الرأى عندهم

ما يراه القلب بعد فكر وتأمل ومعرفة لوجه الصواب » ، وقد أطلق الرأى عند أهل الشريعة على ما سوى أخذ الحكم من النصوص بصفة مباشرة ، وبهذا صار الرأى صنفا من أصناف الاجتهاد يتناول كل ما تقدم ذكره ... فكل واحد مما ذكر نوع من الرأى كما أن الرأى نوع من الاجتهاد المأذون فيه فى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه حين قال للرسول صلى الله عليه وسلم فى معرض الاجابة عن كيفيات معرفته للأحكام : « اجتهد رأيى » ومع أن الكتاب والسنة هما أصل التشريع الاسلامى ، والاجماع والقياس راجعان اليهما ، فقد ثبت الاذن للرسول عليه الصلاة والسلام بالاجتهاد ، وأذن هو لأصحابه فيه ، وأقرهم عليه ، ودربهم على سلوك دروبه ، وتقليب وجوهه ، وكأنه بذلك يعد الأمة كلها فى شخص الصحابة للغد المجهول ، وما عسى أن يتمخض عنه من مستحدثات النوازل ووقائع الحياة .

فسد الذرائع اذن فرع من فروع الاجتهاد له صفة القاعدة العامة المأخوذة من شتات النصوص المنبثة فى تضاعيف الرسالة .

والذرائع جمع ذريعة : وهى الواسطة بين شيئين : وقد ذكر الشاطبى حقيقتها بقوله (١) : « هو التوسل بما هو مصلحة الى مفسدة » ولكن بشرط من شرطين :

(١) أن يظهر لذلك قصد فى الوصول الى المفسدة عن طريق هذا المباح من الأعمال .

(٢) أن يكثر التعامل بذلك بين الناس بمقتضى العادة ولو لم يكن هناك قصد الى ذلك .. ومعنى ذلك : أن الشىء المشروع الذى درج عليه تعامل الناس اذا قصد أو كثر اتخاذه جسرا موصلا الى ما ليس بمشروع لكى يموه بذلك ويظهر بصورة المتباعد عن الحرام - يصير حراما لأنه موصل الى الحرام ، وكل مايؤدى الى الحرام قصدا أو عادة فهو حرام مثله ، وقد أجمع العلماء من الفقهاء على تحريم هذا الأسلوب الملتوى وان سموه بأسماء مختلفة واعتبروا فيه اعتبارات جانبية .. وذلك نظرا الى المآل

---

(١) الموافقات جـ٤ : ١٩٦

واعتبارا للقصد ، وقد حكم مالك رضى الله عنه قاعدة سد الذرائع فى أكثر أبواب فقهه حتى قال بعض العلماء : « ان سد الذرائع ربع التكاليف » ، وذكر لها ابن القيم تسعة وتسعين مثالا فى كتابه أعلام الموقعين .

ومن أسقط حكم الذرائع من حسابه الفقهى كالشافعى رضى الله عنه فقد نظر الى مآل الأعمال وجعل له أثرا فى الحكم ، والحنفية يقولون : كل ما أدى الى الحرام فهو حرام .. فهؤلاء الأئمة متفقون على أنه لايجوز التعاون على الاثم والعدوان باطلاق ، وكل منهم لا يقر القصد الى المحرم ولو من طريق المباح .. فقاعدة سد الذرائع فى جوهرها متفق على اعتبارها فى الجملة ، وانما الخلاف فى تحقيق المناط الذى يستند اليه التحريم ويتحقق به التذرع .. وهو ما يعبر عنه بتحقيق المناط فى الأنواع ، فالعبرة بمآلات الأعمال ومقاصدها كما قرر الشاطبى فى المسألة العاشرة[١] حيث قال : « النظر فى مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا .. وذلك لأن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالاقدام عليه أو الاحجام عنه الا بعد نظره الى ما يؤول اليه ذلك الفعل ، وقد ثبت شرعا اعتبار المآلات فى أصل المشروعية بقوله تعالى فى آية الصيام : «لعلكم تتقون» ، وقوله : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » وهذا ونحوه دليل على النظر الى نهاية العمل المباح فان كان مشروعا كانت الواسطة اليه مشروعة ، وان كان محظورا كانت الوسيلة المباحة التى يقصد بها الوصول اليه محظورة كذلك ومن هنا نشأت قاعدة سد الذرائع ومن أمثلتها :

(١) قوله تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » فاننا لو نظرنا الى سب الآلهة التى تعبد من دون الله لوجدناه فى حد ذاته عملا مشروعا فيه نصرة للحق وامتهان للباطل ، وهو من هذه الناحية مباح ، ولكن اذا نظرنا الى مآله وما يترتب عليه من سبهم لله تعالى لوجدنا مفسدته أكثر من منفعته ، فلذلك منع الشارع من مزاولة هذا الجائز لئلا يكون سببا فى فعل مالا يجوز .

---

(١) الموافقات جـ ٤ : ١٩٤

(٢) قال تعـــالى : « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » فقد منع الله تعـالى النساء من ضرب أرجلهن بالأرض وهـــــو جائز فى نفسه ، لئلا تصدر عنه وسوسة الحلى، وأصداء الزينة مع ما تثيره فى أنفس الرجال وقلوبهـم من دواعى الفتنـة وبواعث الفساد فمنع من الأول ليكون ذلك منعا من الثانى .

(٣)قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا ليســـتأذنكم الذين ملـكت أيمـانكم والذين لم يبلغوا الحلم منـكم ثلاث مرات ... » الآية فقـــد منـــع من الدخول على أوليـاء الأمور وهم فى أوقات الخلوة فى هذه الأوقات الثلاثة من قبل صـلاة الفجر وبعد الظهيرة وبعد صـــلاة العشاء ، ولم يمنع فى غيرها وذلك بدون استئذان لئلا يكون ذريعة الى الاطلاع على العورات التى يغلب الكشف عنها فيهـا ويـنـدر فى غيرها .

(٤)قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا» فقد نهاهم الله تعالى عن توجيه هـذه الـكلمة الى الرسول صلى الله عليه وســـلم مع قصـدهم الخير ، فيها ، والاسترشاد بها .. لئلا تكون ذريعة موصلة الى التشبه باليهود فى أقوالهم الملتوية ،وأساليبهم الخبيثة فى مخاطبة النبى صـلى الله عليـه وســـلم بتلك اللفظة التى كانوا يريدون بها وجهها الآخـر الدال على الرعـونة والذم ، ولئلا يكون ذريعة من جانب آخر الى أن يقولها اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم تشبها بالمسلمين ويقصدون بها غير ما يقصده المسلمون .

(٥) حين أشار بعض المسلمين على الرسول صلى الله عليه وسلم بقتل من ظهر نفاقه من المنـافقين رفض قتـالهم مع أنه عمـل مباح فى حد ذاته وذلك لئلا يتخذ ذريعة الى اطـلاق الألسنة الحداد من عقالها لتقول فى الرســول قولا لا يرضاه ولذلك قال لأصحابه : « أخاف أن يتحدث الناس أن محمدا قتل أصحابه » .

(٦) لمـا بنى البيت الحرام على غير الأساس الذى أقامه عليه ابراهيم عليه السلام حين رفع قواعده مع ابنـــه اسماعيل عليـــه السلام .. لم يقدم الرسول صـــلى الله عليه وسلم على هدمه واعادة بنائه ، مع أن هذا عمـل مبرور فيه اظهـــار لحقيقة مقدسة ،

ووضع للأمور فى وضعها الحق ... ولكنه صلى الله عليه وسلم تركه نظرا الى مآله المتوقع ، وعاقبته المنتظرة وهو ما يحدث من فتنة الارتداد عن الاسلام والثورة على الرسول فى وقت لم تتعمق جذور الاسلام فى القلوب ولذلك امتنع عن المباح المشروع لئلا يكون ذريعة الى ضرر أرجح من مصلحته ، وأبلغ من اعتباره ففى رواية البخارى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله عنها : « لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس ابراهيم » ولهذا أفتى الامام مالك رضى الله عنه الأمير الذى كان يعاصره حين أراد أن يرد البيت على قواعد ابراهيم بعدم الاقدام على ذلك وقال : « لا تفعل لئلا يتلاعب الناس ببيت الله » فلا يخفى أن فى هذا ترك مصلحة محققة من أجل مفسدة مظنونة ومع ذلك رجحت .

(٧) فى حديث الأعرابى الذى بال فى المسجد ولفظه كما فى الشيخين : « بينا نحن فى المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه .. مه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتزرموه دعوه ،فتركوه حتى بال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له : ان هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول والقذر ، وانما هى لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن ، وأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه ، فقد ترك النبى صلى الله عليه وسلم عملا مباحا وهو منع الرجل من البول فى المسجد تلافيا لضرر أكبر منه وهو الاضرار بالرجل وما يترتب على ذلك من فتنة .

هذا قليل من كثير من صور سد الذرائع التى اتفق الفقهاء على اعتبارها فى معناها وأقروا جميعا بأن ارتكاب أخف الضررين واجب ، وبأن القصد الى الحرام حرام وان اختلفوا فى تكييفها فقهيا وتحقيق مناط الحكم فيها ولكنهم يلتقون جميعا على اعتبار معناها ومغزاها ، واذا كان ابن القيم قد أكمل لها تسعة وتسعين مثالا .. فانه قال فى نهايتها : ولنقتصر على هذا العدد الموافق لأسماء الله تعالى الحسنى . ولله وراء ذلك أسماء وأحكام ؟

**د. محمد محمد الشرقاوى**

من هدى السنة :

# الأكل من الطيبات

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن أبى هريرة رضى الله عنـــه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( أيها الناس : ان الله طيب ، لا يقبل الا طيبا ، وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسـلين ، فقـال تعـالى : « يأيهـا الرسـل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبـات ما رزقناكم » ثم ذكر الرجل يطيل السـفر أشعث أغبر يمـد يديه الى السماء يارب يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك ) .

رواه مسلم

**تعريف بالراوى :**

هو عبد الرحمن بن حنجر كنـاه النبى صلى الله عليه وسلم بأبى هريرة حينما رآه يحمل هرة ــ أسلم فى غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة ، وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولازمه فكان أكثر أصحابه رواية عنه ببركة ملازمتـــه له ــ روى **٥٣٤٧** حديثا ، ودعا الرسول له ألا ينسى ، وكان من أهل الصفة الفقراء ، توفى بالمدينة سنة **٥٧** هـ عن سبعة وثمانين عاما ، ودفن بالبقيع .

**اللغة :**

( ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ) الطيب ضد الخبيث ، قال تعالى : « قل لا يســتوى الخبيث والطيب » (١) والمقصود بوصف ( طيب ) فى جانب الله تعالى أنه سبحانه منزه عن النقائص ومتصف بكل كمال ، والمقصود بهذا الوصف فى جانب العمل أمران :

الأول : أن يكون العمل مشروعا فى ذاته ، وأن يكون أداؤه صحيحا موافقا للشروط الشرعية .

---

(١) سورة المائدة آية رقم ١٠٠

الثانى : أن يكون بعيدا عن الرياء وطلب السمعة والشهرة •

( أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ) أى أنه تعالى أوجب على المؤمنين ما أوجبه على المرسلين ، فلا فرق بين الرسل وغيرهم فى لزوم اكتساب الحلال ، واجتناب الحرام •

( الطيبات ) المراد بها ما أحله الله تعالى •

( اعملوا صالحا ) أى عملا موافقا للشريعة •

( أشعث ) الشعث انتشار الأمر وتفرقه ، وفى الدعاء : لم الله شعثكم، أى ما تفرق من أمركم ، ويقال : رجل أشعث ، أى متفرق شعر الرأس ، كما يقال أيضا : امرأة شعثاء •

( أغبر ) متغير الوجه من طول ما تراكم عليه من الغبار •

( وغذى بالحرام ) غنى بالحرام ، واكتفى به منذ نشأته ، وفى هذا اشارة الى مأكل ذلك الرجل حال صغره ، قال فى المصباح : والغذاء مثل كتاب ما يغتذى به من الطعام والشراب ، فيقال غذا الطعام الصبى يغذوه من باب علا اذا نجع فيه وكفاه اهـ •

( فأنى يستجاب لذلك ) أنى يستفهم بها عن الجهة ، تقول : أنى يكون هذا ؟ أى من أى وجه وطريق؟ والاستفهام يراد به هنا الاستبعاد ، أى بعيد جدا أن يستجاب لذلك الرجل الذى يتصف بالأحوال المذكورة •

**البيان :**

ان الله تعالى متصف بكل كمال ، ومنزه عن النقائص والعيوب ، وعليم بأسرار عباده ، فلا يقبل منهم الا عملا صالحا أريد به وجهه الكريم ، وهو سبحانه الرزاق ذو القوة المتين ،أفاض على عباده من الحلال الطيب ما يفى بحاجاتهم ، ويحقق رغباتهم ، ويوفر لهم عيشا رغيدا ، وحياة كريمة ، وقد طلب منهم أن يستمتعوا بما شرعه لهم من الحلال والمستلذات ليكون فى ذلك قوة لهم على التزود من الأعمال الصالحة التى يخلصون فيها النية لله رب العالمين ، فيقبلها منهم ، ويجزيهم عليها أعظم الجزاء •

فالحديث يستهدف تنفير الناس من الحرام مأكلا ومشربا ، وترغيبهم فى

اختيـار الحلال وتحريه ، وقد مهـد لهذا بمقدمتين :

الأولى : ( ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ) .

والثانيـة : ( وان الله تعـالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ) .

وهذه الثانية تفيد أن الأمر بتحرى الحلال فى الرزق مشترك بين جميع الخلق لأنه سبيل الى تزكية أعمـال الانسان ، وقبولها عند الله .

والمقدمة الأولى بمثابة العلة للمقدمة الثانية ، فالأكل من الطيبات يعين على الأعمال الطيبة التى تصلح أن تكون أعمالا لله تعالى ، لأنه سـبحانه طيب لا يقبل الا طيبا .

وقد ساق صلى الله عليه وسلم كلا من المقدمتين بصيغة التأكيـد اهتماما بالخبر ، وعناية به ، وتركيزا له فى أذهان السامعين ، ودفعـا لهم الى أن يجعلوا ذلك عقيدة راسخة فى قلوبهم يظهر أثرها فى سلوكهم وتصرفاتهم ، وفى قوله صلوات الله وسلامه عليه : ( وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ) تكريم للمؤمنين ، ورفع لقدرهم حيث سوى بينهم وبين الرسل عليهم الصلاة والسلام فى الأمر بالأكل من الطيبـات ، وبين عليـه الصـلاة والسـلام أمر المرسـلين بالأكل من الطيبات بذكر قوله تعـالى : ( يأيهـا الرسـل كلوا من الطيبـات واعملوا صالحا )[1] وهذا نداء لجميع الرسل ، لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة واحدة ـ فانهم أرسلوا فى أزمنة مختلفة ـ بـل على أن كـلا منهم خوطب فى زمانه .

والتقدير : قلنا لكل رسول : كل من الطيبات واعمل صالحا ، فعبر عن تلك الأوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية للايجاز ـ وهذه الحكاية ليعتقد السامع أن أمرا نودى له جميع الرسل ، ووصوا به حقيق أن يستجاب له ، ويعمـل به ، والأمـر فى ( كلوا ) للاباحـة ، أو للوجوب كما لو أشرف شخص على الهلاك بسبب الجوع ، أو للاستحباب لموافقة ضيف ، ومشاركته فى الطعـام تطييبا لخاطره .

هذا ويصح أن يراد بالأكل من الطيبات عموم النفع بها الذى يشـمل

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم ٥١

أوجه الانتفاع كالأكل والشراب والملبس ـ وانما خص الأكل بالذكر لأنه أعظم مقاصد النفع •

وفى أمر الرسل بالأكل من الطيبات قبل أمرهم بالعمل الصالح ـ اشعار بأن الأكل من الطيبات وسيلة للعمل الصالح ، وتفخيم لشأن الحلال ، وابراز لعظيم قدره عند الله تعالى •

وبين صلى الله عليه وسلم أمر المؤمنين بالأكل من الطيبات بذكر قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم )(١) •

و ( من ) فى الآية الكريمة لابتداء الغاية ، أى ليكن أكلكم مبتدئا من الطيبات ، وفيها أيضا معنى البعضية للاشارة الى عدم الاسراف والترف فى استغلال الطيبات ، والمعنى فى هذا كالمعنى فى قوله تعالى : ( وكلوا واشربوا ولا تسرفوا )(٢) •

وأسند الرزق اليه سبحانه فى قوله : ( رزقناكم ) لأمرين :

الأول : تصحيح عقيدة المؤمنين ، وتذكيرهم أن الرازق هو الله تعالى ، حتى لا يعتمدوا على قوتهم ، أو علم ، أو حرفة ، وينسوا ربهم •

والثانى : تحريضهم على غاية الاحتياط فيما يأكلون ، ـ أى لاتأكلوا الا الحلال الخالص الذى يستحق أن يضاف اليه سبحانه على أنه رزق منه ، والمسلم قد يقبل على طاعة الله ، ويطيل لها السفر اذا كانت تحتاج الى سفر كالحج والعمرة والجهاد وطلب العلم ، ويضاعف الجهد فى أداء هذه العبادة الى درجة يهمل فيها نفسه ، فيشعث شعره ، ويغبر جلده ، ويكون فى حالة من المذلة والوحشة بحيث يظن أنه قريب من ربه ، فيجأر اليه بالدعاء ، ويلح فى الرجاء ، وقد نسى أنه لم يجرد نفسه من مظالم أثقل بها كاهله ، وأفسد باطنه ، فقد طعم الحرام منذ نشأته ، ولازمه فى جميع مراحله ، ودخل فى تكوينه ، فنما به جسمه ، وقام عليه أمره ، وكيف يستجيب الله تعالى لعبد أعرض عنه ، وقطع صلته به ، وأمعن فى معصيته ، واقتراف أسباب غضبه ، كان على هذا

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٢

(٢) سورة الأعراف آية رقم ٣١

الشخص قبل أن يكبد نفسه متـاعب السفر والغربة ـ أن يطهرها من هذه المظالم والمفاسد ، وعندئذ يصير أهلا لأن يقبل الله تعالى تضرعه ، ويرحم ضعفه ، ويستجيب دعاءه .

فتناول الطعام الحلال ، والحرص عليـه أهم وسيلة لاستجابة الدعاء ، وأول أدب يتحلى به الداعى ، ويؤكد هذا ما رواه الطبرانى فى الصغير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : تليت هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا )(١) فقام سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه فقـال : يا رسـول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال النبى صـلى الله عليه وسلم : يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمـة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به ) .

ومن الآداب ألا يدعو الانسـان بحرام ، فلا يدعو بالاعانة على تمكين من ظلم ، أو اعتداء على حق ، وأن يأخذ بالأسباب لما يدعو لتحقيقـه ، فلا يدعو بالمغفرة وهو غارق فى الملذات والشهوات ، ولا يدعو بالنجاح وهو منهمك فى اللعب والاهمال ، ولا يدعو بالنصر على الأعداء ، وهو غافل عن الاعداد لهم ، وأخذ الحـذر منهم ، ويجب أن يكون الداعى حاضر القلب، موقنـا بالاجابة ، ويحسن أن يختم دعاءه بالدعاء للاسـلام والمسـلمين ، والصلاة على أشرف المرسلين .

وبعد أن تبين أن الطعـام الحرام خطر داهم يمنع قبول الدعاء ، ويدفع لأسوأ العواقب ، ولا يغنى معه الاجتهاد فى العبادة ـ ينبغى للمسلم أن يجتنبه ، وأن يذكر مصـادر المـال الحـرام ليحذرها ، ويقى نفسه منها .

وليس هذا بخاف على مسلم يريد أن يفقه دينه ، كما قال صلوات الله وسلامه عليه : ( ان الحلال بين ، وان الحرام بين )(٢) .

لذا نكتفى بأن نذكر ببعض الأمثلة لمصادر المـال الحرام ، فمن مصادره

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٦٨ (٢) بعض حديث رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما .

ما كان عن طريق الغصب والسرقة والاختلاس ، ومن مصادره ما كان عن طريق الرشوة ، والتعامل بالربا ، ومن مصادره ما كان عن طريق الغش فى المعاملة ، ومن مصادره ما جاء عن طريق الاتجار فى المخدرات والأشربة المحرمة ، ومن مصادره ما جاء بسبب احتكار الأقوات ــ رجاء ارتفاع ثمنها ــ واخفاء أصناف التموين لبيعها سرا بأكثر من الأسعار المقررة لها ، فكل هذه الأموال محرمة بصريح النصوص ، ويعتبر الحصول على شىء منها أكلا لمال الغير بالباطل ، وبغيا عليه وعدوانا مهما وجد الآكل من حجة تسعفه ، وتؤيده ، وقوة تحميه وتظاهره ، قال تعالى : ( ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون )[1] .

وليعلم آكل هذا المال أنه يأكل مالا خبيثا ، ومهما كد فى جمعه ، وفرح بالحصول عليه ، وتفاءل بكثرته فلن يحقق له سعادة ، ولن يجلب يسارا ، ولن تحمد به عاقبة ، قال جل شأنه : ( قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون )[2] .

وخبث هذا المال يلازمه فى جميع حالاته ، فاذا تصدق به صاحبه لم تقبل صدقته ، واذا أنفق منه لم يبارك له فيه ، واذا تركه ومات كان رفيقه الذى يورده النار وسوء العذاب ، وحسبنا فى هذا قوله صلوات الله وسلامه عليه : ( ولا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه ، ولا ينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ، ان الله تعالى لا يمحو السىء بالسىء ، ولكن يمحو السىء بالحسن ، ان الخبيث لا يمحو الخبيث )[3] .

**ما يرشد اليه الحديث :**

يرشد الحديث الى أمور نجتزىء منها بما يأتى :

١ ــ الله سبحانه متصف بكل كمال ، ومنزه عن النقائص والعيوب .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٨

(٢) سورة المائدة آية رقم ١٠٠

(٣) بعض حديث رواه أحمد وغيره عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

٢ ـ البدء بتطهير النفس وتصفيتها قبل أن تتحمل مشقة الطاعة .

٣ ـ الحث على تحرى الحلال فى المطعم والمشرب .

٤ ـ تناول الحلال الطيب أهم وسيلة لقبول الدعاء .

٥ ـ مراعاة أسباب الدعاء ، وتحصيل أسباب القبول .

٦ ـ الأكل من الطيبات يعين على التزود من الأعمال الصالحة ، فيقبلها الله تعالى ، ويضاعف عليها الجزاء .

٧ ـ يحسن للداعى الى الخير أن يؤكد كلامه لتركيزه فى أذهان السامعين ، ودفعهم الى العناية به .

رزقنا الله تعالى الحلال الطيب ، وبارك فيه ، ووفقنا الى عظيم طاعته ، والاحسان فى عبادته حتى نكون أهلا لمزيد كرمه ، وجزيل عطائه ؟

**منشاوى عثمان عبود**

---

## تصـويب

وقعت أخطاء فى قصيدة الدكتور مختار الوكيل بالجزء الثانى ص ٢٣٨ وصحة الأبيات كما يلى :

ونار أعدت للذين تجبروا عتوا فضلوا وانتهى أمرهم سدى

ودين ودنيا والعصور التى خلت فلم يبق منها فى الحياة سوى صدى

عجبت لمن ينأى عن النور جاهلا وفيه شفاء الروح والعز والندى

# تعدد الشفعاء

للدكتور ابراهيم دسوقى الشهاوى

لتعدد الشفعاء حالتان :

الحالة الأولى : أن يكون الشفعاء من طبقة واحدة ، باتحادهم فى سبب الاستحقاق بالشفعة ، كأن يكونوا شركاء فى ذات المبيع ٠

الحالة الثانية : أن يكون الشفعاء من طبقات مختلفة ، باختلافهم فى سبب الاستحقاق بالشفعة ، كأن يكون أحدهم شريكا فى ذات المبيع ، والآخر شريكا فى حقوقه أو جارا ٠

ونأخذ فى الكلام مفصلا على كل حالة ٠

**تعدد الشفعاء من طبقة واحدة :**

اذا تعدد من تثبت له الشفعة ، وكان السبب متحدا ، كالشركة فى ذات المبيع ، كان لكل واحد من الشركاء حق الشفعة ، ويوزع عليهم المشفوع فيه ، وذلك باتفاق الفقهاء جميعا ٠ كما اتفقوا على أنه يوزع عليهم بالتساوى اذا تساوت حصصهم التى يشفعون بها ، ثم اختلفوا فى توزيع المشفوع فيه عليهم اذا تفاوتت حصصهم التى يشفعون بها على قولين ٠

القول الأول : أنه يوزع عليهم بالتساوى ، ذهب الى ذلك الحنفية والظاهرية(١) ٠

القول الثانى : أنه يوزع عليهم بنسبة حصصهم التى يشفعون بها ، ذهب الى ذلك المالكية والشافعية والحنابلة(٢) ٠

فاذا كان عقار بين ثلاثة لأحدهم نصفه ، وللثانى ثلثه ، وللثالث سدسه ، ثم باع صاحب النصف نصيبه

---

(١) الهداية وشروحها جـ ٧ ص ٤١٤ ، المحلى لابن حزم جـ ٩ ص ٩٨

(٢) المدونة جـ ١٤ ص ١٠٧ ، الزرقانى على الموطأ جـ ٣ ص ١٧٨ ، المغنى لابن قدامة جـ ٥ ص ٥٤٣ ، متن المهذب جـ ١ ص ٣٨٥

لأجنبى ، وأراد كل من شريكيه أخذه بالشفعة ، فان النصف المشفوع فيـه يقسم بينهما نصفين على القول الأول ، نظرا لعـدد الرؤوس ، ويقسم أثلاثا على القول الثانى ، فيعطى صاحب الثلث اثنين ، وصـاحب السدس واحـدا ، نظرا الى ما يملـكه كل منهمـا من المشفوع به •

وقد استدل أصحاب القول الأول على أنه يوزع عليهم بالتساوى ، بأن اتصال الملك سبب كامل للشفعة ، سواء قل الاتصال أو كثر ، فان صـاحب القليل لو انفرد ، استحق المشـفوع فيه كله ، وكذلك صاحب الكثير لو انفرد استحقه كله ، فكل جزء من أجزاء الاتصال علة تامة للشفعة ، فاذا اجتمع فى حق صـاحب الكثير علل كثيرة ، وفى حق صاحب القليل علل قليلة ، فهما متساويان فى الاستحقاق ، كمـا لو جرح رجل رجلا جراحات كثيرة ، وجرحه آخر جراحة واحدة فمات ، استويا فى حكم القتل •

رد هذا الدليل بأن العلل الكثيرة توجب الترجيح ، فينبغى التقسيم على حسب الكثرة والقلة •

وقد دفع هذا الرد ، بأن الترجيح انما يكون بقوة العـلة لا بكثرتها ، والكثرة هنا لا قوة معها ، اذ لو كان معها قوة لاستقلت بالحكم ، فلم يستحق صاحب القليل شيئا ، ولكن صـاحب القليل وصاحب الكثير سواء فى الأخذ بالشـفعة ، وبذلك يتضح أن الكثرة ليس معها قوة توجب الترجيح ، فيجب القول بتوزيع المشفوع فيه بالتساوى (١)

واستدل أصحاب القول الثانى على أنه يوزع بينهم بنسبة الحصص بمـا يأتى :

أولا : أن الشـفعة حق اسـتفيد بسبب الملك فيقـدر بقـدره كالربح والثمرة •

وقد رد هذا الدليل بأنه قياس مع الفارق ، فان الربح والثمرة متولدان

---

(١) المبسوط للسرخسى جـ ١٤ ص ٩٧

عن الملك ، فيراعى فى توزيعهما مقداره وأما الشفعة فليست متولدة عنه ، لأنها استحقاق تملك مال الغير بغير رضاه دفعا لضرره ، وليس ذلك ثمرة من ثمرات الملك(١) •

ثانيا : أن الشفعة حق كالديون ، فكما يوزع مال المدين على الدائنين اذا تفاوتت ديونهم ولم يتسع لها على قدر ديونهم ، لا على عدد رؤوسهم ، فكذلك يوزع المشفوع فيه على قدر حصصهم ، لا على عدد رؤوسهم •

ورد هذا الدليل بأنه قياس مع الفارق ، فان أصحاب الديون لو انفرد أحدهم لم يأخذ منه الا دينه ، فليس له حق فى جميع المال • بخلاف الشفعاء ، فان صاحب القليل منهم لو انفرد استحق المشفوع فيه كله ، وكذلك صاحب الكثير ، فهما أشبه بأصحاب الديون الذين تساوت ديونهم ، لا الذين تفاوتت ديونهم •

ثالثا : أن الشفعة شرعت لرفع ضرر القسمة ، وضررها يتفاوت بتفاوت الأنصباء ، فصاحب النصيب الكثير يخصه منه ما لا يخص صاحب النصيب القليل ، فيجب أن يوزع بينهم بما يدفع هذا الضرر على حسب ما يخص كل واحد منهم ، فان الغنم بالغرم •

وقد رد هذا الدليل بأن الضرر الذى شرعت من أجله الشفعة ، ليس هو ضرر القسمة ، لأن ضرر القسمة مشروع ، فلا يصلح أن يكون علة للشفعة ، وانما العلة هى ضرر الجوار ، وهذا الضرر يستوى فيه صاحب القليل وصاحب الكثير •

ولو سلمنا أن الضرر هو ضرر القسمة ، فلا نسلم أن ما ينشأ عنها من الضرر يتفاوت بتفاوت الأنصباء • فان التكاليف والمؤن الناشئة عن القسمة توزع بين الشركاء على حسب رؤوسهم لا على حسب أنصبائهم ، لأن المشقة فى تمييز النصيب القليل كالمشقة فى تمييز النصيب الكثير •

ونرى أن الرأى الراجح ، هو القول بتوزيع المشفوع فيه بالتساوى بينهم لما رأيناه من قوة أدلتهم ، ولأن المساواة بين الشفعاء فى هذه الحالة مما يقرب النفوس الى بعضها ، وهذا

(١) بداية المجتهد جـ ٢ ص ٢٢٥ ، المغنى جـ ٥ ص ٥٢٤ ، حاشية عميرة على المنهاج جـ ٣ ص ٣٥٧

ما تنشــده شريعة الاســـلام وتحض عليه •

الحالة الثانية : وهى تعدد الشفعاء من طبقات مختلفة :

فقد ذهب الحنفيــة الى ثبوت الشــفعة لثلاث طبقات :

الأولى : طبقـــة الشريك فى ذات المبيع ، والثانية : طبقة الشريك فى حقوق المبيع ، والثالثة : طبقــة الجار الملاصق •

وذهب الظاهرية الى ثبـوت الشفعة لطبقتين :

الأولى : طبقة الشريك فى ذات المبيع ، والثانية : طبقــة الشريك فى حقوق المبيع •

وما ذهب اليه الحنفية والظاهرية من تعدد طبقات من تثبت له الشفعــة يخالف ما ذهب اليه المالكية والشافعية والحنابلة ، فانهم لم يثبتوا الشفعة الا للشريك فى ذات المبيع •

فاذا تعدد من تثبت له الشــفعة من طبقــات مختلفــة ، وأراد كل منهم الأخذ بالشفعة ، فانه يقدم صــاحب الطبقــة الأولى على صــاحب الطبقــة الثانية والثالثة ، ويقدم صاحب الطبقة الثانية على صاحب الطبقة الثالثة • فاذا كان عقــار شركة بين اثنين ، فبــاع أحدهما نصيبه لأجنبى ، وله شريك فى حقوق المبيع وجار ملاصق ، فان الشفعة تكون للشريك فى ذات المبيع دون الشريك فى حقوق المبيع • ودون الجار الملاصق •

واذا باع شخص عقاره لأجنبى وله شريك فى حقوق المبيع وجار ملاصق ، كانت الشفعة حقا للشريك فى حقوق المبيع دون الجار الملاصق •

فالشريك فى ذات المبيع مقــدم فى الأخذ بالشفعة على الشريك فى حقوق المبيع ، والشريك فى حقوق المبيــع مقدم على الجار الملاصق(١) •

واســتدلوا عــلى ذلك بأن المقتضى لثبوت الشفعة هو رفع ضرر الدخيل ، وسبب الضرر هو اتصــال المــلك ، واتصاله بالشركة فى ذات المبيع أقوى من اتصاله بالشركة فى حقوقه ، لأن الأول ثابت فى كل جزء منه بخــلاف الثــــانى ، فانه شركة فى المــرافق ، واتصــاله بالشركة فى المرافق أقوى من اتصاله بالجوار ، لعدم الخلطة فى

---

(١) الزيلعى جـ ٥ ص ٢٤٠٠ ، المبسوط جـ ١٤ ص ٩٤

الجوار ، فاذا ترك الأقوى حقه فى الشفعة ، انتقل الحق لمن يليه فى الطبقة عند أبى حنيفة ومحمد وأبى يوسف فى ظاهر الرواية .

وقيل لا ينتقل اليه مع وجود الأقوى الذى ترك حقه ، وبه قال أبو يوسف فى غير ظاهر الرواية .

ومحل الخلاف اذا أشهد المتأخر على طلبها عند علمه بالبيع ، والا انتقل حقه فيها لمن يليه اتفاقا .

وقد استدل أبو حنيفة ومن معه ، بأن سبب الشفعة اتصال الملك ، وهو ثابت فى حق المبيع ، وتقديم بعضهم على بعض انما هو لمعنى زائد على ذلك وهو قوة التأثير فى السبب ، فاذا ترك الأقوى حقه ، انتقل لمن يليه فى الطبقة ، لتقرر السبب ، ونظير ذلك دين الصحة مع دين المرض ، فان التركة اذا لم تسع الجميع قدم دين الصحة ، فلو أبرأ المدين انتقلت التركة لصاحب دين المرض ، يستوفى دينه منها ، لأن سبب الاستحقاق قائم(١) .

واستدل أبو يوسف فى غير ظاهر الرواية ، بأن الأضعف محجوب بالأقوى كالميراث ، فكما أن الأخ لا ميراث له مع الابن ، ولو أسقط الابن حقه ، فكذلك لا شفعة للأضعف مع وجود الأقوى عند تنازله عن حقه .

ورد هذا الاستدلال ، بأنه قياس مع الفارق ، فان الملك فى الميراث قهرى فلا يسقط باسقاط من يثبت له ، بخلاف الشفعة ، فان الملك فيها اختيارى ، فيسقط باسقاط من يثبت له ، وحينئذ ينتقل الحق الى من يليه .

وبعد هذا ، نرى أن الراجح ما ذهب اليه أبو حنيفة ومن وافقه ، لقوة دليله ، ولأن وجود الأقوى وطلبه للشفعة مانع فقط من أخذ الذى يليه فى الطبقة ، فتنازله كموته عدم للمانع ، فينقل الحق الى من يليه فى الطبقة ، لرفع الضرر المقصود من تشريع الشفعة ، متى تحقق أصل السبب ، وهو اتصال الملك ، وكان مؤثرا لعدم المانع ؟

**د. ابراهيم دسوقى الشهاوى**

---

(٢) الهداية وشروحها جـ ٧ ص ٤١٣

# من الأسس الإسلامية لبناء المجتمع

للأستاذ محمد كمال الدين

## ( ٢ )

ثالثاً : العلم

ولا ينهض مجتمع الا بنهضة العلم فيه ، ولا يقوم له كيان الا اذا احترم العلم والعلماء وأنزلهم منزلتهم الحقيقية منه ، ولقد كرم الاسلام العلم والعلماء ودعا الى أن يتزود المرء بالعلم من مهده الى لحده ، وأن يتحصل عليه فى أى مكان حل فيه ، وأن يعلم علم السابقين عليه واللاحقين به حتى يقف على ما سلف ، وعلى ما يحيط به من علوم وفنون .

ولقد شملت الدعوة الى العلم شتى مراحل الاسلام ، ويكفى أن أول ما نزل على الرسول الكريم من آيات هى مادعته الى أن يقرأ باسم الله الذى خلق ، والذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، كما أقسم بأدوات التعليم كالقلم والكتاب فى قوله تعالى « ن والقلم ومايسطرون » وقوله تعالى : والطور . وكتاب مسطور . فى رق منشور » وهذا قسم لو تعلمون عظيم ، والله تعالى لا يقسم الا بالشىء العظيم .

ومن دلائل تقدير القرآن الكريم للعلم والعلماء ، أن جعل الخشية منه فى قلوب العلماء « انما يخشى الله من عباده العلماء » ( فاطر ٢٨ ) ، وأنهم ـ أى العلماء ـ فى مكانة عند الله يشهدون فيها بأنه الواحد الأحد ، ويجعلهم فى منزلة مساوية لمنزلة الملائكة عنده « شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » ( آل عمران ١٨ ) وشهادة التوحيد هى قمة الايمان بالله ، بل قمة ما يطمح اليه المرء المسلم من درجات عند الله : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» ذلك لأنه بالعلم يصل الانسان الى بعض أسرار الكون ، والى حكمة الله فى خلقه ، يعلم مثلا أنه جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا وجعل

فيها رواسى ، وأنه هو الذى يهديكم فى ظلمات البر والبحر ، وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ، وأنه هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وأنه هو الذى يرزقكم من السماء والأرض ، ولذلك كان مطلب العالم الحق ان « رب زدنى علما » لأعمق فى محبتك ، ومعرفة قدرتك .

وقد بلغت منزلة العلم والعلماء فى السنة النبوية شأوا كبيرا ، واعتبرهم الرسول الأعظم ورثة الأنبياء ، ويقول فى حديث آخر رواه الترمذى :«فضل العالم على العابدكفضلى علىأدنى رجل من أصحابى » ويقول أيضا : « ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع » ، وفى حديث آخر عن الترمذى أيضا : «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد ، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل » أما جزاء طلب العلم ومن تفقه فى أمر دينه ودنياه فهو الجنة ، وفى هذا يقول الحديث الشريف : « اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : يارسول الله وما رياض الجنة ؟ قال : مجال العلم

وفى حديث آخر يقول « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم ، ولعل جماع جزاء العلماء عند الله ما جاء فى الحديث الشريف الذى رواه الامام الغزالى فى الاحياء عن معاذ بن جبل والذى يقول : « تعلموا العلم ، فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة ، وهو الأنيس فى الوحشة ، والصاحب فى الغربة ، والمحدث فى الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلام على الأعداء والزين عند الاخلاء ، ويرفع الله به أقواما ، فيجعلهم فىالخير قادة ، تقتفى آثارهم ، ويقتدى بفعالهم ، وينتهى الى رأيهم ، ترغب الملائكة فى خلتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه ، لأن العلم حياة

القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من الظلم ، يبلغ العبـد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العـلا فى الدنيـا والآخرة ، والتفكير فيه يعدل الصيام ، ومدراسته تعدل القيام ، به توصـل الأرحام ، وبه يعـرف الحـلال من الحرام ، وهـو امام العمل ، والعمل تابع ، يلهمه السـعداء ، ويحرمه الأشقياء » ويعلق الحافظ العراقى بأن هذا الحديث ليس له اسناد قوى ومع هـذا فان مفهومه فى اجلال العـلم والعلمـاء غنى عن كل تعـريف أو تعليق .

ومن أجمـل الآثار فى الحث على طلب العلم ما وصى به لقمان ابنه ، قال : « يا بنى جالس العلمـاء وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه وتعالى يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء » ويقـول الخليفـة على ابن أبى طالب « العلم خير من المـال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المـال ، والعلم حاكم والمـال محكوم عليه ، والمـال تنقصـه النفقة والعـلم يزكو بالانفاق » ويقول الزبير بن أبى بكر : « عليك بالعلم ؟ فانك ان افتقرت كان لك مالا ، وان استغنيت كان لك جمالا » ويقول أبو الأسود: «ليس شىء أعز من العلم ، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك » ويقـول الحسن ابن على : يوزن مداد العلمـاء بدم الشهداء فيرجح مداد العلمـاء بدم الشهداء » .

بلغ تكريم الاسلام للعلم والتعليم فى حياة الرسول حدا كبيرا ، جعله يعفو عن كل أسير يستطيع تعليم عشرة من المسلمين ، وكان يقول : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ويقول أيضا: «قليل العلم خير من كثير العبادة» ويقول أيضا : « أجودكم بعدى رجل علم علما فنشر علمه ، أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده » ولا غرو أن تستمد الأمة الاسلامية بعد الرسول من العلم دعوة تنشر بها تعاليم الاسلام فى أرجاء الأرض ، وخاصة فى البلاد التى غزاها الاسلام .

وحين ولى على بن أبى طالب أمر المسلمين ـ بعد عشرين سنة من وفاة الرسول أخذ يحض على تعليم الآداب العربية ويطلب وضع القواعد لهـا ، وأخذ العرب يتلمسون العلوم وبرع فيهم الشـاعر والناثر ، ورغم مشاغل الحرب فقد بلغوا وخاصة فى خلافات بنى أمية ، وبنى العباس ـ بعد ذلك ـ

شأنا بعيد المدى فى شتى العلوم والآداب .

ولعل ما بلغه جابر بن حيان فى الكيمياء ، وابن الهيثم فى الطبيعيات ، والرازى فى الطب وابن سينا فى الطب والفلسفة ، والغزالى فى الجانب الروحى ، وابن رشد فى الفلسفة العقلية ، وابن خلدون فى الاجتماع والتاريخ ، ومئات غيرهم من أئمة العلماء العرب ، نماذج لما وصلت اليه العلوم العربية من دقة التفكير وسمو فى التأمل ، متبعين وواضعين لأسس المناهج التجريبية والعقلية ، وقد أخذ عنهم الأوربيون هذه المناهج ونسبوها الى أنفسهم ، أخذ روجيه بيكون ـ الفيلسوف الانجليزى ـ عنهم المنهج الحسى التجريبى ، وأخذ أميل ديكارت الفيلسوف الفرنسى عنهم المنهج العقلى أو الحدسى ، وكلاهما درس العربية والعلوم العربية على خلفاء من معلمى العرب فى الأندلس وغيرها من البلاد التى نبغ فيها العلماء العرب ، أو وضعوا فيها نظرياتهم ومناهجهم ونرى اليوم الكثير من مناهج جامعات أوربا وأمريكا والشرق تأخذ من هذه النظريات والمناهج الأسس والمبادىء التى تقوم عليها دراساتهم الأكاديمية وتراثهم العلمى ، ويخضعوها للتجريب والفحص والزيادة ، بينما نحن ـ وهذه ملاحظة جانبية ولكنها تحتاج الى الكثير من الأبحاث ـ نكتفى من هذا التراث العلمى بجانبه النظرى البحت .

وبلغ من عناية العرب والمسلمين بأمور العلم والثقافة أن أنشأوا لها المعاهد والمدارس ، بل والمعامل ، ويقال فى ذلك أن القاهرة فى أوائل القرن الرابع كان بها مكتبة تضم مائة ألف مجلد ، منها ستة آلاف فى الطب والفلك ، وكان فيها كرتان سماويتان احداهما من الفضة والثانية من البرونز ، وكان التنافس فى شتى البلدان الاسلامية على أشده فى اقامة المدارس العلمية ، وطبع الكتب وانشاء المكتبات ، وبلغ هذا الأمر ذروته أيام العباسيين فى آسيا والأمويين فى الأندلس والفاطميين فى مصر ، وقد ولع المسلمون طوال هذه المدة بالعلوم الكونية على اختلافها ، وبالفنون الأدبية بجميع أنواعها حتى القصص والأساطير الخيالية ، وفى ذلك يقول العالم الفرنسى دى لامبر : « اذا عددت فى اليونانيين اثنين أو ثلاثة من الراصدين أمكنك أن تعد فى العرب عددا كبيرا

غير محصور ، وتعد فى الكيمياء متين من العرب ، ويقول جوستاف لوبون : ان العرب أول من علم العـــالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين ، ولعل هذه المنزلة الكبيرة التى وصل اليها العلم والعلماء فى الدولة الاسلامية ترجع الى ما بلغـــه أهله من منزلة واحترام عند الخلفاء والأمراء ، والى نشاطهم الجـــاد الدؤوب فى البحث والتأمل ، والى الجزاء المـادى المجزى الذى بلغ حد التفرغ الكامل ولمدة تبلغ مدى الحياة فى كثير من الأحيان .

هكذا بنى الاسلام حضارته ، دعوة منذ البداية الى طلب العلم : « هــل يســـتوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ » واغراء بالجزاء عنـد الله : « ساعة عالم متكىء على فراشه ينظر فى علمه للناس خير من عبـادة العابد ستين عاما » ودعوة الى التفكر « فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعـد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض » وكل هـذا آيات لقـوم يعقلون .. أى يتأملون بعقولهم وبما اكتسبوه من ثقـافة ومعرفة ، ولهـذا ينهض العلم أساسا جوهريا من أسس بناء المجتمع الناهض القوى ، المجتمع الذى يبنى نفسه بالفكر الحر المفتوح ، والتجربة المبدعة الخلاقة ، والتأمل الواعى ، وصدق الرسول العظيم حين يشبه العلماء فى الأرض بالنجوم يهتدى بهـا فى ظلمـــات البر والبحـر فاذا انطمست النجوم أوشـك أن تضـل الهداة ..

« وقل رب زدنى علما » .

### رابعا : الشورى

يعتبر مبدأ الشورى من أهم المبادىء التى يقوم عليها المجتمع السليم ، فعليه يقـوم التـوافق فى الآراء ، ويختفى صراع الأهواء الفردية ، وبه يحدث الاتفاق وعلى ما فيه خير المجموع بلا حقد ولا ضغينة .

ولقد قام الاســلام على الشــورى ، فكان مبـدأ جماعيا أخذ به الرســول الـكريم فى كل أعماله ثم أخـذ به الصحابة من بعده ، فكان أن ساســوا الرعية بكل اخلاص وأمانة ، وحكموا مبادىء الاسلام فى كل تصرفاتهم فكان ان أطاعهم الناس ، ولا أدل على ما فى

هذا الأساس الاسلامي - أساس الشورى - من حكمة جليلة من تماسك المجتمع الاسلامي طوال عهده الأول تماسكا يدعو الى الاعجاب ، هذا التماسك الذى جعل من دولة الاسلام الأولى أقوى دولة عرفها العالم فى أيامها دولة تقوم على النظام والعدالة ، لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى .

ولقد أشاد القرآن الكريم بمبدأ الشورى فى أكثر من سورة ، وجعله مبدأ اسلاميا يأخذ منه الحاكم فى مقره ورب الأسرة بين أفراد عائلته، وصاحب العمل فى مكان عمله وبين عماله ذلك لأنهم كانوا فى مجالسهم يتشاورون ، وبين رعيتهم يتجاوبون ، يقول تعالى : « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » ( ٣٨ الشورى ) ويقول تعالى فى سورة آل عمران (الآية ١٥٩) : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » ، فمن هذه الآية الكريمة نعلم أن الشورى تحض على اللين والتسامح لا على التمسك بالرأى أو القسوة ، كما تحض على العفو مع القدرة ، والاستغفار مما يكون قد ارتكبه المرء من معاصى تشجب الحق أو تخفيه ، ومن الآيات الأخرى ما جاء فى الكتاب الكريم من سورة الغاشية ( الآيات ١٧ - ٢٤ ) يقول تعالى : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت . فذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر . الا من تولى وكفر . فيعذبه الله العذاب الأكبر » ومن هذه الآيات الكريمة نعلم أن التشاور ، وهو ضد السيطرة ، يدعو الى التواضع بالرأى ، والى التأمل فى خلق الله ، والى التأمل فى السماء والجبال والأرض ، كيف خلقها الله ، وكيف رضى الانسان بأن يحمل أمانتها ، وهو لن يحملها وحده ، بل مع اخوان له يؤمنون ايمانه ، ويفكرون تفكيره ، وبالايمان المشترك ، والعمل الموحد يقوم البناء قويا متينا لا انفصام له ، وكلنا يتذكر ذلك الحكيم الذى جمع أبناءه ، وطلب من كل واحد منهم على انفراد أن يكسر حزمة من العصى ، فلم يستطع ، وحينما اجتمعوا معا

استطاعوا النفاذ فيها ، وهكذا الأمر فى كل شئون الحياة ، لا يستطيع امرؤ أن يقوم وحده بعمل اثنين أو ثلاثة ولكنه معهم يستطيع أن ينجز اضعف ما كان ينـويه من عمـل • وكذلك القياس فى رأى أو فكرة أو مشروع يحاول المرء أن يقوم به وحده،فالتشاور فى الأمر مادام فى صـــالح الفـرد والجماعة ، ومادام يؤدى الى خير الفرد والجماعة ، لاشـــك أنه يساعد على مضاعفة الجهد والطاقه ، ومن ثم الى مضاعفة الانتاج والعائد ، مما ينتفع به الجميع ، ويؤدى الى المساواة التامة بين أفراد المجتمع •

وكما حض القرآن الـكريم على الشورى ، كان الرسول أيضا يرجع الى هذا المبدأ فى كل شئونه ، كان يقول : «أشيروا على أيها الناس» ،وكان يقول : « ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا » ( عن عبد الله بن عمرو ) وفى حديث آخر يقول صلوات الله عليــه « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » ( عن عثمان بن أبى شيبة ) •

وعن عبادة بن الوليد عن أبيه عن جده قال : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا وعلى أن لا نتـازع الأمر أهله ، وعلى أن نقـــول بالحق أينمـا كنـا ولا نخـاف فى الله لومة لائم » ، وفى حديث آخر يقول الرسول الكريم : « ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان » ( عن أبى بكر ابن نافع ومحمد بن بشـار ) • هـذه الأحاديث تدل على أن الشورى ليست من الأمور المطلوبة فحسب بل هى أيضا من الأمور الواجبـة على كل مسـلم ، وخاصة اذا كان يتولى من أمر المسلمين منصبا مسئولا ، أو مركزا يرعى فيه من هم دونه • ويحذر فى نفس الوقت من عاقبة الفرقة والخلاف ••

كان لحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمته مظهران :

أولهما : دينى يتلقى فيه الوحى من ربه سبحانه وتعالى فينفذه كمـا أمره الله ، ولا يناقشه فيه أحد • وثانيهما : سياسى، فكان يقود الجيوش ، ويفصل فى الخصومات ويجبى الأموال وكان فى ذلك كله يستشير كبار المهاجرين

والأنصار من أمثال أبى بكر وعمر وعلى ، وسعد بن معاذ ، ومعاذ بن جبل وسلمان الفارسى • كما كان يعقد مجالس للشورى تضم القواد والحكام ورجال العلم والحكمة ، يدلى لهم برأيه ، ويتلقى آراءهم ، ومن تبادل الآراء يكون الوصول الى الحكم الذى يرتضيه الجميع •

كان الرسول فى حكمه مثال القدوة الصالحة ، والعقلية الراجحة وقد تمكن بسياسته ـ القائمة على الشورى ـ من وضع أسس الدولة الاسلامية ، فشرع لها القوانين ، ووحد صفوف القبائل المختلفة فى طاعته ، بعد أن كانت شيعا متفرقة متحاربة ، لا توحدها قوانين ، ولا تجمعها معاملات •

وكانت للشورى مظاهر عديدة فى حياة الرسول ، وبعده أيام الصحابة ، فنجدها مرة تتم بعرض الأمر على العامة فى المسجد بحضور أكبر عدد من الناس ومن فئاتهم المختلفة أو فى ندوة تضم كبار أهل الرأى والحكمة والمسئولية ، بحيث تخرج الآراء فى حرية تامة ، وتؤخذ عليها الأصوات ايجابا أو سلبا ، ويتم تنفيذ ما تجمع عليه بكل أمانة واخلاص ، ونجدها مرة ثانية بدعوة لعدد من كبار الصحابة لتبادل الرأى ، وكانت تلك هى سياسة الرسول مع خلفائه الراشدين ، بحيث كان لا ينفرد بتنفيذ رأى أو فرض أمر الا ما جاء عن طريق الوحى وحينئذ كان يعرض الأمور جميعها على من يهمه عرضها عليهم • وفى صورة ثالثة للشورى كان الأمر يتم بعرضه على من يحضر من أهل الحكمة والمقام فى ظرف معين ، كموقعة حربية أو شأن من شئون السياسة يقتضى أخذ رأى ذوى الاختصاص • ونجدها فى مظهر رابع تقتصر على واحد أو أكثر يختارهم الحاكم ويثق فى سداد رأيهم ويشعر بمشاركة العامة له فى ذلك ، وتلك صورة لما كان يجرى أحيانا بين الرسول وأحد خلفائه أو أكثر ، وكانت الشورى تتم فى أى من هذه المظاهر الأربعة على أكمل صورة وأتم وجه ، بحيث لا نجد خلافا ولا نزاعا ينتج عنها ، وبحيث يخرج الرأى موحدا قابلا للتنفيذ دون اعتراض أو عوائق ؟

**محمد كمال الدين**

# النظام الادارى فى الاسلام :
# تدخل الدولة بالضبط الادارى

للدكتور مصطفى كمال وصفى

## ( ٧ )

وهذه الطريقة الثالثة من طرق الادارة العامة هى الطريقة الأولى فى النظام الاسلامى ، لأنها تناسب مايمكن أن نسميه « بالادارة الشعبية » وهى قيام الأفراد بمهام المرافق العامة على وجه الولاية العامة •

وهذه الادارة الشعبية ترتكز على ما للفرد من ولاية عامة ومن مكانة فى النظام الادارى الاسلامى • وقد بينا أن جميع الحقوق والامكانيات التى يملكها الفرد فى الجماعة الاسلامية هى وظيفة اجتماعية ، أى وسائل واختصاصات تخولها له الشريعة لكى يحقق بها الغرض الاجتماعى الأعلى وهو التزام الايمان وتطبيقه تطبيقا عمليا ملزما ، ويسأل الفرد عن ذلك مسئولية مباشرة لأنه مكلف بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما استطاع لذلك سبيلا ، وهذا فرض كفاية عليه، وما دام أنه فرض كفاية فهو مسئولية، وما دام هو مسئولية ، فان النظام لابد أن يعطيه الوسائل الفعالة لتفادى الوقوع فى هذه المسئولية وادراك ما يعفيه منها •

وهذه الادارة الشعبية تختلف عن المعروف فى النظم الحالية من وجوه : فهى تختلف عن الخدمات التى تؤديها الوحدات الشعبية السياسية الحديثة ، فى أن الفرد فىهذه الوحدات لايكون له كيان مستقل مباشر ، بل يباشر اختصاصاته كعضو فى هيئة ، خاضعا لقرارات الأغلبية متقيدا بها ، ولا يملك بنفسه اختصاصات مباشرة من التنفيذ المباشر (١) أو الادعاء باسمه الخاص (٢) بالدعوى المعروفة باسم دعوى الحسبة ، والغالب أن هذه

---

(١) Execution direcze

(٢) Ut singuuli

الوحدات محرومة من طرق التنفيذ الذاتية ، وكل ما تملكه هو أن تلجأ الى السلطة العامة كالشرطة والنيابة العامة لاقناعها وتحريضها على اتخاذ الاجراءات المناسبة ، وأما فى الادارة الشعبية الاسلامية فان الفرد يمارس هذه الولاية العامة كاختصاص مباشر له وبسلطة تخولها له الشريعة فيقوم بنفسه بتغيير المنكر بيده أو بلسانه ان استطاع ، ويقوم بنفسه برفع الدعوى القضائية باسمه الخاص دفاعا عن الصالح العام وحسبة لوجه الله تعالى ، دون أن يتقيد فى ذلك برأى هيئة يتبعها أو أن ينتظر قرارا تصدره ولا أن يعتمد على السلطات الادارية لأنه هو أحد الأجهزة الادارية فى الدولة الاسلامية وله صفة كاملة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وغنى عن البيان أن هذا الوضع يختلف اختلافا ظاهرا أيضا عن الادارة المحلية ، لأن هذه الادارة هى جهاز ادارى لا يختلف عن جهاز الادارة المركزية الا فى نطاق الاختصاص ، وفى خضوعه للوصاية الادارية ، فهذا شىء آخر غير التدخل الشعبى فى ادارة المرافق .

وسيتبين لنا عند الكلام على المرافق العامة دور هذه الادارة الشعبية فى تسيير المرافق العامة .

واذا كان الأمر كذلك ، وكانت الدولة الاسلامية لا تقوم — فى الغالب — بالادارة المباشرة كما بينا من قبل ، وكانت وظيفتها الادارية التى تمارسها بنفسها بهذه الطريقة المباشرة محدودة بوظائف تقليدية معينة كالشرطة والقضاء وامارة الجهاد والحج وجباية الأموال وانفاقها على مصارفها ، الا أن ترخص فيما هو أكثر من ذلك للمصالح ، ولما كانت الدولة الاسلامية لا تقوم بالتدخل الادارى بطريق المساعدات والاقتصاد المختلط الا غرارا واستثناء ، ولما كانت الادارة الشعبية القائمة على الوعى الايمانى والشعور بالمسئولية والتكليف من لدن الشارع سبحانه وتعالى على وجه فرض الكفاية ، فان الواقع هو أن طريقة اشراف الدولة ورقابتها وتقويمها للأعمال الادارية عن طريق الضبط الادارى هو الوسيلة الأولى فى الاسلام وبسبب بروز هذه الخصيصة نشأ فى النظام الادارى الاسلامى نظامان كبيران : هما الحسبة ، الأوقاف الخيرية ، فالأولى هى وسيلة هذا

الضبط ، والثانية هى مؤسسة تمويله، الى جانب مصـــادر التمويل الفردى الأخرى للانفاق العام •

ووسيلة الضبط الادارى لها مكانة مرموقة فى النظم الحديثة • ولكنهـا دون المكانة التى نبـين فى النظـــام الاسلامى •

والمحل الأول لتطبيق هذه الوسيلة هو النظـم الحرة ( الرأســمالية أو الليبرالية ) التى تجعل للفرد مكانا فى النشاط العام • وأما فى النظم الشيوعية فان الدولة تقوم بكل شيء ، والأفراد جميعـا عاملون بهـا ، ولا يترك شيء تقريبا للنشاط الفردى ، وكلما اتسع نشاط الادارة المباشرة ضاق الأمر على الضبط الادارى اذ لا يعود له محـل بذلك ، وفى الاشـــتراكيات الأكثـر اعتدالا ، كالتى تعتمـد على الملكيـات التعاونية أو تسمح بقيام قطاع خاص ، يتواجد الضبط الادارى بشـدة وقوة ليشدد الخنـاق على النشاط الفردى فيما خلفـه له ، لأنه نشـاط ليس مقصودا للصالح الخاص بل لمعـــاونة النشاط العام •

وأما فى النظم الحرة ، فان الضبط الادارى يبدو واضحا جليا لرقابة قيام الأفراد بخدماتهم العامة •

ومن المؤكد أن الفرد لا يمـارس مهنة أو تجارة الا اذا كانت من قبيـل الخدمات العامة • فالخباز لا يخبز الا لأن عامة الناس يتطلبون الخبز وسائق التاكسى لا يقوم بذلك الا لأنه خدمة عـــامة ، وكذا الحـــال فى الطبيب والمحامى ، والمدارس ومعـاهد العـلم وسبل المواصلات وغير ذلك ، فـكل ذلك من الخدمات العامة ، سواء فى المجال التجارى أو المجال الادارى ، انما هى مصالح عامة ، ولولا أن التاجر وصاحب المهنة يجدان طلبا على تجارته أو حرفتـه لمـــا تاجـر أو احترف • وطبيعتهما وقابليتهمـا للتنظيـم واحدة تقريبا •

ولكن الدولة ـ فى النظم الحرة ـ لا تتبنى جميع الخدمات العـــامة ولا تقوم بها لأن ذلك اثقـال شـديد على كاهلها ، ويعود عليها فى النهاية بالذم اذا فشلت وبسبب افراطهـا فى تطلب الضرائب ونحـو ذلك • ولذلك فهى تدع الخدمات العامة أصـلا للنشـاط الحـر • فاذا تطلب الأمر تدخلت فى

ضبطه بما نسميه بوسائل الضبط الادارى ، فاذا تطلب الأمر أدخلته فى نطاق « المرافق العامة » بمعناها الفنى : أى انشاء مصلحة عمومية — من هيئة عامة أو مؤسسة عامة أو نحو ذلك — أى بالمعنى الشكلى بواسطة أداة عامة منشأة لهذا الغرض فتقوم به اداريا ، وبعد أن تكون الخدمة أهلية تصير ادارية .

وذلك كالجامعة مثلا فقد بدأت أهلية ثم تحولت رسمية لما تبينت ضرورة اضطرادها واستمرارها ووجوب تخفيض أعباء تكاليف خدماتها حتى ينتفع بها الأفراد ، وربما اقتضت مقابل هذه الأعباء أولا كرسوم تدفع مقابل الخدمات ، ثم اذا زادت ضرورتها وأهميتها فى نظر الدولة جعلتها بجانبها أى جعلت تكاليفها على جانب الميزانية ، كما هو الشأن فى التعليم العام ، فقد صار مجانيا بعد أن كان برسوم .

والدولة فى الدور الذى تؤثر فيه أن تترك فيه الخدمة للأفراد قد تضع على ذلك هذه الرقابة التى نسميها بالضبط الادارى .

وهذه الوسيلة عبارة عن وضع اشتراطات ادارية لممارسة النشاط ، يصدر لدى استيفائها ترخيص بالقيام به ، ثم يكون القائم بذلك النشاط عرضة للتفتيش الادارى .

فالضبط الادارى يقوم اذن على أمرين :

الترخيص المسبق ، ثم التعرض للتفتيش .

فاذا وجد أن المرخص له يخالف الشروط وقعت عليه الجزاءات الادارية أو الجنائية المناسبة ، كما يجوز سحب الترخيص فى أى وقت لمخالفة الشروط أو للملاءمة أحيانا .

وهذه الوسيلة ملائمة وذات مزايا : لأنها تسمح للادارة أن تقوم بضبط الأحوال العامة بتكاليف زهيدة ، فهذا أوفر لها من طريق الادارة المباشرة ، ويتيح لها فرصة الانتقاد وتغلب التحسين ، كما أنه يعفيها من النقد العام والغضب الشعبى اذا فشلت الخدمة .

وهى تستعمل عادة فى تشغيل المحال العامة والمصانع والخدمات

الضرورية كالمخابز وطرق النقــل الخاصة كالتاكسى ونحو ذلك •

والى جانب هذه الطريقة المعتادة فى الأحوال العــامة ، تتدخل الدولة فى الأوقات الاستثنائية كالفيضانات وأوقات الكوارث بوسائل جبرية عاجلة ،وهذا باب آخر •

ونظرا لأن هذه الوسيلة تكون فى النظــم الحــرة ، التى تقيــد الادارة وتعزلهــا عن التدخل فى النشـــاط الخاص الذى يصونه الدستور ويعتبره من الحريات العــامة ، فان الجدل قد ثار حول دستورية ما تصدره الادارة من لوائح الضبط الادارى (١) اذ رؤى أنها تخالف الدســـتور ، وأنه يتعين صدور تشريع فى شكل القانون لهذا الغــرض ، ويعــوق ذلك : أن مرونة العمل تتطلب اللوائح ـ وهى ســهلة التعديل ـ ويعاكسها استعمال وســيلة القانون لصعوبة اصــداره وتعديله • ونظــن أن الزمــان عفى عــلى هــذا الخـــلاف ، لأن الواقع أنه كلمـــا ازدحمت الحياة كلما اشتدت الحاجة الى النظامية ، فأصبحت هذه الوســيلة ـ لوائح الضبط الادارى ـ مألوفة بلا معارض تقريبا ولا يعتبر الدفع بعــدم دستوريتها الآن دفعا جديا يلتفت اليه •

وكانت هذه الوســـيلة فى الأصل قاصرة على اعتبارات معينة وهى رقابة الأمن ، والسكينة العــامة ، والصحة العـــامة ، ففى هذه المجالات كان من الجائز اســـتعمال ســـلطة الضــبط الادارى ؛ لأن هــذه السلطة ـ فى النظم الحرة ـ قيــد على الأصل وهو حرية النشاط الفردى •

ولكنى أظن أنه يجوز اصدار هذه اللوائح لأى غرض دون التقيــد بهذه المناسبات التقليدية ، لأن تعقد الحيــاة العامة الآن وازدحام الحياة ، يمنع من الوقوف عنــد هذه الحدود • فأصبح من غير الممتنع أن تصدر لوائح الضبط العام فى خدمات الاسكان والمواصلات والثقـــافة وغير ذلك من الأغراض الاجتمـــاعية التى يعولهـــا المجتمع الحديث ويتعذر عليه الاستغناء عنها ، وكلها ضرورات لا تقل ـ فى النظــر الحديث ـ عن ضرورة حفــظ الأمن العام ، أو السكينة العامة ، أو الصحة العـــامة •

---

(١) règlemeut de Polece adoritistiacf

وبذلك زالت الحواجز أمام تدخل الدولة فى النشـــاط الفردى بسـبل الضبط الادارى ، ولم يعـد ثمة قيـد عليها من الادعاء بعدم دسـتوريتها أو وقوفها عند حدود حفظ الأمن العـام والسكينة العامة ، والصحة العـامة ، وأصبحت هذه اللوائح تحـل محـل القوانين بكثرة فى الدول الحديثـة ، وتطغى على مجالات كان محتفظا بهـا للقانون •

وهذه الظروف كلها تختلف عمـا هو مقرر فى الاسـلام فى شـأن هذه الوسيلة الهامة التى ترعى بهـا الدولة الاسلامية النشاط الادارى ووسـائل تحقيقه ؟

**د• مصطفى كمال وصفى**

---

# عدم قصر الألفاظ على معانيها الشائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

( ٤ )

٢١ — ويقصرون التعبد على معنى التنسك والعبادة مستأنسين بأن الرسول عليه السلام كان يتعبد فى غار حراء ، وقولهم : قعد فلان فى متعبده أى موضع عبادته .

ويقال : عبدنا أولادنا تعبيدا اذا حملناهم على عبادة الله ، ومن هذا قوله تعالى : « وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل »

والواقع أن للتعبد معنى آخر هو الاستعباد ، أى اتخاذ الانسان عبدا ورقيقا ، تقول تعبده الأمير واعتبده اذا صيره كالعبد له ، قال :

تعبدنى نمر بن سعد وقد أرى
ونمر بن سعد لى مطيع ومهطع (١)

وعبده وأعبده أى جعله عبدا قال :

علام يعبدنى قومى وقد كثرت
فيهم أباعر (٢) ما شاءوا وعبدان(٣)

والمعبد المذلل ، تقول : طريق معبد .

ومن معانى التعبيد اللبث ، تقول : ما عبد فلان أن فعل كذا أى مالبث .

٢٢ — ويقصرون اليد على العضو من المنكب الى أطراف الأصابع ، أو على الكف ، وأصلها يدى، حذفت لامها ، وتثنيتها يدان كما فى قوله عز شأنه « تبت يدا أبى لهب » وجمعها أيد كما فى قوله سبحانه : « أم لهم أيد يبطشون بها » .

---

(١) المهطع من ينظر فى ذل وخضوع .

(٢) الأباعر : جمع بعير كأبعرة وبعران ، والبعير يشمل الجمل والناقة كالانسان للرجل والمرأة .

(٣) العبدان بالكسر جمع عبد كجحش وجحشان ، ويجمع العبد ايضا على عبيد ، وعباد ، وأعبد وعبدان بالضم كتمر وتمران .

تقول : يديته اذا أصبت يده ، كما تقول : « رأسته اذا أصبت رأسه ، وان فلانا لذو مال ييدى به ويبوع ، أي يبسط يده وباعه .

ولكن العرب تطلق اليد أيضا على النعمة والاحسان تصطنعه ، لأنها السبب في ذلك ، تقول : أوليت فلانا يدا ، وله عندي يد ، وأيديت عنده ، ويديت عليه أي أنعمت ، قال :

أعطى فأعطاني يدا ودارا
وباحة حولها عقارا

وكذلك تطلق على القوة والقدرة والطاقة ، تقول : مالي بفلان يدان ، وفي الحديث «هم يد على من سواهم» ومن الكنايات بها قولك : هم يده وعضده أي أنصاره ، والقوم على يد واحدة ، أي متفقون ومجتمعون على عداوتي ، وأسقط في يده ، وسقط في يده بالبناء للمجهول فيهما أي ندم ، ومن هذا قوله تعالى : «ولما سقط في أيديهم » وأعطاني فلان عن ظهر يد ، أي فضلا لا بيع ولا اقراض وفلان أطول يدا من أخيه أي أسخى منه وأكرم ، وهذا المنزل في يدى أي ملكي ، وقوله تعالى : « حتى يعطوا الجزية عن يد » أي عن ذلة وانقياد واستسلام ، وما لك عليه يد أي ولاية أما قوله تعالى : «والسماء بنيناها بأيد» فلأيد هنا مصدر معناه القوة وليس جمعا ليد ، تقول : آد يئيد أيدا اذا قوى .

٢٣ ــ ويقصرون الشهر على مجموعة الأيام المعروفة ، جمعه في القلة أشهر ، كما في قوله تعالى : « الحج أشهر معلومات » وفي الكثرة شهور كما في قوله: «ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا » ويقال منه : أشهر الصبي اذا أتى عليه شهر ، كما يقال أحول أو أحال اذا أتى عليه حول ، وأشهرت المرأة اذا دخلت في شهر ولادها ، وسمع أعرابي يقول : أثرانا أشهرنا منذ لم نلتق ؟

والحق أن للشهر عدة معان أخرى : فهو اسم للهلال كما في قولك : طلع الشهر أي الهلال ، قال ذو الرمة :

فأصبح أجلى الطرف ما يستزيده
يرى الشهر قبل الناس وهو نحيل

وسمي الهلال شهرا لشهرته ووضوحه ، ثم سميت الأيام به .

وكذلك هو اسـم للرجل العـالم النبيه كمـا فى قولك : أمدنا الشـهر بكثير من المعلومات القيمة ، وقد يكون مصدرا معناه الانتضاء كما فى قولك : شهر الجنود سيوفهم شـهرا من باب قطع اذا سلوها من أغمادها ، ورفعوها على الأعداء .

وقد يكون مصدرا معنـاه الافشاء كما فى قولك شهرت الحديث أو السر اذا بحت به وقد يكون مصدرا معناه الاعلام ، كما فى قولك : شهرت البيع ونحوه شهرا اذا أظهرته وأعلنته ، ومن هذا اللون ما يسـميه النـاس بالشهر العقارى .

وقد يكون مصـدرا معنـاه ابراز الشىء فى شـنعة ، كمـا فى قولك : شـهرت القبيلة شـهرا وشـهرة اذا قصدت ابانة حالها فى قبح وشـناعة ، قال الأخطل :

فلأجعلن بنى كليب شـهرة
بعـوارم ذهبت مع القفـال

يريد بالعوارم تلك القـوافى التى يذيعها العائدون من ميدان القتال .

٢٤ ـ ويقصرون التوسـل على ما يتقرب به الانسان الى غيره ، فيقال مثلا : توسل فلان الى الله تعالى توسلا اذا عمل عملا يقربه اليه ، والتوسل والتوسيل سواء فى المعنى ، تقول : وسلت الى صـديقى أن يعاوننى على تحقيق رغائبى توسيلا ، ووسلت اليه بالتخفيف فأنا واسل قال لبيد :

أرى الناس لايدرون ما قدر أمرهم
بلى كل ذى دين الى الله واسـل

والحقيقة أن للتوسل معنى آخر هو السرقة ، تقول : أخـذ الرجل ابلى توسلا أى سرقة .

٢٥ ـ ويقصرون كلمة الاخوان على معنى أنها جمع لأخ ، والحق أن لها معنى آخر هى فيه مفردة وهو الخوان الذى يؤكل عليـه ، تقـول : أكل الضيفان على الاخوان ، وفى الحديث « حتى ان أهل الاخوان ليجتمعون » ووزن الاخوان الجمع فعلان ، لأنه من أخو ، أما المفرد فوزنه افعال لأنه من خون ، ويجمع الخوان على أخونة للقلة ، وعلى خون بالضم للكثرة ويجمع الاخـوان المفـرد على أخاوين وزان أفاعيل ، ومن جموع الأخ غير ما ذكر أخوان بالضم ، وآخاء بالمد كأب وآباء ، واخـوة بكسر الهمـزة وضمهـا ، ويجمـع تصحيحا بالواو والنـون على أخين ، قال :

وكنت لهم كشر بنى الأخينا .

٢٦ - ويقصرون جمع الحاج على حجاج ، وحجيج ، والحق أن له ثلاثة جموع أخر : أحدها حج بفتح الحاء وتشديد الجيم ، كصاحب وصحب ، وتاجر وتجر ، وثانيها حج بضم الحاء وتشديد الجيم ، كجاهل وجهل ، وبازل وبزل ، تقول بزل ناب البعير اذا طلع وشق ، والجمل بازل والناقة بازل أيضا ، وحائل وحول ، تقول حالت المرأة والنخلة والناقة حيالا بالكسر اذا لم تحمل ، ثالثها حاج بلفظ المفرد ، وقد قالوا : هؤلاء الداج وليسوا بالحاج ، والداج بتشديد الجيم الأعوان ، تقول : ما حج فلان ولكن دج ، فالحج القصد للنسك ، والدج القصد للتجارة .

٢٧ - ويقصرون الفعل مشى يمشى على معنى السير ، والواقع أن له معانى عدة : تقول : مشى فلان اذا كثرت ما شيته كأمشى ، ومشى اذا اهتدى ، ومنه قوله تعالى : « ويجعل لكم نورا تمشون به » أى تهتدون ومشى فلان اذا نم ، والمشاء النمام ، ومنه قوله جل شأنه : «مشاء بنميم» والمشاة الوشاة(١) والماشية الابل والغنم .

ويقال : مشت(٢) المرأة مشاء بالفتح اذا كثر أولادها ، وناقة ماشية اذا كانت ولادة ، ومشى بطن فلان وأمشاه الدواء اذا أسهله وألان بطنه .

٢٨ - ويقصرون الاختلال على معنى الفساد فى الأمر ، وظهور الخلل فيه ، وهو اضطرابه وعدم انتظامه .

ولكن العرب وضعت هذا اللفظ ليؤدى معانى عدة الى جانب هذا المعنى، يقال : اختل فلان اختلالا اذا اشتد عطشه فهو مختل ، واختل أيضا اذا افتقر ونزلت به خلة(٣) واختل فلان الى الشيء اذا احتاج اليه ، ومنه قول ابن مسعود رضى الله عنه : « عليكم بالعلم ، فان أحدكم لا يدرى متى يختل اليه » ، أى متى يحتاج الناس الى ما عنده من العلم .

---

(١) الوشاة : جمع واش وهو الكذاب ، تقول : وشى فلان وشاية اذا نم وسعى بالفساد .

(٢) مشيت المرأة : مصدر هذا الفعل المشأ بفتح الميم لا المشى ، وكذا ماشية فى قولنا ناقة ماشية مشتقة من هذا المصدر .

(٣) الخلة بفتح الخاء : الفقر ، وقد قالوا : اذا جاءت الخلة ذهبت الخلة بضم الخاء اى اذا حل الفقر زالت الصداقة .

واختـــل جسم فـــلان اذا هزل كالمخلول ، واختل الشيء اذا تغـير واضطرب ، ومنه الخل ، لأنه اختل منه طعم الحلاوة ، والاختلال أيضا اتخاذ الخل ويقال : أخل فلان بالشيء اذا قصر فيه ، وأخـــل بمركزه اذا تركه .

٢٩ ـ ويقصرون كلمة الطائر على معنى ما يطير بجناحيه ، والحق أن له معانى كثيرة : منها أن طائر الانسان هو عمله ، وما قدر له من خير أو شر ، كأنه طير اليه من عش الغيب ووكر الغد ، ومن هذا قوله عز شأنه : «وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه » استعير لما هو سبب الخير أو الشر من قدر الله تعالى للعبد .

ومنها التشاؤم ، قال ابن السكيت يقال : طائر الله لا طائرك ، تقول : تطير فـــلان من الشيء وبالشيء اذا تشاءم ، والاســـم الطيرة بكسر ففتح وهى ما يتشاءم منه ، وقد نهى عنها ، وفى التنزيل : « قالوا طائركم معكم » أى سبب شؤمكم وشركم معكم ، وهو سوء عقيدتكم وفساد عملـكم ، وفيـه أيضا : « قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله » أى ســـبب شركم عند الله وهو قدره ، أو عملكم المـكتوب عنده .

وكانت العرب اذا أرادت المضى فى أمرمهم مرت بمجاثم(١) الطير وأثارتها، لتســـتفيد أتمضى أم ترجع ، فنهى الشارع عن ذلك بقوله : « لا هام ولا طـــيرة » ، وقوله « أقروا الطـير فى وكناتها(٢) » .

ومن معانى الطير أيضـــا الدماغ والخط ، وجمع الطائر طير كراكب وركب ، وجمع الطير طيور وأطيـــار كبيت وبيوت وأبيات .

٣٠ ـ ويقصرون الجرح بالفتح على المعنى المعروف وهو الـكلم ، اذ يقال : جرحه يجرحه جرحا من باب قطـع اذا كلمـــه وقطعه ، والاسم الجرح بالضم ، جمعه جروح ، ومنه قـــوله تعالى : « والجروح قصاص » .

---

(١) المجاثم : جمع مجثم وزان منزل ، تقول : جثم الطائر اذا تلبد بالأرض .
(٢) الوكنات بضمتين : عشاش الطير : الواحدة وكنة وزان غرفة .

والواقع أن للجرح معنى آخر هو الاكتساب ، تقول : جرح فلان لأولاده يجرح جرحا من الباب المذكور اذا اكتسب لهم ، ومنه قوله سبحانه : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » ومثله الاجتراح كما فى قوله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » .

ومن الجرح بمعنى الاكتساب قيل لكواسب الطير والسباع جوارح ، لأنها تكتسب بيدها ، ومن هذا قوله تعالى : « وما علمتم من الجوارح مكلبين(١) » .

ومن المجاز قولك جرحه بلسانه اذا سبه ، وجرحوه بأنياب وأضراس اذا شتموه وعابوه ؟

عباس ابو السعود

---

(١) مكلبين : معلمين الكلاب الصيد .

من المبادئ الفقهية التي سبق بها الإسلام :

# مبادئ المعاهدات في الإسلام

للدكتور عبد العزيز صبري

استعرضنا في مقالنا السابق طائفة من المبادىء الدولية التي تتصل بشريعة الحرب والتي أقرتها الشريعة الاسلامية وأخذ بها القانون الدولي في أحدث تطوراته .

أما في حالة السلم فان العلاقات الدولية في الاسلام كانت تتم كلها عن طريق المعاهدات ووفقا لمبادىء سامية ما زالت تتخذها الدول والمنظمات الدولية نبراسا تهتدي به حتى الآن .

وكانت المعاهدات في الاسلام عبارة عن اتفاقات متبادلة تعقد بين الدول . اما لتعزيز السلم وتثبيت دعائمه أو تنظيم الجوار أو لانهاء حالة الحرب أحيانا .

ومن هذه المعاهدات تلك التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهود الذين كانوا بالمدينة . فانه عليه الصلاة والسلام عندما جاء اليها كان بها من القبائل العربية الأوس والخزرج وكان اليهود أيضا . وقد أسلم من أسلم من القبيلتين وبقي منهما مشركون ويهود . فعقد معهم الرسول عليه الصلاة والسلام معاهدة قوامها حسن الجوار واشترط عليهم شروطا والتزم لهم بحقوق ، والأساس فيها تنظيم السلم فيما بينه وبينهم وقد جاء في هذا الميثاق :

« ان اليهود يتفقون مع المؤمنين ، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ ( أي يهلك ) الا نفسه وأهل بيته . وأن ليهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني الشطنة مثلما ليهود بني عوف . وأن بطانة يهود كأنفسهم . وأن على اليهود نفقتهم . وعلى المسلمين نفقتهم . وأن بينهم النصر على من

حارب هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة على البر دون الاثم • وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه • وان النصر للمظلوم • وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم • وأن نصر الله لمن اتقى بين أهل هذه الصحيفة وأبر • وأن بينهم النصر على من دهم يثرب • واذا دعوا الى صلح يصالحون • واذا دعوا الى مثل ذلك فان لهم على المؤمنين الا من حارب فى الدين • على كل أناس حصنهم من جانبهم الذى قبلهم، وأنه لا يحول دون هذا الكتاب ظلم ظالم أو اثم آثم • وان من خرج آمن وأن من قعد بالمدينة آمن • الا من ظلم أو أثم وأن الله جار لمن بر واتقى » ( البداية والنهاية لابن كثير جزء ٣ صحيفة ٢١٥ الى ٢٢٦ ) •

وهكذا كانت المعاهدات فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اتفاقات حرة لتنظيم علاقات سلمية حرة • ولم يكن فيها اكراه على دين • بل كانت دعوة الى سلم بين المتعاقدين •

غير أن الحال تبدل بعد النبى صلى الله عليه وسلم وفى عهد الصحابة • فلم تعد المعاهدات لتنظيم السلم ؟ لأن الحرب نشبت بين المسلمين وبين أكبر دولتين فى العالم فى ذلك الحين • وهما دولتا الروم والفرس ولذا كانت المعاهدات لأحد أمرين :

أولا ـ تخيير الذين يحاربون المسلمين بين العهد والاسلام والقتال فيختارون العهد ويعقد المسلمون معهم عقودا يلتزمون فيها بتركهم وما يدينون فى ظل الأحكام الاسلامية ويكونون ذميين أو يعاهدونهم وتكون ديارهم ديار عهد • يوفون فيها للمسلمين بما يلتزمون ويوفى المسلمون لهم بما يلتزمون ، ومن ذلك معاهدة عمر بن الخطاب مع أهل ايلياء (بيت المقدس) ومما جاء فيها :

« هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان • أعطاهم أمانا لأنفسهم ولأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم • وسقيمها وبريئها وسائر ملتها • أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها • ولا من شىء من أموالهم • ولا يكرهون على دينهم • ولا يضار أحد منهم • ولا يسكن بايلياء أحد من اليهود » •

ثانيا ـ أن يعاهد المسلمون الذين يحاربونهم على أن يتركوهم مهادنين

مودعين لهم • ولـكن ذلك فى أغلب الأحيان يكون بصفة وقتية •

وعلى هــذا النحو كانت المعاهدات قسمين : معــاهدات مؤقتة ،ومعاهدات مطلقة •

فالمعاهدات المؤقتة : هى الموقوتة بمدة معـلومة يجب الوفاء بهـا خلالهـا ، ولا يصح نقضها الا اذا لم يوف العدو بالتزامه فيها ، أو ثبت للمسلمين قصده الى نقضها • وقد التزم النبى صـــلى الله عليه وسلم بصلح الحديبية ولم يفكر فى النكث فى عهده بهـــا حتى نقض المشركون من جانبهم فلم يوفوا بالتزاماتهم •

وأما المطلقة عن الزمان : فقد استقر جمهور الفقهاء على أن الاطلاق لايعنى التأبيد • بل ان مثل هذه المعـاهدات تكون مقيدة بالأسباب التى عقدت فى ظلها • بمعنى أنه ما دامت هذه الأسباب قائمــة فالمعاهدة قائمــة • فاذا تغيرت يكون للمسلمين نقضها •

والمعاهدات فى ظل الاسلام واجبة الوفاء سواء أكانت بصـــلح دائم أو مؤقت أم كانت تنظيما للعــلاقات فى دائرة السلم المستمرة كالمعاهدات التى تؤمن طرق الاتصال • وكالمعاهدات التى تنظم الاتجار وهكذا ـ ذلك لأن الوفاء بالعهود فى الشريعة الاسـلامية أصــل من أصول العلاقات الانسانية دولا وآحادا • فهى لا تنقض الا اذا نقض المعـــاهد من جانبه أو استعد لذلك ؛ بأن حالف مثلا من يعـادى الاسلام أو عادى من يواليه •

وقد ذهب بعض فقهاء الحنفية الى أن المعاهدات تعقد فى الأصل لصالح المسلمين • فاذا ما تحـــولت الى غير مصلحتهم جاز نبذها • بعـــد اعلان الطرف الآخر بذلك • وهذا هـــو ما يعرف فى القوانين الوضعية «بالفسخ للظروف الطارئة » • غير أن الجمهور على خلاف ذلك • وعلى وجوب الوفاء بالعهود من غير نظر الى المصـلحة • واستندوا فى ذلك الى أن النبى صلى الله عليه وسلم رد على من قال : « ان المشركين الذين عاهـدوا هموا بنقض العهد » فقال عليه الصـــلاة والسلام « وفوا لهم واستعدوا » •

هذه هى المبادىء العادلة القويمـة التى كانت تقـــوم عليها المعاهدات فى الاسلام • وما زالت معظم دول العالم تلتزم بها فى علاقاتها الدولية وتسير على هديها حتى الآن ؟

**عبد العزيز صبرى**

# العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ على عبد العظيم

## ( ٢١ )

### خاتمة المطاف

بدأنا هذه الدراسة مقدرين أنها ستنتهى فى مجال محدود ؛ لأن أهدافها تكاد تكون من الأمور المسلم بها ، فاننا لا نتحدث عن لغة انقرضت وانتهى زمانها ، ولكننا نتحدث عن لغة حية قوية مزدهرة امتدت حياتها ما شاء الله أن تمتد ، ولا تزال نابضة بالقوة زاخرة بالحياة ، وامتد وجودها فشمل معظم القارات الثلاث المعروفة ، وتحدث بها فى تاريخها الطويل عشرات الملايين جيلا بعد جيل ، وهى الآن لسان أكثر من مائة مليون عربى أصيل ، ولها مراكز دراسية كبرى فى جميع الحواضر فى جميع القارات .

ولكن البحث اتسع وتشعب لأنه قادنا ــ دون أن نحتسب ــ الى نتيجة علمية هى أن العربية ليست لغة الاسلام والمسلمين فحسب ، ولكنها جديرة بأن تكون اللغة العالمية الأولى التى تتحقق بها الوحدة العالمية المنشودة ، لأن جميع مقومات الوحدة العالمية لا توجد الا فى العربية وحدها دون بقية اللغات ، وهذه حقيقة علمية قادتنا اليها الأدلة العقلية والتجارب العملية ؛ وقد أدت العربية هذه المهمة فيما سبق خير أداء .

أما الآن فان الدلائل توحى بأنها ستكون اللغة الأولى فى أفريقيا عن قريب ، كما أن الدلائل توحى بأنها ستكون اللغة الأولى فى العالم الاسلامى كله عن قريب ، ولن يتأخر هذا عن جيلين أو ثلاثة أجيال ، وحينئذ تصبح لغة يتحدث بها أكثر من ألف مليون . وهذا يهيء لها أن تكون اللغة العالمية الأولى بما فيها من حيوية وقوة ونماء ، ولأنها لغة القرآن الكريم والاسلام الحنيف ، ولأنها لغة الماضى المجيد والحاضر العتيد ، وستكون

لغة المستقبل المنشود ولا نقول هـــذا تعصبا منـا للعربيـة ، ولا تحيزا منـا للاسلام ، وانمـــا نقوله لأنه حقيقة واقعية ملموسة ، وأمل مرتقب متوقع حدوثه ، ولا يجادل فيه الا الجاحدون المتعصبون •

ولقد كان لمجلة الأزهر الفضـــل الأكبر فى نشر هذه الدراسة واذاعتها فى أرجاء العالمين •

* * *

ولقد أحدثت هذه الدراسات أصداء عميقة فى الداخـــل والخارج ، بين المسلمين وغير المسلمين ؟ واســتجاب لهـا المنصفون فى الشرق والغرب على السواء بأكثر مما كان يخطر لنا على البال • وان كانت قد لقيت معارضـة من بعض الناقمين على العروبة والاسلام وان كانوا منتســبين الى العــروبة والاســـلام من معــاشر الشرقيين المستغربين ، وكان هـــذا متوقعا من هؤلاء المنحرفين • ومن مظاهر الصدى العميق الذى أحدثته هذه الدراسات :

أولا ــ تحقيق صـــحافى قامت به جريدة الأهرام ونشرته فى ٧٢/٤/٤ حول تعريب الدراســـات الجامعية ذكرت فيه الحقائق الآتيـة • نوردها ملخصة ، :

١ ــ قانون انشاء الجامعات ينص فى أولى مواده على أن اللغة العربية هى لغة التدريس فى جميع الكليات ، ولكن هذه المادة لم تنفذ حتى الآن ، وقد جرت العادة أن تتقدم الـكليات العملية فى مستهل كل عام دراسى الى مجلس الجامعة بطلب الموافقـــة على استثناء بعض المواد من شرط التدريس بالعربيـــة ويوافق مجلس الجامعة عادة ، حتى أصبح الاستثناء هـــو القـــاعدة ، ومع مرور الوقت توقف الأساتذة عن التأليف بالعربية وآثروا عليها الانجليزية •

٢ ــ ان مدرسة الطب منذ انشـائها سنة ١٨٢٧ م ــ قبـل انشاء الجامعة كانت جميع المواد فيها تدرس بالعربية ونشطت حركة الترجمـة الى العربية والتأليف بها نشاطا كبـيرا ، حتى ان كلوت بك الذى أنشأ الـكلية ــ وهو فرنسى ــ ألف كتابا فى الطب باللغـة العربية كان مرجعا لطلاب هذه الكلية، فلما حدث الاحتلال الانكليزى تغير الوضع ، وقد آن لنـا أن نتخلص من آثار هذا الاحتلال •

٣ - فى عام ١٩٣٨ م أصدر الدكتور محمد حسين هيكل وزير المعارف قرارا بالبدء فىتدريس جميع المواد العلمية بما فيها الطب باللغة العربية ، ولكن القرار لم يتم تنفيذه .

٤ - فى سنة ١٩٥٦ أصدر مجلس كلية الطب قرارا اجماعيا بالتحول الى التعليم باللغة العربية ابتداء من سنة ١٩٥٧ على أن يتم هذا بالتدريج ، وبدأ التدريس بالعربية فى السنة الاعدادية بالكلية وتم تأليف مراجع عربية لهذه السنة وبغتة توقف التدريس بالعربية وعاد الى الانكليزية مع الأسف الشديد .

٥ - ارتفعت أصوات عالية عديدة بين كبار الأساتذة تنادى بالتعريب ، وفى مقدمتهم الدكتور عبد الحليم منتصر الذى ألقى محاضراته بالعربية فى كلية العلوم سنة ١٩٢٨ والدكتور حسن فهمى الأستاذ بكلية هندسة القاهرة ، وقد ألف مرجعا هندسيا هاما باللغة العربية .

٦ - كانت هناك أصوات معارضة من الأساتذة الذين تلقوا علومهم بالانكليزية وألفوها ووجدوا صعوبة بالغة فى التدريس بالعربية ، ولكن المنصفين ظلت أصواتهم ترتفع مطالبة بالتعريب ، ومن هؤلاء المنصفين الدكتور محمد سليمان وهو يرى الاستفادة من تجربة كليات الحقوق فقد كان التدريس فيها بالفرنسية ، ثم تحول الى العربية ونشط الأساتذة الى تأليف المراجع القانونية الهامة بالعربية فسدت فراغا كبيرا فى عالم القوانين .

٧ - يقول الدكتور أحمد عمار العميد السابق لكلية طب عين شمس ورئيس لجنة تعريب الطب بالمجمع اللغوى : « انا قمنا بتعريب آلاف المصطلحات ولا نزال نعرب الكثير منها وقد أصدر المجمع معجم المصطلحات العلمية والفنية ويشمل خمسة وثلاثين ألف مصطلح ، والمعجم العسكرى ويشمل ثمانين ألف مصطلح للمعجم العلمى العربى الموحد فى جميع فروع العلم ... وأرى أن معظم المصطلحات الأساسية فى جميع العلوم نشأت عربية ثم دخلت بعد ذلك فى اللغات الأجنبية ... » .

ونستطيع أن نضيف الى ما نشرته الأهرام أن كلية الطب فى جامعة دمشق عربت التدريس منذ ثلاثين عاما تقريبا وقد نجحت التجربة نجاحا

باهرا ، كما أن اسرائيل تستعمل اللغة العبرية الآن فى التدريس بكلياتها العملية مع أنها لغة ماتت منذ ألفى عام ، ولكن اسرائيل حاولت بعثها واثراءها واستعمالها باعتبارها أساسا هاما فى تكوين الدولة الاسرائيلية واحياء القومية الصهيونية ــ ونحن نستعد للوحدة العربية التى توشك أن تتم بين مصر وليبيا وسوريا فعلينا أن نبادر بتوثيقها باستعمال اللغة العربية فى جميع الكليات الجامعية كما فعلت جامعة دمشق ــ فاللغة العربية كانت ــ وستظل ــ الأساس المتين لهذا الاتحاد الوثيق .

ثانيا : عنيت الثورة الليبية بنشر الدعوة الاسلامية كما عنيت باعلاء شأن اللغة العربية لسان الاسلام والمسلمين ، وفى هذا يقوم زعيم الثورة معمر القذافى تبريرا للقانون الذى أصدره بضرورة كتابة جوازات السفر ــ التى يحملها الأجانب الوافدون الى ليبيا ــ باللغة العربية (١) : « اننا أعلنا قبل بداية هذا العام أنه طالما أن اللغة العربية اعتبرت من اللغات الدولية واستخدمتها منظمة الأمم المتحدة فاننا سوف نشترط منذ أول يناير سنة ١٩٧٣ أن تكون العربية احدى اللغات المستخدمة فى جوازات سفر القادمين الى ليبيا ... لقد كان مطلبنا وهدفنا هو تأكيد الشخصية العربية والكيان العربى ... لسنا نفهم لماذا هذا التجاهل والتعالى على لغة الأمة العربية ذات الحضارة العريقة والتاريخ المشرف والتراث الذى كانت له قيمته وأفضاله على العلم وعلى العلماء فى الغرب ... ان الأمة العربية التى تنطق بهذه اللغة ليست أقل شأنا من الشعوب التى فرضت لغاتها حتى على جوازات السفر فى بلاد عربية كثيرة .

لقد قررنا أن تكون جوازات السفر الليبية باللغة العربية وحدها ، والهدف من ذلك هو اعلان تمسكنا بلغتنا وتحدى هؤلاء الذين فرضوا علينا لغاتهم منذ سنوات القسر والاحتلال ... نحن لم نطالب الدول الأخرى بأن تكون البيانات بالليبية لقد كان مطلبنا منصبا على لغة الأمة العربية جميعها بكل ثقلها وتاريخها ، فضلا عن أن هناك لغات دولية اعترفت بها الأمم المتحدة أصبحت اللغة العربية احداها ، هذه فى الحقيقة احدى معارك القومية العربية وقد قررنا

(١) من حديث اجرته معه الاهرام ونشرته يومى ٢٦ ، ٧٣/٥/٢٧ .

التصدى لها الى أبعد مدى ، لكن المحزن - بينما تخوض ليبيا هذه المعركة - أننا نسمع فى العالم العربى بعض أصوات التهكم والسخرية التى تستنكر موقفنا وتهاجمه !!! ».

فهل آن للدول العربية أن تخوض هذه المعركة المشرفة مع ليبيا وأن تطلب المزيد ، ان شرف القومية العربية يهيب بنا أن نلبى النفير .

ثالثا : على الرغم من اضطهاد المسلمين فى الفلبين فقد اضطرت حكومتها الى تدريس اللغة العربية فى مدارس المسلمين(١)، فقد أعطى الرئيس ماركوس التعليمات لحكومته بتدريس اللغة العربية فى المدارس الخاصة بالمسلمين بمناطق الجنوب ، كما أمر بدراسة مشروع اقامة مركز للدراسات الاسلامية فى جامعة الفلبين التابعة للحكومة وقال : ان تاريخ الفلبين لا يمكن أن يكتب دون دراسة تقيم علاقاتنا الحالية والماضية مع العالم الاسلامى .

رابعا : انعقد المؤتمر العام الثانى لاتحاد الجامعات العربية برياسة الدكتور محمد حلمى الخولى رئيس جامعة بيروت العربية فى فبراير سنة ١٩٧٢ « وانتهت مناقشات المؤتمر بالموافقة على تنفيذ البرنامج الخاص بتعريب التدريس الجامعى من العام القادم على أن يبدأ التدريس باللغة العربية فورا فى كل الجامعات العربية وعلى اصدار معجم عربى موحد وانشاء ديوان للترجمة يتابع نقل الكتب والبحوث الأجنبية الى العربية واعداد المقررات الدراسية المؤلفة والمترجمة لسنتين مقبلتين مع انشاء اتحاد عربى للتعريب(٢) ... » .

خامسا : اهتم مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر بالحملة التى يشنها أعداء العروبة والاسلام على اللغة العربية فقرر تأليف لجنة من أعضائه للاتصال بالدول الاسلامية لتقويم هذا الانحراف ، والعناية باللغة العربية لغة القرآن الكريم .

سادسا : أصدر الأستاذ مصطفى المازق وزير الدولة ورئيس المجلس الاتحادى للثقافة والتعليم فى دولة الاتحاد - ليبيا وسوريا ومصر -

---

(١) نقلا عن الأهرام فى ١٩٧٢/٥/٣١

(٢) الأهرام ١٩٧٣/٢/١٢

تصريحا قرر فيه : « أن تعريب التعلم ـ فى مختلف مراحلـه ـ هو أحـد المطالب الرئيسية التى تفرضها ضرورة وجود منهج موحد للتعليم فى سوريا وليبيا ومصر(١) » .

سابعا : فى أثناء نشر هذه الدراسات تلقيت دعوة من كليـــة الدراســـات الشرقية فى نابولى بايطاليا لالقـاء عدة محاضرات عن أصالة اللغـة العربيـة ودورها فى تطور الحضارة العـالمية ، وقد لاحظت عناية الـكلية بالدراسات العربية دراسـة عميقة ، وفيها مكتبة عربية تضم نوادر من المخطوطات قلما نجد لها نظيرا فى العالم ، وبها مطبعـة عربية كبرى ويقوم بالتـدريس فيها نخبة من كبار المستشرقين المتخصصين فى علوم اللغة العربية وتاريخ الاسلام ، وقد راعنى أننى كنت ألقى محاضرتى فيتم تسجيلها ، وتكتب بالآلة الكاتبـة فورا وكلما تمت صفحة قام المختصون بتصوير مئات الصور منها وجمعها فى دقائق معدودات ليتم توزيعها فى نهاية المحاضرة .

ثامنـا ـ أتم المستشرقون فى لايدن بهولندا طبع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف فى عدة مجـلدات ضخمة وهو مجهود يكاد يفوق الطاقة حيث جمعوا فيه جميع كتب الحديث من مخطـــوطات ومطبـــوعات ومن ميسورة ونادرة ، ونثروا ألفاظهـا ورتبـوها أبجديا وأشـاروا أمام كل كلمة الى أماكن وجودها فى جميـــع كتب السنة ، وهذا يذكرنا بالمجهودات الجبارة التى بذلهـا بعض المستشرقين فى دراسة القراءات القرآنية المتواترة وغير المتواترة وما سـجلوه عنهـا من موســوعات ضخمة ، وما قاموا به من تسجيلات صوتية لأساليب شتى القبائل العربية فى نطق الكلمات وما فيها من اشمام وروم وامالة وترخيم وترقيق وقطع وتسهيل مما يمكن اعتباره ثروة منقطعة النظير ، وأذكر أن المستشرق آرثر جفــــرى زارنى مـع زوجـه وأخبرنى أنه مهتم كل الاهتمام بتفسير ابن عطية المسمى بالمحرر الوجيز فى تفسـير القـرآن العزيز لأنه يراه من أحسن كتب التفسير ، وذكر لى أنه يزور القاهرة لنشر مقدمة تفسير ابن عطية لأن لديه نسخة خطية منه يريد مقـــابلتها على مخطـوطة دار الكتب فأرشـــدته الى نسـخة ثالثة بالمكتبـة

(١) الأهرام ٤/٤/١٩٧٢

التيمورية فكأنما وجد كنزا ثمينا ونشر مقدمة ابن عطية مع مقدمة أخرى مجهولة المؤلف ولكنها تدل على علم غزير ٠

تاسعا : تلقت مجلة الأزهر رسالة من الدكتور خليل سمعان أستاذ اللغات الكلاسيكية والسامية بجامعة ولاية نيويورك فى بنغمطن بالولايات المتحدة وكان عنوان الرسالة : « العربية لغة الاسلام والمسلمين ، ولغة ثقافة عالمية رفيعة » قال فيها : « نتابع منذ زمن ليس بالقصير أبحاث الأستاذ على عبد العظيم فى اللغة العربية وفقهها وعبقريتها وقيمتها الدينية ووضعها الاجتماعى ، انها أبحاث قيمة مفيدة تدل على اطلاع وعلم واسعين ، واننا اذ نهنىء الأستاذ على عبد العظيم نود أن نلفت نظره الى بعض ما أسهم به العلماء العرب والمستشرقون فى تعريف الغرب والشرق باللغة العربية بوصفها : لغة الاسلام والمسلمين ، ولغة الثقافة والعمران العربيين ــ هؤلاء العلماء كان منهم المسلم وغير المسلم ، ومنهم اليوم من أسلم لله بقرآنه الكريم » ثم ذكر طائفة من هؤلاء المستشرقين كما ذكر طائفة من أبحاثه فى هذا الموضوع(١) ٠

ولا شك أن هناك مستشرقين منصفين أحبوا العربية وتعمقوا فى دراستها ونشروا طائفة كبيرة من تراثها الخالد ، كما قاموا بأبحاث علمية عديدة أصفوا بها اللغة العربية ، وفى مقدمتهم صاحب هذه الرسالة الكريمة وأمثاله من الباحثين السابقين والمعاصرين ٠

عاشرا : عنى مجلس الشعب المصرى أخيرا بهذا الموضوع ، وقد تأسست فيه لجنة مشتركة من لجنة الشئون العربية ولجنة العلاقات الخارجية للسعى لدى حكومات الدول الاسلامية وغيرها من الدول التى بها أقليات اسلامية لجعل اللغة العربية لغة دراسة للمسلمين ، على أن تقوم مصر والدول العربية بمسعى مشترك فى هذا السبيل(٢) ٠

---

(١) نشرت مجلة الأزهر الرسالة كاملة فى عدد شعبان سنة ١٣٩٢ سبتمبر سنة ١٩٧٢

(٢) جريدة الأهرام فى ١٩٧٣/٦/١٤

وبعد ، فان العربية هي لغة القرآن الكريم ، وهي لغة الاسلام والمسلمين، وهي لغة الماضي المجيد والحاضر العتيد والمستقبل المنشود ، وهي أساس القومية العربية والوحدة الاسلامية التي قررها القرآن الكريم في آياته البينات : « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ، « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » فالتوحيد الاسلامي يقوم على الاعتقاد باله واحد جدير بالعبادة وبالاتقاء ، وعلى أمة واحدة متحدة تتجه اليه بالعبادة والتقديس مستمدة قوانينها من القرآن الكريم والحديث الشريف ولقد وعد الله ــ ووعده حق ــ باظهار الاسلام « على الدين كله ولو كره المشركون » وهذا اليوم آت لا محالة ، ويوم أن يأتي ستظهر العربية على كل اللغات ولو كره الملحدون .

وعلينا أن نسعى جميعا أفرادا وجماعات ودولا باذلين كل الجهود لتقريب هذا اليوم المشهود لأنه يوم ترتفع فيه راية العروبة والاسلام خفاقة على المجتمع الدولي الموحد المنشود ؟

**على عبد العظيم**

# اليك يا ربي

للأستاذ محمد كمال هاشم

اليك وهذا الشوق يكمن في صدري
ونور من الفـردوس هل مع الفجر

اليـك قلوب العـابدين مشـوقة
تذوب على وجـد وتسـبح في يسر

تفرقهـا أرض ويجمعهـا هـوى
ويحملهـا هـدى الى سـاحة البشر

يطيب بهـا روض المحبـة ناشرا
على دربهـا عطـرا يفـوح بلا زهر

اذا ضـل في الصـحراء عبد تفتحت
عيون شراب الحب في سـاعة العسر

اليك تسير الشمس صـبحا وتنحنى
سجودا تصلى الفرض في خيمة العصر

اليـك تثـوب الروح من غفوة الكرى
وينهمر الينبـوع من جامد الصـخر

اليـك يغنى الطير ألحـان عابد
توضـأ في البيـداء بالشوك والصبر

ولكنــه فى بحــر حبـــك غـــارق
بدمع زكى الطهر أنــدى من القطــر

. . . . . . . . . . .

اليـــك سرى نجمى فبـــارك مداره
مع النور والقرآن فى صحبة البــدر
فعنــدك كل السر والكون خاضـــع
لأمـــرك يا مولاى يا مالك الأمـــر
تشــدق أهــل العــلم بالعــلم والنهى
وما أوتى الانســان الا من النـــذر
فمن ذا الذى يسطيع وصف مجــرة
تسامت عن الابصار والعد والحصر ؟
ومن ذا الذى يهــوى الى قاع كوكب
ليعلم ما خبــأت فى الغيب من سر ؟
تعـــاليت يا مولاى عـــزا ورفعـــة
ســـموت مع الأسرار عن شارد الفكر
وأنت الذى فى الأرض رب وفى السما
ملاذ لمن يرجــوك فى ســاعة القهــر
وأشـــــهد ألا رب الاك واحـــــد
عــزيز قــوى واهب العــز والنصر
وعــدلك باق فى الورى لا يمســـه
فنــاء فأنت العــدل فى السر والجهر

. . . . . . . . . . .

الهى حملت القلب كالورد فى يدى

صفيا نقيا طيب العود والعطر

الهى قتلت النفس ذلا وخشية

وأغرقتها بالدمع والحب والذكر

ولا منتهى للحب ان شئت فى غدى

فمنك ابتداء الحب من أول النهر

سقيت زهورى من ينابيع جمة

وجنات عدن أبدعتها يد السحر

وتعلم أنى ساهر فى مفازتى

وأرقب ظل النور فى أعين الفجر

واكتب شعرى وهو دمعى كما ترى

وان شئت فهو الحب فى صورة الشعر

فان كان مدحى قطرة فهو أبحر

وزورق حبى تاه فى غمرة البحر

وان كان هذا البحر يكفى مداده

لشكرك ذاب البحر فى قطرة الشكر

**محمد كمال هاشم**

---

# من وحي العبور
# تحية الجيش

للأستاذ أبوشوشه النخال

حققت بالوثبة الكبرى أمانينا
يا قاهر الظلم والطغيان فى سينا

فكم صددت عن الأوطان مغتصبا
من قبل (خوفو) الى (السادات) راعينا

قالوا هنالك « برليف » فقلت لهم
خط من الوهم هش بين أيدينا

وقد عبرنا بأجناد محصنة
تزلزل الأرض بل تفنى الشياطينا

ولى الظلام ونور الحق مؤتلق
والجيش أدب فى سينا «الصهاينا»

وجمع الله شمل العرب فى بطل
ان قال هيا أثرناها براكينا

وسوف نبنى على أنقاض ما اغتصبوا
صرحا من المجد فى أرض «النبيينا»

يا قومى هيا الى القدس الشريف غدا
نؤذن الفجر فى حشد المصلينا

نحن«الأشاوس» من «فهر ومن مضر»
تاريخنا عطر الدنيا رياحينا

نحن الذين أقموا المجد من قدم
ودوخوا الغرب من أيام « حطينا »

«وفيصل» الحي حصن العرب من زمن
سلاحه قد أذل المستبدينا

قل « لليهود » ان عدتم لمعركة
فسوف نصليكموا نارا و « غسلينا »

الناكثين لعهد الله مذ خلقوا
كم حاربوا الله والأوطان والدينا

وقتلوا أنبياء الله من قدم
فلعنوا فى كتاب الله تلعينا

دعى « التغطرس » اسرائيل وارتقبى
جحافل الزحف ان النصر حادينا

لسنا نهاب جيوش الخصم قاطبة
مهما استعدوا فانا مستعدونا

ما كل من يبتغى ظلما يحققه
سيمحق الله من يغزو أراضينا

جيش العروبة حيا الله بأسكمو
وعشتموا أبدا غرا ميامينا

والله أكبر ان النصر حادينا
فانثر على الجيش أزهارا و «نسرينا»

**ابو شوشة النحال**

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**

**تأليف : العلامة ابن قيم الجوزية**

هذا الكتاب من مطبوعات دار الصفا ، ونشرته مكتبة الجامعة بالقاهرة ، ويقع في زهاء خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد قام الأستاذ صابر يوسف بتفسير غريب ما ورد في الكتاب ومراجعة نصوصه..

والمؤلف غني عن التعريف ، فهو من المفكرين الاسلاميين المبرزين القلائل الذين أثرت المكتبة الاسلامية بذخائر علومهم في شتى المجالات ، وقد ولد بدمشق وتوفي بها عام ٧٥١ هـ ، وهو تلميذ ابن تيمية ، وأصابه ما أصاب شيخه من محن ، اعتقل معه في القلعة ، بعد أن لقي من الأذى ما لقي ، ولم يفرج عنه ، الا بعد أن لحق ابن تيمية بالرفيق الأعلى ..

قسم المؤلف كتابه الى تسعة وعشرين بابا ، من هذه الأبواب : أسماء المحبة ، اشتقاق هذه الأسماء ومعانيها ، دواعي المحبة ، أحكام النظر وغائلته ، ذكر الشبه التي احتج بها من أباح النظر الى من لا يحل له الاستمتاع به وأباح عشقه ، ذكر حقيقة العشق ، دواء المحبين في كمال الوصال الذي أباحه رب العالمين ، فضيلة الجمال ، عفاف المحبين مع أحبابهم ، ثم ذم الهوى ..

ان منهج ابن القيم في هذا الكتاب منهج سليم ، فالمسائل الخلافية ، يعرض وجهات النظر فيها ، ثم يدلي في النهاية برأيه الذي يعتبره من وجهة نظره فصل النزاع ، ولا يفوته أن يسوق عديدا من الأدلة للأطراف المتنازعة حول المسألة الخلافية ، وكذلك للرأي الذي ارتآه ، ففي الباب

الحادى عشر مثلا ، يعرض للعشق : هل هو اضطرارى خرج عن الاختيار ، أو أمر اختيارى، واختلاف الناس فى ذلك ، وذكر الصواب فيه ، وبعد أن يسوق ابن القيم أدلة الفريقين يقول :

« وفصل النزاع بين الفريقين : أن مبادىء العشق وأسبابه اختيارية داخلة تحت التكليف ، فان النظر والتفكر والتعرض للمحبة أمر اختيارى ، فاذا أتى بالأسباب كان ترتب المسبب عليها بغير اختياره ... وهذا بمنزلة السكر من شرب الخمر ، فان تناول المسكر اختيارى ، وما يتولد عنه السكر اضطرارى ، فمتى كان السبب واقعا باختياره ، لم يكن السكران معذورا »

ان القارىء الذى قرأ لابن القيم « زاد المعاد » و « أعلام الموقعين » مثلا، ورأى فيه الفقيه الغزير العلم ،يدهشه أن يكون لديه وقت لمثل هذا الكتاب ، ونحن لا نشك فى أن الامام ابن القيم امام كبير من أئمة أهل السنة ، ولا يضيره مع ذلك أن يدلى بدلوه فى قضية اجتماعية كان لها شأنها فى عصره ولا تزال ، فهو عالم لم يعش منعزلا عن المجتمع الذى يعيش فيه ، يضاف الى ذلك أن الكتاب زاخر بالمناقشات اللغوية والفقهية ،والطرائف الأدبية ،وبيان وجه الشريعة الاسلامية فى فلسفة الحب ...

وبقيت كلمة سريعة : فالاستاذ صابر يوسف ، قد بذل جهدا طيبا فى ضبط النصوص وشرح الألفاظ ، وتخريج الأحاديث النبوية ، والتعليق أحيانا ، الا أنى كنت أود أن يكون له رأى فى عديد من الشواهد التى ساقها ابن القيم فى كتابه ، والتى من حق القارىء أن يتوقف عندها طويلا ، والأمثلة كثيرة ، فليس من المعقول أن يهدر عمر رضى الله عنه دم انسان بلا شهود وبلا بينة ، بتهمة الاعتداء على عرض امرأة مسلمة ، وجهها اليه أحد من الناس ، مع أن الثابت عن عمر رضى الله عنه ، أنه قال ذات يوم ما معناه : ماذا تقولون لو أن أمير المؤمنين قال لكم : انه رأى رأى العين رجلا وامرأة على فاحشة ؟ فأجابه على رضى الله عنه : نقول له ائت بثلاثة شهود معك رأوا الفاحشة معك رأى العين ، والا أقمنا عليك حد القذف .. فسكت عمر ...

● **روضة التعريف بالحب الشريف**

**تاليف : الوزير لســـــان الدين ابن الخطيب .**

هذا الكتاب الذى نشرته دار الفكر العربى بالقاهرة ، يقع فى أكثر من ثمانمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد قام بتحقيق نصوصه والتعليــق عليــه الاستاذ عبد القادر أحمد عطا الذى له مجال فى تحقيق التراث الصوفى .. وقد بدىء الكتاب بتصدير بقلم الشيخ مصطفى عبد الخالق الشبراوى ، شيخ الطريقة الشبراوية ..

ولسان الدين بن الخطيب من أصل يمنى هاجر مع أسرته الى الأندلس ، وتدرج فى المناصب حتى صار وزيرا ، وكان عالما فقيها أديبا ، قال عنـــه ابن خلدون : انه آية من آيات الله فى النظم والنثر ، والمعارف والأدب ، لا يساجل مداه ، ولا يهتدى فيها بمثل هداه ، وقد كان كتابه الذى بين أيدينا سبب محنته ، حيث أثار ضجة ضـد الصوفية بالمغرب ، دفع دمه ضحيتهـا سنة ٧٧٦ هـ

يشير المؤلف فى كتابه الضخم ، أن ديوانا صدر لابن أبى حجلة التلمسانى الأديب الصوفى ، يعـارض به ديوان « ابن الفـارض » وعنـــوان الديوان « ديوان الصبابة » هذا الديوان أقض مضـاجع لسـان الدين بن الخطيب ، فشمر عن ساعده ليرد على هذا الديوان بتوجيـــه من السـلطان أبى الوليـد اسماعيل ، هذا وقد أشار المؤلف فى مقدمته أيضا : الى أنه ذهب فى ترتيب كتابه أغرب المذاهب ، جعله شـجرة وأرضا ، فالشجرة مناسبة وتشبيها ، واشـارة لما ورد فى الـكتب المنزلة وتنبيها ، والأرض النفوس التى تغرس فيها ، والأغصان أقسامها التى تستوفيها ، والأوراق حكايتهـا التى نحكيهـا ، وأزهارها أشـــعارها التى نجنيهـا ، والوصول الى الله ثمرتها التى ندخرها بفضل الله ونقتنيها ..

والمسائل التى طرقها المؤلف أكثر من أن تحصى ، مســائل تتصـــل بالنفس وبالقلب وبالعقل وبالروح ، ومسـائل تتصل بموضـوعات قلقـــة كالحلول والاتحاد والجبر والتناسخ ، ومسائل تتصل بالنبوة والايمان ، والجمـــال والذكر ، والحب والمعرفة والأخلاق وما اليها ، والمؤلف الذى أسهب فيما كتب حتى لقد كتب عن مئات المسائل ،

لم يكتب شيئا ذا بال عن « ديوان الصبابة » الذى أثاره وكان الدافع الى تأليف كتابه الضخم ، ومما لا ريب فيه أن الكتاب عرض لبعض القضايا الخلافية ، وناقشها مناقشة جادة ، الا أن شواهده ـ ولاسيما من الحديث النبوى ، قد ساقها بلا تحقيق وكأنها من المسلمات ..

وكلمة أخيرة مع المحقق ، فالأستاذ عبد القادر أحمد عطا بذل جهدا مشكورا فى اخراج الكتاب ، وكانت مقدمته للكتاب فى ستين صفحة وهى مقدمة ذات قيمة لولا تعصبه للتصوف برمته ، ولولا أن شواهده من الحديث النبوى جاءت من غير تخريج لها ، بل ان ما قصر فيه المؤلف حيث ساق الأحاديث بغير تحقيق ، لم يسد المحقق هذه الثغرة ، وهى أول متطلبات التحقيق العلمى ، مع أن المحقق أثبت على الهوامش من التعليقات ما هو جدير بالتقدير ..

وقد ختم المحقق الكتاب بملحقين فى أكثر من مائة صفحة ، كان الملحق الأول دراسات حول بعض موضوعات الكتاب ، وكان الآخر تعريفا بأعلام الصوفية الذين ورد ذكرهم فى الكتاب » والحق أن هذه التعريفات كانت سريعة للغاية ، الى درجة اهمال تاريخ المولد والوفاة لمعظم هؤلاء الأعلام ، وقد عقب على الملحق الأول بكلمة مسهبة عن الشيخ عبد الخالق الشبراوى شيخ الطريقة الشبراويه والمتوفى سنة ١٩٤٧ م جاءت فى سنه وعشرين صفحة ، ولست أدرى ـ دون مناقشة لما كتب ـ اذا كان المحقق الجليل ، رأى من مستلزمات التحقيق العلمى ـ أن يضاف الى الكتاب شيئا أشبه بالاعلان ...

● **أول الشهداء .. ياسر وسمية**
**تأليف : الأستاذ احمد رائف :**

هذه أول حلقة من سلسلة « شهداء الحرب والعقيدة فى الاسلام » بدأها المؤلف بأول الشهداء « ياسر وسمية » وتقوم بنشر هذه السلسلة مكتبة « دار حراء » بالقاهرة ، ويبدو أن المؤلف سيقدم هذه الحلقات تباعا فى شكل مسرحيات قصيرة ، فالحلقة الأولى جاءت فى ثلاثة فصول ، وفيما لا يزيد على خمسين صفحة من القطع المتوسط .

الفصل الأول : يتابع ياسر منذ أن قدم الى مكة مع أخويه مالك ، وحارث

للبحث عن أخ لهم فقدوه منذ زمن ، الى أن استـــقر به المقـــام فى مكة والفصـــل الثـــانى : يستوعب ظهـــور الدعوة الاسلامية ، والفصل الثـــالث والأخير : يحكى قصـــة الثبـــات على المبدأ ، والشهادة فى سبيل العقيدة ..

كنت أود أن يعنى المؤلف باللغـــة العربية عنايته بالحوار الذى جاء بليغا مؤثرا ، وبين الفصـــل الأول والثـــانى فارق زمنى شاسع ، لأن المؤلف نقلنا فجأة من مرحلة التفكير – تفكير ياسر فى الزواج من سمية الى ظهور ابنهما عمـــار شـــابا ناضجا يسبق أبويه الى الاسلام ، كذلك كانت المشاهد سريعة قصيرة للغـــاية ، وربمـــا كان لتلاحق المشاهد قيمة فنيـــة ، لكنى لا أظن أن كثرتها يعين على الحفـــاظ على هـــذه القيمة الفنية ..

وبعد ، فلا جدال فى أننا فى مسيس الحاجة الى مثل هذه المسرحيات الجادة التى تترجم تاريخنا الاسلامى الى معان عظام تستقر فى أذهاننا ، وقد اختـــار الأستاذ أحمد رائف موضوعا ذا أهمية نحن أحوج ما نكون اليوم الى احيائه .. احياء النماذج البطولية فى تاريخنا ، ونحـــن مع المؤلف حيث يقـــول فى مقدمته الموجزة القيمة : وان كنا نريد اصلاحا .. فلابد أن نعيد سيرة هؤلاء العظمـــاء ، الذين تمثلوا الاســـلام فى سلوكهم .. ثم ضربوا أروع المثل .. وكم نحن فى حاجة الى التماس هذه القـــدوة الصـــالحة فى أولئك الذين أقاموا الدين على أكتافهم .. وكتبـــوا تاريخهم بدمائهم ...

## ● هدى الاسلام

العودة الى التراث كمحاولة لرؤية المســـتقبل من خلال المـــاضى . هـــذا عنوان النشرة التى تصـــدرها اللجنـــة الثقـــافية بالجمـــاعة الاســـلامية باتحاد طلاب طب القاهرة ، وفى العدد الأخير من هذه النشرة .. التى تقع فى أكثر من ثلاثين صفحة من القطع الكبير ..

وقد تناول العدد الأخير موضوعات جـــادة ، منهـــا : العـــودة الى التراث كمحاولة لرؤية المستقبل من خـــلال المـــاضى – أسامة الفتى الأسود وأمه حبشية يضعه الرسول على رأس جيش المسلمين – يا عمر من أين لك هذا ؟ لقد سعدت بهذا الجهد الطيب المشكور من شباب اتحاد طلاب طب القـــاهرة الممثل للجماعة الاسلامية بهذه الكلية ، التى نشهد بها نشاطا اســـلاميا جادا ،

وليس فى النشرة أى توقيع لأحد من هذه الجماعة ، كأنما أرادت أن يعمل الجميع فى صمت بلا أضواء مسلطة على بعض الأسماء .. الا أنى كنت أود أن تعنى النشرة بالتبويب ، والتركيز على المعانى والاشارة الى المراجع والمصادر فى كل ما يكتب ..

نحن نعلم أن اللجنة الثقافية بالجماعة الاسلامية تعتمد على قروش أفرادها ، لأن اتحاد الطلاب العام فى مصر لم يعترف بعد بحق الجماعة الاسلامية فى الجامعات المصرية فى أن يكون لها نشاطها الدينى ، ويوم أن توحد الجماعات الاسلامية صفها وكلمتها ، وما أكثر عددها ونزعاتها اليوم ، سوف تفرض على اتحاد الطلاب العام الذى ينفق بسخاء على الأنشطة الاستهلاكية الأخرى وجودها .

● **قراءات :**

« لولا انتصار جيش شارل مارتل الهمجى على تقدم العرب فى فرنسا ، لما وقعت فرنسا فى ظلمات القرون الوسطى .. ولولا ذلك الانتصار البربرى على العرب ، لنجت أسبانيا من وصمة محاكم التفتيش ، ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون ، نحن مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا ، فى العلم والفن والصناعة .. مع أننا نزعم السيطرة على تلك الشعوب العريقة فى الفضائل ، وحسبها أنها كانت مثال الكمال البشرى مدة ثمانية قرون ، بينما كنا يومئذ مثال الهمجية » .

مستر ولز أكبر مؤرخى هذا العصر

**محمد عبد الله السمان**

---

# باب الفتوى[١]

للأستاذ محمد أبو شادى

## السؤال

١ ـ ما هى أقصى مدة الحمل شرعا ؟

٢ ـ ما هى المدة المعمول بها فى مصر طبقا للقانون ؟

٣ ـ تزوج رجل بامرأة فى سنة ١٩٦٥ وأنجب منها ابنا فى ٢٠/٥/١٩٧٠ وكانت مدة الحمل عشرة أشهر وبضعة أيام ـ كان الحمل مستكنا ـ فما حكم هذا الابن ؟

## الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأن العلماء اختلفوا فى أقصى مدة الحمل ، فعند الحنفية هى سنتان وقال غيرهم من أئمة المذاهب أنها قد تصل الى أربع سنين أو خمس .

ومذهب الظاهرية أن أقصى مدة الحمل تسعة أشهر ، وقد نص ابن حزم على ذلك فى « المحلى » .

وقد أخذ القانون بهذا مع مراعاة الاحتياط فى الحالات النادرة ، فنص على أن أقصى مدة الحمل هى سنة شمسية ، كما هو نص المادة ١٥ من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩

وعلى ذلك فان دعوى هذه السيدة بأنها ولدت بعد عشرة أشهر وبضعة أيام من ابتداء الحمل وكان الحمل مستكنا فهى مصدقة فى هذا وفقا لما هو معمول به فى مصر طبقا للمادة ١٥ من القانون المشار اليه .

والله تعالى أعلم .

السيد الدكتور الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر •

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فردا على كتابكم بتاريخ ١٢/٢٦/ ١٩٧٣ رقم ١٤٨٣ الخاص بطلب الافادة عما ورد بكتاب السيد وكيل وزارة الخارجية المصرية بشأن ما يأتي :

أولا : تفاصيل المراسم التي تتبع في الاحتفال بالموتى من حين الوفاة الى حين الدفن •

ثانيا : العادات والتقاليد التي تتبع في هذا الشأن في مصر •

ثالثا : دور رجل الدين في الاحتفال بتشييع الجنازة •

نفيد بما يأتي :

أولا : ان الدين الاسلامي يفرض على المسلمين نحو موتاهم ثلاثة أشياء ان تركوا شيئا منها أثموا •

١ ـ أن يغسلوهم غسلا جيدا بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم ـ لمن حضر ابنته من النساء : « أغسلتها ثلاثا » وقوله في محرم بالحج مات : « اغسلوا ولا بأس بخلط الماء بالصابون والطيب » •

٢ ـ تكفينه وهو لفه في ثوب غير مخيط يستره بعد تجريده من ملابسه الأصلية لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تنظر الى فخذ حي أو ميت » •

والسنة تكفين الرجل في ثلاثة أثوب ، والمرأة في خمسة من القطن ونحوه •

٣ ـ الصلاة عليه لقوله تعالى : «وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم» •

أما تشييع الجنازة والتعجيل بها فسنة لأحاديث « انبسطوا بها » ولا تدبوا دبيب اليهود بجنائزهم » « عليكم بالقصد ـ الاعتدال ـ في جنائزكم » « عجلوا موتاكم » فان كان خيرا قدمتموه ، وان كان شرا وضعتموه عن رقابكم » « عجلوا فانه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله » •

ويستحب السير في الجنائز بخشوع ، وتفكر ، واتعاظ بمصير الميت • أما قتيل المعارك في سبيل

الدفاع عن الدين أو الوطن ، فيـدفن بدمه وملابسه دون غسـل ولا تكفين ولا صـــلاة على الراجح .. لحديث « زملوهم بكلومهم - جراحهم - ودمائهـم ولا تغسـلوهم » وحديث « ليس كلم يكلم فى الله الا يأتى يوم القيامة يدمى ، لونه لون الدم وريحه ريح المسك » .

ثانيا : فشت بين الجهلاء كثير من العادات السيئة ، والتقاليد الضارة التى تخالف قواعد الاسلام وتعاليم رسوله الأمين ، والسلف الصالح ، منها :

الاسراف فى البكاء والصراخ على موتاهم ، والمغالاة فى تكفينهم بالحرير الفاخر وتشـييع جنـائزهم بالمواكب الرسمية ، وتشييد قبورهموزخرفتها ، واقامة السرادقات لاستقبال المعـزين ومد الموائد لهم ، وذبح الذبائح عنـد خـروج الموتى من بيـوتهم أو عنـد قبورهم كما كان يفعل أهل الجاهليـة الأولى مما يعود على ورثتهم بالخسارة الجسيمة والضرر البالغ ،وقد يكونون من القصر وذوى الحاجة .

ثالثا : أما دور رجل الدين فهو :

١ - أن يقوم - ان وجد - بامامة المصلين على الميت ، فان لم يوجـد قام بامامتهم أعلمهم بأمور الدين أيا كان.

٢ - نهى الناس عن هذه العـادات وتلك التقاليد ، وبيـان مدى مخالفتها للاسلام ، وأن الرسول عليه الصلاة والسـلام قد نهى عن لطم الخـدود وشـق الجيـوب وذبح الذبائح لهذه المناسبات فقال : « ليس منا من لطم الخدود أو شق الجيوب ،ودعا بدعوى الجاهليـة » وقال : ( لا فقـر فى الاسلام ) .

وقـال ، ان الله يحب الصمت فى ثلاث : عنـد تلاوة القـرآن ، وعنـد الزحف ، وعند الجنازة . وكفن عليه السـلام فى ثلاثة أثواب من القطـن الأبيض وكانت سنته عليه الصـلاة والسلام أن يدفن الرجل من أصحابه ثم ينصرف كل الى مصالحه .

فعن جرير - رضى الله عنه - «كنا نعد الاجتماع الى أهل الميت ، وصنعة الطعـام بعـد دفنـه من النياحة ، لأنه استدامة للحزنوهو منهى عنه بوجوب الصبر .

أما اهداء الطعام الى آل الميت عنـد المصيبة فهومأمور به لقوله عليه الصلاة

والسلام : « اصنعوا لآل جعفر طعاما فان لهم ما يشغلهم » .

وقد أمر الله المصابين بالصبر فى قوله : « وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » وها هى ذى الصحابية الجليلة زينب بنت جحش ـ رضى الله عنها ـ مات أخوها فطلبت بعد ثلاث ليال من موته طيبا فأصابت منه ثم قالت : أما والله ما لى بالطيب من حاجة ، غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على الميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشرا » .

وبهذا علم الجواب عن أسئلة المستفتى والله تعالى أعلم ؟

**محمد ابو شادى**

---

**ايها القارىء الكريم :**

ستحتجب المجلة ـ جريا على عادتها السنوية ـ شهرى جمادى الأولى والآخرة ١٣٩٤ هـ ، وستوالى الظهور ابتداء من غرة رجب ان شاء الله ؟

**المجلة**

# أنبـاء و آراء

للأستاذ على الخطيب

أرسل الأستاذ عبد المعز الجزار بهذه الكلمة عن أستاذه :

**محمد ابو زهرة**
شيخ الفقهاء

« رحمك الله ياأبا زهرة رحمة واسعة ، وغفر لك ، وأعظم أجرك ، وألهم المسلمين الصبر والسلوان ، وأعطاك الله ما أعده فى جنات النعيم، للصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، من نعيم مقيم ، وفوز عظيم ؟ وفاء لنضالك وجهادك فى سبيل اعلاء كلمة الحق ، ورفع راية الاسلام ، ونصرة المسلمين ، أينما كانوا ، وحيثما حلوا » .

« هذا الدعاء لم أكن أردده وحدى يوم فجعت بنبأ وفاته ـ فانعقد لسانى وفاض دمعى غزيرا ؟ بل كان يردده معى كل عارف لقدره ، مشتغر بالدراسات الاسلامية والتاريخية والقانونية .

وما من أزهرى أو حقوقى مهما تباينت أمزجتهم الا ويكبره أشد الاكبار ، ويؤثره أعظم الايثار ويكن له فى قرارة نفسه شعور الاعجاب ، كل الاعجاب ، معظمهم أولاده ترعرعوا على مائدته العلمية سواء أكانوا أساتذة فىالأزهر، أم الحقوق: محامين أم قضاة أم محاضرين .

ولا أكون مغاليا اذا قررت أن قرننا لم يشهد عالما فذا أوتى ما أوتيه أبو زهرة من ذكاء نادر ، وخصوبة ذهن ، وبسطة فى العلم ، وقوة ادراك وملاحظة ، وغزارة مادة فى أسلوب سليم ووفرة انتاج فى : الفقه ، والتفسير ، والحديث ، ولغة القرآن ، والتراجم ، والمحاضرات والندوات فى الداخل والخارج .

وقد فرغ من تفسير القرآن الكريم تفسيرا حديثا تعرض فيه لما جد من معارف وفلسفة وعلوم فأبدى رأيه فيها مؤيدا بالكتاب والسنة ، وقد لقى ربه وهو يفسر سورة النمل عند قوله تعالى : ( رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ) وكان يتهيأ لدفعه للطباعة ، ومن أكرم مواقفه الأخيرة : موقفه فى مناقشة مشروع قانون الأسرة .

كان رحمه الله عالما جليلا ، ومصلحا اجتماعيا كبيرا ، ومجددا فى نطاق الشريعة الاسلامية ، خبيرا بطرق العرض وأساليب التمحيص ، ووسائل البحث والاستقصاء .

كان فقيها ملتزما فى طليعة العاملين فى تقنين الشريعة الاسلامية ، والدعوة الى أن تكون مصدر التقنين فى البلاد الاسلامية .

كان خطيبا امتاز بجهارة الصوت ، ووضوح النبرات ، فى غزارة مادة مليئة بالايمان .

كان حلو الحديث حاضر النكتة .

كان رائدا وطن نفسه على مكابدة الشدائد ، ووقف نفسه وحياته لنشر الدعوة الاسلامية .

كان يقظا كل اليقظة ، لما يمس الشريعة الاسلامية ، ويثور كالبركان ، ويغضب لله ، ويعلى كلمة الحق ، ولا يبالى ، صريحا كل الصراحة ، يفيض ما فى قلبه على لسانه ، حر الفكر ، مستقل الرأى ، ابتغاء رضا الله ، وايثارا لما عنده من جزيل المثوبة ، فلم يطمع فى جاه ولا مغنم ولا سلطان ، وأن هذا العالم الفذ لجدير بالبحث والتمحيص والكشف والتنقيب ليكون النبراس الواضح أمام كل مسلم ، وان سيرته ستظل على مدى الأيام أمام العيون ، ملء القلوب ، لتلهم الناس الايمان الصادق ، والصبر الجميل ، فى سبيل نصرة الحق والتجرد من ملذات الحياة ومغالبة الظلم ، ومناهضة الباطل ، ومصارعة الفساد .

وأخيرا فانى بهذه الكلمة الوجيزة ـ القاصرة عن تلخيص جوانب حياته ـ لأشارك العالم الاسلامى احساسه

بالخسارة الفادحة فى فقيدنا الـكريم وأســأل الله أن يتغمـده برحمتـه الواسعة ، وأن يجزيه عن الاســلام خير الجزاء ، ورحم الله أمة جعلت من علم عالمها الفذ منارا •

**عبد المعز الجزار**

**أنبــاء :**

**... شيخ الأزهر**

فى الحادى عشر من ربيع الأول عاد الى القــاهرة فضــيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بعد جولة زار فيها باكستان ثم السعودية •• وقد التقى •• خلال جولته • بعدد من رجال الهيئات والجمعيات الاسلامية •

**... البلاد العربية**
**بين السعودية والقاهرة**

جرت بين الســعودية وجمهورية مصر مباحثات فى القاهرة لدعم وسائل المواصلات بين البلدين ، وامكانية تنفيذ مشروعات مشتركة بينهما •

**... بين القاهرة والأردن**

تم فى القاهرة الاتفاق بين الرئيس السادات والملك حسين على أن يكون لشــعب فلسطين تمثيله المستقل فى مؤتمر (جنيف) والاتفاق يعتبر تعبيرا عن حـــق شعب فلسطين فى وجوده الدولى وتقرير مصيره •

**... فى المغرب**

قال الحسن الثـانى : انطلاقا من قوله تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم » وقول النبى صـلى الله عليه وسلم : « المؤمنون سواسية كأسنان المشط » ترتكز الاشتراكية الاسـلامية فنعمل جادين على رفع مستوى الفقير ، وعدم افقار الغنى •

**... القدس**

من أكثر من أربعة أشهر ذكرت « أنبـاء وآراء » بمجلة الأزهر أحلام الصليبية القديمة التى لا تزال تخامر رأس الفاتيكان فقد دعا الأســـقف بول السادس الى تدويل القدس ، ثم بعث بمذكرة ـ بهذا الصـــدد الى الولايات المتحـــدة ، ثم أعلن فى ١٩٧٤/٤/٥ ( ضرورة فرض اشراف دولى على المدينة ) •

**معهد الدراسات العربية ... والتفرغ**

تضمنت التعديلات الجديدة للائحة الداخلية لمعهد الدراسات التابع للجامعة العربية أن يكون التفرغ أساسا لدخول طلبته من خريجى الجامعات العربية •

أما الموظفون فلا يقبلون الا بمنح دراسية من حكوماتهم •

**● الاعتراف بشماني شهادات للجامعة الأمريكية بالقاهرة**

تم اعتراف حكومة مصر بشماني شهادات ( بكالوريوس ) لكليات الجامعة الأمريكية في القاهرة •

من بينها الآداب في اللغات : العربية والانجليزية ، والعلوم الاقتصادية والسياسية •

**● اللغة العربية دولية في اتحاد نقابات المحامين الدولية**

اتخذ مكتب اتحاد نقابات المحامين الدولى قرارا باعتبار اللغة العربية احدى اللغات الأساسية فى اجتماعات الاتحاد الدولى لنقابات المحامين الذى يضم ثنتين وستين دولة •

**● من بحوث (( أبى زهرة )) رحمة الله عليه**

من بين البحوث التى كان فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة كاد ينتهى منها بحثان :

١ ـ لا نسخ فى القرآن •

٢ ـ « اسلام أبى طالب » •

حدث بذلك فضيلة الشيخ محمد حافظ عضو لجنة السنة •

**● ... الآثار الاسلامية**

صرح رئيس هيئة الآثار المصرية بأنه قد تقرر وضع برنامج لحماية الآثار الاسلامية وابرازها بالمظهر اللائق مع العناية بمناطقها ونظافتها •

**● ... امبراطور ايران والقضية العربية**

قال أمبراطور ايران ـ بصدد الحديث عما قامت به مصر فى حرب رمضان :

انا نضع كل ثقلنا مع تحرير الأرض العربية واستعادة الأراضى المقدسة ونحن مستعدون لتقديم كل تعاون لمصر والمشاركة الحقيقية الفعالة فى تعمير مدن القناة والتعاون الاقتصادى فى كل المجالات •

ان مصر فى طريقها الى الازدهار كى تنهض بمسئوليتها فى الشرق الأوسط ومنطقة البحر الأبيض •

**● سقوط حكومة مائير**

قدمت مائير استقالتها فى الثانى عشر من ربيع الأول ١٣٩٤-١١/٤/١٩٧٤

وبذلك سقط آخر رمز لحركة الصقور
التى عاشت عليها حـــكومة اسرائيل
واستمرأها شعبها حتى كانت حرب
العاشر من رمضان ١٣٩٣

بين العاشر من رمضان والثامن عشر
من ربيع الأول كان فى اسرائيل صراع
للبقاء انتهى بسقوط الصقور ؛ فهـل
يخلفها السلام ..

ان تعاليم الله تقول : لا

« ... ويسعون فى الأرض فسادا
والله لا يحب المفسدين » ؟

على الخطيب

---

**تصـويب :**

وقع فى عدد ربيع الأول ١٣٩٤ فى مقال « العربيـة لغـــة الاســلام والمسلمين » خطأ فى رقم الحلقة حيث كتبت (٢١) وصحتها (٢٠) .

---

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل اول
رئيس مجلس الادارة
**على سلطان على**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٤

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٤٣٦٣/١٩٧٤-٦٠٠٢

what has been written about it and against it. I spent over five years in the Hijaz and Najd, mostly in al-Madinah, so that I might experience something of original surroundings in which this religion was preached by the Arabian Prophet. As the Hijaz is the meeting centre of Muslims from many countries, I was able to compare most of the different religious and social views prevalent in the Islamic world in our days. Those studies and comparisons created in me the firm conviction that Islam, as a spiritual and social phenomenon, is still in spite of all the drawbacks caused by the deficiencies of the Muslims, by far the greatest driving force mankind has ever experienced; and all my interest became, since then, centred around the problem of its regeneration.

(From : Islam-Our Choice).

Due to Summer Vaction, the June and July issues of "Al-Azhar Magazine" will not be pulished. The publication will, however, be resumed from the August issue.

the foundations has necessarily weakened the cultural structure - and possibly might cause its ultimate disappearance.

The more I understood how concrete and how immensely practical the teachings of Islam are, the more eager became my questioning as to why the Muslims had abandonded their full application to real life. I discussed this problem with many thinking Muslims in almost all the countries between the Lybian Desert and the Pamirs, between the Bosphorus and the Arabian sea. It almost became an obession which ultimately overshadowed all my other intellectual intersts in the world of Islam. The questioning steadily grew in emphasis - until I, a non-Muslim, talked to Muslims as if I were to defend Islam from their negligence and indolence. The progress was imperceptible to me, until one day - it was in autumn 1925, in mountains of Afganistan - a young provincial Governor said to me : "but you are a Muslim, only you don't know it yourself". I was struck by these words and remained silent. But when I came back to Europe once again, in 1926, I saw that the only logical consequence of my attitude was to embrace Islam.

So much about the circumstances of my becoming a Mulim. Since then I was asked, time and again : "Why did you embrace Islam ? What was it that attracted you particularly ?" — and I must confess : I don't know of any satisfactory answer. It was not any particular teaching that attracted me, but the whole wonderful, inexplicably coherent structure of moral teaching and practical life programme. I could not say, even now, which aspect of it appeals tc me more than any other. Islam appears to me like a perfect work of architecture. All its parts are harmoniously conceived to complement and support each other; nothing is superfeuous and nothing lacking, with the result of an absolute balance and solid composure. Probably this feeling that everything in the teachings and postulates of Islam is "in its proper place", has created the strongest impression on me. There might have been, along with it, other impressions also which today it is difficult for me to analyse. After all, it was a matter of love ; and love is composed of many things; of our desirese and our lonliness, of our high aims and our shortcomings, of our strength and our weakness. So it was in my case. Islam came over me like a robber who enters a house by night; but, unlike a robber, it entered to remain for good.

Ever since then I endeavoured to learn as much as I could about Islam. I studied the Quran and the Traditions of the Prophet (peace and blessings be upon him) ; I studied the language of Islam and its history, and a good deal of

## MY PILGRIMAGE TO ISLAM

*By*

DR. MUHAMMAD ASAD (AUSTRIA)

In 1922 I left my native country, Austria, to travel through Africa and Asia as Special Correspondent to some of the leading Continental newspapers, and spent from that year onward nearly the whole of my time in the Islamic East. My interest in the nations with which I came into contact was in the beginning that of an outsider only. I saw before me a social oreder and an outlook on life fundamentally different from the European; and from the very first there grew in me sympathy for the more tranquil - I should rather say; more human - conception of life, as compared with the hasty, mechanised mode of living in Europe. This sympathy gradually led me to an investigation of the reasons for such a difference, and I became interested in the religious teachings of the Muslims. At the time in question, that interest was not strong enough to draw me into the fold of Islam, but it opened to me a new vista of a progressive human society, organised with a minimum of internal conflicts and a maximum of real brotherly feeling. The reality, however, of presentday Muslim life appeared to be very far from the ideal possibilities given in the religious teachings of Islam. Whatever, in Islam, had been progress and movement, had turned, among the Muslims, into indolence and stagnation; whatever there had been of generosity and readiness for self-sacrifice, had become, among the presentday Muslims, perverted into narrow-mindedeness and love of an easy life.

Prompted by this discovery and puzzled by the obvious incongruency between Once and Now, I tried to approach the problem before me from a more intimate point of view : that is, I tried to imagine myself as being within the circle of Islam. It was a purely intellectual experiment ; and it revealed to me, within a very short time, the righ solution. I realised that the one and only reason for the social and cultural decay of the Muslims consisted in the fact that they had gradually ceased to follow the teachings of Islam in spirit. Islam was still there; but it was a body without soul. The very element which once had stood for the strength of the Muslim world was now responsible for its weakness : Islamic society had been built, from the very outset, on religious foundations alone, and the weakening of

as big as Italy, with over 20 millions of inhabitants. It was well known for the attention it gave particularly to the reform of Islamic education. In its university founded on Western lines, with a dozen faculties, there was also a faculty of Islamic theology. The university imparted teaching, at every level and in every faculty, through the medium of Urdu, local language with its script in Arabic characters. Specialization began in the school stage, when Arabic language, Fiqh, (Muslim law) and Hadith, (documents on the life and sayings of the Prophet) were obligatory beside other subjects such as English language, mathematics and other courses of modern education. In the University stage, the students of the Faculty of Theology learned not only English of high standars, but also Arabic and subjects concerned purely with Islamic studies were prescribed. Moreover comparative studies became the vogue. With the Fiqh was modern jurisprudence, with the Kalam, the history of Western philosophy; with Arabic, also Hebrew or some modern European language, the French or the German in particular. When the students prepared their theses they were attached to two guides : one a professor of the Faculty of Theology and the other a professor from the Faculty of Arts and Letters or Law as the case was. This provided the means of mastering simultaneously both the Islamic facts and modern Western trends on the same subject. After thirty years of experiment and the obtaining of very happy results, there remains nothing now but a distant memory of it all. For, when the British left the country for good in 1947.

---

even the Popes preached a holy war against Islam. A series of crusades ensued., which b!ed both the Orient and Occident for two hundred years. At the time of the first crusade, the Fatimids had already abandoned Palestine, and it was the innocent civil population that fell victim to the fury of the invaders. Even more pathetic is the fact, that sometimes these Fatimids collaborated with the crusaders in their war against the Islamic Levant. There was no central authority in the Islamic world at that time, but dozens of petty States — anachronic City-States even — warring with each others, of these rulers, the Kurds and Turks replaced more and more the Arabs in the struggle against the Occident. Salahuddin (Saladin), Muslim hero of the time of the second crusade, not only expelled the Europeans from Syria-Palestine, but also swept away the Fatimids of Egypt, Salahuddin and his successors recognized the caliphate of Bagdad, yet this latter never succeeded in recuperating its politcal power which remained divided among a host of fragmentry states. Some of these succeeded in extending the frontiers of the land of Islam.

In 921, the king of "Bulgar" (i.e., the region of Kazan, on the river Volga, in Russia) solicited a Muslim missionary from Baghdad. Ibn Fadlan was sent. According to the report of his travle, which is extremely interesting, the King of Bulgar embraced Islm, and created, sotto say, and Islamic island in the midest of the non-Muslim regions. The Islamization of Caucasus and the neighbouring regions continued slowly.

INDIA

The Ghaznavid dynasty of Afghanistan began the reconquest of India. Other dynasties followed, which contented themselves with only the North of the country, then came the Khalijids who pushed their conquest towards the South. A negro commander, Malik Kafur, in a lightning expedition proceeded as for as Cape Comorin, yet it is only later that Southern India saw the establishment of Muslim States in the region. The Great Mughals (1526—1858) are particulary celebrated in the Muslim history of India. For a long time, they ruled over almost the whole of this vast continent, and were considered among the Bigs of the world. Their central authority began to be weakened however by the action of provincial governors from 18th century onwards. It was only 1858 that the British chased them out and annexed three-fifths of the country for the Crown, the rest being divided among indigenous states, some of which were Muslim. These latter preserved the Indo-Muslim culture until our own times. One of these, Haidrabed, situated in the centre of India was

was established, which never reconcield itself, till its downfall in 1492, to union with the East, where Baghdad had taken the place of Damascus as the seat of the Caliphate.

The history of the Abbasids does not show any big military conquests, if we except the initiatives taken by regional chieftains, who though they recognised the caliph of Baghdad as their sovereign, did not depend on him in the least, in matters either of foreign policy or internal administration. We shall speak of the Indian sub-continent in this connection under a separate paragraph. The relations with Byzantium became more and more bitter and bloody, and the Greek empire had to quit Asia Minor defenitely and be countent for some time longer with its European possessions only.

The Abbasids inaugurated the policy of replacing popular armies of volunteers by standing armies of professional recruited more and more from soldiers of Turkish origin, and this gave birth to feudalism and culminated later in the establishment of independent provinces, where one sees "dynasties" of governors. About a century after their assuming power, the Abbasid caliphs began to delegate — and even lose — their sovereign prerogatives in favour of centrifugal governors; and gradually their sovereignty was limited to their own palace, the rest being controlled by emirs of whom the most powerful occupied even the metropolis. We see therein a strange contrast with Papacy : The Popes began without any political power, but later acquired it after some centuries particularly, with the creation of the Holy Roman Empire. For sometime they became even more powerful than emperors, only to lose this authority in course of time. The Caliphs began as all-powerful rulers, shared the power later with the Sultans, and finally become figure-heads and nominal sovereigns with no influence to exert.

It was under the Abbasids that the governor of Tunis of the Aghlabid dynasty was invited to intervene in the civil wars of Sicily. He occupied the island, and also much of the mainland of Italy itself advancing as far as the walls of Rome. The South of France was annexed as also a considerable part of Switzerland. This wave of expansion was the work of the Aghlabids, who were later replaced, by force evidently by the Fatimids. These latter, of the Shi'it sect, transferred their capital to Cairo, where they established a rival caliphate. Enlightened rulers in general, one of them however profaned, in a moment of folly, the sacred shrines of the Christians at Jerusalem. This produced such a great resentment in Europe, that

to the rightful owners or to their heirs. He abolished many unjustifiable taxes. He was rigid and unflinching for an impartial justice even when the oppressor was a Muslim and the victim a non-Muslim. He went so far as to order the evacuation of towns — Samarqand, for instance — which were treacherously occupied by Muslim armies. And he had not hesitated (cf. supra & 434) to order demolition of part of the grand mosque of the capital, built on a usurped piece of land. The result was astonishing.

At the start of this dynasty, the revenues of Iraq, for instance, amounted to 100 millions of dirhams, they fell to 18 millions under the Caliph preceding Umar ibn Abd al-Aziz. But under him they climbed to as much as 120 millions. His religious devotion produced a world wide impression of good and the rajas of Sindh, Turkistan and Berbar-Land embraced Islam. Everyone began to take interest in religious studies, and a whole galaxy of savants surged forth to set up peaks in the fields of science in the Muslim community. The rigorous suppression of corruption further popularised the administration everywhere.

From among the architectural monuments of this time, there is still the Dome of Rock, at Jerusalem, constructed in 691. The ruins or remains of other monuments at Damascus and elsewhere bear witness to the equally precocious progress of Muslims in this field. Great development of music is also noted, although the signs of musical notations were not yet invented, and we are unable to have a definite idea of the progress affected. The two great sects among Muslims, the Sunnites and Shiates date from the same period. The difference between these two sects is based on a political question, whether the succession to the Prophet should take place by election or by inheritance among the close relatives of the Prophet ? This became a question of dogma to the Shiates, and the Schism split into ramifications of its own, and occasioned civil wars. It is one such uprising which swept away the Umayyad dynasty, and made it yield its place in 750 to the Abbasids, but the Shiates did not profit by the change. In our days, there are probably ten percent Shiates among the Muslims of the World, the rest being almost all Sunnites, not to speak of the infinitesimally small sect of the Kharijites, which also came into existence at the same time.

## THE ABBASIDS

The rise into power of the Abbasids in 750 coincides with the division of the Muslim territory first into two, and later into ever-increasing independent states. At Cardova (Spain), a rival caliphate

certain that the same reforms were introduced everywhere in the conquered countries. The cost of adminstration was also much reduced, in consequence not only of the frugality of the simple Arab life, but also of the honesty of the Muslim administrators. The booty of war does not belong in Islam to the soldiers seizing it, but to the government, and it is this latter which distributes it among the members of the expedition in proportions fixed by law. Caliph Umar was often delightfully surprised at the honesty of the private soldiers and officers, who handed over even precious stones and other valuable objects which could have easily been concealed.

We may conclude this section by a centemporary Chiristian document. It refers to the letter of a Nestorian bishop, addressed to a friend of his, which has been preserved (cf. Assemani, Bibl. Orient, III, 2, p. XCVI) : "These Tayites (i. e. Arabs), to whom God has accorded domination in our days, have also become our masters ; yet they do not combat at all the Chiristian religion : on the contrary, they even protect our faith, respect our priests and our saints, and make donations to our churches and our convents".

THE UMAYYADS

At the death of the third Caliph, Uthman in 655, the Muslim world faced a war of succession, which was renewed several times during the subsequent twenty years in the course of which as many as half a dozen soverigns entered on the stage and vanished from the scene. With the accession to power of Abd al-Malik (685-705), the government was again stabilized, and a new wave of conquests began. Morocco and Spain on the one hand, and North of the Indo-Pakistanian contenient as well as Transoxiana on the other were added to the domain of the Muslims. We see Bordeaux, Narbonne and Toulouse (in France) also passing into their hands. The metropolis moved from Madina to Damascuss. When the saintly city of the Prophet yielded place to what was formerly a Byzantine locality, religious devotion was also weakened in favour of secular activities. Luxury and squandering of wealth, favouritism and the consequent revolts and upheavals were not lacking. Conquests however grew in the intellectual and social fields. Industry received a great impetus ; medicine was particularly patronized by the government, which undertook the translation of foreign medical works, from the Greek and other languages, into Arabic. The short reigon of Umar ibn Abd al-Aziz (817-20) Was particularly brilliant and epochmaking. Monogamous himself, he by his piety brought a renewal of the period of Abu-Bakr and Umar. He revised the old files of confiscations in order to return properties

but the help he recieved did not serve his ends, and his allies too suffered great losses.

During the time of Umar (634-44), the Muslims ruled from Tripoli (Libya) to Balkh (Afghanistan), and from Armina to Sind (Pakistan) and Gujarate (India), and over the countries lying in between, such as Syria, Iraq and Iran, etc. Under his successor Uthman (644-56), they became maters of Nubia down to the outshirts of Dongola; they also occupied part of Andalusia (Spain) ; in the east they crossed the River Oxus (Jaihun) and seized some regions from the Chinese. The Islands of Cyprus, Rhodes and Crete became parts of the land of Islam : and in the course of defensive wars against the Byzantines, even Constantinople experienced a first Arab attack. Hardly fifteen years had passed after the death of the Prophet, when the east-west Muslim expansion spread from the Atlantic to the approaches of the Pacific, and an area was occupied that was as large as the whole continent of Europe. In this lightning conquest, what is surprising is that nowhere where the conquered discontented. This is proved also by the fact that in 656, when the Muslims were torn by their first civil war, no internal uprisings took place ; and the Byzantine Emperor could not count in the least on his former subjects, but had to content himself with a small sum promised him by the cautious Muslim governor of Syria in exchange for the Emperor's neutrality.

It would be wrong to attribute this rapid expansion to any single cause. The weakness of the Byzantine and Sassanid empires, as a result of their mutual conflicts, was offset by the lack of Arab conquerors in the matter of equipment, organization and other material resources. The Muslims could not spread 'en masse' from China to Spain, and there were not enough Arabs to be distributed over all this immense territory. We have seen that the beginning of these wars was rather political, there was absolutely no desire on the part of the Muslims to impose religion by force, their religion having formally prohibited such a thought. History also sows that at this time no compulsion was employed to convert the subjugated peoples. The simplicity and reasonableness of their religious doctrines together with the the practical example in life which these Muslims set, no doubt attracted proselytes. Plunder and economic gain could from even poorer motives to explain the rapidity of the coquests , on the other hand the change of masters was hailed by the vanquished as a cange for the better. Conteporary administrative documents on papyrus, discovered lately in Egypt, attest to the fact that the Arabs had much lightened the burden of taxes in Egypt — therefore it seems

powers of the world; whereas the Arabs possessed nothing enviable, being but a handful of nomads with neither military equipment nor material resources !

With a courage and boldness of spirit which can never be too greatly admired, the Caiph Abu-Bakr undertook a war against both these Big Powers simultaneously. In the first encounter, the Muslims occupied certain regions of the frontier. Then the Caliph sent an embassy to Constantinople in order to seek out pacific solution, but all in vain. The defeat of the commandant at Caesaria, however, alarmed the emperor, and he raised new raised new troops. Abu-Bakr judged it necessary to transfer certain elements of the Muslim army from Iraq (Iranian empire) to Syria. In 634 a new victory was obtained at Ajnadain, near Jerusalem, followed a little later by another at Fihl (Pella); as result of which Palestine was definitely lost to Byzantium. The old Caliph Abu-Bakr died at this time, and his successor, Umar, had no alternative but to continue the task which he had inherited. Very soon Damascus, and later Emsa (Hims) in North Syria opened their gates to the Muslims. Facts show that the peoples of these regions recieved the Muslims not as conquerors and enemies, but as liberators. After the capture of Emesa, the concentrated final efforts of Emporor Heraclius obliged the Muslims to evacuate the town along with certain other regions, for the purpose of a better regrouping and organization. When the evacuation was decided upon, the Muslim commandant ordered that all the taxes collected from the people of the place, - non-Muslims all, - should be returned to them, since the right to utilize levies did not hold good when protection could no more be extended to the subjects. It is not surprising therefore that the vanquished shed tears on seeing their erstwhile conquerors obliged to retire. In his Memoire sur la conquete de la Syrie, De Geoje writes : "In fact the disposition of the men in Syria was very favourable to Arabs, and they merited it, since the leniency with which they treated the vanquished contrasted strongly with the dire tyranny inflicted by the preceding (Byzantine) masters". Shortly after their tactical retreat, the Muslims returned again with added strength and popularity.

The fate of Iran was not very different. The first incursions led to the occupation of Hirah (modern Kufah), and some other fortofied localities. The departure of some detachments to Syria created a momentary calm, but a few months later the struggle recommenced, and the capital Madain (Ctesiphon) was occupied with ease. Emperor Yasdgird appealed for aid to the Emperor of China, the King of Turkistan and other neighbouring princes,

# GENERAL HISTORY OF ISLAM

*By*

DR. MUHAMMAD HAMIDULLAH

---

The history of Islam means practically the history of the world during the last fourteen centuries. What we can attempt here is just a modest sketch in broad lines of the chief events of this history.

## Orthodox Caliphs

In the year 632 (11 H.) the Prophet Muhammad breathed his last. During the twenty-three preceding years, he had toiled successfully for the formulation of a religion was well as the creation from nothingness of a State, which beginning as a tiny city-state in a part of the town of Madinah embraced in the short span of ten years the administration of the whole of the Arabian Peninsula together with certain southern parts of Palestine and Iraq. Further he left a community composed of several hundreds of thousands of adherents, with the fullest faith and conviction in his doctrines and capable of continuing the work he had begun.

The temporal success of the Prophet of Islam prompted certain adventurers, during the latter part of his life, to advance pretensions to prophethood. For several months, after the death of the Prophet Muhammad, the task of his successor, Abu-Bakr, consisted in suppressing these imposter, who had been joined by a few others, emboldened by the death of the Prophet.

At the moment of the Prophet's demise, there was a state of war with Byzantium, and almost the same with Iran. It will be recalled that a Muslim Ambassador had been assassinated in Byzantine territory (cf. supra s. 442); and instead of making amends, the emperor had not only rejected all the alternatives proposed by the Prophet, but had even intervened militarily to protect the murderer against the punitive expedition of the Muslims. As regards Iran, since sevral years there had been bloody skirmishes between that country and its protectorates in Arabia; certain of the tribes, inhabiting these regions had embraced Islam. The acts of aggression and repression on the part of the Iranians could no more be passed over without provoking complications on an international scale. It may be recalled that the Byzantine and the Sassanid empires constituted, at the time, the two big

their best in the presence of a king, it is all the more reason to be so in the presence of King of kings. A question may come to one's mind that eating and drinking are two natural functions practised both man and animals, why then they should form the theme of a divine command ? The answer is that the command is surely meant to lead to the limitation which followed and which was embodied in the other commands. The verse aims at forbidding excess and exaggeration in any facet of man's life.

Further more Islam calls on people to look forward to a better standard of living, to a decent and dignified life. To attain this objective one has to work more, produce more, and exercise initiative. Another example of the moderation of Islam is charity. According to the Quran charity should not lead the donor to become destitute. The Quran says :

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا .» ( الاسراء : ٢٩ ) .

(And let not thy hand be chained to thy neck nor open with a complete opening, let thou sit down rebuked, denuded) 17 : 29.

So neither be niggardly nor extravagant for then you will be overcome by grief and regret. Another verse upholding the principle of moderation, says :

« والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . » ( الفرقان : ٦٧ ).

(And those who, when they spend, are neither prodigal nor niggard; and there is ever a firm station between the two) 25 : 67. Islam follows the rules of logic and human nature when it implies that one of the two, that is the husband and wife, should be the head of the family. The husband was chosen on the basis of three principles :

Man is the protector and the maintainer of the woman because God has given him more strength and because he supports her from his means.

Man has the larger responsibility and so should have the authority. Man has the patience to cope with difficulties that might arise in this position and the responsibilities that go with it.

If Islam chose the women for this status it would be against all principles which call for right person for the right situation. It would also be in opposition to the rules of nature, and human instinct.

regulations. Addressing to those who follow the teachings of the Quran God says :

« وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » ( البقرة : ١٤٣ ) .

(Thus We have made you a moderate nation that you may witness over all nations) 2 : 143. This trait of moderation into which Muslims were moulded through Islam invests them with the power being witness among the nations of the world, for this faith combines principles and ideals in conformity with human nature.

The Quran calls upon the people to follow moderation in all aspects of life and to acknowledge of human nature. It says :

« ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر . » ( آل عمران : ١٠٤ ) .

(Let there arise out of you a nation inviting to good, enjoining what is right, and forbidding what is wrong) 3 : 104. The following Prophetical narration illustrates that the moderation in worship is not incompatible with piety and fear of God :

"Three persons came to the house of the Prophet's wives asking about his acts of worship. When they found out they said : Where do we stand in relation to the Prophet ? God has forgiven him all his sins both the early and the late ones ! One of them said : I will spend my nights in prayer. Another said : I will fast the whole year. The third said : I will never marry. When the Prophet was told about the decisions of the three persons he said : By God, non of you could be more fearful of Allah than myself. Yet I fast and break the fast; I pray part of the night and sleep the rest, and I marry. Whoever rejects my way of life does not belong to me".

This was the middle course charted by the Prophet for his people. He has thus emphasized that moderation is the method of Islamic life. Islam forbids deviation from the natural way of life, and establishes man's right to enjoy food, drink, dress, etc. within the limits that serve the interests of both body and soul. The following verses further empasizes this point :

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق . » ( الاعراف: ٣١ – ٣٢ ) .

(O ! Children of Adam, wear your best appeal at every place of prayer. Eat and drink without excess, for God loveth not those given to excess. Say : Who hath forbidden the adornment of God, and good things which God hath brought forth His Servants) 7 : 31-32.

It should be noted that the people should be nicely dressed when worshiping, for if they appear in

taketh care of all things. Vision comprehendeth Him not, but He comprehendeth (all) vision. He is the Subtile, the Aware) 6 : 101-103.

Islam takes a moderate stand between those who believe in determination and those who believe in free will, there are verses in the Quran which each one of these two schools of thought uses in order to substantiate its theory. Every person feels two things together, firstly he acts voluntarily or refraines from actions out of his own free will, secondly, circumstances may some times block the exercise of man's will, or may sometimes coincide with his will, with result that this will is carried out and realized.

Thus man's will is not over powering or the most dominating factor. His actions are subjected to a balanced system ; he has a free will which he exercises within the frame work of causes and circumstances. This idea is understood from the following verses of the Holy Quran :

« والله خلقكم وما تعملون : » ( الصافات: ٩٦ ) .

(Allah has created you and your acts) 37 : 96. Thus action belongs to man and creation belongs to Allah. And :

« ان ينصركم الله فـلا غالب لكـم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعـده . » ( آل عمران : ١٦٠ ) .

(If Allah supports you, non overcome you, but if He forsakes you, who else can help you) 3 : 160.

This explains why when embarking on a certain action, we appeal to God to guide our steps. The same spirit of moderation is evident and explicit in regulations concerning the prayer, the fasting, the almsgiving and other rites.

The Quran gives a general rule in this regard and says :

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتـدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون . » ( المـائدة : ٨٧ : ٨٨ ) .

(O you who believe, make not unlawful the good things which God has made lawful for you ; but commit no excess for God loves not those given to excess. Eat of the things which God has provided for you, lawful and good, but fear God in Whom you believe) 5 . 87-88.

The Quran forbids any attempt to deny the body the satisfaction of its natural needs, or indulge in this worldly material life completely till his soul is enslaved. This principle is based upon taking human instinct into consideration. The following Quranic verse stresses the fact that, followers of the Quran should be a model for all peoples in moderation, simplicity of dogma and ease of implementation of its

upholding both the rights of the body and the rights of the soul. To maintain a balance between the needs of each, Islam has declared adpoted moderation as the theme of all its regulations and the prevailing principle of its teachings.

Simplicity of dogma and ease of implementation constitute the principle underlying any of the Islamic regulations. As an example we can take the simplicity of belief in God and in His attributes.

The Holy Quran commended the mankind to think about the work of God while it forbids to think about His nature. Because His work is evident and is capable of being perceived by human senses as well as concieved by human mind. God's nature is beyond human minds which are accustomed to the use of standards and criteria and definition. Thus the faith in God is confined to the idea of an Almighty All-Perfect diety, without going any deeper into the details of God's nature.

In other words God urges man to think about His creations and the way He controls the world. The Quran did not tell us about the nature and reality of God but concentrates on pointing out His works and acts. The Quran says :

ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ( آل عمران : ١٩٠ ) .

(Behold, in the creation of the heavens and the earth and the rotation of night and are indeed signs for men of understanding) 3 : 190. It also says :

« فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها » ( الروم : ٥٠ ) .

(Look, at the prints of Allah's mercy, how He gives life back to the earth after her death) 30 : 50.

Describing Himself and stressing the fact that He is beyond man's mind, God says :

« وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير . » ( الأنعام : ١٨ ) .

(He is the irresistible, overtowering above His servants and He is the All-Wise and All-Known) 6 : 18.

«ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» ( الشورى : ١١ ) .

(There is nothing whatsoever like unto Him and He hears and sees everything) 42 : 11. And :

« بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم . ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير . ( الأنعام : ١٠١:١٠٢ )

(The originator of the heavens and the earth ! How can He have a child, when there is for Him no consort, when He created all things and is Aware of all things ? Such is Allah your Lord. There is no God save Him, the Creator of all things, so worship Him. And He

# MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

| RABÎ' THANI 1394 | ENGLISH SECTION | MAY 1974 |
|---|---|---|

## MODERATION OF THE ISLAMIC REGULATIONS

*By*

DR. MOHIADDIN ALWAYE

God has invested man with body and soul so that he may appreciate materialist things as well as moral values. Having been created in this dual content, material and spiritual, man's instincts and emotions ought then to be rightly recognised. We have to admit that man is full of the desire to eat, drink, dress, marry, move about, to be moved by friendship and enmity. If man was created in purely material guise, lacking in spiritual capacities and moral values, he would have been no better than the animals. Life, therefore, would have been an ocean of dark materialism unpierced by any ray of light from mind or soul which is the true significance of the humanity.

Since for life on this planet to flourish, it was necessary that man should have this duality in nature. Man must be material because the universe is material and were its inhabitants spiritual they would be out of place. Man cannot be told to abstain permanently from the good things of life since he was created to enjoy them. He cannot be asked to lead a solitary life when he is instinctly social. It would be unnatural to command him to set aside his mind and take everything for granted, for he was granted his mind by God Himself to use.

To order man to go against his nature is impossible and we cannot arrest human activity and block its attainment of cherished goals. Thus Islam has recognised human instinct in all its ordinances, whether in dealing with dogma itself or with regard to morals and rites. Islam aims at regulating the human nature and training of its instincts. In order to attain this goal Islam strikes a happy mean


مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي
مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الخامس — السنة السادسة والأربعون — رجب سنة ١٣٩٤هـ — أغسطس سنة ١٩٧٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

# العمل .. والثواب

للأستاذ عبد الرحيم فودة

لا شك أن العمل هو مظهر اليقظة والقوة والاحساس بالحياة وقيمتها ، وأنه القيمة العظيمة التي نرى أثرها في كل ما تقع عليه الأعين من مظاهر العمارة والحضارة على هذه الأرض ، وفي كل ما وصل اليه الانسان من تقدم في مختلف العلوم والفنون والصناعات ، ولولا العمل الانساني ما كانت هذه الحضارة وما كان هذا التقدم الهائل في وسائل الحياة ، وذلك — دون شك — مما تفسر به حكمة الله في ايثار الانسان على غيره بالخلافة في الأرض ؛ كما يفهم من قوله تعالى : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، فان ذلك يفهم منه

أن الانسان بما أودع الله فيه من عقل كاشف يضيء له سبيل العلم والمعرفة ، وما زوده به من قوى ومواهب وملكات ، وما ركز فى طبعه وفطرته من نزوع دائم الى حياة أطيب .. وجوع مستمر الى الكمال .. وشعور متصل بحاجات تدفعه الى العمل وتحث اليه خطاه ... هو - دون غيره - الخليق بأن يكون خليفة فى الأرض ليستثمرها ويستعمرها، وينتفع بما أودع الله فيها من طيبات وخيرات .

فالعمل هو قيمته وشرفه وكرامته ، ودليل شعوره بالحياة ، وهو وسيلته الى تحقيق ما يطمح اليه من خير ، وما يرجوه من فضل ، ومن ثم أمره الله به ، وبين أن الحياة هى الفرصة الوحيدة الفريدة التى يختبر فيها نشاطه وعمله ، كما يفهم من قوله تعالى : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » وقوله : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » وقوله : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

فالعمل الصالح فى هذه الحياة مطلوب لها ولما بعدها من حياة أخرى كبرى : « يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » كما يفهم من قوله تعالى : « وأن ليس للانسان الا ماسعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى » .

ومعنى العمل الصالح يسع كل ما يحقق الخير والمصلحة ، سواء كان عقليا أو بدنيا ، وهو دليل صدق الايمان كما يفهم من قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » ، ثم هو الشرف الذى لا يرقى اليه شرف الحسب والنسب كما يفهم من قول الله : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « الناس سواسية كأسنان المشط ليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى » .

ومن طريف ما يذكر بهذا الصدد ما جاء فى تفسير الامام الرازى من أن بعض الأشراف فى خراسان كان فاسقا لم يحافظ على شرف نسبه وانتمائه الى الامام على كرم الله وجهه ، ثم رأى

ذات يوم رجلا أسود اللون يحيط به الناس لعلمه ، ويتبركون به لصلاحه ، ويجلونه لتقواه ، فغاظه أن يجد نفسه حيث كان ويجد هـذا الرجل حيث يراه ويراه الناس ، من سمو المكانة والمنزلة والجلال ، فاقتحم الجمـع اليه ، ثم أمسك به وتطاول عليه ، وقال فيما قال : يا أسـود الحوافر والشوافر يا ابن الكفر ابن الكافر ، أنا ابن رسول الله ، أذل وتجل ، وأذم وتكرم ، وأهان وتعان ، فثـار المجتمعون به وقاموا اليـه ليضربوه ، فمنعهم الشيخ من ضربه ، وذكرهم بجده ، ثم اتجه اليه وقال : ولكن أيها الشريف ، بيضت باطنى وسودت باطنك ، فيرى الناس بيـاض باطنى فوق سواد وجهى فحسنت ، وأخذت أنا سيرة أبيك وأخذت أنت سيرة أبى ، فرآنى الخلق فى سيرة أبيك ، ورأوك فى سـيرة أبى ، فظنونى ابن أبيك ، وظنوك ابن أبى ، فعملوا معك ما يعمل مع أبى ، وعملوا معى ما يعمل مع أبيك ، وبهذا المنطق أفحمه وأخزاه ، وكشف له وللناس أن شرف العمل يرفع العامل الى درجة أعلى من شرف النسب •

هذا هو العمل وقيمتـه من واقع الدين وواقع الحياة ، أما الثواب عليه ـ وهـو الجزاء والعطـاء ـ فهو من الحقائق التى لا يرقى اليها الشك ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا يظلم المؤمن حسنة ، يعطى بها فى الدنيا ، ويثاب عليها فى الآخرة »، وقال تعالى : « ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيمـا » ، وقال جـل شأنه : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسـيئة فلا يجزى الا مثلهـا وهم لا يظلمون » ومعنى الحسنة يسع كل ما هو حسن من قول أو فعـل أو نية تكمن وراء القـول والفعل ، وقد رتب الله الحياة الطيبة فى الدنيا والجزاء الحسن فى الآخرة على الايمان والعمل الصالح حيث قال سبحانه : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ؟

**عبد الرحيم فودة**

# الاستناد الى الايمان والاستباق للتقدم

للأستاذ أحمد موسى سالم

## الدين والذاكرة

فقدان الذاكرة التاريخية فى حياة الأمم هو فقدان الطريق الى المستقبل • الذاكـــرة هى الحشـــد الواعى من المعلومات والخرائط والوصـــايا عن دروس الماضى وتجاربه • وحالة التذكر هى حالة الادراك للقانون العام الذى يحكم هذه الدروس، ويعبر عن المعرفة اليقينية المستخلصة منها • فالأمة فى حالة التذكر تصـحو لتتجدد وتنمـو وتعيد حياتها وفق عقيدتها الســـليمة المستخلصة من مقـــررات ومبـادىء حياتها المـاضية •

ان الأمم بقوة ذاكرتها تصحو باتجاه المستقبل وهى واعية فى ضوء ذاكرتها للطريق الذى تختاره ، وللهـــدف الذى تستبق اليـه • انها فى هـــذه الصـــحوة تختلج بنشـوة التكـرار والتجدد، وميلاد أجيال جديدة تنهض بمهام وأهداف الحياة الجديدة •

انها تنطلق فى هذه الصحوة عابرة بمخططات مستقبلها الوشيك وأهدافه وصوره على جسر معلق فوق لحظـة الحاضر المتغيرة ••• جسر يربط بين الذاكرة والمستقبل ••• بين الأصــلة والعصرية ••• بين التراث والتقـدم ••• بين عقيدتها وبين الالتزام الذى تفرضه هذه العقيدة بتطوير الحيــاة الى ما هو أفضل •

والأمة العربية فى تاريخها الطويل حافظت على حياتها بغير انقطاع ، وعلى سـيرها المتجدد نحو المستقبل ، بسبب هذه الوسائل التى أتيحت لها للمحافظة على ذاكرتها • لقد كانت بوضعهـــا الجغـرافى والتـاريخى فى المركـز المتوسط من العالم عظيمة التأثير منذ فجر التاريخ عليه • لقد كانت مهـدا

للدين الالهى ، ومستقرا للشرائع والكتب التى أوحى بها الله اليهــا ، لتتذكر كلما نسيت ، ولتتنبه كلمــا غفلت • لقد كانت هذه الرسالات الصادعة من الله هى التى تردها كلما تذكرت وانتبهت لتصحح طريقهــا ، وتعدل مسارها •••

لقد كانت هذه الدعوات والرسالات تظهــــر فى كتب وشرائع ووصـايا وأحداث متتابعة ومتسقة ومتكاملة وغير مختلفة •• فكانت باتساقها وتكاملهــا وانتشار أخبارها وآياتها ، ورسـوخ ذلك فى ذاكرة الأمة بالنظر والاتبـاع والعمل، وبالجدل حول الفهم المتجدد، والنظر المستحدث ، تأكيدا مســـتمرا لهذا الايمان الخالص بمصدرها وهو اللــه • وكان الايمـــان بدوره هو الشمس التى تشرق دواما على ذاكرة الأمة العربية فتضىء أجزاءها وتفاصيلها ومعالمها وهى تتحرك فى ضوئها بغير انقطاع فى اتجاه واحد ••• اتجـــاه الطريق الذى يقود الى الله ، والمجتمع الذى تبنيه شريعة الله •

**وثيقة أكتوبر**

وفى هذا العصر بعد تخلف طويل لم تفقد فيه الأمة العربية ذاكرتها ، وبعد صراع مرير مع أعدائها لم تفقد فيه يقينها بالله ، أو ثقتهـا بالنصر ، تصل الى منعطف فى تاريخها تنفتح فيه كل الطرق لتحقيق آمالها،وتتسع لتجديد حياتها ، بهذه الصيغة الخاصة بها ، والتى ظلت تتدفق ملء ذاكرتها، وعبر ماضيها، وهى تبحث عن التحقيق والتجديد •

فى هذا المنعطف تبرز مواجهة الأمة العربية لمستقبلها بكل آماله ، وللتقدم الذى تنشده بكل مناهجه • هنا تظهر الحاجة الى تحول الشعور والصـور والاشارات التى تحملها الذاكرة الى معقـولات وعلـوم وحقائق ومنـاهج يجسدها الواقع ، فى هذه الخـــطوة الحاسمة التى يعبر فيها المـاضى فى اقترابه الشديد الينا « لحظة الحاضر » لكى يصنع من هذا العبور الدائم فجر المستقبل •••

ان وثيقة أكتوبر تتحدث من أجل ذلك عن حاجة الأمم فى تقدمها الى وعى تاريخها المتصل الحلقات ، حيث عبر الحاضر يولد المستقبل من الماضى ميلادا نشطا ومتوازنا ومتلاحقا • وفى تاريخ أمتنا العربية ـ وهذا هو الدرس الأول لقصة حياتها الطويلة ـ نكتشف

أن ايقـــاع الاستمرار والتـــوازن والتلاحق لم ينقطع أو يهتز فى مراحل حياتها المتجددة ، وحلقات تاريخهـــا المتصلة ، استنادا الى العنـاصر الثلاثة التى امتدت واتحدت فى مجـــراها الحضارى منذ فجر التاريخ بغـــير وهن أو انقطاع وهى : اللغة والدين والتاريخ •

ان هــذه العناصر الثلاثة بالنسبة للأمة العربية هى اللبنات الأساسية لصرح وجودها الذى لا يندثر ، انها المقومات التى حفظت ولا تزال تحفظ حياة شعبها • وهى بهذا النســيج المتميز الذى تشكل به خصائص هذا الشعب فتجعله معقما ضد اليأس ، أو فقدان الذات ، أو خرف الشيخوخة ، تصنع هويته المشعة والباقيـــة له حتى هذا العصر • هذه « الهـوية » التى تحصنت بها الأمة العربية ضد ضربات أعدائها الكثيرين ، والتى بقيت لهـــا لتتحصن بها على خصائصها فى مرحلة انفتاحها الجديد على العالم فى خضم آثار الثورة التكنولوجيـة فى العصر الحديث •

ان وثيقة أكتوبر تبرز هذه الصورة الدقيقـة عن تشـابك المخاطر والآمال على طريق المرحلة الجديدة التى يتحتم على شعبنا أن يقطعها الى التقدم فى عالم اليوم• انها تبرز هذه الصورة على هذا الوجه من الدقة وهى ترسم مخـاطر هذا العصر فى لحظة عبورنا المتخيلة لها فتقول :

« ان من أبـرز آثار الثـــورة التكنولوجية فى عالم اليوم ذلك التقدم الهـــائل فى وسـائل نقـل الأفكار والمعلومات والتيارات وأنماط السلوك المختلفة ، عبر الحدود القومية لكـل المجتمعات الانســانية على السواء ، وبالتـالى سقطت الحـواجز القديمـة العازلة بين بيئة وبيئة أخـــرى ، وبين مجتمع ومجتمع • وفى وجه هـــذا المجتمـع الثورى المتزايد لا يمكن أن تكون حصانتنا ازاء هـذا الانفتـــاح والاتصال الا من داخلنا ، ولا يمكن الحفاظ على « هويتنـا » بالانكمـاش والجمود والضعف ، ولكن بدرجـة « التقـدم » التى نحرزها ، بالأسلوب السليم الذى يستمد حيويته من قدرتنا على التجـديد ، وثباته من تمســكنا بالأصالة » •

**اللغة نهر الأصالة**

اننا بذلك مطالبون بأن نزيد من تأكيد « هويتنا » وذلك باستيضاح الأصالة فى حياتنا ، واستحضار واع لعناصرها ، ومن ثم فاننا مطالبون ونحن نقتحم طرق ومسالك عالم اليوم أن نكون بقوة هذه الأصالة وفى حصانتها أقدر على اجتياز مخاطر هذه الطرق ، وعلى استبانة أفضل الوسائل لاختراق هذه المسالك ، آمنين من العثار ، أو من التيه ، أو من الردة التى تنتهى بالرجعة الى وراء •

فى هذا الاستحضار للأصالة العربية وعناصرها نجد أن اللغة ـ لغتنا العربية الحية من آلاف السنين ـ كانت النهر العذب الذى فاضت من مجراه ومن روافده جميع الأصوات والمعانى المميزة لحضارتنا العربية الاسلامية باتجاه كل مكان فى هذا العالم •

انه لم يكن من الممكن قط أن يكون هناك عصر تنوير اسلامى للعالم بغير هذه اللغة التى كانت القوة الفعالة وراء قوة الدعوة الاسلامية على اجتياز وتحقيق الانتصارات الآتية :

١ ـ وحدة القبائل العربية تحت لواء القرآن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم •

٢ ـ وحدة الأمة العربية تحت شريعة الاسلام على عهد عمر بن الخطاب •

٣ ـ وحدة الصوت الحضارى الذى ارتفع بوعى جديد منبثق من الدين والاسلام باتجاه كل شعوب الأرض التى اتجهت خلال أكثر من عشرة قرون الى تعلم أساسيات الحياة فى أعظم انجازاتها الاسلامية مكتوبة بكلمات عربية واضحة ومعبرة وخالدة •

ولكن الأمة العربية اليوم وهى تقاتل عن وحدتها وعن مقوماتها تلاحظ أن جهودها لاحباط الحرب العدوانية ـ الاستعمارية والصهيونية ـ على لغتها لا تزال دون القدر الكافى لحماية هذه اللغة من ملاحقة الأعداء ، وكثرة الأعباء ، وسرعة العصر •

ان هذه اللغة الكريمة على نفسها ، والخالدة بالقرآن ، لاتزال ـ كما يبدو ـ تقاتل وحدها عن حياتها ، بينما ـ وهى تلخص حياتنا وتحمل مستقبلنا ـ تحتاج الى المزيد من جهدنا لتنميتها وشد أزرها ، والاعتزاز بها ،

وذلك بالتخطيط الجاد لرفع مستوى تدريسها ، وتعميم هذا التدريس فى كل مراحل التعليم والعناية بتصحيح النطق بها ، وايقاف عملية التآكل البشعة التى تسرى الى بعض حروفها الناصعة والمميزة مثل : الجيم والصاد والضاد والطاء والظاء والقاف ، كما يسرى السوس الى أسنان الأطفال .

## مسئولية الأزهر

اننا ننظر حولنا لنستشرف ساحة الانفتاح على عصر جديد فنجد اهتمام البعض يتزايد بتـــدريس اللغـــات الأجنبية . ولقد نشط منذ أعوام قسم اللغة الانجليزية بالجامعة الأمريكية الى الحد الـذى استوعب فيه تيار تعلمها أكثر فئات المجتمع . وهذا حسن ، ولكن الأحسن منه أن يجد المصريون ممن أتموا التعليم ، أو ممن لا يزالون فى بعض مراحله فرصة كاملة كهذه الفرصة ليتعلموا لغتهم العربية تعلم اجادة وتفوق .

حدثنى صديق طبيب هو الدكتور صلاح فهمى مدير أحد مستشفيات القاهرة ـ قال: « لقد أعطت زوجتى فرصة تحسين اللغة الانجليزية بالجامعة الأمريكية ، وهى الآن توشك أن تبلغ مستوى قدرتى على استخدامها ولكنى بحاجة شديدة الى تحسين لغتى العربية لأتكلم بها ، ولأكتب بطريقة أفضل . وكذلك لأستطيع القراءة اليومية للقرآن الكريم قراءة فهم يزداد به ايمانى ، وتمتد به ثقافتى الدينية الى غيرى ... فأين أجد فى القاهرة عاصمة العروبة هذا المعهد المتخصص الذى يقدم للراغبين فرصة الارتفاع بمستوى لغتهم العربية القومية بالصورة الجادة والمغرية التى تقدمها الجامعة الأمريكية فى خدمة اللغة الانجليزية ... ومن المسئول عن تحقيق هذا الهدف القومى العظيم ! ؟ »

قلت لصديقى : ان هذه قضية أساسية تستحق الملاحقة . وأما المسئولية فهى مسئوليتنا جميعا . مسئولية الصمت والتواكل . ولكن مع اليقظة ، ومع تباشير الفجر الجديد ، ومع الحاجة الى بناء الانســـان المصرى العربى بناء يؤهله لحمل أعباء المرحلة الجديدة ، مرحلة تشييد الحضارة الشاملة التى تقوم قوة الانطلاق بها على التلازم بين الأصالة والعصرية ... والتراث والتقدم ... والدين والحضارة ـ فان جامعة الأزهر تعد مسئولة عن الوفاء

بهذا المطلب القومى بتيسير تعليم اللغة العربية ، والارتفاع بمستوى النطق والاستخدام لها فى كل المجالات الحيوية .

فالأزهر قبل غيره هو الذى يدرك مايدرك مدى ارتباط حياة هذا الشعب بعقيدته . والأزهر قبل غيره يدرك أن هذه اللغة التى عشنا على نهرها أكثر من عشرة آلاف سنة هى اتساع التاريخ المسجل لوطننا العربى ـ قد تعمق مجراها ، واكتملت أصواتها ومعانيها بنزول القرآن الكريم ، وأنها أصبحت بذلك مصدر القوة والاستمرار والانتصار لشعبنا المؤمن فى كل مراحل حياته .

كما أن الأزهر هو الذى يملك الى جانب ادراكه الواعى والمسئول لأهمية اللغة العربية فى حياة شعبنا جميع الوسائل التى تساعد على الارتفاع بمستوى اللغة العربية ، لغة القرآن، بين جميع فئات الشعب ، والتى تستطيع بأيسر الجهود ومع الاقبال الشعبى العظيم أن تستعيد لشعبنا لغته فى أشد مراحل تاريخه ، ومنعطفات تقدمه ، حاجة اليها .

**الدين القيم**

والاهتمام البالغ باللغة العربية يدفع فى مثل هدفنا العظيم فى مرحلة التقدم الى الاهتمام بالتاريخ الاسلامى الذى تحكى به اللغة أحداث الماضى وتكشف عن الدروس والتجارب فى مراحل القوة والضعف . فلقد كان عبث الاستعماريين وصنائعهم من المستشرقين أو المستعربين بهذا التاريخ متجاوزا كل حد .

لقد قلب الأجراء من المستشرقين تاريخنا الاسلامى رأسا على عقب ليجعلوا من أمجاد الأمة العربية مثالب ونقائص يوصمون بها اليوم أمام أبنائهم ليزعزعوامن انتمائهم الطبيعى لهذه الأمة ، وليظهروا أعمال أعدائهم من الجهلة والزنادقة واللصوص فى أثواب الأبطال والمصلحين والقدوة الحسنة !

ان مثل هذا التاريخ المشوه ينبغى تصحيحه ، ووقاية الأجيال العربية من الوقوع فى حبائله ، ومن الصدمات النفسية به . لقد أصبح من المحتم مع

ضرورة احياء اللغة العربية الفصحى اعادة كتابة التاريخ الاسلامى بالأمانة التى يقتضيها العلم ، ويوجبها تجنب الضربات المسـددة للأمة العربية فى التاريخ المكذوب الذى جعل فيه أعداء الشعب العربى من أنفسهم قضاة على أحـــداثه ، يفسرونهـا بالهـــوى ، ويطمســـون حقائقهـــا بالجهـــل ، ويستنبطون الأحـــكام منها بالتدليس والحقد . ثم يذيعون ذلك بالوســائل الخسيسة ، وعلى أوسع نطاق ، لاشاعة اليأس فى نفوس أبناء هذه الأمة ، فى اللحظة التى ينفرج فيها أمامهم طريق صاعد الى استعادة القوة والوحـــدة والحياة ...

ولـما كان مصدر الفهم الســليم للتـاريخ الاســـلامى هو بذاته الفهم الصحيح لعقيدة الاسـلام ، والادراك المنزه عن الخرافات لحقائق الايمان ، فان العلم بالدين هو المجال الأوسـع لعمل اللغة فى تقوية النسيج الاجتماعى للأمة ، ولعمل التاريخ الاسـلامى فى اضـاءته لطرقهـــا كلما احتاجت الى الانتفاع بدروس الماضى وتجاربه .

انه من هـذا الدين القيم تعـــود للأمة ذاكرتها ، وبه تجتمع عنـــاصر قوتهـــا ، واليه تنقاد طرقها وآمالهـــا وغاياتها ، كلما استندت به الى الايمان ، واستبقت منـه الى التقـدم . واللـه سبحانه وتعالى يقول أمرا وذكرا للنبى صلى الله عليه وسلم ، ولكل مؤمن ، ولمجتمع المؤمنين فى كل زمان ومكان :

« فأقم وجهك للدين حنيفا فطـرة الله التى فطر الناس عليهـا لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » .

**احمد موسى سالم**

# دراسات قرآنية :

# التزين للصلاة والقصد في المطاعم

للأستاذ مصطفى محمد الطير

قال تعالى :

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » الأعراف : ص ٣١ .

## البيان

سبب نزول هذه الآية على ما روى عن ابن عباس أنه : كان أناس من الأعراب يطوفون بالبيت عراة حتى النساء ، فنزلت الآية ليستتروا ـ وجاء فى خطبة حجة الوداع أنه صلى الله عليه وسلم نهى أن يطوف بالبيت عريان بعد حجة الوداع .

وكما نزلت الآية الكريمة لذلك ، نزلت لابطال ما كان عليه أهل الجاهلية ، من تحريم الدسم وما زاد على القوت الضرورى أيام حجهم تعظيما له .

فاذا أخذنا بما ذكر من سبب النزول ، يكون المقصود من أخذ الزينة عند كل مسجد ستر العورة عند أداء الطاعة ، صلاة كانت أو طوافا ، والى هذا ذهب ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، كما يكون المقصود من قوله تعالى : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » اباحة الطعام والشراب أثناء أداء الحج فى غير اسراف ، وأن لا يحرم الحجاج على أنفسهم الدسم وما زاد على الضرورى ، كما كان يفعل أهل الجاهلية ، ما دام ذلك فى حدود القصد وعدم الاسراف .

ولكن الجمهور يرون فى الآية غير ما تقدم ، فيجعلون الجزء الأول منها خاصا بالصلاة ، ويرون أن حكم وجوب ستر العورة فى الطواف ، مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم:

« ولا يطوف بالبيت عريان » ومن قياس الطواف على الصلاة فى وجوب ستر العورة فيها .

أما الجزء الثانى فهو أدب عام فى الطعام والشراب ، فى الحج وغـيره ، وسنشرح الآية وفقا لرأى الجمهـور فيما يلى :

المراد من المسـجد مكان الصـلاة بصفة عامة ، سواء أكان موقوفا على ذلك كالمساجد المعروفة ، أم كان فى البيت أو الفضاء أو غيرهما .

ومعنى الجزء الأول من الآية على هـذا الرأى : يا بنى آدم تجملـوا بزينتكم فى كل مصلى، اجلالا لربكم.

والآية على هـذا التأويل ، نزلت للحث على التجمل بلباس الزينـة فى الصلاة ، تعظيما لله تعالى الذى يقف المصلى بين يديه ، فهو سبحانه أحق بذلك من الملوك والرؤساء ، الذين يتجمل الناس للوقوف بين أيديهم .

وقد أخذ بهذا الرأى جماعة ، منهم الحسن بن على رضى الله عنهما ، اذ كان يلبس أجـود ثيابه اذا قـام الى الصلاة ، ويقول : ان الله جميل يحب الجمال ، فأنا أتجمل لربى ، وهو يقول « خذوا زينتكم عند كل مسجد » .

والأمر بذلك للندب ، اذ الواجب ستر العورة فى الصلاة بأى سـاتر ، وما عداه فهو سنة والزينة شاملة للثياب الجميلة والتمشط والتطيب ، وغـير ذلك مما جاء فى السنة أو شمله عموم اللفظ مما لا اسراف فيه .

يقـول أصـحاب هـذا الرأى : لو كان المقصـــود من الآيـة ستر العورة لقيل:خذوا ثيابكم أو استروا سوءاتكم عند كل مسجد ، وبمـا أنه طلب فى الآية أخذ الزينة ، فذلك أمر تجاوز طلب الستر الى ما هو أكمل منه ، وهو التجمـل ، فمن تجمـل بالثيـــاب فقـد سـتر عـورته وزاد التجميل .

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين »

أى وكلوا واشربوا مما طاب لكم ، ولا تسرفوا بتجـاوز الحـــلال الى الحرام ، أو بتحريم الحلال ، كمـا حرم أهل الجاهلية الدسم وما زاد على القوت الضرورى أيام حجهم تعظيمـا له ، وقد تقدم بيـان ذلك فى سبب النزول ، أو بالافـراط والشره فى الطعـام والشراب ، فـان فى ذلك أضرارا كثيرة .

أخرج أبو نعيم فى الحلية ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : ( اياكم والبطنة من الطعام والشراب ، فانها مفسدة للجسد ، مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة ، وعليكم بالقصد فيهما ، فانه أصلح للجسد ، وأبعد عن السرف ، وان الله ليبغض الحبر السمين ، وان الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه ) .

وقال ابن عباس : أحل الله فى هذه الآية الأكل والشرب ، ما لم يكن سرفا أو مخيلة(١) فأما ما تدعو اليه الحاجة ـ وهو ما سد الجوعة وسكن الظمأ ـ فمندوب اليه عقلا وشرعا ، لما فيه من حفظ النفس ، وحراسة الحواس ، ولذلك ورد الشرع بالنهى عن الوصال ، لأنه يضعف الجسد ، ويميت النفس ، ويضعف عن العبادة ، وذلك يمنع منه الشرع ، ويدفعه العقل ، وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة ، حظ من بر ، ولا نصيب من زهد ، لأن ما حرمها من فعل الطاعة بالعجز والضعف ، أكثر ثوابا وأعظم أجرا .

ولقد أجمع الأطباء قديما وحديثا ، على ان المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ، وأن الدواء قلما ينفع مع عدم الحمية ، وكثيرا ما اعتمد حكماء الهند على حمية المريض أياما ، فيصح جسمه بدون علاج آخر .

ولقد اختلف فى القدر الزائد عن الحاجة ، فقيل حرام ، وقيل مكروه : قال ابن العربى : وهو الصحيح ، وقدر الشبع يختلف باختلاف البلدان والزمان والسن والأشخاص .

وبالجملة فالأفضل التقليل من الطعام فان فيه السلامة ، قال صلى الله عليه وسلم : « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطن ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » . خرجه الترمذى من حديث المقداد ابن معديكرب .

قال بعض العلماء : لو سمع بقراط هذه القسمة ، لعجب من هذه الحكمة ، واعلم أن الأكل الكثير يورث التخمة ونتن الفم ، والجشاء لتخمر الطعام وفساده ، وذلك يستتبع شتى العلل ، وقد يموت المرء بسكة قلبية ، بسبب

---

(١) المخيلة : الكبر .

امتلاء بطنه وضغطه على القلب ، فلذا ينبغي اتباع هذا الطب النبوى لتجنب المعاطب .

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم القصدفى الطعام من شيمةالمؤمن الصادق الايمـان ، أما الاستكثار منه فمن شيمة الـكافر ، فان همه دنياه ، أما هم المؤمن فهـــو العمل لأخراه ، لا اتخام معدته بالطعام ، قال صلى الله عليه وسلم : « الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، والمؤمن يأكل فى معى واحد » أخرجه مسلم عن ابن عمر ، والمراد من كون الـكافر يأكل فى ســـبعة أمعاء ، أن من شأنه المبالغة فى شره الطعام كأنما يأكل فى سبعة أمعاء ، فان الأمعاء واحـــدة فى كل من المسلم والـكافر ، فلا يصح أن يكون الغرض من كونها سبعة سوى ما ذكرنا .

وكانت العرب تمـدح بقلة الأكل وتذم بكثرته ، قال قائلهم :

تكفيـــه فلذة كبـد ان ألم بهـا
من الشواء ويروى شربه الغمر(١)

وقال حاتم الطائى يذم كثرة الأكل

فانك ان أعطيت بطنك سؤله
وفرجك نالامنتهى الذم أجمعا

ومن الحكم : معالجـــــة المريض نصفان ، نصف دواء ونصف حمية ، فان اجتمعا صح المريض وبرأ .

وقد جمعت هـــذه الآية وجـوه البلاغة وأصول الأحكام على قصرها ، باشتمالها على الأمر والنهى والاباحة والخبر ، كما جمعت الطب والحكمة فى نصفها .

واعلم أن بعض العلماء ذهب الى أن النهى عن الاسراف يشمل اللباس أيضا ، وهو رأى عكرمة وابن عباس ، فقد أخرج ابن أبى شـــيبة ، وكذا البخارى تعليقا عنـه أنه قال : « كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان : شرف ومخيلة » .

« انه لا يحب المسرفين » .
أى لا يرضى عن اسرافهم .

---

(١) هذا البيت لأعشى باهلة ، من قصيدة يرثى أخاه ، وهو يمدحه فيه بقلة الأكل والشرب ، والغمر بضم الغين وفتح الميم : القدح الصغير .

**حكم مفيدة**

قال لقمان لابنه : يابنى لا تأكل شبعا فوق شبع ، فانك ان تنبذه للكلب خير من أن تأكله :

وسأل سمرة بن جندب عن ابنه مافعل ؟ قالوا أبشم(١) البارحة ، قال: بشم ؟ فقالوا : نعم ، قال : أما أنه لو مات ما صليت عليه ـ كأنه يرى أن كثرة الأكل فى حكم الانتحار ، فلا يصلى على من مات بذلك ، وروى أسد بن موسى من حديث عون بن أبى جحيفة : « فان أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة » فما أكل أبى جحيفة بملء بطنه حتى فارق الدنيا، وكان اذا تغذى لا يتعشى واذا تعشى لا يتغذى ،

**من آداب الطعام :**

يستحب غسل اليد قبل الطعام وبعده ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « الوضوء قبل الطعام وبعده بركة » والمقصود من الوضوء غسل اليدين ، كما يستحب أن تأكل بيمينك .

ويستحب أيضا أن لا تأكل من الطعام الحار ، فانه يؤذى الجهاز الهضمى ، فعليك أن تنتظر حتى يبرد، قال صلى الله عليه وسلم : « أبردوا بالطعام فان الحار غير ذى بركة » روته الصحاح ، ويستحب أن يصغر اللقمة ويكثر مضغها لئلا يعد شرها ، وأن يسمى الله تعالى فى أوله ويحمده فى آخره ، ولا ينبغى أن يرفع صوته بالحمد لله ، الا أن يكون جلساؤه قد فرغوا من الأكل ، لأن فى رفع الصوت منعا لهم من الأكل ، وفى هذا القدر كفاية ، والله تعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .؟

**مصطفى محمد الطير**

---

(١) اى اصيب بالتخمة من الطعام .

# موقف الإسلام من الغيرة

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : قال سعد بن عبادة : لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تعجبون من غيرة سعد ؟ والله لأنا أغير منه ، والله أغير منى ، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب اليه العذر من الله ، من أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب اليه المدحة من الله ، من أجل ذلك وعد الجنة • أخرجه البخارى •

قبل أن نأخذ فى شرح الحديث ينبغى أن نفسر ما جاء فيه من الغريب ليسير القارىء على بصيرة من معانيه • فقوله : غير مصفح بضم الميم وسكون الصاد وفتح الفاء وكسرها : يعنى غير ضارب بعرضه بل أضرب بحده ليكون ذلك أمكن فى قتله ، وصفحتا السيف ؛ وجهاه العريضان • والغيرة تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص ، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين ، وغيرة الله : زجره عن الفواحش وتحريمه اياها ومنعه منها ، والفواحش كل ما اشتد قبحه من الذنوب والمعاصى من الأفعال والأقوال ، والظاهر ما أعلن والباطن ما أخفى منه ، وقيل انهما ما اكتسب بالجوارح وما اكتسب بالقلوب • لقد تضمن الحديث قضايا من الأحكام وأسرار التشريع تتصل بموضوع ما ركز فى الفطرة الانسانية من خلائق وبموضوع حكمة الله فى ارسال الرسل وبحب الله المدح والتنزيه ، ففيما يتصل بالفطرة الانسانية تعرض الحديث لموضوع الغيرة ، والغيرة مركوزة فى الفطرة الحيوانية فيغار الانسان ويغار الحيوان كما يغار الانسان ، الا أن التحكم أو امكان التحكم فى الغيرة خصيصة

انسانية ، والغيرة خصلة محمودة اذا وقفت عند حدودها ، فغيرة الانسان على ما يختص به ويملكه بطريق مشروع من زوج أو مال أو متاع ، أى أنفته وحميته عليه ودفعه عنه جهد طاقته ولو كلفه نفسه ودمه تصرف مشروع ، وعمل محمود ، والذى لا يحمد من الغيرة هو الغيرة على ما يملك بطريق الغصب والتعدى أو الغيرة فى غير ريبة .

والغيرة عامل من عوامل استقرار الأمن وصيانة الحقوق ، لذا أقرتها الشرائع فى حدودها وحمدها الناس. وقد ورد فى الحديث : غيرتان ، احداهما يحبها الله عز وجل ، والأخرى يبغضها الله عز وجل ، الغيرة فى الريبة يحبها الله والغيرة فى غيرها يبغضها الله. يعنى أن الغيرة عند الشك فى السوء ، والاحتياط لدفعه اتقاء لأذاه يحبها الله ، أما الغيرة فى غير الريبة فانها مبغضة عند الله ، لأنها تقلق النفس وتبلبل الخاطر ، وقد تدفع الى المخاطرة وارتكاب الخطأ ، والمبالغة فى الغيرة والاسراف فيها مجلبة الملامة والمؤاخذة ، الا أنها قد تجد من يعذر فيها اذا كانت فى أمر خطر يمس الحرمات والأعراض كالتعرض للأهل بالسوء فلو رأى الزوج المنكر فى أهله ولم يستطع ضبط نفسه فقتل ذلك الفاسق لم يكن ذلك عجبا منه ولم يكن أهلا للوم الموجع كما هو ظاهر قول سعد فى الحديث : لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح ، فتعجب منه صحابة الرسول ورأوا أن الأمر يقتضى الرجوع الى الرسول فرجعوا اليه واستفسروه فيه فقال لهم : لا تعجبوا من غيرة سعد ، فأنا أغير منه فى الحرمات ، والله أغير منا فيها ، ولقد فهم الفقهاء من عبارة سعد وظاهر رضا الرسول بما فعله ، أن الرجل اذا قتل من فسق بأهله فلا يقتص منه ، الا أنهم اشترطوا وقوع ذلك الفعل منه تاكيدا حتى لا يتخوض الناس فى هذا الشأن واذا كانت الغيرة محمودة من عوام الناس فهى من خواصهم أشد حمدا وأقوى طلبا لذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله أشد غيرة ، ومجال الغيرة فى الأنبياء أوسع فهم يغارون على حرماتهم وعلى حرمات الله ، والله أشد من الجميع غيرة على حرماته

أن تنتهك أو يعتدى عليها ، وحرماته هى تكاليفه التى رسمها لخلقـــه فى اكتبه وعلى ألسنة رسله وكلفهم تبليغها والاشراف على تنفيذها وتبشـــير من يؤمن بها ويؤديها على وجهها بالثواب والرضا ، وانذار من يخالفها بغضبه وعذابه •

ان الاسلام قدر الغيرة فى الفطرة وقدر ما تدعو اليه من دفاع عن الحرم وما عسى تبعث اليه من انتقام • وعذر الغيور فيما يواجه به المعتدى ، وقد أسلفنا أن الفقهاء قرروا أنه لاقصاص على من قتل من فسق بأهله فقتله بل زاد الاســـــلام على ذلك بأن وعده بالمثوبة ان قتـل وجعله من الشهداء الذين وضـعهم الله فى أعلى منازل المؤمنين يوم القيامة وألحق به من قتل دون دينه أو دمه أو ماله كما جاء فى حـــديث رواه أبو داود وغيره من أصحاب السنن قال : من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله أو دون دمه أو دون دينه فهو شهيد • لأن المؤمن باسلامه محترم ذاتا ودما وأهلا ومالا ، فاذا أريد منه شىء من ذلك جاز له الدفع أو وجب على الخلاف فى ذلك فاذا أدى قتاله الى قتله فهو هدر • قال : الامام الخطابى فى معالم السنن تعليقا على هذا الحديث : قد ندب الله سـبحانه فى غير آية من كتابه الى التعرض للشهادة واذا سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا شهيدا فقد دل ذلك على أن من دافع عن ماله أو عن أهله أو دينه اذا أريد على شىء منها فأتى القتل عليـــه كان ماجورا فيه نائلا به منازل الشهداء وقد كره ذلك قوم زعموا أن الواجب عليه أن يستسلم ولا يقاتل عن نفسه وذهبوا فى ذلك الى أحاديث وردت فى ترك القتـــال فى الفتن ، وفى الخروج على الأئمة وليس هذا من ذاك فى شىء ، انما جاء هذا فى قتال اللصوص وقطاع الطرق وأهل البغى والســـاعين فى الأرض بالفساد ومن دخـل فى معنـــاهم من أهل العبث والافساد •

لقد عذر الله فى الغيرة فخفف عن الغيور المدافع عن حرماته جزاء مايأتى به فى سبيل ذلك من قتـــل المعتدى ووعد المدافع بالمثوبة ان قتل ؛ لأن الله يقدر العذر ويحبه ولذا كان من سننه فى التشريع ألا يعذب أحدا من عباده على شىء مما يفعلون أو يتركون الا

اذا بين لهم حكمه فيه برسالات الرسل ليغلق عليهم باب الاعتذار اذا خاصمهم فيه ليؤاخذهم عليه كما قال تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ومن أجل أن الله يحب أن يأخذ كل ذى حق حقه ويغار ويغضب أن اعتدى عليه أحب الله ان يأخذ حقه من الثناء والتنزيه ويغضب أن ينقصه عبده حقه ذلك ، ويتجه به الى غيره ، فتعظيم غيره والاستعانة به فى تفريج الكرب وتوسيع الرزق شرك لا يغفر، « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

وحب الله الثناء والمدح ليس لأنه فى حاجة اليه ليزداد به جلالا وقدرا، فهو الخالق القادر المعز المذل القابض الباسط ، بل لأن فى الثناء عليه بتوحيده وتنزيهه تصميما للعقيدة وتوجها خالصا لمن يجب أن يتوجه اليه فى الحاجات والمقاصد وقد وعد فضلا منه أن يثبت على ذلك بالقبول والرضا ؟

**ابو الوفا المراغى**

# معانى الاسراء والمعراج

للدكتور ابراهيم على أبو الخشب

قبل أن نسترسل فى حـــديث الاسراء والمعراج نلفت النظر الى أن الاسراء قطع مسافة من الأرض سيرا على القدم أو بواسطة دابة من الدواب وأصل اشتقاقه من السرى على وزن الهدى وهو السير بالليل خاصة ، أما المعــراج فهــو العـــروج بمعنى الصعود الى السماء وقطع المسافات أو الأبعاد فى هذا الارتفاع ، وكأنه بهذا اجتيــاز طبقات من الهواء كمــا كان الاسراء اجتياز طبقات من الفضــاء ، والأول كان من مكة الى بيت المقدس ، والثانى كان صـعودا من هنالك الى سدرة المنتهى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى كما جاء ذلك فى القرآن الـكريم ، وأمر هــذين الحــادثين أصـــبح من الشهرة والاستفاضة بحيث لا ينكره الا متهم فى دينــه ، أو واهم فى يقينه ، وقد أكثر العلمـــاء من الـكتابة عنهما ، والتنويه بهما ، ولهذا فانى سأتجنب جهدما أستطيع ناحية الاعتقاد فيهما ، والأدلة التى يعتمد عليها من يريد ـ من جديد ـ أن يثبت للناس أنهما من الأشياء المجمع عليها ، أو التى فرغ العلماء من الحديث فيها •• وهما بعد ذلك كله من المعجزات الـكبرى التى أراد سبحانه وتعالى بهما الاعلان عن تأييده له صلى الله عليه وسلم ، فلا يشك أحد أنه متخل عنه ، أو تاركه لسفه المبطــلين ، وطيش الجاهلين ، وحماقة الضالين ، وكيد الـكافرين ، من هـــؤلاء الذين كانوا يجابهونه بالبهتــان ، أو يواجهــونه بالاعراض والصد عن سبيله • ونود أن نعلن ـ أولا وقبل كل شىء ـ أن أساليب التربيةالتى يؤخذبها الأفرادوالجماعات لتكوين اللبنة الصالحة للبيئة القوية المتماسكة ، أو الأمة الناهضة المتوثبة ، تختلف كل الاختلاف عن تلك التى

يؤخذ بها القادة أو الرواد الذين يرجىء ان يكون الزمام بايديهم،أو المهمة ملقاة على عاتقهم ، ومن الضرورى الذى لابد منه فى ذلك كله الا يكون فى عيشهم رفاهه ، ولا فى سننهم تدليل ، ولا فى سلوكهم طراوة ، ولا فى تاديبهم نعومة ، وانما يعودون على الشظف ، ويحملون على الشدائد ، وينامون على حسك السعدان ، وهكذا كان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، فلم يعرف عن واحد منهم انه كان له مثلماكان لقارون من الذهب ، وانما كانوا فى شدة ، وفقر ، الى جانب ما كانوا يلاقونه من خصومة الناس ، وحروب المعارضين ، وفى قصصهم التى سجلها القرآن الكريم حلقات متصلة يشبهبعضها بعضا فى الايذاء والتنكيل وبخاصة هذا الذى يقول له ربه : «ألم يجدك يتيما فآوى • ووجدك ضالا فهدى • ووجدك عائلا فأغنى » فان حياته منذ كان جنينا فى بطن أمه والى ما بعدولادته بسنوات حيث كفله جده ثم عمه ومع امتداد حبال عمره الى أن ذهبت روحه الى بارئها كانت كفاحا ، لم تهادنه الأيام ، ولم تغفل عنه الحوادث ، حتى فى اللحظات التى كان يستقبل بها فيض ربه ، ويتلقى بره ومعروفه ، وينزل عليه وحيه العلوى ، يضمه جبريل الى صدره الضم العنيف الذى يبلغ منه الجهد قائلا له : اقرأ وهو يقول له : ما أنا بقارىء •• ونحن نعلم مما عرفناه من كتب السيرة ، ومن الأحاديث الصحيحة ان هذه الرحلة المباركة كانت مسبوقة بعملية شاقة تناولت شق صدره الشريف شقا يشبه الى حد بعيد هذا الذى حصل له فى طفولته عند حليمة السعدية فأثار هواجسها وخافت عليه ، وهنالك ذهبت لأمه لتدفع به اليها حتى لا تجد نفسها مسئولة عنه اذا اعتدى عليه أحد ، أو نال منه انسان •• وقد قطع صلى الله عليه وسلم تلك المسافة من مكة الى بيت المقدس فى لمحة من الليل لم يتغير فيها دفء فراشه حتى كان ذلك مجالا للانكار ، ولهذا يقول المفسرون أنتنكير كلمة ليل فى الآية الكريمة « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » يقصد به التقليل ، وهم يقطعون هذه المسافة على الابل فى شهر كامل اذا ذهبوا ، وفى مثله اذا عادوا ، ولهذا قالوا له : لعلها رؤيا نائم رأيتها وأنت مستغرق فى وسنك ، مسترخ

فى بدنك ، منقطع كل الانقطاع عن دنيا الناس ، ولهذا يقول جل جلاله: « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الافتنة للناس » .. وربما كان من الضرورى لمن يريد أن يتخذ من حادثتى الاسراء والمعراج شريطا سينمائيا يخطره بباله ، أو يمر به على ذهنه ، أن يرجع بعجلة الزمن الى الوراء شيئ ما ، ليعلم أن ذلك كان فى نهـــاية « عام الحزن » الذى ماتت فيه خديجة ومات كذلك عمه أبو طالب ، وأن عام الحزن هذا كان مسبوقا بهذا الحصار الاقتصادى الذى ضربوه عليه ثلاث سنوات كاملة لا يبيعون اليه هـو والمسلمون معه ، ولا يبتاعون منهم ، ولا يصاهرونهم ، حتى بلغت بهم المشقة غايتهـــا ، الى جانب ما كان هنالك من حرب نفسـية بالغوا فى اشعال نيرانها الى درجة أن ضاقت به مكة وأعرضت بوجهها عنه هو وأصـحابه فخرج الى الطـائف رجـاء أن يجــد فى ثقيف قـلوبا مستعدة ، وضمائر متلهفة . فكانت أســوأ الأمكنة ، وأضيق المواضع ، وهنـــالك كان للعنـاية الالهيـة أن ترعاه ، وللرحمة الربانية أن تتولاه، لينسى الى حد ما هذا الذى قد أصابه من امتثاله لأمر خالقه ، ونزوله على حكم مولاه ، وابتدأ ذلك بالمطية التى جيء بها اليه من الجنة ليقطع بها ذلك الطريق الطويل الى بيت المقدس حيث صلى بالأنبياء والمرسلين اماما ثم خرج به بعد هـــذا الى السماوات واحدة واحـــدة وانتهى به مطافه الى سدرة المنتهى وهنـالك تخلى جبريل عليـه السلام عن ملازمته له وعن السير معه معلنا اليه أن مقامه عند الله جل وعلا لا يؤهله الى بلوغ السدرة والى ما بعدها ولـكنه هو جدير بكل فضل ، قمين بكل تقدير ، حقيق بكل احترام، له عند الله ســـبحانه وتعالى مكانة الأصـفياء والأوليـاء والمقربين الذين تشملهم عنايته ، ويحيط بهم فضله ، ويغمرهم جوده واحسـانه ، ويكون لهم فى رحابه ما ليس لسواهم من المحبين .

ولأرباب السير وكتب الأحاديث فى هذه الرحلة من الأخبار والأقوال دعاوى لا تخلو من الطرافة ــ بصرف النظر عن مبلغها من الصدق فان ذلك لا يعنينا أن نتعرض له ــ وهى دليل لا يتطرق اليه قليل من الشك فى أن

الحفاوة به ، والتقدير له ، والرغبة الصادقة فى اظهاره لهــذه البشرية بعنوان أنه سيد الخلق على الاطلاق ، هى النتيجة الحتمية لهذه المقدمات التى تدل عليها دلالة واضحة لاغمـــوض فيها ، وهى مع كونها تكريما أريد من ورائه أن تنسلخ نفسه صلى الله عليه وسلم من تلك الهموم التى تراكمت عليها فى عام الحزن وغيره ، ثم يكون بعد هذا وهذا التكريم الذى لا يصنعه المخلوق وانمـــا يصنعه الخالق الذى بيده مقاليد السماوات والأرض ، واليه يرجع الأمر كله ، ثم لا يكفى فيـه أنه كان اماما للأنبيـاء فى الصـــلاة التى أداها معهم هنالك شكرا لله على ما أفاضه عليه من البر ، وأسبغه عليه من النعمة ، وغمره به من المعروف ، وانما تجاوز ربه فى الاحسان اليــه ، والحفاوة به ، أن يكون ضيف الشرف الذى يلازم ركابه فى خطواته كلها جبريل الذى كان يطـرق به أبواب السمـاء ، واحدا واحدا ، وعن ابن شهاب قال أنس بن مالك : « كان أبى بن كعب يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فـرج سقف بيتى وأنا بمكة،فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فأفرغها فى صدرى ثم أطبقه، ثم أخذ بيدى فعرج بى الى السـماء فلما جاء السماء الدنيا فافتتح فقال : من هذا ، قال : جبريل ، قال : هل معك أحد ، قال : نعم معى محمد ، قال : أرسل اليه ، قال : نعم ففتح ، فلمـــا علـونا السـماء الدنيـــا اذا رجل عن يمينه أسودة ، وعن يساره أسودة ، واذا نظر قبل يمينه تبسم ، واذا نظر قبل يساره بكى ، قال مرحبا بالنبى الصالح ، والابن الصالح،قال: قلت لجبريل عليه السلام من هـذا ، قال : هذا ادم ، وهذه الأسـودة عن يمينه وشماله نسم بنيه ، فأهل اليمين هم أهل الجنة ، والأسودة التى عن شماله أهل النار ، فاذا نظر قبل يمينه ضحك ، واذا نظر قبل شماله بكى.. قال ثم عرج بى جبريل حتى جاوز السماء الثانية ، فقال لخازنها : افتح فقال له خازنهـــا مثل ما قال خازن السماء الدنيا ، ففتح له » قال أنس بن مالك فذكر أنه وجـد فى السماوات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم

عليهم الصلاة والسلام ، ولم يثبت لى كيف منازلهم ، غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا ، وابراهيم فى السماء السادسة ، قال أنس فلما مر جبريل عليه السلام ورســـول الله صلى الله عليه وسلم بادريس قال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح « قلــت : من هــذا ، قال : هـــذا ادريس ، قال : ثم مررت بمــوسى فقال : مرحبا بالنبى الصــالح والاخ الصالح ، قلت : من هذا ، قال : هذا موسى ، ثم مررت بعيسى ، فقــال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصــالح قلت : من هــذا ، قال : هذا عيسى ابن مريم ، ثم مررت بابراهيم فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح، قلت : من هذا ، قال : هذا ابراهيم عليه الســـلام » قال ابن شـــهاب وأخبرنى ابن حزم أن ابن عبــاس وابن رحبة الأنصارى يقولان : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : « ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام » وفى هذا الحديث يذكر النبى صلى الله عليــه وسلم فرضية الصلاة ومراجعة موسى له ليرجــع الى ربه ليسأله التخفيف ، والذى يعنينـــا من ذلك كلـــه تلك اللقاءات من الأنبياء والمرسلين الذين كانوا يستقبلونه ، ويرحبــون به ، ويظهرون له من الــوان الابتهـــاج والاغتباط والحفاوة ما يدل على مبلغ الاحتفال به فهل يكون وراء ذلك من التعظيم والتبجيل شىء ؟

اللهم لا .

ولا أكتم القارىء الكريم أن مرور حــادثتى الاسراء والمعــراج بخيــالى يوحى الى ألوانا متنوعة من القداسة والاحترام الذى كان يلاقيـــه محمد صلى الله عليه وسلم من رب العزة جل جلاله ، ولم يدر بذهنى ــ وانا اتذكرهما او أذكرهما ــ ما يــدور بأذهان بعض الناس الذين يترددون فى أن ذلك كان بالروح والجسم ، أم أنه كان بالروح فقط ، وأنه كان فى النوم أم كان فى اليقظة ، ولا غير ذلك وذلك من الظنون ، والتخيلات ، وقد ملكت على جوارحى كلها هــذه الصور العظمى التى تتزاحم فى رأس الفنان أو الشاعر من الخطوات التى تنقلت بها أقدام النبى صلى الله عليه وسلم فى الأرض والسماء ، والهواء والفضــاء وبخاصــة حينمــا تذكرت مواقف قريش منه ، وصــدها عنه ، وخصومتها له ، وحروبها معه ، وكيد

اليهود ، وتلك المعاناة المؤلمة التى كان دائما أبدا يجعلها تحت قدميه ، فلا تدفعه الى الطيش ، ولا تحمله على السفه ، ولا تخرجه عن وقار الرجل العظيم الذى تضطرب الأرض تحت رجله وهو فوقها يسكن غليانها ، ويداوى حمى رأسها ، ويطب لأدوائها ، ويعمل على أن يسودها السلام والاطمئنان ، لأن سياسته العلوية تربطه بمدبر هذا الكون وخالق هؤلاء البرايا ، وهو يهتم به وحده ، ويرجو رضاه لا غير .

اذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذى بينى وبينك عامر
وبينى وبين العالمين خراب

**د/ ابراهيم على أبوالخشب**

# مجادة القدس وعزازته لدى المسلمين

للدكتور عباس حلمي اسماعيل

القدس الشريف مدينة السلام أحد أسماء الله الحسنى ، ودار الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وبلد المسجد الأقصى المبارك حيث للصلاة برحباته الثواب العظيم . والقدس أيضا موطن الاسراء والمعراج أحد الأحداث الاسلامية التى خلدته ورفعت من شأنه وربطت بينه وبين العالم الاسلامى ، كما أنه كان قبلة المسلمين الأولى ، ومسجده ثالث الحرمين الشريفين التى لاتشد الرحال الا اليها ،ولهذا كله حرص المسلمون على أن يبقى القدس فى أيديهم ، فأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قائده المظفر أبا عبيدة بن الجراح أن يتجه سنة ١٥ هـ (٦٣٦ م) ، الى ايلياء وهو اسم آخر من أسماء القدس ومعناه بيت الله ، بجيش عدده خمسة وثلاثون ألف مجاهد . وبعد حصار دام أربعة أشهر طلب سكان القدس الصلح ، فجاء عمر بنفسه وسلم البطريق وثيقة الأمان المعروفة بالعهد العمرى أمنهم به على أنفسهم وبيعهم. ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد اللهعمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولاينتقص منها ولا من حيزها ولا من صلبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ،

وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبانهم ، فنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبانهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ماعلى أهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار من الروم ، ومن شاء رجع الى أهله فانه لايؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان. كتب سنة خمسةعشر»(١)

ومنذ ذلك الوقت البعيد دأب المسلمون على المحافظة على أهل القدس ومعابده للعاكفين والعابدين ، فقد وافق الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه على تعيين رئيس لليهود يرعى مصالحهم ، ورضى الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان بأن يكون من بين اليهود مشرفون على النظافة والاضاءة فى المسجد الأقصى نفسه ، وسمح هارون الرشيد للامبراطور شارلمان الفرنجى بترميم الكنائس ، كما تعهد الرشيد بحماية المسيحيين الذين يفدون الى القدس للزيارة . ولا عجب فى ذلك فان الاسلام يعترف بوحدة الأديان السماوية ، ووحدة أصولها وقواعدها، قبل أن يطرأ عليها التغير والتبديل ، وقبل أن تمتد اليها يد العبث ، ومن هذا المفهوم ضمنت العهود الاسلامية للنصارى واليهود حريتهم الدينية والمحافظة على حقوقهم وكنائسهم ومعابدهم ـ فالمسلمون وحدهم هم المؤهلون للمحافظة على القدس وعلى مقدسات غيرهم(٢) . وظل الشعور بالطمأنينة سائدا ربوع القدس الى أن احتله الصليبيون سنة ٤٩٣ هـ ( ١٥ يوليو ١٠٩٩ م ) وارتكبوا فيه الفظائع والمنكرات حتى أن سيوفهم

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ، البلاذرى : فتوح البلدان.

(٢) عبد الحميد السايح : مكانة القدس فى الاسلام .

عملت فى رقاب الأهلين دون مراعاة لسن أو جنس وحتى الأطفال الرضع لم ينجوا من وحشيتهم التى صدرت عن شقوتهم وضلالتهم ، فكانوا قوما عمين •

لكن المسلمين لايمكن أن يسكتوا عن القـدس ، ففى أواخر جمـادى الآخرة سنة ٥٨٣ هـ (سبتمبر١١٨٧م) اتجه الناصر صلاح الدين الى بيت المقدس ليستولى عليـه قبل أن يفيق العدو من ضربة حطين القاصمة أو يصل اليها مدد من الخارج • وكانت المدينـة قوية تحيـط بها الأسـوار والحصون المنيعـة فأحاطهـا بجيوشـه وحاصرها حصارا شـديدا ، وأبدى الفريقان بسـالة رائعة فى القتـال ، ولكن لم يمض الا أسبوع واحد حتى اشتد الضيق بالصليبيين المحاصرين ، فطلبوا التسليم ، وامتنع صلاح الدين فى أول الأمـر ، اذ كان يريد أن يستولى على القدس عنوة ليفعل بمن فيه من الفرنج مثل الذى فعلوه بأهله يوم استولوا عليه منـذ نحو تسـعين سنة • وكان صلاح الدين بعد هذا كريما نبيـلا ، فأكرم رجـال الدين المسيحى ، وسمح لبطريق المدينة أن يخرج بكل أمواله ومقتنيات الكنائس فلم يدفع الا عشرة دنانير عن نفسه• وبجل صلاح الدين ملكة بيت المقدس، فسـمح لها أن تصـحب معها فى خروجها أموالها وحشمها •

ولم يكن صـلاح الدين ليستطيع القضـاء على مملـكة بيت المقـدس لو حارب بمصر وحـدها ، وانمـا استطاع القضاء عليها حين دخل المعركة وقـد اجتمـع له مقـدرات العـرب والمسلمين وسلطات قائد واحد لجيش واحد يرفرف عليه علم واحد(١) •

وشتان بين الصورتين المتعارضتين : صورة بيت المقدس حين استولى عليه الصليبيون فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ، وصورته حين استعاده أهله فى أواخر القرن الثانى عشر • ففى الصورة الأولى طفق الصليبيون يخربون ويدمرون ويقتلون سـكان المدينة من المسـلمين والمسيحيين على السـواء ويذبحونهم تذبيحـا ، حتى ليعترف أحد مؤرخى الصليبيين الذين

(١) جمال الدين الشيال وزميله : قصة الكفاح بين العرب والاستعمار.

شهدوا الفتح ، أنه وصل الى مسجد المدينة فى بحر من الدماء يبلغ ركبتيه. وفى الصورة الثانية شرع صلاح الدين يحمى الأرواح ويبجل رجال الدين ، ويكرم الحرائر من النساء ، ويصون المبانى المقدسة بل يرممها ويأمر باصلاحها ، مدفوعا بصيغة الاسلام التى غلبت عليه وعلى تصرفاته .

ويقول الأستاذ رانسمان المؤرخ الانجليزى المعاصر لنا عند تحدثه عن رجوع بيت المقدس : « كان المنتصرون معقولين وانسانيين ، فعلى حين نجد الفرنج عند استيلائهم على المدينة يخوضون فى دماء ضحاياهم ، لا نجد فى هذه المرة بناء نهب ، ولا انسانا أصابه أذى ، ونرى الحراس ـ تنفيذا لأوامر صلاح الدين ـ منبثين لحراسة الطرق والأبواب وحماية المسيحيين من أى اعتداء قد يصيبهم ! وتقدم نساء الفرنج ـ اللائى افتدين أنفسهن ـ الى صلاح الدين ، والدموع تملأ عيونهن، وسألنه فى استرحام : أين يستطعن الذهاب وقد قتل أزواجهن أو آباؤهن أو وقعوا فى الأسر ؟ فكان جواب صلاح الدين أن وعدهن بأن يطلق سراح كل زوج أسير ، أما الأرامل واليتامى فقد أعطى كلا منهن منحة تتناسب مع مكانتها من حر ماله . لقد كان عفوه وعطفه يخالف مخالفة واضحة أفعال المسيحيين الغزاة فى الحملة الصليبية الأولى ! »(١) .

ودخل صلاح الدين المدينة يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هـ ، وهو يوم الاحتفال بذكرى ليلة الاسراء التى قال فيها الله سبحانه وتعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله » . فكانت مناسبة طيبة وفألا جميلا ، وأقيمت الجمعة فى المسجد الأقصى لأول مرة بعد أن ظلت معطلة ثمانية وثمانين عاما ، وخطب الجمعة الفقيه محيى الدين بن زكى الدين ، فألقى خطبة قوية تعبر عما يملك المسلمون من قوة يرهبون بها عدوهم وعدو الله العلى القدير .

(١) Runciman ; ea History of the crusades II

وقد ضج الناس بالفرح فى جميع أنحاء العالم العربى ، وتبارى الشعراء فى تهنئة البطل صلاح الدين بهذا النصر ، فمما قال الشاعر المصرى الشريف الجوانى :

أترى مناما ما بعينى أبصر
القدس يفتح والفرنجة تكسر
ومليكهم فى القيد مصفود ، ولم
ير قبل ذاك لهم مليك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذى
وعد الرسول ، فسبحوا واستغفروا
يا يوسف الصديق أنت لفتحها
فاروقها ، عمر الإمام الأطهر

ومن أجمل القصائد قصيدة الشاعر المصرى ابن سناء الملك التى يقول فيها :

لست أدرى بأى فتح تهنا
يا منيل الاسلام ما قد تمنى ؟
أنهنيك اذ تملكت شاما
أم نهنيك اذ تملكت عدنا ؟
قد ملكت الجنان قطرا فقطرا
اذ فتحت الشآم حصنا فحصنا
لا تخص الشآم منك التهانى
كل صقيع وكل قطر يهنا ..

وقد أمر صلاح الدين باصلاح ما أفسدته الحرب وما خربه الفرنج من مبانى المدينة وبخاصة المسجد الاقصى وحمل اليه المنبر الذى كان قد امر نور الدين زنكى بصنعه خصيصا للمسجد ، وأنشأ صلاح الدين بالقدس الكثير من المدارس كما شيد به بيمارستانا لمعالجة المرضى(١) .

ثم مضت سنوات وعقد ابن أخيه الملك الكامل محمد سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩م) معاهدة مع فردريك الثانى امبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، وبمقتضى هذه المعاهدة سلم الكامل اليه بيت المقدس ، بشرط ألا يقيم بها الفرنجة تحصينات جديدة ، وأن يكون سائر قرى القدس للمسلمين لا حكم فيها للفرنج ، وأن الحرم ــ بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى ــ يكون بأيدى المسلمين ، لايدخله الفرنج الا للزيارة فقط ويتولاه قوام من المسلمين ، ويقيمون فيه شعار الاسلام من الأذان والصلاة ، وأن تكون القرى فيمابين عكا والقدس بأيدى الفرنجة . وذلك أن الكامل تورط مع ملك الفرنجة وخاف من

(١) العماد الكاتب : الفيح القسى فى الفتح القدسى ، أبو شامة : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية .

غائلته عجزا عن مقاومته ، فارضاه بذلك وصار يقول : « انا لم نسمح للفرنج الا بكنائس وآدر خراب ، والمسجد على حاله وشعار الاسلام قائم ، ووالى المسلمين متحكم فى الاعمال والضياع » • واعتذر ملك الفرنجة بأنه لولا يخاف انكسار جاهه ما كلف السلطان شيئا من ذلك ، وأنه ماله غرض فى القدس ولا غيره وانما قصد حفظ ناموسه عند الفرنجة •

وحلف الملك الكامل وملك الفرنجة على ما تقرر ، وبعث الكامل فنودى بالقدس بخروج المسلمين منه وتسليمه الى الفرنجة • فاشتد البكاء وعظم الصراخ ، وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس الى مخيم الكامل وأذنوا على بابه فى غير وقت الأذان ، فعز عليه ذلك وأمر بأخذ ما كان معهم من الستور والقناديل الفضة وزجرهم ، فعظم على أهل الاسلام هذا البلاء واشتد الانكار على الكامل وكثرت الشناعات عليه فى سائر الأقطار •

ثم بعث الأمبراطور يستأذن فى دخول القدس فأجابه الكامل الى طلبه ، وسير قاضى نابلس فى خدمته وأمره آلا يؤذن أحد ما دام الانبروز ( الامبراطور ) بالقدس مراعاة لشعوره ، وسار القاضى معه الى المسجد وطاف معه ما فيه من المزارات ، واعجب الامبراطور بالمسجد الأقصى وبقبة الصخرة ونظر الى الكتابة التى فيها وهى : « طهر هذا البيت المقدس صلاح الدين من المشركين » • قال : ومن هم المشركون ؟ وسأل عن الغرض من الشباك المنصوبة على أبواب الصخرة ، قالوا : لئلا يدخلها العصافير ، فقال : قد أتى الله اليكم بالخنازير • وصعد الأمبراطور درج المنبر فرأى قسيسا يأخذ من الفرنجة القراطيس ، وقد قصد دخول المسجد الأقصى فزجره ولكمه وقال ياخنزير! السلطان تصدق علينا بزيارة هذا المكان وأنتم تفعلون فيه هذه الأفاعيل؟ وأقسم لئن عاد أحد من الفرنجة يدخل هنا بغير اذن ليأخذن ما فيه عيناه ، « فانما نحن مماليك السلطان وعبيده ، وقد تصدق علينا وعليكم بهذه الكنائس على سبيل الانعام منه ، فلا يتعدى أحد منكم طوره[1] » •

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ج ٢ ، المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ القسم الأول .

وأسى القاضى أن يخبر المؤذنين ، فلما دخل وقت الظهر اذن المؤذنون وصلى جميع من كان مع الامبراطور من العلماء والغلمان لأنهم مسلمون من سلالة المسلمين الذين عاشوا بصقليه وجنوب ايطاليا منذ الفتح العربى لهما فى القرن الثالث الهجرى • وظـــل القاضى ينسى قتلا المؤذن وقت السحر الآيات التى تختص بالنصارى ، فلمــا طلع الفجر استدعى القـــاضى المؤذن وعرفه بما أمر به السلطان • وحينما تنفس الصبح قال الأمبراطور للقاضى: « لم لم يؤذن المؤذنون على المنائر ؟ فقال له القـــاضى : « اعظاما للملك واحتراما له » • فقال له الامبراطور : « أخطأت فيما فعلت ، والله انه كان أكبر غرضى فى المبيت بالقـــدس أن أسمع أذان المسلمين وتسبيحهم فى الليل • تغيرون شـــعاركم وشرعكم لأجلى ؟ فلوكنتم عندى فى بلادى هل كنت أبطـــل ضرب النـــاقوس لأجلكم ؟ »(١) •

وأدرك المسلمون اللمـــاحون أن الامبراطور ليس متحمسا للنصرانية ، ويبـــدو من كلامه أنه دهرى ممن قالوا ( ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ) • وأنه ما جاء للقـــدس الا ليكسب رضاء الأوربيين عنه ، وليعلن بطلان قرار الحرمان ( Epeommunication ) الذى سبق أن أصدره البابا ضـده • وكان هذا القرار أشد ما يخشاه الناس بأوربا فى القرون المتوسطة ، منـــذ أدخل فى روعهم فى عصور الظلمات أن من يصدر ضده هذا القرار يحرم من دخول الجنة • ورغم ما لاقاه هذا الأمبراطور من تقدير فى المحافـــل الأوربية ، حتى أنهـم كانوا يطلقون عليه فردريك العجيب ( Stupe-rdous ) فان المسلمين استصغروه فى أعينهم منذ أخـــذ القدس منهم وقالوا : « انه أشـقر أمعط فى عينيه ضعف ، لو كان عبدا ما يساوى مائتى درهم » • ولم يشفع له عندهم أنه عالم متبحر فى الرياضيات قد اتخـذ بصقلية نخبة من العلماء المسلمين ، بل ســـخروا منه وحرفوا لقبـــه الى الانبراطوز •

---

(١) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ج ٨ ، العينى : عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان ج ١٨ القسم الأول .

وبلغ من ازعاج الامة الاسلامية أن انفذ الكامل مبعوثيه الى الخليفة والى أنحاء العالم الاسلامى لتسكين قلوب الناس وتطمين خواطرهم ، ومع ذلك نفرت قلوب المسلمين وجلس الحافظ شمس الدين سبط بن الجوزى بجامع دمشق وذكر فضائل القدس ، وحزن الناس على استيلاء الفرنج عليه وبشع القول فى هذا الفعل ، وجتمع مالا يحصى عدده من النــاس وعلت أصواتهم بالصراخ واشتد بكاؤهم ، وأنشد شمس الدين قصيدة أبياتها ثلاثمائة بيت منها :

على قبة المعراج والصخرة التى
تفاخر ما فى الأرض من صخرات

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحى مقفر العرصات

فلم ير بدمشق أكثر بكاء من ذلك اليوم ، وكاد السخط أن يكون شاملا فى أنحاء العالم الاسلامى لولا حب الكامل للاصلاح ، واهتمامه الزائد بالحديث النبوى الشريف حتى أنه شيد له بالقاهرة ما عرف باسم دار الحديث الكاملية .

ومضت سنوات ثم عمل على استعادة القدس للمرة الثانية ملك أيوبى آخر اسمه داود كان يلقب بالملك الناصر مثلما يلقب صلاح الدين ، وهناه بهذا الفتح الشاعر المصرى جمال الدين بن مطروح بأبيات ثلاثة قال فيها :

المسجد الأقصى له عادة
سارت ، فصارت مثلا سائرا

اذا غدا بالكفر مستوطنا
أن يبعث الله له ناصرا

فناصر طهره أولا
وناصر طهره آخرا

ولينصرن الله جل ثناؤه من ينصر القدس فى هذا القرن من الأقطاب السباقين ، كما نصر الثلة من الأولين . والقدس اليوم فى محنته يستصرخ ، مطالبا المؤمنين فيما بين المحيطين ، وفيما بين الجزائر ولاهور ، أن يعتصموا بحبل الله ويتواصوا بالحق ويعدوا القوة ويبيعوا الحياة ، ليجيروه من براثن الصهيونيين الغدارين، كما أنقذه أجدادهم الغر الميامين من قبضة الروم والصليبيين ، بقوى الروح والارادة والبأس ، لتدوى فوق ربوعه : الله أكبر .. الله أكبر ولا اله الا الله؟

**د. عباس حلمى اسماعيل**

# من هدى السنة :

# أخذ المال من غير مسألة ولا تطلع إليه

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عبد الله بن عمر عن عمر رضى الله عنهم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطينى العطاء فأقول : أعطه من هو أفقر اليه منى ، فقال : ( خذه ، اذا جاءك من هذا المال شىء وأنت غير مشرف ، ولا سائل فخذه ، فتموله ، فان شئت كله ، وان شئت تصدق به ، ومالا فلا تتبعه نفسك ) •

قال سالم : فكان عبد الله لا يسأل أحدا شيئا ، ولا يرد شيئا أعطيه ، متفق عليه

**تخريج الحديث :**

رواه البخارى فى كتاب الزكاة ، وفى كتاب الأحكام من صحيحه ، ورواه مسلم فى كتاب الزكاة من صحيحه ، ورواه النسائى فى كتاب الزكاة من سننه •

**تعريف بالراوى :**

هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، العدوى ، القرشى ، المدنى ، التابعى ، يكنى أبا عمر ، وقيل كنيته أبو عبد الله ، وهو العالم الفقيه ـ عده بعض العلماء أحد فقهاء المدينة السبعة(١) ، وأجمعوا على

---

(١) فقهاء المدينة السبعة : جماعة من الفقهاء والمحدثين ، ظهروا فى المدينة المنورة ، وعرفوا بنشر الفقه والحديث والعلم والفتوى وهم : سعيد بن المسيب ، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وسليمان بن يسار ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارثى بن هشام ، وقد جمعهم الشاعر فى قوله :

الا كل من لا يقتدى بأئمة
فقسمته ضيزى عن الحق خارجة
فخذهم عبيد الله ، عروة ، قاسم
سعيد ، أبو بكر ، سليمان ، خارجه =

امامته ، وزهادته والثقة به في روايـة الحديث ـ عن مالك بن أنس قال : لم يكن أحـد أشـبه بمن مضى من الصالحين فى الزهد ، والقصـد فى العيش من سالم ، كان يلبس الثـوب بدرهمين ، وقال ابن اسحاق : أصح الأسانيد كلها الزهرى عن سالم عن أبيه ، وكان لنجابته وفضله موضـع تقدير والده ـ عن نافع قال : كان ابن عمر يقبل سالمـا ، ويقول : شيخ يقبل شيخا ، مات سنة ١٠٦ هـ •

**اللغة :**

( رضى الله عنهم ) جملة قصـد بها الدعاء ، وجرى اصطلاح المحدثين على أن يذكروا هذه الجملة بضمير الجمع اذا كانت الرواية عمن ثبتت الصحبة له ، ولأبيه ، وجده ، كأسامة ابن‌زيد بن حارثة ، وكعبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق بن قحافة ، ويعتبر التعبير بضمير الجمع فى سند هـذا الحديث من باب التغليب لأبى سالم وجده عليه ، لأن سالمـا تابعى •

( العطاء ) اسم مصدر بمعنى اسم المفعول ، والمراد حصة عمر ـ رضى الله عنه ـ من الغنيمة (أفقر اليه منى) الضمير فى ( اليه ) راجع الى (العطاء) اى أحوج الى العطاء منى ، ( مشرف) مطلع طامع ، واصـله من اشرفت عليه ، اطلعت عليه من فوقه ، ويقال : تشرف الشيء ، واستشرفه،وضع يده على حاجبه يستظل بها من الشمس حتى يبصره ، ويسـتبينه ، وكأن المستشرف ينظر الى المـال من موضع مرتفع ، فيكون أقوى على ادراكه ، ومن الاشراف بمعنى التطلع والطمع قول الشاعر :

لقد علمت وما الاشراف من خلقى
أن الذى هو رزقى سـوف يأتينى

أى وما التطـلع والحـرص مـن خلقى •

( فتموله ) اتخذه مالا لك ـ والمال فى الأصـل ما يمـلك من الذهب والفضة ، ثم أطلق على كل ما يقتنى ، ويملك من الأعيان •

---

= وبعض العلماء يذكر بدل ابى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، سالم ابن عبد الله بن عمر ، جاء فى خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى أسماءالرجال ـ عند الترجمة لسالم ـ ما نصه :

سالم بن عبد الله بن عمر العدوى المدنى الفقيه أحد السبعة ، وقيل السابع أبو سليمان بن عبد الرحمن ، وقيل : ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ا هـ .

**البيان :**

الاسلام دين الفطرة ، شرعت احكامه فى سماحة وحكمة وقامت تعاليمه على مبدأ رفع الحرج والمشقة، ورعاية المكلفين ، واعلاء النفس البشرية ، فأباح أخذ المال متى كان سببه مشروعا ، ورسم المنهج القويم لوجوه انفاقه والتصرف فيه •

وكان عمر رضى الله عنه يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا النهى عن المسألة والاستكثار من متاع الحياة الدنيا ، والتطلع الى زهرتها ، والترغيب فى الزهد فيها ، والاعراض عنها ـ لهذا كان رضى الله عنه يتحرج من أخذ المال مهما كان صاحب حق فيه ، فكان صلوات الله وسلامه عليه يعطيه العطاء من الغنائم ، فيتوقف عن أخذه مع أنه حق للمقاتل ، لا سيما اذا دفعه اليه الامام ، ويقول للنبى صلى الله عليه وسلم : أعطه من هو أفقر اليه منى ، فطلب منه النبى عليه الصلاة والسلام أن يأخذ هذا المال المعطى له ، فقال له : ( خذه ) أى على سبيل التملك ، ويدل على أن المطلوب أخذه على هذا النحو أنه بين له حرية الأكل منه ، والتصدق به ـ ومثل هـذا التصرف لا يكون الا من مالك للمال •

والتعبير بالمضارع فى قول عمر رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ( يعطينى العطاء ) ـ يدل على تكرار العطاء ـ كما تدل عليه الروايات الأخرى للحديث ، ففيها : ( حتى أعطانى مرة مالا ، فقلت : أعطه أفقر اليه منى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ( خذه ) ••• الخ •

وليس فى أسلوب الحديث ما يدلنا على ما كان يفعله النبى صلى الله عليه وسلم مع عمر رضى الله عنه فى غير هـذه المرة ـ والذى يفهم ـ والله أعلم ـ أن عمر كان يتوقف فى كل مرة عند ما يقول الرسول : ( خذه ) والرسول يسكت عنه ـ ويعاود عمر مقالته ليستبين له وجه الحق فى أخذه المال ، ويستبين له أيضا سبيل التصرف فيه ، فلما بين له الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك أكمل بيان انقطع توقف عمر رضى الله عنه ، وقد أفاد هذا البيان النبوى الحكيم أنه لا حرج فى أخذ مال وصل الى الانسان من غير تطلع منه اليه ،

أو لهفة عليه ، ومن غير طلب ومسألة، وهذا المـال يتملكه الشخص ، فلـه حق الانتفاع به فى الانفاق على نفسه، وعلى من يعول ، أو التصدق به على من يكون أهلا للصدقة •

وأما المـال الذى لا يجىء على الحال المذكور بان جاء مع الاشراف والتطلع، أو السؤال فيجب ألا تتبعه النفس ، وألا تأخذها الحسرة لفواته •

ربما يقال : لم جاء فى الأسلوب النبوى عطف ( سائل ) على (مشرف) فى قوله : « اذا جاءك من هذا المـال شىء ، وأنت غير مشرف ولا سائل » مـــع أن نفى الاشراف يقتضى نفى السؤال •

ويمكن أن يجاب عن هـذا بأن المقصود بهذا الأسلوب استيعاب الصور التى يقبح معهـا أخذ المـال ، والمقام مقام تشريع وبيان •

ولـما علم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما بهذا الهدى النبوى الكريم استمسك به ، فكان لا يسأل أحدا شيئا من المـال قليلا كان أو كثيرا ، ولا يرد ما جاءه من غير تطـلع ولا مسألة ـ عملا بالحـديث المذكور ، ووقوفا عنده ، واستجابة لقوله تعالى: « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »(١) •

فان ابن عمر كان شديد الحرص على التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتباع منهاجه الحكيم •

هذا ومما لا يعزب عن الأذهان أن الله تعالى أباح تملك المـال لـما له من الاهمية الكبرى ، والأثر العظيم فى حياة الفرد والأمة •

فهو بالنسبة للفرد من أقوى الوسائل فى توفير قوته ، وصـــيانة نفسـه ، والاستمتاع برغيد العيش ، وصـفوة الحيـــاة ، وتحقيق الآمال ، وادراك الغايات ، وهو العـدة فى الشدائد ، والحصن عند المخاوف ، والمستجيب للنداء اذا تنكر الأصحاب ، وتقاعس الأقارب ، كما قال الشاعر العربى :

كل النـــداء اذا ناديت يخـذلنى
الا نـــدائى اذا نـاديت يا مـــالى

وأما بالنسـبة للأمة فهو عصـب وجودها ، ودعامة نهضتها ، به توفر رخاءهـا ، وأمنهـــا ، وتبنى صرح

---

(١) سورة الحشر ، آية رقم ٧

مجدها ، وتأخذ بأسباب القوة لتصون استقلالها ، وتحفظ هيبتها فى نفوس أعدائها ، وتسعى قدما فى طريق العزة والكرامة .

ولأهمية المال فى حياة الأمة طلب من الجميع العمل على رعايته وصيانته حتى ولو كان ملكا لبعض الأفراد ، قال تعالى : « ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما »[1] وأما النوع من المال الذى قبح أخذه ، وتناوله فهو - كما جاء فى الحديث الشريف - ما أتى عن طريق التطلع اليه ، واللهفة عليه .

وكما كان من مقتضى الحكمة الالهية اباحة تملك المال فى حد ذاته ، كان من مقتضاها أيضا تقبيح أخذ النوع الذى حظره الحديث ، ذلك لأن التعلق الشديد بالمال يفتن صاحبه ويجعله أسيرا لهذا المال ، يجرى وراءه فى كل واد ، ويلتمسه من كل باب ، ويسلبه لذة القناعة والرضا ، فلا يحس بيسار مهما جمع، ولا راحة مهما حصل ، فقره شاخص أمام عينيه وجشعه ماثل فى قلبه لا يزال فاقدا كلما وجد ، محروما كلما أعطى ، ظامئا كلما شرب منهوما كلما أكل ، وحسبنا فى هذا ما رواه البخارى فى صحيحه عن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال : سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأعطانى، ثم سألته فأعطانى ، ثم سألته فأعطانى ، ثم قال : ( يا حكيم ان هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه ، كالذى يأكل ولا يشبع ، اليد العليا خير من اليد السفلى ) قال حكيم : فقلت يا رسول الله ، والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر - رضى الله عنه - يدعو حكيما الى العطاء فيأبى أن يقبله منه ، ثم ان عمر - رضى الله عنه - دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئا ، فقال عمر : انى أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أنى

---

(١) سورة النساء : آية رقم ٥

أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه ، فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى توفى(١) •

فالمال الذى يكون مع التطلع واللهفة قبح الشارع أخذه ؛ تطهيرا لنفس المسلم ، ورفقا به وانقاذا له من عبادة المال ، وتشريفا بالعبودية الخالصة لله رب العالمين ، اليه وحده يخضع ، وعليه يتوكل ، وبه يعتصم ، « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » (٢) ، منحنا الله تعالى الاستمساك بهدى رسوله الكريم ، ورزقنا طهارة النفس وشرف الغاية ، واستقامة السلوك ، انه سبحانه ولى الهداية والتوفيق ؟

**منشاوى عثمان عبود**

---

(١) (خضرة حلوة) : أى ان المال كالفاكهة الخضرة الحلوة من حيث جمال المنظر وحلاوة المذاق وهذا أبلغ فى جذب النفس اليه ، وحملها على الحرص عليه والتعلق به ؛ (بسخاوة نفس) بغير حرص وطمع وتطلع (كالذى يأكل ولا يشبع) كمن به الجوع الكاذب كلما ازداد أكلا ازداد جوعا (لا أرزا) لا أصيب (الفيء) المال الذى أخذ من الكفار بغير قتال .

(٢) سورة آل عمران آية رقم : ١٠١

# الرّشوَة
# فسَاد اجتماعيّ .. وذنبٌ شرعيّ

للأستاذ محمد محمد الشرقاوى

الرشوة : هى ما يأخذه الحاكم أو القاضى أو غيرهما(١) ممن يلى أمرا من أمور المسلمين أو أهل الذمة ليصدر فى حكمه عليه أو له عن مؤثرات هذه الرشوة المبذولة .. متجاوزا فى حكمه الحق والعدل والانصاف .

وهى حرام بالاجماع على من يأخذها مطلقا سواء حكم بغير الحق .. أو بالحق ، لأنه ان تصرف خارج نطاق العدالة فهو مبطل ظالم ، وان قضى بما يعتقده حقا فلا معنى لأخذ الأجرة مرة أخرى على قضائه هذا .. بعد أن تقاضى عنه أجره أول مرة .

هذا بالنسبة للآخذ .. وأما بالنسبة للمعطى فانه يعتبر شريكا للمرتشى فى مقارفته لاثم الرشوة ، ومعينا له على ارتكاب الخطأ والظلم .. اذ لولاه لما وجد صاحبه القوة الدافعة ، ولا العامل المحرك .. وهذا ظاهر فيما لو كانت الرشوة تستهدف العمل بغير الحق .. وان دفع صاحب المصلحة الحقة رشوته ليتوصل الى حقه .. ولا يجد أمامه سبيلا لهذا الحق الا ببذل الرشوة .. فقد اختلفت هنا وجهات النظر بين العلماء(٢) . فمنهم من قال : انها تكون حراما على الآخذ دون المعطى لأنها وسيلة من وسائل الحصول على حقه المشروع حين عزت عليه الوسائل ، وضاقت فى وجهه السبل ، فصارت كأجرة التوكيل على الخصومة .. ويرى فريق آخر : أنها حرام أيضا لأنها توقع الحاكم فى الاثم ، وتيسر السبل الى التقصير فى

---

(١) سبل السلام جـ ٤ : ١٨٣

(٢) المصدر السابق .

القيام بالواجبات ، وتفتح الباب الى مفاسد اجتماعيه خطيرة ، يظهر أثرها عند الاكثرية الساحقة من الجماهير، وهى التى لا تمتلك الرشوة .. او لا تستغنى عنها ، فتضيع عليها حقوقها ، ويتعسر الوصول الى مصالحها .. وهذا القول الآخر أرجح من سابقه لأسباب منها :

**(١)** أنها طريق الى الحرام وكل ما يوصل الى الحرام قصدا فهو حرام كالقبلة المحرمة والنظرة الزائدة ، من حيث انها خطوة أولى نحو الفاحشة .

**(٢)** لأنها تتفق مع قاعدة سد الذرائع وهو اغلاق المنافذ الموصلة الى الحرام بكل وسيلة ممكنة .. فانها بالنظر الى مآلها تؤدى الى شيوع الفوضى ، واختلال الثقة فى العدالة ، وتحكيم الأموال لا الحجج والبراهين للوصول الى الغايات والأهداف .. وفى هذا من المفاسد الاجتماعية ، والانحلال الخلقى ، والوهن الدينى ما لا يخفى .

**(٣)** ان من واجب الانتصار للحق، والانتصاف للعدالة أن يكافح أصحابها بغير الرشوة للوصول الى حقوقهم المشروعة ، وأن يسلكوا سبل المقومة لاطماع الطامعين ، ونهم المرتشين ، وألا يتخيروا أقصر الطرق لنيل الحق ولو كان مريبا ، فان الشجاعة الأدبية، والايمان بعدالة المطلب ، والثقة فى أصالة الحق وقوته ، وبقائه وانتصاره يجب أن تكون أسلحة فى أيدى أصحاب الحقوق ولو طالت مساربها، وتنوعت دروبها .. لأنها تستمد قوتها من صوت الحق الأزلى الذى احتواه القرآن الكريم فى قوله تعالى : « ان الباطل كان زهوقا » .

وقد تحدث الاسلام عن الرشوة حديثا واضحا لا لبس فيه ولا غموض، وتناولها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بكل أبعادها مبينا أن مغبتها اللعنة وسوء المنقلب ، وبئس المصير .. وهذا يدلنا على أن الرشوة داء قديم من أدواء النفس الأمارة بالسوء ، وأنه ينتقل عبر التاريخ مع الأجيال ، ويتقلب على كل صعيد بحيث لم يخل منه عصر الرسالة مع ما اكتنفه من بساطة فى المعيشة ، وعمق فى الدين ووعى فى الضمير ، ففى الجامع الصغير روى حديث الرشوة بروايتين : أولاهما : ما رواه أبو هريرة رضى

الله عنه قال(١) : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشى والمرتشى فى الحكم » رواه أحمد والأربعة وحسنه الترمذى وصححه ابن حبان وزاد أحمد : « والرائش هو الذى يمشى بينهما » وهو السفير الذى يسعى بين الدافع والآخذ وان لم يأخذ على سفارته أجرا .. فان أخذ أجرا كان أبلغ فى الذنب .. وقال المناوى فى شرحه للجامع الصغير : ورواه الطبرانى فى الكبير عن أم سلمة ، وقال : قال الهيثمى : رجاله ثقات ، وقال المنذرى(٢) : اسناده حسن ، وقال الترمذى : وفى الباب عن ابن عمر وعائشة ، وقال ابن حجر : وفيه عن عبد الرحمن بن عوف وثوبان .

ثانيتهما : رواية : « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش الذى يمشى بينهما » رواه أحمد عن ثوبان .. قال المناوى: وكذا رواه الطبرانى والبزار عن ثوبان .. الا أن هذه الرواية أعلت بالجهالة فى أحد رواتها وهو أبو الخطاب وهو رجل مجهول لا يعرف .

وفى القرآن الكريم ما يؤيد التنفير من الرشوة فى قوله تعالى : «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » قال فى الكشاف(٣) : « أى : تلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة ، وأنتم تعلمون أنكم على الباطل ، وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح ، وصاحبه أحق بالتوبيخ » فاذا استبعدنا القدر الزائد فى الرواية الثانية لحديث الرشوة وهو : « والرائش الذى يمشى بينهما » وجدنا أن الباقى منها وهو لعن الله الراشى والمرتشى .. قدر متفق عليه بين الروايتين وبين أحد المعانى المعتبرة فى الآية السابقة . وقد وصف هذا القدر مرة بالحسن ومرة بالصحة ومرة بالجمع بينهما فقيل فيه : حسن صحيح وقال شارحه العزيزى : قال الشيخ : حديث صحيح .. وهذه الشهادة بالصحة والحسن تكفى لدعم الثقة فى حديث الرشوة وبالعمل بما تضمنه من التنفير من هذا السلوك الشائن ، والمنزع المريب وأن صاحبه

---

(١) سبل السلام جـ ٤ : ١٨٣
(٢) الترغيب والترهيب .
(٣) جـ ١ : ٩١

يستحق عند الله تعالى اللعنة والطرد من رحمته ، واستحقاق اللعنة فى ذنب من الذنوب يسلكه فى عداد الكبائر من الآثم ، ويبعده عن مرتبة الصغائر ، ولا عجب فى ذلك ، فان الرشوة تعطى الحق لغير صاحب الحق ، وتحرم صاحب الحق من نتاج حقه ، وثمرة جهده وهذا هو معنى الظلم الذى حذرت منه الآيات والأحاديث فى غير موضع ، واعتبرته وبالا على صاحبه ، ونكبة على المجتمع يجب تكريس الجهود ، وحشد الامكانيات لمحاربته فى كل ركن من أركان الأمة ، والضرب على أيدى المرتشين بكل قوة وحزم .. حتى تتخلص الادارات والمصالح من هذا السوس الذى ينخر فى عظام الدولة ، وذلك السرطان الوبيل الذى يتهدد كيان الأمة ، ويعطل مصالح أبنائها ، وينذرها بأوخم العواقب ، وأسوأ النتائج .

وقد تأخذ الرشوة اسما مختلفا ، وتتقنع خلف لثام مزور .. لتنسج من براقعها حيلة تنطلى على السذج وذوى النيات السليمة فتبدو فى صورة العمل المباح المشروع بينما تخفى فى أردانها أسلحة فتاكة بمصالح الناس .. وقد كشف الشارع الحكيم القناع عن هذه الحيلة المزورة ، وأفاد بأن العبرة بالمسميات لا بالأسماء وبالمعانى والمضامين لا بالشكليات والظواهر ، وذلك أن الرشوة قد تأخذ صفة الهدية ، أو العطية ، أو الهبة ، أو الضيافة للراشى ، أو لمن يمت اليه بصلة القرابة أو النسب أو المخالطة لتصل فى النهاية الى جيبه أو بطنه عن طريق ملتو غامض .. وكل هذا ان خفى على الناس أمره ، ودق مساره .. فهو أوضح من الشمس الضاحية ، والبدر الساطع عند من لا تخفى عليه خافية ، ولا تعزب عن علمه ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولقد قسم العلماء ما يأخذه الحكام الى ما يأتى :

١ – الرشوة : وهى ما يأخذه ليحكم بغير الحق لمن دفع ، وعلى قدر ما يدفع ، وهى حرام بالاجماع على من أخذ ومن أعطى .

٢ – الهدية : وهذه ان جرت بها عادة المهدى قبل أن يصير المهدى اليه حاكما أو قاضيا أو بيده الحل والعقد فهى حلال ، .. وان كانت جديدة لم يسبق بها عهد وليس بين الآخذ والمعطى خصومة أو مصلحة خاصة يرجى فيها المساعدة والتجاوز كانت

حلالا مع الكراهة لأنها ستجعل لصاحبها رصيدا ينفعه عند الحاجة ، وان كان للدافع خصومة أو هدف يقدم بين يديه هذه الهدية للانتفاع بها ، والاستشفاع عن طريقها كانت رشوة محرمة ، وخطيئة دينية ودنيوية منكرة مهما حملت من أسماء ملفقة ، وتلثمت ببراقع مزيفة •

٣ ـ الأجرة : وهى حلال لأنها استعانة على العيش ، وأجر على الجهد المبذول والانقطاع للعمل • • فان أخذها صاحبها مرتين مرة من الدولة ومرة من ذوى المصالح والحاجات حرمت الثانية لأنه لا وجه لها مع وجود المرتب ، والتعلل على استحلالها بضآلة المرتبات ، وغلاء الحاجيات لا ضابط له وهو لا يخلو منه زمان ولا مكان ، وسيفتح الباب على مصراعيه للهوى الشخصى والمطامع الذاتية بدون حدود •

وبعد •• فقد ظهر أن الرشوة علة قديمة قدم الزمان نفسه وأن الاسلام قد حاربها بصورة صريحة لا رغوة فيها ، قوية لا ضعف بها،وأن اللعنة والطرد من رحمة الله تعالى هى الجزاء المرتقب للراشين والمرتشين والرائشين الذى يعوقون مسيرة الحقوق ، ويضعون فى سبيلها العقبات حتى لا تصل الى أصحابها الشرعيين ، وأن الرشوة مهما أخذت من أسماء وصفات ، ومهما حملت من نعوت وسمات ، فجوهرها هوهو لايتغير •• لأنها عبارة عن أخذ مال أو منفعة للتجاوز عن الحكم ، والتجافى عن العدل ، واحلال الباطل والزيف ، محل الثابت المشروع ، والحق المستحق •• مضحيا فى سبيل ذلك بمصالح الناس ، وحقوق الآخرين من أجل مصلحته الشخصية ، التى عمل المجتمع على توفيرها له ، وايصالها اليه كاملة غير منقوصة ، ثم لا يناله منه كفاء ذلك الا الكفران والطغيان ، واهتضام الحقوق ونصرة الظالمين ، ونسى أن الدنيا مهما غفلت عنه أو تغافلت عن سلوكه فان هناك يوما قريبا تهتك فيه أسراره ، وينال جزاءه ، وينبذه المجتمع من صفوفه

نبذ النـــواة ، وتركله الدولة بكل امتهان واحتقار .. وتاريخنا القريب والبعيد خير شاهد ، وأوفى دليل .. ومن وراء ذلك كله حساب عسير ، ومقت غليظ ينتظره في يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار عند من لا يخفى عليه ذنب ولا يبلى لديه بر ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حكم على هؤلاء وأمثالهم بالتعاســـة الأبدية ، والانتكاس الدائم في قوله صـــلى الله عليه وســلم الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه : « تعس عبـد الدينـار والدرهم والقطيفة ان أعطى رضى ، وان لم يعط لم يرض» أخرجه البخارى ؟

**د. محمد محمد الشرقاوى**

# مذهب حوارى النبى فى تسمية أبنائه

للأستاذ السيد حسن قرون

وحوارى النبى صلى الله عليه وسلم ( الزبير بن العوام بن خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصى ) وأمه ( صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصى ) عمة محمد النبى وخاتم المرسلين . وكلمة حوارى لك أن تفسرها (بالناصر) أو (بالخليل) أو (الخالص من كل شىء) أو بكل أولئك . ويقولون فى سبب تلقيبه بهذا اللقب أن الرسول يوم الخندق قال : من يأتينى بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا . فقال النبى : من يأتينى بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا . فقال : من يأتينى بخبر القوم : فقال الزبير : أنا . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان لكل نبى حواريا ، وان حواريى الزبير » ويذكرون أن ابن عمر سمع رجلا يقول : أنا ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن عمر : ان كنت من آل الزبير والا فلا .

وقد عرف الزبير بالشجاعة والاقدام والفروسية من صغره ، فقد نشأ فى أسرة قرشية تتسم بالاباء والمنعة والبطولة ، ولها مكانتها فى قريش ، أبوه العوام كان بطل حرب الفجار ، ولبنيها تطلعات الى الرياسة فى الجاهلية والاسلام ، وأنا لا أذكر تاريخ هذه الأسرة الا بمقدار ما يمس شخصية الزبير وأثره فى تنشئته ، فهو ينحدر من ( أسد بن عبد العزى ) ومع أن قصيا لم يجعل لابنه ( عبد العزى ) نصيبا فى مناصبه كما جعل لأخيه عبد الدار وأخيه عبد مناف الا أن قريشا اعترافا بفضلهم ، وتقديرا لمنزلتهم جعلت لهم ( المشورة ) فى شئون الحرب والسلم ، وكانوا من الثراء والسخاء ، بما يرضى العلياء ، ويكفيك اشادة بثرائهم وسنائهم أن خديجة بنت خويلد عمة الزبير وزوج النبى كانت كما تروى السيرة من « أوسط

قريش نسبا ، وأعظمهم شرفا ، وأكثرهم مالا » وفى وفد قريش القادم على سيف بن ذى يزن لتهنئته باعتلاء عرش آبائه بعد طرد الأحباش كان أسد بن عبد العزى بن قصى مع عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وأبو الصلت الثقفى والد الشاعر ( أمية ) ومن أبنائه من كان يريد أن يكون ملكا على مكة هو عثمان بن الحويرث مستعيا بقيصر الروم ،ورضيت قريش وأبى بنوعمه، فدسوا اليه من قتله بالشام • وانك لتعجب لرجل منهم هو أبو البخترى ابن هشام نهى النبى عن قتله بغزوة بدر على شركه وخروجه مع قريش محاربا لرسول الله ؟ لأنه فى مكة كان لا يؤذى الرسول « وكان(١) ممن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطلب » فلقيه الصحابى المجذر بن زياد البلوى ، فأنهى اليه وصية الرسول ، وأراد أسره ، فأبى البخترى الا أن يعامل زميله ( الليثى ) معاملته قائلا : « لا تحدث عنى نساء قريش من أهل مكة أنى تركت زميلى حرصا على الحياة وأنشد •

لن يسلم ابن حرة أكيله
حتى يموت أو يرى سبيله

فقتله المجذر بعد جلاد ، وكانت له مندوحة فى الأسر والفداء ، وعرفان الرسول بجميله ، ولكن صده عن السلامة الحفاظ المر والخلق الوعر ومنهم ورقة بن نوفل ابن عم خديجة وهو القائل لها حين أخبرته خبر زوجها : « لئن كنت صادقة ان زوجك لنبى ، وليلقين من أمته شدة ، ولئن أدركته لأومنن به » •

وقد نشأ الزبير يتيما فكفلته أمه صفية بنت عبد المطلب ، فصنعته على عينها محاربا لا يعرف الا ميادين القتال ، وفارسا يستهويه الصيال والنزال ، وأسمته الزبير باسم أخيها الزبير بن عبد المطلب صاحب ،( حلف الفضول ) الذى قال فيه الرسول : « ما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم ، وأنى

---

(١) الطبرى ــ غزوة بدر .

أعذر به هاشم وزهرة وتيم ـ تحالفوا أن يكونوا مع المظلوم ما بل بحر صوفة ولو دعيت به لأجبت .. » ومن تربية صفية للزبير ما حدث به هشام ابن عروة عن أبيه قال : ان[1] صفية كانت تضرب ابنها ضربا شديدا ـ وهو يتيم ـ فقيل لها : قتلته ، خلعت فؤاده ، اهلكت هذا الغلام . قالت :

انما أضربه كى[2] يلب
ويجر الجيش ذا الجلب [3]

ومن حوادثه فى صغره قالوا : قاتل الزبير ـ وهو غلام ـ رجلا فكسر يده ، وضربه ضربا مبرحا ، فمر بالرجل على صفية وهو يحمل فقالت : ما شأنه ؟ قالوا : قاتل الزبير . فقالت

كيف رأيت زبرا أ أقطا أم تمرا .
أم مشمعلا[4] صقرا ؟ .

فهى لم تغضب على ابنها ، ولم تنكر فعلته ، بل هشت لما فعل ، ورجزت بما حصل ، وعدته شمائل نجابة ، وبواكير بطولة ولولا الاسلام لكان من فتاك العرب أمثال عنترة وعمرو ابن كلثوم وعمرو بن معد يكرب .

وأسلم الزبير وهو فى مقتبل الشباب فى السادسة عشرة من عمره ـ على أصدق الأقوال ـ بعد أبى بكر رابعا أو خامسا ، وهو من السابقين الأولين ، والعشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين اختارهم عمر ـ بعده ـ للخلافة ، ثم هو من مهاجرة الحبشة ولما هاجر الى المدينة آخى النبى بينه وبين طلحة بن عبيد الله .

وواتته فرصته حين أذن للرسول بالقتال ، فأبدى من ضروب البطولة ما يرضى الله ورسوله ، ففى غزوة بدر كان الفارس المعلم وفى غزوة أحد ثبت مع رسول الله وبايعه على الموت ، وفى فتح مكة حمل احدى رايات المهاجرين الثلاث . قال أبو كبشة الأنصارى : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كان الزبير بن العوام على المجنبة اليسرى ، وكان المقداد بن الأسود على المجنبة اليمنى ، فلما دخل رسول الله مكة

(١) الطبقات الكبرى .
(٢) يقوى .
(٣) الأصوات الصاخبة .
(٤) الربع الماضى .

وهدأ الناس جاءا بفرسيهما ، فقام رسول الله يمسح الغبار عن وجوههما بثوبه وقال : انى قد جعلت للفرس سهمين ، وللفارس سهما ، فمن نقصهما نقصه الله .

وتمر الأيام ، وتترعرع شجرة الاسلام ، ويشترك الزبير فى فتوح الشام ، فيعد سيفه بمثابة ثلاثة آلاف ، ويعرف مكانه ، فيشار اليه بالبنان ، ثم يندب مددا لعمرو بن العاص فى مصر ، فيقال له : ان بها الطاعون ، فيقول : « انما جئنا للطعن والطاعون » وهذه كلمة تختصر حياة ذلك البطل المؤمن ، فهو لا يبالى المخاطر ، ولا ينظر فى العواقب ، ولا يخشى المنون ؟ انه من جند الرحمن ، ومتى كان لجند الرحمن مطلب غير الشهادة ورحمة الله فى جنة الرضوان ؟ حصانه تحته وسيفه فى يده ، سيف طالما كشف الغمة عن وجه رسول الله ــ كما قال على بن أبى طالب عنه ــ فلا غرو اذا رأيناه قد اتخذ له مذهبا فريدا فى تسمية أبنائه ، فهو لا يسميهم الا بأسماء الشهداء . يقول الزبير رضى الله عنه : « ان طلحة بن عبيد الله التيمى يسمى بنيه بأسماء الأنبياء ، وقد علم أن لا نبى بعد محمد ، وانى أسمى بنى بأسماء الشهداء لعلهم أن يستشهدوا

وعلى هذه القاعدة وذلك المذهب جاءت أسماء أبنائه ؛ فسمى ( عبد الله ) بعبد الله بن جحش شهيد غزوة أحد ، دفن مع خاله حمزة بن عبد المطلب فى قبر واحد ، و ( المنذر ) بالمنذر ابن عمرو الأنصارى من بنى ساعدة أرسله رسول الله صلوات الله وسلامه عليه الى ( بئر معونة ) من أرض نجد فى أربعين راكبا من خير الصحابة ليدعوا أهلها للاسلام ، وكان أبو براء عامر ابن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة طلب الى الرسول أن يبلغ دعوته ، وألح فى طلبه حين رأى النبى يذكر غدر أهل نجد ، وقال : أنا جار لهم ، ولما بلغوا بئر معونة لقوا الشهادة بغدر عامر بن الطفيل ؛ اذ فاجأهم وهم بغار على ماء هناك ، وكان لهذا الحادث أثره العميق فى نفوس المسلمين ، منهم المنذر وعامر بن فهيرة

مولى أبى بكر ، ونافع بن بديل الخزاعى ، هذا الحادث هز شعراء الرسول فقالوا شعرا حزينا ، قال حسان يخاطب أبا براء :

بنى أم البنين ألم يرعكم
وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبى براء
ليحفره (١) ، وما خطأ كعمد

ولئن غطى الحزن سماء المدينة بفقد هؤلاء الأخيار فقد أعقب خيرا جزيلا ؟ اذ كان كل شهيد حين يطعن يقول : فزت ورب الكعبة وسأل الكفار : كيف فاز ، ألم يمت ؟ فلما علموا أنها الشهادة رغبوا فى الاسلام فأسلموا ، ويروى أنس أننا كنا نقرأ فيما نسخ : « بلغوا عنا اخواننا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه » والآية التى نسختها قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » وكان الزبير ممن أصابه الحزن ، وعز عليه مقتل المنذر الأنصارى فسمى ابنه باسمه ، وتفصيل الخبر يحتاج الى بيان أطول، ولكنا نكتفى بهذا القدر ، كان ذلك فى السنة الرابعة من الهجرة ، وسمى ( عروة ) بعروة بن مسعود الثقفى ، فقد أسلم ، وطلب الى الرسول أن يرسله الى قومه بالطائف ليدعوهم الى الاسلام ، فلما جاءهم ودعاهم رموه بالنبل حتى خر صريعا سنة تسع من الهجرة ، و ( حمزة ) بحمزة بن عبد المطلب شهيد أحد ، وسمى ( جعفرا ) بجعفر بن أبى طالب الطيار شهيد غزوة مؤتة ، و ( مصعبا ) بمصعب ابن عمير حامل اللواء وشهيد أحد ، و ( عبيدة ) بعبيدة بن الحارث شهيد غزوة بدر ، وأحد الأبطال الثلاثة الذين بارزوا عتبة بن ربيعة وأخاه وابنه ، و ( خالدا ) بخالد بن سعيد « شهيد مرج الصفر » و ( عمرا ) بعمرو بن سعيد أخى خالد قتل يوم اليرموك • والشهداء الذين اختار أسماءهم لبنيه بطولاتهم تستحق التنويه ، فهم قدوة المقتدى ، ومنارة المهتدى ، أدوا حق الله عليهم ، فرضى

---

(١) ينقض عهده .

عنهم ورضوا عنه ، وكانوا حماة أباة ذادة حموا الدين والأرض والعرض، والزبير من معدنهم وعلى نهجهم يسير، أحبهم وعاش يذكرهم ، وتمنى لبنيه أن يكونوا مثلهم مؤمنين صابرين ، ينشرون العقيدة ، ويرفعون راية الاسلام ، وكم لابنه عبد الله من مواقف حربية فى الفتوحات الاسلامية شهدتها مصر والشام والقسطنطينية • واشتهر من ولده غير عبد الله مصعب ابن الزبير صاحب العراق فى عهد خلافة أخيه بالحجاز فكان نعم الوالى والقائد ، يقول عنه خصمه عبد الملك ابن مروان حين قتل : متى تلد نساء قريش مثل مصعب ؟ أما عروة فاشتهر بالرواية والأخبار والعناية بالتاريخ الاسلامى قبل أن تدون الكتب ، وتظهر السيرة فى مجلدات • لقد كان بنو الزبير سادة فى المجتمع العربى والاسلامى فى القرن الأول الهجرى سواء أكانوا فى الحكم أم خارجه ، قصدهم الشعراء فى الحالين، فلقوا حباء ونوالا • واننا لننظر اليوم الى مذهب الزبير فنراه سديدا ، فقد أراد لبنيه أن يعتصموا بحبل الله ، وأن يكونوا شهداء فى سبيله لا ينسون المرام أبدا ، وكيف ينسونه وأسماؤهم تدعوهم كلما دعوا بها ؟ ولنا من مذهبه اقتداء فيجب أن ننشىء أبناءنا على التقاليد الاسلامية بذكر البطولات ، ونغرسها غرسا يبلغ القلوب والألباب ، فللعقيدة أثرها فى صوغ البسالة وصنع الأمجاد ، والزبير نفسه مثل رفيع فى البذل والعطاء ، والشجاعة والاباء ، فدائى عظيم ، وصحابى جليل •

ونحن حين نقرأ عن الغزوات والحروب التى اشترك فيها ، يخيل أنه ضخم الجثة ، طويل القامة عملاق ، ولكن محمد بن سعد يقول : « كان الزبير بن العوام رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير ، خفيف اللحم ، خفيف شعر اللحية ، أسمر اللون ، طويل شعر الرأس » • ولكن ايمانه جعله يعلو كل عملاق ، فيتسلق حصن ( بابليون ) على المتحصنين به من الروم ، فيروعهم أن يكون بينهم مكبرا ويفتح الحصن ، فتفتح مصر •

وهذا الشجاع الباسـل لم يقتل فى معركة ، ولم يستشهد فى غزوة ، انما قتل غدرا حين ترك قتال على ابن أبى طالب فى موقعة الجمل ، قتله عمرو بن جرموز مع رجال من بنى مجاشع فى وادى السباع من أرض تميم سنة ٣٦ هـ وهو ابن أربع وستين سنة ، وفى الغدر به قال جرير يعير بنى مجاشع :

انى تذكرنى الزبير حمـامة
تدعـو بأعلى الأيـكتين هـديلا

يا لهف نفسى اذ يغرك حبلهم
هلا اتخذت على القيون(١) كفيلا

قالت قريش : ما أذل مجاشـعا
جارا ، وأكرم ذا القتيل قتيلا !

أفبعـد متركـكم خليل محمـد
ترجو القيون مع الرسول سبيلا؟

أفتى الندى وفتى الطعان غررتم
وأخا الشمال اذا تهب بليلا ؟

رحم الله الزبير بن العوام ، فقد كان فارس الاسلام على عهد رسـول الله وعهد خلفائه ؟

**السيد حسن قرون**

---

(١) العبيد والمفردقين .

# العقار والمنقول

للدكتور ابراهيم دسوقي الشهاوي

نظرا لاختلاف العلماء فيما تثبت فيه الشفعة نرى من ضرورات البحث تحديد معنى كل من العقار والمنقول عند الباحثين في الفقه الاسلامي • ثم نتبع ذلك برأى فقهاء القانون الوضعي •

العقار والمنقول في الفقه الاسلامي:

اختلف الفقهاء في تعريف العقار على قولين :

القول الأول : أنه ما لا يمكن نقله وتحويله عن مكانه • والذى لا يمكن نقله وتحويله عن مكانه انما هو الأرض ، سواء أكانت زراعية أم معدة للزراعة أو البناء أو أى انتفاع آخر ، أم كانت فضاء ، وقد ذهب الى ذلك غير المالكية •

القول الثانى : أن العقار هو ما له أصل ثابت لا يمكن نقله وتحويله من مكان الى آخر مع بقاء هيئته وشكله ، فهو يتناول الأرض والبناء والشجر والنخل وغيره مما له أصل ثابت مستقر ، وقد ذهب الى ذلك المالكية •

وقد اختلفوا في تعريف المنقول على قولين :

القول الأول : أنه ما أمكن نقله وتحويله من مكان لآخر ، سواء أبقى مع ذلك النقل والتحويل على هيئته وشكله أم تغيرت هيئته وشكله ، فهو يشمل البناء والشجر وجميع أنواع الحيوان ، والعروض ، والذهب والفضة ، والمعادن في مناجمها والقناطر والسفن ، والموزونات ، والمكيلات وغيرها من أنواع المال ، ذهب الى ذلك غير المالكية •

القول الثانى : أنه ما أمكن نقله وتحويله من مكان لآخر مع بقاء هيئته وشكله ، أى بحالته التى هو عليها كالدابة مثلا ، فهو يشمل كل مال مستقل بذاته غير متصل بالأرض اتصال استقرار ودوام ، ولا يشمل

البناء والشجر والنخل ، لأن البناء اذا نقل لا يستقر على هيئته وشكله ، بل يصير أنقاضا ، والشجر الذى له أصل مستقر اذا قطع ونقل من مكانه يصير أخشابا لا شجرا ، ذهب الى ذلك المالكية •

والذى ينظر فى هذه التعاريف لكل من العقار والمنقول يتبين له أن العقار عند المالكية أعم من العقار عند غيرهم ، لأنه يشمل الأرض والبناء والشجر والنخل ، أما عند غيرهم فانه خاص بالأرض ، وأن المنقول عند غير المالكية أعم من المنقول عند المالكية لأنه يتناول البناء والشجر والنخل ، أما عند المالكية فانها عقار •

ونحن نرجح ما ذهب اليه المالكية فى تعريف كل من العقار والمنقول ، لأن الثبات والاستقرار يعتبر بطول البقاء على حالة واحدة عادة ، كما فى البناء والشجر أو طبعا ، كما فى الأرض ، ويؤيد ذلك ما ورد فى كتب اللغة من أن العقار هو : « الثابت المستقر » أى مطلقا ، سواء كان الثبوت والاستقرار عادة أو طبعا •

العقار والمنقول فى القانون الوضعى :

عرف القانون الوضعى العقار فى المادة «٨٢» من المجموعة المدنية ، ونصها فى فقرتين :

الفقرة الأولى : كل شىء مستقر بحيزه ثابت فيه لا يمكن نقله منه دون تلف فهو عقار •

الفقرة الثانية : يعتبر عقارا بالتخصيص المنقول الذى يضعه صاحبه فى عقار رصدا على خدمة هذا العقار او استغلاله ويؤخذ من مجموع فقرتى المادة المشار اليها أن العقار نوعان : عقار بالطبيعة وعقار بالتخصيص •

ويستفاد من الفقرة الأولى أنه يلزم لاعتبار الشىء عقارا بالطبيعة أن يكون الشىء حائزا لصفة الاستقرار والثبات، سواء اكتسب هذه الصفة بأصل خلقته كالأرض ، أم بصنع صانع كالمبانى والنباتات المغروسة ، وسواء أكانت الأرض مزروعة أم كانت فضاء ، وسواء أكانت الأرض الفضاء معدة للبناء أم كانت معدة للزراعة ، أم لغير ذلك، وسواء ،أكانت الأرض فى المدن أم كانت فى القرى ، وسواء قلت

قيمتها أو كثرت ، فجميع هذه الصور عقار لتحقق صفة الاستقرار والثبات فيها •

وتشمل الأرض سطحها وكل ما تحتها مما يتصل بها ويعتبر جزءا منها كالمعادن ، وسائر الطبقات المكونة لها ، ولكنها لا تشمل الكنوز والآثار المدفونة في داخلها ، لأن هذه الأشياء لها ذاتية مستقلة منفصلة عنها ، ولا تعتبر منها بل تعتبر منقولة ، كما يعتبر منقولا الأجزاء التي انتزعت من الأرض أو انفصلت عنها كالأتربة والأحجار الكريمة والمعادن المستخرجة من الأرض •

وتعتبر المباني بجميع أنواعها أشياء عقارية ، فهي تشمل دور السكنى ، والمخازن والمصانع ، وكل المنشآت الثابتة فوق الارض أو تحتها ، كالخزانات والقناطر والجسور والأنفاق والآبار المبنية والمخابىء ، فكل هذه الأشياء وما ماثلها من الأبنية أشياء عقارية ، وسواء أكانت قيمتها ضئيلة أم كانت كبيرة ، وسواء أكانت اقامتها دائمة أم كانت مؤقتة كأبنية المعارض مثلا ، وسواء أكان الباني لها نفس مالك الأرض ، أم كان غيره كالمنتفع بها ، أو المحتكر لها، أو الحائز أو المستأجر •

ويمتد وصف العقار الى جميع أجزاء البناء التي لا يتم الا بها باعتبارها جميعا وحدة يكمل بعضها بعضا ، فالشرفات والابواب والشبابيك والمصاعد وأنابيب المياه والغاز والكهرباء تعتبر جميعها أشياء ثابتة بطبيعتها ، ويبقى لها هذا الوصف ما دامت حائزة لصفة الاستقرار والثبات ، فاذا نزعت من المباني عدت من المنقولات •

وتعتبر النباتات عقارا بطبيعتها ما دامت متصلة بالأرض ، وتمتد جذورها فيها ، سواء قلت قيمتها أم كثرت ، وسواء أطال مكثها في الأرض أم لم يطل ، فنباتات المشاتل الممتدة جذورها في الأرض تعتبر عقارا ما دامت ثابتة في الأرض ، وان كانت معدة لأن تنقل ، وسواء أكان

الغارس لها المالك للأرض ، أم كان الحائز أو المحتكر او المنتفع أو المستأجر ، فالعبرة باتصال النباتات بالأرض اتصالا لا يمكن معه نقلها بدون أن يعتريها تلف او خلل •

ويلحق وصف العقار الثمار ما دامت متصلة بغصونها المتصلة بالأرض ، وتظل النباتات وثمارها أشياء عقارية ما دامت متصلة بالأرض، فاذا انفصلت اعتبرت منقولا ، فالأشجار بعد قطعها ، والحاصلات والثمار بعد جنيها تعتبر أشياء منقولة ، وتزول عنها صفة العقارية •

وتفيد الفقرة الثانية من المادة «٨٢» المشار اليها أنه يلزم لاعتبار الشيء عقارا بالتخصيص توافر شرطين :

الأول : أن يكون المنقول والعقار مملوكين لشخص واحد ، فاذا كان المنقول مملوكا لشخص والعقار مملوكا لآخر لم يكتسب المنقول صفة العقار بالتخصيص ، لأن اعتبار المنقول عقارا بالتخصيص مبنى على تبعيته للعقار ، ويلزم لوجود هذه التبعية وقيامها أن يتصف بوصف الثبات والاستقرار ، وهذا لا يمكن أن يتوافر الا اذا كان المنقول والعقار مملوبين لشخص واحد ويترتب على هذا الشرط لأن صاحب حق الانتفاع أو المستأجر لا يملك جعل المنقولات التى تلحق بالعقار لخدمته أو استغلاله ثابتة بطريق التخصيص ، حتى تأخذ حكم العقار بطبيعته •

الثانى : أن يخصص المنقول لخدمة عقار بطبيعته أو استغلاله ، فالمواشى والآلات المستعملة فى أرض مالكها عقارات بالتخصيص فتأخذ حكم العقار بطبيعته •

وأما المنقول فى القانون الوضعى فانه يؤخذ من مفهوم المادة «٨٢» الخاصة بتعريف العقار بأنه هو الشيء الذى يمكن أن ينقل من مكانه دون أن يعتريه تلف أو خلل ، سواء انتقل بذاته أم بقوة دافعة ، والمنقول نوعان :

الأول : منقول بطبيعته ، وهو ما ليس عقارا ولا منقولا بالتخصيص

لخدمة عقار أو استغلاله ، والنوع الثانى منقول بحسب المآل وهو الشىء المتصل بالأرض المعد لأن ينفصل عنها بعد قليل من الزمن كالمزروعات والثمار ، فانها عقار بطبيعتها ولكنها بحسب ما تؤول اليه منقول ، فتأخذ حكم المنقول قبل انفصالها عن الأرض بزمن قليل ، فالمزروعات القائمة قبل ظهور نضجها عقار ، وبعده منقول ، واعتبر ذلك بحسب المآل لقصر زمن مكثها متصلة بالأرض •

والناظر فى تعاريف كل من العقار والمنقول عند علماء الفقه الاسلامى والقانون الوضعى يتبين له أن القانون الوضعى قد وافق ما ذهب اليه المالكية فى بيان حقيقة كل من العقار والمنقول، وهو ما سبق أن رجحناه ؟

**د/ ابراهيم دسوقى الشهاوى**

## من أعلام القضاء فى الإسلام :

# شريح بن الحارث الكندى

للدكتور محمد ابراهيم الجيوشى

**نسبه :**

أحد العبقرة الذين أنجبتهم الأمة العربية ، ومن أوتوا البديهة الحاضرة ووهبوا العقل الراشد،والحكم الفصل، منح النظرة الصائبة والفراسة الملهمة لاستخراج الحق من بين ثنايا الباطل، والنفاذ الى الحقيقة من خلال ما يغطيها من غيوم •

ذلك هو القاضى شريح بن الحارث ابن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معوية بن ثور ، أبو أمية الكندى احدى قبائل اليمن ، ويقال انه من أولاد الفرس الذين استقروا باليمن ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكن لقاءه له لم يتفق عليه المؤرخون، وقد روى ابن حجر فى تهذيب التهذيب بسنده الى ميسرة ابن القاضى شريح عن أبيه أنه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ثم قال : يا رسول الله ان لى أهل بيت ذوى عدد باليمن ، فقال له : جئ بهم فجاء بهم الى النبى صلى الله عليه وسلم(١).الا أن ابن حجر يعقب على هذا الخبر بما ينبئ عن شكه فى وقوعه حينما يسنده الى مصدره الذى رواه عنه بقوله : رواه ابن السكن من هذا الوجه فى كتاب الصحابة ، وقال لم أجد له ما يدل على لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذا والله أعلم بصحته(٢) •

وسئل مرة : ممن أنت ؟

فأجاب : ممن أنعم الله عليهم بالاسلام ، وعدادى فى كندة (٣) •

---

(١) تهذيب التهذيب جـ ٤ ص ٣٢٨ • ويقول ابن عساكر فجاء بهم والنبى قد قبض جـ ٦ ص ١٠٢

(٢) تهذيب التهذيب جـ ٤ ص ٣٢٨

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٣٠٤

ويقول عنه ابن عساكر : انه كان شاعرا راجزا قائفا ، وكان كوسجا ليس له لحية ، وكان أحسن فقهاء الكوفة (١) •

**صفاته :**

وروى ابن خلكان عن ابن عبد البر قوله : وكان شاعرا محسنا ، وهو احد السادات الطلس ، وهم أربعة : عبد الله بن الزبير ، وقيس بن سعد ابن عبادة ، والاحنف بن قيس الذى يضرب به المثل في الحلم ، والقاضى شريح المذكور ، والأطلس الذى لا شعر في وجهه (٢) وكان شاعرا راجزا قائفا ، كوسجا ليس له لحية وكان أحسن فقهاء الكوفة •

وهو كوفي تابعي ثقة ، وقال ابن سيرين كان تاجرا ، وكان صاحب مزاح ومعاريض ويقال انه تعلم العلم من معاذ •

**شيوخه :**

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا ، وعن طائفة من الصحابة منهم عمر وعلى ، وابن مسعود ، وعروة البارقى ، وعبد الرحمن بن أبى بكر وزيد بن ثابت •

**تلاميذه :**

وتلقى عنه طائفة من أعلام التابعين ونابهى الفقهاء وساداتهم فى زمنهم ، ومنهم الشعبى ، وأبو وائل ، وقيس ابن أبى حازم ، وابن سيرين ، وعبد العزيز بن رفيع وابن أبى صفية، ومجاهد بن جبير ، وعطاء بن السائب ، وأنس بن سيرين وابراهيم النخعى •

وكان شريح مهيبا وقورا حتى ان الشعبى فى علمه وفضله ومعرفته الواسعة لما سئل : عمن كان يروى شريح ؟

**مكانته العلمية :**

قال : كان أعظم فى أنفسنا أن نسأله عمن كان يروى (٣) •

وكان شريح مع ما هو عليه من مقدرة ذهنية فذة كان يلتزم الآثار ولا يسمح لنفسه أن يستعمل القياس، ويرى فى اتباع الآثار حفظا من الزلل،

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٣٠٤

(٢) وفيات الأعيان جـ ٦ ص ٢٥٥/٢٥٦ نشر الرفاعي وشذرات الذهب جـ١ ص٨٥ نشر مكتبة القدس .

(٣) ابن عسكر جـ٦ ، ص٣١٠

فقد سأله يوما رجل من مراد : ما دية الأصابع ؟ فقال عشر ، عشر •

**متابعته للأثر ونفوره من القياس :**

فقال الرجل : يا سبحان الله ، سواء هاتان ؟! وجمع بين الخنصر والابهام ، فقال شريح : يا سبحان الله أسواء أذنك ويدك ؟

فقال : الأذن ، يواريها الشعر والكمة والعممة فيها نصف الدية ، وفي اليد نصف الدية ، ويحك ان السنة سبقت قياسكم ، فاتبع ولا تبتدع ، فانك لن تضل ما أخذت بالأثر (١) وكان يقول : أنا أقتص الأثر فما وجدته فيه حدثتكم به(٢) وكان يقول : سمعنا الأحاديث قبل أن تلطخ •

**نسكه ودينه :**

وكان شريح رجلا ناسكا قانتا كثير الصلاة والعبادة • وفي هذا يروى الشعبى فيقول : خرجت في العيد مع مسروق وشريح وكان من أكثر أهل الكوفة صلاة ، فلم يصل قبلها ولا بعدها •

وكان يدخل يوم الجمعة بيتا يخلو فيه لا يدرى الناس ما يصنع فيه (٣) •

**وفاته :**

وعاش شريح على ما قيل مائة وعشرين سنه في ارجح الاقوال وبعضهم ينزل بها الى مائة وخمس وبعضهم يعلو بها الى مائة وثمانين ، وتاريخ وفاته مختلف فيه فقيل توفى سنه ثمان وسبعين ، وقيل سنه وثمانين ، قضى من حياته خمسا وسبعين سنه قاضيا بين الناس وهي أطول مدة عرفتها لرجل تولى القضاء ، وقد ولاه عمر القضاء وعمره أربعون سنة كما يروى عن نفسه وظل قاضيا حتى استعفى من الحجاج قبل وفاته ، وقد التصق به شهرته بالقضاء حتى صار لفظ القاضي صفة مميزة له ، وفي خلال هذه الفترة الطويلة جرت له أحداث ونوادر يبدو فيها قدرته الفائقة على الوصول الى القول الفصل فيما يعرض له من قضايا ، وقد ساعده على ذلك فكر صائب ونظر سديد ودراية واسعة واحاطة بالسنة ودين عاصم من الزلل •

---

(١) ابن عساكر جـ ١ ص ٣١١
(٢) ابن عساكر جـ ٦ ص ٣١١
(٣) ابن عساكر جـ ٦ ص ٣١٠

**صبره على طلب العلم :**

وقد سئل يوما : بأى شىء أصبت هذا العلم ؟

فأجاب : بمفاوضة العلماء ، آخذ منهم وأعطيهم(١) •

وكان لا نظير له فى القضاء وفى هـذا يقول الشعبى كان شريح أعلم بالقضاء وكذلك قال غير الشعبى(٢) •

**تحريه الحق :**

وقد تولى قضاء الكوفة والبصرة حتى لقب بقاضى المصرين • وكان شديد التحرى للحق لا يبالى غضب الناس أو رضوا حتى قال كلمته المشهورة : أصبحت وشطر الناس على غضاب(٣) •

وكفل ابنه رجلا ففر ، فحبسه ، وكان يرسل اليه الطعام فى الحبس ، ويرسل اليـه القطيفة أو المرقعة ، واستعدى رجل على رجل بينه وبين شريح نسب فأمر به فحبس ، فلما قام ذهب الرجل يكلمه فأعرض عنه ، وقال له ، أنا لم أحبسك ولكن حبسك الحـق •

وكان بعض أهله يسأله عن الشىء ، فيقول : لا أرى شاهدا بغائب ، اذهب حتى تجىء أنت وصاحبك على السـواء ، لا تدرى أيقضى لك أو عليك(٤) ؟ •

**رحلاته :**

وقيل انه خرج الى المدينة ثم الى العراق لأن أمه تزوجت بعد أبيـه فاستحيا(٥) وذهب الى الشـام زمن معاوية بن أبى سفيان ، وكانت له قصة مع قاضى دمشق أفحمه فيها ولما بلغ أمره الى معاوية أمر أن يفرغ من أمره وأن تعجـل عودته الى العراق خشية أن يفسد عليه الناس •

**مع قاضى معاويه :**

وهذه هى القصة كما رواها ابن عساكر : قدم شريح الشام الى قاض لمعاوية يطالب رجلا بحق له •

فقال القاضى لشريح : أرى حقك قديما •

قال شريح : الحـق أقدم منك ومنه •

---

(١) ابن عساكر جـ ٦ ص ٣٠٤/٣٠٥
(٢) ابن عساكر جـ ٦ ص ٣٠٤
(٣) ابن عساكر جـ ٦ ص ٣٠٨
(٤) ابن عساكر جـ ٦ ص ٣٠٨
(٥) الأغانى جـ ٢١ ص ٣٥

فقال : انى أظنك ظالما •

فقال : ما على ظنك رحلت من العراق •

قال : ما أظنك تقول الحق •

قال : لا اله الا الله خق أو باطل •

فنمى الخبر الى معاوية فقال : هذا شريح ، وأمر أن يفرغ من أمره ، ويرد الى العراق(١) •

**حرصه على نزاهة القاضي :**

ومن أمثلة تحريه للحق فى القضاء أنه كان فى مجلس الحكومة ، فدخل عليه الأشعث بن قيس فقال : مرحبا وأهلا بشيخنا وسيدنا ، وأجلسه معه ، فبينما هو جالس عنده دخل رجل يتظلم من الأشعث •

فقال له شريح : قم فاجلس مجلس الخصم ، وكلم صاحبك •

فقال : بل أكلمه من مجلسى •

فقال له : لتقومن أو لآمرن من يقيمك ••

فقال له الأشعث : لم ما ارتفعت •

قال : رأيت ذاك ضرك ؟

قال : لا •

قال : فأراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك •

**نصحه لاصدقائه**

وكان من كمال مروءته يعرف حق أصدقائه عليه ويرى اسداء النصح لهم حقا لابد ان يؤديه ، فقد حدث الشيبانى قال : اخبرنى صديق له قال سمعنى شريح وأنا أشتكى بعض ما غمنى الى صديق ، فأخذ بيدى وقال : يا بن أخى اياك والشكوى الى غير الله ، فانه لا يخلو من تشكو له أن يكون صديقا أو عدوا • فأما الصديق فتحزنه ولا ينفعك ، وأما العدو فيشمت بك ، انظر الى عينى هذه – وأشار الى احدى عينيه – فوالله ما أبصرت بها شخصا ولا صديقا منذ خمس عشرة سنة ، وما أخبرت بها أحدا الى هذه الغاية ، أما سمعت قول العبد الصالح : « انما أشكو بثى وحزنى الى الله ، فاجعله مشكاك ومحزنك عند كل نائبة تنوبك فانه أكرم مسئول ، وأقرب مدعو(٢)

---

(١) ابن عساكر جـ ٦ ص ٣٠٤

(٢) العقد الفريد جـ ١ ص ٧١/٧٢ تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان •

ويتجلى من خلال هذه النصيحة مدى الحرص على مرضـــاة الله ، وتعويد النفس ألا تقف فى مذلة الشكوى الا بين يديه ، وما أغلاها من نصـــيحة ساقها شريح وضرب المثل فى الصبر على البلاء من نفسه ، وما يعلم بمـــا نزل به أحد منذ خمسة عشر عاما ، وقد فعل ذلك فقط لئلا تتعود النفس ذل الخضوع الا للخالق سبحانه ولئلا يسىء الصديق ويسر العدو .

ومن الأمثلة التى تبرز مدى التوكل على الله والثقة فى قضائه والخضوع لأمره ما كتب به مرة الى صديق له هرب من الكوفة الى النجف فرارا من داء الطاعون الذى اجتاح الكوفة :

أما بعد ، فان الموضع الذى هربت منه لم يسق الى أجلك تمامه ، ولم يسلبه أيامه ، وان الموضع الذى صرت اليـه ليعين من لا يعجزه طلب ، ولا يفوته هرب ، وانا واياك على بساط فلك ، والنجف من ذى قدرة لقريب(١) .

وكان شديد الحرص على مراعاة حقوق الناس من حوله وحق المجتمع عليه فلا يسمح بأن يصيبهم أذى أو ضرر ، ومن ذلك أنه كان يأمر أهله اذا مات لأحد من أقاربه سنور أن يرمى به فى ساحة داره ولا يلقى به فى الشارع خشية أن يسبب للنـاس أذى ، وكان يمنع أهله أن يجعلوا منفذا للمـــاء من داره الى الطريق أيضا ..

وكان من حرصـــه على كرامة الانسانية فى الانسان يقول :

من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرق فان قضاها المسئول منه استعبده بها وان رده عنها رجع كلاهما ذليلا : هذا بذل البخل ، وذاك بذل الرد .

وجاءه يوما رجل يطلب قرضـــا فطلب اليه أن يذهب الى بيته ويشترى له ما يريد(٢) كل ذلك حرصا منه على ألا يشعر بذل الحاجة ..

وكان محاسبا لنفسه شديد التواضع بعيدا عن الغرور أو التعالى .. فقد

---

(١) العقد الفريد جـ ٣ ص ١٤٣
(٢) عيون الاخبار جـ ١٩٠

سأله رجل يوما قائلا : كيف أصبحت •

فقال : أصبحت طويلا أملى ، قصيرا أجلى ، سيئا عملى(١) •

**زواجه :**

روى الشعبى عن شريح قصة زوجه ، وهو فى هذه القصة يعطينا صورة واضحة عن البيت السعيد والزوجة الصالحة وما يتركه هذا من اثر طيب على حياة الأسرة ذاتها ورب الأسرة ذاته ، ونظرا لأن القصة مشوقة مفيدة فانا سنأتى بها كما رواها صاحب الأغانى ، وان كانت قد جاءت فى عدة كتب أخرى مع اختلاف طفيف فى مساق الالفاظ ، قال الشعبى : قال لى شريح : يا شعبى ، عليكم بنساء بنى تميم ، فانهن النساء •

قلت : وكيف ذاك ؟

قال : انصرفت من جنازة ذات يوم ظهرا ، فمررت بدور بنى تميم ، فاذا امرأة جالسة فى سقيفة على وسادة ، وتجاهها جارية رود(٢) جالسة على وسادة فاستسقيت ، فقالت لى : أى الشراب أعجب اليك : النبيذ أم اللبن أم الماء ؟

قلت : أى ذلك تيسر عليكم •

قالت : اسقوا الرجل لبنا ، فانى أخاله غريبا •

فلما شربت نظرت الى الجارية فأعجبتنى •

فقلت : من هذه ؟

قالت : ابنتى •

قلت : وممن ؟

قالت : زينب بنت جرير ، احدى نساء بنى تميم ، ثم احدى نساء بنى حنظلة ثم احدى نساء بنى طهية •

قلت : أفارغة أم مشغولة ؟

قالت : بل فارغة •

قلت : أتزوجينها ؟

قالت : نعم ان كنت كفئا ولها عم فاقصده •

فانصرفت فامتنعت من القائلة ، فأرسلت الى اخوانى القراء الأشراف : مسروق بن الأجدع ، والمسيب بن نجية ، وسليمان بن صرد الخزاعى ،

---

(١) العقد الفريد جـ ٢ ص ٢٥٩

(٢) هى التى بلغت ولها ذؤابة على ظهرها .

وخالد بن عرفطة العذرى ، وعروة ابن المغيرة بن شعبة ، وأبى بردة بن أبى موسى فوافيت معهم صلاة العصر ، فاذا عمها جالس .

فقال : أبا أمية ، حاجتك ؟

قلت : اليك .

قال : وما هى ؟

قلت : ذكرت لى بنت أخيك زينب بنت جرير .

قال : ما بها عنك رغبة ، ولا بك عنها مقصر ، وانك لنهزة ..

فتكلمت فحمدت الله جل ذكره . وصليت على النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكرت حاجتى فرد الرجل على ، وزوجنى وبارك القوم لى ، ثم نهضنا ، فما بلغت منزلى حتى ندمت .

فقلت : تزوجت الى أغلظ العرب وأجفاها ، فهممت بطلاقها ثم قلت : أجمعها الى فان رأيت ما أحب والا طلقتها . فأقمت أياما ثم أقبل نساؤها يهادينها فلما أجلست فى البيت أخذت بناحيتها فبركت ، وأخلى لى البيت .

فقلت يا هــذه ان من السنة اذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلى ركعتين ، وتصلى ركعتين ويسألا الله خير ليلتهما ، ويتعوذا بالله من شرها ، فقمت أصلى ثم التفت فاذا هى خلفى فصليت ثم التفت فاذا هى على فراشها ، فمددت يدى .

فقالت لى : على رسلك .

فقلت : احدى الدواهى منيت بها .

فقالت : ان الحمد لله أحمده وأستعينه ، انى امرأة غريبة ، ولا والله ما سرت مسيرا قط أشد على منه ، وأنت رجل غريب ، لا أعرف أخلاقك ، فحدثنى بما تحب فآتيه وما تكره فانزجر عنه .

فقلت : الحمد لله وصلى الله على محمد ، قدمت خير مقدم ، قدمت على أهل دار زوجك سيد رجالهم ، وأنت سيدة نسائهم ، أحب كذا وأكره كذا ..

قالت : أخبرنى عن أختانك(١) ، أتحب أن يزوروك ؟

فقلت : انى رجل قاض ، وما أحب أن تملونى ، قال فبت بأنعم ليلة ، وأقمت عندها ثلاثا ، ثم خرجت الى مجلس القضاء ، فكنت لا أرى يوما

(١) الأختان : جمع ختن ، وختن الرجل صهره .

الا هو أفضل من الذى قبله ، حتى اذا كان عند رأس الحول دخلت منزلى ، فاذا عجوز تأمر وتنهى .

قلت : يا زينب ، من هذه ؟

فقالت : أمى ، فلانة .

قلت : حياك الله بالسلام .

قالت : أبا أمية ، كيف أنت وحالك ؟

قلت : بخير ، أحمد الله .

قالت : أبا أمية ، كيف زوجك ؟

قلت : كخير امرأة .

قالت : ان المرأة لا ترى فى حال أسوأ خلقا منها فى حالين ، اذا حظيت عند زوجها واذا ولدت غلاما فان رابك منها ريب فالسوط ، فان الرجال والله ما حازت الى بيوتها شرا من الورهاء المتدللة .

قلت : أشهد أنها ابنتك ، قد كفيتنا الرياضة ، وأحسنت الأدب ..

قال : فكانت فى كل حول تأتينا فتذكر هذا ثم تنصرف .

قال شريح : فما غضبت عليها قط الا مرة كنت لها ظالما ، وذاك أنى كنت أمام قومى فسمعت الاقامة ، وقد ركعت ركعتى الفجر ، فأبصرت عقربا ، فعجلت عن قتلها ، فأكفأت عليها الاناء ، فلما كنت عند الباب قلت : يا زينب لا تحركى الاناء حتى أجىء ، فعجلت فحركت الاناء فضربتها العقرب ، فجئت فاذا هى تلوى ..

فقلت : مالك ؟

قالت : لسعتنى العقرب .

فلو رأيتنى ، يا شعبى وأنا أعرك أصبعها بالماء والملح ، وأقرأ عليها المعوذتين وفاتحة الكتاب ، وكان لى يا شعبى جار يقال له ميسرة بن جرير فكان لا يزال يضرب امرأته .

فقلت :

رأيت رجالا يضربون نساءهم
فشلت يمينى حين أضرب زينبا

أ أضربها فى غير جرم أتت به
الى فما عذرى اذا كنت مذنبا

فتاة تزين الحلى اذا هى حليت
كأن بفيها المسك خالط محلبا

يا شعبى ، فوددت أنى قاسمتها عيش(١) .

وقد ملأت حياة شريح سعادة وبهجة وأحالت بيته الى نعيم دائم يجد فى ظلاله الأمن والهدوء والراحة من عناء النهار ومتاعب المتخاصمين حتى انعكس ذلك على مشاعره فكان يحب أهل زوجه لأجلها ، ويزور من تزور ويخاصم من تخاصم تعبيرا عن الوفاء لحبها وتقديرا لحسن معاشرتها والقيام بحقوق زوجها حتى انه قال شعرا يترجم به عن مشاعره نحوها وأحاسيسه ، وتداول الشعر على ألسنة المغنين ينشدونه فى المحافل والمجالس وقد أورده صاحب الأغانى ونسبه الى شريح وفيه يقول :

اذا زينب زارها أهلها
حشدت وأكرمت زوارها

وان هى زارتهم ، زرتهم
وان لم أجد لى هوى دارها

فسلمى لمن سالمت زينب
وحربى لمن أشعلت نارها

وما زلت أرعى لها عهدها
ولم اتبع ساعة عارها(٢)

وهكذا نضى شريح هذه الحياة السعيدة الهانئة فأفاضت عليه من نعيمها وهيأت له مجالا من الراحة النفسية يلجأ فيها الى التأمل ، فكانت حياته حافلة بالنظر الصائب والحكم العدل والقول السديد ، فلم تعكر حياته منغصات زوجة حمقاء ، ولم تؤرق ليله بعوائها وضجيجها ، ولم تظلم يومه بانفعالاتها المحمومة وجشعها القاتل وقلبها الحقود ودينها الناقص..

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقول :

ما رزق المرء بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة ان نظر اليها سرته. وان أمرها أطاعته . وان غاب عنها حفظته فى عرضه وماله .

**طائفة من اخباره :**

وبلغ من نفاذ حجته أن قال عنه الشعبى : ما نعلم أحدا انتصف من

---

(١) الأغانى جـ ١٦ ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ طبع ساسى .
وردت القصة فى العقد الفريد جـ ٧ ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣
وتهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٣١٣ ، ٣١٤
(٢) الأغانى جـ ١٦ ص ٣٤ طبع ساسى .

شريح الا أعرابيا أتاه فى خصومة ، فجعل يكلمه ويمسه بيده •

فقال له شريح : ان لسانك أطول من يدك •

فقال الاعرابى : أسامرى أنت فلا تمس ؟

فلما أراد أن يقوم قال له شريح : انى لم أرد هذا بسوء •

فقال الأعرابى : فلا أجرمته اليك(١) •

وكان يؤم قومه ، فبلغهم أنه تكلم فى أمر حجر بن الأدبر بشىء •

فقالوا له : لا تؤمنا ، واعتزل •

فقال لهم : وأجمعتم على هذا ؟

قالوا : نعم ••

فاعتزل(٢) •

وأتاه رجل يخاصم امرأته فقال : ان هذه حديدة الركبة ، سريعة الوثبة تؤذى الجار ، وتشتم البعل ، وتقول الهجر •

فقال شريح : سبحان الله ، دون هذا الكلام عافاك الله •

فقالت المرأة : والله أيها الحاكم ، هو صفر المزود ، قليل التعهد ، ان جاع ضرع وان شبع استشبع •

فقال شريح : قوما عنى فى غير حفظ الله(٣) •

وكان من عادته اذا جاع أو غضب قام ولم يقض بين أحد •

وقال يحيى بن معين : رأيت على ظهر كفه قرحة ، فقلت : ما هذه ؟

فقال : بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير •

وقيل له : ألا تريها الطبيب ، فقال : هو الذى أخرجها •

**شريح الأب :**

كان شريح مع مسئولياته فى القضاء وامامة قومه ومنزلته بين الناس لاينسى أنه أب عليه أن يرعى بنيه ويحسن تربيتهم ويقوم على تأديبهم ، فاذا لم تدع له مسئوليات القضاء وقتا يقوم فيه بهذا الواجب مباشرة فلا بأس من أن يختار لأبنائه مؤدبين ومعلمين يتولونهم ويقومون بشئون ثقافتهم

---

(١) تهذيب ابن عساكر جـ ٦ ص ٣١٠
(٢) تهذيب ابن عساكر جـ ٦ ص ٣١٠
(٣) تهذيب ابن عساكر جـ ٦ ص ٣١٠

وتعليمهم ، وليكن هو بعد ذلك ملاحظا وموجها ، ومعينا للمؤدب على أن يضع بين يديه مالا يستطيع أن يصل اليه وحده ..

وهكذا كان ، فقد روى أنه افتقد ابنا له بعث فى طلبه ، فلما جاءه الرسول به سأله :

أين أصبته ؟

قال : وجدته يهارش الكلاب .

قال شريح لابنه : أصليت ؟

فأجاب : لا ..

فقال للرسول : خذ بيده فاذهب به للمؤدب وقل له :

ترك الصلاة لأكلب يلهو بها
طلب الهراش مع الخبيث الأنجس
فاذا أتاك فعضه بملامة
أو عظه موعظة الأديب الكيس..
واذا هممت بضربه فبدرة ..
فاذا ضربت بها ثلاثا فاحبس
فليأتينك عامدا بصحيفة
نكداء مثل صحيفة المتلمس
واعلم بأنك ما أتيت ، فنفسه
مع ما يجرعنى أعز الأنفس

**د . محمد ابراهيم الجيوشى**

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٣١٢ ، ٣١٣ . العقد جـ ٢ ص ٢٦٠

# النظام الإدارى الإسلامى :
# الضبط الإدارى فى الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفى

(١٨)

**الحسبة :**

وظيفة الضبط الادارى يقوم بها المحتسب بصفة أصلية ، الا أنه لا مانع من أن يقوم بها أصحاب الولايات الأخرى كل فى اختصاصه ؛ لأن الفصل ليس كاملا فى الاختصاصات فى الاسلام ، فكل الولايات مشتقة فى الأصل من ولاية واحدة جامعة هى ولاية الامام ، كما أن تحديد الولايات يخضع للزمان والعرف ، فربما أعطى بعض الولاة - فى زمان أو مكان - اختصاصها هو لغيرهم فى زمان أو مكان آخر . وكذلك فقد بينا أن جميع الولايات الاسلامية اما أنها اشتقاق من الحسبة - أى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - أو هى من قبيل الاثبات والتوثيق والتسجيل . ولذلك فان عامل الصدقات قد يقوم بالتعزير اذا أخفى المزكى مالا ظاهرا عليه زكاة أو تهرب منها . كما أنه وجدت ولايات معينة بأسماء مختلفة - ذكر منها الماوردى ما يسمى « بالحماة » أو « ولاة المعاون » وكانوا يختصون بأمور من قبيل الحسبة .

والمحتسب شرعا : هو الذى يقوم بالأمر بالمعروف اذا ظهر تركه ، والنهى عن المنكر اذا ظهر فعله . وأساسه قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر(١) » وقوله صلى الله عليه وسلم : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليخالفن الله بين وجوهكم » ، وقوله : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وهو أضعف الايمان(٢) .

(١) آل عمران ١٠٤

(٢) رواه مسلم وابن ماجه والترمذى عن أبى سعيد .

وقد بينا أن الحسبة كانت في الأصل من الوظيفة الشعبية ، فلما ضعف الناس عن الايمان نصبوا لها العمال ، فلما ضعف العمال عن القيام بها فسدت الأحوال . فهي من اهم قوائم النظام الاسلامي ، لانها تهيء البيئة الاسلامية وتمهدها .

قال الامام الماوردي في ذلك : « والحسبة من قواعد الأمور الدينية ، وقد كان أئمة الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم لعموم صلاحها وجزيل ثوابها ، ولكن لما أعرض عنها السلطان وندب لها من هان ، وصارت عرضة للتكسب وقبول الرشا ، لان أمرها ، وهان على الناس خطرها .. ولكن ليس اذا وقع الاخلال بقاعدة سقط حكمها ، وقد أغفل الفقهاء من بيان أحكامها مالم يجز الاخلال به .. » .

ومع انشاء ولاية الحسبة وتعيين العاملين فيها ، فان ذلك لا يعني عزل الفرد عن القيام بها . فكل مكلف بها ، كان هناك محتسب أو لم يكن ، ذلك أن أصول الحسبة أن يقوم بها متطوعون الى جانب قيام الولاة الرسميين بها .

وقد أنشأ الأئمة فروقا بين قيام المحتسب بهذه الوظيفة وقيام المتطوع بها : منها أن فرضها يتعين على المحتسب بحكم الولاية ، وفرضها على غيره من فروض الكفاية . ومنها أن المحتسب عليه اجابة من يستعديه ، وليس على المتطوع اجابته ، ومنها أن على المحتسب أن يبحث عن المنكرات الظاهرة ليصل الى انكارها ، وليس على المتطوع بحث ولا فحص ، ومنها أن للمحتسب أن يعزر في المنكرات الظاهرة وليس ذلك للمتطوع ، ومنها أن المحتسب يرتزق على حسبته من بيت المال وليس ذلك للمتطوع ، ومنها أن للمحتسب أن يجتهد ، وليس ذلك للمتطوع .

ولكن هذه الفروق ليست كلها فاصلة مانعة ، اذ أن متابعة المتطوع لهذا الأمر ، قد يجعله أكثر حمية من المحتسب ، فيكون في فرضه ذلك على

---

(١) الاحكام السلطانية ـ طبعة مصطفى الحلبي ( سنة ١٩٦٠ ) صفحة ٢٥٨ . وقد اعتمده تقريبا وسار على نهجه في كلامه : الامام ابو يعلى الفراء في كتابه المسمى الاحكام السلطانية ايضا ـ طبعة مصطفى البابي الحلبي ( سنة ١٩٦٦ ) صفحة ٢٨٤ . والأول أشهر وقد ترجم الى لغات كثيرة جدا.

نفسه كفاية ، وفى تعقبه وبحثه وفحصه واجابته لمن يستعديه أكثر من المحتسب وأفعل منه . كما لا يمتنع عليه الاجتهاد فذلك لكل مسلم . وانما الفارق الثابت بينهما أن هذا يرتزق وذاك لا يرتزق منها ، وهذا يعزر وذاك لا يملك التعزير .

ووظيفة المحتسب فى الاسلام يقوم بها الآن عدد من الموظفين العموميين :

فيقوم النائب العام وأعوانه بجزء من هذه الوظيفة فيما يتعلق بالتحقيق فى البلاغات الجنائية وتقديم من يثبت لهم اتهامهم للمحاكمة . ومن مساعديهم فى ذلك رجال الضبطية القضائية ـ ومنهم رجال الشرطة ـ فيقومون بالبحث عن مرتكبى الجرائم وجمع الاستدلالات المؤدية الى التحقيق .

وتقوم النيابة الادارية والمحاكم التأديبية بجزء آخر من هذه الوظيفة وذلك فيما يتعلق بالمخالفات الادارية التى يرتكبها الموظفون العموميون والعاملون بالقطاع العام .

يجمع هاتين الوظيفتين فى بلاد أخرى موظف عام اسمه البروكاتورا يقوم بعملى النيابة العامة الجنائية والنيابة الادارية .

ويقوم قاضى الأمور المستعجلة أيضا بشىء مما كان يقوم به المحتسب فقد كان المحتسب يختص بثلاثة أنواع من الدعاوى : هى ما يتعلق ببخس الاثمان وتطفيف الكيل والميزان ، وما يتعلق بالغش والتدليس فى العقود ، وما يتعلق بالمماطلة فى الديون وتاخير الوفاء بها . كما أننا وجدنا انه كان يختص بازالة أسباب أضرار الجوار غير العادية ، كالمطلات التى تكشف الجار ، وامتداد العوارض واغصان الأشجار ونحوها ، وكذا ازالة العوائق من الطرقات والأسواق، فكل ذلك مما كان يختص به المحتسب ، وهو الآن من اختصاص القضاء المستعجل فى الغالب ، وبعضها للقضاء العادى .

ويقوم مفتشو الأسواق والتجارة والصناعة ومراقبو الضبط الادارى ، على اختلاف أنواعهم : كمراقبى الموازين والمكاييل ، والدمغة ، والصاغة ، والمكاتب الصحية ومفتشى المحال العمومية ، والأطعمة ، والمساجد وغير ذلك من هذه الشبكة الكبيرة

التى نراها من حياتنا الخالية من الرقابة والتفتيش ، كل ذلك من قبيل الحسبة ، من احتسب الله فيها ناله خير عظيم •

وعمل القاضى حسبة ، وأعمال أصحاب المهن حسبة ، وكل عمل يعمله الانسان يحتسبه لله حسبة • لقول الامام البخارى فى أن الأعمال بالنية[1] : فدخل فى ذلك الايمان والصلاة والأحكام ـ نفقة الرجل على أهله يحتسبها : صدقة !

ولا يقف فى حدود هذه الولايات فى الاسلام ، ذلك القيد الوهمى الذى أنشأه القانون الحديث بين ولاية السلطة القضائية وولاية السلطة التنفيذية ، فقد اقتضت الأوضاع الفردية أن تكون الحرية والحقوق المالية ( الذمة والملكية ) تحت حراسة السلطة القضائية ، وبذلك فان كل ما يتعلق بالحرية الشخصية من ضبط وتفتيش وقبض وتحقيق ومحاكمة وتوقيع عقوبة آل أمره الى السلطة القضائية كما قدمنا وترتب على هذا القيد الوهمى أن ازدحمت جداول المحاكم بمئات المخالفات والجنح التى توقع بسبب مخالفة قيود الضبط الادارى على تفاهتها غالبا ، وشكلية عرضها على القاضى • وذلك كله تشبثا بهذا القيد الوهمى السمج • وترتب على ذلك أضرار بالغة أرهقت جهاز القضاء وأضاعت جهده فيما يستحق العناية ، فقد نجد بين مئات القضايا المتعلقة بعدم تجديد الترخيص ، أو مجاوزة بعض أحكامه أو القاء الماء والقاذورات فى الطريق ، جريمة سرقة أو اختلاس بآلاف الجنيهات ، فلا يستطيع القاضى أن يوفيها حقها • كما رأيت بنفسى مواطنين شرفاء يتحولون الى مجرمين لأنهم دخلوا السجن لاحدى هذه التهم الادارية ، وعاشروا المجرمين ، فتخرجوا عليهم وتحولوا الى الرذيلة • فهذا الخلط الناشىء عن قيد وهمى متعلق بهذه الأصول العتيقة هو الذى أورثنا عيوبا لا نجد منها مخرجا •• والمخرج بسيط قريب •

وكذلك الحال فى الفصل بين القضائى والادارى ، خصوص حماية الذمم والأموال ، فجعل للقضاء

(١) صحيح البخارى المفسر ـ باب الحديث ٥٢

اختصاص بشئون تافهة كان من الأولى اعفاؤه منها •

فكل هذه الأوضاع النظرية ضارة من النـــاحية العملية ، ولذلك يعتبر النظام الاسلامى الذى نعرضه فيما يلى أكثر عملية وتقدما • مبتدئين بولاية الحسبة ، ثم بالحسبة الشعبية أى التى يقوم بها المتطوعون •

**ولاية الحسبة :**

وولاية الحسبة وسط بين العمــل القضائى والعمل الادارى ، سواء عند فقهاء الشريعة ، أو بالنظرة الحديثة •

فأما من الوجهــة الشرعية ، فقــد قالوا انه يختص بالأنواع الثلاثة من الدعاوى الســـابق ذكرها ، وهى دعوى البخس والتطفيف ، ودعــوى الغش والتدليس ودعوى المـــاطلة فى دفـــع الدين ، الى جانب دعاوى مضــار الجــوار وازالة العوائق على ما ذكرنا • وكذلك فان له أن يصدر على المتهم فى الدعاوى السابقة حكما ملزما • وفيما عدا ذلك من الدعاوى المتعلقة بالعقود والمعاملات والحقــوق والمطالبات والأنكحة فليس له التعرض لها فى كثير أو قليل •

والواقع أن هذا الفارق ليس له حــد مؤكد فى الشريعة الاسلاميــة كما هو فى القانون الحــديث ، لأن الفصل بين العمل القضــائى والعمــل الادارى لا يرتبط به مثل ذلك الأثر الدستورى المترتب على مبدأ الفصــل بين السلطتين القضائية والتنفيذية فى القانون الحديث • فالفصل عندنا قائم فقط بكل شدة بين العمل التشريعى والعملين الادارى والتنفيذى ، اللذين يعتبران ــ فى الحقيقة ــ من الأعمال التنفيذية بالنسبة للعمل التشريعى ، فكلاهمـــا وليـــد التنظيم التشريعى وكلاهما تنفيذ للقــانون ، وهو ليس مثاليا ــ كمــا قدمنا ــ بل يرتبط به أضرار كثيرة ؛ ولذلك فلا نرى التشبث به رغم اتجاه الفقه الاسلامى اليه تدريجيا •

وقد ذكرنا من قبــل أن الفقــه الاســلامى تعــارف على أن يختص

القاضى بالفصل فى المنازعات ، والحكم فى المعاملات والعقود ، والحــدود والجنــايات ، والأنكحــة والنفقــات وما تعلق بذلك ، وهو يشــبه تمــاما حدود الاختصاص القضائى العصرى بالمسائل المدنية ، والجنائية ، والأحوال الشخصية . ولكن ليس ذلك الى الحد الشديد فى القانون الحديث ، فيقبل الأمر أن يتولى القضــائى شيئا اداريا والادارى شيئا قضائيا دون أن يعتبر ذلك غصبا للسلطة مؤديا الى الانعدام كما فى القانون الحديث ؟

**د. مصطفى كمال وصفى**

# المباح والحرام في الإسلام

للأستاذ توفيق وهبة

من العجيب ما نقرأه هذه الأيام مما يكتبه بعض الكتاب الذين لا يلتزمون وجه الحق فيما يكتبون .. فكلما أراد أحدهم أن يدلل على دعواه الباطلة لجأ الى التمسح بالدين ، وحاول الصاق رأيه بالاسلام . سواء أكان ذلك بحسن نية أو بسوء نية ، وان كان الظاهر دائما هو سوء النية ، لأنهم ينسبون الى الاسلام ما هو برىء منه ..

لقد كتبت احدى السيدات مقالا فى مجلة نسائية تدافع فيه عن التعديل المقترح لقانون الأحوال الشخصية تطرقت فيه الى الحديث عن المباح والممنوع ( الحرام ) فى الاسلام ، الى أن قالت ( .. ان ديننا ينص صراحة ـ وأنا أتحدى من يستطيع أن ينكر هذه الحقيقة الدينية ـ على حق ولى الأمر ـ أى الهيئة الحاكمة ـ فى تقييد المباح واباحة الممنوع اذا دعت الى ذلك ضرورة اجتماعية .. الخ) .

ولن نناقش رأيها فى تعديل القانون حيث سبق أن ناقشنا مثل هذه الموضوعات فى مجلة منبر الاسلام خلال عام ١٣٩٣ هـ فى مقالاتنا بعنوان ( المساواة بين الرجل والمرأة فى الاسلام ) .. وان كان ذلك لا يمنع من أننا قد نعود الى مناقشة ما أبدته من آراء فى مقالها المشار اليه .

ولكن ما يهمنا الآن هو الرد عما قالته عن المباح والممنوع فى الاسلام ، حيث أنه يبدو من قولها أنها لا تعرف ما هو المباح وما هو الممنوع ، وما هو موقف الشرع من كل منهما ، وما هى سلطة ولى الأمر فى تقييد المباح ، واباحة الممنوع ..

لقد أطلقت القول على عواهنه حيث لم تأت بأى دليل من القرآن أو السنة لاثبات دعواها ، واكتفت بتحدى من يثبت خلاف رأيها . فاذا أردنا أن نرد على رأيها بمثل قولها قلنا : ان ما قالته مخالف للقرآن والسنة واجماع

فقهاء المسلمين ، ولا دليل يؤيد ماذهبت اليه ... ولكننا لن نكتفى بذلك كما فعلت ونطلب منها اثبات العكس بل سنقدم الدليل على ما نقول ..

## اولا : المبـاح

### تعريف المبـاح :

**يعرف الفقهاء الاباحة** : بأنها ضـد الحظر ، وأن المباح ما أجيز للمكلفين فعـله أو تركه بلا اسـتحقاق ثواب ولا عقاب أو مأخذ عليه وهـذا هو المباح بصفة عامة .

والاباحة قسمان :

( أ ) اباحة عامة : بحكم أن الأصل فى الأشياء الاباحة مثل اباحة استعمال الطرق وميـاه البحـار والمحيطـات والصيد .. الخ . ويكون الاسـتيلاء على المـال المباح ـ وهو كل ما خلقـه الله لينتفع به الناس على وجه معتـاد وليس فى حيـازة أحـد مع امـكان حيازته ـ مباحا لكل من يستولى عليه. أما بعد الاستيلاء عليـه فيصبح فى ملكية الغير ولا يجوز اعادة الاستيلاء عليه .

وهذا النوع من المباح يجوز لولى الأمر تقييده اذا ما كانت هناك مصلحة فى ذلك كان يحدد طرقا لسير المشاة وأخرى للسيارات ، أو يمنع الصيد فى أماكن وأوقات معينة .. الى غير ذلك .

(ب) اباحة خاصة : وهى التى لم يكن موضوعها مباحا فى الأصل وأباحه الشارع بالنص على الاباحة وبين لهـا شروطهـا وحـدودها التى لا يجوز تعديلها أو تقييدها مثل الاذن للمسافر بالفطر ، والاذن للطبيب بالاطلاع على عورة المرأة للعلاج .. واباحة تنـاول طعام أهل الكتاب ..

وهذا النوع من الاباحة لا يجوز لولى الأمر تقيـيده أو تعـديله لأن ما نص عليه الشـارع بحكم شرعى لا يحق للعباد مخالفته[1] ولأن الفعل الأصلى كان حراما وأبيح لوجود سبب اباحه . فمثلا النظر الى عورة المرأة الأجنبية حرام ، ولكنه أبيح النظر اليها للعلاج فكيف يمكن أن يقيـد هـذا الفعل ؟ . والفطر فى شهر رمضان

---

(١) نفى الكعبى من المعتزلة وجود المباح فى احكام الشرع ، وقرر انه لا شىء فى الاحكام الشرعية يتخير فيه المكلف بين الفعل والترك ، انما الأمور فى الشرع اما أن تكون مطلوبة الفعل او مطلوبة الترك .

محرم ولكنه أبيح للمريض والمسافر، والاباحة هنا مقررة بحكم الشارع ولا يمكن تقييد هذه الاباحة .

ان القانون الوضعي اذا نص على اباحة فعل معين فلا يستطيع القاضى أن يجرم هذا الفعل أو يعقب عليه ، لأن القانون هو الحكم ، ولا يجوز معاقبة شخص على فعل أباحه القانون .. ولا يجوز للقاضى تقييد هذه الاباحة أو تعديلها .

اذا كان ذلك يحدث بالنسبة للقوانين الوضعية ، فما بالنا نتصور حدوثه بالنسبة للقانون السماوى الذى وضعه خالق البشر ... ان ذلك تفكير خاطىء وقاصر ..

فمن أى أنواع الاباحة يكون الطلاق وتعدد الزوجات ؟ الأصل فى العلاقات الأسرية هو الزواج ، والأصل فى الزواج أن ينعقد مؤبدا حتى يحقق الغرض الذى شرع من أجله وهو تكوين الأسرة والمحافظة على النسل . أما اذا اعترى هذا الزواج ما يجعل العشرة بين الزوجين مستحيلة ولا يمكن التوفيق أو الصلح بينهما فيباح الطلاق لانهاء هذه العلاقة غير الموفقة . وقد حدد الشارع سبحانه وتعالى كيفية الطلاق وشروطه وآدابه.

أما بالنسبة لتعدد الزوجات فان الأصل هو الزواج بواحدة لقوله سبحانه وتعالى : « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة .. » ويباح التعدد للزوج اذا وجدت لديه أسباب لذلك وكان قادرا على الانفاق على زوجاته والعدل بينهن .. ولقد كان التعدد فى الجاهلية وبداية الاسلام غير محدد بعدد فكان للرجل الحق فى الزواج بأى عدد يريد ، ولكن الاسلام قصر التعدد على أربعة فقط .. ولا يوجد فى التشريع الاسلامى ولا أقوال الفقهاء الأربعة أو غيرهم من أئمة الفقه ما يقيد حق الزوج فى ايقاع الطلاق أو التعدد ، أو عرض هذين الموضوعين على القضاء لأن فى ذلك تقييدا لحق أباحه الله لصاحبه ، وتضييقا لا مبرر له ولا يستند على أى سبب شرعى .

وعلى ذلك يمكن أن يقال ــ تجاوزا ان صح ذلك ــ ان الطلاق وتعدد الزوجات من النوع الثانى من المباح الذى لا يجوز تقييده .

أما القول الذى تؤيد به الكاتبة رأيها ، وانضم اليها فى ذلك أحد

القضـاة السابقين محتجين بأن بعض الدول العربية والاسلامية أصـدرت قانونا بعرض الطلاق وتعدد الزوجات على القاضى، فان ذلك لا يلزمنا لأنه اذا خـالف غيرنا الشريعة الاسلامية فلا يحق لأحـد أن يطالبنا بارتكاب نفس المخالفة •

ويكفى لدحض هذه الحجـة أن بعض هـذه الدول نفســها تبيح الزنا ولا تزال قوانينها تحـافظ على بيوت الدعرة ، وتحمى شرطتها الفســاق والفجـار • بل الأكثر من ذلك أن البعض فى احدى هذه الدول طالب بوقف ركن من أركان الاسلام وحرم تطبيقه ويطالب بمساواة المرأة بالرجل فى الميراث ، وهو يعلم تماما أنه بذلك يهدم الدين كله ، كما أن بعض هذه القوانين تبيح زواج المتعة وهو محرم بالكتاب والسنة واجماع الفقهاء ••

فهل لنا أن نتبع هذه الدول ونصدر قوانينا مثل قوانينهم ؟ ان المطلوب هو اصــدار تشريع عام للأسرة مطـابق للشريعة الاسلامية ، وليس منقولا من دولة ما مهما كان انتسابها للاسلام ••

ان المختصين بهذا العمل كثيرون عندنا والحمد لله ، ولسنا فى حاجة الى نقـل قوانين غيرنا ولكن المطلوب هو صدق العزيمة ، واخلاص النيـة لله سبحانه وتعالى ولوجه الحق ••

والى الذين ينادون بتقييد التعـدد ومنع الطلاق الا أمام القاضى ، أقول : ان الزواج نفسه من زوجة واحدة قد يكون حراما حسب حالة المـكلف ، فلماذا لا يطالبون بمنع الزواج نهائيا أو عرضه على القاضى لبحث مدى حله أو حرمته ؟

فالزواج اما أن يكون فرضا ، أو واجبا أو حراما أو مكروها أو مندوبا حسب حالة كل مكلف :

١ ــ فيكون الزواج فرضا اذا كان الشــخص قادرا على نفقـات الزواج ويستطيع العـدل مع أهله اذا تزوج ووجد فى نفسه عدم القدرة على مدافعة الزنا اذا لم يتزوج •

٢ ــ ويكون واجبا اذا كان الشخص قادرا على النفقة وعلى العدل مع زوجته ويغلب على ظنه الوقوع فى الزنا اذا لم يتزوج •

٣ ــ ويكون حراما اذا كان الفرد غير قادر على نفقات الزواج ويتأكد من الوقوع فى ظلم أهله اذا تزوج •

٤ ـ ويكون مكروها اذا غلب على ظنه أنه سيقع فى ظلم أهله اذا تزوج .

٥ ـ ويكون الزواج مندوبا ( أى سنة يحسن فعله ولا يأثم الفرد انلم يفعله ) اذا كان الشخص فى حال اعتدال لا يقع فى الزنا ولا يخشاه ، ولا يقع فى ظلم أهله ولا يخشاه .

هـذه هى الأحـكام المتعلقة بعقـد الزواج سـواء أكان الزوج متزوجا بواحدة أو أكثر . والمرجع فى تحقيق هذه الشروط من عدمه هو الشخص نفسه ، وما يمليه عليه ضميره ودينه .. وليس من حق أحد التدخل لبحث مدى تحقق هذه الشروط أو تخلفها لأن فى ذلك حرجا ومشقة على الناس وكشف ما أمر الله بستره من الأمور الخاصة .

**ثانيا : الحـرام**

لعل الكاتبة تقصد بالممنوع الحرام لأن الممنوع هو كل ما منعه الشارع وحرم ارتكابه ونهى عنه بحكم قطعى أو ظنى .

والتعريف اللغوى للنهى هو :طلب الكف الجازم عن ارتكاب فعل معين . وفى الشرع هو : ( القول الدال على طلب الامتنـاع عن الفعل على جهـة الاستعلاء ) والطلب من الشارع سبحانه وتعالى ولا يجوز مخالفته . وهـذا الطلب يكون بصيغة ( لا تفعل ) وهى صيغة النهى المعروفة كقوله سـبحانه وتعالى : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده » .

ويكون بما يجرى مجراها كما فى صيغة الأمر الدال على الكف كما فى قوله سبحانه وتعالى فى تحريم الخمر: « انمـا الخمـر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشـيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشـيطان أن يوقع بينـكم العـداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

وكما فى قوله سـبحانه وتعـالى : « حرمت عليكم أمهاتكم .. » وقوله جل وعلا : « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها .. » الآية .

ويكـون النهى كذلك للتحـريم كقـوله سـبحانه : « ولا تنـكحوا المشركات حتى يؤمن » . وقـوله : « لا تحـرموا طيبـات ما أحل الله لكم » .

ويرى جمهور الفقهاء أن النهى المطلق يدل على تحريم المنهى عنه على وجه الحقيقة ، ومن ذلك يتضح لنا ان الممنوع الذى تحدثت عنه الكاتبة هو مانهى او منع الشارع من ارتكابه، وما منع الشارع من ارتكابه ليس الا الحرام ..

فما هو الحرام ؟ وهل يجوز للحاكم أن يبيحه للضرورة كما تدعى الكاتبة ؟ وما هى الضرورة الشرعية التى تبيح الفعل المحرم ؟

**تعريف الحرام :**

الحرام هو ( ما ألزم الشارع المكلف بتركه على نحو يشعر بالذم على الفعل ) وبمعنى آخر هو ما طلب الشارع الكف عن فعله على وجه الحتم واللزوم سواء أكان الدليل الذى أوجب اللزوم قطعيا أم كان ظنيا . والمحرم بهذا المعنى يكون هو الممنوع الذى تقصده الكاتبة،ومن أمثلة المحرم أكل الميتة وشرب الخمر والزنا والسرقة والردة والقتل وأكل أموال الناس بالباطل ، والأذى بكل أنواعه وفى كل أحواله .

**الحرام قسمان :**

( أ ) حرام لذاته وقصد الشارع تحريمه لما فيه من ضرر ذاتى مثل شرب الخمر والسرقة والزنا وكل ما يمس الضرورات الخمس وهى : حفظ الجسم والنسل والمال والعقل والدين ، فكل ما يمس واحدة من هذه الضرورات يعتبر حراما ( يمنع الشارع ارتكابه ) .

(ب) حرام لغيره : والتحريم فيه لا لذاته ولكن لأنه يفضى الى محرم ذاتى كالنظر الى عورة المرأة الأجنبية فهو محرم لأنه يفضى الى الزنا والزنا محرم فى ذاته ، والبيع الربوى والاستقراض بفائدة حرام لأنهما يؤديان الى أكل الربا وهو محرم فى ذاته[1] ... وهكذا .

هذا هو الحرام ( الممنوع ) فى الاسلام فهل يجوز اباحته ؟ اذا وجدت ضرورة تدعو الى اباحة المحرم الذى يمس ضروريا من الضرورات الخمس التى يحافظ عليها الاسلام كأن يكون الشخص معرضا للموت

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى أصول الفقه لفقيه الاسلام استاذنا العلامة الشيخ محمد أبو زهرة عليه رحمة الله ورضوانه وجزاه عما قدم للاسلام والمسلمين خير الجزاء ورفع فى الجنة درجته واعلى مقامه .

جوعا فله أن يأكل الميتة ولا يباح ذلك الا لمن يشرف على الهلاك .... ولا يتصور أن يصدر قرار عام باباحة أكل الميتة بحجة الضرورة ؛ لأن الضرورات تقدر بقدرها ويباح للمسلم ما حرمه الشارع اذا وجدت ضرورة تدعو لذلك .

ولقد أباح الله سبحانه وتعالى للانسان مخالفة الأمر الشرعى بالتحريم اذا وجد سبب شرعى للاباحة أو مانع مسئولية ، ومن الأسباب الشرعية لاباحة الفعل المحرم الضرورة والاكراه . يقول الله سبحانه وتعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به » وأوضحت الآية كل ما حرم أكله ثم قال تعالى مبينا السبب الشرعى فى اباحة أكل مثل هذه المحرمات : «فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم » والسبب الشرعى هنا هو الضرورة لأن الانسان الذى يشرف على الموت جوعا يكون فى حالة ضرورة تلجئه الى أكل الميتة لحفظ حياته من الهلاك .

ويقول سبحانه : « انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم » .

أما حالة الاكراه فكما ورد فى جريمة الردة لقوله سبحانه وتعالى : «الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان» فالاكراه هنا سبب من أسباب الاباحة ولذلك أبيح للانسان المسلم أن ينطق بالقول الكفرى ما دام قلبه مطمئنا بالايمان .

وبذلك يتبين لنا أن الفعل المحرم الذى منع الشارع ارتكابه محافظة على الضرورات الخمس قد يباح اذا وجد سبب اباحة أو مانع مسئولية دون حاجة الى تدخل من السلطة الحاكمة لأن الله سبحانه وتعالى قد بين الأحوال التى يباح فيها الفعل المحرم ؛ وعلى ذلك يكون اباحة الفعل أو تحريمه استنادا على الأمر الالهى وليس بتدخل من أى سلطة بشرية .

وحتى لو فرض أن قانونا ما صدر لتنظيم الحرام وبيان متى يباح لا يكون

ذلك استنادا على حق ولى الأمر فى اباحة الممنوع وانما يكون استنادا على الحكم الشرعى نفسه بتحريم الفعل أو اباحته حسب حالة كل مكلف لأن اباحة الممنوع لا تكون عامة وانما هى اباحة خاصة حسب الضرورة الشرعية الموجودة لدى المكلف نفسه.

ان الذين يتمسكون بمبدأ الضرورة فى الاسلام وينادون باباحة ما حرم الله لوجود الضرورة ويفتون لأنفسهم ولغيرهم بكل جرأة بما يخالف الشرع وهم لا يعرفون من الضرورات الا اسمها انما يفتون بما لا يعلمون • ومصيبتنا هذه الأيام فى كثرة هؤلاء المفتين بغير علم •• وفى أمثال هؤلاء يقول الله سبحانه وتعالى : « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » •

**حكم الضرورة :**

والآن ما هى الآثار المترتبة على وجود ضرورة شرعية ؟

وهل تباح جميع الأفعال المحرمة للضرورة ؟

للفعل المحرم فى حالة الضرورة أربعة حالات :

١ ـ اباحته كأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وتناول المسكر فى حالة اشراف الشخص على الهلاك من الجوع أو العطش •

٢ ـ يرخص فى الفعل ولا يباح لتأبيد حرمته ، ولكن لا يأثم الشخص اذا فعله ولا يحاسبه الله فى الآخرة مثل النطق بالقول الكفرى وقلبه مطمئن بالايمان ، فالرخصة هنا لرفع عقاب الله يوم القيامة •

٣ ـ يرخص كذلك فى حقوق العباد ولا تباح فاتلاف مال الغير والسرقة حرام ولكن اذا أكره الشخص أو اضطر الى استباحة هذا المال فيرخص له فيه مع بقاء الحرمة ويضمن المتلف قيمة المال فى حال الميسرة أو اذن صاحب المال باستباحته أو التنازل عن حقه •

وعلى هذا لا يباح الفعل المحرم فى القسمين السابقين وانما يرخص فيه للضرورة فقط •

٤ ـ لا يباح الفعل المحرم ولا يرخص فيه مهما كانت الضرورة أو الاكراه حتى ولو أدى ذلك الى الموت مثال ذلك الزنا وقتل النفس بغير الحق أو بتر عضو من جسم الانسان وانما يعتبر الاكراه شبهة تدرأ بها الحدود .

ومن ذلك يتبين لنا أن الضرورة أو الاكراه لا تبيح الفعل المحرم دائما وانما هى تبيح بعض الأفعال ولا تبيح البعض الآخر وفى الحالة الأخيرة تعتبر مانعا من المسئولية الجنائية فقط مع بقاء حق الغير فى التعويض ..

وعلى ذلك نرى أنه لا يحق لولى الأمر أن يصدر قرارا باباحة الحرام بشكل عام بحجة الضرورة لأن فى ذلك مفاسد لا يمكن الاحتراز منها واجتراء على حق الله سبحانه وتعالى.

ان التمسح بالضرورات للوصول الى ما يخالف الشرع بدعة لجأ اليها بعض الكتاب لتبرير آرائهم الفاسدة ، وليس من حق أى انسان أن يقول ان هذه ضرورة وتلك غير ضرورة ولكن ذلك يرجع الى ضمير الفرد المسلم الذى يرخص له الشارع فى مخالفة النص والله سبحانه وتعالى هو المطلع عليه وسيحاسبه على قصده ، ان كانت لديه ضرورة فعلا تجيز له اباحة المحرم أو ان ذلك كان تحايلا للوصول الى الحرام كذلك الشخص الذى جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يبيح له الزنا فقال له صلى الله عليه وسلم : هل ترضاه لأمك فقال : لا . قال : هل ترضاه لأختك قال : لا . قال : هل ترضاه لابنتك قال : لا . قال صلى الله عليه وسلم : فكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم ولا لأخواتهم ولا لبناتهم .

ولنا فى التاريخ الاسلامى شواهد على ذلك ففى عام المجاعة الذى حدث أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يأمر بالسرقة ولا بأكل الميتة ولكنه فى نفس الوقت لم يحاكم السارق تطبيقا للقاعدة الشرعية : « ادرءوا الحدود بالشبهات » والقاعدة القانونية ألا وجه لاقامة الدعوى لأن السارقين كانوا جياعا فاضطروا

للسرقة . ان طاعة ولى أمر المسلمين واجبة فى كل ما كان متمشيا مع شريعة الله .

ففى أول خطبة لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه بعد توليه الخلافة قال :

« أطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم » .

ونفس القول قاله سيدنا عمر رضى الله عنه عند ما تولى الخلافة .. وقال أيضا : « ... فان رأيتمونى على حق فأعينونى ، وان رأيتمونى على باطل فقومونى » ..

ونختم بالذى هو خير :

« ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون » .

صدق الله العظيم

**توفيق على وهبه**

# من الأسس الاسلامية لبناء المجتمع

للأستاذ محمد كمال الدين

( ٣ )

## الكرامة

يمكن اعتبار أساس « الكرامة » من أهم الأسس التى يقوم عليها بناء المجتمع الفاضل ، والكرامة تعنى توفر بعض الصفات والمواصفات الاجتماعية فى أفراد ذلك المجتمع ، فاذا توفرت ، كن جماعها علامة صحة وتقدم هذا المجتمع ، ومن هذه الصفات أن يكفل للانسان حق المساواة مع غيره من البشر فى الحقوق والواجبات ، بمعنى أن يقوم كل فرد بما يكلف به من أعمال ، وأن يؤديها فى صدق وأمانة ، وأن يأخذ حقه جزاء انجازه العمل ماديا ومعنويا ، ومنها أن يشعر بالاخاء الانسانى بينه وبين كافة البشر فلا يحاسب بحسب لونه أو مركزه أو جنسيته ، بل بحسب عمله وقدراته ، ومنها أن يكون متعاونا مع أفراد مجتمعه فلا ينعزل أو يتكبر ، ويشعر بأنه معهم أصحاب مجتمع واحد ، بهم ينهض ، وعلى أكتافهم جميعا يبنى ، ومنها أن يكون ذلك الانسان مع غيره وحدة واحدة فى سبيل الدفاع عن مجتمعه ضد الأخطار المحيطة به ، فكرامته من كرامة مجتمعه ، ولا صلاح له الا فى صلاح وطنه الذى تظله سماؤه . ومن هذه الصفات أيضا أن يتعود الفرد على حياة حرة كريمة لا ظلم فيها ولا استبداد ، حياة تصان فيها الحرمات ، وتمتنع المحرمات ، ويأخذ الناس فيها أنفسهم بالتقوى وحب الخير ، والعمل على تحقيق السعادة لكافة أفراد المجتمع ، وهى تتمثل فى توفير سبل العيش الكريم ، والمأوى المناسب ، والرعاية

الواجبة ، وبهذه الصفات تتحقق كرامة الانسان ، الانسان الذى لا يذل لغير الله ، ويؤمن بواجباته الروحية والدنيوية ، ويحسن التصرف فى مختلف المواقف ، فليست الكرامة صفة مفردة ، وانما هى صفة شملة تهدف فى النهاية الى ايجاد الانسان المتكامل فى دينه ودنياه ، وحين يجمع ذلك الانسان بين هذه الفضائل كلها ، فانه يصبح ذلك الانسان الكريم الذى يشعر بسمو وجوده وعلو مكانته وارتفاع قدره مع الناس لا بينهم فحسب .

ولقد كرم الله الانسان وسما به على كافة مخلوقاته ، وجعل له المكانة الأولى بين الأحياء ، يقول تعالى فى سورة الاسراء ( آية ٧٠ ) : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » فضلهم على الملائكة أنفسهم وأمرهم بالسجود لهم ، « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» (الأعراف ١١ ) « فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون » ( ص : ٧٢ ، ٧٣ ) .

ولقد أتم الله للانسان كرامته حين ذلل له صعاب الحياة ، ويسر له سبل الرزق ، يقول تعالى : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه » ( لقمان ٢٠ ) ، ويقول أيضا : «هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » ( النحل ١٠ ، ١١ ) ومعنى ذلك أن يتدبر الانسان أموره الأخرى تدبر العاقل المفكر ، فلا يغلو ولا يتخلف ، ولا يحقد ولا يخون ، يعمل لدينه ودنياه عمل المتعاون المتآخى الذى يحرص على خير المجموع كما يحرص على خير نفسه ، والذى يتعامل بالحسنى فى السراء والضراء ، حينئذ يعلو الانسان الى المرتبة التى وضعه فيها بارئه ، والتى ألزمه اياها فيحسن به أن يكون جديرا بها عاملا عليها .

وكما يعلمنا الله سبحانه وتعالى من محكم آياته ، يعلمنا الرسول الكريم من راشد حديثه فيقول : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، قال رجل : ان

الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنا ، قال : ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر : بطر الحق وغمط الناس » ( رواه عبد الله بن مسعود فى الجامع الصحيح الجزء الأول ) ، ويقول أيضا فى حديث آخر : « لا يدخل النار أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ، ولا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء » ( عن ابن مسعود أيضا ) ، ويكون تصرف الرسول الكريم فى حياته مصداقا لأقواله ، فقد رأى النبى بعض الصحابة يعير رجلا فيقول له « يا ابن السوداء » فغضب النبى غضبا شديدا وقال : « لقد طف الكيل » ، قالها ثلاثا ثم قال « ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى » وهذه الكرامة لا يستحقها الشخص لدينه بل انها مستحقة لأهل كل دين ..

وصدق جل شأنه حين يقول :

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

( المنافقون ٨ )

ومن الأحاديث النبوية الكريمة ـ مما يدل على منزلة الكرامة للانسان ـ ما يروى من انه قد مرت جنازة لشخص غير مسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فوقف لها النبى الكريم فقيل له : يا رسول الله انها جنازة غير مسلم ، فقال رسول الله : « أليست نفسا ؟ » ، فهذا السلوك يدل على مدى حرص الاسلام على كرامة الانسان واحترامه له حيا أو ميتا ، قويا أو ضعيفا ، أسود أو أبيض ، وفى هذا يقول الرسول الكريم فى خطبة حجة الوداع : « يا أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب » ( رواه البزار والامام أحمد ) ، ويقول أيضا فى حديث آخر « ألا أخبركم بالمؤمن : المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ( أخرجه الطبرانى والحاكم وابن ماجه ) .

وكما كان الرسول الكريم فى حياته وأقواله مثالا يحتذى للكرامة الانسانية ، والعزة الاسلامية كان الصحابة من بعده مثلا أخرى تحتذى فى حياتهم وأقوالهم ، ومن المأثور

الخالد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قصته مع الفتى المسيحى الذى جاء يشكو اليه من اعتداء ابن عمرو بن العاص عليه حين فاز عليه فى سباق بينهما ، فأخذ ابن عمرو يضربه بسوطه ويقول له : أتسبق ابن الأكرمين ؟ ، وحين سمع عمر هذا الكلام أمر باستدعاء المعتدى أمام أبيه عمرو ، وكانت رسالته تنبىء عن غضبه منه ، وقد قال له فيها : « احضر الى ومعك ولدك فلان » فحضر اليه ، وأمر عمر باحضار الشاب المسيحى ، فحضر ، ثم أعطاه السوط وقال له : اضرب من ضربك ، فأخذ يضرب ابن عمرو ، وكلما أحس بأنه اقتص لنفسه منه قال له عمر : زد ابن الأكرمين ، فأخذ الشاب يزيد من ضربه حتى قال : لقد اشتفيت لنفسى يا أمير المؤمنين فنحى عمر عمامة عمرو عن رأسه وقال له : اضربه على صلعة عمرو ، فقال له : يا أمير المؤمنين لقد ضربت من ضربنى ، ثم قال عمرو ماعلمت بهذا،فالتفت عمر وقال لعمرو: منذكم يا عمرو استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » وتكمل هذه الصورة صورة أخرى من عمر أيضا تبين مدى حرصه على كرامة الفرد ، وتحقيق العدالة والمساواة بين البشر ، فقد روى عنه أنه قال : « ما من أمير أمر أميرا أو استقضى قاضيا محاباة الا كان عليه نصف ما اكتسب من الاثم » •

وعن عدالة عمر ومساواته ما جاء فى رسالته الى أبى موسى : «آس الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، واياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالناس والتفكر عند الخصومة » ( كتاب اعلام الموقعين لابن القيم ـ المطبعة المنيرية بالقاهرة ) •

ومن أحد أعلام الاسلام أيضا ـ وهو عمرو بن العاص ـ نأخذ مثالا آخر حين ادعى أحد الناس أمام عمر ان عمرا نافقه أمام بعض الناس • فكتب اليه عمر : ان فلانا جاءنى يشكو الى أنك نافقته ، وأنه ما نافق منذ أسلم ، فاذا جاءك كتابى هذا فاحضر الملأ الذى نفقته فيه واجعله يضربك عشرة أسواط فى هذا الملأ ، فذهب الرجل الى المسجد وقال للحاضرين فيه : من منكم رأى الأمير ينفقنى ، قالوا : كلنا رآه وكلنا

سمعه ، فأعطى الأمير كتاب عمر ثم اعطـه هو اياه وقال اقرأه ، فأخذ المنافقون الذين يحيطون دائما بالحكام يقــولون : او تضرب الأمير ؟ فقال الرجل : لا أرى لأمير المؤمنين هنــا طاعة ، فقال عمرو : أعطوه السوط ليضرب ، فأخذ الرجل السوط وهز بيده ثم قال : والآن عفوت » هذه هي الـكرامة التي يعتز بهــا الاسلام ، ويضعها مبدأ وأساسا دينيا واجتماعيــا هاما لبناء المجتمع بناء ســليما وصحيحا .

فاذا جئنا للتطبيق العملي لهــذه النماذج في حياة الفرد في أي مكان وزمان ، وجدنا أن الانسان اذا تمسك بحقه وقام بواجبه كما ينبغي في أمانة وصدق ، واذا تعامل مع كافة الناس من حوله على أساس المساواة والاخاء والاحترام والاحسان ، والحــــق ، والحرية ضمن لنفسه كرامتها ،وعاش بينهم معززا كريم النفس ، مستحقا لحياته التي يحياها وهذا ما يطالب به الاسلام ويدعو اليه ، ويكلفه علمــا وعملا ، ونحن في حياتنا الراهنــة جدير بنا ان نحث خطانا نحو هــذا التطبيق العملي لمبدأ من أهم المبادىء الاسلامية ، وهو مبدأ الكرامة ، فبه نعيش في بلادنا أحرارا متآخين ، وبه نعيش بين دول العالم أعزاء كراما نرد المعتدى ، ونحمى الضعيف ، « ولله العــزة ولرســوله وللمؤمنين ولــكن المنافقين لا يعلمون » صــــدق الله العظيم ( المنافقون الآية الثامنة ) ؟

**محمد كمال الدين**

# في مطلع الفجر

للأستاذ محمد كمال هاشم

الليل ماض والضيا مقبل
وشاعر بالوجـــد مسترسل
وســـاهر في حبه غارق
والـــكون عن آماله غافل

★ ★ ★

يا ذاكرا والناس فيها نيــام
عذب الهدى للروح ألقى السلام
يكفيك أن الله ســـــبحانه
تقبل الذكر ليوم الزحام

★ ★ ★

يارب انى قـد هجـرت المهـــاد ·
وشدنى للفجر شوق الفـؤاد
فكيف لا أرجوك فى خلوتى
ما بين خوفى أو ندى الوداد

★ ★ ★

الزهر فى روضك ما أجمله
والعطر من فيضك قد جلله

والسحر فى خلقك لا ينمحى
منمق الابداع ما أكمله

★ ★ ★

لولاك مارفت طيـــور الحمى
ولا سرى النجم فزان السما
لولاك ما حن لنـــا ساجم
ولا جرى النهر بنـــا مغرما

★ ★ ★

يارب ما للقـــلب لا ينثنى
عن حبـــك المكتوم والمعلن
والطير فى بستانه صـــادح
أو طائر يحنـــو على المؤمن

★ ★ ★

يارب انى قطرة من حنـــان
فهل لها وصل بروض الجنان ؟
أحييتنى من بعـــد غيب مضى
وسوف ألقى فى رضاك الأمان

★ ★ ★

قد سبح الينبوع فى خلوتى
وفاضت الأدمع فى ســـجدتى
ومنـــك نهـــر الحب لما جـــرى
وعندك المأمول من جنتى

يا أيها الآمل أين الخـلود
وعمرنا فان وهذا الوجود
والله باق وحده فاغتنم
رضاه وادع الله عند السجود

**محمد كمال هاشم**

---

# عدم قصر الألفاظ على معانيها الشائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

( ٥ )

٣١ - ويقصرون (كذب) على أنه فعل يخبر به عن الشيء بخلاف ما هو، سواء فيه العمد والخطأ ، فيقال : كذب فلان يكذب كذبا وكذبا ، وزان علم وكتف ، والمصدر الثانى أكثر استعمالا ، كما فى قوله تعالى : « فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا » أما كذابا(١) فى قوله : « وكذبوا بآياتنا كذابا » فهو أحد مصادر فعل ، ويجيء على التفعيل كما فى قوله : «بل الذين كفروا فى تكذيب » وعلى التفعلة كالتوصية ، وعلى المفعل كالممزق فى قوله : « ومزقناهم كل ممزق » ، واسم الفاعل كاذب وكذاب ، وكذبة كهمزة ، وكيذبان ، والكذب جمع كاذب كراكع وركع ، والكذب بضمتين جمع كذوب كصبور وصبر •

وكاذبة قد تأتى بمعنى كذب كما فى قوله تعالى : « ليس لوقعتها كاذبة » فهى اسم وضع موضع المصدر ، كالباقية فى قوله سبحانه : « فهل ترى لهم من باقية » أى من بقاء ، ومثلهما العاقبة والعافية •

والحق أن العرب استعملت هذا الفعل فى عدة معان أخر ، منها :

(١) الذهاب والجفاف ، كما فى قولك : كذب لبن الناقة اذا ذهب ، والناقة التى يضربها الفحل ثم تشول(٢) وترجع حائلا تسمى كاذبا، ومكذبا بكسر الذال مشددة •

(٢) الوجوب حين يستعمل الفعل فى الاغراء ، كما فى حديث عمر رضى الله عنه : « كذب عليكم الحج ، كذب عليكم العمرة ، كذب عليكم الجهاد ،

---

( ١ ) كذاب : مصدر ككلمه كلاما ( ٢ ) تشول : ترفع ذنبها للقاح

ثلاثة أسفار كذبن عليكم » أى عليكم بهذه الأشـيـاء الثلاثة ومعنى التعبير الأول مثلا : أن الحج ظن بكم حرصا عليه ورغبة فيه ، فكذب ظنـه وقال عنترة يخاطب زوجه : كذب العتيق وهو التمر اليابس ، أى عليك بأكله ، فهذا الفعـل فى التعبيرات السابقة جرى مجرى المثل فلا يغير •

(٣) الانكسار كمـا فى قولك : كذب عنـا الحر اذا انكسر ، قال البعيث :

اذا كذبت عنـا الظهـيرة قربت
لحين وداع القوم خوص(١) عيونها

(٤) عدم الاستطاعة والقدرة كما فى قولهم : كذب القوم السرى اذا لم يقدروا عليه •

(٥) الرؤية غير الحقيقية ، كما فى قولك لغيرك : كذبتك عينك أى أرتك مالا حقيقة له قال الأخطل :

كذبتـك عينك أم رأيت بواسـط
غلس(٢) الظلام من الرباب(٣)خيالا

(٦) الجبن ، كمـا فى قولك : حمل الجيش على الأعداء فما كذب ، أى فما جبن •

(٧) اللبث ، كمـا فى قولك : ما كذب فـلان ان فعل ... أى ما لبث •

(٨) الانكار ، كمـا فى قولك : كذب فلان بهـذا الأمر تكذيبا اذا أنكره ، ومنه وله تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لمـا جاءه » أى أنكر الحق حين جاءه •

(٩) الاحجام والنكوص ، كمـا فى قولك : كذب فـلان عن الأمر الذى أراده اذا أحجم عنه •

(١٠) الدفاع ، كما فى قولك : كذب أخى عن صديقه اذا رد عنـه ودافع •

ويقال : كذب الوحشى اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه •

٣٢ ــ ويقصرون الهتاف بضم الهاء على الصياح ورفع الصوت ، تقـول :

---

(١) الخوص : غئور العينين وصغرهما .
(٢) الغلس : شدة الظلمة .
(٣) الرباب : السحاب وأحدته ربابة .

هتفت الحمامة تهتف اذا صاحت وصاتت ، وهى هتوف الضحى ، وقوس هتوف ، وهتافة ، وهتفى بالتحريك ، أى ذات صوت •

والواقع أن للهتاف معنى آخر هو المديح ، تقول : هتف فلان فلانا ، أو هتف به اذا مدحه وأثنى عليه ، وفلانة يهتف بها أى تذكر بالجمال •

٣٣ ـ ويقصرون التجمير على معنى وضع الخبز أو اللحم على الجمر ، وهو النار المتقدة ، فيقال : خبز مجمر ، والعامة يستبدلون بالجيم قافا فيقولون خبز ( مقمر ) ويقال : ذبحوا فجمروا ، أى ألقوا اللحم على الجمر ، فهو لحم مجمر •

ولكن العرب استعملت التجمير فى عدة معان أخرى :

(١) فهو قطع الجمار ، وزان رمان ، تقول : جمر الرجل النخلة تجميرا اذا قطع جمارها وهو شحمها وقلبها ، الواحدة جماره بالهاء •

(٢) وهو رمى الجمار بالكسر ، تقول : جمر الحجيج تجميرا اذا رموا الجمار ، وهى حصيات المناسك•

(٣) وهو جمع الشعر وعقده على القفا ، تقول : جمرت المرأة شعرها تجميرا ، فهو شعر مجمر ، وفى الحديث « الضافر(١) ، والملبد(٢) ، والمجمر ، عليهم الحلق » •

(٤) وهو حبس الجنود فى أرض العدو ، ولم يقفلوا ، تقول : جمر الأمير الغزاة تجميرا ، اذا حبسهم فى الثغر ، ولم يقفلهم ، قال سهم بن حنظلة :

أجمرتنا تجمير كسرى جنوده ومنيتنا حتى نسينا الأمانيا ؟

(٥) وهو التبخير كما فى قولك : جمر الرجل ثيابه تجميرا اذا بخرها بالبخور •

٣٤ ـ ويقصرون (الحرث) على معنى اثارة الأرض للزراعة وتذليلها لها •

والحق أن العرب وضعت هذا اللفظ لكثير من المعانى :

(١) فهو الدراسة والتفتيش ، قال الفراء : تقول : حرثت القرآن حرثا اذا أطلت دراسته ، وقال الأزهرى : هو تفتيش الكتاب وتدبره ، ومنه

(١) الضافر : من ضفر شعره ونسج بعضه على بعض .
(٢) الملبد : من عالج شعره بخطمى أو صمغ لئلا يشعث .

قول عبد الله رضى الله عنه : « احرثوا القرآن » أى فتشوه .

(٢) وهو المرأة ، يقال : كيف حرثك ؟ أى ما حال امرأتك ؟ ، ومن هذا قول أحد الشعراء يفخر بزوجه على سبيل المجاز .

اذا أكل الجراد حروث قوم
فحرثى همه أكل الجراد

وقوله تعالى : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » مجاز على التشبيه بالمحارث ، شبهت النطفة التى تلقى فى أرحامهن للاستيلاد بالبذور التى تلقى فى المحارث للاستنبات .

(٣) وهو العمل ، تقول : احرث لآخرتك ، أى اعمل لها ، وفى الحديث : « احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا » .

(٤) وهو الزرع ، كما فى قوله تعالى : « انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث » .

(٥) وهو الدوس ، تقول : حرثت الخيل الأرض اذا داستها حتى صارت كالمحروثة ، قال :

وبلد تحسبه محروثا
لا يجد الداعى به مغيثا

يعنى وطئته الخيل وداسته حتى صار كذلك .

(٦) وهو التحريك ، كما فى قولك : حرثت النار بالمحراث ، اذا حركتها به .

(٧) وهو الهزال ، تقول : حرث الرجل ناقته وأحرثها اذا هزلها بالسير .

(٨) وهو القطع ، كما فى قولك : حرث الجزار عنق الشاة اذا قطعها .

٣٥ ـ ويقصرون كلمة الحرام على معنى ضد الحلال ، كما فى قوله تعالى : « هذا حلال وهذا حرام » والواقع أن الحرام له معان أخر :

فهو المحرم من الحجيج ، يقال : أحرم الحاج فهو حرام ، جمعه حرم كما فى قوله تعالى : « وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما » .

ويوصف به فيقال : مسجد حرام ، ومشعر حرام ، وبيت حرام ، قال تعالى : « فول وجهك شطر المسجد الحرام » وقال : « فاذكروا الله عند المشعر الحرام » ، وقال : « جعل الله الكعبة البيت الحرام » .

ويقال : شهر حرام ، ومنه قوله عز شأنه : « الشهر الحرام بالشهر

الحرام » ومن الشهور أربعة حرم هي : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، ثلاثة سرد ، وواحد فرد .

ويقسم به فيقال : حرام الله لا أفعل كذا ، كما يقال يمين الله لا أفعل كذا .

٣٦ – ويقصرون كلمة السر على معنى ما يجب أن يكتم ولا يباح به من الحديث ، وهو ضد الاعلان ، كما في قوله تعالى : « لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون » والحق أن العرب وضعت هذا اللفظ لمعان عدة ، فهو ذكر الرجل كما في قول الشاعر :

ما بال عرسي لا تهش كعهدها
لما رأت سري تغير وانثنى

وكذلك هو فرج المرأة ، ولذا سمت العرب فرجي الرجل والمرأة سرين ، وقالت : التقى السران أي الفرجان ، قالت أعرابية :

لا يمدن الى سري يدا
والى ما شاء مني فليمد

ومن المجاز قولك : فلان في سر النسب أي خالصه ومحضه ، وواعدها سرا أي نكاحا ، ومن هذا قوله سبحانه : « ولكن لا تواعدوهن سرا » .

٣٧ – ويقصرون التزوير على معنى تزيين الكذب وتحسينه ، والواقع أن العرب وضعته أيضا لمعنى آخر هو الاكرام ، تقول : نزل عندنا ضيف فزورناه تزويرا ، اى أكرمناه ، واعتددنا بزيارته ، وتقول : استضأت بأصهاري فزوروني ، وزرتهم فزوروني ، أي أكرموني ، قال الكميت :

وجيش نصير جاءنا عن(١) جنابة
فكان علينا واجبا أن يزورا

ومن المجاز قولك : زور فلان الحديث اذا ثقفه وأزال زوره أي اعوجاجه والزائر والزور سواء في المعنى ، تقول : هو زور صدق ، وهي ، وهم ، وهن زور ، قال :

ومشيهن بالكثيب مور(٢)
كما تهادى الفتيات الزور

(١) عن جنابة : عن بعد نسب وقرابة .
(٢) المور : التردد والتحرك ومنه قوله تعالى : « يوم تمور السماء مورا »

٣٨ ـ ويقصرون الجرح على معنى الكلم ، اذ يقال : جرح الطبيب ذا العلة من باب نفع جرحا اذا كلمه وأجرى له جراحة ، فهو جريح ، وهي جريح أيضا ، وهم وهن جرحى ، والاسم جرح بالضم ، جمعه جروح ، كما فى قوله تعالى : « والجروح قصاص » .

ولكن العرب استعملت الجرح فى معان عدة ، منها :

(١) الاكتساب ، قالت : جرح الرجل لأولاده جرحا ، واجترح اجتراحا ، اذا عمل بيده واكتسب كما فى قوله تعالى : « ويعلم ما جرحتم بالنهار » وقوله : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » ومنه قيل لكواسب الطير والسباع : جوارح ، جمع جارحة ، لأنها تكتسب قوتها بيدها ، وفى التنزيل : « وما علمتم من الجوارح مكلبين » .

(٢) اسقاط الشهادة ، كما فى قولك : جرح القاضى أحد الشهود جرحا اذا أسقط عدالته .

(٣) السب على سبيل المجاز ، كما فى قولك : جرحه بلسانه اذا أذاه وتنقصه ، وقولك جرحوه بأنياب وأضراس ، اذا شتموه وعابوه .

٣٩ ـ ويقصرون التولى على معنى الحفظ والحماية ، اذ يقال : تولاه الله برعايته توليا ، والحق أن للتولى معانى عدة الى جانب هذا المعنى ، منها :

(١) تقلد الأمور ، كما فى قولك : تولى الأمير أمر بلده اذا تقلده ، وصار واليا عليه كولى عليه ولاية .

(٢) النصر سواء أكان فى الخير أم فى الشر ، فمن الأول قوله تعالى : « ان وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » أى ينصرهم ، ومن الثانى قوله : « ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا » .

(٣) الاعراض والادبار ، كما فى قولك : توليت عن الظالم اذا أعرضت عنه ونأيت ، ومن هذا قوله تعالى : «ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا» وقوله : « ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » .

(٤) الموت والفناء ، كما فى قول الشاعر :

وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا
ولا موجعات القلب حتى تولت

(٥) الاتخاذ ، كمـــا في قولك : توليت فلانا اذا اتخذته وليا لك ، ومن هـذا قوله تعلى : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغلبون » •

٤٠ ـ ويقصرون التحليق على معنى ارتفاع الطائر أو الطائرة أو الطيار فى جو السماء اذ يقال : حلق الطائر فى الهواء تحليقا •

والحق أن العرب استعملت هـذا اللفظ فى عدة معان الى جانب هـذا المعنى ، منها :

(١) ازالة الشعر ، كما فى قولك : حلق الحـلاق رأس الولد تحليقا ، كحلقه يحلقه حلقا من باب ضرب ، فهو رأس حليق ، ولحيـــة حليق أيضـا ، لا حليقة ، وحلق الحجيج رءوسهم تحليقا فهم محلقون ، ومن هذا قوله تعالى : « لتدخلن المسجد الحرام ان شـــاء الله آمنين محلقين رءوسكم » •

(٢) الدنو من الامتلاء ، كما فى قولك : حلق الاناء تحليقا اذا امتلأ الى حلقه فهـــو محلق ومكوك(١) محلق واف ، أى ممتلىء ، كما فى قول عبدة بن الطبيب :

شآميــة تجزى الجنــوب بقرضــها
مـــرارا فـواف كيلهـــا ومحلق

يريد أن الجنوب والشمال تختلفان على الدار ، وتتقارضان سفى التراب عليها •

(٣) الارطاب : كما فى قولك :حلق البسر تحليقـا فهو محلق ، اذا بلغ الارطاب ثلثيه •

(٤) ارتفاع اللبن وجفافه ، كما فى قولك : حلق ضرع الناقة تحليقا اذا جف •

(٥) الغئور(٢) ، كما فى قولك : حلقت عيون الابل تحليقا اذا غارت •

كما يقصرون الحالق على من يقوم بحلق الشعر ، والواقع أن له معنى آخر هو الجبل المنيف(٣) ، تقول : هوى فلان من حالق اذا ســـقط من أعلى الجبل فهلك ؟

**عباس ابو السعود**

---

(١) المكوك : طاس يشرب به ، وهو أيضا مكيال يسع ثلاث كيلجات
(٢) الغئور : السفول وهو ضد العلو ، تقول : غار الماء اذا سفل فى الارض ، وغارت عينه اذا دخلت فى رأسه
(٣) المنيف : العالى ، تقول اناف على الشىء اذا ارتفع واشرف

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

* المكتبة القرآنية

للاستاذ فاروق منصور

الأستاذ فاروق منصور محرر بأخبار اليوم .

كان باكورة أعماله منذ أكثر من عام ، كتاب : « الله » وهو دراسة في التصوف الاسلامى مع النص الكامل لرسالة « القصد المجرد فى معرفة الاسم المفرد » لابن عطاء الله السكندرى ، والحقيقة أن هذا الكتاب يثير بعض المناقشات سواء فيما يتصل بالدراسة عن التصوف الاسلامى التى قدمها المؤلف ، أو فيما يتصل بنص رسالة ابن عطاء الله التى حققها المؤلف أيضا ، ولا مجال هنا بالطبع لاثارة هذه المناقشات ..

أما المكتبة القرآنية التى نحن بصددها ، فقد صدر منها كتابان :

الأول : فضائل القرآن .. لابن كثير ، مع دراسة فى التراث القرآنى ، ويقع فى زهاء مائة وثمانين صفحة من القطع المتوسط ، وقد أهداه المؤلف الى الأستاذ الكبير فضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، ويقع الكتاب فى جزأين ، والذى طبع منه وهو بين أيدينا الجزء الأول ، عرض فيه المؤلف ثلثى كتاب ابن كثير ، ووعد بأن يتضمن الجزء الثانى والأخير بقية النص مع دراسة فى التراث القرآنى .. ومنهج الامام ابن كثير رحمه الله . وفى هذا الجزء التزم المؤلف فى التحقيق بالخطة التى ارتآها فى منهجه ، وبذل جهدا علميا له تقديره ، فلقد عنى عناية خاصة بشرح غريب الألفاظ والترجمة للأعلام ، ثم التعليق على بعض آراء ابن كثير التى رآها فى حاجة الى التعليق ..

الثانى : آداب القرآن : وهو كما يقول المؤلف : دراسة فى التراث

القرآنى مـع نص التبيـان فى آداب القرآن للامام النووى ، ويقع الكتاب فى زهاء تسـعين صـفحة من القطع الكبير ، وقد أهداه الى روح أستاذنا الجليل فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى .

والمؤلف كـتب دراسـة قيمة فى بضـع صفحات عن التراث القرآنى وحياتنـا الجديدة . أما كتـب الامام النووى فهـو وثيق الصـلة برسـالة فضائل القران لابن كثير . أو بمعنى أدق ، ان كتاب ابن كثير على صـلة وثيقة بكتاب الامام النووى ، فالنووى سابق على ابن كثير بقرن من الزمان ، وتعتبر الموضوعات التى طرقها النووى جزءا من الموضوعات التى طرقها ابن كثير فى كتابه : فضائل القرآن .

فالامام النووى جعل كتابه الصغير الحجم فى خمسة أبواب : فضل تلاوة القرآن ، اكرام أهل القرآن ، أوقات القراءة ، آداب القراءة ، رفع الصوت بالقراءة ..

وبعد ـ فلا جدال فى أن الأستاذ فاروق منصور قد اتجه اتجاها طيبـا نحو خدمة التراث القرآنى واحيائه .

الا أن هناك مسألة جانبية يجدر بنا أن نشير اليها ، وهى أن الأستاذ فاروق بعد أن طبع الجزء الأول من كتـاب فضائل القرآن لابن كثير ، كان من المتوقع أن يلى هـــذا الجزء ، الجزء الثانى ، لـكنه تركه وطبع كتابا آخر للنووى ، كنا نفضل أن يتم طبــع الـكتاب الأول ، حتى لا يترك فجوة زمنية للقارىء الذى يتابع نشاطه ..

كذلك كنت أود أن تقل الأخطاء المطبعية جهد المستطاع .. ولا يسـعنا بعد ذلك الا أن نحيى الأستاذ فاروق منصـور راجين الله التوفيق فى أداء رسالته ..

* * *

### ❊ نعمة القرآن

#### للسيدة نعمت صدقى

هذا الكتاب الذى نشرته دار «عالم الكتب بالقاهرة » والذى يقع فى زهاء ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط ، هو لكاتبـة يفيض قلمهـا غيرة على الاسلام والمبـادىء والأخلاق ، وقد قدمت الى المكتبة الاسلامية من قبـل كتاب « التبرج » الذى ترجم الى عدة لغات وطبع عدة طبعات عربية ، كذلك قدمت « معجزة القرآن » و « من تربية القرآن » الى جانب مقالاتها الضافية فى عديد من المجلات الاسلامية ـ أمد

الله في حياة الكاتبة المجاهدة .. هذا الكتاب يبحث في ايجاز وتركيز واقناع ثمانية عشر موضوعا :

نعمة القرآن ـ الايمان ـ الابتلاء ـ الشرك ـ الصلاة ـ الزكاة ـ الصوم ـ الحج ـ النصيحة ـ الشكر ـ الكفر ـ الصبر ـ الوالدان ـ الزوجان ـ المال والبنون ـ الرحمة ـ الغفلة ثم الهوى .. هذه هي الموضوعات التي عرضت لها الكاتبة ، وهي موضوعات ـ ان لم تربط بينها الوحدة العضوية كما ينبغي ـ الا أنه جمع بينها : العرض في أسلوب أدبي ممتع ، والنقد في صراحة لا تعرف الالتواء ، ثم الغيرة ـ في قوة ـ على الدين الذي فرطنا فيه ، وكتاب الله الذي نبذناه ـ نحن المسلمين ـ خلف ظهورنا ، والخلق الاسلامي الذي أدبرنا عنه ، واتجهنا الى الغرب ، نرشف من تقاليده وعاداته ما ينافي تقاليد الاسلام وعاداته ثم الغيرة على الثقافة الاسلامية التي أولیناها مزيدا من التهاون ، وأولينا غيرها من الثقافات الأجنبية المستوردة ، مزيدا من الاهتمام ، حتى أصبح شأننا شأن الذين يستبدلون الذي أدنى بالذي هو خير .. ولا حول ولا قوة الا بالله وحده .. وقد صدرت كتابها هذا ؟ بقولها : « ان الضعيف الذي لا يصل الى هدفه الا بعد لأي ، ويزحف اليه لاهثا ، قد تكيد أضعاف من يصل الى هدفه في لحظات وهو يعدو باسما ، مع أن المسافة أقصى والطريق وعر ، ولذلك آمل في أجر كبير على جهدي ، لأن الله تعالى ـ باحسانه ـ يثيب المرء على قدر جهاده ، لا على نتيجة اجتهاده » .

*** حول « فيلم » عن رسول الله**

أثير في الأيام القلائل الماضية موضوع « فيلم » يجرى تصويره بالمغرب عن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، والحمد لله فقد أصدرت الحكومة المغربية أخيرا قرارا بوقف التصوير ..

في هذا الموضوع كتب الأستاذ صالح ابراهيم المنيف « رئيس تحرير جريدة الدعوة التي تصدر بالرياض » كتب في افتتاحيته ، يحمد الله تعالى على صدور مثل هذا القرار الحكيم من حكومة المغرب ، ويقول : « لا شك أن هدف تلك الفكرة الأساسي هو الكسب المادي والربح التجاري المجرد ، ومعاذ الله أن تكون

شـخصية الرسول ـ صـلوات الله وسلامه عليه ـ ورسـالته السمحاء ، وشخصيات الصحابة مجـالا للكسب والابتزاز » .

ونحن نضيف هنا الى أن عديدا من الأفلام والمسرحيـات التى تسىء الى الاسلام وتاريخ الاسلام باسم الاسلام، والتى تعرض فى معظم البلاد العربية الاسلامية ، ولا تجد من يتصدى لها ، وأقربها الى أذهاننا « فيلم » عن رابعة العدوية ، وقد عرض مرتين ، مرة من تأليف الدكتور عبـد الرحمن بدوى مقتبسـا من كتـابه « شـهيدة العشق الالهى » والعيـاذ بالله ، ومـرة من تأليف السيدة سنية قراعة ، وفى كلا الفيلمين اساءة بالغة الى الاسلام ..!

وحسبنا الله وحده ؟

**محمد عبد الله السمان**

# باب الفتوى[1]

للأستاذ محمد أبو شادي

السؤال من السيد / عابدين تاما

( الفلبين )

١ ـ رجل استدان مبلغا كبيرا من الآخر واتفق معه على أن يسدد المبلغ من محصولات بساتينه « جوز هند » بعد تجفيفه واتفقا أيضا على تخفيض السعر عند القبض ، فاذا كان الثمن يوم القبض ٤٠ مليما خصم منه خمس مليمات مثلا على حسب الاتفاق بينهما .

٢ ـ رجل له مزرعة من جوز الهند واستدان من الآخر مبلغا واتفقا على أن يكون تسديد الدين من ثمرات جوز الهند مع تحديد السعر ، أي سواء كان الثمن يوم القبض عاليا أو رخيصا فالسعر لا يتغير .

٣ ـ رجل مستدين من الآخر وقال لصاحب الدين تصرف فى بستانى خمس سنوات مقابل مبلغك ، ما حكم الشرع فى هذه المعاملات الثلاث ، وهل هي صحيحة أم لا ؟

## الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد عن الأول : بأن هذا قرض جر نفعا للمقرض ، ذلك أنه استدان منه المبلغ على أن يسدده من ثمار بستانه بعد تخفيض السعر بمقدار خمسة مليمات من كل كيلو عن سعر يوم القبض فهو ربا لا يحل شرعا .

وعن الثانى : بأن هذا بيع ثمار البستان الذى يملكه بثمن مقبوض وقت البيع فان كان الثمر قد بدا صلاحه ولو ببعضه جاز مطلقا سواء بشرط القطع أو الابقاء أو بلا شرط قطع ولا ابقاء ، وان كان الثمر لم يبد صلاحه فان هذا البيع على هذا النحو لا يجوز لأنه لم يشترط فيه القطع كما هو ظاهر من السؤال فان بيع الثمار قبل بدو الصلاح لا يجوز الا بشرط القطع دفعا للغبن والغرر الذى يلحق المشترى بسبب ما قد

يلحق الثمــر من الضرر قبــل بدو الصلاح .

وعن الثالث:بأن هذا بيع الثمر سنين مقبلة ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن بيع المعاومة وفسر ببيع الثمر أعواما وأيضا فانها من باب بيع ما لم يخلق ، وبيع المعدوم الذى لم يخلق غير جائز للغرر المنهى عنه والله تعالى أعلم .

* * *

ورد الى لجنة الفتوى بالأزهر جملة أسئلة تتعلق بأمور يدور حولها كلام كثير بالمجالس وبين الأفراد :

ـ ١ ـ

هل تصــح طهــارة السـيدات من الأحداث الكبرى من غير غسل الرأس للمحافظة على تصفيف الشعر ؟

والجواب عن هذا : أن غسل الشعر بوصــول المــاء فى داخــله الى بشرة الرأس شرط فى صحة الاغتسال .. ومــن غير ذلك لا تصــح الطهــارة ولا تصح بها الصلاة ويكون المكث على هــذه الحالة دون غســل غير جائز شرعا ، لأن الله تعالى يقول فى ذلك : « وان كنتم جنبا فاطهروا » والتطهر المطلوب لا يحصل الا بالغسل ظاهر الشعر وباطنه .

ـ ٢ ـ

هل الأب أو من يقوم مقــامه فى ولاية الصغار يعتبر مسئولا شرعا عن مســلكهم وعن توجيههم الى ناحيــة الدين والخلق ؟

والجواب عن هذا : أن الله تعالى جعل الأولاد أمانة فى ذمة الاب أو من يقوم مقامه كالجد أو الوصى ومن تكون له الولاية كالام والأخ الأكبر .

والأمانة تقتضى حسن تربية الصغير على تعاليم الاسلام وأخلاقه وتقتضى تثقيفه علميا ، وصناعيــا بما ينفعه فى حياته .

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول فى ذلك : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » ويقول صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكل راع مســئول عن رعيته ، فالرجل فى بيته راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيتها راعيــة ومسئولة عن رعيتها .. الخ » .

والمسئولية تقتضى حسن الرعاية على نحو ما ذكرنا وقد أمرنا النبى بذلك صراحة فى قوله صلى الله عليه وسلم: « مــروا أولادكم بالصــلاة لسـبع واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

وحينما يكون ولى الصبى محسنا لرعايتــه يكون مثابا لأنه أدى الأمانة التى فى عهدته وسن فى أهله سـنة حسنة ، فيكون له معهم ثواب أعمالهم •

وقد جعل الله من حسن الجزاء للأب أن دعاء الابن الذى حسنت تربيته يكون مقبولا للأب •

وعلى وجه العموم فان حسن الرعاية للأولاد ، وللزوجات من خير الأعمال التى ينتظم بهـا حال المجتمع والتى ينتفع بثوابها الكثير من يحسن الرعاية لرعيته •

وأما من تساهل فى رعاية أهله فان أعمالهم السيئة تكون سببا فى تحمله الوزر معهم ، والنبى يقول فى ذلك : « ومن سن سـنة سيئة فعليـه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » وبهـذا يتبين أن ولى الأطفـال ورب الأسرة مسئول ويجـازى بالثواب ان أحسن كما يجازى بالعذاب ان أساء •

**أســئلة :**

١ ـ أى العبارتين أكثر ثوابا أن نقول : سبحان الله •• سبحان الله •• وهـكذا أم نقول سـبحان الله عـدد خلقه •• سبحان الله مداد كلماته ••

٢ ـ ما هو الجزاء أو الثواب الذى يحصل عليه الانسان الذى يعمل على ادخال شـخص غير مؤمن فى الدين الاسلامى بعد اقناعه به أو أنه تزوج بغير مسلمة وجعلها تدخل الاسلام ؟ وهل من حديث يؤيده أو آية كريمة بينت ذلك ؟

٣ ـ هل تنفق الفساتين فوق الركبة والملابس القصيرة فى عصرنا الحاضر مع تعاليم الاسلام ؟

٤ ـ فى بعض الأحيان لا أجد ملبسا طويلا عند الصلاة ، مما يضطرنى الى لبس القصـير ، وهو تحت الركبـة بكثير ـ وعندما سألت مدرسة الدين وافقتنى من حيث الضرورة ، وقالت ان الدين لا يحرم ذلك ، بينما نهى هذا مدرس آخر ، وقال ان الدين يحرم لبس القصير عند الصلاة • فما هو الحكم الصحيح فى هذه الحالة ؟ وما حكم الدين أيضا عنـد ما تفاجأ الفتاة فى أثناء صلاتها بدخول أبيهـا أو أخيها عليها وهى مرتدية القصير ؟

٥ ـ هل تكون صـلاة الجمعـة صحيحة اذا اقتصرت على ثلاثة منهم الامام والمقـرىء •• الأول اسـتوفى شروط الخطبـة والآخـر اســتوفى شروط تلاوة القـرآن ؟ هل يجـوز سماع القرآن من ( الراديو ) مع وجود المقرىء ؟

**٦ ـ هل شراء أوراق ( اليانصيب ) حلال أم حرام ؟ وما حكم الشرع فى الربح الناتج منها ؟**

٧ ـ « ما زاغ البصر وما طغى » ما المقصود منها بالضبط ؟

٨ ـ ما الحكمة فى أن الاسلام أجاز للرجل الزواج بأكثر من امرأة؟

٩ ـ ما موقف الدين من الاجهاض .. وما الدول التى تبيحه ؟

١٠ ـ أرجو جوابا شافيا حول أكل اللحم المستورد ( البولوبيف ) هل هو مباح ؟ أم فيه شبهة ؟

١١ ـ قال تعالى : « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور» من سورة سبأ ، كيف يتسنى لنبى قبول صنع التماثيل علما بأنها مكروهة؟

## الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ـ أما بعد فنفيد بما يأتى :

عن الأول : بأن كلا من الصيغتين له ثوابه الخاص واذا جمع بينهما الذاكر كان أولى .

وعن الثانى : بأنه جاء فى الحديث الشريف : « لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » ومنه يعلم فضل من اسلم على يديه رجل أو امرأة كافرة .

وعن الثالث : أن الدين الاسلامى يحرم على السيدة كشف شىء من جسمها الا ما تقضى الضرورة بكشفه لطبيب أو لتأدية الشهادة لدى القضاء وعلى ذلك تكون الملابس القصيرة الشائعة غير موافقة لحكم الاسلام .

وعن الرابع : أن الصلاة فى الثياب القصيرة تحت الركبة للمرأة أو مع كشف الرأس والذراعين صحيحة عند المالكية غير أنها تكون مكروهة اذا استطاعت ستر هذه الأطراف .

وعن الخامس : أن صلاة الجمعة بثلاثة أشخاص تصح عند بعض الأئمة، أما عن قراءة القرآن فى المسجد يوم الجمعة فانه لا مانع منها اذا لم يكن فيه تشويش على مصل بل تكون مطلوبة اذا كانت اعانة على منع الكلام

فى المسجد ومساعدة لمن يرغب فى سماع كلام الله تعالى •

أما عن سماع القرآن من الراديو مع وجود المقرىء المختص به فلا يجوز لما فيه من ايذاء المقرىء وتعطيل وظيفته •

وعن السادس : أن شراء أوراق اليانصيب من باب القمار وهو محرم شرعا •

وعن السابع : أن المعنى فى قوله تعالى : « ما زاغ البصر وما طغى » أن النبى صلى الله عليه وسلم ـ قد رأى جبريل عليه السلام عيانا دون أن يخطئه أو يتجاوزه بصره •

وعن الثامن : بأن الشارع يراعى أن حاجة الرجل قد تدعو الى أكثر من زوجة لعقم زوجته أو مرض بها أو نحو ذلك فأباح له أن يعدد ، وأيضا الشأن فى المرأة أن تحتاج الى من يعولها والرجل بطبيعته أقدر على اكتساب المعيشة فرحمة بالمرأة أجاز للرجل أن يجمع بين أكثر من واحدة ، وقد تحدث حروب يفنى فيها كثير من الرجال فتبقى المرأة بلا عائل فتخفيفا عنها جوز الشارع للرجل أن يجمع مع ملاحظة أن الجمع بشرط مراعاة العدل بين الزوجات والا كان التعدد حراما •

وعن التاسع : أن الاجهاض لغير الضرورة التى تقتضيه ومن غير رأى الطبيب الموثوق به محظور فان الجنين اذا كان قد نفخ فيه الروح فهو حى محترم والجناية عليه جناية على حى وان لم يكن قد نفخ فيه الروح فهو أصل آدمى محترم •

وعن العاشر : أن اللحم المستورد اذا استورده الحاكم المسلم فانه يحل أكله على عهدة الحاكم ؛ اذ الأصل أنه يراعى الشروط المعتبرة فى حل المذبوح وأنه لا يستورد الا ما وافقها • نعم اذا تأكد الشخص أنها ذبيحة وثنى أو مجوسى أو أنها غير مذبوحة ذبحا شرعيا فانها تحرم عليه حينئذ •

وعن الأخير : بأن صناعة التماثيل ونحوها مما سأل عنه السائل لم تكن محرمة فى شريعة سليمان عليه السلام •

والله تعالى أعلم »»

# أنبـــاء و آراء

للاستاذ على الخطيب

● هنى الهمدانى ـ رضى الله عنه ـ هل هو صحابى ؟!

هنى الهمــدانى عامــل عمــر بن الخطاب ـ رضى الله عنهمــا ـ على حمى الربذة ، لم يرد اسمه فى أسد الغابة .

قال ابن حجر العسقلانى :

« لم أر من ذكره فى الصحابة مع ادراكه ، ووجدت له رواية عن أبى بكر ، وعمر ، وعمرو بن العاص .

روى عنه ابنــه عمير ، وشيخ من الأنصار ، وغيرهما ، وشهد صفين مع معاوية ، ثم تحول الى على لمـا قتـل عمار ، ثم وجدت فى كتاب مكة لعمر ابن شبة : أن آل هنى ينتسبون فى همدان ، وهم موالى آل عمر ، ولولا أنه كان من الفضلاء النبـلاء الموثوق بهم لمـا استعمله عمر على الحمى » .

فتـح البــارى ١٠٧/٦ ط أولى الخيرية ١٣٢٥

وجاء فى وصية عمر له :

« يا هنى اضمم جناحك عن الناس، واتق دعوة المظلوم ، فان دعوة المظلوم مجابة،وأدخل رب الصريمة والغنيمة، واياى ونعم ابن عفـان وابن عوف ، فانهما ـ ان تهلك ماشيتهما ـ يرجعان الى المدينة الى زرع ونخل ، وان رب الصريمة والغنيمة ، ان تهلك ماشيته يأتيني ببنيــه ، فيقول يا أمير المؤمنين ، يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا ، لا أبالك، فالمـاء والكلأ أيسر على مـن الذهب والورق .. » الخ .

موطأ مالك ١٦١/٣ مطبعة محمد على صبيح ١٣٥٣ هـ .

● كتب دكتور طبيب محمد أحمــد شــعبان بمستشفى كفر الشــيخ الى المجلة :

« فضيلة مدير مجلة الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله ..

معذرة اذا كتبت اليــكم فى هــذا الموضوع ، فانى ـ فى الواقع ـ لا أجد

للأزهر الشريف غير مكانكم أتحدث فيه .

أستاذنا :

انني واحـد من أبنـاء الأزهـر الشريف ، حصلت على الثانوية منه ، والتحقت بطب الأزهر دون أن أفقد صـلتي بعلومنـا العزيزة ، ولا زلت أحفظ القرآن الكريم ، ونلت - في العام المـاضي - جائزة وزارة الأوقاف في حفظه .

وتقدمت بالسؤال الى ادارة البعوث الاسلاميـة بمجمـع البحوث التـابع للأزهـر الشريف رجـاء أن ألتحق ببعثة تعمـل في الحقل الاسـلامي ، وكنت على اسـتعداد لأن أمتحن في القرآن الكريم والمعلومات ، مثلي في ذلك مثل بقية أساتذة المعـاهد ليتكون مـن اخوتي ومني بعثـة تدعـو الى الاسلام وتبشر به دون أن ينقصها من العلوم الدينية والدنيوية شيء ، كذلك كان أملنا في التطوير ؛ بل ان التطوير أعد لهذه المسألة بالذات ولكني فوجئت بتقليد يمنعني ، فقد قيل لي : انك لم تقم بالتدريس مدة خمس سنوات ، وهذا سيبعدك ، فلم أتقدم .

سيدي ..

أرجو اسماع صوتي وأمثـالي الى أساتذتنا بالأزهر الشريف لتطور هذه القيود بما يحقق للأزهر ايفاد بعثـة داعية لله لا ينقصها الطبيب ولا المهندس ، واني وأمثالي كثير على استعداد لأداء الامتحان المطلوب . فاذا احتجنا الى تدريب على الدعوة ؟ فان شـهرا أو شهرين يكفيان لذلك .

والسلام عليكم ، وفقكم الله ؟

كتب الأستاذ خالد محمود ابراهيم سالم قصيدة يرثى فضيلة الشيخ محمد أبا زهرة عضو المجمع :

مضيت الى رحاب الله برا
فأعوزت الورى مثلا مجيدا

وهبت العلم كل قواك بحثا
وتنقيبا فقدمت المفيدا

رعاك الله اذ أولاك فقها
وتأويلا وألهمك العديدا

فقمت بنهضة أثرت وأزكت
وأحيت شرعة وأتت جديدا

وكان قوامها ذكرا حكيما
وسنة مجتبى ونهى رشيدا

وآثارا تواتر ناقلوها
وأحدث فكرة غزت الوجودا

خبرت الشرع مأثورا ورأيا
عنيت به فسرت مدى بعيدا

فنصك حين توليه اهتماما
تمحصه جدير أن يسودا

يكون الحل ان عضلت ويبدو
حقيقا أن يكون لها وحيدا

ورأيك حلة الآراء طرا
اذا جمعت يتوجها عميدا

اذا ما أشكلت آراء قوم
فرأيك لم يزل فينا سديدا
صدوقا لا دهان به ولكن
قويا أصلب الآراء عودا
بهذا صرت أستاذا لجيل
وطوقت العلا عنقا وجيدا
كذا جاد الزمان بكم وأنى
له بعد بمثلك أن يجودا
محمد يا أبا زهرة انا
وجدنا خطبكم مرا شديدا
وهذى سنة المولى فكل
يموت وان قضى أجلا مديدا
يعزى العلم والعلماء فيكم
تراث لن يهون ولن يبيدا
لئن ودعت دنيانا فهذى
مآثركم تظل هنا شهودا
وان أوتيت أجرك عند ربى
فانا نسأل الله المزيدا
الى الفردوس يا بطل المعالى
حبيت بروضها فضلا وجودا
نعتك قلوبنا وبكت نهانا
وودعنا بكم علما فريدا

خالد محمود ابراهيم سالم
واعظ غدامس
بالجمهورية العربية الليبية

كتب الأستاذ زكريا عامر البكرى المحامى بجامعة الأزهر :

الى مسئول بجامعة الاسكندرية •

« قول رقيق فى عدم تجزئة التوفيق »

وردت عبارة على لسان مسئول بجامعة الاسكندرية فى كلمته التى ألقاها فى المؤتمر العاشر لاتحاد طلاب جمهورية مصر العربية وهذه العبارة على وجه التحديد « لم يكن النصر فى ٦ أكتوبر بتوفيق من الله فحسب » ( ولكن بالاعداد والتخطيط ) • وبصفة مبدئية أجزم بأن الأستاذ الدكتور يتمتع بمعرفة علمية واسعة • ويعلم • « أن من لم يأخذ بالأسباب فقد عطل الشريعة ومن اعتمد على الأسباب فقط ، فقد خرج عن الملة » •

وكذلك محال على سيادته أن ينكر ما جاء به القرآن الكريم فى لفظه وفى معناه •

والقرآن الكريم قد حثنا على الأخذ بالأسباب ، قال تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » وفى هذا نهى عن اهمال الأخذ بالأسباب ، والقرآن الكريم قد بين لنا بأن الأخذ بالأسباب لا يؤدى الى النتيجة الحتمية المطلوبة منه ما لم تكن هناك ارادة الله فى احداث الأثر المترتب على السبب وأن الأثر للسبب لا يحدث مهما أخذ بالسبب ما لم تكن هناك مشيئة الله فى فاعلية الفعل أو السبب الذى تم الأخذ به •

فايجاد كل ممكن واعدامه على وفق الارادة أمر درسه أطفالنا المسلمون وهذا من أوليات الاعتقاد الاسلامى •

ومن الواضح أن الذى ألهم مصرنا الحبيبة فى الأخذ بالأسباب ووفقها فى الاعداد والتخطيط وعمليات العبور هو الله جل جلاله فكان توفيق الله فى كل خطوة من خطوات الاعداد والتخطيط والتنفيذ ، ولو تخلى الله عنا لما ألهمنا الاعداد ولما وفقنا فى الأخذ بالأسباب من الاعداد والتخطيط وعمليات العبور •

من الذى وضع فى قلوب جنودنا وضباطنا البواسل روح الاقدام والتضحية ؟ والمسلم به أن الروح المعنوية هى أساس المعارك الحربية والروح معنوية ليس للعقل الالكترونى فيها نصيب وليس للفكر البشرى فيها حظ ولكنها عناية الله ورعايته وتأييده « وأيدهم بروح منه » •

ولابد من الأخذ بالأسباب دون الاعتماد عليها فالاسباب مخلوقة فكيف نعتمد على مخلوق ، « وما النصر إلا من عند الله » .

اذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجنى عليه اجتهاده

**انباء :**

**البنك الاسلامى**

• صرح السيد/تنكو عبد الرحمن رئيس اللجنة التحضيرية « للبنك » الاسلامى بقوله :

انه واثق من أن «البنك» الاسلامى سوف يبدأ أعماله العام القادم فى جدة . وأضاف يقول : ان الدول الأعضاء فى اللجنة وافقت على ميثاق « البنك » .

وذكر أنه سيعقد اجتماع لوزراء مالية الدول الاسلامية فى شهر جمادى الآخرة ١٣٩٤ لمناقشة مساهمة الدول الأعضاء فى البنك .

● **اهل الكتاب**

**مؤلف لأبى زهرة**

• صرح الأستاذ عبد المعز عبد الحميد الجزار عضو لجنة الدروس القرآنية بمجمع البحوث الاسلامية بأن لديه احدى نسختين مخطوطتين لفضيلة الأستاذ الكبير محمد أبى زهرة رحمه الله بعنوان ( أهل الكتاب ) .

وكان فضيلة الأستاذ ـ طيب الله ثراه ـ قد أخبر الأستاذ الجزار أن صديقا أخذ النسخة الثانية لمراجعتها .

( أهل الكتاب ) واحد من مؤلفات المغفور له أبى زهرة ، البالغ عددها ستين ومائة مؤلف .

• أهدى المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى ـ بالرباط ( المغرب ) وهو المكتب التابع لجامعة الدول العربية ـ سبعة معاجم الى مجلة الأزهر هى :

معجم (الكيمياء) ، معجم الحيوان ، معجم الرياضيات ، معجم (الجيولوجيا)، معجم ( البترول ) ، معجم النبات ، معجم الفيزياء أو الطبيعة .

وهى جميعا تحوى اللغات الثلاث :

العربية ، والفرنسية ، والانجليزية وضمت جميعا الى مكتبة مجلة الأزهر .

والمجلة تسجل شكرها للمكتب على هذه الهدية العظيمة ؟

**على الخطيب**

**( حق الطلاق )**

**كتب الأستاذ / محسن محمد بالأخبار تحت عنوان ( حق الطلاق ) قال .**

مساكين رجال الدين فى ايطاليا .. ومساكين رجال الحزب الديمقراطى المسيحى فى ايطاليا .

وقف هؤلاء ، وأولئك ، ضد قانون الطلاق فى ايطاليا الذى صدر منذ ٣ سنوات ، وقالوا ان هذا القانون يشجع على الاباحية ، ويضاعف الأطفال غير الشرعيين وينشر الفساد .

وأنفق الجميع ١٠ ملايين دولار فى الحملة التى جرت ضد القانون ، ولكن بلا نتيجة فقد صوت ٥٩٪ من الناخبين مع قانون الطلاق .

وعندما صدر هذا القانون احتج البابا ، وأعلن أنه سيعرض الأمر للاستفتاء الشعبى العام . وقال ان الرأى العام معه . وطرح القانون للاستفتاء وكانت النتيجة أن الشعب الايطالى أيد حقه فى الطلاق ..

والطلاق بمقتضى القانون الايطالى .. صعب ، ومعقد ، ولابد من أن يكون الزوج قد هجر زوجته .. أو الزوجة قد هجرت زوجها ٧ سنوات على الأقل

ومنذ صدر القانون تمت ٦٧ ألف حالة طلاق .. وكان الطلاق مستحيلا قبل ذلك ..

والذين طلقوا معظمهم كانوا مفترقين .. أى الزوج فى بيت ، والزوجة فى بيت آخر .. خلال فترة عشرين عاما .

ومع ذلك كان رجال الدين الايطاليون ورجال الحزب المسيحى فى ايطاليا يقولون :

ــ ولو !

يجب أن تستمر الحياة الزوجية .

ولم يخطر ببال الجميع أى حياة زوجية تلك التى يجب أن تستمر والزوجة مع رجل آخر ــ غير زوجها ــ تحيا معه وتنجب منه .. لأنها لا تملك حق الطلاق .

ومن المؤكد أن المرأة الايطالية صوتت مع القانون .. أو أقنعت الرجال بالتصويت مع الطلاق فلا أظن أن الرجل وحده ينجح فى الوقوف ضد اتجاهات الفاتيكان .. وبالذات فى ايطاليا .

أن الطلاق يمثل احدى الحريات الأساسية فى حياة الانسان .

الرجل لا يستطيع أن يبيت . مع الكراهية ، فى سرير واحد .. ليلة بعد أخرى .

والمرأة لا تستطيع أن تكون لرجل تبغضه ، أو أصبحت تبغضه .

وقد يرغم الرجل ، والمرأة ، على الحياة الزوجية بسبب ظروف كثيرة.. أحيانا الميراث ، وأحيانا التقاليد ، والأولاد فى أغلب الأحيان !

ولكن هذه الحياة الزوجية لايمكن أن تستمر الى الأبد .. فيحدث الانفجار ، ويتمرد أحدهما أوكلاهما على القانون والعرف وكل الشرائع .

ومن هنا كان نظام الطلاق .. أحيانا يمنعه الشرع بالاقناع وأحيانا يمنعه بالتحكيم ، أو بوضع قيود عليه .

واختلف موقف الدول بالنسبة للطلاق .. بين التسهيلات التى لاحد لها .. وبين التعقيدات التى تطول .. مثل ضرورة الشهود فى أحوال الخيانة الزوجية .. أو افتراق الزوجين مدة .. أو عدم طلاق الحامل .. أو .. الخ .

ولجأ الأزواج للتحايل على هذا كله بتزوير الشهود .. وقرأنا وسمعنا عن أزواج كانوا يدبرون لأنفسهم أن يضبطوا متلبسين بالخيانة الزوجية . وبقيت شروط المدة هى العقبة الرئيسية ..

وكانت المرأة فى كل الأحوال هى الطرف الضعيف لأنها لم تكن مستقلة اقتصاديا عن الرجل ، فلما اشتغلت المرأة أصبح من حقها أن تتمرد ، وأن تثور .. وأن تسارع بطلب الطلاق .

ولكن رجال الفاتيكان لم يدركوا أن تغيرا حدث للمرأة الايطالية ..

لم يعترف الفاتيكان .. أو رفض أن يعترف بقسوة الحياة التى تعانيها زوجة ترغم على أن تحيا مع رجل آخر غير زوجها .. وتنجب منه .. لأنها لا تملك الطلاق .. والمرأة ـ بطبيعتها ـ تريد الزواج لأنه يمثل بالنسبة لها الاستقرار ..

**بيان مجمع البحوث الاسلامية عن مشروع العربية الاسلامية**

اتضح لمجمع البحوث الاسـلامية بالأزهر أن هناك حركة يقوم بها نفر من أعداء اللغة العربية ، وقد اتخذوا مقرا لهم بعض المدن العربية ، ويدل المشروع الذى أعدته هـذه الجهات على أنه يقصد هدم اللغـة العربية بالتخـلى عن عـدد من قواعدها الأساسية ، وباحلال الألفاظ العـامية الشائعة محل الألفاظ العربية الفصيحة وتبعا لذلك يكون البعد باللغة العربية وبأهلها عن القرآن الـكريم ، كما يفرق أهل اللغة ببعدهم عن المقـوم المشترك بينهم وهو الفصحى وتبين له أن جمـاعة فى بيروت يتحمسـون له وان المركز التربوى للبحوث والانماء يتبنى هـذا المشروع وأن الأعضـاء الأساسيين الذين يقومون على المشروع ينتمون الى مؤسسة فورد الأمريكية .

لذلك عقد مجلس مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر جلسة بتـاريخ ١٩٧٤/٥/١٦ .

واصدر البيان المرافق ؟

السكرتارية الفنية

٢٦/٤/١٣٩٤ هـ
١٨/٥/١٩٧٤ م

**البيـان**

يرجع تاريخ الفكرة وتطبيقها على اللغة الانجليزية الى نحـو ثلث قرن حينما تبنى المشروع السياسى البريطانى (تشرشل)، بأمل اذاعة اللغة الانجليزية فى العالم بتيسيرها وخفض مفرداتهـا الى ٨٥٠ كلمة يتألف منها فى تركيبها بعضها مع بعض فى صور متعددة أهم الأفـكار التى يحتاج المتحـدث الى التعبير عنها فى الحياة اليومية وكانت الفكرة التى يستند اليها تنفيذ هـذا المشروع فى اللغـة الانجليزية أن مفرداتها تنقسم أساسيا قسمين :

أحدهما : من أصـل انجـلو سكسونى ، وهو يتسم بقلة الحروف واعتماد الـكلمات فى تحـديد معانيها

على مكملات للجملة مما يشبه الظرف والحال فى اللغة العربية •

والقسم الثانى : من أصول لاتينية ويونانية ، وتتسم كلماته بكثرة حروفها واستغنائها بصفة عامة فى دلالاتها عن المكملات اذ أن هذه المكملات تكون قد ألصقت بالكلمات جزءا منها بناء على قواعد الاشتقاق الخاصة بها •

وقد اختار مشروع الانجليزية الأساسية القسم الأول من الألفاظ وعدد الأفعال فيه قليل جدا بالنسبة الى عدد الأفعال المشتقة من الأصول اللاتينية واليونانية • ويضم المكملات الى الفعل السكسونى يتغير معناه مع كل مكمل وبذلك زعم أصحاب المشروع أن المتعلم يوفر جهدا كبيرا حين يحفظ فعلا واحدا ويركب معه الظروف والأحوال المتعددة التى تغير معناه فمثلا فعل get •

يأتى منه :

| get down | get up | get in | get out |
|---|---|---|---|
| ينزل | يصعد | يدخل | يخرج |

يحضر get

وهكذا ؟

| get through | get away | get on |
|---|---|---|
| يمرق | يبتعد | يستمر |

واذا كانت هذه الطريقة نافعة بعض النفع فى اللغة الانجليزية لاعتمادها على أساس قائم فى تلك اللغة ، فانها لا تصلح لتطبيقها فى اللغة العربية •

على أنها مع ذلك لم تلق شيوعا كافيا لأنها لم تزد على أن تكون وسيلة تفاهم للسياح وأشباههم دون أن توصل الى أسرار اللغة وآدابها وبذلك يتضح أن محاولة المشروع تسمية نفسه باللغة الأساسية ليست الا ستارا يكشف عما وراءه • ان فى اقتراح المشروع أن يقتصر على الجملة الاسمية مسخا لطبيعة اللغة العربية ، بل سائر اللغات السامية ، التى تمتاز بأسلوب التعبير بالجملة الفعلية فى مواضع لا تغنى فيها الجملة الاسمية كذلك ترك التثنية فى الأفعال وتوحيد صيغة الأسماء الخمسة وصرف الأسماء الممنوعة من الصرف ، وفتح همزة أن مطلقا والاقتصار فى جمع المذكر السالم على صيغة الياء والنون •

كل ذلك هدم لقواعد اللغة العربية وتحويلها الى لهجة عامية يبدو واضحا

أنه هو المقصود من المشروع ، بدليل دعوته الى احلال الألفاظ العامية الشائعة فى قطر ( اختاره المشروع وهو لبنان ) محل الألفاظ الفصيحة •

وبذلك نجد أننا وجها لوجه أمام مشروع احلال العامية محل الفصحى وهو مشروع قديم روج له أعداء العربية والعرب ، وخصوم الاسلام منذ أمد طويل ورفضته الأمة العربية فى جميع الصور التى قدم بها فى مراحل متعددة •

ونحن نعجب لاختصاص اللغة العربية بهذا الهجوم الذى يدعى أصحابه أنهم يقصدون به تيسيرها •

ان فى كثير من اللغات من الصعوبات مثل ما فى اللغة العربية ومع ذلك لم يجرؤ أحد من أهل تلك اللغات ولا من أدعياء الاصلاح من غير أهلها، أن يتقدموا باقتراحات تشبه مايقحمونه على العربية •

هل يجرؤ هؤلاء المدعون للاصلاح أن يطلبوا الى اللغة الألمانية مثلا أن تتنازل عن أربعة الأحوال التى يتغير اليها الاسم رفعا ونصبا وجرا بحرف الجر وجرا بالاضافة ؟ أو هل يجرؤن على محاولة اصلاح صيغ الجمع فى تلك اللغة بتوحيدها فى صورة واحدة بدلا من صورها الأربع؟

ان هذا المشروع واضح الهدف فى هدم معالم اللغة العربية وتبعا لذلك البعد بها وبأهلها عن القرآن الكريم •

ثم ما ينتج عن ذلك من مساس بالاسلام وأصوله كما هى مصونة فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم •

ذلك الى ايجاد الهوة الواسعة بين ما تؤول اليه اللغة ( لا قدر الله ) وما أحتوته من تراث فى صورتها السليمة يمتد عبر أربعة عشر قرنا فى نحو أربعة عشر اقليما •

ان فكرة التيسير على صغار المتعلمين وعلى الأجانب تتحقق بوسيلتين معقولتين هما :

• منهج التدريس •

• اختيار أسهل الفاظ الفصحى •

فعل ذلك علماؤنا من قبل فى مثل : مختار الصحاح من صحاح الجوهرى وتهذيب المصباح المنير • ونفعله الآن فى مجمع اللغة العربية فى المعجم

الوسيط ثم فى المعجم الوجيز الذى يعد الآن لتلاميذ المدارس •

ان مجمع البحوث الاسلامية يرى فى هـذا المشروع خطرا داهما على اللغة العربية والعلوم الاسلامية فهو من شأنه أن يقطع صلة المسلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، والتراث الفقهى الذى يعتمد فيما يعتمد عليه ، على دلالة المفهوم والمنطوق وأساليب القصر والتقديم والتأخير وما الى ذلك مما لا يتحقق فى لغة أساسها العامية بل أنه يقطع صلة المسلم بالتراث العلمى الاسلامى بصفة شاملة •

ويحـذر المجمع أبناء العروبة والاسلام من قبول المشروع ، ويدعو القائمين عليه الى الانصراف عنه حرصا على منع الفتن وبلبلة الأفكار •

والله الهادى الى سواء السبيل •

الامام الأكبر
دكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر ورئيس المجمع

● **كتب يوسف ادريس :**

تحدث يوسف ادريس عن ظاهرة الافتتان بتقديم ( أفلام ) وقصص راقصات مصريات تغمر السوق ثم وجه حديثه الى السيد حسن الامام •••• قال :

« لقد ظللت أنظر الى هذه القضية بلا قلق كثير • ولكنى فزعت حقا حين كنت فى الأسبوع الماضى مدعوا لحضور ( كتب كتاب ) وبعد انتهاء الاجراءات التقليدية جاءت راقصة • و ••• على دقات الطبلة نفسها دخلت الى الساحة فتاة صغيرة لا تتعدى السادسة من عمرها تشارك الراقصة فى الرقص ، تحمس الحاضرون للأمر باعتباره طرفة من الطرائف ، ولكن الأمر مالبث أن تحول الى حدث وواقعة بهرت الجميع ، فقد أخذت الطفلة تتلوى وتؤدى بجسدها حركات مقتبسة طبعا عما تشاهده من رقص ولكنها مؤداة بطريقة جنسية مثيرة للغاية ، والبنت الصغيرة لا تعى طبعا ما تفعله بنفسها وبجسمها •••

هى ذى الثقافة الرقصية التى تتعلمها بناتنـا الصغيرات وفتياتنـا بحيث حين يكبرن قليلا ، ويصبحن من جماهير ( السينما ) يجدن البطلة ( عالمـة ) والتجارة فى هذا الجسد الذى منـذ الصغر ، وهو يتلوى تلويات جنسية فاقعـة مسـألة لا تدعـو للدهشـة أو للانزعاج ؟ بالعكس تصـبح مثلا أعلى ومطلبا .

وبهـذا يتحول مجتمع كهـذا الى مدرسة لتخريج الجوارىو (العالمات) والمومسات ، فماذا يمنع هذا ، والمحيط كله والجـو كله والبيئة كلهـا تدعو لهـذا وتحرض عليه . وهـكذا يتم للأستاذ حسن الامام حلمه ، وتتحول مصر جميعها الى شارع محمد على . ولا تعليق .

**على الخطيب**

---

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

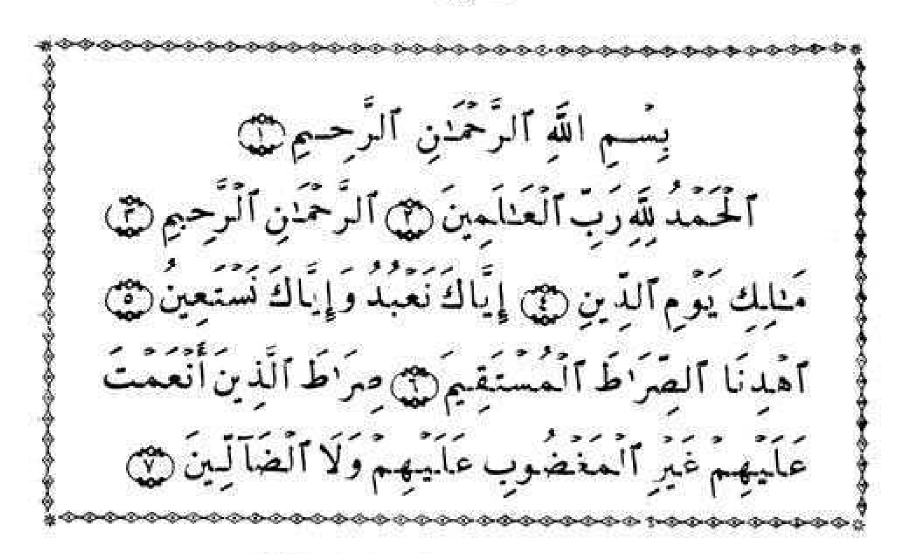
**وكيل اول**

**رئيس مجلس الادارة**

**على سلطان على**

رقم الإيداع بدارالكتب ١٩٧٤/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية
٦٠٠٢-١٩٧٤-٦١٥٣




**AL-FATIHAH (the opening chapter)**

1. In the name of Allah, the Beneficent the Merciful.
2. Praise be to Allah, Lord of the worlds
3. The Beneficent, the Merciful.
4. Owner of the Day of Judgment.
5. Thee (alone) We worship, thee (alone) we ask for help.
6. Show us the straight path.
7. The path of those whom thou hast favoured, not (the path) of those who earn thine anger not of those who go astray.

This "Sûrah" is revealed at Mecca. This is the most **prominent** in the Qur'ân, as it is named "ummul-Qur'ân", (the **essence** of the Qur'ân) All that has been stated at length in the Qur'ân, about the fundamentals of Islamic Faith, has been said in this brief chapter. This chapter is considered as the central piece of Islamic Literature. It is an essential part of Muslim prayers. This short and simple "Sûrah" sets before mankind in the clear verses, the following lessons :

1. God is the **Cherisher** of the Universe. His grace and gifts are for all mankind, not for a Particular group or nation.

2. God gives man all he needs and he **sustains** him materially and spiritually. He is the Sustainer Cherisher Nourisher and Protector.

3. There is a Day of Judgment. God is the **supreme** and only judge of that day. Every one must be prepared to face the **consequences** of his actiosn in this world and he should expect only justice and due result of his deeds.

4. A true Muslim must rely on God only and he can not bow before anyone else or ask for help. This belief, also raises human **dignity** and self-respect to the highest level.

Who can Understand the meaning of these seven brief verses of this chapter, he will have grasped the fundamentals of the Islamic Fiath.

## SELECTED BIBLIOGRAPHY

PRIMARY SOURCES :

**Al-ʿAsqalani, Ibn Hajr.** *Rafʿ al-Isr ʿan Qudat Misr*, (2nd edn.), ed. H. ʿAbd H. ʿAbd El-Majīd, Rev. I. al-Ibiarī, Cairo, 1961.

**Ibn Khaldun.** *Muqaddimat Ibn Khaldun*, published by ʿAbd al-Rahman Muḥammad, Cairo ?

———: *The Muqaddimah*, Trans., Franz Rosenthal, London, 1967.

**Al-Kindī, Abu ʿUmar Muhammad.** *Kitāb al-Wulā wa Kitab al-Qudā*, Beirout, 1908.

**Maqrīzī.** *Ittiʿad al-Hunafā' bi akhbār al-A'immah al-Fātimiyīn al-Khula-ā* ; vol. III, ed by M. Ḥilmy Muḥammad, Cairo, 1971.

———: *Kitāb al-Khiṭaṭ al-Maqrīziyah*, 2 vols, offset edn., Beirout ?

———: *Kitāb al-Sulūk fi Maʿrifat Duwal al-Mulūk*, ed. M.M. Ziāda, 2 vols, Cairo, 1956.

**Al-Nuʿman.** *Kitāb al-Himmah fi ādāb al-A'immah*, ed. M.K. Hussein, Dār al-Fikr al-Arabi, Cairo ?

**Ibn al-Ṣayrafī.** *Al-Ishāra ilā man nala al-Wizara*, ed. ʿAbdulla Mukhliṣ, (Bull. de L'Inst. Fr. du Cairo), Cairo, 1924.

SECONDARY SOURCES :

**Berkes, Niazi.** "Religious and secular Institutions in comparative perspective", *extrait des archives de Sociologie des Religions*, No 16, Montreal, 1963.

**Canard, M.** "Fatimids", *E.I.* (new edn.), London and Leiden, pp. 852-862.

**Dodge, Bayard.** *Al-Azhar : a millennium of Muslim learning*, the Mid. East Inst, Washington, D.C., 1961.

**Hasan, H. Ibrahim.** *Al-Faṭimiyah fi Miṣr*. Cairo, 1932.

———: *Al-Muʿiz li Din allāh*, Cairo, 1947.

**Khafājī, A.** *Al-Azhar fi alf ʿAm*, Vol. I, Cairo, 1954.

**Māgued, A.M.** "La fonction de Juge Supreme dans l'Etat Fatimide en Egypte", in *L'Egypte Contemporaine*, Lème Année, Janvier 1960 Le Caire, pp. 45-56.

**P.J. Vatikiotis.** "The syncretic origins of the Fatimid Daʿwa", *Islamic Culture*, 28, 1954, pp. 475-491.

religious objectives. As for those objectives which involved al-Mu'iz and al-'Aziz, they can not be taken as a starting point of the function of al-Azhar in respect of what we termed as organized *Dawa*.

Imposing this type of *Dawa* on al-Azhar denotes a drastic change from a stage in which *Ra'iyah* (subjects) voluntarily submitted to Fatimid ideology, namely, under the reign of al-Mu'iz and al-'Aziz, to a stage in which those subjects, if were not forcefully proselytized, they were exposed to a carefully planned Dawa at al-Azhar and Dār al-Hikmah. It is only at this latter stage that claims with regard to the proselytization of Sunnite Egyptians can be justified.

As for the political motivation of the foundation of al-Azhar, we raise this question : why were the Fatimids, unlike their predecessors the Tūlūnids and the Ikhshids, in founding a mosque to serve a certain political ends by means of *Qada'*, and later, by Da'wa ?

To answer this question we have to think about the difference between Sunni and Fatimid approaches to rulership.

For the Sunnis, it is a matter left to the whole *Ummah* to elect a Khalīfah ; for the Fatimids and prior to them the Shī'is and the Batinis, it is not. In other words, the former might not do for Khilāfa more than participation (whether symbolic or real) in the process of election. The latter, since they regarded khilāfah as an inseparable part of the religion of Islam, must be zealously in favour of this idea, and hence measures are likely to necessitate the foundation of an institution which would serve the preservation of Imāmah in the Fatimid offspring as much as it does for the other cornerstones of Islam.

Twice in his *Muqaddimah*, Ibn Khaldūn tackles this topic. First, as a sociologist and historian, he came up with the following important note : dealing with the Sh'i (Bāṭini) political idea of Imamah : "For some reason, Imāmāh has been put at the end of the formulation concerning the tenets of faith as if Imāmah was an integral part of it.

But in another place in the *Muqaddimah*, it seems that he provided his previous note with an explanation when he says : "(To the *Shī'ah Imamah* is a pillar and fundamental article of Islam".

If our understanding of the original Fatimid approach to rulership can be based on Ibn Khaldun's note, then it is here suitable to say that Fatimids realized the importance of an organized Da'wa for the Imāmah. The founditon of al-Azhar served as a means to propagate their Da'wa.

were only given according to the orders of alKhalīfah. A Nāib (deputy) of Qāḍi al-Quḍā ʿAbd al-ʿAziz b. Muhammed b. al-Nuʿman got the latter's permission to appoint a deputy to him. Judical records were kept at the homes of the chief judges but when the Sunni Qāḍi al-Quḍā b. al-ʿAwwam took over, he ordered these to be transfered to al-Azhar.

Through his policy of tolerance vis à vis the Sunnis, al-Hākim appointed the Hanbali b. al-ʿAwwam for the position Qāḍi al-Quḍā in spite of the objection of some of his entourage. The reason for this was his confidence in Ibn al-ʿAwwam as an Egyptian who was more knowledgable than others in dealing with Egyptian affairs in general and jurisdiction in particular. This does not mean that al-Hakim meant the implementation of the Sunni code because he stipulated the nomination of four Fatimid jurists to attend Ibn al-ʿAwwam's council at al-Azhar.

By virtue of this policy towards jsrisdiction, the chief judge became officialy the second legal and religious authotity after al-Khalīah. Rival to him was the chief Dāʿī, who at a certain time of al-Hākim's reign threatned that of Qāḍi al-Quḍā.

In analyzing the role of al-Azhar in the total confi configuration of the reign of the three consecutive Fatimid Khulafā : al-Muiz, al-Aziz, and al-Hakim, we have to put Qaḍā' and Dawa together in order to know their importance for their importance for the Fatimid political structure.

From the sources we used above, we understand the following :

1. That at the time of al-Muʿiz, al-Azhar started its function as a legal centre for the objective of the implementation of justice among the Egyptians and hence gaining their hearts for the Fatimid Khilāfa.

2. That the organized educational charcteristic was added by the time of al-ʿAziz. The curriculum included both Sunni and Fatimid courses. This might have generated the idea of the foundation of a special Fatimid institution, namely, Dār al-Hikmah, in which metaphysical, philosophical, medical and other courses could be taught.

3. That al-Hākim adopted a systematic *Dawa* enhanced by the new position of *Dai al-Dua,* more functional activities for the latter in al-Azhar, and the follow-up of a protective policy for *Dawa.*

Still, remains an elucidation of a dichotomized political idea which concerns both the evolution of al-Azhar as an institution of *Dawa,* and the incentive behind foundation.

It is under al-Hākim that we observe an attempt to use al-Azhar for achieving Fatimid political and

The Daʿwa was organized as follows :

*1*. Dawa ʿĀmmah (public propaganda).

2. Dawa Khaṣṣah (special propaganda).

The first was infused through a Simple type of preaching.

The idea of a return to an ideal theocratic Mahdī whose Raʿyah (subjects) will enjoy justice was a leading topic of the preaching. The second was propagated through saphomplicated mentality of a Dāʿī or a chief Dāʿī in order to attract the elite to philosophical and mataphysical studies. The converts whether males or females had to pay nominal registration fees. Their names were recorded and preserved.

Among the significant features of al-Hākim's reign are : the tendency to popularize the *Dawa* ; to introduce more Bāṭini ideology ; and to protect Dawa from the rival doctrines still existent at the time such as Ashʿarism. The worshipers were encouraged to memorize the two books of al-Qadi al-Nʿumān and Ibn killis. Prizes and rewards were allocated for this purpose. The *Dawa* was kept under the close watch of al-Hākim. *Dai al-Dua* had to get the *Khalifa's* approval on every treatise he reads to make sure that nothing would endager the Fatimid movement.

One of these treatises read by Muhammad b. Ismail al-Darazi at al-Azhar in 408/1107 contained an innovation which stirred up a tumult among the people. The treatise revolved around the divine inspiration of al-*Khalifah* al-Hakim. Facing this uproar, al-Hakim ordered the man to leave Egypt.

To protect the Daʿwa, al-Hākim used to supervise some of the sessions of what was called "majālis alDaʿwa" (propaganda councils) to explain and correct whatever the students might have misunderstood. This protection may even have caused him to kill some chief Duʿās and chief Qudas. In a span of ten years (395/1005-405/1015), three of these leading legal and Daʿwa personalities of al-Azhar were killed. Accusations against them varied from plotting against the state; deviation from the pre scribed Fatimid way of preaching, excess in using the *Daʿwa* power, misuse of funds, and bribery.

In spite of the Fatimid Daʿwa, Sunni ʿUʿlamā at al-Azhar and other mosques were not under any obligation to be converted to it. Both Māliki and Shāfʿī madhahib (doctrines) were prominent.

Qāḍi al-Quḍā became so influential that Said b. Mālik al-Fāriq gave gifts to al-Qāḍi Haza al-Ghalabuny on the occasion of the cermonial appointment of the latter at al-Azhar. Before, during the reign of al-Muʿiz and al-ʿAziz, gifts

It was Ibn Killis, who after being appointed a Wazīr, succeeded in obtaining the approval of al-ʿAziz to finance a number of students' education at al-Azhar. There, he contributed by reading regularly sections from his *Fiqh* book known as Muṣannaf al-Wazīr (selectin of the minister).[4]

Al-Aziz was powerful enough to nullify the position of Abu Ṭāhir by promoting Ali b. al-Nu man to the rank of Qāḍi-al-Quḍā. The latter was given the following jobs in addition to Qaḍā Khaṭābah (pulpit preaching). Imāmah (leading prayers), Ihtisāb (supervising over markets). Apparantly, these measures aroused the anger of some Sunnis including Ulamā. They expressed their support for Abu Tāhir and crowed in a way that compelled Sahib al-Shurṭah (the chief-police) to arrest some of them. According to al-Kindi, it was only after ʿAly b. al-Nuʿman mediated that they were set free. The second time the Ulamā of al-Azhar revolted was in 382 A.H, when the Fatimid Qāḍi al-Quḍā Muhammad b. al-Nuʿman appointed a Fatimid jurist at al-Azhar. These two events may illustrate what was the reaction of Sunnis to the policy of al-ʿAziz in respect to Sunnism in general and the position of Qaḍā at al-Azhar in particular.

But still at al-Azhar, the curriculum included Fatimid Fiqh as well as sunni courses such as Ḥadith, Tafsīr, (Qurʿānic exegesis), Theology and Qirāʿtā (science of chanting the Qurʿān) etc ... It seems that when al-Aziz ordered the establishment of a new *Dar* (university) was thinking about drastic changes in the curriculum. This is clear from Dār al-Hikma's curriculum which at the time of al-Hākim included : medicine, arithmatice, mathematics, logic and philosophy in addition to the Baṭini courses.

By the foundation of Dār al-Ḥikmah al-Hākim followed what can be called a systematic policy which had to do with Dawa, Qaḍā at al-Azhar attained some power although at times it seemed to be more influenced by the position of *Dawa*.

For the *Dawa*, al-Hakim for the first time since the Fatimids came to Egypt, appointed a chief Dāī Although the official place for his Dawa was Dār al-Hikmah, he was given a permanent access to al-Azhar. Through the Ḥalaqāt (courses- circles), his job was to propagate the Daʿwa, to take oath from all those who were ready to be converted to the Fatimid movement. He was followed by twelve Naqibs. Deputies for him were appointed all over the country Dāʿī al-Duʿā was second to Qāḍi al-Quḍā in the hierarchy. Nevertheless, more than once, the two positions were combined together and run by Fatimid Fuqahā.

Another way to characterize the functions of al-Azhar is the position of Dāī al-Du'ā Like Qādi al-Qudā, he was directly supervised by al-Khalīfah. He operated from both al-Azhar and Dār al-Ḥikmah (house of wisdom), a more specialized institution for Da wah inaugurated by al-Hākim.

His main task, as he was the head of Dār al-Ḥikma, and the main preacher at al-Azhar, was to gain the hearts of the Āmmah (the public) and the Khāṣṣah (the elite) for the Faṭimid ideology.

It is within these two important positions that the role of the Fatimid Azhar can be examined. What remains after proving the above postulations through citing examples of the development of both positions, is to analyze the significance of al-Azhar to the early Fatimids.

In 363/973, al-Muiz, while still in Maghrib, sent some of his top legal and administrative personalities to Egypt to introduce the Fatimid Fiqh and Qaḍā at al-Azhar. Among those sent were : al-Nn'man b. Ḥayūn (d. 333/973) and Ibn Killis (d. 380/991).

Following his friendly policy towards the Egyptians, al-Muiz reappointed Abu Ṭāhlr al-Dhuhly (d. 368/969), the sunni Qādi, choosing for his position not the two traditional Sunni mosques, Amr and Ibu Tūlūn, but the newly founded al-Azhar. As a pre-condition for this reappointment, Abu Ṭāhir in matters pertaining to inheritance and divorce, had to apply the Fatimid code.

Al-Muiz, following his arrival in Cairo, kept the channels open between Dār al-Khilāfah and al-Azhar. The Qadi had to ask al-Khalīfah, the ultimate interpretor of law, his advice whenever he encountered a new or complicated legal case. Besides, al-Muiz supervised Friday prayers where he was accustomed to preach.

Although later on at the time of al - Hākim, the position of Dai al-Du'a was only established yet to al-Nu man was assigned the task of propagating Dawa which may explain why al Nu' man ordered jurists at al-Azhar to base their legal judgments only on Fatimid cod'. Al-Nu' man taught his book Daāim al-Islām, which after his death was abridged by his son Ali and carried the name "Iqtisār" (abridgement).

Through the personal supervision of al-Khalifā al-Mu'iz on both Dawa and Qaḍā, the collaboratian of the Sunni Qaḍi Abu Ṭāhir al-Dhuhlī, the teachings of al-Qādi al-Numan of the Fatimid Dawa, al-Azhar started its functions which developed during the reign of al-'Aziz to include education.

# A GLANCE AT THE FOUNDATION HISTORY OF AL-AZHAR

*By*
MUHAMMAD AMIN TAWFIQ

Undoubtedly, any comprehensive study of al-Azhar and its role in the Egyptian society requires an investigation into the relationship of this institution to the dynasties which governed Egypt from the Fatimid epoch on. Needless to say that such an attempt would fall beyond the purpose of this paper due its limitation. Instead, we focus on the role of al-Azhar under three Fatimid reigns :

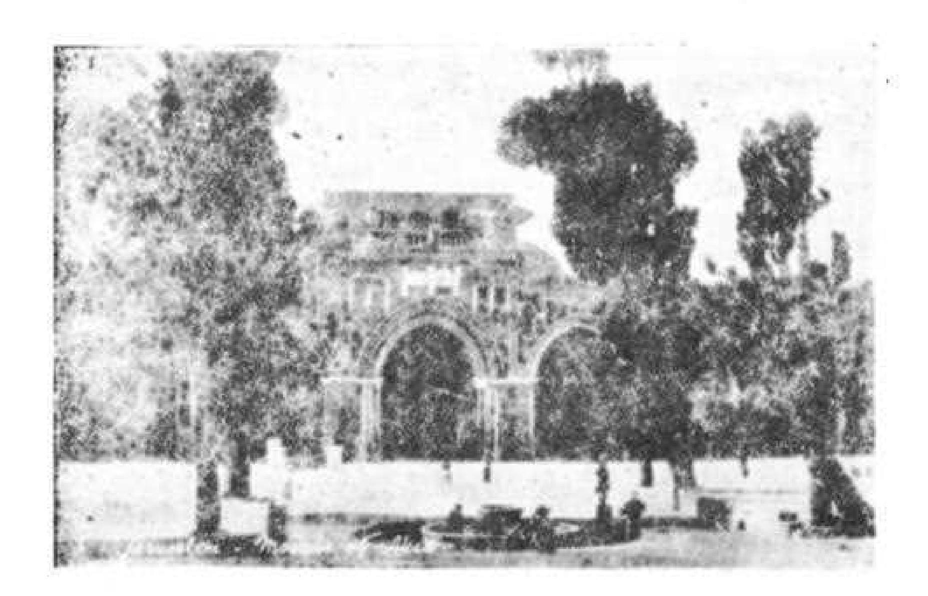
1. The reign of al-Muiz (341-365/953-975).
2. The reign of al-Aziz (365-386/975-996).
3. The reign of al-Hakim (386-411/996-1021).

This is done in the hope that a closer analysis of al-Azhar under the three reigns would serve use starting point of father investigation.

To the extent that this limitation is justified and conductive to our understanding of al-Azhar, its nature and the purposes to which the Fatimids attempted to make use of it, is governed by the role al-Azhar played under those three Fatimid Khulafā. To he sure, without an inquiry into the measures taken throughout the three reigns, it woud not bring about as clearly as possible the genuine characters of al-Azhar.

One way to define al-Azhar's functional characteristics is to look at the position of Qādi al-Qudā who operated from al-Azhar and was linked up with the Khalīfah himself. He had not only to supervise jurisdiction at al-Azhar but also other mosques. His council of Ḥukm ( judgment ) was provided with Shuhūd (witnesses) who were selected among Ulmā and Fupahā (jurists). In addition to his supervisory role over al-Azhar's legal body, Qaādi al-Qudā was in charge of some administrative and religious functions such as Iḥtisāb (markets' control), Imāmah (leading prayers), Khatābah (pulpit preaching) and Iftā (giving law's interpretations). Moreover, he was responsible for the adminstrative affairs of al-Azhar and other mosques, including maintenance of the ceremonial services, Friday prayers, and even the endowments for educational, librarian and worshipping purposes.

During the Arab Muslim rule in Palestine followers of all the three faiths had free access to their holy places and enjoyed complete freedom of worship. Zionists were forbidden access only between 1948 and 1967 because of the state of war between Jordan and Israel; other jews were not barred from visiting Jerusalem and the Wailing Wall. (1)



"Al-Aqsa" Mosque — Jerusalem

---

(1) Report on Jerusalem, submitted by the Delegation of Jordan to "International Conference of Parliamentarians on the Middle East Crisis", Cairo, February, 2-5, 1970; The Palestinian problem. p. 37.

The Dome of the Rock stands on one of the most sacred spots in the world. It was built by the Umayyad Caliph Abd al-Malik Ibn Marwan in 961 A.D. on the same site where Caliph Umar built his mosque of wood. The monument is of such noble beauty that it stands unrivalled in the real of sacred art. It is one of the two oldest and most impressive specimens of the early Muslim architecture, the other being the Grand Mosque of Damscuss which has remained intact to this day. The temple area or the Haram al-Sharif, as it is called by the Arabs, has always been a place of great sanctity for the Muslims all over the world.(1)

Jerusalem was captured by the Crusaders under Godfrey of Bouillon in Jully, 1099 A.D. who converted the Mosque into a church and renamed it Templum Dominini. They even built an altar on the Rock. But Sultan Saladin, in October, 1187 A.D., recaptured it.2)

After the death of the Sultan, Jerusalem remained under Muslim rule for 731 years. It was ruled in turn by the Ayubites, Mamlukes and finally the Ottomans until 1918, when it was captured by the British forces led by General Allenby.

Indeed, The Muslims can be proud of a record of thirteen centuries of toleration of all minorites, including the Jews, who were better treated in Muslim countries than anywhere else. The Arabs could also be proud of thirteen centuries of faithful custody of the Christain holy places.

Even in 1917, General Allenby, upon entering the Old City of Jerusalem and being told that the Keys of the Chruch of the Holy Sepulchre had been kept for centuries by the Muslims for the daily opening and locking of the Church, observed that he could not be more than the Caliph Umar, and there, fore the keys should continue to be in the hands of the Arab Muslims.

---

(1) Report of the Commission appointed by the British Government with the approval of the Council of the League of Nations, to determine the rights and claims of muslims and Jews in connection with the Western or Wailing Wall at Jerusalem, December, 1930, published by the institute for Palestine Studies, Beirut, 1968, p. 19.

(2) Encylopaedia Britanica, 1970, Vol. XII, pp. 1006–1010; Encycopaedia of Islam, Vol. II. pp. 1094–1104; H.G. Wells, Short History of the World, 1962. p. 195.

## THE MUSLIMS AND JERUSALEM

*By*

AHMAD TAHA

The Second Islamic Summit, held in Lahore from 22 and 24 February 1974, having considered the present situation in the Middle East, declared that Jerusalem - Al - Quds - is a unique symbol of the confluence of Islam with the sacred divine religions. For more than 1300 years, Muslims have held Jerusalem as a trust for all who venerate it. Muslims alone could be its loving and impartial custodians for the simple reason that Muslims alone believe in all the three prophetic religions rooted in Jerusalem.

The Kings, Heads of States and Government and the Representatives of the Islamic countries and organizations proclaime that no agreement, protocol or understaning which postulates the continuance of Israeli occupation of the Holy Arab City of Jerusalem or its transfer to any non-Arab sovereignty or makes it the subject of bargaining or concessions will be acceptable to the Islamic countries. They decide that Israeli withdrawal from Jerusalem should be a paramount and unchangeable prerequisite for lasting peace in the Middle East.

The plain fact is that Jerusalem, the ancient capital of Palesitne, enjoys the unique status of a Holy City for the three major world faiths, Islam, Christianity and Judaism. For the Arabs and the Muslims, it is enough to recall that, according to the Quran, it was from Jerusalem that the Prophet Muhammad (peace be upon him) began his famous nocturnal journey to Heaven. (1)

As Islamic tradition has it, this was the place where the Prophet led the congregational prayer of all the Prophets. It well to recall that Bait al-Maqdis is regarded as the spiritual home of the Muslims next to Mecca and Medina. In the early days of Islam, it served as the first Qibla of the Muslims, for they used to pray towards Jerusalem whem Muhammad still lived in Mecca. After the Prophet migrated to Medina, he continued to pray towards Jerusalem for 16 months, until he was directed to face towards Mecca. (2)

---

(1) Walid Khalidi, Jerusalem, The Arab Case, 1967 (His Speech at the *5th* Emergency Special Session of the U.N. General Assembly), p. 14.

(2) Tafsir of Ibn Kathir, Beirut, 1969, Vol. I pp. 192-193; Tefsir of Qurtubi, Cairo, 1967; Vol. II, p. 158.

to the changing phase of existence which can make itself appeal to every age. I have studied him - the wonderful man and in my opinion far from be being an anti-Christ, he must be called the Saviour of Humanity. I believe that if a man like him were to assume the dictatorship of the modern world, he would succeed in solving its problems in a way that would bring it the much needed peace and happiness : I have prophesied about the faith of Muhammad that it would be acceptable to the Europe of tomorrow as it is beginning to be acceptable to the Europe of today" (The Genuine Islam, Singapore, Vol. I, No. 8, 1936).

---

There can be no denying the fact that such barriers have always existed, and do exist even in the so-called enlightened ages and nations. Quran stresses the idea of the entire humanity being the one family, and calls to remove all the impediments :

« يايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » . ( النساء : ١ ) .

(O mankind ! be careful of your duty to your Lord Who created you from a single soul and from it created its mate and from them twain hath spread a multitude of men and women) 4 : 1.

« يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ... » . ( الحجرات : ١٣ ) .

(O mankind ! Lo : we have created you male and female and have made you nations and tribes that you may know one another) 49 : 13

The Prophet said : "You all are Adam's offspring, and Adam is of earth".

Islam aims at uniting the entire humanity under one banner. It presents an ideology which satisfies the demands of stability and progress. A true and intellectual study of the two basic sources of the message of Islam; the Quran and the Tradition of the Prophet reveals the original and pure teachings of the religion of Islam. It is a message of life and hope.

The basic problems of life remain the same in all ages and climes but the ways and means to solve them undergo change with the passage of time. The Quran contains the eternal Guidance given by the Lord of the Universe, Who is free from the limitations of time and space. Thus its basic guidance is permanent and eternal. But it gives the general principles applicable in different ages and circumstances in the way suited to the spirit and conditions of changing conditions and ages. That is why Islam always remains as fresh and modern and presents a complete way for a glorious future.

These are only some general features of Islam. A careful and detailed study of them have already appealed to hundreds of thousands of people in the past and present, and have made them affirm that Islam is the religion of truth and the right path for mankind; and this will continue to appeal them in the future.

The following impressions of George Bernard Shaw (1856—1950), one of the foremost intellectual-thinkers of the 20th Century, unfolds some of the major characteristics of Islam, he said : "I have always held the religion of Muhammad in high estimation because of its wonderful vitality. It is the only religion which appears to me to possess that assimilating capacity

it (only) that which it hath deserved. Our Lord : Condemn us not if we forget, or miss the mark : Our Lord : Lay not on us such a burden as Thou didst lay on those before us ! Our Lord, Impose not on us that which we have not the strength to bear ! Pardon us, absolve us and have mercy on us, Thou, our Protector, and give us victory over the disbelieving folk) 2 : 286.

« وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » . (الشورى : ٢٠)

(Whatever of misfortune striketh you, it is what your hands have earned. And He forgiveth much) 42 : 30.

In the meantime it awakens a sense of social responsiblity in man, and organises humanbeings in a society, and enjoins the individual to subscribe to the social good. According to the principles of Islam, the Muslim should live in the midst of society and bear with patience the afflictions that come to him. It is reported that the Prophet Muhammad said : "These three things also constitute the parts of Faith; to help others even when one is himself hard pressed ; to pray ardently for the peace of all mankind; and to administer justice to his own self".

The social and collective charater of Islam is clear from the basic concept of it - the entire universe was created by God Who is the Lord and Nourisher of the universe. He created man and Has prescribed a certain code of life for him to follow during the period which he is to spend upon the earth. This code was preached by all the prophets of God who came to guide mankind to the right path.

After establishing the personal and social responsibility of man Islam awakens i him the sense of universalism and humanism. The message of Islam is addressed to the entire human race. According to the message of Islam all men are equal whatever be their colour, language, race or nationality. It banishes all artificial barriers of race, social status and wealth.

The first verse of the Openning Chapter of the Quran says :

« الحمد لله رب العالمين » .

(Praise be to Allah, Lord of the Worlds). The Holy Quran reiterates that the measage of Islam is for the entire human race, and Prophet Muhammad is a messenger for whole of mankind :

« قل يايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ... » ( الأعراف : ١٥٨ ) .

(O people ! I am the messenger of God to you all) 7 : 158,

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ( الحج : ١٠٧ )

(We have not sent thee but as a mercy for all the nations) 21 : 107,

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز » ( الحديد : ٢٥ ) .

(We verily sent our messengers with clear proofs and revealed with them the Scripture and the Balance, that mankind may observe right measure; and He revealed iron, wherein is mighty power and (many) uses for mankind, and that Allah may know him who helpeth Him and His messengers, though unseen. Lo ! 'Allah is Strong Almighty) 57 : 25.

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .
( الأعراف : ٣٢ — ٣٣ ) .

(Say; Who hath forbidden the adornment of Allah which He hath brought forth for His bondmen, and the good things of His providing ? Say : Such, on the Day of Resurruction, will be only for those who believed during the life of the world. Thus do We detail Our revelations for people who have knowledge. Say : My Lord forbidth only indecencies, such of them as are aparent and such as are within, and sin and wrongful oppression, and that ye associate with Allah that for which no warrant hath been revealed, and that ye tell concerning Allah that which ye know not) 7 : 32—33.

« ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ».
( البقرة : ٢٠١ ) .

(And of them (also is he who sayeth : "Our Lord ! Give unto us in the world that which is good, and in the Hereafter that which is good, and guard us from the doom of fire) 2 : 201.

On the other hand Islam establishes a balance between individualism and collectivism, for it approves the individual personality of man and holds everyone personally responsible and accountable to God. While it guarantees foundamental rights of the individual, does not permit anyone to tamper with them. The Holy Quran states the individual responsibility and accountability of man as follows :

« وأن سعيه سوف يرى » ( النجم : ٤٠ )
(And that his effort will be seen) 53 : 40,

« لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

( البقرة : ٢٨٦ ) .

(Allah tasketh not a soul beyond its scope. For it (is only) that which it hath earned, and against

# MAJALLATU'L AZHAR

**(AL-AZHAR MAGAZINE)**

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

| RAJAB 1394 | **ENGLISH SECTION** | AUGUST 1974 |
|---|---|---|


## ISLAM — A COMPLETE WAY OF LIFE


*By*

DR. MOHIADDIN ALWAYE


Islam provides guidance for all walks of life - individual and social, material and moral, economic and political, legal and cultural, national and international. It aims at establishing a balance between the two aspects of life; the meterial and the spiritural. It enjoins man to purify his soul and also to reform the mundane life, individual and collective. Thus, Islam does not admit any spearation between material and moral or mundane and spiritual life. It teaches man that moral and material powers must be welded together and that spiritual salvation can be achieved by using the material resources according the Will of God. In fact Islam enjoins man to devote all his energies to the reconstruction of life on sound foundations.

A unique feature of Islam is that it stands for life-fulfilment, not for life - denial. It does not ask man to avoid things - material, but it holds that spiritual elevation to be achieved by living piously in the rough and tumble of life and not by renouncing the world. Then, Islam is a practical religion and does not indulge in empty and futile theorisings. It declares that faith is not a mere profession of beliefs; it is the very mainspring of life. The Holy Quran strongly, clearly, and repeatedly states that religion is something to be lived, and not an object of mere lip-service and lip - praise. This basic feature of Islam is clear from the following verses :

« يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ... »
( الانفال : ٢٤ )

(O Ye Who believe ! Give your response to God and His apostle, when He calleth you to that which will give you life ......) 8 : 24.




# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في أول كل شهر عربي

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤ ٩٠٥٥٠٦

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بدل الاشتراك»
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء السادس — السنة السادسة والأربعون — شعبان سنة ١٣٩٤ هـ — سبتمبر سنة ١٩٧٤ م


بسم الله الرحمن الرحيم

## حسن الخلق


للأستاذ عبد الرحيم فودة


الخلق كما قيل : حال راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال دون حاجة الى فكر وروية ، فمن كان الكرم خلقا فيه جاد بما في يده غير عابىء بالعواقب ، ولا شاعر بالتردد ، ولا ناظر الى جزاء ، ومن كان البخل خلقا من أخلاقه حرص على ما في يده . وضن به . ومرض بالحرص عليه ، وما يقال في الجود والبخل يقال مثله في جميع الفضائل والرذائل اذا رسخت في نفوس الأخيار أو الأشرار وكانت قوة دافعة الى ما يفعلون من خير أو شر ، وحالا لازمة لهم ، لا تنفك عنهم .

ولا شك أن قيمة الانسان تقاس بحسن خلقه وحسن عمله وما يعود عليه وعلى المجتمع الذى يعيش فيه من هذين الأمرين ، فاذا ساء خلقه وعمله فقد قيمته الانسانية وصار آفة مخيفة، وكان ممن يقول فيهم النبى صلى الله عليه وسلم : « شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره » ، ومن ثم كانت الأخلاق

الكريمة هي الغاية التي تستهدفها كل تربية سليمة ، بل هي الهدف الأكبر الذي تتجه اليه رسالات الأنبياء ، كما يفهم من قوله « صلى الله عليه وسلم : انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وقد جاء رجل بين يديه فقال : يارسول الله : ما الدين ؟ فقال : حسن الخلق . ثم أتى اليه من قبل يمينه فقال : يارسول الله ما الدين ؟ فقال : حسن الخلق . ثم أتى اليه من قبل شماله فقال : يارسول الله ما الدين ، فقال : حسن الخلق . ثم أتى اليه من ورائه فقال : يا رسول الله ما الدين . فقال : أما تفقه .. ؟ هو ألا تغضب .

وحسن الخلق كلمة عامة يدخل في مفهومها كل ما هو حسن جميل من حالات النفس . كالعفة . والنزاهة . والشرف . والمروءة . والأمانة والصدق . والصبر . والشجاعة . والحلم والشهامة والكرامة . والغيرة على الحقوق . واحترام الحرمات . وكل ما أمر به الاسلام من فضائل تزكو بها النفس . وتسمو بها الروح ، وتصل المؤمن بالله وبالناس من حوله عن طريق الدين الذي ارتضاه . وقال فيه : «وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « أثقل مايوضع في الميزان يوم القيامة، تقوى الله وحسن الخلق » وسئل صلى الله عليه وسلم عن الشؤم فقال : سوء الخلق ، ثم سئل عن اليمن فقال : « حسن الخلق .. » ومعنى الشؤم يشمل كل ما يسوء ويضر . ومعنى اليمن يشمل كل ما ينفع ويسر ، فالشر كل الشر في سوء الخلق ، والخير كل الخير في حسن الخلق .

وليس بعامر بنيان قوم
اذا أخلاقهم كانت خرابا

وقد كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم في العرب ليؤهلهم الى ما وصلوا اليه من مكانة كما يقول الله : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » وكما يفهم من قول جعفر بن أبي طالب للنجاشي في الحبشة : أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا

الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه • وصدقه • وأمانته • وعفافه • فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ،وأداء الأمانة وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، فصدقناه وآمنا به •

وقد وصل العرب بفضل هذه التربية والتزكية والتوجيه الرشيد السديد الى المستوى الرفيع الذى يشير اليه قول الله فيهم : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » • صلى الله عليه وسلم ، ونفعنا بهديه ووفقنا الى اتباعه • فقد كان عليه الصلاة والسلام القرآن مطبقا محققا ، وكان كما يقول الله فيه : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزعليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » وكما يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ؟

**عبد الرحيم فودة**

انى لتطربنى الخلال كريمة
طرب الغريب بأوبة وتلاق

ويهزنى ذكر المروءة والندى
بين الشمائل هزة المشتاق

فاذا رزقت خليقة محمودة
فقد اصطفاك مقسم الأرزاق

**حافظ ابراهيم**

# محنة الأرض والمجتمع السعيد في محاولات الإنسان

للأستاذ أحمد موسى سالم

**طريق بلا نهاية :**

طوال خمسة وعشرين قرنا هي عمر أوروبا منذ ظهور فلاسفة الاغريق لم تنجح الفلسفات الأوربية على تنوعها في أن تقيم « المجتمع الانساني » الذي ينشده الناس بفطرتهم ، وبوعيهم للحرية وايثارهم لها ، ليؤكدوا المساواة وأهدافها بينهم وفق شريعة للعدل يتمثل صدقها في الواقع وعند التطبيق .

لقد تمنت أوروبا منذ عصر الفلسفة والوثنية أن تقيم « المجتمع الفاضل » ثم انصرفت الى الايمان بالمسيحية فسعت الى اقامة مجتمع « الراعي الصالح » ... ثم قامت الحروب الصليبية لمدة قرنين شهد فيهما الأوربيون مجتمع المسلمين الزاهر في لحظات غروبه فظن النبلاء قدرتهم بمحاكاة تقاليد الفروسية عند المسلمين أن يقيموا «مجتمع الفرسان» بأخلاقه النبيلة ومشاعره الانسانية ثم بعد صراع مع الاقطاع والكنيسة والدين ظنوا بالثورة الفرنسية أنهم سيقيمون مجتمع « الحرية والاخاء والمساواة » ... ثم جاء القرن العشرون بعنجهيته بعد نشوة الاستعمار وترفع الاشتراكية ، وبقدراته العلمية ووثباته في الفضاء فتسابقت أطرافه للوعد بمجتمع « الرفاهية والأشياء الجميلة وحقوق الانسان » ... ولكن كل هذه المشروعات والآمل تحطمت قبل أن تقوم ، وظهرت في موضعها مجتمعات أخرى مناقضة لها تقوم على الشقاء والقهر ، وعلى التمويه والعدوان ، وهانحن هؤلاء نشهد بأعيننا « مجتمع رواد الفضاء » تتساقط آماله حطاما كمدينة تحترق في بهرة الأنوار وضجيج الآلات ، وأهلها نيام !

لقد تبخرت جميع الأحلام الطوباوية والدعائية من عصر الى عصر حول هذه المجتمعات التى يعاد تشكيلها بتجدد الفلسفات على أرض أوروبا .. فمن البداية ابتلعت الأمواج طبقات « الجمهورية الفاضلة » التى اخترعها عقل أفلاطون ، والتى تبين فى بحر التجارب الانسانية أنها خرافة لا تليق بعاقل ، وأنها مهزلة عصرها !

ثم ضاعت فى عصر الايمان بالمسيحية على عهد السلطة الامبراطورية للبابوات فرصة اقامة « مجتمع الأخوة المؤمنين » فلقد تأكد طوال تجارب مريرة مدى ابتعاد رجال الكنيسة عن الحياة البسيطة والجماهيرية للمسيحية الأولى ، كما ثبت فى صراع طويل أن أكثر رؤساء الكنيسة عاشوا فى عليائهم حربا على الحريات ، وعلى نهضة العلم ، وعلى سلطان العقل ، وعلى ارادة الانسان .

واذا كان الملوك والنبلاء بعد رحلاتهم الدموية الطويلة الى أرض العرب فى تلك الحملات الصليبية الظالمة ، وغير الدينية ، قد تأثروا الى ما تحت دروعهم وعظامهم بعظمة الأخلاق ونبل البشر فى مجتمع المسلمين ، وأرادوا لذلك أن يشكلوا بتقاليد الفرسان وبنخوة الفروسية ورحمتها مجتمعا جديدا يخفف من بأساء المستعبدين لهم ، والمعذبين بهم ، فقد ذهب ذلك الجهد بددا كما يذهب ضوء الشفق ، اذ هم لم يصدروا بهذه المحاكاة السطحية للمسلمين عن دين متبع ، ولا عن شريعة ملزمة ، ولا كانوا يفقهون ما يقلدون ، أو يقصدون بهذا النبل المفتعل الا زيادة التعالى الذى لم يضيفوا به الى مجتمعاتهم الا زيادة للشقاء والحيرة .

وعندما جاءت الثورة الفرنسية — ١٧٨٩ — لتمثل ذروة التشبع الأوروبى بالأفكار التحررية والعلمية والعقلية للحضارة العربية الاسلامية فيما بين عصر النهضة وعصر ثورة العلم والثورة الصناعية رفعت هذه الثورة بأصوات الغوغاء وأفكار المثقفين العقلانين شعار « الحرية والاخاء والمساواة » بديلا من الدين والله والجنة ، ولكن هذه الثورة التى لم تكن أكثر من مسيرة فوضوية لتحطيم ما تبقى من سلطة الكنيسة لم تلبث أن تلاشت كفقاعة كبيرة تحت أقدام الغوغاء أنفسهم الذين ذهبوا الى كنيسة

نوتردام فوضعوا امرأة من شوارع باريس فوق المذبح بوصفها « الهة العقل » ، بل انها تحطمت وتحولت الى مذبحة بشعة أكلت فيها الثورة أولادها عندما انتهى انتصارها الزائف الى أيدى المثقفين العقلانيين وخطبائهم، لكى يولد من بطن مذابحها أعجب وليد لها وهو نابليون ، وأغرب محرك لها فى الخفاء وهو « الصهيونية » !!

وعندما أتيح لأوروبا أن تغرق فجأة وتغوص تحت شحنات الذهب والخدمات المسروقة من المستعمرات وأثمان الآلات المصدرة ... وعندما اشتدت المنافسة على خيرات العلم والصناعة على مساحة الصراع الأيديولوجى بين الرأسمالية والاشتراكية بعد اخراج المعتقدات الكنسية من الميدان ... وعندما بدأت عملية المزايدة على من يقيم « مجتمع الوفرة والأشياء الجميلة » المتاحة للجميع ـ بدأ الجيل الأوروبى الذى تصور أنه بلغ فى نهاية القرن التاسع عشر يغوص ذهنيا فى شعور «سيطرة بخيبة الأمل ، لقد أخذ يستحسن خطاه وهى تتعثر به على منحدر طريق للعلم والمنجزات المادية لا يعرف مداه ،بينما أخذت الرعدة من زمهرير المجهول تصيبه ، وأخذ الشك والاضطراب يسريان فى الصفوف ، فى حين ضعفت ثقة الطلائع والرواد من رجال الفكر وهم يبحثون عن معالم طرق غير موجودة ، فسالت غاصت الآمال فى مجتمع الوفرة والأشياء الجميلة فى الجليد تاركة آثارها بالشك والقلق فى الأدب ، وملقية ظلالها بالكآبة على الواقع ، حيث دهم الشقاء ومعه المتناقضات أول محاولة للعقلانيين الملحدين لبناء جنتهم المزعومة بغير ايمان على أرض هذا العالم وليس فى العالم الآخر الذى لم يصدقوا به يوما ما !!

ثم تبدأ محاولة أخرى فى هذا القرن العشرين لبناء «مجتمع الرفاهية» فى الدول الرأسمالية ، ومجتمع « الاشتراكية » الذى يقود الى « جنة الشيوعية » فى الدول الماركسية ، فتكون البداية هى الحروب العالمية وشبه العالمية التى طرحت أثقالها ومآسيها ولا تزال على أكثر دول العالم والتى بلغت فظاعة أوزارها وتخريباتها ما لم يسبق له مثيل فى جملة حروب التاريخ ، والتى امتدت آثارها لكى تتكىء فى عصرنا هذا على سؤال يومى ، وفزع تقليدى : فهل تقع الحرب الذرية المدمرة لكل صور الحياة

البشرية أو لا تقع ؟ ... لقد كانت هـذه المـآسى على أعتـاب عصر فوق الصـناعى لجـاما كابحا لأى أمل فى مجتمع سعيد ، ومعولا هداما لبناء أية جنة امنة على سطح الأرض ... لقد فجرت هـذه المـآسى منابع الشـذوذ والأمراض النفسية ،وتحضير ومخاطبة الأرواح ، فى عصرنا الذى يمكن أن يسمى عصر العـلم والخرافات ، أو عصر التكنولوجيا والمرض ، أو عصر الرفاهية والجوع ... لقد كانت مآسى المجتمع المقترح من المعسكرين الشرقى والغـربى فاجعـة الى حد أن أصـبح العلمانيـون والمـاديون « يكلمـون أنفسـهم » خبـالا فى غرف تحضير الأرواح ، أو يتقلصـون عن آدميتهم رعبـا أمام قساوسـة الحزب وقضاة التنظيم !

**حضارة المسلمين :**

خلال تلك الفترة الطويلةمنذ عهود اليونان والرومان الى اليوم كان أعظم ما أفادته الشعوب الأوربية من مقومات الحضـارة هو تلك الكلمـات الكبيرة المعنى التى نقلوها نقـلا غير مكتمـل الجذور من خصائص الحضارة العربية الاسلاميـة . لقد تعلموا عن العرب كلمات الحرية والعلم والعقل والأمة وسلطة الناس والحكم الجمهـورى والسواسية وقيمة الانسان ، ولكنهم لم يتعلمـوا قط ، أو لم يسـتطيعوا رغم محاولاتهم أن يتعلموا تلك الحقـائق الأكبر فى كلمـات : اللـه والدين والايمان ، وهى التى لا يقوم بغيرها مجتمع سليم مهما استند الى الحـرية والعلم والعقل أو سلطة الجماهيروقيمة الانسان والمساواة فى الحقوق ...

لقد اسـتطاعت أوروبا أن تنتفض فى أغلالها بشدة منـذ عصر النهضـة تحت تأثير موجات التنوير النافذة التى أضاء بها الاسلام ظلمات العالم ، كمـا نجحت أوروبا منذ ذلك العصر فى أن تكسر طوق الوصاية والرهبة ، وأن تتمرد على الصمت الطويل تجاه عمالقة التخلف فى حياتهـا من النبـلاء والقساوسـة . ولمـا كان انطبـاع الأوروبيين عن الدين فى تلك العصور هو رد فعـل القهر الكنسى المسـتقر والسائد فى كل معالم الحياة اليوميـة الفارغة والمرتعـدة ، ولمـا كان هـذا الانطباع القاسى لا يمكن محوه بمجرد امتلاء العين والأذن من ذلك المثـال الانسـانى والعقـلانى المشرق بمعنى الدين فى صـورة الاسـلام المتفجر بالحياة والحب والحضارة ـ فقد اندفع

المفكرون والذين بدأوا فى أوروبا يخرجون بالعلم العربى من أمية الكتابة والحساب والمعارف العامة لكى يتجمعوا مع نفحة الحياة الجديدة فى معسكر الانسانيين والعقلانيين والمتحررين فى ذلك الاتجاه الذى كان بطبيعته مضادا للدين والكنيسة وللنظم القديمة السائدة ...

هكذا كان تأثير الحضارة العربية الاسلامية على أوروبا طوال مشرق شمسها عجيبا فى تغلغله اليها بمادة هذه الحضارة ، وكانت النتائج التى أسفر عنها هذا التأثير أعجب فيما انتهت اليه تراكماتها فى هذا القرن المنصهر بالخوف : قرن التكنولوجيا ، والتفجير الذرى ، والرفاهية الضائعة ، والقلق المكتوم . ذلك أن أوروبا لم توفر جهدا لتختطف وتنتزع من أيدى العرب ومن مكتباتهم ما لم يكن يهتم العرب أن يقدموه لهم قبل غيره من العلوم الجديدة فى الرياضة والكيمياء والطب والفلك ، ومن المنهج العلمى الذى لا يقوم الكشف عن القوانين العلمية بغيره ، ولا يقع الاختراع واختراع الاختراع الا به . بينما كان العرب يفضلون لو أخذ عنهم الأوروبيون حقائق علم الايمان الذى هو مصدر كل العلوم الطبيعية ، والعلوم الانسانية ، وأساس ما تقوم عليه فى المجتمع السليم حريات الانسان وحقوقه والتزاماته ، مجتمعا ذلك فى رأس قوانين الحياة وهو حقيقة « لا اله الا الله » .

لقد كان الامبراطور « فريدريك الثانى » فى صقلية ينقش « لا اله الا الله » على جدران قصره ، وعلى صدر عباءته ، ولكنه مع تمجيده الى حد الهيام والحماسة للعلم العربى المنبعث من حضارة الاسلام ، وعلوم الاسلام ، فان أنوار هذا القانون الأعلى المهيمن على الوجود بقيام الله الحق عليه فى كل صغيرة وكبيرة ، وفى كل سابقة ولاحقة ، لم ينفذ شىء منها قط الى أعماق قلبه ، أو مجرى فكره ، وبقى عالم الايمان الاسلامى أمام عينيه « عالما شرقيا مهيبا محوطا بالأسرار » لا يجرؤ أن يقترب منه ، ولا يملك أن يحاول اجتياز مداخله اليه . وهكذا كان رأى غالبية من كانوا أكثر منه أو أقل تمجيدا للحضارة العربية الاسلامية ، وعرفانا بفضلها على أوروبا بالعلوم والحرية والنظرة الجديدة الى العقل والى الحياة ، من أبناء أوروبا فى مرحلة النهضة والتحرر .

هكذا دخل العلم ، والمنهج العلمى ، والمبدأ القومى ، وأصول الفكر الاشتراكى من الحضارة العربية الاسلامية الى أنحاء أوروبا من اضيق الأبواب لا من أوسعها . لقد دخل تحت أقنيم جديدة فرضتها الضرورة على الأوروبيين وهى «الحرية واللقمة والمتعة » بدلا من الأقاليم التى ظلت ترتلها الكنيسه عليهم تحت صلصلة الأجراس والقيود . لقد دخل العلم العربى الى أوروبا ليس كما هو عند المسلمين كثمرة واضاءة لعقيدة راسخة فى القلب ، ورؤية صحيحة للعقل ، وانما كفكرة متجددة لحركة اليد ، وكوقود لا ينفد للاختراع والصناعة ، واعادة بناء الحياة لتكون هى هى الجنة الأولى والأخيرة فى حياة البشر الوحيدة على هذا الكوكب الصغير .

من أجل ذلك تكلم الانسانيون والعقلانيون والتحرريون فى مسيرتهم الكلامية والاحتجاجية والرفضية فى كل اتجاه الا الايمان . لقد فقدوا بطول القهر والعسف كل الثقة فى كل ما قيل لهم . وأخذت السعادة ـ بانعكاس مثالها عليهم من أرض المسلمين ـ تظهر لهم فى اطار وحيد هو « الحرية » التى اشتاقوا اليها بعد قيود ثقيلة لم تسلم فيها أقدامهم ، ولا أيديهم ، بل لم تسلم فيها حاسة واحدة من حواسهم ، حتى ارادة عقولهم ، وفطرة مشاعرهم . وبذلك أصبحت الحرية ، أو أصبح التحرر بعبارة أدق لا يعنى فى اندفاعهم بعيدا عن السلطان الطبقى والدينى الا اسقاط الماضى كله ، لكى تصبح الحرية وحدها فى أمل الجماهير المنفلتة من قيودها هى البديل من الدين ، ولكى تصبح « الجنة » الأرضية التى تقام على الحرية ، والتى تلمس باليد ، وتشم بالأنف ، والتى يعيش فيها المحرومون السابقون سعداء لأنهم « غير مؤمنين » الا بالحياة ، والأشياء الجميلة ، والمتعة ـ هى البديل من تلك الجنة التى حدثهم عنها القساوسة فى السماء ، وكانوا يتقاضون أثمانها سلفا من العصاة والمجرمين ببيع صكوك الغفران !!

لقد تعلمت أوروبا أن تقيم المبانى كما يفعل المسلمون لكل المرافق التى تخدم الشعب ، والتى ترتفع بقيمة الانسان ، فأنشأت المكتبات ، والمساكن المجمعة للعمال والناس ، وأدخلت الحمامات الى كل مسكن ، وحاولت

توصيل المعرفة حتى الى غرف النوم بأقل النفقات ، ولكنها انتزعت القلب الضابط لاتجاهات ومؤشرات هذه المرافق ، ولدلالات وأهداف هذه المعرفة ، بعيدا عن صراعات النظم ، وتدليسات القوى ، وذلك هو «المسجد» أو المكان الجامع لعبادة الله ، ولتوثيق كل العلاقات فى الحياة مع الله • لقد جهلت أوروبا وجهل مفكروها العقلانيون ما للمسجد فى قلب المدينة ومرافقها من مهمة القلب نفسه فى ضبط حركة أجزائه ، وتوحيدها ، وتأمينها ، وتوجيهها الى اتجاه واحد سليم يرتفع به العلم والعمل والعيش والجهاد فى حركة المجتمع المتجانس الى مستوى العبادة •••

لقد جهل العقلانيون والماديون فى محاولاتهم لبناء المجتمع الانسانى وفق معتقداتهم الدنيوية ما للمسجد ، أو ما لمركز العبادة الجامعة لله ، من قدرة الموازنة بين هدف العمل الدنيوى فى حياة الناس والمجتمع وبين الاتجاه به الى ما هو أبعد فى الغاية وفى الزمان والمكان ، حتى يتوفر الصدق فى الأعمال ، ويتفجر الاخاء بين العاملين ، وتزول الشبهات والظلمات عن نهايات تلك الطرق التى تمضى عليها الأعمال ، ويدرج فوقها العاملون •

من أجل هذا تقبل الشرقيون الماركسيون أن يسدلوا ستار النسيان على المعابد والمساجد ، وحرص الغربيون أن يدفعوا بكنائسهم الى ركن قصى فى أطراف المجتمع فلا يكاد يحس بها أحد الا فى لحظة الزواج أو الموت !

**مفتاح الجنة :**

بذلك تكون أوروبا التى اهتزت من أعماقها لمرأى جنة الأرض التى أقامها المسلمون على أوطانهم ، فنهضت لتحاكيها بأدوات العلم ، وبالمنهج العلمى ، وبالتصنيع الثقيل والواسع والمتنوع قد فقدت مفتاح الباب الكبير الى هذه الجنة ، وأضاعت الفكرة المرشدة الى قدرات بنائها كما بناها المسلمون بدعائمها وعجائبها فوق حبات القلوب والسرائر ، وعلى وحدة الأفكار والمشاعر ، وحول معين الابتكار والابداع ، وعلى أنهار اليقين والشهادة ، وهذا المفتاح هو الايمان ••• هو علم الايمان ، وهو نبع الحرية المتفجر من اخلاص العبودية لله بالايمان •

وبذلك فان أوروبا لم تبلغ فى كل محاولاتهـا العديدة لبنـاء مجتمعـات الرفاهية الا أن تبنى على حافة الضياع ، وفوق منحدرات طرق الموت ناطحات الشقاء المندلع ، وقواعد السيادة القاتلة على العالم ، وعلوما تطبيقيـة جديدة يتضاعف بها تحول الأدوات والأشياء المـادية الى مردة تعتلى ظهر البشرية وتندفع بها الى هاوية من غير قرار !

على أنه من الحـكايات التى يكاد ينساها الأوروبيون اليوم من تاريخهم، والتى قد يسـخر أكثرهم منهـا أن محـاولات جـدية قامت لتشـير على بساطتها الى امكان حصول الأوروبيين على هذا المفتاح ••• مفتاح الجنة ••• وذلك بالايمـان الصحيح الذى يقود الى الايمان بالآخرة ، وبالايمان مع الآخرة بجنة السماء ، ومن ثم يمكن بشريعـة الله التى لم تتغير قواعـدها وأساسياتها اقامة جنة الأرض كما دعا اليها كل الأنبياء بين الناس فى هـذه الحياة ، وعند الله بعد هذه الحياة •

من هـذه المحاولات محاولة الأب توماس الكمبينى الذى قام فى أوائل القرن الخامس عشر باللحاق بجمعية مسيحية اصـلاحية أنشـأها جرهارد جـروب خـريج جامعـات باريس وكولونيا وبراغ التى اشـتهرت فى تلك العصور بدراسة العلوم العربية • كان اسم هذه الجمعية « اخوان الحياة المـألوفة » وكان هدفها استرجاع حياة الحواريين الأولين فى صورة الجمع بين حيـاتهم البسيطة المـأثورة عنهم وبين اشتغالهم بأعمالهم وحرفهم العادية كالنجارة والنقش والبناء • لقد كان معنى هـذا الاتجـاه فى أزمة أوروبا العقلانية والدينية اشارة الى أن طريق الرشـد هو أن يكون الايمـان ثقافة عملية للجميع ، وحياة بسيطة وواعية للجميع ، وأن لا ينشطر المجتمع الى شطرين : مثقفين يشتغلون بالفكر ، وعمـال بغير ثقافة ينقـادون لفـكر المثقفين ، كما حدث هذا الانشطار فى المرحلة التى خرج بها رجال الكنيسة فى تحالفهم مع الأباطرة عن تعـاليم المسيح السليمة بحيث أصبح الوعظ حرفة وطبقة وسـلطة • وكان تأثير التعاليم الاسلامية على جرهارد جروب قويا من طريق الجامعات ، ومنه امتد تأثر الأب توماس الذى وضـع كتابا صغيرا مؤثرا سماه : « التمثل بالمسيح » وقد ترجم هذا الكتاب منذ تأليفه الى لغات كثيرة تزيد على عدد اللغات التى ترجم اليهـا أى كتـاب آخر ما عدا الانجيل •••

ومع ذلك فان صوت الأب توماس الصادق ضاع فى ضجيج الفلسفات الالحادية ، وذهب فى صراخ العقلانيين وهم يطلبون تحت الكثير من الشعارات ووسائل التعبير ادراك السعادة فى جنة على الأرض يتمتعون فيها بالحرية والملابس الجديدة والأشياء الجميلة ، حتى وان رفضوا عقيدة بنائها ، ومفتاح مقوماتها وهو « الايمان » ، بل ان السعادة عندهم لن تتوفر لهذه الجنة التى يبنيها محض العلم والتحرر الا بسبب تعقيمها ضد الايمان •••

وكذلك فشلت بعد ذلك محاولات مارتن لوثر وجون كلفن لاصلاح دينى تقترب به المسيحية اجتماعيا وانسانيا من دعوة المسيح فى الانجيل، ومن دعوة محمد فى القرآن ، ومن حقيقة المثال الشاهد بالعمل على صدق هذه الدعوة فى مجتمع المسلمين •

وبذلك مضى الفكر الأوروبى بالدوافع العقلانية وفوق موجة الفلسفات المادية والرأسمالية والقوى الصناعية يتسابق بالنظريات ، ويتناقض بالتطبيق وراء هدف تشييد « جنة الأرض » واقامة « مجتمع الرفاهية »• وسرعان ما بدأت المنافسة كبيرة بين الرأسماليين الذين ظنوا سهولة اقامة هذه الجنة الباذخة من مسروقات الاستعمار ، وأرباح الاحتكار ، ومن استغلال وقهر الشعوب ، ومن بيع الأسلحة واستثمار الحروب • وبين الاشتراكيين الماركسيين الذين وعدوا باقامة « جنة الشيوعية » ، هذه الجنة التى تجرد الشيوعيون من منطقهم العلمى لكى يتخيلوها فى صورة مجتمع يتكىء أهله فى استرخاء سعيد بغير عمل بجوار أزرار مهمتها « اطلب تجد » ••• مجتمع « بغير طبقات ولا درجات ولا نقود ولا دولة » ••• مجتمع تنتقل فيه الدولة كما يقول انجلز لتوضع فى المتحف بجوار المغزل والفأس !

أما الجنة الرأسمالية فى ذروة العصر التكنولوجى فلا تزال وقد اندلعت فيها حرائق الشهوات وضراوة الصراعات مجتمعا يتزايد فيه مرضى العصاب والذهان ، ويتكاثر فيه ضحايا الجريمة والخمر والجنس •••

وأما الجنة الشيوعية فلا تزال حلما خياليا • ذلك أن المجتمع الذى نجح الماركسيون فى اقامته ليس الا شكلا من أشكال رأسمالية الدولة التى

تقودها قيصرية الحزب ، واذا كانت الجرائم فى مثل هذا المجتمع أقل فان نسبة القهر أعظم ، ولا يزال الناس فيـه رغم التنظيم والتلقين يحمـلون الـكثير من أمراض الرأسماليـة على حافة النشـاط والتنفيـذ ، بينمـا لا يتحرجون من أن يظهر مسيل لعابهم فى اتجاه جيرانهم الغربيين ، ومن أن يتأكد أنهم على الرغم من تبادلهم التهم فيمـا بينهـم عن الردة والمراجعــة والتحريف والتحريف الجديد فانهم يسيرون الى نفس الأهداف الرأسمالية وان يكن بطرق مختلفة !

وهكذا فانه فى المجتمع المـاركسى الأفضل حيث يجد كل مواطن عملا ، وكل فم لقمة ، فقدت الجماهير التى يعتلى صهوتها الحزب وأساليبه حريتها السياسية ، فماذا بقى من الأمل فى هذه الجنة التى يزعمون الاقتراب الى زمانها على هذه الأرض !؟

والآن ••• نحن المسـلمين الذين صنعنا وسط شـقاء العالم هذه الجنـة الأرضـية التى يبنيها الايمـان •••• صنعناها وشيدناها بقوة السعى الصادق، واليقين الكامل بجنة أخرى عند الله ، ينتهى فيها الصراع ، ويتم فيها العلم ، ويسقط منها الخوف ، ويشيع فيهـا الرضوان ••• جنة عرضها كعرض السماوات والأرض •••

نحن المسلمين ••• ماذا ننتظر لبناء هذه الجنة الوارفة على أرضـنا ••• جنة المجتمع الانسـانى السـعيد ••• بالايمان الصادق ••• والعلم المتاح •• وبالتجربة التى عاشت بها الحضـارة العربيـة الاسلاميـة أكثر من عشرة قرون أضاء فيها الاسلام كل العالم ؟

**احمد موسى سالم**

دراسات قرآنية :

# ليلة النصف من شعبان

## " هل يفرق فيها كل أمر حكيم ؟ "

للأستاذ مصطفى محمد الطير

( حم . والكتاب المبين . انا انزلناه فى ليلة مبـاركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا انا كنا مرسلين . رحمة من ربك انه هو السميع العليم ) .
الدخان : ١ ـ ٦

**البيـان :**

شعبان شـهر كريم ، وهو مقدمة لشـهر أكرم ، شـهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وفرض فيه الصيام، ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يخصـه من بين الشهور بالاكثـار من الصيام فيه ، ففى الصحيحين عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم شهرا أكثر من شعبان ، فانه كان يصوم شـعبان كله ، وكان يقول : « خذوا من العمل ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملوا » .

وقد جعل الله فيه ليلة مبـاركة ، هى ليلة النصف منه ، اذ وردت فيها أحاديث تدل على فضلها وفضل العمل فيها ، وهى ـ وان لم تصل الى درجة الصحة فى أحادها ، فان بعضها يقوى بعضا ، كما هو شأن الأحاديث الضعيفة اذا اجتمعت ، ولهذا تجعل العمل بهـا مشروعا غير بدعى .

وقد نقل عن كبـار التابعين احيـاء ليلة النصف من شعبان ، عمـلا بتلك الأحاديث ، على ما سنوضحه ، أخرج الطبرانى وابن حيان عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ قال : « قال النبى صلى الله عليه وسلم : يطلع الله الى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان ، فيغفـر لجميـــع خلقـــه الا لمشرك أو مشاحن » وبهـذا المعنى أخرجه أحمد فى مسنده ، وأخرج البهيقى فى كتـاب السنن ، وغيره بسنده قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان الله عز وجل يطلع الى عباده فى

كل ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمؤمنين ، ويملي للكافرين ، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه » ،

وأخرج البيهقي عن العلاء بن الحرث ، أن عائشة رضي الله عنها قالت : « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ، فأطال السجود ، حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك ، فرجعت فسمعته يقول في سجوده : « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال : « يا عائشة أو يا حميراء(١) : أظننت أن النبي صلى الله عليه وسلم قدخاس بك (٢)؟» فقلت : لا يا رسول الله ، ولكني ظننت أنك قد قبضت لطول سجودك ، فقال : « أتدرين أي ليلة هذه ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « هذه ليلة النصف من شعبان : ان الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ، ويؤخر أهل الحقد كما هم » .

وأخرج محمد بن عيسى بن حبان بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : ( أنه دخل على عائشة رضي الله عنها : فقالت عائشة : يا أبا سعيد : حدثني بشيء سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحدثك بما رأيته يصنع ، قال أبو سعيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى صلاة الصبح قال : « اللهم املأ سمعي نورا ،وبصري نورا ،وبين يدي نورا ، ومن خلفي نورا ، وعن يميني نورا ، وعن شمالي نورا ، ومن فوقي نورا ومن تحتي نورا ، وأعظم لي النور برحمتك » قالت عائشة رضي الله عنها : « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع عنه ثوبيه ، ثم لم يستتم أن قام فلبسهما ، فأخذتني غيرة شديدة ، ظننت أنه يأتي بعض صويحباتي ، فخرجت أتبعه ، فوجدته بالبقيع بقيع الفرقد ، يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ، فقلت : بأبي وأمي : أنت في حاجة ربك عز

---

(١) شك من الراوي في صيغة النداء ، هل هي ياعائشة،أم هي ياحميراء.
(٢) أي غدر بك .

وجل ، وأنا فى حاجة الدنيا ، ثم قصت عليه ما حدثت به نفسها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « يا عائشة : أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ـ قال ـ أتانى جبريل فقال : هذه ليلة النصف من شعبان ولله عز وجل فيها عتقاء من النار » ثم قال : « لا ينظر الله فيها الى مشرك ولا الى مشاحن ، ولا الى قاطع رحم ، ولا الى مسبل ، ولا الى عاق لوالديه ، ولا الى مدمن خمر » ثم وضع ثوبيه وقال : يا عائشة : أتأذنين لى فى قيام هذه الليلة ؟ قلت : نعم بأبى وأمى : فقام فسجد طويلا حتى ظننت أنه قد قبض، فقمت ألتمسه ، ووضعت يدى على باطن قدميه فتحرك ، ففرحت وسمعته يقول فى سجوده : « أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك ، جل وجهك ، ولا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»، فلما أصبح ذكرتهن له ، فقال : تعلميهن وعلميهن ، وأمرنى أن أرددهن فى السجود » .

وفى رواية للدارقطنى عن عائشة قالت : « كانت ليلة النصف من شعبان ليلتى : بات رسول الله صلى الله عليه وسلم عندى ، فلما كان فى جوف الليل فقدته ، فأخذنى ما يأخذ النساء من الغيرة ، فتلففت بمرطى ، أما والله ما كان مرطى خزا ولاقزا ، ولاحريرا ولا ديباجا ، ولا قطنا ولا كتانا ، قيل : ومم كان ؟ قالت : شعرا ، ولحمته من أوبار الابل ، فطلبته فى احدى حجرات نسائه ، فلم أجده ، فانصرف الى حجرتى ، فاذا به كالثوب الساقط على وجه الأرض ساجدا وهو يقول فى سجوده : يا عظيم يرجى لكل عظيم ، اغفر الذنب العظيم ، سجد وجهى للذى خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، ثم رفع رأسه فعاد ساجدا ثم قال : أعوذ برضاك من سخطك ، وبعفوك من عقابك ، وبك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » ثم قالت : ثم رفع رأسه فقال : اللهم ارزقنى قلبا نقيا ، لا كافرا ولا شقيا » الى آخر ما قاله صلى الله عليه وسلم .

**صيام يوم النصف :**

وجاء فى مشروعية صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليله ، ما اخرجه عبد الرازق وابن ماجه ، من قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا كانت ليلة النصف من شعبان ، فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فان الله عز

وجل ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول : « ألا مستغفر فأغفر له ؟ ألا مسترزق فأرزقه ؟ حتى يطلع الفجر » والمراد من نزوله تعالى الى سماء الدنيا ، نزول ملك بأمره جل وعلا ، فيبلغ عنه تعالى أنه يدعو عباده ليستغفروه ويسترزقوه ، فيجيبهم الى ما يسألون ، فان النزول والطلوع من صفات الحوادث ، ومثل ذلك المجاز مستعمل لغة ، كقولهم : هزم الأمير الأعداء وهو فى قصره ، يعنون : هزمهم قائده وجنوده بأمره .

**احياء ليلة النصف :**

كان التابعون من أهل الشام يجتهدون فى احياء ليلة النصف من شعبان ، ومنهم خالد بن معدان ومكحول، وعنهم أخذ الناس تعظيمها، وقد أنكر ذلك أكثر علماء الحجاز ، ومنهم عطاء بن أبى مليكة ، ونقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة ، وهو قول أصحاب مالك وغيرهم ، وقالوا ان ذلك بدعة ، وقد علمت أن أهل الشام يستندون الى مجموع تلك الأحاديث التى يقوى بعضها بعضا ، وبذلك تخرج عن البدعة الى السنة .

واختلف علماء الشام فى صفة احيائها ، فمنهم من استحب أن يجتمع الناس لذلك فى المساجد ، وكان خالد بن معدان ونعمان بن عامر من التابعين، يلبسان أحسن ثيابهما ويتبخران ويقومان فى المسجد ليلتهما تلك ، ووافقهما على ذلك اسحاق بن راهويه .

ومنهم من كان يرى احياءها بالصلاة يفعلها المسلم لخاصة نفسه فى بيته ، ولا يجتمع المسلمون لذلك فى المساجد فذلك مكروه عندهم ، وبهذا قال فقيه أهل الشام وامامهم الأوزاعى

وتحيى ليلة النصف بالصلاة بغير تعيين عدد ، وبقراءة القرآن ، وذكر الله وتسبيحه ودعائه والصلاة والسلام على رسوله ، وقراءة أحاديثه وسماعها ، وتفسير كتاب الله وسماعه ،

وشرح الأحاديث وسماعها ، ويحصل احياؤها بمعظم الليل ، وقيل بساعة ، وقيل بصلاة العشاء فى جماعة ، والعزم على صلاة الصبح فى جماعة ، كما قاله بعض العلماء فى احياء ليلتى القدر والعيد .

**دعاء نصف شعبان :**

جرت عادة المطابع أن يفاجئوا الناس فى شعبان بدعاء معين مطلعه « اللهم ياذا المن ولا يمن عليه » الخ : ويذكروا له شروطا خاصة ، وقد اعتاد بعض أئمة المساجد أن يقرأوه مع الناس بشكل جماعى ، وهذا الأسلوب يعطى أنه دعاء مأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن طريقته الجماعية كذلك مأثورة ، والأمر ليس كذلك ، فيما هو الا دعاء ابتكره بعض الناس وابتكر طريقته ، وشاع أمره وأمر طريقته بين الناس ، والواقع أن فيه أخطاء علمية ، مثل : « اللهم ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا أو محروما أو مطرودا أو مقترا على فى الرزق ، فامح اللهم بفضلك شقاوتى وحرمانى وطردى وتقتير رزقى وأثبتنى عندك فى أم الكتاب سعيدا مرزوقا موفقا للخيرات ، فانك قلت وقولك الحق فى كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل : يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » وموضع الخطأ أن أم الكتاب لا محو فيما أثبته الله فيها ، وانما المحو والاثبات فى صحف الملائكة ، كما يشير اليه قوله تعالى : « يمحو الله ما يشاء ويثبت » أى من صحف الملائكة « وعنده أم الكتاب » فلا محو فيها ولا اثبات ، فان أم الكتاب هى علم الله أو اللوح المحفوظ وما يمحى أو يثبت فى صحف الملائكة يكون موافقا لما جاء فى أم الكتاب ، من التطورات التى تطرأ على أفعال العباد وفقا لأم الكتاب .

فليدع الانسان ربه ليلة النصف بما شاء مما هو بحاجة اليه مما ليس فيه اثم ، ولا يقيده برفع ضده من أم الكتاب ، فان صادف دعاؤه ما فى أم الكتاب من تحقيقه حققه الله كما طلب ، وان لم يكن قبول الدعاء واجابته فى أم الكتاب ، فان الله سبحانه يكافئه على اللجوء اليه ، فيعطيه ثوابا عليه فى الآخرة ، أو يعطيه فى دنياه بدلا مما دعا به خيرا منه .

**ادعية مأثورة :**

ومن شاء دعاء مأثورا ففى السنة الكثير منه ، وفيما يلى بعضه ، وهو غير مقيد بليلة النصف من شعبان .

١ ـ الدعاء عند النوم : أخرج البخارى عن البراء بن عازب قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل اللهم اسلمت نفسى اليك ، وفوضت أمرى اليك ، وألجأت ظهرى اليك ، رهبة ورغبة اليك ، لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ، ونبيك الذى أرسلت ، فان مت مت على الفطرة »، واجعلهن آخر ما تقول » .

٢ ـ الدعاء عند الانتباه من النوم : أخرج البخارى عن ابن عباس قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال : اللهم لك الحمد : أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد : أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ، وقولك حق ولقاؤك حق ، والجنة حق والنار حق ، والساعة حق والنبيون حق ، ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت ، وعليك توكلت ، وبك آمنت واليك أنبت ، وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا اله الا أنت » .

٣ ـ دعاء للصباح والمساء : أخرج البخارى عن شداد بن أوس ، عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ،وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أبوء لك بنعمتك ، وأبوء لك بذنبى ، فغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ، أعوذ بك من شر ما صنعت : اذا قال حين يمسى فمات ، دخل الجنة ـ أو كان من أهل الجنة ـ واذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله » أى دخل الجنة .

٤ ـ استعاذة من الهم والدين ـ أخرج البخارى عن أنس بن مالك ـ من حديث رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضلع الدين وغلبة الرجال » والمراد من ضلع الدين ثقله .

٥ ـ استعاذة من البخل والجبن والفتن ـ أخرج البخارى عن مصعب قال : « كان سعد يأمر بخمس ، ويذكرهن عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بهن « اللهم انى أعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من

الجبن ، وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر » .

٦ — دعاء شامل : أخرج البخرى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : اللهم انى أعوذ بك من الكسل والهرم ، والمأثم والمغرم ، ومن فتنة القبر وعذاب القبر ، ومن فتنة الغنى ، ومن فتنة النار وعذاب النار ، وأعوذ بك من فتنة الفقر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، اللهم اغسل عنى خطاياى بماء الثلج والبرد ، ونق قلبى من الخطايا ، كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وباعد بينى وبين خطاياى ، كما باعدت بين الشرق والغرب » .

**هل يفرق فيها كل أمر حكيم :**

ذهب بعض العلماء الى أن ليلة النصف من شعبان ، هى الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، وهى التى جاءت فى صدر سورة الدخان « حم . والكتاب المبين . انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم .. » الآيات

ومعنى أنها يفرق فيها كل أمر حكيم ، يفصل ويبين كل أمر محكم لا يبدل ولا يغير ، وممن ذهب الى ذلك عكرمة ، واحتج بما جاء فى بعض الأحاديث ، من أن الآجال تنسخ فى ليلة النصف من شعبان ، حتى ان الرجل يتزوج وقد رفع اسمه فيمن يموت وأن الرجل يحج ، وقد رفع اسمه فيمن يموت ، والصحيح أن الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، هى الليلة التى أنزل فيها القرآن ، كما يدل عليه صراحة قوله تعالى فى سورة الدخان : « انا أنزلناه فى ليلة مباركة » وبين الله عقب ذلك أن هذه الليلة المباركة التى أنزل فيها القرآن هى التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، والليلة المباركة التى أنزل فيها القرآن ، والتى يفرق فيها كل أمر حكيم ، هى ليلة القدر حتما ، لقوله تعالى : « انا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر » الخ وليلة القدر فى رمضان ، لقوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » فتحصل من كل ذلك ، أن كل أمر حكيم ، لا يفرق فى ليلة النصف من شعبان ، بل فى ليلة القدر من رمضان ، وهذا هو الذى ارتضاه جمهور العلماء ، وعلى رأسهم ابن عباس .

أخرج محمد بن نصر وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس أنه قال فى ذلك : يكتب من أم الكتـــاب فى ليلة القـدر ، ما يكون فى السـنة من رزق أو موت أو حياة أو مطر ، حتى يكتب الحـــاج : يحج فـلان ويحج فلان .

وممــن ذهب الى ذلك الحســن : أخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، عن ربيعة بن كلثوم قال : ( كنت عند الحسن فقال له رجل : يا أبا سعيد ، ليلة القدر فى كل رمضان هى ؟ قال : اى والله ، انهـا لفى كل رمضــان ، وانها الليلة التى يفرق فيهـا كل أمر حكيم ، فيها يقضى الله تعالى كل أجل وعمل ورزق الى مثلها ) .

وروى هذا التعميـم عن غير واحد من السلف ، فهؤلاء جميعا قالوا : ان كل مقدورات العام تنقل من أم الكتاب الى الملائكة ليلة القدر ،ليقوم كل ملك بتنفيـذ ما يخصه منهـا بين خلق الله تعالى ، والله أسأل أن يجنبنا الزلل ، ويوفقنا الى احسان العمل ؟

**مصطفى محمد الطير**

---

# نماذج من الرجال فى الجهاد والزهد

للأستاذ أبو الوفا المراغى

أسفرت الدعوة الاسلامية وما اقتضته من كفاح وجلاد وخوض للمعارك عن الكشف عن رجال تألقوا في سماء التاريخ نجوما يهتدى بسيرهم ويقتدى بمآثرهم فى الفداء والبذل والزهد فى الدنيا وما من معركة من معارك الاسلام الا انجلت عن صفوة من هؤلاء يحير الاختيار منهم والمفاضلة بينهم ، وها نحن أولاء فى هذا الحديث أمام نموذجين منهم مما انجلت عنه غزوة تبوك ، حدث أحدهما عن نفسه ، وكان حديثه عن

عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال : نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فخرجت الى أهلى فأقبلت وقد خرج أول صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فى المدينة أنادى : ألا من يحمل رجلا له سهمه فاذا شيخ من الأنصار فقال : لنا سهمه على أن نحمله عقبة ، وطعامه معنا ، فقلت : نعم ، قال: فسر على بركة الله ،فخرجت مع خير صاحب حتى أفاء الله علينا ، فأصابنى قلائص فسقتهن حتى آتيه ، فخرج فقعد على حقيبة من حقائب ابله ثم قال : سقهن مدبرات ثم قال : سقهن مقبلات ، فقال : ما أرى قلائصك الا كراما ، قلت : انما هى غنيمتك التى شرطت لك ، قال : فخذ قلائصك يا ابن أخى فغير سهمك أردت .

أخرجه أبو داود .

غريب الحديث

عقبة : حملت فلانا عقبة اذا أركبته وقتا وأنزلته وقتا ، فهو يعقب غيره فى الركوب . أفاء الله علينا ، الفىء ما يحصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا قتال ، قلائص جمع قلوص: الناقة .الحقيبة : هى الزيادة التى تجعل فى مؤخر الرحل ، والوعاء الذى يجمع الرجل فيه متاعه .

نفسه حديثا عن صاحبه فيما دار بينهما من حوار ، وهذا الصاحب أحد فقراء المسلمين وأحد جنود الاسلام استنفر للقتال فى غزوة تبوك ، وحين نادى الرسول للخروج اليها أقبل من حيث كان الى ساحة الحشد فوجد طليعة المسلمين من أصحاب الرسول قد سبقته ولما كان فقيرا لا يجد ظهرا يركبه ليلحق بجماعة المقاتلين نادى فى حيه ينشد ظهرا يحتمله الى المعركة على أن يتبرع لمن يحمله بما عساه ينال من غنيمة فى غزوته هذه فوجد شيخا من الأنصار ذاهبا الى القتال مثله فعرض عليه أن يحمله على ما شرط فتظاهر الشيخ بالقبول على ما شرط وعلى أن يركب كل منهما تلك الراحلة عقبة أى متعاقبين يركب أحدهما فترة وينزل فيركب الآخر لئلا يرهقا الراحلة بركوبهما معا واتفقا على ذلك وسارا على ما انتويا من نصرة الله والجهاد فى سبيله وخاضا المعركة حتى انتهت بالنصر والغنيمة وأفاء الله على المسلمين من غنائم الأعداء خيرا وفيرا ، أصاب ذلك الفقير الذى لم يجد مركبا خاصا يحمله الى المعركة منه جملة من النياق الجيدة كانت سهمه ونصيبه من تلك الغنائم وأراد أن يفى بما عاهد عليه الشيخ من أن يكون له كل نصيبه من الغنيمة فساق تلك القلائص الى ذلك الشيخ ليسلمها اليه تنفيذا لوعده وعرضها عليه ، وقال خذ تلك القلائص التى اشترطت أن تكون لك حين التمست منك أن تحملنى الى القتال فقال له الشيخ : سقهن مقبلات ومدبرات ليستبين حسنهن وكرمهن فساقهن الرجل ، ثم قال الشيخ : انهن كريمات جيدات ، فقال الرجل هى من حقك كما اشترطنا ، فقال الشيخ للرجل : يا ابن أخى ما ذهبت معك للغزو حين التقينا واحتملتك على راحلتى واشتركنا فى القتال التماسا للمال والغنيمة وحطام الدنيا وانما خرجت لغرض أسمى وأجر أوفى وأبقى وهو نصرة دين الله والظفر برضاه ، ولا حاجة لى فى قلائصك وخذها أنت ولا تشب اخلاصى فى عملى بعرض من أعراض الدنيا ليبقى خالصا لله كما انتويت حين خرجت •

تلك هى قصة الرجلين ، والذى يمكن أن نستخلصه من هذه القصة من الأمور التى جعلت من هذين الرجلين نماذج مشرفة من الرجال ، ان هذين الرجلين كانا مؤمنين شجاعين أسرعا الى الاستجابة لنداء الرسول بالجهاد فى سبيل الحق ونصر الدعوة دون

اكراه بسلطان القانون ودون انتظار لترتيب أو اعداد ، فقد كان المسلم من صحابة الرسول لأول الدعوة جنديا تحت السلاح وعند الطلب في جميع الأوقات كما كانت تحكم عليهم أحوالهم حينذاك حتى استقرت الدعوة وتأسست الدولة وتوزع الاختصاص والمسئولية وأسند القتال الى طائفة خاصة من المسلمين ، وانهما تعاونا فى وسائل الاعداد للحروب فقد ضحى الشيخ براحته فى الانفراد بركوب راحلته ليحمل معه أخا من المسلمين أراد القتال ولم يجد مايحمله ، وتلك كانت حالة المسلمين فى حروبهم الأولى فلقد كان بعضهم يعير الآخر مالا حاجة له به من مال أو سلاح أو رواحل، وفى الغزوة التى ورد فيها هذا الحديث تبرع عثمان رضى الله عنه بألفى دينار فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض » ، وفيها ذهب جماعة الى رسول الله يطلبون منه أن يعد لهم رواحل يخرجون بها الى الحرب فلم يجد ما يحملهم عليه فبكوا حزنا على أن فاتتهم فرصة الاشتراك فيها ، وفيهم نزل قوله تعالى: « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم • ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون » •

وأيضا فان مما جعل من هذين الرجلين نماذج فى الرجال ، أن أحدهما كان وفيا بعهده فانه لما وقع فى سهمه من الغنيمة تلك القلائص الحسنة الكريمة استاقها كما أخذها وذهب بها الى الشيخ ليسلمه اياها كما اشترط ولم يطمعه فى شيء منها حسنها ولا كرمها كما لم يطمعه فيها الفقر والاعواز بل ذهب بها راضى النفس مستريح الخاطر وطلب الى الشيخ أن يأخذها من صاحبه ، وفى كلمة موجزة زاخرة بالمعانى الكريمة كشف لصاحبه عما أراد بحمله على راحلته ، فهو لم يرد بحمله اياه على ناقته حرث الدنيا فيأخذ نصيبه من الغنيمة ، وانما أراد حرث الآخرة ورضوان الله ، وما أحلى أسلوب الشيخ فى الرفض : غير سهمك أردت، يعنى أن غايتى مما قدمت أسمى مما ظننت وأبعد مما قدرت • تلك هى الأمور التى أمكن استخلاصها من

الحديث والتى جعلت من هذين الرجلين نماذج من الرجال ، وحبذا لو حرص المسلمون على تأثرها والنسج على منوالها ، وما أخلق المسلم أن يكون مجاهدا شجاعا متعاونا ، وفيا بوعده زاهدا فى دنياه حريصا على آخرته كما كان هذان الرجلان فى تصرفهما فى رحلتهما الى غزوتهما ؟

**ابو الوفا المراغى**

---

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .

ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما » .

الأحزاب : ٢٣ ، ٢٤

## من هدى السنة :

# صلة أرحام ذوى القربى القاطعين

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله : ان لى قرابة أصلهم ، ويقطعونى ، وأحسن اليهم ، ويسيئون الى ، وأحلم عنهم ، ويجهلون على ، فقال :

( لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ، ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم ما دمت على ذلك ) رواه مسلم •

سبق التعريف به فى عدد ربيع الثانى من هذا العام •

**اللغة :**

( قرابة ) أى أقارب ، من استعمال المصدر فى الصفة ، أو الكلام على حذف مضاف ، أى ذوى قرابة ، وهى الرحم والنسب •

( أصلهم ويقطعونى(١) ) الوصل ضد الهجران ـ والقطع الهجر والعقوق ، يقال : قطع فلان رحمه ، اذا هجرها وعقها ، والمعنى أتودد اليهم ، ويبتعدون عنى •

( وأحلم عنهم ، ويجهلون على ) يقال : حلم ـ بضم اللام ـ حلما بكسر الحاء ، صفح ، وستر ، فهو حليم ، ويقال : جهل على غيره ، سفه عليه ، وأخطأ فى حقه ، ونال منه ـ وفى هذا قول الشاعر :

ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فالمراد بقول الرجل : ( وأحلم عنهم ) الخ أصبر على أذاهم ، وأتجاوز عن هفواتهم ، ويعتدون على ، ويلحقون بى الأذى •

---

(١) أصل ( يقطعون ) يقطعوننى ، بنون الرفع ونون الوقاية ، حذفت نون الرفع تخفيفا .

( تسفهم المل ) تسف ـ بضم التاء، وكسر السين ، وتشديد الفاء ، مضارع أسف ، وأصله من سففت الدواء ، أسفه ، اذا أكلته غير ملتوت ، أى غير ممزوج بشىء من الماء ، قال فى المصباح : سففت الدواء وغيره من كل شىء يابس أسفه من باب تعب سفا ، وهو أكله غير ملتوت ، وهو سفوف مثل رسول ، واستففت الدواء مثل سففته اهـ •

و ( المل ) والملة : الرماد الحار ـ ويقال : مل الخبز يمله من باب ـ نصر ـ اذا وضعه فى الملة ـ ومنه قول الحماسى :

واذا العذارى بالدخان تقنعت
واستعجلت نصب القدور فملت

أى وضعت الخبز فى الملة ـ ومعنى قوله : ( تسفهم المل ) تجعلهم يسفون الرماد الحار ، وفى هذا دلالة على مدى ما يلحقهم من الاثم والعذاب بسبب تقصيرهم فى حق من أحسن اليهم ، وايذائهم له •

( ظهير ) معين ، ويطلق على الواحد والجمع ، قال تعالى : « والملائكة بعد ذلك ظهير » (١) •

( ما دمت على ذلك ) المشار اليه ما ذكر من حسن صنيع الرجل الى قومه مع ما يلقاه منهم من سيىء الأعمال •

**البيان :**

أقارب الانسان هم أحق الناس ببره وعطفه ، وعونه ومودته ، لذا أمرنا الله تعالى بالوفاء بحقهم ، فقال : « وآت ذا القربى حقه » (٢) •

وأوجب علينا صلتهم ، والاحسان اليهم ، فقال : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى » (٣) •

والاحسان الى الأقارب من أعظم الوسائل فى غرس بذور المحبة ، وتوثيق الروابط بين أفراد الأسرة ، وجعلها متآلفة ، متناصرة ، متماسكة البناء ، قوية الدعائم •

---

(١) سورة التحريم آية رقم ٤
(٢) سورة الاسراء آية رقم ٢٦
(٣) سورة النساء آية رقم ٣٦

ولا يليق بشخص أن يمنع صلته لأقاربه اذا لقى منهم الهجر والقطيعة ، ولا أن يكف عن احسانه اليهم اذا تنكروا لمعروفه ، وقابلوه بالاساءة ، والايذاء •

يدلنا على ذلك ما ورد فى الحديث بشأن الرجل الذى جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يخبره عن حاله مع قومه ، وأكد خبره ليثير الاهتمام به ، فذكر أنه ينهج مع أقاربه نهجا قويما حميدا ، ويعاملهم معاملة كريمة فاضلة : يصلهم ويحسن اليهم ، ويتجاوز عن زلاتهم ، وهم يقابلون ذلك بالامعان فى قطعه وهجره ، وتوجيه الاساءة اليه ، وظلمه والعدوان عليه •

وتصوير الرجل لشكواه على هذا النحو يدل على أنه كان شديد الضيق بما يلقاه من أهله ــ فان الشخص قد يحتمل الاساءة من الأجنبى ، ويهون عليه أمرها ، ذلك لأنه لا يتوقع منه صلة وبرا ، ولا ينتظر رعاية واحسانا، وأما القريب فانه معقد الرجاء ، ومناط الأمل ، ولاسيما اذا كان ممن أسديت اليه معروفك ، فاذا صدر منه بعد هذا ايذاء لك كان مفاجأة أليمة ، وصدمة قاسية ، وطعنة غائرة ، لا يرقأ لها دم ، ولا يندمل جرح ، وتتقاصر دونها ضربات السيوف والرماح ، كما قال الشاعر العربى :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

ولما سمع النبى عليه الصلاة والسلام شكوى الرجل قال له : (لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ) وفى هذا أبلغ تصوير لما ينالهم من الاثم والعذاب بسبب جرمهم فى حق من يقف منهم موقف المحسن الكريم، ويقفون منه موقف الغادر اللئيم•

وكان قوله صلى الله عليه وسلم : ( تسفهم المل ) ــ تعبيرا عما يلحقهم من العذاب ؛ لأن تناول الرماد اليابس شاق فى حد ذاته ؛ اذ تنتشر أجزاؤه فى الحلق ، ويتعسر ابتلاعها ، وتزداد المشقة اذا كان الرماد حارا ، وتتضاعف اذا أكره الانسان على أكله ، وفى قوله عليه الصلاة والسلام : ( لئن كنت كما قلت ) الخ ــ احتراس فى تلقى الشكوى ، واحتياط فى ايقاع الحكم ، حيث جعل مترتبا على فرض صحة ما قاله الشاكى •

ثم بشر صلوات الله وسلامه عليه هذا الرجل بأن الله تعالى سيكون معه بالعون والتأييد والنصرة عليهم ما دام ملتزما للمنهج السديد والمعاملة الكريمة ـ وفى هذا حث له على المضى فى طريق البر والاحسان ، وعدم الاكتراث بما يلقاه من عقوق وعدوان، فعلى القريب المسىء أن يكف عن اساءته ، ويرهب سوء عاقبته •

وعلى المحسن الى هذا القريب أن يستمر فى الاحسان اليه ، ورعاية شأنه ليظفر بكمال اعانة المولى سبحانه•

وقد تكون متابعة الاحسان الى القريب المسىء سببا فى افاقته من غيه ، وتطهير قلبه ، وايقاظ روح المودة عنده كما قال جلت حكمته : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم • وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم »(١) •

هذا ولما كان الأقارب هم اللبنة الأولى فى جسم الأمة ـ كانت رعايتهم عناية بها ، وتوفيرا لسلامتها وأمنها •

ومن أجل هذا أوجب الشارع الحكيم صلتهم ، وحذر من قطيعتهم ، وأصدر من الأوامر والتعاليم ما يكفل تحقيق ذلك على أتم حال ، وأروع صورة ، ـ ونذكر على سبيل المثال ما يأتى :

١ ـ أمر سبحانه بتقوى الأرحام عقب الأمر بتقواه ، وهذا ينبىء عن مدى العناية بها ، فقال : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا »(٢) •

أى اتقوا قطيعة الأرحام •

٢ ـ جعل القريب أحق بنصرة قريبه وميراثه ، فقال عز وجل : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شىء عليم »(٣) •

٣ ـ اعتبر قطع الأرحام جرما كبيرا قرينا للافساد فى الأرض ، فقال تعالى : « فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم »(٤) •

---

(١) صورة فصلت آية رقم ٣٤ ، ٣٥
(٢) سورة النساء آية رقم ١
(٣) سورة الأنفال آية رقم ٧٥
(٤) سورة محمد آية رقم ٢٢

٤ ــ حرم الجمع في الزواج بين المرأة وأختها ، وبين المرأة وعمتها ، وبين المرأة وخالتها ، قال تعالى في معرض ذكر المحرمات من النساء : « وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف » (١) • وروى ابن حبان في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تزوج المرأة على العمة والخالة، وقال : ( انكن اذا فعلتن ذلك قطعتن أرحامكن ) أي انما نهى عن هذا الجمع لأن حصوله يترتب عليه قطيعة الأرحام •

٥ ــ حكم بحرية العبد اذا دخل في ملك قريب له محرم منه ، روى أحمد في مسنده ،وأبو داود والترمذي والحاكم في المستدرك عن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( من ملك ذا رحم محرم منه فهو حر ) فان من الجفاء والقطيعة أن تبقى ملكيتك لهذا القريب ، وحينئذ يكون الحكم بحريته برا به وصلة للرحم •

٦ ــ رغب في الصلة حيث جعلها وسيلة الى السعة في الرزق ، والبركة في العمر ، والظفر بالثناء الحسن ، وبقاء الذكرى الطيبة ، روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره فليصل رحمه ) •

٧ ــ أكد الرغبة في الصلة ، اذ اعتبرها سبيلا للحصول على شرف الصلة به سبحانه ، والتعرض لعظيم فضله وكرمه ، وجعل القطع سببا في البعد عنه ، والحرمان من عونه ورحمته ، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذلك لك ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرءوا ان شئتم « فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم • أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » (٢) •

---

(١) سورة النساء آية رقم ٢٣ .
(٢) سورة محمد آية رقم ٢٢ ، ٢٣

الى غير ذلك من الأوامر الحازمة ، والتعليمات الرشيدة •

والحديث بعد ذلك يرشد الى مقاصد سامية نكتفى منها بالأمور الآتية :

١ ـ للمظلوم أن يشكو ظالمه ، ويجهر بذكر مساوئه •

٢ ـ على الحاكم أن يتلقى ـ بحذر ـ كلام أحد الخصمين ، ويتثبت قبل اصدار حكمه •

٣ ـ التنويه بصلة الرحم ، وأداء حق القرابة •

٤ ـ تقبيح القطع للقريب ، والاساءة اليه ـ ولاسيما اذا كان هذا القريب واصلا محسنا •

٥ ـ على القريب المسيء أن يكف عن اساءته لمن أحسن اليه ، ليتقى سوء العاقبة •

٦ ـ كمال عون الله تعالى وتأييده لمن أحسن الى قومه ، وصبر على أذاهم •

٧ ـ توجيه المؤمن الى أن يكون دائما عالى الهمة ، متزودا من الطيبات ، غير مبال بما يعترضه من صعاب وعقبات •

٨ ـ التذكير بصفات المحسن الى أقاربه ، وصفات المسيء اليهم ليحرض المسلم على الأولى ، ويحذره من الثانية •

٩ ـ للمتكلم أن يؤكد خبره ليثير الاهتمام به فى ذهن السامع •

١٠ ـ للمرشد والداعى الى الخير أن يستخدم فى بيانه أسلوب التشبيه لايضاح المفهوم ، وجلاء المعنى •

منحنا الله تعالى التوفيق لصلة الرحم ، والوفاء بحقها ، وجعل ذلك وسيلة الى شرف الصلة به سبحانه ، حتى نكون أهلا لمزيد تكريمه ، وجزيل عطائه ؟

**منشاوى عثمان عبود**

# ما يثبت فيه حق الشفعة

للأستاذ الدكتور ابراهيم دسوقى الشهاوى

نقدم أولا المذاهب الفقهية ـ فيما يثبت فيه حق الشفعة • ثم نتبع ذلك بالتفصيل والمناقشة •

**١ ـ مذهب الحنفية :**

تثبت الشفعة عند الحنفية فى العقار مطلقا • سواء أكان عينا مفرزة ، أم كان جزءا شائعا ، كثلث ، وربع ، وسواء أكانت العين مما يقبل القسمة ، أم كانت مما لا يقبلها(١) •

ولا تثبت فى المنقول الا اذا كان تابعا للعقار وبيع معه مطلقا ، سواء أكان متصلا بما هو متصل به ، كالثمر على الشجر ، أم كان غير متصل به ولكنه من لوازمه ، كآلات الحرث والسقى ونحوهما للأراضى الزراعية •

أما اذا بيع شىء من ذلك استقلالا دون العقار ، فلا تثبت فيه الشفعة ، وكذلك اذا بيع مع العقار ما ليس متصلا به ، ولم يكن من لوازمه ، ويتفرع على ذلك ما يأتى :

( أ ) اذا بيعت أرض مع سيارة ، كان للشفعاء أخذ الأرض دون السيارة ، لأنها غير تابعة للأرض •

(ب) اذا بيعت ضيعة بما عليها من مخازن وحظائر ، وما فيها من أشجار وزرع وثمر ، وآلات زراعية ، فان حق الشفعة يثبت فى جميع ذلك من عقار ومنقول لجيران الضيعة ، أو للشركاء فى حق الشرب الخاص أو الطريق العام ، أو هما معا •

---

(١) انظر مذهب الحنفية فيما يثبت فيه الشفعة فى البدائع ج ٥ ص ٥٧ ، المبسوط ج ١٤ ص ١٣٠

(ج) اذا باع أحد الشركاء فى بناء على أرض محكرة حصته ، لم يكن لشركائه حق أخذ حصته بالشفعة ، لأن البناء منقول ، ولا شفعة فى المنقول الا اذا كان تابعا للعقار ومبيعا معه •

ومما تقدم يتبين لنا أن الشفعة تثبت عند الحنفية فى الأعيان الآتية :

١ ـ العقار ، وهو الأرض خاصة ، سواء أكانت مما يقبل القسمة ، أم كانت مما لا يقبلها ، كطريق ضيق ، أو نهر صغير أو بئر •

٢ ـ البناء والشجر اذا كانا تابعين للعقار وبيعا معه •

٣ ـ الزروع والثمر اذا بيعا مع أصولهما ومع الأرض •

٤ ـ كل منقول تابع للعقار وبيع معه ، وكان من لوازمه •

**٢ ـ مذهب المالكية :**

تثبت الشفعة عند المالكية فى الأعيان الآتية :

١ ـ الأرض التى تقبل القسمة بلا فساد ، على القول الراجح عندهم •

٢ ـ البناء والشجر ، سواء بيعا مع الأرض أم بيعا دونها •

٣ ـ الزرع والثمار ، سواء بيعت مع أصولها ومع الأرض ، أم بيعت مفردة ، ما لم يجيء وقت جذاذها قبل الأخذ بالشفعة فان جاء وقت جذاذها لليبس أو الأكل ، فلا شفعة فيها على القول الراجح عندهم •

فلا تثبت الشفعة فيما لا يقبل القسمة أو يقبلها بفساد ، كطريق ضيق ، على القول الراجح ، كما لا شفعة عندهم فى المنقول(١) •

**٣ ـ مذهب الشافعية :**

تثبت الشفعة عند الشافعية فى الأعيان الآتية :

١ ـ العقار ، وهى الأرض خاصة ، اذا كانت مما يقبل القسمة بلا فساد على القول الأصح عندهم •

٢ ـ البناء والشجر اذا كانا تابعين للأرض المقامين عليها وبيعا معها •

---

(١) انظر مذهب المالكية فيما تثبت فيه الشفعة فى الشرح الكبير بحاشية الدسوقى جـ ٣ ص ٤٢٢ ، الحطاب جـ ٥ ص ٣١٨

٣ ـ الزرع والثمار اذا بيعت مع أصولها ومع الأرض .

فتثبت الشفعة فى أصول الزرع الذى يتكرر جذه ، وفى الثمار غير الظاهرة ، ولا تثبت فى أصول الزروع التى لا يتكرر جذها ، ولا فى الثمار الظاهرة ، كما لا تثبت الشفعة فى الأرض التى لا تقبل القسمة ، أو تقبلها بفساد على الأصح(١) .

**٤ ـ مذهب الحنابلة :**

تثبت الشفعة عند الحنابلة فى الأعيان الآتية :

١ ـ العقار « وهو الأرض خاصة » اذا كانت مما يقبل القسمة بلا فساد .

٢ ـ البناء والشجر اذا كانا تابعين للأرض المقامين عليها وبيعا معها .

٣ ـ الزرع والثمار اذا بيعت مع أصولها ومع الأرض .

فتثبت الشفعة فى أصول الزروع التى يتكرر جذها ، وفى الثمار غير الظاهرة ، ولا تثبت فى أصول الزروع التى لا يتكرر جذها ، ولا فى الثمار الظاهرة ، كما لا تثبت الشفعة فى الأرض التى لا تقبل القسمة ، أو تقبلها بفساد(٢) .

**٥ ـ مذهب الظاهرية :**

تثبت الشفعة عند الظاهرية فى كل شىء ، سواء أكان منقولا ، وسواء أكان المنقول تبعا للعقار ، أم كان غير تابع له ، وسواء بيع مع العقار ، أم بيع مفردا دونه ، وسواء أكان العقار مما يقبل القسمة ، أم كان مما لا يقبلها .

هذا ، والناظر فى المذاهب الخمسة فيما تثبت فيه الشفعة ، يتبين له أنها اتفقت على ثبوت الشفعة فى الأرض التى تقبل القسمة بلا فساد ، وعلى ثبوتها فى البناء والشجر اذا كانا تابعين للأرض المقامين عليها وبيعا معا . استنادا الى الأدلة من السنة ، والاجماع ، والمعقول .

أما السنة :

فأولا : ما رواه مسلم عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الشفعة فى كل

---

(١) مغنى المحتاج جـ ٢ ص ٢٩٦ ، فتح العزيز جـ ١١ ص ٣٦٦

(٢) المغنى والشرح الكبير للحنابلة جـ ٩ ص ٨٢

شــــرك ، فى أرض ، أو ربـع ، أو حائط ، ولا يحل له أن يبيـع حتى يعرض على شريكه ، فيأخذ أو يدع ، فـان أبى فشريـكه أحق بـه حتى يؤذنه » •

وثانيا : ما رواه مسلم والنسائى عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالشفعة فى كل شركة لم تقسم ، ربعة ، أو حائط ، لا يحل له أن يبيـع حتى يؤذن شريكه ، فان شاء أخذ ، وان شـاء ترك ، فان باعه ولم يؤذنه فهو أحق به (١)

ووجه الدلالة من الحديثـين ، أن الربع المراد به الدار ، والحائط المراد البستان ، وقوله : « فى كل شركة لم تقسـم » يدل على قبـوله القسـمة ، والحديثان نص فى ثبوت الشـفعة فى الأرض ، والدار والبسـتان ، وهمـا المعبر عنهما بالبناء والشجر •

وأما الاجماع، فقد قال ابن المنذر ، أجمع أهل العـلم على ثبوت الشـفعة للشريك الذى لم يقاسم فيما بيـع من أرض أو دار أو حائط « بستان » (٢)

وأما المعقـــول ، فان الشـفعة قد شرعت لرفع الضرر الذى من شـأنه أن يدوم بدوام ما فيـــه الجـوار أو الشركة ، والأرض والبناء والشـجر من شـــأنها أن يدوم ملكها ، فيـدوم الضرر فيهـا ، فشرعت الشـفعة لرفع هذا الضرر الدائم (٣)

ويتبين لنا أيضا من عرض المذاهب الفقهية المتقدم أن الخلاف قائم بينهـا فى ثبوت الشفعة فى الأعيان الآتية :

١ ـ مالا يقبل القسمة ، أو يقبلهـا بفساد •

٢ ـ البناء والشـجر ، اذا لم يكونا تابعين للأرض المقـامين عليها وبيعـا مفردين دونها •

٣ ـ الزروع والثمار •

٤ ـ المنقول •

والى اللقاء فى العدد القادم ان شاء الله للكلام على كل منها تفصيلا ؟

**دكتور : ابراهيم دسوقى الشهاوى**

---

(١) شرح النووى على مسلم جـ ١١ ص ٤٦ ، الشوكانى حـ ٥ ص ٢٨٠، سبل السلام جـ ٣ ص ١١١ ، الزرقانى على الموطأ جـ ٣ ص ١٧٦

(٢) المغنى لابن قدامة جـ ٥ ص ٤٦١

(٣) المرجع السابق ص ٤٦٢

# الأخوّة فى الله

للأستاذ الدكتور عباس حلمى اسماعيل

حرص الاسلام أقوى الحرص على تثبيت دعائم الأخوة فى المجتمع ، ليسود بين الناس الحب والوئام ، وتمحى بينهم الكراهية والخصام ، فيتآلفون ويتعارفون ، ويصبحون بنعمة الله اخوانا ، ولفضل الأخوة فى الله قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ، ان نسى ذكره ، وان ذكر أعانه » . كما قال : « مثل الأخوين فى الله اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الأخرى ، وما التقى مؤمنان قط الا أفاد أحدهما من صاحبه خيرا » وقال ترغيبا فى الأخوة المؤمنة : « من آخى مسلما فى الله رفعه الله درجة فى الجنة لا ينالها بشىء من علمه » . وقال أبو ادريس الخولانى لمعاذ : « انى أحبك فى الله ، فقال : أبشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، يفزع الناس وهم لا يفزعون ، ويخاف الناس وهم لا يخافون ، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . فقيل من هؤلاء يا رسول الله ؟ فقال : ليسوا بأنبياء و لاشهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء . فقالوا : يا رسول الله ، صفهم لنا ، فقال : « المتحابون فى الله ، والمتجالسون فى الله ، والمتزاورون فى الله » .

وذات يوم ، والرسول جالس مع أصحابه ، رنا بصره الحانى ، صوب الأفق البعيد ، شوق ووجد ، قال : يا ليتنى قابلت اخوانى ، قال الصحابة رضى الله عنهم : ألسنا اخوانك يا رسول الله ؟ فأجابهم : بل أنتم أصحابى ، انما اخوانى قوم يأتون بعدكم ، يؤمنون بى كايمانكم ، ويحبوننى كحبكم من غير أن يرونى ، فياليتنى قابلت اخوانى . لقد اتسمت

دائرة الشعور بالاخاء الاسلامى، حتى أدركت الأجيال الوافدة ، ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حمل الاستعداد الكامل للأخوة المؤمنة ، ولكأنما كان يستشف خلال الأيام ضياع الأخوة وهوانها .

ومما يدعم روابط الأخوة التحلى بخلق القرآن الكريم ، والتأسى بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فيمشى المؤمن هونا ، ذريع المشية ، خافض الطرف ، نظره الى الأرض أطول من نظره الى السماء ، جل نظره الملاحظة ، يبدر من يلقى بالسلام ، متواصل الفكرة ، طويل السكت ، لا يتكلم فى غير حاجة ، يفتتح الكلام ويختتمه باسم الله ، كلامه فصل لا فضول ولا تقصير . يعظم النعمة وان دقت ، واذا غضب أعرض وأشاح ، واذا فرح غض طرفه ، جل ضحكته التبسم ، اذا نطق فعليه البهاء ، واذا صمت فعليه الوقار . يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، ويعنى بلباسه ونظافته ، ولا يتكلف فى لباس ولا طعام ، يلبس ما يتيسر ، ويأكل ما يجده ، ويكره أن يتميز على أصحابه . يقبل معذرة المسىء ، ولا يجابه أحدا بما يكره . يجلس حيث ينتهى به المجلس ، ويبش الى كل من يجلس اليه ، ويستشير أولى الرأى ، وينزل عند آرائهم ، يحب الدعابة البريئة ، ويبتسم للنكتة اللطيفة ، يصافح من يستوقفه ، فلا يترك يده حتى يكون الذى استوقفه هو الذى يترك يده . يتفقد أصحابه ، ويزور مرضاهم ، ويشهد جنائزهم ، ويستمع الى مشاكلهم ، ويشاركهم فى أحزانهم وأفراحهم ، لا يحمل ضغينة لأحد ، ويرعرع فرص الحب لتبقى المحبة ريانة نامية . لا يعرف فى الحق صديقا ولا قريبا ، فالكل عنده سواء . يزيل أذى الطريق ، ويرعى حقوق جاره . ولا يوقف وفاءه عند جاره ، بل يطلقه لينداح ويتراحب ، حتى يسع المؤمنين جميعا ، فان جميع المؤمنين أخوة ، وكل مؤمن مطالب بأن يرجو للآخرين ما يرجو لنفسه من خير .

وما أجمل الآداب العامة التى لخصها الشاعر صالح بن عبد القدوس فى منتصف القرن الثانى الهجرى ( الثامن الميلادى ) فيقول :

اختر قرينك واصطفيه تفاخرا
ان القرين الى المقارن ينسب

واخفض جناحك للأقارب كلهم
بتذلل واسمح لهم ان أذنبوا

ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبا
ان الكذوب يشين حرا يصحب

وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن
ثرثارة فى كل ناد تخطب

واحفظ لسانك واحترس من لفظه
فالمرء يسلم باللسان ويعطب

وارع الأمانة ، والخيانة فاجتنب
واعدل ولا تظلم يطب لك مكسب

واحذر مصاحبة اللئيم فانه
يعدى كما يعدى الصحيح الأجرب

واحذر من المظلوم سهما صائبا
واعلم بأن دعاءه لا يحجب

ومما يقوى روابط الأخوة الانفاق والبذل ، فأنفق أبو بكر ماله فى غزوة مؤتة ، وفى شراء الأرقاء الذين أسلموا . وتصدق عبد الرحمن بن عوف بماله أكثر من مرة ، حتى أنه كان يكتب قائمة بتوزيع ما عنده من ثياب ومتاع على اخوته المحتاجين قبل أن ينام ، فينفذ ذلك فى صباح اليوم الثانى ، ثم ينزل الى السوق ليتجر ، وليس له الا ثوبه الذى يلبسه . وتصدق الصحابى أبو الدحداح ببستانه الذى لا يملك غيره ، وكان فيه ستمائة نخلة مثمرة . ووقف خالد بن الوليد كل ما يملك خيلا وسيوفا وأدرعا ، على الجهاد فى سبيل الله عز وجل .

وفى عام ١٨ هـ ( ٦٣٩ م ) الذى عرف فى شبه الجزيرة العربية بعام الرمادة ، عندما بخلت السماء بالماء ، وجادت الشمس بالحر ، فاحترقت الأرض واسودت كأنها الرماد ، وعجزت عن أن تخرج للناس ما يأكلون ، بدأ الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه ، فجاع كما جاع الناس وتناول من الطعام ما تغير به لونه ، ثم بسط الموائد العامة ، وأخذ يطوف على الناس ، فمر برجل يأكل بشماله ، فقال : يا عبد الله كل بيمينك ، قال : يا عبد الله انها مشغولة ــ ثلاث مرات ــ قال : وما شغلها ؟ قال : أصيبت يوم مؤتة ، فجلس عمر عنده يبكى ويقول له : من يوضئك ؟ من يغسل رأسك وثيابك ؟ فدعا له بخادم وأمر له براحلة وطعام ،انها رحمة تكسر حدة الألم ، وتجعل الحياة محتملة وطيبة ، وأغيث الناس ، لما تبرع عثمان بن عفان ، بقافلة محملة بالطعام والكساء .

انها مسئولية لا يقدرها الا أهل العزم العظيم .

وتجلت الأخوة فى الله بين الحاكم والمحكوم ،فيما كتبه على بن أبى طالب سنة ٣٥ هـ ( ٦٥٦ م ) الى محمد بن أبى بكر عندما استعمله على مصر ، يامره بتقوى الله ، والطاعة فى السر والعلانية ، وخوف الله عز وجل فى المغيب والمشهد ، وباللين على المسلم ، والغلظة على الفاجر ، وبالعدل على اهل الذمة ، وبالانصاف للمظلوم ، وبالشدة على الظالم ، وبالعفو عن الناس ، وبالاحسان ما استطاع ، والله يجزى المحسنين ، وأمره أن يجبى خراج الأرض على ما كان عليه من قبل ، لا ينتقص منه ، ولا يبتدع فيه ، ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل ، وأن يلين لهم جناحه ، وأن يحكم بين الناس بالحق .

ثم مضت الأيام والأعوام ، وجاء الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هـ ( ٧١٧ م ) فى وقت كانت النفوس فيه قد بدأت الانحراف عن سنن الخلفاء الراشدين ، فحرص على العدل . لما دخل المجلس لأول مرة ، قام الناس بين يديه ، فقال : يا معشر الناس ان تقوموا نقم ، وان تقعدوا نقعد ، فانما يقوم الناس لرب العالمين . ان الله فرض فرائض ، وسن سنن ، من أخذ بها لحق ، ومن تركها محق ، ومن أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس : يوصل الينا حاجة من لا تصل الينا حاجته ، ويدلنا من العدل الى ما لا نهتدى اليه ، ويكون عونا لنا على الحق ، ويؤدى الأمانة الينا والى الناس ، ولا يغتب عندنا أحدا ، ومن لم يفعل فهو فى حرج من صحبتنا والدخول علينا . ومن خطبة له : ألا وانى قد استعملت عليكم رجالا لا أقول : هم خياركم ، ولكنهم خير ممن هو شر منهم ، ألا فمن ظلمه امامه فلا اذن له على ( أى يدخل بغير استئذان ) ومن لا فلا أرينه ، ألا وانى منعت نفسى وأهل بيتى هذا المال ، فان ضننت به عنكم انى اذا لضنين ، وما أحد منكم تبلغنى حاجته الا حرصت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه ، وما أحد لا يسعه ما عندى الا وددت أنه بدىء بى وبلحمتى الذين يلوننى ، حتى يستوى عيشنا وعيشكم .

والأمانة تؤدى دورا عظيما فى تماسك الأخوة ، وكل مسئولية أمانة ، وقد تحملها عمر بن عبد العزيز ،

ويتضح ذلك عندما وفد عليه بريد من بعض الآفاق ، فدعا عمر بسمعة غليظة فأججت نارا ، وأجلس الرسول وجلس عمر ، فسأله عن حال أهل البلد ومن بها من المسلمين ، وأهل العهد ، وكيف سير العامل ، وكيف الأسعار ، وكيف أبناء المهاجرين والأنصار ، وأبناء السبيل والفقراء ؟ وهل أعطى كل ذى حق حقه ؟ وهل له شاك ؟ وهل ظلم أحدا ؟ فأنبأه الرسول بجميع ما علمه ، حتى اذا فرغ من مسألته قال له : يا أمير المؤمنين كيف حالك فى نفسك وبدنك ؟ وكيف عيالك ؟ عندئذ نفخ عمر الشمعة فأطفأها وقال • ياغلام ، على بسراج فدعا بفتيلة لا تكاد تضيء ، فقال : سل عما أحببت •فعجب البريد للشمعة واطفائه اياها ، وسأله عن سبب ذلك فقال عمر : يا عبد الله ، ان الشمعة التى رأيتنى أطفأتها انما هى من مال الله ومال المسلمين ، وكنت أسألك عن حوائجهم وأمرهم ، فكانت تلك الشمعة تقد بين يدى فيما يصلحهم وهى لهم ، فلما صرت لشأنى وأمر عيالى ونفسى أطفأت نار المسلمين •

وبلغ من تفانى ابن عبد العزيز ، فى تحمل الأمانة لخير اخوته فى الله ، أن وصفته زوجه فاطمة بنت عبد الملك فقالت : ان عمر كان قد فرغ للمسلمين نفسه ، ولأمورهم ذهنه ، فكان اذا أمسى ولم يفرغ من حوائج يومه ، وصل يومه بليلته ، الى أن أمسى مساء ، وقد فرغ من حوائج يومه ، فدعا بسراجه الذى كان من ماله ، فصلى ركعتين ، ثم أقعى واضعا رأسه على يديه ، تسيل دموعه على خديه ، يشهق الشهقة يكاد يتصدع قلبه لها ، وتخرج لها نفسه ، حتى برق الصبح فأصبح صائما ، فدنوت منه فقلت : يا أمير المؤمنين ، أليس كان منك ما كان ؟ قال : أجل ، فعلك بشأنك ، وخلنى وشأنى ، فقلت : انى أرجو أن أتعظ ، قال : اذن أخبرك : انى نظرت فوجدتنى قد وليت أمر هذه الأمة ، أسودها وأحمرها ، ثم ذكرت الفقير الجائع ، والغريب الضائع ، والأسير المقهور ، وذا المال القليل ، والعيال الكثير ، وأشباه ذلك فى أقاصى البلاد وأطراف الأرض ، فعلمت أن الله سائلى عنهم ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حجيجى فيهم ، فخفت ألا يقبل الله منى معذرة فيهم ، ولا تقوم لى مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة ، فرحمت والله يا فاطمة نفسى رحمة دمعت لها عينى ، ووجع لها قلبى . فأنا كلما ازددت لها ذكرا ازددت منها خوفا ، فابغطى ان شئت أو ذرى .

وعمل العلماء بتعاليم دينهم من أجل الأخوة ، وكان من عمل بها الامام أبو حنيفة المتوفى سنة ١٥٠ هـ ( ٧٦٧ م ) فقد أنفق الكثير على تلاميذه ، مما اكتسبه من التجارة ، وبلغ من ورعه ، أن شريكه باع صفقة من ثياب الخز ، وفيها ثوب معيب ، دون أن يطلع المشترى على عيب الثوب . وكان المشترى تاجرا غريبا ، فلم يعثر له على أثر ، فتصدق أبو حنيفة بقيمة الصفقة كلها ، تورعا أن يدخل عليه قيمة الثوب المعيب .

وقال الغزالى الذى اشتهر بقوة حجته منذ أواخر القرن الخامس الهجرى ( الحادى عشر الميلادى ) فى كتابه احياء علوم الدين : كان فى السلف من يتفقد عيال أخيه ( أى صديقه ) وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحوائجهم ، ويتردد كل يوم اليهم ، ويمونهم من ماله ، فكانوا لا يفقدون من أبيهم الا عينه ، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم فى حياته ، وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار أخيه ويسأل ويقول : هل لكم زيت ؟ هل لكم ملح ؟ هل لكم حاجة ؟ وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه .

ومن الظواهر البارزة فى المجتمع الاسلامى ، سيطرة الروح التعاونية ، محققة لغايات الأخوة ، ومدللة على سمو العاطفة الانسانية . من ذلك أن أحمد بن طولون بنى بمصر ، فى مدينة العسكر ، مارستانا سنة ٢٥٩ هـ ( ٨٧٣ ) م وأعده على نحو ما تعد المستشفيات الحديثة ، يعالج به المريض ويعطى له الدواء بدون مقابل حتى يشفى . ومن طريف ما يروى ، أن علامة الشفاء فى ذلك الوقت ، كان تقديم دجاجة ورغيف الى المريض ، فاذا استطاع أن يأكلهما ، عد علاجه منتهيا وخرج من المارستان . وبلغ من حسن سيرة ابن طولون ، أن ترجم له كل من ابن الداية والبلوى ترجمة مستقلة فى كتاب خاص .

وثمة شخصية أخرى مرموقة اتصفت بالرحمة ، ألا وهى شخصية السلطان العظيم ، ناصر الدنيا والدين ، يوسف صلاح الدين ، فقد أوقف

بدمشق وقفا ، لامداد الأمهات بالحليب اللازم لأطفالهن ، فجعل فى أحد أبواب قلعة دمشق ميزابا يسيل منه الحليب ، وميزابا آخر يسيل منه الماء المحلى بالسكر ، تأتى الأمهات يومين فى كل أسبوع ، فيأخذن لأطفالهن ما يحتاجون اليه من الحليب والسكر . وكان فى المستشفى الذى شيده السلطان المملوكى قلاوون بالقاهرة سنة ٦٨٤ هـ ( ١٢٨٥ م ) فرقة خاصة للتمثيل الشعبى أمام المرضى ، فينسون الألم ، وفرقة من المنشدين ذوى الأصوات الجميلة ، يلقون الأناشيد بصحبة الموسيقى ، فى منتصف الليل ، من فوق مئذنة المسجد بالمستشفى ، ليخففوا من آلام المرضى الذين يؤرقهم الألم . هذا فضلا عما كان يوقف ، لتوظيف شخصين يمران كل يوم على المرضى ، ويتحدثان بصوت خافت يسمعه المريض ، بحيث يوهمانه أنهما يتكلمان بصوت عادى فيما بينهما ، يقول أحدهما للآخر : انى أرى اليوم فلانا أحسن منه بالأمس ، فيقول الآخر : انى أرى اشراق وجهه وعينيه أحسن مما كان يوم أمس . وهكذا ، بحيث يسمع المريض ذلك ، فيعتقد صحة ما يقولون . وتحدث الرحالة ابن بطوطة ، فى منتصف القرن الثامن الهجرى ( الرابع عشر الميلادى ) فى تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، عن وقف بدمشق ، لاغاثة الأولاد الذين يكسرون ما يحملونه من الزبادى ، فى الطريق الى البيت ، يذهب الصبى الى قيم الوقف ، ليعرض عليه نموذجا مما كان يحمل ، فيعطيه عوضا عنها ، ويعود الى أهله وقد اتقى شر العقوبة .

وانه لحق وصدق أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخية » ، « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ؟

**دكتور عباس حلمى اسماعيل**

## الضبط الإدارى فى الإسلام :

# الحسبة

للدكتور مصطفى كمال وصفى

( ٩ )

بصفة عامة يمكن أن نبلور الفروق بين عمل القاضى والمحتسب – فضلا عن الفارق الاجمالى فى طبيعة العمل(١) والمتقدم ذكره – فيما يلى :

١ – أن المحتسب انما يحكم بالظاهر ، ولا يتكشف الباطن . ولكن اذا دلت أمارات ظاهرة على الباطن ، فان له أن يستيقن منه . وذلك لأن وظيفته تتعلق بصيانة ما ظهر من أمور الجماعة . والله سبحانه وتعالى يتولى السرائر . فان الاسلام – كعلاقة اجتماعية – يعنى بالظاهر من الأمور حرصا على الحريات ، ولا يتفحص بواطن الناس حتى لا يتحول الأمر الى تحكم ، هو – فى الواقع – شر أنواع التعسف وأشدها . ولذلك فان المحتسب فى صيانته للاستقرار الاجتماعى والسلام العام وعوامل الأمن والهدوء والسكينة وما يرتبط بها من شئون الضبط الادارى لا يحسن به أن يتدخل فى بواطن الأمور . وقد انتقد الامام الماوردى أحد المحتسبين لأنه استحلف الداخل الى المسجد بنعله : هل نعله طاهر ؟ ونسبه الى الجهل وقال يكفيه أن يسأل فينفى ، وذلك أخذا بالظاهر ، لأن الأصل فى الكلام الحقيقة ولا دليل لديه على غير ذلك . وكذا الأمر فى عدم أخذ الناس بتهمة اذا رأى رجلا وامرأة يتساران أو فى خلوة ، فربما كانت زوجة أو محرما . نعم على المسلم أن يتقى الشبهات ، كما كان من شأنه صلى الله عليه وسلم لما رآه بعض الصحابة

---

(١) انظر عدد شهر « رجب » .

مع صفية أم المؤمنين - يعيدها الى المنزل بعد أن زارته فى معتكفه بالمسجد - فقال لهما : هذه صفية .. وأن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم (صحيح - رواه البخارى) وللمحتسب أن يوجهه الى ذلك ، ولكن لا يعذره عليه ولا يلومه . فان دلت أمارات على أمر باطن فى ذاته ، جاز له التفحص والتحرى اكتفاء بهذا الظاهر ، وليس فيه عدوانا على الحرية اذ يكفى أن تكون هذه الأمارات الظاهرة جدية حتى تعكر صفو الأمن الاجتماعى . وذلك كامرأة تتردد على رجل ترددا مريبا ، أو رجل يتردد عليها بما يريب فان ذلك يكفى لكى يضفى على ظاهر الجماعة الاسلامية ، ما يعكر فضيلتها واستقامتها وقد كانت امرأة من بنى هلال ذات زوج تتردد على رجل (ذكره الماوردى) فرصده أبو بكرة وسهل بن معبد ونافع بن الحارث وزياد بن عبيد ، رضى الله عنهم ، فلما دهموهما ولم يجدوا شيئا حدهم عمر بن الخطاب للقذف لا للتهجم . وان كنت أحب أن يفصل اتيان هذه الأمارات عما بطن وراءها ، وأن يلام ويعزر عليها فى ذاتها باعتبارها جرما مستقلا دون حاجة للتفحص فيما خفى . فان امرأة تتردد على غير محرم لتستحق التعزير واللوم على هذا العمل فى ذاته ، وكذا الرجل .

وأما القاضى فله أن يتحقق ويتفحص ويستجوب ، حتى يحصل على الوقائع كاملة ، لأنه بصدد منازعة يتطلب الأمر حكمه فيها . ولأن التقاضى وضع خاص ، أما الحسبة فوضع عام (١) لا يبيح مثل هذا الاجراء ، والا شق الأمر على الناس ..

---

(١) اقصد : أن الأوضاع الادارية هى أوضاع تنظيمية عامة ، فمركز السائر فى الطريق أو الجالس فى السوق هو من المراكز العامة التى تعرض للكافة ، فلا يجوز أن نتعرض لكل سائر أو جالس بالتفحص والسؤال .. وأما الوضع القضائى فهو مركز فردى ، لأن الخصومة علاقة نسبة تنعقد بين طرفين مخصوصين بالذات أو وقائع معينة ولذلك فلابأس - بل يتعين - التفحص فى هذه الحالة وصولا للحق فى وقائع مخصوصة لانزال حكم الشرع أو القانون فى حدود هذه الوقائع .

٢ ـ انه اذا تحولت العلاقة الى منازعة ، وأنكر الفرد ما نسب اليه ، فان المحتسب يكف عنه ، ويتحول الامر الى القضى • ومثال ذلك أن يتأخر الصباغ أو الخياط فى تسليم الثوب الذى عهد به اليه لصباغته أو خياطته ، فيلجأ صاحب الثوب الى المحتسب ، فيقول الصباغ أو الخياط : ما سلمنى شيئا ، أو يقول : حبسته حتى يوفى • فعند ذلك تتحول العلاقة الى منازعة ، فليس للمحتسب فيها أن يستحلف الصباغ على التسلم ، أو أن يجرى حكمه على استحقاقه الحبس فى هذه الحالة • فهذا ليس من الأمور الظاهرة العامة التى يسمح بها العمل الادارى ، بل هو فصل فى منازعة تتطلب عمل القضاء •

٣ ـ أن ولاية المحتسب لا تنعقد حتى بالاستعداء ( رفع الدعوى اليه ) كما هو الشأن فى المنازعة القضائية ، وانما أغلب الأحوال أن يحتسب بلا استعداء من أحد • لأنه هو فى نفسه مدع عام للصالح الاجتماعى • وذلك كشأن سلطات الضبط القضائى فى القانون الحديث تحرك الدعوى العمومية بلا طلب أو اذن من المجنى عليه أو من ذى الشأن الا فى أحوال مخصوصة • وقد اشترط البعض استعداء المحتسب فى أحوال مخصوصة ، كمنع ما يستنفر منه المارة فى الأسواق ، جعله أبو حنيفة موقوفا على الاستعداء اليه ، وكذا فى امتداد الأغصان الى ملك الجار ، ونحو ذلك من حقوق العبد المختصة به • وانما الذى نراه فى ذلك أن ما فيه حق الله سبحانه وتعالى ، كصلاة الجماعة فى المسجد والجمعة ، وما كان مشترك بين حق الله وحق العبد ، كالغش والتدليس يتولاه المحتسب بلا استعداء، ولا محل للاستعداء لأنه من قبيل الدعوى العمومية التى ينوب المحتسب فيها ويكون هو نفسه المدعى العام باسم الجماعة • وأما ما هو حق خالص للعبد كاعتداء الجار على ملك جاره ، فالظاهر أنه يتطلب استعداء ولايته اذ شأن الجيران أحيانا التسامح والسعة ، لا أن يكون لظلم القوى للضعيف وخوف الضعيف منه ، وهذا أمر تقديرى ولا يكون من الشروط اللازمة والله أعلم •

٤ ـ أن المحتسب ـ فى الغالب ـ ممنوع من الاجتهاد فى الشرع ، جائز له ذلك فى العرف • بمعنى أنه ليس له أن يجتهد فى القواعد الشرعية

بأن يجرى قياسا مثلا أو استحسانا . ولكن له أن يجتهد فى العرف والأحوال الجارية ، كما بينا فى مسألة امتداد أغصان الشجرة الى ملك الجار . فان له أن يحكم فى ذلك بالعرف : فان سار العرف على التسامح فى هذا المكان فى مثل هذا القدر من الامتداد لم يتدخل ، وان جاوز حد المسموح به عرفا ، ودل الأمر على ظلم واقتدار فله أن يتدخل . وكذا فى تسليم الثوب أو دفع الدين ، فينظر فيما اذا دل على ما تأخر به المدين قد جاوز ما يسمح به العرف أو لم يجاوز ذلك .

وفى هذا خلاف : فان البعض يشترط فى المحتسب أن يكون ذا رأى واجتهاد . ومن قال بذلك – ومنهم أبو سعيد الاصطخرى من أصحاب الشافعى تقلد الحسبة ببغداد أيام المقتدر – واشترط فى المحتسب أن يكون ذا رأى واجتهاد ، أجازه فى الاجتهاد فى الشرع والعرف كالقاضى . ومن لم يشترط ذلك ، وقال : لا يشترط فى المحتسب أن يكون ذا رأى واجتهاد ، منع عنه الاجتهاد فى الشرع وأجازه له العرف . ومنهم من منعه عنه فى العرف كذلك ، وهذا يعوقه فى ولايته ويعطله فى عمله ولا محل له .

وعلى أية حال فمن المقرر أن المحتسب أدنى درجة من القاضى . وذلك لما رأينا من فوارق الولاية ونوعها ؛ من حيث البحث فى الباطن والتحليف ، والاجتهاد فى الشرع ، فذلك كله للقاضى وليس للمحتسب .

ولكن ذلك لا يمنع المحتسب ان يعقب على القاضى فى حدود اختصاصه ، فقد قال الماوردى : « فان كن فى القضاة من يحجب الخصوم اذا قصدوه ويمتنع من النظر بينهم اذا تحاكموا اليه حتى تقف الاحكام ويستضر الخصوم ، فللمحتسب أن يأخذه مع ارتفاع رتبته ، ولا يمنع علو مرتبته من انكار ما قصر فيه . وقد مر ابراهيم بن بطحاء والى الحسبة ببغداد بدار أبى عمر بن حماد وهو يومئذ قاضى القضاة فرأى الخصوم جلوسا على بابه ينتظرون جلوسه بينهم وقد تعالى النهار وهجرت الشمس (اشتد حرها) فوقف واستدعى حاجبه وقال له : تقول لقاضى القضاة : الخصوم جلوس على الباب قد بلغتهم الشمس وتأذوا

بالانتظار ، فاما جلست لهم واما عرفتهم عذرك فينصرفوا ويعودوا » .

٥ ـ أن للمحتسب أن يصدر الاوامر والتكاليف للخصوم : فيقول له افعل أو كف أو افعل بعضه وأقبل بعضه ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك : أقبل شطره ( نصف الدين ) فلما قبل قال للمدين ( عبد الله بن أبى حدرك ) : « قم فاقضه » وأما القاضى فيصدر حكمه فى المنازعة بما يطلبه الخصوم منه . ولا يتصرف ولا يترخص فيما لم يطلبوه ، لانه لا يقيم نظاما عاما ، ولكن يفصل فى خصومة معينة . وهذا اجمالا ، فان الوالى كما رأينا ينظر دعاوى قضائية ، والقاضى ترفع اليه دعاوى من قبيل الحسبة وذلك كالتفريق بين مسلمة تعاشر كافرا باسم النكاح ، فهذه دعوى يرفعها أى واحد حسبة لوجه الله ، وكذا فى الانفاق على اليتامى ومحاسبة الأوصياء والقامة ونحو ذلك ، فولايته فى هذه الأمور تقترب من الحسبة .

٦ ـ أن المحتسب يحتاج فى عمله الى سلاطة السلطنة والرهبة فيما يتعلق بالمنكرات ، وليس ذلك للقضاء ، لأن الحسبة موضوعة للرهبة ، فلا يكون خروج المحتسب اليها بالسلاطة والغلظة تجورا فيها ولا خرقا ، والقضاء للمناصفة ، فهو بالأناة والوقار أحق ، وخروجه عنهما الى سلاطة الحسبة تجوز وخرق ، لأن موضوع كل منهما مختلف عن الآخر .

وأما موضوعها ، وما تأمر به من معروف وتنهى عنه من منكر فى حقوق الله ، وحقوق العباد ، والمشترك بينهما فنعرض له فى الكلام على المرافق .

الحسبة الشعبية ( المتطوعون ) :

بينا فيما سبق ما قيل من الفروق بين المتطوع والمحتسب الرسمى ، وأن هذه الوظيفة كانت شعبية بحتة ، ثم تطورت للرسمية لما هبط الايمان .

وقيام المحتسب الرسمى لا يمنع الناس من الحسبة . لأنها واجب منصوص عليه فى الكتاب والسنة . وانما يمنعهم عنها الواقع ... وهو أحد أمرين ، اما أن الناس يفشو بينهم التكبر والتعالى ، فلا يقبل أحد نصيحة غيره ، بل يزجره عليها ويؤنبه ان أبداها ، أو أن ينساق الناس جميعا فى الآثام فيدارى بعضهم بعضا ، حتى لا يقال للناصح : « أنظر حالك وما تفعله » أو يسهلون ذلك لبعضهم

حتى يتغاضون عن التناقد ، وهذا باب قوله تعالى : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه » أى بسبب تقاطع أوشاج النصيحة للتكبر أو الانسياق فى الاثم ازمام • وهو يؤدى الى اهلاك لقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على ما هلك به قوم قبلكم ؟ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه » •

وقد رد الامام الغزالى رضى الله عنه(١) على من قال : يشترط فى المحتسب أن يكون مأذونا من جهة الامام أو الوالى ، ولم يثبتوا الحسبة للآحاد من الرعية • فقال : « وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والأخبار التى أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى ، اذ يجب نهيه أينما يراه وكيفما رآه على العموم •• والعجب أن الروافض زادوا على ذلك فقالوا : لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم •• ( فلا يحضرون للقضاء اذن أو يطلبون رد الظلم والنصرة حتى يخرج الامام) •• فان قيل أن الأمر بالمعروف اثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه •• فان آحاد المسلمين يستحقون هذا العز بالدين والمعرفة ، وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج الى التفويض •

ومن المؤكد أن للأفراد المتطوعين للحسبة جميع مراتب الحسبة(١) ، الا ما قيل من عدم التعزير ، فانه للمحتسب • ولكن ان لم يكن ثمة محتسب ولا حاكم فلا شك أن للفرد أن يعزر ، وذلك كما فى الواحات النائية والأماكن المنقطعة ، أو ان كان للفرد سلطة واقعية على من يأمره كأب على ولده أو سيد على خادمه ونحو ذلك •

ومراتب الحسبة خمسة : أولها التعريف ، وثانيها الوعظ بالكلام اللطيف ، وثالثها السب والتعنيف ، ورابعها المنع بالقهر بطرق المباشرة ، كسكر الملاهى واراقة الخمر ، واختطاف الثوب المنافى من لابسه ، واستلاب المغصوب ورده الى صاحبه • خامسها التخويف والتهديد بالضرب ، ومباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو

---

(١) احياء علوم الدين الجزء الثانى باب الأمر بالمعروف .

عليه ، كالمواظب على الغيبة والقذف ، وهذا قد يحوج الى استعانة الأعوان وجمعهم ، قد يجر ذلك الى القتال والصدام ولذلك اشترط فيه اذن الامام أو تقليد ولاية الحسبة .

وكذلك قيل أن العامى لا ينبغى له أن يحتسب الا فى جليات الأمور المعلومة ، كشرب الخمر ، والزنا الظاهر وترك الصلاة ، والفجور والفسوق بالمعاصى الظاهرة وأما ما يحتاج الى الاجتهاد ، فان العامى ان خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه ، ولكن ذلك لا يستدعى اشتراط الولاية والتعيين للحسبة ، فمن أفراد الجمهور علماء وفقهاء وأهل اجتهاد ، وانما كلام الشيخ(1) — رضى الله عنه — على العوام الجهال ، وليس على عموم المتطوعين . والاسلام يأمر بالعلم ، ولا يقتصر فيه على الأمراء والرسميين دون عامة الشعب وأفرادهم .

ونحن ننبه الى ضرورة الرفق فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هذه الأيام ، فان أمور الدين قد خفيت على الناس ، وصار أفاضلهم وأحاسنهم وسطا وخلقا يفعلون أمورا تخالف صريح الدين وهم يحسبون أن ذلك مباح لهم ، وان موجبات الزمان تقتضى — والعياذ بالله — تطوير الدين . فصار هؤلاء يخالفون انسياقا وبحسن نية ، ولذلك وجب التلطف منهم وعدم تنفيرهم وأخذهم بوسائل العنف .. ولنصبر ونحتسب لأن المغالطة والمنع بالقهر ليست ميسورة والله سبحانه وتعالى هو المظهر للحكم فى كل وقت؟

**دكتور مصطفى كمال وصفى**

---

(1) أى الغزالى .

# حق العامل وواجبه

للدكتور محمد رأفت عثمان

ستتكلم فى هذا المقال عن ناحيتين : هما حق العامل وواجبه فى الشريعة الاسلامية ، ونقصد بالعامل هنا كل من يعمل لحساب غيره ، سواء أكان ذلك العمل لحساب الدولة ، أم لحساب الأفراد ، وهو ما نعبر عنه هذه الأيام بالعمل فى القطاع الخاص ، وسواء أكان ذلك العمل عملا قياديا أم غير قيادى ، فالعامل هو من يعمل لحساب الغير ابتداء من رئيس الدولة الى أصغر عامل فيها ..

فأما عن الناحية الأولى ، وهى ناحية حق العامل ، فاننا نجد الاسلام قد شدد فى وجوب اعطاء العامل أجره ، وحرم أن يؤخذ من العامل جهده وعرقه ثم لا يعطى أجره ، وفى هذه الناحية يروى المصطفى صلى الله عليه وسلم حديثا قدسيا عن رب العزة تبارك وتعالى يقول فيه : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره »[1] .

واذا ما انتقلنا الى الناحية الأخرى ، وهى ناحية واجبات العامل ، والعامل كما قلنا كل من يعمل لغيره ابتداء من رئيس الدولة الى أصغر عامل فيها ، فسنجد أن الاسلام يؤكد فى هذه الناحية عدة مبادىء هامة .

من هذه المبادىء ، التحذير من الاستيلاء على شىء من المال العام بدون وجه حق ، وأن كل مال يأتى الى العامل بحكم وظيفته لا حق له فيه وانما هو مال من أموال الدولة ، ما دامت الدولة لم تبح للعامل شيئا

(١) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى للقسطلانى جـ ٤ ص ١٥٩

منه ، ولقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أرسل رجلا ليتولى جمع الزكاة من بنى سليم ، وقدم الرجل أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمحاسبته ، فقال الرجل : هذا لكم ، وهذا أهدى الى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فهلا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا » ثم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: « ما بال العامل نبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدى الى ؟ أفلا جلس فى بيت أبيه وبيت أمه فينظر هل يهدى اليه أم لا ؟ والذى نفس محمد بيده ، لا يأتى أحد منهم بشىء الا جاء به على رقبته يوم القيامة ، ان كان بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ،أو شاة تيعر(١) ثم رفع يديه الى السماء حتى ظهر بياض ابطيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت ؟ » (٢)

ويقول عليه الصلاة والسلام أيضا : « من استعملناه على عمل فرزقناه رزق ، فما أخذ بعد ذلك غلول »

ويقول أيضا ـ محذرا من اختلاس اى مقدار ولو كان ضئيلا من المال العام ـ : « من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطا فما فوقه فهو غلول يأتى به يوم القيامة ، فيقوم رجل من الأنصار فيقول : يارسول الله ، اقبل عنى عملك ، فيقول عليه الصلاة والسلام : وما ذلك ؟ فيقول الرجل : سمعتك تقول كذا وكذا ، فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : « وأنا أقوله الآن ، ألا من استعملناه على عمل فليجىء بقليله وكثيره ، فما أعطى منه أخذ وما نهى عنه انتهى » (٣)

ومن هذه المبادىء أيضا التى تدخل فى نطاق واجبات العامل عدم جواز الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل ، حتى تؤدى الأعمال العامة بنظافة ونقاء ، وحتى لا يؤدى عدمها الى ضياع حقوق الناس ، يقول الله تبارك وتعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم

---

(١) اليعار : صوت الشاة .

(٢) ارشاد السارى جـ ١٠ ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، والأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام ص ٣٧٧

(٣) الأموال لأبى عبيد ص ٣٧٨

تعلمون » وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشى ، والمرتشى فى الحكم » وفى رواية أخرى : « والرائش » فأما الراشى فهو من يعطى الذى يعينه على الأمر الباطل ، وأما المرتشى فهو الذى يأخذ ، وأما الرائش فهو السفير والصلة بين الذى يدفع والذى يأخذ ، حتى ولو لم يأخذ على سفارته أجرا ، فاذا أخذ أجرا فهو أبلغ فى الذنب •

وقد تكون الهدية الى من بيده أمر صورة مغلفة من صور الرشوة ، ولذلك بين العلماء أن الهدية للقاضى أو للحاكم اما أن تكون من شخص كان يهدى اليه قبل أن يولى هذا المنصب أم لا •

فاذا كانت من شخص كان يهدى اليه قبل توليته هذا المنصب ، فان استدامة الاهداء اليه فى هذه الحالة ليس حراما •

وأما اذا لم يكن الشخص قد أهدى اليه قبل أن يتولى هذا المنصب فينظر ، اما أن يكون هذا الشخص المهدى لا توجد خصومة بينه وبين أحد عند هذا القاضى أو هذا الحاكم ، أو هناك خصومة بينه وبين أحد عنده •

فاذا لم يكن هناك خصومة فان الهدية حينئذ لاتكون حراما بل هى مكروهة• وأما اذا كانت هناك خصومة ، فان الهدية حينئذ تكون حراما على الحاكم وعلى المهدى سواء بسواء • [1]

ان الاسلام يريد أن يربى أتباعه على نقاء اليد وطهارتها ، وعلى عفة النفس والترفع عما ليس من حقها ، وقد حرص المسلمون الأول على هذه المقاصد ، واحتاطوا فى هذه الناحية احتياطا عظيما ، يروى أن ثانى الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب أرسل الى عبد الرحمن بن عوف يطلب منه أن يقرضه أربعمائة درهم ، فتعجب عبد الرحمن من تصرف عمر ، وقال : أتستسلفنى وعندك بيت المال ، ألا تأخذ منه ثم ترده ؟ فكانت اجابة الحاكم الورع : انى أتخوف أن يصيبنى قدرى - أى يأتينى الموت - فتقول أنت وأصحابك : اتركوا هذا

---

(١) سبل السلام للصنعانى جـ ٤ ص ١٢٤

لأمير المؤمنين ، حتى يأخذ من ميزانى يوم القيامة ، ولكنى أتسلفها منك لما أعلم من شحك ، فاذا مت جئت فاستوفيتها من ميراثى(١) •

ونجد عمر فى موقف آخر يستكثر على أبى هريرة أن يجمع فى امارته عشرة آلاف درهم ، فيخاطب أبا هريرة لما قدم من البحرين : يا عدو الله وعدو كتابه ، أسرقت مال الله ؟ فيرد الصحابى الجليل أبو هريرة رضى الله عنه : لست بعدو الله ولا عدو كتابه ، ولكنى عدو من عاداهما ، ولم أسرق مال الله ، فيسأله عمر : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ، فيرد أبو هريرة : خيلى تناسلت ، وعطائى تلاحق ، وسهامى تلاحقت ، فلم يقتنع عمر بما قاله أبو هريرة ، وكما هى عادة عمر من شدته على نفسه وعلى الناس فى الحق ، رأى أن احتمال ظلمه لأبى هريرة خير من احتمال التفريط فى حق المسلمين ، فقبض العشرة الآلاف من الدراهم منه ، يقول أبو هريرة : فلما صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين(٢) •

فانظر الى أى مدى وصل المسلمون الأول فى تطبيق مبدأ « من أين لك هذا » منذ عشرات القرون ، ونحن الآن بعد هذه القرون التى مرت مع أننا جعلنا ذلك قانونا الا أننا لم نطبقه التطبيق الكامل بعد •

ثم أما بعد ، فان التاريخ يبين أن الناس الذين كانوا فى جاهليتهم لا يأنفون من السلب والنهب ، غيرهم الاسلام فأصبح الواحد منهم يراقب الله فيما يأتيه من أعمال ، فأتوا فى هذا بما يقارب الخوارق فى السلوك البشرى العادى •

يروى المؤرخون أنه لما دخل المسلمون « المدائن » فى بلاد الفرس ، وجمعوا ما وجدوه من أموال فيها بعد انتصارهم ، جاء رجل ليسلم ما وجده ، وكان ما وجده حقا كبيرا ، حتى قال الحاضرون : ما رأينا قبل هذا قط ، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه ، ولما سألوا الرجل : هل أخذت منه شيئا ؟ قال : أما والله لولا الله ما أتيتكم به ، فعظم شأنه فى نظرهم ، فسألوه : من أنت ؟ فرفض أن يذكر اسمه ، وفضل

---

(٢) الأموال لأبى عبيد ص ٣٨٠
(٣) المصدر السابق ص ٣٨١ ، ٣٨٢

أن يظل مجهولا عند الناس لأنه ما راقب الا الله وحده ، وقال : لا والله لا أخبركم لتحمدونى ، ولكنى أحمد الله وأرضى بثوابه ، فزاد ذلك من مكانته عندهم ، فأرسلوا رجلا ليتبعه حتى انتهى الرجل الى أصحابه فسألهم عنه فعرف أنه عامر بن عبد قيس . (١)

ان الأموال العامة لها حرمتها فى شريعة الاسلام والاعتداء عليها كالاعتداء على الأموال الخاصة ، بل أشد ، لأن الضرر الذى ينتج من ضياعها أشد ، فمصارفها تمس حياة عامة الناس ومصالحهم ، فهى تصرف على تجهيز الجيوش التى تدافع عن الوطن وتؤمن الفرد على حياته وأهله وماله ، وهى تنفق على المستشفيات والمساجد والمدارس، واصلاح الطرق، واعانة المحتاجين من بين أفراد الشعب، وغير ذلك من المصالح التى توفر للناس الأمان وتعينهم فى شتى نواحى حياتهم .

ولهذا يجب أن يكون أمام كل مسلم يعمل قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطا فما فوقه فهو غلول يأتى به يوم القيامة » ؟

**دكتور محمد رافت عثمان**

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ١٦ ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى ص ٨٨

## من أعلام القضاء في الإسلام :

# شريح بن الحارث الكندي

للدكتور محمد ابراهيم الجيوشي

( ٢ )

**فى مجلس القضاء :**

ما عرف تاريخ القضاء حتى الآن رجلا يقضى بين الناس مدى خمسة وسبعين عاما الا شريحا ، ولذلك صار لفظ القاضى لقبا له • فكان يدعى شريحا القاضى • وقد ظل على قضاء الكوفة منذ أيام عمر بن الخطاب ، حتى استعفى من الحجاج أيام خلافة عبد الملك بن مروان ، وكان ذلك قبل وفاة شريح بعام • وقد روى النووى فى تهذيب الأسماء واللغات عن ميسرة عن شريح قال :

وليت القضاء لعمر وعثمان وعلى ومعاوية ويزيد بن معاوية ، ولعبد الملك الى أيام الحجاج فاستعفيت الحجاج(١) •

وقد عقب النووى على ايراد هذا الخبر بقوله : وكان له يوم استعفائه مائة وعشرون سنة وعاش بعد استعفائه سنة •

وظل كل أيامه قاضيا على الكوفة الا سنة واحدة كان قاضيا على البصرة•

ويقول ابن المدينى : انه ولى قضاء البصرة سبع سنين فى زمن زياد ، وولى الكوفة ثلاثا وخمسين سنة (٢)

ومقتضى هذا الخبر أن زمن قضائه كان ستين سنة لا خمسا وسبعين •

وقد جاء فى بعض المصادر أنه ولى القضاء وهو فى سن الأربعين •

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ١٤٣ ، طبع المنيرية .
(٢) تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ١٤٣

ومعـــروف أنه مـات ولـه مـائة وعشرون سنة ، فيكون مقدار مكثه فى القضاء ثمانين سنة الا أننا لو استبعدنا منها الفترة التى ظل فيها معطلا عن القضاء أيام غلبة المختار وابن الزبير اذا اعتبرناها ثلاث سـنوات فقط حسـبما جاء فى بعض الروايات يكون ما تبقى بعد ذلك خمسا وسبعين سنة قضاها فى مجلس الحـكومة قاضـيا .. وهذا ما نقـله النـووى عن ابن قتيـبة فى المعارف ، والشيخ أبى اسـحاق فى طبقاته(١) .

وقد روى النووى أن عمر استقضاه سنة اثنتين وعشرين .

ونقل عند الحديث عن تاريخ وفاته رواية تقـول : انه توفى عام تسـعة وتسعين ، ولو قمنا بعملية طرح لكان قد ظل فى القضاء سبعا وسبعين سنة .

وأيما كان الأمر فقـد قام بالقضـاء هـذه الفترة الطـويلة التى يختلـف تقـديرها ما بين السـتين الى السـبع والسبعين .

**كيف تولى القضاء :**

ويروى الشعبى فى سـبب توليـه القضـــاء أن عمر رضى الله عنه أخذ فرسا من رجل على سوم ، فحمل عليه رجلا ، فعطب عنده ، فحاكمه صاحب الفرس .

فقال عمـر : اجعـل بينى وبينـك رجلا .

فقـال الرجل : انى أرضى بشريح العراقى فتحاكما اليه .

فقال شريح لعمر : أخذته صحيحا سـليما فأنت له ضـامن حتى ترده صحيحا سليما .

فأعجب عمر حكمه : فبعثـه قاضيا على الكوفة(٢) .

ووضع له عمر دسـتورا للقضـاء يسير عليه ، ووجهه الى مصادر الحكم التى ينبغى على القـاضى المسـلم أن يستلهمها حينمـا تعرض له قضية من القضايا ، وكان عمر بهذا التوجيه قد وضـع الأسس ووجه القضـــاء الى

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات جـ ١ ص ١٤٣

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٣٠٥

الينابيع التى ينبغى أن يستقضى منها الحكم فى الاسلام .

وهذه الوصية أو الدستور قد أوردته الكتب بروايات مختلفة اللفظ الا أنها متحدة المعنى ، وان كان بعضها أبين من بعض وسنختار بعضا من هذه الروايات التى جاء بها الحافظ بن عساكر فى تاريخ دمشق وأكمل هذه الروايات فيما أعتقد أن عمر كتب اليه :

اذا جاءك أمر فى كتاب الله فاقض به ولا تلفتنك عنه الرجال ، فن أتاك ما ليس فى كتاب الله فانظر فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بها ، فاذا جاءك ما ليس فى كتاب الله ، وليس فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به ، فان جاء ما ليس فى كتاب الله ، ولم تكن فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أى الأمرين شئت ، ان شئت أن تجتهد رأيك ثم تقدم فتقدم . وان شئت أن تتأخر فتأخر ولا أرى التأخر الا خيرا لك (١) .

وجاء عند البيهقى بدلا من قوله : وان شئت أن تتأخر .... الخ قوله : وان شئت أن تؤامرنى فآمرنى ، ولا أرى مؤامرتك اياى الا خيرا لك والسلام(٢) .

أما رواية الشعبى فتقول : اقض بما استبان لك من كتاب الله ، فان لم تعلم كتاب الله كله فاقض بما استبان لك من قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان لم تعلم كل أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاقض بما استبان لك من أمر أئمة المهتدين ، فان لم تعلم كل ما قضت به الأئمة المهتدون فاجتهد رأيك واستشر أهل العلم والصلاح(٣) .

وقد تأكدت مكانته فى القضاء بالشهادة التى منحها اياه أمير المؤمنين على بن أبى طالب حينما قال لأصحابه :

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٣٠٥

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٣٠٥

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٣٠٥

اجمعوا لى القـراء (١) فاجتمعـوا فى رحبة المسجد فقال لهـم : انى أوشك أن أفارقكم ، ثم جعل يسألهم ، ويقول لهم ما تقولون فى كذا ؟؟

ويقولون له : يا أمير المؤمنين ، كذا وكذا ؟

فيخبرهم حتى ارتفـع النهـار وتصدعوا ونفـد ما عنـدهم ، وشريح جاث على ركبتيه لا يسأله عن شيء الا قـال كذا وكذا .. ثم قـال لشريح : أنت أقضى العرب (٢) .

واستمر شريح فى القضاء منذ ذلك التاريخ حتى قبل وفاته بعام .

وقد روى الشعبى أن عمـر رزقه مائة درهم على القضاء (٣) .

وجـرى له خـلال ذلك أحـداث ومواقف كشـفت عن مدى تحـريه للحق وحرصه على العـدل ونزاهة القضـاء ، لا يلويه عن ذلك قرابة أو سلطان أو جاه وقد مر بنا ما فعل بابنه وأقاربه .

واليك هذا الموقف مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب :

خرج على رضـوان الله عليـه الى السوق فرأى درعا له مع ذمى يهودى أو نصرانى يبيعها ، فلما تعرف عليها قال : هذه درعى وأنكر الذمى فاتجها الى القاضى باقتراح من على أو من الذمى وكان القاضى شريحا .

قال شريح ما تشاء يا أمير المؤمنين ؟

قال على : هذه درعى سـقطت من جمل لى أورق والتقطها هذا اليهودى .

قال شريح : ما تقول يا يهودى ؟

قال : درعى وفى يدى .

قال شريح : صدقت ، والله يا أمير المؤمنين انها لدرعك ، ولكن لابد من شاهدين .

فدعا قنبرا مولاه والحسن بن على وشهدا أنها درعه ..

قال شريح : أما شهادة مولاك فقد أخذناها ، وأما شـهادة ابنك لك فلا نجيزها ..

---

(١) المقصود بالقراء هنا الفقهاء .
(٢) تهذيب تاريخ ابن عسـاكر جـ ٦ ص ٣٠٥
(٣) تهذيب تاريخ ابن عسـاكر جـ ٦ ص ٣٠٥

فقال على : تكلتك أمك. أما سمعت عمر بن الخطاب يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

قال : اللهم نعم ..

قال : أفلا تجيز شهادة سيد شباب أهل الجنة ؟ والله لأوجهنك الى بافقيا تقضى بين أهلها أربعين يوما . ثم قال لليهودى : خذ الدرع ..

فقال اليهودى : أمير المؤمنين جاء معى الى قاضى المسلمين ، فقضى عليه ورضى ، صدقت والله يا أمير المؤمنين انها لدرعك سقطت عن جمل لك التقطتها ، أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

فقال على : الدرع لك ، وهذا الفرس لك ، وفرض له فى تسعمائة ثم لم يزل معه حتى قتل يوم صفين (١)

**بين شريح وزياد :**

لما ولى زياد العراق اصطحب معه شريحا الى البصرة وقال له : ان حكمت بشىء ترى غيره أقرب الى الحق منه فأعلمنيه ، فكان زياد يحكم فلا يرد شريح عليه فيقول زياد لشريح : ما ترى فى هذا الحكم ؟ حتى أتاه رجل من الأنصار فقال :

انى قدمت البصرة والخطط موجودة فأردت أن أختط لى .

فقال لى بنو عمى وقد اختطوا ونزلوا : أين تخرج عنا ؟ أقم معنا ، واختط عندنا ، فوسعوا لى فتخذت فيهم دارا وتزوجت ، ثم نزغ الشيطان بيننا ، فقالوا لى : اخرج عنا . فقال زياد : ليس ذلك لكم منعتموه أن يختط والخطط موجودة، وفى أيديكم فضل فأعطيتموه ، حتى اذا ضاقت الخطط أخرجتموه وأردتم الاضرار به ، لا يخرج من منزله .

فقال شريح : يا مستعير القدر ارددها ..

فقال زياد : يا مستعير القدر احبسها ولا تردها ..

قال ابن سيرين : القضاء بما قال شريح ، وقول زياد حسن(٢) .

---

(١) حلية الأولياء جـ ٢ ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٣٠٦ ؛ وابن حلكان جـ ٦ ص ١٥٧ نشر الرفاعى .

(٢) العقد الفريد جـ ٥ ص ٢٦٥

وعلى الرغم من كراهيته لزياد وعدم رضاه عن سياسته فى الناس القائمة على العسف والظلم والبطش والاستبداد فانه لم يستسغ لنفسه أن يكتمه النصيحة حينما طلبها منه لما أصيب فى ذراعه وأشار عليه الأطباء بقطعها ..

وروى أن زيادا كتب الى معاوية يقول : ضبطت لك العراق بشمالى ، ويمينى فارغة لطاعتك ، فولنى الحجاز ، فبلغ ذلك عبد الله بن عمر ، وكان مقيما بمكة ، فقال : اللهم اشغل يمين زياد ، فأصابه الطاعون أو الأكلة فى يمينه ، فجمع الأطباء ، فأشاروا بقطعها ، فاستشار شريحا ، فقال : أكره لك ان كانت لك مدة تعيش بلا يمين ، وان كان قدرنا أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد ، فاذا قال لك : لم قطعتها قلت : بغضا للقائك وفرارا من قضائك ..

ومات زياد من يومه ، فلام الناس شريحا حيث نصح له ، لبغضهم لزياد . فقال : استشارنى والمستشار مؤتمن ، والا لوددت أنه قطع يده يوما ، ورجله يوما ، وسائر جسده يوما يوما(١) .

ويضرب شريح بموقفه هذا المثل على صدق النصيحة والاخلاص فى الرأى سواء كان طالبه حبيبا أو بغيضا ، صديقا أو عدوا لأن الأمر أمر دين وخلق وسلوك ..

ومن يلتزم بمبدأ أخلاقى لا يحيد عنه حسب الحب والبغض وكان معروفا عنه أنه يستعمل الكناية والتعريض والدعابة فى محاوراته بين الناس واجاباته لأسئلتهم ، وكان يفهم عنه ذلك ، ذوو الذكاء والفطنة والعارفون بمنهجه وسبيله ..

**المزاح مع التزام الحق :**

ومن ذلك أنه دخل على زياد يزوره فى مرض موته ، فلما خرج بعث اليه مسروق بن الأجدع يسأله :

كيف تركت الأمير ؟

قال : تركته يأمر وينهى .

فقال مسروق : ان شريحا صاحب تعريض فاسألوه . فسألوه ، فقال :

---

(٢) شذرات الذهب فى اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى جـ ١ ص ٨٥ ، ٨٦ نشر مكتبة القدس ٣٥٠ .

تركتـــه يأمر بالوصـــية وينهى عن البكاء(١) •

وقد لازمت هـذه الطبيعة شريحا حتى في مجلس القضاء والفصل بين الناس ، فكان لا يرى بأسا من استعمال الكنـاية والتعريض والدعابة في رده ما دام لم يضع حقا أو يظلم أحدا ، فقد دخل عليه يوما عدى بن أرطأة فقال : أين أنت أصلحك الله ؟

قال : بينك وبين الحائط •

قال : اسمع منى •

قال : قل نسمع •

قال : انى رجل من الشام •

قال : مكان سحيق •

قال : وتزوجت عندكم •

قال : بالرفاء والبنين ••

قال : وولد لى غلام ••

قال : ليهنك الفارس ••

قال : وأردت أن أرحلها •

قال : الرجل أحق بأهله ••

قال : وشرطت لها دارها ••

قال : الشرط أملك ••

قال : فاحكم الآن بيننا ••

قال : قد فعلت ••

قال : فعلى من حكمت ؟

قال : على ابن أمك •

قال : بشهادة من ؟

قال: بشهادة ابن أخت خالتك (٢)•

ويريد شريح أنه أقر على نفســه فأصــدر حكمه بمقتضى اقراره وهو حوار سريع يدل على عقل ثابت وذهن متفتح ، ورأى راجح ، يزن الأمور ويقدر حقائقها •

ومن هذا القبيل ما رواه أبو نعيم : أن جدة وأما تنازعا في صبى وجاءا الى شريح وعرضـا قضيتهما شــعرا فأجابهما شعرا أيضا • وعلى الرغم من أن الشعر ضعيف يبدو عليه مســحة التلفيق الا أننا لا نستطيع الحكم بنفى هذه الواقعة ، ولا بأس من أن نثبتها وما جرى فيها من حوار شعرى لنقدم

(١) العقد الفريد جـ ٢ ص ٢٨٩
(٢) العقد الفريد جـ ٢ ص ٣١٧ ، ٣١٨

للقارىء لونا من ألوان الخصومات الاجتماعية فى ذلك العصر وطريقة علاجها ..

ولئن كان الشك ينتابنا فى اثبات السياق الذى عرضت به القضية الا أن القضية نفسها لاشك فى وقوعها لأن مثل هذه المنازعات أمر مألوف الوقوع فى مجتمع ليس غريبا علينا خصائصه ومميزاته والقضية تقول :

جاءت جدة صبى وأمه يختصمان فيه الى شريح كل واحدة تقول أنا أحق به ، فقالت الجدة :

أيا أمية أتيناك وأنت المرء نأتيه
اتاك ابن وأمـاه
وكلتانا تفديه
فلو كنت تأيمت
لما نازعتك فيه
تزوجت فهاتيه
ولا يذهب بك التيه

فقالت الأم :

ألا أيها القاضى
قد قالت لك الجدة
قولا فاستمع منى
ولا تنظرننى رده
تعز النفس عن ابنى
وكبدى حملت كبده
فلما صار فى حجرى
يتيما ضائعا وحده
تزوجت رجاء الخير من يكفينى فقده
ومن يظهرنى الود
ومن يحسن لى رفده

فقال شريح رحمه الله :

قد سمع القاضى ما قلتما
وعفى القاضى جهد ان عقل
قال للجدة بينى بالصبى
وخذى ابنك من ذات العلل
انها لو صبرت كان لها
قبل دعواها يبغيها البدل

وقضى به للجدة ..[1]

**طائفة من اقضياته :**

قال أبو عمرو الشيبانى : كنت عند شريح فأتاه قوم برجل عليه صك

---

(١) الحلية جـ ٤ ص ١٣٤ ، ١٣٥

بخمسمائة درهم دينا . فقالوا : ان مولى لنا مات وترك على هذا خمسمائة درهم دينا ونحن وارثو مولانا ..

فقال له شريح : ما تقول ؟

فقال : كان أخي حرا مولى لهؤلاء .. وكان موسرا ، وأنا عبـــد لقوم آخرين ، وكان أعطاني هذه الدراهم أنتفع بها ، فمات أخي وترك مالا كثيرا ورثه هؤلاء فقلت لهم : دعوا لي هذه الدراهم فاني معيل .

فكلمهم شريح وقال لهم : لا عليكم أن تدعوا له هذه الدراهم ، وسائر مال أخيه لكم ، وقد ذكر عيله .. فأبوا .

وقالوا : خذ لنا بحقنا ..

فقـال لهم شريح : اتقـوا الله ، وافعلوا ..

فأبوا وقالوا : خذ لنا بحقنا ..

فقال له شريح : ادفعها لهم ، فانك عبد لا ميراث لك ..

فقاموا من بين يديه على ذلك .

قال أبو عمرو : فلما رأيت جزعه وشدة همه قلت له : ويحك ، ذكرت أنك معيل ، فما عيالك .. ؟

قال : زوجة وأولاد ذكور واناث .

قلت له : فما زوجتك حرة أو امة؟

فقال : حرة .

فرجعت الى شريح ، فقلت : يا أبا أمية ، ألا ترى ما يقول هذا الرجل ؟

قال : وما يقول ؟

قلت : يقول لي أولاد أحرار من امرأة حرة .

فقال : ردهم الي ، فرددتهم ، فأعاد الكلام ، فاعترفوا به .

وقالوا : نعم له أولاد أحرار .

فقال : ولد حر من امرأة حرة ، فابن الأخ الحر أولى بالميراث منكم ، والله لا تبرحوا حتى تعطوه ما في أيديكم من ميراث أخيه ، فانتزع ذلك منهم ودفعه اليه(٢) .

وجـاء رجـل فقـال : ان امرأتي توفيت ولم تترك ولدا ، فمـا لي من ميراثها ؟

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عسـاكر جـ ٦ ص ٣٠٩

فقال : النصف .

فمضى ، ثم عاد ، ومعه خصوم له فى هذه المسألة ، فاذا هى من عشرة أسهم يجب له منها ثلاثة أسهم(١) .

فكان الرجل بعد ذلك يقول : انظروا الى قاضيكم سألته فأعطانى النصف ، وحاكمت اليه فما أعطانى النصف ولا الثلث .

وكان شريح يقول له : يا عدو نفسه اذا رأيتنى ذكرت حكما جائزا . واذا رأيتك ذكرت رجلا فاجرا يظهر الشكوى ويكتم حقيقة القضاء(٢) .

**من نوادره :**

عرض ناقة على السوق ليبيعها ، فسامه بها أعرابى .

فقال له : كيف سيرها ؟

فقال : خذ الزمام بشمالك والسوط بيمينك وعليك الطواف .

وفى رواية أنه سأله : ما هذا ؟

قال : ناقة تمشى على أربع ..

قال : أتبيعها ؟

قال : لذلك أخرجتها .

قال : كيف حملها ؟

قال : الحائط احمل عليه ما شئت ..

قال : كيف حلبها ؟

قال : قرب الحلب وشأنك .

قال : كيف الوطاء ؟

قال : افرش ونم .

قال : كم الثمن ؟

قال : ثلاثمائة درهم .

فاشتراها منه ونقده الثمن . ثم قال له شريح : ان عرضت اليك حاجة فسل عن أبى أمية فى مسجد الكوفة .

فلما مضى بها فاذا هى بطيئة السير ، قليلة الحلب ، فأتاه فاذا هو فى مجلس القضاء .

فقال له : لم أر فيها شيئا مما وصفت فأدناه وأفهمه ما قال له ، ثم أقاله(١) .

ويروى الشعبى أنه جاءته امرأة تشكو وتبكى بكاء حارا ، فقال له :

---

(١) وتفسير ذلك انها تركت زوجها وأمها وأختها لأمها وابيها وأختيها لأمهـا .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٣٠٩

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٣١٢

يا أبا أمية ما أظن الا أنها مظلومة . فقال شريح : وما يدريك يا أبا عمرو، ان أخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون (١) .

خرج شريح الى مكة ، فشيعه قوم ، مضى معه بعضهم الى النجف ، ثم ودعه وانصرف ، ومضى معه قوم آخرون الى أبعد من ذلك ، فلما أرادوا أن يودعوه قال :

أما أصحاب النجف فقد قضينا حقهم بالطعام ، وأما أنتم فأغنيكم ، ورفع عقيرته وغنى ..

اذا زينب زارها أهلها
حشدت وأكرمت زوارها

وان هي زارتهم زرتها
وان لم يكن لي هوى دارها (٢)

وكان يضرب به المثل في الحيلة والدهاء ، حتى قيل : شريح أدهى من ثعلب وقد سئل الشعبي عن قصة هذا المثل فقال : خرج شريح أيام الطاعون الى النجف فكان اذا قام يصلي جاءه ثعلب فوقف تجاهه ، وأخذ يشغله عن صلاته ، فلما أعياه أمره نزع قميصه فجعله على قصبة ، وأخرج كمه ، وجعل قلنسوته ، وعمامته عليه ووقف خلف ذلك الشبح ، فأقبل الثعلب فوقف على عادته ، فتحيل له شريح حتى أخذه بغتة ، فلذلك قالوا عنه « أدهى من ثعلب » (٣) .

وسئل عن الجراد فقال : قبح الله الجرادة فيها خلقة سبع جبابرة رأسها رأس فرس ، وعنقها عنق ثور، وصدرها صدر أسد ، وجناحها جناح نسر ، ورجلاها رجلا جمل ، وذنبها ذنب حية ، وبطنها بطن عقرب (٤) .

وكان شريح يدرك مدى المسئولية الملقاة على عاتقه ، ويعرف أن منصب القضاء منصب شديد الخطر لأنه يتعلق بحقوق الناس ، وادراكا منه لهذا الموقف الدقيق كان اذا جلس للقضاء يقول : سيعلم الظالمون حظ من نقصوا ، ان الظالم ينتظر العقاب وان المظلوم ينتظر النصر ، ونظر يوما الى رجل يقوم على رأسه فرآه يضحك ، فقال له : ما يضحكك وأنت تراني

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٣١٢
(٢) عيون الأخبار جـ ٤ ص ٩١ طبع دار الكتب .
(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٣١٢
(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٣١٢

أتقلب بين الجنة والنار ، وكان يقول : أصبحت وشطر الناس على غضاب (١)

وكان اذا غضب أو جاع قام ولم يقض بين أحد ..

وقال الشعبي : رأيت على ظهر كفه قرحة ، فقلت له ما هذه ؟

فقال : بما كسبت أيديكم ويعف عن كثير .

وقيل له : ألا تريها الطبيب ؟

فقال : هو الذى أخرجها ..

واشتكت رجله فطلاها بعسل ، وقعد فى الشمس .. فقيل له : لو أريتها الطبيب ، فقال : قد فعلت ووعد خيرا (٢) .

وكان يقول : ما أصيب عبد بمصيبة الا كان لله عليه فيها ثلاث نعم : أن لا تكون فى دينه ، وألا تكون أعظم مما كانت ، وأنها لابد كائنة فقد كانت ، وانى لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات : أحمده اذ لم تكن منها ، وأحمده اذ رزقنى الصبر عليها ، وأحمده اذ وفقنى للاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب ، وأحمده اذ لم يجعلها فى دينى ..

وظل شريح على القضاء حتى طال به العمر ولقيه رجل فى الطريق فقال له : أبا أمية قضت والله بجور ..

قال : وكيف ؟ ويحك .

قال : كبرت سنك ، واختلط عقلك ، وارتشى ابنك .

فقال شريح : لا جرم ، لا يقولها أحد بعدك ، ثم أتى الحجاج ، فقال : والله لا أقضى بين اثنين .

قال والله لا أعفيك أو تبغينى رجلا ..

فقال شريح : عليك بالعفيف الشريف ابن بردة بن موسى (٣) .

وتوفى بعدها بعام تقريبا وفى تاريخ وفاته خلاف : قيل سنة ثمانين هجرية ، وقيل ست وسبعين وقيل ثمان وسبعين ، وقيل اثنتين وثمانين ، وقيل ثلاث وتسعين . وقيل سبع أو تسع وتسعين ، وأكثر الروايات على أن وفاته كانت

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٣٠٨

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٣١١

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٦ ص ٣١٠

سنة ثمان وسبعين عن مائة وعشرين سنة •

وقال يحيى بن قيس الكنــدى : أوصى شريح أن يصــلى عليــه فى الجبانة ، وأن لا يؤذن به أحد ، وأن لا تتبعه صائحة ، وأن لا يجعل على قبره تابوت ، وأن يسرع به السير ، وأن يلحد له[1] •

وهــكذا انطوت هــذه الحيــاة العريضة ، وخبا ذلك العقل الوقاد ، وهدأ هذا القلب الحى ، ودفنت هذه التجارب التى عركت الحياة واكتسبت من خبرتها وبلت خيرها شرها وحلوها ومرها ••

رحم الله شريحا فقد كان المثـل الحى للقاضى المسلم ، والحكم العدل، والمؤمن الذى يخشى الله ويرقبه فى كل صغير وكبير من أموره ، لأنه كان يعرف أن حقوق الناس منوطة بحكمه وقضــائه ؛ فجزاه الله خيرا عن الحق الذى عاش له والعــدل الذى أرسى قواعده واستهان بكل شىء من عرض الدنيا فى سبيله ؟

**د• محمد ابراهيم الجيوشى**

---

(١) تهذيب ابن عساكر جـ ٦ ص ٣١٥

# متى يكون البيع لازما ؟

للدكتور محمد محمد الشرقاوى

لزوم البيع معناه عدم امكان فسخه والرجوع فيه لواحد من المتعـاقدين بعـد اتمامه .. واتمامه عند الحنفية ومن تابعهم كالهادوية والامامية وأكثر المالكية يكون بالايجاب والقبول من غير توقف على امتداد المجلس الذى حدث فيه العقد .. فحدوث القبول ينهى العقد ، ويجعله لازما ، ويبطل كل خيـار فى ابرامه أو نقضه ، .. اللهـم الا اذا كان خيارا مشروطا فى صـلب العقـد ، بأن يقـول البـائع أو المشترى للآخر : على أن يكون لى الخيار ، وحينئذ يمتنع لزوم العقد ، ومـن حق كل واحـد ممن شرط لنفسه أو لغيره الخيار أن ينقضه فى غضون الأيام الثلاثة التالية للعقد عند أبى حنيفة والشافعى وزفر ولا يجوز أكثر من ذلك .. لقول الرسـول صلى الله عليه وسلم لحبان بن منقذ وكان يخدع فى البياعات : « اذا بايعت فقل لا خلابة ( اى لا خديعة ) ولى الخيار ثلاثة أيام »(١) ولا يجـوز أكثر من ذلك ، وعند أبى يوسف ومحمد : يجوز اشتراط الخيار لأية مدة معلومة استدلالا بحديث ابن عمر رضى الله عنهما : « أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم أجاز الخيار الى شهرين » ولأن حكمة شرعيـة الخيـار اتاحة الفرصة للمتبايعين للمراجعة والمشاورة وقـد تحتـاج الى أكثر من الثـلاثة الأيام ، وأبو حنيفة اعتمد على حديث حبان بن منقذ لأنه أشهر ، وكان حبان هذا مصابا بجرح نافذ الى أم رأسه ، وكان قد ثقل لسانه نتيجة لهذا ، فكان

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك والشافعى والبيهقى وابن ماجه والبخارى فى تاريخه الأوسط والأكثر على توثيق ابن اسحاق راوى الحديث ورجع مالك عما قال فيه كما فى الروض الأنف وكذلك رواه ابن أبى شيبة .

يشترى الشيء ويراجعه فيه أهله لغلاء ثمنه فيقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خيرنى فى بيعى .. وهكذا تظهر فائدة الخيار المشروط مع العقد .. أو بعده حتى لو قال أحدهما بعد البيع بأيام لصاحبه : جعلتك بالخيار .. صح هذا ، والتحق هذا الخيار اللاحق بالبيع السابق على الخلاف المذكور بين أبى حنيفة وصاحبيه .. وكل هذا من أجل توفير أكبر قدر ممكن من فرص التأمين التعاملى بين الناس ، وقطع الطريق على المخادعين والانتهازيين الذين يعلقون آمالهم فى الربح على الصفقة الخاطفة ، أو البيعة الخادعة ، أو المغالطة السريعة ، فالبيع اللازم هو ما لا خيار فيه من الخيارات كلها سواء كانت خيار شرط ، أو خيار رؤية .. أو خيار عيب .. والفرق بين الثلاثة : أن خيار الشرط الذى ذكر مع العقد أو بعده يمنع ابتداء حكم البيع ، وهو ثبوت حق البائع فى الثمن والمشترى فى المثمن ، وخيار الرؤية يمنع تمام الحكم ، والشافعى لا يصحح العقد بدون رؤية لأنه بيع المجهول ، أما خيار العيب فانه يمنع لزوم الحكم بمعنى أن المشترى اذا اطلع على عيب فى المبيع فهو بالخيار ان شاء أخذه بجميع الثمن ، وان شاء رده .

هذا اذا كان بيعا قد شرط فيه الخيار شرطا ، ونطق به صراحة .. أما البيع الذى لا خيار فيه من الخيارات الثلاثة الماضية وهو موضوع هذا البحث فان الايجاب والقبول وحدهما يجعلانه لازما لكل واحد من المتعاقدين غير قابل للفسخ ولا للعودة فيه ، ويعتبر القبول .. تفرقا بالأقوال ، وهو المراد من التفرق فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى سنذكره عند أبى حنيفة ومن حذا حذوه ، والحديث رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم : « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : البائع والمبتاع بالخيار حتى يتفرقا ، الا أن تكون صفقة خيار ، ولا يحل له أن يفارقه خشية أن يستقبله »(١) ، وروى مثله الشيخان واللفظ لمسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا ، أو يخير أحدهما الآخر ، فان

(١) رواه الخمسة الا ابن ماجه والدارقطنى وابن خزيمة وابن الجارود نقلا عن سبل السلام ج ٣ : ٤

خير أحدهما الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع ، أما الشافعى وأحمد فيريان أن المراد بالتفرق فى الحديث هو تفرق الأبدان وعلى ذلك فمن حق كل واحد من المتبايعين بعد الايجاب والقبول .. أن يرجع فى البيع وأن ينقضه ولا يلزمه الا اذا فارق جسده جسد صاحبه والتفرق فى كل حال بحسبها وهو ما يسمى عادة تفرقا ففى المنزل الصغير بخروج أحدهما وفى الكبير بالتحول من مجلسه الى آخر بخطوتين أو ثلاث[1] . وهكذا : واستدل الشافعى ومن معه بما يأتى :

أولا : الحديث السالف الذكر وهو متفق عليه لأن هناك رواية أخرى تقول : « حتى يتفرقا عن مكانهما » .

ثانيا : ان التفرق عرض ولابد أن يقوم بجوهر وهو الأبدان .

ثالثا : يسمى المتبايعان متبايعين بعد انتهاء القبول وهو من الحقيقة عند جمهور أهل البلاغة وليس من اللازم اطلاق المتبايعين على المتعاقدين حال التفاوض وتبادل الكلام .

رابعا : ان هذا مذهب جماعة من الصحابة منهم على وابن عباس وابن عمر ، واليه ذهب أكثر التابعين وهو رأى أحمد واسحاق والامام يحيى[2]

أما الحنفية ومن لف لفهم فقد استدلوا :

أولا : أن حقيقة المتبايعين المذكورين فى الحديث لا تطلق الا عليهما فى حال التحاور فى البيع أما قبل ذلك أو بعد ذلك فهو اطلاق مجازى .

ثانيا : قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » والعقد : ما انعقد طرفاه بالايجاب والقبول والأمر بالوفاء يتنافى مع نقضه بعد قبوله .

ثالثا : قوله تعالى : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » والتراضى لا يحدث الا بعد الايجاب والقبول من غير توقف على تخيير فى المجلس .

رابعا : قوله تعالى : « وأشهدوا اذا تبايعتم » والاشهاد لنفى التجاحد ، والبيع يحدث قبل الخيار فلو كان

(١) سبل السلام جـ ٣ : ٢
(٢) المصدر السابق .

هناك خيار قبول بعد البيع لما كان للاشهاد أثر •

خامسا : أن الفسخ بعد الايجاب والقبول في المجلس فيه ابطال حق الغير وهو لا يجوز •

سادسا : التفرق المذكور في الحديث محتمل للتفرق بالأقوال وللتفرق بالأبدان ولا مرجح للأبدان الا رواية « حتى يتفرقا عن مكانهما » ولم تثبت هذه الرواية كما ذكر ابن عبد البر (١) والحنفية رجحوا التفرق بالأقوال : أى بعد الانتهاء من القبول لأن التفرق بالأبدان فيه جهالة ••• اذ ليس له وقت معلوم ولا غاية معروفة فيصير شبيها ببيع الملامسة والمنابذة وهو مقطوع بفساده ، وبيع الملامسة : أن يقول الرجل للرجل أبيعك ثوبى بثوبك بدون نظر الى أى الثوبين ولكن الثوب يلمس ولا يقلب ولا يتأمل فيه ويجعل مجرد اللمس بيعا بدون صيغة ، وبيع المنابذة : أن يقول أحدهما للآخر : انبذ الى ما معك ، وأنبذ اليك ما معى ، ويشترى كل منهما من الآخر وهو لا يدرى ماذا مع صاحبه ، ويجعلان مجرد النبذ بيعا بدون صيغة وكل منهما محرم (٢) •• وهذا معنى قول مالك في هذا الحديث الذى فيه التفرق : « ليس لهذا الحديث حد معروف » •

سابعا : التفرق يطلق بالاشتراك اللفظى على الأقوال والأبدان : أى على المعانى والأعيان ويترجح الأول لعدم افضائه الى الجهالة التى يفضى اليها الثانى •

ثامنا : التفرق وان كان عرضا لا مانع من اسناده الى غير الأعيان وهو سائغ شائع (٣) مضار كالحقيقة قال تعالى : « وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » وقال : « لا نفرق بين أحد من رسله » والمراد التفرق فى الاعتقاد •

تاسعا : قالوا : ان مالكا نقلت عنه رواية تشهد للحنفية ولكنه لم يعمل

---

(١) سبل السلام ج ٣ : ٤
(٢) سبل السلام ج ٢ : ٢٣٩
(٣) العناية وفتح القدير ج ٥ : ٨٢

بهـــا وهى حجة للحنفية لا عليهم اذ ترك العمل بما روى المجتهـــد ليس حجة على مجتهد غيره •• بل ان مالكا عنده هذا المجتهد محجوج بما رواه ، ومخالفــة الراوى لمـا روى لا توجب عدم العمل بروايته عند مجتهـد آخر لأن عمل مالك هنا مبنى على اجتهاده ، وقد يظهر له ما هو أرجح عنده ممـا رواه وان لم يـكن أرجـح فى نفس الأمر •

عاشرا : يحتجون بالقيـــاس عـلى النكاح والخلع والعتـق على مال وغير ذلك اذ كل منها عقد معاوضة ، وهو يتم بالايجاب والقبول بلا خيار مجلس •• بل بمجرد اللفظ الدال على الرضا •• فكذا فى البيع •

وبعد

فمن هذا الاستقصاء لأدلة المذهبين فى لزوم البيع ظهر ما يأتى :

أولا : البيـع المجرد من خيـارات الشرط والرؤية والعيب يصـير لازما غير قابل للنقض بعد الايجاب والقبول عنـد الحنفية ومن وافقهـم والتفـرق المذكور فى الحديث يراد به عنـدهم التفرق بالأقوال أى بعـد القبـول •• وعند الشافعية يمتد الخيار فى المجلس بعد الايجاب والقبـول ومن حق كل واحد من المتبايعين نقض البيـع ما دام لم يتفرقا بالأبدان •

ثانيا : أن حكمة الخيارات أيا كانت هى توفير الضمانات الكفيلـة بحفـظ الحـق بالنسـبة لمن ليس له دربة ولا دراية بالبياعات ومن تكثر مغالبته فيها •

**كيف يكون البيع صحيحا ومشروعا ؟**

لكى يكون البيع صحيحا ومشروعا وتترتب عليـه آثاره التى يقتضيها من اســـتقرار الملك ، الى تخليصـه من الجهالة •• الى اكتمـال الملكية بعـد انعقـاده ، وتحررها من أى اسـتغلال غير مشروع •• لابد أن يكون خـاليا من كل شرط لا يقتضيه العقـد ، ولا يتلاءم مع آثاره التى رتبها الله تعـالى عليه •

ومن هنا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم « عن بيـع وشرط ، وعن بيع وسلف » فقـد أخرج الحاكم فى علوم الحديث من رواية أبى حنيفـة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عـن بيـــع وشرط » ، وروى الخمسـة عن عمـــر وهذا بسـنده ، وصـححه الترمذى وابن خزيمـــة والحاكم ، قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم : « لا يحـل سلف وبيع ،

ولا شرطان فى بيع ، ولا رُبح ما لم يضمن ، ولا بيع ما ليس عندك (١) » ولذلك البيع المشروط بشرط غير ملائم صور متعددة ، وألوان متنوعة كلها تحمل طابع الحظر والفساد ، فى شرعة الله العادلة التى تتوخى تحقيق التوازن بين حقوق كل من البائع والمشترى بحيث لا يرجح كفة أحدهما على الآخر اعتسافا فى شرط ، ولا انتهازية فى حاجة ، ولا تحيل على ربا .. ومن هذه الصور : أن يبيع البائع شيئا ما ويشترط على المشترى ألا يبيعه مطلقا .. وهى محاولة لتقييد حرية المشترى فيما اشتراه باشتراط شرط ما أنزل الله به من سلطان ، ولا يقره عقل ولا برهان ... اذ المشترى حر التصرف فيما اشتراه ، وليس من حق البائع بعد ابرام العقد أن يتدخل فى منافع السلعة التى انتقلت الى المشترى ، ولا أن يفرض عليه فيها شرطا ولا قيدا تعسفيا .. ولا يحسبن أن الشروط بصفة عامة واجبة الوفاء ، لازمة النفاذ ..بل ان الشروط التى هى محل تقدير واحترام الشريعة هى ماوافقتها ، ولم تحل ما حرم الله ، أو تحرم ما أحل الله ، أما هذه فهى حيلة باطلة ، وخداع مردود .. يخالها الرائى بحسب ظاهرها شرطا بريئا ، وهى فى باطن أمرها تحيل ماكر ، وتصرف خبيث ، قال عليه الصلاة والسلام : « المسلمون على شروطهم الا شرطا أحل حراما ، أو حرم حلالا » (٢) .

ومثل ذلك يقال فى البيع والسلف ، فان السلف وهو الاقراض للمال بدون فوائد ولا أرباح والذى يجب أن يكون أولا وآخرا لوجه الله ، لا يبتغى به الا رضاه ، وما عنده من ثواب ، وما أعده لذوى الأريحية والمروءة من فضل وكرم جزاء ما يسروا به من عسر المعسرين ، وفكوا به من ضائقة المأزومين .. هذا السلف يجب فى منطق الشريعة أن يتحرر من اشتراط شروط جالبة لربح ، أو محققة لميزة ، أو داعية الى منفعة ، ومن أجل ذلك جاء نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن البيع والسلف

---

(١) سبل السلام جـ ٢ : ٣٣٣

(٢) رواه الترمذى وقال حسن صحيح ص ٣٣٣ جـ ٣ من مجموعة فتاوى ابن تيمية .

.. لأن السلف حينئذ لم يخلص لوجه الله وانما كان وسيلة لغاية أخرى هو انجاز صفقة بيع أو شراء تؤدى الى منفعة ، فصدق عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل قرض جر نفعا فهو ربا »

وقيل فى تصوير البيع والسلف المنهى عنه : أن يريد شخص شراء سلعة ويؤجل دفع ثمنها فيزيد فى سعرها من أجل هذا التأجيل ، ثم يستقرض الثمن كله من البائع ليعجله اليه .. ثم يؤدى بعد الأجل ما عليه من دين .. وهذه حيلة ظاهرة فى أكل الربا .

ومن البيوع المحظورة : أن يشترط فى البيع شرطان ، ويسمى هذا أيضا « شرطا فى شرط » ، وقد نهى عنه النبى عليه الصلاة والسلام ، وقد فسر هذا بقصة بريرة التى وقعت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى الشيخان واللفظ للبخارى عن (١) عائشة رضى الله عنها قالت : « جاءتنى بريرة (وهى مولاة لعائشة) فقالت : انى كاتبت أهلى ( هم جماعة من الأنصار كانوا يملكونها ) على تسع أواق .. فى كل عام أوقية، فأعينينى. فقلت : ان أحب أهلك أن أعد المال لهم ، ويكون ولاؤك لى ( أى بعد أن تعتقها عائشة ) فعلت ، فذهبت بريرة الى أهلها فقالت لهم ، فأبوا عليها .. فجاءت من عندهم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس فقالت : انى عرضت عليهم ذلك فأبوا الا أن يكون لهم الولاء .. فسمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرت عائشة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : خذيها واشترطى لهم الولاء فانما الولاء لمن أعتق ففعلت عائشة ، ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فما بال رجال يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله تعالى ، ما كان من شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وان كان مائة شرط ، قضاء الله أحق ، وشرط الله أوثق ، وانما الولاء لمن أعتق » وعند مسلم : قال : « اشتريها وأعتقيها واشترطى لهم الولاء » ..

وخلاصة هذه القصة أن ملاك بريرة اشترطوا على عائشة رضى الله عنها حينما رغبت فى شرائها منهم

(١) سبل السلام جـ ٢ : ٣٢٤

شرطين أولهما : أن تشتريها وتعتقها اذ لا ولاء الا بعد عتق ، ثانيهما : أن يكون الولاء لهم لا لعائشة على الرغم من أنها هي التي أعتقتها لا هم ، وعلى الرغم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد بين لهم أن الولاء ـ وهو العلاقة التي بين المالك والعتيق ولها مميزات وخصائص ـ لا يكون الا لمن أعتق بصورة مباشرة من دون أن يكون لمن سبقه من المالكين حق فيه ، ولا اشتراط له ، ولا تطلع اليه ، ولكن المالكين يريدون أن يتخطوا كل هذه الحدود المبينة ، وأن يشترطوا في بيع بريرة شرطا في شرط ، أو شرطين في بيع . وهما العتق لبريرة من جانب عائشة ، والولاء لهم بعد أن تعتقها عائشة ، ولما كان هذا مخالفا لنظام الاسلام في الولاء ..فقد وقف الرسول صلى الله عليه وسلم في الناس واستنكر هذا الافتئات على حقوق الشريعة ، وهذا التطاول من الملاك الى ما ليس من حقهم ، واعتبره شرطا باطلا ، حتى ولو لم يكن شرطا واحدا في واقعه ، وانما كان مائة شرط أو تزيد .. لأن شروط الله أقوى وأوثق من شروط الناس ، وقضاء الله وحكمه أنفذ وألزم من قضاء الناس وأحكامهم ، ولذلك قال لعائشة : خذيها واشتريها منهم وادفعي لهم الأواقي التسع واشترطي الولاء لنفسك عليهم .. فتكون اللام في قوله : « واشترطي لهم الولاء » بمعنى على كما في قوله تعالى ، « وان أسأتم فلها » ، أي عليها .. أو يكون المعنى : اشترطي يا عائشة الولاء لهم حتى تستطيعي شراءها واعتاقها وربط ولائها بك ، لأن اشتراط الولاء لهم حينئذ لا قيمة له ،ولا اعتداد به ، ولا التفات اليه بعد أن صار مضادا لما علموه من الرسول صلى الله عليه وسلم من حكم الولاء ونظامه وأنه لا يكون ولن يكون بحال من الأحوال الا للمعتق المباشر فهو زجر لهم ولا يفهم من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد طلب من عائشة أن تخدعهم باشتراط الولاء لهم ، وتغرر بهم .. حتى تشتريها وتعتقها وتجر ولاءها لها .. لأن الاسلام يأبى الخداع والحيلة الماكرة ، والغرر الموهم .

وقيل في تصوير الشرطين في البيع أن يقول البائع : بعت هذا نقدا بكذا ، ومؤجلا بكذا وهذه الصورة موضع نظر عند الفقهاء فمنهم من حرمها ومنهم من أباحها ، ويتصل بهذا ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال : « نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن بيعتين فى بيعة »(١) قال الشافعى له تأويلان : أحدهما أن يقول بعتك هذا بألفين مؤجلا ، وبألف نقدا ، فأيهما شئت أخذت به ، والشافعى يفسد هذا البيع لما فيه من ايهام وتعليق ، وقد فسره بذلك أيضا أبو عبيد القاسم بن سلام .. (٢) ، ويرى بعض الفقهاء ومنهم الكمال بن الهمام أن كون الثمن على تقدير النقد ألفا ، وعلى تقدير التأجيل ألفين ليس فى معنى الربا ، لأن كل واحد منهما عقد منفصل عن الآخر وهو ليس بفاسد ، وقد أوله صاحب الهداية : بأن يبيع الرجل لآخر دارا على أن يسكنها سنة مثلا ، أو دابة على أن يستخدمها شهرا ، لأن السكنى والخدمة ان قابلهما جزء من الثمن الكلى كانتا اجارة فى ضمن البيع ، وان لم يقابلهما شىء من الثمن كانتا اعارة فى ضمن البيع ، فصدق عليهما « بيعتين فى بيعة » وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك ... والتأويل الثانى للشافعى : أن يقول : بعتك دارى على أن تبيعنى فرسك فاذا صارت دارى ملكا لك صار فرسك ملكا لى ... وهو فاسد لما فيه من تعليق البيع بشرط مستقبل يجوز وقوعه وعدم وقوعه ، وهذا يؤدى الى عدم استقرار الملك ، ويفضى الى المنازعة .

ولم يتوسع فى استعمال الشروط مع البيع الا أحمد بن حنبل رضى الله عنه فانه لم يمنع منها الا ما كان مخالفا لمقصود العقد مثل أن يبيع بشرط الفسخ أو الاخراج من ملك المشترى وذلك بناء على أن الأصل فى العقود والشرط : هو أن يشترط البائع على قام الدليل من الشرع على منعه وقد خالفه فى هذا الأصل الحنفية وأكثر الشافعية وأصحاب مالك فقالوا : الأصل فيها الحظر الا ما ورد الشرع باجازته ، ولكل أدلة لا يتسع لها هذا المقال الموجز .

وقيل فى تفسير النهى عن البيع والشروط فيها عنده هو الاباحة الا ما المشترى ألا يبيع السلعة ولا يهبها ،

---

(١) رواه أحمد والنسائى وصححه الترمذى وابن حبان .
(٢) فتح القدير جـ ٥ : ٢١٨

وقيل أن يقول : بعتك هذه السلعة بكذا على أن تبيعنى السلعة الفلانية بكذا ـ كما ذكر فى الغيث ـ وفى النهاية : معنى لا يحل بيع وسلف : أن يقول بعتك هذا بألف على أن تسلفنى ألفا فى متاع ، أو على أن تقرضنى ألفا ، لأنه يقرضه حينئذ ليحابيه فى الثمن .. فمن جهة يكون قرضا جر نفعا وهو ربا ، ومن جهة أخرى تكون هذه محاباة لولا السلف ما تمت ، وهى لا يعلم قدرها على وجه التحديد ، فتدخل فى حد الجهالة المفضية الى المنازعة وهى مفسدة للبيع .

قد استثنى الشافعى من البيع والشرط المحظور مسألة واحدة وهى أن يبيع البائع عبدا أو أمة ويشترط عتقها .. لما فى هذا من تيسير الحرية لطلابها فان الشريعة تسعى من جانبها الى فتح منافذ واسعة وعميقة للتحرر من سلطة المالكين وقد جعل الشافعى حديث النهى عن البيع والشرط مخصوصا بهذه المسألة استدلالا بقصة بريرة السابقة فان الرسول ما رد منها الا الولاء ، أما الحنفية فلم يخصوه واعتبروا أن البيع بشرط العتق بيع فاسد فلو أعتقه المشترى بعد ما اشتراه بشرط العتق صح البيع عند أبى حنيفة ،

وحجة الحنفية : أن حديث النهى عن البيع والشرط عام ، وحديث بريرة خاص وقد تعارضا فيرجح العام لأنه مانع والخاص مبيح بناء على قاعدتهم الأصولية « أن ما فيه الاباحة منسوخ بما فيه النهى » وخلاصة كلام الحنفية فى البيع والشرط : أن كل شرط لا يتنافى مع مقاصد العقد لا يفسده مثل شرط الملك للمشترى فى الثمن مثلا ، وكل شرط لا يقتضيه العقد ويتعارض مع آثاره المشروعة بأن كان فيه منفعة لأحد المتعاقدين أو للمعقود عليه اذا كان من أهل الاستحقاق يفسده كالشرط بألا يبيع المشترى ما اشتراه مثلا الا اذا كان شرطا أجازه العرف العام ولم يعارضه نص خاص ، لأن الثابت بالعرف قاض على القياس مثل بيع النعل بشرط التشريك ، وكل شرط لا يقتضيه العقد ولا منفعة فيه لأحد من المتعاقدين ولا للمعقود عليه بأن لم يكن من أهل الاستحقاق ، لا يفسد البيع لأنه لا يفضى الى منازعة » كما عرف فى بيان أسباب الشرائع وذلك مثل شرط ألا يبيع المشترى الدابة لأنه لا مطالب بهذا الشرط فلا يؤدى الى ربا ولا منازعة ، أما الحنابلة فقد أجازوا كثيرا من

الشروط مع العقد وهى التى لا تتعارض مع الغرض الأساسى من العقد .. فجوزوا أن يشترى المشترى الجارية مثلا بشرط ألا يبيعها المشترى الا لبائعها الأول .. كما يصح أن يشترط دفع مثل الثمن الأول فى هذه الحالة استدلالا بما روى عن عمر وابن مسعود وامرأته زينب ، واحتجاجا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم اشترى بعير جابر رضى الله عنه واستثنى منه ظهره ليحمله (١) الى المدينة ؟

**د. محمد محمد الشرقاوى**

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ٣ : ٣٤٤

# حماية الإسلام للنفس الآدمية

للدكتور محمد جمال الدين عواد

ان الله سبحانه كرم الانسان خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعا منه وجعله خليفته عنه وزوده بالقوى والمواهب ليسود الأرض وليعمر الى أقصى ما قدر له من كمال مادي وارتقاء روحي •

ولا يمكن أن يحقق الانسان أهدافه ويبلغ غايته الا اذا توافرت له جميع عناصر النمو وأخذ حقوقه كاملة ولا شك في أن في مقدمة هذه الحقوق حق الحياة وهذا حق واجب للانسان من حيث هو انسان بقطع النظر عن لونه أو دينه أو جنسه أو وطنه أو مركزه الاجتماعي قال تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » وأخرج البخارى عن ابن عمر : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : (ان الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم الا بحقها كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا – ألا هل بلغت ) (١) •

وعن أبي هريرة في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه ) (٢) أخرجه مسلم وقال الله تعالى : ( ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ) (٣) •

والحق الذي تزهق به النفوس هو ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم في

---

(١) نصب الراية جـ ٤ ص ٣٢٥

(٢) سبل السلام جـ ٤ ص ١٩٤

(٣) الآية ٣٣ من سورة الاسراء •

قوله عن ابن مسعود رضى الله عنه ( لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله الا باحدى ثلاث : الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ) متفق عليه (١) •

ولقد توعد القرآن الكريم من ينتهك حرمة هذا الحق فقال عز اسمه ( ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما ) (٢) •

فهذه الآية تقرر أن عقوبة القاتل فى الآخرة العذاب الأليم والخلود المقيم فى جهنم والغضب واللعنة والعذاب العظيم ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنه لا توبة لقاتل مؤمن عمدا للآية التى ذكرناها وهى آخر ما نزل ، قال ابن عباس ولم ينسخها شىء ـ لأن لفظ الآية الخبر والأخبار لا يدخلها نسخ ولا تغيير لأن خبر الله تعالى لا يكون الا صدقا (٣) •

ولما دل عليه عموم الآية السالفة الذكر : من خلود قاتل المؤمن عمدا فى النار : ذهب بعض العلماء منهم المعتزلة الى عدم قبول توبته وقوفا عند ظاهرها ـ وفى معناها من الأحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم : « كل ذنب عسى الله تعالى أن يغفره الا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا » (٤) وقد روى ذلك عن ابن عباس وزيد بن ثابت والضحاك وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقى الله عز وجل مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ) ـ رواه أحمد وابن ماجه (٥) • ذلك أن القتل هدم لبناء أراده الله وسلب لحياة المجنى عليه واعتداء على عصبته الذين يعتزون بوجوده وينتفعون به ويحرمون بفقده العون وكما حذر الاسلام من قتل المسلم للمحافظة على حياته حذر كذلك من قتل الذمى ـ فقد جاءت

---

(١) سبل السلام جـ ٣ ص ٢٣١
(٢) الآية ٩٣ من سورة النساء •
(٣) المغنى الحنبلى جـ ٧ ص ٦٣٦
(٤) نيل الأوطار جـ ٧ ص ١٩٦
(٥) نيل الأوطار جـ ٧ ص ١٩٦ ، تفسير الآلوسى جـ ٥ ص ١٠٤ ، ١٠٥

الأحاديث مصرحة بوجوب النار لمن قتله ـ فقد روى أحمد والبخارى والنسائى وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما » وروى محمد بن الحسن رحمهما الله باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أقاد مؤمنا بكافر وقال عليه الصلاة والسلام (أنا أحق من وفى ذمته ) وتأسيا بهذا الهدى الكريم قال صاحب البدائع معبرا عن مدى احترام الاسلام لدماء أهل الذمة ـ ( وأن تحقيق معنى الحياة فى قتل المسلم بالذمى أبلغ منه فى قتل المسلم بالمسلم لأن العداوة الدينية تحمله على القتل خصوصا عند الغضب (١) .

على أن الباحث المتأمل فى هدى السماء يرى أنه لم يترك الانسان لنفسه مضيعة بل حذره ونهاه من سفك دم نفسه رعاية لهذه الحماية الخالدة : قال تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما » ولم يكن قتل الانسان لنفسه الا نوعا من قتل النفس التى حرمها الله وهو جدير فى نظر العقل أن يكون أفظع أنواع القتل لأن حرص الانسان على حياته أمر طبيعى وليس من شأنه أن تثور عليه عوامل الغضب والانتقام واذا كان جزاء من اعتدى على حق حياته هو ما علمناه من الآيات والأحاديث التى وردت فى ذلك فان الرسول صلى الله عليه وسلم يصور لنا جزاء هذا المنتهك بصورة تفعل فى النفوس مالا تفعله الأحاديث السابقة فمن ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » (٢) .

ومن ذلك ما روى عن أبى هريرة قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فقال لرجل ممن يدعى الاسلام ( هذا من أهل النار )

---

(١) البدائع جـ ٧ ص ٢٣٧

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ١١٨

فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة فقيل يا رسول الله الرجل الذى قلت له آنفا انه من أهل النار قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبى صلى الله عليه وسلم ( الى النار ) فكاد بعض المسلمين أن يرتاب فبينما هم على ذلك اذ قيل انه لم يمت ولكن به جراحا شديدا فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال ( الله أكبر أشهد أنى عبد الله ورسوله فنادى فى الناس أنه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ) (١) •

فقد دلت هذه الأحاديث الشريفة على التخليد فى النار لمن قتل نفسه ـ لكن قد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان (٢) •

وقال الشوكانى فى نيل الأوطار ما نصه : ان الأحاديث القاضية بخروج الموحدين من النار متواترة المعنى كما يعرف ذلك من له المام بكتب الحديث : فهى تدل على خروج كل موحد سواء كان ذنبه القتل أو غيره (٣) •

وبجانب ما ذكرناه من حماية هناك حماية أخرى لابد منها وقد كانت تلك هى قتل القاتل جزاء وفاقا لما قدمت يداه • والاسلام لا ينظر الى هذه العقوبة على أنها انتقام من القاتل وقصاص للعدالة فحسب بل ينظر اليها على أنها وسيلة للزجر وصيانة لحق الانسان فى الحياة وضمان لاستقرار العمران وفى هذا يقول القرآن الكريم فى عبارة موجزة لطيفة : ( ولكم فى القصاص حياة ) الآية • قال صاحب تفسير المنار فالآية الحكيمة قررت أن الحياة هى المطلوبة بالذات فان القصاص وسيلة من وسائلها لأن من علم أنه اذا قتل نفسا يقتل بها يرتدع عن القتل فيحفظ الحياة على من أراد قتله وعلى نفسه والاكتفاء بالدية لا يردع كل أحد عن سفك دم

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ١٢٥

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٣٧

(٣) نيل الأوطار جـ ٧ ص ٢١٠

خصمه ان استطاع فان من الناس من يبذل المال الكثير لأجل الايقاع بعدوه ـ وفى الآية من براعة العبارة وبلاغة القول ما يذهب باستبشاع ازهاق الروح فى العقوبة ويوطن النفس على قبول حكم المساواة اذ لم يسم العقوبة قتلا أو اعداما بل سماها مساواة بين الناس تنطوى على حياة سعيدة لهم [1] .

ومما تقدم ذكره يتضح لنا جليا أن الاسلام يحترم الحياة الانسانية احتراما كاملا وأنه قد شرع العقاب من القاتل لحماية حق الحياة بقطع النظر عن جنس القتيل وسنه ومنزلته ودينه ؟

والله سبحانه أعلم .

**د. محمد جمال الدين عواد**

---

(١) تفسير المنار ج ٢ ص ١٤٦

# القواعد الدستورية في الإسلام

للدكتور عبد العزيز عبد الرازق صبري

قبل أن نعرض للقواعد الدستورية فى الاسـلام ، نرى لزاما علينا أن توضـح أن الدسـتور هو مجمـوعة القواعد التى تنظم شكل الدولة ونظام الحكم فيها وكيفيـة توزيع السلطات بين هيئاتها المختلفة وتضـع الضمانات الأساسـية لحقـوق الأفراد وتحـدد الواجبات المفروضة عليهم ، وبالتـالى جميع القواعد والمبـادىء التى تنبثق عنها قوانين الدولة بأسرها ، وأهم هذه الضمانات والمبادىء ، مبدأ الشورى، ومبـدأ الحـرية ، ومبـدأ المسـاواة والعدالة .

فاذا ما رجعنا الى الشريعة الاسلامية وجدنا أن أصول هذه المبادىء كلهـا ثابتة فى القرآن الكريم ومنـه تلألأ نورها وشـقت طريقهـا الى مختلف دساتير العالم ، وهذا هو ما سـنتابعه الآن :

**أولا ـ مبدأ الشورى :**

والشورى هى عبارة عن أخذ رأى ذوى الكفاية والخبرة من أهل الحل والعقد فى كافة الأمـور التى يتراءى لولى الأمر أنها تتصل بمصالح الدولة والشعب سواء من الناحية السـياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أوالثقافية

ونظرا لأن الشورى هى من الأسس القويمة التى يقوم عليها بناء المجتمع المثالى السليم ، لذلك فقد نادت بهـا الشريعة الاسلامية وجاءت بهانصوص القرآن الكريم فقال الله تعالى فى كتابه العزيز فى سـورة آل عمران « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » ـ آية ١٥٩ ـ وقال عـز

وجل أيضا فى سورة الشورى : « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » آية ٣٨ - وعلى هذا الأساس كانت الشورى هى الدعامة التى يرتكز عليها أصل من أصول التشريع الأربعة المعتمدة فى الاسلام • وهو الاجماع ، اذ لا يكون الاجماع على أمر الا بعد تمحيصه وتقليب وجوه الرأى فيه بين أهل الحل والعقد حتى تلتقى آراؤهم جميعا على رأى معين • فيقال إنه هو الذى انعقد عليه الاجماع •

ولقد أخذت معظم الدساتير الوضعية فى مختلف دول العالم الاسلامية وغير الاسلامية بمبدأ الشورى وذلك عن طريق النص فيها على تكوين مجالس نيابية تكون العضوية فيها بطريق التعين من الملك أو رئيس الدولة • أو بطريق الانتخاب أو بالطريقتين معا وتضم عادة نخبة ممتازة من أهل الرأى والكفاية والخبرة فى مختلف الشئون السياسية والاجتماعية والاقتصادية •وتكون مهمتها الأساسية ابداء الرأى فى كافة ما يعرض عليها من المسائل من جانب الحكومة أو ولى الأمر ويكون رأيها فى بعض الأحيان استشاريا • وفى البعض الآخر ملزما •

ومن هذه الدساتير فى الدول الاسلامية • الدستور المصرى الصادر فى سنة ١٩٢٣ والذى استبدل فيمابعد بدستور سنة ١٩٥٦ • وكذلك الدستور اللبنانى الذى نص فيه على انشاء مجلس يسمى مجلس النواب وبالمثل الدستور السورى الصادر سنة ١٩٥٠ • والذى نص فيه أيضا على انشاء مجلس نيابى هو مجلس النواب والدستور الأردنى الصادر سنة ١٩٥٢ والدستور العراقى سنة ١٩٥٨ • أما المملكة العربية السعودية فقد اتخذت من القرآن الكريم دستورا لها وبالتالى فقد أخذت بمبدأ الشورى فنص فى القسم الرابع من دستور المملكة الحجازية الذىأعلنه جلالة المغفور له الملك عبد العزيزآل سعود علىتأسيس مجلس يسمى مجلس الشورى فى عاصمة الحجاز وهى مكة المكرمة •

ومن دساتير الدول غير الاسلامية التى أخذت بمبدأ الشورى وذلك على سبيل المثال فقط لا على سبيل الحصر • الدستور الفرنسى الصادر سنة ١٧٨٩ والدستور الانجليزىالذىيرجع أصله

الى العهد الأعظم الذى منحه الملك جون لشعبه سنة ١٢١٥ م • ثم دستور الولايات المتحدة الأمريكية الصادر سنة ١٧٧٤ والدستور الايطالى الصادر سنة ١٩٤٧ وغيرها •

وكل هذه الدساتير تنص على تشكيل مجالس نيابية تقوم الى جانب رئيس الدولة والحكومة للاسترشاد برأيها فى المسائل الفنية التى تحتاج الى الكفاية والخبرة وتمس مصالح الدولة والشعب • وليس هذا سوى مبدأ الشورى الذى كان للشريعة الاسلامية فضل السبق فى اقراره على نحو ما سبقت الاشارة اليه •

ومن المبادىء الدستورية أيضا التى جاء بها الاسلام • مبدأ الحرية بأنواعها • ثم مبدأ العدالة والمساواة بين الناس •

والحرية تشمل الحرية الشخصية والحرية الدينية وحرية التملك • وهذه الحرية بأنواعها هى من المبادىء الجوهرية التى أرست الشريعة الاسلامية قواعدها •

فأما الحرية الشخصية فهى أن يكون الشخص حرا فى تنقلاته وغدوه ورواحه • ثم فى أقواله وأفعاله وآرائه • أى أنه يكون حرا فى اقامته وترحاله وأن يفعل ما يشاء ويبدى من الأقوال والآراء ما يشاء ولكن ذلك كله بشرط واحد هو أن لا يتعدى حدود الشرع أو القانون بمعنى أنه اذا ما أتى فعلا يعد جريمة عوقب من أجله • واذا ما تفوه بأقوال أو آراء من شأنها اثارة الفتن والقلاقل أواشاعة الفحشاء بين الناس فانه يمنع من ذلك بالقوة وينزل به العقاب الرادع • ولذلك نرى أن الصحافة وهى المرآة التى تنعكس عليها آراء ذوى الرأى والمفكرين من الأمة فى مختلف دول العالم تتمتع دائما بحرية كاملة فى حدود القانون أيضا أى أنها تكون حرة فى نشر ما تشاء وما تراه صالحا للنشر بشرط أن لا يكون من شأنه التحريض على اثارة القلاقل والفتن أو الخروج على القانون أو اشاعة الفحشاء بين الناس أو نشر الآراء والأفكار الهدامة التى تودى بالمجتمع وتقوضه من أساسه •

واذا قلنا ان الانسان يجب أن يكون حرا فى حدود القانون والشرع • فان هذا القيد هو جزء لا يتجزأ من الحرية ذاتها ؟ اذ مؤداه تحرير

النفس من سيطرة الأهواء والشهوات وجعلها خاضعة لسلطان العقل والايمان • وهذه هى الحرية الحقيقية • ولذلك دعا الاسلام الى تحرير النفوس من هذه السيطرة وندد بالذين يتبعون أهواءهم • فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » وقال عليه السلام أيضا : « ليس الشديد بالصرعة ( أى الذى يصرع الرجال ) انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » •

وأما الحرية الدينية فهى أن يكون الشخص حرا فى دينه وعقيدته • ولكنا نبادر هنا فنقرر أنه ليس معنى ذلك أن يكون الانسان حرا فى أن يرتد عن دين الاسلام بل انه ان فعل ذلك أهدر دمه ولكن معناه احترام حرية العقيدة احتراما كاملا ومنع الاكراه فى الدين • وقد نفى القرآن الكريم بصريح النص أن يكون الاكراه طريقا للدين • ومنع المؤمنين من أن يكرهوا أحدا على الدين • وخوطب النبى صلى الله عليه وسلم بهذا النص المانع فى قوله تعالى فى سورة يونس : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ــ آية ٩٩ ــ وقال تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » سورة البقرة آية ٢٥٦

وقد عمل الاسلام على حماية عقيدة الذين يستظلون بظله أو يعقدون معه عهدا أو لا يثيرون عليه حربا • بل انه سهل لهم القيام بشعائر دينهم • وقد قرر فقهاء المسلمين فيما استنبطوه من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية ومن أعمال الرسول وصحابته قاعدة تقول : « أمرنا بتركهم وما يدينون » وبهذه القاعدة المجمع عليها بين فقهاء المسلمين حميت حرية العقيدة فى ظل الاسلام •

وأما حرية التملك فهى أن يكون الانسان حرا فى أن يمتلك ما يشاء وأن يتصرف فى ملكه كيف يشاء دون أن يعتدى على ملك غيره أو يسىء استعمال حق ملكيته •

ولا يعترض فى هذا المجال بأن الاسلام يبيح الرق•وهو أمر يتعارض مع الحرية الشخصية ، اذ يرد على ذلك بأن الرق ما أبيح فى الاسلام على أنه مبدأ من مبادئه ، ولم يرد نص

فى القرآن الكريم بإباحته ، ولم يثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم أنشأ رقا على حر فى حياته عليه السلام ، وانما أجيز الرق فى أضيق الحدود فى حالة الحرب ، ومن باب المعاملة بالمثل اذا ما استرق أعداء المسلمين أسراهم ، وهو ما فعله الصحابة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم عندما وجدوا أن الأعداء كانوا يسترقون الأسرى • وقد قال تعالى فى سورة البقرة : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ــ آية ١٩٤ ــ وقد كان هناك فارق شاسع بين رق الاسلام ورق أعدائه ، فالرقيق فى الاسلام يعامل أرفق معاملة ، ولا تسقط عنه كل حقوقه ، ولا فرق بينه وبين الحر فى المعاملة الا من حيث ملكية رقبته ــ ومن أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام : « من قتل عبده قتلناه ومن جدعه جدعناه » • كما أن الاسلام جدعه جدعناه » • كما أن الاسلام فتح باب العتق على مصراعيه واعتبره من أقرب القربات الى الله تعالى فجاء فى سورة البلد قوله تعالى : « فلا اقتحم العقبة •وما أدراك ما العقبة•فك رقبة» بل ان الاسلام جعل العتق كذلك كفارة الكثير من الذنوب كمن يحنث فى يمينه أو يفطر يوما فى رمضان عمدا أو من يقتل مؤمنا خطأ ، فعلى كل من هؤلاء عتق رقبة •

هذا هو مبدأ الحرية الذى سبق الاسلام الى ارساء قواعده وأخذته عنه جميع دساتير العالم •

وأما المساواة فمعناها أن يكون جميع الناس سواء فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات ، وقد قال الله تعالى فى سورة النساء : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » آية ١ ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناس سواسية كأسنان المشط » ، كما قال عليه السلام أيضا : « كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » ، كذلك لا تفاضل بين الناس بالألوان ، فالاسلام لا يقر التفرقة العنصرية ، بل ان الأبيض فى نظره كالأسود على سواء لا تفاضل بينهما الا بالتقوى ــ وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الجنة لمن أطاعنى ولو كان عبدا حبشيا والنار لمن عصانى ولو كان شريفا قرشيا » ، كما يروى أن رجلا من أصحاب الرسول عليه السلام عير آخرا بسواد أمه بأن قال له يا ابن السوداء ، فغضب النبى صلوات الله

وسلامه عليه وقال : « لقد طفح الكيل ، لقد طفح الكيل ، لقد طفح الكيل ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل ، ولا فرق بين دين ودين في تكريم الانسان حيا أو ميتا» .

وأما العدالة فهى اعتبار الناس جميعا سواء في المعاملة ، وان كان ثمة تفاضل فبالأعمال والجزاء عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر . ولقد نادى الاسلام بالعدالة وجعلها الدعامة الأساسية التي تقوم عليها كل علاقة انسانية في ظله ، ونزلت الآيات الكريمة تترى في كتاب الله للحث على اقرار العدالة حتى بين الأعداء ، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز في سورة المائدة : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » آية ٨ ـ وقال تعالى في سورة النساء : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم » ـ آية ١٣٥ ـ كما قال جل وعلا كذلك في سورة النحل : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » ـ آية ٩٠

ومن الأحاديث المتضافرة التي تحث على العدل والنهى عن الظلم قوله صلى الله عليه وسلم : « من مشى مع الظالم خرج من الاسلام » وقوله عليه الصلاة والسلام أيضا حكاية عن ربه : « ياعبادى انى قد كتبت العدل على نفسى فلا تظالموا » .

وواضح من مدلول هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن الاسلام ينادى بالمعاملة بين الناس على قدم المساواة ، والابتعاد عن الظلم والمفاضلة بين الناس بلا مبرر ، وقد كان الخلفاء الراشدون وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يحرصون كل الحرص على اقامة العدل بين كل من يستظلون بظل الاسلام حتى ولو كانوا من غير المسلمين . وكان رضى الله عنه يبث العيون على ولاته ليعرف مقدار اقامتهم للعدل في رعاياهم ، وأول ما يهتم بالسؤال عنه هو معاملتهم لأهل الذمة ، كما كان رضى الله عنه لا يمتنع عن القصاص ممن يظلمهم حتى ولو كان هو الوالى نفسه ، ويروى في هذا أن ابن عمرو بن العاص والى مصر تسابق مع شاب مصرى فسبقه الشاب ، فعلاه ابن عمرو بالسوط وقال له : « أتسبق ابن الأكرمين » ، فشكا الشاب القبطى الى عمر فأحضر عمروا وابنه ، وأمر

الشاب القبطى أن يضرب ابن عمرو حتى يشتفى لنفسه فضربه وعمر يطلب الزيادة منه كلما سكت ويقول له : « زد ابن الأكرمين » .

وكما أخذت الدساتير الوضعية عن الشريعة الاسلامية مبدأ الشورى ، فقد أخذت عنها أيضا مبدأ الحرية والعدالة والمساواة ، وعلى سبيل المثال ما نص عليه الدستور الأردنى فى المواد من ٥١ الى ٥٣ منه على أن : « للأردنيين الحقوق الأساسية من مساواة وحريات مختلفة وعدالة اجتماعية » ، كذلك نص الدستور اللبنانى فى المادة التاسعة منه على أن : « حرية العقيدة مطلقة ، وأن الدولة تكفل حرية اقامة الشعائر الدينية وغيرها من الحقوق الأساسية الأخرى » ، وكذلك الدستور المصرى فقد نص فى الباب الثالث على : « المساواة بين المصريين دون تمييز بينهم بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة ، وكذلك الحرية الشخصية ، وحرية الرأى والمساواة بين المصريين جميعا فى الضرائب والتكاليف المالية » . وهكذا لم يخل أى دستور من دساتير العالم من تلك المبادىء القويمة التى جاءت بها الشريعة الاسلامية وأصبحت نبراسا للعالم كله؟

الدكتور عبد العزيز صبرى

# كنوز فى أرض وبحر مصر

للأستاذ محمد كمال السيد

ننقل هنا من كتب التراث بعض فقرات قد تنير الطريق أمام العاملين فى شئون التعدين عما فى أرض وبحر مصر من خيرات مجهولة أو كنوز مدفونة .

ولا أقطع جزما بوجود شىء ، فلست من العاملين بهذا العلم، ولكنه استعراض لأقوال بعض القدماء من علماء العرب، ولا ينكر ما كان لهم من نشاط علمى مذكور فى شتى نواحى المعرفة .

والتعدين فى مصر الآن لا يسعنا أن نقول الا أنه متباطىء والحجة نقص الامكانيات ، والحجة مرفوضة ، فأولى خطوات التعدين هى البحث ، والبحث عن المعادن -فيما عدا البترول- لا يكلف كثيرا ، فاذا وصلنا الى تحقيق وجود معدن معين ، فهنا التدبر فى امكانيات استغلاله .

وربما كان هذا التباطؤ يرجع الى قلة المهندسين المتخصصين ، فاقبال الطلبة على أقسام التعدين بكليات الهندسة محدود ، لعدم وجود مقابل مجزى لعملهم فى الصحراء فى مناطق نائية عن المدنية ووسائل الترفيه .

ونحن الآن مقبلون على عهد نشيط من التنمية الاقتصادية الجادة ويهمنا استغلال كل ما فى أراضينا وبحارنا من خيرات .

**الحديد :**

ورد فى تقويم النيل لأمين باشا سامى ( جـ ٢ ص ٣٦٥ ) ما يأتى :

صدر فى ٢٢ ذى القعدة سنة ١٢٤٥ هـ ( ١٨٣٠/٥/٢٦ م ) أمر من محمد على الى رئيس الديوان الخديوى نصه : ( علم من ناظر المهمات الحربية بناء على ما ورد من ابراهيم باشا سر عسكر مورة وجود معدن حديد بين

وادى حلفا واسنا • وأنه اذا خلط بحديد كسر المدافع والجلل ينتج منه معدن أصفر ••• ويأمر باجراء العمل تحت مباشرة الخواجة دالماس والمهندس غالوه ، وارسال فرن للجهة المذكورة ، وآخر لمحل المعدن الكائن أمام الفشن السابق استكشافه ، وعمل شيشانى ( يعنى معدلات ) عن هذا وذاك ، مع استعمال الفحم الحجرى ، وارسال بيان واضح فيه بيان ما يصرف وما ينتج من المعدن الأصفر ) •

وبعد ثورة يوليه سنة ١٩٥٢ بدىء فى استغلال الموقع الأول عند أسوان لتشغيل مصنع الحديد والصلب فى حلوان ، ولا يزال الموقع الثانى عند الفشن بدون استغلال ، وهو لا يبعد عن حلوان بأكثر من ١٥٠كيلو مترا •

وعندما كنت مقررا للجنة الصناعة للاتحاد القومى بمحافظة بنى سويف سنة ١٩٦٠ ، تقدمت بمذكرة الى مؤتمر الاتحاد القومى للجمهورية العربية المتحدة باقليميها الشمالى والجنوبى ـ وكانت الوحدة بين مصر وسوريا قائمة ـ باحتمال وجود خام الحديد شرقى النيل أمام مركز الفشن بمحافظة بنى سويف • وبينت فى المذكرة الأسباب التى دعتنى الى ترجيح هذا الاحتمال ، وهى اسباب منطقيه وتاريخية أكثر منها علمية :

١ ـ يوجد شرقى النيل أمام بندر الفشن قرية اسمها دير الحديد تابعة لزمام الحيبة[1] مركز الفشن ، كما أنه يوجد هناك جبل الحديد البحرى، وجبل الحديد القبلى ، **وهذه الأسماء** قديمة وتاريخية ، وما وصفت الأسماء القديمة اعتباطا بل لابد لمسميات حقيقية •

٢ ـ ثبت وجود خام الحديد بجبل القلالة ( جنوب غربى السويس ) ، ولو أنه بنسبة ضئيلة غير اقتصادية ، وجبل القلالة متصل بجبل الحديد البحرى الذى يصل أمام مركز الفشن •

٣ ـ يوجد على مسافة بضعة كيلومترات شرقى قرية دير الحديد المذكورة آثار معبد قديم من عهد رمسيس الثانى ، والمعابد لا تنشأ عادة الا فى مناطق عامرة بالسكان ، فلابد

---

(١) الحيبة قرية قديمة ترجع الى عهد الفراعنة واسمها الفرعونى هيبثنن •

أنه كان هناك عمران بهذه المنطقة .
ويحدثنا التاريخ أن الحيثيين سبقوا المصريين الى اكتشاف الحديد واستعماله فى الأسلحة الحربية ، مما أعطاهم التفوق العسكرى ، ثم أمكن للمصريين معرفة سر الحديد ، فاستعادوا تفوقهم ، وكان هذا فى عهد الدولة الحديثة من تاريخ مصر الفرعونية التى بدأت بالأسرة السابعة عشر التى طردت الهكسوس .

٤ - ما حدثنى عنه الكثيرون ممن ارتادوا هذه المنطقة عن لون التراب هناك أنه مائل للحمرة .

وطالبت فى المذكرة بقيام بعثة تعدينية للبحث عما فى هذه المنطقة من خيرات مع ترجيح وجود الحديد ، وأننا كنا فى عهد الاستعمار نبحث عن المعادن غالبا عند شواطىء البحر الأحمر لتكون سهلة التصدير للخارج ، أما الآن ونحن فى مجال التصنيع فيجب أن نركز اهتمامنا أولا فى البحث عنها بجوار الوادى الآهل بالسكان ، لاستعمال ما يكتشف فى مجال التصنيع ، لما فى ذلك من سهولة النقل النهرى ، مع تيسير الحياة للمهندسين والعاملين فى حقل التعدين، وقد ذكرنا قرب هذه المنطقة لحلوان.

وتبنى محافظ بنى سويف الفكرة، وأرسل من أخذ عينة لتحليلها ، وأثبت الفحص المبدئى وجود مادة الكاولين احدى مشتقات الحديد ، وتستعمل فى عمل الطوب الحرارى الذى تبنى به المداخن وأفران المصانع ، وغير ذلك .

ثم عثرت فى تقويم النيل على الفقرة السابق ذكرها فازددت اقتناعا بالفكرة.

وبعد اتصالات عديدة بالمسئولين وقتذاك ومنهم المرحوم الدكتور رياض حجازى وكيل وزارة الصناعة لشئون التعدين ، قامت بعثة سنة ١٩٦٣ وأثبتت وجود الحديد هناك وبنسبة طيبة .

ومضت هذه السنوات دون أن نجد لهذا أى أثر أو مجهود .

**المرمر :**

واستكمالا لموضوع المذكرة المذكورة ، يوجد طريق أمام محافظة بنى سويف عبر الصحراء الشرقية ينتهى شرقا الى منارة زعفرانة على خليج السويس ، بالقرب من رأس بكر أحد حقول البترول ، وطول

هذا الطريق من النيل للبحر الأحمر ١٣٠ ك•م تقريبا ، وكان يعرف بطريق المهربين حيث كانوا يستعملونه فى تهريب المخدرات ، وبالقرب من نهايته الشرقية توجد محاجر قديمة للمرمر وهو من أفخر أنواع الرخام ، وكانت هـذه المحاجر مستعملة فى أيام الرومان ، ثم أهملت لبعد مسافتها ، كما أنه يوجد بهـذا الطريق خمس عيون ماء صالحة للشرب ( خريطة قديمة لمصلحة المساحة المصرية سنة ١٩٠٣ ) •

فطلبت تعبيد هذا الطريق لامكان استغلال محاجر المرمر ، وانشاء مصيف لمحافظة بنى سويف والصعيد على البحر الأحمر ، ولتنشيط صيد الأسماك البحرية لتوفير الأغذية •

والمرمر والرخام والجرانيت جميعها متوفرة فى أنحاء الجمهورية ، ويمكن اذا نشطت صناعتها من تقطيع وصقل وتشكيل ، أن تكون مصدر ايراد كبير من العملات الصعبة ، سواء من أوربا أو الدول العربية والافريقية •

وكنا الى عهد قريب نستورد حاجتنا من الرخام من ايطاليا وبلجيكا ، فلما قيد استيراده ارتفع سعره فى الداخل ارتفاعا كبيرا •

وجدير بالذكر أن جميع الرخام المستعمل فى جامع محمد على بالقلعة جميعه من محاجر بنى سويف •

**تكرير البترول :**

كما طالبت فى المذكرة المذكورة أنه عند التوسع فى صناعة تكرير البترول، ينشأ مصنع للتكرير ببنى سويف ، ينقل اليه بترول رأس بكر وغيره فى خط أنابيب مع الطريق المذكور ، بدلا من نقله الى السويس لتكريره،وكانت صناعة التكرير قائمة فى السويس قبل العدوان ، فتكون بنى سويف مركزا للتوزيع فى الصعيد ، ولما فى مصانع التكرير من صناعات تبعية يكون من السهل قيامها •

ومن جهـة أخرى فمن الناحيـة الاستراتيجية يحسن توزيع مصـانع التـكرير ، لاحتمـالات التخـريب أو التعطيل مع وجود العدو الاسرائيلى والمطامع الاستعمارية •

**غاز طبيعى :**

ذكر الجبرتى فى أواخر أخبـار سنة ١٢٥٥ هـ ( ١٨١٠ م ص ٨٠٦ من طبعة الشعب ) :

(وفيها ، وهو من الحوادث الغريبة أنه ظهر بالتل الكائن خارج رأس الصوة المعروفة الآن بالحطابة قبالة الباب المعروف بباب الوزير ، فى وهدة بين التلول ، نار كامنة بداخل الأتربة، واشتهر أمرها ، وشاع ذكرها ، وزاد ظهورها فى أواخر هذه السنة ، فيظهر من خلال التراب ثقب ، ويخرج منها الدخان بروائح مختلفة كرائحة الخرق البالية ، وغير ذلك ، وكثر ترداد الناس للاطلاع عليها أفواجا ، نساء ورجالا وأطفالا ، فيمشون عليها وحولها ، ويجدون حرارتها تحت أرجلهم ، فيحفرون قليلا ، فتظهر النار مثل نار الدمس فيقربون منها الخرق والحلفاء ونحو ذلك . فتدق النار فيها وتورى ، ويصعد منها الدخان ، وان غوصوا فيها خشبة أو قصبة احترقت ، ولما شاع ذلك ، وأخبر بها كتخدا بك ، نزل اليها (١) بجمع من أكابره وأتباعه وغيرهم ، وشاهد ذلك ، فأمر والى الشرطة بصب الماء عليها ، واهالة الأتربة من أعالى التل فوقها ، وأحضروا السقائين ، وصبوا عليها بالقرب ماءا كثيرا ، وأهالوا عليها الاتربة ، وبعد يومين صارت الناس المتجمعة والأطفال يحفرون تحت ذلك الماء المصبوب قليلا ، فتظهر النار ، ويظهر دخانها ، فيقربون منها الخرق والحلفاء واليدكان فتورى وتدخن ، واستمر الناس يغدون ويروحون للفرجة عليها نحو شهرين ، وشاهدت ذلك من جملتهم ، ثم بطل ذلك ) اهـ

وذكر المقريزى فى الخطط ( جـ ١ ص ١٨٠ فى الكلام على تنيس على بحيرة المنزلة : ( وفى ليلة الجمعة ١٨ ربيع الأول سنة ٣٩٧ هـ ( = ١٠٠٦/٧/١٢ م ) شاهد أهل تنيس تسعة أعمدة من نار تلتهب فى آفاق السماء ، من ناحية الشمال ، فخرج الناس الى ظاهر البلد يدعون الله تعالى حتى أصبحوا ، فخبت تلك النيران ) ا هـ .

**الزمرد ومعادن اخرى :**

فى القاموس المحيط والمصباح المنير أن الزمرذ بالذال المعجمة أى ( المنقوطة ) وأن نطقها بالدال المهملة تصحيف.وأن الزمرذ هو الزبرجد .

(١) كتخدا معناها الوكيل ـ وحرفتها العامة الى كيخيا ـ وكتخدا بك وكيل الباشا الوالى ـ وهى وظيفة أقرب لوظيفة رئيس الوزارة ـ وكان الباشا الوالى محمد على وكتخدا بك محمد بك لاظاوغلى .

وقوله نزل اليها يعنى من القلعة التى كانت مقرا للحكم .

ذكر المقريزى فى الخطط ج ١ ص ١٩٤ ) فى الكلام عن البجة :

( اعلم أن أول بلد البجة من قرية تعرف بالخربة معدن الزمرذ فى صحراء قوص وبين هذا الموضع وبين قوص نحو من ثلاث مراحل )

ثم قال نقلا عن الجاحظ ( أنه ليس فى الدنيا معدن الزمرذ غير هذا الموضع • وهو يوجد فى مغاير بعيدة مظلمة يدخل اليها بالمصابيح وبحبال يستدل بها على الرجوع خوف الضلال • ويحفر عليه بالمعاول • فيوجد فى وسط الحجارة وحوله غشيم دونه فى الصبغ والجوهر ) •

ثم قال : ( وبلدانهم – يعنى البجة – كلها معادن ، وكلما تصاعدت كانت أجود ذهبا وأكثر • وفيها معادن الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغناطيس والمرقشيتا والحمست والزمرذ وحجارة شطبا • فاذا بلت الشطبة منها بزيت أوقدت مثل الفتيلة، وغير ذلك مما شغلهم طلب معادن الذهب عما سواه ) •

وقال المقريزى أيضا فى الخطط ( ج ١ ص ٢٣٣ ) فى الكلام عن قفط نقلا عن المسعودى : ( ومعدن الزمرذ فى عمل الصعيد الأعلى من مدينة قفط ومنها يخرج الى هذا المعدن • والمعدن الذى هو فيه يعرف بالخربة •• الخ ) •

كما ذكر ( ج ١ ص ٤١٥ ) أنه وجد فى تركة السيدة عبدة بنت المعز لدين الله ( توفيت سنة ٤٤٢ هـ أى بعد أبيها بسبع وسبعين سنة ) أردب من الزمرذ •

وقال القلقشندى فى صبح الأعشى ( ج ٢ ص ١٠٣ ) أن الزمرذ يكون بالذال المعجمة أو الدال المهملة • وقال ( ومعدنه الذى يتكون فيه فى التخوم بين مصر والسودان خلف أسوان من البلاد المصرية يوجد فى جبل هناك ممتد كالجسر فيه معادن • وبينه وبين قوص ثمانية أيام بالسير المعتدل • ولا عمارة عنده ولا حوله قريبا منه • والماء عنده على مسيرة نصف يوم أو أكثر فى موضع يعرف بغدير أعين • فمنها ما يوجد قطعا صغارا كالحصى منبثة فى تراب المعدن• وهى الفصوص • وربما أصيب العرق منه متصلا فيقطع • وهو القصب وهو أجوده ( يعنى قضيب الزمرذ ) •

وقال القلقشندى أيضا نقلا عن أبى الفدا أن صلاح الدين لما استولى على قصر الفاطميين بعد موت العاضد

آخر خلفائهم وجد به قصبة من الزمرذ طولها أربع أذرع أو نحوها.

وقضيب الزبرجد أو الزمرذ يذكرنا بقول أبى نواس :

تأمل فى نبات الأرض وانظر
الى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات
بأبصار هى الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

وذكر القلقشندى أنواع الزمرذ وتفاوتها فى القيمة .وأعلاها ما اشتدت خضرته . وبمقارنة ما ذكره عن قيمته وقيمة الماس . نجد أن ثمن القيراط من الجيد من الزمرذ ضعف ثمن القيراط من الماس .

وقال : ولم يزل العمل فى هذا المعدن الى اثناء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ( النصف الأول من القرن الثامن الهجرى - الرابع عشر الميلادى ) فترك لكثرة كلفته . ا . هـ

أقول : ولا أظن أن مكان الزمرذ مجهول . ففى خريطة لمصلحة المساحة المصرية سنة ١٩١٣ لمصر موقع عليها موقع مناجم قديمة للزمرذ والذهب .. وهذا الموقع جنوبى القصير بحوالى ١٥٠ ك . م . وشرقى جبل اسمه نقرس . وغربى البحر الأحمر بحوالى ٣٠ ك . م .

فهل يعاد البحث الآن بعد التقدم العلمى فى وسائل التعدين ؟؟

ولا بأس أن نذكر بعض ما كان يعتقده القدماء من خواص الزمرذ نقلا عن القلقشندى أنه اذا نظرت اليه الأفعى انفقأ بصرها . خصوصا الذبابى منه ( أعلى أنواعه قيمة وأشدها خضرة ) . وأنه من أدمن النظر اليه أذهب عن بصره الكلال . ومن تختم به دفع عنه داء الصرع . ولذلك كانت الملوك تعلقه على أولادها . واذا كان فى موضع لم تقربه ذوات السموم .

واذا سحل منه وزن ثمان شعيرات وسقيته شارب السم قبل أن يعمل السم فيه خلصه منه .واذا تختم به من به نفث دم أو اسهال منع ذلك . واذا علق على المعدة من خارج نفع من وجعها . وشرب حكاكته ينفع من الجذام !! .

**الزبرجد :**

اعتبره القلقشندى غير الزمرذ ـ فخالف بذلك صاحبى القاموس والمصباح ـ وذكره فى صبح الأعشى ( جـ ٢ ص ١٠٦ ) فقال : ( انه يتكون من معدن الزمرذ ولذلك يظنه الناس نوعا منه • الا أنه أقل وجودا منه ). ونقل عن أحمد بن يوسف التيفاشى من علماء القرن الثامن الهجرى أنه فى هذا الزمان فانه لا يوجد هذا المعدن أصلا • وانما الموجود بأيدى الناس فصوص تستخرج من الآثار القديمة بالاسكندرية • وأجوده الأخضر المعتدل الخضرة الحسن المائية الرقيق المستشف الذى ينفذه البصر بسرعة ودونه الأخضر المفتوح اللون •

وفى كتاب خواص الأحجار تأليف شمس الدين محمد الغسانى (مخطوط بدار الكتب طبيعيات تيمور رقم ١١٣ ص ٢٤ ) أن حجر الزبرجد أخضر مغلق اللون •وأخضر معتدل اللون • وهو أجودها • وليس فيه شىء من خواص الزمرد • ولكن ادمان النظر اليه يجلو البصر •

وفى كتاب كنز الاختصاص ودرة الغواص فى معرفة الخواص تأليف فخر الدين على الجلدكى ( مخطوط بدار الكتب طب تيمور رقم ٢٨٨ ص ١١٩ ) أن حجر الزبرجد فيه الأخضر المغلوق ، ويقل انه يوجد مع الزمرد حيث كان فى معدنه • وقيل انه يوجد ببعض الآثار القديمة بثغر الاسكندرية فى بقايا كنوز شداد وعاد !!

**اللؤلؤ :**

قال المقريزى فى الخطط ( جـ ١ ص ٢٠٢ ) فى الكلام عن صحراء عيذاب : أن عيذاب على ساحل البحر الأحمر •وبينها وبين قوص ١٧ يوما• وكانت طريقا للحجاج فى وقت من الأوقات يركبون منها البحر الى جدة، وفى بحر عيذاب مغاص اللؤلؤ فى جزائر قريبة منها • يخرج اليه الغواصون فى وقت معين من كل سنة فى الزوارق حتى يوافوه بتلك الجزائر • فيقيمون هناك أياما • ثم يعودون بما قسم لهم من الحظ • والمغاص فيها قريب القعر • ا هـ •

**المرجان :**

فى كتاب كنز الاختصاص السابق ذكره للجلدكى ص ١٠٦ : أن المرجان يسمى بالرومية قزولر (١) • وبالسريانية اليد • وبالعربية المرجان وهكذا أنزل بالقرآن • وقال نقلا عن ارتطماليس أن هذا الحجر يستخرج من البحر بساحل افريقية • هناك تجتمع التجار • ويقاولون أهل تلك الأرض بالنصف حتى ينتجوا لهذا العمل • واختلفوا فى كيفيته • قال الحكماء انها شجرة تنبت فى قرار البحر • ثم تشعب شعبا كالشعب أغصان الأشجار • الا أن هذه ليست لها أوراق ولا ثمرة ••• وقال انه ممن رأى هذا الحجر سعة قدر ثلاث أواق أو أكثر مع الحكاكين بثغر الاسكندرية المحروسة • وذكروا أنه من نوع فى هذا البحر بهذه المدينة أعنى الاسكندرية • ثم قال : وأجوده ما كان أحمر بصاصا من غير سواد فيه • اهـ •

والمرجان تصنع منه بعض أدوات الزينة والتماثيل المختلفة ومقابض بعض الأدوات المنزلية فيكون لها لون أحمر جذاب فضلا عن صلابته •

فهل فى شواطئنا بالبحر الأبيض ثروة من المرجان مثل البحر الأحمر ؟؟ •

وفق الله ولاة الأمور الى ما فيه زيادة الخير للبلاد ؟

**محمد كمال السيد**

---

(١) فيها تحريف فالمرجان بالانجليزية Coral من اللاتينية Coraluim أو الاغريقية Korallion

# كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

بحمدك اللهم أن جعلتنا من حماة الفصحى التى شرفتها ، فأنزلت بها كتابك الحكيم ، وقيضت له من يتلوه صباح مساء ، ووعدت بصيانته على مر الأزمان وتعاقب الملوان ، حيث قلت : «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» كما نثنى عليك أن جعلته سراجا يضىء لنا سبل الصواب .

وبعد فكل ميدان من ميادين الحياة عرضة للزلات ، ومجال قد تتعثر فيه الخطوات ، وبخاصة ميدان الكلام .

وها هى ذى لغتنا العربية لم تسلم من الدخيل حتى فى زمن شبابها ، فقد وجدت فى بعض أشعار العرب القدامى ألفاظ أعجمية معربة ، بيد أن اللحن فى الاعراب ، والخطأ فى قوانين اللغة لم يجدا آنئذ طريقا الى نتاجهم من منظوم ومنثور ، ولكن لما كثرت الفتوحات الاسلامية ، واختلط العرب بالعجم نتيجة للمجاورة والمصاهرة ، فشت فيها أساليب وألفاظ لم تساير ما تواضع عليه علماء العربية .

أما الآن — وقد يسرت وسائل الانتقال السريعة اتصال الأمم بعضها ببعض — فانا نجد الأخطاء قد شاعت فيها ، حتى صارت خطرا يتهددها ، وأى خطب أدهى وأفظع ، وأمر وأوجع من شيوع الأغاليط ، ووقوع التخاليط فى اللسان العربى المبين ، مرقاة علوم الدين وسيد الثقافات المتين .

من أجل هذا هب كثير من أئمة اللغة يحاربون ما أصاب لغتهم من الفساد ، ويعملون على استئصال شأفته ، فرأيت لزاما على أن أشارك فى توطيد صرحها العظيم ، وذلك بأن أدلى دلوى بين دلاء أولئك الذى أخذوا على عواتقهم أن يوقفوا سريان هذا الداء

الوبيل ، ويدرءوا عنها هذا الضيف الثقيل .

تناولت بالنقد كثيرا من تعبيرات أولئك الذين يدعون أنهم فرعوا منابر الثقافة اللغوية ، وبرزوا فى صفوف المنشئين ، والحق أنهم واهمون فى دعواهم ، اذ شاعت على ألسنتهم هنوات حين يتحدثون فى الاذاعة أو ( التليفزيون ) كما ذاعت على أسلات أقلامهم أخطاء حين ينشرون لأنفسهم مقالات فى الصحف والمجلات .

فأصلحت من ذلك طائفة من وعاها أطاعته أعنة الكلام ، وكان قوله فى البلاغة ما قالت حذام ، انه حينئذ يستطيع أن يأتى فى نتاجه بأخلاط الغالية ، ويرقى بديباجته الى الدرجة العالية ، فتجد الفحولة والجزالة ، وترى المعانى الدقاق ، وترى الفصاحة والاشراق ، ومن نأى عما رسمت له، لبس الملام ، وجعل عرضه غرضا لسهام الأقوام والأقلام .

من ذلك :

١ - أنهم يقولون : هاجم فلان فلانا ، وهاجمت صحيفة الأهرام هذا التاجر ، لأنه امتنع عن بيع ما عنده من البضائع ، وهذا خطأ ، لأن الفعل لم يرد عن العرب بوزن فاعل ، وانما الذى ورد عنها هو الفعل الثلاثى ، والفعل الرباعى المبدوء بالهمز فالثلاثى قد يكون لازما ، وقد يكون متعديا ، فمن اللازم قولهم : هجم عليه هجوما ، اذا انتهى اليه بغتة ، أو دخل بغير اذن ، وهجمت عين فلان هجما وهجوما اذا غارت ، ومن المجاز قولهم : هجم عليهم البيت اذا سقط وانهدم ، وهجم الشتاء اذا دخل ، وهجمة الشتاء شدة برده ، وهجمة الصيف شدة حره .

ومن المتعدى قولهم : هجم الرجل خادمه اذا طرده ، وهجمنا عليهم الخيل اذا أطلقت ، والريح تهجم التراب على الدار ، أى تلقيه عليها ، وهجم الحالب ما فى ضرع البقرة ، أى استقصى ما فيه من اللبن .

ويقال : اهجم ابلك ، وأهجمها أى احلبها وأرحها .

ومن الرباعى المهموز قولهم : أهجم القوم ابلهم اذا أراحوها ، وأهجم الله تعالى المرض عن فلان فهجم ، أى أبرأه من مرضه فأقلع وفتر .

٢ ـ ويقولون : فلان وزير للتعمير ، يقصدون بناء المساكن ونحوها ، وهذا التعبير فاسد ، لأن التعمير هو اطالة العمر ، تقول : عمر الرجل عمرا من باب فهم ، وعمرا بالضم أى عاش زمانا طويلا ، ومنه قولهم : أطال الله عمرك بالضم والفتح •

ويقال : عمره الله تعميرا فهو معمر أى طول عمره ، ومن هذا قوله تعالى : « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب » وقوله : « يود أحدهم لو يعمر ألف سنة » وقوله : «ومن نعمره ننكسه فى الخلق» فالمعمر بصيغة اسم الفاعل هو الله سبحانه ، والمعمر بصيغة اسم المفعول هو الذى أطيل عمره •

أما المعنى الذى يقصدون اليه فهو مأخوذ من قولهم : عمرت الخراب أو الدار من باب كتب فهو عامر أى معمور ، كماء دافق بمعنى مدفوق ، والاسم العمارة بالكسر ، قال تعالى : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » وقال : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام » تقول : عمر الله منزلك عمارة ، وأعمره أى جعله آهلا •

والعمران بالضم اسم للبنيان ، والعمار بالفتح والتشديد كثير الصلاة والصيام والقوى الايمان مأخوذ من قولهم : عمر فلان ربه اذا صلى وصام ، أما العمار بالضم فهم سكان الدار من الجن •

والصواب فى تأدية المعنى المبتغى أن يقال : وزير العمارة •

٣ ـ ويقولون : تكتل القوم تكتلا ، وجنودنا متكتلون ضد الأعداء ، يقصدون أنهم مجتمعون وصاروا يدا واحدة كالكتلة ، والفصيح أن التكتل لا صلة له بهذا المعنى الذى يدعونه وانما هو ضرب من المشى كما فى مختار الصحاح ، وقال صاحب القاموس : التكتل مشية القصار ، وقال ابن منظور فى لسان العرب : فلان يتكتل فى مشيه اذا قارب فى خطوه كأنه يتدحرج •

وقال ابن سيدة : تكتل الرجل فى مشيته ، وهى من مشى القصار الغلاظ ، والمكتل بصيغة اسم المفعول هو الشديد القصير ، والمدور المجتمع ، والرجل الغليظ •

ويقال : كتل الشيء من باب فر اذا تلزق وتلزج فهو كتل ، قال :

وفي مراغ جلدها منه كتل

وانكتـــل فلان اذا مضى ، وكاتله الله ، أي قاتله .

٤ ـ ويقولون : الحمـد لله الذي انتصر جيشنا على الأعداء ، والحمـد لله الذي عاد الحجاج سـالمين ، وكلا التعبيرين خطـأ صراح ، لأن صـلة الموصـــول في كل منهمـا خالية من الضمير الذي يربطها بالموصول الواقع صفة للفظ الجلالة .

قال ابن السكيت: يقال الحمد لله اذ كان كذا وكذا ، ولا يقال الحمـد لله الذي كان كذا وكذا ،حتى تقول : به ، أو بأمره ، أو بصنعه .

أي تقـول : الحمـد لله اذ انتصر جيشنا على الأعداء ، واذ عاد الحجاج سالمين ، أو تقول : الحمـد لله الذي انتصر الجيش بتوفيقـه ، أو بأمره ، أو بصنعـه ، وكذا يقـــال في التعبير الثاني ،وآنئذ تكون الصلة قد استوفت الرابط ، وهو الهاء العـائدة على لفظ الجلالة ، كما في قوله تعالى : « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب» ، وقوله : «الحمد لله الذي صدقنا وعده» وقوله : « الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق » .

٥ ـ ويقـولون : ضحى فلان كذا على مذبح أغراضه ، وهـذا التعبير من صنيع الأعاجم ،وفيه غلطتان : احداهما أن ضـحى بالمعنى الـذي يريدونـه لا يتعدى الا بالباء ، تقول ضحى فلان بشـاة ، والأضـحية بالضم أو بالكسر والياءمشددة : شاة يضحى بها،جمعها الأضاحي ،كالضحية وجمعها الضحايا، كالقضايا والأضحاة وجمعها الأضحى ، وبه سمي يوم النحر .

وهنـــاك ضحى متعد ولكن بمعنى آخر ، تقول : ضحى فـلان قومه اذا غداهم ، وضحى ابله اذا رعاها ضحاء وضحينا بني فـلان مثـل صبحناهم ، والضحاء بالفتح قرب انتصاف النهار ، والغلطة الأخـرى هي أن الأغراض ليس لها مذابح ، وانما هي خاصة بما يذبح من الحيـــوان ، والفصيح في تأدية هذا المعنى أن يقال : ضحى فلان بكل مرتخص وغال في سبيل تحقيق أغراضه .

٦ – وشاع على ألسنتهم وأسنة أقلامهم قولهم فى جمع التهنئة : التهانى ، وفى جمع التعزية التعازى ، وكلا الجمعين على وزن تفاعل بكسر العين ، وهذا لا يستقيم ، لأنه لم يكن فى اللغة جمع تكسير على هذا الوزن.

والصواب أن يجمع كل منهما جمع مؤنث سالما لأنه مختوم بالتاء ، فيقال: التهنئات والتعزيات ووزن التهنئة تفعلة ، ومثلها تجزئة ، وتبرئة ، وتنشئة ، وتوطئة .

فكما لا يقال فى جمعها : التجازى، والتبارى ، والتناشى ، والتواطى ، لا يجوز أن يقال فى جمع التهنئة التهانى .

ووزن التعزية تفعلة أيضا ، ومثلها التربية ، والتزكية ، والتسمية ، والتوصية ، والتورية ، فكما لا يقال فى جمع هذه الألفاظ : الترابى ، والتزاكى ، والتسامى ، والتواصى ، والتوارى ، لا يجوز أن يقال فى جمع التعزية : التعازى .

أما وزن تفاعل المشار اليه سابقا فانما يكون للمصدر ، تقول : تهادى الأصدقاء تهاديا ، وتباهوا تباهيا ، وتساموا تساميا ، وتواصوا تواصيا ، وتواروا تواريا ، ومن هذا قوله تعالى : « يتوارى من القوم من سوء ما بشر به » .

٧ – ويقولون : صيف فلان بمكان كذا تصييفا فهو مصيف بالتضعيف ، وهذا التعبير فاسد ، والفصيح أن يقال: صاف بمكان كذا ، أو اصطاف ، أو تصيف ، اذا أقام به زمن الصيف ، كما يقال : شتا به اذا أقام به زمن الشتاء ، فهو صائف ، ومصطاف ، ومتصيف ، وهذا المكان يصيفه ، ومصطافه ، ومتصيفه .

ويقال : صاف السهم عن الهدف يصوف ويصيف صوفا وصيفا اذا عدل عنه ومال ، وصاف الكبش صوفا فهو صاف ، وصاف ، وأصوف ، وصائف ، وصوف كفرح فهو صوف وزان كتف ، وصوفانى ، وهى صوفانية اذا كثر صوفهما .

ويقال : أصاف فلان اذا دخل فى الصيف ، فهو مصيف بكسر الصاد ، وأصاف أيضا اذا ولد له بعد كبره ، ورجل مصياف بالكسر اذا لم يتزوج حتى كبر ، وأرض مصياف اذا تأخر نباتها ، وكذا اذا كثر بها مطر الصيف

أما صيف بالتضعيف فله معنى آخر ، تقول : صيفني الثوب اذا كفاك لصيفتك ، وهذا الطعام يصيفني أى يكفيك في الصيف ، وتقول : هذا قميص مصيف أى ينفع في زمن الصيف ، وهذا جلباب مقيظ أى ينفع في زمن القيظ ، وهذا ثوب مشت أى ينفع في زمن الشتاء ، قال :

مصيف مقيظ مشتى ؟

**عباس ابو السعود**

# فى نور الله

للأستاذ محمد محمود عبد العال

رباه ليـــل التائبين دمـــوع
تهمى وقلب خاشــع وسـميع

تسمو به الآمال فى كنف الهدى
بعـد الشتات فهن فيـك جميع

ترجو شـواطىء أمنـه ويقينـه
حيث الشواطىء روعة وخشوع

رباه فى ليل السكون بما حوى
فزعت اليك بما [illegible] م ضـلوع

لتقيـل عثرتنـا وتمحو اثمنـا
منك الهداية يا كريم تضــوع

• • • • •

رباه والأفـلاك باهـرة الرؤى
سـبحانك اللهم مبـدع خلقهـا

عبثـا نحاول حصر أفلاك السما
أنت المحيط بها ومصدر نورها

هى بعض آيات لأعظم خــالق
تمحو ظلام الليل .. يا لجمالها

انى لأنظـرها تسـبح ربهـا
لغـة العبـادة فى ثنايا ضـوئها

رباه كيف يضل أصحاب النهى
والـكون ألسـنة تشيد بربهـا

• • • • •

فى خلقك الانســان أجلى قدرة
رباه جلت قـدرة الخــلاق

أودعتـه عقـلا يسير بهديــه
هو منك بعض مظاهر الاغداق

والروح من نور الاله وديعـة
فى الطين تنبض بالجنى الدفاق

هذى الأنامل لا تشـابه بينهـا
سبحان صـانعها العظيم البـاقى

رباه وفقنـا على درب الهـدى
واغمر عبـادك بالسنا الألاق ..

محمد محمود عبد العال

# أنباء و آراء

للاستاذ على الخطيب

**« هذا المبدأ الاسلامى .**
**هل ( أشرق ) فى ( الغرب ) » ؟ !**

أخبر أبو حميد الساعدى ـ رضى الله عنه قال :

استعمل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلا من بنى أسد ، يقال له ابن الأتبية ـ على صدقة(١) ، فلما قدم ، قال : هذا لكم وهذا أهدى الى ، فقام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على المنبر ... فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« ما بال العامل تبعثه فيأتى يقول : هذا لك وهذا لى ، فهلا جلس فى بيت أبيه وأمه فينظر : أيهدى له أم لا ؟!!

والذى نفسى بيده لا يأتى بشىء الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته : ان كان بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى ابطيه : ألا هل بلغت ... » ثلاثا .

وقد أو ضحت رواية أخرى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر من يحاسبه فجعل يقول : ... هذا الذى لكم وهذه هدية أهديت الى » .

انظر صحيح البخارى كتاب الهبة وكتاب الأحكام وانظر عليهما فتح البارى .

وواضح أن الحديث الشريف فى الرجل الذى يضعه منصب الدولة نفسه فى مكان مرموق فيهدى اليه بحيث لو لم يكن فى نفس المكان ما عرفه أحد .

وقد نشر الأهرام فى ١٩٧٤/٦/٢٢ الخبر التالى مختصرا :

(١) اى يجمع فريضة الزكاة .

فوجئت وزارة الخارجية الأمريكية بكميات من الجواهر تقدمها صاحباتها لتسليمها أو تسجيلها • وكانت كل المتقـدمات من زوجـات كبـار المسئولين •• لأن هناك قانونا – فى الولايات المتحدة – يمنع أى شخص رسمى ، أو زوجته من قبول هدية تزيد قيمتها عن ٥٠ دولار ، الا بعد تسجيلها فى الخارجية مع السماح بالاستمرار فى استخدامها بصفة شخصية على أن تقدم الى الوزارة بعد أن يترك الشخص الرسمى منصبه ، حيث تعتبر بعد ذلك من أملاك الدولة•

**لماذا أقرت اسرائيل تدريس الدين الاسلامى :**

كتب الأستاذ وهبى سليمان الألبانى يقول :

بعد ست عشرة سنة قرر اليهود اعادة دروس الدين الاسلامى ، وربما بدر الى ذهن القارىء أن هناك ضغوطا أجنبية جعلت اليهود يتخذون هذا القرار ، أو أن اليهود فعلوا ذلك تزلفا الى السكان المسلمين فى فلسطين أو فعلوا ذلك لتقرير التعايش السلمى بين الاسلام واليهودية ، أو رعاية لشعور المسلمين غير العرب •

لا ••• ان الحق فى غير هذا •

ان اليهود اذا قرروا ذلك فمن أجل افساد نظرة الطلبة المسلمين الى الاسلام •

نفس عمل دنلوب وتزيهر •

ان يريدون الا هدم الاسلام فى قلوب الناشئة •• ليضحوا بعد ذلك أعداء للاسلام موالين لمن عاداه ، فيتم التحريف لهم وهم فى سن مبكرة لا يدركون فيها الأخطاء المقصودة ، وليس الى جانبهم آباء يدركون ما تفعل اسرائيل ، اما لأنهم على غير ثقافة بالدين أو لشغلهم بلقمة العيش ، ومن أمثلة التشويه :

( أ ) آيات محرفة ، منها :

١ – ( هو الذى جعل الأرض ذلولا[١] ) وصوابها : ( هو الذى جعل لكم ••• ) •

---

(١) كتاب سنابل من حقول الأدب ج ٢ للصف السادس تاليف سامى شريفة •

٢ ـ ( ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج(١) ) وصوابها ( ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ) .

٣ ـ ( وانكحوا من النساء ما شئتم مثنى وثلاث ورباع ) وصوابها ( وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ) .

هذا قليل من كثير .

(ب) تشكيك فى السيرة النبوية يتناول :

١ ـ المسخ لتاريخ النبى صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ ادعاء أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهاية فى سلسلة الحكماء الذين نبذوا عبادة الأصنام فى المحيط العربى .

٣ ـ تهوين أمر الحديث الشريف .

٤ ـ تشويه لأحكام الاسلام والغرض منها .

(ج) تشويه التاريخ الاسلامى ، من ذلك :

أن عبد الملك بن مروان اهتم بانشاء الأبنية فبنى المسجد الأقصى وقبة الصخرة ليلهى الناس عن الحج الى مكة .

هذا فضلا عما لفقوه ونسبوه الى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، وادعوا أنه قاله عن القرآن .

وقد قدم الأستاذ ماجد عرسان الكيلانى فى كتابه ( التحدى الصهيونى فى التعليم العربى باسرائيل ) نماذج كثيرة لهذه الجريمة المنكرة ، وقد قدمنا فى بحثنا هذا نماذج منها .

رزقنا الله جميعا حسن الفقه وصدق الفهم والعمل .

---

(١) التاريخ للصف العاشر الجزء الأول تاليف سليمان فلاح الدرزى .

**« أيها الراحل العظيم .. وداعا »**

مات فضيلة الدكتور حب الله أمين مجمع البحوث الاسلامية الأسبق ومدير المركز الاسلامى بلندن رحمه الله .

مات هذا الرجل فأثار حديث الرجال .

فاذا كانت حصيلتنا قليلة فى الرجال ذوى الخبرة الاسلامية العميقة على مدى سعة العالم الاسلامى المعاصر بما له من حال وما عليه من مشاكل .

وكانت قليلة فى الرجال ذوى الخبرة الضافية بالسياسة التى توجه عالم اليوم وحنكتها فى أروع صورها المؤدبة .

فان حصيلتنا أقل فى الرجال الجامعين للخبرتين فى غير كزازة أو ابتزاز ، وعلى غير عنت ، وعلى شرف حساس نظيف .

وقد مات « د . حب الله »

فأضحى « الأقل » على وشك « العدم » .

حدثنى عنه راحل عزيز من الرجال زامله حتى نالا العالمية معا من الأزهر القديم ، وكان زميل صباه وشقيق روحه « فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى مجاهد عبد الرحمن » ـ رحمه الله ـ الذى كان رئيسا لقسم الفقه المقارن بجامعة الأزهر ، قال :

كان من الممكن جدا أن يكون د . حب الله كغيره ممن لهم نفس الظروف ، ولكنه عانى ـ وهو فى السلك الديبلوماسى أو بعده ـ أوضاع المسلمين ومآسيهم فدخلت أعماق روحه .

رحم الله الشقيقين ، وخفف عنا حدة الذكريات .

عمل د/حب الله عقب اجازته بـ « الدكتوراه » من جامعة لندن « سكرتيرا » لسفارة مصر بباكستان أول انشاء هذه الدولة الاسلامية ، وكان علوبة باشا سفير مصر لديها ، ثم تقلب فى مناصب الأزهر حتى استقبل مغرب الشمس مخلفا وراء ظهره « الجاه العريض » وكان أحد عشرة من العالميين الكبار الذين يختار لهم « الكونجرس الأمريكى » صورة تعلق بأروقته .

ولم ينس ـ رحمه الله ـ طوال حياته ـ سفيرين كانا ـ فى رأيه ـ أنقى وأرفع طراز بذل لوطنه : علوبة « باشا » وكامل عبد الرحيم ( بك ) •

فكانت الصفوة لديه هؤلاء الرجال:

الشيخ مصطفى مجاهد ، علوبة « باشا » ، كامل عبد الرحيم «بك» •

وكل أولئك قد مات ، وترك الدكتور حب الله « مغنى » مقفرا ، و « أفقا » بغير نجوم •

ألا يموت د • حب الله ليتجدد المغنى وتسطع النجوم فى خير الدارين

الى رحمة الله هؤلاء الرجال ، ووداعا أيها الراحلون •

وداعا ينزف من القلب ويتراكم به الأسى •

وداعا أيها الراحل العظيم د• حب الله ، وتحية بارة لكل تقدير عشت به ، واجلال رفيع لكل تكريم أحطت به نفسك •

وداعا أيها العظيم ؟

**على الخطيب**

بســم الله الرحمن الرحيــم

« ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين .

ولا تدع مع الله الها ءاخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » .

---

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

علي سلطان علي

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٤

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٦٠٠٢-١٩٧٤-٨١٩٥

The use of gold and silver plates or utensils for food is also forbidden to Muslims. The Prophet has said : "The use of gold and of pure silk is forbidden for men, allowed for womenfolk". There are some exceptions. So, the use of silk as military dress is permitted. The use of gold also for dentral surgery. The caliph 'Uthman had his teeth covered with gold ; and a certain 'Arfajah ibn As'ad reports that the Prophet himself had allowed him to have a nose made of gold to replace the one he had lost in a war, the artificial nose made of silver having rotten.

## DRESS AND COIFFURE

The use of cloth made entirely of natural silk is forbidden to Muslim men. also garments of a red colour. The Prophet grew a beard and recommended the Muslim to do likewise.

Muslim women should wear a dress which covers their body in a proper manner, avoiding high jumpers, decollete, transparent stuff showing nudity of the body. They should not try to resemble men in dress coiffure; avoid all that is characteristic of glamour girls. Further when they celebrate the service of worship, they should cover their head. The Prophet has recommended women to wear pantalons. Their gowns should never be higher that the middle of the tibia, preferably down to the ankles (as we read in a Hadith reported by Abu Dawud, Tirmidhi, Ibn Hanbal, and many others).

(to be continued)

who were on his right hand, ended with those on the left.

Prayers to God are to be constant, for each and every act of our, life, be that for natural needs or deliberate acts, even as the most solemn of them, viz, the preparation for the service of worship. Formulas of prayer, used by the Holy Prophet for some such occasions have been referred to above (s 166/b). Others could be found in detailed and more voluminous works.

FOOD AND DRINK

The most important points in this respect are the following:

Pork, (flesh and fat) is forbidden in all its forms, in the same way as alcoholic drinks. A misunderstanding requires to be dissipated: The word Khamr, used by the Quran, although it meant originally the wine made of grape-juice, yet already in the time of the Prophet the term signified any alcoholic drink irrespective of the material. So when the verse of Khamr was revealed Muslims of Madinah split their stocks of all kinds of alcoholic drinks, and not merely those of wine. It is to note that in Madinah it was from date fruits that fermented drinks were manufactured. As to meat, a Muslim cannot consume animals or birds not ritually slaughtered. The Quran (5:3) says:

"Forbidden unto you (for food) are carrion, and blood, and swine-flesh, and that which hath been dedicated unto any other than God, and the strangled, and the dead through beating, and the dead through falling from height, and that which hath been killed by goring of horns, and the devoured of the wild beasts, saving that which ye make lawful by the death-stroke of slaughtering, and that which hath been immolated unto idols ...., but whosoever is forced by hunger, not by will to sin, for him lo! God is forgiving, Merciful. "Even lawful animals and birds, if slaughtered by non-Muslims, remain unlawful to consume except when slaughetered by members of those communities who possess a divinely revealed Book (Christian and Jews for instance), provided they observe rules of their religion in matter of ritual slaughetring. A chicken strangled by a Christian does not become lawful any more than one strangled by a Muslim himself.

The ritual of slaughtering is perfomed by pronouncing the formula Bismillaah (with the name of God), and cutting the throat i.e., the tube of respiration, the tube of food and drink, and the two jugular veins ; not touching the spinal column, much less serving the head or skinning the animal before it is completely dead.

firm saying in the life of this world and in the Hereafter, and God sendeth wrong-doers astray, and God doeth what He will." And again (cf. 89/27-30): "O thou soul at peace, return unto thy Lord, content in His good pleasure! Enter thou among My bondmen! Enter thou My paradise! "

It is forbidden to spend lavishly on graves, which should be as simple as possible; one should rather spend the amount on the poor and the deserving, and pray God that the recompense of this charity may go to the deceased person.

GENERAL HABITS

Apart from the daily services of worship and the annual fasting, certain practices are recommended to Muslims. The most important is the continual persual of the text and the commentary or translation of the Quran meditating over its contents, in order to assimilate them in one's life. What can be more blissful than to invoke the Word of God:

One should say Bismil-laah (i.e. with the name of God) when commencing any and every action, and alhamdu lil-laah (i.e. thank God) after terminating it. When something is intended or promised for the future, say immediately insha-al-laah (if God willing).

When two Muslims meet, they greet by saying Salaam alaik (or as-Salaam 'alaik). One can reply likewise, or say Wa' alaiku- mus-salaam. These are more comprehensive than the formulas good morning good evening, etc. which are the remmant of the days of ignorance.

One should develop the habit of glorifyning God when going to sleep and when rising up (sub haa-nal-laah is the simplest formula), and also invoking the mercy of God on the Prophet, for instance in the following formula: Al-laa-humma sal-li 'alaa muhammad wa baarik wa sallim i.e., O God, incline to Muhammad, bless him and take him in thy safegurad).

The Prophet preferred the right side: When putting on the sandals, the right foot first, the left one afterwards, and just the contrary when putting them off; when putting on a shirt, the right arm first, the left one later; when combing, the right half of the head first, the left one later; when entering a house or a mosque, the right foot first, the left one later, but when entering the bathroom or the W.C., the left foot first, and while coming out of it, the right foot first. When putting off a dress, foot-wear, etc., the left arm or the foot first. When distributing something. he began with those

DEATH

A Muslimon on his death-bed tries to pronounce the formula of the faith : "There is no God if not God Himself, Muhammad is the Messenger of God." People around the patient also help by repeating it to the person in his death panga. It is called talqeen. Before the body gets stiff, one places the hands as if in the service of worship, either crossed on the chest, or letting stretuh on the sides.

The body of the dead person is washed and cleaned, when possible, before burial. It is shrouded in three simple sheets of cloth, after the usual dress is taken off. When bathing, water is poured for first time mixed with soap or similar material; for the second time the traces of such material are washed off; and the third time water mixed with a certain quantity of camphor, is poured on the whole body. When bathing is not practicable, then tayammum suffices (for which see later under ablutions 552). After enshrouding the dead body, a funeral service is celebrated (for method see later). This service can be performed in the absence of the body, which might have recieved burial elsewhere in the world. The grave is dug parallel to Mecca, in so far as this is practicable and the head of the dead is turned slightly to the right side, so that it faces the Kha'bah. While placing the dead body in the grave, one pronounces the formula : "With the name of God and on the religion of the Messenger of God". Muslims believe that the dead person is visited in the grave by two angels, who put to him certain questions as to his beliefs. Hence after the burial, one pronounces on the grave a text, as if initiating the dead how to reply. The translation is given below:

"O male — or female — servant of God, remember the covenant made while leaving the world, that is, the attestation that there is no God if not God Himself, and that Muhammed is the Mesenger of God, and the belief that Paradise is a verity, that hell is a verity, that the questioning in the grave is a verity, that the Doomsday shall come, there being no doubt it; that God will resuscitate those who are in graves, that thou hast accepted God as thy lord, Islam as thy religion, Muhammad as thy Prophet the Quran as thy guide, the Kh'bah as thy direction to turn to for the service of worship, and that all the believers are thy brethren. May God keep thee firm in this trial. "(For the Quran 14/27, says :) "God confirmth those who believe by a

for the food of an adult for the whole day is given to some poor person. The second festival takes place at the time when the Hajj is being celebrated at Mecca. On this occasion, well-to-do people sacrifice a goat or a sheep, which is partly distributed among the poor, and partly consumed in the family.

In connection with monetary matters, it may be borne in mind that a Muslim is not authorized to participate in transactions based on interest on loans or in games of chance, lotteries and similar speculative things. No body pays interest voluntarily. Demanding interest on loans advanced to private individuals should be avoided. The question of bank interest on savings is complicated, and depends on the mechanism of the administration of each bank. If the bank is usurious, profits accruing from its gains are also illicit; yet in certain countries it so happens that there are no other banks, and if one refuses to take the interest, the bank remits such unclaimed amounts to institutions which are sometimes injurious to Islam, such as missionaries who seek the apostasy of Muslims. Therefore, one should recover the interest on one's deposits from the bank, but instead of spending it on one's own person or family, utilize it for charitable purposes. The great jurist Sarakhsi says : "gains accruing from illiicit means must be get rid by giving them away in charity."

Insurance with government agencies and with mutual aid societies is lawful, with capitalistic companies, no.

MARRIAGE

A Muslim male may marry not only a Muslim woman but also a woman of Jewish or Christian faith (Quran 5/5); but not an idolatress polytheist or atheist. A Muslim woman is not allowed to marry for even (or even remain in marriage of) a non Muslim, of no matter which category. (Quran 2/221).

In the case of the conversion of a married man to Islam if his wife is Jew or Christian and does not want to be convinced with her husband, the marriage continues undisturbed. If the wife is of the prohibited categories, and persists in her religion conjugal life must cease immediately; she should be given a reasonable time to think over, and in the final resort divorce will have to take place.

In the case of married woman embracing Islam, when the husband is not Muslim, conjugal life ceases immediately, and after a reasonable delay given to the husband the wife should demand judicial separation.

the 10th and the 11th and 12th of the month are passed at Mina, during which time Satan is lapidated symblically every day, and one also makes a short visit to Mecca in oreder to perform the circumambulation of the Ka'bah and Sa'ee or traversing 7 times the distance between Safa and Marwah rocks, close to the Ka'bah. For the formulas of prayers during the circumambulation (called tawaf) and for that of Sa'ee which prayer is repeated both when going from Safa to Marwah and when returning from Marwah to Safa.

From the time of putting on the ihram, till its putting away, one must constantly respond to God's call, by reciting the formula of the talbiyah, particularly after every service of prayer.

In the Umrah, one does not pass the time in 'Arafat, Muzdalifah and Mina, but makes only the tawaf and Sa'ee. For this ritual, when putting on ihram dress, even residents of Mecca must go outside the city, and perform tawaf and Sa'ee, after which a shaving of head brings one back to normal life.

The zakaat is a tax on different kinds of savings and hoardings and also growing properties, such as agriculture, commerce, mineral exploitation, herds of sheep, goats, cows and camels pasturing in public meadows, and savings of money. It is this last item which is left now-a-days not only in non-Muslim countries but even in Muslim countries for individual Muslims to pay as a private chrity, the rest being imposed by local governments. Thus, if a person has saved a certain amount (200 dirhams or silver coins of the time of the Prophet, their equivalent being about five pounds or 14 dollars), and a whole year passes over it, he has to pay 2 and a half per cent as tax. If he is indebted, the amount of debt is deducted from the savings for purposes of calculating the taxable amount. The distribution of Zakaat is made directly, or through institutions if such should exist in a locality. According to the Quran, this tax is intended for the benefit "of the needy, of the poor, of those who work for this tax : collecting and disbursing of it, people whose hearts are to be won for Islam, for freeing the necks (of slaves) the heavily indebted, for a cause in the path of God, and hospitality to wayfarers and strangers" (cf. supra s351-9) Quran 9/60). One may apply the whole of one's annual zakaat to a single item or to several of them.

Another tax is payable on the occasion of the two annual festivals. At the end of the month of fasting, an amount sufficient

lation that had come to the unlettered Prophet of Islam relating to reading and writing. The child is made to repeat them word for word. Here is the translation :

With the name of God, the Most Merciful, the All-Merciful :

Read with the name of the Lord Who createth,

Createth man from a clot.

Read : And thy Lord is the Most Bounteous,

Who teacheth (man) by the pen,

Teacheth man that which he knew not.

When the child is capable of doing it, he is taught how to pray, learning gradually by heart the relevant texts, of which we shall speak latter in detail. From his or her seventh year, parents must apply sanctions so that the child gets accustomed to prayer.

To fast is obligatory, even as prayer, when a child reaches the age of puberty. In Muslim families, however, the child gets accustomed to it earlier. In fact it is an occasion of great rejoicing and festivity, when the child observes the first fast in the month of Ramadan.,Generally at the age of twelve the child begins to fast for only one day in the first instance, increasing the number gradually in the years to come, so that the child gets accustomed to bear the strain of the fast for an entire month. This happens when he becomes a major.

The Hajj is obligatory only once in life, provided one has the means. It is performed in the second week of the 12th lunar month Dhul-Hijjah when people gather in Mecca, pass about a week in different places in the outskirts of the city, at Arafat. Muzdalifah and Mina. Official guides instruct every individual pilgrim inthe performance of the different rites. Visiting the Kaabah at any other time of the year is called umrah
Details as under :

For the hajj, men must give up their usual dress, and put on the ritual uniform, ihram, consisting of an unsewn loin cloth, and another sheet of cloth to cover the shoulders, the head remaining naked. (Women conserve their usual dress, which must be decent : cover their arms and legs down to ankles). Foreigners must put on ihram outside the haram or city-limits of Mecca, before entering the city, but the Meccans must do that in the city itself. One goes then to 'Arafat, where the whole day of the 9th od Dhu'l Hijjah is passed in prayers and meditation : the night is passed at Muzdalifah;

script is written with all its signs of vocalization, it is incomparably superior to any and every script in the world, from the point of view of precision and absence of ambiguity not to speak of its great aesthetic and economic values (it being a sort of short-hand writing).

Next comes the involuntary birth, when a child is born in a Muslim family. Immediately after the midwife should have completed her task, one pronounces the adhaan in the right ear of the child, and the iqaamah in the left one, so that the first thing the child hears is the attestation of the faith and the call to worship of its Creator and for its own well-being. The adhann [1] or the Call to the Prayer is as follows : "God is Great" (repeated four times), "I attest that there is no God if not God Himself" (twice), "I attest that Muhammad is the Messenger of God" (twice), "Rise up to worship." (twice), "Rise up to well-being" (twice), God is Great" (twice), "There is no God if not God Himself" (once). The iquaamah [2] or the establishment of the service of worship is formulated in the following terms : "God is Great, God is Great, I attest that there is no God if not God Himself, I attest that Muhammad is the Messenger of God, Rise up to Worship, Rise up to well-being, Lo, the service of worship is ready, Lo, the service of Worship is ready, God is Great, God is Great, There is no God but God Himself."

## EARLY LIFE

When the hairs of the child are cut for the first time, their weight in silver or its equivelant in current money is distributed among the poor. If one has the means, a goat or a sheep is also slaughtered to entertain the poor and frieands. It is called 'aqeeqa,.

No age limit is fixed, yet circumcision is practised on a male child in his early age. For adult converts this is obligatory.

When a child arrives at the age to commence his studies, some time after the fourth year, a family feast is organized, when the child takes his first lesson. As a good omen, one recites before the child the first five verses of chapter 96 of the Quran, consisting of the very first reve-

---

1. The adhaan is usually prorounced loudly from above a minaret. In the morning service, after the formula "rise up to wellbeing", one adds twice the phrase "The service of worship is better than sleeping (as-Salaatu Khairum minannaum). The Shi'te school replaces it by the formula "rise up to good deeds" (Haiya 'alaa Khairil amal).

2. As to iqaamah, it is pronounced gust on the moment precendiny the service.

## DAILY LIFE OF A MUSLIM

*By*

DR. MUHAMMAD HAMIDULLAH

### BIRTH

If a religion is not reserved for any particular race or confined to any country, but intended for entire hummanity, then there are two kinds of births : voluntary and involuntary.

There is first the volintary birth, or conversion of and adult in full consciousness of his act and out of his free choice, relating to what the Prophet Muhammad said : "declaration by tongue and affirmation by heart." One takes first a bath, as shower bath preferably, in order to purify the body symbolically of the dirat of ignorance and disbelief; then one declares, usually in the presence of two witnesses, the following formula : "I attest that there is no God if not God Himself, and I attest that Muhammad is the Messenger of God" (ashhadu al-laa ilaaha illal-laah wa ash-hadu anna muham-madar-rasoo-lul-la-ah).

The Prophet used to ask a new convert what his name was; and if this had any un-Islamic trait, he changed it and gave the person concerned a new and more convenient name. Thus, if a man was named "Worshipper of the Ka'bah," or "Worshipper of the sun," or "the dissipated one," or "one in error," etc., the prophet would not tolerate such appellations. Now-a-days the convert usually take a new forename in Arabic, the mother-tongue of the wives of the Prophet, who are the Mothers of the faithful-and therethers of the faithful - and therefore the mother-tongue of every Muslim.

Arabic being the spiritual mother-tongue of every Muslim, it is his social duty to learn it, at least its alphabets so that he should be able to read the Quran in the original. Since all time, converts have attached so great and importance to it, that thay have even adopted the Arabic script in their local languages. Such is the case with Persian, Turkish, Urdu, Malay, Pashtau, Kurdish, Spanish, Lithuanian, Afrikaaus, etc. It is strongly recommended as a social duty etc. It is strongly recommended that new entrants to Islam should master the Arabic script and employ it — at least in their inter-Muslim correspondence, — when writing in their local languages. In fact, when the Arabic

In the case of animals the Nisab is for camels five, for bulls or cows thirty, and for goats forty. In the case of cereals, the Nisab is five 'wasaq' which comes to 26 maunds and 10 seers, acording to two different calculations; that is to say nearly a ton in the first case and about two third of a ton in the second. In the case of animals, also detailed rules are laid down and animals of a particular age were taken as Zakät when the herd reached a specified number.

In the case of all things on which Zakat is payable, whether cereals, live-stocks or other articles of merchandise, all detailed rules are laid down in the Islamic Jurisprudence. It must be collected and distributed accordingly by the state or on a natoinal basis, and it, thus, should not be left to the personal choice of the person to calculate and spend his Zakat as he likes, unlike the voluntary charity. The duty of the collection and distribution of Zakat devolves on the Muslim community as a whole, and the insitution of Zakat must take the shape of a national Muslim institution in every country where there is a Muslim population.

with the Holy Quran, or taking the message of the Holy Quran to distant corners of the world, is the greatest jihad of Islam, the latter being the greatest need of this age. Hence it will be seen that institution of Zakat, while chiefly aiming at the amelioration of the condition of the poor, and the redressing the wrongs inflicted by capitalism, has also in view the defence and advancement of the Muslim community as a whole."

A persual of the following points would give a general idea regarding the property on which Zakat is payable and the rate at which Zakat must be paid. Zakat is an annual charge on property which remained in the possession of a person for a whole year when its value reached a certain limit, called the 'Nisab'. The Nisab (rate) differed with different kinds of property. With the exception of cattle wealth, Zakat is levied at almost a uniform rate, on the accumulated wealth. It is intented to do away with the inequalities of capitalism. As wealth has a tendency to accumulate and Zakat aims as its partial redistribution in such a manner that the community as a whole, may derive advantage from it.

A part of the massed wealth or capital of every individual is taken away annually and distributed, as already noted. Thus Zakat would be payable on all cash hoardings or hoardings in gold or silver as well as on any form of capital, whether in shape of cash or kind. Stock in trade should be treated in a similar manner, that is to say Zakät should be paid on the yearly profit only, not the stock itself.

Although there is a slight variation in the Nisab, or the rates, given in the relevent sources, would show that Zakat levied at a uniform rate, in the case of all things on which Zakät is payable. The difference in Nisab with different kinds of property shows that uniform rate has been kept in view. As already mentioned, Zakat will be levied on property of a certain value, which remained in the possession of a person for a whole year. The required value in the case of gold is 20 mithqals or $7^1/_2$ tolas (nearly 3 oz.) and in the case of silver is 200 dirhams or $52\frac{1}{2}$ tolas (nearly 21 oz.). The Nisab of cash is the same as that of silver or gold, according as the cash is held in silver or gold. In the case of merchandise of all kinds the value was calculated on the basis of the silver standard. Regarding the ornaments made of gold or silver the Nisab is that of gold or silver.

of Zakat is maintained, and hence they are separated from others by a mention of the establishment. The other groups falling in this class are also of persons who stand in need of help for some sufficiant reason. There are al-mu'allafati qulubu-hum, those whose hearts are made to incline to truth, that is, people who are in search of truth but unable to find means to have access to it on account of poverty. In this category would also fall new converts to Islam who are deprived of the means of their subsistence because of their conversion. Then there are the captives, or those who have been deprived of their liberty, and are unable to regain it by their own exertion. The freeing of slaves falls in this category. Then there are the debtors who are unable to pay their own debts, and, lastly, there are the travellers who are stranded in a foreign country or in a distant place, and are unable to reach their homes.

There are two other heads of expenditure of Zakat, the first of which is the maintenance of an establishment and office for the collection of Zakat. This shows that Zakat was meant to be collected at some central place, and then distributed, and the maintenance of people who did this work was a change after this head. The holy Quran therefore, does not allow the giving away or spending of Zakat according to the individual's choice. The collection of Zakat, in spite of the remuneration paid for it is regarded as an act of merit, and according to one hadith the collector of Zakat is equal in merit to one who takes part in jihad or in war to defend religion.

The establishement charge being a corollary of the nationalization of the institution of Zakat, the only item of expenditure besides the help of those in need, for one reason or another, is, what is called fi sabili-llah, or in the way of Allah, which is accepted generally as meaning warriors defending the faith. While such warriors are undoubtedly the most important national need of a community, it is equally true that they are an exception and not the rule, and hence the singificance of the words fi sabili-llah cannot be limited to them. But there is another paramount need of the Muslim community which is called jihad Kabir or the great jihad, in the Holy Quran : "And if We had pleased, We would have raised a warner in every town. So do not follow the unbelievers, and strive against them a mighty strivig (jihad-an kabiran) with it" (25 : 51-52). The personal pronoun it as the context clearly shows, refers to the Holy Quran, therefore striving

amelioration of the condition of the poor and the needy individuals of the society.

By this means wealth is made to circulate in the body-politic of Islam, just as blood circulates in a living organism. The institution of Zakāt thus becomes a means for the upliffment of the nation as a whole. The Holy Quran describes the main eight heads of the expenditure of Zakat, in the following verse :

« انمـا الصـدقات للفقراء والمسـاكين والعـاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » . ( التوبة : ٦٠ ) .

It means : "The alms are only for the poor and the needy, and those who collect them and those whose hearts are to be reconcealed, and to free the captives and the debters, and for the cause of Allah, and (for) the wayfarers; and obligatory duty imposed by Allah. Allah is Knower, Wise" 9 : 60.

The significance of the word Sadaqat (alms) in this verse is made clear by the concluding words of it, where it is called a Fariza (an obligatory duty) which word is applicable to the institutition of Zakät only. A detailed explanation as regards these heads of expenditure spoken of here, and their classes, may be quoted from the Comprehensive Discussion of Principles and Practices of Islam by Maulana Muhammad Aly — The Religion Of Islam :

"It will be seen that six kinds of people fall under the first head. The first are fuqara, pl. of faqir, derived from fakr which means the breaking of the vertebrae of the back, and faqir therefore means literally a man who has the vertebrae of his back broken or one afflicted by a calamity. Apparantly it refers to disabled people who, on account of some defect, are unable to earn their living. The second are masakin, pl. of miskin, which is derived from sakana meaning it became still or motionless. Miskin therefore signifies one caused by poverty to have little power of motion. There exists a good deal of difference as to the real distinction between the two words faqir and miskin; but keeping the literal significance in view, the real distinction appears to be that faqir is one who is disabled from earning on account of some physical disability, while miskin is one who, thought fit to earn sufficiant, is unable to do so on account of poverty or lack of resources. The miskin is the needy man who if given a little help can earn livelihood for himself. The unemployed would fall in this category.

These are the two chief classes for whose benefit the institution

« ... واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واقرضوا الله قرضا حسنا ... » .
( المزمل : ٢٠ )

It means : "...... and establish worship and pay the poor-due, and (so) lend unto Allah a goodly loan" 73 : 20.,

« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين » . ( التوبة : ١٨ ) .

"He only shall tend Allah's sanctuaries who believeth in Allah and the Last Day and observeth proper worship and payeth the poor-due and fearth none save Allah. For such (only) is it possible that they can be of the rightly guided" 9 : 18.

Zakat is also spoken of as the basic principle of every religion and the basic ordinance of all Prophets. The Quran speaks of Abraham and his posterity :

« وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » .
( الانبياء : ٧٣ )

It means : "And We made them chiefs who guide by Our command, and We inspired in them the doing of good deeds and the right establishemnet of worship and the giving the poor due, and they were worshippers of Us (alone)" 21 : 73.

« وجعلني مباركا اين ما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » .
( مريم : ٣١ )

"And hath made me bless whosoever I may be, and hath enjoined upon me prayer and almsgiving so long as I remain alive" 19 : 31.

According to the Quran Salat (Prayer) and the service of humanity through charity have always been among the principal aims and objects of religion. The institution of Zakāt, however, has been brought to perfection, along with the perfection of religion, in Islam.

The instituution of Zakta not only solving the problem of distribution of wealth, but at the same time, developing the higher sentiments and building up character on which alone can be laid the foundations of a stable society and a stable human civilization. Islam accomplishes both objects, by its institutions of Zakāt or poor-rate. Zakāt acts not noly as a leveling influence but also as a means of developing the higher sentiments of man, the sentiments of love and sympathy towards his fellow-man.

Every possessor of wealth in the Islamic society is required to contribute annually a fixed portion of his wealth to a common fund which is managed by the state or by the Muslim community, where there is no Muslim state. This fund is utilized by the state or community for the

The very words used in the Holy Quran to denote charitable deeds are an indication of the conception of charity in Islam. The most frequently recurring words for charity are zakät which means purification or growth. Sadaqah which is derived from the root Sidq meaning truth, and Infäq which means spending benevolently.

Charity is of two kinds, voluntary and obligatory. Obligatory charity is generally mentioned under the name of Zakat. Voluntary is generally mentioned in the Holy Quran as Sadaqah or Infab or Ihsän. The Holy Quran is full of injunctions on this subject. And hardly a page is turned which does not bring to the mind the grand object of the service of humanity as an important goal of man's life.

Charity, in its widest sense, is mentioned in the very beginning of the Holy Quran, as one of the principal pillars on which the structure of Islam stands :

« الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخـرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون . ( البقرة : ٢ ـ ٥ ) .

It means : "Who believe in the unseen, and establish worship, and spend out of what We have bestowed upon them; And who believe in that which is revealed unto thee (Muhammad) and that which was revealed before thee, and are certain of the Hereafter. These depend on guidance from their Lord. These are the successful" (2 : 3-5).

The main principles of Islam, as laid down here are five; three theoretical and two practical. The three theoretical principles are : believe in God, believe in Divine revelation, and believe in the Hereafter. The two practical are : keeping up prayer and spending out of what God has given to man.

The relation in which prayer stands to charity is made clear by the order in which the two are mentioned. It should be noted that when prayer and charity are spoken of together, and this combination is of frequent occurence in the Quran, prayer always takes precedence of charity. Prayer is the means of the realization of the Divine in man. While the spending out of whatever has been given to him stands for charity in a broad sense. Prayer, therefore, is the first step because it leads to the second, that is charity. In this sense prayer prepares man for the service of humanity. The two commandments, to keep up prayer and to give Zakät, often go together, and this combination of the two, shows the importance of Zakät in Islam :

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: ABDUL RAHIM FUDA

| SHAABAN 1394 | ENGLISH SECTION | SEPTEMBER 1974 |
|---|---|---|

## THE INSTITUTION OF ZAKAT IN ISLAM

*By*

DR. MOHIADDIN ALWAYE

The word Zakat is derived from 'Zaka' which means 'grew'. The other derivations of this word, as used in the holy Quran, carry the sense of purification. The idea of purity and that of the growth of human faculties, and success in life, are connected together. The Holy Quran has spoken of purification of the souls, and its being real success in life.

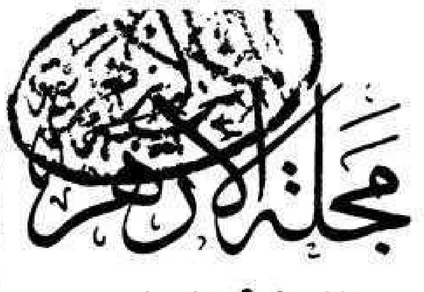
« خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بهـا وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم » . ( التوبة : ١٠٣ )

It means : "Take alms of their wealth, wherewith thou mayst purify them and mayst make them grow, and pray for them. Lo : thy prayer is an assuagement for them. Allah is Hearer, Knower." 9 : 103. and

« ونفس وما سـواها . فالهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها » . ( الشمس : ٧ — ٩ )

"And a Soul and Him who perfected it. And inspired it what is wrong for it and what is right for it. He is indeed successful who causeth it to grow''. 91 : 7-9

According to the famous Arabic lexicographer Rāghib, Zakāt is wealth which is taken from the rich and given to the poor, being so called because it makes wealth grow, or because the giving away of wealth is a source of purification. In fact both these reasons hold true. The giving away of wealth to the poor members of the community, while, no doubt, a source of blessing to the individual, also increases the wealth of the community as a whole, and at the same time it purifies the giver's heart of the inordinate love of wealth which brings numerous sins in its train.



مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشا في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السابع — السنة السادسة والأربعون — رمضان سنة ١٣٩٤ هـ — أكتوبر سنة ١٩٧٤م


بسم الله الرحمن الرحيم

# العمل في رمضان

للأستاذ عبد الرحيم فودة

١ — يستقبل المسلمون شهر رمضان بما يستحق من ترحيب واهتمام وجد ، ويرون في هلاله طالع يمن وخير وبركة ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يرى فيه ذلك . كما يفهم من قوله فيه : « اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام . ربي وربك الله هلال رشد وخير » وكان عمله في هذا الشهر كعمله في غيره جهادا متصلا . وحركة دائبة . وسعيا الى الخير في كل سبيل اليه ، بل كان عمله فيه أعظم وأكثر منه في غيره . اذ كان يصوم نهاره ويقوم ليله ، ويقول : « الصيام لله عز وجل لا يعلم ثواب عامله الا الله عز وجل .. » وكان اذا دخل العشر الأواخر من هذا الشهر أحيا الليل . وأيقظ أهله وجد وشد المئزر . كما روى عن عائشة رضى الله عنها ..

٢ — فصيام رمضان لا يبرر التهاون في العمل . أو التفريط فيه . أو الاقلال منه . بل هو على العكس من ذلك . يثير الرغبة فيه . والحرص

عليه .لأن الثواب عليه أكرم وأعظم . واحتمال المشاق فيه صبر وجهاد . وقد قال تعالى : « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » وقال صلى الله عليه وسلم : « جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم » .

٣ ـ أما ما قيل من أن نوم الصائم عبادة فلا يفهم ان صح سنده ونسبته الى النبى صلى الله عليه وسلم على معنى طلب الاخلاد الى النوم ، والركون الى الكسل والراحة ، وانما يفهم على معنى أنه اذا كان النوم فيه عبادة ؟ فان العمل عبادة أكبر وأكثر خيرا وثوابا ، ويفهم كذلك على معنى أن هذا الشهر خير . حتى ما يكون فيه من نوم يستجم به الصائم ، ويستريح فيه من عناء العمل ، ولعل مما يؤيد ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « اذا دخل شهر رمضان . فتحت أبواب الجنة . وغلقت أبواب النار . وصفدت الشياطين ، ونادى مناد : يا باغى الخير هلم ، يا باغى الشر أقصر » فان معنى هذا الحديث أن أبواب الخير تفتح فى هذا الشهر ، وأن أبواب الشر تغلق به ، وأن الشياطين لا تجد فيه حرية الحركة لافساد العباد ، ولا ترى فيه مجالها الواسع لنشر الفساد ، ومعناه كذلك أن من يبغى الخير فعليه أن يطلبه بالعمل له فى هذا الشهر ، وأن من يبغى الشر فعليه أن يحجم عنه ولا يطمع فيه . لأنه سيجد الطريق اليه صعبا والعقاب عليه شديدا .

٤ ـ وهكذا نجد فى هذا الشهر الفرصة المواتية المناسبة للاستزادة من الخير ، اذ أن الصيام فيه يخلص الانسان من تأثير شهواته ، ويحرره من مألوف عاداته . ويرتفع بقيمته ، وهمته ،وعزيمته ، وارادته الى مستوى المؤمنين الصادقين الأقوياء ، وبذلك يكون قوة نافعة فى المجتمع وطاقة دافعة الى التقدم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « اغتنم خمسا قبل خمس : « شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » .

٥ ـ فالعمل فى رمضان كالعمل فى غيره من حيث هو مطلوب وواجب ليتحقق به مع الايمان الخير والثواب والحياة الطيبة كما يفهم من قول الله : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون » بل ان العمل فى رمضان أكثر ثوابا ، وأعظم بركة ، وأرجى للخير منه فى غيره ، والله ولى التوفيق ؟

**عبد الرحيم فودة**

---

قال عز وجل :

« ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون . اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . وما جعله الله الابشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » .

( سورة آل عمران الآيات : ١٢٣ ـ ١٢٦ )

# دراسات قرآنية :

# لا حرج فى الزينة وطيبات الرزق

للأستاذ مصطفى محمد الطير

**« قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا .. » .**

( ٣٢ : الأعراف )

أيها القارىء الكريم :

بينا لك فى العدد السابق أن الاسلام يندبك الى اتخاذ الزينة عند ارادة الصلاة ، فى المسجد أو سواه ، كما يندبك الى القصد فى المطاعم ، وعدم الاسراف فيها ، حفاظا على صحتك الجسدية والروحية ، واليوم نتحدث لك فى شأن حكم التزين مطلقا ، للصلاة وغير الصلاة ، كما نتحدث لك فى شأن حكم الطيبات من الرزق، شارحين قوله تعالى : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده .. » الآية .

## البيان

المقصود من زينة الله التى أخرجها لعباده ، ما يتجمل به الناس ويزدانون به فى أنفسهم من الثياب الجميلة ، أو فى بيوتهم من الرياش والطنافس ، ونحو ذلك .

وقد أنكر الله فى هذه الآية ، ما كان يزعمه بعض المشركين العرب، من أنه تعالى حرم لبس الثياب أثناء الطواف بالبيت ، وكان هذا الانكار بأبلغ أسلوب وأشمله ، حيث لم يجعل الانكار موجها الى خصوص ما زعموه، من تحريم الله الطواف بالبيت وهم مستترون ، بل جعل الانكار موجها الى تحريم التزين بفاخر الثياب ، وما هو فى حكمه من اتخاذ الرياش والأثاث فى البيت ، ليعلم أنه اذا كان الله لم يحرم مثل ذلك فى حج أو غيره ، فانه لا يعقل أن يحرم ستر العورة احتشاما أمام الله وأمام الناس

عند الطواف ، بل الذى يعقله العاقلون أن يوجب الستر ، صيانة للعورات ، واحتشاما وتصونا من عرضها أمام أعين الطائفين رجالا ونساء ، ومنعا لاثارة الغرائز فى أثناء الطواف ، وما تستتبعه بعد ذلك من الموبقات .

فيفهم من قوله تعالى : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده » أنه لم يحرم ستر العورة أثناء الطواف، بل شرع لهم ما هو أوسع من وجوب سترها ، وهو التزين بالثياب والرياش الفاخرة ، فى أنفسهم وفى بيوتهم ونحوها ، ومن ذلك اتخاذ المراكب النفيسة ، وان كان المطلوب فى الحج التقشف فى الثياب على النحو المعروف. روى أن عليا كرم الله وجهه ، بعث ابن عباس الى الخوارج ، فلبس أفضل ثيابه ، وتطيب بأطيب طيبه ، وركب أحسن مراكبه ، وخرج اليهم ، فلما رأوه فى زينته هذه قالوا : يا ابن عباس : بينا أنت خير الناس ، اذ أتيتنا فى ثياب الجبابرة ومراكبهم ، فتلا هذه الآية » وعن ابن عمر أنه قال : اذا وسع الله عليكم فأوسعوا .

وقد استدل بالآية من أباح لبس الحرير والخز للرجال ، روى عن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أنه كان يلبس كساء خز(١) ، بخمسين دينارا ، يلبسه فى الشتاء ، فاذا جاء الصيف تصدق به ، أو باعه فتصدق بثمنه ، وكان يلبس فى الصيف ثوبين من متاع مصر ممشقين(٢) ويقول : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

وروى أن الحسين رضى الله عنه، أصيب وعليه جبة خز .

وكان طاووس يخالف فى شمول الاباحة للحرير ، تقييدا لاطلاقها فى الآية بما جاء فى السنة من تحريمه على الرجال ، روى عنه أنه قرأ هذه الآية وقال : لم يأمرهم الله سبحانه بالحرير ولا الديباج ولكنه كان اذا طاف أحدهم وعليه ثياب ، ضربوه وانتزعت منه ، فأنكر عليهم ذلك ، وسواء أخذنا بهذا الرأى أم بذاك ، فانه يحرم أن يكون التجمل بالثياب

---

(١) الخز الحرير .

(٢) اى مصبوغين بالمشق ، وهو صبغ أحمر ، يقال ثوب ممشق وممشوق ، اى مصبوغ بالمشق .

الفاخرة لقصد الفخر والخيلاء ، وانما يكون للتجمل بنعمة الله واظهار فضله ونعمته ، مع التواضع والخشوع ، وقد ورد فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «اذا أنعم الله على عبد ، أحب أن يرى نعمته عليه » •

قيل لبعض من يرى التجمل بالثياب الفاخرة : أليس عمر ـ رضى الله عنه ـ كان يلبس قميصا مرقعا بعدد من الرقع ؟ فقال : انه كان يفعل ذلك لأنه كن أمير المؤمنين ، ويريد أن يقتدى به عماله ، وربما لم يكن لهم مال ، فتمتد أيديهم الى المسلمين ، ليلبسوا فاخر الثياب ، ومما يدل على اباحة التجمل بذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج يوما وعليه رداء ثمنه ألف درهم ، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يفعل ذلك الا قليلا، فقد كان غالب حاله التقشف والزهد ، كما هو معروف من كتب الشمائل ، وكتب السنة •

وكان أبو حنيفة رضى الله عنه يرتدى برداء قيمته أربعمائة دينار ، وكان يأمر أصحابه بذلك ، وكان محمد بن الحسن من أصحابه ، وكان يلبس الثياب النفيسة ويقول : ان لى نساء وجوارى ، فأزين نفسى ، حتى لا ينظرن الى غيرى •

أما ما ورد فى مسلم من حديث عمر أنه رأى حلة سيراء تباع على باب المسجد فقال : يا رسول الله : لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود اذا قدموا عليك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما يلبس هذا من لا خلاق له فى الآخرة » فان الرسول لم ينكر فيه التجمل بهذه الحلة ، الا لما فيها من الخطوط الصفراء التى تبعث على الخيلاء ، فان حلة السيراء ، هى الحلة ذات الخطوط الصفراء ، ولذا قال : (لا خلاق لهم فى الآخرة) أى لا نصيب لهم فيها ، لما تبعث عليه من العجب ، ويدل لذلك ما تقدم من خروجه مرة وعليه رداء قيمته ألف درهم ، وأنه صلى الله عليه وسلم حث على أن يظهر العبد نعمة الله عليه ، وبين أنه تعالى يحب ذلك ، كما تقدم•

وقال خالد بن شوذب : شهدت الحسن وقد أتاه فرقد ، فأخذ الحسن بكسائه فمده اليه ، وقال الحسن : يا فرقد يا ابن أم فريقد : ان البر ليس فى هذا الكساء ، ان البر ما وقر فى الصدر وصدقه العمل : ا هـ

وخلاصة ما تقدم أن فرقد كان يلبس ثوبا خشنا أو مرقعا تقشفا وزهدا ، فأخذ الحسن بطرفه ، ولامه على لبس مثل ذلك الثوب مما يزرى بلابسه ، ويحمل الناس على احتقاره ، وأفهمه أن البر انما هو فى التقوى لا فى مثل ذلك ، وأن التقوى ما وقر فى الصدر وصدقه العمل .

### طريقة السلف فى اختيار الثياب

كان كثير من السلف الصالح على نحو ما رأيت من أنهم كانوا يحبون اظهار نعمة الله عليهم ، ولا يرون بأسا بالتجمل بثياب قيمة كما تقدم بيانه ، ويرون أن قوله تعالى : «ولباس التقوى ذلك خير» لا يمنع من ذلك ، ولهذا كانوا مع تجملهم بالثياب ، على أرفع درجات التقوى ، وانما يكون لباس التقوى خيرا من لباس الزينة ، أذا كان التجمل به خاليا من التقوى ، ولذا وقعت المفاضلة بينهما ، أما مع التقوى فلا مفاضلة ، اذ التقوى حاصلة عند صالحيهم ، من تجمل منهم بفاخر الثياب ومن لم يتجمل ، ولا شك أن التقوى مع التجمل خير منها مع عدم التجمل ، لأن التقى المتجمل استطاع أن يضبط نفسه ، مع وجود ما قد يصرفه عن التقوى ، بخلاف التقى غير المتجمل ، فانه لم يستطع أن يصرفها الى التقوى ، وأن يضبط نفسه ، الا بالتقشف ، ومن ثم قالوا : ان الغنى الشاكر خير من الفقير الصابر ، والمطيع مع الصارف عن الطاعة ، خير من المطيع مع عدم الصارف عنها .

ومع هذا فقد كان الغالب عليهم لبس الثياب المتوسطة ، قال أبو الفرج: كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة، لا المترفعة ولا الدون ، ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد ولقاء الاخوان، ولم يكن تخير الأجود عندهم قبيحا .

وأما اللباس الذى كان يزرى بصاحبه ، فانه يتضمن اظهار الزهد والفقر ، وكأنه لسان يشكو من الله تعالى ، ويوجب احتقار اللابس ، وكل ذلك مكروه منهى عنه .

فان قال قائل : تجويد اللباس هوى النفس ، وقد أمرنا بمجاهدتها ؟ وتزين للخلق ، وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق .

فالجواب : أنه ليس كل ما تهوى النفس يذم ، ولا كل ما يتزين به للناس يكره ، وانما ينهى عن ذلك اذا كان الشرع قد نهى عنه ، أو كان على

وجه السرياء فى باب الدين ، فان الانسان يجب أن يكون جميلا ، وذلك حظ النفس لا يلام فيه ، ولهذا يسرج شعره وينظر فى المرآة ، ويسوى عمامته ، ويلبس بطانة الثوب الخشنة الى داخل ، وظهارته الحسنة الى خارج ، وليس فى شىء من هذا ما يكره .

روى مكحول عن عائشة قالت : كان نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينتظرونه على الباب ، فخرج يريدهم ، وفى الدار ركوة فيها ماء ، فجعل ينظر فى الماء ويسوى لحيته وشعره ، فخرج يريدهم ، فقلت يا رسول الله : وأنت تفعل هذا ؟ قال : نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه ، فليهيىء من نفسه ، فان الله جميل يحب الجمال » .

وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنة ، قال : ان الله جميل يحب الجمال » .

وجمال الله هو كماله فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله ، دون أن يكون له فى كل ذلك شبيه أو مثيل ، وكل ما خطر ببالك ، فالله تعالى بخلاف ذلك .

**« والطيبات من الرزق »**

ذلك ، أى أنه تعالى لم يحرم الطيبات من الرزق ، كما لم يحرم زينته التى أخرجها لعباده ، ليستتروا بها ويزدانوا :

وطيبات الرزق نعم ما طاب كسبا وطعما .

وقال ابن عباس : يعنى بالطيبات ما حرم الله من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى : وابن عباس بقوله هذا يرى أن الآية رد على ما كان يفعله أهل الجاهلية ، من تحريم أنواع من الماشية ، كما هى رد عليهم فى كشف العورة فى الطواف وقد مر بك فى مقال العدد السابق ، بيان المراد من البحيرة والسائبة ، أما الوصيلة فهى الناقة التى وصلت بين عشرة أبطن ، ومن الشياه ما وصلت

سبعة أبطن ــ عناقين عناقين(١) ــ فإن ولدت عناقا وذكرا معها ، قيل للعناق وصلت أخاها الذكر » فلا يذبح لآلهتهم من أجلها(٢) ، وذكر البيضاوى فى تفسير الوصيلة من الشياه ، أن مشركى العرب كانوا اذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم ، وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم ، وان ولدتهما قالوا وصلت الأنثى أخاها ، فيجعلونه لهم ، ولا يذبحونه لآلهتهم ، والحامى : هو الفحل من الابل اذا خرج من صلبه عشرة أبطن ، فيحرمون ظهره على أنفسهم فلا يركبونه ، ولا ينتفعون منه بشىء ، ولا يصدونه عن ماء ولا مرعى، ويقولون : قد حمى ظهره ، أى حفظه ومنعه من الركوب ، بما قدم لهم من النسل ، وكانوا ينسبون تحريم هذه الماشية الى الله » فأنكر الله تحريمها بقوله فى سورة المائدة : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام .. »(٣) .

وقصر ابن عباس الطيبات من الرزق على هذه الأربعة ، لا يمنع من ارادة عموم المستلذات من المطاعم ، فان العبرة بعموم اللفظ ، وتدخل هذه الأربعة فى نطاق هذا العموم .

وقد اختلف فى الاعراض عن طيبات الرزق وتناولها ، فقال قوم يستويان ، لأنها مباحات وليست قربات ، وقال آخرون : تركها أفضل، لأنه وسيلة الى الزهد فى الدنيا وقصر الأمل فيها ، وترك التكلف لأجلها ، وذلك مندوب اليه ، والمندوب قربة ، وكرهه آخرون لقوله تعالى : « أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » (٤) .

والتحقيق أنه لا كراهة فى شىء من ذلك ما دام لا يضر الجسم ، ولا يجهد الجهاز الهضمى ، ولا يضيق به الكسب ، وبخاصة ما كان بغير كلفة ، فانه لم ينقل عن الرسول صلى الله

---

(١) العناق الأنثى من ولد المعز ، والمراد أن الشاة من الغنم أو المعز اذا ولدت سبع مرات متتاليات فى كل بطن منها اثنيان ، وولدت بعدها ذكرا وانثى ، جعلوا الأنثى سببا فى منع ذبحه لآلهتهم ، وقالوا اوصلت أخاها، وكانت الأنثى لهم ، والذكر لآلهتهم عند الانفراد .

(٢) ولا يشرب لبن الأم حينئذ الا الرجال دون النساء .

(٣) الآية (١٠٣) .

(٤) سورة الأحقاف آية : ٢٠ .

عليه وسلم أنه امتنع عن طعام قدم اليه من أجل كونه طيبا » بل صح أنه كان يأكل اللحم والحلوى والعسل والبطيخ والرطب .

وانما يكره التكلف لما فيه من التشاغل بشهوات الدنيا عن مهمات الآخرة ، والله تعالى أعلم - « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا » أى قل لهم أيها الرسول : هذه النعم مباحة للذين آمنوا فى حياتهم الدنيا ، فعليهم أن يستبقوها بالشكر : « خالصة يوم القيامة » أى جعل الله هذه الطيبات فى الآخرة خالصة لهم ، ينعمون بها فى الجنة وحدهم ، وليس للكافرين فيها نصيب كما كان لهم فى الدنيا ، فان الدنيا دار امتحان بالنعم والتكاليف، فلذا كانت مشتركة فيها ، أما الآخرة فهى دار جزاء ، فلا ينعم بالخير والثواب سوى المؤمنين .

« كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » أى مثل ذلك التفصيل لهذا الحكم نفصل سائر الأحكام ، لقوم يعلمون ما فيها من الأحكام والمعانى فيعملون بها - والله تعالى هو الموفق والمعين ؟

**مصطفى الطير**

# حوار نبوى حول الصيام

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انطلق فأتاه بعد سنة وقد تغيرت حالته وهيئته فقال : يا رسول الله أما تعرفنى ؟ فقال : ومن أنت ؟ قال : أنا الباهلى الذى جئتك عام الأول • قال : فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة ؟ قال : ما أكلت طعاما منذ فارقتك الا بليل • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلم عذبت نفسك ؟ ثم قال : صم شهر الصبر ويوما من كل شهر ، قال زدنى فان لى قوة ، قال : صم يومين ، قال : زدنى ، قال : صم ثلاثة ، قال زدنى ، قال : صم من الحرم واترك ، صم من الحرم واترك ، صم من الحرم واترك ، وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها أخرجه أبو داود •

رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم صاحب رسالة ومعلم ، وكل صاحب رسالة لابد أن يكون معلما يبشر بمبادئه ، ويعرف بحقائقها وقيمها ويشرح أهدافها وما ينتظر منها من خير ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم معلما بقوله وعمله لا يضن فى ذلك بوقت أو جهد ، متواضعا مع جلالته وعظمته يستوقفه من يشاء من المسلمين أيا كان قدره وخطره ليستفهم ويستعلم فيستجيب له لا يضيق ولا يضجر ، وكان أحيانا لا ينتظر من يسأله بل يبتدره للارشاد والتوجيه اذا وقف على ما يستوجب ذلك ، كما رأينا هنا فى حواره مع الباهلى حين سأله عما غيره وذهب برونقه ونضارته التى كانت عليه حين رآه من قبل فأجابه الباهلى بما أجاب •

ولقد أثار حوار النبى مع الباهلى قضية عامة تتعلق بمقاصد التشريع الاسلامى وقضية أو قضايا خاصة تتعلق بموضوع الصوم ، أما فيما يتعلق

بالقضية العامة أعنى قضية مقاصد التشريع فقد نبه الرسول بما قاله للباهلى حين استنكر حالته وهيئته الى أنه ليس من مقاصد الشريعة فى افتراض الصيام أو غيره من الأحكام ارهاق النفوس وتعذيبها وانما مقاصده اصلاح النفوس وتهذيبها وان يكن فى بعض الأحكام مشقة فبالقدر الذى تحتمله النفوس السوية والأجسام القوية ، وبالقدر الذى ترى أنه لابد منه فى تقويم النفوس وتهذيب الغرائز ، وقد حرص الاسلام فى قرآنه وسنته على ابراز هذا المعنى وتأكيده فى كثير من الآيات والأحاديث ، وحسبنا فى هذا المقام اشارة الرسول عليه الصلاة والسلام الى خطأ الباهلى فيما أخذ به نفسه من مواصلة الصيام حتى أهزل جسمه وغير هيئته وأبهم على الرسول شخصيته وقوله له : لم عذبت نفسك ؟ ، وانها لكلمة من الرسول الى الباهلى تضمنت الروح التشريعى العام التى قام عليها بناء الاسلام ، وهى روح اليسر والمساهلة والمقاربة التى يشرحها بعض الشرح قوله صلى الله عليه وسلم : ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بشىء من الغدوة والروحة وشىء من الدلجة .

لقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم فيما فعل الباهلى بنفسه من مواصلة الصيام الذى أضعفه تعذيبا فلفته بلطف الى أن الشريعة لا تقر التعذيب ولا تكلف به وانما تكلفه بما فى الوسع والطاقة وتراعى أحوال الناس فتكلف كلا ما يطيق ، وانها لترفع التكليف مطلقا عمن تزول عنه أهلية التكليف لعارض من العوارض الجسمية أو العقلية مما ترى أنها معفية منه .

ولقد كانت الاشارة الى هذا المعنى كالمقدمة للحديث عن الموضوع الخاص بالصوم ، وقد ذكر الحديث أنواعا من الصيام المشروع يمكن اجمالها فى عنوانين : صيام مفروض، وصيام متطوع به ،أما الصيام المفروض: فهو صيام رمضان الذى هو أحد أركان الاسلام ، وهو فرض على كل مسلم بالغ قادر لا يسقط عنه أو يؤجل له الا بعذر من الأعذار التى قررتها الشريعة ، وهو الشهر الذى سماه الحديث شهر الصبر ، وتسميته شهر الصبر واضحة ، ففى صومه حبس النفس مع الله تعالى ، وحبسها عن شهوات الطعام والشراب والنساء وعن لغو الكلام وعن سائر الآثام ، هذا فيمن صام ، أما من لم يمتثل أمر الله

بالصيام وفسق عن طاعته فقد فوت على نفسه فضيلة الصبر وفاته أجر الصابرين •

وصيام رمضان ، ومكانه فى بناء الاسلام ، وسر التكليف به ليس فى حاجة الى بيان فكل مسلم يعرف أنه جزء من حقيقة الاسلام لا يتم اسلام المرء الا به كالصلاة والزكاة والحج مما أصبحت معرفته من ضرورات الدين يعنى مما لا يحتاج فى بيان وجوبه الى أدلة أو براهين •

والنوع الثانى الذى تعرض الحديث للكلام فيه من الصيام هو : الصوم المتطوع به ، والتطوع بالصيام مشروع ومحبوب ، ويستحب للمسلم فى كل فرصة وفى كل وقت وهو مأجور عليه ما عدا أياما حرم الاسلام أو كره الصوم فيها كيومى العيدين ويوم الشك على ما وردت به الأحاديث وبينه الفقهاء ، وقد كان النبى يصوم كثيرا ، فيصوم حتى يقال : انه لا يفطر ، ويفطر حتى يقال انه لا يصوم وقد ورد أنه اختص أياما بكثرة الصوم فيها فصح عنه أنه كان يصوم كثيرا فى شهر المحرم وشهر شعبان وانه كان يصوم العشر الأوائل من ذى الحجة وسئل عن صوم يوم عرفة فقال يكفر السنة الماضية والقادمة وصام يوم عاشوراء ،وأمر بصيامه وقال يكفر السنة الماضية وقال : لئن بقيت الى قابل لأصومن التاسع والعاشر ، وكان يتحرى صوم الاثنين والخميس ، وحبب فى صيام ستة من شوال ، وكان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر هى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر المعروفة بالأيام البيض •

ولم يصم الثلاثة الأشهر سردا يعنى رجب وشعبان ورمضان ــ كما يفعله الناس الآن ولا صام رجبا قط ولا استحب صيامه بل روى عنه النهى عن صيامه كما قال العلامة ابن القيم نقلا عن ابن ماجه وقد خص رسول الله فى الحديث هنا الثلاثة الأشهر الحرم بالعناية فكرر نص الحكم بصيام بعضها توكيدا ودفعا لما عساه يفهم من صيامها جميعها تعظيما لها ، فقال : صم الحرم واترك ثلاث مرات ، وأشار بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها ، والاشارة بالأصابع الثلاثة يعنى أن المراد بالثلاثة الأشهر هذه ، هى الثلاثة المتتالية من الأشهر الحرم وهى : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، أما الشهر الرابع منها فهو رجب ، ومعنى

صم الحرم واترك يعنى لا تصمها جميعا بل صم منها وأفطر ولا تصمها جميعا متتالية •

ان الصوم عبادة فيها مشقة وبقدر المشقة يكون الجزاء ؛ هذا حكم الدين وقانون العدل ،وهذا ما استقر فى أذهان المسلمين وطمعا فى هذا الجزاء يحب المسلمون الصوم ويحرصون عليه ويستهينون فيه بالصعاب ولا يبالون مايتوقع من أخطاره،يصومون رمضان ويحرصون عليه حرصهم على أعز عزيز عندهم ، ويرى المسلم أن فى الافطار فيه طعنا فى ايمانه ونقصا فى دينه ونزولا بخطره وقدره ومروءته والعجب فى أمر رمضان أن يتحول فجور الفاجر فيه الى تقى وعبادة وتوبة وانابةويكون رمضان مرحلة الى حياة جديدة من الطهر والاستقامة ويصوم المسلمون فى غير رمضان ما أحب الشارع صيامه من الأيام كما ذكرنا ويزيدون فيه كل ما قدروا عليه ، والشارع يجيز ذلك ويحتسب للمسلم أجره ، غير أن الذى لا يجيزه الشارع أن يحمل الصائم نفسه ما لا طاقة له به ؛ ولذلك كره صوم الدهر ، وصوم الوصال وهو أن يواصل صيامه يومين لا يفطر فيهما ، وكره للضعيف أن يصوم رفقا به ، ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «اياكم والوصال» مرتين ، فقيل : انك تواصل ، قال : انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى ، فاكلفوا من الأعمال ما تستطيعون وقد كان رسول الله يتفرس أحوال السائلين عن الصيام ، فكان يأمر أحيانا بصيام يوم من الشهر وبصيام يومين أو ثلاثة ، والذى يتتبع ما ورد من الأحاديث فى صيام التطوع يجد أساس التقدير والاباحة هو الامكان والاقتدار وفى هذا الحديث نجده قد أمر الباهلى بصيام يوم من كل شهر فلما استزاده الباهلى لقدرته على أكثر منه جعله يومين ثم ثلاثة حين أحس منه القدرة على الصوم كما نجده قد استنكر منه أولا أن يصوم دائما لما رأى من آثار الضعف عليه حتى تغيرت حالته وهيئته •

ان الصوم عبادة فى الاسلام وفيما قبله من الأديان الا أنها عبادة توزن بميزان الاسلام فى القصد والاعتدال ومراعاة الأحوال وقد يعوض عن كميتها وكيفيتها فى مراعاة آدابها وأسرارها وكم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ؟

**ابو الوفا المراغى**

من هدى السنة :

# الجزاء الأوفى للصائم

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال الله عز وجل : « كل عمل ابن آدم له الا الصيام ، فانه لى، وأنا أجزى به ، والصيام جنة : فاذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ، ولا يصخب ، فان سابه أحد ، أو قاتله فليقل : انى امرؤ صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما : اذا أفطر فرح ، واذا لقى ربه فرح بصومه .

متفق عليه ، واللفظ للبخارى .

راوى الحديث : سبق التعريف به فى عدد ربيع الثانى من هذا العام .

**اللغة :**

( كل عمل ابن آدم له ) أى كل عمل صالح صدر منه له فيه حظ وغاية ، نظرا لاطلاع الناس عليه ، فيتعجل منهم التقدير والثناء .

( الا الصيام فانه لى ) المراد أنه عبادة خالصة لى ، لايطلع عليها غيرى ، ولا حظ فيها لنفس الصائم .

( وأنا أجزى به ) أى أضاعف الجزاء عليه من غير عد ولا حساب .

( والصيام جنة ) الجنة بضم الجيم الوقاية والستر ، ومعنى كون ( الصيام جنة ) أنه وقاية من المعاصى ، أو من النار ، أو من جميع ذلك .

( فاذا كان ) كان هنا تامة بمعنى وجد .

( فلا يرفث ) بضم الفاء وكسرها اذا كان الماضى رفث بفتح الفاء .

واذا كان الماضى رفث بكسر الفاء فان المضارع يرفث بفتحها ، والرفث

الفحش في القــول ، والمــراد نهى الصائم عن أن يتكلم بالكلام الفاحش .

( ولا يصخب ) الصخب بفتح الخاء الصياح والخصومة .

( وان سابه أحد أو قاتله ) السب الشتم والطعن ، ومعنى (قاتله) نازعه ، أو خاصمه، (فليقل انى أمرؤصائم ) امرؤ بمعنى رجل ، وهو في اللغة من الغـرائب ، لأن عينـه تتبـع لامه في الحركات الثلاث دائما ، تقول : هذا امرؤ ، ورأيت امرءا ، ونظــرت الى امرىء .

( والذى نفس محمد بيده ) صيغة قسم يراد بها التأكيد للكلام بعدها .

( لخلوف فم الصائم ) يقال : خلف فم الصــائم تغيرت رائحته ، ويكون المضــارع منه يخلف بضـم اللام على وزن يدخل ، و (خلوف) تغير رائحة فم الصــائم ، وهو بضم الخاء واللام كما صححه أهل التحقيق من المحدثين جاء في فتح البارى ج ٤ ص ١٠٥ ط السلفية بعد ضبط الكلمة على النحو ـ ما نصه :

قــال عيــاض : هــذه الرواية الصحيحة ، وبعض الشيوخ يقــوله بفتح الخاء ، قال الخطابى : وهو خطأ ، وحـكى القـابسى الوجهـين ، وبالغ النووى في « شرح المهذب » فقـال : لا يجوز فتـح الخاء ، واحتـج غيره لذلك بأن المصـــادر التى جاءت على ـ فعول ـ بفتـح أوله قليلـة ذكرها ســـيبويه وغيره ، وليس هذا منهـا ، واتفقوا على أن المراد به تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام ، أ هـ .

**تمهيـد :**

**لمـا كان بعض هذا الحديث قدسيا رأيت من المفيد أن أعطى القــارىء فكرة عن الفرق بين القرآن الكريم ، والحديث القدسى، والحديث النبوى ، فأقول :**

أجمع العلماء على أن لفظ القرآن ومعناه من عند الله تعـالى أنزلهما على رسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وعلى أن معنى الحديث القدسى منزل من عند الله تعالى ، وعلى أن الحديث النبوى لفظه من عند الرســول عليــه الصلاة والسلام .

**واختلفوا في لفظ الحديث القدسى، هل هو منزل من عنــد الله تعــالى كالمعنى ، أو أن لفظه من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ؟**

واليك تعريف كل واحد من هذه الأنواع المذكورة ، ليتضح الفرق بينها •

**تعريف القرآن :**

تعريف القرآن : هو كلام الله تعالى ، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، المنقول الينا بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه •

**تعريف الحديث القدسى :**

هو قول أضافه الرسول صلى الله عليه وسلم الى الله سبحانه وتعالى ، مثاله : صدر الحديث الذى معنا ، وهو ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : ( كل عمل ابن آدم له ، الا الصيام ، فانه لى ، وأنا أجزى به ) •

**وجه تسميته بالحديث القدسى :**

نسب هذا القول الى القدس ( وهو الطهارة والتنزيه ) لأنه صادر من الله عز وجل ، حيث أنه المتكلم به أولا ، والمنشىء له •

وسمى حديثا ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحاكى له عن الله تعالى ، بخلاف القرآن الكريم ، فانه لا يضاف الا الى الله سبحانه ، فيقال فيه : قال الله تعالى : ، ويقال فى الأحاديث القدسية :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى ، أو قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى •

**الفرق بينه وبين القرآن :**

على القول بأن الحديث القدسى نزل بلفظه ومعناه يفرق بينه وبين القرآن بأمور :

١ ـ القرآن الكريم شرع الله تعالى لنا التعبد بتلاوته ، بخلاف الحديث القدسى فلم يتعبدنا بتلاوته •

٢ ـ أسلوب القرآن معجز قصد به التحدى ، وليس كذلك الحديث القدسى •

٣ ـ القرآن لاتجوز روايته بالمعنى ، وأما الحديث القدسى فتجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين •

٤ ـ القرآن يحرم على المحدث مسه ، وتحرم تلاوته على الجنب والحائض والنفساء ، بخلاف الحديث

القدسى ، فلا يحرم على المحدث مسه ، ولا على الجنب والحائض والنفساء تلاوته .

وعلى القول بأن الحديث القدسى نزل بمعناه فقط ، فانه يكفى فى التفرقة بينه وبين القرآن أن الحديث القدسى نزل من عند الله تعالى بمعناه فقط .

والقرآن الكريم نزل باللفظ والمعنى .

**الراجح من القولين :**

يترجح القول بأن الحديث القدسى نزل بمعناه فقط لما يأتى :

أولا : لو كان الحديث القدسى منزلا بلفظه لكان له من الخصائص والقداسة ما للقرآن ـ فانه لا وجه للتفرقة بين لفظين منزلين من عند الله تعالى .

فيلزم فى الحديث القدسى : التعبد بتلاوته ، وأن يكون أسلوبه معجزا ، وألا تجوز روايته بالمعنى ، ويحرم مسه على المحدث ، وتلاوته على الجنب والحائض والنفساء ـ ولم يقل أحد من العلماء بشىء من هذا .

ثانيا : وجود فرق بين القرآن والحديث القدسى فى المقصد والغاية من انزالهما ، فان القرآن لما كان مقصودا منه مع العمل بمضمونه شىء آخر ـ وهو التعبد بتلاوته ، والتحدى بأسلوبه ـ كان لهذا انزاله بلفظه .

والحديث القدسى لم ينزل للتعبد بتلاوته ، ولا للتحدى بأسلوبه ، بل لمجرد العمل بمضمونه ، وهذه الفائدة تتحقق بانزال معناه فقط ، فلا وجه للقول بانزال لفظه ، وأما ماورد فى اسناد الحديث القدسى الى الله تعالى بصيغة : قال الله تعالى كذا ، أو يقول الله كذا ـ فانه يمكن تأويله بأن المراد نسبة مضمونه ، لا نسبة لفظه ، كما تقول حينما تعبر عن المراد ببيت من الشعر : يقول الشاعر كذا ..

وأنت طبعا تذكر هذا القول بلفظك أنت لا بلفظ الشاعر . (1)

---

(1) النبأ العظيم بتصرف .

**الحديث النبوى :**

ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوال ،كالأوامر والنواهى، وكذلك يشـمل الحديث النبـوى ما صدر عنه صلى الله عليه وسـلم من أفعال ليست جبلية ، وتقريرات .

مثال أمره عليه الصلاة والسلام ما رواه أبو داود والحاكم عن عمـرو ابن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليـه وسـلم قال : ( مروا أولادكم بالصلاة وهمأبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبنـاء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع ) ومثاله من الحديث الذى معنا قوله صلوات الله وسـلامه عليـه : ( فليقـل انى امرؤ صائم ) .

ومثـال نهيـه ما رواه مسـلم فى صـحيحه عن أبى هـريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـه وسـلم قال : ( لا تحاسدوا ) الحديث ..

ومثاله من الحديث الذى معنا قوله عليه الصلاة والسـلام : ( فلا يرفث ، ولا يصخب ) وأما أفعاله فمثل ما نقل عنه صلوات الله وسـلامه عليـه من صفة الوضوء ، وهيئة الصلاة ، وعدد ركعاتها ، وكيفية أعمـال الحج وغير ذلك .

وأما تقريراته صلى الله عليه وسلم فمثل أن يفعل بين يديه فعل ، أو فى غيبته ، ثم يعـلم به ، فيسكت عنـه ، فيدل ذلك على مشروعية هذا الفعل ـ لأنه لو لم يعتبر كذلك لكان سـكوت الرسول عن الانكار تأخيرا للبيان عن وقت الحاجة ، وهو لا يجوز ، ومن أمثلة التقـرير ما ثبت فى رواية الشيخين عن عائشـة رضى الله عنهـا قالت : دخل على النبى صلى الله عليه وسلم مسرورا ، فقـال : ( ألم ترى مجززا المدلجى ؟ دخـل على ، فرأى أسامة وزيدا عليهمـا قطيفة قد غطيـا رءوسهما ، وقد بدت أقدامهما، فقال : ان هذه الأقدام بعضها من بعض )

وقد كان المنافقون طعنوا فى نسبة أسـامة الى زيد ، لأن أسـامة كان أسود ، وكان أبوه زيد أبيض ، فأقر الرسـول صلى الله عليه وسـلم قول المدلجى .

**الفرق بين الحـديث النبـوى وبين القرآن ، وبينـه وبين الحـديث القدسى :**

الفرق بين القـرآن وبين الحديث النبوى الذى هو قوله عليـه الصـلاة والسـلام ـ واضح ـ فان الأول كلام الله تعالى ، والثانى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم •

وأما الفـرق بين الحديث النبـوى وبين الحديث القدسى ـ فعلى القـول بأن الحديث القدسى نزل بلفظه يكون الفرق واضحا أيضا •

وعلى القول بأنه نزل بمعناه فقط ـ كمـا ترجح ـ يتضح الفـرق بعـد ملاحظة ما يأتى :

الحديث النبوى باعتبار معناه ينقسم الى قسمين :

قسم استنبطه الرسـول صـلى الله عليه وسلم باجتهـاده ـ الا أنه عليه الصلاة والسلام لا يقر على اجتهـاد خطـأ ـ وهذا القسـم ليس كلام الله قطعا •

وقسم تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم مضمونه بوحى ، فبينـه للناس بكلامه ، ولمـا لم يرد تصريح بنسـبة معنى الى الله تعالى أضيف الحديث الى النبى صلى الله عليه وسـلم نظرا لأنه هو القـائل له ، ومرتبه على نحـو خاص •

وأما الحديث القدسى فانه ورد فيه التصريح بنسبته لله تعالى ، فصح أن يسمى قدسـيا بهذا الاعتبـار مراعاة للوارد ؟

الحديث موصول •

**منشاوى عثمان عبود**

# بشائر النصر فى معركة بدر

للدكتور محمد سيد طنطاوى

للذكريات قيمتها فى حياة الأمم ، فهى تهدى القلوب ، وتشد العزائم وتبعث الآمال فى النفوس ، وتحمل العقلاء من الناس على الاعتبار والاتعاظ .

وذكرى غزوة بدر عزيزة على نفوس المؤمنين ، لأنها تسوق لهم أروع أمثلة البذل والتضحية والاخلاص ، ولأنها الغزوة التى سماها الله فى كتابه بيوم الفرقان ، لتفريقها بين الحق والباطل ، وقد بشر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حضرها برضى الله ومثوبته فقال : « لكأن الله قد اطلع على أهل بدر فقال : « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

وفى غزوة بدر مجال خصيب للحديث المستفيض عن أسبابها وأحداثها ونتائجها والدروس التى تؤخذ منها .. الا أنى سأقصر كلامى فى هذا المقال على بعض البشارات التى تقدمتها وصاحبتها ، وكانت جميعها تدل على أن النصر سيكون للمؤمنين .

أولى بشارات النصر فى غزوة بدر، تلك الرؤيا التى رأتها عاتكة بنت عبد المطلب قبيل المعركة بأيام قليلة فقد ترتب على هذه الرؤيا أن فزع أهل مكة منها فزعا شديدا وأخذوا يتوقعون أن شرا مستطيرا سيحل بهم عما قريب ..

وملخص هذه الرؤيا ، أن السيدة عاتكة ، استدعت أخاها العباس بن عبد المطلب وقالت له : « يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتنى وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عنى ما أحدثك به ...

لقد رأيت راكبا قد أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا أنفروا يا أهل مكة

لمصارعكم فى ثلاث ... ثم صعد على جبل أبى قبيس وتناول صخرة ثم ألقاها ، فأقبلت تهوى ، حتى اذا كانت بأسفل الجبل تفتتت ، ولم يبق بيت من بيوت مكة الا ودخله قطعة منها .. فقال لها العباس : يا عاتكة ان هذه لرؤية مفزعة فاكتميها ولا تذكريها لأحد .

ولكن العباس حدث بها صديقه الوليد بن عتبة ، والوليد ذكرها لأبيه عتبة ، ثم شاع خبرها فىمكة ، وصارت حديث الناس فى أنديتهم .

وكان من آثار ذلك أن قال أبو جهل للعباس : يا بنى عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم !! لقد زعمت أختك عاتكة فى رؤياها أن الراكب قال : انفروا يا أهل مكة لمصارعكم فى ثلاث ، فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فان يك حقا ما قالت فسيكون ، وان تمض تلك الثلاث ولم يحصل من ذلك شىء فسنكتب عليكم كتابا أنكم أكذب بيت فى العرب .

وقبل أن تمضى هذه المدة ، أقبل « ضمضم بن عمرو الغفارى » وقد جدع أنف بعيره ، وحول رحله ، وشق قميصه ، وجعل يصرخ ويقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد تعرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ..(١) » .

وتحقق ما رأته عاتكة ، فقد خرج أهل مكة بخيلائهم وغرورهم يقودهم أبو جهل الى مصارعهم المقدورة ، وهزيمتهم المحتومة .

خرجوا والغرور قد ملأ قلوبهم ، حتى أنهم رفضوا أسلحة ومعونة قدمها لهم .. خفاف الغفارى قائلين له :

.. لقد قضيت الذى عليك ، ولئن كنا انما نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم ، ولئن كنا انما نقاتل الله ــ كما يقول محمد ــ فما لأحد بالله من طاقة » .

خرجوا ورؤيا عاتكة ماثلة فى أذهانهم ، فتخيف قلوبهم ، وتبعث الرعب فى نفوسهم ، وتجعلهم يتوجسون شرا من وراء هذا الخروج

---

(١) سيرة ابن هشام ــ بتصرف وتلخيص ــ ج ٢ ص ٢٤٥ : طبعة المكتبة التجارية .

الأثيم ، ومن هنا كانت أولى بشائر النصر للمؤمنين .

* * *

أما البشارة الثانية والثالثة والرابعة، فتتمثل فى غشيان النعاس للمؤمنين وفى نزول الأمطار عليهم ، وفى تثبيت الملائكة لهم .

لقد كان نوم المؤمنين قبيل المعركة راحة لأبدانهم ، وأمانا لهم من عدوهم الذى يفوقهم عدة وعددا ، واستهانة بجموعه وحشوده ، اذ لو كانوا يخشون بأسه لما اطمأنوا الى النوم .

وكان نزول المطر نعمة لهم ، لأنهم أخذوا منه ما يحتاجون اليه فى شئونهم المختلفة ، ومهد لهم الأرض وثبتها تحت أقدامهم فسهل تنقلهم فيها - عن عروة بن الزبير قال : « بعث الله السماء ، وكان الوادى دهسا - أى لينا - فأصاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه منها ماء كبد لهم الأرض ولم يمنعهم من المسير وأصاب قريشا منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه[1] » . ، وكان امداد المؤمنين بالملائكة ، تثبيتا لقلوبهم ، وتقوية لعزائمهم ودفاعا عنهم ، والقاء للرعب فى قلوب أعدائهم ، وفى هذا كله أعظم البشارات لجند الله فى بدر .

وقد حكى القرآن ذلك فى قوله تعالى : « اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام. اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فأضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب[2] . »

* * *

وتتجلى البشارة الخامسة فى حيازة المسلمين للماء دون المشركين فقد

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٢ طبعة الحلبى .

(٢) سورة الانفال : الآيات ١١ - ١٣

ترتب على ذلك أن أصبح المسلمون يملكون من المياه ما يغنيهم ويشبع حاجتهم بينما صار المشركون لا يجدون منه ما يسد ضرورتهم .

ويرجع الفضل فى حيازة المسلمين للماء دون المشركين ، الى « الحباب ابن المنذر » فانه قال للنبى - صلى الله عليه وسلم - عندما نزل على أدنى ماء من بدر - يا رسول الله : أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والمكيدة والحرب ؟ فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « بل هو الرأى والمكيدة والحرب » .

فقال الحباب : يا رسول الله ، فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم - أى أقرب ماء من مياه بدر الى المدينة - فننزله - ثم نغور ما وراءه من المياه والآبار ، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون » . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لقد أشرت بالرأى » .

ثم أمر بتنفيذ ما أشار به « الحباب ابن المنذر » بعد أن تبين له صوابه وسداده .

ولقد أحس المسلمون بعد حيازتهم للماء قبيل بدء القتال بالطمأنينة والسعادة تسريان فى جوارحهم ، اذ المياه من الأشياء الضرورية للمحارب لاسيما فى حرب مجالها بالصحراء كما هو الحال فى غزوة بدر .

* * *

وأما البشارة السادسة فكانت على لسان رجل مشرك هو « عمير بن وهب الجمحى » وذلك أن المشركين قبل بدء المعركة قالوا لعمير : « أحرز لنا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - أى انظر لنا كم عددهم - فركب فرسه وجعل يجول حول معسكر المسلمين ، ثم رجع الى قومه فقال لهم : ثلثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ، ولكن امهلونى حتى أنظر للقوم كمين أو مدد ؟ ثم أخذ يتجول بفرسه فى الوادى ويقترب من المسلمين ثم يبتعد عنهم فلم ير أحدا سواهم ، فعاد الى قومه ليقول لهم : ما وجدت شيئا ، ولكنى - يا معشر قريش - قد رأيت البلايا - أى الابل - تحمل المنايا ،

نواضح يثرب تحمل الموت الناقع(١) قوم ليس معهم منعة ولا ملجا الا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ، فروا رأيكم(٢) .

ولك أن تتصور – أيها القارىء الكريم – مبلغ التأثير السىء الذى أحدثه هذا القول فى نفوس المشركين، رجل منهم يخوفهم من قتال المؤمنين ويسوق لهم من العبارات المخذلة ما يرعب قلوبهم ويوهن قوتهم ، ويضعف روحهم ، اذ يؤكد لهم أن أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم– يحملون لهم الموت الذى لا مفر لهم منه الا بترك القتال ، حقا انها لنعمت البشارة للمؤمنين ، أرسلها الله لهم على لسان رجل من أعدائهم ، ان شهد لهم بالثبات والاقدام .. والفضل ما شهدت به الأعداء .

* * *

والبشارة السابعة – وهى من أهم البشارات فى ظننا – تتجلى فى تفهم الروح المعنوية التى استولت على الفريقين قبل المعركة وخلالها .

فان الذى يستقرىء التاريخ يتبين له بوضوح أن فريق المشركين فى معركة بدر كان مختلف الكلمة ، مشتت الارادة ، واهن العزم ، مزعزع الثقة فى نفسه ، لا يعرف الهدف الذى من أجله خرج للقتال .. فبعضهم قاتل عصبية ، وبعضهم قاتل رياء ومفاخرة ، وبعضهم نصح بعدم القتال، وبعضهم أحجم عنه والمعركة على الأبواب ..

فها هو ذا – مثلا – الأخنس بن شريق يمنع بنى زهرة من الاشتراك فى غزوة بدر ، فيقول لهم : « يا بنى زهرة قد نجى الله لكم أموالكم ، فاجعلوا بى جبنها وارجعوا فانكم انما خرجتم لتمنعوا أموالكم وقد نجت » فرجعوا ولم يشهدوها . وها هو ذا أبو سفيان – سيد قريش وزعيمها – يرسل الى قومه من يقول لهم :

« .. يا قوم انما خرجتم لتمنعوا يدكم ورجالكم وأموالكم وقد نجاها

---

(١) اى الابل التى يسقى عليها الماء تحمل لكم الموت الثابت الذى لا مفر لكم منه .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦١ طبعة المكتبة التجارية .

الله فارجعوا » وها هو ذا « عتبة بن ربيعة » يقف خطيبا فى قومه فيقول لهم : « يا معشر قريش ، انكم والله ما تصنعون شيئا بلقائكم لمحمد وأصحابه ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه ، قتل ابن عمه ، أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته ••• يا قوم: انى لأرى قوما مستميتين لا تصلون اليهم وفيكم خير ، فرجعوا واعصبوها اليوم برأسى وقولوا : جبن عتبة وأنتم تعلمون أنى لست جبانا » ، وبهذا نرى أن جبهة المشركين فى بدر كانت مفككة الأوصال متنازعة الرأى ، لا يجمعها هدف واضح ، ولا تضمها قيادة موحدة ، بل بعض أفرادها - كأبى جهل وأشياعه - يحرضون على القتال ، وبعضهم - كأبى سفيان وأنصاره - يرون عدم القتال ، وبعضهم انسحب من المعركة وهى على الأبواب كبنى زهرة وبنى عدى بن كعب • وذلك كله من أكبر دلائل الهزيمة والخسران •

فاذا ما ألقينا بعد ذلك نظرة سريعة على الروح المعنوية التى سيطرت على المسلمين قبل المعركة وخلالها ، وجدناها فى الدرجة العليا من قوة الايمان وصدق العزيمة ، واتحاد الكلمة ، ووضوح المقصد الذى يقاتلون من أجله والطاعة التامة لقائدهم - صلى الله عليه وسلم - والحرص البالغ على الفوز باحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة فى سبيل الله •

لقد كان منهم من قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا رسول الله : امض لما أمرك الله فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد •• » •

كان منهم من ألقى - قبل المعركة - بتمرات فى يده ، ثم اقتحم صفوف المشركين ، وهو يهتف ويقول : « ركضا الى الله بغير زاد » •

وكان منهم من قال لابنه : آثرنى بالخروج وأقم مع أهلك ، فأبى الابن على أبيه ذلك وهو يقول : « لو كان غير الجنة لآثرتك بها » •

وهكذا نرى أن جبهة المسلمين - قبيل غزوة بدر وخلالها - كانت كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وكانت روحهم المعنوية فى أسمى درجات الاقدام والاخلاص •

بيما كانت حالة المشركين فى أسوأ درجات التفكك والتنازع والانهيار وكفى بذلك بشارة للمؤمنين .

أما بعد :

فهذه : بعض البشارات التى ساقها الله للمسلمين قبيل غزوة بدر وأثناءها .. وهناك بشارات أخرى لا يتسع المجال لذكرها ، وكلها كانت تدل على أن النصر سيكون للمسلمين ، وقد تم ذلك بفضل الله ورعايته لجنده العاملين المخلصين . فقد تكفل سبحانه بنصر من ينصره ، فقال تعالى :

« انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

نسأل الله أن يوفق المسلمين للانتفاع بما فى غزوة بدر من عظات وعبر وأن يعيدها عليهم وهم فى صلاح من أمرهم ، وانتصار على أعداء الله وأعدائهم ؟

**د . محمد سيد طنطاوى**

# القيمة الاجتماعية فى فريضة الصوم

الأستاذ يحيى هاشم فرغلى

تبدو فريضة الصوم أكثر أركان الاسلام اتصافا بالطابع الفردى ، ذلك عند النظرة العجلى •

فشهادة التوحيد تقتضى قولا ، واعلانا ، يعلن به المرء اسلامه على الناس لكى يكون واحدا من الجماعة الاسلامية : تجرى عليه سننهم ، وتشريعاتهم ، وتكون له حقوقهم ، وعليه واجباتهم •

وفريضة الصلاة منها ما لا يتم بغير جماعة ، ومنها ما لا يفضل الا بها •

وفريضة الزكاة أخذ وعطاء ، لا يكون الا فى وسط اجتماعى •

وفريضة الحج شعيرة اجتماعية فى أغلب جوانبها •

أما الصوم فيبدو فريضة ينفرد بها المرء أمام نفسه ، فهى امساك ، أو امتناع عن شهوات محددة فى وقت محدد ، لا أثر فيها للتعامل مع الجماعة ، وتقوم على أساس المراقبة الذاتية ، فى علاقة خالصة بين المسلم وبين ربه •

وهذه فى الحقيقة احدى مميزات فريضة الصوم •

ولكنها لا تمثل كل جوانبها ولا تحيط بكل أبعادها •

فكما أن لفريضة الصوم طابعها الفردى الأصيل ، كان لها طابع اجتماعى أصيل أيضا ، بل انها لتنفذ الى أعماق العلاقات الاجتماعية من حيث تحقق خصائصها الفردية التى أشرنا اليها •

وبيان ذلك :

(١) أنه ما من مجتمع يقوم أو يستمر ـ فضلا عن أن يرقى أو يتقدم ـ اذا اقتصر نظامه على المظاهر الخارجية التى تتمثل فى القوانين ، والهيئات ، والمؤسسات ،

والماديات بكافة أشكالها • انه ليحتاج من أول لحظة عمل فى تأسيسه •• الى نوع من الاخلاص والولاء ، لا تكفله القوانين ، ولا توفره المظاهر الخارجية ، بل لابد أن يكون هذا الاخلاص وهذا الولاء فيضا تفيض به نفس الفرد ، وشعورا تشع به جوانحه : دون ضغط أو قسر •

ولكى يصل المجتمع الى تحقيق هذه الغاية فى دخيلة الفرد وضميره لابد له من أسلوب فى التربية لا يلجأ فى تأسيسه الى قهر السلطة أو تأديب القانون • لابد له من أسلوب فى التربية يعتمد على ايقاظ الضمير ، وتعويد الفرد على محاسبة نفسه ، وعلى الاحساس بأنه مسئول عن أعماله أمام قوة غير منظورة ، قوة تعلم ما تخفى الصدور •

وليس كالصيام أسلوب فى التربية يحقق هذه النتيجة التى لا يستغنى عنها مجتمع سليم •

ان الصيام كما قلنا امساك معين فى وقت معين ، لا يطلع عليه الناس ، ولا يمكنهم أن يتابعوه بالملاحظة فى كل حين ، وانما يتمثل فى علاقة خالصة بين المسلم وربه • والى هذا المعنى كانت الاشارة فى قوله تعالى فى حديث قدسى : « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به » •

واذن فالمسلم القائم بفريضة الصوم عضو فى مجتمع ربيت فيه عادة محاسبة النفس ، بصرف النظر عن محاسبة المجتمع • فهو من ثم فرد يطمئن اليه المجتمع فى التزامه الذاتى بقوانينه ونظمه •

(٢) ولما كان الصوم يحقق هذه الغاية فانه فى نفس الوقت يمهد لقيام ولاء الفرد للمجتمع على أساس من الحرية والاقتناع • ومن هنا تتضح نظرة الاسلام الى الحرية ويتأكد حرصه على التوفيق بين الحرية الشخصية والمصلحة الاجتماعية ، واقامة العلاقات الاجتماعية على أساس من الرضا والاخلاص •

(٣) وكما أن المجتمع فى حاجة الى الفرد القادر على محاسبة نفسه وان غفلت عنه عيون الرقباء فى المجتمع •• هو فى حاجة كذلك الى الفرد القادر على كف شهوات النفس ، وتهذيب

نوازعها .... فى حاجة الى الفرد القادر على الامتناع عما هو مباح ... لظرف من الظروف التى تتعرض لها المجتمعات ، بسبب الحرب ، أو التنمية ، أو الوباء ، أو الكوارث المختلفة . فى مثل هذه الظروف يكون على الأفراد أن يتنازلوا عن حقوقهم ، وأن يتحملوا من التبعات والواجبات ما لا يتحملونه فى الأحوال العادية .

ومن المؤكد أنه لا سبيل - أمام المجتمع - الى تعويد أفراده على التنازل عن حقوقهم ، واعدادهم لمواجهة ظروف الحرمان الطارىء من قوى السلطة أو القانون .

. انه عندما تطرأ هذه الحالة قد يلجأ المجتمع الى تغيير القانون لكى يتناسب معها ، لكن الأمر الذى - ربما - يغيب عن المسئولين عن قيادة المجتمع أنهم لن يجدوا عند ذاك نفوسا مستعدة للقانون الجديد ، ان النفوس لا تتغير فى سرعة تغير القانون ، والقانون لا ينجح فى مهمته اذا صادف نفوسا معرضة .

واذن فلا سبيل غير تربية الارادة من قبل أن تدهم الداهمة ، تربية الارادة على قبول الحرمان ، عن اختيار ورضا وتسليم .

وفريضة الصوم تقدم أعلى نموذج لتربية الارادة : ارادة النفس التى تتقبل الحرمان فى سعادة ورضا واخلاص ، ولا تترقب الفرص أو تتلمس الثغرات للخروج على ما يفرضه النظام العام ، أو تحتمه الضرورات العابرة ، وانما تفعل ذلك بدافع من تقوى الله . ولعل الاشارة كانت الى ذلك فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . والآية هنا تشير الى ضرورة الصيام لكل الأمم ولكل المجتمعات كوسيلة الى تربية النفس على تقبل الحرمان فى سبيل طاعة الله وتقواه .

(٤) وان النظر الى السياق الذى وردت فيه الآية السابقة ليؤكد المعنى الاجتماعى الذى تشتمل عليه فريضة الصيام .

فقد سبقتها آيات فى التشريع والمعاملات المالية :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد

بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ... » الى آخر الآية ١٧٨ ، ١٧٩ من سورة البقرة .

وآيات الوصية : « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين » الى آخر الآيات ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ من سورة البقرة .

وهنا تأتى آيات فريضة الصوم : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ثم تعقبها آية تحريم أكل الأموال بالباطل ١٨٨ من نفس السورة .

معنى هذا أن السياق يدلنا على أن الصوم له مكانه الأصيل فى النظام الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية .

(٥) وهناك من القرائن الأخرى التى تحيط بالصوم ما يؤكد الجانب الاجتماعى فيه .

فهو أيام معلومة ، ولو كان شعيرة فردية لأطلقت فيه الأيام .

انه أيام معلومة ، وتوقيت محدد ، يحقق ظاهرة الاجتماع على أدائه .

أيام معلومة فى الفريضة .

وأيام معلومة فى الصوم المسنون ، أو المندوب .

وأيام معلومة فى الصوم المحرم .

وله آداب معلومة : فى السحور . فى تعجيل الفطر ، فى الاجتهاد فى العبادة فى العشر الأواخر من رمضان .

ومن شأن ذلك كله أن يحقق ظاهرة « الاجتماع » و « المشاركة فى السلوك والأداء .

وهو تعميق للجانب الاجتماعى ، وتوثيق للروابط الاجتماعية .

(٦) ولا يكمل الصيام بغير آداب اجتماعية جاء بعضها فى قوله صلى الله عليه وسلم : « الصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل ، فان شاتمه أحد أو قاتله فليقل انى صائم : مرتين » .

هذا الحديث يؤكد ما قلناه من الارتباط الوثيق بين المعنى الفردى للصوم ، وبين المعنى الاجتماعى فيه :

أنظر الى قوله صلى الله عليه وسلم : « يوم صوم أحدكم » ؟! هنا يبدو الفرد فى حالة صومه خارجا من فرديته ، منطلقا الى أنواع من الرعاية الاجتماعية لا يكمل صومه الا بها .

وانظر أيضا الى قوله صلى الله عليه وسلم : « فليقل انى صائم » ، هنا يبدو الالتزام الاجتماعى منبثقا من ضمير الفرد ، راجعا اليه .

(٧) وأخيرا فلعل تأخير فرض صوم رمضان الى السنة الثانية من الهجرة مما يكشف عن أصالة الجانب الاجتماعى فى فريضة الصوم . ذلك حيث « يبرز » المجتمع الاسلامى ، ويخرج المسلمون من دور التشتت والفردية التى كانت غالبة عليهم قبل الهجرة ، وحينئذ تأتى فريضة الصوم متلائمة بطبيعتها مع ظهور الكيان الاجتماعى للمسلمين فى المدينة .

واذن فقد تبين لنا أن فريضة الصوم تقوم بوظيفة اجتماعية هامة من حيث تربى فى النفس فضيلة محاسبة الذات ، وتقوى فيها ارادة مغالبة الشهوات ، وتدربها على تقبل الحرمان مما هو مباح وتتطلب عادات اجتماعية معينة ، وتستلزم آدابا اجتماعية محمودة . وبذا يكون لهذه الفريضة أثرها العميق فى العلاقات الاجتماعية كما أن لها عمقها الفردى على السواء ، وبالله التوفيق ؟

**يحيى هاشم حسن فرغل**

---

## من أعلام القضاء في الإسلام :

# بشر بن الوليد الكندى

للدكتور محمد إبراهيم الجيوشى

اسمه بشر بن الوليد بن خالد أبو الوليد الكندى أحد الذين ولوا القضاء ببغداد فى عهد الخليفة المأمون .

كان من أصحاب أبى يوسف ، وممن أخذ عنه الفقه وكان جميل المذهب حسن الطريقة .

ولى قضاء عسكر المهدى بالجانب الشرقى من بغداد سنة ٢٠٨ هـ بعد محمد بن عبد الرحمن المخزومى ، واستمر قضاؤه عليها مدة عامين ، ثم ولى قضاء مدينة المنصور سنة ٢١٠ هـ بعد أن عزل المأمون عنه اسماعيل ابن حماد بن أبى حنيفة وظل قاضيا بمدينة المنصور حتى عزل سنة ٢١٣ هـ

كان بشر علما من أعلام المسلمين ، وكان عالما متدينا خشنا فى الحكم يمتاز بسعة الفقه والورع ، وكان من أصحاب أبى يوسف المقدمين عنده .

وقد حمل الناس عنه من الفقه والمسائل الكثير الذى لايمكن جمعه .

وقد بلغ من الثقة بفقهه أن ابن عينية كان يحيل اليه ما يرد عليه من مسائل مشكلات ، فقد روى عن بشر نفسه أنه قال : كنا نكون عند ابن عيينة فكان اذا وردت عليه مسألة مشكلة يقول : ها هنا أحد من أصحاب أبى حنيفة ؟

فيقال : بشر .

فيقول : أجب ، فأجيب .

وكان ابن عيينة يقول تعقيبا على ذلك : التسليم للفقهاء سلامة فى الدين .

وقد عاش بشر عمرا طويلا حتى أصيب بالفالج فى أواخر حياته ، وكان كثير الصلاة والعبادة ، فقد روى أنه كان يصلى كل يوم مئتى ركعة حافظ

على المداومة عليها حتى بعد اصابته بالفالج •

وكان بشر على ما يبدو رجلا كريما سخيا بماله فبسط اليد سريعا الى مواساة المحتاجين والمعسرين ، وكان سمحا يعفو عن زلات المسىء •

وكان قاضيا يقظا واعيا يتحرى العدل ويحرص عليه قدر طاقته ، ولا يبالى — فى سبيل ما يعتقد أنه الحق — ما يلاقى من العنت واسخاط ذوى الجاه والسلطان والتعرض لأذاهم وكيدهم الواضح والخفى •

وكان يحلى كل ذلك علم واسع ، وفقه متبصر ، وقدرة على الابانة والتعبير ، وخلق عال ومروءة شهدت بها أفعاله ، وقد أغرت تلك الخصال شاعرا مثل ربيعة بن ثابت الرقى أن يثنى عليه بهذه القصيدة الصادقة التعبير ، الرقيقة الحاشية ، الناصعة البيان •

بشر يجود بماله جود السحابة بالديم
وأبو الوليد هوى الندى لما ترعرع واحتلم
وأعز بيت بيته بيت بنته له ارم
عمرته كندة دهرها وبنى فأتقن ما انهدم
بشر يجود برفده عفوا ويكشف كل غم
بشر يقول اذا قصد ت تريد جدواه هلم
م قال : لا فى حاجة لا ، بل يقول : نعم ، نعم
وهو العفو عن المسىء وعن قبائح ما اجترم
نام القضاة عن الأنام وعين بشر لم تنم
وحكيم أهل زمانه فيما يدبر وما حكم
وكأنه القمر المنير اذا بدا جلى الظلم
وكأنه البحر الخضم اذا تقاذف والتطم
وكأنه زهر الربيع اذا تفتح أو نجم
ختم الاله لبشرنا بالخير منه اذا ختم

وكان اعتزازه بنزاهـة القضـــــاء واستقلال القاضي مثلا يحتذى ويضرب للناس فلم يبال بسلطان الخـلافة ولا بمنزلة يحيى بن أكثم عنـد الخليفـة المأمون ولم يوار فى الاعلان عن رأيه بصراحـةفى يحيى بن أكثم حينمـــا اشتكى منه للمأمون ، وهـذه أحداث تلك القصة المثيرة كما رواها صـاحب تاريخ بغداد تشير الى ما كان يتحلى به بشر من الشجاعة ،والنزاهة ، والقدرة على مخالفة رأى الخلافة والاعلان عن هذه المخالفة فى صراحة ووضوح غير ملق بالا لـما يناله من أذى ،أو يحل به من سوء ، فقد شكاه يوما يحيى بن أكثم الى المأمون قائلا : انه لا ينفذ قضائى وكان يحيى رجل الخـــلافة الذى لا ينازع وكان ذا دالة على المـأمون مقدما عنده حتى على ولده ، فأجلسه المـأمون على سريره وبعث يستحضر بشر بن الوليد فى هذا المجلس الذى يرى فيه من تكريم الخلافة ليحيى ما لم تكرم به شخصا آخر ، وحضر بشر فى هذا المجلس وسأله الخليفة المـأمون قائلا : ما ليحيى يشـكوك ، ويقول : انك لا تنفذ أحكامه ؟

قال بشر : يا أمير المؤمنين ، سألت عنه بخراسان فلم يحمد فى بلده ولا فى جواره •

وما كاد المأمون يسمع اجابته حتى صاح به غاضبا : أخرج ولما خـرج بشر ، انتهز يحيى الفرصة ليكيـد له عند الخليفة فقال : يا أمير المؤمنين ، قد سمعت فاصرفه •

فأجاب المأمون اجابة تدل على بعـد نظر وتقـدير لقيـم الرجال واعتزاز بما فيهم من أصالة وشجاعة فى الحق : ويحك هـذا لم يراقبنى فيك ، كيف أصرفه ؟ وأبى أن يفعل •

وهذا الحادث يدل على مدى تمسك بشر باستقلال القضاء وعدم خضـوعه لرغبـات ذوى الجاه والسـلطان ولو كانوا فى منـزل ليس بينهـــم وبين الخليفـــة حجاب ، حتى ولو جـاءوا بالخليفة شفيعا •

ومع أن يحيى بن أكثم كان رجل الدولة المدلل فان ذلك لم يمنـع بشرا أن يرد حكمه ، لأنه لم يثبت عنده أنه أهل للأخذ برأيه وامضاء قضائه •

وقد كان لهذه الشخصية القوية أثر فى موقف بشر من آراء الدولة وعدم انسياقه فى تيارها ، فهذا أبو قدامة يقول : لا أعلم ببغداد رجلا من أهل الأهواء من أهل الرأى الرافضة الا كانوا معينين على أحمد بن حنبل ( يقصد فى فتنة خلق القرآن ) ما خلا بشر بن الوليد الكندى ، ولذلك لم ينج بشر من الاتهام بعدم اعتناق رأى الدولة فى خلق القرآن ، تلك الفتنة التى اشتعلت أيام المأمون والمعتصم ، ومن أجل ذلك حبس ومنع من الفتوى ، وأوقف الشرط على بابه •

وقد روى محمد بن سعد أن بشر ابن الوليد الكندى روى عن أبى يوسف القاضى كتبه واملاءه ، وولى القضاء ببغداد فى الجانبين جميعا ، فسعى به رجل ، وقال : انه لا يقول القرآن مخلوق ، وكان ذلك فى عهد المعتصم فأمر به أن يحبس فى منزله فحبس ، ووكل ببابه الشرط ، ونهى أن يفتى أحدا بشىء ، وظل على هذه الحال حتى ولى جعفر بن أبى اسحاق الخلافة بعد أبيه المعتصم فأمر باطلاقه ، وسمح له أن يفتى الناس ويحدثهم •

وقد عاش بشر حتى كبرت سنه ، ولهذا أمسك أصحاب الحديث عن الرواية عنه لأنه كان قد اختلط فى آخر عمره •

وفى شهر ذى القعدة سنة **٢٣٨** هـ توفى بشر بن الوليد الكندى القاضى ببغداد ، ودفن فى مقابر باب الشام ، وترك للناس مثلا طيبة فى الشجاعة والتمسك بالحق والجهر بما يعتقد ورفض الاستجابة للضغوط مهما كان مركز أصحابها ، فرحم الله بشرا وجزاه خير الجزاء ؟

**دكتور محمد ابراهيم الجيوشى**

# المدخل إلى الزكاة

للأستاذ السيد حسن قرون

( الغنى والفقر ) ، المشكلة الخالدة التى شغلت الانسانية قديما وحديثا ، فلم يخل جيل من الأجيال ، ولا وطن من الأوطـــان من حـديث النعيــم والحرمان ، والفقر هو عدو البشرية الأول منه تشكو ، وله تحارب ، ومن أجله تحلم بالسـعادة ولا تراها الا فى المـال ، ولو أعطيت قدرة سليمان على فهم لغـة الطـير والجن والانسـان ، وطفت بأنحاء المعمورة فلن تجد انسانا خلا فكره من مشكلة الغنى والفقـر ، ومنذ خفق قلب الشاعر ، فقال الشعر ، وأمسك القلم الكاتب فسـطر النثر ، والكلام يزيد ولا ينقص عن النعمـاء والضراء ، وحظوظ بنى آدم بين هذا وذاك ، فمشيئة الله ، وطبيعة الحيـاة التى أرادها ، ومطـالب المعـدات التى خلقها كل أولئك اقتضى أن يكون هذا فقيرا وهذا غنيـا ، لاختـلاف المواهب والمذاهب والسلوك ، وتصريف الحيل ، واقتناص الفرص ، وقد احتار شعراء الاسـلام فى هذا الأمر حتى قالوا فى ذلك شـعرا كثيرا وحسبى أن أذكر قول أبى تمام ، لأن قوله يرضى أولى الألباب . قال :

ولو كانت الأرزاق تأتى على الحجا
هلـكن اذا من جهلهـن البهـــائم

لكن الأديان لم تخضــع للحيرة ، وعالجت الفقـر بقـوة ، وقد حـكى القـرآن مواقف الديانات مبينـا أنهـا تدعو الى الزكاة كما تدعو الى الصلاة ، فيقـول على لســان عيسى بن مريم : « وأوصانى بالصـلاة والزكاة ما دمت حيا » .

ومن وصايا الله تعالى لبنى اسرائيل : « وأقيمـوا الصــلاة وآتوا الزكاة » والدين الاسلامى تصدى لمشكلة الغنى والفقـــر ، وعالجهـا علاجا جذريا ، وجعل لها ركنا من أركان الاســـلام الخمسة هو « الزكاة » ويتميز الدين الاسلامى فى هذا العلاج الناجع أنه لم يقف عنــد حـد العظـة والانذار ، والتخويف بالآخرة وكفى ، ولكنـه

جعله تشريعا تقوم أجهزة الدولة بتنفيذه ، ولم يكن ذلك من أول أمره ، ولكنه تدرج فيه حسب منهجه فى التحريم والتحليل ، والأوامر والنواهى .

لذلك كانت الآيات البينة تجىء داعية الكفار الى الايمان ، وترك عبادة الأوثان وتقرن هذا بالحض على طعام المسكين ، وفك رقاب الأرقاء ، وحسن معاملة اليتيم ، وتعيب عليهم رياءهم فى بذل المال ، انما بذل المال المحمود هو الذى يكون دليلا على قلب رتقه الايمان ، ونفس قومها الاسلام ، والسور المكية كثيرا ما تقرن الحض على اطعام المسكين بالايمان بيوم الدين ، فيقول تعالى : « أرأيت الذى يكذب بيوم الدين . فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين (١) » ، ويقول : « ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . انه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين » (٢) .

ويقول : « وويل للمشركين . الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون » (٣) فالحض على طعام المسكين دليل الايمان وقرينه ، ونلاحظ أن الزكاة هنا استعملت بمعنى الصدقة ، اذ لم تكن فى مكة جباة وزكاة ، ويقول الله فى شأنهم وتكالبهم على المال والضن به ، والتنويه بمكانته : « فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن . وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن . كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين . وتأكلون التراث أكلا لما . وتحبون المال حبا جما . » (٤) وحين يرشدهم الى النجاة من النار الموصدة على العصاة يضع أمام أعينهم الواقيات منها ، ويربطها فى قرن واحد ، منها الايمان حتى يكونوا من أهل اليمين واليمن ، ولا يكونوا من أهل الشمال والشؤم ، فيقول تعالى : « فلا اقتحم العقبة . وما أدراك

---

(١) سورة الماعون آية : ١ ، ٢ ، ٣

(٢) سورة الحاقة آية : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤

(٣) سورة فصلت آية : ٦ ، ٧

(٤) سورة الفجر الآيات : ١٥ — ٢٠

ما العقبة • فك رقبة • أو اطعام في يوم ذي مسغبة • يتيما ذا مقربة • أو مسكينا ذا متربة • ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة • أولئك أصحاب الميمنة • والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة • عليهم نار مؤصدة » (١) •

هكذا كانت الدعوة في مكة تعالج أمر الفقر والفقراء ، وتحرير العبيد ، وكفالة اليتيم تجيء بها مقرونة بالايمان بالله وآياته ويوم الدين •وكان الذين امنوا كأبي بكر وغيره ينفذون هذه الدعوة ، فيشترون الرقيق الذي يعاني من سادته مايعاني ، وقصة بلال وسيده خلف بن أمية شاهد صدق على ما نقول ، فلما كثر تعذيبه في رمضاء مكة اشتراه أبو بكر ثم أعتقه ، ولم يكن المجتمع في مكة يطبق عليه الفقر بكلتا يديه ، بل كان فقر الفقير محتملا فيها ، فلما انتقلت الدعوة الاسلامية الى يثرب بعد الهجرة ، واجتاحت الفاقة المهاجرين الذين تركوا أوطانهم وديارهم وأموالهم لكفار قريش اتخذت وسائل كثيرة للقيام بواجب هؤلاء المهاجرين الذين عرفوا الجوع بعد الشبع ، والحاجة بعد الغنى ، فكانت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تحث المسلمين على الصدقة ، واشراك اخوانهم في أموالهم الى أن يأتي الله بالفرج •

ويسترعي انتباهنا أن نرى في الآيات هنا الأمر بالانفاق في سبيل الله بجانب الأمر بالتصدق على الفقراء والمساكين واعانة المهاجرين ، وظهر الترغيب والترهيب في صور أخاذة نافذة تروع المؤمن ، فيستجيب لها ، ويكاد يخرج من ماله كله لولا عظات النبي في هذا الشأن ، وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى في الانفاق وبذل المال وصلة الرحم واكرام الضيف « ولكم في رسول الله أسوة حسنة » وفي سورة البقرة آيات في نهاية البلاغة والتصوير لما يناله المنفق في سبيل الله ، وفي رفع المشقة عن المساكين والفقراء ،واقرأ معي هذه الآية : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » (٢) تر سعادة لا تحد ، وخيرات لا تحصى لمن ينفق في سبيل الله ، ويبين الله في أول السورة ـ البقرة ـ أن

---

(١) البلد الآيات : ١١ ـ ٢٠

(٢) البقرة آية : ٢٦١

ما ينفقونه هو من عند الله ، وأسلافنا يقولون : الله رازق حقيقة،وابن آدم رازق تجوزا . قال تعالى : « آلم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » (١) والمنفقون هنا وصفوا بثلاث صفات لا يحتاج المؤمن بعدها الى بشارة وسعادة ،فالايمان بالغيب حظ القلب ، واقام الصلاة حظ البدن ، « ومما رزقناهم ينفقون » حظ المال ، وبعض المفسرين يرى أن المراد بالانفاق هنا الزكاة المفروضة لأنها جاءت مع الصلاة وهى فرض ، ويرى بعضهم أنها الأموال الواجب أداؤها لا الزكاة ، لأن الزكاة المفروضة تجيء بلفظها ، وأنا أميل الى الرأى الأخير فالأمر بالانفاق فى المدينة فى أول أمرها يكاد يكون فرضا لحاجة المسلمين الى نفقات الحرب والسلم .

وفرض الصوم على المسلمين فى السنة الثانية للهجرة ، فانفتحت به آفاق جديدة من الاشراقات الالهية ، وقد من الله على الذين استضعفوا فى الأرض ، فصاموا ، والتقوا فى السابع عشر منه مع كفار قريش فى غزوة بدر ، فانتصروا انتصارا تاريخيا له ما بعده ، قتلوا سبعين رجلا من صناديد قريش ، واسروا مثلهم ، ففدوا أنفسهم بمال كثير ، ومن قصر عنه ماله علم عشرة من أبناء المسلمين ، واستقبل المسلمون أول عيد لهم — وهو عيد الفطر — فى فرحة شاملة ، ونعمة تامة ، وشاء الرسول أن يكون العيد عيدا للفقراء ، ففرض صدقة عيد الفطر على كل من يملك قوت يومه عن نفسه وعن من يعولهم وبذلك زادت البهجة ، وتبادلوا التهنئة ، وشكروا لله على ما هداهم وأعطاهم .

ولم ينسوا أن تكون أيامهم مع فقرائهم على نهج يوم العيد ، يتصدقون ويتقربون حتى يزيلوا فقر الفقير ما وجدوا الى ذلك سبيلا ، وما زال أهل الصفة يعانون مشقة الحياة ، وضراوة صيحات المعدة ، وكانوا (٢) نحو أربعمائة من مهاجرى قريش لم يكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر ، فكانوا فى ( صفة المسجد ) وهى سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار ، وكانوا يخرجون فى كل سرية يبعثها رسول الله ، فمن كان عنده فضل أتاهم به

(١) البقرة : الآيات ١ ، ٢ ، ٣
(٢) الكشاف تفسير للذين احصروا الآية .

اذا أمسى ، وكثيرا ما شاركهم رسول الله طعامه • وفيهم نزلت الآية : « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم » (١) فوضع كل قادر من المسلمين ماله أمامهم لمسح الضر عنهم •

هذا ضرب من علاج مشكلة الفقر ، فيه تقرب الى الله ، وفيه رعاية حق الأخوة ، وفيه الحفاظ على أنفس لها فى الجهاد مكان وامكان سيجىء أوانه •

ولم تمض أعوام قلائل حتى فتحت مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجا وأصبح المسلمون يتولون أمر الكعبة ، وفى العام التاسع من الهجرة حج المسلمون وكان أمير الحج عامئذ أبو بكر الصديق ، ونزلت سورة براءة ، فأرسل الرسول الى مكة على ابن أبى طالب ليقرأها ويعلن الى العالم أجمع :

١ ـ أنه لا يدخل الجنة كافر •

٢ ـ ولا يحج بعد العام مشرك •

٣ ـ ولا يطوف بالبيت عريان ، وفى سورة براءة قد فرضت الزكاة المعلومة ، وقد جاء الأمر بها مقرونة بالصلاة فى نحو من ثلاثين موضعا ، وقد بين الله فى تلك السورة مصارفها ، قال تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (٢) ، وجاء فيها : «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم » ، وكانت الجزيرة العربية قد أسلمت ، وجاءت وفودها الى رسول الله بالمدينة يبايعونه ، ويتعلمون منه فرائض الدين الحنيف ، وفى مقدمتها الصلاة والزكاة •

روى القرطبى فى تفسيره ، قال الضحاك : كانت النفقة قربانا يتقربون بها الى الله عز وجل على قدر جهدهم حتى نزلت فرائض الصدقات والناسخات فى براءة • وابن العربى (٣)

---

(١) البقرة آية : ٢٧٣
(٢) التوبة آية : ٦٠
(٣) لاستمد من حديث خالد بن أسلم ـ البخارى .

يعتبر آية «خذ من أموالهم صدقة ...» ناسخة لآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

ومن هنا عملت الدولة الاسلامية على تطبيق نظم الزكاة بعناية ورعاية ، ولا تهاون فيها ، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجب فيه الزكاة من المال والزروع والثمار وعروض التجارة ، وزكاة الماشية ( الابل والبقر والغنم ) بيانا شافيا حتى لا يضل المسلمون بعده ، وبذلك شارك الفقراء الأغنياء ، وصار المجتمع الاسلامى مجتمعا الحب والاخاء فالفقير لا يشعر بالضعة حين يأخذ هذا المال ، والغنى لا يشعر بالضعف حين تؤخذ منه الزكاة ، فكل يستجيب لداعى الله ، وهم جميعا يرجون رضا الله . ولما انتقل رسول الله الى الرفيق الأعلى ، وامتنع كثير عن اخراج الزكاة حاربهم أبو بكر حتى فاءوا الى أمر الله ، فقد قال قولته المشهورة : « لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه » .

والحق أن المجتمع الاسلامى فى عصوره الأولى كان له من الزكاة والصدقات والقربات والوصايا والكفارات والأوقاف والغنائم والفيوء ما جعله مجتمعا بعيدا عن مشكلة الفقر والغنى تصديقا لقول النبى صلى الله عليه وسلم فى رواية عن أبى هريرة : « لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ، فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه ، فيقول الذى يعرضه عليه : لا أرب لى » فالزكاة فى الدين الاسلامى علاج لا نظير له ، فاذا عدنا اليها ، وأقمناها كما أقامها أصحاب محمد زالت الشكوى ، ولم تتطلع البلاد الاسلامية الى المذاهب الاقتصادية التى ظهرت فى عصرنا هذا وقد ألهم الله شوقى التقوى حين خاطب رسول الله فقال :

الاشتراكيون أنت أمامهم
لولا دعاوى القوم والغلواء

داويت متئدا وداووا طفرة
وأمر من بعض الدواء الداء

هذا مدخل نلج منه الى الزكاة وآثارها ، ومن أراد أن يلم بها تفصيلا فعليه بكتب الفقه والحديث ففيها كل العطاء .

عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنهما ـ قالا : خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « والذى نفسى بيده » ـ ثلاث مرات ـ ثم أكب ، فأكب كل رجل منا يبكى ، لا يدرى على ماذا حلف ، ثم رفع رأسه ، وفى وجهه البشرى ، فكانت أحب الينا من حمر النعم ، قال : «ما من عبد يصلى الصلوات الخمس ، ويصوم رمضان ، ويخرج الزكاة ، ويجتنب الكبائر الا فتحت له أبواب الجنة ، وقيل له : ادخل بسلام » .

أعاننا الله ووفقنا الى هذا النهج الحميد ؟

**السيد حسن قرون**

# الأعيان التى اختلف الفقهاء فى ثبوت الشفعة فيها

للدكتور ابراهيم دسوقى الشهاوى

قلنا اجمالا فى العدد السابق ، ان علماء الفقه الاسلامى اختلفت آراؤهم فى ثبوت الشفعة فى الأعيان الآتية :

١ ـ ما لا يقبل القسمة .

٢ ـ البناء والشجر اذا لم يكونا تابعين للأرض المقامين عليها وبيعا مفردين دونها .

٣ ـ الزروع والثمار .

٤ ـ المنقول .

ونأخذ هنا فى تفصيل الآراء فى هذه النقاط .

١ ـ الشفعة فيما لا يقبل القسمة :

اختلف الفقهاء فى هذه الجزئية على قولين :

القول الأول : لاتثبت الشفعة فيما لا يقبل القسمة ، كالطريق الضيق والطاحون والحمام ، ذهب الى ذلك المالكية والشافعية والحنابلة(١) .

القول الثانى : تثبت الشفعة فيما لا يقبل القسمة ، ذهب الى ذلك الحنفية والظاهرية(٢) .

وقد استدل أصحاب القول الأول بالسنة والمعقول :

أما السنة ، فما رواه البخارى عن جابر رضى الله عنه قال : انما جعل النبى صلى الله عليه وسلم الشفعة فى كل ما لم يقسم ، فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة(٣) .

---

(١) الحطاب جـ ٥ ص ٣١٥ ، فتح العزيز جـ ١١ ص ٣٧٩ ، المغنى جـ ٥ ص ٤٦٥ ، منح الجليل جـ ٣ ص ٥٨٧

(٢) المبسوط جـ ١٤ ص ٩٣ ، المحلى لابن حزم جـ ٩ ص ٨٢ ، اعلام الموقعين جـ ٢ ص ٨٧

(٣) المغنى جـ ٥ ص ٤٦٥

ووجه الدلالة من هذا الحديث ، أن قوله : « فى كل ما لم يقسم » المقصود به مما هو قابل للقسمة ، بقرينة قوله : « فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة » ، ولاشك أن ما وقعت فيه الحدود وصرفت فيه الطرق هو القابل للقسمة ، فيكون الحديث قد قصر الشفعة على كل ما يقبل القسمة ، وعليه فيكون غير القابل للقسمة خارجا عما قصرت عليه الشفعة ، فلا تثبت فيه .

ورد هذا الاستدلال ، بأنا لا نسلم أنه يلزم من كون ما وقعت فيه الحدود وصرفت فيه الطرق هو القابل للقسمة، أن يكون المقصود بما لم يقسم ما كان قابلا لها ، لجواز أن يكون المقصود بما لم يقسم ، ما لم تحصل فيه القسمة ، سواء أكان قابلا لها ، أم لم يكن قابلا لها ، فيكون مفهومه أنه لا شفعة فيما حصلت فيه القسمة . ولا يلزم من كون ما حصلت فيه القسمة قابلا لها ، أن يكون ما لم تحصل فيه قابلا لها أيضا ، فقد يكون قابلا لها ، وقد لا يكون قابلا لها .

والحديث قد حصر الشفعة فيما لم يقسم مطلقا ، سواء أكان قابلا للقسمة أم كان غير قابل لها ، فتثبت الشفعة فيما لا يقبل القسمة كما تثبت فيما يقبلها .

أما استدلالهم بالمعقول ، فهو أن الشفعة انما شرعت لدفع ضرر القسمة، وهو ما يترتب عليها من المؤن وضيق المرافق ، وهذا انما يتأتى فيما يقبل القسمة ، فما لا يقبلها لا شفعة فيه ، لانتفاء ما شرعت لأجله[1] .

ورد هذا الاستدلال ، بأن الشفعة كما شرعت لرفع ضرر القسمة ، شرعت أيضا لرفع ضرر الجوار والشركة ، ولاشك أن ضرر الشركة موجود فيما لا يقبل القسمة ، فتشرع فيه لرفع هذا الضرر .

واستدل القائلون بثبوت الشفعة فيما لا يقبل القسمة بما رواه مسلم عن جابر رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الشفعة فى كل شرك ، أرض ، أو ربع ، أو حائط » .

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦٦

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن قوله : « فى كل شرك » عام يتناول ما يقبل القسمة وما لا يقبلها ، فتكون الشفعة ثابتة فيما لا يقبل القسمة ، لدخوله فى عموم الحديث •

وقد رد هذا الاستدلال بأن عموم هذا الحديث مخصص بحديث « الشفعة فيما لم يقسم » ، لأن المقصود به ما لم يقسم مما يقبل القسمة ، ويكون المراد به ثبوت الشفعة فى كل شرك قابل للقسمة •

ودفع هذا الرد بأن حديث الشفعة فيما لم يقسم ، عام أيضا ، لأن ما لم يقسم يتناول ما يقبل القسمة وما لا يقبلها ، ولا دليل على أنه خاص بما يقبل القسمة •

هذا ، والراجح ما ذهب اليه الحنفية والظاهرية من ثبوت الشفعة فيما لا يقبل القسمة ، لأن الشفعة شرعت لدفع ضرر الشركة والمجاورة ، وضرر ذلك فيما لا يقبل القسمة أشد وأبلغ منه فيما يقبلها ، فاذا شرعت فيما يقبلها لدفع الضرر الأدنى ، شرعت فيما لا يقبلها لدفع الضرر الأعلى من باب أولى •

٢ ـ الشفعة فى البناء والشجر مفردين:

اختلف الفقهاء فى ثبوت الشفعة فى البناء والشجر اذا لم يكونا تابعين للأرض المقامين عليها وبيعا مفردين عنها على قولين :

القول الأول : عدم ثبوت الشفعة فيهما ، وقد ذهب الى ذلك الحنفية والشافعية والحنابلة(١) •

القول الثانى : ثبوت الشفعة فيهما ، وقد ذهب الى ذلك المالكية والظاهرية وأحمد فى رواية عنه(٢) •

الأدلة :

استدل القائلون بعدم ثبوت الشفعة فى البناء والشجر اذا لم يكونا تابعين للأرض المقامين عليها وبيعا مفردين عنها ، بأن البناء والشجر ليسا مما يدوم بقاؤهما ، فكانا كالمنقول ، والمنقول لا شفعة فيه ، لأن ضرره ليس بدائم ، وانما تثبت الشفعة فيهما اذا بيعا مع الأرض تبعا لثبوتها فيها •

---

(١) المبسوط جـ ١٤ ص ١٣٠ ، المغنى جـ ٥ ص ٤٦٤ ، فتح العزيز جـ ١١ ص ٣٦٦

(٢) الحطاب جـ ٥ ص ٢١٨ ، المحلى لابن حزم جـ ٩ ص ١٢

واستدلال المالكية بأن البناء والشجر ثابتان فكانا كالأرض ، وقد ثبتت الشفعة فيها لطول الضرر بطول البقاء ، فتثبت فيهما أيضا لذلك •

واستدل الظاهرية بما رواه مسلم والنسائى عن جابر رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالشفعة فى كل شركة لم تقسم ، ربعة أو حائط ، لا يحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه ، فان شاء أخذ ، وان شاء ترك ، فان باعه ولم يؤذنه فهو أحق به »[1] •

ووجه الدلالة من الحديث الشريف ، أن قوله : « قضى بالشفعة فى كل شركة لم تقسم ، ربعة أو حائط » يفيد عموم الشفعة فى كل ربعة ، وفى كل حائط ، سواء أكانت الربعة أو الحائط من التابع للأرض ، أم كانت من غير التابع لها ، وسواء أكانت مبيعة مع الأرض ، أم كانت مبيعة مفردة دونها ، والمراد بالربعة البناء ، وبالحائط البستان ، وهما المعبر عنهما بالبناء والشجر •

هذا ، والراجح ما ذهب اليه المالكية والظاهرية من ثبوت الشفعة فى البناء والشجر اذا بيعا مفردين دون الأرض ، لأنه يطول بقاؤهما ، فيطول ضررهما ، والشفعة انما شرعت لدفع الضرر الذى يطول بقاؤه ، والمراد بطول البقاء ما يعتبر عادة عند الناس أنه يطول ، ولاشك أن البناء والشجر يطول بقاؤهما فى الأرض بالنسبة الى غيرهما كالزروع والثمار ، فان بقاءها عادة وطبعا أقل من بقاء البناء والشجر ، كما أن البناء والشجر عادة وطبعا أقل من بقاء الأرض ، فالعبرة فى طول البقاء بما يعتبر عادة أنه طول ، كما فى البناء والشجر ، أو طبعا كما فى الأرض •

ونحب أن نلفت النظر الى أنه لا فرق عند المالكية بين أن تكون الأرض التى أقيم عليها البناء أو الشجر ملكا للغارس أو البانى وباعه بدونها ، أو غير مملوكة لهما ، بأن كانت موقوفة أو معارة •

---

(١) الشوكانى جـ ٥ ص ٢٨

فاذا أعار شخص قطعة من أرضه لجماعة يبنون عليها ، أو يغرسون فيها ، أو رأى ناظر وقف أن أرض الوقف قد تهدم ما فيها من بناء ، وليس للوقف مال يصلح به ذلك البناء ، فأعطاها لمن يبنى عليها ، أو يغرس فيها ، على أن يكون البناء أو المغروس ملكا للبانى أو الغارس ، ويعطى ناظر الوقف حكرا نظير ذلك فى كل شهر أو سنة يصرفه على على المستحقين ، ثم باع أحد الشركاء نصيبه من البناء أو المغروس الكائن على الأرض المعارة أو الموقوفة ، كان لشريكه الأخذ بالشفعة دون ناظر الوقف والمعير[1] ؟

**د . ابراهيم دسوقى الشهاوى**

---

(١) انظر الشرح الصغير جـ ٢ ص ٢٠٧ ، الشرح الكبير بحاشية الدسوقى جـ ٣ ص ٤٣١ ، عبد الباقى جـ ٦ ص ١٧٦

# دراسة

## عن مصحف عثمان المودع بالمسجد الحسيني بالقاهرة

للدكتور لبيب السعيد

– ١ –

هـذا المصحف الشريف المكتوب بالخط الكوفي والمودع خزانة المخلفات النبوية المباركة بالمسـجد الحسيني بالقاهرة هو أقدم وأكمل المصاحف المخطوطة التي تعرفها الدنيا الآن ٠

– ٢ –

وقد تواتر عند الجمهور أن هـذا المصحف هو أحد المصاحف الأئمـة المعروفة التي كتبت في عهد الخليفـة الراشد عثمان بن عفان عند الجمـع الثاني للكتاب العزيز ٠

ولكن بعض الباحثين القـدامى لم يتابعوا الجمهور في هذا الرأى ، وقد أورد المقريزى طائفـة من الروايات المؤيدة والأخرى المعارضة ( الخطط جـ ٢ ص ٢٤٦ – ٢٥١ ط ٠ بولاق ١٢٧٠ هـ ) ، كما أورد البرزنجي مثل هذا ( نزهة الناظرين ص ٤٦ و ٧٣)

أما المحدثون وأحدهم الشيخ محمد بخيت المطيعي المتوفى في الثلاثينيات ، والذى شهد ذلك المصحف ، فقـد استنبط من وجود بعض العلامات بين السور وعلى الأعشـار أنه ليس من المصاحف العثمانية ، وأنه على الأرجح منقول من هذه المصاحف وعلى رسـم بعضها ( الكلمات الحسان ص ٣٢ ) ٠

كذلك رأى مثل هذا الرأى الأثرى حسن عبد الوهاب المتوفى من سـنوات قليلة ، والذى قرر أنه ذهب الى رأيه

« لأسباب كثيرة ، أهمها : قاعدة الخط والزخرف فانها لا تتفق والقرن الأول ، وأيضا فان نسبة مصحف عثمان لازمت كثيرا من المصاحف الموجودة في قرطبة وفي بلاد المغرب ، وفي بلاد الشام والحجاز ... » ( تاريخ المساجد الأثرية ج ١ ص ٩٣ ) .

ـ ٣ ـ

واذا كان النقد الداخلي Entrinseque وهو الذي يتناول المخطوطات من حيث النص لا يصلح للمصاحف الخطية ، لأنها جميعها سلمت على مدى القرون ـ والحمد لله ـ من التحريف والتصحيف ، فان النقد الخارجي Extrinseque ، وهو الذي يختص ببحث المخطوطات من حيث الخط والاملاء ونوع الرق والمداد الخ ... يمكن الاستفادة منه في تقرير ما اذا كان ذلك المصحف من مصاحف عثمان أو لم يكن .

وهذا النقد الخارجي يرينا أن دواعي الشك عند أولئك الباحثين القدامى والمحدثين لا تكفي لنقض ما تواتر من أن ذلك المصحف الشريف هو من مصاحف عثمان :

فالخط المكتوب به ذلك المصحف هو الخط الكوفي ، وهو المجوف الواسع جدا ، والخالي من النقط والشكل ، وهو الذي كان على وجه اليقين متبعا على عهد عثمان ثم ان رسمه يوافق فعلا ما نعلمه عن رسم المصحف العثماني المدني أو الشامي ، فمثلا رسم فيه « من يرتد » ( سورة المائدة ٥٤ ) بدالين ، أي بفك الادغام ، وهي فيهما كذلك .

أما النقش الزخرفي البسيط الذي بين السور وعلى الأعشار والمكون من دوائر محوطة بنقوش ، فيها ما هو على شكل سلسلة ، فلا جدال في أنه استحدث في عصور متأخرة ، ولكنه في رأينا لا ينفي أن يكون المصحف الأصلي من المصاحف العثمانية .

وكذلك بالنسبة لما هو مكتوب في آخر هذا المصحف بخط كوفي أحدث من الخط الأصلي ، وذلك ابتداء من قوله تعالى : «وامرأته حمالة الحطب»

( سورة المسد / ٤ ) ، فان هذه التكملة الجديدة فيمـا نرى ـ لا يصـح أن تحمل على الشك فى قدم الأصل بل ان حرص المحدثين عليهـا هو ـ فى نظرنا ـ من دلائل تقديسهم للأصل ، وعنايتهم بتعويض ما يكون انفصل عنه من صفحات لأى سبب •

ويعزز رأينـا أنه ثبت ثبوتا قاطعا أنـه كانت تجرى فعـلا عـلى هـذا المصحف بعض التجديدات ، فعـلى أحد وجهى صـندوقه ما نصـــه : « جدد هذا المصحف الشريف المعظم الذى من اذا حلف به صادقا نجا ، وكان له من كل ضيق فرجا ، ومن حلف به فاجرا كف وهـان ، وأصـبح فى ذل ومقت وخذلان ، بخط من رتب سوره وآياته وأجزائه ، ومن ختمـه فى كل ركعة من صلاته وبه اقتدى من سماه نبينا الأمين : ذا النورين ، زوج بنتيه ، ورفيقـه فى الدارين ، من اسـتحيت منه ملائكة الرحمن ، أمير المؤمنين عثمان بن عفان •

أمر وتشرف بتجليـده السلطـان الأشرف قانصوه الغـورى ، كان الله له • وتجديده على يديه بعـد ثمان مائة وأربعة وسبعين عاما مضت • تقبل الله ذلك منـه عليـه ببركتـه وحفظه ونصره ، وثبت قواعد دولته بمحمـد وآله » ( حسن عبد الوهاب المرجـع السابق ص ٩٣ ) فهكذا نرى أن الذى دخل على هذا المصحف من استيفاء وتجديد يؤيد منزلة الأصل • ويسقط عنه أسباب الشك •

ومهما يكن من شىء ، فان هـذه النسخة الشريفة تمتاز على سائر النسخ الخطية الموجودة فى العالم اليوم بأنها أقدمها وأكملها :

وهى أوفى من مخطوط طشـقند ، فهذه وان تكن صفحاتها مثل مخطوطتنا فى الحجم والخط ، وعدد الأسطر ، تنقصهـا فى أولها أوراق غير قليلة ، فيمـا روى الثقـات الذين شـهدوها وفحصوها •

ونسختنا تفوق نسخة دار الكتب ، لأن فى هذه الأخيرة نحو نصف القرآن مكتوبا بخط أحدث بكثير من الخط الأصلى ، وعلى ورق وليس على رق •

ومن هنا ، نرى أن هذه النسخة الشريفة هى أغلى أثر اسلامى فى الدنيا ، وأن من واجب المسلمين أن يحيطوها بكل ما فى طاقتهم من عناية، حتى لا تصاب بالاهمال أو الضياع مثلما أصيب باقى زميلاتها العثمانية الأئمة .

قال المقرى فى ( فتح الطيب ) عند كلامه على قرطبة : « انه كان فيها المصحف العثمانى ، وهو متداول بين أهل الأندلس ، قال : « ثم آل الى الموحدين ، ثم الى بنى مرين .. » وروى المقرى ما قيل من أن هذا المصحف هو الكوفى أو البصرى .

وذكر أيضا أنه رأى على ظهر المصحف المدنى مكتوبا ما نصه : « هذا ما أجمع عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص .. » ( وذكر العدد الذى جمعه عثمان رضى الله عنه ، من الصحابة على كتب المصحف ) .

وقال المقرى : « وظل هذا المصحف محفوظا عند الموحدين يحملونه فى أسفارهم » ( جـ ١ ص ٣٥٦ ) .

وذكر ابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ أنه رأى فى زمانه مصحف أهل الشام وأنه رأى بمصر مصحفا عثمانيا أيضا .

وذكر محمد بخيت أنه : «كان يوجد باقليم الصعيد مصحف كتب بالخط الكوفى وعليه أثر الدم على قوله تعالى : ( فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ) ( سورة البقرة /١٣٧ ) يقال انه مصحف عثمان ، وانه هو الذى كان يقرأ فيه وقت قتله » ( الكلمات الحسان ص ٣٢ ، ٣٣ ) ويمضى بخيت ، فيقول : « وقد رأيناه ببلدة تسمى البهنسا بمديرية المنيا بمركز بنى مزار ، ولكنه فقد الآن بأيدى الخائنين ، ولا يدرى مكانه » ( نفس المرجع ) .

ولا شك أن المسلمين اليوم يؤسفهم ويخجلهم علميا وتاريخيا أن لا يعرفوا الآن مكان واحد من هذه المصاحف .

وقد قيل فى التأريخ لوجود نسختنا بمصر انه : « كان قد حضر الى مصر رجل من أهل العراق ، وأحضر معه مصحفا ذكر أنه مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وأنه الذى كان بين يديه يوم الدار ، وكان فيــه أثر الدم ، وذكر أنه استخرجه من خزائن المقتدر ، ورفع المصحف الى عبد الله ابن شعيب المعروف بابن بنت وليــدة القاضى ، فأخذه أبو بكر الخــازن ، وجعله فى الجامع ، وشهره ، وجعل عليه خشبا ونقوشا ، وكان الامام يقرأ فيه يوما ، وفى مصحف ( أســماء ) يوما ، ولم يزل على ذلك الى أن وقع هذا المصحف واقتصر على القراءة فى مصحف ( أسماء ) ، وذلك فى أيام العزيز بالله لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة » ( أنظر ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقــد الأمصار • ج ٤ ص ٧٢ ـ ٧٤ ط• بولاق ١٣٠٩ هـ ، والمقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٥٤ ط• بــولاق ١٢٧٠ هـ ) •

ويقول الأثرى حسن عبد الوهاب عن المصحف : « قد عرفنا مصدره ، فقد كان بالمدرسة التى أنشأها القاضى الفاضل ســنة ٥٨٠ هـ ( ١١٨٤ م ) بدرب ملوخيا ( حارة قصر الشوك ) بالقرب من المشهد الحسينى ، وبقى الى أن استحوذ عليه السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى » ( المساجد الأثرية ص ٩٢ ) •

وليس يصح فى الأذهان أن يكون المســلمون قد انخــدعوا طوال هــذه القرون ، فاعتقدوا حكومات وشعوبا أن هذا المصحف من مصاحف عثمــان وما هو كذلك •

والرق المسطورة عليه نسختنا هو الآن ـ وخاصة فى أطرافه ـ فى حالة من البلى تســتوجب أقصى الحــذر والعناية •

ومع أننــا نثق بالقــلة القليلة من المصريين الذين درســـــوا ترميـــم المخطوطات المسطورة على الرق ، فان خوفنــا الشــديد على تلك المخطوطة الشريفة التى لا يمــكن تقديرها بأى

مال يدعونا الى التماس أعلى الكفايات الفنية فى العالم كله لترميمها •

وربما كان من المناسب أن تستوفد الوزارة من هيئة الأمم المتحدة واحدا من أساطين خبراء ترميم المخطوطات العالميين لتولى هذه المهمة الفنية العالية•

ونشترط أن تجرى عملية الترميم فى نفس غرفة المخلفات النبوية الشريفة ، حتى لا يخرج المصحف الكريم من مكانه ، وأن يشترك مع الخبير العالمى بعض العالمين فى ترميم المخطوطات فى دار الآثار العربية والمتحف المصرى ودار الكتب والوثائق القومية •

وفى خصوص تصوير هذا المصحف على الأفلام الدقيقة Microfilmage فاننا ـ مع ايماننا بضرورة هذا التصوير لاعتبارات أهمها توقى أخطار الحروب نقترح الارجاء ريثما يتم ترميم المصحف الترميم الذى ينفى الخوف على صحائف الرق من التفتت عند مسها •

والميكروفيلم فى هذه الحالة سيكون هو المعروف باسم ميكروفيلم الأمان Microfilmde Securire' وسيكفل ـ فى حالة تلف الأصل ـ لا قدر الله ـ الحصول على صور جديدة منه•

على أننا ـ فى هذا المقام ـ ننبه الأجيال الى وجوب الحذر من أن يقوم أعداء القرآن بتزوير الميكروفيلم اذا حصلوا عليه وذلك عن طريق استخراج نسخ جديدة ، ثم احداث تغييرات فيها ، ثم تصويرها من جديد على الميكروفيلم ، وهو لا يستطيع اظهار أماكن القشط والتغيير •

نسأل الله تعالى أن يبارك لنا فى القرآن العظيم وأن يهدينا الصراط المستقيم ؟

**دكتور لبيب السعيد**

# فتح مكة بين المقدمات والنتائج

للأستاذ موسى صالح شرف

في ذي القعدة من العام السادس للهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة يريد العمرة ، بعد أن مضى عليه ست سنوات لم يزر فيها مكة ولم يعتمر ولم يحج ، فاشتاق اليها فخرج في هذه السنة معتمرا واستنفر المسلمين ليخرجوا تحوطا أن تتعرض له قريش بحرب أو يصدوه عن البيت وساق معه الهدى معلما .

وعلمت قريش بنبأ خروج الرسول ومن معه ، فكبر عليهم أن يدخل محمد مكة ولو كان معتمرا وزائرا للبيت وصمموا على الوقوف دون ذلك .

قال ابن اسحق : فلما كان النبي بعسفان . لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال له : يا رسول الله . هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل (١) . قد لبسوا جلود النمور . وقد نزلوا بذى طوى يحلفون بالله لا تدخلها عليهم أبدا .

وحرصا من الرسول الكريم على السلام وتأكيد أنه جاء معتمرا . طلب ممن يعرف من المسلمين ، أن يسير بهم من طريق غير طريق قريش . فتقدم حمزة بن عمرو الأسلمي . وسلك بهم طريقا وعرا حتى اذا بلغوا ثنية المرار بركت « القصواء » ناقة رسول الله . فقال الناس خلأت (٢) . فقال رسول الله ما خلأت . ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة . لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني صلة الرحم الا أعطيتهم اياها .

---

(١) العوذ : النياق ذات اللبن والمطافيل الأمهات من النياق التى معها أولادها .

(٢) بركت من غير علة .

وجرت الاتصـــالات بين الفريقين انتهت « بصـلح الحديبيـة » المعروف تاريخيـا والذى كان خيرا وبركة على الاســلام والمسـلمين • اذ حقق من النتائج ذات البال الشيء الكثير •

نقل الامام النووى عن العلمـاء أن المصلحة المترتبة على هذا الصـلح هى ما ظهر من ثمراته الباهرة • وفوائده المتظاهرة التى علمها النبى صـلى الله عليه وسـلم وخفيت على المشركين • فحمله ذلك على موافقتهم على الشروط التى أملوها • ذلك أنهم قبـل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسـلمين • ولا تظهر عندهم أمور النبى صلى الله عليه وسلم كما هى • ولا يجتمعـون بمن يعلمهم بها مفصلة • فلما كان الصلح اختلطوا بالمسلمين وجاءوا الى المدينة• وجاء المسلمون الى مكة وخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونهم وسمعوا منهـم أحوال النبى ومعجزاته الظـاهرة • وأعلام نبوته المتظـاهرة وعاينـوا بأنفسـهم كثـيرا من ذلك • فمالت أنفسهم الى الايمـان حتى بادر خلق كثير منهم الى الاسلام قبـل فتح مكة ، فأسلموا فيما بين صلح الحديبية وفتـح مكة • كخـالد بن الوليـد ، وعمرو بن العاص وغيرهما ، وازداد الذين لم يسلموا ميلا الى الاسـلام • فلما كان يوم الفتح أسـلموا كلهـم لما قد تم لهم من الميل •

وشـاء القـدر أن يضيف الى هذه المقدمات ذات الشأن واقعـة أخـرى تشـكل السبب المباشر فى فتح مكة • وينتهى الأمر بتلك المقدمات كلهـا الى الفتح المبين •

لقـد حرص الرسـول أن يطبـق نصوص معاهدة الحديبية تطبيقا دقيقا • لكن القدر فى مساره أبى الا أن تقوم قريش بنقض العهـد • اذ أخـذت تحرض أعداء الاسـلام على معاداة الرسول والمسـلمين من ناحيـة ومن ناحية أخرى ظاهرت قريش بنى بكر عـلى خزاعة التى كانت فى حلف مع رســول الله • اذ جاءت قريش مع بنى بكر الى خزاعة ليلا وهم آمنـون وقتلوا منهم بين العشرين والثلاثين من رجالهم •

وفكر الرسول عليه الصلاة والسلام كثيرا فى أمر قريش هذه لأنه يعـلم جيدا أنها رأس العرب • ومكة مثابة الناس • ولا يمكن أن يخضع العرب الا اذا خضعت قريش • ولا تنقـاد القبائل بسهولة الا اذا انقـادت مكة •

وهذا البيت العتيق ـ الذى رفع ابراهيم واسماعيل قواعده ـ لابد من تحطيم أصنامه وتطهيره .. قدر محمد كل هذه الظروف وصمم رسول الله عليه الصلاة والسلام فى عزم لا يلين على أن يمحوا الشرك وآثاره من مقام ابراهيم وأن يؤدب قريشا لخياناتها وغدرها وخلفها للعهد ونقضها للصلح .

وسمعت قريش باستعداد محمد وصحبه فحاولت بالمكر والخديعة أن تلتمس عفوهم . وانتدب أبو سفيان لمهمة تجديد العهد بينهم وبين الرسول عليه الصلاة والسلام وبرغم أن المهمة شاقة الا أن أبا سفيان اضطر للقيام بها صاغرا تحت اصرار قريش والى جانب ذلك فقد اشتاق الى رؤية ابنته « أم حبيبة » زوجة محمد صلى الله عليه وسلم حيث أنه لم يرها منذ مدة طويلة .

وقبل أبو سفيان القيام بهذه المهمة واثقا من دهائه ولباقته فى مثل هذه المهام ومن مكانته لدى العرب .

ووصل أبو سفيان الى المدينة ورأى أن يزور ابنته قبل أن يبدأ فى مساعيه، ولما دخل على ابنته طوت الفراش عن مكانه وتعجب أبو سفيان وسألها لم يا أم حبيبة ؟

فترد عليه فى عزة وقوة : « هذا فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجلس عليه رجل مشرك مثلك » .

ويثور أبو سفيان ويترك ابنته غضبان أسفا ويتوجه الى رسول الله وصحبه فيعرض عنه الرسول عليه الصلاة والسلام ولا يستمع الى وساطته أحد من المسلمين !!

وعاد أبو سفيان الى مكة يجر وراءه أذيال الفشل والخيبة وتضطرب الأحوال فى مكة وتموج أرضها بالخوف وتطير أفئدة أهلها من الفزع وينتهز الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الفرصة ويصمم على ضرورة فتح مكة .

وعبأ الرسول صلى عليه وسلم القوى . وغادر المدينة يوم الأربعاء بعد العصر لعشر ليال خلون من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة ؛ على رأس جيش يضم عشرة آلاف مقاتل وهو أكبر جيش اسلامى دفع به رسول الله الى ميدان القتال ـ وحتى ذلك الوقت ـ وكان فى مؤخرة

الجيش بعض من النسوة بينهن زينب وأم سلمة من زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام وكلف الرسول كتيبة لرصد الاخبار واكتشاف تحركات العدو وواصل الجيش تقدمه حتى وصل الى « مر الظهران » وهو مكان بالقرب من مكة وأمر الرسول جيشه بالافطار واستعدادا للمعركة الفاصلة ، كما أمرهم باشعال النيران فوق التلال ليخدعوا القريشيين بكثرة عددهم ويدخلوا الرعب فى قلوبهم .

... وعلى حين فجأة يرى القرشيون آلاف المشاعل فتصيبهم الدهشة ويخرج بعض زعمائهم وعلى رأسهم أبو سفيان بن حرب لمعرفة الحقيقة ويلقاهم العباس بن عبد المطلب فى الطريق وعندئذ يتأكدون منه أنه جيش محمد وأنها قوات المسلمين جاءت لغزو مكة . ويجرى حوار بين العباس وأبى سفيان ينتهى بلقاء بين الرسول وأبى سفيان ويجرى بينهما الحديث .

الرسول : ألم يأن لك يا أبا سفيان أن تشهد أن لا اله الا الله .

أبو سفيان : بأبى أنت وأمى لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئا ؟

الرسول : ألم يأن لك أنى رسول الله ؟

أبو سفيان : أما هذه ففى النفس منها شىء ؟

ويتدخل العباس صائحا « اشهد شهادة الحق ، قبل أن تضرب عنقك »

وراح الرسول عليه الصلاةوالسلام ينظر الى أبى سفين يتلكأ فى شهادة الحق . حتى خرجت من فمه وكرمه الرسول لأنه يعلم أنه يحب الفخر فقال عليه الصلاة والسلام : « من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو امن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ».

ويأمر الرسول عليه الصلاةوالسلام العباس بأن يصحب معه أبا سفيان الى عنق الوادى ويستعرض جند الله كتيبة كتيبة وهم كثيروا العدد والعدة وتصيب الروعة والدهشة أبا سفيان من هذا الحشر العظيم ويصيح قائلا : « ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة لقد أصبح ملك ابن أخيك يا عباس عظيما » .

ويعود أبو سفين الى مكة ليخبر قريشا بما رأى من قوة جيش المسلمين وتصميمهم على دخول مكة وتطهيرها

من الأصنام والأوثان والشرك ، وعندما تعلم قريش أن أبا سفيان قد أسلم تعتقد اعتقادا جازما أن الأمر جد وأن محمدا وصحبه مصممون على القتال وعندئذ يضطر أهل مكة الى الاستسلام وينسحبون الى بيوتهم ينتظرون ماذا سيحدث لهم فلا طاقة لهم بحرب جيوش المسلمين •

وتصل الأخبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمر جنده بأن يحتاطوا للأمر خوفا من خديعة المشركين •

ويتقدم الرسول عليه الصلاة والسلام وجيشه الى أقرب مكان من مكة ويخطط للمعركة الفاصلة • • الزبير بن العوام يدخل مكة من شمالها الشرقى •• خالد بن الوليد من أسفل مكة وجنوبها ، سعد بن عبادة من الغرب » وسار الرسول صلى الله عليه وسلم خلف هؤلاء فى حراسة كتيبة من جيش المسلمين وحمل على بن أبى طالب العلم • •

ويحذر الرسول جنده من اراقة الدماء •• ويأمرهم بألا يبدأوا بقتال •• وألا يقاتلوا الا من يقاتلونهم •

وتسير الكتائب فى عزة وقوة ونظام تام وتدخل مكة من جميع أطرافها وضواحيها فى هدوء ودون ما مقاومة تذكر ودون اراقة قطرة من دم •

وتنتهى المقاومة الصغيرة الفاشلة ، ويتم الاستيلاء على مكة كلها ويحق الله الحق ويبطل الباطل • ويرتدى الرسول عليه الصلاة والسلام ملابس الاحرام ويركب راحلته ويخفض رأسه تواضعا لله سبحانه وتعالى وينطلق الى الكعبة ويطوف مع صحابيه وجيشه سبعة أشواط ويستلم مفاتيح الكعبة ويصلى ركعتين لله شكرا على نصره •

ويأمر الرسول بطمس وتحطيم التماثيل مرددا قوله تعالى : « قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » •

وفى تواضع شديد يقف الرسول صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة وحوله عشرة آلاف من أصحابه وجيشه فى دروعهم وأسلحتهم ويستدعى الرسول زعماء قريش ويقول لهم بعد أن مكنه الله من رقاب أعدائه :

يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟

وفى ذلة وفــزع وانكســـار وندم ورجاء يجيبون : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ؟

ومن توفيق الله بالنصر ومن الثقة بالنفس وفى شفقة ولطف يقــول لهم الرسول : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » •

ثم أذن بلال « الله أكبر » وبعـــد أداء الصلاة جلس الرسول على الصفا يبايع الرجال والنساء ، وتعـم الفرحة وترتسم الشـفاه بالابتسامات ويعفـو الرســـول عن كل شيء ويتناسى كل اساءة ويقبل اســـلام كل من جاء اليه حتى لقد امتد عفـوه فشـمل من كان قد أهدر دماءهم ويعلن الرسول حرمة الأشهر الحرم •

ودانت قريش واستسلم الطغاة من غير حرب ولا قتــال ودخلت مكة فى حوزة الاسلام وخضوع أهلها لحكمه ونظامه وسلطانه ، ودخل الاسلام الى معاقل الكفر وأعماق الوثنية ، واستولى المسلمون على مكة وشـــعروا بالعزة والـكرامة والقـوة وانتشرت دعـوة الاسلام بما تحمل فى طبيعتها من قوة ووضوح وجلاء • واطمأن المسـلمون الى حرية تنقلهم ودخولهم مكة بعـد أن كانوا ممنوعين منها وتوافدت القبائل على رسول الله بدون تخوف بعـد أن ضعفت شوكة المشركين •

وكان من أهم نتائج فتح مكة اشاعة التفاؤل والثقة والاطمئنان بين المسلمين وتفرغهم لنشر الدعوة الاســـلامية ، وأصبحوا جميعا فى مكة لا يخشـــون على دينهم ، ولا يمنعهم أحد من اقامة شعائرهم » وسارت الدعوة الاسلامية فى طريقهـــا حاملة لواء الســـماحة والسلام • وكان فتح مكة بداية عصر للمسلمين بدأ معه الفتح الاســـلامى بسرعة هائلة تساندها الارادة المؤمنـة الواثقة بنصر الله لعباده المؤمنين ؟

**موسى صالح شرف**

---

# نقود العرب من وثائق وحدتهم واستقلالهم

للدكتور عباس حلمى إسماعيل

كانت نقود العرب فى الجاهلية من الذهب والفضة فقط ، جاءتهم من الرومان ،وعرفت الدنانير الذهبية باسم قيصرية نسبة الى قيصر الرومان ، والدراهم الفضية باسم طبرية نسبة الى مدينة طبرية بالشام التى كانت خاضعة للحكم الرومانى • واستعمل العرب فى جاهليتهم النقود الرومانية ، لأن معظم تجارتهم كانت مع بلاد الدولة الرومانية المتسعة الأرجاء • وكان وزن الدينار مثقالا زنته ثنتان وسبعون حبة شعير ، وزنة كل عشرة دراهم طبرية ستة مثاقيل •

فلما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، أقر أهل مكة على ذلك كله ، وفرض زكاة الأموال فى كل عشرين دينار نصف دينار • وعمل بذلك أبو بكر ثم عمر ، حتى كانت سنة ١٨ هـ ( ٦٣٩ م ) عندما أمر عمر رجلا يهوديا اسمه رأس البغل بضرب دراهم من الفضة الخالصة ، عرفت بالبغلية ، على نمط الدراهم الفارسية الكسروية ، غير أنه زيد فى بعضها « الحمد لله » أو « رسول الله » أو « لا اله الا الله وحده » أو « عمر » والصورة صورة كسرى لا صورة عمر ، وجعل عمر وزن كل عشرة دراهم منها ستة مثاقيل • ولما بويع عثمان بن عفان ضرب دراهم ، نقش عليها « الله أكبر » وكانت هذه الدراهم ودراهم على بن أبى طالب مساوية لدراهم عمر •

وعندما تولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة الأموية سنة ٤٠ هـ ( ٦٦٠ م ) قال له زياد ابن أبيه عامله على الكوفة والبصرة ياأمير المؤمنين : « ان العبد الصالح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صغر الدرهم وكبر القفيز (١) ، وصار

---

(١) القفيز : مكيال قديم للحبوب ، وسعته ما يقرب من ربع اردب .

يؤخذ عليه ضريبة أرزاق الجند ، وترزق عليه الذرية ، طلبا للاحسان الى الرعية . فلو جعلت أنت عيارا دون ذلك العيار ، ازدادت الرعية به مرفقا ، ومضت لك به السنة الصالحة » فضرب معاوية دراهم رديئة كان معظمها من النحاس ، وبها قليل من الفضة ، فاسودت وعرفت بالدراهم السوداء . وأكثر زياد من ضربها ، وجعل وزن العشرة منها سبعة مثاقيل ، فجرت مجرى الدراهم الفضة . وضرب معاوية أيضا دنانير رديئة ، كان معظمها من النحاس ، وبها قليل من الذهب رسم عليها صورته متقلدا سيفا . وحدث أن وقع منها دينار فى يد جندى عجوز ، فجاء به معاوية ورماه ، ثم قال : « يامعاوية انا وجدنا ضربك شر ضرب » . فقال له معاوية : « لأحرمنك عطاك ، ولأكسونك القطيفة » . أى الوبر الردىء .

وضرب عبد الله بن الزبير عندما استقل بمكة عن الحكم الأموى سنة ٦٣ هـ ( ٦٨٣ م ) دراهم مستديرة ، ونقش بأحد الوجهين « محمد رسول الله » وبالآخر « أمر الله بالوفاء والعدل » . وضرب أخوه مصعب دراهم بالعراق ، وجعل لكل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ، وأمر بأن نصرف للمستحقين من ديوان العطاء . وظل الأمر على ذلك ، حتى قدم الحجاج ابن يوسف الثقفى العراق من قبل عبد الملك بن مروان ، فقال : « ماينبغى أن نترك من سنة المنافق شيئا » ، فغيرها .

فلما استوثق الأمر لعبد الملك ابن مروان بعد مقتل عبد الله ومصعب ، كتب فى صدر كتبه الى الدولة البيزنطية على عهد الامبراطور جستنيان الثانى : « قل هو الله أحد » وذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، فكتب اليه الامبراطور : « انكم قد أحدثتم كذا وكذا فاتركوه ، والا أتاكم فى دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون » . عندئذ غضب عبد الملك ، وعظم عليه أن يكتب الامبراطور له بهذه اللهجة الشديدة ، وشاور خالدا بن يزيد بن معاوية فيما يفعل فأشار عليه أن يلغى الدنانير الرومانية ، وينهى عن المعاملة بها ، ويضرب للناس دنانير ودراهم اسلامية فيها ذكر الله . فضرب عبد الملك الدينار والدرهم سنة ٧٦ هـ (٦٩٥ م) وجعل وزن الدينار اثنين وعشرين قيراطا سوى حبة ، ووزن الدرهم خمسة عشر قيراطا سواء ، والقيراط

أربع حبـات ، وكل دانق قيراطين ونصف أو ما زنته ثمان حبات وخمسا حبة من حبات الشعير المتوسطة ٠وأمر عبد الملك واليه على العراق الحجاج ابن يوسف أن يضرب هذه النقـود عنـده ، فضرب الحجاج الدراهـم ، ونقش عليهـا : « قل هو الله أحد » ونهى أن تضرب دراهم غيرها ٠ ولكن حدث أن ضرب سميراليهودى دراهم، فقبض عليـه الحجاج ، ولما تأهب لبقتله ، قال له سمير : « عيار درهمى أجـود من عيـار دراهمـك ، فلم تقتلنى ؟ » فأبى الحجاج الا أن يقتله ٠ عنـدئذ وضع سـمير للناس صنج الأوزان ليتحققوا من صـدق كلامه ، فيعفـو عنـه الحجاج ٠ وكان الناس لا يعرفون هذا النوع من الوزن ، انما يزنون الدرهم بعضهـا ببعض ، فلمـا وضع سمير الصنج ، اعتـادواالوزن بها ٠ ولما قدمت تلك الدراهم المدينة المنورة بالحجاز ، لم ينكر منها البقيـة الباقية من الصحابة سوى نقشها ، فان فيـه صـورة ، والصـحابة يكرهون الصـور والتصوير ٠ ومع هـذا ظل الفقيـه سـعيد بن المسيب يبيـع بها ويشترى ، ولا يعيب من أمرها شيئا حتى توفى سـنة ٩٤ هـ ( ٧١٣ م ) ولما انتشرت الدراهم السميرية فى الأقطار الاسلامية ، رفع عبد الملك قيمة الدينار الذى ضربه بالشام ، لأنه وافى الوزن ، جيد العيار لأن ذهبه كثير ، فزاد المائة دينارين(١) ٠

وثمة سبب آخر من أسباب ضرب الدنانير والدراهم الاسلامية ، هو أن خـالد بن يزيد بن معـاوية قـال لعبد الملك : « يا أمير المؤمنين ! ان العلماء من أهل الكتاب الأول يذكرون أنهم يجـدون فى كتبهم أن أطول الخلفـاء عمرا مـن قدس الله فى الدرهم » ٠ فعزم عبد الملك على ضرب هذا النوع من الدراهم ، ووضع السكة الاسلامية ، وهى الحديدة المعلمة التى يطبـع عليهـا الدنانير أو الدراهم ٠ وبعث بالسكة الى الحجاج بالعراق ، فأرسلهـا الحجاج بدوره الى الآفاق لتضرب الدراهم بها ، وتحمل اليـه أولا فأولا ، وتقدم الى الأمصار كلها ، أن يكتب اليه منها كل شهر ، بمـا يجتمع قبلهم من المـال ، كى يحصيه

---

(١) المقريزى : اغاثة الأمة ص ٥٣ ــ ٥٤

عنـدهم • وقدر فى كل مائة درهم درهما عن أجرة الضراب ، والحطب الذى استخدم وقوده فى صهر الفضة التى صـنعت منهـا الدراهم • نقش الحجـاج على أحـد وجهى الدرهم « قل هو الله أحـد » وعلى الآخـر « لا اله الا الله » وطوق الدرهم من وجهيـه بطوق ، وكتب فى الطـوق الواحد « ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا » وفى الطوق الآخر « محمـد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهـــره على الدين كله ولو كـره المشركون » • فقـال من قرأ ما هو مكتوب على الدراهم : « قاتله الله ! أى شىء صنع للنـاس ؟ الآن يأخذه الجنب والحائض » • وكره المسلمون مسها وهم على غير طهارة ، فأطلق على دراهم الحجاج اسم الدراهم المكروهة، رغم أنها من الفضة النقيـة ووافيـة الوزن ، حتى أنها كانت تسمى البيض، تميزا لها عن الدراهم السـود التى صدأ نحاسها ومحيت نقوشها الفارسية بمضى الزمن • وقيـل لعبـد الملك : « هذه الدراهم البيض فيها كتاب الله ، يقلبها اليهـودى والنصرانى والجنب والحـائض ، فـان رأيت أن تأمـر بمحوها » • فقال : « أردت أن تحتج علينا الأمم أننا غيرنا توحيد ربنا واسم نبينا » • وضبط عبـد الملك الدرهم الشرعى المجمع عليه على أن تكون زنة العشرة دراهم سبعة مثاقيل من الذهب، وأن يؤدى بها المسلمون زكاة أموالهم من غير بخس ولا اضرار بمستحقى الزكاة ، وبدون حيف وشطط على صاحب المـال •

وظلت دراهم عبد الملك سـارية ، حتى تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة سنة ١٠١ هـ ( ٧٢٠ م ) فضرب عمر ابن هبيرة الدراهم الهبيرية على عيار سـتة دوانيق ، وشـدد فى الوزن ، فجاءت دراهمـه تلك أنقى فضـة • ولمـا تولى هشام بن عبد الملك الخلافة، وكان جموعا للمـال ، أمر خالد بن عبد الله القسرى أن يزيد العيار الى وزن سبعة دوانيق ، وأن يبطل السكك من كل بلد الا واسـط بالعـراق ، فضرب خالد الدراهم بواسط ، وكبر السكة ، فجاءت دراهمه أكثر فضـة ممـا سـبقها • ثم عزل خالد وتولى يوسف بن عمر الثقفى ، فأفرط فى الشدة ، بحيث اختبر يوما العيار ، فوجد درهما ينقص حبة عندئذ ضرب كل صانع ، وكانوا مائة • وصـغر يوسف السـكة ، وأجراها على وزن سبعة دوانيق ، ولمـا تولى مروان بن

محمد ـ آخر خلفاء بنى أمية ـ ضرب الدراهم بحران فى الجزيرة العراقية، وكانت دراهمه أقل جودة من الهبيرية والخالدية واليوسفية ٠

ولما قامت الخلافة العباسية سنة ١٣٢ هـ ( ٧٥٠ م ) ضرب الخليفة ابو العباس الدراهم بالأنبار ، وكتب عليها السكة العباسية ، ونقصها حبة ، ثم نقصها حبتين ، ونقصها الخليفة أبو جعفر المنصور ثلاث حبات ٠ وضرب الخليفة المهدى دراهم مدورة ناقصة الوزن أيضا ٠ ولما أسند الخليفة هارون الرشيد السكك الى وزيره جعفر بن يحيى بن خلد البرمكى ، كتب جعفر اسمه على الدراهم التى ضربت ببغداد ، وضرب دنانير زنة كل دينار منها مائة مثقال ، والمثقال وزنه اثنان وعشرون قيراطا الا حبة ، وزنته أيضا ثنتان وسبعون حبة شعير ، كان يفرقها على الناس فى عيدى النيروز والمهرجان ، وكتب عليها : « وأصفر من ضرب دار الملوك ، يلوح على وجهه جعفرا ، يزيد على مائة واحدا ، اذا ناله معسر أيسرا(١) » ٠ وضرب ولاة الأعمال دراهم اقليمية بأسمائهم زمن الرشيد ، فضرب محمد بن عطا الكندى حاكم الرى من بلاد ما وراء النهر المحمدية ، وعرفت بتلك التسمية أيضا دراهم فرغانة وأشر وسنة وسمرقند ٠ وضرب أخوه غطريف ابن عطا حاكم خراسان الدراهم الغطريفية ببخارى ، وضرب أخوه الثانى مصيب بن عطا حاكم شاس الدراهم المصيبية(٢) ٠ ولما قتل الرشيد وزيره جعفر بن يحيى ، وتولى الوزارة الفضل بن الربيع ، أسند السكة الى السندى بن شاهق ، فضرب الدراهم على مقدار الدنانير ، ثم أسند الأمين دور الضرب الى العباس ابن الفضل بن الربيع ، فنقش فى السكة بأعلى السطور « ربى الله » وبأسفلها « العباس بن الفضل » ولما قتل الأمين ، واجتمع الناس على المأمون ، لم يجد أحدا ينقش الدراهم ، فنقشت بالمخراط كما تنقش

---

(١) المقريزى : نفس المرجع ص ٥٩ ـ ٦٠

(٢) Sauvoire : Materianx pour servir à l'histoire de la Numismatique et de la Métrologie Musulmanes. II. PP. 191-192, 217-218.

الخواتيم . وكان لبنى العباس دنانير الخريطة ، مكتوب على كل دينار « ضرب الحسنى لخريطة أمير المؤمنين » وهذه الدنانير هى التى ينعم منها الخليفة العباسى على المغنين ونحوهم ، وسميت بدنانير الخريطة ، لأنها كانت تنقش أيضا بالمخراط ، ومعنى الحسنى القصر الذى شيده ببغداد الحسن بن سهل وزير الخليفة المأمون . وظل الحال فى النقود على هذا المنوال على عهود المعتصم والواثق ، ثم المتوكل ، الى أن قتله الأتراك . وعندئذ تفننت الدولة فى الترف ، واستحدثت البدع ، حتى شملت النقود ، فضربت دراهم مغشوشة ، عرفت بالدراهم الزيوف لقلة الفضة بها .

ولا ريب أن نقود العرب مصدر من مصادر الدراسات التاريخية ، تلقى أضواء على كثير من الأحداث السياسة ، وتعتبر فوق ذلك من وثائق وحدتهم السياسية واستقلالهم الاقتصادى بالعالم العربى الاسلامى ، منذ أن كانت دمشق وبغداد والقاهرة مراكز اقتصادية هامة ، ذلك أن عبد الملك بن مروان قد أمم دور السكة وعرب النقود التى تداولتها كافة الشعوب الاسلامية ، وانتشرت برواج التجارة فى الخليج العربى وحوض البحر المتوسط . وقد كان الدينار والدرهم العربيان هما وسيلة التعامل الرئيسية فى العصور المتوسطة بين شعوب آسيا وأوربا ، وتشهد بذلك مجموعات النقود العربية الاسلامية التى عثر عليها فى الاتحاد السوفيتى وبولندا وفنلندا وألمانيا وانجلترا واسبانيا ؟

**د. عباس حلمى اسماعيل**

# المبادئ الحاكمة لإدارة المرافق العامة ووسائل إدارتها

للدكتور مصطفى كمال وصفى

المرافق العامة ـ فى التعريف الحديث ـ هى الخدمات العامة التى تقوم جهة ادارية بادارتها • فالجامعة هى مرفق عام ، أى ـ الجهاز الذى يقوم على الخدمة ـ وكذلك الموضوع الذى ترعاه ، وهو التعليم العالى يسمى مرفقا عاما(١) • ويسمى الأول مرفقا عاما بمعناه الشكلى ، والآخر مرفقا عاما بمعناه الموضوعى أو المادى •

وقد بينا أن التجار وأصحاب المهن يقومون بخدمات عامة ، فان أنست الدولة أن بعض هذه الخدمات ذات أهمية حيوية للجمهور فانها تنشىء مصلحة عمومية أو جهازا اداريا ليرعاها ، وذلك ضمانا لاستمرارها واضطرادها وتحسنها وتمكين الجمهور منها مجانا أو بمقابل معقول على وجه المساواة •

وقد اتسع تدخل الدولة واسباغ الصفة المرفقية على خدمات كثيرة بعد أن كانت قاصرة على خدمات معينة كالشرطة والعدالة ، والصحة العامة والقوات المسلحة ونحو ذلك من الأعمال التى تتطلب استعمال السلطة العامة ولا يتصور قيام الأفراد بها • ثم اتسع هذا النطاق ليشمل نواحى جديدة كالمواصلات والتعليم ونحو ذلك مما كان يقوم به الأفراد ، ثم ما لبثت الدول أن انطلقت فى التدخل فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالقيام بأعمال ليست ذات طبيعة ادارية على الاطلاق بل يقوم بها الأفراد عادة ، كبيع الملابس والأغذية والقيام بأعمال المصارف والتأمين ونحو ذلك مما نراه فى حياتنا الحديثة ، ومما لا يناسبه على الاطلاق ممارسة أعمال

---

(١) ويطلق لفظ service public على الخدمة العمومية ، وعلى الجهة الادارية التى تقوم على ادارتها ، اى على الجهاز ، وعلى موضوعه.

السلطة العامة التى تتطلب ما نسميه بالامتيازات الادارية (١) ووسائل القانون العام (٢) •

وقد أدى هذا التدخل المضطرد فى اتساعه الى انشاء ما سمي بأزمة المرافق العامة وأزمة القانون الادارى ، اذ لم يعد الخط واضحا بين ما يعتبر من المرافق العامة فيصح أن يعهد به الى الأجهزة الادارية ، وما يعتبر من قواعد القانون الادارى ، لأن المشروعات العامة تستعمل وسائل القانون الخاص • ولكن هذه الأزمة وهمية : لأن كل ما يعتبر من الخدمات العامة ، ويكون عليه طلبا عاما يصح اعتباره مرفقا عاما ولو كان ذو طبيعة تجارية محضة كبيع السلع الاستهلاكية أو كان ذو طبيعة اجتماعية محضة كالضمان الاجتماعي والتأمين ، ولا يقدح فى ذلك الأخذ بوسائل القانون الخاص ؛ لأن الادارة فى استعمال هذه الوسائل فى صميم أعمالها الادارية ؛ كاستبدال وسيلة الاتفاق الودى بالاستيلاء الجبرى ، وهى وان كانت تستعمل وسائل القانون الخاص مع الجمهور للاعتماء الا أنها قد تستعمل وسائل القانون العام فى عقودها مع الموردين والمقاولين واصدارها قرارات بالاستيلاء والتكليف ونحو ذلك •

وبذلك فان عنصر « المرفق العام » يتسع لشمل أية خدمة عامة يقوم بها أى مشروع عام ، سواء كان وزارة أو مصلحة أو مؤسسة عامة أو هيئة عامة أو وحدة اقتصادية أو اجتماعية كالشركات العامة والجمعيات التعاونية العامة الزراعية والاستهلاكية وغيرها•

وادارة المرافق العامة تقوم على مبادىء رئيسية ، أهمها : مبدأ اضطراد المرفق واستمراره وضرورة حسن أدائه لخدماته : وهذا المبدأ يقتضى قواعد مقررة : مثل تحريم اضراب الموظفين العموميين وامتناعهم عن العمل حتى بتقديم الاستقالة ، اذ لا يمتنع حتى تقبل استقالته • ومثل تمكين الجهات الادارية من امتيازات مقررة لها لكى تحصل على احتياجاتها بدون توقف ، مثل امتياز التنفيذ الجبرى المباشر ، وامتياز التنفيذ على حساب المقاول الممتنع والمخل ، وامتياز الحجز

(١) privilèges administratif.
(٢) moyens du droit public

الادارى ونحوه تحصيلا لديونها • وكل ذلك يقتضى عدم المساواة بين الطرفين فى العلاقة الادارية ، وتقديم الصالح العام المنوط بالعمل الادارى ، على الصالح الفردى المنوط بالعمل الخاص •

ومن المبادىء الرئيسية المقررة التى تقوم عليها حسن ادارة المرافق العامة: مبدا المساواة العامة أمام المرافق الادارية ، فلا يجوز التمييز الفردى فى استيفاء خدمات هذه المرافق • فلا يصح أن يميز فرد وآخر فى استيفائه للمزايا الادارية لأسباب شخصية كنسبه أو ثرائه أو نحو ذلك • بل ان ادارة المرافق العامة تكون منوطة بالصالح العام ، تنظمها قواعد موضوعية(١) مشرعة سلف(٢) • وهذه الأصول تقتضى أنه يجب أن يسبق التصرف الفردى – كاصدار قرار ادارى لصالح أحد الأفراد أو فى مواجهته – صدور قواعد تنظيمية عامة يصدر القرار على مقتضاها ، فلا يصح أبدا أن يصدر قرار فردى أو نحوه دون استناد الى قواعد تنظيمية مسبقة • والقرار الذى يصدر دون استناد الى قواعد مسبقة يكون قرارا منعدما(٣) أى لا وجود له فى القانون وليس باطلا فحسب فلا يلحقه التصحيح بالمرة • وذلك حتى لا يكون الفرد لا نظير له ولا شبيه فى مركزه الادارى ، بل يجب أن يكون مساويا لغيره فى مركزه ممن يعاملون – أو يمكن أن يعاملوا – بالقاعدة التى صدر القرار الخاص به على مقتضاها • وكذلك لا يجوز أن يصدر القرار مشوبا بعيب تجاوز السلطة(٤) بأن يصدره غير المختص ، أو يتجاوز عن التقيد بالشكل الجوهر اللازم ، أو يتجاوز عن تطبيق القانون ، فيكون تصرفه بذلك معيبا بعيب عدم الاختصاص ، وعيب مخالفة الشكل الجوهرى ، وعيب مخالفة القانون • أو يصدر تصرفه معيبا بعيب الانحراف أو اساءة السلطة(٥) بأن يتغيا فيه غاية شخصية أو خاصة ، ليست من المصلحة

---

(١) règles objectives وهى تسمى موضوعية لأنها تنظر الى الغرض من تطبيقها لا الى ذوات الأشخاص الذين تنطبق عليهم .

(٢) règleweutation prèalable

(٣) inexistant

(٤) exèes du pouroir

(٥) detournement

العامة • فهذه الضمانات تضمن مساواة الأفراد حيال المرافق العامة بالتزام تطبيق القانون فى مجال النشاط الادارى •

واقتضى ذلك كله : أن تكون المراكز الادارية ــ أى مراكز الأفراد حيال قواعد القانون الادارى ــ هى مراكز تنظيمية عامة(١) • وهى المراكز ــ أى من القانون أو اللائحة ــ بصفة التى تستمد من قاعدة تنظيمية عامة مباشرة ، كمركز الجنسية ، أو عن طريق قرار ادارى يصدر فى حق الشخص فيلحقه بتطبيق هذه القاعدة العامة : كصدور قرار ادارى بتعيين فرد معين عضوا بهيئة التدريس بالجامعة ، فيدخل بهذا الطريق فى مجال التطبيق القانونى لنظام الجامعة ، أى قوانينها ولوائحها ، ويصير متمتعا بمزاياها مخاطبا بتكاليفها مستحقا لما تكتسبه ذمته من حقوق ذاتية(٢) عن هذا الطريق • وبذلك فان هذه المراكز القانونية تؤدى الى ثلاثة آثار : مزايا ، وتكاليف ، وحقوق ذاتية • ويمكن تعريف المركز القانونى بأنه : وصف تلحقه القاعدة التنظيمية ــ أو سند معين ــ بشخص معين تترتب عليه آثار قانونية معينة •

والنظام الادارى له وسائل معينة تناسب مراكزه التنظيمية المذكورة ، وتسمح بتمتع الادارة بالامتيازات الادارية • السابق ذكرها ، والتى تعتبر لازمة لمتابعة الأغراض الادارية : أى لاستمرار المرافق واضطرادها وتحسنها وتنفيذ القوانين •

وأهم هذه الوسائل هى :

١ ــ القرارات الادارية(٣) : وهى افصاح الادارة عن ارادتها الملزمة لها بانشاء مركز لأحد الأفراد طبقا للقانون • وهى بطبيعتها تصرف قانونى(٤) يتطلب ارادة ، ومحل ، وسبب • وأما الارادة فشرطها الاختصاص ومراعاة الشكل الجوهرى وأما المحل فهو نقل فرد معين ــ أو

(١) situation generale on règlementaire

(٢) druits subjectifs

(٣) decision on arreté administratif

(٤) ، motif inticident

شيء معين – من مركز قانوني لمركز قانوني آخر وشرطه : مطابقة القانون. وأما السبب فهو نوعان : سبب باعث أو مناسبة (١) وهو الاعتبارات والظروف التي سبقت صدور القرار الاداري وأدت الى صدوره . وغاية(٢) وهو الصالح المقصود من اصدار القرار ، والذي يفترض أنه الصالح العام المعين . وهذه القرارات الادارية تصرفات بارادة منفردة وتقوم على الجبر ولها أثر مباشر فوري(٣) مترتب على صدورها . ولذلك فهي امتياز اداري لأنها تقوم على الزام الأفراد وجبرهم .

٢ – العقود الادارية (٤) : وهي عقود تبرمها الجهات الادارية لأغراض مرفقية ، وتتضمن شروطا غير مألوفة في القانون الخاص ، مثل توقيع الغرامات ، والخزاءات على المتعاقد والتنفيذ على حسابه ونحو ذلك .

وأهم هذه العقود ثلاثة : التوريد (٥)، والأشغال العمومية (٦)، والتزام المرافق العامة (٧) . وتوجد عقود أخرى كثيرة غير ذلك كالمساهمة في المرافق العامة (٨) والتأجير الاداري ، وامتيازات التمكين والقرار والانتفاع الاداري ، مثل استعمال الأسواق والحوانيت والتطرق ووضع المواسير والجبانات وغير ذلك كثير مما لا يحصى ولا يدخل تحت حصر .

٣ – امتيازات التحصيل الاداري ، بأوراق الحجز الاداري ، وأوامر الخصم ، والتكاليف ، والأوراد ، وما يتبع ذلك من امتيازات الخزانة العامة المختلفة .

---

(١) but

(٢) effet imnridiat

(٣) contrats administratifs

(٤) clause exhaurbetantes

(٥) marché de fournir

(٦) marché de travaux publics

(٧) concession des services publics

(٨) offres de concours

٤ ـ امتيازات قضائيـة تؤدى الى اعفاء الدولة من رفع القضايا واصدارها قرارات تسـمى بقرارات المبـادرة(١) وذلك لتحديد حقوقها على الوجه الذى تراه ، فان سكت الفرد واستجاب ، نفذت ، والا كان عليه هو أن يقيم الطعن فى هذه القرارات منازعا فيها ، وليس فى حدود مدة الطعن العادية ـ أى ستين يوما ـ بل فى حدود مدد التقادم العادى للحقوق ، وذلك مثل قرار اعتبار الشخص مسئولا عن ضرر معين ، أو قرار تحديد الأملاك العامة على وجه معين ، أو قرار الخصم من الراتب أو من التأمين ، ونحو ذلك من الادعاءات التى تطالب الادارة بهـــا الأفراد .

هذه هى القواعد الرئيسية فى ادارة المـرافق العـــامة فى النظم الادارية العصرية ، وانا ـ ان شاء الله ـ نتتبع هذه المبادىء فى النظام الاسلامى على الوجه الذى سنبينه ؟

**دكتور مصطفى كمال وصفى**

---

(١) decisions de pèalable

# أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة

تأليف : الأستاذ الدكتور أحمد مكي الأنصاري (*)
عرض ونقد : للدكتور أحمد علم الدين الجندي

تناول الدارس البحث في بابين اثنين ، تسبقهما مقدمة ، وتتلوهما خاتمة ، مع وضع فهرس تحليلي الى جانب الفهرس الاجمالي • والباب الأول من الدراسة تضمن عصر الفراء ، وحياته وآثاره ، واقتضى ذلك أن يكون الفصل الأول في الحياة السياسية والعقلية والاجتماعية في عصر الفراء ، والفصل الثاني عن الفراء في حياته وموته ، والفصل الثالث عن آثاره • أما الباب الثاني فقد اشتمل على فصلين : الأول : مذهبه في النحو ، والثاني مذهبه في اللغة ، ثم الخاتمة التي لخصت المعالم الكبرى للدراسة ، وما فيها من جديد ، وما عرضته من مقترحات •

وقد استعرض الكاتب في الفصل الأول : العصر الذهبي للدولة العباسية حيث عاش الفراء فعاصر الرشيد ومات في خلافة المأمون • وخص الحياة العقلية بمزيد من البيان حيث انتشر التأليف وارتقى بفضل اتساع الثقافات الوافدة على الفكر العربي ، كما أخذت الترجمة حظها من ألوان الثقافات الطارئة من فارسية ، ويونانية ، وهندية ، وسريانية ، ثم ينتقل الباحث الى الحديث عن الحياة الاجتماعية حيث تلاشت فيها العصبية الجاهلية ، وانماعت الحواجز التقليدية ، فالتقى العربي بالأجنبي حياة وسرفا ، ومصاهرة وترفا • وعلى بقعة هذا الزمان والمكان ولد الفراء •

وحدثنا الكاتب في الفصل الثاني : عن الفراء حياة ومماتا ، وخلص الى أنه كان ديلميا من أرومة فارسية ، وأنه مولى بني أسد بن خزيمة ، ثم ناقش الخلافات في سنة مولده ورجح أنها سنة ١٤٤ هـ ، كما حقق تاريخ وفاته ورجح أنه توفي سنة **٢٠٧** هـ ، وقد كان الباحث في كل هذا ملتزما

(*) نشره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م •

للمنهج التاريخى فى سيره ، متتبعا التسلسل الزمنى فى عرض الروايات على طول التاريخ والأعصار •

ثم تناول رحلات الفراء الى البصرة، ومكة ، والمدينة ، وبغداد ، وبين أن الدافع اليها كان هجرة صادقة فى طلب العلم أو الرزق أو المثوبة كرحلته الى مكة ، كما كانت صلاته بالطاهريين وبهارون الرشيد ، وبالمأمون صلة اعزاز واكبار ، يؤكد ذلك الخليفة المأمون حين سأل الفراء : من أعز الناس ؟ فقال : لا أعلم أحدا أعز من أمير المؤمنين • قال المأمون : « بلى ، أعز الناس من اذا نهض تسابق على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين » وكان المأمون قد أسند الى الفراء تأديب ولديه •

ولتستكمل صورة الفراء ، دلف المؤلف الى الحديث عن أخلاق المترجم له ، فكان متدينا ورعا ، طاهر الذيل، وفيا لأشياخه وعارفيه ، ومن حوله ، محببا الى النفوس ، عفيف اللسان ، ثم هو الى جانب ذلك ، كان حازما صارما حين ينبغى الحزم ، يعتز بنفسه ، ويصونها عن مواطن التبذل ، وقد حال هذا الاعتزاز بينه وبين حظوة الخليفة وأبعده عن ساحة القصر أمدا بعيدا ، كما أن هذا الاعتزاز لم يكن ليخرجه الى دائرة الاضرار بالناس والنيل منهم ، فكان يترفق بمخالفيه ويقول لهم فى غير تجريح : « ولست أشتهى ذلك » أو يعقب بقوله : « والله أعلم بالصواب » • فشخصيته وسط لا افراط فيها ولا تفريط ، ولا تملق ولا صلف ، ولا عنجهية ولا ضعف •

ولا نأخذ على الباحث الا أنه كثيرا ما يجنح الى الأسلوب الأدبى ، كوصفه الفراء بقوله : « ولئن فاتته رفاهة العيش ، فما فاتته فراهة العقل ، ورهافة الحس »(1) •

**عقيدة الفراء :**

وتعرض الكاتب لعقيدة الفراء ، وآراء القدماء والمحدثين فيها ، ثم صنف هذه الآراء الى :

١ ــ آراء تنص صراحة على أنه سنى •

---

(1) المؤلف : ٦٧

٢ ـ وأخرى ترى أنه معتزلى •
٣ ـ وثالثة تنفى عنه الاعتزال نفيا صريحا وهؤلاء هم الشيعة •

وقد ساق المؤلف أدلة لنزعته السلفية •

ومع سلفيته هذه نراه يميل الى المعتزلة ، فقد ثبت أنه اتصل بعظماء المعتزلة : كثمامة بن الأشرس ، وبالجاحظ المعتزلى المتطرف ، وبالخليفة المأمون حامى المعتزلة ، وقد أحصى المؤلف نصوصا أكدت اعتزال الفراء من أقواله نفسه ، لا سيما فى تفسير آيات القرآن الكريم (١) •

ثم تناول الباحث حديثا مال فيه الى أن الفراء سبق أبا الحسن الأشعرى ( ت ٣٢٤ هـ ) فى تأسيسه لمذهب الأشاعرة بنحو قرن من الزمان ، واعتمد فى ذلك على التشابه بين الرجلين فى الدين والفهم والاتجاه ، وما مذهب الأشاعرة الا طريق وسط بين أهل السنة والاعتزال •

ثم مضى الكاتب فعرض أدلة قوية أكدت تشيع الفراء •

ومن هذا العرض يرجح أن الفراء كان معتدلا فى عقيدته وهواه ، ولذا مال الى القول الوسط بين أهل السنة والاعتزال وفى موقفه من أهل البيت ، كما وقف هذا الموقف بين غلاة الرافضة وبين مارقى الخوارج ، فهو معتدل متحرر ، يرتكز على عقله وفكره ، يأخذ ما يروق له من الآراء والمذاهب ، وتتقبله طبيعته الحصيفة ، ومواهبه الأصيلة ، وشخصيته المحايدة •

**عقليته :**

كان الفراء كما يقول السيوطى « امام العربية(٢) » كما جعلوا الفراء نفس النحو فقالوا : « النحو الفراء »(٣) بل جعلوه أمير النحاة ، فقالوا « الفراء أمير المؤمنين فى النحو » (٤) وروى عن الامام محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة أنه أعجب بالفراء فخاطبه قائلا : « ما ظننت آدميا يلد

---

(١) المؤلف : ٧٧ ـ ٨٢
(٢) بغية الوعاة : ٤١١
(٣) تهذيب التهذيب : ٢١٢/١١ ط اولى •
(٤) المصدر السابق •

مثلك »، (١) هذا ما كان من أقوال القدماء فيه، أما المحدثون، فقد وصفه « يوهان فك Johannfück بأنه : « الفراء العظيم»(٢) كذلك أعجب به الدكتور طه حسين في مقدمته لكتاب « احياء النحو » للمرحوم الأستاذ ابراهيم مصطفى حيث قارنه بالفراء تقديرا وتكريما .

كما نبه الدارس الى عقليته الحاضرة الضابطة التي ابتكرت واستقلت، وحين أسعفته باملاء معظم آثاره عن ظهر قلب .

ثم مضى الى الحديث عن ثقافته، فكان متعدد الجوانب، متعمقا في الثقافة العربية، ملما بالثقافات الطارئة على الفكر العربي، مستمدا ثقافته من منابعها الأولى : كالقرآن وقراءاته، والحديث، والشعر والحكم والأمثال.

**شيوخه ومن اخذ عنهم :**

كما عدد الدارس كثيرا من شيوخ الفراء منهم : قيس بن الربيع، ومندل ابن علي، وأبو الأحوص، وأبو بكر ابن عياش، والكسائي وغيرهم، ثم انتقل فترجم لشيخين من أشياخ الفراء وعرف بهما، وهما : الكسائي، ويونس بن حبيب البصري، الا أنه استكثر حين ترجم للكسائي، وأرى أنه لا داعي لهذه التفصيلات التي ملأت خمس صفحات، لأنها لا تتصل بالفراء بسبب قوي، على حين أنه اختصر فيما كان يجب عليه أن يطيل فيه كالحديث عن أثر الكسائي في الفراء، فقد بلغ حديثه في ذلك أقل من صفحة واحدة(٣) .

أما يونس البصري، فقد تأثر به الفراء موضوعيا ومنهجيا، فأخذ عنه انطلاقة العقل، وحرية التفكير والمنهج، وقد كان ليونس مذاهب في العربية ينفرد بها، وقد وافقه فيها الفراء، الا أن البصريين ـ ويونس منهم ـ قد خالفوه، لكنه أطال في جوانب من حياة الرجل ليست ذات بال فيما نحن بسبيله، كالحديث عن موازناته الشعرية، وآرائه الأدبية والنقدية، وقصر في جوانب أخرى

---

(١) تاريخ بغداد ١٥٢/١٤ ط السعادة .
(٢) العربية : ٨٥ ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار .
(٣) انظر المؤلف : ١٣٢

كانت أحق بالدراسة لاتصالها بالفراء منها :

١ ـ أن آراء يونس النحوية وصلتنا عن طريق تلميذه سيبويه فى ( الكتاب ) حتى أن اسم يونس تردد فى كتاب سيبويه ( مائتى مرة[1] ) وكان على الدارس أن يحصيها ويقارنها بآراء الفراء ، لنرى الى أى مدى استفاد منها تلميذه الفراء فى نحوه .

٢ ـ أن يونس ألف كتابين باسم « لغات القرآن » و « اللغات » لغات القبائل العربية ، ولما كان يونس رائدا فى تأليف كتابه السابق ، وكان الفراء قد ألف فى الفنين السابقين ، وان فقدت مؤلفاته ـ كان على الباحث محاولة العثور على نصوص من كتابيه السابقين ثم مقارنتهما بما ورد فى آثار الفراء من مشابه ، لاسيما فى كتابه ( معانى القرآن ) ، لأن هذا الكتاب حمل من البذور اللهجية[2] قدرا وافرا يمكننا من دراسة مقارنة بينه وبين أستاذه ، كما نقف منها على مدى موافقته لأستاذه أو مخالفته فى هذا الحقل الجديد .

وبمناسبة الافاضة فى جانب ، والايجاز فى جانب آخر نرى أن الرسالة قد اشتملت على جزء كبير جدا ، وهى تتحدث عن عصر الفراء ، ونسبه وحياته ، وأخلاقه وعقيدته وعقليته ، وشيوخه وآثاره حتى بلغت **٣٣٤** صفحة ، وذلك من ص **١٥** ـ **٣٤٩** ، على حين بلغ الحديث عن مذهبه فى النحو واللغة ، وهو عنوان الرسالة ولحمتها وسداها **١٤٦** صفحة ، وذلك من ص **٣٥٢** ـ **٤٩٨** ، خص الجانب اللغوى **٤١** صفحة فقط ، ومن هذا نرى أن الجوانب الفرعية فى الرسالة قد استولت على مساحات

---

(١) سيبويه امام النحاة : ٩٠ على النجدى .

(٢) عزاء الفراء فى معانى القرآن الى قبائل كثيرة أحصيت منها : ١/٤١ ، ٢١٥ لغة أسد ، ٥٦ تميم وربيعة ، ٩١ هوازن وعليا قيس ، ١٠٩ قريش وتميم ، ١٧٤ هذيل وسليم ، ١٩٠ الحجاز ، ٢١٢ عكل ، **٢١٦** بعض عقيل ، ٢٣٢ العالية ، ٢٨٥ سليم ، ٣٨٢ بعض اسد وقضاعة ، ٣٨٥ عمان ، ٢/٩٢ ط الدار المصرية : أسد وتميم وعامر ، ١٧٤ بلحارث وكنانة ، ٢١٢ نجد ، ٣٣٩ ، ١٧٣ قيس ، ١٠٦ ، ٣٥٦ قريش ، ٣٥٧ اليمن ، ص ١٠٧ انسان ، وهى اسم قبيلة عربية .

شاسعة ، فى الوقت الذى انكمشت الجوانب الأصلية فيها .

ثم دلف الكاتب بعد ذلك الى تلاميذ الفراء ، وهم كثر ، أعجز التاريخ حصرهم .

ومما يلاحظ أن الباحث قد وثق
وفى الفصل الثالث أحصى آثار الفراء ، وهى بين موجود ومفقود .
هذه الآثار بذكر المصادر والنصوص التى نقلت عنها .

فمن مظاهر كتاب ( المذكر والمؤنث ) :

ا ـ أن أسلوبه عذب شيق أقرب الى الأسلوب الأدبى ، ولعل السبب أنه ألفه الى الأمير عبد الله بن طاهر .

ب ـ الاعتداد بالقياس .

ج ـ التقصى والاستقراء ، ثم وضع الأصول العامة .

د ـ أن الفراء كان له اتجاه خاص حداه الى تأسيس مذهب جديد ، من مظاهره احتجاجه بالحديث الشريف ، مخالفا بذلك منهج النحويين الأقدمين من البصريين والكوفيين على السواء[1] ، وفى مكان آخر من البحث[2] يرى الباحث أن من مظاهر استقلاله عن المدرستين نهجه نهجا جديدا فى الاستشهاد بالحديث الشريف حيث احتج به فى النحو واللغة احتجاجا مباشرا ، على حين كان النحويون من رجالات المدرستين يرفضون الاحتجاج بالحديث الشريف .

والحق أن قول الباحث فيه تجن على النحاة ، اذ أن كثيرا من رجال المدرستين وغيرهم قد احتجوا بالحديث الشريف منهم : ابن السكيت ( ت ٢٤٣ هـ ) ، وأبو منصور الأزهرى ( ت ٣٧٠ هـ ) فى كتابه التهذيب ، وأبو على الفارسى ( ت ٣٧٧ هـ ) فى كتابه الحجة ، وأبو الفتح بن جنى ( ت ٣٩٢ هـ ) وابن فارس ( ت ٣٩٥ هـ ) يؤيد هذا قول الشيخ الخضر حسين من : « أن كتب الأقدمين الموضوعة فى اللغة لا تكاد تخلو من الاستدلال على اثبات الكلمات بألفاظ الحديث ، واللغة أخت النحو كما صرحوا به » .[3]

(١) المؤلف : ٢٤١ وانظر ٤٠٩
(٢) المؤلف : ٣٩٤
(٣) مجلة مجمع اللغة العربية ٢٠٧/٣

فالاحتجاج بالحديث لم يكن خاصة تفرد بها الفراء وحده ، حتى يبنى الباحث عليها مظهرا من مظاهر استقلاله فى تأسيس مذهب جديد لصاحبه •

أما معانى القرآن :

فقد ألف الفراء هذا الكتاب للأمير الحسن بن سهل ، وذلك حين كان الأمير يسأل النحوى الاخبارى عمر ابن بكير عن أشياء من القرآن فلا تحضره الاجابة عنها ، فطلب من الفراء أن يجمع ذلك فى كتاب يرجع اليه ، فقال الفراء لأصحابه : اجتمعوا حتى أملى عليكم كتابا فى القرآن ، وكان فى المسجد الذى أملى فيه أحد القراء وهو أبو طلحة الناقط يؤذن فيه ، فلما قرأ الفاتحة فسرها الفراء ، حتى انتهى من القرآن كله ، الرجل يقرأ ، والفراء يفسر • وقد أملاه الفراء عن حفظه من غير نسخة فى مجالسه ، أول النهار من أيام الثلاثاوات ، والجمع فى شهر رمضان، وما بعده من سنة اثنين ، وفى شهور سنة ثلاث ، وشهور من سنة أربع ومائتين •

ويعد الكتب باكورة للدراسات اللغوية والنحوية ، وقراءات القرآن الكريم وعلومه ، وقد أودعه الفراء جميع معارفه من عقائد ومذاهب ونحل ، فهو أشبه بدائرة المعارف له ، وللمعانى روايتان : احداهما عن محمد بن الجهم ، وثانيتهما : عن سلمة بن عاصم ، والرواية التى وصلتنا هى رواية محمد بن الجهم ، أما رواية سلمة فقد طوح بها الزمان وان كانت أجود الروايتين كما فى طبقات الزبيدى •

وقد تناول الباحث جزءا من تفسيره لسورة الفاتحة وغيرها ، ثم بين منهجه فى العرض والتناول ومعالجة النص القرآنى ، واستنبط ما يلى :

١ ـ تعرضه للقراءات واستعانته بها على توضيح طرائق العربية ، ومفاضلته بينها لا على أساس السند والرواية ـ بل على مدى اتفاق هذه القراءات أو اختلافها مع النظام العربى وقواعده ، ثم كان يحتج لهذه القراءات السبعية والشاذة فى كثرة غامرة حتى ترسم خطاه من بعده فى الاحتجاج لها ابن السراج ، وأبو على الفارسى فى كتابه

الحجة ، وأبو الفتح بن جنى فى كتابه المحتسب .

٢ ـ اهتمامه بوضع القواعد العامة .

٣ ـ اعتماده فى التفسير على النقل والعقل معا . كما أن له أيضا جوانب متعددة تظهر ملامحها فى تفسيره ، منها :

١ ـ يفسر الآية بآية أخرى .

٢ ـ ويفسر الآية بالحديث الشريف .

٣ ـ ويفسر القرآن بالشعر تفسيرا مباشرا .

٤ ـ وكثيرا ما نراه يستهدى روح العربية ، ولا يتنكب الحس اللغوى ، بل يستلهمه ويسير فى كنفه ، كما فى تفسيره لقول الله تعالى : « لا أقسم » .

٥ ـ ينبه الى طرائق الأسلوب العربى وتنوعه .

٦ ـ لحظه ما للألفاظ من ايحاء واشعاع ، وقد استغل القرآن تلك الملاحظة لاسيما عند قوله : « تظن أن يفعل بها فاقرة » .

٧ ـ اشارته الى جواز النسخ فى القرآن .

٨ ـ اهتمامه برسم المصحف . وكان فيه يعتمد الرسم ويحتج به ، وتارة لا يعتمده بل يخالفه ، وطورا يوفق بين الرسم وبين أصول العربية ، وهذا يؤكد أن الفراء « سلفى متحرر ، لا يتقيد بالرسم تقيد غيره ، كما أنه لا يجحده جحود المارقين » بل كان معتدلا فى منهجه ، وذلك يتفق والطابع العام لشخصيته .

٩ ـ تذوق الموسيقا القرآنية فى فواصل الآيات : وقد نادى الفراء بمبدأ « الاعجاز اللفظى » كعقيدة دينية فى القرآن الى جانب الاعجاز المعنوى ، وهذا الأخير كان متفقا عليه بعكس الأول حيث نادت فرقة من المعتزلة بأن لفظ القرآن لا اعجاز فيه ، ولكن الفراء نازلهم وحشد جهوده للرد عليهم وأثبت الاعجاز اللفظى فى القرآن ، والذى من مظاهره «موسيقا الفواصل» فلاحظها وتتبعها ، وقد صنف الباحث هذه الموسيقا ، ونكتفى منها بما يأتى :

أولا : كان القرآن الكريم كأنما يعمد عمدا الى تحقيق النسق الصوتى ، فلا يتخلى عنه ، ولا يتهرب منه نفورا من أن يكون فيه سجع ، ذلك الذى نفر منه بعض العلماء ، وتحرجوا من أن ينسبوا السجع الى القرآن خشية

أن يشبه سجع الكهان ، ولكن شتان بين السجعين • فيرى الفراء أن ( يوعون ) أنسب لرءوس الآيات من ( يعون ) مع أن كلا منهما مختومة بالنون • قال الفراء : ولو قيل : « والله أعلم بما يعون ، لكان صوابا ، ولكنه لا يستقيم فى القراءة » أى لا يستقيم مع ما قبله من الآيات « فما لهم لا يؤمنون • واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون • بل الذين كفروا يكذبون • » فوزن ( يوعون ) أكثر تناسبا ، وأعظم استقامة منه فى (يعون) لنقص عدد حروفه من جهة ، ومن جهة أخرى لأن أول حرف منه مفتوح فغاير ضم الأول فى ( يؤمنون • يكذبون ) • فالقرآن لاحظ النسق الصوتى فى الفاصلة والمقطع ، واختاره لينسجم مع النسق الموسيقى العام فى الآيات • ولهذا ثقل فى ( شيء نكر ) فى ( اقتربت ) لأن آياتها مثقلة[1] ، وخفف فى ( وعذبناها عذابا نكرا ) فى ( الطلاق ) لأن ما بعدها مخفف ( خسرا • ذكرا ) •

ثانيا : وكان الفراء يخضع بعض الآيات لتدل على أن القرآن كان يعمد الى هذا النسق ،، وذلك فى تفسير قوله تعالى : « اذا زلزلت الأرض زلزالها » أضيف المصدر الى صاحبه، ولكن قربه من الجواز موافقة رءوس الايات التى جاءت بعدها فلم يكتف بمحاولة اخضاع رءوس الآيات للوسيقا فحسب ، بل حاول اخضاعها كذلك للموسيقا اللاحقة ، فهو يرى أن الاضافة فى ( زلزالها ) لوحظ فيها ما بعدها ( أثقالها ) و ( مالها ) فكان ذلك سببا فى جواز اضافة المصدر الى صاحبه ، وقد منعه كثير من النحاة•

ثالثا : وآيات جمع فيها القرآن بين الموقفين ، تارة يحقق النسق فى احدى القراءات ، وفى قراءة أخرى يتخلى عن ذلك ، وقد كان الفراء يختار منها ما يحقق النسق الصوتى ، وذلك فى **قوله تعالى : « كل يوم هو فى شأن »** فكان يرى الهمز فى كل القرآن الا فى سورة الرحمن ، لأنه مع آيات غير مهموزات •

وقد رجح الباحث أن الجاحظ والباقلانى ربما تأثرا بالفراء فى ظاهرة النسق الصوتى فى فواصل القرآن ، ولهذا كان الفراء رائدا فى هذا الحقل •

---

(١) اى محركة .

١٠ ـ التشبيه بمعناه البلاغي :

ولحظ الباحث أن الفراء كان رائدا في الكشف عن التشبيه بمعناه البلاغي .

١١ ـ مذهبه في التفسير ومنهجه :

ومضى الدارس الى منهجه في التفسير ، وخلص الى أنه كان ( لغويا نحويا ) كما كان ( سلفيا متحررا ) فقد كان يسير على سمت السلف الصالح على تحرر من بعض آرائهم .

وكنت أحب أن يعرض الدارس لكتاب ( معاني القرآن ) ليونس بن حبيب ، لأنه أستاذ الفراء ، وموصول النسب العلمي به ، والكتاب وان كان مفقودا الا أنه كان يمكن العثور على نصوص أخذت منه ، ومصادر نقلت عنه ، ثم مقارنتها بمنهج الفراء في ( معانيه ) لنرى الى أي حد كان التلميذ ينظر الى أستاذه ، ولقد حاول بعض علمائنا المحدثين العثور على نتف من مؤلف يونس الضائع ، فلمست فيها خطوط منهجه ، حيث كان يتواكب مع منهج تلميذه الفراء ، ويتقارب مناخهما في التفسير الى حد كبير :

١ ـ فكان يهتم في تفسيره بوضع القواعد العامة .

٢ ـ ويعتمد على الشعر في تفسيره لمفردات القرآن .

٣ ـ ويتناول القراءات ، ويهتم بها ، ويعلل لها .

٤ ـ وكان طابعه نحويا لغويا في تفسيره ، كما لم يكن متزمتا ، بل كان يفسر برأيه أحيانا .

د. احمد علم الدين الجندى

( يتبع )

# كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

— ٢ —

٨ — فشا في الصحف وعلى ألسنة كثير ممن يدعون الأدب قولهم : فلان متبجح وفيه بجاحة يريدون أنه جرىء في سوء الخلق ، لا يراعي قواعد الأدب والخلق الطيب ، وفي هذا قلب للأوضاع وجهل بأصول اللغة ، لأن هذه المادة معناها الفرح ، والفخر ، والتعظيم •

تقول : بجح فلان يتبجح بجحا من باب طرب اذا فرح ، قال الجوهري : بجح بالشيء ، وتبجح ، وابتجح فرح وأبجحه الأمر ، وبجحه بالتضعيف أي فرحه ، وفي حديث أم زرع : « وبجحني فبجحت أي فرحني ففرحت » وقيل : عظمني فعظمت نفسي عندي •

وبجحته أنا تبجيحا فتبجح أي فرحته ففرح ، ورجل باجح أي عظيم من قوم بجح بتشديد الجيم وبجح بسكونها ، قال رؤبة :

عليك سيب(١) الخلفاء البجح :

أي العظماء •

وتقول : تبجح بالشيء اذا فخر به، وفلان يتبجح علينا ويتمجح بكذا اذا كان يهذي به اعجابا ، وكذلك اذا تمزح به •

ويقال : النساء يتباجحن فيما بينهن اذا تباهين وتفاخرن وعدت كل واحدة منهن خطوتها وقال اللحياني : فلان يتبجح ويتمجح أي يفخر ويتباهى بشيء ما ، وقد بجح يبجح ، قال الراعي :

وما الفقر عن أرض العشيرة ساقنا
اليك ولكنا بقرباك نبجح

أي نفخر بالقرب منك •

٩ — ويقولون : ايراد فلان الشهري خمسون دينارا ، أما أخوه فليس له ايراد ثابت ، وهذا تعبير غير سليم •

---

(١) السيب : العطاء والعرف ، يقال : فاض سيبه على الناس •

والصواب أن يقال : دخله الشهرى كذا ، والدخل بفتح فسكون هو ما يدخل على الانسان من عقاره ، أو تجارته ، أو عمله ، وهو ضد الخرج وزن الدخل ، تقول : دخل أبى أكثر من خرجه ، أى أكثر من نفقته ومصروفاته .

أما الايراد فليس له صلة من قريب ولا من بعيد بمعنى الدخل ، اذ له معنيان : أحدهما ضد الاصدار ، تقول : أوردت فلانا الماء ايرادا اذا أوصلته اليه والأصل : ورد فلان الماء ، يرده ورودا ، اذا وصل اليه بنفسه ، فهو وارد ، وهم واردة ، ووراد ، وورد تسمية بالمصدر .

والمعنى الآخر الاحضار ، يقال : أورد فلان الشيء اذا أحضره ، وأورد الرجل أخاه اذا أحضره المورد ، وتقول لمن أنهى خبرا محزنا : لقد أوردت على ما غمنى .

١٠ - كثيرا ما سمعنا من رجال الاذاعة ، وقرأنا لرجال الصحف ، وصفهم من لم يخبر الحياة ، ولم يجرب أحداثها بالبساطة ، فيقولون : هذا الرجل بسيط ، كما أنهم اذا أرادوا أن يصفوا الشيء بالقلة قالوا : انه بسيط .

وهذا لا يستقيم ، لأن كلمة بسيط فعيل بمعنى مفعول ، أى مبسوط ، يقال : فراش بسيط وثوب بسيط أى مبسوط منشور ، ومنه البساط المعروف فعال بمعنى مفعول ، وكذا يقال أرض بسيطة أى منبسطة مستوية ، قال تعالى : « والله جعل لكم الأرض بساطا » وقال الشاعر :

ولو كان فى الأرض البسيطة منهم
لمختبط(١) عاف(٢) لما عرف الفقر

ويقال : رجل بسيط الوجه اذا كان متهللا مسرورا ، لأن الانسان اذا سر انبسط وجهه واستبشر ، ومن المجاز قولك : انه ليبسطنى ما بسطك، ويقبضنى ما قبضك ، أى يسرنى ما سرك ، ويسوءنى ما ساءك ، وفى حديث فاطمة رضى الله عنها : « يبسطنى ما يبسطها » أى يسرنى ما يسرها .

---

(١) المختبط : من يسأل بلا وسيلة ولا قرابة .
(٢) العافى : طالب المعروف وجمعه عفاة .

ويقال : فلان بسيط اليدين اذا كان كريما مسماحا ، والجمع بسط قال :

في فتية بسط الأكف مسامح
عند الفصال(١) قديمهم لم يدثر(٢)

ويقال : رجل بسيط ، وامرأة بسيط بغير هاء ، اذا كان كل منهما منبسط اللسان .

والبساطة السعة ، يقال : بسط المكان بساطة كفصح فصاحة اذا اتسع ، والبسطة أيضا السعة ، يقال : فلان في بسطة من العيش ، أو في بسطة من العلم ، أي في سعة ، قال تعالى : « ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم » .

ويقال : بسط فلان يده اذا مدها ، ومن هذا قوله تعالى : « لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدى اليك » كما يقال : بسط الله الرزق اذا وسعه وكثره ، ومن هذا قوله جل شأنه : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض » .

والتبسط التنزه ، يقال : خرج فلان يتبسط ، مأخوذ من البسط بفتح الباء ، وهي الأرض ذات الرياحين .

مما أوردنا من معاني البساطة وما اشتق منها يتضح أن هذه المعاني لا صلة لها بمعنى عدم الخبرة ولا بمعنى القلة ويمكن أن يؤدى المعنى الأول بأن يقال : فلان غر أو غرير أي غير مجرب ، وهي غرة أو غريرة أو غر بغير هاء بينة الفرارة ، والاسم الغرة ، والغرة أيضا الغفلة ، أو يقال : هو ساذج ، وهي ساذجة ، والجمع سذج .

ويمكن أن يؤدى المعنى الثاني بأن يقال : هذا شيء قليل ، أو يسير من يسر الشيء ييسر يسرا من باب قرب فهو يسير اذا كان قليلا ، أو يقال : هذا شيء تافه أو ضئيل ونحو ذلك .

١١ ــ ويقولون : غارت المرأة على زوجها ، فهي غيورة ، وشكرت من علمها مبادىء الدين فهي شكورة ،

---

(١) الفصال : الفطام .
(٢) لم يدثر : لم يندثر ، وبابه دخل ، يقال : دثر الرسم يدثر اذا درس وانمحى .

وكلا التعبيرين خطأ ، والصواب أن يقال : هى غيور ، وشكور ، وخجول ، وصبور بدون هاء التأنيث ، لأن فعولا يستوى فيه المذكر والمؤنث ، اذا كان بمعنى فاعل يقال : غار الرجل على زوجه غيرا وغيرة فهو غيور ، وغيران بفتحهما ، ومغيار أيضا وهى غيور وغيرى بفتحهما أيضا ، قال ابن مالك :

ولا تلى فارقة فعولا
أصلا ولا المفعال والمفعيلا

كذاك مفعل وما تليه
تا الفرق من ذى فشذوذ فيه

ومعنى قوله أصلا أى ان كان بمعنى فاعل ، فان كان بمعنى مفعول وجبت الهاء ، تقول : جمل ركوب ، وناقة ركوبة •

وأما قولهم : امرأة عدوة فشاذ سوغه الحمل على صديقه ، وأما قولهم : امرأة ملولة فالهاء للمبالغة لا للتأنيث ، اذ يقال أيضا رجل ملولة•

١٢ ـ ومما ذاع على ألسنتهم قولهم : هؤلاء غيورون على دينهم ، صبورون على المصائب ، فخورون بأنسابهم ، فيجمعون فعولا جمع مذكر سالما ، والفصيح أن يجمع تكسيرا على فعل بضمتين فيقال : هم غير على الدين ، صبر على المصائب ، فخر بأنسابهم ، شكر للمعروف ، غفر للهفوات وكذا يقال : هن غير ، وصبر ، وفخر ، وشكر ، وغفر قال طرفة :

ثم زادوا أنهم فى قومهم
غفر ذنبهم غير فخر

ويجمع غيران للمذكر ، وغيرى للمؤنث على غيارى بضم الغين وفتحها ، ويجمع مغيار على مغايير •

١٣ ـ وشاع على ألسنتهم وأسنة أقلامهم قولهم : كلفناهم بحفظ هذه السورة ، وقولهم : حرمناهم من أنصبتهم ، بتعدية الفعل الأول الى مفعوله الثانى بالباء ، وتعدية الفعل الثانى الى مفعوله الثانى بمن ، وهذا خطأ ، لأن كلا من الفعلين ينصب مفعوليه بنفسه ، فيقال : كلفناهم الحفظ وحرمناهم أنصبتهم ، وفى التنزيل : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ، « فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك » •

وقالت العـرب : حرمنى معروفه حرما بفتـح الحـاء وكسر الـراء ، وحرمانا بالكسر ، اذا منعه اياه وحرم المـالك الأجـير أجـره ، حـرما ، وحرمانا ، وحرمة بكسرهما ، فهـو محروم ، وهذا الفعل من باب ضرب، ويتعدى الى المفعولين بنفسه ، وأحرم بالهمز لغة فيه تقول : أحرمه حقـه أما حرم بالتضعيف فلا يتعـدى الا لمفعول واحد ، كما فى قوله تعالى : « وحرمنا عليه المراضـع » وقوله : « يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » ؟

عباس ابو السعود

---

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **كيف أرى الله .. ؟**
**للأستاذ عبد الودود شلبى**

هــذا الكتاب الذى نشرته دار الشروق فى بيروت يقع فى أكثر من مائة صفحة من القطع المتوسط ، والمؤلف الغنى عن التعريف من العلماء المثقفين المستنيرين ، وعلى الرغم من حجم الكتاب المتواضع الا أن القضية التى تناولها من أبرز القضايا الكبرى التى ترتبط بالاسلام عقيدة وكيانا وشعبا ..

تحت عنوان : « الباحثون عن الحقيقة » يتحدث المؤلف عن الكون الذى نعيش فيه ، من يكشف سره ؟ من يسبر غوره ؟ ما موقف الفلاسفة والمفكرين من القدامى والمحدثين منه؟ بل ما دور المعرفة الاسلامية فى الكشف عن سر هذا الكون ؟

وتحت عنوان : « حقائق وأوهام » يعرى المؤلف أوهام الفلاسفة التى دفع اليها الجحود والهذيان ، أولئك الذين توهموا أن الكون مادى من أوله الى آخره ، وأن كل حركاته ومظاهره ليست الا عملا ماديا أعمى ... ويتساءل المؤلف : اذا لم تكن الحياة قد نشأت بحكمة وتصميم وارادة عليا ، فكيف نشأت ؟ ثم يعرض اجابة الماديين : انها الصدفة، ويترك الدكتور مصطفى محمود يفند هذا الهذيان : « القول بأن كل هذا الاتساق والنظام حدث صدفة واتفاقا هو السذاجة بعينها ، كقولنا : ان انفجارا حدث فى مطبعة أدى الى أن تصطف الحروف على هيئة قاموس محكم » .

وتحت عنوان : « صوت العقل » يعرض المؤلف آراء الفلاسفة المستنيرين الحكماء ، الذين سموا بتفكيرهم عن هذيان المادة مثل سقراط وغيره ، ولكى يفكر الانسان فى الله تفكيرا مستقيما لا عوج فيه

ولا نفور عليه أن يحرر عقله من الأنانية والأحقاد ، ومن كل ما يعوق التفكير الصافى السليم •• حتى يتسنى له أن يصل الى الله •

كذلك قارن المؤلف بين جحيم الالحاد وواحة الايمان ، فى مناقشة هادئة منطقية ، وذكر بعضا من التجارب والاعترافات ، وناقش أولئك الذين كانوا فى الخمسينات من هذا القرن فى القاهرة وغيرها يتصورون فى الدين حاجزا عن اللحاق بركب التطور والمدنية ، وحيث اعتلت هذه الموجة طائفة من اليهود الذين تظاهروا باعتناق الماركسية ••

وبعد ـ فلماذا كان هذا الكتاب ؟

ان العالم الاسلامى ـ كما يقول المؤلف ـ يتعرض لضغوط مختلفة •• ضغوط تهدف الى اقتلاع جذور العقيدة ، ضغوط تتمثل فى هذا الطوفان الكاسح من الكتب والمذاهب الفاسدة ، وانها لخيانة أكبر خيانة •• أن يسكت صاحب قلم يستطيع أن يكتب ، أو صاحب رأى يستطيع أن ينطق ، أو صاحب ايمان فى قلبه ذرة من الحق والغيرة والمنطق •• يستطيع أن يواجه العاصفة ••••

ونحن نرى أننا أمام هذه التحديات، يجب أن تتجه كتاباتنا للوقوف فى وجه هذه التحديات ، والكتاب الذى بين أيدينا يؤدى دورا له تقديره ، لكنا كنا نود أن لا يطغى الاستشهاد بآراء الفلاسفة الغربيين المعتدلين على المعطيات الاسلامية ، كذلك كنا نود أن تكون هناك ضوابط محددة لتلك الاستشهادات التى كانت تختلط أحيانا بفكر المؤلف نفسه ••

### ● مركز المرأة فى الشريعة اليهودية
### الأستاذ السيد محمد عاشور

على الرغم من أن المؤلف تاجر معروف بالحمزاوى بالقاهرة ، ولايزال يباشر عمله فى التجارة مؤثرا اياها على الوظيفة ، فقد تخرج فى كلية التجارة ـ جامعة القاهرة ـ الا أن عمله هذا مع مسئولياته ، لم يشغله عن أن يؤدى بفكره وقامه ضريبة العلم ، وقد اهتم فى دراساته بالفكر اليهودى لتعريته ، والفكر الاقتصادى الاسلامى لابرازه فى صورته المشرقة والمشرفة، والتى حاولت طمسها الأقلام الصليبية المتعصبة ، والأقلام الصهيونية الحاقدة، والأقلام الماركسية المتطولة ، فالمؤلف أحد أفراد معدودين فى مصر يتقنون

اللغة العبرية ، وممن يجيدون بعض اللغات الأوروبية ولا سيما الانجليزية والفرنسية ..

والمؤلف يهدف من وراء هذه الدراسة القيمة ـ التى قدم لها الأستاذ الدكتور حسن ظاظا الأستاذ بكليات الآداب ـ الى المقارنة بين وضع المرأة فى الشريعة اليهودية ، ووضعها فى شريعة الاسلام ، ليلتمس القارىء أى وضع مهين للمرأة فى شريعة اليهود ، وأى وضع كريم لها فى شريعة الاسلام السمحة ، فمثلا نجد فى شريعة اليهود ما يسمى بزواج اليوم ..ومعناه الزواج بالوراثة ، فاذا مات الزوج ولم يعقب وجب على الزوجة الاقتران بأحد أخوة الزوج المتوفى ، لكى ينجب منها ولدا يحمل اسم أبيه ويرثه فى تركتـه ، كذلك الزواج بالأجنبيات محرم بنص الشريعة عنـد اليهود ، ومن حق الرجل أن يأخذ زوجـة أو أكثر من اللائى يملكهن بدون عقد زواج ، وليس فى شريعة اليهود طلاق بالمعنى المعروف ، انما هو طرد بعد طلاق ، وهذا أسوأ أنواع الاحتقار للمرأة اليهودية .. بل ان المطلقة لا تملك الزواج من غير مطلقها الا اذا أذن لها ، أما الأرملة فهى دائما فى مهب الريح ، فلا تعرف لها مكانا تستقر فيه ، فهى تورث مع سائر أمتعة الزوج المتوفى ، أما وضع المرأة فى الميراث فهو أكثر مهـانة ، فالذكور يرثون التركة ، الا اذا كان هناك بنات لم يبلغن الرشد أو لم يتزوجن فليس لهـن الا عشر التركة ينفق عليهـن أو يدفع لهن كصداق عند زواجهن .

* * *

وبعـد ـ فهـذا الكتـاب دراسـة موضـوعية ممتعـة ، جاء فى وقتـه ، والمرأة المسلمة تتعرض مسألة حقوقها لموجات من التطاول ، والقارىء لهذا الكتاب الذى بين أيدينا يدرك ببساطة كم أكرم الاسلام المرأة ، واعتبرها كائنا بشريا له كيانه المحترم ، وضمن لها من الحقوق التى تصون كرامتها ، ومن هذه الحقوق ما لم تصل اليه المرأة غير المسلمة فى أرقى بلاد الله الا منذ زمن يسير ..

والكتاب ليس مجرد سرد لنصوص الشريعة اليهودية ، بل هو مناقشـة ومقارنة لهما تقديرهما ....

* * *

● **شيئا من الانصاف .. يا صاحبة الجلالة**

لحق المغفور له الشيخ محمد أبو زهرة منذ شهور ، العالم الذى أثرى المكتبة الاسلامية بفقهه وفكره ، وتخرج على يديه فى كلية الحقوق جيل لا يحصى عدده من الشباب ، لكن كل ما جادت به صحافتنا سطور معدودة ليس الا ... ومات منذ أسابيع المرحوم الموسيقى على اسماعيل، فظلت الصحافة وكل وسائل الاعلام أكثر من ثلاثة أسابيع تشيد بأمجاد على اسماعيل الذى رحل والبلد فى أمس الحاجة اليه ... كذلك ماتت التى تدعى « بديعة مصابنى » الراقصة التى وفدت الى مصر منذ نصف قرن فأسهمت اسهاما كبيرا فى انحلال الأخلاق ، وليس عجيبا أن تشغل صحافتنا صفحات عن الفنانة الكبيرة التى نجحت فى تهريب كل ما حصلت عليه من أموال طائلة انتزعتها من جيوب رواد اللهو والمتعة .. ولله فى خلقه شئون ..

● **قراءات :**

« لم يكن الاسلام مجموعة من الطقوس الدينية وحسب ـ كما هو الشأن فى غيره من الأديان ، ولكنه كان حضارة كاملة يحملها الاسلام حيثما ذهب .. لها لغتها التى لا يصح التعبد بغيرها ، ولها قيمها وقوانينها التى تمتد وتتغلغل لتشمل سائر احتياجات الأفراد والجماعات ، فى سلوكهم وفى معاملاتهم ، وفى نشاطهم الفكرى والعاطفى على السواء .. ولم يمض على ظهور الاسلام قرن حتى كانت النظم الاسلامية حضارة كاملة ... ليس فيها ثغرة أو فجوة ... » ؟

( من كتاب الاسلام والحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين)

**محمد عبد الله السمان**

# باب الفتوى

للأستاذ محمد أبو شادي

## احكام صدقة الفطر

السؤال :

أرجو بيان الأحكام المتعلقة بصدقة الفطر •

الجـواب : كلمة صدقة اسم لما يخرجه المسـلم من ماله سدا لحاجة أخيه الفقير بقصد التقرب الى الله • وكلمةفطر يقصد بها الأفطار من صوم رمضان وهو انما يكون بغروب شمس يومه الأخير ومن هنا كان الانتهاء من صوم رمضان ، هو السبب الظـاهر لوجوب تلك الصدقة •

والحكمة التى قصدت من تشريعها تبين من قول ابن عباس رضى الله عنه: « فرض رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين » وتجب على الصائم عن نفسـه وعمن تلزمه نفقته ، فتجب عن زوجه وأبنائه وخدمه الذين يلى أمرهم وينفق عليهم ولا يتوقف وجوبهـا على أن يكون الصائم مالكا لنصاب الزكاة المفروضة ، بل يكفى أن يكون عنده ما يفضل عن قوت يوم وليـلة لنفسـه وأهله ومن المـأثور فى ذلك : « أما غنيكم فيزكيه الله : وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطى » •

وفى هذا التشريع اشـعار بوجوب عموم التضامن وأنه كمـا يطلب أن يـكون بين الغنى والفقير يطلب أن يكون أيضا بين الفقير والفقير وفيـه أيضا أشـعار الفقير بمعنى العزة حين يعطى ويمد يده عالية بالعطاء فيدفعـه ذلك الى العمـل على التخلص من ظاهرة الفقر التى يمد بها يده متواضعة للأخذ ، واليـد العليا خير من اليـد السفلى •

ويـنـدب اخراجهـا بعد فجر يوم العيد وقبل الذهاب لصلاة العيد ويجوز اخراجها قبل يوم العيد بيوم أو يومين

ليتمكن الفقير من الانتفاع بها فى يوم العيد والمقصود تحقيق قوله صلى الله عليه وسلم : « اعفوهم فى هذا اليوم عن السؤال » •

والقـدر الذى يخرج على مذهب الامام الشافعى صاع : قدحان بالكيل المصرى أى أن الكيـلة تجزىء عن أربعة أشخاص ولا تجزىء القيمـة عنـده ، ومذهب الامام أبى حنيفـة المقدار الواجب اخراجه قدح وسدس عن كل فرد فتجزىء الكيلة عنده عن سبعة أفراد اذا زيد عليها سدس قدح ويجوز على مذهبه أن يخرج المزكى قيمة الزكاة الواجبة نقدا وهذا أفضل ولا بأس بتقليد غير الحنفى للحنفى فيـه اذ أنه أكثر نفعـا للفقير وأكثر تمشيا مع حاجة الزمن •

وتصرف زكاة الفطر للمـذكورين فى قوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعـاملين عليهـا والمؤلفـة قلوبهم وفى الرقاب والغـارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » •

السـؤال من السـيد/عابدين تاما ( من طلبة الفلبين بالقاهرة ) •

١ ـ فى الفلبين يتم عقـد الزواج بين المسلمين بالطريقة الاسـلامية من ايجاب وقبول وولى وشهادة شاهدين ، ثم يذهب العريسان الى القـاضى وهو مسيحى لعقد الزواج لديه وللحصول على الوثيقة الرسـمية ، وتتضمن هذه الوثيقة المنع من تعدد الأزواج والمنـع من الطـلاق ـ فمـا حـكم الشرع الاســلامى فى كيفيـة عقـد الزواج المذكور ؟

وما مدى صحة عقـد الزواج لدى القاضى المسيحى ثم القيام باجراء العقد بالطريقة الاسلامية ؟

٢ ـ ما رأى الاسـلام فى المسلمين الذين يعيشون تحت ظل حكومة غير اسلامية ؟ علما بأن هذه الحكومة تمنع من تعـدد الزوجات وتمنع أيضـا الطلاق ؟ وهل يصح لهم أن يتناكحوا بمسلك الحـكومة الغير اسـلامية أم لا يصح لهم ذلك ؟ مع الاحاطة بأنهم مجبرون على تطبيق هذا الحكم ؟

٣ ـ مسـلمون يعيشـون فى ظل حكومة غير اسلامية يعقدون نكاحهـم لدى المأذون الشرعى للحكومة وليس هذا المأذون يجرى العقد على الطريقة

الاسلامية وانما يجريه بالطريقة المدنية التى تحرم تعدد الزوجات وتمنع الطلاق • فهل يعتبر هذ العقد صحيحا بالنسبة للمسلمين ؟ واذا كان غير صحيح فماذا يعمل المسلمون فى هذا البلد بالنسبة لعقود نكاحهم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد عن الأول بأن المعتبر هو العقد الشرعى الحاصل عن ايجاب وقبول وحضور شاهدين مع تسمية المهر سواء تقدم هذا العقد على التسجيل أمام القاضى المدنى أم تأخر عنه ، وأن التسجيل عند القاضى المدنى لا يغير شيئا مما أباحه الله من تعدد الزوجات والطلاق ، وان كان الأفضل فى الشريعة الاسلامية أن لا يحصل تعدد الزوجات وأن لا يحدث الطلاق الا بسبب ملجىء الى ذلك وأنه فى حالة تقدم التسجيل المدنى على العقد الشرعى لا يجوز معاشرة الزوج بناء على هذا التسجيل حتى يعقد العقد الشرعى •

ونفيد عن الثانى والثالث بأن اقامة المسلم فى دولة يحكمها حكام غير مسلمين لا مانع منها ما دام المسلم متمكنا من أداء ما فرض الله عليه ، ومن معاملة أهله وذوى قرابته وعموم المسلمين المعاملة التى يبيحها الشرع ، وأن هذه الاقامة لا تمنع المسلم مما أباحه الله له من الطلاق لزوجه أو التزوج عليها على ما أسلفنا ، فان قضى قانون الدولة غير المسلمة بعقاب المسلم اذا طلق أو عدد الزوجات فان كانت العقوبة مما يحتمل فعليه أن يصبر عليها ، وان كانت فوق احتماله أو كان فيها الزام بما يخالف الشريعة كأن يعاشر مطلقته طلاقا بائنا ، فعليه أن يهاجر اذا وجد نفسه مضطرا الى ذلك • والله تعالى أعلم •

الاستفتاء من السيد/رمضان عرفه• عضو مجلس الشعب •

أرجو الافادة عما هو جارى من فتح صالونات متخصصة بتصفيف وقص شعر النساء والقائمون بمزاولة هذه المهنة كثير من الرجال والشبان •

فهل هناك مانع من الشريعة الاسلامية بمنع الرجال والشبان من مزاولة هذه المهنة ؟

الجواب

الحمد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام على سـيد المرسلين سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد أن مزاولة الرجال لقص شعر النساء وتصفيفها حرام قطعـا اذ لا يجـوز للرجل الأجنبى أن يلمس جسـم المرأة الأجنبيـة عنـه ، الا اذا اقتضـت الضرورة ذلك كأن يـكون طبيبا لتشخيص المرض والعلاج ومثل هذا العمل الذى يقوم به الرجال نحو النساء لا ضرورة تدعوه اليه اذ يكتفى بمزاولة النساء والفتيات لهذه المهنة .

والله تعالى أعلم .

# أنبـــاء و آراء

للأستاذ على الخطيب

• ... الأزهر والملك فيصل :

ورد فى البيان المشترك الذى صدر عقب زيارة الملك الفيصـــل لمصر : أنه قرر تقـــديم عون مالى فورى بمبـلغ ثلاثمائة مليون ( دولار ) يصرف منها فى تدعيم جامعة الأزهر .

• ... هـدية الســـادات لدول اسلامية بآسيا وأفريقيا :

أهدى الرئيس محمد أنور السادات ٢٠ ألف كتاب اسلامى و ١٠ آلاف مصحف شريف الى الهيئات الاسلامية فى سبع دول اسلامية هى : غانا وغينيا ونيجيريا وتوجـو وداهومى وغينيـا بيساو وأندونسيا .

وصرح مصـــدر مسئول بأن هذه المكتبـات تعتبر أول دفعـة من هدايا الرئيس السادات الى الهيئات والمنظمات الاسلامية فى آسيا وأفريقيا احتفـالا بشـــهر رمضـــان المعظم . وقال : ان توجيهات السيد الرئيس تقضى بتلبيـة احتياجات وطلبات العالم الاسلامى من المكتبات والمصاحف ضمن الاحتفـال بالعيد الأول لانتصار العاشر من رمضان وذلك تقديرا لموقف الدول الاسلامية الى جانب مصر فى المعركة .

• ... التوسع فى انشاء مدارس ابتدائية أزهرية :

قرر المجلس القـــومى للتعليـــم والبحث العلمى « والتكنولوجيـا » فى اجتماعه بجامعة الاسـكندرية برئاسـة الدكتور محمد عبدالقادر حاتم مساعد رئيس الجمهـــورية والمشرف عـلى المجالس القومية المتخصصة ـ التنسيق بين التعليم العام والتعليم الأزهرى ـ وذلك بالتوســـع فى انشـاء مدارس ابتدائيـة أزهرية فى مناطق التجمعات السكانية التى تزيد على خمس عشرة ألف نسمة .

كما قرر التوسع فى انشاء فصول تحضيرية فى المعاهد الابتدائية الأزهرية ليلتحق بها الطلاب فى سن الخامسة ثم ينقلون الى السنة الأولى الابتدائية فى سن السادسة وكذلك التوسع فى انشاء معاهد المعلمين الأزهرية بحيث لايقبل الا الحاصلون على الثانوية الأزهرية بجامعة الأزهر .

• ... مسجد ومركز اعلامى فى امستردام :

يبدأ فى ذى القعدة القادم بناء أول مسجد ومركز اسلامى فى مدينة امستردام بهولندا ، وستغطى تكاليف البناء من حصيلة التبرعات التى قدمتها الدول الاسلامية ، وقد أعد المسجد ليضم ألفا من المصلين بالاضافة الى ألف آخر فى أيام الأعياد . وسيضم المركز قاعة للمحاضرات ، كذلك يضم مكتبة وناديا وسيقوم بأداء خدمات للمسلمين المقيمين فى هولندا .

• ... تدريس الدين الاسلامى فى بلجيكا :

أصدر مجلسا النواب والشيوخ البلجيكيين قانونا سيتم بمقتضاه تدريس الدين الاسلامى فى مدارس بلجيكا . وستقوم الحكومة البلجيكية بتحمل كافة نفقات المدرسين والأئمة والعلماء .

وقد صدر هذا القانون فى ١٧ يوليو سنة ١٩٧٤

• ... المصرف الاسلامى :

صرح السيد/محمد عبد الفتاح وزير المالية عقب اجتماعات مؤتمر جدة لوزراء المالية فى العالم الاسلامى بأن المؤتمر قرر انشاء المصرف الاسلامى الثانى . كذلك صرح بأن المؤتمر قرر انشاء المصرف الاسلامى للتنمية ومقره جدة ، وله أن ينشىء فروعا له فى الدول الاسلامية وذلك دعما للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الدول العربية والمجتمعات الاسلامية مع تقديم المعونات الفنية واقامة صناديق خاصة لتحقيق أغراض معينة وفقا للشريعة الاسلامية .

وقد بلغ عدد الدول التى انضمت لعضوية المصرف سبع وعشرون دولة منها تركيا وبنجلاديش ، وبلغ رأس مال المصرف ٢٠٠٠ مليون دينار اسلامى ، كذلك اكتتب فيه بمبلغ خمسين وسبعماية مليون دينار اسلامى وقد تم بالفعل تغطية مبلغ خمس وخمسين وخمسمائة مليون دينار اسلامى .

• ... احصائية فى تقرير الطلاق بايطاليا :

وافق الشعب الايطالى بأكثرية : ١٩٫٩٣٩٢٠ أى بنسبة ١ : ٩٥ فى المائة بالابقاء على قنون أول ديسمبر سنة ١٩٧٠ الذى يبيح الطلاق فى ايطاليا .

وقد بلغ عدد مؤيدى منع الطلاق الى عدد الراغبين فيه ٩ : ٤٠ فى المائة، وبلغ عدد الذين اقترعوا ٣٣٫٣٩٢١٧ أى بنسبة ١ : ٨٨ فى المائة من الأصوات المسجلة التى تبلغ ٣٧ مليون و ٤٩٧ ألف نسمة من تعداد الشعب الايطالى .

• ... كتاب الفرق (١) :

وضع هذا الكتاب اللغوى ثابت بن أبى ثابت ، وجعل موضوعه : ماخالف فيه تسمية جوارح الانسان جوارح ذوات الأربع من البهائم والسباع ، وقد قام بتحقيقه وعمل على نشره الأستاذ محمد القاسمى عن النسخة الوحيدة الموجودة بخزانة جامع القرويين بفاس ووضع له مقدمة للتعريف بالمؤلف وكتابه ، ثم أعقبه بمعجم للألفاظ اللغوية الواردة فيه ووضع له جملة من الفهارس التفصيلية لأبوابه والأعلام الواردة فيه وقد طبع بالمملكة المغربية .

• ... الحبشةوالدولة العلمانية :

من بين النصوص الواردة فى مشروع الدستور الجديد النص على علمانية الدولة .

وقد رحبت نسبة عظمى من رجال الحبشة بهذا المشروع وتلقوا بارتياح كبير اضافة الصبغة العلمانية على الدولة ؟

**على الخطيب**

(١) بفتح فساكون .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

**على سلطان على**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٤

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٦٠٠٢-١٩٧٤-٩٨٩٩

Egypt, Spain, Italy, Southern France, Iran, Turkistan, India-Pakistan, even as far as the populous Malaya and Indonesia — these-will continue to practise that to which they have been for centuries accustomed. In Europe concess-ions affect the regions above Borda-eaux—Bucharest—Sevastopol; in North America those above Hali fax—Portland; and in the southern hemisphere only some small parts of the South of Argentine-Chile and a few islands of New Zealand. The Muslim communities of Engl-and, France, Germany, Holland, Sc-andinavia, Finland, Kazan, Canada etc., will profit by this precision of the Muslim law, which is deduced from the directions given by the holy Pro phet himself, explained in the following paragraph. By consu-lting a map of the world, like the one included herewith, one can easily find out whether one lives inside or outside the normal zone, beyond the 45 degrees parallel of the latitude.

---

great deciver) comes to mislead people, he will remain for forty days, one of which as long as a year, the second as long as a month, the third as long as a week. and the remaining days as your normal days. One of the Companions rose to demand: On the day which will be as long as a year, would it suffice to celebrate five services of worship of the day? The Prophet replied: No, but calculate".

The first day described here resembles the conditions obtaining on 90 degrees parallel North or South, i.e., on the two poles; the second day those a little south of 68° of the Northern hemisphere, and the third those a little south of 66° parallel. Basing themselves on this direction of the Prophet, the assemblies of Muslim ulema have commanded to follow in such condition the movement of the clock and not of the sun; and to, fcailitate the task they command to follow the times obtaining on 45° for the countries lying between this point and the pole.

The hours of sunrise and sunset remain practically the same during all the seasons on the equator; the greatest instability, or rather the greatest and most unbearable rigour is found at the poles. Ceographers have divided the distance between the equator and the poles into 90 degrees. Therefore the line of division has to be fixed at 45° North and 45° South. Those people who live in the equatorial and tropical countries, i.e. between the two parallels of 45° on both sides of the equator, must follow the movements of the sun with their variations during the different seasons. And those who live beyond this belt, must follow the hours obtaining at 45° parallel, without regard to their local times of sunrise and sunset. It will happen that in these abnormal regions one will break the fast when the sun will still be shining, in certain seasons, and in certain others will continue to abstain from eating and drinking when the sun have long ago set.

This division at the parallels of 45° N and 45° S divide the earth theoretically into two equal parts, but as matter of fact more than three-fourths of the habitable world is included in the normal zone. An overwhelming majority of the inhabitants of the globe live in the normal zone, which includes the whole of Africa, India and Oceania, practically the whole of China and the two Americas (with the exception of Canada and the extremities of Argentina-Chile). It may be brought pointedly into relief that this division leaves untouched the millinary habitudes of the Muslims : the countries Islamized in the time of the Prophet and his companions-such as Arabia, Syria, Turkey,

movements of the sun are of little help. At the two parallels 90 degrees N and 90° S, that is at the poles, the sun does not set for six months continuously, with the exception of the one day of the first equinox, and then remains risen above the horizon for other six months continuously, with the exception of one day of the second equinox. Even much below:

at 72° North from

| | | |
|---|---|---|
| | May 9 | to August 4 |
| 72° | May 17 | July 27 |
| 68° | May 27 | July 17 |
| 66° | June 13 | June 29 |

the sun remains continuously above the horizon and sets neither during the "day", nor during the "night". In the corresponding period of winter, the sun remains below the horizon and never rises for a single moment during the 24 hours of the day. At 66° N., on June 30, the sun rises at 0.3 o'clock and sets 23.46 o'clock; on July 2, it rises at 0.3 o'clock and sets at 23.32 o'clock, and so on; that is to say, in the remaining few minutes when the sun remains set, all the the three nighty services of maghrib, 'isha and fajr are to be celebrated. Men have been crossing these regions since long, and they are much more frequented now; they are even being settled. It is known that the Soviet camps contain many Muslim labourers. It goes with out saying that in these abnormal climates one can depend on the movements of the sun neither for service of worship nor for yearly fasting. Even Friday gets complicated if it is to recur on every seventh setting of the sun. The jurists have therefore recommended that one should follow there the movements of the clock, and not those of the sun. But the question arises where to fix the line separating the normal zone of countries from the abnormal one, where one enjoys concessions? Similarly it becomes necessary to find out exactly the hours to be observed in the abnormal zone. The rational solution, which has now been approved by the assemblies of the ulema of different Muslim countries is the following:

The Quran (2/286) has laid down that "God tasketh not a person if not according to its capacity". And again (94/5-6):

"Because with the difficulty there is a facility. Verily with the difficulty there is a facility". And the Prophet has not only confirmed it by demanding his subordinate and delegates: "Facilitate, do not cause difficulties and do not cause people to detest (the Islamic law), but treat people like brothers". Apart from these general directions, the Prophet has replied to the question of abnormally long days in an apocalyptic Hadith reported by Muslim, Abu Dawud, Tirmiddhi, Ibn Majah and others :

"When the Dajjal (literally the

As the texts in the service ought to be recited in Arabic, one should learn them by heart, commencing with the Faatihah (first chapter of the Quran,), which is considered the most esstential part, the sine qua non of the service of worship.

## FUNERAL SERVICE

The funeral service differes from other services of worship in form. One makes ablutions, turns to the Kab'ah, raises the hands up to the ears, formulates the intention, after the usual Allaahu Akbar recites the hymn, the Faatihah and some other part of the Quran — as in all the services — yet ones does neither bow nor prostrate. In fact, after the recitation of the Quran, one pronounces again Allaahu Akbar, remains standing up, and recites a prayer to God to pardòn all Muslims, dead or alive, preceded by the invocation of mercy to the Prophet; says Allahu Akbar for the third time and prays particularly for the dead in presence; then says Allahu Akbar for the fourth time and salutes at the end.

## SICKNESS AND TRAVELLING

If one is sick and confined to bed, one can pray as best one can, sitting or even lying. In the case of a sitting position, the act of bowing is performed in a way that the head does not touch the ground. In the case of celebrating the prayer while lying, one only thinks in one's mind of the postures of standing, bowing, prostrating, etc., and recites at each stage the appropriate text.

Persons in travel have been permitted by the Prophet to shorten their services of 4 rak'ats, celebrating only 2 rak'ats; and others who are pressed for time, have the permission of the Prophet also to combine the services. For instance, the second and the third, between midday and sunset, at any moment, and the fourth and the fifth any time during the night.

## HOURS OF SERVICES

Usually the first service (Fajr) must be celebrated when one rises up, i.e., between dawn and sunrise. The second (Zuhr,) after the sun passes the meridian at midday; the time for this service continues for about three hours. The third ('Asr), late in the afternoon, yet before the sunset. The fourth (Maghrib) immediately after sunset, the time continues for about an hour and a half. The fifth and last ('Ishaa)., when the twilight disappears, any time during the night before dawn breaks out, preferably before midnight.

It will be noticed that these timings are practicable and without inconvenience only in equatorial and tropical countries. As one mounts towards the poles, the difference between the length of the day and the night gets so great in summer and winter, that the

do in one way and others in another. So God seems to have willed to prepetuate all acts of His beloved Prophet by means of the different schools. Let there be mutual respect and inter-tolerance.

## DISTURBANCE IN THE SERVICE

If a person should speak to anybody during the service, let out wind, laugh aloud, or eat or drink anything, it annuls the service, which should be recommenced, with fresh ablutions in the second eventaulity. However, if one forgets some act during the service, which he remembers at a latter stage, one need not recommence the service, but continue it to the end, and prostrate twice after the supplication and then pronounce the salutation. During these prostrations of Forgetfulness, one may recite the same glorification of God as usual or use another, which is more appropriate, namely "Glory to the One Who alone does neither sleep nor foreget." If a person should come somewhat late and join the congregational service, he need not bother about the portion already accomplished, but follow the imaam. In case a whole rak' at or more has been missed., one should rise up when the imaam salutes, and complete by himself the Rak'at or Rak'ats which he has missed, recite the Invocation etc, and salute to terminate the service. Supposing he joins the congregation during the prostration of the second rak'at of the early evening service, he will perform in the company of the imaam only one rak'at; so one should rise up, perform a Rak'at and sit down for the first Invocation, then perform another rak'at and invoke to terminate. If one gets the imaam in ruku' (inclining) position, one has got the whole rak'at, and needs not bother about the lost portion, such as the recitation of the Quran; but if one finds the imaam after the ruku' standing or prostrating or else, whole rak'at is lost and should be recuperated at the end when the imaam has saluted.

## GENERAL

If the right direction of the Ka'bah is not known, one should guess it, and that suffices, God being present everywhere. During the service of worship, one must behave with dignity and concentration: one must look the spot where one is going to pose one's forehead, (during the ruku' on one's feetnails, and during the sajdah the eyes resting wide open), and one should never look towards the sky, much less to right and left. Similarly one must remain firm, and it is a very bad habit to advance or retreat during the several acts of prostrating and returning to the standing position.

After the service, one may pary God for whatever one desires, the best prayers are those which have been taught by the Quran itself.

Again at the end of the second rak'at when the person sits for the first time to invoke the presence of God, some schools ask also blessings for the Prophet, other do that in the final second sitting only.

## DIFFERENCE OF SCHOOLS

(I) There are three main groups among Muslims : Sunnis, Shi'as and Abadites (nicknamed Kharijites), several sub - divisions. They have a few differnces in matters both of dogmas and cult. This elementary manual is not the proper place to trace the history and details of these differences. However in a cosmopolitan town, when one sees Muslims of different schools practising differently the same act, one asks wherefrom this divergence ? Leaving aside the differences in dogmas which come from the deduction of the leading theologians of each school, in the matter of cult let us know from the outset that nothing has been invented by anybody, but all comes form the Prophet himself or is deduced from the report of his saying or doing.

(II) It is the Prophet himself who has sometimes changed his practise in certain acts or formulas to recits, sometimes he expressly mentioned that has former practice is to be abandoned (For instance, in the ruk'u the Prophet originally let his arms hang loose, yet later he put his hands on his knees and forbade the former practice). At others, he did not say anything when he changed his practice. In a few cases the discussion arose several generations after the Prophet, and the savants diverged as to the meaning to give to a report on the practice of the Prophet.

(III) It is evident therefore that practically all the differences emanate from the divergent practices of the Holy Prophet himself, and nobody has the right to despise anyone of them. Often there are no data to determine the chronology of the diverging ways of performing the same act, in order to presume that the latter in time must abrogate the former one. If a Shafi'te, for instance, refuses to celebrate the service under a Hanafite imaam, that means that this Shari'ite refuses to follow the Prophet himself when this latter practised in a manner not known in the Shafi'ite school. What an enormity!

In the Islamic literature, one of the titles of the Prophet Muhammad is the "beloved of God" (Habib-Allah), and the Holy Quran (33/21) expressly says that in Muhammad there is the best model for Muslims to follow. It is touching to note, that in His love, God has willed that any and every unabrogated act of the Prophet should be followed by the Muslims. In case of the divergent ways of performing the same act, there was no other possibility except that some

ches pardon of God ; then he makes a second prostration and repeats the glory of God thrice as in the first prostration. Thereafter he rises up. All these, movements of stading, bowing, and prostrating twice constitute collectively one rak'at.

The second rak'at begins with the first chapter of the Quran follwed by some other part of it. There after he bows low and glorifies God thrice as before, rises up and thanks God, and then prostrates twice reciting the same texts as before. At this stage he does not rise up, but remains seated on the left foot and invokes the presence of God and attestes to the faith.

As the first (dawn) service — and also the Friday and Festival service — consists of only two rak'ats, after this invocation of the presence of God, one adds some supplication whereafter in termination of the service turns the face first to the right, saying "as-Salaamu alaikum warahmatul laah" (peace with you and mercy of God, then to the left, acording to most schools one should repeat the same formula, and the service is completed. If the service has more than two rak'ats after the invocation of the presence of God, he rises up again, recites the first chapter of the Quran without adding any other part, bows low, rises up and makes the two prostrations with their acompanying formulas. If the service has three rak'ats as in the early evening service, he remains sitting, recites the nivocation of Divine presence and the supplication, and closes with the salutation. If the service has four rak'ats, as in the two afternoon services, and in the night service, he rises up immediately after the two prostrations of the third rak'at, recites again the first chapter of Quran bows low, rises up, makes the two prostrations and then remains sitting to invoke the Divine presence, the supplication, and then ends with the salutation.

## SOME PARTICULARITIES

The Sahfi'i and Hanbali schools add a prayer of invocation, called qunoot in the Dawn service. So when a person rises up after bowing low in the second rak'at, one recites this prayer before prostration. The other schools do not observe it, contending that this practice of the Prophet was only temporary.

The Hanafi school has also a qunoot, but in third rak'at of the witr service, is celebrated after the late evening service. So, after ending the recital of the Quran in the third rak'at and before bowing low, they pronounce this prayer, whereafter they bow and complete the service in the normal way. In the case of congregational service however one should follow the imaam, whatever may be his school.

the obligatory service, and another one of two rak'ats after the same, a service of two rak'ats after the evening service ; and a service of there rak'ats — according to the Hanfite school, but according to others first a service of two rak'ats and then another of a single rak'at — after the night prayer is highly recommended. This last is called witer. Apart from these, one may celebrate as many services as one likes as nafal (supererogatory) acts of devotion. More service more merit. Further, when one enters the mosque, it is recommended to celebrate a service of Two Rak'ats as 'Tahiyatul-Masjid' (as an offering to the house of God).

The method of celebrating the service is that a person makes the necessary abolutions, selects a proper place, turns in the direction of the Ka'bah, raises the hands up to one's ears and formulates precisely the intention : "I intend to celebrate such and such service of worship to God, with its so many rak'ats, turning towards the Ka'bah, individualy/collectively as the imaam/collectively as the follower of the imaam." After this he pronounces the formula "Allahu Akbar" (God is Great), and lowers the hands : According to the Malikite and Sh'ite schools, the hands should hang loose on both sides touching the thighs, but according to all other schools, hands should be crossed on the chest, the left hand touching the body and the right one placed over it. Now the service begins, and he should neither talk to others, nor look anywhere except the point where he is going to place his forehead in prostration. At every moment, (bending, prostrating, sitting etc.), he pronounces "Allahu Akbar".

The services commences with a hymn, followed by the first chapter of the Quran (then some other chapters or verses of the Quran). With the exception of the parts of the Quran, all the texts are recited silently ; even the parts of Quran are said aloud only during the first, fourth and the fifth services, and for Friday and Festival services, and even these by the imaam alone.

After having completed the recitation of the Quran, mentioned above, the person bows down, places the hands on knees without bending them, in which position he pronounces thrice "Glory to God, the Most Grand". Then he rises up and says "Our Lord, praise be to Thee", without folding the hands, but leaving them hang loose on the sides. Afterwards he prostrates placing the forhead, nose and palms on the grounds, with knees bent, and prononunces, in this position, thrice "Glory to my Lord, the Most High" ; he then seats hismelf on the left foot keeping the rihgt foot erect, heel pointing skywards and the fingers of the feet bent outwards, and besee-

The ablutions are to be renewed not for every service of prayer, but only when the previous once have become invalidated through sleep, natural emission of gas, urination or the flow of any substance from the private parts, or vomiting. It ought to be noted that one should ordinarly use water in the W.C. ; mere paper is not sufficient.

For the prayer-service, one should also have a clean dress, a clean place, and know the direction of the Qiblah (Ka'bah in Mecca). With the help of an ordinary world-map — one such is included here-with — it would be easy to find out the direction of Mecca (in Arabia towards the middle of its Western coast) ; then a compass will indicate the exact position to be taken up. People in England, for instance, will turn to South-East, those in U.S.A. to East-South-East. It might be noted however that the world is spherical, and in view of this the shortest distance between a place and the Ka'bah is to be sought. For those in New York, it would be nearer to turn E.S.E. ; but for those in Alaska, South-West will be nearer. The anitpode of the Ka'bah is somewhere near Sandwich or Samao islands, and when passing this spot, on boat for instance, all the four directions would be equidistant and the direction would therefore be left to the choice of the person leading the service, even as inside the Ka'bah.

There are five daily services of worship, of which the second one is replaced every Friday by a solemn congregational service. There are two annual services, in addition, for celebrating the feast at the end of the month of fasts, and the feast of sacrifices coinciding with the pilgrimage at Mecca. All services resemble one another in form, but not in length, with the exception of the funeral service, of which we shall speak later. Thus, the first daily prayer at dawn has only two rak'ats (the term is explained below) ; the second and third (early and late after-noon services) have four each, the fourth (early evening) has three, and the fifth (late evening) has four. The Friday and the festival services have only two Rak'ats each. The Prophet has strongly recommended the addition, after the fifth, daily service, of another service, called witr consisting of three rak'ats.

Only five services of worship are obligatory daily, but the Prophet had the habit of adding, at the time of each service, some additional services, which constitute highly recommended acts.

So a service of a couple of Rak'ats before the morning prayer ; for the mid-day praper, a service of four rak'ats (or two services of two Rak'ats each) before

# DAILY LIFE OF A MUSLIM — II

*By*

Dr. Muhammad Hamidullah

## SERVICE OF WORSHIP AND ABULTIONS

"Cleanliness is half of the faith", says the Prophet. So, when intending to celebrate the service of worship, one has first to be clean in body. Ordinarily there are simple ablutions for the daily services. A bath preferably a shower bath, is perscribed for other occasions, — in the case of both men and women after the intercourse of husband and wife ; for men after a wet dream ; for women, after the menses and after recovering from the flow consequent on child birth. For the weekly Friday service, it is strongly recommended to take a bath.

The method of bath is that one should make ablutions, and then pour water over the entire body, from head to foot, at least three times. If one takes a bath in a tub, one may pour clean water, after emptying the tub, over head and shoulder, by a jug for instance, if there is no shower apparatus.

Ablutions are made in the following manner : The first step is to formulate the intention of purification, say bismillah (with the name of God), wash the hands upto the wrists, rinse the mouth with water, clean the nostrils with water, wash the face from the forehead to chin and from ear to ear, wash the right arm and then the left one upto the elfows (inclusive), pass the wet fingers on the head and in the ear holes (and according to some schools also the neck), then wash first the right foot and then the left one upto the ankle — doing each act thrice (unless water is lacking, in which case even once is sufficient).

If there is absolutely no water to be found, it is permitted to do the tayammum or dust ablution. This is also permitted to the sick, who are not to touch water on medical grounds. In this case we have to formulate the intention of purification, pronounce the name of God (Bismillah), pose hands on clean dust (even on a wall in the house) and pass the palms on the face, pose the hands again on the dust and pass the left palm on the right forearm, then the right palm on the left forearm. It is symbolic of man's humility before God Almighty.

The Holy Quran has again and again to answer the question how resurrection, or life after death will be . That the great Creator Who made this vast universe out of nothing could also bring about a new creation. It is quite consistent with the logic of mind and scientific knowledge :

« وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أءنا لمبعوثون خلقا جديدا . قل كونوا حجارة او حديدا . او خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا . قل الذى فطركم اول مرة ... » .

( الاسراء ٤٩ — ٥١ )

"And they say : When we are bones and fragments shall we, forsooth, be raised as a new creation ? Say : Be stones or iron, or some created thing that is yet greater in your thoughts ! Then they will say : Who shall bring us back (to life). Say : He Who created you at the first..."

« أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد » .

( ق : ١٥ )

"Were We then worn out by the first creation ? Yet they are in doubt about a new creation" (50 : 15). And,

« او لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم منه توقدون . او ليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم . انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » . ( يس : ٧٧ : ٨٣ )

"Hath not man seen that We have created him for a drop of seed ? Yet lo ! he is an open opponent. And he hath coined for Us a similitude, and hath forgotten the fact of his creation, saying : Who will revive these bones when they have rotted away ? Say : He will revive them Who produced them at the first for He is Knower of every creation, Who hath appointed for you fire from the green tree, and behold ! to kindle from it. Is not He Who created the heavens and the earth able to create the like of them ? Aye that He is ! for He is the Al-Wise Creator, but His command, when He intendeth a thing, is only that He sayeth unto it : Be ! and it is. Therefore glory be to Him in Whose hand is the dominion over all things ! Unto Him ye will be brought back." (36 : 77-83).

« يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون » .

( المعارج : ٤٣ )

"The day when they come forth from the graves in haste, as raising to a goal" (70 : 43). And

« يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار » .

( ابراهيم : ٤٨ )

"On the day when the earth will be changed to other than the earth, and the heavens also (will be changed) and they will come forth unto Allah, the One the Almighty." (14 : 48).

Resurrection or the life after death is not a dogma of belief but it is a principle of human life. This principle makes that life more serious and more useful, and at the same time awakening in him the consciousness of a life that is higher.

The man who sincerely in the Hereafter, will try his utmost to take advantage of every opportunity that is offered to him to live his life to the best purpose. Thus a belief in the Hereafter is needed in the first place to make his life worth living ; for the whole of creation on this earth is for the service of man and that human life has some great purpose and aim to fulfil. The Holy Quran says :

« ايحسب الانسان ان يترك سدى » .

( القيامة : ٣٦ )

"Thinketh man that he is to be left aimless ?" (75 : 36). And

« افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون » .

( المؤمنون : ١١٥ )

"Deemed ye then that We had created you for nought, and that ye would not be returned unto Us ?" (23 : 115).

If every thing in nature is intended for the service of man, but human life itself is without purpose, then man must be placed lower than the lowest form of creation, which is a contradiction in terms. It cannot be that the whole of creation should serve a purpose and that man alone who is endowed with capabilities for ruling in the universe should have a purposeless existence. Man has a higher object to fulfil, he has a higher life to live beyond this world ; and that higher life is the aim of human life. The Holy Quran makes this argument clear in this brief verses :

« لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم . ثم رددناه اسفل سافلين . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم آجر غير ممنون » .

( التين : ٤ — ٦ )

"Surely We created man of the best statue. Then We reduced him to the lowest of low, Save those who believe and do good works and their's is a reward unfailing" (95 : 4-6).

the actual birth of man, and to a full awakening of the great truth.

In this study it should be noted that the earthly life is a stage at which ordinarily there is no consciousness of the spiritual life. It may be compared to the first stage in the physical development of man. At the barzakh stage, corresponding to the stage of embryo, as certain consciousness of that life has grown up, but it is not yet the full consciousness of the final development, which takes place with the resurrection. There is some kind of awakening to a new spiritual experience immediately after the death — in the barzakh stage — is evident from the above Quranic verses.

The very ideas of time, space and nature as relating to the next world are different form those here and therefore we cannot conceive of them in terms of this world. All questions connected with the life after death are not the thing can be perceived by these senses, and, according to the Holy Quran they shall be made known only after the death :

« فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قـرة اعين جزاء بما كانوا يعملون » .
( السجدة : ١٧ )

"No soul knoweth what is kept hid for them of joy as a reward for what they used to do" (32 : 17). But the following verses of the Holy Quran show that the life after death or resurrection signifies an awakening and rising to a new life which relates to the sweeping off an old order and the establishement of a new one :

« يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة يقولون ائنا لمردودون فى الحافرة . ائذا كنـا عظاما نخرة . قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانمـا هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة » .
( النازعات : ٦ ـ ١٤ )

"On the day when the first trump resoundeth. And the second followeth it, on that day hearts beat painfully, while eyes are downcast. (Now) they are saying : Shall we really be restored to our first state. Even after we are crumpled bones? They say : Then that would be a vain proceeding. Surely it would need but one shout, And lo ! they would be awakened" (79 : 6-14).

« اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها وقال الانسـان مالها يومئذ تحـدث اخبارها بان ربك اوحى لها يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم » .
( الزلزلة : ١ ـ ٦ )

"When the earth is shaken with her final earthquake, And earth yeild up her burdens, And man sayeth: what aileth her ? That day she will relate her chronicles, because thy Lord, inspireth her. That day mankind will issue forth in scattered groups to be shown their deeds" (99 : 1-6).

« هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة فى بطون امهاتكم » .
( النجم : ٣٢ )

"...He is best aware of you (from the time) when He created you from the earth, and when ye were hidden in the bellies of your mother". (53:32),

« ... وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ... » .
( السجدة ٧ ـ ٩ )

"...He began the creation of man from clay ; Then He made His seed from a draught of despised fluid ; Then He fashioned him and breathed into him of His spirit ; and appointed for you hearing and sight and hearts" (32 : 7-9). And

« يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى . ثم نخرجكم طفلا ... » .
( الحج : ٥ )

"O mankind ! If ye are in doubt concerning the resurrection, then lo ! We have created you from dust, then from a drop of seed, then from a clot, then from a little lump of flesh shapely and shapeless, that We may make (it) clear for you. And We cause what We will to remain in the wombs for an appointed time, and afterward We bring you forth as infants ..." (22:5)

Corresponding to this three stages in the physical development in man — the stage of dust, the stage of embryo and the stage of birth — the Holy Quran speaks of three stages in his spiritual development. The first stage is the growth of a spiritual development which begins in this very life. The second stage comes with the death with it he entered the stage of 'barzakh' which literally means a thing that intervenes between two things. It signifies the stage between death and resurrection. The Holy Quran speaks of this stage of barzakh or grave :

« حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » .
( المؤمنون : ٩٩ ـ ١٠٠ )

"Until, when death cometh unto one of them, he sayeth : My Lord : Sent me back, That I may do right in that which I have left behind ! But nay ! it is but a word that he speaketh ; and behind them is a barrier until the day when they are raised" (23 : 99-100).

« ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره » .
( عبس : ٢١ ـ ٢٢ )

"Then causeth him to die, and burieth him ; Then, when He will He bringeth him again to life" (80 : 21-22).

The third stage is the resurrection which may be compared to

Death, in the light of the teachings of Islam is not the end of man's life ; it only opens the door to another form of life. This idea is clear from the following verses of the Quran :

« نحن خلقناكم فلولا تصدقون . افرايتم ما تمنون . أانتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين. على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون. ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون » .
( الواقعة : ٥٧ — ٦٢ )

"We created you. Will ye then admit the truth ? Have ye seen that which ye emit ? Do ye create it or are We the Creator ? We mete out death among you, and We are not to be outrun ; That We may transfigure you and make you what ye know not. And verily ye know the first creation. Why, then, ye not reflect ?" (56 : 57-62). But the Hereafter is a higher form of life. It is also made plain in the following verse :

« والآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ».
( الاسراء : ٢١ )

"... Verily the Hereafter will be greater in degrees and greater in preferment." (17:21).

The belief in life after death implies the every deed, however secretly it may be done must bear fruit, and therefore this belief is both the greatest impetus towards good and noble life, and the greatest restraint upon evil or irresponsible deeds.

Such a belief also purifies the motives with which a deed is done. A deep consciousness of the consequences of a deed makes a man work with most selfless of motives, for he seeks a higher and nobler reward in the life after death which opens out before him a new world of advancement. The Quran not only speaks of a life after death but it also shows that the basis of that life is laid in this life on earth. Explaining the connection between the two lifes the Holy Quran says :

« لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » .
( ق : ٢٢ )

"... Thou wast in heedlessness of this. Now We have removed from thee thy covering, and piercing is thy sight this day" (50:22). This shows that the wider which is hidden here from the human eye by reason of material limitations, will become manifest in resurrection because the veil of material limitations having been removed the human perception will be then cleared.

Even the development of the physical life is passing through three stages ; the state of being in the earth, that of being in the mother's womb and that in which the child is born. The Holy Quran refers to these stages in the following verses :

# MAJALLATU'L AZHAR

**(AL-AZHAR MAGAZINE)**

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

| RAMADAN 1394 | **ENGLISH SECTION** | OCTOBER 1974 |
|---|---|---|


## LIFE AFTER DEATH — IN THE CONCEPTION OF ISLAM


*By*

DR. MOHIADDIN ALWAYE


The belief in the life after death is a basic principle of Islam. The Holy Quran accords to faith in the future life an importance which is next only to faith in God. Very often all the doctrines of faith are summed up, as amounting to belief in God and the life after death. The words generally used in the Holy Quran, to indicate this life are 'Al-akhira' (the last or which comes after) ; 'al-yaum-al-akir' (the last day) ; 'al dar al-akhira' (the next or the last abode); 'al-nash'at al-akhira' (the next life). The Holy Quran says :

« من آمن بالله واليوم الآخر » .
( البقرة : ٦٢ )

"... Whoever believeth in Allah and the Last Day ..." (2:62)

« ثم الله ينشىء النشأة الآخرة » .
( العنكبوت : ٢٠ )

"... Then Allah bringeth forth the later growth". (29:20) and

« وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان ... ».
( العنكبوت : ٦٤ )

"This life of the world is but a pastime and a game. Lo ! the home of the Hereafter — that is Life, ... (29:64).

In the opening chapter of the Holy Quran (Al-Fatihah), God is spoken of as the "Master of the Day of Judgement". It is actually which plays the greatest part in creating a true Islamic mentality ; for the Muslim must turn to it in his five daily prayers. Thus the idea that every deed must be requited is brought before the mind of the Muslim continually. This constant repetition undoubtedly impresses on the mind the reality of a future life when every deed shall find its full reward.

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر

فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ فى جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
ادارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثامن — السنة السادسة والأربعون — شوال سنة ١٣٩٤ هـ — أكتوبر سنة ١٩٧٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

# تربية الضمير

للأستاذ عبد الرحيم فودة

معنى الضمير فى اللغة : المضمر ، أى ما يضمره الانسان ويستره فى نفسه بحيث يصعب على غيره معرفته والوقوف عليه ، ومعناه فى العرف الأخلاقى : ملكة أو حاسة نفسية عقلية يميز بها الانسان الطيب من الخبيث ، والحسن من القبيح ، فيقبل على الطيب وينفر من الخبيث ، ويستحسن الحسن ويستقبح القبيح .

ويكاد الفلاسفة وعلماء الأخلاق يتفقون على أن عمل هذه الملكة أو الحاسة ايجابى فى توجيه السلوك وتقويم الأخلاق ، فالضمير قوة تدفع الى عمل الخير ، وتمنع من فعل الشر ، وقوة الضمير تنبع من الشعور بحسن الحسنات وقبح السيئات ، وتتفاوت هذه القوة بتفاوت الشعور ضعفا وقوة ، ومن ثم يتبين لنا أن الطريق الى تربية الضمير فى نفوس الأفراد والجماعات هو العلم بما يسوء ويضر ، وبما ينفع ويسر ، وبما يعاب أو يستحسن من الخلال والخصال والأقوال والأعمال .

وليس العلم وحده هو الطريق الى تربية الضمير ، بل لابد إن يصحبه الشعور بقيمة العمل صحة أو فسادا ، وقيمة ما فيه من خير أو شر ، أو نفع أو ضر ، فان الشعور بذلك هو الطاقة الدافعة الى الاقبال على الخير ، والاعراض عن الشر ، ولهذا كنت التربية عملا مكملا للتعليم ، وكان العلم وحده دون العمل بمقتضاه كما يقول الله فيه : « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم » .

وقد ذكر الله فى بيان ذلك قصة بنى اسرائيل مع موسى حين أمرهم أن يذبحوا بقرة ويضربوا جسم القتيل ببعضها ، فقد رأوا من آيات الله كيف يخرج الحى من الميت أو كيف يحيى الموتى ، اذ عادت الى القتيل الحياة ، فقام يخبر بالقاتل ، ثم كان شأنهم بعد ذلك ، وبعد أن شاهدوا بأعينهم هذه الأية الكبرى كما يقول الله : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله » فان ذلك يفهم منه أنهم على الرغم من أنهم رأوا بأعينهم مظاهر قدرة الله ، وعلموا أنه ـ دون غيره ـ خالق الموت والحية ، وكان علمهم بذلك على هذه الصورة المثيرة التى تلين لها القلوب الجامدة .. كانت قلوبهم أشد قسوة من الحجارة . ولم يكن لهم ضمير يدفعهم الى الخير ويمنعهم عن الشر ، ويقودهم الى الايمان ، ومعنى ذلك كذلك أن نفوسهم كالأرض الجدبة لا ينبت فيها ضمير ،ولا يثمر فيها علم، فان النفوس تختلف فى الاستعداد لتقبل العلم والعمل بمقتضاه ، والسير على هداه ، كما تختلف قطع الأرض فى تقبل الماء من السماء وقد بين ذلك النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : ( مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها نقية أو طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلمه وعلمه ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى جئت به ) .

ونخلص من ذلك بأن الضمير الحي النقي لا يولد في النفوس المتحجرة القاسية • وانما يولد حيث تكون تربتها صالحة لمولده ونموه وسموه ؛ وذلك في الأطوار الأولى من حياة الانسان حيث تكون فطرته سليمة ، وطبيعته نقية مستعدة لما يلقي عليها من خير أو شر ، فان كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم ، والطفل كما يقول الامام الغزالي رحمه الله : أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما ينقش عليه ، ومائل لكل ما يمال به اليه ، فان عود الخير وعلمه ، نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له • وقد قال الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » •

ويمكن أن نلحظ معنى الضمير في معنى النفس اللوامة والنفس المطمئنة ، فان النفس اللوامة : هي التي تكثر من لوم صاحبها على فل السيئات أو على التقصير في فعل الخير والحسنات ، وقد أقسم الله بها تشريفا لها حيث قال : « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » • أما النفس المطمئنة : فهي التي تشعر بالأمن والسكينة والاطمئنان والارتياح الى فعل الخير والتمسك بالحق • وقد بين الله قيمتها بما يفهم من قوله : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » •

فالضمير بمعنى النفس اللوامة أو النفس المطمئنة يكون بالتربية على حب الخير وكراهية الشر ، وهذا النوع من التربية هو التزكية التي يقول الله فيها : « قد أفلح من تزكى » •• وصلى الله على محمد الذي بعثه بالهدى ودين الحق • وكان عمله كما يقول فيه •• « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » ••

**عبد الرحيم فودة**

دراسات قرآنية

# ألوان من أدب السلوك

للأستاذ مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى :
« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » الاحزاب : ٢١

## البيان

الناس جميعا سواسية فى انسانيتهم ومنشئهم ، فكلهم لآدم وآدم من تراب ، وانما يتفاوتون فى الفضائل والمكارم ، فنرى بعضهم يرتقى بها الى أعلى القمم ، ونرى آخرين ينحدرون بتركها الى أعمق البؤر •

وجمال المرء لا يكون بحسن صورته ، فكم من جميل المحيا شوهته معايبه ، ونفرت الناس منه مفاسده ، وكم من انسان لا تجذبك اليه صورته ، وانما تشدك اليه سجاياه وخلائقه ، فالكمال الخلقى هو الجمال الرفيع ، والجمال الصورى بدون فضائل هو القبح الوضيع •

وأعظم ما عنى به الاسلام بعد الايمان بالله ورسوله ، هو جمال السجايا ومحاسن الشيم ، وما بعث محمد صلى الله عليه وسلم الا ليتمم مكارم الأخلاق التى جاء بها النبيون من قبله •

واعلم أن المسلم الحق لا يعتبر مسلما بنمو صلاته وصيامه فحسب ، ولكنه يكون مسلما حين يتحلى بمكارم الأخلاق ، ويزدان بآداب السلوك ، فالدين ما وقر فى القلوب ، وترجمته الأقوال والأفعال ، الدين المعاملة ، وليس الرياء والفحش والايذاء •

لهذا رأيت أن أقدم لك أيها الأخ المسلم زهورا ذاكية فواحة العبير من فواضل الأخلاق ، قطفتها لك من

رياض السنة الفينانة ، راجيا أن يتضوع شذاها فى أعطاف نفسك ، وأن تنفعل بها فى معاملتك وسلوكك ، ليكون لك بهذه الأخلاق الكريمة ائتساء واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدق الله تعالى اذ يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

عليك أيها الأخ المسلم أن تكون طلق المحيا ، بادى البشر ، رفيقا بالعباد ، لينا سهلا فى قولك ومعاملتك ، فتلك الخلال منجاة من النار ، قال صلى لله عليه وسلم : « أتدرون على من حرمت النار ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : على اللين السهل القريب » أخرجه الترمذى وحسنه .

وقال بعض الصحابة : « يارسول الله . دلنى على عمل يدخلنى الجنة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ان من موجبات الجنة بذل السلام وحسن الكلام » أخرجه البيهقى وغيره باسناد جيد ، وقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » متفق عليه : وقال عبد الله بن عمر : ان البر شىء هين ، وجه طليق وكلام لين .

ومن السجايا الكريمة التى ينبغى التخلق بها ، الصدق فى القول ، والوفاء بالوعد ، وأداء الأمانة ، فانها من أجل صفات المؤمن ، أما أضدادها فهى من صفات المنافق ، قال صلى الله عليه وسلم : « ثلاث فى المنافق ، اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان » متفق عليه .

ولن يكمل ايمانك حتى تنصف الناس من نفسك وتأتيهم بما تحب أن تؤتى ، وتبذل من المال الذى استخلفك الله عليه ، ويكون السلام والأمان منهاجك قولا وعملا ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال ، الانفاق من الاقتار (١) ، والانصاف من نفسه ، وبذل السلام » وقال : « من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ، فلتأته منيته وهو يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسوله ، وليأت الى الناس ما يحب أن يؤتى » أخرجه مسلم .

---

(١) الاقتار قلة المال وضيق الحال .

## رد الجميل

ومن الآداب الاسـلامية أن ترد الجميل لمن أسـداه اليك ، روى أن خيلا لرسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ، غزت قبيلة بنى سـعد التى ارتضع فيهـا الرسـول ، وكان أهلها مشركين وقتئـذ ، وغنم الغـزاة منهـا غنائم ، فقدمت على رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم مرضعته حليمـة السعدية،فبسط لها رداءه ثم قال لها : (مرحبا بأمى ) ثم أجلسـها على ردائه وقال لها : « اشفعى تشفعى ، وسـلى تعطى » فقالت قومى : فقال : أما حقى وحق بنى هاشم فهو لك » فقال الناس من كل ناحية وقالوا : وحقنا يارسول: يريدون أنهم تنازلوا لها عن حقهم فى مغانم قومها ، أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم وصلها الرسول صلى الله عليـه وسلم وأخدمها ـ أى أعطاها وجعـل لها خدما ـ ووهب لهـا سـهمانه (١) بحنين ، فبيع ذلك من عثمان بن عفان بمـائة ألف درهم ، رواه أبو داود والحاكم وصححه .

## اكرام القادم

ومن الآداب الاسلامية اكرام كريم القوم اذا قدم عليك ، روى أنه صـلى الله عليـه وسـلم دخل بعض بيوته ، فدخـل عليـه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ ، فجاء جرير بن عبد الله البجلى ، فلم يجد مكانا ، فقعد على الباب ، فلف رسـول الله صـلى الله عليه وسلم رداءه فألقاه اليه وقال له : « اجلس عـلى هـذا » فأخـذه جرير ووضعه على وجهـه ، وجعـل يقبله ويبـكى ، ثم لفـه ورمى به الى النبى صلى الله عليه وسـلم وقال : ما كنت لأجلس على ثوبك ، أكرمك الله كما أكرمتنى ، فنظر النبى صلى الله عليـه وسـلم يمينـا وشـمالا ثم قال : « اذا أتاكم كريم قـوم فأكرموه » أخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد .

## الاصلاح بين الناس

ومن الآداب الاسلامية الاصـلاح بين المختلفين ، ليسود السلام بينهما ، حتى لا يتطور خلافهما الى ما لا تحمد عقباه ، وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأفضل من

---

(١) أى أعطاها أسهمه من غنائم حنين .

درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟قالوا بلى ، قال اصلاح ذات البين ، وفساد ذات البين هى الحالقة » أخرجه أبو داود والترمذى وصححه .

فأنت ترى من هذا الحديث الشريف أن اصلاح ذات البين ، أفضل عند الله من الصلاة والصيام والصدقة، لما يترتب عليه من الطمأنينة والسلام فى الأمة ، وأن فساد ذات البين يحلق الدين ويستأصله ؛ لما يترتب عليه من العداوة والفتن والآثار الضارة بالمجتمع الاسلامى ، فحرص على الاصلاح بين الناس – أيها الأخ المسلم – ما دمت قادرا عليه ، لتحصل على أجره العظيم ، وقد أباح لك الدين أن تكذب فى سبيل هذا الاصلاح ، فهو كذب لا ضرر فيه ، بل له منافع عظيمة ، ومن القواعد الأصولية – الضرورات تبيح المحظورات – فلا عليك من وزر فى أن تقول لأحدهما أو كليهما – مثلا – لقد سمعت من فلان ثناء عليك ، وحرصا على مودتك مع أنك لم تسمع منه ذلك .

وفى اباحة الكذب للاصلاح يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين ، فقال خيرا أو نما خيرا » متفق عليه – أى ليس آثما على كذبه هذا فانه سيترتب عليه الصلح بين المتخاصمين ، واستئصال جذور الشر من بينهما ، واستقرار الأمن فى البيئة الاسلامية ، وذلك له عند الله وزن كبير .

## الستر على المسلم

ومن الأخلاق الاسلامية أن تستر عورة أخيك المسلم ، وأن لا تشنع عليه ، قال صلى الله عليه وسلم : « من ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة » أخرجه الامام مسلم .

فالنبى صلى الله عليه وسلم يندبك أيها المسلم لستر عورة أخيك ، ويعدك – وهو الصادق المصدق – بستر الله لعورتك فى الدنيا والآخرة وما من مسلم الا له عورة يرجو أن يسترها الله له فى الدنيا والآخرة ، حتى يظل كريما على الله وعلى الناس .

ولقد كان السلف الصالح على هذا النمط الرفيع من الأخلاق ، قال أبو بكر رضى الله عنه : لو وجدت شاربا لأحببت أن يستره الله ، ولو وجدت سارقا لأحببت أن يستره الله .

وروى أن عمر رضى الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة ( أى يمر بها

ليتعرف شئون الرعية ) ـ فرأى رجلا وامرأة على فاحشة ، فلما أصبح قال للناس : أرأيتم لو أن اماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة ، فلما أصبح قال ما كنتم فاعلين ؟ قالوا انما أنت امام ، فقال على رضى الله عنه : ليس ذلك لك ، اذا يقام عليك الحد[1] ان الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شـهود ، ثم تركهـم ما شـاء الله أن يتركهم ثم سألهم ، فقال القوم مثـل مقالتهم ، فقال على رضى الله عنه مثل مقالته الأولى ، وهذا يشير الى أن عمر رضى الله عنه ،كان مترددا فى أن الوالى هل له الحق فى أن يقضى فى الحدود بعلمه ، فلذا راجعهم خيفة أنلا يكون له ذلك ، فيكون قاذفا باخبـاره ، ثم اطمأن الى رأى على ـ رضى الله عنه ـ فأمضاه وأخذ به ، لاستناده الى حجة لا يمكن تخطيها ، وهى النص القرآنى « فاستشهدوا عليهن أربعة منكم (٢) »

وهذا النص واضح فى طلب الشرع ستر الفواحش ، فان اجتماع أربعـة شهود ليشهدوا الواقعـة من غير لبس أمر لا يمكن توافره ، فلا يبغى الا الستر وهو المطلوب ، لأن الكشـف بالحـديث عن واقعـة الزنى من غير شهود ، يعتبر قذفا يستوجب الحـد المقرر له ، وهو ثمانون جلدة ، مع رد شـهادة القاذف والحكم بفسقه ، قال تعـالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شـهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شـهادة أبدا وأولئك هم الفاسـقون » وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : خرجت مع عمـر بن الخطـاب رضى الله عنه ليلة فى المدينة ، فبينما نحـن نمشى اذ ظهـر لنـا سراج ، فانطلقنا نؤمه ، فلما دنونا منه اذا باب مغلق على قوم لهم أصـوات ولغط ، فأخذ عمـر بيدى وقال : أتدرى بيت من هذا ؟ قلت لا ، فقال : هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف ، وهم الآن شرب ـ أى يشربون الخمر ـ فماذا ترى ؟ قلت أرى أنا قد أتينا أمرا نهانا الله عنـه ، قال الله تعـالى : « ولا تجسسـوا » فرجع عمـر رضى الله عنهم وتركهم لوضوح الدليل .

وقال صلى الله عليه وسلم لمعاوية : « انك ان تتبعت عورات الناس أفسدتهم

(١) يريد بالحد حد القذف ، حيث قذفهما بالزنا بلا بينة .

(٢) أول الآية : « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم . . » سورة النساء : آية ١٥

أو كدت تفسدهم » رواه أبو داود بسند صحيح ، وقال صلى الله عليه وسلم : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان فى قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من يتبع عورة أخيه ، يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان فى جوف بيته » رواه أبو داود باسناد جيد ، وروى الترمذى نحوه وحسنه .

وروى أن ابن مسعود جاءه رجل بآخر نشوان - اى سكران - فقال ابن مسعود : استنكهوه - أى شموا فمه - فاستنكهوه فوجدوه نشوان ، فحبسه حتى ذهب سكره ، ثم دعا بسوط ، ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك ، وأعط كل عضو حقه . فجلده وعليه قباء أو مرط ، فلما فرغ قال للذى جاء به : ما أنت منه ؟ قال عمه ، قال عبد الله : ما أدبت فأحسنت الأدب ولا سترت الحرمة ، انه ينبغى للامام اذا انتهى اليه حد أن يقيمه ، وان الله عفو يحب العفو ، ثم قرأ : « وليعفوا وليصفحوا » ثم قال : انى لأذكر أول رجل قطعه النبى صلى الله عليه وسلم ، أتى بسارق فقطعه ، فكأنما أسف وجهه ، فقالوا يا رسول الله ، كأنك كرهت قطعه ، فقال : وما يمنعنى ؟ لا تكونوا عونا للشياطين على أخيكم ، فقالوا : الا عفوت عنه ، فقال : انه ينبغى للسلطان اذا انتهى اليه حد أن يقيمه ، ان الله عفو يحب العفو ، وقرأ « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » رواه الحاكم وصححه .

وروى أن عمر كان يعس بالمدينة من الليل ، فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى ، فتسور عليه ، فوجد عنده امرأة وعنده خمر ، فقال يا عبد الله أرأيت أن الله يسترك وأنت على معصيته ، فقال : وأنت يا أمير المؤمنين فلا تعجل ، فان كنت قد عصيت الله فى واحدة ، فقد عصيت الله ثلاثا ، قال الله تعالى : « ولا تجسسوا » وقد تجسست ، وقال : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » وقد تسورت على ، وقال تعالى : « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » وقد دخلت بيتى بغير اذن ولا سلام ، فقال عمر رضى الله عنه : هل عندك من خير ان عفوت عنك ؟ قال نعم والله يا أمير المؤمنين ان عفوت عنى لا أعود الى مثلها أبدا ، فعفا عنه وتركه .

## سترك على نفسك أولى

أيها المسلم المقصر فى حق ربك وحق نفسك وحق الناس ، المقيم على معصية الله ، لقد طلب مولاك أن يستر المسلمون على معصيتك ، لعلك تثوب الى رشدك ، وترجع عن معصيتك ألست أولى بالمحافظة على عرضك وكرامتك من جميع الناس ، وهل تظن أن ستر الناس عليك سوف يستمر الى أمد بعيد ، فهل أمنت أن يفضحك الله على رءوس الاشهاد ، « وأملى لهم ان كيدى متين » فمن يستر لك فضيحتك يومئذ وهى مما لا يمكن ستره ، وماذا تصنع يوم يحاسبك الله على جرائمك فى ساحة القيامة ، والناس جميعا اليك ينظرون ، والى سوء مصيرك ينتظرون ، ثم يأمر بك الله الى النار ، لعقابك على ما ارتكبت من الأوزار ، فتدارك نفسك عاجلا بالمتاب ، فان الله تعالى يقبل التوبة ممن تاب ، وفقنا الله واياك لما يحبه ويرضاه ؟

**مصطفى محمد الحديدى**
**الطير**

# الولاية بالكفاية

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن عامر بن واثلة رحمه الله : أن نافع بن عبد الحارث لقى عمر بعسفان ، وكان عمر استعمله على مكة فقال : من استعملت على أهل الوادى ؟ قال ابن ابزى ، قال : ومن ابن ابزى ، قال : مولى من موالينا ؟! قال : استخلفت عليهم مولى ؟ ! قال: انه قارىء لكتاب الله عز وجل ، وانه عالم بالفرائض ، قال عمر : أما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال : ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين •

أخرجه مسلم :

الاسلام دين ودولة عنى بشئون الدولة كما عنى بشئون الدين وتضمن القرآن كما تضمنت السنة هذه الشئون كلها وأراحا الناس من عناء البحث ، ومعاناة الخطأ والصواب فى استخلاص القواعد التى يساس بها الناس فى دينهم ودنياهم حتى لاتذهب بهم الآراء والأهواء فى متاهاة الحياة •

ومن صميم نظم الدولة التى يستمكن بها بنيانها وتستقر عليها أركانها نظام الرياسات فى الأعمال ولا شك أن الرياسات اذا صلحت واستقامت - بصلاح رؤسائها واستقامتهم - صلح أمن الدولة ، لذا كان اختيار الرؤساء موضع اهتمام الاسلام ، والرئيس أيا كانت درجته ونطاق عمله هو وال على مرؤوسيه ومسئول عنهم وعن أعمالهم وتصرفاتهم نحو الجماهير ، فالكلام عن الوالى فى الاصلاح الاسلامى من حيث ما يجب توافره فيه من الشروط كلام عن الرؤساء عامة ، وان امتاز بعض الرياسات والولايات ببعض الميزات والشروط ، فهناك قدر منها تشترك فيه الولايات كلها ، فالأمانة والنزاهة والعدل والكفاية وتحرى

المصـلحة العـامة شروط لا بد من توافرها فى كل من يتولى رياسةعمل من أعمـال الدولة ، ولقـد توزعت شروط الولاية - من اسلام وعقـل وحـرية وذكورة وسـلامة وكفـاية وعلم - فى أحاديث كثيرة كما توزعت فى آيات من القرآن الكريم ونسقها الفقهاء وجمعوها فى أبواب اختلفت عناوينها واتحدت موضوعاتها ، فتارة توضع تحت عنوان الولاية ، وتـارة توضـع تحت عنوان أدب القضـاء والقـاضى ، واسـتغرق الحديث عن الولاية العـامة وهى الخـلافة كثيرا من جهود الفقهاء نظرا لخطورتهـا فى بنـاء الدولة واستقرار حيـاتهـا والحفاظ على وحدتها ، ولقد بلغ من الاهتمام بها أن ألحقهـا بعض علمـاء الـكلام بالحـديث عن العقيدة حتى لايكمل الاسلام الا بالايمان بوجوبها والانقياد لمن اختاره المسلمون لهـا وفى الحـديث الذى روى عن عامر هنا اشارة الى بعض الشروط التي يجب أن تـوافر فى الوالى أو الرئيس ، وهى الـكفاية العلميـة فى الوالى ، واذا لاحظنـا أن الوالى فى المفهـوم الاسلامى هو الوالى الاسـلامى الذى يقوم بتطبيق القـانون الاسـلامى فى تصريف شئون الجمـاهير وتنفيـذه وجب أن يكون عالمـا بهذا القانون ، وأصـل هـذا القـانون وعمـوده وملاك أمـره هـو كتـاب الله ، فهو أصل القوانين ، والعلم بكتاب الله يوجب العلم بسـنة رسـول الله وما صح منها وما لم يصح مما أدخل عليها ، فسـنة رسـول الله هى التى بينت مجملة وخصصت عامة ، وقيدت مطلقه سـواء بقول رسـول الله أو بفعلـه أو تقـريره ويـوجب العلم بأقضية الرسـول وأقضية خلفـائه وأصـحابه هـذا الى وجوب العـلم بقوانين الأعمال والشئون التى وكل اليه تصريفها ليكون قضـاؤه وتصرفه عن بينة وعلم ، والى هذا المعنى أشار عمر رضى الله عنه فى الحديث حين أنكر على نافع أن يسـتعمل ابن ابزى على ولاية مكة وهو مولى من الموالى ظنا منه أنه استعمل جهلا ، فالظن فى الموالى وهم فى الغالب أرقاء مشغولون عن تحصيل العـلم بخدمة سـادتهم - أنهـم جهـلاء لا يصـلحون للولاية ولا يحسنون القيام عليها فلمـا عرف من نافع أن ابن أبزى عالم بكتاب الله وبالفرائض أى قواعد التوريث هـدأ باله وسكنت نفسه واطمأن الى حسن تصرف نافع .

ومن هذا الحوار بين نافع وعمر رضى الله عنهما فعلم أن من أهم الشروط فى الولاية ، هى الكفاية العلمية كما نعلم أن العلم يرفع منازل الناس ويعلى أقدارهم ويؤهلهم لأخطر المناصب وينزلهم أرقى الدرجات كما أنه يجبر رقة النسب وتأخر الحسب كما قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويخفض آخرين » ، يعنى أن الله يرفع بالعلم بهذا الكتاب وهو القرآن أقواما ويخفض آخرين ، يرفع أقواما فى الدنيا بالتكريم والتقدير ويجعلهم منارة للمهتدين وشريعة عذبة للمنتهلين ويرفعهم فى الآخرة بحسن المثوبة والمغفرة ويلحقهم بالصالحين اذا عملوا بما علموا واتمروا بما أمروا به وانتهوا عما نهوا عنه والعلم بكتاب الله وبالعلوم عامة سبيل الرفعة والعزة كما قال تعالى : « يرفع الله الذين آمنو منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

ومن أهم ما تضمنه الحديث فى سياق الكلام عن الولاية وعمن يصلحون لها وعن بعض ما يشترط فيها تلك القاعدة الدينية وهى مع ذلك قاعدة اجتماعية هامة تميزبها الاسلام واجتذب قلوب الناس وما زال يجتذبهم وهى قاعدة الغاء الفوارق بالأنساب والأجناس والألوان ، فالعربى والنبطى ، والقرشى والعجمى سواء فى نظر الاسلام اذا تعادلت مؤهلاتهم بالعلم والتقوى ، وها نحن أولاء نرى أن عمر أقر تلك القاعدة كما أقرها القرآن وكما قررها الرسول : قولا وطبقها عملا فولى أسامة بن زيد المولى وبلال بن أبى رباح الحبشى وسلمان الفارسى وصهيبا الرومى مناصب اسلامية عامة كان يتطلع اليها أشراف العرب ، ولقد اشترك العجم بترحيب من العرب فى بناء الحضارة الاسلامية وكان لهم نشاط بارز فى سائر ميادينها وخاصة الميادين العلمية وكان من سياسة الرسول عملا بروح الاسلام مزج عناصر الأمة الاسلامية وتذويب طبقاتها قضاء على العنصرية الموروثة فى الشعوب فقرب سلمان الفارسى منه حتى كان يقول فيه سلمان منا أهل البيت وقرب صهيبا الرومى حتى كان لا يفارقه فى أمر من أموره فى السلم والحرب ، وقرب بلال بن أبى رباح الحبشى حتى جعله مؤذنه فى الصلاة وجعله خازن بيت المال وهو منصب يضاهى منصب وزير المالية فى العصر الحديث وجرى

الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس على هذا المنهاج فى توثيق العلاقات وتحقيق المساواة . ولعل خير من طبق قواعد الاسلام فى اختيار الولاة ودقق فى رعاية الشروط التى يجب توافرها فى وجوب تحقيق الرقابة عليهم خلقيا وماديا ، عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى أمكن أن يكون عمله هذا دستورا كاملا فى هذا الشأن ودستور الولاية عنده أساسه : «ان الولاية تتميز بالواجب والكفاءة وليست تمييزا بالوجاهة والاستعلاء ، فكان يقول للوالى : افتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك فانما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا » .

ومن وسائل الرقابة التى أتخذها عمر على الولاة أنه كان يرصد لهم الرقباء ليكونوا صلة بينه وبينهم فكان الوالى يخشى من أقرب الناس اليه أن يرفع نبأه الى الخليفة ، وكان يندب وكيلا خاصا يجمع شكايات الشاكين منهم ويتولى تحقيقها ومراجعتها ، وكان يأمر الولاة أن يعودوا من ولاياتهم نهارا ليظهر معهم ما حملوه فى عودتهم ، وكان يستقدمهم فى كل موسم من مواسم الحج ليحاسبهم ويسمع ما يقولون وما يقال فيهم ، ونوى فى آخر أيامه أن يستكمل الرقابة بالرحلة الى البلاد فى فترات مختلفة ليخبر بنفسه أحوال الولاة ويطمئن الى حسن قيامهم بأمور المواطنين .

وسيرة عمر مجال خصب للتعرف على ما ينبغى أن يتوخى فى اختيار الرؤساء والحكام من صفات ليكونوا أهلا للقيام بالمهام الخطيرة التى تناط بهم وليبلغوا الغرض فيما ندبوا اليه ؟

**أبو الوفا المراغى**

### من هدى السنة :

# الجزاء الأوفى للصائم

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

— ٢ —

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له الا الصيام ، فانه لى ، وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ، ولا يصخب ، فان سابه أحد ، أو قاتله فليقل : انى أمرؤ صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما اذا أفطر فرح ، واذا لقى ربه فرح بصومه » ، متفق عليه ، واللفظ للبخارى .

عرضنا فى المقال الماضى لتفسير الكلمات اللغوية بالحديث ، ولما كان بعض هذا الحديث قدسيا رأينا من المفيد اعطاء القارىء فكرة عن الحديث القدسى ، والفرق بينه وبين القرآن الكريم ، والحديث النبوى وفى هذا المقال نعرض لبيان فقه الحديث ومقاصده وذكر ما يرشد اليه .

**البيان :**

أتم الله علينا نعمته ، فرضى لنا الاسلام دينا ، وثبت قوائمه ، وأحكم بناءه ، وجعل الصيام ركنا من أركانه ، وفرضه علينا كما فرضه على الأمم قبلنا ، ذلك لأن الصوم من خير ما يطهر القلوب ، ويزكى النفوس ، ويصلها بالخالق ، ويجعلها مذعنة لجلاله وعظمته ، تواقة الى التزود من طاعته ، والاخلاص فى عبادته ، قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (١) .

(١) سورة البقرة آية ١٨٣

وقد أبلغنا الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه قول العليم الحكيم الذى أفاد حكما حاسما ، وقضاء نافذا ، وجزاء كريما للصائم : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » وهذا لأن الطاعات الظاهرة يطلع عليها الناس ، فيكون للشخص نصيب وحظ منها يتعجله فى هذه الحياة الدنيا ، بما يناله منهم من حسن التقدير ، ورفيع المنزلة ، وعاطر الثناء - والمجازاة على هذه الطاعات تخضع للنظام الذى ورد عن الشارع من مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، كما جاء فى رواية مسلم للحديث : « كل عمل ابن آدم يضاعف : بالحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف » .

لكن الصيام سر بين العبد وربه ، وعبادة خفية ، لا يطلع عليها أحد سواه ، وهى خالصة لوجهه الكريم ، ليس لغيره فيها مدخل ولا نصيب - وحسبنا فى الدلالة على أن الصوم عبادة خالصة لله أن الصائم أحيانا قد يخلو بنفسه فى مكان لا يراه أحد ، - ويعانى من ألم المخمصة أو من حرارة العطش - ومع ذلك لا يطوف بذهنه أن ينتهك حرمة الصيام ، أو ينال من قداسته ، - وما هذا الا لأن الصائم يؤمن ايمانا راسخا بأن الله مطلع عليه فى جميع أحواله ، وبأنه يؤدى عبادة الصيام احتسابا لوجهه الكريم ، - من أجل هذا أضاف الله سبحانه الصيام اليه ، وتولى وحده الجزاء عليه ، ومعنى ذلك أن الصيام ليس خاضعا فى جزائه للنظام المقرر شرعا لغيره من الحسنات ، وانما يجزى عليه جزاء من غير عد ولا حساب ، - وتولى الكريم العطاء يدل على مزيده وسعة ، فارتفاع شأن الجزاء على الصيام ينبىء عنه أمران :

الأول : أنه عز وجل جعله عبادة خالصة له .

الثانى : اضافة الجزاء اليه سبحانه وهو الكريم الوهاب .

ثم أخبرنا صلى الله عليه وسلم عن طبيعة الصيام وأثره فى الصائم ، فقال : « والصيام جنة » أى وقاية لصاحبه يمنعه من المعاصى والآثام ، ومن النار .

وكان الصوم مانعا من المعاصى ومن النار لسببين :

أحدهما : أن سبيل ذلك هو

الانغماس فى الشهوات ، والصوم امساك عنها ، فكان وقاية مما تجر اليه ، ويترتب عليها •

ثانيهما : أن حقيقة الصيام تورث الخشية من الله تعالى ومراقبته ، ومن راقب ربه لم يقترف جرما ، ولم يأت منكرا ، ولم يخطر بباله أن يفرط فى جنب الله ، أو يقصر فى طاعته،

وبعد هذا يبين صلوات الله وسلامه عليه الأدب الكريم الذى يتحلى به الصائم ، والسلوك القويم الذى يلزمه أن يأخذ به نفسه ، فنهاه عن أن ينطق بفاحش القول ، وسفيه الكلام ، ليصون اللسان عن البذاءة والانحراف ، ويطبعه على الطهارة والاستقامة ونهاه أيضا عن الصياح والخصومة ليتجمل بشعار السكينة والوقار ، ويتحلى بصفة العفو والتسامح •

ونهى الصائم عن الرفث والصخب لا يفيد أن غير الصائم يباح له هذان الأمران ، فانهما محرمان عليه أيضا، لأنهما وصفان قبيحان مطلقا ــ ولكن المراد أنهما فى الصيام أشد تحريما ، لأنهما فيه أشد قبحا ، وأبعد عن اللياقة بحال الصائم ، وأكثر منافاة لشأنه ،

وبعد أن نهى عليه الصلاة والسلام الصائم عن الرفث والصخب عرض لحالة قد يجد فيها هذا الشخص مبرر لمخالفة النهى ، وارتكاب المحظور ، وهى حالة العدوان عليه من الغير بالمسابة والمقاتلة فأوجب على الصائم أن يذكر أنه تلبس بعبادة لا يحل ولا يليق معها أن يقابل العدوان بعدوان ، والاساءة باساءة : « فان سابه ، أو قاتله فليقل : انى أمرؤ صائم » ربما يقال : ان صيغة ( سابه ــ وقاتله ) تدل على المفاعلة وهى تقتضى وقوع الفعل من الجانبين، والصائم لا يليق أن يصدر عنه شىء من المسابة والمقاتلة ، فكيف تتأتى هذه الصيغة ؟

ويجاب عن هذا بأن المفاعلة هنا للمبالغة لا للمقابلة ، ويراد بها الفعل من جانب واحد ، وهو جانب غير الصائم ، فيكون معنى : « فان سابه أحد » فان سبه أحد ، ويؤيد أن المراد وقوع الفعل من جانب غير الصائم فقط ما رواه النسائى من

من حديث عائشة رضى الله عنهـا : ( وان امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ، ولا يسبه ) •

ويصح أن يجاب بأن المفاعلة على بابها ، ويراد بها وقـوع الفعـل من غير الصـائم ، والتهيـؤ له من جانب الصائم ، لذا ساغ التعبير بقوله : ( فان سابه ) •

ونرجح الجواب الأول استنادا الى ما ذكرنا من رواية النسائى ، فان الأصل أن تتفق الروايات فى المعنى •

وقوله : ( فليقل : انى امرؤ صائم ) يصح أن يكون المراد أن يقول الصائم هـذا فى نفسـه ليمنعهـا من اجابة المعتـدى ، ومجـاراته فى الطيش والسفاهة •

ويصح أن يكون المراد : أن يقول الصـائم هذا بلسـانه لينزجر خصمه عنه •

ولا مانع أن يجمع الصائم بينهما ، فيقول هذا فى نفسه ليحول بينها وبين منازلة ظالمه •

ويقوله بلسـانه لينزجر الظـالم ، ويكف عن عدوانه ، فان اللفظ يفيد المعنيين ، ولا منافاة فى الجمع بينهما •

ومن عوارض الصـيام تغير رائحة الفم عند الصائم نظرا لخلو معدته من الطعام والشراب ، ولـما كان هذا أمرا قد تكرهه بعض النفـوس ، وتضـيق بسببه أخبر النبى صـلى الله عليـه وسلم عن عظيم الطيب لهذه الرائحة ــ عند الله سـبحانه ــ مؤكدا خبره بصيغة قسـم تدل على مدى ايمـانه بجـلال ربه وعظمتـه ، وخضـوعه لقدرته وسـطوته ، فقـال : ( والذى نفس محمد بيـده لخلوف فم الصائم أطيب عنـد الله من ريح المسـك ) ــ والمراد أن هـذا الخلوف يقـربه الله اليه أكثر من تقريب المسـك اليكم ــ وفى هذا تنويه بشأن الصيام ، واشعار برفيع منزلة الصائم ، وعظيم جزائه ، ثم عرض رسول الله صلى الله عليـه وسلم لبيـان أثر الصـيام فى اسـعاد الصائم ، وشعوره بالغبطة والحبـور ، فذكر له فرحتين :احداهما اذا أفطر ، والأخرى اذا لقى ربه •

أما الأولى : فلاباحة ماكان محظورا عليه ، ولاتمام عبادة الصوم ، وللتغلب على نوازع النفس ، ونزغات الشيطان ، ولتكتمـل هـذه الفرحة شرع عيـد الفطـر الذى يتجلى فيه الله على عباده الصائمين القـائمين بمزيد التشريف

والتكريم ، وموفور الجزاء ، وعظيم العطاء ، كما يفيده قوله صلى الله عليه وسلم :

( اذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق ، فنادوا : اغدوا يا معشر المسلمين الى رب كريم، يمن بالخير ، ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فاذا صلوا نادى مناد :

ألا ان ربكم قد غفر لكم ، فارجعوا راشدين الى رحالكم ، فهو يوم الجائزة ، ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة(١) .

وأما الثانية : فلما يظفر به من أجر جزيل ، ونعيم خالد ، ومقام كريم .

هذا وللصوم أطيب الآثار ، وأزكاها فى الصائم ، وفى المجتمع الذى يعيش فيه .

فأما أثره فى الصائم فانه يغرس فى قلبه خلق المراقبة لله جل شأنه ـ والخشية منه ، ويجعله عابدا له كأنه يراه ، مسارعا الى طاعته ، حريصا على مرضاته .

ويعوده الصبر على المشقات ، والاستخفاف بالصعاب ، ويدفعه الى قوة الارادة والعزيمة على الرشد والسداد .

هذا فضلا عما ينشأ عن الصيام من فوائد صحية ، بينها الأطباء ، وذكروا كثيرا من الأمراض التى يكون الصوم فيها علاجا حاسما ، وبلسما شافيا .

وأما أثره فى المجتمع فهو من أقوى العوامل فى تخليص النفوس من غريزة البخل والشح ، وجعلها متحلية بصفة الجود والاحسان ، والرحمة بالضعفاء والمعوزين ، ومواساة المنكوبين والبائسين ـ وبهذا تتوثق الرابطة بين أفراد المجتمع ، فيتماسك بناؤه ، ويقوى جانبه ، ويعلو صرحه ، ويعظم شأنه .

وللصيام أثره أيضا فى اعلام الناس بمبدأ المساواة ، والاعتقاد بأنه لا تفاضل بينهم الا بقدر التزود من الأعمال الصالحة ، والاخلاص فى أدائها ، كما قال جلت نعمته : ( ان أكرمكم عند الله أتقاكم ) (٢) .

---

(١) رواه الطبرانى فى معجمه الكبير عن سعيد بن أوس الأنصارى عن ابيه رضى الله عنهما .

(٢) سورة الحجرات آية ١٣

ومن آثار الصيام الاعتزاز بالله تعالى ، والثقة به ، والتوكل عليه ، وشعور الجماعة المؤمنة بعونه سبحانه وتأييده ، وأنه مولاهم وناصرهم على عدوهم مهما تقلب فى البلاد ، وكثر عدده وعتاده ، وتجمع أعوانه وأشياعه ، واستبد به غروره وكبرياؤه .

ولهذا اقتضت حكمته تعالى أن يقع فى شهر رمضان بعض الغزوات التى انتصر فيها المسلمون ، وكان لها أروع النتائج فى اعزاز الاسلام ، واعلاء كلمته ، وتمكين أصوله ، ونشر هدايته ، فمن ذلك غزوة بدر الكبرى التى وقعت فى السابع عشر من رمضان المعظم من السنة الثانية للهجرة ، وكانت أول غزوة وقعت للمسلمين ظفروا فيها بالنصر ــ مع ضعفهم وقلة عددهم وعدتهم ــ على عدوهم ــ مع قوته وكثرة عدده ومعداته ــ وارتفعت راية الاسلام ، وعز جانبه ، وعظم سلطانه ، وامتن الله سبحانه على المؤمنين بالنصر فى هذه المعركة ، وطلب شكره على تلك النعمة السابغة ، فقال : ( ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ) (١) ومن ذلك أيضا فتح مكة فقد كان الخروج اليها يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان ، وقيل لعشر فى السنة الثامنة للهجرة ، وكتب الله للمؤمنين نصرا مؤزرا ، وفتحا رائعا ، فطهرت مكة من عبادة الأصنام ، وأصبح الدين فيها خالصا لله رب العالمين ، وقامت دولة الحق والايمان ، وتلاشت عناصر الضلال والطغيان ، تصديقا لقول العزيز الحكيم : ( يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) (٢)

وأيضا اقتضت حكمته تعالى أن تقع حربنا مع اسرائيل فى العاشر من رمضان ، وحقق الله سبحانه لنا نصرا عظيما ، حفظ كرامتنا ، ورفع رءوسنا ، وبلغنا به حياة عزيزة ماجدة ، علا بها شأن العروبة والاسلام ، وسجل على أعدائنا هزيمة منكرة ، أذلت كبرياءهم ، وفضحت غرورهم ، وقضت على أسطورتهم وأوهامهم ، وأظهرتهم أمام العالم بمظهر الغاصب الخسيس ، والغادر الجبان .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٢٣

(٢) سورة الصف آية ٨

ولا يرتاب مؤمن فى أن النصر من عند الله ، ولكن ينبغى أن يعلم أنه لا يمنحه الا لنفوس مستعدة ، لأن الامداد على قدر الاستعداد ، فلما طهرت قلوبنا بالصيام ، وتجاوبنا مع روحانية رمضان ، وأقبلنا على الله تعالى معتصمين به ، بعد أن بذلنا ما وسعنا من قوة واعداد ، وأصبحت عقيدتنا ونشيدنا : الله أكبر ـ كان هذا مولاة لدين الله ونصرا له ، فمنحنا سبحانه النصر انجازا لوعده الأكيد فى قوله : ( ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ) (١)

تلك بعض آثار الصيام الزاكية ، وغيرها كثير .

ومما يجدر التذكير به أن آثار الصيام المباركة لا تتحقق الا اذا التزم الصائم مع الامساك عن المفطرات امساك القلب والجوارح عن الانحراف ـ أما أن يمسك شخص عن الطعام والشراب ، ثم لا يبالى بعد هذا أن تمتد الى السوء يداه ، وتخف الى الباطل رجلاه ، وتمتلىء عينه مما حرم الله ، وينطلق لسانه الى العصيان وايذاء العباد ، وقلبه الى نية الشر ، وتدبير الفساد ، فمثل هذا يوشك أن يكون صومه عليه مردودا لقوله عليه الصلاة والسلام :

( من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه ) (٢) .

وطوبى لصائم أخذ نفسه بآداب الصيام ، وانتفع بآثاره الطيبة فى قلبه وجوارحه ، وهاجه الشوق الى المزيد من طاعة الله وتقواه فأتبع صوم رمضان بصيام ست من شوال ، سعيا الى موفور الأجر وواسع المثوبة التى يدل عليها قوله صلوات الله وسلامه عليه :

( من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر ) (٣) .

**ما يرشد اليه الحديث :**

يرشد الحديث الى أمور نجتزىء منها بما يأتى :

( ١ ) التنويه بجزاء الصائم عند الله تعالى .

---

(١) سورة الحج آية ٤٠ .
(٢) رواه الجماعة الا مسلما والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه .
(٣) رواه مسلم فى صحيحه عن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه .

( ٢ ) اعلاء شأن الصوم بجعله وقاية من المعاصى ، ومن النار .

( ٣ ) الصوم يربى الضمير ، ويزكى النفس ، ويورثها مراقبة الله عز وجل .

( ٤ ) بيان الأدب الذى ينبغى أن يتحلى به الصائم فى سلوكه الشخصى ، وفى حال اعتداء الغير عليه .

( ٥ ) العمل تتحدد منزلته بحكم الله سبحانه ، لا بحكم الناس .

( ٦ ) أثر الصوم فى شعور الصائم بالغبطة والسعادة عند فطره ، وعند لقاء ربه .

( ٧ ) ينبغى للمصلح والداعى الى عمل من أعمال البر أن يذكر مزايا هذا العمل وثمراته ، ليحمل النفوس على انجازه .

وفقنا الله تعالى لأداء عبادة الصوم ، والوفاء بحقها ، وأخذ النفس بآدابها ، ومنحنا أعظم ثمراتها ، وأكرم جزائها ، انه سبحانه ولى الهداية والانعام ، وذو الجلال والاكرام ؟

**منشاوى عثمان عبود**

# أضواء على مفهوم البدعة

للدكتور محمد محمد الشرقاوى

كثيرا ما يقع اللبس والاشتباه بين ما يسمى « بدعة » وما يسمى « عادة » كما لا يتيسر بسهولة التفريق بين البدعة فى معناها الحقيقى المحظور ، والبدعة فى مفهومها المجزى المشروع .. ومنشأ هذا كله هو تلك الفروق الدقيقة التى تحتاج من الناظر فيها الى حدة فى الفهم ، ونضج فى الوعى .. حتى تتضح له الملامح المميزة لكل منها ، فيتجنب البدع المحظورة ما استطاع ، ولا يجد فيما عداها بأسا فى العمل ، ولا تحرجا مع الشريعة .

وأساس هذا : ما أورده النووى فى الأربعين من حديث العرباض بن سارية : « وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون .. فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع .. فأوصنا فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد ، وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة» قال أبو داود والترمذى : « حسن صحيح » .

فمحدثات الأمور هى التى سماها الحديث الشريف بدعة ، وحكم عليها بالضلالة .. وأخبر عنها حديث آخر بأن مصيرها ومصير صاحبها الى النار وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » .

وأحسن ما قيل فى تمييز البدعة عن غيرها ما ذكره الشاطبى فى الاعتصام (١) : « الطرائق فى الدين

(١) جـ ١ : ٢٩ ، ٣٠

قسمان : أحدهما ما له أصل فى الشريعة ، وثانيهما ما ليس له أصل فيها ، وقد اختصت البدعة بالقسم الثانى ، ودخل فى القسم الأول كل ما تعلق بالدين .. كتعلم النحو والتصريف وأصول الفقه وأصول الدين ومفردات اللغة » ونحو ذلك من كل ما له نفع ملحوظ فى حاضر الشريعة ومستقبلها ودل على اعتباره دليل شرعى ، أو مبدأ اسلامى عام ، أو قاعدة كلية من قواعد الشريعة التى اهتدى اليها العلماء الأعلام ، والراسخون من ذوى البصائر والأفهام ، ممن لا يرقى اليهم الشك ، ولا يكتنفهم ضباب الريبة ، فى نظر الأمة التى لا تجتمع على ضلالة ، كما أخبر بذلك الحديث الشريف ، فهذه العلوم وأمثالها وان لم يسبق بها الزمن فى صدر الاسلام الا أنها تقف على أرضية صلبة من أصول الشريعة وأدلتها فى الجملة .. فالأمر بالاعراب قد جاء به الآثار ، فقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه : « جودوا القرآن ، وزينوه بأحسن الأصوات ، وأعربوه فانه عربى ، والله يحب أن يعرب به » والشرع بجملته يدل على اعتبار الاعراب ، وهو مستمد من قاعدة المصالح المرسلة (١) فهذه العلوم خادمة للشريعة .. ومثلها : جمع المصحف .. فهو عمل مجمع على حسنه ، من الصحابة ، وتسميته بدعة تسمية مجازية لا حقيقية .. من حيث أنه يشبه البدعة التى لم تكن موجودة بذاتها زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو أبعد ما يكون عن البدعة الحقيقية المنهى عنها ، والتى مآلها الى النار .. من حيث أن له أصلا فى الدين مدلولا عليه بأدلة عامة منها : الأمر بتبليغ الرسالة التى لا يتأتى الا عن مثل هذا الجمع عادة ومثله تسمية عمر بن الخطاب رضى الله عنه قيام الناس فى ليالى رمضان على امام واحد بدعة .. فهى تسمية غير حقيقية نظرا لوجود أساس القيام فى بعض ليالى رمضان خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا بد أن يكون عمر قد علم من الرسول صلى الله عليه وسلم ما أتاح له الاقدام على مثل ذلك الأمر الذى يتصل اتصالا مباشرا بشئون العبادة ، الخارجة عن دائرة الرأى والتفكير الشخصى المجرد ، وعلى ذلك فكل ما اخترع من الأمور التى لها

---

(١) المصدر السابق : ٣٢

مستند عام فى الشريعة ، وتحقق مصالح الناس فى عاجلهم وآجلهم . ليس من البدعة فى شىء ، لأن هذا المستند الشرعى يضفى عليها معنى الشرعية ، ومن هنا لا تكون السنة الحسنة التى تتجدد مع الزمان مخترعة .. ما دامت تعتمد أساسا على كتاب أو سنة صحيحة ولو فى الجملة .. اذ أن حسنها أو قبحها لا يعرف الا من جهة الشرع ، ولا مدخل للعقل وحده فى ذلك ، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ، فلزم أن تكون هنالك السنة الحسنة ، والسنة السيئة كما تحدث عنهما الحديث الشريف : « من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا » (١) فليس المراد من نسبة السنة الى عاملها أنها هى المخترعة على غير أساس شرعى .. بل المراد : ما اخترعها صاحبها على مبدأ شرعى مقرر ، لأن هذا الحديث قد سيق فى مقام صدقة دعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمصلحة جماعة فقراء معدمين ، فافتتح بعض الأنصار الصدقة بصرة من مال، وتتابع الناس بعده مقلدين له حتى كثر المال ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من سن سنة حسنة .. الخ ». فالمراد اذن من البدعة المذمومة : ما اخترعه صاحبه فى الدين على أنه من الدين من الطرائق المشابهة للمشروع والتى يقصد منها ما يقصد بالمشروع من التعبد ، وتكثير الثواب ، وليس لها أساس فى أصول الشريعة ولا مبادئها العامة ، ومن هنا سميت بدعة .. لأن أصل مادة « بدع » تدل على الابتكار والاختراع على غير مثال . ومنه قوله تعالى : « بديع السموات والأرض » أى منشىء السموات والأرض بلا سبق مثال، واستخراجها للسير عليها يسمى : ابتداعا ، ومن هذا المعنى سمى العمل الذى لا دليل عليه من الشرع بدعة .. ومن ثم لم تكن المصالح المرسلة: وهى المسائل التى يرى الفقهاء نفعها ولم يرد فيها بخصوصها دليل محدد ــ من باب البدعة ، لأن الشريعة قد كفلتها فى عموماتها ، وأذنت بها فى مبادئها العامة ، ولهذا عمل بها السلف الصالح وفى مقدمتهم الصحابة رضوان الله

---

(١) صحيح البخارى .

عليهم ، فقد جمعوا القرآن وكتبوا المصاحف وجمعوا الناس على مصحف عثمان رضى الله عنه ، واطرحوا ما سواه من القراءات التى استعملت زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن فى ذلك نص ولا حظر ، ولكن وجه المصلحة قد صار أجلى فيها من الشمس فى رابعة النهار .. ولكل عمل من هذه الأعمال مستنده فى الشريعة .. فالكتابة استندت الى زمن الرسالة ، وكان فيه كتاب للوحى منهم : عثمان وعلى والمغيرة بن شعبة وأبى بن كعب وزيد بن ثابت رضى الله عنهم ، وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه : « ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا منى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عبد الله ابن عمر ، فانه كان يكتب وكنت لا أكتب » ، وكذلك ليس من البدعة : القول بالاجتهاد والرأى فى مسائل الأحكام الفرعية فى قطاع الفقه ، لأنه عمل مأذون فيه اذنا عاما كما فى حديث معاذ بن جبل حين سأله الرسول صلى الله عليه وسلم عن كيفيات استنباطه للأحكام فقال له : « اجتهد رأيى » ، ولذلك جمع الناس العلوم والمعارف ودونوها اتباعا للسلف ، ومن أسبقهم لذلك مالك بن أنس رضى الله عنه فى الموطأ وكان من أشدهم اتباعا ، وأبعدهم ابتداعا .

وبهذا ظهر الفرق بين البدعة الحسنة ، وبين البدعة السيئة ، فالأولى ما استندت فى أساس مشروعيتها الى دليل عام فى الكتاب أو السنة الصحيحة ، والثانية : ما ليس لها مستند شرعى فيهما وهى قسمان : معصية وهى ما علم قبحه من الشريعة وبدعة وهو ما كان مصدره الجهل أو الهوى ، فالبدعة السيئة طريقة فى الدين تضاهى المشروعة من غير أن تكون مشروعة لا فى ذاتها ولا فى أصلها العام ولذلك ذكر الشاطبى فى الاعتصام (١) : « أن الابتداع لا يقع من مجتهد الا فلتة وبالعرض لا بالذات ، وانما يسمى غلطة أو زلة ، لأن صاحبها لم يقصد اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويل الكتاب ، أى لم يتبع هواه ، ولا جعله هدفه ، والدليل عليه : أنه اذا ظهر له الحق أذعن له وأقر به » .

---

(١) جـ ١ : ١٨٧

كما قرر في موضع آخر (١) : «أن عامة المبتدعة قائلة بالتحسين والتقبيح العقليين ، فهو عمدتهم وقاعدتهم التى يبنون عليها الشرع ، فهو المقدم فى نحلهم ، بحيث لا يتهمون العقل ، وقد يتهمون الأدلة اذا لم توافقهم فى الظاهر ، حتى يردوا كثيرا من الأدلة الشرعية .. وليس كل ما يقضى به العقل يكون حقا .. بدليل أنهم يرون اليوم مذهبا ، ويرجعون عنه غدا .. وهكذا ، ولو كان كل مايقضى به العقل حقا ، لكان العقل وحده كافيا للناس فى المعاش وفى المعاد ، ولكان بعث الله الرسل عبثا وعبثا لا معنى له وهذا كله باطل فما أدى اليه مثله » .

ثم قال : « ان كل راسخ لا يبتدع أبدا ، وانما يقع الابتداع ممن لم يتمكن من العلم الذى ابتدع فيه ، فانما يؤتى الناس من قبل جهالهم الذين يحسبون أنهم علماء .. ولذا لايجتهد المجتهد الا اذا حصل شروط الاجتهاد ، ومن لم يحصل هذه الشروط فهو على أصل العامية ، ولما كان العامى فى الشريعة يحرم عليه النظر والاستنباط من الأدلة كان المخضرم الذى بقى عليه كثير من الجهالات مثله فى تحريم الاستنباط والنظر ، وبهذا ظهر وجه تأثيم استنباط الجهلاء ، وتبين الفرق بينهم وبين المجتهدين المخطئين الذين استوفوا شرائط الاجتهاد ، ثم أخطأوا فيما اجتهدوا فيه ، وما دام المبتدع ليس مجتهدا ، فهو اذا اجتهد فانما يستنبط ما يخالف الشرع .. اذ قد اجتمع له مع الجهل بقواعد الشرع .. الهوى الباعث .. فالابتداع يفتقر الى مستند الشرع ، ولهذا كانت البدعة مضادة للشارع وكان صاحبها مطرحا للشريعة .. ولهذا كانت البدع كلها محظورة ، ولا وجه لتقسيمها الى خمسة أقسام : واجب ومحرم ومندوب اليه ومكروه ومباح ــ كما فعل القرافى اتباعا لشيخه العز بن عبد السلام وضرب لكل قسم أمثلة كثيرة .. اذ أن البدعة من حيث أنها تفتقر الى مستند شرعى محظور بكل أنواعها فهى اما مكروهة أو محرمة حسب درجتها فى الابتداع ثم قال الشاطبى : « فما ذكره القرافى عن الأصحاب من الاتفاق على انكار البدع صحيح ، وما قسمه فيه غير صحيح »

---

(١) المصدر السابق : ١٨٤

•• وبعد توضيح الفرق بين البدعة الحسنة والبدعة السيئة وبيان أنهما يكونان فى اطار الدين •• يتجلى لنا كنه العادة التى أباحها الله تعالى بكل ما تتسع له من تصرفات لتحصيل المصالح الدنيوية المحضة التى لا يرى فيها أصحابها دينا ولا تدينا ، ولا عبادة ولا تعبدا وانما هى من الأعمال الحرة الكثيرة •• بحيث اذا سئل عنها صاحبها لم ير أنها تقربه من الله زلفى ـ كما لا يرى أنها توقعه فى اثم أو خطيئة ، وقد مثل لها الشاطبى بقوله : « فليس من البدعة اذن استعمال المناخل لغربلة الدقيق ، واقتناء العمارات المستكملة لوسائل الترف والراحة ، وقد أباحت الشريعة التوسع فى التصرفات المشروعة فى غير ما تبذير ولا اسراف •• كما حظرت البدع » .

ومما تقدم نستطيع أن نحدد النتائج الآتية :

١ ـ البدعة : عمل جديد أدخل فى باب الدين وهو شبيه بأعماله وليس من الدين لا فى ذاته ، ولا فى دليله الذى استند اليه ، اذ ليس له دليل ، وانما هو معصية اذا نص فى الشريعة على قبحه أو استند الى الهوى المجرد .

٢ ـ البدعة قسمان : البدعة الحسنة ، والبدعة السيئة ، فالبدعة الحسنة : هى ما لم توجد بذاتها فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن وجدت فى ضمن مبادىء وقواعد مقررة فى زمن الرسالة ، وتسميتها بالبدعة تسمية مجازية لا تفيد حظرا ولا تأثيما ، وانما تفتح الباب لاستحداث كل جديد مفيد مما يعود على الناس بالنفع العام فى حاضرهم وآجلهم وتقتضيه روح الشريعة السمحة ، وتفتح الآفاق أمام أولى الألباب للنظر والاستنباط بدون تحرج ولا تردد ، ومن هذه الزاوية كانت عاملا على التطور والترقى والتنافس العلمى .

٣ ـ العادة : هى كل عمل من متطلبات الحياة المتجددة لم يقصد به التدين ولا التعبد ، ولم يسلك فى اطار الدين ، وانما هو الأرضية الفسيحة لقطاع المباحات فى الشريعة وما أكثرها تنوعا وعددا ؟

دكتور : محمد محمد الشرقاوى

النظام الإدارى الإسلامى

# ترتيب المرافق العامة الإسلامية

للدكتور مصطفى كمال وصفى

## (١١)

يخضـــع ترتيب المرافق العـــامة الاســلامية لتخطيط دقيق هو الــذى رأيناه من قبل فى الكلام على المصالح الشرعية •

فان من شــأن النظم المذهبيــة أن تكون مخططــة بعكس النــظم الحرة ( الليبرالية ) فلا تســتلزم التخطيط لأنها تخضــع فى ســـيرها للظروف الطبيعية الوقتية ـ كالعرض والطلب وكذا لأن الانطلاق الحر الذى يحميه نظام تلك الدول يســتعصى معه تنفيذ الخطط • وأما النظم المذهبيـــة فهى تقبل التخطيط لأن جميـــع الحريات والوسائل تــكون تكاليف مسئوليـات ووظائف اجتماعيــة موجهة لخــدمة الايمان العام وتحقيقه •

والتخطيط الاسلامى يجعل المرافق الاسلامية المتعلقة بحفظ الدين واقامته ومنع الضرر الاجتماعى المترتب على اختلاله ، أول ضرورات الجمــاعة ويدخل فى هذا المرفق : اقامة المساجد وحســن أدائهـــا لوظيفتهـا والأذان والصـــلاة بها جمــاعة فى الأوقات الخمسة والجمعة والعيدين ونحوها ، واقامة العلم الاســلامى بها لأن هذه المساجد واجتماعاتها وما يقام بها من العلم هى مؤسســات الايمان العـام ومؤتمراته ووسائل التوعية بها ، ولها المقــام الأول فى كل النظم المذهبيــة المقابلة • وكذا ما يتعلق بايتاء الزكاة ليس فقط لأنها أداة التضامن الاجتماعى ولكن لأنها من أركان الاســـلام ، والحج واقامة الموسم كل سنة والجهاد

فى سـبيل الله ( ١ ) وكل مايـؤدى الى ضرورة حفظ الدين • وبعد ذلك مرافق حفظ ضرورات النفس،فالنسل فالعقل ، فالمـال ، على الترتيب الذى تخيرناه ، فاقامة احتياجات الناس فى ذلك يرفع الحرج والمشقة فى تحصيل ما تقدم ، فادخال التحسينات وتحقيقها على ترتيبها • والتنسيق بينها بتقـديم ما هو من الضرورات على ما هو من الحاجيات ، وتقديم هذه على التحسينات مع ضرورة صـيانة الأخيرة لأن كلا منها سور يحمى ما دونه فأدنى هذه المقاصد ـ أى تحقيق التحسينات فى أمور المـال ـ مرتبط بأعلاها وهـو حفظ الضرورات فى أمور الدين •

ولمـا كانت اقـامة المرافق العـامة الاسـلاميـة من مسئوليات الادارة الشعبية • ولاتقوم الدولة ـ فى الأصل الا ببعضـها ولا تدخل فى سـائرها الا استثناء ولاعتبارات شرعية معينة ، فان المعول عليه فى النظام الاسلامى هو المرفق بمعناه الموضوعى لا بمعناه الشـكلى ، فتصير الخدمات العـامة ـ التجـارية وغيرها ـ مرافق عــامة بأكملها تسيطر عليها دواعى المصلحة العامة والاعتبارات الموضوعية ، وليس الاعتبـارات الفردية وقصـد الربـح وجواز الاستغلال •

وفى القـانون الحديث يتعين انشـاء المرفق العام بأداة رسمية ، قد تكون القانون أحيانا اذا أدت الى تقييد بعض الحريات كمرفق احتكارى ، وقـد تكون قرارا يصدره رئيس الدولة وان لم يتوفر هذا الانشـاء الشـكلى ، فلا تصير الخدمة العـامة مرفقا مهما بلغ الاحتياج العام لها • فالخبز ـ كمـا قدمنا ـ حاجة عـامة وكذا سـيارات التاكسى لاجدال فى ذلك ، ولكنهما وأمثـالهما ـ ليسا من المرافق العـامة لعدم تحقق العنصر الشكلى •

بخـلاف النظـام الاسـلامى الذى لا يعـول على ذلك • وهذا يؤدى الى اقامة الحيـاة النظامية فى الاسلام من

---

(١) قال الشيخ الدردير رضى الله عنه فى متن أقرب المسـالك : « الجهاد فى سبيل الله كل سنة ، كاقامة الموسم ( بعرفة والبيت وبقية المشاهد ) فرض كفاية على الحر الذكر القادر ، كالقيام بعلوم الشريعة ، والفتوى ، والقضاء ، والامامة ، ودفع الضرر عن المسلمين ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والشهادة ، والحرف المهمة ، وتجهيز الميت ، وفك الأسير » .

أعلاها الى أدناها ، وانتظامها كلها فى جميع مظاهرها على اعتبار المصلحة العامة واعلائها ،وقابليتها للوسائل التى نسميها الآن بوسائل القانون العام وقد عرفت هذه الشريعة وسائل الاستيلاء الجبرى والتكليف وما اليها بسهولة وطبقتها بدون معاناة ودون تصادم مع الحرية الفردية ، لأن الحرية عندنا حريصة على الصالح العام لا على المصلحة الشخصية ،والتى وان وجدت بطبيعة الحال ــ الا أنها تحتل المكانة التالية بعد الصالح العام •

وبذلك فليس انشاء المؤسسات الرسمية من خصائص الحياةالاسلامية ولا هى من مظاهر الصحة فيها ، ولا تتوقف النظامية على وجودها ، بل على تشبع الفرد بالتعاليم الاسلامية واحترامه لها ، وقيامه بالتالى بالخدمات العامة باخلاص •

وهذا من شأنه أن يحل أزمة المرافق العامة التى ألمعنا الى ارتباك النظم الادارية بسببها ، اذ لا تكون ثمه صعوبة فى القول بأن جميع الخدمات العامة هى مرافق عامة سواء قامت بها مؤسسات رسمية أو لم تقم• وأن يحل كذلك أزمة القانون الادارى، لعدم وجوده أصلا فى الشريعة الاسلامية • فالشريعة ذات نظام قانونى موحد وهى تنطبق على الجميع كقانون عمومى ( ١ ) بمعايير نظامية تحمى الحرية فى جميع العلاقات •

**الوسائل الادارية :**

وبطبيعة الحال عرفت الشريعة الاسلامية وسائل القانون العام السابق ذكرها ، كالقرارات الادارية ، والعقود الادارية ، ووسائل الاجبار المختلفة ، ولكنها تختلف تماما فى نظامها القانونى •

فبالنسبة للقرارات الادارية : فالحقيقة أن القانون الحديث ضل عن تفهم حقيقة هذه الوسيلة بسبب الفصل بين النظامين الادارى والعادى وعمى عن طبيعتها • فالقرارات الفردية الملزمة للغير ، والتى يصدرها ذو السلطة بأرادته المنفردة لالزام غيره له لايجوز له أن يتعداه ، هى ظاهرة بارادته المنفردة وانشاء مركز قانونى له ، لا يجوز له أن يتعداه ، هىظاهرة عامة فى الحياة القانونية العامة والخاصة • اذ لافرق اطلاقا بين قرار يصدره الأب أو الزوج أو رب العمل أو رئيس النادى أو نحوهم من

---

(١) Commun Law

أصحاب السلطة فى المنظمات المختلفة وبين قرار تصدره الجهة الادارية فى اختصاصها . وكل هذه التصرفات النظامية ذات طبيعة واحدة . ومع ذلك نجد القانون المدنى يعمى عن الاعتراف بالادارة المنفردة كمصدر الا فى أحوال ضيقة يلزم بها الشخص نفسه لاغيره!! فهذه القرارات مظهر معتاد فى الحياة النظامية . ولهذا السبب هم شراح القانون بالغاء التفرقة بين القانون العام والخاص - وحق لهم أن يفعلوا - ويستبدلوا بذلك تقسيما الى قواعد نظامية وقواعد فردية . ولذلك فقد عرفت الشريعة الاسلامية خصيصة القرارات الفردية الملزمة للغير بأوسع نطاق ، نجد أن ولاية « الاجبار » من الأمور ذات التطبيقات الواسعة فى فروع عديدة فى المسائل الشرعية(١) ولقوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » أى يأمر بعضهم بعضا بذلك .

ومن القرارات الادارية الجبرية التى تردد ذكرها فى الشريعة الاسلامية ، قرارات الاستيلاء الجبرى ونزع الملكية للمنفعة العامة ، وقد نصت المادة ١٢١٦ من المجلة العدلية على أنه : « لدى الحاجة يؤخذ ملك كائن من كان بالقيمة بأمر السلطان ، ويلحق بالطريق ، لكن لا يؤخذ من يده ما لم يؤد اليه ثمنه » . وقد ورد فى صحيح البخارى (٢) أن جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم احتاج للماء ، فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وآخر فلقيا امرأة على بعير بين مزادتين ( قربتين ) مليئتين بالماء ، فاستنزلاها عن البعير وقاداها الى النبى صلى الله عليه وسلم فأمر بالماء فأخذ وعوضها عنه بتمر وشعير وسويق ورزقها الله ماء غيره . وعلم أن عمر بن الخطاب احتاج لتوسعة الحرم بمكة فاشترى الدور من حوله على أصحابه . وكذا ورد أنه يجوز تكليف أرباب الصنائع والحرف القيام بها . وقال ابن القيم الجوزية فى كتابه الطرق الحكمية فى باب الزام ولى الأمر أرباب الصناعات

---

(١) انظر موسوعة الفقه الاسلامى - للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية - كلمة « اجبار » .

(٢) صحيح البخارى كتاب التيمم - البخارى المفسر الحديث رقم ٣٢٩

القيام بأعمالهم : « ان احتاج الناس الى صناعة طائفة ـ كالفلاحة والنساجة والبناء وغير ذلك ـ فلولى الأمر أن يلزمهم ذلك بأجرة المثل ، فانه لا تتم مصلحة الناس الا بذلك ، ويقابله الحجر على المفسدين ، كالطبيب الجاهل ، والمكارى المفلس ، والمفتى الماجن ، بمنعهم عن العمل ، فهذه مسائل مشهورة فى المذاهب بلا شك ، وفى الفقه شواهد كثيرة فى ذلك أكثر من أن تحصى .

والتبست هذه الولاية بحق التنفيذ المباشر (١) بأن يقوم الشخص لا باصدار قراره فقط بل قد يسبق تنفيذه قوله فيما يتخذه من قرار .

ولقد رأيت فى جمهرة رسائل العرب كتابا أرسله أمير المؤمنين ـ لعله عمر رضى الله عنه ـ الى والى مصر اذ بلغه أن رجلا بنى عليه ( غرفة عالية ـ مندرة ) تكشف عورات بيوت من حوله ، فأمره أن يبادر الى هدمها وبذلك فان قيود التنفيذ المباشر بالطريق الادارى المقررة فى القانون الحديث ـ على وجاهتها ـ لا تجد لها نفس المكانة فى النظام الاسلامى ، وان كنا نستحسن مراعاتها بالقدر الذى يتوافق مع أصول الشريعة ، بل ان المسلم الفرد يستعمل وسائل التنفيذ الجبرى بالطريق المباشر ، فى رد المغصوب واتلاف المنكرات بلا حاجة الى حكم حاكم . وهذا أمر يتطلب الضبط والتدقيق . وان كانت الشريعه الاسلامية لا تطيق بقاء المنكرات طرفة عين ، حتى أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وتتشوف الى تخريبها فورا لأنها تفسد البيئة الاسلامية وتؤدى الى شرخ الطبقة الواقية للنظام الاجتماعى ، وهذا يؤدى الى تسرب المفاسد الى باطنها ، فتفسد ، كما تفسد السن وتتسوس اذا تشققت طبقتها العاجية الواقية(٢) .

وعلى العكس من ذلك فان ظاهرة حماية الحرية ملحوظة جدا فى تكوين كثير من القرارات الادارية ، وذلك بالباسها ثوبا قضائيا قبل اصدارها(٣)

(١) executian direct Fercee

(٢) انظر كتابنا : صحيح البخارى المفسر طبعة دار الشعب سنة ١٩٧٣ العدد الأول على الحديث رقم ٣٤ صفحة ٣٩

(٣) (jwridistionalisatiov) de l'acte adm.

وهذه الطريقـة مرعية أصـلا ـ فى القـانون الانجليزى ـ فى كثير من القرارات من أجل سـلامة اصـداره وتوفير الضمانات التى تقلل بعـد ذلك من فرص الطعن فيـه وهدمه • وهم فى ذلك القانون يعرفون ثلاثة أنواع من القـرارات : قرارات قضـائية ، وقرارات شبه قضائية،وقرارات ادارية محضـة(١) فأما القـرارات القضـائية فانه اذا همت الادارة بأمر ـ كنـزع ملكية عقار للصالح العام ـ فانها توجه للفـرد طلب حضـور أمام المحكمة لسماع الحكم عليـه بذلك • فيحضر ويتبادلان الدفاع والاثبات ، هذه تثبت الصالح العام وهذا يحاول نقضـه ان نازع فيه ، ثم يصدر القاضى حكمـه بعـد أن يتحقق من مناسـبة القـرار ويصوغ ـ بنفسه ـ مطابقته للقانون • وأما فى القرارات شبه القضائية فتقوم بمـا تقـوم وتترك مسـائل المـلاءمة لترخص الادارة ، وذلك مثلا كالوقت المناسب الذى تراه لاصدار القـرار ، أو بعض الظروف التى يجب أن تترك لها الحرية فيهـا ، وأما القـــرارات الادارية المحضـــة فلا تعـرض على القضــــاء الادارى بل تترك لمحض ترخص الادارة ، وذلك كقــرارات النقل المكافىء للموظفين •

ومن ذلك عندنا : قرارات الجزاءات التاديبية التى تختص المحاكم التأديبية باصـدارها ممـا يعتبر الباسـا قضائيا للقرار الادارى •

وفى الشريعة الاســـلامية يختص القضى باصـدار قرارات ذات طبيعـة ادارية منها البيع على المحتكر • فانه اذا احتكر انسان سلعة ، ومنـع بيعها مع أهميتها بأن تكون طعاما ، وكذا غيره من الضرورات فى مذاهب مختلفة ـ فان القاضى يصدر حكمه بالبيع على هذا المحتـكر ، أو يشتريه المضطر بثمـن المثل •وهذا التصرف فى حقيقته قرار استيلاء فى ثوب قضائى • وبدلا من الطريقـة اللاتينيـة وهى أن تسـتقل الادارة بفحص المناسبة ومطابقة القانون ثم تصـدر قرارها بعـد ذلك عرضـة للطعن ، نجد أن القرار يصاغ صياغة قضائية تقيه الهدم والقلقلة وبذلك فان

---

(١) judicial acts, Semi or quasi judicial acts and administrative acts.

الدعوى الادارية تسبق صدور القرار، وليس العكس .

وتقبل القرارات الادارية الطعن بالتجاوز والتعسف على ما يجىء فى موضعه عند الكلام على المسئولية والرقابة .

وأما العقود الادارية : فلا تعرفها الشريعة على وجه الخصوص ،ولكنها موجودة ـ بطبيعة الحال ـ كظاهرة لا بد منها ، ولكن الادارة تعتبر كاليتيم فى اضطراره وحمايته . وللمضطر عموما مركز خاص فى الشريعة الاسلامية ، وكذا للضعيف من يتيم وغيره فى استحقاقه للرعاية ، ومن هنا يمكن أن ننفذ الى أسانيد وأصول تنشىء نظاما خاصا لحماية الادارة فى عقودها ، وربما فى كتب الفروع شىء من ذلك ، ولكنى لا أعرفه فى هذه اللحظة ، نسأل الله الارشاد .

سائر الوسائل : وكذلك تتمتع الادارة بمظاهر الحياة النظامية ووسائلها بقدر ما يتمتع به الأفراد . وقد قلنا ان امتيازات الولاية الادارية ليست حكرا على الادارة ، بل يتمتع بها الأفراد كذلك ،الا فيما قررناه من تقديم الصالح العام لكون الادارة كاليتيم فى اضطراره وحمايته ولكون المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة فى الاسلام .

وفيما عدا ذلك فان الاسلام يمقت أشد المقت أن يقوم السلطان بالاكراه وقد حبس محمد بن الحسن الشيبانى فى جب من أجل كتابة الاكراه فى المبسوط . وكثيرا ما نجد الفقهاء يندِّدون بالشرطة ورجال الضبط أشد التنديد ، وخاصة المتأخرون منهم ، عندما كثر الظلم وأصبح ولاية الأمور لطغمة من الأشرار والمرتزقة التى كانت تعوق انسياب الحياة النظامية العامة بما يمارسونه من أعمال الاثم والعدوان والنهب .

ولذلك فالروح العامة للشريعة هى حفظ الحريات ، وعدم ايلاء الادارة أكثر مما للفرد من السلطات النظامية، وتقليد القضاء ولاية الاشراف الادارى فى كثير من الأمور والصلاة والسلام على رسول الهدى صلى الله عليه وسلم ؟

**دكتور مصطفى كمال وصفى**

# مواقف العزة .. في الشعر العربي

للأستاذ عبد الغني أحمد ناجي

لا نغالي في الخلاف اذا قلنا : « أعذب الشعر أصدقه » مخالفين بذلك القول المأثور الذي يقول صاحبه : « أعذب الشعر أكذبه » . والتوفيق بين القولين سهل ميسور ، ولشعر الممتع بعذوبته ، والمتضمن معاني مخالفة لواقع الناس ، ليس كذبا باطراد ، اذ ربما يكون صادقا في واقع الشاعر وخياله ، فهو اذن صادق بمعيار ذلك الشاعر ، فلكل شاعر واقع رحب فسيح يعبر فيه عما يشاهده وان خالف واقع الناس ، ومن ثم كان الخيال الخصب من أهم مقومات الشعر المستجاد وبدونه يكون نظما لا شعرا ، ولكن العيب حقا أن يسرف الشاعر في الخيال ، ويوغل في البعد عن كل واقع حتى يلهث الناس في فهم مراميه ، وتكاد تتقطع أنفاسهم دون أن يصلوا الى فتيل من غرضه ومعانيه ، وحينئذ يلجأون الى القول المأثور : « المعنى في بطن الشاعر » ، وأخال أن هذا الكلام بدهي في مجال النقد والأدب ، ولكني آثرت الاتيان به ليكون مقدمة لما أقصد اليه من الحديث عن مواقف العزة ، ومواقف التذلل في شعرنا العربي ، اذ أننا نجد بعض الشعراء في تلك المواقف يسرفون اسرافا يخرجهم عن دائرة الفن الأصيل ، ويجمح بهم في عالم الغلو والمبالغة ، الأمر الذي يجعلهم هدفا للنقد الشديد ، وان وجدنا من يقفون بجانبهم مبررين ومدافعين فهم قلة قليلة ، كما أننا نجد البعض الآخر يقف في الوسط الأمين ، فيجفو الغلو والاسراف في المبالغة وينأى عن التقرير الذي يسلكه ويسلك فيه في مجال النظم الخاوي من ملامح الفن ، وسمات الشاعرية ، واذا ذهبنا الى مجال التطبيق والتدليل على صدق ما نذهب اليه وجدنا أمامنا من الشعراء من يمثل كل نمط ، ففي مواقف العزة الصادقة ، والأريحية العربية الندية نجد الشاعر الجاهلي « عنترة العبسي » الذي دافع دفاعا مريرا عن

نفسه تجاه ما كان يحيط به من غبن واضطهاد حتى ظفر فى النهاية بما كان يرنو اليه من نسب شريف ، ولقد سجل فى شعره تلك المواقف العزيزة التى تشرف كل انسان تضعه ظروفه موضع عنترة بن شداد ، فهو الذى - فى ابائه ، واعتزازه بنفسه - يعلن أنه كان يتحمل الجوع نائيا عن مأكل دنىء ، أو كسب وضيع ، يقول فى اعتزاز صادق :

ولقد أبيت على الطوى وأظله
حتى أنال به كريم المأكل

فهذا قول من الروعة بمكان ، وهو بيت يغنى عن قصيدة ، بل قصائد ، فهذا القول قد حدد نهج الشاعر فى الحياة ، ذلك النهج الذى ينبض عزة وأريحية ، اذ ليس المراد خصوص الأكل والجوع ، وانما المراد أنه فى نهجه الشريف العفيف يتحمل الشدة القاسية فى سبيل هدف سام ، وغاية نبيلة ، فالغايات التى تبرق له محاطة بوسائل ذميمة ،أو مسبوقة بما يشين - يأباها كل الاباء ، لأنها لا تليق بعزة العربى وشممه ، تلك العزة الفطرية التى جاء الاسلام فزكاها وحبذها ، لأنها تتفق وتعاليمه فى هذا المجال ، حتى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حينما ينشد أمامه قول عنترة السابق :

ولقد أبيت على الطوى وأظله
حتى أنال به كريم المأكل

تعجبه عزة عنترة وسماحته ، ويقول : « ما وصف لى أعرابى قط فأحببت أن أراه الا عنترة » .

والشخص السمح العزيز لا يحب اذلال غيره ، ولا أن يجرح شعور الآخرين ، فهو يرى فى اذلاله غيره موقفا يغض من عزته ، ويشين سماحته ، ويكاد يهبطه من قمته الشاهقة التى رقيها بعد جهد ونصب ، ومن ثم نجد عنترة يلوذ بالعفة محافظا على شرفه وشرف غيره ، فى حين أننا نجد غيره من أمثال امرىء القيس ، وعمر بن أبى ربيعة يفاخر بهتك الأستار ، فاذا كان امرؤ القيس يقول فى عبث ماجن :

سموت اليها بعد ما نام أهلها
سمو حباب الماء حالا على حال

فان عنترة يقول فى عزة وعفة :

وأغض طرفى حين تبدو جارتى
حتى يوارى جارتى مأواها

ثم ننتقل الى نقيض العزة لنجد تفاوت الشعراء فى هذا المجال بين هابط ومسرف فى الهبوط الى درجة لا تليق — فى رأينا — بانسان بله العربى الموسوم بالأنفة والاباء ، والذى يقرأ قصيدة العباس بن الأحنف فى الغزل ، ويقف عند هذين البيتين :

كتبت كتابى ما أقيم حروفه
لشدة اعوالى وطول نحيبى

أخط وأمحو ماخططت بعبرة
تسح على القرطاس سح غروب

ثم يقف من البيتين عند قول الشاعر : « . . اعوالى ، وطول نحيبى » ، وعند قوله : « .. بعبرة تسح على القرطاس » — ليجد شاعرا قد انسلخ عن رجولته ، وهبط من مراقى عزته الى حضيض لا يليق برجل أمام امرأة ، وتخيل معى رجلا يبكى بكاء حارا ويذرف الدمع الهتون حتى يبلل القرطاس أمامه لفراق حبيبته ، أو هجرها اياه ، ألست تراه طفلا فى ثياب رجل ؟! ، ماذا ترك اذن للنساء والأطفال ، فالاعوال الذى بدا منه ، وحكى عنه هو من عادات النساء ، وسمات الأطفال ، ولا اعتراض بأن الموقف كان يستدعى ذلك ، أو بأن حرقة الشوق تلهب الشعور ، وتكوى الفؤاد فتذرف العين الدمع ، ويفيض اللسان بالتعبير عما يمتلج فى النفس ، أقول : لا اعتراض بهذا ، لأن الرجل رجل ، والمرأة امرأة ، ولكل منهما سماته وعاداته الطبيعية ، واذا كان الرجل يأسره من المرأة الضعف والبكاء ، فان الذى يعجب المرأة فيه انما هو الترفع والاباء وعلى هذا خلقهما بارىء الأنفس والطباع ، ومزاحمة كل منهما الآخر فى طباعه قلب للأوضاع ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فاننا اذا وازنا بين العباس بن الأحنف ، وعنترة فى الموقف نفسه لوجدنا التفاوت العجيب ، فعنترة حينما يخاطب حبيبته عبلة ابنة عمه ، وقد حيل بينه وبينها بموانع جائرة ، وحينما تهيج لوعته ، ويتوهج حبه — لا ينزل الى ما نزل اليه العباس بن الأحنف ، فلا تكوى الدموع مقلتيه ، ولا يعلو اعواله ، أو يشتد نحيبه ، وانما يقول كلام رجل بكل ما تنبض به كلمة رجل من اعتزاز وقوة يعجبان كل امرأة ، يقول شعرا يعرض فيه أمام حبيبته مظاهر بطولته ، ومجالى

شجاعته ليجذبها بانتصاراته لا بعبراته فلم يسجل التاريخ فى قديمه وحديثه أن الحسناوات يجذبهن النحيب من الرجال ، انما ينجذبن لما يبديه الأبطال ، فبعد ما سمعنا قول العباس ابن الأحنف الضارع الدامع أمام لواعج الهوى نسمع قول عنترة الشامخ الرائع فى هذا المجال نفسه ، يقول عنترة مخاطبا حبيبته عبلة :

أثنى على بما علمت فاننى
سمح مخالقتى اذا لم أظلم

فاذا ظلمت فان ظلمى باسل
مر مذاقته كطعم العلقم

هلا سألت القوم يابنة مالك
ان كنت جاهلة بما لم تعلمى

يخبرك من شهد الوقائع أننى
أغشى الوغى ، وأعف عند المغنم

ثم يختم الرسالة الشعرية الى ابنة عمه وحبيبته بقوله :

انى عدانى أن أزورك فاعلمى
ما قد علمت،وبعض ما لم تعلمى

فلأى الشاعرين السابقين ـ فى هذا الموقف ـ نتوقع تحقيق الهدف ، والوصول الى قلب المحب ؟ ، مما لا شك فيه أن الشعر النابض بالعزة والقوة هو الجاذب الآسر ، وغيره الذى يتقاطر منه الدمع لا يحقق الا زيادة الهجر والصدود .

ويجدر بنا فى هذا المجال أن نشير الى أن معظم أغانينا العاطفية فى عصرنا الحديث تتسم بالطابع الثانى المجافى للعزة المنشودة للرجل فى كل موطن يغشاه فكثيرا ما نسمع فى تلك الأغانى ـ مع كونها صادرة من رجل ـ البكاء والعويل ، والتذلل الطويل ، وذلك عمل يأباه الطبع العربى الأصيل ، وكأن الأغنية التى يشدو بها الرجل أصبحت تتفق فى أدائها مع زيه ومشيته !! ، فالشعر ينساب على القفا ، والأظافر طويلة مطلية والقميص مشجر براق ، فلماذا لايبكى ويولول فى أغانيه .. فرحم الله الرجولة العربية !!

وبعد ، فما أحرى الرجال ، وبخاصة الشعراء بحكم امتلاكهم ناصية التعبير الخالب الجاذب ـ أن يكونوا أعزة أقوياء فى كل موطن على مسرح الحياة ، حتى فى مواطن بث الهوى ،والافصاح عن تباريح الغرام.

هذا رأى ارتأيته ، ولا أضيق بمن يخالفه ؟

**عبد الغنى احمد ناجى**

# نفاق الكبار

للدكتور ابراهيم على أبو الخشب

ربمـــا كان هنالك غــرابة فى أن يكون نفق للكبار ، ونفاق للصغار ، أو أن يكون النفاق نفسه صغيرا وكبيرا لأن النفاق هو النفاق ، ظاهر يخالف البـاطن ، أو باطن يخالف الظاهر ، أو قول يخالفه العمل ، وعمل لا يطابقه القول ، وكل هذا وهذا لون من ألوان الكذب ، واهتزاز فى شخصية الرجل المريـض بمركب النقص الذى يظن أنه يكمل نقصــه ، بما يأتى من خلال أو ينمق من أقوال ، وهو انما يخطىء السبيل الى ذلك ، اذ النقص لا يكون وسيلة الى الكمال ، لأنه هدم صراح وتدمـير محض ، ولا يـكون الهـدم والتـدمير رفعا لجـدار الانســانية ، ولا خطوة من خطوات البناء ، اللهم الا فى تخيـلات المحمـوم ، وأوهام النوكى ، وأحلام المجانين ، والواقع الذى لا شك فيه أن الجرائم السلوكية والانحراف الخلقى ، والالتـواء فى السنن ، والخبط فى السير ، يتكيف فى ضخامته وهزاله ، وكبره وصغره، على حسب ما يتخلف عنه من أثـر ، أو يترتب عليه من ضرر ، كما يتكيف كذلك بكيف المصدر الذى انحـدر منه ، أو نجم عنه ، وان كانوا يقولون ليس فى الشر خيار ، لأن الشر شر على كل حال ، وقد يترتب عليه مـع القلة مثلما يترتب عليه مع الـكثرة ، وجراثيم الأمراض أصدق دليل عـلى ذلك ، فقـد يـكون أحدها من الدقة وضآلة الحجم بمقدار تتعذر رؤيتـه أو تتعسر ومع ذلك كله فان الفســاد الذى يحدثه فى الجسم ، أو الخطر الذى يتخلف عنـه ، لا يمـكن أن يتناسب معه طردا أو عكسا ، وهــذا كله دليل واضح على أن الشر مرذول مهمـا كان مصـدره أو الباعث عليه أو الفاعل له .. الا أن الذى لا شك فيه أن من الأفراد ما تكون تفاهته فى المجتمع عاملا من عوامل تفاهة أثره فى البيئة ، وعدم جدواه فى الوسـط الذى يعيش فيه ، كمـا أن منهم من يكون بالـغ الأثر ، عظيم الدفـع الى

النهوض أو التخلف ، وعلماء التربية يقررون أن المسئولية تتفاوت بتفاوت الأشخاص ، وهم لا يقصدون بالطبع الا أن يكون هذا التفاوت على حسب ما تكون تلك المسئولية والتأثير ، والدين الاسلامى على الرغم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » يعترف بأن الناس لا يتساوون فى هذه الرعاية أو تلك المسئولية ، ومما يؤثر عن عمر رضى الله عنه ـ فى مرض موته ـ وقد سأله بعض الناس أن يوصى بولاية العهد لابنه عبد الله ، بحسب آل الخطاب أن يحاسب الله واحدا منهم عن هذه الأمة ، وهو يقصد بذلك الواحد نفسه ، لأنه الخليفة وحسابه عن الأمة ، لا عن بيته وأسرته ، وكأنه يعلن بهذا القول أن مؤاخذة الانسان انما تكون على مقدار وضعه فى الأمة ، أو منزلته من الدولة ، ومكانته فى المجتمع ، وقد اصطلح الناس على هذا الترتيب التصاعدى أو التنازلى ، اذ يقولون هذا هو الرجل الأول أو الثانى أو الثالث وهكذا ، كما اصطلحوا ـ أيضا ـ على التفريق فى الأعباء التى يتحملها الرجال والنساء ، والزوج والزوجة فى المنزل ، والكبير والصغير • • •

والقرآن الكريم جرى على هذا المبدأ فلم يسو بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون • • ومن هذا الذى تقدم نستطيع أن نقول فى صراحة أن نفاق الصغار غير نفاق الكبار ، وأن فى النفاق صغيرا وكبيرا ، لا من حيث الانفاق والاحكام ، والصياغة والسبك ، ودقة رسم الخطط فيه ، أو عدم الدقة ولكن من حيث خطورة صاحبه فى الدولة أو البيئة ، وأظنه قد جاء فى الحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام : « صنفان من أمتى اذا صلحا صلح الناس العلماء والأمراء » لأن عصب الدولة كلها فى الاصلاح والتقويم ، والتهذيب والتوجيه ، والارشاد والترغيب ، يتكون من العلماء الذين يتولون مهمة بيان الحلال والحرام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن الأمراء الذين ينفذون الأحكام ، ويقيمون الحدود ، التى بها يسود السلام ، وتستقر العدالة ، وترفرف على الناس ألوية الأمان والاطمئنان • • •

والاسلام وهو دين الشورى لا يرضى باستبداد الحاكم ، وانما يجعل المسئولية موزعة بين الرعية والراعى ، ويخطب بعض الخلفاء فى الشعب - لأول عهده بالسلطان - فيقول أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، وان رأيتم فى اعوجاجا فقوموه ، فيرد عليه أحد الأفراد بقوله: « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » وهكذا كان الحكم الاسلامى وكانت الدولة ، وكان الشعب ، فلما فسد الدم العربى ، وانحرف الناس عن الدين ، ونسوا ما ذكروا به ، وغلب عليهم حب الدنيا ، تفننوا فى الباطل ، وبرعوا فى البهتان ، واتقنوا أساليب الخداع والمكر ، التى كان منها ما نسميه نحن - الآن - بالنفاق .

ولا يختلف انسان من الناس فى أنه اهتزاز فى الشخصية ، وهزال فى الخلق ، ونوع من أنواع الضعف الأدبى يشعر به أصحاب النفوس المريضة ، ويودون فيما بينهم وبين أنفسهم لو أنهم كانوا على غير هذه النحيزة النازلة ، والميول الحقيرة ، والأهواء المسفة ، وقد يحاولون اذا ما ثاب اليهم الرشد ، واكتمل فيهم التفكير ، وأضاءت قلوبهم مشاعل الايمان ، أن يتخلصوا من تلك النوازع الشريرة التى تتمكن من غرائزهم ، أو تتحكم فى سلوكهم وعواطفهم ، وتهيمن على افئدتهم وقلوبهم ، الا أنهم مع هذا الجذب والشد ، والجزر والمد ، يعودون بالاخفاق الشنيع ، والسبب الأصيل فى ذلك كله أن هذه الظاهرة الانسانية من الظواهر التى دلت التجارب على أنها خارجة عن طوق الجبلة ، لا يجدى معها علاج ، ولا ينفع فيها طب ، ولا تقضى عليها الأدوية والعقاقير ، لأن الخصائص والسجايا ، مالا يخضع لجبلة ، ولا يستجيب لرياضة ، ولا يسكن بعلاج ، ولا يداويه طب ، وكأنه جبلى لا يتخلف أو ذاتى لا يتغير ، ولهذا فان البشرية منذ خلقها الله تعالى تعانى الكثير من ويلات هذا الداء دون أن تهتدى الى الأسلوب الذى تقضى به عليه القضاء الأخير ، بل لا يكون هنالك شىء من المبالغة اذا قلنا انها لم تصل مع التهذيب والتربية ، والترغيب والترهيب ، الى أن تقلل من طغيانه ، أو تكفكف من عدوانه ... وليس لهذا المرض صورة بعينها ، ولا سمة بذاتها يمكن للتعريف أن يجمعها ،

أو الحدود أن تحصيها ، ولكنه على كل حال تضارب بين القول والعمل ، والظاهر والباطن ، والسلوك والاعتقاد ، وقد كنا نسمع من بعض أساتذة اللغة المشتغلين بارجاع الكلمات الى أصل اشتقاقها ، أنها ملاحظ فيها صنيع الدابة المعروفة باسم اليربوع حيث تجعل لجحرها الذى تسكن فيه بابين : أحدهما ظاهر للعيان ، والآخر تحتفظ لنفسها بسره ، وتخفى على الناس أمره ، فلا يعرفه أحد ، ولا يهتدى اليه انسان ، ومنه تهرب اذا باغتها المباغت بالاعتداء ، ويسمى هذا الباب السرى « النافقاء » ولعل وجه الشبه بينه وبين المنافق من الوضوح والظهور بحيث لا يلتبس على أحد ..

ولهذا فان المقتضى للتناقض الذى يبدو من الناس فى القول والفعل ، والسلوك والاعتقاد ، والباطن والظاهر ، وغير ذلك من ألوان التمويه والكذب ، يجد أن المنافق يركز جهده على أن يعطى للناس من نفسه صورة غير حقيقته ، وشكلا غير طبيعته ، ولا يهمه بعد هذا كله أنه غرر بهم وخدعهم ، وكذب عليهم وغشهم ، ما دام قد وصل الى الغاية ، وحصل على الغرض الذى كان يجهد فى سبيله ، وأمثال هذا الانسان المريض لا يمكن أن تكون لهم مكانة مرموقة ، أو مراكز بارزة ، اللهم الا فى المجتمعات المتخلفة والبيئات المتأخرة ، والأوساط التى يضعف فيها الوازع الدينى ، وهذا المنافق الذى يعيش بين الناس على حساب هذا السلوك ، وبهذا الخلق ، لص ما فى ذلك من شك ، لأنه يأخذ مالا يستحق ، باحتياله وخداعه ، ومكره وتمويهه ... وفى الكتاب الكريم صور بيانية رائعة عن هؤلاء الذين وصفهم بأنهم : «يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم » وأكثر ما كان حديث النفاق والمنافقين عن اليهود الذين برعوا فى هذا السلوك ، ومنهم تعلمت الانسانية الشرور والآثام ، والتضارب بين القول والعمل ، والظاهر والباطن ، ومن الغريب العجيب أن أمثال هؤلاء الذين يكون لهم حقيقة مزورة ، وماهية مزيفة ، لا يخفى أمرهم على الناس الا أنهم مع ذلك يفسحون لهم فى مجالسهم ، ويسلمون اليهم قيادهم ، قانعين منهم بهذا المعسول من القول ، وربما يكون هذا من المهين على الله وعلى الناس اذا كان على حساب مصلحة خاصة ،

أو نفع محدود ، يحصل عليه هذا المريض الذى نسميه منافقا ، لكن حين يكون ذلك كله على حساب مصلحة عامة يعود وبالها على المجتمع ، ويمتد ضررها الى آلاف الناس ، فانه يكون من الشر الذى يجب على الأمة كلها أن تقاومه ، وتقف فى وجه صاحبه ، مهما كان هيله وهيلمانه .

والقرآن الكريم وهو يقول : « ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجدلهم نصيرا » لايريد ـ فقط ـ أن يتهددهم بهذا المصير المزرى ، والعاقبة الوخيمة ، ليكون لهم من هذا التهديد عظة رادعة ، وارشاد نافع ، وانما يريد كذلك من وراء هذا التصوير أن يبين خطرهم على الانسانية وضررهم على المجتمع ، وبذور الفساد التى يبثونها فى البيئة ، وان رجلا واحد ، أو امرأة واحدة ، ـ من هذا الطراز ـ فى أمة متماسكة قوية ، جديرة أن تحولها الى طلل باطل ، أو دمنة خربة ، ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من عداوة المشركين له ، وصدهم عن دينه ، ووقوفهم فى وجهه ، قليلا من كثير مما وجده من رأس المنافقين عبد الله ابن أبى بن سلول الذى كان وحده الداء العضال ، والعلة التى استعصت على الطبيب الحاذق ؟

**دكتور ابراهيم على ابو الخشب**

# الأعيان التى اختلف الفقهاء في ثبوت الشفعة فيها

للدكتور ابراهيم دسوقى الشهاوى

## ( ٢ ) الشفعة فى الزروع والثمار

بينا فى العدد السابق آراء العلماء فى ثبوت الشفعة فى البناء والشجر • ونقدم فى هذا العدد آراء الفقهاء فى ثبوت الشفعة فى الزروع والثمار • وقد اختلف الفقهاء فى ثبوت الشفعة فى الزروع والثمار على أربعة أقوال :

القول الأول : تثبت الشفعة فيها ان بيعت الزروع أو الثمار وأصولها مع الأرض ، فان بيعت مفردة دون الأرض فلا تثبت فيها الشفعة ، ذهب الى ذلك الحنفية •

القول الثانى : تثبت الشفعة فيها مطلقا سواء بيعت مع الأرض أم بيعت مفردة دونها ، اذا لم يجىء وقت جنائها قبل الأخذ بالشفعة ، فان جاء وقت جذاذها لليبس ، أو الأكل ، قبل الأخذ بالشفعة ولو بعد البيع فلا تثبت فيها الشفعة ، ذهب الى ذلك المالكية على القول الراجح عندهم •

القول الثالث : تثبت فيها الشفعة اذا بيعت مع أصولها ومع الأرض فى الثمرة غير الظاهرة ، وفى أصول الزرع الذى يتكرر جذه دون الثمرة الظاهرة ودون الزرع الذى لا يتكرر جذه ، ولا تثبت الشفعة فيها اذا بيعت مفردة عن الأرض ، ذهب الى ذلك الشافعية والحنابلة •

القول الرابع : تثبت الشفعة فيها مطلقا سواء بيعت مع أصولها ومع الأرض أم بيعت مفردة عن الأرض ، وسواء كانت الثمرة ظاهرة أم كانت غير ظاهرة وسواء كان الزرع مما يتكرر جذه أم كان مما لا يتكرر جذه • ذهب الى ذلك الظاهرية •

الأدلة : استدل أصحاب القول الأول بأن الثمار والزروع المتصلة بالأرض اذا بيعت مع الأصول والأرض كانت تابعة لما تثبت فيه الشفعة فتثبت فيها تبعا له كالبناء والشجر ، واذا بيعت

مفردة دون الأرض لم تكن تابعة لمـا تثبت فيه الشفعة فلا تثبت فيها قياسـا على المنقولات •

واستدل أصحاب القول الثانى : بأن الثمار والزروع المتصلة بالأرض اذا بيعت مع الأصول والأرض كانت تابعة لمـا تثبت فيه الشفعة فتثبت فيها تبعا له كالبنـاء والشـجر • واذا بيعت مفردة عن الأرض فانها تشبه الثابت لاتصالها بما هو ثابت فتثبت فيها الشفعة ما لم يأت وقت جـذاذها لليبـس أو الأكل فتـكون فى حـكم المنقـول لاستحقاقها الجذاذ •

واستدل أصـحاب القول الثالث : بأن تبعيـة الثمـار والزروع للأرض لا تظهر الا فى حال عدم ظهورها ، لأنها حينئذ تدخل فى البيع بدون نص عليها فتثبت فيها الشـفعة تبعا للأرض التى تثبت فيها الشفقة أصالة ، أما عند ظهورها فلا تظهر تبعيتها للأرض ولذا لا تدخل معه فى البيع الا بالنص عليها فلا تثبت فيها الشـفعة ولو بيعت مـع الأرض كأمتعة الدار • كما لا تثبت فيها الشـفعة عند انفرادها بالبيع عن الأرض لظهور عدم التبعية حينئذ •

واستدل أصـحاب القول الرابع : بما أخرجه الترمزى والبيهقى عن ابى حمزة السكرى عن حديث ابن عباس مرفوعا ، أن النبى صـلى الله عليـه وسلـم قال : « الشريك شـفـيع ، والشفعة فى كل شىء » •

ووجه الدلالة من هذا الحديث : ان قوله : « فى كل شىء » عام يتناول الزروع والثمار مطلقا سواء بيعت مع أصولها ومع الأرض أم بيعت مفردة دون أصـــولها ودون الأرض فتثبت الشفعة فيها دون قيد أو شرط •

هـذا : والراجـح ما ذهب اليـه الظاهرية من ثبوت الشفعة فى الثمار والزروع سواء بيعت مـع أصـــولها ومـع الأرض أم بيعت مفـردة دون أصولها ودون الأرض وسـواء كانت ظاهرة أم كانت غير ظاهرة ، وسـواء كانت مما يتكرر جذها أم كانت لاتجذ الأمرة واحدة ؛ لأن الشفعة انما شرعت لدفع الضرر الذى يلحق الشفيع ، ولا شـــك أن الضرر فى بيـع الزروع والثمار كالضرر فى بيع البناء والشجر؛ لأنهـا متصلة بالأرض والمتصل يأخذ حكم المتصل به ، والشـفعة تثبت فى الأرض فتثبت فى الثمار ، والزروع المتصلة بها •

الشفعة فى المنقول : اختلف الفقهاء فى ثبوت الشفعة فى المنقول على قولين :

القول الأول : لا تثبت الشفعة فى المنقول ، ذهب الى ذلك الأئمة الأربعة .

القول الثانى : تثبت الشفعة فى المنقول ، ذهب الى ذلك الظاهرية .

الأدلة : استدل أصحاب القول الأول : على عدم ثبوت الشفعة فى المنقول بالسنة والمنقول .

أما السنة: فأولا : ما رواه البخارى عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم : « قضى بالشفعة فيما لم يقسم فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة .

ووجه الدلالة : من هذا الحديث ـ أن وقوع الحدود وتصريف الطرق انما يكون فى العقار دون المنقول فيكون قوله : « فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق » مبينا للمراد بما لم يقسم وهو العقار من أرض وما يتبعها

ورد هذا الاستدلال : بأنه لا ينفى الشفعة فى المنقول ، لأن غاية ما يفيده أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قضى بالشفعة فى العقار ، فالمنقول مسكوت عنه ، فاذا دل عليه دليل آخر عمل به ، وليس فى الحديث حصر حتى يكون خاصا بالعقار .

وثانيا : ما أخرجه البيهقى عن طريق أبى هريرة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا شفعة الا فى دار أو عقار » .

ووجه الدالة من هذين الحديثين : أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حصر الشفعة فى الدار والعقار . وهذا يقتضى نفيها عن غيرهما مما لا يتبعهما وهو المنقول . أما ما يتبعها فهو داخل حكما .

وقد رد الاستدلال بالحديثين : بأنهما لا يصلحان للاحتجاج بهما . فقد قال البزار فى أولهما : ( لا نعلم أحدا رواه بهذا اللفظ ) وقال البيهقى فى ثانيها ( أن اسناده ضعيف ) .

وأما المعقول : فهو أن الشفعة انما شرعت لرفع الضرر الذى من شأنه الدوام وهو لا يكون الا فى العقار وما فى معناه فيجب الاقتصار عليه تقليلا لما ثبت على خلاف الأصل .

ورد هذا الاستدلال : بأن اشتراط الدوام لم يقم على اعتباره دليل والذى تدل عليه الأحاديث التى وردت فى الشفعة أنها شرعت للفع الضرر بسبب الشركة أو الجوار سواء أكان ذلك على سبيل الدوام أم لم يكن على سبيل الدوام .

واستدل أصحاب القول الثانى : على ثبوت الشفعة فى المنقول بالسنة :

فأولا : ما رواه الترمذى والبيهقى عن أبى حمزة السكرى مرفوعا عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :«الشريك شفيع والشفعة فى كل شىء » .

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أنه أثبت الشفعة فى كل شىء ويندرج تحت كل شىء المنقول فتثبت الشفعة فيه :

ورد هذا الاستدلال : بأن الحديث أعلى بالارسال وقد تفرد أبو حمزة برفعه ودفع هذا الرد بأن روايته مرسلا من طريق لا تقدح فى روايته مرفوعا من هذا الطريق تفرد أبى حمزة برفعه لا يضر لأنه ثقة وزيادة الثقة مقبولة ،على أنه لم ينفرد به ، فقد رواه الطحاوى فى شرح الآثار من طريق آخر فقال : حدثنا محمد بن خزيمة بن راشد ، قال : حدثنا يوسف بن عدى ، قال : حدثنا ابن ادريس هو عبد الله بن الأودى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : « قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة فى كل شىء » .

ولو سلم ارساله ، فقد أخرج له الطحاوى شاهدا من حديث جابر رضى الله عنه باسناد لا بأس به ، وبروايته كما قال الحافظ ، والمرسل اذا كان له شاهد كان حجة .

ثانيا : ما رواه البخارى عن جابر رضى الله عنه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « قضى بالشفعة فيما لم يقسم ، فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة » .

ووجه الدلالة : أنه صلى الله عليه وسلم ـ أثبت الشفعة فى كل ما لم يقسم فهو يتناول العقار والمنقول لأن « ما » من صيغ العموم فتثبت الشفعة فى المنقول كما تثبت فى العقار .

ورد هذا الاستدلال : بأن عمومه مخصوصه بالأحاديث السابقة فى ثبوت الشفعة فهى تفيد قصره على العقار .

ودفع هذا الرد : بأن الأحاديث التى تقدمت فى الشفعة بعضها لم تثبت

خصوصيته وبعضه ضعيف ، فالعموم باق لعدم المخصص .

هذا ، والراجح : ما ذهب اليه الظاهرية من ثبوت الشفعة فى المنقول لقوة دليله . ولأن الشفعة شرعت لرفع ضرر الشركة أو الجوار ، وضرر الشركة موجود فى المنقول فيجب ثبوتها فيه لدفع هذا الضرر .

ما تثبت فيه الشفعة فى القانون الوضعى : تثبت الشفعة فى القانون الوضعى فى العقار سواء كان عقارا بالطبيعة أم كان عقارا بالتخصيص ويؤخذ ذلك من المادة (٩٣٥) مدنى ونصها :« الشفعة رخصة تجيز فى بيع العقار الحلول محل المشترى » والمقصود ورود البيع على العقار بوصفه عقارا حالا ومآلا ، فاذا بيع العقار باعتباره منقولا بحسب المآل كما لو بيع البناء لكى يهدمه المشترى ويأخذ أنقاضه فان الشفعة لا تجوز فيه واذا كان هناك عقار بالتخصيص وهو المنقول الذى يضعه صاحبه فى عقار يملكه رصدا على خدمة هذا العقار واستغلاله ، وبيع مستقلا عن العقار الأصلى فان البيع يعتبر حينئذ واردا على منقول فلا تجوز الشفعة فيه ، ولكنه اذا بيع مع العقار الأصلى فان الشفعة فى هذا العقار تشمله لأنه يعتبر حينئذ من ملحقات العقار الأصلى .

ولا تثبت الشفعة فى المنقول ، وللشريك فى المنقول الشائع أن يسترد قبل القسمة الحصة الشائعة التى باعها شريكه لأجنبى بطريق الممارسة كما جاء فى المادة ( ٨٣٣ ) مدنى فان حق الاسترداد يؤدى فى حالة المنقول الشائع نفس الوظيفة التى تؤديها الشفعة فى حالة العقار الشائع فالقانون الوضعى وافق المذاهب الأربعة فيما تثبت فيه الشفعة من كونه خاصا بالعقار فلا تثبت الشفعة فى المنقول . وهذا خلاف ما سبق أن اخترناه فان الشفعة على الراجح كما تثبت فى العقار تثبت فى المنقول ؟

**دكتور ابراهيم دسوقى الشهاوى**

# جنوب السودان

## دراسة تاريخية

للأستاذ عبد العظيم محمود الديب

لماذا كان فى السودان جنوب وشمال ؟

لماذا لم يكن السودان سودانا فحسب ؟

**السودان والتاريخ :**

شهد مطلع القرن التاسع عشر خروج المستعمرات الأمريكية من يد المستعمرين الأوربيين كما استنزفت ثروات آسيا ، فتعطلت عيونهم الزائغة تبحث عن مجالات أخرى تنهبها ، لتعوض بها ما فقدته فى أمريكا وما نضب فى آسيا .

ولعله لم يكن من قبيل المصادفة أن شهد مطلع القرن التاسع عشر أيضا : ظهور أبحاث الرحالة والمكتشفين ، التى جاءت تؤكد أن أفريقيا قارة بكر ، ومخازن غنية بالمؤن ، ومناجم متخمة بالثروات .

وتحلبت أشداق الاستعمار وسال لعابه وبدأت انجلترا وفرنسا وبلجيكا والبرتغال تلتهم القارة من أطرافها .

وآنذاك خرجت الأخبار بأن بلاد السودان بلاد خالية من القوة التى تحميها ، وذلك بسبب تصارع ممالكها فيما بينهم : سلطنة الفور فى الغرب ، ومملكة الفونج فى الشرق ، ومملكة بربر ، ومملكة تقلى فى جبال النوبة . وأن البلاد لقمة سائغة ، وهنا تحفز الاستعمار وأوشك الانقضاض !!!

ولكن شاءت الأقدار أن تنقذ السودان من الاستعمار الأوربى ، فسبقت اليه الدولة العلية ـ دولة الخلافة الاسلامية ـ تركيا ـ حين استنجد ملك بربر فى سنة ١٨١٣ م وسلطان دارفور فى سنة ١٨٢٠ م بمصر بسبب اشتداد النزاع والصراع . جاءت جيوش محمد على والى مصر باسم الخلافة العثمانية ، وأعادت للسودان الأمن والاستقرار وأتمت

توحيده فى دولة واحدة متماسكة ، وكانت المهمة سهلة ميسرة فقد ساعد جيوش الخلافة كثير من زعماء السودان الذين فهموا الروح الاسلامى التى جاءت به ، وأبرز مثل على ذلك الزبير رحمت الذى لم يكتف بالانضمام بامارته بل أخذ فى اخضاع المناطق المجاورة له بالحجة والاقناع وبالقوة حين لا ينفع الاقناع ، وكان هو الذى ضم كل غرب السودان الى باقى الوطن .

وبهذا كان السودان أسعد حظا من جيرانه ، فقد أفلت من الاستعمار الأوربى الذى بدأت مباضعه تعمل فى تمزيق القارة البكر .

ولكن الاستعمار لم يسلم بهذا ، وهاله وأفزعه ـ أيما هول وأيما فزع ـ أن تكون فى قلب القارة دولة موحدة بهذا الاتساع ، وتنعم بالأمن والهدوء والاستقرار ، والأخطر من ذلك يشع عليها نور الحضارة العربية، وضوء الدين الاسلامى .

ولو كان الأمر يقف عند حدود السودان لهان الشأن ، ولكن الخطب أخطر وأكبر ، فكيف يتمكن الاستعمار من اتمام سيطرته على قارة أفريقية وفى وسطها هذه المنارة؟كيف يتمكن من نهب القارة وفى قلبها دولة قوية مترامية الأطراف تشع حضارة عربية ودينا اسلاميا يفزع ذئاب الاستعمار ؟

ومن هنا لم يسلم الاستعمار بالهزيمة ولم يغمض له جفن وراح ينفث سمومه وأحقاده .

ولذا تعرض السودان لما لم تتعرض له دولة من الدول ، تعرض السودان لمؤامرات استعمارية دائبة متصلة هدفها تفتيت وحدة السودان ( أكبر دولة فى قلب أفريقيا ) ، والقضاء على الحضارة العربية والدين الاسلامى . وتشابكت حلقات هذه السلسلة من الاعتداءات والمؤامرات الاستعمارية ، فمن دسائس بين السودان وجيرانه ، الى بعث للنعرات القبلية الى زعزعة للعقيدة وتحطيم للأخلاق والمثل .

ولنستعرض فى ايجاز سريع شيئا مما عاناه السودان من هذه المؤامرات.

١ ـ بدأت أول محاولة لتفتيت وحدة السودان مبكرة جدا ، حين سعى الانجليز بوسائلهم لدى السلطان فى الآستانة حتىانتزع شرق السودان من والى مصر وألحقه بولاية جدة ،

ولضعف والى جدة تمكنت انجلترا من التهام الأراضى الواقعة جنوبى مصوع وجزيرة ( أربياط ) ، كما تمكنت ايطاليا من التهام ( عصب ) ، وأقامت فرنسا قنصلية لها فى مصوع لتباشر منها الاشراف على مصالحها وتتحفز للالتهام •

وما زال والى مصر يواصل السعى الدائب لدى الباب العالى حتى رد أليه ( نهائيا ) شرق السودان ومنفذه الطبيعى الوحيد على البحر الأحمر ، وأعاد تطهير الأجزاء التى دنسها الاستعمار مرة ثانية •

٢ ـ راحت انجلترا توقع بين السودان وجيرانه ، وبدأت تبكى على المسيحية الحبشية التى اقتربت منها الاسلامية السودانية ، تحت راية الخلافة ( كانت الحبشة آنذاك مركزا للتجارة البريطانية ) •

ونجحت ادارة السودان المصرية فى اثبات سماحة الاسلام ، وكراهية المسلمين للتعصب الدينى كما يكره الاسلام استغلال الانسان لأخيه الانسان •

٣ ـ حاولت انجلترا عام ١٨٦٧ م أن تجرب حظها فى استخدام القوة لاحتلال ( مصوع ) ، ولكنها فوجئت بأن ادارة السودان على الفور عززت حامية سواكن وتحرك الأسطول المصرى من السويس ليقف تجاه مصوع ، فترددت انجلترا وأحجمت نهائيا عن هذه المغامرة •

٤ ـ استغلت انجلترا وجود الموظفين الانجليز ، الذين سمح لهم ( ضميرهم وحضارتهم ) أن يخونوا أمانة الدولة التى استخدمتهم ، ويعملوا لحساب أبناء جلدتهم ، أمثال : ( صموئيل بيكر ) الذى استخدمته مصر فى ادارة الجنوب على أساس أنه رحالة عالم باحث سبق له ارتياد هذه المناطق ( كما نستقدم الآن أى خبير ) وكان مرتبه عشرة آلاف جنيه سنويا • ثم أقيل بعد أن ثبت أنه يعمل على عكس البرنامج المطلوب منه من كسب محبة سكان الجنوب ، وتأليف قلوبهم والتقريب بينهم وبين اخوانهم فى الشمال •

ثم عينت مصر غوردون فى نفس العام الذى عزل فيه ( بيكر ) سنة ١٨٧٣ م ، ونص فى العقد الذى أبرم معه ، وفى قرار تعيينه على تحديد مهام منصبه وجاء فى هذا الأمر ما يلى :

« الأمر الكريم بتعيين غوردون فى ٣ محرم سنة ١٢٩١ رقم ٩١ ••• مع معاملة الأهالى بالرفق ولين الجانب ، والتأليف ، مع المراعاة لما فيه عمارتهم وترغيبهم وتشويقهم على العمارة ••• وعلى هذا ما هو منظور لنا فيكم من حسن الغيرة والاهتمام مؤملين الاستحصال على عمارية جهات الاستواء المحكى عنها ، وراحة أهاليها وحسن توطينهم وتأليفهم ، كان هذا هدف الادارة المصرية وأمل الخلافة العلية !!!

فهل وفى ( غوردون ) لمنصبه ؟ وانى له ذلك ؟

استهل غوردون عمله ، بأن أرسل الى ملك ( أوغندا ) بعثة تعلمه ( الدين الأوربى ) وتحدثه عن عظمة ممالكها، بعد أن كان قد طلب من غوردون بصفته موظفا مصريا أن يطلب عالما من علماء الأزهر لتعليمه وقومه الاسلام تمهيدا لانضمام أوغندا اختياريا الى السودان•

ولكن غوردون حرصا على مصالح انجلترا ومستعمراتها فى شرق ووسط أفريقيا، وقف فى وجه هذا التيار الحضارى ، ضاربا عرض الحائط بكل القيم الخلقية التى تحتم عليه أن يكون ولاؤه لعمله ومنصبه • وقد وقع فى يد المسئولين بمصر عن طريق الصدفة رسائل متبادلة بين غوردون ولندن تثبت أنه يعمل لحسابهم ضد مصر •

لهذا أخرج غوردون من السودان وتفتحت عيون أولى الأمر على حقيقة هؤلاء الناس ، فاعتمدوا على أنفسهم وأتموا توحيد السودان وانضمت اليه أوغندا واستكمل الوطن السودانى كل مقوماته •

٥ ـ ونفس الأسلوب الذى استخدمته انجلترا حين فزعت من نمو الوطن السودانى فى شرقه ، استخدمته حين فزعت من نموه فى الجنوب فأوعزت الى حاكم زنجبار أن يصرخ ويعلن مستغيثا خوفه من اقتراب حدود السودان المسلم من بلاده •

وتطوع قنصل انجلترا فى القاهرة، بنقل شكوى حاكم زنجبار مشفوعة بلون من التهديد وأن انجلترا تنظر اليها بعين العطف وتطلب وقف أى نشاط على حدود السودان الجنوبى •

ولما لم يأبه أحد لهذه الشكوى المفتعلة دخلت انجلترا مع مصر فى مفاوضات ، اضطرت فيها انجلترا ـ

بعد عناء ــ الى الاعتراف بحدود السودان دولة واحدة متكاملة متماسكة وكان ذلك فى عام ١٨٧٧ م • وسارع ولاة الأمور فى مصر الى طبع مجموعات خرائط مفصلة كاملة للسودان ، ووزعت على الدول ذات الشأن فى العالم ، لتكون وثيقة ضمان وحدة الوطن السودانى •

**غوردون مرة ثانية :**

وكأن انجلترا أعيتها الحيل فى السودان ، فى قلب افريقية ، فنقلت مؤامراتها وجهودها الى رأس القارة الى مصر ، عسى أن تضرب السودان ( قلب افريقية ) اذا تم لها ضرب مصر ( رأس أفريقيا ) •

فنصبت شباك الديون والقروض ، وأوقعت فيها حكام مصر آنذاك وتدخلت فى شئونها وراحت تملى أوامرها فى كل شأن ، بما فى ذلك ادارة السودان •

فحين سلمت واعترفت بحدود السودان ووحدته ، استدارت من ناحية أخرى لتحطم وتفتت هذه الوحدة ، وفرضت على مصر ( التى كانت قد خضعت لها ) تعيين غوردون حاكما عاما للسودان ( ياللسخرية مصر تحكم السودان والحاكم غوردون ) •

وجاءغوردون الذى طرد من قبل ــ لا مديرا للجنوب فحسب بل حاكما عاما ــ يحمل خطة واضحة لتحقيق ذات الأهداف القديمة :

× تفتيت السودان وعدم السماح لدولة بهذا الاتساع برفع هامتها فى قلب القارة •

× القضاء على الدين الاسلامى •

× محاصرة العنصر العربى فى السودان واضعاف شأنه وتحطيمه •

وفى سبيل تحقيق هذه الأهداف الخبيثة استخدم الأساليب الآتية :

( أ ) عزل جميع الموظفين النابهين ذوى السمعة الحسنة والسيرة النبيلة مصريين وسودانيين ولم يكن يطيق أى سودانى نابه يتفهم مشكلات بلاده ويعمل لاسعادها •

(ب) جاء بجيش من الموظفين المرتزقة ، من أوباش الأمم ، وكان شرطه الأول والأخير

فيمن يعمل معه أن يكون
عنصريا متعصبا للرجل
الأبيض .

(ج) عمل على تحطيم العقيدة
الدينية فى نفوس الشعب
فأوعز الى بعض رجاله
الأوربين فادعوا الاسلام ،
ولبسوا ملابس المشايخ
أصحاب الطرق ، وادعوا
التفقه فى الدين وأخذوا فى
افتاء الناس على هواهم .
وكان على رأس هؤلاء
الألمانى الذى تسمى باسم
الشيخ أمين وكان يوزع
البركات ويمنح العهود .

( د ) وأصدرغوردون أمراًأباح به
البغاء العلنى واستقدم جيشا
من العاهرات وأباح السكنى
لهن فى أى مكان ولو بجوار
المساجد والزوايا والمدارس .

(هـ) عمل على بعث الروح القبلية ،
بين أهل البلاد وراح يوقع
بين كل قبيلة وأخرى ،
وألزم كل سودانى أن يكتب
بجوار اسمه فى الأوراق
الرسمية كشهادة الميلاد
ونحوها ، اسم القبيلة التى
ينحدر منها ، حتى لا ينعم
أهل البلاد بالأخوة الكاملة .

( و ) عمل على فصل جنوب
السودان عن شماله . فقد
ظهرت صحيفة المكتشف
الايطالية فى تلك الفترة ،
وفيها على لسان أحد معاونى
غوردون الايطاليين :

« يجب أن نفصل تماما
البلاد السوداء ( بلاد
الزنوج) عن البلاد العربية ،
من السودان والتى يهيمن
عليها العرب ، وأن نجمع
تحت ادارة مستقلة واحدة ،
أراضى بحر الغزال ومديرية
خط الاستواء ، ذلك أن
العرب الموجودين فى
السودان ليسوا الا لصوصا
وشحاذين يجب ارجاعهم الى
بلادهم الأصلية »

(ى) عمل على التخلص من الزعيم
السودانى الخطير الزبير
رحمت باشا فرفض رجوعه
الى السودان .وظن غوردون
أن جهوده آتت ثمارها وأن

ما غرسه من شر قد آتي أكله فخلى منصبه وذهب ليستريح وهـو واثق من أنه حقـق أهدافه الاستعمارية الخبيثة .

ولـكن حالة البـلاد كانت كمـا صورها أحد علماء السودان فى رسالة الى أستاذه بالأزهر يقول فيها : « ... ان الحكومة ( التى يرأسها غوردون ) كأسد كاسر والأهالى كالأنعام الضالة لا راعى لها غير الأسـد . هـذه حالنا اليـوم ، وأنا أؤكد لك أن هـذه الأحـوال لن تدوم الا أياما قـلائل ، وسترى أن الأغنام ستنقلب الى ذئب وسيقودها أسد كاسر ، ويموت الأسد الظالم شر ميتة » .

وكأنما كان هذا العـالم يقرأ من كتاب مفتوح .

ثورة السودان :

٦ ـ ازاء ما حل بالبلاد من أعمال غوردون وافساده أخذت النفوس فى الغليان واضطرمت النـار فى القـلوب حتى فجرها ثورة عارمة محمد أحمد المهدى ( وليس بغريب أن تقـوم فى مصر حركة ممـاثلة فى نفس الوقت وعينـه هى حـركة عرابى ، وليس عجيبا أيضـا أنه كان بين الحركتين مراسلات سرية ، فقـد كان الغرض واحـدا والظروف التى أدت اليهمـا واحدة ، وهى عبث الاستعمار بمصالح السودانيين والمصريين معا ولسوء الحظ سـقطت ثورة عرابى مبكرة ووقعت مصر تماما فى يد الانجليز )

واستمرت الثـورة المهـدية تتفجر فى شتى أنحاء السودان ورفع لواءها فى الشرق أمير أمراء الشرق عثمـان دقنه ، وأخذت فى تطهير البـلاد من رجس الانجليز أو الكفار كما كانوا يطلقون عليهم وأبلى الشعب السودانى فى هذا المجـال بلاء حسـنا . جعـل الانجليز يتـأكدون أن المقـاومة مستحيلة .

وكـان من الطبيعى أن تخـرج انجلترا وتترك السودان لأهله ، ولكن انجلتـرا المعـروفة بالخبث والدهـاء دبرت أمرا : فاذا كان الخـروج لابد منـه فيجب أن تمـزق البـلاد أولا وتتركها شيعا وأحزابا ، ثم تنادى كل الدول المستعمرة لاقتسامها .

**غوردون مرة ثالثة :**

وتذكرت انجلترا داهيتهـا الخبيث فاستدعته للسـودان فورا بحجـة الاشراف على اخلاء السودان .

وجاءت تلك اللغة المسماة غوردون وأراد أن ينفث سمومه على النحو التالى :

• حاول الايقاع بين زعماء المهدية واثارة التنافس بينهم .

• حاول احياء الأسرات الحاكمة القديمة ودعاهم الى المطالبة بارثهم .

• بل أكثر من ذلك حاول ارجاع الزبير رحمت باشا ظانا أنه سينافس زعماء الثورة .

ولكن البلاد كانت قد تحصنت ضد هذه السموم فباء بالفشل وعز عليه ذلك ، فبدلا من أن يجمع فلول جيشه ويخرج غير وجهته وركب رأسه وأعلن القتال ،وطلب الامدادات وكأن الله أراد بعدله أن يمزقه السودان ، جزاء على محاولته تمزيق السودان ، وقتل شر قتلة ، كما تنبأ بذلك العالم السودانى فى رسالته الى أستاذه بالأزهر .

واذا كان غوردون قد فشل فى بذر الفتن وتفتيت وحدة الشعب السودانى الثائر ، فقد بقى لانجلترا الشطر الآخر من مؤامرتها ، فأعلنت بعد سحب فلولها أن السودان أرض خالية لمن يشاء ( كان العرف الاستعمارى يسمح بالتهام أى بلاد توصف بهذا الوصف ) وظنت أن حلمها القديم فى القضاء على أكبر دولة أفريقية قد تحقق ، ودخلت فى مفاوضات مع الدول المستعمرة من أجل توزيع السودان ، وكان من نتائج ذلك ما يلى :

• أخذت ايطاليا ( بيلول ) شمال خليج ( عصب ) والمنطقة الساحلية قرب ( مصوع ) والجزء الذى يعرف الآن باسم ( اريتريا ) كما سمحت لها انجلترا بأخذ ( كسلا ) ولولا استبسال السودانين فى الدفاع عنها لوضعت ايطاليا يدها عليها .

• وأخذت الحبشة مدينة (هرر) والمنطقة المحيطة بها .

انتزعت انجلترا الجهات المطلة على بحيرة فكتوريا ووضعت فيها أساس مستعمرة أوغندا ، وجعلتها كنواة أو مركز لمستعمراتها فى أفريقيا .

أخذت بلجيكا القسم السودانى من مديرية بحر الغزال غرب خط ثلاثين .

أما فرنسا فلم ترض بنصيبها واختلفت مع انجلترا وغضبت ، واتفقت مع الحبشة على اقتسام كل الأجزاء الباقية من السودان فيما بينهما

على أن تدخل جيوش فرنسا من غرب السودان وتقابلها جيوش الحبشة من الشرق ، ودخلت فعلا جيوش فرنسا حتى وصلت ( فشودة ) ورفعت عليه العلم الفرنسى .

**الانجليز مرة ثانية :**

٧ ـ خافت بريطانيا من فرنسا والحبشة على نصيبها من السودان ( وهى التى توزع الأسلاب ) فعمدت كدأبها الى حيلة ماكرة خبيثة وقالت لانجلترا ( أى أن انجلترا قالت لانجلترا ) أعنى أن انجلترا أمرت ممثلها فى مصر ( وهو الحاكم الفعلى آنذاك ) أن يعود الى السودان وجاءت الجيوش بقيادة انجليزية وخطة انجليزية تستتر وراء العلم المصرى وراح القائد الانجليزى يقول: اخرجوا من السودان فأنا ممثل مصر ممثل الدولة العلية صاحبة الحق فى السودان .

وفعلا وأمام هذه الحجة خرجت فرنسا ، وأحبط الاتفاق بينها وبين الحبشة وعادت انجلترا الى السودان ، وبدأ ما سمى بالحكم الثنائى بناء على اتفاقية بين مصر وانجلترا ( بالاسم ) وفى الواقع ( بين انجلترا وانجلترا ) فقد كانت مصر فى قبضة الانجليز تماما فى ذلك الحين ، ويظهر ذلك جليا اذا ما علمت أن هذه الاتفاقية جاء فيها :

« . .. تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية فى السودان الى موظف واحد يلقب ( حاكم عموم السودان ) انجليزى الجنسية تختاره انجلترا وتعينه مصر . ( لك أن تضحك أو تبكى فهذا هو نص الاتفاقية ) الحاكم انجليزى ، يختاره الانجليز وتعينه مصر . أعجب آلة من آلات الحكم كما يقول المؤرخ السودانى مكى شبيكة .

أعطى هذا الحاكم سلطات ، لم يعرفها التاريخ لفرد واحد حتى ولا فى العصور المظلمة ، فقد كان المنشور الذى يصدره الحاكم العام له قوة القانون ، ومن حقه أن يبطل أو يسن أو يحور أى قانون ( المادة الرابعة من الاتفاقية ) .

**سياسة الحاكم الانجليزى :**

من الطبيعى أن يكون هدف الحاكم الجديد هو نفس هدف غوردون ،فلم تتحول انجلترا أبدا عن تلك الأهداف التى أسلفنا ذكرها ( حتى الآن ) .

أما وسائل الحاكم الجديد فكانت أيضا نفس الوسائل ، الا أنه زاد عليها ما هو أشد منها وأحكم ( حيث فضح الشعب وسائل غوردون وفهم خبثهـا ولؤمها ) ولذا عمد الحاكم العام الى سياسـة مسـتورة ملفوفة فى الحرير والديباج ، ومن ذلك أمثلة :

اختار جميع المديرين من الانجليز وأعطاهم سلطات لا حد لها .

جعل معظم الموظفـين من الانجليز وقصر عليهم الوظائف القيادية والهامة ذات الشأن .

اختار موظفيه على درجة عالية من التعليم ، وأهلوا تأهيلا خاصا لمـدة عام كامل فى لندن ثم فى الخرطوم ، حتى يحسنوا تنفيذ الجزء النفسى من الخطة المدبرة .

ومما يدل على الاعتماد على الموظفين الانجليز ، اعتمادا كاملا ، أن لجنـة السـودنة حـين قدمت تقـريرها عام ١٩٥٥ م ، جاء فيه ، أن عدد الوظائف التى كان يشغلها انجليز ١٠٦٩ فى مجالات الادارة والبوليس ، والدفاع ، والزراعة ، والغابات والثروة الحيوانية والجمارك ، والمالية ، والتعليم والمساحة الجيولوجية ... الخ .

بينما كانت الوظائف المصرية ١٥٣ وظيفة ، معظمها فى السكة الحـديد والصحة وليس من بينها وظيفة واحدة فى الادارة أو البـوليس أو الـدفاع أو الجمارك أو التجارة والصناعة .

**شمال وجنوب :**

رأت انجـلترا أن كل جهـود غوردون وجرائمه وكل مكر ودهاء سياسة الحاكم العام لم تحقق أهدافها فما زال السودانيون يتمسكون بالدين الاسلامى ، وما زال الاسلام ينتشر داخل الجنوب ، وما زال السودانيون — رغم كل المؤامرات والدسـائس — يشعرون بالوحدة التى تربطهم وتؤلف بينهم . فأرادت وقد انفردت بالسودان تمـاما أن تتخذ تدابـير أقسى وأعنف فأصدرت :

( قانون المناطق المقفولة ) .

وتعنى بذلك تحريم دخول بعض مناطق السـودان على السوادنيين من المناطق الأخرى[1] الا بتصريح خاص

---

(١) هى نفس سياسة التفرقة العنصرية المنتهجة فى جنوب افريقيا ، وقد وصل الأمر فيها الى تحريم الزواج بين أفراد قسم مع افراد قسم آخر.

من المدير ، يحدد فيه مدة الزيارة ومكانها . والغرض منها ، وحدد القانون هذه المناطق بما يلى :

١ – مديرية دارفور .

٢ – مديرية بحر الغزال .

٣ – مديرية منجلا .

٤ – السوباط ومركز بيور .

٥ – ما يقع بين مديريتى حلفا ودنقلا الى الغرب من مسافة ٣٠ ميلا من النهر .

٦ – جميع مديرية كردفان ( تقريبا ) .

٧ – جميع مديرية جبال النوبة ( تقريبا ) .

ومن النظرة الأولى لهذه المناطق ، نرى أنها تشمل جهات ذات طابعين مختلفين تمام الاختلاف .

( أ ) جهات الجنوب التى لم يتم نمو العروبة فيها .

(ب) جهات الغرب التى فيها العرب الأشداء وتأصل الاسلام فيها وعمت حضارته .

وقد يبدو هذا التباين غريبا لأول وهلة ولكن الغرض من ذلك هو قفل مناطق الجنوب لاعدادها على هوى المستعمرين . وقفل مناطق الغرب لتمنع أو تحاصر نور الحضارة العربية حتى لا يصل الى الجنوب ثم لتعوق نمو الشعب وتماسكه ، ولتبعث روح العصبية العمياء .

**فصل الجنوب :**

وفى ظل قانون المناطق المقفولة ، وتحت ستاره ، اتخذت الخطوات الزمنية لاتمام الفصل النهائى بين الشمال والجنوب .

١ – اقصاء الدين الاسلامى من الجنوب ، وازالة كل ما يذكر به فمن ذلك :

الغاء المحاكم الشرعية من الجنوب .

اخراج المسلمين وابعادهم عن الجنوب ، فأخرجت الجماعات المسلمة بالقوة ، ورحلوا الى دارفور وكسلا .

نقل السكان حديثى الاسلام من قراهم ومدنهم كما حدث فى ( كافيا كنجى ) وفى ( راجا ) وذلك بقصد ابعادهم عن المساجد وتركها للبوم والغربان .

عدم استخدام أى مسلم يؤدى شعائر دينية ويتحمس له فى أى عمل

بالجنوب ، ولذا كان الموظفون الذين يريدون العمل بالجنوب يخفون استمساكهم بشعائر دينهم ، كما كان الذين يريدون الرحيل من الجنوب يكفيهم أن يصلوا ركعة واحدة بحيث يراهم أحد الانجليز فينقلون فورا .

لم تعترف السلطات بالأسماء العربية التى تسمى بها الجنوبيون وأرغمتهم على اختيار أسماء أخرى تقدمها لهم الارساليات التبشيرية مثل : جون ووليام وأندرية .. وهكذا .

٢ ـ الفصل التام الحاسم بين الشماليين والجنوبيين ، فقررت عدم تجديد رخص التجار الشماليين .

محاربة اللغة العربية والقضاء عليها .

عدم استعمال لفظة شيخ أو سلطان لرؤساء القبائل حتى لا تحمل الى الأذهان أى صورة أو ذكرى للعروبة والاسلام .

كما منع أبناء الجنوب من الخروج الى الشمال ، ومن يخرج يتعرض للعقوبة .

٣ ـ بذل المستعمر كل جهده لخلق مجتمع فى الجنوب غير مشاكل أو مشابه لمجتمع الشمال .

ولذا حرم استيراد الملابس التى يلبسها أهل الشمال ( العباءة ) أو الجلابية ) وان أريد ملابس فليكن القميص والشورت .

ابتكر نظاما اداريا وطريقة فى الحكم تغاير تماما نظام وطريقة الحكم فى الشمال .

عمل على نشر اللغات القبلية .

حاول تعليم اللغة الانجليزية لتكون لغة التفاهم .

٤ ـ عمل على اشاعة روح الذعر والخوف فى نفوس الجنوبيين من اخوانهم الشماليين .

٥ ـ استخدام قانون المناطق المقفولة فى وقف عملية التطور فى الجنوب ليظلوا فى حاجة الى من يرعاهم .

٦ ـ استخدم الارساليات التبشيرية كوسيلة لتعميق الفصل بين الجنوب والشمال .

وامعانا فى التفتيت كانت هذه الارساليات من جنسيات مختلفة ومذاهب مختلفة ولكل منها منطقة نفوذ خاصة ورسالة سياسية معينة حتى يتفكك الجنوب نفسه . وحالت هذه الارساليات بين ملك أوغندا والاسلام لادخال ( الدين الأوربى ) كما سماه غوردون .

ومما يدل على وعى هذه الارساليات بحقيقة الدور الذى أريد منها ، حرصها على عدم الاتصال بين الشمال والجنوب ، أى اتصال ، فقد فزعت حين تم شق الطريق فى منطقة السدود وأريد تسيير بواخر بين الشمال والجنوب ، وقدمت تقريرا جاء فيه :

« ليس من الحصافة تجاهل خطر اتصال الجنوب بالشمال ، عبر الممر المائى فى منطقة السدود ، ويجب غلق هذا الباب ، لأن طلبة الجنوب الذين ينتهون من تعليمهم سوف يذهبون الى كلية غوردون بالخرطوم حيث تسود الديانة الاسلامية » •

ومن العجيب أن الادارة استجابت لهذا التقرير وأوقفت الاتصال بين الشمال والجنوب • وكان المبشرون يرسلون من يرغبون فى اتمام تعليمهم الى كلية ( مكريرى ) بأوغندا مركز الاستعمار الانجليزى فى ذلك الوقت، حتى لا يرى الشمال ، والخرطوم عاصمة بلاده •

كانت هذه الارساليات تعيش فى بذخ وترف لا حد له رغم أن الحكومة كانت تتحمل ٩٨٪ من نفقاتها وهى تزعم أنها تساهم فى نشر التعليم خدمه للانسانية •

ومما يزيد التأكيد والبيان بهدف التبشير فى الجنوب أن أحد الأفراد الذين أرسلهم غوردون الى ملك أوغندا ١٨٧٣ قتل وهو عائد فى الطريق ووجد فى جيبه رسالة الى المسئولين فى لندن تطلب سرعة ارسال مبشرين ( لادخال هؤلاء الوثنيين فى النفوذ الانجليزى ) هكذا • ولعل هذه كانت أول صيحة لاستخدام النصرانية سلاحا فى يد الاستعمار •

٧ ـ كانت الطرق التى تشق بالجنوب تتجه الى أوغندا مركز الاستعمار البريطانى فى أفريقيا •

وقد يبدو للبعض أو يطوف بالذهن أن هذه التدابير ربما كانت مصادفة لا رابط بينها ، ولكن من يطلع على بيان الحاكم العام الذى أصدره عام ١٩٣٠ م عن سياسته فى السودان نجده يذكر كل هذه التدابير بكل تفصيل •

**الهدف من تعويق تطور الجنوب :**

ان انجلترا قد صرحت بهذا الهدف بكل جرأة لا تحسد عليها أمام مجلس الأمن عند نظر شكوى مصر ،

وتنـديدها باجراءات انجلتـرا فى الجنوب فقال المنـدوب الانجليزى : ان ضم الجنوب لسائر جهات أفريقيا ، أى مستعمرات بريطانيا قد تدرسه هيئة دولية فيما بعد . اذ ربما كان فى ذلك فائدة لهذه المناطق .

كما رأينا فى تصريحهم بشأن فصل الجنوب فى تقرير جماعة (الفابيان) التى تمثل فلاسفة حرب العمال : ان كل الادعاءات تتضاءل أمام الاعتبارات التى تحتم فصل جنوب السـودان عن منطقة العرب فى الشمال لأنه ينتسب الى قارة أفريقية .

وتكشف انجلترا النقاب عن هدفها من فصـل الجنـوب وتعويقه حين يطالب المفاوض المصرى عام ١٩٥٠ باعطاء السـودان حق تقرير المصير فيقول المفاوض الانجليزى : «ان سحب جيشنا من السـودان أمر غير عملى ، لأن انجلترا مسئولة عن شعب السودان وعن ٢٫٥ مليـون من الوثنيين فى الجنوب محتاجين الى الحماية الانجليزية من أهل الشمال الذين يتكلمون اللغة العربية » .

أى ليبق السـودان متأخرا ، حتى يكون فى حاجة الى رعايتنا ، فاذا انضج فليبق الجنوب خائفا من الشـمال حتى نبقى لطمأنته والمحافظة عليه .

وانظر هنـا العنصرية والطـائفية الدينيـة التى تذكى انجلتـرا أوراها وتتمسـك بها وتدعو اليها فى القرن العشرين .

بعد كل هذه الجهـود الدائبة ماذا كانت النتيجـة ؟ هل تحققت أحقـاد المستعمر وأطماعه ؟؟ ليسمح القارىء أن أقدم اليه بعض الحقائق والنتائج :

١ ـ أعلن الجنوبيون فى المؤتمـر الذى اضـطرت انجلترا الى عقده فى جوبا عام ١٩٤٧ م أنهم لا يريدون الا الاندماج فى الوطن الأم ، مع اخوانهم الشماليين .

٢ ـ فشلت كل الارساليات التبشيرية فى نشر أغراضها ـ لسوء قصدها ـ فما زالت الأغلبيـة وثنية وكل الذين تبعوا هذه الارساليـات عـددهم ١٨٠ ألفا من ٢٫٥ مليون .

٣ ـ مازلت قبائل الجنوب تتفـاهم فيما بينها باللغة العربية باللهجة المعروفة بلهجة جوبا .

٤ ـ اضـطرت انجلترا للتسـليم بوحدة السـودان فى اتفاقية ١٩٥٣ م

وخرجت صاغرة تمارس ألاعيبها مع الخونة والمرتزقة من خلف الستار •

٥ ـ فى سنة ١٩٦٥ م عقد الجنوبيون مؤتمرا فى الخرطوم لم يجدوا وسيلة للتفاهم غير اللغة العربية •

٦ ـ هناك حزب قوى من أبناء الجنوب ينادى بضرب الخونة والمتمردين والمحافظة على وحدة التراب السودانى •

٧ ـ من تصريحات المسئولين يظهر بوضوح أن المتمردين ليسوا الا حفنة ضئيلة من العلاء والمرتزقة •

ان شعب السودان يستحق التحية فى شماله وجنوبه اذ خرج بعد كل هذه التدابير واثقا بنفسه مؤمنا بوحدته وكانت اذاعته تسمى المتمردين (ثوارا) وسحقا لهم ! •

ما الجنوب :

ولعل من المناسب قبل أن أختم مقالى أن أقدم بعض الحقائق السريعة الموجزة عن الجنوب :

تبلغ مساحته حوالى ٢٥٪ من مساحة السودان •

يبلغ عدد سكانه ٢٥٪ من مجموع السكان •

ينقسم اداريا الى ثلاث مديريات : بحر الغزال وعاصمتها ( واو ) والاستوائية وعاصمتها ( جوبا ) وأعالى النيل وعاصمتها ( ملكال ) •

ينقسم سكان الجنوب الى ثلاث مجموعات رئيسية : القبائل النيلية ـ القبائل النيلية الحامية ـ القبائل السودانية •

وأهم النيلية هى الشلك والدنكا والنوير وتكون هذه القبائل الثلاث أغلبية سكان الجنوب ، وتعتمد على الرعى والصيد وتقيم فى بحر الغزال وأعالى النيل •

وأهم القبائل النيلية الحامية :البارى والمندارى ، واللاتوكا ، والقوبوسا وهذه تعتمد على الأبقار فى حياتها •

وأما القبائل السودانية فمقرها الجنوب الغربى وأهم قبيلة فيها هى قبيلة الزاندى ،وهذه القبائل تعتمد على الزراعة حيث لا تسمح الطبيعة بالرعى وتربية الماشية ، لانتشار ذبابة التسى تسى •

يتكلم أهل الجنوب حوالى ٥٠ لهجة مختلفة من لهجات السودان البالغ عددها ١١٠ لهجة ، ولكن لغة التفاهم

بينهم جميعـــا هى اللغة العربية ـ كما ذكرنا من قبل ـ باللهجة المعـــروفة بلهجة جوبا •

**وأخـــيرا :**

وقد رأينا كيف ؟ ومتى ؟ وأين ؟ ولحساب من غزلت ونسجت مشـكلة الجنوب ومن الذى غزلها ونســجها ، يحق لنا أن نسأل •

بأى وجه تتباكى دول الاستعمارعلى الجنوب والانسانية المعذبة ؟ ماذافعلت طوال حكمها الذى استمر ما يقرب من مائة سنة من ١٨٧٧ – ١٩٥٦م ؟أليست هذه هى تركتها وهذا هو ارثها •

أليس من الواجب على الأمم المتحدة أن تسجل على هؤلاء الانجليز ( رواد الحضـارة وسدنة الانسـانية ) كيف داسوا حقوق الانســـان بأقدامهم فى جنوب السودان وكذا فى شماله ؟ من لنا يسجل على هؤلاء المجرمين جرائمهم ؟

هؤلاء الذين يحتضـنون المتمردين ويتبـاكون على ما لحقهـم من ( ظلم وعسف واستبداد ) ( وتخلف على يد اخوانهم « الشماليين » •

حقا اذا لم تستح فأفعل ما شئت • أو قل ما شئت ؟

**عبد العظيم محمود الديب**

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزي

# أثر النظام القانوني في حياة الأمم

للأستاذ حسن حسب الله

— ٢ —

للنظام القانوني السائد في أي بلد أكبر الأثر في تقدم هذا البلد ، أو بل انك تستطيع أن تحكم على أحوال الناس في جميع نواحيها في أي عصر من العصور باستقراء القوانين السارية فيها ، وطريقة اصدارها وكيفية تنفيذها .

ومما يؤيد وجهة النظر هذه ماقدمه التاريخ لنا عن أحوال بعض الأمم ، فالباحث في تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام لا يرى فيها غير مجموعة محدودة من الأفراد لا وزن لها ولا تأثير في أي بقعة من بقاع العالم ، واذا ما بحثنا أحوال هذه الجماعة فاننا نجد مجتمعا قبليا يخضع فيه الضعيف للقوى ، ويسوده الثأر بأبشع صوره وتشيع فيه المنكرات والفواحش بصورها المتعددة من خمر وميسر وربا وزنى حتى بالمحارم ، وان نظرة واحدة لكيفية ثبوت الأنساب في ذلك الوقت لتعطى صورة واضحة عن النوعية الرديئة لذلك المجتمع فقدكان الزواج على أربعة أنحاء منها الزواج المعروف في الشريعة الاسلامية فيخطب الرجل ابنة الرجل ويتزوجها فلا تكون لأحد غيره ، ومنها أن الرجل كان يقول لامرأته اذا طهرت من الحيض اذهبي الى فلان فاستبضعي منه ( أي تحمل منه ) . ويعتزلها زوجها ولا يمسها حتى يبين حملها ، من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فاذا تبين حملها أصابها زوجها اذا أحب وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد . فكان هذا النكاح يسمى نكاح الاستبضاع ونكاح آخر يجتمع الرهط دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم فيصيبونها فاذا حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول : قد عرفتم الذى كان من أمركم فقد ولدت وهو ابنك يا فلان

فتسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل ونكاح رابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها وهن البغايا ينصبن على أبوابهن الرايات وتكون علما فمن أرادهن دخل عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت جمعوا لها ودعوا لها الخبراء فى الأنساب ( القافة ) فيلحقون ولدها بالذى يرون فيصبح ابنه ولا يستطيع انكار أبوته له حتى جاءت الشريعة الاسلامية فأقرت الزواج الأول وحده وأحصنت به الفروج وحمت الأنساب وحرم فيه تعدد أزواج المرأة وألغت ما يخالفه من أنظمة • كل ذلك يوضح أى نوع من أنواع المجتمعات كان المجتمع الجاهلى فى الجزيرة العربية ••• •••

فاذا ما أنعم الله على سكان هذه الجزيرة بنعمة الاسلام فاننا نجد تبديلا مذهلا فيما أصبحوا عليه فى سنين محدودة فهؤلاء الناس أنفسهم دانت لهم شعوب أكبر دولتين اقتسمتا العالم المتمدين فى ذلك الوقت وهى الشعوب التى كانت تخضع لامبراطوريتى الفرس والروم وسعدت هذه البلاد بحكم لا مثيل له فى تحقيق العدالة والكرامة الانسانية والرخاء الاقتصادى لكل من عاش فى أرضها من مسلمين وغير مسلمين ، ولم يكن ذلك الا نتيجة التطبيق السليم لأحكام الشريعة الاسلامية فلما انصرف المسلمون عن الالتزام بأحكامها خضعوا واستكانوا واستسلموا لمن كانوا دونهم فى كل شيء •

ومثل آخر نسوقه من واقع تاريخنا المعاصر فكلنا يعلم الظروف التى قامت فيها ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر وما حققته فى أول الأمر من انتصارات رائعة ثم ما تعرضت له البلاد بعد ذلك من مخاطر بلغت قمتها فى نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ ومرد ذلك جميعه فى نظرنا هو النظام القانونى الذى ساد فى مصر فى هذه الفترة فأشاع الاضطراب وسمح لبعض من لا يتمتعون بالكفاية اللازمة لشغل مناصب معينة أن يشغلوا هذه المناصب على خطرها وشدة تأثيرها فى حياة البلاد ولنضرب لذلك مثلا القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ فقد جعل لرئيس الجمهورية حق القبض على الأشخاص وايداعهم فى المكان الذى يحدده وفرض الحراسة على أموالهم

مع عدم جـواز الطعـن بأى وجه من الوجوه أمام أية جهة كانت فى قراراته فكان أى انسان فى مصر لا يأمن على نفسـه ولا عـلى ماله ، لأنه معـرض للاعتقـال فى غير سـجن تكفـل فيه الحدود الدنيا لمعـاملة الانسـان كما تقضى بذلك قوانين ولوائح السجون ، وكان مهـددا بفرض الحراسـة على أمواله فيصبح بين يوم وليلة غير مالك لقوت يومه ولا لدواء مرضه بعـد أن كان عـزيزا بين أهلـه وكل ذلك بمجـرد قـرار يصـدر من رئيس الجمهورية دون أن تتـاح له فرصة الدفاع عن نفسه أو معـرفة أسباب ما اتخذ حياله من اجراءات فاذا ماعرفنا أن رئيس الجمهورية مهما يكن عادلا فانه لا يمكنـه التحقق بنفسـه ممـا يعرض عليه من طلبات للاعتقـال أو فرض الحراسـة وأن اختيـاره للمختصين فى ذلك لا يخضع لمعايير معروفة تجعل الناس يطمئنون الى عدم انحرافهم أدركنا مدى الخطـر الذى أحدق بكافة أفراد هذا الشعب وذلك ما حدا برئيس الجمهـورية السيد محمد أنور السادات الى القيام بثورة التصحيح لعـلاج ما وقع ويقـع من أخطاء • ولضمان سيادة القانون بمعناه السليم العادل •

ان للنظام القانونى السـائد فى أمة من الأمم أهميتـه وأثره العظيـم فى تكوينهـا وتحديد نوعيتها وتطورها السياسى والاجتمـاعى والاقتصـادى وتقدمها أو تخلفهـا بالنسبة لغيرها من الأمم •

والمتتبع لنشأة النظم القـانونية يجد أنها قد تطورت عبر العصور والأجيال وأنهـا قد تغيرت عدة مرات تبعـا للظروف الجغـرافية والاقتصـادية وسلطة الحكم وهذه الأنظمة قد تكون وليدة الحوار الديمقـراطى ، لأفراد الأمة وقد تكون وليـدة أفكار أفراد محدودين وقد تكون وليـدة فـكر دكتاتور واحد وقد تكون هذه الأنظمة متأثرة باحـدى الشرائع الالهية تأثرا كاملا أو محدودا وقد لا تكون متأثرة بأية شريعة الهية على الاطلاق •

ونظرا لمـا سـبق أن أوضحناه من تأثير النظام القانونى فى حيـاة الأمم وتقدمها •

ونظرا لأنه لا يمكن لأحد فى هذا الزمان أن ينكر ما وصل اليه المجتمع الانجليزى وما وصل اليه المجتمـع الأمريكى من تقـدم فى الكثير من نواحى الحياة •

لذلك رأينا اجراء هذه الدراسة المقارنة بين أحكام الشريعة الاسلامية والقانون الانجليزى وهو الأصل التاريخى للنظام القانونى الأمريكى ( النظام السائد فى الولايات المتحدة الأمريكية ) وسنعرض لكل من النظامين القانونيين الاسلامى والانجليزى من نواح ثلاث :

الأولى : سلطة التشريع •

والثانية : أحكامه الموضوعية •

والثالثة :كيفية مراقبة سلامة تطبيق هذه الأحكام بمعرفة القضاء •

والى اللقاء ان شاء الله ؟

**حسن حسب الله**

# أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة

تأليف : الأستاذ الدكتور أحمد مكي الأنصاري
عرض ونقد : للدكتور أحمد علم الدين الجندي

( ٢ )

وكان الباب الثاني في مذهبه في النحو واللغة ، أما الفصل الأول منه فكان عن مذهبه النحوي ، وفيه يرى الدارس - بعد أن قطع شوطا كبيرا في بحثه - أن الفراء كوفي ، ينتهج مذهبهم ، ويسير على شريعتهم ، ولكن الحقائق لفتته بعنف ، فغير طريقه في البحث ازاء هذه اللفتة ، وهدى أخيرا في هدوء واطمئنان الى أن الفراء هو المؤسس الحقيقي للمدرسة البغدادية .

وسلك الباحث طريقه يشق الظلام الحالك ، والغبار الكثيف ، لأن مارآه يخالف الارث القديم وما اجتمع عليه السالفون والخالفون ، وفي الطريق الى غايته دلف الى الحديث عن المدارس النحوية واختلاف القدماء والمحدثين : من العرب والمستشرقين حولها ، ومن الذي أسسها ، ومال الدارس الى وجود هذه المدارس ، وفرق بين المدرستين : البصرية والكوفية ، فالأولى تعتمد على العقل أكثر من النقل ، كما اعتمدت الثانية على الرواية ، وتأثرت الأولى بمنهج الفلاسفة والمتكلمين ، والثانية متأثرة بمذهب الفراء والمحدثين ، وأن البصريين يختارون من المسموع مايتفق وأصولهم ويهدرون ماعداه ، والكوفيون يحترمون كل ما سمع ، ولوكان من أعرابية رعناء .البصريون يؤولون ويقدرون ، بخلاف الكوفيين .

البصريون قياسيون منطقيون مقننون ، فاذا لم يطرد لهم هـذا القياس خطأوا العـرب في لغتهـم ، وليس هذا دأب الكوفيين •

أما المدرسة البغدادية فقد امتزجت فيهـا خصـائص المذهبين البصرى والكـوفى • وتتبـع الدارس تدرج المدرسة البغدادية باحثـا عن جذورها الأولى ، حتى التقى بها عند عيسى بن عمر الثقفى (ت ١٤٩ هـ) ثم أبى زيد الأنصـارى ( ت ٢١٥ هـ ) حيث كان يأخذ عن الكوفيين ، ثم يونس بن حبيب ( ت١٨٢هـ ) وكان لهقياس فى النحو ومذاهب يتفرد بهـا مخالفـا الكوفيين والبصريين ، ثم الأخفش الأوسـط سـعيد بن مسـعدة ( ت ٢١٥ هـ ) وعليـه ظهـرت ملامح جديدة حيث وافق الكوفيين وخالف البصريين ، ثم خالفهم معا فى مسـائل شتى ، وهنـا نحس ظهـور مدرسـة جديدة بدأت تتفتح قليلا قليلا حتى اشتد سـاعدها واكتملت شـخصيتها عنـد الفراء ، نتيجة التقاء المذهبين البصرى والكوفى حتى كونا عنصرا فريدا ، وطريقـا جديدا ، ونهجـا خاصـا متميزا ــ هو المذهب البغدادى •

ثم لفتنا الباحث فى شجاعة الى أنه ليس أول من تنبه الى هذه النظرية ، بل تنبه لها بعض العلماء فى القديم : كأبى الطيب اللغـوى ( ت ٣٥١ هـ ) فى مراتب النحويين (١) ، والزبيـدى ( ت ٣٧٩ هـ ) فى طبقـات النحويين واللغـويين (٢) ، وفى الحـديث : كالأستاذ ابراهيم مصطفى عضو المجمع اللغوى حيث قال : « ان الفراء قطع على المدرسة الكوفية سيرها فى طريق الرواية والنقـل ، وأحدث ثورة فى المنهج نفسه ، حيث اعتمد على القياس اعتمادا كبيرا الى جانب اعتمـاده على الرواية » والمستشرق الألمانى فايل G. Wel حيث قال : « ولمـا كان النحو أقوى خصـائص الفراء ، فقـد اتخذ مذهبا خالف به معاصريه ، بل خالف الكسـائى نفسـه كذلك (٣) » الا أن هؤلاء جميعا باستثناء الأستاذ ابراهيـم

(١) ص ٨٨ نهضة مصر .
(٢) ص ١٤٣ ط اولى .
(٣) مقدمة الانصاف : ترجمة د . عبد الحليم النجار .

مصطفى لم يتنبهوا الى حقيقة هذه النظرية ولم يتتبعوها فى نشأتها وتاريخها وفى الاحتجاج لها •

وبعد أن أفاض الباحث فيما سبق ، ومنحه فضلا من البيان مضى الى البرهنة على أن الفراء هو المؤسس الحقيقى للمدرسة البغدادية ، ولئن كان على حق فى ذلك ، الا أنه تخيل أنه يضع ( نظرية ) وأشار الى أنها « نظرية » فى أكثر من مكان من بحثه (١) • بل وسمها كثيرا بأنها « نظرية علمية » (٢) وألح فى ذلك الحاحا شديدا •

ونحن نعلم أن النظريات لا توضع بمثل هذه السهولة ، اذ النظرية لابد أن تمتاز : بالأصالة ، والأساس التجريبى ، وقابليتها للتطبيق ، وهذا الموضوع الذى نحن بصدده ، لا يتوفر فيه ما سبق ، لاعتماده على الذوق ، الذى يقوم على البيئة والوراثة ، وما يطرأ من ثقافات ، فلا يصح أن نجزم بقيام « نظرية علمية » فيما نحن بسبيله ، لأن المقاييس والأحكام تتغير وتختلف ، ولكل زاوية ينظر منها ، فتختلف أحكامه تبعا لذلك ، ولكننا لا ننكر هذه النظريات فى العلوم التجريبية ، لقيامها على وطائد قوية من المقدمات والبراهين والنتائج ، ولهذا أرى أن يؤخذ ما وصل اليه الباحث فى هذا على أنه « وجهة نظر » أو « رأى » •

## عوامل تأثر الفراء بالمذهب البصرى •

ثم نبه الكاتب الى عوامل تأثر الفراء بالمذهب البصرى •

أما مظاهر النزعة الكوفية عنده ، فهى مسلم بها من العلماء والأئمة •

وليس معنى ما تقدم أن الفراء لا شخصية له ، ينقل من البصريين والكوفيين على السواء ، بل كان ينتفع بالمذهبين ، فأخذ من البصريين التقنين ، ومن الكوفيين التفكير الحر ، واستهداء الحس اللغوى ، ثم مزج هذا بذاك ، ليختط لنفسه طريقا جديدة ، وموقعا يثب منه الى تأسيس

(١) انظر رسالة الباحث : ص ٣٥٢ ، ٣٦٩ ، ٣٩٦

(٢) انظر رسالة الباحث : ص ٣٩٧ ، ٥١١

مذهب متميز ، ومدرسة مستقلة ، وكان من أهم مظاهر استقلاله :

١ ـ أنه ابتكر وضع الأصول كلبنة فى تأسيس المذهب البغدادى •

٢ ـ كما فسر الظواهر تفسيرا جديدا ، وله آراء أيدها البحث الحديث ، وسبق معاصريه اليها •

ومحصلة هذا أن مذهب الفراء الجديد قام على التحرر أولا حيث لم يتقيد بمذهب بصرى أو كوفى ، فهو لا يبالى أن يتفق رأيه مع هذا أو ذاك وانما كان مذهبه النحوى صورة من شخصيته ، متفقا مع تفكيره وتكوينه الداخلى ، حيث كان الاعتدال والتوسط فى خلقه وعقيدته ومذاهبه ـ هو الدعامة الأولى التى أقام عليها بناء مذهبه الجديد المرتكز على الحرية العقلية والفكرية والعقدية ، ثم أضاف الى كل هذا خصائصه المنهجية ، ومصطلحاته النحوية ، فكان المؤسس الحقيقى للمذهب البغدادى المتحرر من قيود العصبية المذهبية ، والمعتدل بين الجانبين المتطرفين من البصريين والكوفيين •

**أثر الفراء فى تيسير النحو :**

كما أثبت الباحث أن الفراء ( ت ٢٠٧ هـ ) سبق ابن مضاء القرطبى ( ت ٥٩٢ هـ ) الى الغاء نظرية العامل وقد استخرج الدارس طائفة من كتاب (الرد على النحاة) لابن مضاء القرطبى وقارنها بما يماثلها من آراء الفراء ، الا أن قلم الباحث أسرع به فى شىء من الاغلاظ والعنف ، فوصف قاضى القضاة ابن مضاء بأنه متلبس (بسرقة) رأى الفراء حينا ، و ( بالاختلاس ) حينا آخر ، كما رمى قبل ذلك شيخ المفسرين الامام الطبرى ( بالسرقة ) من آراء الفراء فى أكثر من مكان [1]، واتهم أبا العباس ثعلب ( بالسطو والاعتداء ) على كتاب البهاء للفراء •

أما الفصل الثانى فكان عن مذهب الفراء فى اللغة ، وقد أكد الباحث أن الفراء لما كان معتدلا فى مناهجه النحوية ، ومذاهبه العقدية : كالاعتزال والتشيع ، والسلفية والتحرر ، فانه كذلك فى منهجه اللغوى ، ثم عرض الكاتب ما أفاده الفراء من الجانب التطبيقى فى نزعته البصرية اللغوية •

---

(١) انظر رسالة الباحث ص ٣٢١ ، ٥١٦

ومن مظاهر استقلاله فى مذهبه اللغوى :

أولا : اختلافه مع اللغويين من المدرستين جميعا حيث كان يرى المثل الأعلى للغة النموذجية فى لغة القرآن الكريم ، بينما ذهبوا يلتمسونه فى لغة عرب البادية .

ثانيا : وكان مجددا فى تفسير الظواهر اللغوية ، وآية ذلك قول فايل : كان الفراء « يشرح جملة الظواهر اللغوية برمتها على وجه يخالف ما ذهب اليه الخليل وسيبويه » (١) .

كما كان يذهب مذهبا وسطا فى اللغة ، فكان سلفيا متحررا ، يأخذ من كل مذهب بطرف يتفق مع شخصيته الرائدة ، ويظهر ذلك فى :

١ ـ أنه أجاز (القلب) فى القرآن واعتبره لونا من المجاز ، وقد كان اللغويون من أهل السنة يرفضون القلب فى القرآن ، وعلى رأسهم ابن قتيبة .

٢ ـ كما أجاز ( الزيادة ) (٢) فى القرآن الكريم ، متحررا من مذهب الذين يرفضون الزيادة فى القرآن . ثم يركبون مركبا صعبا فى تخريج الآيات ، ومن هؤلاء المبرد والطبرى .

٣ ـ واتفق مع أهل السنة فى الاعتماد على الرواية والاجماع ، وقد كان اللغويون من المعتزلة لا يعتمدون عليهما .

**جهود الفراء فى الميدان اللغوى :**

ثم أشاد الباحث بما للفراء من أثر واضح فى الميدان اللغوى ، وقد ظهر مجهوده فى :

أولا : لحظ القوانين الصوتية عند العرب ، كقانون تأثير الحرف فى الحرف ، وقانون التعاقب اذا تقارب المخرجان ، وقد شارك فى هذه الدراسات الصوتية مشاركة قيمة .

ثانيا : لمح كثرة الاستعمال، وأثرها فى تطوير اللغة ، ويظهر أثرها فى :

( أ ) حذف بعض حروف الكلمة .

(ب) تجعل الكلمتين كالكلمة الواحدة .

(ج) تحول الكلمة من معناها الأصلى الى آخر طرأ عليها من كثرة الاستعمال .

---

(١) انظر رسالة الباحث : ص ٤٦٣

(٢) انظر معانى القرآن : ٣٧٤ حيث فسر قوله تعالى : « ما منعك ألا تسجد » فقال : « المعنى ـ والله أعلم ـ ما منعك أن تسجد ... » وتكون « لا » صلة .

( د ) وتقلب الشيء الى ضده ، وكلها تضيف روافد الى متن اللغة ثراء واتساعا في اللفظ والمعنى •

الا أننا نلحظ في ثنايا الدراسة اللغوية السابقة أن الباحث لا يحقق الأشعار مطلقا بالرجوع الى مصادرها الأصيلة كديوان الشاعر نفسه ، خذ مثلا حديث المؤلف عن بيت رواه الفراء وهو قول الفرزدق :

ولكن رأيت السهم أهون فوقه
عليك فقد أودى دم أنت طالبه

وقد عقب ابن منظور على الشاهد السابق بقوله : «قال الفراء : هكذا أنشدنيه المفضل ، ( فجاء بكلمة ( فوق ) مذكرة مضافة الى ضمير السهم ) وقال : اياك وهؤلاء الذين يروونه ( فوقة ) بالتاء » (١) ، ثم عقب الدارس على ذلك ، وخلص الى أن الفراء رواه بالتاء ، ونسبه الى الأسدي ، كما رواه بدونها ونسبه الى المفضل ، فهو يعتمد الروايتين معا • وكان على المؤلف أن يرجع الى ديوان الشاعر نفسه ليحسم الخلاف في الرواية ، وهو في ديوان الفرزدق ٤٨/١ ط الصاوى ، والرواية فيه ( فوقة ) بالتاء لكن البحث في مصادره خلا من ذكر أي ديوان من دواوين الشعراء •

كذلك لم يتعرض المؤلف لمنهج الفراء في ايراد لهجات القبائل العربية في آثاره التي درسها ، وكيف كان يوردها ويحكم عليها ، ويسوقها موصولة السند ، ولو قد تم احصاؤها في تراثه لعرفنا أي القبائل عزا اليها مكثرا ومقلا ، قبائل شرق الجزيرة أم غربها ، وشمالها أم جنوبها ، ولهذا الاحصاء أهميته ، لأنه يكشف لنا أولا : عن معالم كتابيه المفقودين حتى الآن ، وهما : ( لغات القرآن ) و ( اللغات ) ذلك الذي يعتبر أما في توثيقه للهجات القبائل العربية ، ولأنه ثانيا : يسد ثغرة في تاريخ الجانب اللغوى القرآني ، وبهذا كان يمكن أن تقوم دراسة لهجية قرآنية هادفة ، ودراسة اللهجات على هذا المستوى تعكس لنا ثقافات العصر وتقاليده ، كما أنها تحمل في بطونها كثيرا من تقاليد لغتنا الفصحى ، وهي بعد هذا كله جزء من اللغة والنحو ـ وهما عنوان الرسالة •

(١) اللسان : مادة ( فوق ) .

وأخيرا

•• لقد صاحب الدارس أبا زكريا الفـراء ، وعاش معه سـنين طويلة ، فتمثل شـخصيته حتى صـوره بشرا سـويا فى قدرة وعمـق ، واقنــاع واستيعاب ، ملتزما منهجية نموذجيـة أقامهـا على وطائد كثر من الأصـــالة والاحاطة ، والابداع والخلق ، فكانت دراســـة رائدة ، جديرة بالاقتـــداء والاعجاب ؟

دكتور : احمد الجندى

# العالم الإسلامى .. أرقام وإحصائيات

للأستاذ عبد الودود شلبى

منذ سنوات وأنا أتابع هذا الخلط والاضطراب فى كل ما ينشر عن العالم الاسلامى ...

بيانات متناقضة .. وأرقام متعارضة .. واحصائيات يهدم بعضها البعض ، وأقوال تتناقض فى التحليل والعرض .

كنت أتوقع أن تقوم هيئة علمية بالتصحيح . أو تتولى جامعة اسلامية مهمة البحث والتحقيق فلا هذه الهيئة قامت وصححت . ولا هذه الجامعة حققت وبحثت . وبقى التناقض والتعارض على صفحات الصحف وعلى أغلفة المجلات وفى ثنايا الكتب والمحاضرات .

بل اننى أذكر أنه حدث منذ سنوات خلت . أن احدى المؤسسات الاسلامية العالمية طبعت خريطة للعالم الاسلامى . فلم تجد مصدرا تعتمد عليه الا ما كتب فى الغرب . واعتمادا على ما يقوله المبشرون حتى أن الخريطة نقلت بأخطائها الى اللغة العربية وظهرت اسرائيل باسمها الكئيب مكان فلسطين . ولم ينتبه المترجم ولا المراجع ولا المشرف لهذا الخطأ الا بعد الفراغ من الطبع فألصقوا فوق الاسم المزور صورة باخرة وتداركوا الخطأ الفاحش برسم هذه السفينة العابرة ..!

ولقد شعرت بألم وأنا أطالع الصحف العربية التى صدرت فى أعقاب مؤتمر « لاهور » الاسلامى .. وكانت المرارة أليمة وأنا أطالع غلاف احدى المجلات وقد طبع عليه رقم يبين عدد المسلمين فى العالم .. وفى الداخل .. فى كلمة رئيس التحرير عنوان الكلمة نفسها كلام يناقض ما كتب على الغلاف . وكأن رئيس التحرير لم يقرأ ما كتبه المحرر . وكأن كل صفحة فى المجلة « مجلة مستقلة » عن الصفحات الأخرى ..

وفى الشهر الماضى أصدت احدى الصحف « ملفا » خاصا عن العالم الاسلامى • وما كدت أفتح هذا الملف حتى فوجئت بما يشبه الدوار •

فليس من المعقول أن يكتب هذا الكلام عن العالم الاسلامى •• ثم ان عدد المسلمين فى العالم كما حدد فى هذا الملف رقم قديم نشر قبل خمسين عاما • نشرته مجلة العالم الاسلامى التبشيرية التى تصدر باللغة الفرنسية فى باريس • ونشر كذلك فى كتاب ( الغارة على العالم الاسلامى ) الذى ظهرت طبعته الأولى قبل نصف قرن •

وأنا لا ألوم هذه الصحيفة أو تلك المجلة • فاذا كان المسلمون أنفسهم هم أجهل الناس بحقيقتهم •• أفيلام بعد ذلك محرر فى صحيفة أو كاتب فى مجلة •• ؟ واذا كانت المؤسسات الاسلامية والجامعات الاسلامية مهملة كل هذا الاهمال فيما يعتبر من أخص خصائصها • ومن أهم واجباتها فما الحيلة مع الآخرين الذين لا يعرفون •• واذا عرفوا شوهوا وزوروا وهم مطمئنون •• والحق يقال ان اخواننا الباكستانيين هم أول من حاول هذه المحاولة الجادة الصادقة •• فعلوا ذلك كأفراد وهيئات • وبين يدى الآن تقرير نشرته مجلة العالم الاسلامى the muslim world التى تصدر فى كراتشى عن عدد المسلمين فى العالم •

يقول هذا التقرير : ان المسلمين يمثلون أغلبية ساحقة فى الشعوب التالية :

أفغانستان • البانيا • الجزائر • البحرين • بنجالاديش • الكاميرون • افريقيا الوسطى • تشاد • مصر • الحبشة • غامبيا • غينيا • أندونيسيا • ايران • العراق • ساحل العاج • الأردن • الكويت • لبنان • ليبيا • ماليزيا • مالديف • مالى • موريتانيا • المغرب • النيجر • نيجيريا • عمان • باكستان • قطر • المملكة العربية السعودية • السنغال • سيراليون • الصومال • اليمن الجنوبية • اليمن الشمالية • السودان • سوريا •

تنزانيا • توجو • تونس • تركيا • دولة الامارات العربية المتحدة • فولتا العليا • ملاوى • جزيرة رينيون • جزر القمر •

وقد جاء فى هذا التقرير أن عدد مجموع سكان هذه الأقطار هو ٦٥٨ مليونا ) أما عدد المسلمين فيها فيلغ ( ٥٧٣ ) بنسبة ٩٢ ٪

فاذا أضفنا الى هذا الرقم عدد المسلمين فى الهند وهو ٦٥ مليونا كما ذكرت ذلك السيدة « انديرا غاندى » بالاضافة الى ٣٠ مليونا فى الاتحاد السوفيتى كما تقول ذلك وكالة تاس وتوفوستى •

بالاضافة الى ٥٠ مليونا أخرى فى الصين الشعبية كما تقول التقارير الرسمية فان عدد المسلمين يرتفع بعد هذه النسبة الى ٧١٨ مليونا •• كما جاء فى التقارير الرسمية وشبه الرسمية وفوق ذلك •• فهناك بلاد أخرى كثيرة تتعادل فيها نسبة المسلمين مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى كما هو الحال فى كل من : أوغندا • كينيا • ليبريا • غانا • موزمبيق • ملاجاش • رواندى •

كما أن هناك أقليات اسلامية منتشرة فى بلدان كثيرة فى افريقيا وآسيا • وأوربا وأمريكا واستراليا • فى الفليبين • وبورما • وتايلاند • وسيرالانكا • ويوغوسلافيا •وزامبيا • والكونغو • وجزر البحر الكاريبى • وجزر البحر الأبيض • قبرص • ورودس • ومالطه • وفى أكثر من عشرين بلدا أخرى •

ان فرنسا الآن فيها أكثر من مليون مسلم • وفى بريطانيا مليون ، وفى المانيا نصف مليون • وفى أمريكا الشمالية والجنوبية أكثر من خمسة ملايين مسلم •

ان مجموع هذه الأقليات المتفرقة فى أكثر من خمسين بلدا وقطرا لا تقل عن ٧٠ مليونا بأى حال من الأحوال •• وأقل رقم يمكن أن يوضع أمام مجموع المسلمين فى العالم لا ينبغى أن يقل عن الثمانمائة مع كثير من التسامح •

لقد وقف الرئيس الأوغندى عيدى أمين فى مؤتمر القمة الاسلامى الأخير قائلا :

ان هناك شـعوبا أفريقية أغلبيتها مسلمة لم تمثــل فى هذا المؤتمــر لظروف خارجة عن ارادتهـا •• ولم يوافق المؤتمــر على الاقتراح الذى تقدم به الرئيس عيدى أمين لأن ذلك سيزلزل كثيرا من الرؤساء والحكومات فى افريقيـــا • والظروف الحـالية تستلزم المجاملة التى يتقن المسـلمون أساليبها ••!

ان الاسلام رغم الحملات الشرسة الضـارية ينتشر فى كل مكان ينتشر ذاتيا دون مساعدة حتى من المسـلمين أنفسهم • والظواهر كلها تشير الى أن الاسلام يشق طريقه الى ضمير العالم ووجدانه • وما لم نحسن العمــــل والتخطيط فان الفرصة ستفلت • ومن يدرى لعل هذا القرن لا ينتهى قبـل انعقاد مؤتمر قمة اسلامى فى كل من بون ولنـدن • وبروكســل كما تنبأ بذلك المفكر البريطانى برنارد شو ؟!•

**عبد الودود شلبى**

---

# كلمات شاع خطأً استعمالها

للأستاذ عباس ابو السعود

— ٣ —

١٤ — ويقولون للأعمى : كفيف ، ويجمعونه على أكفــاء ، كخليـــل وأخلاء ، وهذا وهم بين ، والصـواب أن يقـال له : مكفوف ، تقـول كف بصره بالبناء للمفعـول فهو مكفـوف البصر ، وهم مكافيف ، كما يقال هو مملوك وهم مماليك .

فان قلت لمـاذا لا يكـون كفيـف بمعنى مكفـوف كجريح، وقتيـل ، وســجين ؟ قلت مجيء فعيـل بمعنى مفعول كثير في كلام العرب ، ولكنه عـلى كثـرته لم يقس ولم يطـــرد بالاجماع ، وانما يعتمد فيه على النقل والسماع ، وهذا مما لم ينقـــل ولم يســمع ، ارجع في ذلك الى شرح الأشـموني في نهـاية الجزء الثـاني ص ٢٣٦ تجد فيه مصداقا لمـا قلنا .

ويقـــال للأعمى أيضا ضرير بين الضرارة ، أي ذاهب البصر ، وهـم أضراء ، وهي ضـــريرة ، وهـن ضريرات وضرائر ، وضرائر سـمع جمع لضرة على غير قياس ، ولا يكاد يوجد لها نظـير ، وضرة المرأة امرأة زوجها .

١٥ — وشاعت على ألسنتهم أسلات أقلامهم كلمة المعطف اسما للملحف الذي يسميه العـامة ( بالبالطو ) وهذا خطأ صراح ، لأن ( البـالطو ) ممـا يفصل ويخاط ، ولكن المعطف — كما قال ابن سيدة — ثوب غير مخيط ولا مفصل يرتدى على المنكبين والكتفـين ومجتمع العنق، ثم يعطف طرفه ، أي يثنى ، وقد عقـد ابن سيدة في الجزء الرابع من مخصصـه بابا بعنـــوان ( المـلاحف ) ولم يذكر الا ما لـم يفصل ولم يخـط ، كالأردية والأزر والرباط والمعاطف .

لهــذا يجب أن نعـدل عن كلمـة المعطف ( للبالطو ) لأنهـا وضعت في غير موضعها ، وأن نطلق عليه كلمـة

المدرع بزنة المبضع ، كما فعـل ذلك مجمع اللغة العربية حيث قال المدرع هو الملحف فوق سائر اللباس من دثار البرد من صوف أو من غيره .

١٦ ـ ويقولون: ان فلانا لا دخل له في هذه المسألة ، يقصدون أنه لا صلة له بها ، ولا يعرف عنها شيئا ، أو يعرف ولكنهـــم لا يريدون ادخـــاله في معالجتهـا ، وهم بذلك يزعمـون أن الدخل والدخول والادخال سواء في المعنى .

والحق أن الدخول ضد الخروج، والادخال ضد الاخراج ، أما الدخل فله معنيان : أحدهما أنه ضد الخرج ، وهو ما حصـــل لك من ضيعتك أو عقارك أو تجارتك ، تقول : دخل أبي أكـثر مـن خـرجه أي أكـثر من مصروفاته ونفقاته .

ومعناه الآخر العيب والريبة ، ومن كلام العرب : ترى الفتيـان كالنخل ومـا يدريك بالدخـــل ، وفي رواية ما الدخـل ، وكذا الدخل بفتحتين ، يقـال في هذا الأمر دخل أي شـك وريبة ، ومن هذا قوله تعالى : « ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم » أي مكرا وخديعة ، وفي المثل : « اتخذ الباطل دخلا » وهو يضرب للماكر الخادع .

١٧ ـ وكثيرا ماجرى على ألسنتهم قولهم في تحيـة الضـــيفان : عـلى الرحب والسعة بفتح الراء ، والفصيح أن يقال على الرحب بالضم ، وذلك لأن مضموم الراء هو المصـدر ، تقـول : رحب المكان رحبا كحسن حسنا اذا اتسع ، ومثله رحب رحابه بفتح الراء كفصح فصاحة ، ففي الأساس : ضاقت عـلى الأرض برحبها ، وبما رحبت ، وفي التنزيل : « حتى اذا ضـاقت عليهم الأرض بما رحبت » .

وفي القاموس : ورحب به ترحيبا دعاه الى الرحب ، وفي المصـــباح : رحب المكان رحبا من باب قرب فهو رحب ورحيب بفتحهما .

وفي المختار الرحب بالضم السعة ، والرحب بالفتح الواسع وكذا الرحيب ومنه فلا رحيب الصدر .

مما عرضـنا من أقـوال أصـحاب المعجمات اللغوية اسـتبان أن مضموم الراء مصدر ومعنـاه الاتساع ، وهو المناسب للسعة ، أما مفتوحها فهو اسم فاعل ، نقـول : رحب فهو رحب أي واسـع ، كضخم فهو ضـخم ، ومثله رحيب كشرف فهو شريف .

وهذا الفعل يتعدى بالباء فيقال : رحب بك المكان ، ثم كثر حتى تعدى بنفسه ، فقالوا : رحبتكم الدار ، ورحبكم الدخول فى طاعته الأمير أى وسعكم ، وهذا شاذ فى القياس ، فإنه لا يوجد فعل بضم العين الا لازما مثل شرف ، وكرم ، غير أن أبا على حكى عن هذيل تعدية هذا الفعل بنفسه .

ويقال فى هذا المعنى : مرحبا وأهلا أى أتيت سعة وأهلا فاستأنس ولا تستوحش ومرحبا وسهلا ، أى صادفت سعة ومكانا سهلا ، وفى حالة النفى قال جل شأنه: « قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم » .

ويقال : مرحبك ومسهلك ، ومرحبا بك الله ومسهلا ، قال الجعدى :

ومستأذن يبتغى نائلا
أذنت له ثم لم يحجب

فآب بصالح ما يبتغى
وقلت له أدخل ففى المرحب

١٨ - وكثيرا ما نقرأ فى الصحف والمجلات ، ونسمع من وسائل الاذاعات قولهم للرجل الخالى من العمل : عاطل ، ويجمعونه على عاطلين ، فيقولون : كثر عدد العاطلين وهذا تعبير فاسد ، لأن العاطل صفة للمرأة التى خلا جيدها من الحلى ، تقول : عطلت المرأة من باب طرب عطلا وعطولا اذا خلا جيدهامن الحلى فهى عاطل من عواطل وعطل ، أنشد القنانى :

ولو أشرفت من كفة الستر عاطلا
لقلت غزال ما عليه خضاض

ويقال : امرأة عطل بضمتين من نسوة أعطال .

قال الشماخ :

دار الفتاة التى كنا نقول لها
يا ظبية عطلا عسانة الجيد

وقال لبيد :

يرضن صعاب الدرفى كل حجة
وان لم تكن أعناقهن عواطلا

وفى الحديث « يا على : مر نساءك لا يصلين عطلا » .

ويقال : قوس عطل اذا لم يكن عليها وتر ، ورجل عطل اذا لم يكن له سلاح ، جمعه أعطال .

والصواب - لتأدية المعنى الذى يبتغونه - أن يقال : عطلت الأجير تعطيلا فهو معطل بصيغة اسم المفعول، والأنثى معطلة ، ومن هذه قوله تعالى:

« وبئر معطلة » أي لا يستقى منها ولا ينتفع بمائها ، ويقال ابل معطلة اذا لم يكن لها راع ، ومن هذا قوله تعالى : « واذا العشار عطلت » ودار معطلة اذا لم يكن بها من يسكنها ويقال للرعية اذا لم يكن لها وال يسوسها : هم معطلون وقد عطلوا ، كما يقال : تعطل الرجل فهو متعطل اذا بقي لا عمل له ، والاسم العطلة بالضم ، وفلان ذو عطلة اذا لم يكن له ضيعة يمارسها .

مما عرضناه آنفا استبان لنا أنه يجب أن يقال في المعنى المبتغى : كثر عدد المعطلين أو المتعطلين .

١٩ ـ وشاع على ألسنتهم ، وما تخطه أقلامهم قولهم : كتبت هذه القصيدة في لوحة وكتبت ادارة المدرسة أسماء الفائزين من تلاميذها في لوحات ، وهذا خطأ ، والفصيح أن يقال : كتب كذا في لوح ، كما في قوله سبحانه : « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » واللوح هو كل صحيفة عريضة خشبا كانت أو عظما ، جمعه ألواح ، كما في قوله تعالى : « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة » .

واللوح لا يؤنث بالهاء لأنه اسم ذات ، وأسماء الذوات لا تدخلها الهاء الا ما شذ منها ، كسبع وسبعة ، وأسد وأسدة ، وذئب وذئبة ، ورجل ورجلة ، ومن هذا قولهم : كانت عائشة رضي الله عنها رجلة الرأي ، ولهذا لا يقال في حصان حصانة ، ولا في جمل جملة ولا في صقر صقرة

٢٠ ـ ويقولون : لعله ندم على ما فات ، ولعله فهم ما أوصيناه به ، فيلفظون بما يشتمل على المناقضة ، وينبيء عن المعارضة .

ووجه الكلام أن يكون خبر لعل مضارعا لا ماضيا ، فيقال : لعله يندم ولعله يفهم ، وذلك لأن معنى لعل الترقب والتوقع والترجي ، وكل هذه المعاني انما تكون لما يتجدد ويتولد ، لا لما تقضي وتصرم ، قال تعالى : « لعلي أعمل صالحا فيما تركت » وقال : « وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون » وقال : « وما يدريك لعله يزكى » .

٢١ ـ ويقولون : اجتمع فلان مع فلان ، فيوهمون فيه ، والصواب أن يقال : اجتمع فلان وفلان ، لأن لفظ اجتمع على وزن افتعل ، ومثله اختصم واقتتل وكذلك ما كان على وزن تفاعل مثل تخاصم ، وتبادل ، وتجادل ، كل

أولئك يقتضى وقوع الفعل من أكثر من واحد ، فمتى أسند الى أحد الفعلين ، لزم أن يعطف عليه الآخر بالواو لا غير •

وانما اختصت الواو بالدخول فى هذا الموطن ، لأن هاتين الصيغتين تقتضيان وقوع الفعل من اثنين فصاعدا ومعنى الواو يدل على الاشتراك فى الفعل أيضا ، فلما تجانسا من هذا الوجه ، وتناسب معناهما ، استعملت الواو خاصة فى هذا الموضع ، ولم يجز استعمال لفظ مع فيه لأن معناها المصاحبة ، وخاصيتها أن تقع فى المواطن التى يقع الفعل من واحد ، والمراد بذكرها الابانة عن المصاحبة التى لو لم تذكر لما عرفت ، كما فى قولك : صلى الولد مع أبيه ، وقوله جل شأنه: «يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » وقوله : « يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا » •

٢٢ـ ويقولون: فلان من آل الحجاز، أو من آل الكوفة، والفصيح اختصاص كلمة الآل بالاضافة الى الناطقين ، فيقال : آل محمد ، وآل ابراهيم ، ولا تضاف الى النكرات ، ولا الى الأمكنة والأزمنة ، فلا يقال : آل رجل ولا آل العراق ، ولا آل مصر ، ولا آل زمان كذا ، ولا آل البيت ، وانما يقال : أهل العراق ، وأهل مصر ، وأهل زمان كذا ، وأهل البيت ، كما فى قوله تعالى : « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت» وقوله: « هل أدلكم على أهل بيت » وآل الرجل أهله وأتباعه وأولياؤه ، وأصله أهل ، أبدلت الهاء همزة فصارا آأل بهمزتين فلما توالت الهمزتان أبدلت الثانية ألفا وصارت مدة ، وتصغيره أويل ، وأهيل على الأصل ، وأهل يجمع على آهال بالمد ، والأهالى بزيادة ياء فى آخره على غير قياس ، وذلك كما جمعوا الليل على الليالى ، والأرض على الأراضى •

٢٣ ـ ويقولون : هذه أمور ذاتية ، ولأبى رأى ذاتي ، أى منسوب الى ذاته ، والفصيح أن يقال : هذه أمور ذووية ، ولأبى رأى ذووى •

ففى المزهر ص ٣٢٠ من الجزء الأول : وقولهم الصفات الذاتية مخالف للأوضاع العربية ، لأن النسبة الى ذات ذووى ، وقال ابن برهان من النحاة : وقولهم الصفات الذاتية خطأ ، فان النسبة الى ذات ذووى ، لأن النسب يرد الاسم الى أصله ، وهو

ذوى كعصا ، فكما يقال فى النسب الى العصا والقفا عصوى وقفوى ، يقال فى النسب الى ذات ذووى .

٢٤ـ ويقولون:تفادى فلان الخطر ، يعنون أنه تحاماه وانزوى عنه فيوهمون . لأنهم جعلوا هذا الفعل متعديا بنفسه الى المفعول به ، وانما هو لازم لايتعدى الا بمن ، تقول : تفادى فلان من الخطر ، كما فى قول ذى الرمة تفادى الأسود الغلب منه تفاديا .

. ويقال : هؤلاء القوم تفادوا اذا فدى بعضهم بعضا ، وكذا اذا اتقى بعضهم ببعض ، كأن كل واحد جعل صاحبه فداه ، وفاديته مفاداة وفداء أطلقته وأخذت فديته ، وفدت المرأة نفسها من وزجها وافتدت اذا أعطته مالا حتى تخلصت منه بالطلاق .

٢٥ ـ ويزعمون أن البلاء والابتلاء مقصوران على الشر ، فاذا قال قائل : بلا الله فلانا ، أو ابتلاه اعتقدوا أن مصيبة نزلت به ، أو كارثة حلت بساحته .

والحق أن البلاء والابتلاء معناهما الاختبار والامتحان سواء أكان ذلك فى الخير أم كان فى الشر ، كما فى قوله تعالى : « وبلوناهم بالحسنات والسيئات » وقوله : « ونبلونكم بالشر والخير فتنة » ومما جاء بمعنى الخير قوله سبحانه:«وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا » وقوله : « فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن » ومما يشير الى المعنين قوله صلى الله عليه وسلم :

« أعوذ بالله من جهد البلاء الا بلاء فيه علاء » أى علو منزلة ، ومنه قولهم : أبلى فلان بلاء حسنا اذ ظهر بأسه ، وتقول فى معنى الشر : بلى فلان أو ابتلى اذا أصابته بلية : قال

بليت وفقدان الحبيب بلية
وكم من كريم يبتلى ثم يصبر

وقد يأتى الابتلاء بمعنى التعرف ، كما فى قولك : ابتليت الأمر اذا تعرفته كما فى قول الشاعر :

تسائل أسماء الرفاق وتبتلى
ومن دون ما يهوين باب وحاجب

ومن المجاز قولك : بلوت الشىء اذا شممته .

٢٦-جرى ولايزال يجرى على ألسنة كثير من أهل العلم قولهم فى جمع شقراء ، وحمراء ، وبيضاء ، وسوداء شقراوات ، وحمراوات ، وبيضاوات ، وسوداوات ، وكل هذا خطأ بين ، وذلك لأن فعلاء ومذكره أفعل فى الصفات لا يجمعان الا تكسيرا على فعل بضم فسكون ، قال ابن مالك :

فعل لنحو أحمر وحمرا •
وفعلته جميعا بنقل يدرى

قال تعالى:«ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود» وقال راشد :

قالت : أميمة لما جئت زائرها
هلا رميت ببعض الأسهم السود

فكلمة أحمر وحمراء جمعهما حمر اذا أريد المصبوغ ، فان أريد ذو الحمرة جمع على الأحامرة ، لأنه اسم لا وصف ، كما فى قول الأعشى:

ان الأحامرة الثلاثة أهلكت
مالى وكنت بها قديما مولعا
اللحم والراح(١) العتيق وأطلى
بالزعفران فلن أزال مردعا(٢)

وكلمة خضراء لها حالتان : احداهما أن تكون صفة فتجمع على فعل كالأمثلة السابقة ، ومن ذلك قوله تعالى : «ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق » والأخرى أن يغلب عليها جانب الاسمية ، فتجمع جمع الاسم ، وذلك لأن العرب سمت الخضر خضراء ، ومنه قولهم : تجنبوا من الخضراء ماله رائحة ، يعنون الثوم والبصل والكرات ، وحينئذ يكون جمعها خضروات ، كصحراء وصحراوات ، فى الحديث :«ليس فى الخضروات صدقة » جمع خضراء •

والعامة يسمون خضر البقول خضارا وزان غراب ، والحق أن هذا اللفظ علم على موضع كثير الشجر ، وعلى بلد قريب من ساحل البحر بين عمان وعدن •

ولقد فشت على الألسنة وأسنة الأقلام كلمة يندر أن تجد من ينطقها صحيحة هى مظلمة فالكثرة الكثيرة

(١) الراح العتيق : الخمر المعتقة القديمة .
(٢) مردعا : ملطخا بطيب الزعفران .

من الخاصة ـ ومنهم صاحب المختار ـ يقولون : لنا عند فلان مظلمة بفتح اللام وزان مرحمة ، يعنون أن لهم عنده حقا ظلموه ، والصواب أن يقال لنا عنده مظلمة بكسر اللام وزان معرفة ، وهى اسم لما تطلبه عند الظالم كالظلامة بضم الظاء ، ففى **الأساس** : وعندفلان ظلامتى ومظلمتى أى حقى الذى ظلمته،وفى **التهذيب** : الظلامة بالضم اسم **مظلمتك** التى تطلبها عند الظالم ، وفى اللسان : والظلامته ماتظلمه الرجل وهىالمظلمة وهى اسم لما أخذ منك ظلما •

أما المظلمة بفتح اللام فهى مصدر ميمى لفعل ثلاثى ليس مثالا صحيح اللام محذوف الفاءفى المضارع كمنفعة ومفسدة ، ومسرة ومحبة •

مما عرضنا استبان أن مفتوح اللام مصدر ، وأن مكسورها اسم وهو المناسب للمعنى المبتغى ؟

**عباس أبو السعود**

# تهنئة لأبطالنا في عيد النصر

## في العاشر من رمضان

للأستاذ حسين جادو

يا جيش مصر ويا حمى الاسلام ومحقق الآمال والأحلام
خضت القناة بهمة وشجاعة لم تخش منها عائق الألغام
واجتزت من بارليف كل حصونه بالعزم والتصميم والاقدام
كان الصيام بروحه لك قوة والصوم يذكى همة الأعلام
لما صفت تلك النفوس لربها وتجردت للواحد العلام
أضفى عليها نعمة علوية وأمدها بالنصر والانعام
رمضان كان هو الضياء لزحفهم في العاشر المرموق في الأيام
وتكررت بدر على أيديهم ما أشبه النصرين في الاسلام
قد كانت الأولى طليعة عزنا بالمصطفى وصحابه الأعلام
واليوم بالأخرى نفاخر خصمنا لما التقى الجمعان يوم صدام
قذف الاله الرعب بين قلوبهم فتسللوا فرقا بغير نظام
وتراجع الأوغاد نحو جحورهم وتراكضوا كالبهم والأنعام
وتشتتوا شرق القناة وغربها وتسابقوا للأسر والاحجام
قوادهم صرعى بكل كتيبة وجيوشهم حيرى بغير نظام
وتقوضت للظلم أعظم قلعة كانت حديث الناس والأيام
الله أكبر حطمت أعصابهم تكبيرة الميدان والاحرام

حسين جادو

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **ادب العبودية**
**للشيخ محمـد مصطفى عبد الرحمن**

هذا الكتـاب الذى نشرته مكتبـة القاهرة بالأزهر يقع فى أكثر من مائة وخمسين صفحة من القطع الكبير ، والمؤلف عـالم من علمـاء الأزهـر الشريف ، وقد جعـل كتـابه فى قسمين :

القسم الأول : فى الايمان ومطالبه، والقسـم الآخـر : عن رجـال كانوا سـادة الدنيـا ، ثم عرض بعد ذلك لواقف صادقة من علمـاء المسلمين ، وكانت الخاتمة دعاء وضراعة وابتهالا، والقسم الأول ، وهو فىأكثر من مائة صـفحة ، لا يعتبر من تأليف المؤلف وحده ، بلأسهم فيه العلامة ابن القيم بما لا يقـل عن النصف ، فالخواطر العشرون الوثيقـة الصلة بالايمـان ومطالبه ، والتى كتبها المؤلف بأسلوب روحى طيب ، حرص على أن يسجل بين كل خاطرتين روحانيات مسـتقلة للعلامة ابن القيم ، وهذا اتجاه جميل لا يأس به ، ولا ســيما أن المؤلف راعى الوحدة جهـد المسـتطاع بين خواطره وروحانيات ابن القيم ،ولكن ألم يـكن من الأجـدر بالمؤلف ، أن يشير فى الهامش الى المصـدر الذى استقى منه روحانيات ابن القيم ؟ ومن الخـواطر التى اختـارها المؤلف : القرآن يدعو الى الوحدانية ، الانسان خلاصـة المخلوقات ، احسـان الظن بالله ، انكار المنكر تحتمه الشريعة ، اياك والمعاصى ، آفة العبد من نفسه ، اعصـم النفس ولا تخـالف سـبيل المؤمنين ، المتصوف الصادق ، والحق أن المؤلف كثـيرا ما يشـير فى بعض خواطره الى المسـائل ذات الأهميـة ، كما كتب مثلا ، تحت عنـوان : اعصم النفس ولا تخالف سـبيل المؤمنين ، يتحـدث عن الفـرق التى انتمت الى الاسـلام ، وكانت عاملا من عوامل التفرقة لجمـاعة المسـلمين فعرض

بالخوارج والمعتزلة والشيعة ، والقدرية والجبرية والرافضة والجهمية ، غير أن المؤلف لم يحاول أن ينصف بعض الفرق ، فيذكر ما لها وما عليها ، بل حاول أن يضعها جميعا فى قفص الاتهام ، لا فرق بين المعتزلة وبين القرامطة مثلا .

والقسم الثانى من الكتاب : « رجال هم سادة الدنيا » يقع فى بضع وثلاثين صفحة ، وقد اختار نماذج ثلاثة من هؤلاء الرجال الأخيار ، هم أبو بكر وعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وكنت أود أن يختار المؤلف نماذجه من رجال لم تسلط عليهم بعد الأضواء الكافية لابراز جوانب العظمة فيهم ، كذلك كنت أود أن يصف مثل عمر ابن عبد العزيز ، بأنه « بطل الانقلاب الروحى » فعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، جاء على فترة أوشكت دولة الاسلام فيها على التحول الى مظاهر الحياة المادية دون جوهر الحياة الروحية ، ولما كانت الحكومة هى قائدة هذا التحول ، فقد حرص عمر ابن عبد العزيز على أن يقدم نموذجا رفيعا مثاليا للحكم ، لا تترك الدنيا للآخرة ، ولا تترك الآخرة للدنيا ..

أما الصفحات المعدودة فى آخر الكتاب : « مواقف صادقة من العلماء » فكم كنت أود أن يكثر المؤلف منها ، فنحن اليوم فى مسيس الحاجة الى مثل هذه المواقف من علماء الدين فى كل مكان .. !

**● المسائل فى أعمال القلوب والجوارح للحارث المحاسبى**

**تحقيق: الأستاذ عبد القادر أحمد عطا**

هذه الدراسة التى نشرتها دار « عالم الكتب » فى القاهرة ، تقع فى أكثر من مائتين وستين صفحة من القطع الكبير ، والمؤلف : الحارث بن أسد المحاسبى من أكابر الصوفية ، له تصانيفه العديدة فى الزهد والرد على المعتزلة ، وقد توفى سنة ٢٤٣ هـ .

والكتاب الذى بين أيدينا هو مجموعة مخطوطات أربع للحارث المحاسبى، مخطوطتان بعنوان المسائل، احداهما : « المسائل فى الزهد » والأخرى : «المسائل فى أعمال القلوب والجوارح » ويرى المحقق أنه لافرق بين الكتابين فى تناول الموضوعات ، فكلاهما فى أعمال القلوب والجوارح، وتصفية النفس لذلك آثر نشرهما الأول مرة بعنوان واحد هو : المسائل فى أعمال القلوب والجوارح .

وفصل بينهما ، والمسائل هي اجابات عن أسئلة وجهها تلاميذ المحاسبى اليه ، ولكنه ـ كما يقول المحقق ـ تواضعا منه ، جعل من نفسه سائلا ، وجرد أستاذا يجيبه ، ومن هذه المسائل : الزهد ، الصمت والفكرة ، الغنى والشكر والفقر، الكبر والحسد والغش ، الاسرار بالعمل ، الشهرة ، الجدل فى أسباب الدنيا ، التفويض ، معرفة النفس ..

والمخطوطة الثالثة ، عنوانها : « المكاسب » والكتاب توجيهات لمن أصيبوا بالجهل والغلظة من الصوفية ، بل ونقد للانحرافات الصوفية ، لذلك نرى الكتاب يبحث فى التوكل منددا بمن يرى أن التوكل هو ترك الحركة ، ويبحث فى الورع ومذاهب السلف فيه وفى الشبهات ..

أما المخطوطة الرابعة فعنوانها : « العقل ماهيته ومعناه » والكتاب على صغر حجمه ، كما يرى المحقق ، يعتبر من أعجب كتب الحارث المحاسبى ، وأشدها اثارة للعلماء ، وهو يدل دلالة واضحة على دقة المحاسبى فى اختيار موضوعاته ، وتلمسه لوجود النقص فى الثقافة العربية ، وهو بالاضافة الى ذلك تصحيح لمسلك المعتزلة ، وايمان بمذهب أهل السنة ، ولكنه عنى بالوجدان أكثر من عناية أهل الحديث ...

وفى كتاب العقل ، عرض المحاسبى لماهية العقل ومعناه ، العقل عن الله ، ومسائل فى العقل ، أنواع الحجة ، والعقل والدليل ، موانع الفهم ، الأنفة والحق ، ثم علم النظر وعلم التدبير .

وبعد :

فقد كتب المحقق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا ، مقدمة طيبة مسهبة ، عرض فيها للمحاسبى ومنهجه ، كما عرض للمخطوطات التى قام بتحقيقها، لكنى أرى أن من يتصدى للتحقيق ـ اذا أراده تحقيقا موضوعيا علميا ـ أن يتجرد جهد المستطاع من العاطفة ، لا أن يجعل من نفسه مدافعا متطرفا ، فالمحاسبى ، له دراساته العميقة ، لكنه كسائر من كتبوا فى التصوف يؤخذ منهم ويرفض ، واذا حاول المحقق مخلصا أن يؤكد أن المحاسبى كان على مذهب أهل السنة ، فكيف نتجاهل أن اماما من أئمة أهل السنة وهو الامام أحمد بن حنبل ، وقف

من المحاسبى موقف أهل الخصومة ، وحذر الناس من الالتفاف حوله ، حتى ان المؤرخين يشيرون الى أن المحاسبى يوم أن توفى لم يشيع جنازته الا عدد ضئيل من الناس ، وذلك بسبب تأثير هذه الخصومة ..؟

وشىء ثان : المحقق فى المقدمة حرص على الاشارة بالطريقة الشبراوية وبشيوخها ، وفى تحقيقه لمؤلف لسان الدين ابن الخطيب « روضة التعريف بالحب الشريف » ألصق بهذا التراث ستا وعشرين صفحة عن الطريقة المذكورة وشيخها بما يشبه الاعلان ، لذلك يقف الانسان حائرا متسائلا : لم هذا ؟

وشىء ثالث : برغم أن الحارث المحاسبى لم يستشهد فى هذه الدراسة العميقة الا بأحاديث نبوية معدودة ، الا أن المؤلف تركها بدون تخريج ، ولم يتلاف المحقق هذا النقص ، وهذه الأحاديث منها الضعيف ومنها الصحيح ، مع أن المحقق له من علمه ما يقوم بهذا الجهد المتواضع ..

وبعد مرة أخرى :

فهذه الملاحظات لا تحول دون أن نقدر للمحقق جهده وعلمه ، فقد أمتعنا بهذه الدراسة القيمة للحارث المحاسبى ، وحسب المحقق من تقديرنا بعثه لهذا التراث الذى ظل مهملا ردحا كبيرا من الزمن .

**● من أقوال الرسول**

**جمع وتقديم : الأستاذ طه عاشور**

هذه السلسلة الموجزة التى تنشرها دار الاعتصام بالقاهرة ، وقد ظهر منها حتى الآن حلقات ست ، تحت عنوان : اخترنا لك من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، هى زاد طيب ، وحسبه أنها مختارات من أقوال رسول الله — صلوات الله عليه وسلامه — وقد أجاد الأستاذ طه عاشور الاختيار ، فاختار ما له صلة وثيقة بالأخلاق والتربية والسلوك ، والصلة بالله عز وجل كما راعى النقل من كتب الحديث المعتمدة ..

لكنى كنت أود أن يشير الأخ الكريم طه عاشور الى درجة الأحاديث ، ولا سيما الأحاديث التى لم ترد فى الكتب الستة ، وأن لا يترك لفظا غريبا بدون شرح ، ومع ذلك فهو جهد طيب ، أعتقد أن شبابنا المسلم فى حاجة الى مثل هذا الجهد ، فالحلقات الموجزة لها جاذبيتها ، كذلك

حسن الاختيار للأحاديث مما يشجع القارىء على الاستيعاب والانتفاع ..

**● اين حماية المراة المصرية :**

كتبت محررة المرأة فى جريدة الأخبار ، الأستاذة فاطمة سعيد ، تحت هذا العنوان ، كلمة جادة ، جاء فيها : اذا كان هناك اتجاه الى تعديل أحكام قانون العقوبات الخاصة بجرائم التموين والاهمال فى المال العام ، وتشديد عقوبتها ، فلا بد أن تشدد — والى أقصى عقوبة — جرائم الخطف والاغتصاب التى كثرت أخيرا .. وبعد أن أشارت الكاتبة الى أن مثل هذه الجرائم أصبحت تثير الفزع والرعب فى قلوب الناس ، ولا نعتقد أن الحراسة فى الشوارع والطرق التى تكثر فيها هذه الجرائم البشعة ، مهمة صعبة يعجز رجال الأمن عن القيام بها .. قالت : فبدلا من تكدس أمناء الشرطة فى وسط المدينة وفى شوارعها المزدحمة ، وأمام دور اللهو، وأمام « الفترينات » ويتهادون فى سيرهم بأجهزتهم اللاسلكية ، لماذا لا تكون منهم نقطة مراقبة ودوريات مرور دائمة ومستمرة فى المناطق الخالية التى ترتكب فيها مثل هذه الحوادث ؟

ان كلمات الكاتبة الجادة ليست فى حاجة الى تعقيب ، وليت كل كاتباتنا يرتفعن بأقلامهن عن سفساف الأمور الى معاليها ، بدلا من أن يثرثرن فى مسائل مكررة ما أكثر ما لاكتها الأقلام ، وهى لا تخدم قضية المرأة فى قليل أو كثير ..

**● قراءات :**

« عنى القرآن عناية خاصة بفرضية الصيام ، وجعل منها مظهر وحدة للمسلمين .. لا يؤثر على هذه الوحدة تباين أمكنتهم ، ولا اختلاف ألسنتهم ، ولا تعدد جنسياتهم ، فالاسلام وحد بينهم فى العقيدة وفى العبادات وفى المعاملات ،وفى الأخلاق وفى المسئولية ، فالكل يؤمنون برب واحد ، ويتجهون الى قبلة واحدة ، ويصومون شهرا واحدا ، ويرقبون هدفا واحدا » .

من مقال للمرحوم الشيخ محمود شلتوت ؟

**محمد عبد الله السمان**

# باب الفتوى ١

للأستاذ محمد أبو شادى

السؤال من السيد/عبد الرحيم رسام ناجى ( عن المهاجرين اليمنيين ببريطانيا ) •

١ ـ فى بريطانيا عندما ترتفع الحرارة يطول النهار ويقصر الليل وبالعكس فى الفصول التى تنخفض فيها درجة الحرارة يقصر النهار ويطول الليل • أى أن النهار يستغرق عشرين ساعة فى اليوم والليلة تقريبا • فهل على العامل أن يتحمل نوم هذا الوقت كله الى جانب عمله المرهق أم لا ؟

٢ ـ ومن المعلوم من السؤال السابق أنه قد تمضى أوقات الصلاة أو بعضها والعامل يعمل فى عمله أو قد يعود من عمله متعبا ويريد أن ينام مبكرا والعشاء والمغرب فيما بعد التاسعة والعاشرة مساء • فهل يجوز التقديم أو التأخير أو القصر أو القضاء ؟ وهل هناك قول وأجب أو مسنون التلفظ به عند التقديم أو التأخير أو القصر أو القضاء أو عند الامساك فى الصوم أو الافطار ؟

٣ ـ قد يحتاج الانسان فى البلاد الأوروبية الى شراء اللحوم والمعلبات دون أن يعلم كيفية ذبحها • فما حكم تناولها ؟

## الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •• أما بعد : فنفيد عن الأول والثانى بأنه متى كان هناك شروق وغروب مجموع الليل والنهار معهما أربع وعشرون ساعة فان الحكم يكون منوطا بالشروق والغروب • فيجب صوم نهاره من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، وافطار ليله • فان شق عليه الصوم رخص له فى الفطر ووجب عليه

القضاء بعدد ما أفطر فى ايام أخر يستطيع فيها الصوم دون مشقة .

ويصلون الصلاة فى أوقاتها فان كان لأحدهم عذر لا يتمكن معه من أداء الصلاة فى وقتها رخص له فى أن يجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء جمع تقديم أو جمع تأخير ،والأفضلية فى التقديم والتأخير تختلف باختلاف حالة العمل فان كان تمكنه من الأداء فى وقت الثانية أكثر كان التأخير أفضل وان كان تمكنه من الأداء فى وقت الأولى أكثر كان جمع التقويم أفضل . ومن نام منهم قبل دخول المغرب أو العشاء وغلبه النوم حتى طلع الفجر وجب عليه القضاء لما فاته لحديث ( من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها ) . أما بالنسبة للبلاد التى يكون فيها الليل والنهار أطول من المعتاد بحيث يكون مجموعها أكثر من أربع وعشرين ساعة فانه يقدر لهم فى الصوم والصلاة بحسب أقرب البلاد المعتدلة اليهم بالنسبة . ولا يصح صوم ولا صلاة الا بنية ومحلها القلب ولا يشترط لها التلفظ باللسان ويجب نية الجمع عند ارادة جمع التأخير قبل خروج وقت الصلاة الأولى .

وعن الثانى بأنه يجوز للمسلم أن يشترى ما يشاء من سوق الكتابيين من لحوم ومحفوظات ومعلبات دون السؤال عن مصادرها ويأكل ما يشاء منها ما لم يتيقن أو يغلب على ظنه أن اللحوم والمعلبات من المحرمات .

والله تعالى أعلم ؟

**الاستفتاء**

بحث رسالة : « دفع الشدة بجواز تأخير الآفاقى الاحرام الى جدة » تأليف الشيخ جعفر أبى بكر اللبنى الحنفى •

وتضمنت هذه الرسالة جواز تأخير الاحرام للسائرين فى بحر السويس عن محاذاة ميقات رابغ الى محاذاة غيره من المواقيت مما هو أقرب الى مكة ، ولهم أن يؤخروه الى جدة لأنها تحاذى ـ أى تساوى فى البعد عن مكة كلا من ـ « يلملم ، وقرن ، وذات عرق »

فما الحكم الشرعى فى هذا البحث ؟

**الجواب**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ••

أما بعد فنفيد بما يأتى :

مواقيت الاحرام :

حدد الشارع أمكنة لا يحل لمن كان خارجها مجاوزتها دون احرام لحديث « لا يجاوز أحد الميقات الا محرما » •

قال الحنفية وأحمد والجمهور :

يجب الاحرام عند المرور بها اذا قصد مكة ولو لغير حج أو عمرة •

وقال الشافعية : لا يجب الاحرام الا اذا قصد الحج أو العمرة •

وهذه المواقيت هى ما جاءت فيما رواه ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ « أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقت لأهل المدينة ذا الحُليفة ، ولاهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن المنازل ، ولأهل اليمن يلملم ، ثم قال فهن لهن ، ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة » ـ أخرجه أحمد ، الشيخان ، أبو داود والنسائى، الشافعى •

وورد فى روايات أخرى : «ولأهل العراق ذات عرق ، ولأهل الشام ومصر الجحفة » •

فقال الحنفية والمالكية :

اذا جاوز من وجب عليه الاحرام ميقاته وهو غير محرم ثم أحرم من ميقات آخر بعده أجزأه فاذا جاوز المدنى ذا الحليفة وأحرم من الجحفة

أو من رابغ فلا بأس ، لأن من جاوز ميقاته الى ما بعده صار من أهل الميقات الثانى •

واستدلوا لذلك بأن عائشة ـ رضى الله عنها ـ كانت تحرم بالحج من ذى الحليفة ، وتعتمر من الجحفة ، والحال أنه لا فرق فى الميقات بين حج وعمرة •

وروى نافع : أن عبد الله بن عمر أحرم من فرع ـ قرية جنوب ذى الحليفة وشمال الجحفة ـ وعليه يحمل حديث ( لا يجاوز أحد الميقات الا محرما ) على معنى لا يجاوز أحد المواقيت الا محرما •

وقال الشافعى وأحمد :

يجب الاحرام من أبعد ميقات اذا تعددت أمامه المواقيت •

وأجاز الأئمة جميعا تقديم الاحرام على الميقات مع الكراهة خشية الوقوع فى محظور وفضله الحنفية اذا آمن الوقوع فى محظور ، لحديث أم سلمة « من أهل ـ أحرم ـ بحج أو عمرة من المسجد الأقصى وجبت له الجنة »

من قصد مكة ولا يمر بميقات :

وذلك بأن سافر فى بحر أو طائرة أو بر قاصدا مكة ولا يمر فى سفر بميقات • قال الكمال بن الهمام فى كتابه فتح القدير جـ ٢ ص ١٣٢ •

عليه أن يحترم اذا حاذى آخر المواقيت ، ويعرف بالاجتهاد فعليه أن يجتهد فان لم يكن بحيث يحاذى فعلى مرحلتين من مكة •

ثم نقل عن البخارى بسند عن نافع عن ابن عمر : أنه لما فتح العمران ـ البصرة والكوفة ـ اتوا عمر فقالوا له : يا أمير المؤمنين : ان رسول الله صلى الله عليه اسلم حد لأهل نجد قرن المنازل ، وهو ـ مائل ـ عن طريقنا ويشق علينا •

قال : انظروا حذوكم من طريقكم ـ فحد لهم ذات عرق •

قال الشيخ تقى الدين : حذوها ما يقرب منها •

ومما تقدم :

يتضح صحة ماقرره المرحوم الشيخ جعفر بن ابى بكر اللبنى الحنفى : من أن السائرين فى بحر السويس

قاصدين مكة لهم أن يؤخروا احرامهم عن محاذاة ميقات رابغ الى محاذاة غيره من المواقيت مما هو أقرب الى مكة ، ولهم أن يؤخروه الى جدة لأنها تحاذى أى تساوى فى البعد عن مكة كلا من ـ يلملم ، وقرن ، وذات عرق •

وقد بنى قوله على اللغة من أن المحاذاة كما تستعمل بمعنى المقابلة تستعمل بمعنى المساواة والمماثلة •

وهذا المعنى واضح فى أثر عمر ـ رضى الله عنه ـ المتقدم وفى عمله ، وفيما أشار اليه الكمال من أنه اذا تعذر تحقيق المحاذاة بمعنى المقابلة وجب الاحرام على مرحلتين من مكة ، وجدة على مرحلتين منها •

ولا شك أنه من المتعذر على المسافر فى البحر والجو تحقيق المحاذاة بمعنى المقابلة فيجب الاحرام من جدة لأنها على مرحلتين من مكة ، وحذو الميقات مايقرب منه كما فسره الشيخ تقى الدين فى أثر عمر ـ رضى الله عنه •

وأيضا اذا جاز للقاصد مكة أن يترك الاحرام من الميقات البعيد ويحرم من الميقات القريب •

فذلك يجوز لمن لم يمر بالمواقيت أن يترك الاحرام عند محاذاة الميقات البعيد ويحرم عند محاذات الميقات القريب ، وجدة بينها وبين مكة مرحلتان فهى محاذية أى مساوية لقرن وذات عرق ويلملم فيجوز الاحرام منها •

والى ماتقدم ذهب الشافعى : قال النووى فى المجموع ج٧ صفحتى ١٩٨ ، ١٩٩ : من سلك طريقا لا ميقات فيه من بر أو بحر يجتهد فيحرم من الموضع الذى يغلب على ظنه أنه حزو أقرب المواقيت اليه ويستحب أن يستظهر حتى يتقين أنه قد جازا الميقات أو فوقه •

ثم قال ـ نص عليه الشافعى واتفق عليه الاصحاب ـ واما اذا أتى من ناحية ولم يمر بمقيات ولا حاذاه فقال أصحابنا ـ لزمه أن يحرم على مرحلته من مكه اعتبارا بفعل عمر ـ رضى الله عنه ـ فى توقيته ذات عرق ـ والله تعالى أعلم •

**الاستفتاء من السيد/الأستاذ محمود يونس خبير شئون الاوقاف بعدن**

سألنى شاب صومالى مسلم عن جواز صلاة المسلم بغير اللغة العربية لمن يجهلها ، ونظرا لأهمية هذا الاستفتاء فقد طلب من لجنة الفتوى بالأزهر بيان حكم الشرع فى هذا الموضوع

**الجواب**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد :

فقد اطلعت اللجنة على سؤال المستفتى وتفيد بأن جمهور أئمة المذاهب الاسلامية على أنه لا يجوز فى الصلاة النطق بتكبيرة الاحرام والفاتحة بغير اللغة العربية فالعاجز عن النطق باللغة العربية يجب عليه أن يتعلمها وخاصة قراءة الفاتحة ولو بأجرة لأنها واجبة فى الصلاة فان لم يفعل مع القدرة لم تصح صلاته لتركه الفرض قادرا عليه .

فان لم يكن قادرا على حفظ الفاتحة كلها وحفظ ولو آية واحدة منها قرأها وكررها بمقدار قراءة الفاتحة ، فان لم يقدر ، وقدر على ذكر الله وجب عليه أن يذكر بمقدار الفاتحة ويسن أن يكون هذا الذكر : « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » ويكرره بمقدار الفاتحة ، فان عجز عن ذلك أيضا وقف ساكتا بدون قراءة مقدار قراءة الفاتحة ومثل الفاتحة تكبيرة الاحرام لا تقال بغير العربية فان عجز نوى بقلبه الدخول فى الصلاة .

وليس للمسلم أن يترجم القرآن الكريم بلغة أخرى ، لأن الترجمة عنه تفسير لا قرآن ، لأن القرآن الكريم هو اللفظ العربى المنزل من الله سبحانه وتعالى على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال تعالى : « انا أنزلناه قرآنا عربيا » وقال تعالى : « بلسان عربى مبين » وترجمة آيات القرآن لا تسمى قرآنا ولا تصح بها الصلاة .

وبهذا علم الجواب والله تعالى اعلم

السؤال من السيد الاستاذ : عبد الحميد خورشيد

ما حكم شراب البيرة ؟ هل هو حلال أم حرام ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد:

فنفيد بأنه ثبت فى الصحيحين عن ابى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله افتنا فى شرابين لنا نصنعهما باليمن : البتع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد والمذر وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد . قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى جوامع الكلم فقال : « كل مسكر حرام » .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الحنطة خمرا ومن الشعير خمرا ومن الزبيب خمرا ومن التمر خمرا ومن العسل خمرا وان انهى عن كل مسكر » رواه أبو داود وغيره .

وعن عبدالله ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ـ كل مسكر خمر وكل مسكر حرام . وفى رواية ( كل مسكر خمر وكل خمر حرام ) . رواهما مسلم .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( كل مسكر حرام وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام) قال الترمذى حديث حسن ـ والفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا والمعنى ماأسكر كثيره فقليله حرام وروى أهل السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجوه أنه قال ما أسكر كثيره فقليله حرام وصححه الحفاظ .

وعن جابر رضى الله عنه أن رجلا من اليمن سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن شراب .. يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له (المذر) قال أمسكر هو ؟ قال : نعم . فقال : ( كل مسكر حرام ان على الله عهدا لمن يشرب السكر أن يسقيه من طينة الخبال ) قالو : يارسول الله ما طينة الخبال ؟ قال : ( عرق أهل النار ـ أو عصارة أهل النار ) . رواه مسلم .

والخمر هو ما يغطى العقـل .. والأحاديث فى هـذا البـاب كثيرة مستفيضة . وشراب البيرة الكثير منه مسكر وماأسكر كثيره فالقليل والكثير منه حرام وعلى ذلك فشرب البيـرة حرام وبيعها حرام .

والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد /

باعت امـرأة لبنتيهـا ١٦ قيراطـا وسجل هذا البيع تسـجيلا تاريخيا ، ولكنه بيع بدون ثمن ، وقد حدث أن طلبت الأم من بنتيها تسليمها الـ ١٦ قيراطا لرهنها للصرف منهـا فرفضت احـدى البنتين هـذا الطلب ووافقت الأخرى عليه ، فقامت الأم وبنتها ببيع نصف فدان الى مشتر واشترطا عليـه رد الثمن نظير رد الأرض المباعة ، ثم لم يتيسر لهم ذلك ، فقام المشترى ببيع الأرض المذكورة الى مشـتر آخـر وسجل هذا البيع تسجيلا نهائيا .

فرفعت المرأة وبنتها الأمر الى القضاء عن طريق أحد المستغلين بالمحاكم ، فاشـترط عليها أخذ ثمانية قراريط نظير الصرف على هذه القضية وتكليف أحد المحامين ليتولى رد الحق لهما . واثناء سير الدعوى أمام المحكمة توفيت الأم ، وأوقفت الدعوى بالتـالى ، ثم جددت عن طريق ورثتها الشرعيين ، ومنهم أخوها الشقيق الذى اشـترط على الوكيل القضائى أخذ قيراط من هذه الأرض نظير حضوره الى المحكمة أثنـاء سير الدعوى باعتبـاره وارثا لأخته .

وقد انتهى الأمر بالمحكمة الى الغاء عقد البيع الأول والثانى ثم رد الثمن واعادة الأرض الى ورثـة الأم . ثم تصالح الوكيل القضائى مع الأخ على أخذ بعض النقـدية نظير التنازل عن القيراط السابق الاتفاق عليه .

فهل الأرض التى قضـت المحكمة بردها من حق البنت ؟ أم من حق ورثة الأم ؟ وهل التصالح مع الأخ يفيـد تنازله عن استحقاقه فى ميراث أخته ( الأم ) ؟ نرجو الافادة عن ذلك .

## الجواب

ان عقد البيع من الأم لبنتيهـا بـ١٦ قيراطا لكل منهما ثمانية قراريط حيث لم يحدد فيه ثمن ولم تقبض الأم من ذلك شيئا فأنه يعتبر وصـيـة تنفذ فى الثلث لو بقيت ولم ترجع فيها الأم وحيث أن الأم طلبت من بنتيهـا أن توافقـاها على التـصرف فى الأرض لحاجتها الى المال فانهذا يعتبر رجوعا فى الوصية .

وعلى ذلـك فتصرف الأم فى ١٢ قيراطا تصرف صحيح وقد اعتبر هذا التصرف رهنا للمرتهن مقـدار المبلغ الذى له وقد دفعته البنت الصغرى كما أفاد ذلك السائل وفك هذا الرهن فهو دين تستـوفيه من التركة قبل الميراث فمـا يبقى من الستة عشر قيرطا بعـد سداد الدين ومصاريف القضية يستحق للورثة على حسب الميراث الشرعى وما أخذه الأخ من نقود ضمن مصاريف القضية بعد تنازله عن القيراط لايحرمه من حقه فى الميراث .

والله تعالى أعلم .

# أنبـاء و آراء

للأستاذ إبراهيم حامد النويهى

* كان احتفال المسلمين بشهر رمضان المبارك هذا العام ، وحفاوتهم به ، ظاهرة لافتة للنظر ، وذلك يؤكد ثقتنا بحاضرنا ، وأملنا فى مستقبلنا ، وتطلعنا الى مزيد من الايمان الدافع الى الانتصار •

لقد كان انضمام ذكرى معركة العبور والانتصار الى رصيد ذكريات رمضان الخالدة ، اتصالا لحلقات التاريخ ، وتنشيطا للعقل الانسانى ، ليظل متجددا يستلهم العظة والعبرة ، ويقدم الدرس والنصيحة ، ويعطى قوة الدفع للتأسى بالسابقين فى الايمان والكفاح والعمل ••

* أقامت مشيخة الأزهر هذا العام احتفالات دينية بشهر الصوم المبارك بالجامع الأزهر ، تضمنت عقد الندوات والقاء المحاضرات الدينية طوال الشهر •

* سافر الى المغرب خلال شهر رمضان فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بدعوة من وزير الأوقاف المغربى وألقى فضيلته سلسلة من المحاضرات هناك •

* سافر الى دول أوربا وآسيا وأفريقيا خلال شهر رمضان المبارك ١٥٠ بين قارىء وواعظ لتلاوة القرآن الكريم والقاء المحاضرات الدينية •

* اتخذت عدة قرارات للتيسير على المسجونين خلال شهر رمضان هذا العام ، ومنها : التركيز على برامج التوعية الدينية والتوجيه الروحى باقامة الندوات الدينية التى حاضر فيها علماء الأزهر ، وزيادة برامج الترفيه بسماع برامج الاذاعة ومشاهدة برامج التليفزيون ، واضافة الحلوى الى وجبات الافطار ، وتمكين المسجونين من تناول طعام السحور فى جو من الأخاء الكاملة •

* عقدت عدة مؤتمرات دولية وعالمية لبحث المشاكل الانسانية المعاصرة ، وتدعيم الأخوة الوطنية والوحدة الشاملة ، لمواجهة التيارات التى تحاول جاهدة وبشتى الأساليب تفريق الصفوف ، وتمزيق الترابطات وتفتيت الوحدات الوطنية •

ومن هذه المؤتمرات :

١ ـ المؤتمر الدولى الثانى للدين والسلام : عقد فى لوفن ببلجيكا ، واشترك فيه ممثلون لجميع الديانات المختلفة فى العالم ، وذلك لمناقشة موضوع : ( الدين من أجل حياة أفضل ) واحلال السلام العالمى والعدل ، ومثل مصر فى هذا المؤتمر وفد من كبار العلماء والمفكرين المسلمين والمسيحيين ، برياسة فضيلة الدكتور محمد الذهبى الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، والتقت مجلة الأزهر بفضيلته وطلبت منه أن يقدم الى القراء انطباعاته عن هذا المؤتمر فقال :

( اتسم المؤتمر بالعمل والنشاط ، وساده جو من المشاركة الايجابية والنيات الصادقة ، لحل المشاكل المعاصرة ، تحقيقا لأهداف المؤتمر : الحث على التعاون ، وتدعيم نظرة الديانات العالمية المختلفة الى السلام ، وتوجيه كل امكانيات الدين القائمة أو الكامنة من أجل شفاء النفس البشرية ، وتشجيع الجماعات الدينية ومؤسساتها المختلفة على الاصلاح الذاتى •

ومن أهم الموضوعات التى طرحت للمناقشة على لجان المؤتمر وندواته : الصراعات الخاصة فى الشرق الأوسط وغيره ـ الحقوق الانسانية والحريات الأساسية ـ تحديد متطلبات السلام الأولية لدى المؤسسات الدينية ـ التعليم من أجل السلام •

وأهم ما انتهى اليه المؤتمر مطالبة الدول الأوربية بالاعتراف بالاسلام ، وتمكين الأقليات المسلمة فى دول العالم المختلفة من ممارسة شعائر الدين •

٢ ـ المؤتمر الاسلامى المسيحى الدولى : عقد فى قرطبة بأسبانيا ، ومثل مصر فيه وفد من كبار العلماء والمفكرين المسلمين والمسيحيين ، برياسة الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الأوقاف ، وذلك لريادة التفاهم وتحقيق التعاون فى مجالات العمل المشتركة •

ووجه الرئيس محمد أنور السادات رسالة الى المؤتمر أكد فيها وحدة الأديان السماوية فى العمل على سعادة الانسان ، وأشاد بالوحدة الوطنية فى مصر والعالم العربى ، وتضامن المسلمين والمسيحيين فى الكفاح لتحرير الأرض المغتصبة وعروبة القدس الشريف وتحقيق السلام القائم على العدل .

ومن أهم القرارات التى اتخذها المؤتمر : التأييد الكامل لعروبة القدس وحقوق شعب فلسطين ، وحق العرب فى استرداد أراضيهم ، وتيسير تبادل المطبوعات والمخطوطات الدينية النادرة وزيادة التعاون بين أساتذة الجامعات فى مجالات التأليف المشترك فى قضية الايمان .

* تم وضع خطة عمل للتنسيق بين أجهزة الاعلام وأجهزة الدعوة الاسلامية على أن تعقد لقاءات بينها تهدف الى تنظيم رسالة الجمعيات الاسلامية ، وتدعيم خصائص المسجد، والارتقاء بمستوى البرامج الدينية ، ودراسة مشكلات الشباب ، وبخاصة الدينية والاجتماعية .

**ابراهيم حامد النوبهى**

---

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

**على سلطان على**

رقم الإيداع بدار الكتب / ١٦٧ /١٩٧٤

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٠٠٢-١٩٧٤-١٠٤٧٩

but a manifestation of that policy, which cannot be viewed in the abstract or out of its context. It is decidedly not an individual incident or an isolated event.

Actually one could also hold that this incident is a natural corollary of the continued Israeli occupation of Jerusalem, and it forms part and parcel of Israeli's avowed expansionist policy. It has a symptomatic significance, and the remedy should be rederessed not to the sympotom but to the cause. Consequently, there will be no safety for the Holy places in Jerusalem as long as the Israeli occupation of Jerusalem continues[1].

---

(1) Speech of the U.A.R. Represe..tative, Security Council, Sep. 9, 1969.

the effect that the Israelis have been digging and tunnelling into the depths below Al-Aqsa Mosque and the Muslim Holy places, on the pretext of archaeological researches. It has become known that they have dug into the pavement before the Wailing Wall, and have begun to tunnel beneath the Masjid Al-Sakhra (Dome of the Rock) and Al-Aqsa Mosque avowedly to discover the foundations of "Herod's Temple", which was destroyed in 70 A.d. by the Roman Emperor Titus.

In order to express the grief of the international community at the extensive damage caused by arson to the Al-Aqsa Mosque in Jerusalem under the military occupation of Israel, the security Council of the United Nations adopted Resolution No. 271 on the 15th September 1969 (1).

In this Resolution, the security Council recognized that any act of destruction or profanation of the Holy places, religious buildings and sites in Jerusalem or any encouragement of, or connivance at, any such act, may seriously endanger international peace and security.

The security council determined that the execrable act of desecration and profanation of the "Al-Aqsa Mosque" emphasized the immediate necessity of Israel desisting from acting in violation of the United Nations Resolutions and rescinding forthwith all measures and actions taken by it, and designed to alter the status of Jeursalem.

The Security Council therefore, called upon Israel scrupulously to observe the provisions of the Geneva Conventions and International Law governing military occupation. It also required Israel to refrain from causing any hindrance to the discharge of the established functions of the Supreme Muslim Council of Jerusalem, including any cooperation that the Council may desire from countries with predominantly Muslim population and from Muslim communities in relation to its plans for the maintenance and repair of the Islamic Holy places in Jerusalem.

At the same time, Israel was condemned in the Resolution by the Security Council for it failure to comply with the United Nations Resolutions and was called upon to implement them.

Israel's response to the will of the international community as expressed in the United Nations Resolutions was persistent disregard and defiance of it. The burning of Al-Aqsa Mosque was nothing

(1) Adopted by the Security Council at its 1512th Meeting, on 15th Sep. 1969.

Surprisingly, the Israelis have not hidden their nefarious designs to destroy Al-Aqsa Mosque in Jerusalem and to build a Jewish temple in its place. In 1920, they had unsuccessfully requested the British Govt. to hand over to them the land where the Mosque stands.

In 1922, Lord Melchett, a British Zionist (then Sir Alfred Mond), stated in public that the day would come when the Jewish temple would be rebuild[1], and in 1929, the cheif Rablei of Polestine said that tewish young people all over the world were ready to sacrifice their lives to redeem the holy tmple occuied by Al-Aqsa Mosque.

When a correspondent wondered how the temple of Solomon could be rebuilt in place of the beautiful "dome Of the Rock", a Zionist leader said that earthquackes would come to realize the dream. It seems that it is not necessary for certain earthquakes to be always caused by nature[2].

As far back as 1948, committees of Jewish rabbis and scholars prepared minute descriptions of the Jewish Temple which had existed two thousand years ago but were completely destroyed by the Romans in 70 A.D. A committee of Architects was set up in 1949 to design the jewish temple on the site of Al-Aqsa Mosque. After the Israelie occupation of Jerusalem in 1967, world Jewry established a secret fund of 200 million dollars for the construction of that temple. Since March, 1968, Israeli authorities have carried out excavations under and around the Mosque in the hope of discovering traces of the Jewish Tepmle.

In addition, it has been reported that Israel declared on 16th of July, 1969 — i.e. about one month prior the burning of the Mosque- that the extension of the Wailing Wall would be completely cleared for the first time after one thousand years.

When Israel occupied Jerusalem in June, 1967, only thirty yards of the Wailing Wall were visible, but since then another fifty yards have been cleared. It is understood that the clearing process of the Wall which has been carried out by Israel, necessitates the demolishing of the Muslim Shrines.

Accordingly, one can easily understand the press reports, to

---

(1) Report of the Commission appointed by the British Gevernment with the approval of the Council of the League of Nations, to determine the rights and claims of Muslims and Jews in connection with the Western or Wailing Wall at Jerusalem. December, 1930, published by the Institute for Palestine Studies, Beirut, 1968, p. 35.

(2) M.W. Gudar, Palestine and Crescent. "The Minaret". Vol. IX No. 6 (June 1970), p. 15.

# THE TRAGEDY OF (AL-AQSA MOSQUE)

*By*

AHMED TAHA

When the Israeli forces occupied Jerusalem in June 1967, they hoisted the Israeli flag over the Al-Aqsa Mosque, and erected signboards in Hebrew declaring it as a Jewish holy place. They denied entrance to Muslims except on Fridays, and transformed the Mosque into a tourist attraction.

On the 21st of August, 1969, Al-Aqsa Mosque(1) was set fire. This act of vandualism was perpetrated by the Israeli occupation authorities. Surely it is a crime against humanity and must be condemned as such, not only by the Muslims but also by all upright and conscientious people of the World.

It is but natural that this outrage has shocked the Muslims in particular who venerate the Al-Aqsa Mosque as one of the most sacred shrines of Islam and, admittedly a precious part of the spiritual and cultural heritage of all mankind. Events of this kind have no parallel in the history of Jerusalem.

There are irrefutable facts which establish the responsibility of Israel for burning the Al-Aqsa Mosque — a responsibility of which Israel cannot acquit herself, neither by attributing the fire to an electric short - circuit nor by arresting a criminal whom Israel calls a religious fanatic.

In fact, the fire in Al-Aqsa has revealed that the Zionist challenge is not confined to the expansion of Israel's territorial, economic and political frontiers, but also includes the obliteration from the Arab landscape everything that makes it Arab and Islamic(2).

It has to be pointed out that the burning of Al-Aqsa Mosque, underlines the clear plans of Israel to rebuild "Solomon's Temple" on the ruins of one of the most revered Muslim shrines. It has been observed that Israel managed to collect contributions from abroad for this purpose claiming that the mosque of Umar, which is part of "Al-Haram", is situated on the site of the Temple.

---

(1) Ruhi Al-Khatib, The Judaization of Jerusalem, July 1970, pp. 34-39.

(2) Muhammed wahby, Arab Quest for Peace, Delhi, 1971, p 33.

of his own allegation, by adding that there is nothing in the Holy Quran to corroborate it, and that the idea was not present even to the mind of the Prophet :

"In the Meccan Suras of the Kuran patience under attack is taught ; no other attitude was possible. But at Madina, the right to repel attack appears, and gradually it became a prescribed duty to fight against and subdue the hostile Meccans. Whether Muhammad himaself recognized that his position implied steady and unprovoked war against the unbelieving world until it was subdued to Islam may be indoubt. Traditions are explicit on the point ; but the Quranic passages speak always of the unbelievers who are to be subdued as dangerous or faithless".

Here is a plain confession that the Quran does not enjoin the waging of war against all unbelievers so as to subdue them to Islam, nor was the idea present to the mind of the Holy Prophet. The logical consequence of this confession is that genuine hadith cannot inculcate such a doctrine, for Hadith is the saying of the Prophet. And if the Quran and the Prophet never taught such a doctrine, how could it be said to be the religious duty of the Muslims ? There is obviously a struggle here in the writer's mind between preconceived ideas and an actual knowledge of facts.

It is a mis-statement of facts to say that patience under attack was taught at Makka, beacause there was no other alternative, and that the right to repel attack came at Madina. The attitude was no doubt changed but that change was due to the change of circumstances. At Makka there was individual persecution and patience was taught. If the conditions had remained the same at Madina, the Muslm attiude world have been the same. But individual persecution could no more be restored to by the Quraish as the Muslims were living out of their reach. This very circumstance fanned the fire of their wrath and they now planned the extinction of the Muslims as a nation. The sword was taken up to annihilate the Muslim community or to compel it to return to unbelief. That was the challenge thrown at them, and the Prophet had to meet it. The Holy Quran bears the clearest testimony to it.

(to be continued)

fighting for the truth and it shall be triumphant over its opponents,' which words are thus explained in the "Aun al-Mabu'd, a commentary of Abu Dawud, on the authority of Nawavi : "This party consits of different classes of the faithful, of them being the brave fighters, and the faqihs (jurists), and the muhaddithun (collectors of Hadith), and the zahids (those who abstain from worldly pleasures and devote themselves to the service of God), and those who command the doing of good and prohibit evil, and a variety of other people who do other good deeds," This shows that jihad in Hadith includes the services of Islam in any form.

It is only among the jurists that the word jihad lost its original wider significance and began to be used in the narrower sense of quital (fighting). The reason is not far to seek. The books of fiqh codified the Muslim law, and in the classification of the various subjects with which the law dealt quital (fighting) found a necessary place, but invitation to Islam, though a primary meaning of the word jihad, being a matter of free individual choice, did not form part of the law. The jurists who had to deal with quital, therefore, used the word jihad as synonymous with qital, and, by and by, the wider significance of jihad was lost sight of, though the commentators on the Holy Quran accepted this significance when dealing with verses such as 25 : 52. But that was not only misuse of the word. Together with this narrowing of the significance of jihad, the further idea was developed that the Musilms were to carry on a war against unbelieving nations and countries whether they were attacked or not, an idea quite foreign to the Holy Quran.

The propagation of Islam is not doubt a religious duty of every true Muslim, who must follow the example of the Holy Prophet, but, "the spread of Islam by force," is a thing of which no trace can be found in the Holy Quran. Nay, the Holy Book lays down the opposite doctrine in clear words : "There is no compulsion in religion," and the reason is added : "The right way is clearly distinct from error" (2 : 256). This verse was revealed after the permission for war had been given, and it is therefore certain that the permission to fight had no connection with the preaching of religion. That the Holy Quran never taught such a doctrine, nor did the Holv Prophet ever think of it, is a fact which is now being gradually appreciated by the western mind. Aftér beginning his article on Dijihad with the statement that "the spread of Islam by arms is religious duty upon Muslim in general," D. B. Macdonald, the writer of the article in the Encyclopaedia of Islam, in a way questions the correctness

where the context so requires. "Those who believe and those who fly from their homes and strive hard in the way of Allah" (2:218; 8:74), is a discription which applies as much to the fighters as to those who carry on the struggle against unbelief and evil in other ways. And the sabirin (those who are patient), and the mujahidin (those who struggle hard), are again spoken of together in a Madina revelation as they are in a Makka revelation : "Do you think that you will enter the garden while Allah has not yet marked out those who strive hard from among you and He has not marked out the patient" (3:141).

Even in Hadith literature, the word jihad is not used exclusively for fighting. For example, hajj is called a jihad: "The Holy Prophet said, The hajj is the most excellent of all jihads" (Bu. 25:4). Of all the collections of Hadith, Bukhari is most explicit on this point. In I'tisam bi-l-Kitab wa-l-Sunna, the 4*th* chapter is thus headed : "The saying of the Holy Prophet, A party of my community shall not cease to be triumphant being upholders of Truth," to which are added the words, "And these are the men of learning (ahl al-' ilm)" (Bu. 96:11). The Prophet's actual saying, as reported in other hadith, contains the additional word yuqatilun, as in AD 15:4.

Thus Bukhari's view is that the triumphant party of the Prophet's community does not consist of fighters, but of the men of learning who disseminate the truth and are engaged in the propagation of Islam. Again, in his book of Jihad, Bukhari has several chapters speaking of simple invitation to Islam. For instance, the heading of 56 : 99 is : "May the Muslim guide the followers of the Book to a right course, or may be teach them the Book ;" that of 56 : 100 : "To pray for the guidance of the polytheists so as to develop relations of freindship with them ;" that of 56 : 102 : "The invitation (of the unbelievers) by the Holy Prophet to Islam and prophethood, and that they may not take for gods others besides Allah ;" that of 56 : 143 : "The excellence of him at whose hands another accepts Islam ;" that of 56 : 145 : "The excellence of him who accepts Islam from among the followers of the Book ;" and that of 56 : 178 : "How should Islam be presented to a child."

These headings go to show that up to that time of Bukhari, the word jihad was used in the wider sense in which it is used in the Holy Quran, invitation to Islam being looked upon asm jihad. Other Hadith literature contains similar references. Thus Abu Dawud (AD. 15 : 4) quotes under the heading "The continuity of jihad" a hadith to the effect that "a party of my community shall not cease

for the verse here quoted, since it enjoins jihad and patience in one breath.

I may quote two or more examples of the use of the word jihad in the Makka revelations. In one place it is said: "And strive hard (jahidu) for Allah, such a striving (jihad) as is due to Him" (22 : 78). And in the other: "So do not follow the unbelivers and strive hard (jahid) against them a mighty striving (jihad-an) with it" (25: 52), where the personal pronoun it refers clearly to the Holy Quran, as the context shows. Now in both these cases, the carrying on of a jihad is clearly enjoined, but in the first case it is a jihad to attain nearness to God, and in the second it is a jihad which is to be carried on against the unbelievers, but jihad not of the sword but of the Holy Quran. The struggle made to attain nearness to God and to subdue one's passions, and the struggle made to win over the unbelievers, not with the sword but with the Quran, is, therefore, a jihad in the terminology of the Quran, and the injunctions to carry on these two kinds of jihad were given long before the command to take up the sword in self defense.

A struggle for national existence was forced on the Mislims when they reached Madina, and they had to take up the sword in self-defence. This struggle went also, and rightly, under the name of jihad; but even in the Madina suras the word is used in the wider sense of a struggle carried on by words or deeds of any kind. As a very clear example of this use, the following verse may be quoted which occurs twice: "O Prophet: strive hard (jahid from jihad) against the unbelievers and the hypocrites, and remain firm against them; and their abode is Hell; and evil is the destination" (9: 73; 66 : 9). Here the Prophet is hidden to carry on a jihad against both unbelievers and hypocrites. The hypocrites, were those who were outwardly Muslims and lived among and were treated like Muslims in all respects. They came to the mosque and prayed with the Muslims. They even paid zakat. A war against them was unthinkable and none was ever undertaken. On the other hand, they sometimes fought along with the Muslims against the unbelievers. Therefore the injuction to carry on a jihad against both unbelievers and hypocrites could not mean the waging of war against them. It was a jihad in the same sense in which the word is used in Makka revelations a jihad carried on by means of the Hol yQuran as expressly stated in 25; 52, a striving hard to win them over to Islam. In fact, on other occasions as well, it is a mistake to think that jihad means only fighting; the word is almost always used in the general sense of striving hard, including fighting

or ability, in contending with an object of disapprobation; and this is of three kinds, namely, a visible enemy, the devil, and one's self; all of which are included in the term as used in the Kur. xxii. 77". Jihad is therefore far from being synonymous with war, while the meaning of "war undertaken for the propagation of Islam," which is supposed by European writers to be the significance of jihad, is unknown equally to the Arabic language and the teachings of the Holy Quran.

. Equally, or even more important is the considerati n of the sense in which the word is used in the Holy Quran. It is an admitted fact that permission to fight was given to the Muslims when they had moved to Madina, or, at the earliest, when they were on the eve of leaving Makka,. But the injunction relating to jihad is contained in the earlier as well as in the later Makka revelations. Thus, the 'Ankabut, the 29*th* chapter of the Holy Quran, is one of a group which was undoubtedly revealed in the fifth and sixth years of the Call of the Prophet, yet there the word jihad is freely used in the sense of exerting one's power and ability, without implying any war. In one place it is said: "And those who strive hard (jahadu) for Us, We will certainly guide them in Our ways, and Allah is surely with the doers of good" (29 : 69). The Arabic word jahadu is derived from jihad or mujahida, and the addition of 'fi-na' (for Us), shows, if anything further is needed to show it, that the jihad, in this case is the spiritual striving to attain nearness to God, and the result of this jihad is stated to be God's guiding those striving in His ways. The word is used precisely in the same sense twice in a previous verse in the same chapter: "And whoever strives hard (jahada), he strives (yujahidu) only for his own soul," that is, for his own benefit, "for Allah is Self-sufficient, above need of the worlds" (29 : 6). In the same chapter, the word is used in the sense of a contention carried on in words: "And We have enjoined on man goodness to his parents, and if they contend (jahada) with thee that thou shouldst associate others with Me, of which thou hast no knowledge, do not obey them" (29 : 8).

Among the later revelations may be mentioned al-Nahl, the 16th chapter, where it is said, towards the close: "Yet thy Lord, with respect to those who fly, after they are persecuted, then they strive hard (jahadu) and are patient (sabaru), thy Lord after that is surely Forgiving, Merciful". (16 : 110). There is another very prevalent misconception, namely, that at Makka the Holy Quran enjoined patience (sabr) and at Madina it enjoined jihad, as if patience and jihad were two contradictory things. The error of this view is shown by

## JIHAD - ITS MEANING AND SIGNIFICANCE

*By*

MAULANA MUHAMMED ALI (*)

A very great misconception prevails with regard to the duty of jihad in Islam, and that is that the word jihad is supposed to be synonymous with war; and even the greatest research scholars of Europe have not taken the pains to consult any dictionary of the Arabic language, or to refer the Holy Quran, to find out the true meaning of the word. So wide-spread is the misdunderstanding that a scholar of the fame of A.J. Wensinck, when preparing his concordance of Hadith, A Handbook of Early Muhammadan Tradition, gives not a single reference under the word 'jihad', referring the reader to the word war, as if the two were synonymous terms. The Encyclopadia of Islam goes even further beginning the article on Dijihad thus; "The spread of Islam by arms is a religious duty upon Muslims in general; " as if jihad meant not only war undertaken for the propagation of Islam. Klein in The Religion of Islam makes a similar statement : "Jihad. —The fighting against unbelievers with the object of either winning them over to Islam, or subduing and exterminating them in case they refuse to become Muslims, and the cause Islam to spread and triumph over all religions is considered a sacred duty of the Muslim nation." If any of these learned scholars had taken the troble to consult an ordinary dictionary of the Arabic language, he could never have made such a glaring mis-statement. The word jihad is derived from jahd or juhd meaning ability, exertion or, power, and jihad and mujahida mean the exerting of one's power in repelling the enemy. The same authority then goes on to say: "Jihad is of three kinds; viz., the carrying on of a struggle: 1. against a visible enemy, 2. against the devil, 3. against self (nafs)." According to another authority, jihad means fighting with unbelievers, and that is an intensive form (mubalagha), and exerting one's self to the extent of one's ability and power whether it is by word (qaul) or deed (fiol). A third authority gives the following significance: "Jihad, inf. n. of jahada, properly signifies the using or exerting of one's utmost power, efforts, endeavours

(*) The Religion of Islam

The order of the complete Book had to be different from its chronological order to suite the requirements of the Muslim community for all times. Then the Quran had first of all, to acquaint the Muslims thouroughly with their duties concerning the regulations of their lives, to prepare them for carrying its message to the others, and to warn them of the mischiefs and evils that appear among the followers of the former prophets so that they should be on their guard against them.

In order to avoid one sickness at any stage of its study it is essential that the Suras revealed at the earilest stages of the movement should come between those revealed in the later stages, and that the Mecca suras should intervene between the Madina Suras and vice versa so that the entire picture of the complete Islam should always remain before the reader. Above all these facts, it should also be noted that the present order of the Quran was done by the Prophet himself under the guidance of Allah. Whenever a sura or verse was revealed the prophet would dictate it word for word to his companions and direct them to place it after such and such before such and such sura and verse. Thus it is an established, fact that the order of the One, the Almighty Allah, ran were arranged in the present orders on the same day by the one who it was revealed, that is the messenger under the guidance of the One, the Almighty Allah, who revealed it. - The Quran, which is now in use all over the world is the same Quran word-by word which was presented to the world by the Prophet Muhammed. None can have my doubt whatsoever regarding its authority, immunity and purity from any and every kind of alteration, for there is nothing so authentic in the whole human history as this fact about the Quran that it is the same Quran that was presented by the Prophet Muhammed to the world. Before the reader begins the study of the Quran, he must bear in mind the fact that it is a Unique Book, Quite different from the book one usually reads. He should also keep in view the nature, the aim, the style and the terms it adopted to explain things in different circumstances and occasions to different people in which certain verse or sura was revealed.

morality. In this stage they were so imbued with the spirit of sacrifice for this noble cause.

During this second Mecca stage of the movement it started to spread wider and wider, and the opposition to it became stronger and stronger. The movement came into contact with the people of different creeds and different ways of life and this gave rise to new problems. The discourses therefore, began to deal with various new topics as well. It must have become clear from the above that the style and background of the passages of this stage had to be different from that of the earlier one.

From the migration of the Prophet to Madina, the movement entered its third stage under new conditions. Then it became possible to collect all its followers from the various parts of Arabia, were a new society had succeeded in founding a regular state. It had also to deal with different communities the Jews, Christians and others. In this stage, the movement was in a position to extend its universal message of reform to the outer world. Several changes took place in this stage, so Allah revealed to the messenger the kind of discourses required for any particular occasion in this changed condition. Some of these were in the form of a teacher, reformer and taught the principles and the methods of organising a community. Some adopted the method of the law-giver for the conduct of different affairs of life.

In short the background and style of the revelations during the ten years at Madina had to be different from that of the Mecca stages. Now that some discourses taught the Muslims the kind of relations they should have with other nations. Others taught the moral lessons they needed in war, peace, defeat and victory. Then some discourses invited to Islam the people of the Book, and the unbelievers. Though it was to be the Book for all times, it had to be revealed in portions during twenty-three years according to the needs and requirement of the different stages through which the movement was passing.

The sequence of the revelations that suited the gradual evolution of the movement could not in any way be suitable after the completion of the Quran. In the early stages of the movement the Quran addressed those people who were totally ignorant of Islam and therefore naturally it has first of all to teach them the basic articles of faith. After its completion the Quran was primarily concerned with those who had accepted Islam and formed a community for carrying on the work entrusted to it by the Prophet.

was not revelead as a complete book at one time, nor did Allah hand over written copy of it to the Prophet Muhammed at the very beginning of his mission. More over it is not a literary work of the common convertional type.

The Quran adopts its own style to suite the guidance of the movement that was started by the messenger under the direct Command of Allah Who revealed the Quran in portions to meet the require ments of the movement in its different stages. When the Prophet was commanded to start his mission at Mecca, Allah sent down such instructions as the messenger needed for his own training for the great work that was entrusted to him. The Quran imparted also the basic knowledge of the reality and invited people to accept the basic principles of morality, and gave brief answers to the common misunderstandings that misled them to adopt wrong ways of life.

The messages revealed to the Prophet in the early stage of the movement, consisted of short and concise sentences in a very fluent and effective language to suite the taste of the people to whom they were first addressed. Though universal truths were enunciated in these messages, in order to impress the early addresses effectively, they were dealt with the history, traditions, beliefs and morality of those people.

The excellent literary style of the passages was so appealing that it touched the very hearts of the people of Mecca, and attracted thier attention and they began to repeat them. This early stage of the movement lasted for about four years. The Quraish began to oppose it because in their ignorance they thought that this movement hit hard at their vested interests and the old traditions of their forefathers. Then the movement entered its second stage which continued for about nine years. The message of the Quran went on spreading beyond the boundaries of Mecca and reached other clans. A fierce struggle began with the old order. The opponents of the movement rouse up to suppress it employing all sorts of weapons. They spread suspicions and false propaganda in order to alienate the common people from it. They also inflicted all sorts of cruelties on those who followed the Prophet. On the other hand the world could not help feeling the moral superiority of the movement that so throughly transforming the characters of its followers. All through this long and bitter struggle the revelation was continued according to the requirements of the occasion, consoling and encouraging them with promises of success in this world and of eternal happiness in the Hereafter. They were also instructed in their primary duties, and taught the ways piety and high

and to its invitation round which every other topic revolves.

When the Quran is studied in the light of these basic facts, no doubt is left that the whole of it is a closely reasoned arguments and there is continuity of subject throughout the Book. There is no incongruity in the style, no gap in the continuity of the subjects and no lack of interconnection between its various topics. The intimate connection of its different topics with its central theme, may be linked to the beautiful gems of the same necklace, with different sizes and colours.

We should also take into consideration the fact that the Quran is a Unique Book in the style of the revelation. The Revelation of the Quran began simultaneously with the beginning of the Islamic Movement, and continued for twenty-three years. The different portions of the Quran were revealed according to the requirements of the various phases of the Movement, in different occasions and circumstances.

It is thus obvious from the above that the various portions of the Quran were not ment to be published in the form of pamphlets at the time of their revelation but were to be delivered as adresses and promulgated as such. Hence they could not be in the style of a written work. The Prophet Muhammed was entrusted with a special mission and had to both to the amotions and to-intellect. He had to deal with people of different mentalities and cope with various kinds of experiences and different situations during the course of his mission. He has also to train and reform his followers and to refute the arguments of opponents. That is why the style of the discourses that Allah sent down to His messenger had to be what the requirements of the movement. It is it therefore wrong to seek in the discourses of the Quran, the style which is followed in formal books on religion and the like.

As regards the order of the Quran we should note the following facts : A movement and a mission naturally demand that only those things should be presented which are required at a particular stage. The same things are repeated as long as the movement remains in the same stage, but with different words and style to make them impressive and effective. Of course, it repeats at suitable places its basic creed and principles in order to keep the movement strong at every stage.

Another important fact we should know that one can not understand fully many of the topic discussed in the Quran unless he is acquainted with the back ground of their revelation. For, the Quran

He should also be well acquainted with its style, the terms it uses and the method it adopts to explain things. He should also keep in view the background and circumstances under which a certain verse, or chapter was revealed. First of all he should know that his preconceived notions of any book cannot help him understand this Book, and then only he can understand the distinctive features of it. If he approaches the Quran with the common notions of a book, he rather puzzeld by its style and manner of presentation.

First of all we have to understand the real nature of the Quran, then it becomes easier to determine the subjects it deals with and its aim and objects. To understand the nature of the Quran as a Divine Guidance and a complete code of life we must start with following facts, : whether one believes that Quran is a revealed Book or not he will have to consider the claim that is put forward by its self and its bearer, Prophet Muhammad, that this revealed from God as a Guidance for mankind. The subject it deals with is 'man'. Its aims and objects are to guide him to the Right Path, and to prevent clearly the Guidance of God. The central theme that runs throughout the Quran is the exposition of the real Truth and invitation of the people to the Right Way based on it. This is in conformity with real nature in which the almighty God has created the entire universe.

As the aim of Quran is to guide mankind and not to teach nature study or history of philosophy or art or any other sciences, it does not concern itself with these subjects. The only thing with which it is concerned is to expound the reality to remove misunderstanding and misconceptions about it, in order to impress the Truth upon the minds. In this way it invites people to the Right Path, and warns them of the consequences of wrong attitudes. The Quran keeps the same aim whether it is critising of creeds, deeds and social systems of some communites, or discussing of the problems of metaphysics etc. The same is true when it is realting the story of the creation of the Earth and the Heavens, the man, or is referring to man's festations in the universe or stating events from human history.

From its very beginning to its end, the different topics it deals with are so intimattely connected with its aims and objects, and its central theme. As a matter of fact, this Book is not irrelevant anywhere with regard to its aim and subject. That is why it states or discusses or cites a thing only to the extent relevant to its aims and objects, and leaves out unnecessary and irrelevant details and turns over to its central theme,

# MAJALLATU'L AZHAR

**(AL-AZHAR MAGAZINE)**

MANAGER : ABDURAHIM FŪDA

| SHAWWAL 1394 | ENGLISH SECTION | NOVEMBER 1974 |
|---|---|---|


## THE UNIQUE CHARACTER OF THE HOLY QURAN


*By*

DR. MOHIADDIN ALWAYE


In order to understand the real nature of the Quran, it is essential to know the fact that it is a Unique Book, quite different from the usual books in all aspects. Its style and method of explaining things, its central idea and its aim and object are also different from those of other books one commenly reads. The Quran does not contain information, ideas and arrangements about specific themes arranged in a literary order. That is why a common reader, on his first approach to it, finds the enunciation of its theme or its division into chapters and sections or separate instructions for different aspects of life, are arranged in an order not familiar to him before and which does not conform to his conception of a usual book.

When an unwary reader finds that the Quran deals with creeds, gives moral instructions, draws lessons from historical events, givings good tidings, lays down laws, and invites people to follow the Divine Guidance, all mixed together in a beautiful style, without any apparent connection. He begins to feel that the Quran is a Book without any order or inter-connection between its verses or continuity of its subject. As a result of this, some ignorants raise strange objections against the Quran. This happens when they do not take into consideration the fact that the Quran is a unique Book in all aspects.

One should bear in mind before — hand that the Book he is intending to study and understand is the only book of its kind in the whole world ; its literary style is quite different from that of all other books, its theme is unique.



مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت {٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

الجزء التاسع — السنة السادسة والأربعون — ذو القعدة سنة ١٣٩٤ هـ — نوفمبر سنة ١٩٧٤ م


بسم الله الرحمن الرحيم

# التوكل على الله


للأستاذ عبد الرحيم فودة


التوكل على الله من لوازم الايمان به جل شأنه ، بل هو من الايمان فى الصميم ، لأن مفهومه داخل فيه ، لا يخرج منه ، ولا ينفك عنه .

ذلك لأن معنى الايمان ليس مقصورا على التصديق بوجوده ، وانما هو التصديق بكل ما يليق به جل شأنه ، ويجب له من صفات الجلال والكمال والجمال ، ولا شك أن كل موجود يدين بوجوده له ، وأن كل شىء مرده اليه ، وأنه - تبارك وتعالى - له الخلق والأمر ، وهو كما يقول : «بيده الملك وهو على كل شىء قدير » .

فالاعتماد على غيره ، والتماس الخير من سواه لا يستقيم مع الايمان بأنه : لا اله الا هو ، وأنه الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى : «وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » وانما يستقيم الايمان مع الشعور بأنه وحده

معاذ العائذ ، وملاذ اللائذ ، وأمن الخائف ، وجار المستجير ، وأن رحمته وسعت كل شيء ، وأنه فعال لما يريد ، وأنه كما يقول : « يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد » .

هذه المعانى وما اليها اذا امتلأ بها قلب المسلم قوى ايمانه ، ورسخ يقينه ، واتجه الى الله يستهديه ويستعينه ، وفوض أمره كله اليه ، وتوكل فى كل شئونه عليه ، ( ومن يتوكل على الله فهو حسبه ) أى كافيه ومغنيه .

وهذه المعانى اذا امتلأ بها قلب المؤمن عظمت ثقته بالله ، وقوى رجاؤه فى عدله وفضله وواسع رحمته ، وكان كما يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما فى يديه » .

ولا شك أن شعوره بذلك يدفعه الى العمل الصالح ، ويغريه بالخير المرتقب ، والأجر الكبير المأمون المضمون ، فان الله وعد بذلك وهو لا يخلف وعده ، فقال تبارك وتعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » ، وقال جل شأنه : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

فالعمل بما أمر الله لازم لصحة التوكل عليه ، وترقب الخير منه ، والأخذ بالأسباب والوسائل التى رتب الله عليها المسببات والنتائج من المقررات الشرعية التى لا شك فيها ، ولعل ذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » .

فالتوكل على الله مع اهمال الأخذ بالأسباب واغفال العمل بمقتضى الايمان لا يسمى توكلا ولا يسمى ايمانا ، ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وان قوما غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم .. وقالوا نحن نحسن الظن بالله .. وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

فذلك يفهم منه أن الايمان لايكون بمجرد تخيل الأماني ، وتمنى الحصول عليها بغير الأسباب الموصلة اليها ، ولكن الايمان الحقيق باسم الايمان هو ما استقر في نفس المؤمن أنه حق فاطمأن اليه ، وحرص عليه ، ثم كان عمله موافقا له . مصدقا لوجوده أو دعوى اعتقاده .

وهذا الايمان بهذا المعنى الواسع العميق هو الذى يستقيم معه ويدخل فيه أو يتبعه معنى التوكل على الله ، وهذا ما يلمح في قول الله : « وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » فقد جعل الايمان شرطا للتوكل عليه . والايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل كما قال صلى الله عليه وسلم ، والتوكل ليس عاطفة سلبية بل هو قوة ايجابية وطاقة روحية تدفع المؤمن الى العمل والانتاج . والأخذ بوسائل القوة وأسباب التقدم ، ولهذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم : «المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » ، ثم يذكر وسائل القوة فيقول : «احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز . وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل . فان لو تفتح عمل الشيطان » .

غير أنه يجب أن يلاحظ أن الاعتماد على الأسباب ليس معناه الثقة المطلقة في أنها تؤدى الى الخير المنشود منها ، بل يجب الايمان بأنها وأن ما يراد منها مردهما الى الله ، فهو خالق الأسباب والمسببات . وقد يعطل الأسباب عن عملها فلا تثمر الخير ، وقد يكون فيها الشر من حيث نرى فيها الخير . كما يفهم من قوله تعالى : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ، ولهذا كان التوكل عليه لا عليها ، والاعتماد عليه لا على غيره .

فالتوكل على الله يكون بمجموع أمرين : الأول : الاعتماد عليه،والثقة به والايمان بأن الخير منه واليه ، والثاني : العمل بما أمر به والأخذ بالوسائل والأسباب التى رتب عليها النتائج والمسببات .

والله ولى التوفيق ؟

**عبد الرحيم فودة**

# دراسات قرآنية :

# كتب اليهود وأحلام الصهيونية

للأستاذ مصطفى الطير

« واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم ( ١٦٧ ) وقطعناهم فى الأرض أمما ( ١٦٨ ) » .
الآيتان من سورة الأعراف .

**مقدمة :**

تعتمد الديانة اليهودية على أصلين: - التوراة والتلمود - مضموما اليهما باقى كتب العهد القديم ، ويتكون العهد القديم من التوراة والأسفار التاريخية ، وأسفار الأناشيد ، وتتكون التوراة من أسفار خمسة : التكوين والخروج ، والتثنية ، واللاويين ، والعدد ، أما الأسفار التاريخية فهى : اثنا عشر سفرا ، وأما أسفار الأناشيد فهى : سبعة عشر سفرا .

وأقدس هذه الكتب لدى اليهود ، التوراة بأسفارها الخمسة والتلمود ، فهما أساس دينهم ، ومنطلق غرورهم وغدرهم وخيانتهم ، واستهانتهم بكل أجناس البشر وطمعهم فى حكم العالم واستعباد أهله ، بما يشتملان عليه من نصوص أورثتهم الغرور ، ودفعتهم الى البغى وحب السيطرة على عباد الله ، والطمع فى دولة يهودية عالمية ، يحكمون بها أجناس البشر ويستعبدونهم .

واذا عرفت أن التوراة التى بأيديهم وكذا التلمود من وضع أحبارهم ، وليسا من عند الله تعالى ، أدركت سر انحراف هذه النصوص ، وبعدها عن الحق والحكمة والصواب ، وعرفت سر شقائهم وشقاء البشرية بهم .

**اين التوراة الأصلية ؟ :**

التوراة الأصلية أنزلها الله على موسى عليه السلام لهداية بنى اسرائيل الى الحق ، لا لكى يستعلوا بها على البشر ، وهى التى قال الله تعالى فى شأنها : « قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس

تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » ( ٩١ ) من سورة الأنعام ويستحيل أن ينزل الله تعالى فيها تلك النصوص التي يستعلون بها على البشر ، فان الناس كلهم لآدم ، وآدم من تراب ، والشرائع السماوية شأنها المساواة بين الناس ، وتجميعهم على الحق ، لا جعلهم طبقات عنصرية تنفر أدناها من استعلاء أعلاها ، وانما يتفاوت الناس بتقواهم .

كما يستحيل أن ينزل فيها أو في غيرها من الكتب السماوية ، ما يحط من جلال الله وعظمته ، أو يحول دون هداية البشر ، ولهذا نجزم بما جزم به المحققون ، من أن التوراة التي بأيدي اليهود من صنعهم ، وليست هي كتاب الله الذي أنزله على موسى لهداية بني اسرائيل ، لما فيها من الاسفاف في التعبير ، وتجسيد الاله ، والروايات المخجلة عن الأنبياء وبيوتهم وسلوكهم ، كزنى لوط بابنتيه ـ وحاشاه أن يفعل ذلك ـ وزنى داود بزوجة الجندي ـ أوريا ـ الذي كان يحارب الوثنيين ـ وحاشاه أن يرتكب هذا الاثم ـ وزنى ولد داود بأخته دون نكير من أبيه ، الى غير ذلك من الفضائح الكاذبة ، التي لا يليق ذكرها في كتاب عادي ، فكيف يعقل أن يشتمل عليها كتاب سماوي .

والحقيقة : أن التوراة الأصلية فقدت بعد وفاة يشوع ( يوشع ) الذي دانت له اسرائيل بعد موسى عليه السلام ، فقد تمادوا بعد وفاته في معصية الله ، حتى ارتدوا الى عبادة الأوثان ، فسلط الله عليهم ملوك الوثنيين حولهم ، فحاربوهم وغلبوهم ، وغنموا منهم غنائم من بينها تابوت العهد وفيه التوراة ، ولم يكن لديهم نسخة أخرى سواها ، واستمروا بعد ذلك بدون توراة أربعمائة وخمسين سنة ( ٤٥٠ ) سنة حتى عهد النبي سليمان عليه السلام ، فانه لما فرغ من بناء الهيكل ، استخلص تابوت العهد من ناهبيه ، ليضعه في المحراب الذي أعد له في الهيكل ، فلما فتحه لم يجد فيه التوراة ، وانما وجد لوحين من الحجر مكتوبا عليهما الوصايا فحسب ، وبهذا فقدت التوراة الأصلية ، ولم يعد لها أثر في الوجود .

وقد أعاد سليمان بني اسرائيل الى حظيرة التوحيد والاستقامة ، ولكنهم

بعده عادوا الى معاصيهم وجرائمهم ، فسلط الله عليهم سنة ٥٨٦ قبل الميلاد (نبوخذ نصر)المعروف ببختنصر ملك الكلدانيين فى بابل ، فقضى على مملكتى يهوذا واسرائيل نهائيا ، وأخذ معظمهم أسرى ، وعاد بهم الى بابل بالعراق، بعد أن دمر القدس والهيكل وهناك عبدوا آلهة البابليين ، كما عبدوا آلهة جيرانهم قبل داود وسليمان عليهما السلام ، ويسجل سفر القضاة فى اصحاحه الثانى عبادتهم للأوثان فيقول : من ( ١١ ) الى ( ١٦ )

( وقام بعدهم جيل لم يعرف الرب ولا العمل الذى عمل لاسرائيل ، وفعل بنو اسرائيل الشر فى عينى الرب ،وعبدوا البعليم ، وتركوا الرب اله آبائهم ، الذى أخرجهم من أرض مصر ، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم ، وسجدوا لها وأغاظوا الرب ، وعبدوا البعل وعشتاروت ، فحمى غضب الرب على اسرائيل ، فدفعهم بأيدى ناهبين نهبوهم ، وباعهم بيد أعدائهم حولهم ، ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم ، حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر كما تكلم الرب ، وكما أقسم الرب لهم ، فضاق بهم الأمر جدا ، وأقام الرب قضاة فخلصوهم من ناهبيهم ، ولقضاتهم أيضا لم يسمعوا ، بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها ، حادوا سريعا عن الطريق التى سار بها آباؤهم يسمع وصايا الرب ،لم يفعلوا هكذا، وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضى ، وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضى ، لأن الرب ندم من أجل أبيهم ) .

فأنت ترى من هذا النص وأمثاله أنهم عبدوا الأوثان وأغضبوا الرب ، فكيف يصح ادعاؤهم أنهم شعب الله المختار ، وقد أشركوا به فسلط عليهم أعداءهم وتخلى عنهم .

ويلفت النظر ما جاء فى آخر هذا النص من نسبة الندم الى الله تعالى ، والندم لا يصدر الا ممن أساء التصرف ، وهذا لا يجمل أن ينسب الى حكماء البشر ، فكيف ينسب الى الله المدبر الحكيم ، ولا شك أن ذلك من أمارات الصنعة والوضع لتلك النصوص التى زعموها مقدسة منزلة .

ولا يجادل اليهود فى فقدان التوراة الأصلية وضياعها ، ولكنهم يزعمون

أن الكاهن عزرا كتبها بالالهام ، ولكن هذا الزعم لا يمكن قبوله ولا تصديقه، فكيف يصدق زاعم ذلك والأصل مفقود ، فلا يعرف حينئذ مبلغ ما كتبه عزرا لهذا الأصل أو مخالفة له ، ولو أن كل دعوى صدقت لفسدت أمور الناس ، فكم من دعاوى مخالفة للواقع مأفوكة على الحق ، أرأيت لو أن زاعما ادعى أنه ألهم كتاب نوح الى قومه ، أكنت تصدقه فى دعواه ، فاذا قلت كلا ، فكذلك هذا المدعى .

ان بعض الباحثين يقول : انها كتبت بعد فقدها بسبعين سنة ، ومن الباحثين من نسب تأليفها الى زمان سليمان ، أى بعد وفاة موسى بخمسمائة عام ، وهذا ما يجزم به الدكتور ( اسكندر كيرس ) فى كتبه وأبحاثه .

واذا كانت التوراة الحالية من صنع البشر ، فكيف يصدق ما جاء فيها من الوعد بأن اليهود سيحكمون العالم أو يملكونه ، انها أحلام اليقظة ، وآمال المطاردين من أهل الأرض ، يتعزون بها فيما نالهم من كراهية البشر .

التلمود : هو الأساس الثانى لشريعة اليهود ، وهو من وضع أحبارهم ، وقد زعموا أنه الوحى غير المكتوب الذى تركه موسى عليه السلام ، وقد كتب بعد المسيح بمائة وخمسين سنة ، وقام بجمعه الحاخام (يوضاص) بعد التاريخ المذكور ، حيث دونه فى كتاب سماه ( المشنا ) خشية أن تضيع تعاليمه مع توالى الدهور .

والغرض من المشنا ـ كما يزعم اليهود ـ توضيح ما التبس من شريعة التوراة وتكملتها ، وقد زيد فى المشنا على امتداد القرون التالية لجمعه ، زيدت شروح ألفت فى مدارس فلسطين وبابل ، وكتب علماؤهم حواشى على المشنا مسهبة سموها ( غامارا ) فالمشنا المكونة على هذه الصورة ، مع الغامارا التى شرحتها هى كتاب التلمود ، فهو جامع لما جاء فيهما ، ومعنى التلمود الجامع لتعاليم ديانة اليهود .

واليهود يعتقدون مع هذا كله ، أن التلمود كتاب منزل من السماء ، وأنه أعظم من التوراة ، لأنه خليط من أقوال حكمائهم ، ومن التعاليم

الموسوية غير المكتوبة ـ كما يزعمون ـ وأقوال حكمائهم أقدس لديهم من التعاليم الموسوية ، وحسبك فى مبلغ تقديسهم له ما جاء فى كتاب (كرافت) اليهودى ( اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء ) وما جاء فى كتاب ( شاغيجا ) اليهودى ( من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت ، دون من احتقر أقوال التوراة ، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود ، واشتغل بالتوراة فقط ؛ لأن أقوال علماء التوراة أفضل مما جاء فى شريعة موسى ) .

وهذا صريح فى أن اليهود يفضلون أقوال علمائهم على التوراة نفسها ، وقد وصلوا فى كفرهم الى درجة اعتقاد أن الله يحتاج الى أحبارهم ، ليحل بآرائهم مشكلاته فى الأرض والسماء ، وفى ذلك يقول ( الرابى مناحم ) : « ان الله يستشير الحاخامات على الأرض ، عند ما توجد معضلة لا يمكن حلها فى السماء .

وجاء فى التلمود ص ٧٤ ( أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله ، وقد وقع يوما الاختلاف بين البارى وعلماء اليهود فى مسألة ، فبعد أن طال فيها الجدال ، تقرر احالة فصل الخلاف الى أحد الحاخامات الرابين ، واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور ) « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا » ، اذ كيف يستشير الحكيم المدبر والخالق المصور ، أولئك الخنازير وعبدة الطواغيت .

أيها القارىء الكريم

هذه نبذة يسيرة عن توراة اليهود المصنوعة ، وتلمودهم الموضوع ، وقد كتبهما قوم حاقدون على البشر ، موتورون منهم ، مغرورون بخصائصهم التى زينتها لهم نقائصهم ، فضمنوها عصارة حقدهم ورغبتهم فى الثأر ، وغرورهم الكاذب بأنفسهم ، من الاستعلاء على البشر ، وزعمهم أنهم شعب الله المختار ، مع أنهم عبدوا غيره وفضلوا علماءهم عليه ، وجعلوهم أكثر منه سدادا ، وأعلى منه حكمة ، فما أحقر عقولهم ، وما أشنع مزاعمهم .

ويعتبر التلمود أخطر وثيقة ضد الانسانية والعقائد والأخلاق ، فهو يدعو الى تحطيم جميع العقائد والقيم

الخلقية ، لاقامة مجتمع صهيونى عالمى ، يسيطر بكل الوسائل الممكنة على جميع بقاع الأرض ، ومنها الغش والسلب والنهب ، والخداع والكذب ، والاجرام والقتل ، فلو صحت أحلامهم ـ لا قدر الله ـ فسوف يستمدون قوانينهم يومئذ من التلمود الذى يبيح لهم أموال الناس ، اذ يعتبرهم بمنزلة الحيوانات ، كما يبيح لهم اراقة الدماء ، فى سبيل ابتزاز تلك الأموال •

فاذا كانت توراتهم المصنوعة قد استعدتهم على البشر ، وجرأتهم على الأطماع العريضة ، فان التلمود أعظم منها استعداء ، وأكثر تحريضا على الاثم والبغى بغير الحق •

**النصوص التى اغرتهم بالبشر :**

قد علمت أن التوراة الحالية والتلمود من صنع قدامى أحبارهم ، وأن هؤلاء الأحبار قد ضمنوهما من النصوص ما أملاه عليهم حقدهم على البشر الذين يكرهونهم لغدرهم وخيانتهم ، ومثل التوراة والتلمود سائر كتبهم ، فهى مثلهما فى أنها من صنع أيديهم ، ولم تنزل من عند الله تعالى ، فلا تعجب أن ترى فى هذه الكتب نصوصا تغريهم بالاستعلاء على الناس وايذائهم ، والقضاء على القيم الدينية والخلقية لديهم ، ليصلوا الى حكمهم واستعبادهم ، ومن هذه النصوص ما يلى :

(١) جاء فى توراتهم المزعومة (اذا لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم، يكون الذين تستبقون منهم أشواكا فى أعينكم ، ومناخس فى جوانبكم ، ويضايقونكم على الأرض التى أنتم ساكنون فيها ) وقد طبق اليهود هذا النص تماما فى عرب فلسطين •

(٢) وجاء فيها أيضا ( حين تقترب من مدينة لكى تحاربها ، اعرض على أهلها الصلح ، فان أجابوك الى الصلح ، وفتحوا لك الأبواب ، فكل الشعوب الموجودة فيها ، تكون لك للتسخير وتستعبد لك ، واذا لم تسالمك وعملت معك حربا فحاصرها، واذا دفعها الرب الهك الى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فهو لك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك ، وهكذا تفعل بجميع المدن البعيد منك جدا ، التى ليست من هؤلاء الأمم هاهنا ، وأما مدن هؤلاء التى يعطيها الرب الهك نصيبك ، فلا تستبق منها

نسمة واحدة ) فهذا النص فى التوراة المزعومة ، يسمح لهم بابادة جميع البشر ، ليعيشوا فوق أجسادهم ، فهل يعقل أحد أن يسلط الله فى التوراة أولئك الذئاب على البشر ، لينهشوهم بغير حق - وكلهم عباده - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا •

(٣) وجاء فى الاصحاح الأول من سفر يشوع ( يوشع ) ما يلى ( وكان بعد موت موسى عبد الرب ، أن الرب كلم يشوع بن نون ، خادم موسى قائلا : موسى عبدى قد مات ، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل الشعب ، الى الأرض التى أنا معطيها لهم ، كل موضع تدوسه أقدامكم لكم أعطيه كما كلمت موسى - من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير ، نهر الفرات - جميع أرض الحيثين والى البحر الكبير ، نحو مغرب الشمس يكون تخمكم ) •

فأنت ترى هذا النص المزعوم ، يغريهم بالاستيلاء على كل أرض ديست بأقدامهم القذرة ، مع أنهم لا يصلون الى شبر منها الا وهم لاجئون هاربون من مطارديهم ، الموتورين من مؤامراتهم •

ويغريهم هذا النص أيضا بالاستيلاء على لبنان الى نهر الفرات ، وعلى غيره من التخوم الى البحر الكبير نحو مغرب الشمس ، ولكن الله سلم فقطعهم فى الأرض أمما ، وسلط عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، وخيب أطماعهم وكذب أحلامهم ، وما يضمره الغيب لهم ، أعظم وأفظع من الأحداث التى عصفت بهم •

(٤) وجاء فى التلمود ( لو لم يخلق الله اليهود ، لانعدمت البركة على الأرض ، ولما خلقت الأمطار والشمس ، ولما أمكن لباقى المخلوقات أن تعيش ، والفرق بين درجة الانسان والحيوان ، هو بقدر الفرق بين اليهود وباقى الأميين ) فأنت ترى كيف صور التلمود مكانة اليهود بين الناس ، حيث رفعهم فوق هامات البشر ، وجعل جميع البشر حيوانات ، وسهل لهم بذلك وأمثاله سبيل الاستعلاء بل حرضهم عليه ، وزعم أنهم بركة الله فى الأرض ، وأنه لولاهم لما خلقت الأمطار والشمس ، ولما أمكن لباقى المخلوقات أن يعيشوا ، مع أنهم الذئاب المفترسة ، والكلاب العاقرة ، وآفة

الأخلاق والقيم الطيبة فى الأرض ، ولقد عرفهم الناس بذلك منذ نشأوا ، فنبذوهم وشردوهم فى الأرض قطعا وجماعات .

ولقد دفعتهم هذه النصوص وأمثالها الى الغرور ، والحلم بحكومة عالمية يهودية ، يذلون بها البشر ويستعلون بها عليهم ، ويستعبدونهم ، ويمتصون دماءهم .

وقد وضعوا للوصول الى هذه الحكومة المزعومة ، دستورا سموه ( بروتوكولات حكماء صهيون ) بينوا فيه الوسائل التى يحققون بها أحلامهم فى الاستيلاء على العالم ، منها امتلاك المصارف والصحف العالمية ، والتحكم فى رءوس الأموال فى الدول المختلفة ، وخلق المشكلات فى الأمم ، وتدخلهم فى حل هذه المشكلات لحسابهم ، والتشكيك فى الأديان والقضاء عليها ، وشراء الضمائر ، وتسخير الصحافة لخدمة أغراضهم ، وابتداع الماسونية وتسخيرها للسيطرة على أفكار الزعماء والمكرين فى العالم ، وتسخير الخطباء والمفكرين لصالح قضاياهم ، ومما جاء فى البروتوكول الثالث عشر ما يلى :

( وحين نستحوز على السلطة سيناقش خطباؤنا المشكلات الكبرى التى كانت تحير الانسانية ، لكى ينطوى الجنس البشرى فى النهاية تحت حكمنا ، ومن الذى سيرتاب حينئذ فى أننا نحن الذين كنا نثير المشكلات وفق خطة سياسية لم يفهمها انسان طوال قرون كثيرة ) .

ومما جاء فى البروتوكول الرابع عشر ( حينما نمكن لأنفسنا فسنكون سادة الأرض ، ولن نبيح قيام دين غير ديننا ) .. الخ .

وبعد فان الله حكيم عادل فى تشريد هؤلاء المجرمين ، الذين يكرهون البشر ويضمرون لهم الشر ، ولسوف يزيدهم اذلالا وتعذيبا ، بسبب جرائمهم التى تحرضهم عليها كتبهم ، من الخيانة والغدر والمؤامرات ، والغش والابتزاز ، وتدبير الاغتيالات ومباشرتها ، ومحاولة القضاء على القيم الدينية والخلقية .

وكيف يعقل أن يكون الله فى جانب أمانيهم ، وهم يصفونه تعالى بأنه ليس معصوما عن الخطأ والطيش ، وأنه محتاج الى حكمة حاخاماتهم

وعلمهم ، وغير ذلك من ألوان السفاهة والجهل .

فعلى العرب أن يكونوا حذرين منهم ، وأن يظلوا يدا واحدة عليهم ، وأن يسلحوا قلوبهم بتقوى الله تعالى، وجيوشهم بأحدث الأسلحة ، وأن يصلوا بتدريبها الى المستوى العالمى الرفيع ، وأن تكون لهم قيادة واحدة ، لاحكام الحصار حول هؤلاء الأعداء ، وقتالهم ان عادوا الى العدوان على طائفة منهم ، فان ذلك سوف ينهى دولتهم ، ويزيلها من بين بلادهم ، وليعلم العرب أن هؤلاء قوم متربصون لا أمان لهم ، وأنهم يودون منهم الفرقة أو الغفلة لينقضوا عليهم ويستولوا على بلادهم ، ويجعلوها منطلقا لغيرها ، حتى يحققوا أحلامهم المزعومة فى دولتهم الكبرى التى لن تكون باذن الله رب العالمين ، فكونوا أيها العرب كالجسد الواحد ، اذا شكا منه عضو تداعى له سائره بالحمى والسهر ، « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » ؟

مصطفى محمد الطير

# ميزان الأعمال عند عمر

## للأستاذ أبو الوفا المراغي

روى عبد الرزاق عن معمر عن أيوب قال : كان رجل من جهينة يبتاع الرواحل فيغلى بها ، فدار عليه دين حتى أفلس ، فقام عمر على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ألا لا يغرنكم صيام رجل ولا صلاته ولكن انظروا الى صدقه اذا حدث ، والى أمانته اذا ائتمن ، والى ورعه اذا استغنى ، ثم قال : ألا ان الأسيفع ـ أسيفع جهينة ، رضى من دينه وأمانته أن يقال : سبق الحاج ألا وانه قد أدان معرضا ، فأصبح قدرين به ، فمن كان له عليه دين فليأتنا بالغداة نقسم ماله بين غرمائه ، واياكم والدين فان أوله هم ، وآخره حرب .

أخرجه عبد الرزاق وأخرج بنحوه فى الموطأ .

دار عليه دين : لزمه .

أدان معرضا : أى معترضا لكل من يقرضه . وقيل معرضا عمن ينهاه عن الاقتراض . وقيل معرضا عن الأداء .

رين به : أحاط الدين بماله ، يقال : رين بالرجل رينا اذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه .

الحرب : الضب والخصومة .

لا يعتد الاسلام بظواهر الأعمال وأشكالها وصورها ، وانما يعتد بحقائقها وجواهرها ، وجوهر العمل وحقيقته وروحه هو الاخلاص فيه لله دون نظر الى رضا الناس . فان النظر الى الناس محبط للأعمال مذهب للثواب ، وأبغض خصال العبد الى الله الرياء ، بذا قضى القرآن الكريم حيث قال : « فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون . ويمنعون الماعون » ، كما قضت السنة فى أحاديث لا حصر لها ، تنعى على المرائين رياءهم وتبين بصائرهم ومنازلهم يوم يؤخذ العباد بأعمالهم ، وتجعل الرياء نوعا من الشرك تسميه شركا أصغرا ، ومما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من راءى ، راءى الله به ، ومن

سمع ، سمع الله به » ، ويقول حكاية عن ربه تعالى : « من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله ، وأنا منه برىء ، وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك » ان الأعمال التى تجردت عن الاخلاص وشابها الرياء أعمال شكلية لا تثمر ثمرتها من الثواب والرضوان بل ربما جلبت على صاحبها المقت وسوء العذاب ، وويل للمصلين المرائين . وكم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ، والأعمال التى يوزن بها المؤمن فيثقل ميزانه هى الأعمال التى استكملت حقيقتها بالاخلاص وصدق النية ، والمسلمون جميعا يذكرون قول الرسول : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » . فميزان الايمان هو الاخلاص فى العمل ، وقد أكد عمر رضى الله عنه ذلك فى خطبة جامعة على ملأ من المسلمين فى القصة التى وردت فى الحديث الذى صدرنا به كلمتنا هذه ولقد كان عمر صريحا صارما وشجاعا وفقيها فى فهم أسرار التشريع وحكمه وما أجدر عمر وأقدره على الجهر بكلمة الحق ، فقد عرضت له قصة رجل اسمه أسيفع جهينة ، فرأى فى تصرفه ما لا يتفق مع الميزان الذى وضعه الاسلام للايمان ، رآه يكثر من الصلاة والصيام ويسبق الناس الى الحج ، ولمح فى ذلك الرجل أنه يظن أن ذلك نافع وكاف فى ايمانه مهما كان تصرفه فى الواجبات الدينية الأخرى كما قال عمر : ألا ان أسيفع رضى من دينه وأمانته أن يقال : سبق الحاج . فنبه عمر الى الخطأ فى ذلك وأن هذا الرجل وان كان قد صام وصلى وحج فلا عبرة لصلاته وصيامه وحجه لأنه قد شاب تلك الأعمال بالرياء الذى يذهب بثمراتها ويحبط ثوابها ، ثم أنه مع ذلك قد أساء فى النواحى الدينية الهامة ، أساء فى معاملته التجارية مع المسلمين ، فكان يغلى عليهم فى الأسعار ويستغل ضوائقهم المالية ويسوف فى أداء الحقوق فمحا الله البركة من ماله فأفلس وأطاحت به الديون عقوبة من الله له ، ثم نبه عمر الى الأعمال التى ينبغى أن يوزن بها ايمان المؤمن وهى الأعمال التى تقتضى مجاهدة للنفس ومغالبة للهوى ، والتى يتعدى نفعها الى المسلمين ، وذكر من ذلك ثلاثة أعمال : الصدق فى الحديث ، وأداء الأمانة الى أصحابها ، والورع عند الاستغناء ، ولسنا بحاجة الى شرح طويل فى بيان آثار هذه الأعمال

أو هذه الفضائل فى سعادة الجماعة وهنائها ، فالصدق فى الحديث يبعث الثقة بالفرد والجماعة ، وبه تحسن العلاقات وتستقر المعاملات ويطمئن الناس على حقوقهم فلا تدعى كذبا أو تغتصب باطلا وأداء الأمانة صنو الصدق ، وعنوان النزاهة والعفة واحترام حقوق الناس ومظهر القناعة وله فى توثيق الصلات بين الناس ما للصدق. والورع عند الاستغناء دليل على كرم النفس ، واعتراف بالنعمة واستكفاء بما قدر الله وأعطى وكف للنفس عن الحقد والحسد والتطلع الى ما فى أيدى الناس .

لم يعتد عمر بالصيام والصلاة والحج ميزانا للايمان الكامل على النحو الذى وقع من أسيفع لأنها قد شابها الرياء ، ولم يرها كافية فى الدلالة على قوة ايمان المؤمن حتى وان خلت من الرياء ، لأن فائدتها قاصرة على صاحبها وهى الثواب عليها واعتد بالأعمال الثلاثة التى ذكرها للأثر الاجتماعى الذى أشرنا اليه ولما فيها من مشاق نفسية قد ترجح المشاق البدنية فى الصلاة والصيام والحج ، ونلمح فيما قال عمر وما أشار به على المسلمين من أنهم لا يغترون بصلاة المسلم وصيامه وحجه عناية الاسلام بمصلحة الجماعة وحرصه على تطبيق هذا المبدأ فى سياسته للمسلمين ، فقد حرص عمر وهو يتكلم عن عمل تجارى هو سوء تصرف أسيفع فى تجارته واستقراضه من كل من تعرض له دون تدبر للعواقب حتى أضر بنفسه فأفلس وأضر بأصحابها فعرضهم للضياع ، على أن يتكلم عن مبدأين اقتصاديين هامين ، الأول : الدعوة الى الاقتصاد فى المعيشة حتى لا يفضى الاسراف الى المداينة ، والدين كما قال عمر : أوله هم وآخره حرب ، وحقا ما أثقلهم الدين على كريم النفس وانه لغل يطوق عنقه ويذل نفسه . ومما جاء فى الحديث : « الدين يشين الدين » يعنى أن الدين يشغل القلب بهمه وقضائه والتذلل للغريم عند لقائه وربما يعد بالوفاء فيخلف أو يحدث الغريم فيكذب أو يحلف فيحنث .

غل لحامله ويحسبه الذى
لم يوه عاتقه خفيف المحمل

وكان الرسول يستعيذ كثيرا من غلبة الدين وقهر الرجال ، وآخر

الدين حــرب يعنى خصــومة ونزاعا وانتهابا لحقوق الناس اذا عجز المدين عن الوفاء به •

الأمر الثانى : أن الدولة ممثلة فى حكومتها مسئولة عن ايصال الحقــوق الى أصحابــها فان عمر رضى الله عنه تكفل لأصــحاب الديــون بديونهــم فدعاهم الى الحضور اليه ليقسم بينهم أموال أسيفع ، وللمفلس قواعد بينتها الشريعة فى توزيع ما بقى من أمواله بين غرمائه يعنى الدائنين له •

وبعد • فهذا الحديث من الأحاديث التى تعرضت لبيان قــواعد الايمــان وميزاته وأنها ليست صــلاة وصياما فحسب ولكنها مشــقات وتضــحيات وأمانةواخلاص وقناعة وعفة واحترام لحقوق الناس ووفاء بها ، وأن كثيرا من المســلمين يهــون عليهم أن يصــوموا ويصلوا ولكن حين يفتنون بما يشق وبما يبذل تثاقلوا وتخاذلوا وما هكذا يكون الايمان ؟

أبو الوفا المراغى

---

## من هدى السنة :

# أثر الحج في الطهارة من الآثام

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ( من حج لله فلم يرفث ،ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ) متفق عليه ، ورواه أحمد والترمذى وابن ماجه .

راوى الحديث :سبق التعريف به فى عدد ربيع الآخر من هذا العام .

**اللغة :**

( من حج لله ) يقال : حج يحج حجا بضم الحاء فى الفعل المضارع ، وفتحها فى المصدر ، وأصل الحج فى اللغة القصد ، وقيل : كثرة القصد الى شىء معظم ـ وفى الشرع القصد الى البيت الحرام لأداء أعمال مخصوصة بأمكنة خاصة فى زمان معين .

( فلم يرفث ) الرفث بفتح الفاء الجماع والفحش فى القول ، ويقال فى الاستعمال اللغوى : رفث يرفث رفثا مثل طلب يطلب طلبا ،

( لم يفسق ) فسق يفسق فسوقا مثل قعد يقعد قعودا ـ وتدور مادة الفسق فى اللغة على الخروج عن شىء ، فيقال : فسقت الرطبة ، أى خرجت عن قشرها ، وفسق عن أمر ربه ، خرج عنه ، ويسمى الشخص المنحرف فاسقا لخروجه وانسلاخه عن الخير والاستقامة .

فالمراد بقوله : ( لم يفسق ) لم يخرج عن هدى الله تعالى بارتكاب جرم كبير ، أو اصرار على ذنب صغير .

( رجع كيوم ولدته أمه ) أى صار بعد أدائه الحج مغفور الذنوب ، وعلى حال من البراءة عنها تشابه حاله فى يوم ولادته ـ و (كيوم) بفتح يوم على البناء ، لأنه أضيف الى جملة صدرها فعل مبنى ـ كما هو المختار عند علماء العربية .

**البيـــان :**

الله سبحانه هو القاهر فوق عباده ، المهيمن على شئونهم ، القائم بتدبير أمورهم ، الغنى الذى لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم ـ فكل عبادة طلبها منهم ، أو تشريع دعاهم اليه انما يراد به اصلاح حالهم ، وتهذيب نفوسهم، وتطهيرهم من أدران الذنوب ،وطبعهم على الخلق القـويم ، واقامتـهم على الصراط المستقيم ، وحثـهم على أن يصعدوا فى مدارج الرقى والكمال ، ليظفروا بما أعد لهم من منزلة سامية، ومقام كريم •

(ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين ) • (١)

ولـما كان للحج عظـيم الأثر فى الوصول الى السمو الروحى وبلوغ الـكمال البشرى ـ فـرضه الله تعالى علينا ، وجعله ركنامن أركان الاسلام ودعامة قويمة من دعائمه التى يقوم عليها بناؤه ، ويشيد صرحه ، ويعظم شأنه •

وللحج أهميـة كبـرى ، ومنزلة رفيعة بين الأركان والعـبادات ، فان منهـا ما يكون أداؤه باســـتخدام الشخص لبـدنه فقـط دون مـاله ، ويسمى عبادة بدنية محضة ، كالصلاة والصوم ، فان القصـد من كل منهما التذلل والخضوع لله سبحانه بالنفس، ولا دخل للمـال فيهما ،

ومنها مايـكون أداؤه باستـخدام الشخص لمـاله فقط ، ويسمى عبادة مالية محضـة • كالزكاة والصـدقة ، فان القصد منهما نفع المتصدق عليهم بالمـال •

لـكن الحـج يتـوقف أداؤه على استخدام البدن والمـال ، فهو عبـادة مركبة منهما ـ اذ أن فيه الخـضوع لله تعالى بالطـواف حـول الـكعبة ، والسعى بين الصفا والمـروة ، ورمى الجمار وغير ذلك من المناسـك التى تتطلب عملا بدنيا وفيه أيضا بذل المال لجمع الزاد ، وتحصـيل الراحـلة ، وتيسير الهـدى ، وسـوى ذلك من أمور تقتضى الانفاق •

فلا عجب اذن أن يسـتلزم القيـام بالحج كثـيرا من الثـمرات الطيـبة والآثار الجليلة •

---

(١) سورة العنكبوت آية (٦) •

وفى هذا الحديث يخبرنا الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه عن أثر عظيم من آثار الحج ، ويشترط للظفر به ثلاثة شروط :

الأول : ما دل عليه قوله عليه الصلاة والسلام : ( من حج لله )وهذا يستوجب أن يكون الحاج طاهر النفس ، نقى السريرة ، شريف المقصد ، فلا يخرج من بيته للحج رياء ولا سمعة ، ولا حرصا على الحصول على وصف زائف ، ولقب خداع ـ وانما يخرج مخلصا النية لله رب العالمين مبتغيا بعمله وجهه الكريم ، مبتهجا بالطاعة ، مأنوسا بالعبادة ، راجيا أن يمنحه مولاه واسع المغفرة ، وحسن القبول .

والحج لله يقتضى أن تكون نفقته من مال حلال طيب ، فان هذا هو السبيل الى عظيم القبول ، وبلوغ المأمول ... وأما اذا كانت النفقة من مال حرام خبيث فلا يصح أن يوصف صاحبه بأنه ( حج لله ) فيكون جزاءه المحتوم أن يرد عليه حجه ، ويحبط عمله ، ويصاب بخيبة أمله ، وحسبنا شاهدا على هذا قوله صلى الله عليه وسلم :

( اذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله فى الغرز ـ هو ركاب الدابة من جلد فنادى : لبيك اللهم لبيك ـ ناداه مناد من السماء : لبيك وسعديك ، زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور ـ واذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الغرز ، فنادى : لبيك ـ ناداه مناد من السماء : لا لبيك ، ولا سعديك ، زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجك مأزور غير مبرور [1])

الثانى : ما أفاده قوله : ( فلم يرفث ) وهو مرتب على الشرط الأول ونتيجة لازمة له ،فان الشخص اذا كان فى حجة يخلص النية لربه،ويحتسب الجزاء عنده ، فلا بد أن يكون مذعنا لجلاله تعالى وقوته ، وعظمته وسطوته ، عامر القلب بالخشية منه ومراقبته ، ومن راقب ربه لم يقترف جرما ، ولم يأت منكرا ، وأمسك نفسه وجوارحه عن أن ترتكب فاحشا أو قبيحا ، أو تكسب خطيئة أو اثما ،

---

(١) رواه الطبرانى فى معجمه الأوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه .

الثالث : ما عبر عنه بقوله : ( ولم يفسق ) وهو أيضا مرتب على ما قبله ووثيق الصلة بالشرطين السابقين ، شديد المناسبة لهما ، فان الحاج اذا ابتغى بعمله وجه ربه ، ورضى بادخار الأجر عنده ، وصان نفسه وجوارحه عن اكتساب الفاحش والقبيح ،فان روحه تصعد فى مدارج السمو والطهارة ، حتى تتغلب على نزعات الشيطان ، وبواعث الهوى ، وعندئذ يكون آمنا من الوقوع فى فى العصيان أو الانحراف ،

وهذا الحج الذى استوفى الشروط المذكورة يقع عند الله تعالى بمكان عال من الرضا والقبول ، فيصير صاحبه ـ بعد أن يشمله عفو ربه ، وواسع مغفرته ، وعظيم كرمه متطهرا طهارة كاملة من رجس الأوزار ودنس الذنوب ، ويكون على حال من التجرد عنها والبراءة منها تشبه حاله فى يوم ولادته ـ كما يفهم ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام : ( رجع كيوم ولدته أمه ) •

وظاهر هذا الحديث أن الحج يكفر جميع الذنوب لا فرق بين الصغائر منها والكبائر ، ولا بين ما يتعلق منها بحق الله تعالى ، وبحق العباد ـ ولكن الصحيح الذى تؤيده الشواهد أن الحج يكفر الصغائر ، ويكفر الكبائر المتعلقة بحق الله تعالى لا بحق العباد ، فان حقوق العباد يلزم أداؤها ، أوالتحلل منها ، وليس الحج مكفرا لها ـ وتكفيره الكبائر المتعلقة بحقوق الله سبحانه ـ ليس معناه اسقاط هذه الحقوق ـ بل اسقاط اثم تأخيرها فقط •

فمثلا الصلاة تأخيرها عن وقتها اثم كبير ، فالحج يسقط اثم التأخير ، ولا يسقط الصلاة نفسها ، فيلزم قضاؤها لتبرأ منها ذمة المكلف •

ومثل هذا يقال فى الصوم والزكاة وغيرهما من الحقوق المشابهة لهما ـ قال الترمذى ـ فى تعليقه على تكفير الحج للذنوب : هو مخصوص بالمعاصى المتعلقة بحق الله لا العباد ، ولا يسقط الحق نفسه ، بل من عليه صلاة يسقط عنه اثم تأخيرها لا نفسها فلو أخرها بعده تجدد اثم آخر • أ•هـ

هذا وللحج آثار باهرة غير تكفير الذنوب وبعض هذه الآثار يعود بالنفع الى شخص الحاج ، وبعضها يعود بالنفع الى مجتمعه •

فالآثار التى تعود بالنفع الى شخص الحاج نكتفى منها بما يأتى :

١ ـ فى الحج شكر لله تعالى على نعمة العافية والمال ـ والشكر على النعمة يحصنها ، ويجعل الشاكر محلا لمزيد الانعام ـ لذا كان هجر بيت الله الحرام ـ مع تيسير زيارته ـ سببا فى الحرمان من خير كثير ـ فقد روى أبو سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه : ( ان الله تعالى يقول : ان عبدا صححت له جسمه ، ووسعت عليه فى المعيشة تمضى عليه خمسة أعوام لا يفد الى لمحروم ) (١) .

٢ ـ فى الحج سمو بالروح ، وتزكية للنفس ، وهذا سبيل فلاحها، كما قال تعالى : ( قد أفلح من زكاها ) (٢) .

٣ ـ الحج يعود الانسان الصبر ، وتحمل المشاق ،ويروضه على محاولة التغلب على المشاكل ، واقتحام العقبات والله تعالى مع الصابرين بالعون والتأييد ، والهداية الى الرشاد ، وانجاز المراد .

٤ ـ تجرد الحاج من ثيابه المعتادة ، ومن زينة الحياة ، ولبسه ملابس الاحرام ( الازار والرداء ) يشعره بالسفر الى الآخرة ، والقدوم على ربه مستحضرا قوله تعالى : ( ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ) (٣) ، فيحمله ذلك على أن يقلع عن غيه ويتطهر من ذنبه ،ويقبل على الله تعالى وثابا الى طاعته ، تواقا الى رحمته ، مشتصما به ، ( ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم )(٤) .

وأما آثار الحج التى يعود نفعها الى المجتمع فنقتصر فيها على الأمور الآتية :

---

(١) رواه أبو يعلى فى مسنده وابن حبان فى الصحيح .
(٢) سورة الشمس آية ٩
(٣) سورة الانعام آية ٩٤
(٤) سورة آل عمران آية ١٠١

**الأول** : للحج أثره العظيم فى تأليف قلوب المسلمين، وتوثيق روابط المودة والاخاء بينهم •

**الثانى** : فيه اشعار للجميع بمبدأ المساواة ، وأنه لا تفاضل بينهم الا بقدر التزود من الأعمال الصالحة ، والاخلاص فى أدائها ، كما قال جل شأنه : ( ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير ) (١) •

**الثالث** : للحج أثره الطيب فى تحريك عاطفة الاحسان الى المعوزين والتصدق على الفقراء والبائسين •

**الرابع** : الحج مؤتمر اسلامى عام يجتمع فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها كل عام ليتبادلوا الرأى والمشورة فيما يرفع شأنهم ، ويجعلهم ظاهرين على عدوهم ، ويمنحهم الاستخلاف فى الأرض ، ويمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم •

وبعد عرضنا لنماذج من آثار الحج الرائعة تتجلى لنا أهميته فى التشريع الاسلامى ، وحسبنا فى الدلالة على هذه الأهمية أن الله تعالى عندما أخبر بفرضيته على العباد توعد تاركه المستطيع ، بأشد وعيد حيث سمى تركه كفرا مبالغة فى الزجر والتحذير من سوء العاقبة ، فقال عز من قائل : ( ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ) (٢)

**ما يرشد اليه الحديث :**

يرشد الحديث الى مقاصد نجملها فيما يأتى :

١ ـ الحج اذا خلا من الرياء والاثم كان لتكفير الذنوب •

٢ ـ الاخلاص فى العمل الصالح يجعله رفيع القدر ، عظيم الأثر •

٣ ـ يحسن للداعى الى الخير والاصلاح أن يذكر ثمرة ما يدعو اليه ، ليحمل السامعين على المبادرة اليه وانجازه •

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣

(٢) سورة آل عمران آية ٩٧

٤ ـ للمرشد أن يستخدم التشبيه فى بيانه ، لايضاح فكرته فى أذهان المخاطبين .

٥ ـ ينبغى للمؤمن أن يحسن أداء عبادته ، ويستوفى جميع أركانها وشروطها ، ليظفر بكامل جزائها .

نسأل الله تعالى أن يزيدنا طهارة فى القلوب ، واستقامة فى السلوك ، وأن يهدينا الى الطيب من القول والعمل ، ويمنحنا عليه أو فى الجزاء ؟

**منشاوى عثمان عبود**

# تربية المراهق فى المدرسة الإسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

ان مرحلة المراهقة من أخطر المراحل التى تواجه الآباء والمربين ، واجتياز الشباب لهذه المرحلة بسلام يؤذن بأنه سوف يمضى فى حياته صحيح النفس سوى الشخصية ؛ أما اذا لم يخرج منها الشباب سليما فان ذلك يؤذن بأوخم العواقب على تكوينه النفسى وسلوكه الاجتماعى فى المستقبل .

والشباب هم أمل الأمة وعماد نهضتها وحماة عقيدتها وحريتها وأرضها وقادة مستقبلها ، لذلك فهم أمانة فى أعناق الآباء والمربين الذين عليهم أن يلتمسوا من تعاليم المدرسة الاسلامية ما يضىء لهم الطريق الى أداء تلك الأمانة على خير وجه فيصنعون شبابا يعز بهم الوطن ويسود ، وينطبق عليهم وصف الفتية الذين ذكر الله شأنهم فى سورة الكهف تقديرا لصلابتهم فى الحق واستمساكهم بالعقيده والمبدأ حيث قال تعالى : « انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » ..

ولعله من المفيد ـ قبل أن نتعرض لتعاليم المدرسة الاسلامية فى تربية المراهق ـ أن نتأمل ـ فى ضوء علم النفس ـ طبيعة مرحلة المراهقة وما تتميز به من خصائص وسمات نفسية واجتماعية وعقلية وغيرها ، فذلك ـ ولا شك ـ هو المدخل العلمى الى اختيار الأسلوب السليم للتربية عملا بمبدأ مراعاة مقتضى الحال وأن لكل مقام مقالا ..

ان المعنى العلمى للفظ المراهقة هو التدرج نحو النضج البدنى والجنسى والعقلى والانفعالى وهنا يتضح الفرق بين لفظ مراهقة ولفظ بلوغ الذى يقتصر على ناحية واحدة من نواحى النمو وهى الناحية الجنسية فنستطيع أن نعرف البلوغ بأنه : « نضج الغدد التناسلية واكتساب معالم جنسية جديدة

تنتقل بالطفل من فترة الطفولة الى فترة الانسان الراشد » •

ونستطيع تقسيم هذا الدور الى المراحل الآتية :

أولا : ما قبل المراهقة وتبدأ عادة من سن العاشرة وتنتهى فى سن الثانية عشرة •

ثانيا : المراهقة المبكرة ( ١٣ ـ ١٦ ) عاما •

ثالثا : المراهقة المتأخرة ( ١٧ ـ ٢١ ) عاما •

والمراهقة بمعنى آخر هى المعبر بين الطفولة والنضج •• واذا كان الوضع هو ( ولادة ) ـ الطفل ، فان المراهقة هى ( ولادة ) الرجل أو السيدة •• واذا كانت ولادة الطفل تستغرق ساعات ، فان ولادة الرجل تستغرق سنين •

وهكذا فالمراهقة ميلاد جديد للرجولة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، ولذلك فمعناها علميا ـ كما ذكرنا ـ هو التدرج نحو النضج البدنى والجنسى والعقلى والانفعالى •

**سمات (خصائص) مرحلة المراهقة :**

ويمكن بعد ذلك أن تتناول سمات مرحلة المراهقة من زواياها المختلفة :

**أولا ـ السمات الجسمية :**

١ ـ فى مرحلة المراهقة المبكرة نلاحظ نموا سريعا لا يتناسب مع معدل نمو القلب والدورة الدموية مما يجعل المراهق يميل نحو الخمول والكسل وتقل مقاومته للأمراض •

ثم يصل النمو الجسمى الى حالة الاستقرار حينما يكتمل النضج البدنى تقريبا فى مرحلة المراهقة المتأخرة وهنا نلاحظ فى المراهق ميلا نحو النشاط الذى عادة ما يتجاوز قدراته وطاقاته •

٢ ـ يدخل الجسم الى مرحلة البلوغ وما يصاحبها من اشتداد عمل الغدد النخامية والتناسلية من تغير فى الصوت بين نغمات حادة دقيقة ونغمات ضخمة خشنة وتيقظ الاهتمامات الجنسية ثم يصل المراهق فى مرحلة المراهقة المتأخرة الى النضج الجنسى وتتضح عليه نزعات الرجولة •

**ثانيا ــ السمات العقلية :**

١ - تبدأ الفروق الفردية فى النواحى العقلية تتضح وتبدأ قدرات واستعدادات المراهق فى الظهور ويصبح قادرا على تركيز الانتباه وشغوفا بالمعارف الجديدة ويبدأ فى البحث فى مسائل الدين والعقائد التى كان يتقبلها من قبل عن طريق الانطباع أو المحاكاة وعندما يصل الى مرحلة المراهقة المتأخرة يكتمل نضج القدرات العقلية ويزيد اهتمامه بالمناقشة وبحث الشئون المتعلقة بالدين والرغبة فى الكشف عن الأسباب مما قد يصل الى مستوى الشك •

٢ - تنطلق أحلام اليقظة كوسيلة من وسائل ارضاء النفس ومتنفسا لآماله وطموحه •

**ثالثا ــ السمات النفسية والاجتماعية:**

١ - يبدأ المراهق فى التخلص من الأنانية وينمو الاحساس بالرابطة والولاء نحو الجماعة ( الى درجة التعصب أحيانا ) • ويتصف بالخجل نتيجة للتغيرات العضوية المفاجئة ويميل الى التردد نتيجة عدم الثقة فى نفسه لعدم فهمه لطبيعة تلك التغيرات ومداها ، وينزع المراهق الى التذمر والانسحاب من سلطة الأبوين الى سلطة الجماعة ويميل الى التحرر من السلطة ويثور عليها أحيانا •

تبدأ مرحلة الاضطراب الانفعالى مع حساسية شديدة للنقد ويزداد الاعتزاز بالنفس ويهتم المراهق بمظهره الشخصى ويميل الى الملابس الزاهية ولفت النظر لنفسه ، ويتميز النمو الوجدانى بحب العظماء والزعماء ويتخذ منهم مثله العليا ويميل الى مشاركة الكبار ألعابهم وتقليدهم ويتقلب فى تصرفاته بين الكبار والصغار ، وتبدو انفعالاته عنيفة مع العجز عن التحكم فيها ــ وتراه يثور لأتفه الأسباب، وبعض المراهقين يتميزون باليأس والحزن والآلام النفسية بسبب تقاليد المجتمع التى تحول بينهم وبين تحقيق رغباتهم وقد يؤدى هذا الى التفكير فى الانتحار•

٢ ــ وفى مرحلة المراهقة المتأخرة ينتقل المراهق من الاعتماد على غيره الى الاعتماد على نفسه ويظهر ميله الى مقاومة السلطة والثورة ضد الأسرة والمدرسة والتمرد والاحتجاج والغضب مع زيادة الرغبة فى الاشتراك مع أصدقائه وتبادل الحديث معهم خاصة ما يتصل منها بأخبار الرياضة والجنس

والملابس وشعوره بالمسئولية نحو الجماعة ، ويزيد ميله الى اختيار الأصدقاء بنفسه ويتأثر بهم من الناحية الخلقيـة مع رغبتـه في التحرر والانطلاق • ويظهر ميل أفراد كل جنس الى الجنس الآخر والاهتمام بالسلوك في مواجهة الجنس الآخر مع العناية بالمظهر والتأنق فى الملبس واختيار الألوان التى تلفت النظر والتى تطابق «الموضة» ـ ويزيد ميل المراهق الى اكتشاف البيئة والمخاطرة والمغامرة والتجول والارتحال والميل للحفلات الجماعية والألعاب المشتركة وخاصة التى يشترك فيها الجسان ، وتتجه عواطفه نحو الأشياء والمعانى الجميلة وتتميز بالرومانسـية ، ويميـل الى الزعامة والقيادة •

### مشكلات المراهق الانفعالية وأسبابها :

ولابد ـ بعد أن استعرضنا باختصار سمات مرحلة المراهقة ـ من التعرف على ما يصـاحب هـذه السـمات من مشكلات انفعالية هى بيت القصـد فى موضـوعنا حيث أن الجهـل بهـا أو تجاهلها من جانب الآباء أو المربين يلحق أشد الأضرار وأخطرها بالبناء النفسى للشباب •

ان حساسية المـراهق الانفعاليـة واضـطرابه الانفعـالى ترجع الى عدم قدرته على التلاؤم مع البيئة التى يعيش فيها ، اذ يدرك المراهق عندما تتقدم به السن قليلا أن طريقة المعاملة التى يلقاها لا تتناسب مع ما وصل اليـه من نضج وما طرأ عليه من تغير • ان البيئـة الخارجيـة ممثلة فى الأسرة والمدرسة والمجتمع لا تعترف بما طرأ على المراهق من نضج ، ولا تأبه له ولا تقرر رجولته وحقوقه كفرد له ذاتية مستقلة ويفسر المراهق كل مساعدة له من قبل والديه على أنها تدخل فى أموره •وأن المقصود من هذا التدخل اساءة معاملته والتقليل من شأنه ويأخذ الاعتراض على سلوك والديه اشـكالا عدة ، أهمها : العناد والسلبية وعـدم الاستقرار أو الالتجاء الى بيئات أخرى قد يجد فيها منفذا للتعبير عن حريته المكبوتة •

ومن بين الأسباب الأخـرى التى تعمل على اضطرابه وعدم اسـتقراره الانفعالى ، عجزه المـالى الذى يقـف حائلا دون تحقيق رغباته فقد يجـد نفسه وسط جماعة من رفاقه ينفقون عن سعة وهو فى الوقت ذاته عاجز عن مجاراتهم أو الاشـتراك فى مسراتهم

وكل ذلك يسبب له الضيق والشعور بعدم الطمأنينة •

وليست العقبات المالية قاصرة على الاشتراك فى مسرات رفاقه ، بل انه فوق ذلك يشعر أنه قد اكتمل من الناحية الجنسية وأنه يريد ان يعبر عن تلك الدوافع الجامحة فى نفسه بالزواج الا أنه يصطدم بالموانع ، فالقصور فى الموارد المادية يقف بينه وبين ما ينشد من استقلال ومن التعبير عن دوافعه الفطرية ، وهنا تزداد حدة التوتر الانفعالى ، اللهم الا اذا وجد بديلا يعبر به عن الدافع الجنسى القوى ويكون الاحتلام والاستمناء من بين الوسائل الطبيعية للتعبير عن هذا النشاط الجنسى الزائد وعلى الرغم من أن هذه عملية طبيعية الا أنها بالنسبة للكثير من الفتيان المراهقين كابوس يقض مضاجعهم فهم يعتبرونها خطيئة •

وتصبح مصدرا للقلق والصراع العقلى وخاصة اذا تعرضوا للتقريع أو التنديد •

وثمة ظاهرة أخرى يتسبب عنها مضايقات المراهق ، ذلك أن الكبار ينتظرون منه سلوكا ينم عن النضج ، فهذا التطور والنمو الجسمى يجعلهم يتوقعون منه نضوجا فى سلوكه العقلى والاجتماعى • ولما كان النضج الجسمى فى مرحلة المراهقة كما ذكرنا يتم سريعا ــ فى ظرف عامين أو ثلاثة ــ فان هذه فترة قصيرة وغير كافية لتحقيق نضج المراهقين من الناحية العقلية يقابل ما طرأ على جسمه من نمو سريع ، وهو لهذا السبب يقوم ببعض التصرفات الصبيانية التى تكون هدفا لنقد الكبار • ان هذا النقد وعجز المراهق عن ملائمة نفسه مع البيئات التى يتعامل فيها مع الكبار يشعره بعدم الأمن وخيبة الأمل •

ومن الأمور الأخرى التى تسبب قلق المراهق واضطراباته ، شعوره بأن الأسرة تتطلب منه تحمل بعض المسئوليات التى لا تتفق مع قدراته ومستوى نموه ، فهو فى نظر والديه لم يعد بعد الطفل الذى تجاب كل مطالبه دون تحمل للمسئوليات ، ولكنه قد أصبح مراهقا يجد نفسه مطالبا أمام والديه بأن يعتمد على نفسه فى وقت تعجز فيه امكانياته عن تحقيق رغبتهم •

ومن الأسباب التى تساهم فى قلق المراهق الانفعالى ما يتصل بالأسرة

والمدرسة وينشأ عن هذا القلق والاضطراب نوع من التمرد ، تمرد موجه نحو الوالدين وتمرد آخر موجه نحو المسئولين فى المدرسة •

انتمرد المراهق علىالسلطة العائلية والسلطة المدرسية يحدث بسبب القيود التى تفرضها المدرسة والأسرة والتى تحول بينه وبين تطلعهالى التحرر والاستقلال ولذلك يعتبر كل شيء فى المنزل أو المدرسة مصدر ضيق له ويثور دائما على كل ما يوجه اليه من نصح ويعتبر هذا النصح اعتراضا على حريته واستقلاله ويميل دائما الى تحدى الآراء والأوضاع القائمة •

ويبقى بعد ذلك أن نلتمس من تعاليم المدرسة الاسلامية أسلوب تربية المراهق الذى يعاونه ويعاون الآباء والمربين على عبور تلك المرحلة الحرجة بسلام •

فالى اللقاء ؟

**محمد جمال الدين محفوظ**

# الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزي

للأستاذ حسن حسب الله

## السلطة التشريعية (٢)

تكلمنا فى العدد الماضى عن تأثير النظام القانونى الذى يسود أمة من الأمم فى درجة تقدمها ووقفنا عند الكلام عن السلطة التشريعية فى كلا النظامين الاسلامى والانجليزى •

وعندما نتكلم عن السلطة التشريعية فى النظام القانونى الاسلامى تحضرنا الآيات الآتية :

« ان الحكم الا لله » ـ الأنعام ٥٧

« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » ـ النساء ١٠٥

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ـ المائدة ٣

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ـ المائدة ٤٤

فهذه الآيات قليل من كثير يحمل نفس المعنى ويفهم منها أن صاحب السلطة التشريعية فى النظام القانونى الاسلامى هو الله وحده فلا شارع الا الله « ان الحكم الا لله » وهذا المعنى جزء لا يتجزأ من العقيدة الاسلامية ، وقد ظل القرآن المكى ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر سنة فيما يتصل بالعقيدة الاسلامية ، فلما هاجر الرسول الى المدينة وأصبح للمسلمين مجتمعهم المتميز بدأ نزول الآيات المتعلقة بتنظيم حياة الانسان فى دار الاسلام واستغرق ذلك عشر سنوات كملت فيها جميع الأحكام التى تنظم حياة الانسان والدولة الاسلامية من جميع الوجوه ولمواجهة جميع العلاقات من أى نوع كانت •

وبعض هذه الاحكام ورد مفصلا تفصيلا دقيقا ، لأنها تلازم الانسان أى انسان فى أى زمان وفى أى مكان كنظام

الميراث ،وبعض هذه الأحكام ورد مجملا ووضع تفصيله رسول الله صلى الله عليه وسلم كنظام الزكاة ،وبعض هذه الأحكام رسم هدفا معينا لا يختلف باختلاف المكان والزمان ولكن يؤثر الزمان والمكان فى وسيلة تحقيقه وذلك مثل قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » النساء ٢٩ - ومن ذلك يتضح أن شرع الله كامل يغطى كل المسائل فى كل العصور ولجميع بنى الانسان وعلينا أن نبحث عن حكم لله فيما يجد لنا من أحداث ووسيلتنا الى ذلك هى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة فليس لنا أن نشرع أحكاما أو أنظمة تتعارض مع ما ورد فى القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة أو أن نعطل أحكامها بادعاء أنها لا تلائم الزمان أو المكان أو بعض الناس لأنه «ان الحكم الا لله» فلا شارع سواه ، فالسلطة التشريعية فى النظام القانونى الاسلامى هى لله وحده وشرعه كامل وشامل وكل ما نعمله هو الحاق الحادث أو المسألة المعروضة بأحكام هذا الشرع ، والكشف عن هذا الحكم سواء بالوصول الى النص المباشر أو النص الذى يمكن القياس عليه أو المصلحة المستوحاة من مجموع النصوص طبقا لما يسفر عنه اجتهاد الفقهاء فيما ترك الله لنا فيه مجالا للاجتهاد ، ويكون شأننا فى ذلك شأن من يصدر لائحة توضح الخطوات اللازمة لتنفيذ قانون معين ، فهو لا يشرع ، وانما ينفذ وهو عند وضعه خطوات التنفيذ لا يملك التعديل فى القانون الذى ينفذه ، ولا يملك تعطيل حكمه ولا يملك قصر تطبيق حالاته على مكان معين أو أشخاص معينين أو زمان معين ، وهذا هو الفارق العظيم والأساسى بين السلطة التشريعية فى النظام القانونى الاسلامى، وغيره من الأنظمة القانونية فالسلطة التشريعية فى النظام القانونى الاسلامى هى لله وحده ، وأحكام هذا النظام أبلغها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء بالشرح والبيان أو بالاضافة الى القرآن الكريم وفى جميع الحالات فهذه الاضافات كانت أيضا من عند الله وأحكام هذا النظام لا تتبدل ولا تتغير بتغير الأماكن أو الأزمان أو الأشخاص ؛ لأنها كملت قبل أن يترك رسول الله هذا العالم

ولكن الذى يتغير ويتبدل هو وسـائل التنفيذ وحدها أما الهدف فهو دائمـا واحد وهو تحقيق الحياة الطيبـــة لجميع العباد فى هذه الدنيـا بصرف النظر عن عقائدهم الدينية ، وذلك على عكس الشرائع الوضعية التى تتـأثر فى وضعها وبقائهـا وآثارها بالأهواء والنزعات الشخصية ، ولم يستطع أى نظـام من النظم الوضـعية أن يحقق العدالة المطلقة ، لأن كل نظام يتأثر بالأهداف المحـدودة التى رســمها أصحاب الحكم لتحقيق مصالحهم وفق تصوراتهم ، ولذلك شـاهدنا الصراع المرير بين الرأسمالية والشيوعيـــة وكيفيـة ادعـاء كل من النظـامين أنه النظام الأمثل ، وفشل كلا النظـامين فى تحقيق الحياة الطيبة للجموع التى تنتمى اليهما .

فالسلطـة التشريعيـة فى النظـام القـانونى الاسـلامى هى لله وحده والتشريع الاسلامى موجود بأكمله فى القــرآن الكريم والسـنة النبـوية الصحيحة ونحن مأمورون بتطبيق هذا التشريع على جميع ما يحدث لنا من أحداث وما يجد فى حياتنا من وقائع ، وفرق كبير بين تنفيـذ التشريع وبين انشاء التشريع فنحن لا ننشىء أحكام التشريع الاسلامى لأنها موجودة وكاملة ولأن الاسلام ليس عقيدة فقط وانما هو نظام يتضمن جميع قوانين المجتمع والمسـئول الأول عن تنفيـذ أحـكام التشريع الاسـلامى « ولى الأمر » « أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم » ـ النساء ٥٩ ، ويشاركه جميع المسلمون فى هذه الأمانة ، لأن أمرهم شـــورى بينهم ، أما وسيلة تحقيـق الشـورى واصـدار خطـوات تطبيق التشريع الاسلامى فأمر متروك لجموع المسلمين يختلف حسب الزمان والمكان ولكنه فى جميع الأحوال لا بد وأن يتقيد بالمبدأ الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق مهما كانت درجة هذا المخلوق وسواء كان هذا « المخلوق » فردا واحدا أو مجموعة أفراد فى صورة حزب أو جماعة ، ومهما روج هذا « المخلوق » لآرائه لأنه لا حرية لنا ولا اختيار فى تطبيق الأنظمـة القانونيـة ، فالمسلم مأمور بالخضوع الكامل للنظـام القــانونى الاسلامى وهو ممنوع من اقتبــاس أنظمة أخرى مهما يكن بريقها وان

بدا نجاحها فى بيئات أخرى لأن النظام القانونى الاسلامى نظام كامل لا يشوبه أى نقص : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » وهو يصلح لجميع بنى الانسان على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وبيئاتهم لأنه مبنى على غرائزهم وفطرهم وهى لا تختلف من فرد لآخر ، ولغير المسلم أن يقتبس من النظام القانونى الاسلامى ما يشاء لأن هذا النظام موضوع كما قلنا لجميع الآدميين لا للمسلمين وحدهم ولكن ليس للمسلم أن ينقل نظاما قانونيا آخر لأن ذلك يتنافى مع كمال الشريعة الاسلامية ومع تمام ما فرضه ورضيه الله لنا من أنظمة وليس لنا اختيار بعد أمر الله لأن علمنا ضئيل وقليل بجانب علمه سبحانه ولقد أثبتت التجارب العملية فشل كل المذاهب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المنقولة للدول الاسلامية سواء من الغرب أو من الشرق فى علاج مشاكل المواطنين بها وتحقيق الاستقرار والأمن والمساواة والعزة والكرامة لهم •

ننتقل بعد ذلك الى الكلام عن السلطة التشريعية فى النظام الانجليزى • فنجد أن الانجليز يأخذون بفكرة تصورية تقول بأن القانون الانجليزى قانون كامل وشامل ويواجه كل ظروف العصر ومتغيراته ومتطلباته

The Common Law is a living thing, changing and adapting itself to the altering economic and social life of the country.

وهذه الفكرة التصورية الافتراضية تماثل فى النظام القانونى الاسلامى ما هو حقيقة موجودة بالفعل فى آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة من كمال الشريعة الاسلامية وملاءمة جميع أحكامها لجميع بنى الانسان فى جميع البقاع وجميع الأزمان •

وحتى يمكننا فهم هذه الفكرة فانه يجب أن نعرف باختصار شديد نشأة القانون الانجليزى وتطوره •

بدأ تعمير الجزر البريطانية منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وكان سكانها من دول أوربا القريبة من سواحلها • وقد غزا الرومان بريطانيا واحتلوها ابتداء من السنة ٤١ م ولم يجلوا عنها الا سنة ٤٤٦ م ورغم طول

مدة الاحتلال الرومانى الذى استمر أربعة قرون فلم يكن للقانون الرومانى تأثير يذكر على القانون السـائد فى البلاد وبدأ دخول المسـيحية انجلترا سنة ٥٩٧ ولم يكن لها تأثير الا بالنسبة للقوانين التى تحكم الأسرة من زواج وطـلاق أما باقى المعـاملات فكانت تحكمها أعراف محليـة تختلف من قرية لأخرى تسودها الهمجية فمثلا اذا اتهم أحد بالسرقة فانه لاثبات براءته يؤتى به ويحمل حديدا محميا يسير به مسافة معينـة واذا لم يشف من حروقه خـلال ثلاثة أيام فانه يكون مقترفا لجريمة السرقة والأغرب من ذلك أنه كان أحيانا يؤتى بالمتهم ويتم شـده بالحبال ثم يدلى به فى خزان للمياه فاذا غرق كان ذلك دليل براءته واذا عام على سطح المـاء كان ذلك دليل ادانته !!!

وظل الحـال كذلك الى أن فتح النورمانديون ( قبائل من فرنسـا ) الجزر البريطانية فى سنة ١٠٦٦ وقد انهى الفتح النورماندى نظام الحـكم القبلى وبدأ نظاما للحـكم الاقطـاعى يختلف تمـام الاختـلاف عن نظـام الاقطـاع الذى كان سـائدا فى أوربا فى ذلك الوقت وبدأ تكوين محاكم تابعة للملك بدلا من المحاكم التابعة لأمراء الاقطـاع وبدأت هذه المحاكم تطبيـق قـانون واحد فى كل أنحـاء انجلترا بدلا من الوضع السـابق من تطبيق الأعراف المحلية وهذا القـانون الجديد أطلق عليه القانون المشترك Common Law

أى القانون الذى تشترك فى تطبيقه كل أقاليم انجـلترا وتقـوم بتطبيـقه المحاكم الملكية ٠

وهذا القانون لم يكن من صـنع لجنـة تشريعية أو تقنين أصدره الملك ولكنه كان من صـنع قضـاة هـذه المحاكم ، فالقاضى عندما كان يعرض عليه االنزاع فان حكمه يعتبر قاعدة قانونية توضـع على مستوى القضـية التى طرحت أمامه وعندما تأتى قضية ممـاثلة لهـا فانه يلتزم بأن يحـكم بنفس الحكم السابق ٠

ما هو الحل اذا عرضت قضية لها نفس الظروف ولكن الحكم السابق لا يكون هو الحكم العادل فى القضية الجديدة ؟ هنا يلجـأ القاضى للبحث

عن أى تفرقه فى الوقائع بين القضيتين وهو واجد هذا التمييز حتما سواء فى صفات الخصوم أو موضوع النزاع فيصدر حكما مختلفا عن الحكم السابق وبهذا يخلق قاعدة قانونية جديدة تكون جزءا من القانون الانجليزى ويجب احترامها فى المستقبل •

ما هو الحل اذا كانت هذه الأحكام لا تلائم مع ذلك قضية جديدة ولا يكون الحكم فيها عادلا لاختلاف ظروف العصر عن الظروف التى صدر فيها الحكم وعدم وجود فرصة للخروج عن الحكم السابق ؟ فى هذه الحالة يلجأ الخصم الى الملك مباشرة باعتباره ينبوع العدالة ويحيل الملك الموضوع الى مجلسه الخاص لبحثه لأن فى ظلم أحد الرعايا تهديدا لأمن الملك وسلامته ولكن المجلس لا يستطيع أن يبحث كل هذه الموضوعات بنفسه ولذلك يحيلها الى أحد أعضائه وهو مستشار الملك The Chancellor فيصدر حكمه فى القضية وفقا لما تقتضيه العدالة المطلقة • وبنفس النظام السابق فى القانون المشترك Common Law تكونت مجموعة قواعد قانونية جديدة سميت بقواعد العدالة Equity أصبحت على مر الزمن مجموعة من القواعد القانونية المكملة أو المصححة للقواعد القانونية فى القانون المشترك •

والى جانب المحاكم العادية فى انجلترا من محاكم ابتدائية ومحاكم استئنافية يعتبر مجلس اللوردات محكمة استئنافية عليا ودرجة ثالثة من درجات التقاضى وسنعرض لذلك تفصيلا عند الكلام عن النظام القضائى فى كلا النظامين الاسلامى والانجليزى • والسوابق القضائية حسبما ذكرناه تعتبر المصدر الأول والأساس للقانون الانجليزى فاذا اتضح بعد ذلك أن هناك نقصا فيها أو أن الحلول التى انتهت اليها لم تصبح ملائمة أو لا تحقق العدالة المطلقة فهنا يأتى دور التشريع فيصدر البرلمان بمجلسيه القانون اللازم ويعتبر التشريع فى هذه الحالة مجموعة من تصحيحات الأخطاء والاضافات الى الجزء الرئيسى من القانون الانجليزى المكون من أحكام المحاكم ، فدور السلطة التشريعية فى النظام القانونى الانجليزى دور استثنائى يجرى فى حدود ضيقة جدا فهى لا تفعل أكثر من التصحيح أو الاضافة أو التخصيص للقواعد

القـانونية المقـررة بمعـرفة القضـاء وباعتبار أعمال السلطة التشريعية فى النظام القـانونى الانجليزى استثناءات على القانون المشترك وقواعد العدالة فان هـذه التشريعات تفسر تفسـيرا حرفيـا وضـيقا ؟ وذلك لأن التشريع البرلمـانى ليس هو الوسيلة المعتـادة للتعبير عن القانون فى النظام الانجليزى والقاعدة القانونية التى يتضمنهاالتشريع الصادر من البرلمان لا تحترم ولايسلم بها ولاتعتبر جزءامن القانونالانجليزى الا عندما تطبقهـا وتفسرها المحـاكم وبالقـدر الذى تم فيه هذا التطبيـق وهذا التفسير ، ولذلك يجب الرجوع الى الأحـكام التى تطبـق نصـوص التشريع قبـل الرجوع الى نصـوص التشـريع ذاته وبذلك نعـود الى الاطار الأصلى وهو اطار القاعدة القانونيـة التى يصنعها القضاء وفقـا لمـا يقتضيه تحكيم العقل وليس تفسير النصـوص فقـط فالقـانون فى نظر الانجليز يتبـع العقل ولا يتبع الأمم أو القوميات .

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن السـلطة التشريعية فى كل من النظـامين القـانونيين الاسـلامى والانجليزى ودورهما فى صنع القانون ونبدأ الكلام فى العدد القادم ان شاء الله عن الأحكام الموضـوعية فى كلا النظامين ؟

**حسن حسب الله**

# إسلاميات شوقي

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

على الرغم من أني أدركت من حياة شوقي وتاريخه ما جعل نفسي تمتلىء اعجابا به واحتراما واعظاما لشأنه وارتفاعا به الى مستوى في سماء الأدب لا يدانيه فيها سابق ، ولا يلحق به لاحق . الا أنني أجد في تصوري له ، وثنائي عليه ، ومحاولتي — الجادة — أن أضعه في المكانة التي تليق به في تاريخ مصر الشاعرة ، من القصور والعجز والهزال والتخلف ، ما يكاد يصرخ في أذني بأنني لأأزال وبيني وبين ذلك كله أميال وأهوال ، وكأنما كان هذا الرجل — بحق — معجزة عصره ، ونادرة دهره ، وقد تعودت في كثير من الموضوعات التي أريد الخوض فيها ، أو الكتابة عنها ، أو المعالجة لها ، أن أستأنس في ذلك كله برأى غيرى من الكتاب والباحثين لأطمئن الى الرأى الذى أنتهى اليه ، أو الفهم الذى أومن به ، أو لأكون — على الأقل — في موقف القاضي الذى لا يفصل في القضية الا بعد الاستماع الى وجهات النظر المختلفة فيها ، رجاء أن يساعده ذلك كله على تحرى الصواب في الحكم ، واصابة كبد الحقيقة فيما هو موضوع النزاع ، ولهذا فانني تقصيت الآراء المختلفة ، والأحكام المتنوعة ، لكبار الأدباء ، من الذين عاصروا الرجل . من الحاقدين عليه ، أو الراضين عنه ، والمعجبين به — وشأنه كشأن غيره ممن تتضارب فيهم الآراء ، وتختلف وجهات النظر — فلم أجد انسانا وفاه حقه ، أو أحله في المكانة التي تليق به ، وحكم عليه الحكم المنصف الذى لا تحيز فيه ، كما فعل أديب العروبة كلها المرحوم مصطفى صادق الرافعي ، اذ يقول : «هذا هو الرجل الذى يخيل الى أن مصر اختارته دون أهلها جميعا لتضع فيه روحها المتكلم،

فأوجبت له ما لم توجب لغيره ، أعانته بما لم يتفق لسواه ، ووهبته من القدرة والتمكين ، وأسباب الرياسة وخصائصها على قدر أمة تريد أن تكون شاعرة ، لا على قدر رجل في نفسه ، وبه وحده استطاعت مصر أن تقول للتاريخ شعرى وأدبى ... وهذا هو الاسم الذى كان فى الأدب كالشمس من المشرق متى طلعت فى موضع فقد طلعت فى كل موضع ، ومتى ذكر فى بلد من بلاد العالم العربى اتسع معنى اسمه فدل على مصر كلها كأنما قيل النيل أو الهرم أو القاهرة » مترادفات لافى وضع اللغة ولكن فى جلال اللغة ، وربما كان السبب الأول والأخير فى أن شوقى احتل هذه المكانة دون سواه من المعاصرين له ، أن دمه الذى جرى فى شرايينه ، كان مزيج دماء متنوعة ويقول الرافعى فى موضوع آخر من كتابته عنه : «واجتمع لشوقى فى ميراث دمه » ومجارى أعراقه ، عنصر عربى ، وآخر تركى ، وثالث يونانى ورابع شركسى » وهذه كثرة انسانية لا يأتى منها شاعر الا كان خليقا أن يكون دولة من دول الشعر ، ومهما كان رأى الرافعى من الصواب والصدق، فاننا لا نشك فى أن هذه الثروة الأدبية الضخمة التى خلفها بعده كانت برهانا على أنه جدير بكل تقدير واحترام ، وهو فى نظرنا يشبه المتنبى الذى وصفه أحد أساطين البيان فى وقته بأنه مالئ الدنيا ، وشاغل أفكار الناس ، وان كان هنالك من فارق بينهما فهو أن المتنبى ضاعف من شهرته ، وذيوع صيته ، أن الأمير الذى احتضنه ، واحتفى به » كان أديبا جوادا ، فكان جواره له ، واغداقه عليه ، من عوامل التنويه به ، والحديث عنه ، وتناقل الركبان لما يصدر منه من قول ، أما شوقى فان أدبه وحده الذى كان يعلن عنه ، وينوه به ، ويملأ الآذان باسمه ، وتلك قضية فرغ الناس منها ، وانتهوا الى أنه جيل بأسره ، ونهضة متكاملة فى الأدب — لو فقدتها مصر ، أو حرمت منها ، لم تجد ما يعوضها عن هذا الفقد ، أو يملأ فيها ذلك الفراغ ، على أننا لا يعنينا أن نؤكد هذه الناحية من الحديث عن هذا الشاعر تأكيدا لفظيا يشبه الكلام المكرور ، وانما الذى يعنينا أن نبرز

لك ذلك الجانب من هذه الشاعرية الضخمة التى كانت تمثلها روحه المسلمة التى كانت تغلى بين جنبيه كما يغلى المرجل فوق النار غيرة على دينه ، وحمية لعقيدة آبائه وأجداده ، وهو يخشى عليها عدوان المسلطين ، وكيد الواغلين ، وبطش المتكبرين فى الأرض بغير الحق ، الا أننا نود قبل أن نخوض فى ذلك بالتفصيل والبحث أن نحاول أن نضع بين يديك صورة واضحة للحال التى دعت الى هذا لنرى رأيك ان كان الرجل مهاجما ، أم انه كان مدافعا وسواء كان الموقف دفاعا أو هجوما .. فاننا نعرف من ظروف حياة شوقى رحمة الله عليه ، أنها كانت ظروفا شاذة صنعها الاستعمار الجاثم ، والضعف البادى ، وهوان اللغة والعروبة على الله وعلى الناس حينئذ وتلك عوامل ـ مجتمعة أو متفرقة ـ من شأنها أن يكون لها الأثر البارز من تمكن العلة ، واستفحال المرض ، لا فى دين الأمة وعقيدتها ، ولكن فى الصحة والعافية ، وكل ما من منطلقاته وأسبابه تأخذ الجماعات سبيلها الى النهوض والرقى ، أو اقتعاد مكانتها اللائقة بها من شعوب العالم ، فى المجتمع الدولى ، وفى هذه الفترات من الهزال والضعف فى حياة الأمم والشعوب يظهر على مسرح الحياة كثيرون من أصحاب النفوس المريضة الذين يكون فى وجودهم علة الى جانب العلة أو العلل التى تعانى منها الأمة أو الشعب فى تلك الآونة من حياتها ، وهكذا واجه جمال الدين الأفغانى المصلح الاسلامى وهو ينتقل فى بلاد الشرق الأوسط وينادى بدعوته التحررية التقدمية ، وكذلك فعل تلميذه الأستاذ الامام محمد عبده حينما دعا الى طرح الأغلال والقيود ، والبدع والخرافات ، والاقبال على العلم والمعرفة ، لأن ذلك هو الوسيلة لاعداد الأجيال القوية التى لا ترضى بالحياة فى ظلال الهوان والذل .. واذا كان لجمال الدين وتلميذه ومن جرى على سننهما أسلوبه فى ايقاظ النفوس الغافية ، والهمم الوانية ، والعزائم المسترخية ، فان للشعراء كذلك أسلوبهم وطريقتهم التى تختلف كل الاختلاف عن غيرهم من الدعاة المصلحين ، لأن الدعاة من أمثال فيلسوف الشرق وأبناء مدرسته الذين كانوا امتدادا له ، واسترسالا لدعوته من بعده كانوا يعتمدون على الحجة

والمنطق ، والدليل والبرهان ، وهى طريقة قلما يصادفها القبول أو النجاح، اللهم الا اذا كان ذلك فى البيئة التى هيأتها الثقافة والمعرفة لقبول مثل هذا الأسلوب .. أما الشعراء الذين كانوا فى كل جيل وقبيل يتلاعبون بالأهواء ، ويقودون زمام القلوب والأفئدة ، فان حاجتهم الى المنطق والدليل واهية ، وهم لا يعولون الا على روعة البيان ، وسحر اللفظ ، وجمال التشبيه ، وهندسة الخيال ، وقوة النسج ، والابداع فى الصورة ،لأنهم يخاطبون الوجدان والعاطفة ، ويهزون أوتار النفس والحس ،فى حين أن أصحاب الدليل والمنطق انما يتعاملون مع العقل والتفكير، ويقاسون الشدائد والأهوال فى سبيل الاذعان الذى يهدفون اليه ، والاقناع الذى يطالبون به ، فاذا أضيف الى ذلك كله تمكن الدخيل ، وضعف اللغة ، وقلة الأصوات المدوية بصيحات الاصلاح ، ودعوات التحرر والنهوض ، كان ذلك دليلا آخر على ضخامة المسئولية ، على أن تلك الحال المريرة التى تخلفت عن هذا الهوان والضعف كان من ورائها ما هو أشد وأدهى وهو احتقار الداعية نفسه ، وتخلفه فى صفوف الأمة ، ليكون من وراء هذا الانصراف عنه ، وعدم الاصغاء اليه ولا الايمان بدعوته ، وفى هذا ما فيه من الخطر الداهم على الأمم والجماعات .. وهنا كان لابد لتلك النزعات القوية التى كانت تتملك زمام الرجل ، وتقود نفسه الكبيرة ، وشاعريته الفذة ، أن تبرز فى هذا الميدان ، وتؤدى دورها فى هذه الحقبة من التاريخ ،وهو دور أنا أؤمن ايمانا راسخا فى نفسى أن أحدا من الناس لم يؤده ، وأن وسائل الاعلام ــ ان صح أن لها وجودا فى هذا الوقت ــ لم تقم به .

وأول هذه النزعات القوية التى دفعت به ، وأخذت بزمام حواسه ومشاعره ليكون وحده هذا الانسان الذى يحمل هذا العبء ، ويقوم بتلك المهمة ، أنه وقد قرأ تاريخ بلاده وعرف من حضارتها وأمجادها ، أنها عريقة فى المدنية والفلسفة ،والعمران والتقدم ، أراد أن تكون لها هذه السيادة ، وأن يكون لها علمها الخفاق بين أعلام الدول الناهضة ،ومكن لهذا الطموح عنده ، وتلك الروح فى

نفسه ، أن شاعريته المتدفقة كانت مبكرة ، ملأت جوانب قلبه منذ أدرك أن الله سبحانه وتعالى يمده بهذا الالهام الذى لا يمد به الا قليلا من عباده ... وربما كان هذا هو السبب المباشر فى حديثه عن شعره ، واعتزازه بتفكيره ، واشادته بملكته اشادة تصل الى الكبرياء والغرور فى بعض الأحايين ، وان كان هو جديرا بهذا كله .. ويظهر أن أصحاب تلك العبقريات يمتد بهم الشوط فيذهب بهم الى الاعتقاد بأنهم أشبه بالأوصياء على الناس الذين لا تقف بهم المسئولية عند حدود أنفسهم وكفى ، وانما تتجاوز ذلك الى نطاق أوسع لتؤرق أجفانهم علل الانسانية وأوجاعها من غير تمييز بين الأبعاد والحدود ، والأصقاع والمناطق ، وقد كان كذلك فى كثير من أحاسيسه وشعوره ، ففى الوقت الذى كان وجدانه يذهب به الى دمشق والعراق واليمن والحجاز وليبيا وغيرها من البلاد العربية كان يذهب به كذلك الى تركيا والصرب والنمسا والأندلس من البلاد الاسلامية غير العربية ، ثم يطير الى فرنسا وانجلترا وايطاليا من البلاد الغربية يمجد أخلاقها وأدبها ودستورها ، ويترجم فيضه والهاماته التى تتصل بهذه البلاد وتتحدث عنها ، ويقرأ أبناؤها هذه الخواطر ، وتلك العواطف ، فيزداد تعلقهم به ، واكبارهم له ، ولا يرون الا أنه فى صفوف العباقرة الكبار فى أدبهم أمثال دانتى وشكسبير وأناتول فرانس وجيته وهكذا ممن ملأوا الدنيا بالآراء والأفكار ، والفلسفة والحكمة ، والجمال والحسن .

واذا كانت صيحة جمال الدين الأفغانى والامام محمد عبده وغيرهما من المصلحين لم تؤثر التأثير المرجو ، وكانت ـ كذلك ـ البلاد العربية والاسلامية مقفرة من هذا المخلوق الذى يحرك فيها النخوة للعروبة والاسلام ، فانه أراد أن يكون هو هذا الذى يهز وجدانها ، ويحرك عواطفها ، ويخاطبها من أدق مواطن الادراك فيها ، وهو الشعور ، فكان بذلك شاعر العروبة وشاعر الاسلام ، لاعتقاده الجازم أن بين العروبة والاسلام الارتباط الوثيق ، والنسب القوى ، والآصرة القريبة ، وأن أحدهما لا تكون له الحياة الحقة الا فى جوار صاحبه ، ولذلك كان هم العروبة فى نظره لا يقل عن هم

الاسلام ، كلاهما يؤرق عينه ، ويتعب قلبه ، ويقلق باله ، وينغص خاطره ، وفى قصيدته فى محنة دمشق ورثائه لعمر المختار دليل على أنه كان يربط بين هذين الأمرين ، ويعتقد أن فى كل واحد منهما مقتلا لصاحبه ، ومغمزا يؤتى منه الآخر ، ولما كان للتاريخ دوره الفعال فى الهدم والبناء ، والتمكين والاستقرار ، كانت عنايته التامة باستخدامه ، والانتفاع به ، وأخذ الدليل منه ، لا تقل عن اهتمامه بالعروبة والاسلام ، ولهذا فننا لا نكون من المبالغة فى شىء اذا كنا ننعته بأنه شاعر العروبة والاسلام والتاريخ ، وكل قصيدة من قصائده التاريخية جديرة وحدها أن تضيفه الى أصحاب المطولات التى كانت معروفة باسم الشاهنامة والالياذة وغيرهما ، وهى مع طول النفس ، والتزام الروى الواحد ، والدقة المتناهية فى عرض الحوادث ، وتحليلها تحليلا واضحا ، تدل على مبلغ احاطته به ، وفهمه له ، وفقهه فيه ، وأستاذيته لمن عاشوا طوال حياتهم محسوبين عليه .. الا أن شبهة قوية قد تدور بذهن المتحدث عن اسلاميات شوقى الشاعر صاحب القصائد التى تجعله فى مصاف أبى نواس ووالبة بن الحباب وابن حجاج وابن سكرة وغيرهم من أصحاب الأدب المكشوف ، وكيف كان له أن يقف هذه المواقف الخالدة من حديثه عن الاسلام ، وعرض قضاياه ، ودفاعه عنه ، وهو الذى لم يكن متنسكا ورعا ، ولا تقيا خاشعا . وقد دعاه عباس الى أن يحج معه فاعتذر اليه ولم يلب دعوته ، مكتفيا بتلك القصيدة ـ المشهورة ـ التى بعث بها اليه ، فهل يكون ردنا على هذه الشبهة بأننا بصدد الحديث عن الشعر لا عن العقيدة ، وعن الكلام اللفظى لا النفسى ، وعن الظاهر والله يتولى السرائر ، أم نرى رأى الدكتور هيكل صاحب « حياة محمد » الذى كان يعتقد أن ذلك من قبيل هذا الذى يسميه علماء « النفس » باسم ازدواج الشخصية وهو أكثر ما يكون فى النفوس المريضة التى تظهر للناس بلباس مستعار ، وشكل مكذوب ، وحقيقة ليست لهم ، ولا هم أصحابها ، كما كان أبو نواس الزاهد الواعظ الى جانب أبى نواس الخليع الماجن ، اذ يقول فى مقدمة « الشوقيات »

بالحرف الواحد : « مسألة تبدو للنظرة الأولى دقيقة معقدة ، فقد تزدوج فى نفس واحدة حياتان بينهما من الصلة ما يبيح الازدواج ، فيكون الرجل الواحد فيلسوفا وشاعرا كما كان المعرى وكما كان فولتير ، فاما أن يكون الرجل شاعرا ، وحدة حياته الشعر ، ثم تكون نفسه مقسمة مع هذه الوحدة قسمة ازدواج على نحو شوقى فذلك عجب فى شاعر مطبوع ، يفيض عنه الشعر ، كما يفيض الماء من النبع ، وكما ينهمل المطر من الغمام » وربما كان هيكل فى هذا الرأى أو تلك الشبهة متأثرا بنظرية الصدق والكذب التى ترى أن الشعر لا يكمل له جماله وحسنه ، ورونقه وابداعه ، الا اذا كان نابعا من وجدان القائل ، وضمير المتحدث ، واحساس المتكلم ، وقلب الشاعر ، يطابق نيته الخفية ، وعقيدته المطوية ، وهى نظرية لم تحظ باجماع الناس ، ولم تلق تأييد السواد الأعظم منهم ، والأديب مصور يشبه الرسام الذى يرسم الصورة المرئية ، وغير المرئية ، ونحن نكتفى منه بجمال الألوان ، وتناسق الأجزاء ، وبروز الشكل ، وروعة المنظر ، ولو كانت لشىء لا وجود له كالغول والعنقاء ، وفى الشعر العربى كثير من هذه النماذج والصور التى نطرب لها ، ونعجب بها ، وهى لا تعدو أن تكون من هذا القبيل ، على أننا ونحن نتصفح هذه « الاسلاميات » ان شاء الله صورة بعد أخرى ، ويأخذنا ما فيها من الجمال والحسن ، سوف لا نذكر الصدق والكذب ، وانما نذكر القمة العالية التى ارتفع اليها هذا المخلوق الذى جعلته مصر غرة فى جبينها ؟

**د . ابراهيم على ابو الخشب**

# انتقال ملك ما تثبت فيه الشفعة إلى المشفوع عليه

للدكتور إبراهيم دسوقى الشهاوى

اتفق الفقهاء على ثبوت الشفعة بانتقال ملك ما تثبت فيه الشفعة الى المشفوع عليه بعقد معاوضة مالية كالبيع والصلح عن الجنايات الموجبة للمال والهبة بشرط الثواب •

واستدلوا على ذلك بما رواه مسلم وأبو داود والنسائى عن جابر رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالشفعة فى شركة ربع أو حائط لا يحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه فان شاء أخذ وان شاء ترك فان باعه ولم يؤذنه فهو أحق به »

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن قوله : « فان باعه ولم يؤذنه فهو أحق به » صريح فى استحقاق الشفعة على من انتقل الملك اليه بالبيع والبيع عقد معاوضة مالية •

واتفق الفقهاء ـ أيضا ـ على عدم ثبوت الشفعة بانتقال ملك ما تثبت فيه الشفعة الى المشفوع عليه بغير عقد كالميراث •

واستدلوا على ذلك : بأن الوارث لا اختيار له فى انتقال الملك اليه فلا دخل له فى ايذاء الشريك أو الجار فلا وجه لمضارته بأخذ ملكه منه جبرا عنه •

ثم اختلفوا : فى ثبوت الشفعة بانتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد معاوضة غير مالية كالمهر ، وبدل الخلع وبدل الصلح عن دم عمد كأن يكون لشخص حصة فى دار مثلا فجعلها مهرا لزوجة ، أو يكون لامرأة حصة فى دار ـ مثلا ـ فجعلتها عوض خلع من زوجها •

واختلفوا – أيضا – فى ثبوت الشفعة بانتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد لا معاوضة فيه كالصدقة والوصية والهبة بغير ثواب فاختلاف الفقهاء فى موضعين :

الموضع الأول : انتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد معاوضة غير مالية .

الموضع الثانى : انتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد لا معاوضة فيه .

الموضع الأول : انتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد معاوضة غير مالية : اختلف الفقهاء فى ثبوت الشفعة بانتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد معاوضة غير مالية – على قولين :

الأول : لا تثبت الشفعة بانتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد معاوضة غير مالية ، ذهب الى ذلك الحنفية ، وهو مشهور مذهب الحنابلة .

القول الثانى : تثبت الشفعة بانتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد معاوضة غير مالية ، ذهب الى ذلك المالكية والشافعية وابن حامد من الحنابلة .

الأدلة : استدل أصحاب القول الأول : على عدم ثبوت الشفعة بانتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد معاوضة غير مالية بدليلين :

الدليل الأول : أن المشفوع فى الشفعة هو تملك الشفيع المشفوع فيه بمثل ما تملك به المشفوع عليه ، ولا يمكن للشفيع هنا دفع المثل لأن العوض ليس بمال فلا تثبت الشفعة فيما عوضه ليس بمال كالموروث والموهوب .

• ودفع هذا الاستدلال : بأنه قياس مع الفارق فان العوض وان لم يكن مالا حقيقة فهو مال حكما فان البضع والمنفعة والعصمة والقصاص ونحوها قد جعلها الشارع مضمونة بالمال ، فتأخذ حكم المال فان لم يمكن الأخذ بالمثل فيؤخذ بالقيمة بخلاف الموروث والموهوب لعدم العوض فيهما .

الدليل الثانى : أن الشفيع انما يأخذ المشفوع فيه بالسبب الذى تملك به المشفوع عليه لا بسبب آخر وأخذه بالسبب الأول غير ممكن لأن السبب

الأول اما نكاح أو خـلع أو نحوهمـا والشفيع هنا لو أخذ انما يأخذ بالشراء وهذا انشاء لتصرف آخر غير التصرف الأول وهو غير مشروع •

ودفع هذا الاستدلال : بأن أخذ الشفيع المشـفوع فيـه بمـا تملك به المشفوع عليه هو الكثير الغـالب ، ولا مانع من أخذه بسبب آخـر كالخـلع والنكاح مثلا •

واستدل أصحاب القول الثانى على ثبوت الشفعة بانتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بقـدر معاوضـة غير مالية بأن المشـفوع فيه قد ملك بعقـد معاوضة فتثبت فيه الشفعة كمـا تثبت الشفعة فيما ملك بالبيع •

ودفع هذا الاستدلال : بأنه قيـاس مع الفارق فان المملوك بالبيع عوضـه مال يمـكن الأخـذ بمثله أو قيمتـه بخلاف المملوك بعقد معاوضة غير مالية فان عوضه ليس بمال فليس له مثـل ولا قيمـة يمـكن الأخذ بها فلا تثبت الشفعة فيه •

القول الراجح : هذا : والناظر فى أدلة القولين فى الشفعة بانتقال الملك بعقد معاوضة غير مالية يتبين له :

١ ـ أن الخلاف بينهمـا مبنى على الخـلاف فى المنـافع هل هى مال أم ليست مالا : بدليـل التمثيـل بالخلع والنكاح والصلح عن دم القتل العمد •

٢ ـ أن الراجـح ما ذهب اليـه أصحاب القول الثانى من ثبوت الشفعة فيما مثلوا به من المهر فى النكاح ومن بدل الخـلع فى الطـلاق ومن بدل الصلح فى دم القتل العمد ومن بدل العتق ونحوها من كل ما نصوا عليـه أنه من المنـافع كأجرة الدار والطبيب لأن الشفعة انما شرعت لدفع الضرر الذى يتوقع حصـوله من الشريك أو الجـار ولا دخل لنـوع العوض فى حصول الضرر أو عدم حصـوله لأن الضرر انما يتحقق من نفس الشريك أو الجار فتثبت الشفعة بصرف النظر عن نوع العـوض الذى ملك به المشفوع عليه الشخص المشفوع فيه :

الموضع الثانى : انتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد لا معاوضة فيه : اختلف الفقهاء فى ثبوت الشفعة بانتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد لا معاوضة فيه على قولين :

القول الأول : لا تثبت الشفعة بانتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد لا معاوضة فيه كالصدقة والوصية ، والهبة بغير ثواب ذهب الى ذلك الحنفية والمالكية فى القول المشهور عنهم والشافعية والحنابلة .

القول الثانى : تثبت الشفعة بانتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد لا معاوضة فيه . فمن انتقل اليه ملك المشفوع فيه بعقد لا عوض فيه تستحق عليه الشفعة . ذهب الى ذلك المالكية فى رواية عنهم وابن أبى ليلى .

استدل أصحاب القول الأول : على عدم ثبوت الشفعة بانتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد لا معاوضة فيه بدليلين :

الدليل الأول : قياس ما لا معاوضة فيه كالموصى به والموهوب على الموروث بجامع أن كلا فيه انتقال الملك بغير عوض . فكما أن الموروث لا تثبت فيه الشفعة فكذلك ما لا معاوضة فيه لا تثبت فيه الشفعة .

ودفع هذا الاستدلال : بأنه قياس مع الفارق فان انتقال الملك فى الموروث لا اختيار فيه فلم يكن للمنقول اليه دخل فى الحاق الضرر بالشريك أو الجار بخلاف انتقال الموصى به أو الموهوب مثلا فانه اختيارى ؛ لأنه يشترط فى انتقاله القبول ولولاه ما انتقل الملك فى مثل الموصى به أو الموهوب فيكون للموصى له أو الموهوب له دخل فى الحاق الضرر بالشفيع فتثبت الشفعة فيما انتقل الملك فيه بعقد لا معاوضة فيه .

وأجيب عن هذا الدفع : بأن هذا الفارق غير مؤثر لأن النصوص انما أثبتت الشفعة فيما انتقل ملكه بعوض ولم تثبت الشفعة فى الموروث لعدم العوض . والموصى به أو الموهوب — مثلا — مما لا عوض فيه فلا تثبت فيه الشفعة لعدم العوض .

الدليل الثانى : أن الشفعة انما شرعت على خلاف الأصل لما فيها من أخذ مال الغير بغير رضاه فيجب الاقتصار فيها على محل ورودها والنص لم يرد فى الشفعة الا بالبيع وما لا معاوضة فيه ليس فيه معنى البيع حتى يلحق به فلا تثبت فيه الشفعة .

واستدل أصحاب القول الثانى : على ثبوت الشفعة بانتقال المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد لا معاوضة فيه بدليلين :

الدليل الأول : أن الشفعة شرعت لدفع الضرر ، والضرر موجود فى انتقال الملك بالعقود التى لا معاوضة فيها كالوصية والهبة فوجب شرع الشفعة فيما يثبت بها لدفع الضرر المتوقع حصوله والالزام تخلف الحكم عن علته وذلك موجب لبطلانها .

ورد هذا الاستدلال : بأن العلة ليست دفع ضرر مطلق وانما هى دفع ضرر الدخيل الذى ملك المشفوع فيه بمعاوضة والالثبتت الشفعة فى الموروث مع أنها لا تثبت فيه اتفاقا .

الدليل الثانى : أن الشفعة لو لم تشرع فيما انتقل فيه الملك بعقد لا معاوضة فيه كالموصى به والموهوب – مثلا – خوفا من حصول الضرر لمثل الموصى له أو الموهوب – مثلا – لوجب ألا تشرع فى المبيع منعا لحصول ضرر يلحق المشترى من باب أولى – لأن اقدام المشترى على الشراء وبذله العوض دليل على حاجته الى ما اشتراه بخلاف مثل الموهوب له أو الموصى له . فاذا استحقت الشفعة على المشترى مع حاجته ولم ينظر الى اضراره وجب أن تستحق الشفعة على الموهوب له أو الموصى له والا كان هذا ترجيحا للمرجوح .

ورد هذا الاستدلال : بأن الموهوب له أو الموصى له قد تكون حاجته الى المشفوع فيه أشد من حاجة المشترى اليه . لأن المتبرع ما تبرع لهما الا وقد علم حاجتهما التى دعته الى التبرع لهما فلا ترجيح للمرجوح ، على أنه يوجد مانع قوى من استحقاق الشفعة فيما انتقل ملكه بعقد لا معاوضة فيه وهو شبهة بالموروث فلا يصح قياسه على المبيع مع وجود هذا الفارق .

القول الراجح : هذا والراجح من القولين : هو القول بعدم ثبوت الشفعة

فيما انتقل ملكه الى المشفوع عليه بعقد لا معاوضة فيه لقوة دليله ، ولأن ما يثبت بعقود لا معاوضة فيها المقصود فيه التبرع ابتغاء وجه الله ، والغالب فى التبرعات أن المتبرع يلاحظ نفع المتبرع له بذات المتبرع به ، فأخذه منه بالشفعة فيه ضرر عظيم لا يساويه الضرر الذى يلحق المشفوع عليه ، فالمصلحة فى عدم استحقاق الشفعة عليه ؟

**د . ابراهيم دسوقى الشهاوى**

---

# الزاهد الغنى الرائد

للأستاذ السيد حسن قرون

نزعة الزهد ظاهرة تجدها فى جميع الأمكنة والأزمنة يستوى فى ذلك من عاصر الفراعنة ومن شاهد عصر الفضاء ، ومن عاش فى الهند أو عاش فى السويد ، نزعة بشرية لا يختص بها جنس دون جنس ، ولا انسان دون آخر ،ولذلك نتساءل: لم يزهد بعض الناس فى زهرة الحياة الدنيا ، ولم يقبل عليها آخرون بشغف؟ ونحن نعرف أن حب المال طبيعة فى بنى آدم ترجع الى غريزة حب التملك فكيف زايل الزهاد غرائزهم ، ووافقوا ما يضادها ويعاديها ؟

لو تأملنا مليا فى نزعة الزهد فاننا نراها لا تجافى طبيعة الانسان ، ولا تصادم غرائزه ، وقد يبدو هذا الكلام غريبا ، ولكن بشىء من التمحيص والتدقيق نجده فى موقعه ؛ فالذين أحبوا المال وتكالبوا عليه سيطرت عليهم غريزة حب التملك العاجل ، ورأوه هو الدنيا ولا شىء سواه ، ونحن نسميهم الماديين ، ومنهم البخلاء وأعداء البشر من المحتكرين والمحتالين وقطاع الطرق واللصوص والمرتشين ، الذين اختاروا الزهد سيطرت عليهم غريزة التملك أيضا ، ولكنه تملك من نوع آخر ، تملك أسمى وأبهى وأمتع ، انه تملك الآجلة بما فيها من نعيم مقيم ، وجنات تجرى من تحتها الأنهار ، أو تملك رضا الله ، وهو نعيم لا يعدله نعيم ، وخفقة قلب زاهد تحتوى على لذة وأشواق لا يعدلها الا غفران الله ورضوانه .

والزهد فى الاسلام تدرج مع طهوره ونموه واتساع مداه ، كان فى بدء أمره متوازنا مع مطالب الحياة الضرورية ، فأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يهتمون بالمال وجمعه ؛ لأن الدين هون من شأنه، وما المال عندهم الا وسيلة لما هو أسمى . التقرب به الى رضا الله ، وبناء مجتمع سليم مثالى يسوده الود والأمن والتكفل ، والزكاة والصدقات والكفارات واقيات من البغض والخوف والتنافر ، ولكنه زهد على كل حال ، ومع توالى الأيام نشأ زهاد لهم وظيفة فى الدولة هى العظة واسداء النصائح وفى آخر العصر الأموى كان الزهاد نتيجة الثراء الكبير ، للفتوحات ومزاولة العمل الزراعى والتجارى ، فلما جاء العصر العباسى كان الزهد ناشئا عن اختلاط الشعوب تزاوجا وعلوما وآدابا ، واصطناعا لمطالب الحضارة ، وصار للزهد دعاته ويمثلهم أبو العتاهية ، ـ وان كان هو غير زاهد فى حقيقة أمره ـ ثم تولد من ذلك مذهب التصوف بحسناته وسيئاته .

وقد ذخرت الكتب الأدبية وغيرها بطائفة كبيرة من أقوال الزهاد ومسالكهم فى الحياة واذا قرأت هذه الكتب فلن تجد بيانا شافيا عن أسباب الزهد والتغنى به فى أسلوب علمى مبنى على البرهان والمثال . وفى العقد الفريد لابن عبد ربه كلام كثير من الزهاد وعنهم ، وأصدق ما قرأت منه: « قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : أما انه ما هو بتحريم الحلال ، ولا اضاعة المال ، ولكن الزهد فى الدنيا أن تكون بما فى يد الله أغنى منك بما فى يدك » وقال الفضيل بن عياض: أصل الزهد الرضا عن الله تعالى . وما عدا هذا يعطيك لوما للدنيا ومن عنوا بها كقول محمود الوراق :

أظهروا لله دينا ... وعلى الدينار داروا

وله صلوا وصاموا ... وله حجوا وزاروا

لو بدا فوق الثريا ... ولهم ريش لطاروا

ومن العجب أن يذكر ( العقد الفريد ) التصوف على لسان شاعر قال :

تصوف كي يقال له أمين
وما معنى التصوف والأمانة
ولم يرد الاله به ولكن
أراد به الطريق الى الخيانة

جالت هذه الخواطر في رأسي وأنا أعيش مع الصحابي الجليل ( عثمان ابن مظعون ) الذي يعتبر رائد الزهد في عصر النبوة ، وماذا كان منه لنصفه بذلك الوصف ، ونعده للزهد رائدا ؟ لو بسطنا حياته في ظل الاسلام قابلتنا منه طرائق قد تتفق مع الزهاد الذين أشرنا اليهم وقد تختلف ونستبين منها مدخله ومخرجه ، واذا ألقينا بصرنا الى حياته في الجاهلية لم نلق ما يدلنا عليه دلالة كافية الا أن هناك بصيصا من النور قد يشير اليه في شحوب ، ولكنه كاف في تمام المعرفة به ، فلقد خرج عن أهل الجاهلية من قريش في أنه حرم الخمر ، ومعنى ذلك أنه كان ينأى عن حياتهم الباطلة ولا ينغمس في اللذائذ والشهوات ، قال عن الخمر ـ في الجاهلية ـ : انى لا أشرب شيئا يذهب عقلي ، ويضحك بي من هو أدنى مني ، ويحملني على أن أنكح كريمتي من لا أريد • وتخبرنا كتب السيرة أنه حين حرمت الخمر تحريما قاطعا بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » وأخبر بذلك ، قال : « تبا لها لقد كان بصري فيها ثابتا » ولم تذكر الكتب أنه تحنف أو تنصر أو خالط أهل الكتاب ، فنزعة الزهد عنده اذن من نفسه ومن فطرته فليس هناك مانع يمنعه من الحياة اللاهية السادرة ، فهو ذو ثراء واسع وهو ذو حسب ونسب من بني جمح في الذروة منهم فهو عثمان بن مظعون ابن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي يجتمع مع رسول الله في كعب مثل عمر بن الخطاب وجمح له بنون ظهروا في عهد النبوة منهم من عصى ومنهم من آمن ، وأشهر من عصى ( صفوان بن أمية ) من المؤلفة قلوبهم أعطاه الرسول في غزوة حنين مثل ما أعطى أبا سفيان ، وجمح بطن من

بطون قريش العشرة ، والرجل ماله كثير وشبابه معه • فمن أين جاءه الزهد ؟ لنا أن نفلسف أمره فنقول : ان عثمان بن مظعون كانت لا ترضيه الحياة التي انغمست فيها قريش من عبادة غليظة ولهو ولعب وتكاثر بالأموال والأولاد ، شأنه فى هذا شأن الابن الثانى من الابن الأول فى الأسرة ، فهو اذن معارض لتلك الحياة اللاهية ، وقد يريد ابطالها ، ولكنه فى حاجة الى سند والى شىء جديد ينبه به ذلك المجتمع الضال ، فما ان بدا النور حتى هرع اليه ، وألقى بثقله بين يديه • قال الرواة : انطلق عثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث ابن المطلب ، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد وأبو عبيدة ابن الجراح حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليهم الاسلام ، وأنبأهم بشرائعه ، فأسلموا جميعا فى ساعة واحدة ، وذلك قبل دخول رسول الله دار الأرقم ، وقبل أن يدعو فيها •

وهذه الرواية تهدينا الى مسلكه ، ـ ان القرين بالمقارن يقتدى ـ ، فالذين ذهب معهم الى نبى الاسلام من كرام قريش صاروا فيما بعد سادة المسلمين منهم الشهيد والقائد والرئيس ، وقد ذكر ابن عوف بينهم ، والمعروف أنه أسلم بصحبة أبى بكر الى الرسول قبل ذلك ، وقد يكون ابن عوف صنع صنيع أبى بكر ، فرافق هؤلاء الكرام الى الرسول ، وتذكر كتب السيرة أن أبا عبيدة كان الحادى عشر ممن أسلموا ، ومعنى هذا أن عثمان ابن مظعون من أوائل السابقين الى الاسلام ، ومن الاتفاق الحبيب أنهم كانوا معا فى الهجرة الى الحبشة ـ ماعدا عبيدة بن الحارث ـ لم ترهم قريش ولم تؤذهم ولكنهم فروا بدينهم ليقوموا بشعائره بعيدا عن عنت قريش وكفرها ، ورافق ابن مظعون زهده وترك أمواله الى حين ، وحين هاجر الى يثرب لم يخرج وحده بل صحب أسرته واخوته ، وما أجمل حديث ( ابن سعد ) عنهم فى طبقاته • قال : «وآل مظعون ممن أوعب[1] فى الخروج الى الهجرة حتى غلقت دورهم » وآخى الرسول بين ابن مظعون وأبى الهيثم بن التيهان ـ وابن التيهان أحد الاثنى عشر الذين بايعوا بيعة العقبة الأولى ـ واختط رسول الله لآل مظعون موضع دورهم بالمدينة ،

(١) هاجروا جميعا .

وتفــرغوا لطـاعة الله ورســوله ، واشــتركوا فى غزوة بدر ، وصــار ينظر الى عثمان بن مظعون على أنه من أفاضل المسلمين ، لكنه بدا جانحا الى أمر لم يجنــح له الصحابة ، انه زاهد يفر من الدنيا ومن ابتساماتها ، ويطيل الصلاة ويكثر من التهجد ، ولئن عز المـال على من هاجـروا فلديه المـال كثير ، وينبغى أن نلحظ أننـا نتحدث عن فترة تقع بين الهجرة وبين غزوة أحـد ، فالرجـل لم يعش غير هــذه الفترة فى المدينــة ، فهــو ثرى ، لم يشــعر بالحاجة الى المـال أو طلبــه ، والحكاية الآتية تبين لنا زهده وكثرة ماله ،قال الرواة : دخلت امرأة عثمان ابن مظعون على نساء النبى ، فرأينهـا سيئة الهيئة ، فقلن لها : مالك ؟فما فى قريش أغنى من بعلك • قالت : ما لنا منه شيء • أما ليله فقائم ، وأما نهـاره فصائم • فدخل النبى صلى الله عليــه وســلم ، فذكرن له ذلك • فلقيــه ، فقال : يا عثمان بن مظعون ، أما لك بى أسوة ؟ فقال : بأبى وأمى وما ذاك؟ قال : تصوم النهار وتقوم الليل• قال : انى لأفعل ، قال : لا تفعل ، ان لعينيك عليك حقـا ، وان لجسدك حقا ، وان لأهلك حقا ،فصل ونم ، وصم وأفطر ••• فأتتهن بعـد ذلك عطرة كأنهـا عروس • فقـلن لهـا : مه ؟ قالت : أصابنا ما أصاب الناس • فابن مظعون ذو مال وافر ، لكنــه زاهد فيــه وفى الاستمتاع به ، شغله الصيام والقيـام عن نفســه وعن زوجه حتى بدت فى هيئة رثة • فأنكرت نسـاء النبى منهـا ذلك ، وقد فصل الرسول فى الأمر ، ورده الى سـنته ، وأمره بالاعتــدال « صل ونم ، وصم وأفطر » •

ويظهر أن الزهد جبلة فيه تجعلــه فى حـيرة وقلق وأشـواق الى ما هو أسمى من حيــاته ، فمرة يذهب الى النبى يخبره أنه يكره أن ترى امرأته منه • قائلا أستحى من ذلك وأكرهه، فيبصره النبى بقوله : « ان الله جعلها لك لباسا ، وجعلك لها لباسا » ويصفه الرسول حين يدبر : « ان ابن مظعون لحيى ستير » وتارة يتخذ بيتـا للتعبـد والخلوة •ويقول أبو قلابة فى ذلك : ان عثمان بن مظعون اتخذ بيتا فقعـد يتعبد فيه ،فبلغ ذلك النبى فأتاه ، فأخذ بعضـادتى باب البيت الذى هو فيــه • فقال : « يا عثمـان بن مظعون ان الله لم يبعثنى بالرهبانية ( مرتين أو ثلاثا ) وان خـير الدين عنـد الله الحنيفيـة

السمحة ، فرسولنا صلوات الله عليه قاوم هذه النزعة فيه ، وبين له ما يأخذ وما يدع ، بين الطريقـة المثلى التى ينبغىأن يكون عليها المسلم ،لا افراط ولا تفـريط ، بل الاعتـدال فى كل شىء ، دين الفطرة ،فالحرمان والزهد والانقطاع عن الناس فى الخلوة وترك العمل أمور لا يعرفها الدين الاسلامى .

ومقاومة الرسول لنزعة الزهد فيه جعلته صحابيا من الصحابة يشاركهم فى الصـلاة والجهـاد وقراءة القرآن والتفقه فيه ،ولولا موقف الرسول من زهده لقبع فى بيتـه وترك نصيبه من الدنيا .

لم تطل حياة ابن مظعون كما قدمنا، فقد فارق ظهر الأرض فى شهر شعبان بعد ثلاثين شهرا من الهجرة ، وكانت وفاته كحيـاته لها أثرها وخطـرها ، كانت توطئة لعمـل كبـير ، فكر فيه الرسول وأطال التفـكير ، كان يرتاد لأصحابه مقبرة يدفنون فيهـا ، ارتاد نواحى المدينة وأطرافها حتى وصـل الى موضـع ، فقـال : أمرت بهـذا الموضـع ، فـكان ( البقيــع ) مقبرة أصحابه فى المدينـة ، وكان أول من قبر فيه عثمان بن مظعـون . ارتجت المدينة حين طار فى نواحيها نبأ وفاته ، فما ان سـمع النبى بموته حتى مضى اليه ، فوقف عليه باكيا . قالت عائشة : ان رسول الله قبل عثمان بن مظعون ـ وهو ميت ـ فـرأيت دمـوع النبى تسيل على خد عثمان بن مظعون .

وشيعت الجنازة فسمع الرسـول امرأته تقول : هنيئا لك الجنة عثمـان ابن مظعون . فنظر اليها نظر غضبان ، فقال لها : وما يدريك ؟

فقالت : يا رسول الله ، فارسـك وصاحبك . فقال : والله انى لرسول الله ، فما أدرى ما يفعل بى ولا به ؟ فلمـا ماتت بنت رسـول الله قـال الرسول : الحقى بسلفنا الخير عثمان ابن مظعون .

وهذا القول من صـاحب العقيـدة الاسلامية يرشـدنا الى أمر عظيـم ، فليس من حقنـا أن نحـكم على الله بشىء ، بل حسبنا أن نقول كما أرشد الرسول : « كان يحب الله ورسوله » أو تدعو له بخير . ونحن لا نشك فى أن ابن مظعون ممن رضى الله عنهم ، وهداهم الى الهدى ، وباعد بينهم وبين اقتراف المعاصى ، ولكن الرسـول هو المعلم الأكبر ، وما قال هو المتبع ، وقد

وقع عمـر بن الخطاب رضى الله عنه فى مثـل ما وقعت فيه امرأة الفقيـد ، وان كان من نوع يخالفه ، فقـد ظن أن وفاة ابن مظعـون دون اسـتشهاد تنزل من قدره ، وتنقص من أجره ، ولكنه عدل عن هذا الظن بعد سنوات من وفاته . فقـد رووا (١) أنه قال : لمـا توفى عثمان بن مظعـون وفـاة لم يقتـل ، هبط من نفسى هبطة ضخمة فقلت : انظـروا الى هـذا الذى كان أشدنا تخليـا عن الدنيـا ، ثم مات ولم يقتل ،فلم يزل عثمان بتلك المنزلة من نفسى حتى توفى رسول الله صلى الله عليهوسلم . فقلت : ويك ! ان خيارنا يموتون . ثم توفى أبو بكر . فقلت : ان خيارنا يموتون . فرجع عثمان فى نفسى الى المنزلة التى كان بهـا قبـل ذلك .

وعمر فى هذا لم يخالف منهجه ، فهو يقيس الأمور ، ويذكر الأشـباه والنظائر ، فلما كان الشـهداء بالمنزلة العليـا رأى أن موت ابن مظعون دون استشهاد هبوط فى منزلته ، ولما رأى الخيار يموتون قاس أمر ابن مظعـون عليهم فارتاح الىقياسه . وحسب رائد الزهد أن يحظى من الرسول بالعناية بأمره ، ولا يتركه لتبتله ، فكان لنا من توجيهـات النبى له تشريع وتعليم . وحسـبه أيضـا أن يشيع الرسـول جنازته ، ويشـهد دفنه حين نزل فى قبره أخوه عبد الله ، وابنه السائب ، ومعمـر بن الحارث الجمحى ، وأن يأمر بوضـع شىء عـلى ضريحـه ، ويقول : هذه علامة قبره يدفنإليه من مات بعده .

رحم اللهعثمان بن مظعون ، فقد كان رائدا فى زهده ، رائدا فى هجرته ، رائدا فى قبره ، انه أول من قبر فى البقيع ؟

**السيد حسن قرون**

---

(١) الطبقات : ترجمةعثمان بن مظعون .

## النظام الإدارى الإسلامى :

# بعض المبادئ الضابطة لإدارة المرافق العامة فى الإسلام (١٢)

للدكتور مصطفى كمال وصفى

والى جانب ما ذكرناه من خضوع ادارة المرافق لمبدأ التخطيط ، وذلك تقيدا بالمقاصد الشرعية ، والى أنها تدار بطريق الضبط الادارى - بالاشراف على الادارة الشعبية ومراقبتها - والى خضوعها لما بيناه من القواعد والوسائل ، فان هذه الادارة تهيمن عليها المبادىء الآتية :

**الاضطراد والتحسن :**

يدرك هذا المبدأ المقرر فى القانون الوضعى الحديث ، من أنه - فى الشريعة الاسلامية - يعتبر القيام بالمصالح فرض كفاية يأثم الناس جميعا بالتوانى عنه .

وهذا المبدأ الأساسى مقرر فى جميع المذاهب بلا استثناء ، اذ لا شك أن دفع الضرر عن الناس وجلب المصالح لهم ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الواجبات التى يلتزمها المسلمون على وجه الكفاية فيما بينهم . فن قام بها القادر عليها قياما حسنا ، سقط هذا الفرض عن غيره وبرىء المسلمون من اثمه . وان لم يقم به أحد أثموا جميعا .

ومن شأن ذلك أن تشتد روح متابعة الصالح العام والاخلاص فى ذلك تلافيا للاثم العام الناشىء عن التخلف عن هذا الواجب المفروض ، فان كان ثمة من يقدر على مصلحة فلم يقم بها ، أثم بقعوده ، وأثم غيره لعدم دفعه عليه ، وأثم من كان يقدر على أن يتعلم فيفعل فلم يفعل ، وأثم الساكتون على ذلك ، ووجب أن ينبرى من المسلمين من يبرىء كل أولئك من اثمهم . فان احتاجت قرية أو محلة أو ضاحية - كالمعادى -

لطبيب أو صاحب حرفة أثم الناس جميعا حتى يتصدى أحدهم لذلك ـ عن قدرة ـ أو يستخدموا من يقوم بها ويجلبوه ويوفدوا من يتعلمها • لأن عدم القيام بذلك يؤدى الى التفريط فى ضرورة من الضرورات الشرعية : وهى المحافظة على النفس • وان كان طبيبهم جاهلا حجر عليه لما قدمناه من الحجر على الطبيب الجاهل ، واستبدلوا به غيره عالما حاذقا ، وبقدر حمية الايمان فى القلب تكون متابعة التكاليف والقيام بها (١) •

وفى القانون الوضعى الحديث يجب أن يؤدى المرفق عمله : على وجه حسن ، وبدون تأخر • فان لم يقم اطلاقا بأداء الخدمة ، أو كان يؤديها أداء سيئا ، أو كان يتأخر عن أدائها ، فان هذه الأسباب الثلاثة توجب مسئوليته ، وهى مسئولية تقوم على الخطأ المرفقى (٢) وهذا حسن ولا بأس بالائتناس به • اذ لا يكفى ألا يقوم الناس اطلاقا بالمصالح ، ولكن يجب أن يقوموا بها قياما حسنا ، وألا يتأخروا فى القيام بها • فذلك هو ما يمنع سؤالهم عن فرض الكفاية ويبرؤهم منه •

**مراعاة الصالح العام :**

السلطة العامة فى الاسلام ـ كما بينا من قبل ـ مقيدة وليست مطلقة • فان ما نسميه الآن بمبدأ سيادة القانون (٣) مطبق فى الاسلام بأظهر معانيه ، بل ان المشروعية فيه ثابتة مؤكدة دائمة ، لا تبديل فيها ، فالنظام كله محكوم بنصوص القرآن والسنة ، والمصالح محكومة فى اطار مقاصد معينة ، والدولة ذاتها وليدة الشريعة الاسلامية ، وهذه الشريعة خطاب للحاكم والمحكوم على حد سواء •

ولما كانت الشريعة الاسلامية قد وضعها الله سبحانه وتعالى جلبا للمنافع ودرءا للمفاسد ، فقد صار على السلطان فى ولايته ، وعلى الفرد المكلف فيما يقوم به من المصالح ، أن يرعى هذه المقاصد ، وصارت السلطة

---

(١) انظر صحيح البخارى المفسر ـ شرحنا على قوله : « دعاؤكم ايمانكم » صفحة ٢٦

(٢) faute de service

(٣) souveraineté du droit

العامة فى كل مظاهر ممارستها مقيدة بمراعاة الصالح العام •

نعم وقد يكون لصاحب الولاية أن يختار ويترخص ، ولكنه ليس مطلق السلطة فى ذلك ، بل عليه أن يختار الأحسن ولا يترخص الا بما فيه هو نظر للمسلمين وأصلح لهم • وهذا يبطل ما قاله عبد الحميد متولى وأضرابه من أن الحكم فى المسائل الدستورية يكون بالتشهى • فهذه فوضى ورخصة للظلم لا تقره شريعة الاسلام •

وقد تقرر فى الفقه الاسلامى قاعدة أصولية هى قولهم :

**التصرف على الرعية منوط بالمصلحة:**

وقد قننت المجلة العدلية (١) هذه القاعدة بالمادة ٥٨ منها • كما أوردها بعض الأئمة فى مصنفاتهم • منهم : الامام جلال الدين السيوطى الشافعى فى كتابه المسمى « الأشباه والنظائر » وكذا الامام ابن نجيم المصرى الحنفى فى كتابه المسمى أيضا بالاسم نفسه : أى الأشباه والنظائر •

قال الامام السيوطى فيها : « هذه القاعدة نص عليها الامام الشافعى ، وقال : ( منزلة الامام من الرعية منزلة الولى من اليتيم ) • وأصل ذلك ما أخرجه سعيد بن منصور فى سننه ، قال : حدثنا أبو الأحوص عن أبى اسحق ، عن البراء بن عازب ، قال : قال عمر رضى الله عنه : ( انى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة ولى اليتيم ، ان احتجت أخذت منه ، فاذا أيسرت رددته ، فان استغنيت استعففت ) » •

وقد بين فروعا لذلك أنه لا يجوز اسقاط بعض الجند من الديوان بغير سبب (٢) ، وانما يجوز ذلك بسبب • فهنا لا يجوز اصدار هذا القرار الا

---

(١) مجلة الأحكام العدلية هى مجموعة احكام مستخلصة من المذهب الحنفى ، اصدر بها الباب العالى عدة فرامانات أو خطوط همايونية للعمل بها فى عموم الدولة العثمانية فى محرم سنة ١٢٨٦ هجرية ، وما زال معمولا بها فى بعض الدول العربية الاسلامية .

(٢) الديوان : دفتر او سجل يقيد به اسماء المستحقين للعطاء ( من فىء ونحوه ) يصرف لهم من بيت المال ، فكان يقيد به من يقومون بالجهاد عند الحاجة ، واسقاط بعضهم من الديوان : يعنى حذفهم من قائمة المستحقين لهذه الأموال . فهى تصرف ادارى بحت .

بناء على سبب صحيح ، يراعى فيه المصلحة المقصودة . ومنه أيضا أنه لا يجوز لولى الأمر أن يقدم فى بيت المال غير الأحوج على الأحوج ، لأن توزيع هذه الاموال مقيد بمصلحة معينة فوجبت مراعاتها . ومنه أيضا أنه لا يجوز لأحد من الولاة أن ينصب فاسقا اماما للصلوات ، فهذا التصرف ـ بالمعايير الحديثة ـ هو قرار تعيين . فيجب أن تراعى فيه المصلحة المقصودة . نعم يقول البعض أن الصلاة خلف الفاسق صحيحة ، ولكن لا شك فى أنها مكروهة ، وحمل الناس على فعل المكروه ينافى المصلحة ، أو ـ على الأقل ـ لا مصلحة فيه . وكذلك لا يجوز لولى الأمر أن يملك أحدا ـ باقطاع أو احياء ـ الا ما ملكه الله تعالى ، لأن وظيفة الامام القسمة ، والقسمة لابد أن تكون بالعدل لأن الولاية مقيدة بالمصلحة ، ولذلك أيضا تطبيقات فى السير : كما فى عقد الهدنة وتقسيم الغنائم والتصرف فى الأسرى ، فكل ذلك يجب أن يجرى حسب المصلحة ، لا بحسب التشهى ، وتجوز مراجعة الامام فى ذلك ، كما يجوز للامام أن ينقض عهدا أبرمه أحد المسلمين وكان فيه ضرر ، أو كان خاليا من المصلحة عند البعض .

وعندى أن هذه القاعدة عامة فى كل التصرفات والعقود ، لا تقف عند تطبيق دون تطبيق . سواء فى العقود أو الفروج أو الأموال أو الأحكام أو السير أو الجنايات ، فكل ذلك لابد أن يتقيد بالمصلحة : وهى هذه المشروعية الاسلامية والمقاصد الشرعية التى تهيمن على النظام الاسلامى على الوجه الذى أبرزناه .

وقد اختلف فى الفروع ـ فى مسائل بعينها ـ هل يشترط أن تكون المصلحة واضحة بارزة فى التصرف ؟ أم لا يشترط ذلك فيكفى ألا يكون مؤديا للضرر ؟ بمعنى أنه اذا خفيت المصلحة فى تصرف ، أو كان ظاهر الخلو من المصلحة ـ كالعبث ـ ولكن لا ضرر فيه ، فهل حكمه البطلان أم الصحة ؟ .

الذى نراه أنه يكفى ألا يكون مؤديا للضرر ، وذلك لأن التصرفات محمولة على المصلحة ، ولا يتكلف ولى الأمر أن يثبت المصلحة فى كل عمل من أعماله . ففى ذلك مشقة وحرج ، ولكن العبث ضرر بلا شك ،

لأن الشريعة والأحكام منزهة عن ذلك ،فاذا كان التصرف سفها وتبذيرا وكان اضاعة للمال ، وهو منهى عنه فى الشرع لأنه فساد ، والله لا يحب الفساد ، ولا يصلح عمل المفسدين . وفى ذلك تطبيقات فى باب الاجازة وعلى مثلها يقاس فى الأحكام وأعمال الولاية .

**المساواة امام المرافق :**

وتحتمل المساواة فى الاسلام تأصيلا يجعلها تغاير نظيرتها فى القانون الوضعي مغايرة عظيمة من وجوه :

فأولا : يتساوى الناس جميعا على اختلاف ألوانهم وأديانهم — بلا أدنى شك — فيما نسميه الآن بحقوق الانسان : وهى الحقوق المترتبة فى الاسلام على عصمة المال والعرض والنفس والدم ،فكل من بدار ،الاسلام، مسلما أو بعهد ذميا أو مستأمنا أو معاهدا أو صلحيا ، كل أولئك سواء فى هذه الحقوق المتفرعة عن كونه انسانا ، اللهم فى القليل مما يقتضيه فضل الاسلام ، فلا يؤخذ الأعلى فى الأدنى فى القصاص كنحو مسلم فى ذمى ، وللأخير حقوق أخرى مكفولة عند الجناية عليه ، وفى التداعى الى القضاء المسلم وغير مسلم سيان ، ولو أميرا ،وكذا القاعدة — تقريبا فى الحر والرقيق .

وأما فى الأمور التى تتطلب ثقة أهل الايمان ، فقد قال الله تعالى : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » كذا ، فلا يعهد بالعمل الا الى عدل ، لا الى منصوص عليه فى نفاق ، وذلك لأن الاسلام نظام مذهبى فتميز أهل العقيدة والمشهود لهم فى أمور ، وتساووا مع المنافقين والغافلين عن أمور الدين فى غيرها ، وهذا التمايز انما هو من قبيل الصلاحية للاختيار والملائمة فى التعيين ونحوه ،وهو أمر معروف فى القوانين الحديثة ، بل ان النظم المذهبية الحديثة كالاشتراكية — لا تلى الأمور العامة الا الى المشهود لهم بهذه العقيدة المعروفين باخلاصهم لها . فالمذهبية قيد هام على المساواة فى الاسلام ، وليست المساواة مطلقة كما فى النظم الديموقراطية الحرة ( الليبرالية أو الرأسمالية ) التى تقوم على اعتبارات مادية محضة .

ثانيا : أن المراكز القانونية فى فى الاسلام يبرز فيها عناصر التكليف وتتقدم على عنصرى المزايا والحقوق

الذاتية ، وهذا من شأنه ـ من ناحيـة أخرى ـ أن يسرى نوعا من المساواة العامة لا تعرفه النظم الحديثـة ، فاذا تساوى المالك مع المضطر ، ولم يكن المـالك على اضطـراره فان المضطـر يتقـدم فى الاسـتحقاق فى أحوال كثيرة • وهذا من شـأنه أن يغير من أكثر الأصول التى تألفها فى القـانون الوضعى الحديث ، وحقوق العامة على الملكية الخاصة ، بل أحسب أن أقول : ودخول هذه الملكيـة الخاصـة ضمن المصالح العـامة ! ما دام أن المـالك لا يستطيع أن يحبسها عن العامة • ألم تر ما يقول ابن القيم فى ذلك ؟ قال : « فاذا قـدر أن قـوما اضطـروا الى السـكنى فى بيت انسـان لا يجدون سواه ، أو النزول فى خان مملوك ، أو استعارة ثياب يستدفئون بهـا ، أو رحى للطحـن ، أو دلو لنزع المـاء أو قدر ، أو فأس ، أو غير ذلك وجب على صاحبه بذله بلا نزاع ! لكن هل له أن يأخذ عليـه أجرا ؟ فيـه قولان للعلمـاء ، وهى وجهـان لأصحاب أحمـد ، ومن جوز له أخـذ الأجرة حرم عليـه أن يطلب زيادة على أجر المثل •• » وهـذا باب واسـع لتلوين نظـرية المرافق العـامة بلون شديد التقدم والموافقة لاحتياجات التطورات الاجتمـاعية والظروف الاستثنائية ، وهو سند لمشروعية تسعير المساكن ، والاستيلاء الجبرى عنـد الضرورة ، والحد من تحكم المـال فى اختصاصه واستثماره • ولكن ذلك كله يجب أن يقدر بقدره وأن يلزم المقاصد الشرعية وقد فصلنا ذلك فى كتابنا « الملكية فى الاسلام » •

وعلى أية حال فبحث المسـاواة من البحوث الدسـتورية ، ولكنـا نعرض هنـا لأثره فى المسـاواة أمام المرافق العـامة ، فنجد أن المساواة تتحمـل اتجاهات توسعية شديدة التوسـع فى المساواة القائمة على مراعاة حقـوق الانسـان ، وفى مواجهـة الضرورة العـامة ـ فالناس سـواء فى الضرورة لا يحولهـم اختصـاص ولا ملك ـ ولكنها تنقبض فى شـئون الايمـان والعقيدة ، وهى فى الأمرين شـديدة الاختلاف عنها فى القانون الحديث ؟

**د • مصطفى كمال وصفى**

# من الأسس الإسلامية لبناء المجتمع

# الأمانة (٤)

للأستاذ محمد كمال الدين

تعنى الأمانة شدة المراقبة لله رب العالمين ، والايمان بأنه يرانا ، فان كنا لا نراه فانه معنا أينما كنا ، والأمانة هى شعور المرء بتبعته فى كل أمر يوكل اليه ، فيراقب ضميره ويحاسب نفسه على ما فرط منه ، والأمانة أنواع ، فالأمانة على السر تكون بكتمانه وعدم البوح به ، والأمانة فى المال تكون فى حفظه وعدم تبديده فيما لا ينفع ولا يفيد ، والأمانة على العرض تكون بصيانته واحاطته بسياج متين من الشرف والكرامة ، والأمانة فى الدين مراقبة الله فى السر والعلن ، والقيام بأداء واجبات الله علينا ، وهى ما كلفنا به ، فالصلاة أمانة ، والزكاة أمانة والصيام أمانة ، والحج أمانة لمن استطاع اليه سبيلا ، وكل ما أمرنا به الله سبحانه وتعالى من عبادات وطاعات فهى أمانة فى عنق العبد ، يحاسب عليها ، ان أداها على وجهها الصحيح فخير ، وان فرط فيها أو خانها فهى الوبال عليه فى الدنيا والآخرة .

والأمانة صفة من أهم صفات المؤمن الحق ، واحدى صفات سبع وصفهم بها القرآن الكريم ، وذلك فى قوله تعالى[1] : «قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون » .. الى قوله تعالى : والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ... وجزاؤهم على ذلك : « أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » ، والأمانة فى هذه الآيات الكريمة هى كل ما يؤتمن عليه الانسان ، ويجب حفظه والعمل به ، وهى نوعان : أمانة الله بالقيام

(١) سورة المؤمنون ١ ــ ١١

بواجبات الدين ، وأمانة العبادكالودائع والبيع والشراء والتعاقد والتعامل بين الناس ويجب الوفاء بها ، والعمل بمقتضاها .

وقد ورد ذكر الأمانة فى القرآن الكريم فى أكثر من سورة ، ومنها قوله تعالى (١) : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما . ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما » ، ومنها قوله تعالى (٢) : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا » ، ومنها قوله تعالى (٣) : « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » ، ومنها قوله تعالى (٤) : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .

وغير ذلك من آيات كريمات تحمل الانسان مسئولية الأمانة التى قبل أن يتحملها ، وعليه يقع عبء المحافظة على عهده ووعده من خالقه جل وعلا .

وكما وردت الأمانة فى القرآن الكريم ،فقد وردت أيضا فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنها قوله عن أنس بن مالك رضى الله عنه : « ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الا قال : « لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » . وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام : « اللهم انى أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة » وجاء رجل يسأل النبى صلى الله عليه وسلم: « متى تقوم الساعة ؟ » فقال له النبى : « اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة فقال الرجل : وكيف اضاعتها ؟ فقال النبى الكريم : « اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة » . وفى هذا المعنى يقول الرسول أيضا : « من استعمل رجلا من عصابة ــ أى من جماعة ــ وفيهم من هو أرضى لله

---

(١) سورة النساء ١٠٥ ــ ١٠٧
(٢) سورة النساء ٥٨
(٣) سورة الاحزاب ٧٢
(٤) سورة الانفال ٢٧

منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » ولهذا نراه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوجه أبا ذر الى طريق الصواب حين طلب منه أن يوليه عملا من الأعمال العامة ، فقد قال له أبو ذر في يوم من الأيام : يارسول الله ، ألا تستعملني ؟ قال فضرب بيده على منكبي ثم قال : « يا أبا ذر انك ضعيف ، وانها أمانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة ، الا من أخذ بحقها وأدى الذى عليه فيها » .

وقد ورد عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة دعا عثمان ابن أبى طلحة ، فلما أتاه قال : أرنى مفتاح الكعبة ، فأتاه به ، فلما بسط يده اليه قام العباس فقال : بأبى أنت وأمي يا رسول الله ، اجعله لى مع السقاية ، فكف عثمان يده ، فقال الرسول : أرنى المفتاح يا عثمان ، فبسط يده ليعطيه اياه ، فقال العباس مثل كلمته الأولى ، فكف عثمان يده ، ثم قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : يا عثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهاتنى المفتاح ، فقال : هاك بأمانة الله تعالى ، فأخذه الرسول الكريم وقام ففتح الكعبة وأخرج ما كان فيها من آثار الجاهلية ، فلما كان مساء ذلك اليوم نزلت الآية الكريمة : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها .. الى آخر الآية ، فكان ذلك توجيها من الله لرسوله الكريم بأن يرد مفتاح الكعبة الى القائمين عليها من بنى شيبة ، وحينئذ دعا رسول الله عثمان بن أبى طلحة الشيبى وأعطاه المفتاح ، ثم قال : يابنى شيبة خذوها ـ أى سدانة الكعبة ـ خذوها تالدة خالدة الى يوم القيامة لا ينزعها منكم الا ظالم .

ومن القصص التى تروى أيضا أن رجلا ـ فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم ـ سرق درعا من بيت جاره ، ولما خاف السارق أن يكشف أمره ، رمى بالدرع المسروق فى دار رجل لم يكن على دين الاسلام ، فلما ظهر الدرع عند ذلك الرجل غير المسلم وهو منه برىء ، أنكر أن يكون قد أخذه ، وجاء بشهود من رفاقه شهدوا ببراءته ، وأدانوا السارق الحقيقى ، وقد تعصب أصحاب المسلم لصاحبهم ، وجاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنعونه بأن يحاج عن صاحبهم ، ويجادله أمام اتهام غير المسلم له ، ولما كان ظاهر الأمر يؤيدهم مال

الرسول الى قولهم فعليه أن يحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر ، لكن الله تعالى وهو العليم بحقائق الأمور وبواطنها أطلع رسوله على حقيقة الأمر ، ونهاه عن مخاصمة غير المسلم البرىء ، وأمره بالاستغفار مما كان منه من ميل ، ونزل فى ذلك قوله تعالى : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما » .. الى آخر الآيات .

ومن أبلغ قصص الأمانة فى القرآن الكريم قصة سيدنا موسى عليه السلام حين أبلغت ابنة الرجل الصالح أباها أن يستأجره : « يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين (١) » وذلك لما اتصف به من أمانة ونزاهة جعلته موضع الثقة والصدق ، وكذلك قصة يوسف عليه السلام مع ملك مصر : « وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين .. (٢) » وقد وصل يوسف الى هذه المكانة العالية والمنزلة الرفيعة بفضل أمانته وصدقه ، ولا أدل على أمانته من العفة التى أبداها حين راودته امرأة العزيز عن نفسه ، فكان أمينا على دينه ، وأمينا على عرض الذى أحسن مثواه ، وأمينا على مكارم الأخلاق ، كذلك لا أدل على أمانة نبى الله يوسف عليه السلام من تحمله التهديد وتلفيق التهم له وصبره على المكاره من اخوته ومن بيت الملك لأنه شعر بتبعته ، وأدرك أنه مسئول أمام ربه ، وتلك هى الأمانة التى فطرها الله فى نفس كل انسان مخلص ، يعرف مدلولها وجزاءها عند الله ، ويتخذها نموذجا لسلوكه ، وقد ورد فى الحديث الشريف : « اذا حدث رجل رجلا بحديث ثم التفت فهو أمانة » فاذا خانها باذاعتها فهذا غدر يحاسبه الله عليها ، وفى هذا يقول الرسول الكريم : «اذا جمع الله بين الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يعرف به ، فيقال هذه غدرة فلان » ، جعلنا الله من الحافظين لأماناتهم وعهودهم ، العارفين لدينه والعاملين به ، والله الموفق ؟

**محمد كمال الدين على يوسف**

---

(١) سورة القصص ٢٦

(٢) سورة يوسف ٥٤

# الإمام البوصيرى

## مادح الرسول صلى الله عليه وسلم

### للأستاذ أحمد نصار القوصى

الامام شرف الدين البوصيرى أمره مشهور غير منكور . عرف بالأكثار من مدائحه للحضرة النبوية بحرارة وقدرة وصدق ، وفى جو نورانى ، وتوفيق الهى ملحوظ .

وهو العارف بالله : شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد ابن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجى ، رضى الله تعالى عنه .

ولد بدلاص بلد أمه سنة ٦٠٨ هـ أما والده فكان من أبى صير ، واشتهر بالبوصيرى ، فهو بذلك مصرى ولكنه من أصل مغربى .

حفظ القرآن الكريم كناشئة المسلمين فى سابق الأجيال ، ثم طلب العلم فتسقف على أعلام عصره ملازما الدرس بجد حتى اكتمل ، وأصبح علما وبحرا زاخرا تشد اليه الرحال .

وقد تخرج على يديه كثرة ممتازة ، نهلوا من عذب أدبه ، وأفادوا من وفرة علمه .

عين فى شبابه موظفا فى بلبيس ، فما استقام له الأمر ، ولا استساغ الجو المحيط به ، فضاق بوضعه الذى لم يلائم طبعه ، ولم يتناسب مع أمانته وتقواه ، فكره الوظيفة ونفر من الموظفين ، ثم استقال .

لما وفد الى الاسكندرية من المغرب فى سنة ٦٤٢ هـ العارف بالله ، عالم الشريعة وعلم الحقيقة قطب زمانه ، أبو الحسن الشاذلى الحسينى ، مؤسس الطريقة الشاذلية ، التى طبقت شهرتها الآفاق ، وجاء معه أكبر أتباعه ولى الله الشيخ أبو العباس المرسى ، رضى الله عنهما ، وارث حاله وخليفته على مشيخة الطريقة بعهد منه سنة ٦٤٦ هـ ،

انتظم البوصيرى فى سلك هذه الطريقة على يد سيدى ابى العباس ، فظهرت عليه التجليات ، وتوالت عليه النفحات، فانجذب الى الأنوار المحمدية ، واتجه بكليته الى المدائح النبوية ، وأكثر من نظم القصائد ، الفياضة بالحب الصادق عرض فيها جوانب من السيرة العظيمة فى اخلاص ، ودافع من خلالها عن دين الاسلام ، وجادل أعداءه وحججهم بالدلائل القاطعة ، والمنطق السليم ، فكان لسان صدق وداعى حق ، لايشق له غبار ، فاذا نحن أسميناه مادح الرسول ، والحقناه بسيدنا حسان ابن ثابت شاعر الرسول ، كنا منصفين لهذا الامام العظيم .

فمن مدائحه القصيدة الهمزية ، التى سماها ( أم القرى فى مدح سيد الورى ) التى بدأها بقوله :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

لم يساووك فى علاك وقدحا
ل سنا منك دونهم وسناء

انما مثلوا صفاتك للنا
س كما مثل النجوم الماء

أنت مصباح كل فضل فما تصد
ر الا عن ضوئك الأضواء

وهى أطول قصائده وأشملها لما اتجه اليه من التصدى للابانية عن جوانب من السيرة العطرة وما تعلق بها من الدفاع عن العقيدة وما جرت اليه من الحديث عن الأقربين والصحابة الأكرمين ، وقد بلغت عدتها ٤٥٦ بيتا .

ومن مدائحه ، رحمه الله تعالى ، ثلاث بائيات ، مطلع احداها :

وافاك بالذنب العظيم المذنب
خجلا يعنف نفسه ويؤنب

ومطلع الثانية :

بمدح المصطفى تحيا القلوب
وتغتفر الخطايا والذنوب

ومطلع الثالثة :

أزمعوا البين وشدوا الركابا
فاطلب الصبر وخل العتابا

وله فى المدح أيضا حائية ، مطلعها:

أمدائح لى فيك أم تسبيح
لولاك ما غفر الذنوب مديح

ختمها بالضراعة ، وحسن الاعتذار بقوله :

يا من خزائن ملكه مملوءة
كرما وباب عطائه مفتوح

ندعوك عن فقر اليك وحاجة
ومجال فضلك للعباد فسيح

فاصفح عن العبد المسيء تكرما
ان الكريم عن المسيء صفوح

وأقبل رسول الله عذر مقصر
هو أن قبلت بمدحك الممدوح

فى كل واد من صفاتك هائم
وبكل بحر من نداك سبوح

وله دالية منها فى مدح الرسول ، صلى الله عليه وسلم :

الى سيد لم تأت انثى بمثله
ولا ضم حجر مثله لا ولا مهد

ولم يمش فى نعل ولا وطىء الثرى
شبيه له فى العالمين ولا ند

ولم تخد(١) الكوم (٢) العتاق(٣) بمثله
ولا عدت الخيل المسوقة الجرد(٤)

عليم حكيم الخيم ما فوق علمه
ولا مجده علم يرام ولا مجد

نبى الهدى أهدى به الله رحمة
لنا لم ينلها السعى منا ولا الكد

وبصره حتى رأى كل غائب
وصار سواء عنده القرب والبعد

وله لامية منها :

مدح النبى أمان الخائف الوجل
فامدحه مرتجلا أو غير مرتجل

ولا تشبب (٥) بأوطان ولا دمن
ولا تعرج على ربع ولا طلل

وصف جمال حبيب الله منفردا
بوصفه فهو خير الوصف والغزل

وله نونية ، جاء فيها :

أحمد الهادى الذى أمته
رضى الله لها الاسلام دينا

كان سرا فى ضمير الغيب من
قبل أن يخلق كون أو يكونا

وقد عارض لامية كعب بن زهير : بانت سعاد ، بقصيدة بدأها بقوله :

---

(١) تخد : تسرع .
(٢) الكوم : جمع أكوم وهو البعير الضخم السنام .
(٣) العتاق : جمع عتيق وهو الكريم .
(٤) الجرد : جمع اجرد وهو السباق .
(٥) تشبب : تقل غزلا .

الى متى أنت باللذات مشغول
وأنت عن كل ما قدمت مسئول

وفيها يقول فى وصف النبى ، صلى الله عليه وسلم :

من كمل الله معناه وصورته
فلم يفته مدى الحالين تكميل

وخصه بوقار منه قر له
فى أنفس الخلق تعظيم وتبجيل

أما قصيدته ( البردة ) فهى الدرة فى جبين الدهر ، ومطلعها :

أمن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

ومنها :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب الى ذاته ما شئت من شرف
وانسب الى قدره ما شئت من عظم

ومنها :

كالزهر فى ترف والبدر فى شرف
والبحر فى كرم والدهر فى همم

كأنه وهو فرد من جلالته
فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

كأنما اللؤلؤ المكنون فى صدف
من معدنى منطق منه ومبتسم

ولهذه القصيدة قصة ذكرها الناظم ، رحمه الله تعالى ، فقال :

أصابنى فالج أبطل نصفى ، ففكرت فى عمل قصيدتى هذه ، فعملتها ، واستشفعت به الى الله تعالى أن يعافينى ، وكررت انشادها ، وبكيت ودعوت وتوسلت ونمت فرأيت النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فمسح على وجهى بيده المباركة ، وألقى على بردة ، وانتبهت ووجدت فى نهضة ، فقمت وخرجت من بيتى .

ومن مدائحه اللامية النفيسة ، التى أولها :

جاء المسيح من الاله رسولا
فأبى أقل العالمين عقولا

وفيها عن سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم :

قارنت ضوء النيرين بنوره
فرأيت ضوء النيرين ضئيلا

ونسبت فضل العالمين لفضله
فنسبت منه الى الكثير قليلا

واراني الزمن الجواد بجــــوده
لمــا وزنت بــه الزمــان بخيــلا

وله كذلك القصيدة الرائية المضرية في الصلاة على خير البرية، وهي أوفى القصائد الشعرية ، في هـذا الغرض الشريف ، ومطلعها :

يارب صلى على المختــار من مضر
والانبيا وجميع الرســل ما ذكروا

ولسمو قصائده في المديح تعـدد شراحهـا من العلمـاء ، وشطرهـــا وخمسها ، ونهج نهجـها الـكثير من فحول الشعراء ، في كل جيل •

وعاش البوصـيرى محل اجـلال واكبار من الأمراء والفقهاء والأدبـاء والشعراء ، مرعى الجانب ، موفور الكرامة ،الى أن قضى نحبه بالاسكندرية سنة ٦٩٥ هـ ، واستقر بها راضيـــا مرضيا ،في ضريحه بمسجده المعروف بهـا •

رضى الله عنه وأرضاه ، وجعـل الجنة مثواه ، جزاء حبه للنبي الكريم، ومدائحه العظيمة التي انتفعنا بها وانتفع بها من سبقونا من مئات السنين ؟

**احمد نصار القوصي**

# المرأة فى ظل الإسلام

للأستاذ محمود محمد رسلان

منذ الخليقة والمرأة تقوم بدورها كامرأة اختصت بأمور غير ما اختص بها الرجل ، وعاشت المرأة تحكمها القوانين المختلفة التى كانت تطبق عليها وعلى الرجل ، وكان من هذه القوانين الوضعية ما سلب المرأة حريتها ، بل كان منها ما ظلمها ، وأهدر كرامتها كما نجد ذلك واضحا فى قانون (حمورابى) الذى لم تحظ المرأة فيه بمكانتها ، وظلت تعانى قوانينه الظالمة ولم تنج منها حتى فى عصر بنى اسرائيل ، والذى كان اليهود يعاملونها على أن العفاريت تسكن جسدها فى أيام حيضها فيتحاشونها فى هذه الفترة ، ولما جاءت المسيحية جعلت المرأة حبيسة الرجل طيلة حياتها .

ولم تتبوأ المرأة مكانتها كانسان ، ونالت حقوقها كاملة كفرد من أفراد الأسرة الانسانية الا فى ظل الاسلام الذى كفلها بحمايته وأحاطها برعايته ، وسوف نسوق الأدلة على ما أوردناه آنفا ولعل فى هذا المقال ما ينهض عزائم المرأة فتمعن النظر فيما شرعه الله لها فى القرآن الكريم ، وما اختصها فيه من حقوق ومميزات فيبدو الحاضر أمامها واضحا والمستقبل وضاء مشرقا فتقبل على دينها تستلهم منه الصواب فى قولها وفعلها .

## المرأة فى قانون حمورابى

لقد كانت المرأة فى هذا القانون تحت امرة زوجها ، وكان لرب الأسرة السلطة المطلقة التى لا تقف عند حد فى عائلته ، حتى كان الأب صاحب الحق المطلق فى بذل امرأته أو ابنته سدادا لدين كما كان له الحق فى الفصل فى زواج أبنائه واليه يرجع حق اختيار كنته فيما بعد

ولا يعتبر عقد الزواج صحيحا الا بعد أن يطبع الأب عليه بطابعه أو بظفره ، فاذا قبلت المرأة زوجا وحدث أن سئمت منه وهاج غضبها ، وقذفت زوجها بهذه العبارة الشرعية عندهم . أنت لست لى زوجا ، فانها تطرح فى الحال فىالنهر وتغرق ! . فاذا كانت العقوبة كافية ولم تورد موارد التهلكه أوردت موارد العار ؟ وذلك بانتزاع الرجل الممتهن عن جسمها ثوبها الأبيض ويعيضها منه مئزرا ، ثم يطردها من منزله نصف عارية الى الشارع ، فتكون غنيمة الملتمس ، وفريسة المفترس . (١)

واذا قلبنا بين فقرات قانون حموزابى لوجدنا هذه الفقرة من المادة ١٤١ تقول : « تساق الى المحاكمة المرأة المقيمة فى منزل رجل اذا هى همت بالانصراف، أو أحدثت شقاقا ، أو تسببت بخراب البيت ، أو غادرت زوجها . فاذا قال الزوج أنا أخرجها فانه يخلى لها السبيل للانصراف ، ولا يبذل لها شيئا فى مقابل صرفه اياها. أما اذا قال الزوج : أنا لا أصرفها فانه يصبح فى امكانه أن يتزوج امرأة أخرى مع بقاء الأولى فى بيت زوجها كخادمة » .

وتطالعنا المادة ١٤٣ من هذا القانون فتقول : « اذا لم تكن المرأة ربة منزل مدبرة بل كانت جوابة ،أو تسببت بخراب بيتها وأهملت زوجها فتلقى فى الماء .. » أى تغرق فى النهر .. أما فى حالة الزنا فاذا أخذ المجرمان بجريمتيهما فانهما يشد وثاقهما معا ويغرقان . الا اذا رأى الزوج مثلا أن يعفو عن زوجه أو الملك عن رعيته « المادة ١٢٩ » .

فاذا لم يؤخذ المجرمان متلبسين بالجريمة فان المرأة التى يتهمها زوجها عليها أن تبرر نفسها باغلاظه اليمين ثم تستطيع بعد ذلك أن تعود الى بيت أبيها . فاذا تناولتها الألسنة بالاشاعات المتضاربة والتهم المريبة فانها تغطس فى نهر فاذا غاصت الى قاعه اعتبرت مجرمة واذا عامت على وجه الماء اعتبر ذلك دليلا على براءتها .

---

(١) ماسبيرو فى تاريخه القديم لشعوب الشرق ( المجلد الاول ) .

**ألوهية النهر (١) :**

كانت الغاية التى يرمى اليها هـذا القانون اعطاء المرأة ضمانة ازاء تعنت زوجها تدرأ بها حكمـه المحـابى أو الجائر . وأما الرجل فمنظور اليـه بعين ملؤها الرأفة فاذا قدر لرجل أن يبتذل بنتا اكتفى بطرده من المدينة !

ويلاحظ القـارىء الـكريم أن ما سقناه يرجع تاريخه الى أربعين قـرنا قبل الميلاد ، أى أن ظلم المرأةوبخسها ضارب أطنابه منذ زمن بعيد .

فاذا ما انتقلنا الى عهد بنى اسرائيل وخاصـة فى القرن الرابع عشر قبـل البعثـة المحمـدية لألفينـا المرأة فى مكانة لا تحســد عليهــا ، بل كان مركزهـا مطابقـا لمركز المـرأة فى قـانون حمورابى ، فقـد كانت البنت بالقياس الى الشاب فى وضع انحطاط أدبى ، ومدنى .

وكانت الفتاة تجد وجوها عابسة عند ولادتها فتستقبل بغير ارتياح ولا عطف ، بينما ولادة الـذكر تـلاقى الفخر والتـكرمة بـل تعـد بـركة علوية (٢) .

أما الأم فانها تظل بعد الولادة نجسة خمسة عشرة يوما اذا وضعت بنتـا ، وعليها أن تقضى سبعين يوما فى تطهير نفسها أما اذا وضعت ولدا ذكرا فمدة النجاسة ثمانية أيام ، ومـدة التـطهير خمسة وثلاثين يوما (٣) وكذلك كانت الحال فى تقدير قدر الـولد متى كان فى النية تقديم نذر . فان كان فتى قدر

---

(١) هذا الضرب من التحكيم ــ تحكيم المـاء البارد ــ كان مرعيا فى كثير من الاقطار عند الجرمانيين ، وفى الهند فى عهد مانوه اما الاسرائيليون فكانوا يجربون المراة المتهمـة بالميـاه الكلية المرارة . سليم العقـاد : مركز المراة فى قانون حمو رابى ص ٢٧ ، ٢٨

(٢) سفر الملوك الأول ١ ــ ١١ « ونذرت ( حنة ) نذرا وقالت يارب الجنود ان انت نظرت الى عناء امتك ورزقت إمتك « مولودا ذكرا » أحرره للرب كل أيام حياته » .

(٣) سفر الأحياء ١٢ــ١ــ٦ : « وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى اسرائيل وقل لهم : اية امراة حبلت فولدت ذكرا فلتكن نجسة سبعة أيام كحكم ايام طمثها يكون حكم أيام نجاستها ، وفى اليوم الثامن تختن قلفة المولود ، وثلاثة وثلاثين يوما تقيم فى دم تطهيرها لا تلامس شيئا من الاقداس ولا تدخل القدس حتى يتم أيام تطهيرها ــ فان ولدت بنتا فلتكن نجسة اسبوعين كحكم طمثها وستة وستين تقيم فى دم التطهير » .

بعشرين من الفضة (١) واذا كانت فتاة فبعشرة • نأخذ من هذا أن قيمة البنت كانت على النصف من قيمة الولد حتى فى المعاملة •• وهكذا نجد القانون الكهنوتى الوضعى فى نظرته الى المرأة حتى نفاجأ بهذا النص :

« كان الزوج يسوق المرأة المتهمة الى ولى التضحية وهو الكاهن ، فاذا بلغت المظلة وقفت تجاه الهيكل عارية الرأس وأثبتت بالأيمان المغلظة براءتها بينما تكون فى الوقت ذاته حاملة فى يدها تقدمة الغيرة • أما صورة اليمين فكانت تكتب أولا ثم تمحى الكتابة بماء كانوا يسمونه « الماء المر » بعد القاء حفنة من تراب الهيكل • وبعد مراسيم أخرى كثيرة كانت المرأة المتهمة تشرب الماء الجالب اللعنة المكرس على نحو ما تقدم • وحينئذ فاذا كانت المرأة مجرمة فان هذا الماء يكون فى جوفها سما زعافا ، واذا كانت لا تزال على الوفاء لعهد الزواج فان الماء لا يؤذيها أبدا (٢) •

وخلاصة القول : فان حالة المرأة فى بنى اسرائيل لم تكن لتحسد عليها ، فهى دون الرجل منزلة لامن الوجهة الطبيعية فحسب بل من الوجهات كلها على حد سواء • فاذا ذكر الرجل والمرأة فالرجل هو الذى يرد ذكره أولا : ( أكرم أباك وأمك ) (٣) « أنت وبنوك وامرأتك »(٤) •

بل ان المرأة من الوجهة الأدبية محل للريبة على الدوام فهى معتبرة غوية مغرية رديئة فاسدة لما أنها غاوية مغرية رديئة فاسدة لما أنها ولأقل حجة ، فالطلاق ميسر للرجل ويكفيه فى هذا الشأن أن يرى فى زوجه « بعض ما يوجب المذمة » والمرأة لاتنفك تحت رحمة زوجها ان لم تكن عبدة رق له •

أما ميراث المرأة فقد كان يسير على نظم متضاربة، وقوانين مختلفة ،فنرى اليونان،والرومان،مثلا يورثون أى انسان

---

(١) نقد عند العبرانيين يزن ستة غرامات .
(٢) سفر العدد ٥ ــ ١١٠ ــ ٣١
(٣) سفر الخروج ١٠ ــ ١٢
(٤) التكوين ٦ ــ ١٨

يكون راضيا عنه المورث بشرط أن يقوم مقامه فى الحـروب ، وشـئون الأسرة ، ولا يتقيد المورث ببنـوة أو أخوة بل قد يقع الاختيار على أجنبى!

وعلى هذا فليس للمرأة حـق فى الميراث .

أما قدماء المصريـين فقـد كانـوا يورثون الرجال والنساء بالسوية فهما فى فلاحة الأرض سواء .

أما الأمم الشرقيـة قبـل الاسلام فقـــد كانت تورث الولد الذكـــر البكر محل أبيه سواء كان هذا الابن صالحا لتحمل المسئولية أم غير صالح ، يحسن التصرف أم لا ، ثم يحل بعده أرشد الأولاد الذكور فقط ثم الأخوة ثم الأعمام وبهذا فـليس للمـرأة فى ذلك أى نصيب .

أما اليهود فقد كان لهم نظام خاص فى الميراث ، فقد أقاموه على القـرابة والتفاضل ، فاذا مات المورث وترك أبناء وبنات فليس للبنات شىء مطلقا ، أما الذكور فيعطى البـكر نصيبين ، ولا ترث البنت الا اذا لم يوجد الولد وولده .

## العرب قبل الاسلام

سلك العرب قبل الاسلام طريقا غير كريم فى معاملة المرأة خاصة فى الميراث فقد جعلوه للرجال ، أما النساء فليس لهن فى الميراث شىء ، وكانت المـرأة عندهم تعد من الأموال الموروثة ، فقد يأتى أحد الورثة الذكور ويرمى بثوبه عليها ويقـول : « ورثتها كما ورثت المـال » فيزوجها ويستـحق مهـرها بنفسه فلما جاء القرآن أبطل كل ما من شـأنه اهدار لكرامة المرأة ، فأزاح الاسلام عن كاهلهـا ظلم الرجل لها قـرون طويلـة ، وكأن هـذا الظـلم بمثـابة ليـل أذن الله له أن ينجلى بصبح مشرق وضـاء فكان الاسـلام وكتـابه المقدس القرآن الكريم فرد للمرأة مكانتها وأمر باكرامها ، لأنها عمـاد الأسرة والأسرة الصـالحة عماد المجتمع الصالح كما أن فى وسع المرأة أن تنبت العواطف الانسانية فى

المجتمع لهذا كان اهتمام الاسلام بها كبيرا وواضحا .

وقد كتب المرحوم الأستاذ محمد رشيد رضا فى كتابه « نداء الجنس اللطيف » عن حياة المرأة قبل الاسلام فقال : « لقد كان جميع نساء البشر مرهقات بظلم الرجال فى البدو والحضر لا فرق فيه بين الأميين والمتعلمين ولا بين الوثنيين والكتابيين. كانت المرأة تشترى وتباع كالبهيمة والمتاع . وكانت تكره على الزواج وعلى البغاء ،وكانت تورث ، ولاترث ، وكانت تملك ولا تملك ، وأكثر الذين يملكونها يحجرون عليها فلا تتصرف بدون اذن الرجل وبالأخص اذا كان زوجا فيتصرف بنفسه ...

**المراة فى الاسلام :**

أظل الاسلام المرأة بظله الوارف ، فأعطاها حقها من الميراث ، ومن الحياة دون ما بخس أو نقصان ، فلقد عنى القرآن بحقوق البشر ، وحدد لكل فرد نصيبه فى هذه الحياة ، كما أعد لكل فرد من أفراد الأسرة ميراثا لا يتعداه . فلم يترك طغيان أخ على أخيه أو أخته ، ولا أضاع حق أب أو أم ولكنه قدر لكل ذى حق حقه قال تعالى : « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما»(١) وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن (٢) لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » (٣) .

وقف القرآن من المرأة موقفا عادلا وحماها من الأخطار التى تحيط بها من القوانين الوضعية فجعل لها نصيبا مفروضا كما للرجل فقال تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » (٤) .

رد القرآن اذن للمرأة حقها المسلوب ووضعها كانسان فى المكانة

---

(١) سورة النساء آية ١١

(٢) أى : ولا تقهروهن تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٦٥

(٣) سورة النساء آية ١٩

(٤) سورة النساء آية ٧

التى تكرم فيها أليست من بنى آدم ؟ والله قد كرمهم : « ولقـد كرمنـا بنى آدم وحملنـاهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا(١) بين الله الحقوق والحدود وألزم ولى الأمر أن ينفذها فقال : « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفـوز العظيـم • ومـن يعص الله ورســوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين(٢) وقال : « وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه »(٣) •

ان القرآن وضح نصيب المرأة منذ ولادتها قال تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس »(٤) •

فالقرآن هو المصدر الأول لحقوق البشرية جمعاء لم يغمط حق مخلوق بل بين فرائض كل مولود يقول فى حقوق المرأة : « يستفتونك قل الله يفتيـكم فى الكلالة ان امـرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلهـا نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا أخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شىء عليم »(٥) •

لم تعد المرأة اذن شيئا يتلهى به ، أو سلعة تباع وتشترى أو انسـانا لا حقوق له ، وانما جعلهـا شطرا فى أساس الأسرة الانسانية لهـذا تكلم القرآن فى ســور وآيات كثيرة عن المرأة فى جميع مراحل حياتها المتباينة

(١) سورة الاسراء آية ٧٠
(٢) سورة النساء آية ١٣ ، ١٤
(٣) سورة الطلاق آية ١
(٤) سورة النساء آية ١١
(٥) سورة النساء آية ١٧٦

تحدث عنها فى خطبتها وزواجها ومهرها ، فى طلاقها وعدتها ، فى نفقتها حال الزواج وبعده ، وفى حجابها وسفورها ، فى معاملاتها ، وميراثها ، فى تكاليفها الشرعية والمدنية ، وفى صلاتها ، وزكاتها وحجها وفى حرية تصرفتها المالية وأدائها للشهادة فى حقها فى الزواج والطلاق .. الخ .

القرآن أوضح كل هذا ولم يغمط لها حقا ، ولم يعاملها بما كانت تعامل به فى الأزمنة الماضية ، وأمام القوانين والعادات الوضعية السابقة التى قيدتها بقيود بعيدة عن طبيعتها وطبيعة البشر حتى حرمتها حقها فى الحياة الحرة الكريمة .

ومن يدرس آيات القرآن الخاصة بالمرأة يرى البون الشاسع بين ما أنزله الله وما قننه المشرعون فى الأرض فالأثينيون قد جعلوا المرأة من سقط المتاع تباع وتشترى فى الأسواق ولم يكتفوا بهذا بل كانت فى نظرهم أحبولة الشيطان ، ولذا حرموا عليها كل شىء وحرموها من حقوقها الاجتماعية ولم يتركوا لها شيئا سوى تدبير البيت . واذا ألقينا نظرة الى شرائع الهند لوجدناها تقول عن المرأة : « ان الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعى والنار خير من المرأة » .

أما عن اليهود ـ مرة ثانية ـ فلهم من المرأة موقفان :

الأول : جاء فى سفر الجامعة ما يلى : « درت أنا وقلبى لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلها فوجدت الشر انه جهالة ، والحماقة انها جنون ووجدت أمر من الموت المرأة التى هى شباك وقلبها اشراك ويداها قيود ... » .

الثانى : يقولون فيه : ان من أحكام شريعتنا : « أنه اذا باع رجل ابنته أمة فلا تخرج كما يخرج العبيد ، بل اذا قبحت فى عين سيدها الذى خطبها لنفسه يدعها تفك وليس له سلطان أن يبيعها لقوم أجانب .. »[1] .

---

(١) سوسنة سليمان فى أصول العقائد والاديان ص ١١٨

ولا غرابة فى هذا فان فرنسا تقف من المرأة موقف التحدى فقد منحها مجتمع عام ٥٨٦ م أنها ما خـلقت الا لخدمة الرجل فهى انســانة من أجل ذلك !! وهل كانت قبـل ذلك غير انسانة ؟ وهذه بريطانيا وفى عصورها الحديثة نرى الملك ( هنرى الثامن ) يصدر أمرا ملخصة : تحريم قــراءة الكتاب المقدس على النساء وكما أنهن طبقا للقانون الانجليزى العام لســنة ١٨٥٠ م غير معدودات من المواطنين، فلم يكن لهن حقوق شخصية ولا حق تمـلك ملابســهن ولا الأمـوال التى يكتسبنها حتى بعرق الجبين (١) !!

هذا وللحديث بقية .

**محمود محمد رسلان**

---

(٢) روح الدين الاسلامى باختصار .

# أيها المحلفون ... لا ...

للأستاذ عبد الودود شلبي

في تاريخنا رجال وأي رجال ؟

رجال صنعهم الله على عينه ، فكانوا بحق رجالا لا ككل الرجال ... بوجهه الصريح المشرق ، وبلحيته التي وخطها الشيب الا شعرات سوداء ، تحفظ في سمته الرهيب عنفوان الأمل وشباب العزيمة وقف مولانا « محمد على » يومين في قفص الاتهام يترافع عن نفسه وعن شقيقه في محاكمة كراتشي سنة ١٩٢١ ، أمام هيئة محلفين من خمسة أشخاص اثنان منهم هندوكيان ، والآخرون مسيحيون منهم واحد بريطاني ..

كانت جريمتهم أنهم اشتركوا في مؤتمر رأسه محمد على زعيم مسلمي الهند قبل التقسيم وأصدروا قرارا مدعما بالقرآن والسنة يدعو المسلمين الى مقاطعة وظائف الحكومة البريطانية في الهند وبخاصة العمل في القوات المسلحة ، وقد استجاب المسلمون للقرار فاعتقل الألوف منهم ..

لم ينكر محمد على التهمة التي وجهوها اليه بل اعترف بها وجهر بحكم الله فيها ، وما أتم مرافعته حتى استحالت القاعة محرابا خاشعا ، واقشعر كل من فيها رهبة لهذا الأسد الرابض في القفص .

وقد مات محمد على سنة ١٩٣١ عن ٥٣ سنة ودفن الى جوار المسجد الأقصى الذي كان يحن اليه ويهيب بالمسلمين الى الذود عنه ، بعد حياة عامرة بالجهاد في سبيل الله ، وبالدفاع عن فكرة الخلافة الاسلامية ، وأخوة المسلمين كافة ..

وبالرغم من جهامة الموقف وصرامته فقد بدأ مولانا محمد على مرافعته باثارة جو من المرح والسخرية .. فقبل أن يوجه محمد على كلامه

الى هيئة المحلفين التفت الى ناحية هيئة المحكمة فقال :

« ألا يمكن أن يجلس المحلفون ليكونوا منى فى هذا الجانب ؟ اننى حتى الآن لم أر وجوههم .. اننى أريد اغراءهم كما أغريت القوات المسلحة .

واستمر محمد على فى مرافعته متهكما . لقد قلت اننى أريد اغراء المحلفين .

لقد كان فى الحقيقة من وراء ذلك أمر آخر .

لقد كان مرادى أن تكونوا بمثابة ستر بينى وبين السيدات اللواتى يجلسن الآن خلفكم والا فقد يزيد على المدعى العام تهمة اغراء أخرى .!

ثم يرتفع صوت محمد على مجلجلا فى قاعة المحكمة ..

أيها المحلفون .. انه ليس بيننا وبينكم قضية .. ان القضية ليست بين محمد على وستة آخرين من جهة .. وبين الحكومة من جهة أخرى .. انها قضية الله مع البشر والمشكل كله .. هل سيكون السلطان لله على الانسان أم للانسان على الله .. ؟

انكم عند تسجيل أسماء الجنود تأخذون عليهم تعهدا كتابيا وتلزمونهم بقسم مخصوص ، ثم توجهون اليهم هذا السؤال :

هل تتعهد بالذهاب حيثما تؤمر فى البر والبحر ؟

فلنفرض أن هذا الجندى هندوكى .. وأن الضابط أمره بذبح بقرة ليجهز له لحمها ... سوف يرفض هذا الجندى أوامر الضابط ويقرأ على هذا الضابط كلمات من كتابه المقدس الذى ينهى عن ذبح البقر .

فهل يحاكم هذا الجندى لاحترامه شعائر دينه .. ؟

واذا ذهب جندى مسلم الى عالم وسأل عن حكم الله فى قتال المسلم ضد أخيه المسلم ، وقال للعالم : اننى مطلوب للسفر الى « ميسوبوتا » للقتال ضد دولة الخلافة .. فأجابه العالم : ان ذلك غير جائز شرعا فهل يعتبر هذا الجندى المسلم مجرما ؟

لقد أصدر كاتب انجليزى مسيحى غير مسلم يدعى ( هـ . ج . ولز ) كتابا رمزيا عن الشعب البريطانى ولا أدرى ان كان قد اتفق لأحدكم أن

قرأه واسم هذا الكتاب ( مستر برتلنج يبصرها ) فماذا يقول ؟ ماذا يرى مستر برتلنج المفروض فيه أن يكون الانجليزى الهادى ؟

انه يقول : ان رأس الأمر الدين ، وان غاية الأمر الدين ، والمرء الذى لم يبدأ حياته به لا يتمتع بحياة حقيقية ولا يجد المعنى الحقيقى للحياة .. ان ولاءه الأول وواجبه الأول لله قد يتمتع ببعض التكريم وقد ينال شيئا من الولاء غير أن هذا الولاء وهذا التكريم بمقابلته بالولاء والاخلاص لله يذوى كالورقة التى يلفحها اللهب المشبوب فتذروها الرياح الأربع وتلوث المسك بها بالسواد .. !

ثم يمضى محمد على متحديا الحكومة ومتحديا المحكمة ، ومتحديا قوانين القتل التى تفرض على المسلم قتال أخيه المسلم .. يمضى فى كل ذلك مؤمنا أن حياته التى يحملها قليلة فى سبيل هذه الحقيقة التى غابت عن كثير من مسلمى هذا العصر حين يتحولون الى أدوات صماء فى أيدى أعداء دينهم فيقتلون باسمه اخوانهم فى العقيدة واخوانهم فى الدين والملة .. !

ان المسلم الذى يرتضى الاسلام دينا ويهتدى بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم موافق ضمنا على عدم شرعية انضمامه الى جيش يحارب المسلمين ويقتلهم بغير وجه حق .

وعلى ذلك فالقرار الذى تتهموننا باتخاذه فى مؤتمر جماعة العلماء لم يكن سوى حكم معلوم من الدين بالضرورة .

وعلى هذا فجريمتنا أننا أعلنا حكما فى الاسلام .. فاذا كان فى اعلان حكم الاسلام ذنب فقولوا فى هذه الحالة ان اعلانكم لأحكام المسيحية جريمة أيضا .. وكذلك الهندوك الذين يعلنون أحكام دينهم اتباعا لتعاليمه مجرمون . فاذا طلبوا من هندوكى ألا يقتل بقرة يكونون مذنبين لاتفاقهم على ارتكاب جناية أو مؤامرة اجرامية ...

ثم يمضى محمد على فى مرافعته متهكما بالمحكمة وقوانينها والتهم الموجهة اليه منها ، قائلا ...

اسمحوا لى أن أنشد قصيدة من نظمى .. انه نظم هزيل لى .. وكما

قال : أتشسون ـ عندما قتل يوليوس قيصر ، وجن جنون الشعب بسحر خطبة أنطونيوس تجمع الناس على « سنا » الشاعر يريدون قتله يحسبونه « سنا » المشترك فى مؤامرة لقتل القيصر فصاح كلا •• كلا أنا لست « سنا » المتآمر • انما أنا « سنا » الشاعر •••

فقالوا : اقتلوه •• اقتلوه لشعره الردىء ••• !

اننى أخاطب بنى وطنى واخوانى فى العقيدة وأقول لهم اننى أذكركم بواجبكم أذكركم باخلاصكم ، أذكركم بالشرف وأطلب اليكم أن تكونوا أمناء على العهد الذى قطعتموه على أنفسكم أمام الله والأمة •••

أو ليس لى أن أقول للمحلفين اذا لم يصدق القوم مع ربهم فاستباحوا مخالفة أمره ، أينتظر منهم بعد ذلك صدق فى ولائهم لملكهم فى جيشه ؟ ربهم الذى وهبهم كل شىء •• الحياة •• الشرف •• العقيدة •• الاخلاص نفسه •• حتى الملك •• لا •• الله فوق كل شىء •• الله فوق الاخلاص •• الله فوق الملك •• الله فوق الوطن •• الله فوق بلادى ووالدى •• ووالدتى وطفلى •••

تلك هى عقيدتى فاشنقونى ان شئتم • ولكن اعلموا أنكم بذلك تنتحرون اذ تقتلون أرواحكم • ستكونون أجسادا تتحرك بلا روح •• وجيفا تلقى طعاما للغربان •••

وينفعل محمد على حين تقاطعه المحكمة وهو يتحدث عن رسول الله فى حجة الوداع يعلن الى البشرية كلمة الله التى تقوم عليها موازين العدل والحق فوق هذه الارض •••

لا تقاطعنى أيها القاضى حين أتكلم عن رسول الله •• اسحب كلمتك •• ويقول أخوه « شوكت على » هذا بهتان وسفاهة •• ويزيد محمد على

عليك أيها القاضى أن تسحب قولك ••• لابد أن تستدرك أن واجبى الاهتمام بشأن رسول الله • وعلى أن أقطع عنق من يسىء فى حقه عليه الصلاة والسلام ••

ان دفاعى أيها السادة انما هو فى سبيل الله • ومن أجل وطنى اننا الآن فى قاعة المحكمة كسجناء ولكن عندما

يجمعنا موقف الحشر أمام الله أحكم الحاكمين فالقاضي • والمحلفون والمتهمون والمدعى العام ومساعده •• الملك نفسه • وكل انسان يحشر ويسأل أمام الله • لمن الملك اليوم ؟ ماذا يكون جوابكم ؟ ان الملك لك •• انه ملكوتك • انكم تقولون اذ تصلون لله •• « ليأت ملكوتك » وقد أتى ملكوت الله • ان ملكوت الله هنا اليوم وفي هذه الساحة • انه ليس ملك الملك جورج ولكنه ملكوت الله • وعليكم أن تتخذوا قراركم على هذا الأساس •

ثم ختم مولانا محمد على مرافعته قائلا :

اننى لن أقف موقف القاتل •

ولا موقف الجبان •

ان المسلم يقابل الموت مبتسما •• لأن الموت في عقيدة المسلم مرحلة الى عالم آخر جديد عالم منزه عن الأحقاد وعن الظلم ، عالم يقف فيه الانسان بوجود جديد يختلف عن وجودنا الأرضى •• فاذا كنت أرفض القتل فلأن الله يأمرنى ألا أفعل • وديني يوصى بالرحمة والعدل مع العدو قبل الصديق ، ولكنى في سبيل الله مستعد أن أقتل كل من يأمر الله بقتله ولو كان ذلك أخى الشقيق أو أمى العزيزة أو زوجى وأطفالى ••

وصدر الحكم •• فكان مفاجأة •• كان الكل ينتظر من هيئة ليس فيها مسلم أن تحكم بالموت • أو النفى المؤبد • فاذا هو الحكم بالبراءة •

وهنا خان محمد على صوته وتحدرت قطرات الدمع من عينيه وجلس متشحا بالجلال والروعة وبهاء الايمان ؟

**عبد الودود شلبى**

# كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

٢٨ - ويقولون : فلان يتعالم علينا ، أو يتعالم على زملائه ، يقصدون أنه يظهر ما عنده من العلم تباهيا وافتخارا ، والحق أن هذا خطأ صراح ، ففي اللسان والقاموس والمصباح والصحاح : وتعالمه الجميع : علموه ، فيقال : تعالم الناس خبر كذا اذا علمه بعضهم من بعض ، وكذا تعالم الطلاب الدروس ، وتعالم الرجلان المسألة ، ولا يجوز أن يقال : تعالم الرجل أو تعالمت المرأة كذا بالافراد ، لأن التعالم لا يكون الا من اثنين فأكثر كالتشارك والتناصر والتقاتل ، وكل ما كان بوزن تفاعل ، والمتعالم بصيغة اسم المفعول هو ما علمه الاثنان أو الجميع .

٢٩ - ويقولون : احتار فلان في أمره ، واحتار القوم في شئونهم اذا لم يدروا فيها وجه الصواب ، وفي هذا مخالفة للقياس ، لأن مطاوع حير لم يرد على وزن افتعل ، وانما قياسه تفعل ، تقول : حيرت فلانا في هذه المسألة فتحير فيها ويمكن التعبير عن المعنى الذي يريدونه بالفعل الأصلي فيقال : حار فلان في أمره فهو حائر ، وحيران ، ومن هذا قوله تعالى : « كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران » وهي حيرى ، وهم وهن حيارى بفتح الحاء وضمها .

ويقولون : أسدل الرجل ثوبه اذا أرخاه وأرسله من غير ضم جانبيه ، وأسدلت المرأة ستائرها ، وهذا خطأ ، لأن الفعل الرباعي لم يرد عن العرب ، والفصيح أن يقتصر على الفعل الثلاثي فيقال : سدل الرجل ثوبه يسدله سدلا من باب نصر اذا أرخاه وأرسله ، وسدلت المرأة سترها وشعرها ، وستر مسدول ، وشعر مسدول ، قالوا : ولا يقال فيه أسدلته بالألف ، ومن

المجاز قولك : جئته وستر الليل مسدول ، وأرخى الليل سدوله ، قال

بأطيب من ريّاك (١) يا أم سالم
تنفح (٢) والظلماء مرخى سدولها

٣٠ – ويقولون : فلان مذهول ، والأفصح أن يقال له ذاهل بصيغة اسم الفاعل تقول : ذهل فلان عن الأمر ذهولا فهو ذاهل عنه اذا تناسى عمدا أو شغل عنه ويتعدى بالهمزة فيقال : أذهلني عن هذا الأمر كذا .

أما الثلاثي فغير متعد على أصح الأقوال ، قال الشيخ نصر الهوريني في هامش القاموس : تعديه بنفسه قليل ، بل غير معروف ، وفي التنزيل « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت » .

٣١ – ويقولون : استقل فلان سيارته ، يعنون أنه امتطاها ، وهذا التعبير فاسد ، لأن كلمة استقل لها معنيان لا صلة لهما بالمعنى الذي يبتغونه ، يقال استقل فلان أجره اذا عده قليلا ، واستقل القوم اذا ارتحلوا ، كما في قول عمر بن أبي ربيعة :

قال ساروا فأمعنوا (٣) واستقلوا
وبرغمي لو أستطيع سبيلا

والصواب – لتأدية المعنى الذي يريدونه – أن يقال : قلته السيارة ، أو أقلته أي حملته ورفعته ، كما في قوله تعالى : « حتى اذا أقلت سحابا ثقالا » وقول النابغة :

فداء ما تقل النعل متى
الى أعلى الذؤابة (٤) للهمام (٥)

٣٢ – ويقولون : بدل الرجل بملابسه الجديدة ملابس ممزقة ، يعنون أنه لبس الجديد وترك الممزق ، والصواب أن يعكس هذا التعبير فيقال : بدل بملابسه الممزقة ملابس جديدة ، لأن الباء تدخل على المتروك مع الأفعال : بدل ، واستبدل ، وتبدل ، كما في قوله تعالى : « وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل » وقوله : « أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو

---

(١) الريا : هي الريح الطيبة التي رويت من الطيب .
(٢) تنفح : تفوح رائحتها العطرة .
(٣) امعنوا في السير : ابعدوا فيه .
(٤) الذؤابة : هي الشعر المنسدل من وسط الرأس الى الظهر .
(٥) الهمام بالضم : ذو الهمة .

خير » وقوله « ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » .

ولهذا أخذ على شوقى قوله فى تحلية كتاب لحافظ عوض :

أنا من بدل بالكتب الصحابا
لم أجد لى وافيا الا الكتابا

فهو يريد أن يمدح الكتب ، ويتخذ منها أصدقاء مخلصين ، ويحول صداقته من الصحاب اليها ، لأنها خير معين على فهم الحياة وما فيها من آمال وآلام ، كما أنها لا تخون ولا تكذب ، ولكنه لم يوفق الى تأدية المعنى المبتغى ، وانما أتى بما يفيد العكس ، وكان عليه أن يقول :

أنا من بدل بالصحب الكتابا

كما قال المتوكل الليثى وهو من شعراء صدر الاسلام :

أصرم (١) منك هذا أم دلال
فقد عنى (٢) الدلال اذا وطالا

أم استبدلت بى وسئمت وصلى
فبوحى به ودعى المحالا (٣)

٣٣ ـ ويقولون : شفعنا الرسولين بثالث ، والفصيح أن يقال : شفعنا الرسول بآخر أى جعلناهما اثنين ، ليطابق هذا القول معنى الشفع الذى هو فى كلامهم بمعنى الاثنين ، والذى هو خلاف الوتر ، كما فى قوله تعالى : « والشفع والوتر » تقول: كان وترا فصار شفعا أى شفعه آخر ، والشافع أصله الشاة التى معها ولدها ، وسميت شافعا لأن ولدها شفعها أو هى شفعته ، وفى الحديث : « أنه بعث مصدقا فأتاه بشاة شافع »

فأما اذا بعثوا ثالثا فوجه الكلام أن يقولوا عززناهما بثالث ، كما فى قوله تعالى : « اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززناهما بثالث » أى قويناهما .

٣٤ ـ ويقولون : لمن مدح رجلا ، أو ذمه : نعم من مدحت ، وبئس من ذممت ، وهذا خطأ ، لأن الفاعل فى كلا التعبيرين غير موجود ، ويشترط فيه أن يكون مقرونا بأل كما فى قوله تعالى : « نعم المولى ونعم النصير » وقوله : « لبئس المولى ولبئس العشير »

---

(١) الصرم بالفتح : القطيعة والابتعاد .
(٢) عناه الدلال : كلفه ما يشق عليه .
(٣) المحال بكسر المميم : روم الأمر بالحيل والمكر .

أو مضافا الى مقرون بأل كما فى قوله سبحانه : « ولنعم دار المتقين » وقوله : « فبئس مثوى المتكبرين » أو مضمرا مفسرا بنكرة بعده منصوبة على التمييز كما فى قوله تعالى : « بئس للظالمين بدلا » وقول الشاعر :

(تقول عرسى(١)وهى لى فى عومرة(٢)
( بئس امرأ واننى بئس المره )

والصواب أن يقال فى عبارتيهم : نعم الرجل من مدحت ، وبئس الرجل من ذممت .

ويجوز أن يقتصر على ذكر الفاعل، ويضمر المقصود بالمدح أو الذم اكتفاء بتقديم ذكره كما فى قوله جل شأنه : « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب » أى نعم العبد سليمان .

قال سيبويه : ولا يجوز الجمع بين الفاعل الظاهر والتمييز ، فلا يقال : نعم الرجل رجلا زيد ، ولكن التمييز اذا أفاد فائدة زائدة جاز وقوعه بعد الفاعل كما فى قولك : نعم الرجل فارسا زيد .

٣٥ ـ ويقولون فى التهنئة بالعيد ونحوه : كل عام وأنتم بخير برفع كل ،وهذا التركيب لايساير ما وضعه النحاة من القواعد ، فكل عام لا يصح أن يكون مبتدأ ، لأنه حينئذ يكون معدوم الخبر ، فان قيل ان الخبر محذوف تقديره ، يمر قلت ان هذا ليس من المواضع التى يحذف فيها الخبر ، على أن جملة يمر يجوز أن تكون صفة لعام ، ووجود الواو هنا يدل على أن الجملة بعدها حالية ، غير أن هذا التعبير ليس فيه ما يصح أن يكون صاحبا لهذه الحال .

ولاصلاح هذا التعبير ينبغى أن تحذف الواو ، فيقال : كل عام أنتم بخير بنصب كلمة كل على أنها ظرف زمان لاضافتها الى الزمان ، والجملة بعدها مبتدأ أو خبر ،والمعنى أنتم بخير عام فى كل عام ، وهذا شبيه بقوله تعالى : « كل يوم هو فى شأن » أى هو فى شأن كل يوم يجدد أحوالا ويفرج كربا ويرفع قوما ويخفض آخرين ؟

**عباس أبو السعود**

---

(١) العرس بالكسر : الزوجة .
(٢) العومرة : الصخب والجلبة .

# الرافعى .. المقاتل بقلمه

للأستاذ محمد أحمد العزب

المعارك الفكرية اللافحة التى نشبت بين الرافعى وغيره من الأدباء .. كانت وما تزال على المستوى الفكرى من أخصب المعارك التى شهدها هذا القرن .. وان كان قد تخللها كثير مما يتلائم مع روح البحث العلمى المحايد الذى يجب أن يكون على مستوى الحوار الثرى .. والعف والرشيد .. ولقد يخيل الى أن طبيعة « الموضوع » الذى دار من حوله هذا الحوار كانت السبب فى جنوح كل الأطراف المتصارعة الى هذا الشطط أو قل هذا الاسراف ، وأعتقد أننا لسنا فى حاجة الى تأكيد أن الحوار ينفعل الى درجة التوتر حين يكون التراث أو الدين .. أو اللغة .. أو الموقف الحضارى للأمة هو محور هذا الحوار وهذا هو ما حدث بالفعل .. حتى لقد خاض الرافعى المعركة تحت « راية القرآن » لأنه كان يستشعر أن الهجوم على الأدب العربى أو اللغة العربية هجوم على خصائص الوجود العربى المسلم فى الصميم ، وليس مجرد ثورة عارمة تريد أن تضع الأدب واللغة فى مهب الرياحات النقدية المعاصرة ، حتى يأخذا وجههما المعاصر والحضورى ، ويكتسبا من خلال هذا اللقاء حصانة أقوى ضد عوامل التفتت أو التخلف أو الجمود .

لقد كان الرافعى رجلا يقاتل وهو يكتب .. حتى حين يتصدى للغابرين فى موقفهم من قضية الاعجاز القرآنى تراه ثائرا ومقاتلا بسلاحه المألوف « العاطفة » .. وهذا وحده يؤكد أن موقفه من المجددين وعلى رأسهم « طه حسين » لم يكن تعصبا منه ضد فرد معين .. أو جماعة معينة .. أو مرحلة بذاتها .. بقدر ما هو تعصب لفكرة .. أو عقيدة .. أو قضية آمن بها ايمانه بالحياة .. وحتى لا نرسل الكلام عاريا من الدليل .. فسأسوق

هنا مثالين من كتابه « اعجاز القرآن » لنرى الى أى حد كان الرافعي « عاطفيا » في حواره الفكرى.. وغير متعصب ضد « واحد » بعينه من الناس ، وانما هو غاضب لدينه ولغته وقرآنه ، في ص ٤٧ وفي معرض التعليل لنزول القرآن بلغة قريش يقول الرافعي : « ان طائفة من الناس يذهبون الى أن القرآن لو هو قد نزل على النبى صلى الله عليه وسلم بغير القرشية لكان ذلك وجها من اعجازه تلتمس به الحجة ويستبين الظفر ولخلى عنه العرب فترة وعجزا ، وهو زعم لا يقول به الا أحد رجلين : من لا يدرى كيف يقول ، أو من يقول ولا يبالى أن يدرى أنك مطلع منه على جهل وسفه » !

حقيقى أن الرافعي بعد هذا التوتر العاطفى في رده على زعم من زعم .. أو قول من قال .. دافع دفاعا رائعا عن نزول القرآن الكريم بلغة قريش. ولكن ذلك لا يعفيه من لوم يوجه اليه على ما أسلف من تجهيل وتسفيه ولا أدريه لرأى المعارضة .. مهما كان هذا الرأى باطلا ومرفوضا .. وهو بالتأكيد باطل ومرفوض .

وفى فصل «تأثير القرآن في اللغة» من كتاب الاعجاز أيضا يعرض الرافعي لآيات من الكتاب الكريم كوثيقة من أروع ما يمكن أن نواجه به مطاعن الحاقدين على هذا الدين السوى .. الا أنه كشأنه دائما يقف من الآيات موقفا يحدده اطار من التوتر والانهيار العاطفى الذى يلون كتاباته أبدا .. ولقد كان في استطاعته أن يعرض هذا الموقف في اطار من الحوار العقلى العميق ،الذى يتناول القضايا تناولا مقارنا ذكيا ... يهدف الى مقابلة كل شيء بكل شيء.. ثم ينتهى الى حقيقة علمية .. تؤكد أن مشارق الضوء في تراثنا أغنى من مشارق الضوء في كل التراثات . الا أنه لم يفعل .. بل لجأ الى التحديق العاطفى المبهور في النص .. وراح يقول في انفعال : هذه بضاعتنا .. فهل عندكم منها شيء ؟

لقد كان الرافعي كما أسلفت قضية عاطفية صادقة .. وقد نضح ذلك على أسلوبه في معالجة الأشياء .

وكان رجلا يغار على شرقه العربى المسلم . ويرى في مجرد ارتباط رجل شرقى بامرأة أوربية شيئا يدمر

مملـكة العـرف ، ويهـز قـواعد الأخلاق ...

فى فصل « الربيـطة » من كتابه الرائع « السحاب الأحمر » يشـهر الرافعى الغيور قلمه سلاحا على واحد ممن ارتبط بأوربية على هذا النسق . فيصفه بهذه الـكلمات : « وكان من هؤلاء الفتيان الـذين اذا تعـلموا فى أوربا نفوا جهلهم بالعـلم ، ثم نفـوا علمهم بجـهل آخـر ، ثـم جاءونا كحرفى النفى : ما .. ولا .. فليس منهم الا التكذيب والانكار والشك ، وتراهم أظـرف وأجمل وأزهى من فراشة الربيع . لا يريـدون الحيـاة الا (أزهارا) ولا يطيقونها الا ربيعا ، وعلى أزهارهم وربيعهم فليس لنا منهم الا نقط من الألـوان وأصـوات من الطنين . وأجسام ليس فيها رجالها !»

هكذا يصور الرافعى واحـدا من هؤلاء .. فاذا سلمنا بكل مضمـون ما قال .. فنحن لا نستطيع أن نسلم باطار ما قال .. ولو أنه خلص هذا الفصل « الربيطة » مما فيه من عرامة وتجهيل للآخرين .. لتبقى لنـا منه بعد ذلك واحد من أروع ما كتب فى هذا الصدد بعيدا عن كل اسراف فى الحـكم أو مغـالا ة فى التقـدير . فالرافعى لا يقف من المسـألة موقفـا دائريا يغلق الحـديث حـول نقـطة واحدة لا يتعداها الى غيرها كما يفعل الكثيرون .. ولكنه يتـنقل بفـكره الطائر وحساسيـته المرهـفة فى كل زاوية من زواياها قادرا فى كل سطر من سطورها على طرح الأسئلة وعلى بذل الاجابات .

ان غـيرة الـرافعى على شرقه .. وعروبته .. واسلامه .. مرتبطة فى ذهنه بمواريث كثيرة .. بالخوف من تتارية أخرى تولد على أرض المنطقة يمهد لها هذا الفكر .. أو هولاكو آخر يدمر فى زحفه وجه حضـارة الشرق أو شعوبه من لون جديد تسدل بظلام قـلبها الواغـر آلاف الأقـنعة السوداء على روح تاريخـنا كله فى القديم والحديث .

ولو شئنا هنا أن نبـلور للـرافعى منطلقات تحدد مساره الفـكرى .. والعاطفى جميعا فى تصديه للـدفاع عن اللغة والدين .. لواجهنا منطلقات ثلاثة :

أولها : ابراز الحقائق الموضـوعة الكبيرة التى ينـطوى عليها الاسـلام

كدين شمولى ابرانا مجردا وفاهما وعميقا ، وربما استبان ذلك أكثر فأكثر فى كتابه « اعجاز القرآن ، فهو فى هذا الكتاب يحرك القضايا تحريكا موضوعيا عميقا •• وان لونته فى بعض اللحظات أو فى كثير منها انفعالات عاطفية صاخبة كم كان يكون رائعا لو أنه تحاماها عبر كل السطور

وثانى هذه المنطلقات : الدفاع البطولى عن الاسلام ضد كل المفتريات التى تستضرى دائما من حوله •• ويستعلن ذلك أوضح فأوضح فى كتابيه : « تحت راية القرآن » •• و « وحى القلم » فلقد خاض الرجل معركة فكرية قاسية ، واجه فيها كل أنماط القوى وكل أشكال الصراع ، ولم يكن منازلوه ناسا من الناس الذين يمكن أن يظفر بهم فى جولة أو جولات •• وانما كانوا طلائع فكرية مثقفة ، سلحتها الثقافة الهائلة بكل ألوان القدرة على مواصلة الحوار • مما يصعب معه أن يتصدى لدفع تيارهم جيل بأكمله لم تتح له المكونات الثقافية التى أتيحت لهم •• فضلا عن واحد فقط من الناس •• ولكن الرافعى والحق يقال صمد فى معركته حتى النهاية وهو وان يكن قد كبا فى بعض جولاته •• الا أنه انتصر كذلك فى كثير منها •• وحسبك من رجل أن يجابه طوفانا ويظل صامدا شامخا لا يحنى له رأسا •

وثالث هذه المنطلقات : التسلق الى آفاق النضال عن الدين واللغة •• من خلال التأمل الكونى •• والتصوف العاكف فى رحاب الطبيعة ومجاليها الفساح ••• ويتضح ذلك أشمل فأشمل فى كل كتبه الأخرى •• اذا استثنينا منها ماوقفه على فلسفة الجمال والحب « كرسائل الأحزان » و « أوراق الورد » •• حتى هذه أيضا لم تكن تخلو من الحوار الهادف الى تجلية غوامض الأسرار فى الكون وسيطرة القوى الخالقة على نمط الاعجاز فى تدافع سيرها المتنظم العجلان فى آن •••

هذا التقسيم •• لا يعنى أن كل طائفة من الكتب تنهض بمضمون محدد يشكل منطلقا معينا لايتعداه الى غيره من المضامين ••• فقد تتشابك المضامين وتختلط ربما أكثر فى كتبه التى لا تقوم على منهج مسبق مرسوم

فهذه فى مجموعها تضم مقالات متعددة ، ان دار أكثرها حول محور واحد فلا يلبث باقيها أن يدور حول محاور مختلفة ، نستطيع أن نرى ذلك مثلا فى كتابه الرائع : « وحى القلم » .. ومثله فى كتابه «المساكين» الا أن ذلك لا ينفى أن كتبا بكاملها تنهض على محور واحد لا تخرج عليه .. ككتابه : « اعجاز القرآن » فلقد محضه الرافعى من بدئه لختامه. لفكرة الاعجاز لا يتعداها الى غيرها أبدا ..

وبعد .. فان أقلاما ضارية ومتسرعة ، قد حاولت أن تهدم فى الرافعى قلعة من قلاعها الشاهقة ولكنها لم تفلح فى ذلك على ما يخيل الى .. وان كانت قد أفلحت فى شىء قريب منه .. هو أنها استطاعت أن تعطى للجماهير القارئة عن الرافعى انطباعا صرف عنه كتلا هائلة من الجماهير .. تحت زعم أنه كاتب « متحفى » يعيش فى عصر غير هذا العصر .. أو أنه كاتب ضحل المفاهيم لا شىء عنده يقوله .. وانما هو يلجأ الى تعمية الأشياء حتى يقال انه فيلسوف .. الى آخر هذه المطاعن الراعنة التى يجب أن نواجهها على مستوى التحرر الكامل فنقول فى الرافعى ماله .. وما عليه .. دون أن يجذبنا عدم الفهم الى منطقه الرجم بالحجارة لواحد من أخصب كتابنا الغيورين فى هذه الحقبة ... وآمل أن أكون قد أضأت بصيصا من هذا الذى أرجوه .. عبر هذه المحاولة فى هذه السطور ؟

**محمد احمد العزب**

# حذار من مكر العدو..

للأستاذ عبد الرحمن نجا

( الله أكبر ) كان خير شعار — للعابرين على خطوط النار
فكأنه انشاد أملاك السما — يزكى شعور الجحفل الجرار
فاذا بجند الله تضرب ضربة — فى الأخذ من أعدائنا بالثار
وتزيل كل حواجز وتدك كل — معاقل ، وتطيح بالفجار
كالجن تسحق ما يعوق طريقها — بضراوة ، كالمارد الجبار
كالسيل ، كالطوفان لا يبقى على — شىء ، وكالبركان والاعصار
كالليث يزأر حين ريع عرينه — ويذود بالأنياب والأظفار
ليست تبالى بالمنايا لا ، ولا — تخشى من الأهوال والأخطار
هى غضبة الأحرار تنسف قيدها — نسفا ، فليس القيد للأحرار
يغلى رماها بالكراهة للعدا — كالقدر فى الغليان فوق النار
وتثور ثورتها لتمحو عارها — عنها ، فان الذل أكبر عار
فى ( سينا ) فى الجولان أى أصالة — وضحت لقوة عزمنا البتار !!
فقضت على ما زيفوه مثلما — تذرى الرياح الهوج كل غبار
ما خط ( برليف ) أمام ارادة — كالصلب فى بأس وفى اصرار
ما الاختراعات الحديثة ان سما — ايماننا بالواحد القهارا !!
لا عيش والشرف الرفيع مهدد — والعرض تحت غوائل الأشرار

والموت فى ظل السيوف شهادة ... للظافرين بجنة الأبرار

ان لم نفدى العرب لسنا ننتمى ... يوما لهم فى نخوة ونجار

١٠ كان هذا الحق يعنى وحدة ... لو لم يؤيد بالقنا الخطار

* * *

فحقوقنا فى الأرض معترف بها ... من بعد طول المطل والانكار

والقدس - باركها الاله لقد غدت ... فى الطهر والاشراق خير مزار

وعلى فلسطين بواكير المنى ... تبدو مبشرة بخير ثمار

وسواعد التعمير تعمل هاهنا ... وهناك فى جهد لها جبار

* * *

يا مصر - دومى فى رباط دائم ... وحذار من مكر العدو حذار

ماكان للغدار من عهد فلا ... تثقى بعهد الحانث الغدار

وخذى من الماضى المواعظ وادفعى ... عن مجدنا الوضاح كل ستار

واحمى السلام فذاك خير رسالة ... للمرسلين من الاله البارى

أعلى لواء الحق خفاقا كما ... قد كان فوق الكوكب السيار

فى وحدة كبرى يرفرف فوقها ... علم يبارى سامى الأقمار

**عبد الرحمن نجا**

---

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

## الفقه الاسلامى الميسر

## تاليف الشيخ عبد الحليم موسى

هـذا الـكتاب الـذى نشرته دار الفكر العـربى بالقاهـرة ، يقـع فى ثلثمـائة وأربعين صـفحة من القطع الكبير ، والمؤلف أحد خطباء المساجد الخاصة ، ومن المشتغلين الدائبـين بالوعظ والارشاد ، وقد اشتمل كتابه على العقائد والعبادات والمعاملات ،على المذاهب الأربعة التقليدية ، وكنا نود أن لا يقيد المؤلف نفســـه بذلك ، ليساير الاتجاه الأوفق فى العناية بأراء الفقهاء الكبار من غير أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة ..

والحق أن المؤلف فى كتابه الذى بين أيدينا ، قد بذل من ناحية جهدا طيبا فى الايجـاز حتى ألـم بمعـظم الأبـواب فى العقـائد والعبـادات والمعاملات ، فهو مثلا لم يضمن كتابه السياسية الشرعية ، ومن ناحية أخرى فان المؤلف سلك منهجا غير تقـليدى فى الصياغة ، حيث عرض الفقه فى صـورة أسئلة ، وأجوبة عن هـذه الأسئلة ، ليبسر للقارىء الاستيعاب ، مراعيا العبارة السهلة ، وهذه الطريقة تمتاز بالتيسير على طلاب الفقه ، الا أن ارتباطها بالايجاز والتركيز لايعطى المؤلف فرصة الايضاح والتبسيط اذا اقتضتها الضرورة الملحة فى بعـض المسائـل .. ولا سيـما فى العقائـد والمعاملات ..

يلاحظ أن المؤلف قد عرض بعض الآراء بلا شواهدها ، ودون أن يردها الى مصادرها ، كما استـشهد لبعـض

الأراء بأحاديث نبوية دون تخريج لها ، والحق أن هاتين الظاهرتين ضئيلتان فى الكتاب . لكن بعض الأحاديث الضعيفة قد تسللت الى الكتاب ، مثل حديث : من زار قبرى وجبت له شفاعتى فهذا الحديث الذى رواه ابن عدى والبيهقى عن ابن عمر قد ضعفه رجال الحديث ، وأشار الى ذلك السيوطى فى الجامع الصغير وغيره ..

كذلك تسلل الى الكتاب بعض الروايات عن ابن عباس وغيره ،وهى روايات متأثرة بالاسرائيليات ،فالمؤلف يقرر مثلا ، أنه يجب علينا أن نؤمن بعشرة من الملائكة ،وردت أسماؤهم، جبرائيل ، وميكائيل ، واسرافيل ، وعزرائيل ، ومنكر ، ونكير ، ورقيب وعتيد ، ومالك ، ثم رضوان ، وبعض هذه الأسماء وردت فى القرآن ولا جدال فى ذلك ، ولست أدرى من أين للمؤلف أن هناك ملكين يحملان اسمى رقيب ،عتيد مثلا ؟ لابدأن يكون قد اعتمد على الآية الكريمة : «مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » لكن لفظى رقيب ، عتيد ، لا يدلان الا على صفتين مترادفتين لجنس الملائكة ، وهذا الوهم متداول بين العامة ليس الا، كذلك وردت الأحاديث والكثير منها صحيح بأن ملكين يناقشان الميت فى قبره ،ولم يشر الى اسميهما .. منكر ونكير الا حديث واحد رواه الترمزى عن أبى هريرة : قال : انه غريب ، وقد ورد اسماهما بصيغة التعريف ففى الحديث المشار اليه : « اذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما .. المنكر .. وللآخر .. النكير .. بتشديد النون فى هذا الآخر ..

وبعد ـ فهذه مجرد ملاحظات عابرة ، لا تحول دون أن يكون للكتاب تقديره ، فالجهد الذى بذله فضيلة الشيخ عبد الحليم موسى ،جهد مشكور ، ولا جدال فى أن المسلم المبتدىء أو المثقف ، سيفيد منه كثيرا وحسب هذا الكتاب من التقدير ، استيعابه من الفقه الاسلامى الميسر ، ما يحتاج اليه كل مسلم .

**من سلسلة الأبطال :**

**تاليف**
**الشيخ أحمد عبد الجواد الدومى**

هذه السلسلة التى تصدرها المكتبة العصرية ، فى صيدا – بيروت – هى سلسلة عن أبطال الاسلام ، ولا سيما من خاضوا المعارك الاسلامية قادة وجنودا ، وأضافوا الى تاريخ الاسلام صفحات مشرقة فى العسكرية والسلوك معا . وبين يدى من حلقات هذه السلسلة التى بلغت حتى اليوم خمسين حلقة ، أربع حلقات بقلم فضيلة الشيخ أحمد عبد الجواد الدومى الواعظ العام بالقاهرة ، والذى سبق أن قدم من قبل للمكتبة الاسلامية العديد من مؤلفاته ، نذكر منها : الاسلام منهاج وسلوك ، وأحمد بن حنبل ، وصلاح الدين الأيوبى ، والسعادة الزوجية ..

أما هذه الحلقات الأربع فهى عن العبادلة الأربعة : عبد الله بن الزبير ، عبد الله بن عمر ، عبد الله بن مسعود، ثم عبد الله بن عمرو ، وكل حلقة فى زهاء خمسين صفحة من القطع المتوسط ، والحق أن فضيلة المؤلف برغم الايجاز الذى التزم به ، استطاع – مع ضخامة السيرة الذاتية للبطل الذى ترجم له – أن يقدم دراسة تحليلية ، وأن يسلط أضواء تكشف عن القيم الأصيلة التى أسهمت فى اعداد الشخصية لدور البطولة ،وتضع هذه الشخصية فى الاطار اللائق بها ، أما هذه الأضواء فقد حرص المؤلف ذو الأسلوب السلس والعبارة المشرقة، على أن تواكب شخصية البطل ، قاطعة معه مرحلة العمر والحياة من المهد الى اللحد ..

بقى أن نقول : ان سلسلة الأبطال، اتجاه طيب ، وعمل لائق بالتقدير ، لأنه يلبى حاجة شبابنا المسلم المثقف ، فى التعرف على سيرة الأبطال من أجداده ، ولا يمكن أن نتجاهل مثلا أن الطباعة الأنيقة لهذه السلسلة عامل ذو أهمية فى جذب الشباب الى قراءتها ، كما أن المادة الجيدة التى كتبت بها ، عامل أيضا جوهرى فى اجتذاب الشباب المسلم المثقف الى استيعابها ..

* * *

### أبو بكر يتحدث الينا

تأليف الاستاذين :

عبد الحليم عويس

مصطفى عاشور

هذه الحلقة هي الحلقة الأولى من سلسلة « من أعلام الاسلام » التي تصدرها دار الاعتصام بالقاهرة ، والرسالة موجزة اذ أنها تقع في أربع وستين صفحة من القطع الصغير ، وقد أشار المؤلفان في بداية الحلقة الى الدافع لاصدار هذه السلسلة : من أجل بداية صحيحة لمسيرة الانسان العربي التائه وسط نماذج بشرية غثة، تفرض عليه من خارج تاريخه ومبادئه .. من أجل هذا وغيره ، يرصد المؤلفان بعض اللقطات من حياة تلك النماذج العالية ، علهما يسهمان بشيء في دفع عجلة الأمة العربية والاسلامية .. الى طريقها الصحيح ..

الحق أن المؤلفين الكريمين ، قدما دراسة تحليلية عن شخصية أبي بكر رضي الله عنه ، ألمت بعديد من جوانبها ، وقد حرصا على عدم الالتزام بالمنهج التقليدي في الترجمة عن الشخصيات ، فهما لم يفكرا في كتابة تاريخ لشخصية عظيمة كأبي بكر ، بل حاولا في رسم المعالم لهذه الشخصية ، التي رشحتها للقيادة الرشيدة .. قيادة أمة برمتها الى حياة أفضل ..

وبعد ـ فلا جدال أننا اليوم في مسيس الحاجة الى مثل هذه الدراسات الموجزة عن أبطالنا الذين صنعهم الاسلام ، وصنعوا هم التاريخ ـ وذلك لنيسر لشبابنا المسلم المثقف أن يجد القدوة الحسنة في هؤلاء الأبطال في صورهم المشرقة الجذابة بلا زخرفة وبلا رتوش ..

### كيف نكرم رمضان ؟

قبل حلول شهر رمضان المعظم ، في كل عام ، تعلن حالة الطوارىء في كل من الاذاعة والتليفزيون ، ايذانا ببدء العمل من أجل رمضان ، والذي غالبا ما تعلن حالة الطوارىء قبل رمضان بستة شهور على الأقل ، فاذا جاء رمضان لم تجد شيئا كبيرا يستحق الذكر ، اذا بحثنا عن الجانب الاسلامي ـ وهو يمنح دائما عطاء المقل ـ وجدنا أصحاب البرامج يتنافسون في تقديم نجوم الاسلام اللامعين ليقولوا ـ ولو أي شيء ـ أجل

والله ، لقد أصبح للاسلام نجوم كنجوم الكرة وغيرها .. أما الجانب الترفيهى فى شهر رمضان ، فيكاد يبتلع معظم الوقت ، وكأن شهر رمضان والمفروض فيه أنه شهر العبادة والتقرب الى الله ـ هو الفرصة التى لا تعوض ، للكشف عن نجوم الفكاهة ، أو بالاصطلاح التقليدى .. الكشف عن الوجوه الجديدة ، أما المادة التى تقدم فليست ذات أهمية، والمهم أن نحشر فى كل برنامج عشرات الممثلين ، العاطلين بلا وراثة ، وعشرات المناظر المهلهلة ، ومئات العبارات الهابطة ، هذا الى جانب ما يسمى بالرقص الشرقى ، الذى يعتبر القاسم المشترك الأعظم فى برامج التليفزيون الرمضانية .

اننا لا نشير الا الى جزء من الحقيقة المرة بلا أدنى تجن على أحد ، ولقد كتب الأستاذ نبيل عصمت المحرر بجريدة الأخبار بعد يومين من بداية شهر رمضان الفائت ، يقول :

« عزيزى التليفزيون : استهلال ليس سيئا جدا لأول يومين نستقبل بهما رمضان .. ولكن أهلكتنا تمثيليات من بعد الافطار حتى السحور .. أين المنوعات ؟ أين الأغنية الدينية؟ أين الثقافة ؟ » .

**قراءات :**

« كانت شروط الفتح الاسلامى تسمح ببقاء الحضارات عند طوائف كبيرة من الأهالى ، الذين واصلوا التمتع بعاداتهم ، وقوانينهم ، ولغاتهم .. وكان طبيعيا ـ مع ذلك ـ أن تتأسس الروابط والعلاقات بين الفاتحين وأهل البلاد فى وقت مبكر ، وفى نفس الوقت الذى أتيحت فيه حرية واسعة للأفكار ، كانت هناك أيضا حماية رسمية تشجع هذه العلاقات » .

« من كتاب : العلم عند العرب لألدو ميلى » .

**محمد عبد الله السمان**

# أنباء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

**معاهد أزهرية جديدة :**

أصدر فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الأزهر قرارا وزاريا رقم ٥٢١ لسنة ١٩٧٤ م بالموافقة على انشاء تسعة معاهد أزهرية .. أربعة اعدادية ، وخمسة ابتدائية .

فالاعدادية : معهد قطور ، ومعهد السنطة ، ومعهد شبراخيت ، ومعهد بسيون .

والابتدائية : معهد : قطور ، ومعهد بشبيش ، ومعهد اشناواى ، ومعهد دمياط ، ومعهد فارسكور .

**كلية للقرآن الكريم :**

أنشئت فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة كلية للقرآن الكريم .. لتدريس علوم كتاب الله ، واعجازه وبلاغته ، وأول شرط من شروط الالتحاق بهذه الكلية الحفظ الكامل للقرآن الكريم .

وبذلك تنضم هذه الكلية الوليدة الى شقيقتيها ، كلية الشريعة التى أنشئت عام ١٣٨١ هـ وكلية الدعوة وأصول الدين التى أنشئت عام ١٣٨٦ هـ .

**مسجد قرطبة :**

قال الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الأوقاف فى ختام مقاله الذى نشرته صحيفة الأهرام يوم ٢٥ من رمضان ١٣٩٤ هـ ـ ١٠ من أكتوبر ١٩٧٤ م عن مسجد قرطبة :

« وفى الزيارة التى قمت بها شكرا لأسقف قرطبة ، وكبار المسئولين المدنيين دار الحديث حول المسجد والكاتدرائية ، وهناك اتجاه فى أسبانيا

يرمي الى نقل الكاتدرائية الى مكان مجاور للمسجد ، واعادة المسجد الى صورته التى كان عليها ، وقد وجدت هذه الفكرة قبولا لدى نفر من المثقفين الأسبان .

فالمسجد فى كماله واكتماله عمل عبقرى لن يجود بمثله الزمان ، والذين يفدون الى قرطبة انما يفدون أساسا لزيارة المسجد ، حتى تستطيع القول بأن قرطبة نفسها ضاحية المسجد ، وقد جرت أحاديث بين الأسبان وبعض الشخصيات العربية المسئولة الكبيرة حول التعاون على تنفيذ مشروع النقل ليعود المسجد الى صورته الأولى .

واذا كان الأمر يحتاج الى بعض الوقت لتتقبله الجماهير فان الصورة المقترحة ، والتى اطلعت على بعض دراساتها لمما يساعد كثيرا على أن تصبح لكل من المسجد والكاتدرائية شخصيته الواضحة الكاملة ... » .

**مبنى مجمع اللغة العربية :**

وضع حجر الأساس لمبنى مجمع اللغة العربية بالزمالك يوم ٢٢ من رمضان ١٣٩٤ هـ ، ومشروع المبنى يتكون من ستة طوابق ، وتبلغ تكاليف بنائه ٦٠٠ر٠٠٠ ألف جنيه .

وبوضع حجر الأساس لهذا المبنى ــ الذى أنشىء لخدمة اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ــ يكون قد استقر به المطاف بوضعه فى الزمالك ، بعد أن ظل متنقلا حوالى ٤٠ عاما ، ما بين شارع القصر العينى ، وجاردن سيتى ، والجيزة ، دون مبنى خاص ثابت ومجهز .

وفى القريب ان شاء الله سيتم مبنى مجمع البحوث الاسلامية الذى يجرى العمل فيه الآن بمدينة نصر ، لتنتقل فيه أجهزته واداراته ولجانه .

**مهرجان اسلامى كبير :**

سيقام فى لندن بعد حوالى عام مهرجان ثقافى اسلامى كبير ، وقد حضر الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الأوقاف الاجتماعات التى عقدت بلندن فى أكتوبر الماضى لاعداد ترتيبات المهرجان ، وتم انتخاب سيادته رئيسا للجنة التحضيرية للمهرجان ، وشارك فى الانتخاب ممثلو الدول الاسلامية ، وكبار المستشرقين .

**مسجد النور والأمل :**

تبرع جـلالة الملك فيصـل ملك المملكة العربية السعودية لمسجد النور والأمل بمبلغ ٢٥٠٠٠٠٠ ألف جنيه ، وهـذه المكرمة تضـاف الى مكارمه العظيمة فى مساندة الاسلام والمسلمين .

**ليلة القدر :**

تبرعت سيدة مصرية لليلة القـدر بمبلغ ١٢٠٠ جنيـه ، فأدخلت بذلك السرور على عشرين أسرة ، أكثر الله من أمثال هذه السيدة الكريمة .

**فى جامعة الأزهر :**

تقرر فى جامعة الأزهر وضع خطة لحل مشكلة اسكان الطلاب ، وتخفيض أسـعار الكتب الجامعيـة ، واعداد الأجهزة العلمية ، وذلك فى العـام الجامعى ٧٤/١٩٧٥ م .

**ابراهيم النويهى**

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اول
رئيس مجلس الادارة
على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧/١٩٧٤

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية
٦٠٠٢-١٩٧٤م/١١٢٣٧

contain a single word about the enforcement of Islam at the point of sword. The wording of one of these letters addressed to the King of Copts — and all these letters were addressed in similar words — is as follows :

"I invite thee with the invitation of Islam ; become a Muslim, and thou wilt have entered security; Allah will give thee a double reward. But if thou turnest back, then on thee is the sin of the Copts. 0 fllowers of the Book ! come to an equitable proposition between us and you that we shall not serve any but Allah and that we shall not associate aught with Him and that some of us shall not take others for lords besides Allah, but if they turn back, then say, Bear witness that we are Muslims".

The mere writing of these letters to all the kings is undoubtedly and evidence of the universality of Islam but by no stretch of imagination can it be made to yield the conclusion that Islam was to be spread by force of arms. The letter is simply an invitation, cobined with an appeal to the followers of all revealed religions to accept the common principle of the worship of one God.

There is one hadith however which has sometimes been misconstrued, as meaning that the Prophet was fighting people to make them believe in the Unity of God. The hadith runs thus : "Ibn Umar says, The Holy Prophet said, I have been commanded to fight people until they bear witness that there is no god but Allah and that Muhammad is the messenger of Allah and keep up prayer and pay the zakat. When they have done this, their lives and their properties are protected unless there is an obligation of Islam, and their account is with Allah" (Bukari, 2 : 17). It has already been shown that the principles of Islam are one and all taken from the Holy Quran, not from Hadith, and the Holy Quran lays down in express words that no force shall be used in religion. How then could a hadith contradict it ? But let us consider the words of the hadith. It begins with the words 'I am commanded to fight', and surely the commandments to the Prophet were given through Divine revelation and are therefore all of them contained in the Holy Quran. The reference in the hadith is thus undoubtedly to a Quranic verse. In fact, such a vers is met with in the second section of the chapter entitled "Immunity" : "But if they repent and keep up prayer and pay the zakaat, they are your brethren in faith" (9 : 11). The subject-matter of the hadith is exactly the same, and clearly the commandment referred to in the hadith is that contained in this verse. It only requires to read the context to find out the purport of these words. (to be continued).

Thus even Muir admits that so late as the conquest of Mesopotamia by Umar, the Muslims were stangers to the idea of making converts to Islam by means of the sword : "The thought of a world-wide mission was yet in embryo ; obligation to enforce Islam by a universal Crusade had not yet dawned upon the Muslim mind" (The Caliphate, p. 120). This remark relates to the year 16 of Hijra, when more than half the battles of the early Caliphate had already been fought. According to Muir, even the conquest of the whole of Persia was a measure of self-defence on the part of the Muslims, not of agression : "The truth began to dawn on Umar that necessity was laid upon him to withdraw the ban against advance. In self-defence, nothing was left but to crush the Chosroes and take entire possession of his realm" (The Caliphate, p. 172). And if the wars with the Persian and Roman empires were begun and carried on for five years without any idea of the propagation of Islam by arms, surely there was no occasiòn for the idea to creep in at a subsequent stage.

As already stated, Hadith cannot go against the Holy Quran. Being only an explanation of the Holy Book, it must be rejected if it contains anything against the plain teachings of the Holy Quran. Yet Macdonald, in the Encyclopadia of Islam, advances a very strange view. The Quran, he admits, does not sanction unprovoked war against non-Muslims. Even the prophet had no idea that his teaching would develop into such a position. Yet Hadith, he says, is explicit on the point : "Wether Muhammed himself recognised that his position implied steady and unprovoked war against unbelieving world until it was subdued to Islam may be in doubt. Traditions are explicit on the point... Still, the story of his writing to the powers around him shows that such a universal position implicit in his mind. "Now Hadith is nothing but a collection of what the Holy Prophet said or did. How could it be then that a thing of which the prophet had no idea, as admitted in the above quotation, is met in Hadith ? He could not say or do that of which he had no idea. The propagation of Islam by force is neither contained in the Holy Quran, nor did the Prophet ever entertain such an idea, yet Hadith, which is an explanation of the Holy Quran and a record of what the Prophet said or did, explicitly states that Islam must be enforced at the point of the sword until the whole world is converted to Islam ! These remarks are obviously due to carelessness on the part of the writer.

The only hadith referred to in the article is "the story of the Prophet's writing to the powers around him". But the letter does not

the life of the Holy Prophet there is not a single instance in which he lead and aggressive attack. The last of his expeditions was that of Tabuk, in which he led an army of thirty thousand against the Roman Empire, but when he found, on reaching the frontier, after a very long and tedious journey, that the Romans did not contemplate an offensive, he returned without attacking them. His action on this occasion also throws light on the fact that the permission to fight against the Christians contained in 9:29, was also subject to the condition laid down in 2:190 that the Muslims shall not be aggressive in war.

The opinion now held among the more enlightened European critics of Islam is, that though the Holy Prophet did not make use of force in the propagation of Islam, and that though he did not lead an aggressive attack against enemy, in the whole of his life, yet this position was adopted by his immediate successors, and was therefore a natural development of his teaching. This opinion is also due to a misconception of the histoirical facts which led to the wars of the early Caliphate with the Persian and Roman empires. After the death of the Holy Prophet, when Arabia rose in insurrection and Abu Bakr was engaged in suppressing the revolt, both Persia and Rome openly helped the insurgents with men and money. It is difficult to go into details of history in a book which does not deal with the historical aspect of the question, but I will quote a modern writer who is in no way friendly to Islam :

"Chaldaea and southern Syria belong properly to Arabia. The tribesinhabiting this region, partly heathen but chiefly (at laest in name) Christian, formed an integral part of the Arab race and as such fell within the immediate scope of the new Dispensation. When, however, these came into collision with the Muslim columns on the frontier, they were supported by their respective soverings, - the western by the Kaiser, and the eastern by the Chosroes. Thus the struggle widened" (The Caliphate, by Sir W. Muir, p. 46).

There is actual historical evidence that Persia landed her forces in Bahrain to help the insurgents of that Arabian province, and a Christian woman, Sajah, marched at the head of Christian tribes, from her home on the frontier of Persia, against Madina, the capital of Islam, and traversed the country right up to the central part. Persia and Rome were thus the aggressors, and the Muslims, in sheer self-defence, came into conflict with those mighty empires. The idea of spreading Islam by the sword was as far away from their minds as it was from that of the great Master whom they followed.

religion as it happened in the conquest of Makka.

Notwithstanding what has been said above, the Muslims were told to accept peace in the middle of war if the enemy wanted peace : "And if they incline to peace, do thou incline to it and trust in Allah ; He is the Hearing, the Knowing. And if they intend to deceive thee — then surely Allah is sufficient for thee" (8:61, 62). It should be noted that peace is here recommended even though the enemey's sincerity may be doubtful. And there were reasons to doubt the good intentions of the enemy, for the Arab tribes did not attach much value to their treaty agreements : "Those with whom thou makest an agreement, then they break their agreement every time and they are not careful of their duty" (8:56). None could carry those precepts into practice better than the Holy Prophet, and he was so prone to make peace whenever the enemy showed the least desire towards it, that on the occasion of the Hudaibiya truce he did not hesitate to accept the position of a defeated party, though he had never been defeated on the field of battle, and his Companions had sworn to lay down their lives one and all if the worst had come to the worst. Yet he made peace and accepted terms which his own followers looked upon as humiliating for Islam. He accepted the condition that he would go back without performing a pilgrimage and also that if a resident of Makka embraced Islam and came to him for protection, he would not give him protection. Thus the injunction contained in the Holy Quran to make peace with the idolaters if the desired peace combined with the practice of the Holy Prophet in concluding peace on any terms is a clear proof that the theory of preaching Islam by the sword is a pure myth so far as the Holy Quran is concerned.

Thus neither in the earlier revelation nor in the later, is there the slightest indication of any injunction to probagate Islam by the sword. On the other hand, war was clearly allowed as a defensive measure upto the last. It was to be continued only so long as religious persecution lasted, and when that ceased, war was to cease ipso facto. And there was the additional condition that if a tribe, against whom the Muslims were fighting because of its agreessive and repeated violation of treaties, embraced Islam, it then and there became a part of the Muslim body-politic, and its subjugation by arms was therefore forgone, and war with it came to an end. Such remained the practice of the Holy Prophet during his lifetime. And there is not a single instance in history in which he offered the alternative of the sword or Islam to any tribe or indiviual. Nay ! In

specified idolatrous tribes, the tribes that had made agreements with the Muslims and broken them repeatedly as expressly stated in 8:56. It is a mistake to regard the order as including all idolatrous people living anywhere in the world or even in Arabia. And if the verse preceding the so-called "verse of the sword" makes a clear exception in case of all friendly idolatrous tribes, that following it immediately makes a clear exception in favour of such membres of idolatrous hostile tribes as ask the protection of the Muslims (seev. 6, quoted in the preceding paragraph). And then continuing the subject, it is further laid down that the order relates only to people "who broke their oaths and aimed at the expulsion of the Prophet and they attacked you first" (9:13). With such a clear explanation of the fifth verse contained in the preceding and following verses, no sane person would interpret it as meaning the killing of all idolaters or the caryring on of unprovoked war against all idolatrous tribes.

It is thus clear that the Muslims were allowed to fight only in self-defence, to preserve their national existence, and they were forbidden to be aggressive. The Holy Quran nowhere gives them permission to enter on an unprovoked war against the whole world. Conditions were also laid down as to when war should cease : "And fight with them until there is no persecution, and religion should be for Allah, but if they desist, then there should be no hostility except against the oppressors" (2:193).

The words, 'religion should be only for Allah ; are sometimes misinterpreted as meaning that all people should accept Islam, a significance utterly opposed to the very next words : "But if they desist, there should be no hostility except against the oppressors". The desisting plainly refers to desisting from persecution. Similar words occur in another early Madina revelation : "And fight with them until there is no more persecution and all religions shuold be only for Allah; but if they desist, then surely Allah sees what they do" (8.39). Both expressions, "religion should be only for Allah", and "all religions should be only for Allah" carry one and the same significance, namely, that religion is treated as a matter between man and his God, a matter of conscience, in which nobody has a right to interfere. It may be added that if the words had the meaning which it is sought to give them, the Holy Prophet would have been the first man to translate that teaching into practice, while as a matter of fact he made peace with the enemy on numerous occasions, and stopped fighting with idolatorous tribes when they wanted peace. Even when he subjugated a people, he gave them full liberty in their

make him attain his place of safety this is because they are a people who do not know" (9 : 6). The idolaters who stood in need of seeking protection evidenlty belonged to a hostile tribe, because the friendly tribes, being in aaliance with the Muslims, had no need of seeking protection of the Muslim government. Thus even a hostile idolater was to be sent back safely to his own tribe and not molested in any way, as the words of the verse show. The idolaters with whom fighting was enjointed were those who had violated treaties and were foremost in attacking Muslims, as the words that follow show : " If they prevail against you, they would not pay regard in your case to ties of relationship, not those of covenant" (9:8) ; "Will you not fight a people who broke thir oaths and aimed at the expulsion of the Apostle and they attacked you first" (9:13). Thus chapter 9, which is supposed to abrogate the earlier verses, still speaks of fighting only against those idolaters who "attacked you first", and this is the very condition laid down in earlier verses, such as 2:190.

Notwithstanding that ch. 9, as shown above, does not go beyond what is contained in the earliest revelations on the subject of war, the fifth verse of that chapter is called by some people "the verse of the sword", as if it inculcated the indiscriminate massacre of all idolaters or unbelievers. The misconception is due to the fact that the words are taken out of their context, and a significance is forced on them which the context cannot bear. The following words occur in the 5th verse : "So when the sacred months have passed away, slay the idolaters wherever you find them" (9:5). But similar words occur also in the earliest revelation on the subject :" And kill them wherever you find them" (2:191). In both places it is the context which makes it clear as to the identity of the persons regarding whom the order is given. In both cases those against whom the order is given are the people who have taken up the sword and attacked the Muslims first. It has already been shown that the injunction to fight against the idolaters, as contained in the opening verses of the 9th chapter, relates only to such idolatrous tribes as had made agreements with the Muslims and then broken them, and had attacked the Muslims, and not to all idolatrous people, wherever they may be found in the world. If only we read the verse that precedes the fifth verse, not the shadow of a doubt will remain that all idolaters are not spoken of here. For the fourth verse, as quoted already, states that those idolaters were not within the purview of the order who had remained faithful to their agreements. The order was therefore directed against

as follows : "And fight in the way of Allah with those who fight with you, and be not aggressive ; surely Allah does not love the aggressors" (2 : 190). Here again the condition is plainly laid down that the Muslims shall not be the first to attack ; they had to fight — it had now become a duty — but only with those who fought with them ; aggression was expressly prohibited. And this fighting in self-defence is called fighting in the way of Allah (fi sabili-llah), because fighting in defence is the noblest and justest of all causes. It was the cause Divine because if the Muslims had not fought they would have been swept out of existence, and there would have been none to establish Divine Unity on earth. These were the very words in which the Holy Prophet prayed in the field of Badr : "O Allah ! I beseech Thee to fulfil Thy covenant and Thy Promise ; O Allah ! if Thou wilt (otherwise), Thou wilt not be worshipped any more" (Bu. 56 : 89). The words 'fi sabili-llah' are misinterpreted by most European writers as meaning the propagation of Islam. Nothing could be farther from the truth. The Muslims were not fighting to force Islam on others. rather were they being fought to force them to renounce Islam, as shown by 2 : 217 quoted above. What a travesty of facts to say that war was undertaken by the Muslims for the propagation of Islam !

It is sometimes asserted that these injunctions, relating to defensive fighting, were abrogated by a later revelation in ch. 9. Yet any one who reads that chapter cannot fail to note that it does not make the slightest change in the principles earlier laid down. Fighting with idolators is enjoined in the ninth chapter, but not with all of them. In the very first verse of that chapter, the declaration of immunity is directed towards only "those of the idolaters with whom you made an agreement" — not all the idolaters — and even in their case an exception is made : "Except those of the idolaters with whom you made an agreement, and they have not failed you in anything and have not backed up anyone against you, so fulfil their agreement to the end of their term ; for Allah loves those who are careful of their duty" (9:4). This shows that there were idolatrous tribes on friendly terms with the Muslims, and the Muslims were not allowed to fight with them ; it was only the hostile tribes who broke their agreements and attacked the Muslims that were to be fought against. And individual idolaters, even if belonging to hostile tribes, could still have safety, if they wanted to enquire about Islam, and were given a safe conduct back home even if they did not accept Islam : "And if one of the idolaters seek protection from thee, give him protection till he hears the word of Allah, then

# JIHAD - ITS MEANING AND SIGNIFICANCE - II

*By*

MOULANA MUHAMMAD ALY

The earliest permission to repel attack is conveyed in words which show that the enemy had already taken up the sword or decided to do so : "Permission to fight is given to those upon whom war is made because they are oppressed and Allah is well able to assist them, those who have been expelled from their homes without a just cause except that they sav Our Lord is Allah. And there has not been Allah's repelling some people by others, there would have been pulled down cloisters and churches and synagouges and mosques in which Allah's name is much remebered ; and Allah will help him who helps His cause" (22 : 39, 40). The very words of this verse show that it is the earliest on the subject of fighting, as it speaks of a permission being given now which evidently had not been up to this time. This permission was given to a people upon whom war was made by their enemies (yuqataluna) ; and it was not a permission to make war with people in general but only with the people who made war on them, and the reason is stated plainly "because they are opressed" and "have been expelled from their homes without a just cause." It was clearly an aggressive war on the part of the enemies of Islam who thus sought to exterminate the Muslims or to compel them to forsake their religion : "And they will not cease fighting with you until they turn yuo back from your religion if they can" (2 : 217). It was a holy war in the truest sense because, as stated further on, if war had not been allowed under these circumstances, there would be no peace on earth, no religious liberty, and all houses for the worship of God would be destroyed. Indeed there could be no holier war than the one which was needed as much for the religious liberty of the Muslims as for that of other people, as much to save the mosques as to save the cloisters and the synagogues and churches. If there had ever been just cause for war in this world, it was for the war that had been permitted to the Muslims. And undoubtedly war with such pure motives was a jihad, a struggle carried on simply with the object that truth may prosper and that freedom of conscience may be maintained.

The second verse giving to the Muslims permission to fight runs

would be a dictator and his tribe would overcome the other tribes and consequently they would be humbler then the ruling tribe and no justice would prevail.

Then the Caliph sent a troop to submit those rebellious tribes to his authority. He gave the leadership to eleven men successively. These strict measures were the cause of the victory of his soldiers. Thus Islam regained its powerful position.

Also he increased the national forces and sent them beyond Arabia to fight for Allah. These forces defeated the great armies of the two well known empires in those remote days-Persia and Rome.

Abu Bakr is the first ruler who set up the human principles of war. He gave orders to his men not to kill the weak, the women and the youngsters. He urged them to secure all people in themselves and their properties. He also forbade them not to pull up any fruitfull tree or slay any animal, to let in peace those who devoted themselves to worshipping and monastries should be avoided.

These orders were given to the leader of the army Othman ben Zeid when he set off to invade Syria.

Although this Caliph was the first man to succeed the Prophet and his rank among the Muslims was incomparable, he was human and humane. He was wealthy but he died poor. He spent all his money for the sake of God. He also paid ransoms for many captives and bought the poor slaves to give them their freedom.

His daughter Aisha the Prophet's wife said that her family did not inherit anything after her father's death because nothing was left to be inherited.

Added to his good characters, he was pious, eloquent and had wide knowledge in the history and language of the Arabs.

He is still remembered to be the first man who collected the Quran after the Prophet because many of the Quran readers were killed in the battle of Yamama that broke out between the Muslims and thos who had doubt in Islam and retrograded to paganism.

This matter was perfectly performed by two men of faith (Zeid and Salem under the controlement of Omar ben Khattab the second Caliph.

The scriptures were kept at the Caliph and then at Omar and when he died the third Caliph Othman took them and wrote copies to be distributed among the regions of the State.

Abu Bakr died at the age of 63 in the 13th year of Higrah, and he was buried beside the Prophet Muhammad. His Caliphate was two years only but during this short period Islam was firmly supported and there was no fear of retrogressives.

When the Prophet and the immigrants who came afterwards settled in Medina, Abu Bakr was his faithful assistant, the Prophet esteemed greatly what Abu Bakr had done in the service of Islam and expressed that Allah would reward him.

The Prophet used to consult his friends in the public matters but Abu Bakr was his private counsellor, so the Arabs who were acquainted with the ways of Romans and Persians in ruling their countries called him a minister.

When the Prophet died he did not leave a will about his successor. He let the matter of succession to be discussed by the wise men. The Ansar held a metting and decided to elect the head of the Khazrag tribe Saad ben Obada to be the Caliph.

When Abu Bakr heard the news he hastened to the meeting and warned those who were present of the probable conflict that might rise between the two tribes of Medina and advised them to elect a notable person among the Qureishians such as Omar ben Khattab or Obeid ben Garrah.

Omar ben Khattab suggested that Abu Bakr was the right man to be the Caliph and remembered that Abu Bakr was the only man whom the Prophet had chosen to say the prayers instead of him and he was his scincere friend and no one could deny all sacrifices done by Abu Bakr and so Muhammad estimated him highly. The presents approbated this suggestion and they elected Abu Bakr a Caliph to the Prophet.

On the second day there was a general assembly in the mosque and all of the people re-elected Abu Bakr for the Caliphate. He then stood and said this spedch :

"O Muslims,

You have elected me a leader and I am not the best of you. If I do good, help me but if I do not, you have to advise me. Truth is honesty, lie is treachery. He who is weak, he is powerful till I give him all his rights and he who is powerful he is weak till I force him to give the weak his rights. Those who give up struggle for the sake of Allah will be humble and miserable. If profaneness spreads among the people, God will struck them by troubles and hardships. Obey me as long as I obey God, but if I don't you will have the right to disobey me. Say your prayers and peace be upon you".

He was bold, strict and fervour about the religion. At the beginning of his reign some tribes shifted to paganism, others refused to pay the due alms which they used to pay to the Prophet before his death. Other tribes had doubt in Islam, after Muhammad and they feared that he who ruled them

doomsday. Idolatory is forbidden and all people had to worship Allah only. He is the sole Creator, the sole powerful and the most merciful God.

As Abu Bakr was the first man who believed in Muhammad's mission, so was Khadija, the Prophet's wife, the first woman. Also Aly, his cousin was the first lad who became Muslim. A little number of the notables of Qureish followed the Prophet.

It is related that the Prophet and some of his followers were standing in the yard of Kaaba and when Abu Bakr cmae towards them the Prophet said : "He who is pleased to see a man whom fire of Hell will not burn has to look at Abu Bakr"

As soon as Abu Bakr became Muslim he abnadoned his metier in commerce to preach Islam and to help Muhammad in his mission. This sincerity in preaching was fruitful and many of the pagan Arabs became Muslims. Abu Bakr spent most of his money in the service of Islam and Muslims. He paid ransoms to liberate war captives and poor slaves who embraced Islam.

When the Muslims were in financial crisis and hardships, the Prophet asked the rich to help the poor. All of them brought some money save Abu Bakr who brought all his capital and when Muhammad asked him what he had left for his family, he said : "Allah and His Prophet." The Prophet refused to take all the sum and took a part of it and gave the rest to Abu Bakr.

The Prophet's migration from Mecca to Madina was an outstanding event in the Islamic history because he found refuge and support at the people of this city who had faith in their new religion whereas he had found enmity in the people of Mecca. Their leaders held a meeting and in the discussion there were three ideas : to put the prophet in jail-to banish him somewhere-to kill him. The last propsal was settled and they chose one one person from each tribe so as his blood was to be scattered among the Arab tribes and Qureish would not be able to fight them all. God saved his Prophet and the plot failed.

Abu Bakr accompanied the Prophet and they set off to a cave called Hiraa where they hid there for some days during which food was brought to them by Abu Bakr's duaghter Asmaa and the news by his son Abdullah. The Qureish pursuers failed in finding the two fugitives. When the route was safe the Prophet and his friend started their journey and set off to Medina where they reached in peace and all the people welcomed them heartily and were hospitable towards them and shared them their lodgings and their fortunes.

*PERSONAGES OF ISLAM :*

## 1– ABU BAKR EL-SIDDIQ

*By*

A. MUHAMMAD AL-ASWAR

History preserves the names of the Caliphs and the followers of the Prophet such as Abu Bakr, Omar, Othman, Aly and others who did their best in the service of Islam. Indeed it is a formidable list that contain such names engraved in the historic and Islamic references. At the top of this eternal list is the name of Abu Bakr El-Siddiq, the sincerest friend of the prophet Muhammad (peace be upon him). Here is a brief summary of his life :

He was born in Mecca, his name was Abdullah ben Othman ben Amer son of Kaab ben Saad ben Tameem. He was known before he came Muslim by the name of Abdel Kaaba. The Prophet named him Abu Bakr and afterwards he was known by the title of El-Siddiq bceause he was the first man who believed in Muhammad's mission.

In his youth he was a fine looking fellow. He was decent, honest and humane. He did not drink wine which was a common drink in his days. He was wise and had knowledge of the history of the Arabs and their forefathers.

In his early years of youth he practiced commerce and gained a lot of money, about five thousand dinars, such a sum is a considerable wealth in those days.

Abu Bakr made acquaintance with the Prophet Muhammad a year before his mission and since that time they became intimate friends, and this friendship had great effects on the Arabs and on their history and Islam. When the Prophet saw the first revelation and revealed that to his wife she was the first woman who believed him and had faith in his mission and so did Abu Bakr who became the first believer in the Muhammadan mission which was not only for the pagan Arabs but also for all the people all over the universe. This mission is summed up, there is no God but Allah (the almighty God) who created perfectly the sky, the earth and every creature who lived on it. He who controls the deeds of everyone and rewards him for his work at the

the doors of progress should remain open forver. The principal basis on which the Islamic Way of lief is founded are mentioned in the following verses of the Holy Quran:

الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هـدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقنـاهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئـك على هـدى من ربهم واولئك هم المفلحون . البقرة « ١ ـ ٥ » .

It means:

"Alif. Lam Mim. This Book, there is no doubt in it, is a guidance to the pious,. Who believe in the unseen and are steadfast in prayer, and of what We have given them expend in alms. And who believe in what is revealed to thee, and what was revealed before thee, and of the Hereafter they are sure. These are guided by their Lord, and these are the prosperous" (2:1-5).

We can clearly understand from these verses the following essential points :

There is no doubt that the Quran is revealed from the Lord of the Worlds as a guidance to the mankind.

This Quran is not such as can be produced by other than God. The belief in the Oneness of God, and the belief in all revelations and the prophets of God, and in the accountability for human actions in the other life are the basic principles of the Quranic code of life.

It is the right path which leads the mankind to the channel of progress and success in this life and the Hereafter.

of building the Islamic way of life, in accordance with the instructions contained in the Quran was entrusted to the Prophet, who was specially sent to set up the pattern of life for the individual, for the society and for the Islamic state to be constructed practically according to the principles of the Quran. Thus the Quran is a complete code of life in the sense that is to be taken along with the Sunna (the Tradition of the Prophet). The Almighty God not only laid down a plan of a building but also appointed an engineer to supervise and direct its construction.

If one notes the above fact he can understand how the Holy Quran presents a complete code of life to the mankind. This understanding will also remove from one's mind a possible confusion when he reads the Quran, and does not find detailed rules and regulations regarding social, cultural, economic and political problems etc. When we study the elements of universality and permanency in the Quran we should note that the Quran is neither a book of abstract ideas and theories which may be studied in a literary form nor is it a book of religious dogmas which may be unravelled in universities or in religious places. One cannot grasp the inspiring spirit of the Quran unless he puts its message into practice.

The Holy Quran is a Book that has been sent down to invite people to start a movement and to lead its followers and direct their activities towards the achievements of its mission. One cannot possibly grasp the truths contained in the Quran by the mere recitation of its verses ; but he has to go to the field of the practical life to understand its real meaning. It was the Quran that urged the Prophet Muhammad (peace be on him) to come out of his seclusion and start the Movement and fight against every kind of falsehood and engage in conflict with the leaders of disbelief. Then it attracted good souls from every home and gathered them under the banner of its leader in order to fight against the upholders of the old system who organised themeslves into gang to oppose them. It is the Quran that inspired a quite and amiable person like Muhammad (peace be on him) to go to the battle field of life, and fight against the rebellious world witohut any consideration of the cosequences.

During this long and bitter struggle between right and wrong, truth and falsehood, which continued for about twenty-three years, the Quran went on guiding the Movement in every phase and at every stage, until it succeeded in establishing the Islamic Way of life in its perfection. The Quran also granted freedom of research to thinkers within due limits so that

We should examine this question closely and decide wether what the Quran says regarding the blasphemous people of Arabia, in that period, is or is not equally true of every period and every place, and whether we can or cannot apply the same arguments with equal force to refute the blasphemy of every time and every place, and whether we can or cannot use everywhere the same arguments that the Quran puts forward for the Oneness of God.

Moreover, there is no religion, no way of life, and no philosophy in the world which expounds, from the beginning to the end, every thing in the abstract without making any reference to particular cases or concrete examples. It is simply impossible to build a pattern of life merely in the abstract, and such a system will always remain merely a theory and will never take a practical shape. Thus there is no reason to dub any universal system or religion as local or temporary, simply because it was addressed to a particular comunity and during a particular period. Moreover, it is neither necessary nor useful to start from the very outset on international lines any ideological movement that is ment to be ultimately international. The right method of beginning this will be to start the movement in the country of its origin and present with full force its theories and fundamentl principles which are to form the basis of the required system of life.

Then the exponents of such a moment should impress its principles on the minds of their own people, and they should first of all put them into practise in their own country and prove their worth by evolving a happy and successful system of life. This will naturally attract other nations, and they come forward to study the movement and start it their own countries. Those who understand the wisdom of this, know : why does the Qpran contain so many local and national elements of the period in which it was revealed, although it is a guidance for the whole of mankind and for all ages.

Another thing that should be noted that the main function of the Holy Quran is to present clearly the intellectual and moral bases of the Islamic way and reinforce them with arguments and appeals to the hearts. As far as the practical side of the building of the Islamic way of life is concerned, it only defines the limits and bounds of every aspect of life without giving detailed rules and regulations.

But Allah appointed His messenger to demonstrate the teaching of the Quran by pttting them into actual practice. The actual work

# MAJALLATU'L AZHAR

**(AL-AZHAR MAGAZINE)**

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

| Dhu'l Qa'dah 1394 | ENGLISH SECTION | DECEMBER 1974 |
|---|---|---|


## THE ELEMENTS OF UNIVERSALITY AND PERMANENCY IN THE TEACHINGS OF THE QURAN


*By*

DR. MOHIADDIN ALWAYE


As a matter of fact, what distinguishes a national system from an international, and a temporary system from a permanent one is the following : A national system aims either to establish its own superiority or its special claim over other nations or presents principles and theories which, cannot be applied to other nations.

On the other hand, an international system grants equal status and equal rights to all human beings and puts forward principles of universal application. Also, the principles of a temporary system become impracticable with the passage of time while the principles of a permanent system are applicable to all times. If one studies the Quran in the light of the above facts, he will come to the conclusion that its teachings are of universal application, and its principles are of a permanent system. Every one knows that the Quran claims to provide guidance for the whole of mankind, but when he reads it, he finds that it is mainly adressed to the Arabs, who lived at the time of its revelation.

Though the Quran addresses other people and mankind in general, it mainly discusses those things which appealed to the taste of the Arabs and were linked with their history, customs and environment. This gives rise to the question : when the Quran was meant for the guidance of the whole of mankind, why does it contain so many local and national elemets of the period in which it was revealed ?



مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة

« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤ ٩٠٥٥٠٦

الجزء العاشر — السنة السادسة والأربعون — ذو الحجة سنة ١٣٩٤هـ — يناير سنة ١٩٧٥م


بسم الله الرحمن الرحيم

# هذا البيت .. وهذه الأمة


للأستاذ عبد الرحيم فودة


في أحب أرض الله الى الله والى خاتم أنبيائه ورسله محمد صلى الله عليه وسلم ، وحول أقدم وأعظم بيوت الله في الأرض . يلتقى الحجاج من كل صوب وحدب . ليتوجوا اتجاههم في كل صلاة الى البيت الحرام بالنظر اليه والطواف به . والسعى بين الصفا والمروة الى جانبه . والوقوف بعرفة قريبا منه . وقضاء المناسك من حوله . ثم « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » .

٢ ـ وهذه المنافع التي أجملها الله في قوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » لا يتسع بيان انسان لتفصيلها والالمام بها . وحسبنا في الاشارة اليها أن نذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الحجاج

والعمار وفد الله ان دعوه أجابهم وان استغفروه غفر لهم » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « هذا البيت دعامة الاسلام • فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله ان قبضه أن يدخله الجنة وان رده رده بأجر وغنيمة » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » •

٣ ـ ومن أجمل ما قيل فى تعليل الطواف بهذا البيت العتيق أنه سنة الله فى الكون الذى نراه ونعيش فيه، فالذرة تطوف فيها الكهارب السالبة حول كهرب موجب ، والأرض تطوف بالشمس وتدور حولها • والشمس بمجموعة الكواكب التى تدور حولها تدور هى الأخرى حول غيرها •• وهذا النظام العام ، يدخل فيه ويتسق معه الطواف ببيت الله الحرام • وهو كذلك مما يفسر به قول الله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » وقوله سبحانه : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « هذا البيت دعامة الاسلام » •

٤ ـ وانما كان هذا البيت بهـذه المثابة الكريمة العظيمة ، لأنه كما يقول الله فيه : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » ، ولأن الله قرن به اليمن والأمن والخير والبركة كما يفهم من قوله : « فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » وقد سماه البيت العتيق أى الكريم القديم ، وأضافه اليه ليحرص المؤمنون على تكريمه وتعظيمه كما يفهم من قوله : « وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود •• » •

٥ ـ وقد رفع ابراهيم واسماعيل قواعد هذا البيت • واستجاب الله دعاءهما فيه وهما يرفعان قواعده ويقولان : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم • ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » •• فقد جعل منهما أمة مسلمة ، وبعث فيها رسولا اليها والى الناس كافة ، وكان فضله عليها واحسانه اليها ، كما يقول جل شأنه : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول

عليكم شهيدا »، وكما يقول سبحانه: « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ...

٦ - فهذه الأمة دعوة ابراهيم ، ورسول الله اليها والى الناس كافة دعوة ابراهيم ، كما يفهم من الواقع التاريخي ، ومن القرآن الكريم حيث يقول الله فيه : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » وكما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم يرد على من سأله عن مبدأ أمره : « أنا دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى عيسى بي ، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام » .

٧ - فليذكر المسلمون ذلك وهم في موسم الحج ، ليعرفوا نعمة الله عليهم بالاسلام ، وقيمتهم في ميزان التاريخ ، ورسالتهم التي تليق بوضعهم بين غيرهم ، فانهم الأمة المختارة ، التي كرمها الله ، وشرفها بالدعوة الى دينه والجهاد في سبيله ، كما يفهم من قوله تعالى في ختام سورة الحج : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » .

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » ؟

**عبد الرحيم فوده**

## دراسات قرآنية :

# الدنيا مزرعة الآخرة

للأستاذ مصطفى محمد الطير

قال الله تعـالى : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » الآية (١٥) من سورة الملك

نقرأ القرآن الكريم فنجد فيه آيات تذم الدنيا ، وتحذر من العمل لها ، ومن الجد فى تحصيل أسباب المتاع فيها ، ومنها قوله تعالى : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينـكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفـار نبـاته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطـاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضـوان وما الحيـاة الدنيا الا متاع الغرور »(١) ونقرأ سـنة النبى صلى الله عليه وسلم ، فنرى فيهـا أحاديث عديدة ، تدعو الى نبذ أسباب الرفاهية فيها ، والابتعاد عن الاستكثار من ألوانها ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « ألهاكم التكاثر » ، يقول ابن آدم : مالى مالى ، وهل لك ، من مالك الا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت » وقوله : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

فاذا قرأنا ذلك قال قائلنـا : لقـد وضعتنا رسالة الاسلام فى موضـع المواجهة لكل أصحاب الملل والنحل ، ولا يمكننـا الانتصـار عليهم الا اذا أعددنا لهم ما نستطيع من قوة ، وللقوة دعامتان : احداهما مادية ، والأخرى روحية .

وتتمثل القوة المـادية فى الجنـود الشجعان ، وفى الحصون والقلاع ، ومختلف الأجهزة الهجومية والدفاعية ، على المسـتوى العـالمى الرفيـع ، فهل

---

(١) الآية : ١٩ من سورة الحديد .

نسطيع تحقيق هذه الدعامة المادية بدون مال ، فاذا قلت كلا قال : وهل يأتى المال الا عن طريق يسار الأمة ووفرة مواردها منه ، حتى يستطاع جمع المال عن طريق الزكاة أو الضرائب المختلفة ، ليجتمع للدولة منه ما تحقق به أسباب المنعة من أعدائها ، والعزة والهيبة بين العالمين ؟ فاذا قلت كلا أجابك متسائلا : هل هذا الذى حصلت به العزة والمنعة جاء الا عن طريق العمل للدنيا ؟ ثم قال : ألم يخلقنا الله لنعيش الى نهاية آجالنا ، ونربى أولادنا ، وننفق فيما أوجبه علينا من الزكاة والحج والجهاد ، فاذا قلت بلى قال : فلماذا حذرنا القرآن والسنة من العمل للدنيا ، مع أن العمل لها من ضرورات الدفاع عن الدين والوطن ، كما أنه من ضرورات الحياة ، وتحقيق ما فرضه الله من الفرائض المالية •

والجواب أن تحذير الكتاب والسنة قائم على الاهتمام بالجانب الدنيوى ، واهمال الجانب الأخروى ، فاذا عملت لدنياك من أجل دينك ووطنك ونفسك وأسرتك ، ولم يؤثر ذلك على أخلاقك وعقيدتك وعملك للدار الاخرة ، فان عملك للدنيا يصبح واجبا شرعيا ، فان من القواعد الأصولية أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب •

ومن أجل ذلك جاء الحض على الاشتغال بها ، قال تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين » (١) وقال سبحانه : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٢) وقال : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » (٣) الى غير ذلك من الآيات •

وقال صلى الله عليه وسلم : «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » وقال : « نعم المطية الدنيا ، فارتحلوها تبلغكم الآخرة »

---

(١) الآية — ٧٧ — من سورة القصص •
(٢) الآية — ١٠ — من سورة الجمعة •
(٣) الآية — ١٥ — من سورة الملك •

وقال : كما جاء فى سنن البيهقى : « اعمـل عمـل امرىء يظن أنه لن يمـوت أبدا ، واحذر حـذر امرىء يخشى أن يموت غدا » .

وذم رجل الدنيا عند على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال : الدنيـا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها :

ولم يمنع سـلفنا الصـالح ورعهم وتقواهم عن الاشتغال بها ، وأداء حق الله فيما يكسبون منهـا ، حتى أثرى بعضهم ثراء عريضا ، كما سنذكره بعد تحت عنوان ( صـورة مشرقة لبعض الأغنياء ) .

فاذا جاء المـال من سـبيل مشروع كالتجارة والزراعة والصناعة ، وأنفق فى طاعة الله وما أحل من متع الحياة ، فانه يرضى الله تعالى ، فليس على أهل الثراء بأس فى أن يظهروا نعمـة الله عليهم ، ويستمتعوا بها فى قصـورهم المشيدة ، وبساتينهم النضرة المثمرة ، وزينتهـم المباحة ، على أن لا يتكبروا بهذه النعمة على عباده ، ولا يطغوا فى الأرض ، بل يزدادوا بهـا تواضعا واقبالا على الخير : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبـات من الرزق »(١) .

**الكسب النظيف**

على كاسب العيش أن يطلب حلال الرزق ، فانه هو المشروع على لسـان النبيين والمرسلين ، قال تعالى : « يأيها الرسـل كلوا من الطيبـات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم » (٢) .

ومما جاء فى عقـاب الكسب الآثم قوله صلى الله عليه وسلم : « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » ، وقوله : « من لم يبـال من أين اكتسب المال ، لم يبال الله من أين أدخله النار » وبلغ من عقم الحرام وسـوء عاقبتـه ، أن صـاحبه يعـاقب عليه ولو أنفقه فى وجوه الخير ، قال صـلى الله عليـه وسلم : « من أصـاب مالا من مأثم ، فوصل به رحما ، أو تصـدق به ، أو أنفقه فى سبيل الله ، جمـع الله ذلك كله ، ثم قذفه فى النار » .

ولهـذا كان السـلف الصـالح يتورعون عنه وعمـا فيه شـبهة ، فان علموا بعد الأكل أن ما أكلوه من اثم ، تخلصـوا منـه ، روى البخارى عن

---

(١) الآية ــ ٣٢ ــ من سورة الأعراف .
(٢) المؤمنون : ٥١

عائشة قالت : « كان لأبى غلام يخرج الخـراج ـ أى يتكسـب له ـ وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر ، فقال لـه الغلام : أتدرى ماهذا ؟ قال : وما هو؟ قال : تكهنت لانسان فأعطانى : فأدخل أصبعه فى فيه وجعـل يقيء ، حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم قال : اللهم انى أعتذر اليك ممـا حملت العروق وخالط الأمعـاء » والتكهن : التحدث بالغيب ، وأجره حرام ، وما كان على أبى بـكر اثم فى أكلـه دون علـم ، ولكنه فعـل ما فعـل ورعا وكراهة للحرام •

## مصادر الكسب المشروعة وغيرها

مصادر الكسب المشروعة : التجارة والزراعة والصـناعة ، والاسـتخدام والميراث والهبـة والهـدية ، على أن لا يخالط هذه المصـادر ما يلوثها من المآثم ، وما عدا ذلك يعتبر مصدرا غير مشروع •

ومن الناس من يستحل الرشوة ـ وهى ما يعطى بقصـد الحصـول على منفعة دنيـوية ممن يأخذها ـ وأولئك المستحلون لها يزعمون أنهـا هدية ، وبالغ بعض آكليهـا فجعـلوها شرطا لقضاء المصالح ، فليعـلم هؤلاء أنهـم ما يأكلون فى بطونهم الا النار ، سواء أخذوها بشرط أم بدونه ، فانها سحت والسحت حرام ، قال صلى الله عليـه وسـلم : « يأتى عـلى النـاس زمان يستحل فيه السحت بالهدية » وروى أبو حميـد الساعدى أن رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم بعث واليا على صدقات الأزد ، فلما جاء الى رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم ، أمسك بعض ما معه وقال : هذا لكم وهذا لى هدية ، فقال عليه الصلاة والسـلام : ألا جلست فى بيت أبيـك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صـادقا ، ثم قال : مالى أسـتعمل الرجل منـكم فيقول : هذا لكم وهذا لى هدية ، ألا جلس فى بيت أمه ليهدى له ؟ والذى نفسى بيده : لا يأخذ منكم أحد شـيئا بغير حقـه ، الا أتى الله يحمله ، فلا يأتين أحدكم ببعير له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قال : اللهم هل بلغت » وسـئل ابن مسـعود عن السحت فقال : يقضى الرجل الحاجة فتهدى له الهدية •

وشفع مسروق شفاعة فأهـدى اليه المشـفوع له جارية ، فغضب وردها ، وقال : لو علمت مافى قلبك لما تكلمت

فى حاجتك ،ولا أتكلم فيما بقى منها : وأهدت امرأة أبى عبيدة بن الجراح الى خاتون ملكة الروم خلوقا – أى طيبا – فكافأتها بجوهر ، فأخذه عمر وباعه وأعطاها ثمن خلوقها ، ورد باقيه الى بيت المال •

فليعتبر بذلك من يعوق مصالح الناس ليحصل على الرشوة ، وليعلم أنه على شفا جرف هار •

### فضل الكسب والحث عليه

قد علمت مما سلف أن الدنيا مزرعة الآخرة ، واعلم ان الناس ثلاثة أصناف : صنف شغله معاشه عن معاده ،فهو هالك ، وصنف شغله معاده عن معاشه فهو فائز ، ولكنه مقصر لتركه فضيلة السعى فى طلب الرزق بالكسب الشريف ، وصنف معتدل – وهو من شغله معاده ومعاشه فعمل لكليهما ، وهو الذى ينبغى للمؤمن ، فقد قال تعالى مادحا له : « وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله » وقال صلى الله عليه وسلم يحض على طلب الرزق : « من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا السهم فى طلب المعيشة » وقال يحض على التجارة والصدق فيها : « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء » وقال يحض على الصناعة والنصح فيها : « أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع اذا نصح » وقال يحض على التجارة : « عليكم بالتجارة فان فيها تسعة أعشار الرزق » وقال : « الأسواق موائد الله تعالى ، فمن أتاها أصاب منها » وقال يبغض فى السؤال: « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحطب على ظهره ، خير من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله ، أعطاه أو منعه » وقال : « اليد العليا خير من اليد السفلى » وقال لقمان لابنه : يا بنى : استغن بالكسب الحلال عن الفقر ، فانه ما افتقر أحد قط ، الا أصابته رقة فى دينه ، وضعف فى عقله ، وذهاب مروءته ، واستخفاف الناس به •

وقال عمر : لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة : وكان زيد بن أسلم يغرس فى أرضه ، فقال له عمر : أصبت : استغن عن الناس يكن أصون لدينك ، وأكرم لك عليهم •

وسئل ابراهيم بن أدهم عن التاجر الصدوق : أهو أحب اليك أم المتفرغ للعبادة ، فقال : التاجر الصدوق أحب

الى لأنه في جهاد ، يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الأخذ والعطاء .

وبالجملة : ينبغي لكل مسلم أن يتخذ له مهنة شريفة يتعيش منها ، فانها تحفظ الكرامة ، وتعين على الطاعة ، وتبعث على الطمأنينة والرضا ، وتساعد على رفع مستوى الأمة ، قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله يحب العبد يتخذ المهنة ، ليستغنى بها عن الناس » ويعجبنى ما قاله أبو سليمان الدارانى : ليست العبادة أن تصف قدميك ، وغيرك يقوت لك ، ولكن ابدأ برغيفك فأحرزهما ثم تعبد .

## مصارف المال المشروعة

المصارف المشروعة للمال ثلاثة :

( ١ ) الأول: أن ينفقه على نفسه في عبادة كالحج والجهاد ، أو فيما يقويه عليها كالمطعم والملبس والمسكن والزواج ونحوها وهو يثاب على ما ينفقه في ذلك في حدود ما يعينه على دينه ، أما ما زاد على ذلك فهو من حظوظ الدنيا ، فلا يثاب عليه ، لكنه مباح ، ما لم يصرفه عن الله تعالى أو يطغيه على عباده .

( ٢ ) الثانى: أن يصرفه في جهات خيرية عامة ، كالمساجد والقناطر والمستشفيات والمدارس ، والمساعدة في تسليح الجيش ، أو يشترى به عقارا يقفه على المبرات ، والصرف في هذا السبيل دائم النفع لصاحبه ، ما دام يؤدى الغرض الذى أنفق من أجله ، لما فيه من نفع العباد المستمر .

( ٣ ) الثالث: أن يصرفه بين الناس صدقة أو مروءة أو وقاية للعرض أو أجرة لعامل ، والكل يؤجر عليه .

أما الصدقة فعلى الفقراء والمساكين ، وهى تطفىء غضب الرب ، وتجعل صاحبها يوم القيامة في ظلها حتى يقضى الله بين عباده ، كما جاء في السنة .

وأما المروءة فتكون على المياسير والأشراف ، في ضيافة أو هدية أو اعانة أو نحوها ، وهذه لا تسمى صدقة ، لأنها لغير فقير ومسكين ، ويثاب المنفق عليها ، لأن بها يكتسب العبد اصطناع المعروف وصفة الكرم ، واحراز الاخوان والأصدقاء ، وهذا مما يعظم الثواب فيه ، وقد وردت أحاديث كثيرة في الهدية والضيافة واطعام الطعام ، من غير اشتراط الفقر في مصارفها ، على أن يقصد بها وجه الله تعالى .

وأما وقاية العرض ففى صرفه لقطع ألسنة المغتابين والسفهاء ودفع شرهم ، ومنع هجو الشعراء .

وهذا غرض دينى يثاب عليه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « ما وقى المؤمن به عرضه فهو له صدقة » كيف لا وكف المغتاب عن الغيبة ، ومنع العداوة المترتبة على الغيبة صدقة .

وأما دفعه للعامل ففى نظير عمله فى متجرك أو مصنعك ، أو مزرعتك أو منزلك أو غير ذلك ، ولاشك أنك تثاب على هذا ، لأنك هيأت للعامل عملا شريفا يكسب منه عيشه ، كما أنك أرحت به نفسك أو أهلك من بعض المتاعب ، ووفرت بعض الوقت للعبادة أو القراءة أو راحة الجسد والأعصاب ، فان الاجهاد ضار بها ، وكل ذلك من الأغراض الدينية التى يثاب عليها .

**صور مشرفة لمياسير المسلمين**

كان السلف الصالح يقدرون حق الله فى أموالهم ، فكانوا ينفقون بسخاء فى الأغراض العامة ، أو على المحتاجين ، فهذا أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ أسلم وعنده خمسون ألف درهم ، أنفقها كلها فى سبيل الله تعالى ، فكان يشترى الأرقاء المسلمين الذين يعذبهم سادتهم المشركون لاسلامهم ويعتقهم ، وفى غزوة تبوك جاد بماله كله فى تجهيز الجيش ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر » فقال : أبقيت لهم الله ورسوله ــ وهذا عثمان ابن عفان : تبرع لجيش العسرة بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، وخمسين فرسا ، وعشرة آلاف دينار أنفقها على المجاهدين فيها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض » وجاد عمر ابن الخطاب بنصف ماله .

وفى عهد عمر بن الخطاب جاءت قافلة لعثمان بن عفان من الشام ، تبلغ ألف بعير محملة بالقمح والسمن وما يحتاج اليه الناس ، فهرع اليه التجار لشرائها ، فجرى بينه وبينهم الحوار الآتى :

بكم تشترون منى هذه القافلة ، قالوا نعطيك ربحا خمسا فى المائة من ثمنها ، فقال : وجدت من يعطينى أكثر ، فزادوه الى عشرة فى المائة ، فقال : عندى من يعطينى أكثر ، فقالوا : نحن تجار المدينة ، وقد وصلت القافلة الآن ، فمن الذين

يعطونك أكثر ؟ قال : انى وجدت الله يعطينى على الواحد عشرة ، الى سبعمائة ضعف الى ما شاء الله ، أشهدكم أننى بعتها لله ، وجعلتها صدقة على المسلمين ، وتبرع بها للشعب •

وكانت عائشة ــ رضى الله تعالى عنها ــ كثيرة الصدقات ، بعث اليها معاوية بعطائها ــ وقدره مائة وثمانون ألف درهم ،فتصدقت به وليس عندها الا ثوب قديم ، وكانت صائمة ، فقالت لها خادمتها : هلا اشتريت لحما بدرهم ، لتفطرى عليه ، فقالت : لو ذكرتنى لفعلت ــ وكان الدرهم يشترى به لحم يكفيهما فانظروا كيف تذكر المساكين وتنسى نفسها وصيامها •

وكان الامام الليث بن سعد واسع الثراء ، اذ كان دخله السنوى يزيد على سبعين ألف دينار ، وكان يتصدق به كله ، وكن لا يتكلم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكينا •

ومن عجائب كرمه أنه اشترى دارا فى المزاد ، فلما أرسل من يتسلمها وجد بالدار أيتاما وأطفالا صغارا ، فسألوه أن يترك لهم الدار ، فلما أخبر الامام الليث بذلك ، وهبها لهم ومعها ما يصلحهم من المال ، وخرج عبد الله ابن المبارك مع أصحابه الى الحج ، فاجتاز بعض البلاد ، فمات طائر معهم ، فأمر بالقائه على المزبلة ، فخرجت جارية من دار قريبة فأخذت الطائر الميت ، ولفته وأسرعت به الى الدار ، فلما سألها : لم أخذت الميتة ؟ قالت : انها وأخاها فقيران لا يجدان شيئا ولا يعلم بهما أحد ، فأمر ابن المبارك برد الأحمال ، وقال لوكيله كم معك من النفقة ، قال : ألف دينار ، قال : ابق معك عشرين دينارا ، وأعط باقى الألف الى الجارية ، وعد بنا الى مرو ، فهذا أفضل من حجنا فى هذا العام ، ورجع ولم يحج •

وقد تفنن هؤلاء المياسير فى أبواب البر ، فمنهم من كان يقف على تزويج البنات والشبان ، فيتقدم الفتى أو الفتاة الى قيم الوقف ، فيعطيه أو يعطيها ما يفى بحاجة الزواج ، ومنهم من وقف على تعويض الأطباق التى تكسر من الخدم والأطفال ، فيذهب الخادم أو الطفل الذى كسر طبقه الى قيم الوقف ، فيعرض عليه جزءا من الاناء المكسور ، فيعطيه مثله عوضا عنه ،

ويعـــود به الى ذويه ، ويتقى شر العقاب .

وقد وقف صـلاح الدين الأيوبى وقفا لامداد الأمهـات بالحليب اللازم لأطفالهن ، وجعـل فى أحد الأبواب بقلعة دمشق ، ميزابا يسيل منه اللبن الحليب ، وآخر يسيل منه الماء المحلى بالسكر ، فتأتى الأمهات لأخذن ما هن بحاجة اليه منهما ، وغير ذلك كثير :

« لمثل هذا فليعمل العاملون »

**مصطفى محمد الطير**

# علاقة المسلم بأخيه

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، يشير الى صدره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله ، ان الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » . أخرجه الشيخان وغيرهم .

التجسس بالجيم : البحث والتفتيش عن العورات والمعايب لابلاغها الى الغير والتحسس بالحاء البحث عنها لا لقصد ذلك . المنافسة : الرغبة فى الشىء وفى الانفراد به مع المثابرة عليه والجد فى طلبه .

هذا الحديث من جوامع الأحاديث النبوية فى العلاقات الاجتماعية بين المسلمين فقد تضمن طائفة من الوصايا وندب كل مسلم الى أن ينتهجها فى سلوكه مع اخوانه المسلمين ليكون منهم مجتمع متصاف متماسك متعاون آمن على نفسه وحرمه وماله ودمه ، واذا بلغ المسلمون هذا المبلغ فى حياتهم ساروا الى غاياتهم دون تعويق أو تعثر ووصلوا الى ما يتطلعون اليه من المنازل والمقامات .

والحديث وان كان فى جملته واضح المعنى الا أنه يحتاج الى شىء من التفصيل فى بعض مسائله تبين مجمله أو تقيد مطلقه أو تدفع عنه شبهة التناقض مع النصوص الأخرى وأول هذه الوصايا ، التحذير من الظن ، والظن كما عرفه العلماء : اعتقاد غير جازم يقوى أحيانا بالأمارات حتى يبلغ درجة العلم ويضعف بضعفها حتى لا يجاوز نطاق الوهم ، وهذا الاعتقاد يهجم على النفس لوجود

الأمارات دون اختيــار ، ومن هـذا الوجه لا يتوجه اليه النهى لانعـدام الاختيار فيه ، وانما يتوجه النهى الى مسـايرة الظن والرغبـة فى تحقيقه ، فمعنى قـوله : اياكم والظن تجنبـوا تحقيق ظن السوء بالمسـلم ، فان كان هنـاك ما يوحى بحسن الظن بالمسـلم من الامارات فاحملوا الظن على أحسن الوجوه وأحمـدها ، ولا تحملوه على أشنعها وأقبحها وخصـوصا الظن بمن عرف بالصلاح من المسلمين ، أو أسبغ الله عليه جلابيب الستر ، فعن سـعيد بن المسيب قـــال : كتب الى بعض اخوانى : ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك ، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرىء مسـلم شرا وأنت تجد لها فى الخير محمـــلا ، فالظن بالمسـلم سـوءا هو الظن المنهى عنه ، وهو الحرام ، أما ما سواه من الظنون كظن الخير فى الله والظـن فى أمور المعـاش ، وظن السـوء فيمـن عرف بالسـوء فليس كذلك ولا حـرج فيه وهو اما واجب أو مبـاح قال العـلامة القرطبى : أكثر العلماء على أن الظن القبيـح بمن ظاهره الخير لا يجوز . وأنه لا حـرج فى الظن القبيـح بمن ظاهره القبح ، وبما بيناه يندفع ظاهر التناقض بين ما ورد من النصـــوص بالتحـذير من الظـن وما ورد منهـا بالندب اليه ، فقد ورد عن عمر رضى الله عنه أنه قال : احتجزوا من الناس لسوء الظن أى لا تثقوا بكل أحد فانه أسلم لكم ومنه المثل : الحزم سـوء الظـن ، والظن لا يطـابق الواقع فى بعض الأحيـان كالأخبـار الكاذبة فلا ينبغى تصديقه واعتقاده والعمـل به ، وبهذا علل الحديث النهى عنه فقال : ان الظن أكذب الحديث : قال بعض علماء العصر : نهى الله تعالى عن ظن السوء بالمؤمنين لأنه مدعاة الى التحقير والسخرية ، واللمز مدعاة الى ايقاع الضرر بالمظنون به وظن السوء خدش للعرض وهتك للحرمة وقد صان الله عرض المسلم كما صان دمه .

وثانى هـذه الوصـــايا النهى عن التجسس أو التحسس وكلاهمــــا البحث عن أخبار الأفراد أو الجماعات ومعايبهم بقصد اذاعتها واستغلالها فى الأذى والاضرار والتشـهير غالبــا ، وأخطـــر أنواع التجسس البحث والتعـرف عـلى مواطن الضـعف فى الأمة ونقلهـا الى الأعداء ليفيـدوا فى النضال معها ويبلغوا بها ما لا يبلغون مع الجهـــل بهـا والغفلة عنها ، ولا يشتغل بهذا الشأن الا مأجور على أمته

يريد الانتفاع بأجره ولو على حساب أمته وأمنها وكرامتها لا يبالى ما ينالها من أذى أو دمار أو تدمير أو عار، أو حاقد يريد أن يشفى غليله من عدوه بكشف ستره وتمزيق عرضه والنيل من حرماته ، أو فارغ عاطل لا عمل له ولا حساب لوقته يتخذ من ذلك تسلية له ولا يحاسب نفسه على ما يقول أو يفعل » ولا يخشى عقاب الله ولا استهجان الناس والذى ذلك دأبه بليد الحس دنىء النفس ساقط القدر فى موازين الرجال ،والنصوص فى حظر التجسس كثيرة وشديدة ، ومن أقساها فى النهى عنه وتشديد الوعيد عليه قوله صلى الله عليه وسلم: « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عوراته ومن تتبع الله عوراته فضحه الله فى قعر بيته » ، ومن هذه الوصايا النهى عن المنافسة ، والمنافسة كما أسلفنا هى الرغبة فى الشىء وبذل الجهد فيه والاستئثار به ودفع الآخرين عنه » وهى نوعان : نوع لا حرج فيه ولا مؤاخذة عليه بل هو مشروع ومندوب اليه وهى المنافسة ف. الأعمال الصالحة وفى الرغبات حة فى غير اضرار بالمتنافس وقد أمر الله المؤمنين أن يتنافسوا فى منازل الأبرار فى الجنة فقال جل شأنه : « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » ،ونوع منها لا تبيحه الشريعة بل تحاسب عليه ، وهو المنافسة فى الأعمال السيئة والرغبات غير المباحة أو المنافسة فى الرغبات المباحة ولكن مع أذى الآخرين والحاق الأضرار بالمتنافسين أو مع استعمال الأساليب المنحرفة الملتوية للوصول الى الأغراض ، وتلك هى المنافسة غير المشروعة التى عناها الحديث بالنهى حين قال ولا تنافسوا»

ومن الوصايا فى هذا الحديث النهى عن التحاسد بين المسلمين ، فلا يجوز أن يحسد بعضهم بعضا على ما آتاهم الله من فضله ، والحسد : هو تمنى أن تكون نعمة الغير لك بعد أن يسلبها الله منه ، وقد حظر الله الحسد لأنه أنانية جامحة بغيضة ونوع من فساد العقيدة ، فالحاسد يحب أن يستبد بتلك النعمة وكأنه يعترض على ربه فى تقسيم الأرزاق بين خلقه وقد ذم الله حسدة محمد صلى الله عليه وسلم حين اختصه بالنبوة فقال جل شأنه: « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » ، وقال : « أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم

معيشتهم فى الحياة الدنيا » ، وما يزال الحسد موضع جدل بين بعض الباحثين وموضع شك بين الجاهلين الا أنه أصبح من عقائد المسلمين بعد ورود النصوص فيه من الكتاب الكريم والسنة الصحيحة باثباته ووجوده ووجوب التعوذ به ولا عبرة بمن شذ أو يشذ فى ذلك من المسلمين أو غير المسلمين ، وهذا الحديث أحد النصوص الصحيحة فى الاقرار به والنهى عنه ولو لم يكن له وجود ولا حقيقة لما نهى عنه .

ومما أوصى به الاسلام فى هذا الحديث ، النهى عن التباغض والتدابر ، والتباغض والتدابر يرتبط أحدهما بالآخر ارتباطا قويا والتدابر أثر من آثار التباغض ، فالمبغض للشىء لا يقبل عليه بل يتحاماه ويستدبره ويعرض عنه ولا يحب أن يراه ولا أن يسمع عنه ، والمراد بالنهى عن التباغض والتدابر النهى عن الهجر والقطيعة بين المسلمين والنهى عن التعرض لما يوجبهما فالمؤمنون أخوة كما قال تعالى وكما جاء فى الحديث : « كونوا عباد الله اخوانا أى كالاخوان أى كاخوان النسب فى الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة »

وقد أوجب الحديث أن يعمل المسلمون بمقتضى أخوتهم ونهى أن يظلم أحدهم الآخر بأى نوع من أنواع الظلم فلا يسلبه ماله ولا يغصبه حقه ولا يخذله بألا يدفع عنه ظلم الظالمين وكيد الكائدين ، ولا يحقره أى يستصغره ويستذله ويسخر منه لأن بعضهم من بعض وكل منهم قوة للآخر وقد يتحول الحال فيمسى الغنى فقيرا والفقير غنيا .

لا تهين الفقير علك أن
تركع يوما والدهر قد رفعه

وليس أبغض الى الاسلام من احتقار المسلم والزراية به وحسبنا فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ومن خير الوصايا فى هذا الحديث وان لم ترد بصيغة الأمر أو النهى العناية بدخائل النفوس وتطهيرها من أوضار الحقد والحسد والمكر والنفاق والرياء والأنانية وكراهية الخير للناس وذلك هو الأساس الذى توزن به تقوى المسلم ويستحق به جزاءه عند الله العالم بما تجن الضمائر وتخفى الصدور ، وهو عنوان الاسلام الصحيح ، وليس عنوانه ظواهر الأشكال وجمال الصور وكثرة

الأموال وفخامة الهنـدام فليس ذلك من معايير الاسلام ولقد أكد الرسول هذا المعنى فى الحديث بالقول والاشارة فقال : « التقوى ههنا وأشار الى صدره الشريف » وبقى من الحديث الوصاة بحفظ دماء المسـلمين وأعراضـــهم وحرماتهم ، فدم المسلم حرام لا يحل سفكه الا بحق ومال المسلم حرام لا يحل الاعتداء عليه . وكل من اقترف من ذلك شيئا فقد نقض عروة الاسلام وانتهك قوانينه واستحق ما قضى الله فيه من عقوبات فى الدنيا والآخرة ؟

**أبو الوفا المراغى**

من هدى السنة :

# النيابة فى الحج

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

— ٢ —

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : كان الفضل رديف النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاءت امرأة من خثعم ، فجعل الفضل ينظر اليها ، وتنظر اليه ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر ، فقالت : ان فريضة الله أدركت أبى شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال : نعم ، وذلك فى حجة الوداع ، متفق عليه ، ورواه أبو داود ، ومالك فى الموطأ .

**تعريف بالراوى :**

هو عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، أبو العباس المكى ، ثم المدنى ، ثم الطائفى ، ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وصاحبه ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وكان يقال له الحبر والبحر لكثرة علمه ، ودعا له النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل ، وفى رواية « علمه الحكمة » ، ومن ثم انتهت اليه الرياسة فى الفتوى والتفسير ، وكان أكثر الصحابة فتيا ، وأحد المكثرين لرواية الحديث ، روى له ١٦٦٠ حديثا ، وكان عمر رضى الله عنه يستشيره فى المعضلات ويقول : غواص ، وقال مسروق : كنت اذا رأيت ابن عباس قلت : أجمل الناس ، واذا نطق قلت : أفصح الناس ، واذا حدث قلت : أعلم الناس ـ لم يشتغل بالامارة الا قليلا لما ولاه على كرم الله وجهه على البصرة ـ توفى بالطائف سنة ٦٨ هـ عن أحد وسبعين عاما ـ رضى الله عنه وجزاه عن الاسلام خير الجزاء .

**تعريف بالفضل :**

هو الفضل بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمى ، أخو عبد الله ، وأكبر ولد العباس ، وبه كان يكنى ، وكان وسيما جميلا ، وشهد فتح مكة ، وغزوة حنين ، روى له أربعة وعشرون حديثا ، روى عنه أخوه عبد الله ،

وأبو هـريرة ، وكريب ، مات فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة من الهجرة ، رضى الله عنه وأرضاه(١).

**اللغـة :**

«رديف النبى صلى الله عليه وسلم» أى راكبا على الراحلة خلفه عليـه الصلاة والسلام ، قال فى المصباح : الرديف الذى تحمله خلفك على ظهر الدابة ، تقول أردفته اردافا ، وارتدفته فهو رديف وردف أ•هـ •

« خثعم » بفتح الخاء وسكون الثاء اسم قبيلة عربية معروفة •

« جعل الفضل ينظر اليها » أى شرع فى تصويب نظره نحوها •

« يصرف وجه الفضـل الى الشق الآخر » يحول وجهـه الى الجهـة الأخرى التى ليست فيها المرأة ليمنعه من النظر اليها اتقاء للفتنة •

« ان فريضة الله » المراد فريضـة الحج بدليل ما جاء فى رواية أخرى للحديث : « ان فريضة الله على عباده فى الحج » •

« أدركت أبى شيخا كبيرا » أى وجب عليه الحج وهو كبير السن ، بأن أسلم وهو بهذه الصفة •

« لا يثبت على الراحلة » لا يقوى على الاستمساك عليهـا ، ولا يأمن الوقوع •

**البيـان :**

من خصـائص الشريعة المحمـدية التى امتازت بها على غيرها أنهـا عامة خالدة ، فلا تختص بنوع من الأحكام دون نوع ، ولا تقتصر على جنس من الناس انى رسول الله اليكم جميعا » (٢) دون أخرى ، ولا تتعلق ببيئة معينة ، أو زمان محدود •

وانما هى النظام الشامل المحـكم الذى رضيه الله لعباده ، وطلب منهم الاستمساك بهديه الى أن يرث الأرض ومن عليها ، قال تعالى : « قل يأيهـا الناس انى رسول الله اليكم جميعا »(٢) وقال سبحانه : « وما أرسلناك الا كافة للنـاس بشـيرا ونذيرا ولـكن أكثر الناس لايعلمون » (٣) •

---

(١) انظر فى ترجمته خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجى .
(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٥٨
(٣) سورة سبأ آية رقم ٢٨

ويرجع عموم هذه الشريعة وخلودها الى عدة أمور نكتفى منها بذكر أمرين :

الأول : يرتبط بشخصية الرسول الأعظم الذى تلقينا عنه هذه الشريعة ، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه نموذجا فريدا فى طيب العنصر ، ونقاء الجوهر ، والاتصاف بأزكى الصفات وأكرم الخلال ، والطريقة المثلى فى الدعوة الى الله تعالى ، ونشر هدايته ، والاحسان فى معاملة عباده .

وقد تكفلت كتب السيرة المعتمدة والسنة الصحيحة ببيان صفاته عليه الصلاة والسلام وأقواله وأفعاله وتقريراته ، ومنهاجه فى الطعام والشراب والملبس ، ومعاشرة الزوجات والأهل والأصحاب ، ورعايته للمؤمنين ، ونظامه فى القتال ، ومجاهدته للكفار والمنافقين ، وبهذا صارت حياته صلى الله عليه وسلم محفوظة من جميع جوانبها ، واضحة فى شتى صورها ومعالمها ، ويرويها الرواة الثقاة للأمن بعده .

وان من يطالع ما ذكره علماء مصطلح الحديث من مراتب الجرح والتعديل ، وما بذله المحدثون من التحرى والتثبت للتأكد من صحة الخبر - يدرك ادراكا جازما أن أى رسول من رسل الله الكرام لم تظفر حياته بحفظ وعناية بمثل ما ظفرت به حياة سيدنا الرسول الكريم ، عليه وعلى جميع الأنبياء والرسل أتم الصلاة والتسليم .

ولا يخفى أن كل رسول بمنزلة رفيعه من قومه ، واختصه الله تعالى بنوع من الكمال يجعله فى موضع القدوة فيهم ، ولما أراد سبحانه لرسولنا الأكرم أن يكون فى موضع القدوة للبشرية كلها جمع له أنواع الكمالات التى توزعت فى أفراد الرسل السابقين :

فاذا عرف أحد منهم بالكرم والجود فقد كان رسولنا عليه الصلاة والسلام أجود الناس ، وكان يعطى عطاء من لا يخشى فاقة .

عن أنس رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت ، واستبرأ الخبر

على فرس لأبى طلحة عرى والسيف فى عنقه وهو يقول : لن تراعو[١] ، وعنه أيضا رضى الله عنه قال : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا على الاسلام الا أعطاه ، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين ، فرجع الى قومه ، فقال : يا قوم أسلموا ، فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، وان كان الرجل ليسلم ما يريد الا الدنيا ، فما يلبث الا يسيرا حتى يكون الاسلام أحب اليه من الدنيا وما عليها[٢] .

واذا عرف أحد منهم بالقوة والشجاعة فقد كان عليه الصلاة والسلام أشجع الناس ـ كما جاء فى حديث أنس المذكور ـ وقد بلغ من شجاعته صلى الله عليه وسلم أنه كان يحتمى به الشجعان اذا اشتعلت نار الحرب ، وقوى الفزع ، واشتد خطر الأعداء .

فعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : كنا اذا حمى البأس ، واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان أحد أقرب الى العدو منه .

واذا عرف أحد منهم بالتواضع وكراهية الاستعلاء فقد ضرب رسولنا فى ذلك أروع الأمثلة ، فكان يراعى شعور غيره مراعاة فائقة ـ فاذا صافح رجلا عند توديعه لا ينزع منه يده حتى يكون الرجل هو الذى يبدأ بذلك روى أحمد فى مسنده والترمذى والنسائى وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان اذا ودع رجلا أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذى يدع يده .

وكان عليه الصلاة والسلام يجلس على الأرض ، ويأكل عليها ، ويلبى دعوة المملوك ، ويركب الحمار ، ويردف خلفه ، ولا يستنكف من المشى مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يحقق له رغبته ، روى الحاكم فى المستدرك عن أنس رضى الله عنه قال : كان الرسول صلى الله عليه وسلم يردف خلفه ، ويضع طعامه على الأرض ، ويجيب دعوة المملوك ، ويركب الحمار .

وذكر الطبرى فى مختصر السيرة النبوية أنه صلى الله عليه وسلم ركب

---

(١) رواه البخارى وغيره .
(٢) أخرجه مسلم .

حمارا عريا الى قباء وأبو هريرة معه ، فقال : يا أبا هريرة أأحملك ؟ فقال : ما شئت يا رسول الله ، قال : اركب ، فوثب أبو هريرة ليركب فلم يقدر ، فاستمسك برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا معا ، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أبا هريرة أأحملك ؟ فقال : ما شئت يا رسول الله ، فقال : اركب ، فلم يقدر أبو هريرة على ذلك ، فتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ، ثم قال : ياأبا هريرة أأحملك؟ فقال : لا ، والذى بعثك بالحق لا رميتك ثالثا .

وروى النسائى عن أبى أوفى ، والحاكم فى المستدرك عنه ، وعن أبى سعيد رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان لا يأنف أن يمشى مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضى له حاجته .

وهكذا لن تجد فضيلة من الفضائل الا ورسولنا الأعظم قد ارتفع الى سنامها وذروتها ، وبلغ قمتها وغايتها ، من أجل هذا كله جعله المولى سبحانه قدوة عامة ، وأسوة شاملة فى جميع المحامد والمكارم ، فقال جلت حكمته : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »(١) .

الأمر الثانى : يرتبط بالشريعة ذاتها ، فهى تحمل مقومات العموم والخلود لما فيها من مزايا :

منها أنها وافية بجميع حاجات البشر ، فما من حالة للفرد أو للأمة الا وتجد لها حكما فى هذه الشريعة .

ومنها أنها مرنة تتسع لما يجد من الأمور والوقائع ، فما من أمر يعرض ، أو حادثة تنشأ الا ويمكن للأئمة المجتهدين أن يبينوا الحكم فى هذا استنباطا من نصوص الكتاب أو السنة أو تطبيقا للقواعد الشرعية المأخوذة منهما .

ومنها أنها سهلة ميسرة قامت على مبدأ رفع الحرج والمشقة ، ورعاية حال المكلفين ، والترفق بهم ، فليس فيها ما تضيق به النفوس الزاكية ، أو تحس منه عنتا وارهاقا ، قال تعالى: « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »(٢) .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٢١
(٢) سورة البقرة آية رقم ١٨٥

ومن أمارة هذا اليسر أن من كان مريضا يضره الصوم أفطر وقضى ، ومن كان مسافرا سقط عنه شطر الصلاة الرباعية ، ومن تعذر عليه استعمال الماء تيمم وصلى ، ويكون أداء الصلاة على قدر ما منح الشخص من وسع وقوة ، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال لمن يريد الصلاة : ( صل قائما ، فان لم تستطع فقاعدا لا يكلف الله نفسا الا وسعها ) .

ومن أمارة هذا اليسر أيضا مايفيده الحديث الذى هو موضوع المقال فقد بين أن من عجز عن أداء فريضة الحج بنفسه أداها عنه نائبه .

وهكذا لو تتبعت أحكام الشريعة الاسلامية وجدت مظاهر اليسر جلية واضحة ، وجدت أن جميع التكاليف قد روعى فيها التخفيف على العباد ، وحسبنا شاهدا على هذا قوله تعالى : يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » (١) وقوله : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » (٢) وقوله صلى الله عليه وسلم : ( بعثت بالحنيفية السمحة ) (٣) وما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها فى وصفه صلى الله عليه وسلم فقد قالت : ( ما خير رسول الله صلى الله الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما ) ـ وقد فرضت على الذين كانوا قبلنا تشريعات شاقة ، كعدم جواز الصلاة فى غير المسجد ، وعدم الطهارة بالتراب ، وقطع الثوب الذى تصيبه النجاسة ، وقبول التوبة بقتل أنفسهم ، ونحو ذلك ، لكن الله تعالى رحم هذه الأمة المحمدية ، فرفع عنها تلك التشريعات وكان هذا استجابة للدعاء الوارد فى قوله سبحانه : « ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا » (٤) ومن أجل ما اشتمل عليه الاسلام من يسر وتخفيف قال تعالى فى وصف رسوله الكريم : « ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم » (٥) . الحديث موصول

**منشاوى عثمان عبود**

---

(١) سورة النساء آية رقم ٢٨
(٢) سورة الحج آية رقم ٧٨
(٣) رواه الخطيب عن جابر رضى الله عنه .
(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦
(٥) سورة الأعراف آية رقم ١٥٧

في علم السنة :

# الإخراج والتخريج

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

كانت الكتابة للحديث محل خلاف بين السلف حتى ترجح جانب الكتابة للسنة بأمور :

١ - وجود أدلة صريحة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سنية الكتابة . من ذلك حديث أبي شاه اليمني في التماسه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكتب له شيئا سمعه من خطبته عام فتح مكة وقوله صلى الله عليه وسلم : « اكتبوا لأبي شاه » قال ابن الصلاح :

ولعله صلى الله عليه وسلم أذن في الكتابة عنه لمن خشي عليه النسيان ونهى عن الكتابة عنه من وثق بحفظه مخافة الاتكال على الكتاب أو نهى عن كتابة ذلك عنه حين خاف عليهم اختلاط ذلك بصحف القرآن العظيم وأذن في كتابته حين أمن من ذلك . ثم انه زال ذلك الخلاف وأجمع المسلمون على تسويغ ذلك واباحته ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة ومنها - أعني أدلة الكتابة - كتبه صلى الله عليه وسلم للملوك وأصحاب السلطان .

٢ - قسم أهل هذا الفن رضوان الله عليهم أنواع الأخذ وأصول الرواية الى ثمانية أقسام فكان (أولها) السماع (وثانيها) القراءة على الشيخ أو العرض (وثالثها) المناولة وهي أن يدفع الشيخ كتابه الذي رواه أو نسخة منه وأرفع ذلك أن يصححها ، قال القاضي عياض : ( أخبرنا أبو طاهر الأصبهاني مكاتبة قال : حدثني أبو الحسين الطيوري أخبرنا أبو الحسن الفالي أخبرنا ابن خربان أخبرنا ابن خلاد وعن أبي جعفر بن بهلول عن اسماعيل بن اسحق وسمعت اسماعيل ابن أبي أويس : سألت مالكا عن أصح السماع فقال : قراءتك على العالم - أو المحدث ثم قراءة المحدث عليك ثم أن يدفع اليك كتابه فيقول اروعني هذا ( ورابعها ) الكتابة ، وهي أن

يسأل الطالب الشيخ أن يكتب له شيئا من حديثه • قال شعبة : ( كتب الى منصور بحديث ثم لقيته بعد ذلك ثم سألته عن ذلك الحديث وفى غير هذا الطريق فقلت : أقول : حدثنى فقال : أليس قد حدثتك ؟ اذا كتبت اليك فقد حدثتك قال شعبة : فسألت أيوب عن ذلك فقال : صدق اذا كتب اليك فقد حدثك بها • ( وخامسها ) الاجازة اما مشافهة أو اذنا • قال ابن وهب : كنت عند مالك بن أنس فجاءه رجل يحمل الموطأ فى كسائه فقال له: يا أبا عبد الله هذا موطؤك قد كتبته وقابلته فأجزه لى قال : قد فعلت • قال : فكيف أقول حدثنا مالك أو أخبرنا مالك ؟ قال : قل أيهما شئت • الى آخر الثمانية •

٣ ـ ممن أجاز الكتابة وفعله بنفسه على بن أبى طالب وابنه الحسن وأنس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو فى جمع آخرين من الصحابة والتابعين وعندما كتب ابن شهاب الزهرى جامعه بأمر عمر بن عبد العزيز أو عندما كتب ما كتبه عبد الله ابن المبارك أو ما تم بعد ذلك من أعمال تعاظم الدهر شأنها وتكاثر الزمان خطرها وعظمتها كموطأ مالك وصحيح البخارى وما تبعهما من صحاح وجوامع ومسانيد كان ذلك ضرورة اقتضتها دواعى حفظ السنة وصيانتها •

فكان صنيع هؤلاء الأئمة من أصحاب الدواوين يسمى اخراجا • فاذا قلنا عن حديث رواه البخارى : أخرجه البخارى كان التعبير أخص من كلمة رواه اذ بين الكلمتين عموم وخصوص فالرواية باطلاقها تشمل ما رواه فى الصحيح وما روى عنه من غيره وما كان فى كتبه الأخرى ، أما الاخراج فهو مجازى الأداء كأنه يحمل حقيبة فيها أحاديث فيضع يده فيها ليخرج منها ويختار ، ثم يطرح ذلك فى وعاء آخر ، فكأنه أتى على جميع مروياته فأخرج منها ما يريد قيده فى جامعه الصحيح فهو اخراج •

جاء قوم الى أحمد بن المقدام العجلى يسألونه اجازة كتاب قد حدث به فأملى عليهم :

كتابى اليكم فافهموه فانه
رسول اليكم والكتاب رسول
وهذا سماعى من رجال لقيتهم
لهم ورع فى فهمهم وعقول
فان شئتم فارووه عنى فانما
تقولون ما قد قلته وأقول

أما التخريج فقد كان عند الأوائل من أصحاب هذا الشأن يعنى تخريج الساقط من الناسخ وكتبه على الهامش بعد أن يخط خطا من موضع سقوطه من السطر خطا صاعدا الى فوق ثم يعطفه بين السطرين الى جهة الحاشية التى فيها اللحق ويبدأ فى الحاشية بكتبه اللحق مقابلا للخط المنعطف ، وليكن ذلك فى حاشية اليمين • وان كانت تلى وسط الورقة ان اتسعت له فليكتبه صاعدا الى أعلا الورقة لا نازلا بها الى أسفل قال ابن الصلاح :.

« واذا كتب الأول صاعدا فما يجد بعد ذلك من نقص يجد ما يقابله من الحاشية فارغا له وقلنا أيضا يخرجه فى جهة اليمين لأنه لو خرجه الى جهة الشمال فربما ظهر بعده فى السطر نفسه نقص آخر فان خرجه قدامه الى جهة الشمال أيضا وقع بين التخريجين اشكال ، وان خرج الثانى الى جهة اليمين التقت عطفة تخريج جهة الشمال وعطفة تخريج جهة اليمين أو تقابلتا فأشبه ذلك الضرب على ما بينهما ، وفى هذا يقول العراقى فى ألفيته :

وخرجن للسقط من حيث سقط
منعطفا له وقيل : صل بخط
وبعد اكتب صح أو زد رجعا
أو كرر الكلمة لم تسقط معا
وفيه لبس ولغير الأصل
خرج بوسط كلمة المحل
ولعياض لا تخرج ضبب
او صححن لخوف لبس وأبى

وقال غيره :

خير ما يقتنى اللبيب كتابا
محكم النقل متقن التقييد
خطه عارف نبيل وعاناه
فصح التبييض بالتسويد
لم يخنه اتقان نقط وشكل
لا ولا عابه لحاق المزيد
وكأن التخريج فى طريقه
طرر صفقت ببيض الخدود
فيناجيك شخصه من قريب
ويناديك نصه من بعيد
فاعجمنه تجده خير جليس
واختبره تجده أنس المريد

ثم يأتى بعد هذا التخريج بمعنى تقصى لفظ الحديث فى مظانه ومواطنه حتى يعرف من أخرجه من أصحاب الدواوين فالهيئة الموصلة الى هذه النتيجة والأسلوب أو المنهج الذى يسير عليه من يريد عزو الحديث الى راويه يسمى تخريجا •

فاذا أراد الباحث حديثا من حيث عزوه نظر الى ديوانه والى فحوى الحديث ونصه ثم بحث فى الكتب المدونة تحت التراجم المتضمنة بعض ما يحمل الحديث من معنى أو أحكام فاذا كان يعرف اسم الصحابى الذى رواه رجع الى مسند الصحابى فى مسند أحمد فيضيف بذلك أفقا جديدا الى ما توفر عليه من بحث المجامع والسنن •

وهناك كتب فى الدلالة يستعملها الباحث للتقريب والتيسير مثل مفتاح كنوز السنة لفنسنك الذى ترجمه المرحوم محمد فؤاد عبد الباقى الا أنه أشبه بدفتر التليفونات يقوم على الأرقام التى فى الطبعات المصنوع منها هذا المفتاح فلا تصلح لطبعات أخرى لاختلاف مواضع الحديث فمسند أحمد مثلا فى شكله فى الفتح الربانى ليس هو مسند أحمد فى صورته الهندية وكلتا النسختين تختلفان عن النسخة غير الكاملة للمرحوم الشيخ أحمد شاكر •

وهناك المعجم المفهرس للحديث وهو يتناول أحاديث الكتب التسعة الصحيحين والسنن الأربع وموطأ مالك ومسند أحمد وسنن الدارمى ، فاذا وجدت اللفظ فى حرفه مرموزا عليه برمز ديوانه رجعت الى ذلك الديوان لاستيعاب متنه وسنده الا أن هذا المعجم فيه سقط كثير وأول ما استعملته فى حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه « لو كنت أعلم أنك تسمعنى لحبرته لك تحبيرا » لم أجد هذا النص مع روايته فى البخارى وسنن النسائى ومسند أحمد • نعم لم أجده فى علم ولا سمع ولا خبر وأسوق هذا على سبيل المثال لفخامة التعبير •

وفى القرن الثانى عشر الهجرى صنف الشيخ عبد الغنى النابلسى كتابه ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث وهو فضلا عما وقع فيه من بعض الأخطاء فانه غير منظم مما يؤود الباحث العثور على بغيته •

على أن هناك بعض الطبعات الحديثة لكتب السنة وهى على قلتها الا أنها باكورة حسنة لعمل متكامل يريح الدارسين مثل صنيع المرحوم محمد

فؤاد عبد الباقى لعمل فهارس أبجدية للحديث ومثل تخريج أحاديث النهاية لابن الأثير لنا نسأل الله العون على اخراجه .

أما اذا أراد الباحث التخريج مع بيان العلل القادحة أو درجة الحديث من العلو والنزول والحفظ والشذوذ والنكارة والمعرفة والفرد المطلق والمتابع والشاهد فان هذه هى وظيفة المحققين ينبغى أن يجتمع لصاحبها من آلات العون كعلم الرجال وتراجمهم والاحاطة بالمتابعات والشواهد والاطلاع على كلام الحفاظ المتقنين من أهل هذا الشأن والاطلاع على كتب العلل وأدلة الأحكام وما فى المتون من المؤتلف والمختلف ثم يشد بعد ذلك يديه ولا حرج ؟

**محمد نجيب المطيعى**

# تربية المراهق فى المدرسة الإسلامية (٢)

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

من دراسة خصائص مرحلة المراهقة الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية ومن التعرف على أسباب مشكلات المراهق الانفعالية نصبح على بينة من الطابع العام لميوله وغرائزه ودوافع سلوكه الأمر الذى يشكل مدخلا علميا لاختيار أسلوب التربية المناسب الذى يعاون المراهق ويعاون والديه والقائمين على تربيته على عبور تلك المرحلة الحرجة بسلام ، ولقد أوصى عتبة ابن أبى سفيان مؤدب ولده فقال : «كن لهم كالطبيب الرفيق الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء» .

فكيف نعامل المراهق الذى يتميز – بحكم طبيعة المرحلة – بالرغبة فى تأكيد ذاته وبالرغبة فى مقاومة السلطة وبحب المناقشة والجدل وبشدة نشاط غرائزه الجنسية الى غير ذلك من الخصائص التى تجعلنا فى النهاية نواجه شخصية مثيرة وغير مستقرة ؟

الواقع أن علماء النفس والتربية يتفقون فى أن المراهق يحتاج فى تربيته سواء فى البيت أو المدرسة الى سياسة واعية رشيدة فيها كل الصبر والرفق والبعد عن العنف بكل صوره وأشكاله لأن العنف سوف يزيد من مقاومة المراهق وعناده ويوقعه فريسة للاضطرابات النفسية التى قد تؤدى الى تقويض بنيانه النفسى كلية .

ولقد عنيت المدرسة الاسلامية بمبدأ التكليف بالوسع قال تعالى : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ، وعنيت أيضا بالرفق أشد العناية فعن السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه » صحيح مسلم .

وعنها أيضا أنه قال : « ان الرفق لا يكون فى شىء الا زانه ، ولا ينزع من شىء الا شانه » صحيح مسلم .

وعنها أيضا رضى الله عنها قالت : جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أتقبلون الصبيان ؟ فما نقبلهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة » ( رواه الشيخان ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يحرم الرفق يحرم الخير » .

من أجل ذلك فالتربية الصحيحة للمراهق تعتمد على الاعتراف بشخصيته الجديدة النامية وعلى مساعدته على تحقيق ما يتمناه لنفسه بأسلوب تربوى رشيد ، أما اذا حيل بينه وبين رغبته فى تحقيق ذاته فسوف يقع فى براثن اليأس والقنوط والحزن والآلام النفسية بسبب ما يلاقيه من احباط وقد ينشأ عن هذا الاحباط انفعالات متضاربة وعواطف جامحة تدفع بعض المراهقين الى التفكير فى الانتحار . والتربية الصحيحة أيضا لا تقابل الثورة بالثورة ، بل تتطلب من الوالدين والمربين أن يخلقوا جوا من الثقة بينهم وبين أولادهم وتلاميذهم وأن يكون رائدهم الترغيب لا الترهيب وألا يوقعوهم فى عقدة القنوط بالتقريع واللوم اذا ما اتفق لأحدهم أن أسرف على نفسه ، وعليهم أن يتبعوا نهج القرآن فى الترغيب والترهيب فيفتحون بذلك للمخطىء باب الأمل والتوبة قال تعالى : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا (١) » وقال تعالى : « كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم (٢) » .

وقد عرفنا أن المراهق ينزع فى هذه المرحلة الى المناقشة والجدل وفى المسائل الدينية بوجه خاص تلك المسائل التى كان من قبل يقبلها عن طريق الانطباع والمحاكاة ، ويتفق ذلك زمنيا مع بلوغه سن التكليف الذى تصبح فيه التكاليف الشرعية

(١) الزمن آية ٥٣
(٢) الأنعام آية ٥٤

واجبا يثاب على أدائها ويحاسب على تركها ، فما هو الطريق الصحيح الذى يتبعه القائم على تربيته ؟

الواقع أن الطريق الصحيح هو الذى يتحاشى الصدام بين ما يطلبه المراهق بطبعه النفسى وبين ما يطلبه الدين ، ولا يتأتى ذلك الا بتربية الضمير الدينى الذى يحقق للمراهق احساسه بذاتيته واستقلاله وشخصيته فيندفع الى أداء واجباته على أكمل وجه معتمدا على قوة ذاتية لا على قوة خارجية .

ولا شك فى أن الايمان الصادق العميق يبنى ضمير المسلمويجعله وثيق الصلة بما يمليه عليه ايمانه لا يشغله عن ذلك شاغل ويصوره لنا الرسول الكريم فىالعبادة بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » .

والمدرسة الاسلامية فىتربية الضمير الدينى لم تجعل نتيجة الخوف أمرا سلبيا وهو النجاة منالعقوبة بل جعلت للخوف فوق النجاة والسلامة جزاءا ايجابيا هو الثواب الجزيل والأجر العظيم وهذا بعض ما يفهم من قول الله تبارك وتعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عنالهوى. فان الجنة هى المأوى » وقوله : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » .

فاذا عود الشاب نفسه من بداية مرحلة احساسه بذاته أن يراقب الله تعالى عند كل عمل يعمله موقنا أن الله تعالى مطلع على جميع أعماله ومعتقدا أنه تعالى يجازى من أطاعه برضوانه واحسانه ،وأنه ينزل غضبه ومقته على من خالفه وعصاه ، اذا عود نفسه على ذلك سهل عليه أن يفعل ما أمره الله به ويجتنب ما نهاه عنه ، فاذا سولت له نفسه أن يأتى معصية ردها وزجرها بعزة الله وجلاله وأنه تعالى قادر على الانتقام منه ومطلع عليه لا تخفى عليه خافية « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شىء عليم » .

فالعربى المسلم الذى كان يقسم غنائم خيبر وعرض اليهود عليه رشوة فقال : « لقد آمنت بربى قبل أن أومن بمحمد ، وبهذا أخزاكم الله ونصرنا عليكم » .

وراعى الغنم حينما عرض عليه أن يبيع واحدة منها وصاحبها لا يراه ، يصيح بصوت ملؤه الايمان : اذا كان صاحبها لا يرانى فأين الله ؟ ..

فالضمير الصافى أو القلب السليم هو النور الذى يهدى الانسان فى مسالك الحياة ويملأ النفس اطمئنانا ورضى ، فاذا ظفرنا بتربيته وايقاظه فى الشباب فقد أقمنا أقوى دعائم التربية الناجحة القويمة لهم . والقرآن الكريم يعبر عن ذلك يقول سبحانه: « يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم » (١) . ويقول صلى الله عليه وسلم : « ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » رواه البخارى.

ومن أفضل الأساليب التربوية التطبيقية فى تربية الضمير هو تعويد المراهق على ممارسة النقد الذاتى وهى عملية يقوم بها مع نفسه يستعرض فيها سلوكه بسيئاته وحسناته ، ثم يقرر بعد ذلك بنفسه ولنفسه مايصلح من حاله وما يتجه به نحو الكمال المنشود .. والنقد الذاتى فضلا عن أثره فى تربية الضمير السليم يفيد فى غرس فضيلة الشجاعة الأدبية فى نفس المراهق ويهيئه نفسيا لتقبل النصح والتوجيه ، ويهيئه أيضا لتقبل العقاب اذا وقع عليه بلا مضاعفات نفسية .

وللعبادات التى فرضها الله سبحانه على المسلمين كثير من الأسرار النفسية والاجتماعية والمقاصد الحيوية التى تستهدف خير الانسان وتربية قلبه السليم .

والصلاة على رأس هذه العبادات ، وهى عماد الدين وهى أقوى رباط بين العبد وربه وقد اقتضت حكمة الله جل وعلا أن يكون فى تكرارها طرفى النهار وزلفا من الليل ما يعمر الوجدان ويزيد القلب خشوعا ، فيطمئن القلب بذكر الله وتسلسل الغرائز الجامحة ، فلا يكاد المؤمن المصلى ينسى ندمه وحياءه من ربه فى الصباح ويرجع الى خطيئة جديدة حتى يأتيه الظهر ثم العصر فالمغرب فالعشاء ، فلا ينام الا وهو نادم على ذنبه أو تائب عنه . قال تعالى : « ان

(١) الشعراء آية ٨٨ ، ٨٩

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ، ولقد نبه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الى تربية الأولاد على أداء الصلاة مع زيادة الاهتمام بها فى بداية سن المراهقة حين قال: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر »

ولما كان من طبيعة المراهق العناد ومقاومة السلطة فلا بد أن يتبع الآباء والمربون أسلوب التشويق والترغيب والايحاء ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يأتى الصحابة بأبنائهم الى المسجد يحضرون مجالس العلم ، عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال النبى لأصحابه يوما : ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وهى مثل المسلم ، فحدثونى ما هى ؟ فوقع الناس فى شجر البادية ووقع فى نفسى أنها النخلة • قال عبد الله فاستحييت • قالوا يارسول الله أخبرنا بها فقال عليه السلام : هى النخلة • قال عبد الله : فحدثت أبى بما وقع فى نفسى فقال : لأن تكون قلتها أحب الى من أن يكون لى حمر النعم • ( رواه البخارى ) •

ومن الأساليب المفيدة فى تعويد النشء على الصلاة أن تشجع المدارس والجماعات الكشفية والرياضية والدينية وأمثالها على أن تدخل الصلاة فى نظامها ونشاطها اليومى ذلك لأن تأثير الايحاء الذى يأتى للشباب من رفاقه ومن نظام فرضه هو على نفسه ، أقوى أثرا من النصيحة والتهديد والوعيد •

والصوم أيضا من العبادات التى تربى ضمير المسلم ، فهو أمر بين العبد وربه لا يقع تحت رقابة الناس ، وفيه تمكين لخلق الأمانة واستحضار للرقابة الالهية وتحقيق لاخلاص النية لله وتعويد على الصبر أمام الشهوات وتمرين على كبح جماح الغريزتين الطاغيتين من البطن والفرج قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (١) ، وعن أبى مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » رواه البخارى •

---

(١) البقرة آية ١٨٣

وحثت المدرسة الاسلامية على تعليم السباحة ، والرماية ، وركوب الخيل، وغير ذلك من ألوان الفتوة الرياضية وشرع السباق فى الجرى، والمصارعة، والنضال بالسهام ، والرماية بالقوس ، والرهان ، والطعن بالرمح والحربة ، وركوب الخيل مسرجة ومعراة ، والسباحة والضرب بالسيف ، ورفع الأثقال والسباق بين الفرسان المتسابقين على الخيل أو الابل واشترك النبى صلوات الله وسلامه عليه فى هذا ، حين تكررت منه مسابقته لزوجته السيدة عائشة ووضع الرسول لهذه المسابقات نظما وتفاصيل ، وعود صحابته أن يتعلموا التواضع فى ذلك، مع الاستعداد للتحدى حينما لا يجدى التواضع ...

ويمدح الاسلام المؤمن القوى ويعتبره أنفع وأفضل عند الله من الضعيف فيقول الرسول الكريم : المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » ويقول فى حديث آخر : « ان لبدنك عليك حقا » .

وان توجيه اهتمام المراهق نحو تلك التربية البدنية والرياضية يحول فكره وقلبه من التركيز على اشباع الغرائز الى نواح اخرى تستقطب طاقاته فيما يقيه من أضرارها وما يفيده فى بناء قوة الارادة وفضيلة التسامى فيه ، ويفيد أيضا فى شغل أوقات الفراغ التى يصبح المراهق فيها فريسة لنوازع المراهقة ودوافعها البهيمية ، وليس أبلغ فى محاربة الفراغ من قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « فاذا فرغت فانصب » فالله جل شأنه يأمره أن يتبع الجهد بالجهد والعمل بالعمل حتى كأنه لا سبيل الى فراغ .

ثم نتأمل فى قول رسولنا الكريم : «الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم» (١) لنلحظ أنه صلى الله عليه وسلم أوجب على الآباء مراقبة أولادهم مراقبة دقيقة وتأديبهم أحسن الأدب ، ولقد يضيق صدر بعض الآباء من سلوك أبنائهم المراهقين فينهالون عليهم باللوم والتسفيه والتجريح وهذا ما ينهى عنه الدين الذى يأمر الآباء بأن يتقوا الله فى أفلاذ أكبادهم وأن يقوموا على تربيتهم بحسن الأدب والخلق الطيب، والواقع أن الولد فى هذه السن يكون كالجوهرة النقية الخالية من كل نقش وصورة ، فهو قابل لكل ما ينقش فيه

(١) رواه ابن ماجه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

ويغرس قبول العجينة فى يد الخبـاز قال صلوات الله وسلامه عليه : « كل مولود يولد على الفطرة ، وانما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » (متفق عليه من حديث أبى هريرة ) •

وقـد قال بعض الحمكاء : « لاعب ولدك سبعا ، وأدبه سبعا ، وصاحبه سبعا ، ثم اترك حبله على غاربه » وفي ذلك تأكيد لمصاحبة الأب لابنه مصاحبة الصـديق الناصح الأمين فى أخطـر مراحل عمره وهى مرحلة المراهقـة وهو تأكيـد أيضـــا لمعنى : « الزموا أولادكم » فى الحديث الشريف •

وبعد ، فهذا بعض ما فى المدرسة الاسلامية من أساليب تربيـة المراهق مما يملأ قلبه حكمة ونورا وهدى ، ويبنى فيه الضمير السليم وكل دعائم الشخصية الاسلامية السوية ، والآباء والمربون سـوف يسألون عمـا فعلوا لتربية الأبناء كما يفهم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى سائل لكل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » ؟

**محمد جمال الدين محفوظ**

# هل فى القرآن حروف زائدة ؟

للدكتور على العمارى

الزيادة نوعان : زيادة لفائدة ، وزيادة لغير فائدة • أما النوع الثانى فمتفق على خلو القرآن الكريم منه ، وأما النوع الأول فقد اختلفت فيه الآراء قديما وحديثا ، فمن مثبت ومن ناف •

وانى أعرض هنا ما يعطى فكرة واضحة عن آراء العلماء واختلافاتهم ، وتوجيهاتهم •

يرى أكثر النحاة ، من بصريين وكوفيين أن الزيادة واقعة فى القرآن الكريم ويشايعهم فى ذلك كثير من المفسرين •

قالوا : والحروف التى زيدت فى القرآن خمسة عشر حرفا •

١ ـ اذ : ومثلوا بقوله تعالى : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة » وبقوله سبحانه : « واذ قال لقمان لابنه » •

قال ابن هشام فى المغنى بعد أن ذكر معانى ( اذ ) : ( وذكر لاذ معنيان آخران : أحدهما التوكيد ، وذلك بأن تحمل على الزيادة ، قاله أبو عبيدة ، وتبعه ابن قتيبة ، وحملا عليه آيات منها : « واذ قال ربك للملائكة » ، والثانى التحقيق كقد وحملت عليه الآية ، وليس القولان بشىء ، واختار ابن الشجرى أنها تقع زائدة بعد بينا وبينما خاصة ) •

٢ ـ اذا : ومثل له بقوله تعالى : « اذا السماء انشقت » أى انشقت السماء ، كما قال : « اقتربت الساعة » ويبدو أن هذا القول غير مشهور ، بل غير مسلم •

٣ ـ الى : قال ابن هشام فى المغنى فى معانى الى : ( الثامن : التوكيد ، وهى الزائدة • أثبت ذلك الفراء مستدلا بقراءة بعضهم : « أفئدة من الناس تهوى اليهم » ، بفتح الواو •

وخرجت على تضمن تهوى معنى تميل ، أو أن الأصل تهوى بالكسر ، فقلبت الكسرة فتحة والياء ألفا كما يقال فى رضى رضا ، وفى ناصية ناصاة . قاله ابن مالك ، وفيه نظر ، لأن شرط هذه اللغة تحرك الياء فى الأصل ) .

واكتفى الزمخشرى فى كشافه بذكر القراءة ، وتخريجها على تضمين تهوى معنى تنزع ، وتبعه أبو السعود فى تفسيره ، الا أنه زاد أن تهوى يضمن معنى الشوق .

٤ ـ أم : ومثلوا لها بقول الله تعالى : « ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين »(١) والتقدير : أفلا تبصرون أنا خير .

قال ابن هشام : ( الثالث : أن تقع زائدة ، ذكره أبو زيد ، وقال فى قوله تعالى : « أفلا تبصرون أم أنا خير » ان التقدير : أفلا تبصرون أنا خير ، والزيادة ظاهرة فى قول ساعدة ابن جؤية :

يا ليت شعرى ولا منجى من الهرم
أم هل على العيش بعد الشيب من ندم

والمفسرون يجعلون ( أم ) بمعنى ( بل ) على أنها منقطعة ، أو يجعلون ( أنا خير ) واقعة موقع تبصرون كأنه قال : أفلا تبصرون أم تبصرون . من اقامة السبب مقام المسبب وأم حينئذ متصلة .

٥ ـ ان : ومثلوا لها بقوله تعالى : « ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء »(٢) قال ابن هشام : ( وخرج جماعة على ان النافية قوله تعالى : « ان كنا فاعلين » (٣) « قل ان كان للرحمن ولد »(٤) وعلى هذا فالوقف هنا ، وقوله تعالى : « ولقد

---

(١) الزخرف آية ٤٢ ، ٤٣

(٢) الاحقاف آية ٤٦

(٣) من قوله تعالى : « لو أردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين » ٢١ ، ٢٢ الانبياء .

(٤) الزخرف ٤٣ وتمام الآية « فانا اول العابدين » .

مكناهم فيما ان مكناكم فيه ، وقيل : زائدة ، ويؤيد الأول : « مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم ، كانه انما عدل عن ( ما ) لئلا يتكرر فيثقل اللفظ .. وقيل : بل هي في الآية بمعنى قد ، وان من ذلك : « فذكر ان نفعت الذكرى » .

وذكر الزمخشري فيالآية وجهين : أن تكون ( ان ) نافية والمعنى : مكناكم فيما ما مكناكم فيه ، والثاني أن تكون صلة . قال : مثلها فيما أنشده الأخفش :

يرجى المـــرء ما ان لا يـــراه
وتعرض دون أدناه الخطـــوب

وتؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه . والوجه الأول . ولقد جاء عليه غير آية في القرآن : « هم أحسن أثاثا ورئيا » ، « كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا » .

وشرح أبو السعود هـذا الوجه فقال : ( وان نافية أي في الذي أوفى شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الأعمار ، وسائر مبادىء التصرفات كما في قوله تعالى : « ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرية مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم » .

هذا والبيت الذي ذكره الزمخشري لجابر بن رالان الطائي . وقيل لاياس ابن الأرت .

٦ ـ أن ( بفتح الهمزة ) في قوله تعالى : « ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا »(١) وفي قوله سبحانه : « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا »(٢) وقوله عز وجل : « ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا »(٣) وقوله سبحانه : « ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا » (٤) جاء في المغني : ( وزعم الأخفش أنها تزاد في غير ذلك ، وأنها تنصب المضارع كما تجر من والباء الزائدتان الاسم ، وجعل منه : « ومالنا أن لا نتوكل على الله »

---

(١) العنكبوت آية ٣٣
(٢) يوسف آية ٩٦
(٣) البقرة آية ٢٤٦
(٤) ابراهيم آية ١٢

« وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله » • وقال غيره : هي في ذلك مصدرية ، ثم قال : ضمن مالنا معنى ما ينفعنا • وفيه نظر ، لأنه لم يثبت اعمال الجار والمجرور فى المفعول به ، ولأن الأصل أن لا تكون زائدة ، والصواب قول بعضهم : ان الأصل وما لنا فى أن لا نفعل كذا ••• ولا معنى لأن الزائدة غير التوكيد كسائر الزوائد • وقال أبو حيان : وزعم الزمخشرى أنه ينجر مع التوكيد معنى آخر ، فقال فى قوله تعالى : « ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم » دخلت أن فى هذه القصة ، ولم تدخل فى قصة ابراهيم فى قوله تعالى : « ولما أن جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما » تنبيها وتأكيدا على أن الاساءة كانت تعقب المجىء فكانت مؤكدة فى قصة لوط للاتصال واللزوم ، ولا كذلك فى قصة ابراهيم ؟ اذ ليس الجواب فيها كالأول •وقال الشلوبين : لما كانت أن للسبب فى جئت أن أعطى أي للاعطاء ، أفادت هنا أن الاساءة كانت لأجل المجىء وتعقبه ، وكذلك فى قولهم أما والله أن لو فعلت لفعلت أكدت أن ما بعد لو ، وهو السبب فى الجواب •وهذا الذى ذكراه لا يعرفه كبراء النحويين • انتهى •

والذى رأيته فى كلام الزمخشرى فى تفسير سورة العنكبوت ما نصه : ( أن ) صلة أكدت وجود الفعلين مرتبا أحدهما على الآخر فى وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنهما وجدا فى جزء واحد من الزمان ، كأنه قيل : لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث • انتهى •

وليس فى كلامه تعرض للفرق بين القصتين كما نقل عنه ، ولا كلامه مخالف لكلام النحويين ،لاطباقهم على أن الزائد يؤكد معنى ما جىء به لتوكيده ، ولما تفيد وقوع الفعل الثانى عقب الأول ، وترتبه عليه ، فالحرف الزائد يؤكد ذلك • ثم ان قصة الخليل التى فيها « قال سلاما » ليست فى السورة التى فيها ( سىء بهم ) بل فى سورة هود ، وليس فيها ( لما )•

ثم كيف يتخيل أن التحية تقع بعد المجىء ببطء ، وانما يحسن اعتقادنا تأخر الجواب فى سورة العنكبوت ؟ اذ الجواب فيها : قالوا انا مهلكو أهل

هذه القرية . ثم ان التعبير بالاساءة لحن لأن الفعل ثلاثى كما نطق به التنزيل والصواب والمساءة ، وهى عبارة الزمخشرى ) . انتهى كلام ابن هشام فى المغنى

وتعقيب ابن هشام على أبى حيان فيه شىء من العنف ، ذلك أنه يبعد أن ينسب أبو حيان الى الزمخشرى انه قارن بين الآيتين ، ويكون هذا محض اختلاق ، فلعل أبا حيان رأى هذه المقارنة فى كتاب آخر غير تفسير الكشاف . ثم ان أبا حيان لم يقل ان الآية فى قصة ابراهيم والآية فى قصة لوط جاءتا فى سورة واحدة حتى يعترض عليه بأن قصة الخليل فى سورة ( هود ) .

أبا حيان لم يقل ان الآية فى قصة ابراهيم والآية فى قصة لوط جاءتا فى سورة واحدة حتى يعترض عليه بأن قصة الخليل فى سورة ( هود ) .

والذى رأيته المقارنة بين الآيتين فى شأن لوط فى سورتى هود والعنكبوت ذكر مجد الدين الفيروزابادى فى كتابه ( بصائر ذوى التميز ) هذه المقارنة : قال : قوله : ( ولما أن جاءت رسلنا لوطا ) وفى هود ( ولما جاءت ) بغير أن ، لأن لما يقتضى جوابا ، واذا اتصل به (أن ) دل على أن الجواب وقع فى الحال من غير تراخ ، كما فى هذه السورة ( العنكبوت ) ، وهو قوله : ( سىء بهم وضاق بهم ذرعا ) . ومثله فى يوسف : ( فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا ) وفى هود اتصل به كلام بعد كلام الى قوله : ( قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك ) ( فلما طال لم يحسن دخول أن ) (١) .

وكأن ( المجد ) يريد أن يقول ان المساءة وقعت مباشرة عقب المجىء كما تدل عليه آية ( العنكبوت ) ، أما فيما تدل عليه آية هود فان الحديث مع الكلام وطوله أخر وقوع المساءة فى نفسه ، فلما كان لايراد الوقوع فى الحال لم تذكر ( أن ) فى آية هود ، وذكرت فى آية العنكبوت لهذا الغرض .

وهو كلام يقبل على علاته .

أولا : لأن الذى وقع للوط أمر واحد . وهو انما سىء عقب مفاجأتهم له ، أو تأخرت المساءة فلابد أن يكون المراد فى الآيتين واحدا .

ثانيا : لأن آية هود ذكرت لما وشرطها وجوابها قبل أن يحدث كلام

---

(١) جـ ١ ص ٣٦٣

بين الملائكة ولوط : ( ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب ) ثم بعد ذلك ذكر مجىء قومه اليه ، ومحاورته معهم ، وقول الملائكة له : ( انا رسل ربك لن يصلوا اليك ) فهذا الكلام الطويل ذكر بعد أن أخبر الله سبحانه أن لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا .

فهل أراد أبو حيان أن يقارن بين هاتين الآيتين ، أم أراد أن يقارن بين الآية فى شأن لوط كما وردت فى سورة العنكبوت ، والآية فى شأن ابراهيم كما وردت فى سورة هود لكن هذه الآية ليس فيها ( لما ) . بل هى : ( ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام ) . لكن الآية المتعلقة بابراهيم فى سورة العنكبوت فيها ( لما ) . ( ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية ) .

فيبدو أن أبا حيان أراد أن يقارن بين الآيتين فى سورة العنكبوت فسبق قلمه فأكمل آية العنكبوت فى قصة ابراهيم بما جاء فى آية هود . ومثل هذا قد يقع لكبار العلماء .

ولقد يستبعد الانسان أن ينسب عالم كبير كأبى حيان الى الزمخشرى كلاما لم يقله ، وكان يمكن أن ينسبه الى نفسه ، وان كان الذى بين أيدينا فى تفسير الزمخشرى هو ما قاله ابن هشام ، وقد نقل النسفى ـ على عادته ـ كلام الزمخشرى بنصه .

بقى تعبير أبى حيان ( بالاساءة ) بدل ( المساءة ) . والخطب فيها سهل فالاساءة سبب المساءة ، وكان يمكن لابن هشام أن يلتمس لصنيع أبى حيان وجها .

والذى نخلص منه بعد كل هذا الأخذ والرد أن ( أن ) هنا زائدة ، وأنها زائدة للتوكيد ، ولا يكاد يسلم الرأى الذى نسبه أبو حيان للزمخشري والذى ذكره الفيروزابادى .

وقد ذكر الفخر الرازى فى آية يوسف : ( فلما أن جاء البشير ) أن فى ( أن ) قولين : ( الأول ) أنه لا موضع لها من الاعراب ، وقد تذكر تارة كما ههنا ، وقد تحذف كقوله : ( فلما ذهب عن ابراهيم الروع ) . والمذهبان جميعا موجودان فى أشعار العرب . ( والثانى ) قال البصريون :

هى مع ( ما ) فى موضع رفع بالفعل المضمر تقديره : فلما ظهر أن جاء البشير ، أى ظهر مجىء البشير ، فأضمر الرافع •

ويبدو على هذا الرأى الأخير التكلف ، ثم أين حرف ( ما ) هنا ؟

٧ ـ الباء • فى قوله تعالى : ( ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ) (١) ( وهزى اليك بجذع النخلة ) (٢) ( فليمدد بسبب الى السماء (٣) ( ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ) (٤) ( فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ) (٥) ( والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ) (٦) ( والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء (٧) •

وممن ذكروا أن الباء قد تزاد ابن قتيبة ، فى (تأويل مشكل القرآن) قال : والمعنى القاؤها ، وذكر فى التمثيل لزيادتها بعض هذه الآيات ، وأورد كذلك قول الله تعالى : ( تنبت بالدهن ) ، وذكر قول الأعشى :

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا •

وقول ( النابغة الجعدى ) :

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج
نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

ثم ذكر من الآيات أيضا قول الله تعالى : ( تلقون اليهم بالمودة ) (٨) ، وقوله تعالى : ( اقرأ باسم ربك ) (٩) أى اسم ربك •

وكذلك ذكر ابن هشام فى المغنى من معانى ( الباء ) التوكيد ، قال : وهى الزائدة ، وذكر أن زيادتها فى ستة مواضع ، منها فى فاعل كفى نحو :

---

(١) البقرة آية ١٩٥
(٢) مريم آية ٢٥
(٣) الحج آية ١٥
(٤) الحج آية ٢٥
(٥) القلم آية ٥ ـ ٦
(٦) يونس آية ٢٧
(٧) البقرة آية ٢٢٨
(٨) الممتحنة آية ١
(٩) العلق آية ١

( كفى بالله شـــهيدا ) ، ونقـل عن الزجاج قوله : دخلت لتضـمن كفى معنى اكتف . قال ابن هشـام ، وهو من الحسن بمكان ، وهو بذلك يقول بأصالتها .

قال : ممـا تزاد فيه الباء المفعـول نحو : ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، وهزى اليك بجذع النخلة ، فليمـدد بسبب الى الســماء ، ومن يرد فيـه بالحاد ، فطفق مسـحا بالسوق ، أى يمسح الســوق مسـحا ، ويجوز أن يكون صفة أى مسحا واقعا بالسـوق .. وقيل : ضمن تلقوا معنى تفضوا ، ويريد معنى يهم . وهو بذلك يخرج البـاء فى الآيتين : ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، ومن يرد فيه بالحـاد . على أنها أصلية .

قال الشيخ الأمير صـاحب الحاشية عـلى المغنى : ( وسـكت المصنف عن تخريج : وهزى اليك بجذع النخلة ، فليمدد بسبب الى السماء . فأما الثانية فلم أر من تعرض فيها لغير الزيادة ، وأما الأولى فقال فى الكشاف بعد ذكر الزيادة ما معنـاه : يحتمـل أن نزل ( هزى ) منزلة اللازم ، وان كان متعـديا ، ثم عداه بالبـاء كما يعـدى اللازم ، والمعنى : افعلى به الهز ، ولك أن تقول نظيره فى الثانية ، أى ليفعل به المد ) ثم علق مانقله الشارح عن المبرد من أن رطبا مفعول هزى ، وباء بجذع النخلة للاستعانة ، بأنه لا يخفى مافيه من التكلف بتأخير ما فى ضمير الأمر عن جوابه ، واهمـال تسـاقط مع أنه العامل فى بادىء الرأى .

وقد عرض الزمخشرى رأى المبرد ، فقال : ( وعن المبرد جواز انتصابه ـ رطبا بهزى ، وليس بذاك ) .

وعبارة الزمخشرى : ( والبـاء فى بجـذع النخلة صلة للتأكيـد كقـوله تعالى : ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو على معنى افعلى الهز به ) .

ونقل صاحب المغنى عن سيبويه أن الباء فى قوله تعالى : ( بأيكم المفتون ) زائدة .

وقال صـاحب الكشاف : ( والبـاء مزيدة أو المفتون مصـــدر كالمعقـول والمجلود أى بأيكم الجنون ، أو بأى الفريقين منكم الجنون ) .

وذكـر الفخـر الرازى أن كون البـاء صـلة زائدة هو رأى الأخفش وابن قتيبة وأبى عبيدة .

قال : والفراء طعن فى هذا القول ، وقال : اذا أمكن فيه بيان المعنى الصحيح من دون طرح الباء كان ذلك أولى .

وذكر أن اختيار الفراء والمبرد أن المفتون هنا بمعنى الفتون ،وهو الجنون والمصادر تجىء على المفعول كالمعقود والميسور بمعنى العقد واليسر ، قال : وهذا قول الحسن والضحاك ورواية عطية عن الضحاك .

قال ابن هشام والرابع ( من مواضع زيادة الباء ) الخبر ، وهو ضربان : غير موجب فينقاس نحو : ليس زيد بقائم . ( وما الله بغافل ) (١) ... وموجب فيتوقف على السماع ، وهو قول الأخفش ، ومن تابعه ، وجعلوا منه قوله تعالى : ( جزاء سيئة بمثلها (٢) قال : .والأولى تعليق بمثلها باستقرار محذوف هو الخبر .

وقال الفراء : فى قوله : ( جزاء سيئة بمثلها ) وجهان : الأول : أن يكون التقدير فلهم جزاء السيئة بمثلها . كما قال : ( ففدية من صيام ) أى فعليه . والثانى : أن يعلن الجزاء بالباء فى قوله بمثلها . قال ابن الانبارى : وعلى هذا التقدير الثانى فلابد من عائد الموصول . والتقدير : فجزاء سيئة سيئة منهم بمثلها (١) يتبع

**دكتور على العمارى**

---

(١) ورد كثيرا فى القرآن الكريم . منها فى سورة البقرة آية ٧٤ ، ٨٥ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٩

(٢) يونس الآية ٢٧ : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم » .

# إسلاميات شوقى

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

— ٢ —

وربما كان صاحب حياة محمد قد انفرد وحده بالحكم على شوقى بازدواج الشخصية الذى جعله يبدو وكأنه يذوب غيرة على الاسلام ، يدافع عنه ، ويغضب له ، ويردكيد خصومه وحساده ، فى الوقت الذى كان له من الأحاسيس والوجدانات ما يجعله فى الصف الأول من هؤلاء الذين يعيشون لوجودهم ، ويفكرون فى متعة أنفسهم ، وعاجل لذتهم ، غير مبالين بالتقاليد والأوضاع ، والشرائع والقوانين ، وقد كان لهذا الرأى أن ينطلى على العقول والأفكار ، والأذواق والشعور ، لو لم يكن دفاعه من القوة وسلامة المنطق ، وسداد الاقناع ، بتلك المتانة التى جعلته يأخذ سبيله الى منافذ الأفئدة ، ومسارب الضمائر ، ليتمكن فى النفوس ، ويأوى الى مكامن الاعتقاد الراسخ ، والايمان الصحيح .. وربما كان من الضرورى أن نعلم أن العداوة القديمة للاسلام التى تمتد جذورها من الحروب الصليبية وما قبلها ، ظلت تحاول بشتى الطرق أن تتأكد عند ذويها بالأساليب المتنوعة ، فلم تجد سبيلا تبسط به جناحيها ، وتزرع قدميها ، وتطلق يديها ، أحسن من الاستعمار الذى يضمن لها السيادة والغلبة ، والفوز والانتصار ، وشرعية البقاء فيما تزعم ، ونحن لا نجهل نفوذه المفروض ، ولا جبروته المتسلط ، ولا بطشه المتحكم ، ولا سلطانه الغاشم ، وأنه كان يعمل على اشاعة الجهل والتخلف ، والخلاف والتفرق ، والتحلل من المعايير والأخلاق ، والآداب والمعتقدات ... ولا نجهل ـ كذلك : أنه بذلك كان يوقظ فى نفوس الأحرار الأباة السخط عليه ، والكراهية له ، وهذا السخط ، وتلك الكراهية ، لم تكن وقفا على رجال الدين الذين يحسنون

القيام بمهمة الوعظ والارشاد ، ويستطيعون أن يوجهوا الناس الى الحلال والحرام ، وانما كان هذا قدرا مشاعا بينهم وبين غيرهم من أصحاب الملكات والمواهب ،من الكتاب والمفكرين ، والعلماء والشعراء ، ومن العجيب الغريب أن الاستعمار كان يجعل من أسلحته التى يستعين بها على غزو الضمائر والأفئدة جماعة المبشرين الذين يقومون على المدارس والمستشفيات والنوادى التى اتخذوا منها شباكا لاصطياد الأغرار من المرضى والضعفاء ، فى حين لم يكن للاسلام فى هذا الوقت من الأصوات التى ترتفع باسمه ، والاعلان عنه ، والترغيب فيه ، الا صوت المؤذن للأوقات الخمسة ، الله أكبر الله أكبر ، فلا وعاظ ، ولا منتديات كما هو الحال الآن .. لذلك كان الصراع بين الاستعمار وبين البلاد المغلوبة المغلوبة – فى الشرق الأوسط – على أشده ، وكان يقتضى من هؤلاء المغلوبين الحرص على الأخلاق والدين واللغة ، لأن هذه كلها هى دعائم الحرية والاستقلال وعدم الخضوع للدخيل الواغل ، أو الأجنبى المتسلل ، وهذا هو السر فى أن اسلاميات شوقى كانت تعتمد على هذه الركائز ، وعلى اعتبار أنها لاتكون منفصلة عن الزمان والمكان كان لا بد لها من التاريخ الذى برع فى استخدامه ، والذى كان يفزع اليه ، ويحسن تفسير حوادثه وأشخاصه .. واذا كان رجال الدين فى هذا الوقت قد جاهدوا بالكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ،وكذلك الكتاب والمفكرون ، فان للشعر دويه الخاص ، وأثره البين ، ولا سيما من رجل كصاحبنا الذى نتحدث عنه ، والذى كان له اصغاء لا يشاركه فيه غيره ، وعلى هذا فاننا لا نعنى بالاسلاميات ما كان متصلا بالحلال والحرام ، ولا الواجب والمسنون ، وانما نعنى تلك القضايا التى تجعل من هذا الدين دستورا يطاول به أهله ، ويزهى به أصحابه ، ويعلنون به للدنيا أنهم خير أمة أخرجت للناس ، من حقهم أن يكونوا أسيادا لا عبيدا .

وفى اعتقادى أن الأخلاق لاتنفصل عن الدين ، ولا تستقل دونه بقضايا أو مفاهيم ، وبخاصة تلك التى يقوم السلوك فيها والانطباع على تعاليم السماء ، وهدى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، والاسلام لا يعترف بها الا اذا كانت نابعة منه ، سائرة على

سننه ، مأخوذة من آدابه ، وهو ما ينادى به قوله صلوات الله عليه : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » لذلك رأينا شوقى يردد هذا القول ، ويكثر من اعلانه لذلك المبدأ فى مثل قوله : « على الأخلاق خطوا الملك وابنو » وقوله : «وانما الأمم الأخلاق» وكأنما كان يؤمن ايمانا قويا أن الشعوب لا تكون حاجتها الى التربية الخلقية ، والتهذيب القويم ، والسلوك السليم ، فى وقت من الأوقات أكثر من حاجتها اليها حينما تريد أن تتخلص من الأغلال والقيود ، وتتمرد على الذل والهوان ،والتبعية والسيطرة، وهذا هو ما يؤكد لنا أن قصائده كانت تفيض بهذا اللون من الأدب ، وتزدان بذلك النمط من البيان ، وقد يقول قائل ان هذه هى وظيفة الشعر التى درج عليها ، وعاش رجاله من أجلها ، ولا سيما فى نظر أصحاب مذهب الالتزام الذى ينادى بأن الكاتب أو الشاعر ان لم يساهم فى الاصلاح الاجتماعى ، وتوجيه البيئة التى يعيش فيها الى ما هو الأولى ، لا يجدر به أن تقله أرضها ، ولا أن تظله سماؤها ، فانه هو كان طابعه الذى يميزه ، والذى جعل لشعره هذا الأثر البارز ، الى درجة أن قصائده فى مختلف الأغراض كانت تهتم بالأخلاق ، والدعوة اليها ، والتحلى بها ، بصرف النظر عن الغرض الذى كان الشاعر بصدده ، أو الموضوع الذى تساق لأجله القصيدة .. والذى يلفت النظر الى حد بعيد فى هذا الرجل أنه وهو يتحدث فى الأخلاق أو الاجتماع والعمران أو ما شئت من هذه الأشياء ـ أو الأمور ـ التى هى من صميم التوجيه السديد ،والاصلاح العام ، كان يتقمص روح الأستاذ الكبير الذى يعلم تلاميذه ، أو الأب المحنك الذى يرشد أولاده ، فهو حينما يشعر من الأمة أنها قد استراحت الى ظفرها بالدستور ، وأن مثل هذا الظفر فى ظل الاحتلال نوع من خداع الأغرار ، ليس للعاقل أن يطمئن اليه ، أو ينتهى عنده مطافه ، لا يسعه الا أن يقول ..

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبا
وفاز بالحق من لم يأله طلبا

وما قضت مصر من كل لبانتها
حتى نجر ذيول الغبطة القشبا

في الأمر ما فيه من جد فلا تقفوا
من واقع جزعا ، أو طائر طربا

اذا طلبت عظيما فاصبرن له
أو فاحشدن رماح الحظ والقضبا

ولا تعد صغيرات الأمور له
ان الصغائر ليست للعلا أهبا

تمهدت عقبات غير هينة
تلقى ركاب السرى من مثلها نصبا

وأقبلت عقبات لا يذللها
في موقف الفصل الا الشعب منتخبا

ضموا الجهود وخلوها منكرة
لا تملأوا الشدق من تعريفها عجبا

خلوا الأكاليل للتاريخ ان له
يدا تؤلفها درا ومخشلبا

أمر الرجال اليه لا الى نفر
من بينكم سبق الأنباء والكتبا

أملى عليه الهوى والحقد فاندفعت
يداه ترتجلان الماء واللهبا

اذا رأيت الهوى في أمة حكما
فاحكم هنالك أن العقل قد ذهبا

ولا يبلغ انسان من نفسه هذه المكانة الا وهو ممتلىء يقينا أن له من تجارب حياته ، وسعة أفقه ، أو قوة ادراكه ، وشدة بصره ، ما يساعده على أن يتبوأ من الجيل الذى يعيش فيه هذا المركز الممتاز ، والمنزلة المرموقة .. وهكذا كان شوقي يضع نفسه دون انتظار لأحد من الناس أن يقدمه على غيره ، أو أن يضع في يده زمام سواه ، وربما ارتفع بنفسه في هذا الزعم فوق الزعماء والقادة الذين وكلت اليهم الأمة تصريف شئونها ، والهيمنة على سياستها ، والتحدث باسمها في معضلات الأمور ، كما حدث مع سعد زغلول وقد أراد أن يتفاوض مع الانجليز في مصير السودان وعلاقته بمصر وهو الرجل الداهية الذى لم تنقصه التجارب ، ولم يعوزه المنطق ، ولم يخذله البين ، ولم يتخل عنه العقل والتفكير والكياسة والحكمة ، ولن يستطيع أساطين الرأى أن يضللوه أو يغرروا به .. اذ يقول له :

ويا سعد أنت أمين البلا
د قد امتلأت منك ايمانها

ولن ترتضى أن تقد القنا
ة ويبتر من مصر سودانها

وحجتنا فيهما كالصبا
ح وليس بمعييك تبيانها

فمصر الرياض وسودانها
عيون الرياض وخلجانها

وما هو ماء ولكنه
وريد الحياة وشريانها

تتم مصر ينابيعه
كما تتم العين انسانها

وأهلوه منذ جرى عذبه
عشيرة مصر وجيرانها

وأما الشريك فعلاته
هى الشركات وأقطانها

وأين من « المنش » بحر الغزا
ل وفيض نيانزا وتهتانها

وأين التماسيح من لجة
يموت من البرد حيتانها

ولكن رءوس لأموالهم
يحرك قرنيه شيطانها

ودعوى القوى كدعوى السباع
من الناب والظفر برهانها

واذا كنا نقصد من كلمة أخلاق السلوك الخاص بالفرد ، أو بعبارة أخرى ذلك الأسلوب من الارتباط الذى يصل الانسان بالبيئة التى تضمه، ويجد نفسه بحاجة الى التعامل معها ، أو الامتزاج بها ،والاندماج فيها ، فانه بهذا المعنى قد وفاها حقها من الترغيب والترهيب ، والتأكيد على طلبها ، والأخذ بما تنادى به ، وتدعو اليه ، على اعتبار أنها خلاصة قضايا الدين ومسائله ، وهو الذى يقول وقد عز عليه زوال سلطان المسلمين عن الأندلس •

رسم وقفنا على رسم الوفاء له
نجيش بالدمع والاجلال يثنينا

لفتية لا تنال الأرض أدمعهم
ولا مفارقهم الا مصلينا

لو لم يسودوا بدين فيه منبهة
للناس كانت لهم أخلاقهم دينا

على أن هنالك لونا آخر من الأخلاق لا يقل أهمية عن ذلك اللون الذى يتحلى به الفرد ويجعله وسيلته فى ارتباطه بالبيئة ، وامتزاجه بها •• ذلك هو ما يجب أن يأخذ به المجتمع نفسه به ليكون عنوانا على الحياة المثلى ، والعيش السعيد ، والبلهنية التى تنشدها الشعوب المتقدمة ، التى لا يشكو فيها انسان من انسان ، ولا يضيق بها رجل ذرعا من رجل ، ولا تسود بها الفوضى والجهالة ، ولا الظلم والاضطهاد ، وانما تظللهم ـ جميعا ـ المساواة فى

الحقوق والمعاملة ، والأمن والسلام ، ليشعروا أنهم أكرم مخلوقات الله على الله وعلى الناس ، ومن هذا الطراز قوله للمعلمين :

ربوا على الانصاف فتيان الحمى
تجدوهمو كهف الحقوق كهولا

فهو الذى يبنى الطباع قويمة
وهو الذى يبنى النفوس عدولا

ويقيم منطق كل أعوج منطق
ويريه رأيا فى الأمور أصيلا

واذا المعلم لم يكن عدلا مشى
روح العدالة فى الشباب ضئيلا

واذا المعلم ساء لحظ بصيرة
جاءت على يده البصائر حولا

واذا أتى الارشاد من سبب الهوى
ومن الغرور فسمه التضليلا

واذا أصيب القوم فى أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا

انى لأعذركم وأحسب عبئكم
من بين أعباء الرجال ثقيلا

وجد المساعد غيركم وحرمتمو
فى مصر عون الأمهات جليلا

واذا النساء نشأن فى أمية
وضع الرجال جهالة وخمولا

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحياة وخلفاه ذليلا

فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما
وبحسن تربية الزمان بديلا

ان اليتيم هو الذى تلفى له
أما تخلت ... أو أبا مشغولا

وأنت لا تشك بعض الشك ولا كله فى أن هذا النوع وهذا النوع من الأخلاق من صميم التربية التى تجىء بها الأديان والشرائع ، ويرسل الله سبحانه وتعالى بها الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين ، لأنها تقويم واصلاح ، وتهذيب وارشاد ، وهدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وبهذا النمط البيانى الذى رسمه شوقى لنفسه فى الحديث عن الأخلاق ،والدعوة اليها ، أو الترغيب فى التحلى بها ــ فردية كانت أو اجتماعية ــ قد قاوم الضعف والخذلان ، ونفخ فى روح أمته لتنهض الى التقدم ، وتسعى الى الخلاص من نير الاستعمار الذى كان يقاومه ويكره بقاءه ، وكان هذا الأثر الذى تركه فى هذا الرصيد من شعره فى الأخلاق لا يقل حفزا للهمم ،

وايقاظا للعقول ، وتحريرا للأفكار ، وتوجيهـا للناس الى البر والمعروف ، عن هـذا الأثر الذى تركه كبـــار الرجـــال الذين كانوا يأخـذون على عواتقهم مسئولية الاصلاح الذى كانوا يريدون به أن تحتل أمتهم أو شعوبهم مكانتها تحت الشمس ـ كما يقولون ـ وأنا أتحـدى أى انسـان يدلنى على رجـل دعا الى الثـــورة على الحـكم الاســـتبدادى فى أحلك عهـــوده ، وأشـدها سـطوة وارهابا ، وتعرض بهذه الدعوة للفتك والبطش ، بمثـل تلك الصراحة التى أعلنها هو فى قوله فى قصيدة « توت عنخ آمون » :

زمان الفـــرد يا فرعـون ولى
ودالت دولـــة المتجبرينـــا

وأصبحت الرعـــاة بكل أرض
على حـكم الرعيـــة نازلينـــا

**دكتور ابراهيم على أبو الخشب**

# الأعمى الذي حمل اللواء في معركة القادسية

للأستاذ السيد حسن قرون

عاش ما عاش لا يهتم به أحد ، لا يذكر مع الملأ من قريش ، ولا يذكر مع الشعراء ، ولا يقف في سوق عكاظ مع الخطباء والحكماء ، واذا بحثت عن طفولته لا تجد شيئا يعطيك بيانا عنه ، وكل ما عرف من طفولته أنه سئل : متى ذهبت عينك ؟ قال : ذهبت وأنا صغير ، انه أعمى وأمثاله يولدون ويعيشون ثم يموتون ، لا يحفل الرواة بهم ، ولا يعدونهم ناسا من الناس ، ومتى عرف التاريخ أعمى ليس له من العلم قليل ولا كثير ؟ ولكنه رزق شهرة ليس لها في التاريخ نظير ، وأكبر الظن أنه لم يفكر فيها ، ولم يسع اليها ، وحسبه من دنياه أنه سمع الذكر الحكيم من سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، فأصبح مؤمنا مسلما أضاء الايمان قلبه ، يرى ما لا يراه صناديد قريش وذوو السيادة بينهم ، همه صلاته وتقواه ، وتلقى القرآن غضا من في رسول الله ، وهو دائم التفقه في الدين في بهجة وسعادة وانطلاق ، قد نضا عنه ثوب الجاهلية ، وارتدى رداء الاسلام ، يهتز للهدى ، ويهوى الى مجتمع الرسول أنى كان ، وفي أي زمان ، يلقاه في بيته ، أو في دار الأرقم بن أبي الأرقم أو عند المسجد الحرام يريد منه أن يعلمه مما علمه الله ، ويبصره بشئون دينه ودنياه ، انه ابن أم مكتوم ، أسلم حين كان الاسلام غريبا في مكة ، يقاومه الأقوياء ، ويعذب في سبيله الضعفاء .

وأرق ذات ليلة ، فنفى عنه الكرى فكر لا ينام ، فكر في الوحي وكيف يأتي ؟ وفي القرآن وكيف ينزل ؟ وفي نفسه وكيف يبلغ رضا الله ورضا رسوله؟ وما أن لاح نور الصباح حتى استعد للقاء صاحب الرسالة ، فسعى اليه سعيا حثيثا ، لم يتعثر خطوه ولم

يضل طريقه ، واذا الرسول فى جمع من أشراف قريش لم يسلموا بعد ، فيهم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة ، وعمرو بن هشام ( أبو جهل ) وعمه الوليد بن المغيرة ، والعباس بن عبد المطلب ، وأمية بن خلف • يقول لهم : أليس حسنا أن جئت بكذا وكذا ، فيقولون : (والدماء) ؟ الرسول ينبئهم أنه أتاهم بخير الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، وأنهم ان تبعوه سادوا العرب ، وملكوا العجم ،وهم يتهربون ويسلكون من الكلام واديا غير واديه، وينظر الى عتبة ـ وهو المتحدث بلسان قومه ـ فيراه لبيبا ذا رأى وحلم ، وله منزلة فى قريش، وأنه ان أسلم أسلم معه جم غفير ، وحسن جوار بنى عبد مناف ، وقد يغرى الوليد بن المغيرة بالاسلام فللوليد رأى فى القرآن غير رأى قريش ، ونظرة الرسول الى عتبة فى محلها ـ كما تقول اليوم ـ فقد كان معارضا للدعوة ولكنه كان يعامل الرسول معاملة تتسم بالتقدير ، وكان اذا سمع منه القرآن فزع من وعيده ، وتغير وجهه من تهديده ، وقد يقف من الرسول موقف من يدافع عنه ، والرسول لا يقبل دفاعه ، لأنه يعده من قبيل الغضب للعصبية ، وهو يريده غاضبا للاسلام ، فالرسول هنا يطمع فى اسلامه ، وعتبة له ثقة فى نفسه عجيبة يعتقد أنه بحواره محمدا ، وجداله معه يستطيع أن يصده عن قصده ، ألم يستطع أن يصلح بين قريش وقيس عيلان فى حرب الفجار ؟ وآن له أن يصلح بين محمد وقريش ، فليعرض عليه الملك أو المال أو العلاج ، وهذا هو مداره الذى يدور فيه كلما دعاه الرسول الى الاسلام ، انه ان فعل ذلك جنب قريشا الانقسام ، وجنبها حرب العرب قاطبة وأدى لمحمد خدمة جليلة ، فليكن ملك قريش ، وبذلك ينتهى الخصام ، ولذلك كان رده على الدعوة (والدماء) وفى أثناء ذلك قدم ابن أم مكتوم ، والنقاش محتدم ، وطمع كل فى استمالة صاحبه شديد ، والرغبة فى الظفر ملحة ، كل يريد أن يضم خصمه اليه ، ويجعله فى جانبه ، عتبة والأشراف يريدون أن ينتهى أمر محمد ، ومحمد يريد أن يخرجهم من الظلمات الى النور ،فى وسط تلك المعمعة ، قال ابن أم مكتوم : يارسول الله علمنى مما علمك الله ، والرسول مصغ حينا ، ومتحدث حينا ، والرجل لا يفتأ يقول : يا رسول الله علمنى

مما علمك الله ، فأعرض الرسول عنه ، وتغير وجهه ، وانفض المجلس ، وذهب كل الى وجهته ،وينزل الوحى فيسمع الرسول عتابا ، قرآنا يتلى على مر العصور ، وكر الدهور : « عبس وتولى •أن جاءه الأعمى •وما يدريك لعله يزكى•أو يذكر فتنفعه الذكرى• أما من استغنى • فأنت له تصدى • وما عليك ألا يزكى • وأما من جاءك يسعى • وهو يخشى • فأنت عنه تلهى • كلا انها تذكرة • فمن شاء ذكره • فى صحف مكرمة • مرفوعة مطهرة • بأيدى سفرة •كرام بررة »

والآيات ـ بعتابها ـ اشادة وتكريم لمن سعى ليتفقه فى الدين ، وتهوين وتهجين لمن استغنى عن ذكر الله وغرته دنياه • وما على الرسول الا البلاغ • هكذا وضع الاسلام دستوره القويم ، الانسان بتقواه ، وليس بسلطانه وطغواه ، وصرح بذلك فى آية أخرى فقال : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ومن يومها صار الفقراء أمراء المجالس ، وأئمة الناس ، عليهم قامت دولة الاسلام ، وبهم عزت العقيدة ، وذاق الناس حلاوة العدل والأمان ، ومنهم الصحابى الجليل ابن أم مكتوم •

فمن ابن أم مكتوم ؟ تجيب كتب السيرة والتفسير والتاريخ : انه عبد الله ابن قيس بن زائدة من بنى عامر بن لؤى ، وأمه عاتكة بنت عبد الله من بنى عامر بن مخزوم ، فهو قرشى الأب والأم ، ونسب الى أمه (١) ، والنسب الى الأم عند العرب لا عيب فيه ، وقد افتخر الرسول بأنه ابن العواتك والفواطم ، وبعض القبائل نسبت الى الأم مثل باهلة ورقاش ، وخندف (٢) ، ومن خندف كنانة وتميم وأسد وضبة وقريش ، قال الكميت ابن زيد الأسدى يهجو بنى أمية :

وملوك ( خندف ) أسلمونا للعدا
لله در ملوكنا ما تصنع
كانوا كتاركة بنيها جانبا
سفها وغيرهم تصون وترضع

ومنذ أسلم ابن أم مكتوم حرص على أن يكون متفقها فى دينه ، حافظا لما ينزل من القرآن منجما ، يتلقفه

(١) جدته عند المفسرين .

(٢) بكسر الخاء والدال .

ويتفهمه ، ويعمل به ، فلما اتصلت رسالة السماء بيثرب كان ابن أم مكتوم من أوائل المهاجرين اليها ، فكان هو ومصعب بن عمير يبشران بالاسلام ، ويقرئان الأنصار القرآن : روى ابن اسحاق عن البراء ، قال : كان أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب ابن عمير أخو بنى عبد الدار بن قصى ، فقلنا له : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال : هو مكانه وأصحابه على أثرى • ثم أتانا بعده عمرو بن أم مكتوم الأعمى (١) • فقالوا له : مافعل من وراءك رسول الله وأصحابه ؟ قال : هم أولى على أثرى • ولما هاجر الرسول الى المدينة ، وبنى مسجده كان ابن أم مكتوم أحد المؤذنين ، قالوا كان بلال (٢) يؤذن ويقيم ابن أم مكتوم وربما أذن ابن أم مكتوم وأقام بلال ، وفى رمضان كان أذان ابن أم مكتوم مناط تيسير ، ومدعاة تخفيف ، فيأمر رسول الله بتناول الطعام والشراب الى أن يؤذن ابن أم مكتوم ، فكان بلال يؤذن بليل ويوقظ الناس وكان ابن أم مكتوم يتوخى الفجر فلا يخطئه ، فكان يقول الرسول : كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم • ومع أنه كان يقوم بشئون الأذان والاقامة طلب الى رسول الله أن يعفيه من صلاة الجماعة لعاهته فلم يعفه ، ولما أصدر الرسول أوامره بقتل كلاب المدينة أتاه فقال : يا رسول الله ، ان منزلى شاسع ، وأنا مكفوف البصر ، ولى كلب ، قالوا : فرخص له أياما ثم أمره بقتله • وغاب عن ابن أم مكتوم أن أمر الرسول عام ولا استثناء فى القانون •

وقد كان ابن أم مكتوم يحب الله ورسوله حبا جما ، ولا يتهاون فى شأن من شئونهما ، والحادثة الآتية تدلك على غيرته وحبه لهما • قال الرواة : نزل ابن أم مكتوم على يهودية بالمدينة ـ عمة رجل من الأنصار ـ فكانت ترفقه وتعينه ، وتؤذيه فى الله ورسوله وكثر فحشها، وغمته غما شديدا ، فغضب ، فتناولها فضربها فقتلها ، فرفع الى النبى صلى الله عليه وسلم • فقال ، أما والله

---

(١) اشتهر باسم عبد الله .
(٢) الطبقات لابن سعد .

« رســـــول الله ان كانت لترفقنى ، ولكنهـــا آذتنى فى الله ورسـوله ، فضربتها فقتلتها • فقال رسول الله : أبعدها الله تعالى ، فقد أبطلت دمها •

وأصحاب محمـد لكل عمـــل ، وعمله هو تجلى فى الآذان والاقامة ، وقد أمروا بالجهاد والقتال ،فماموقف ابن أم مكتوم منه ؟ لقـد أكرمه النبى فجعله خليفته على المدينة كلمـا خرج غازيا فى سبيل الله ، استخلفه حين خرج فى غزوة قرقرة الكدر الى بنى سليم وغطفان • وكان يجتمع بالمسلمين ويخطب الى جانب المنبر — يجعل المنبر على يساره — واستخلفه أيضـا حين خـرج فى غزوة بنى سـليم ببحران ناحية القرع ، واستخلفه حين خرج الى غزوة أحـد ، وحين خـــرج الى حمراء الأسد والى الخنـدق والى بنى قريظة ، وفى غزوة بنى لحيان وغزوة الغابة وفى غزوة قـرد ، وفى عمـرة الحديبية •

وكان يكفيه أن يستقبل أصحابه المنتصرين فى كل غزوة فيمتلىء قلبـه سرورا ، ويزداد ايمانا على ايمـان ، ويقبل على رسول الله ليسمع القرآن ، والبشرى بالنعيم والغفران •• حيـاة جميلـة مشرقة بالأمل والعمـــل ، والاستشهاد والانتصار ، لا يمـر يوم الا والمسـلمون فى تكاثر ، ولا تنتهى موقعة الا والمســـلمون فى اسـتعداد لأخرى •

ونزلت آية تفضيل المجاهدين على القاعدين من المؤمنين ، ففزع منها ، وخاف نقص أجره ، وخفـة ميزانه ، وتمنى أن يقبـل عذره ، وروى زيد ابن ثابت قـال (١) : كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغشـيته السـكينة ، فوقعت فخذه على فخذى ،فما وجدت شيئا أثقل من فخذ رسـول الله ، ثم سرى عنه فقـال : أكتـب يا زيد ، فكتبـت فى كتف :ـ « لا يستوى القـــاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله » فقام ابن أم مكتوم — وكان أعمى — لـما سـمع فضيلة المجاهدين ، فقال : يا رسـول الله ، فكيف بمن لا يستطيع الجهاد ؟ فما انقضى كلامه حتى غشيت رسول الله الســـكينة ، فوقعت فخـذه عـلى فخذى ، فوجدت من ثقلها ما وجدت فى المرة الأولى ، ثم سرى عنه • فقال :

---

(١) الكشـاف للزمخشرى •

اقرأ يا زيد ، فقرأت : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين » فقال : أكتب : « غير أولى الضرر » قال زيد : أنزلها الله وحدها ، فكأنى أنظر الى ملحقها عند صدع ( الكتف ) • هدأ ابن أم مكتوم حينئذ ، وطابت نفسه ، وقبل عذره بل شملت الكلمات أو الاستثناء كل من كان به عاهة مثله تعوقه عن حمل السلاح من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها • ونص الآية : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » ولا شك أن هناك بونا بعيدا ، وفرقا كبيرا بين من قعدوا (غير أولى الضرر) وبين من جاهدوا بالنفس والمال ، وان كان من قعدوا قلوبهم وعيونهم معلقة بالمجاهدين فى ميادين القتال ، فان تعرض الوطن للخطر ، والحرمات للانتهاك وجب على الجميع الجهاد •

لقد فاز ابن أم مكتوم بتلك الرخصة ، وضمن الحسنى ، وعلم أن عاهته لم تعقه عن أجر المجاهدين ، ولكنه ترك الرخصة جانبا ، وراح للجهاد مصاحبا ،وحمل اللواء محاربا ، يود أن ينال شرف الجهاد والاستشهاد

قال الرواة : كان يغزو ، فيقول : ادفعوا الى اللواء فانى أعمى لا أستطيع أن أفر ، وأقيمونى بين الصفين ، وفى عهد عمر رضى الله عنه رأيناه فى جيش سعد بن أبى وقاص يواجه الجيوش الكثيفة ، والمعارك العنيفة ، والقتال المرير ،والقادسية من الوقائع الحاسمة فى تاريخ الاسلام ، حشد لها الفرس كل امكاناتهم ، وعبأ لها المسلمون كل مقتضيات النصر من قيادة حكيمة وفرسان وصحابة وقراء وشعراء ووسائل اعلام ، وكان المجاهدون يتبارون فى كل أمر حتى الأذان للصلاة ، وكان الخليفة عمر فى قلق على المسلمين ، وهم شديد ، لا يستأنى فى المدينة أو فى دار الامارة حتى تأتيه أخبارها ، بل كان يؤم الصحراء تلقاء العراق لعله يرى بشيرا بالنصر ، أو حاملا خبر الجيش ، وقد حدث أن قدم (١) البشير يغذ السير ،

---

(١) الطبرى ـ القادسية .

ليخبر الخليفة بالنصر والخليفة يسايره راجلا ويستخبره ، والرجل ماض فى سبيله لا يريد الا أمير المؤمنين ، ولم يدر أنه هو الا حين دخل المدينة ، ورأى الناس يحيونه بالامارة . موقعة تهز عمر ، وتخرجه الى الصحراء مستخبرا لا ريب أنها عظيمة لها ما بعدها ، لقد كان ابن أم مكتوم أحد أبطالها وهو الأعمى الذى لا يبصر عدوه ولاخداعه ولاسلاحه ، ويقول: ( أنس ) (١) ان عبد الله بن زائدة ـ وهو ابن أم مكتوم ـ كان يقاتل يوم القادسية وعليه درع حصينة سابغة ومعه الراية .

هذا الصحابى المجاهد الذى عوتب النبى من أجله ، ووقف القرآن الى جانبه مرتين : مرة فى سورة (عبس) ومرة فى سورة ( النساء ) قال الرواة عنه : انه لم يسمع له بذكر بعد عمر ابن الخطاب ، لكنهم قالوا : انه رجع الى المدينة فمات بها . رضى الله عنه ، فقد كان قدوة للمؤمن الحريص على العلم والايمان والعمل الصالح ؟

**السيد حسن قرون**

---

(١) الطبقات لابن سعد .

# انتقال ملك ما يثبت فيه الشفعة إلى المشفوع عليه في القانون الوضعي

للدكتور إبراهيم دسوقي الشهاوي

تثبت الشفعة - في القانون الوضعي - بانتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بثلاثة شروط :

الشرط الأول : أن يكون انتقال الملك بعقد . فلا شفعة فيما انتقل ملكه الى المشفوع عليه بغير عقد كالميراث .

الشرط الثانى : أن يكون العقد عقد معاوضة فلا شفعة فيما انتقل ملكه الى المشفوع عليه بعقد لا معاوضة فيه ، فلا شفعة فى الصدقة والوصية والهبة ولو كانت الهبة بعوض نقدى حيث يجوز للواهب دون أن يتجرد عن نية التبرع أن يفرض على الموهوب له القيام بالتزام معين كما فى المادة ( ٤٨٦ ) فقرة ثانية مدنى غير أنه اذا كان العوض النقدى كبيرا بحيث يصل الى الحد الذى يجعله مساويا أو مقاربا لقيمة العقار فان العقد يكون فى حقيقته بيعا ، فتجوز الشفعة فى الموهوب وهى مسألة يترك تكييفها للقاضى دون أن يتقيد بالوصف الذى خلعه المتعاقدان على العقد .

الشرط الثالث : أن تكون المعاوضة من بيع فلا شفعة فيما جعل عوضا فى نكاح أو خلع أو صلح عن دم عمد عدوان .

الشرط الرابع : أن يدفع المشفوع عليه للبائع الثمن نقدا فلا شفعة فى المقايضة وهى المبادلة ، فاذا كان لشخص عقار فى ناحية ولآخر عقار فى ناحية أخرى فتبادلا فأخذ كل منهما عقار الآخر على سبيل البيع فلا تثبت الشفعة فى هذه المقايضة ، وان كانت المادة ( ٤٨٥ ) مدنى تقضى بأن يسرى على المقايضة أحكام البيع فانها تجعل ذلك بالقدر الذى تسمح به طبيعة المقايضة . ومن الواضح أن طبيعة المقايضة تأبى الخضوع للشفعة على النحو الذى يحصل بالنسبة للبيع .

لأن الشفعة فى البيع لا أثر لها على حق البائع فى اقتضاء الثمن ، فالبائع يحصل على الثمن سواء من المشترى أم من الشفيع ، بينما لو أجيزت الشفعة فى المقايضة فان صاحب العقار المشفوع فيه لن يحتفظ بالعقار الذى حصل عليه بدلا من عقاره اذ يتعين عليه أن يرد العقار الذى حصل عليه بدلا الى صاحبه ويصبح عقاره هو حقا للشفيع ، ويأخذ من الشفيع قيمته نقودا فلو جوزنا الشفعة فى المقايضة لأدخلنا الضرر على المشفوع عليه وضاع منه عقاره الذى قد لا يكون عنده غيره وليس مستغنيا عنه ، بخلاف الشفعة فى البيع فانها تكون فى مبيع قصد صاحبه بيعه لاحتياجه الى ثمنه فلا ضرر يلحقه ببيعه لأنه سيحصل على الثمن من المشترى أو من الشفيع •

واذا كان التصرف فى العقار فى نظير مقابل بعضه من النقود والبعض الآخر ليس من النقود فان العبرة فى تكييف العقد تكون بحسب الغرض العملى الذى قصد اليه المتعاقدان • فاذا تبين من ظروف المتعاقد أن المقابل غير النقدى هو المقصود من العقد اعتبر العقد مقايضة فلا تجوز الشفعة فيه ، وغالبا ما ينبىء العنصر الغالب فى المقابل عن القصد • فان كان الجزء الأكبر من المقابل نقودا أمكن اعتبار العقد بيعا ، وان كان الجزء الأكبر من المقابل عقارا اعتبر العقد مقايضة وهذا وذاك ما لم يتضح من ظروف التعاقد غير ذلك •

وكذلك ينبنى على اشتراط أن يكون الثمن نقدا أنه لا شفعة فى عقار يحمله صاحبه وفاء لدين عليه • لأن هذا الوفاء لا ينطوى على بيع وانما ينطوى على تجديد بتغير محل الدين يعقبه فى الحال وفاء بالالتزام الجديد فهو عملية مركبة تجمع بين التجديد والوفاء ، وان كانت المادة ( ٣٥١ ) مدنى تقضى بأن يسرى على الوفاء بمقابل أحكام البيع فانها تجعل ذلك خاصا بنقل ملكية الشىء الذى أعطى فى مقابل الدين هذا والخلاصة : أن الشفعة فى القانون الوضعى لا تثبت الا فيما انتقل ملكه بعقد بيع ينفذ فيه الثمن كما هو نص المادة ( ٩٣٥ ) مدنى حيث قالت : « الشفعة رخصة تجيز فى بيع العقار الحلول محل المشترى » •

**مقارنة بين الشريعة والقانون الوضعى فى انتقال ملك ماتثبتفيه الشفعة الى المشفوع عليه :**

ان الناظر فيما قرره الفقهاء والقانون الوضعى فى انتقال ملك ما تثبت فيه الشفعة الى المشفوع عليه يتبين له أن القانون الوضعى قد وافق الشريعة فىثبوت الشفعة بانتقال الملك الى المشفوع عليه فى بعض صوره وأنه خالفها فى صور أخرى• فالصور التى وافق القانون الوضعى فيها الشريعة نذكر منها :

أولا : ثبوت الشفعة بانتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بعقد معاوضته من بيع •

ثانيا : عدم ثبوت الشفعة بانتقال ملك المشفوع فيه الى المشفوع عليه بغير عقد كالميراث •

ثالثا : أنه وافق الحنفية والشافعية والحنابلة والمشهور من مذهب المالكية فى عدم ثبوت الشفعة فيما انتقل ملكه الى المشفوع عليه بعقد لا معاوضة فيه كالصدقة والوصية والهبة بغير عوض وهو ما رجحناه لقوة دليله •

رابعا : أنه وافق الحنفية والمشهور من مذهب الحنابلة فى عدم ثبوت الشفعة فيما انتقل ملكه الى المشفوع عليه بعقد معاوضة غير مالية كالمهر أو بدل الخلع أو الصلح عن دم عمد أو أجرة الدار أو أجرة الطبيب وهو خلاف ما رجحناه •

**اما الصور التى خالف فيها القانون الوضعى الشريعة فمنها :**

أولا : عدم ثبوت الشفعة بالمقايضة وهذا يخالف المعروف من قواعد الشريعة فان المقايضة هى مبادلة مال بمال فهى بيع تثبت فيه الشفعة ، وقولهم ان ثبوت الشفعة بالمقايضة يضر بالبائع لأنه يلزم برد العقار الذى أخذه بدلا ويجبر على بيع عقاره للشفيع • ويرد عليه ، بأن البائع له أن يفسخ البدل ويرجع الى عقاره وحينئذ فلا شفعة ، وله أن يتمسك بالبدل ، وحينئذ يتبين أنه مستغن عن عقاره فيأخذه الشفيع بدفع قيمته لدفع الضرر عن نفسه •

ثانيا : عدم ثبوت الشفعة بالهبة بعوض نقدى وهذا يخالف الشريعة ، فان الهبة بعوض نقدى كالبيع تثبت فيها الشفعة لأنها فى الحقيقة بيع خلع

عليه المتعاقدان وصف الهبة ،وقولهم : « ان الواهب قد يطلب من الموهوب له التزامات يؤديها خلاف العوض المتفق عليه ، يدل على أن العوض ليس هو الثمن فى الحقيقة ، والشفعة لا تجوز الا بالثمن الحقيقى » يرد عليه بأننا لو قلنا بعدم جواز الشفعة فى الهبة بعوض لفتحنا الباب لكل من يريد بيع نصيبه فى شركة لغير شريكه أو بيع عقاره لغير جاره ليسمى بيعه هبة ، وهذه التسمية لا تضره فى شىء ، وبذلك ينسد باب الرخصة فى الشفعة واحتمال أن الواهب قد يطلب من الموهوب له التزامات خلاف الثمن احتمال ضعيف ، لأن تنازل الانسان عن ملكه بعوض بعضه فيه احتمال أن يوفى وأن لا يوفى غير معهود ولا معقول فالشفعة فى الهبة بعوض نقدى كالشفعة فى البيع سواء بسواء ووصف العقد بالهبة لا تأثير له •

ثالثا : عدم ثبوت الشفعة فى العقار الذى جعله صاحبه وفاء لما عليه من دين وقبل صاحب الدين أن يكون هذا العقار فى مقابل دينه ، وهذا يخالف الشريعة • فان هذا الوفاء بيع تثبت فيه الشفعة بدليل أن العقد فيه ناقل للملكية » وقولهم : « ان هذا الوفاء لا ينطوى على بيع وانما ينطوى على تجديد بتغيير محل الدين » يرد عليه بأن هذا يناقض قولكم انه عقد بنقل الملكية ، فالقول بثبوت الشفعة هو الصواب لأن صاحب الدين لا يضار بالشفعة لأن مقصوده انما هو الحصول على دينه سواء من المدين أم من الشفيع ، والله أعلم بالصواب ؟

**د • ابراهيم دسوقى الشهاوى**

### من الأسس الإسلامية لبناء المجتمع :

# الحج .. مؤتمر المسلمين (٥)

للأستاذ محمد كمال الدين

يأتى موسم الحج فى هذا العام المبارك متواكبا مع النصر المؤزر الذى أحرزته القوات العربية المظفرة منذ العاشر من رمضان الخالد ، يأتى الحج ليؤكد أن القلوب المسلمة العامرة بالايمان تجتمع لتثبت المعنى الحقيقى له ، ان مؤتمر المسلمين الذين آمنوا بربهم ، وساروا على دربه ودرب رسوله الأعظم ليزيدهم ايمانا على ايمان ، ويملأ نفوسهم عزة وكرامة ومحبة ، يأتى مع العاشر من رمضان ، ومع الصوم المطهر للنفوس والقلوب ، فريضة من الله ، وكأنه يؤكد أن فريضة الجهاد لا تقل عنهما منزلة عند الله ، أو لا تتساوى منزلة المحارب عنده جل شأنه مع منزلة الحاج أو الصائم؟ «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير • الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولو دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » (١) •

لقد خرج المسلمون فى رمضان يقاتلون عدو الله وعدوهم ، ثم أتوا الى مكة المكرمة ملبين داعين ومؤدين فريضة كتبت عليهم ، ليتم الله نصره ، ويحق حقه ، ويدحض دعوى الظالمين ، وفى مؤتمر الحج هذا العام يجتمع المسلمون على كلمة سواء ، ويأتون من كل فج عميق ، متجهين الى قبلة واحدة ، بقلب واحد ، بدعاء واحد ، فى رحاب واحد ، يطوفون بالبيت العتيق ، والطواف فى الحج له حكمة بالغة ، فقد حدثت عنه عائشة رضى الله عنها فقالت : « لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم عليه

---

(١) الحج آية ٣٦ ــ ٤٠

السلام ـ وكان البيت يومئذ عبارة عن ربوة حمراء ـ أوحى اليه أن يصلى ركعتين ثم يتوجه الى الله بهذا الدعاء « اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى .. » وأوحى الله اليه انى قد غفرت لك ، ولم يأتنى أحد من ذريتك فيدعونى بمثل ما دعوتنى به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه » . ولطالما دعونا الله فى السر والعلن ، من أقصى بلاد المسلمين الى أقصاها ، من كل قلب مسلم مؤمن صغيرا أو كبيرا ، رجلا أو امرأة ، وحقق الله ما وعد ، فكشف غمومنا وهمومنا ، وأمدنا بنصره المؤزر ، وجمع قلوب المسلمين على قلب رجل واحد ، كان النصر فى المعركة العسكرية مؤثرا ، وكان النصر فى المعركة الاقتصادية كبيرا ، وارتفع من مكة ، عاصمة الحج وملتقاه ، ومن المدينة ، مثوى الرسول ومنتهى دعواه ، صوت الملك فيصل بأن المعركة مستمرة حتى يكتمل النصر بالصلاة فى المسجد الأقصى ، ومن كل مكان عربى أو اسلامى ارتفع صوت المسلمين ، حكاما وشعوبا ، بأن الوقفة الصامدة ستظل سائرة وثائرة حتى يتم الله نوره ولو كره المشركون ، وحتى يحققوا قوله تعالى : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »(١) .

ومن الحج هذا العام ، وكما نفعل منذ شرع فى السنة السادسة من الهجرة النبوية الشريفة ، نستخلص دروسا عميقة ، وحكمة بالغة تؤكد ما فيه من جماعية ووحدة فى القلوب والمشاعر :

ـ منها أن الحج سلوك جماعى موحد ، يحتذيه المسلمون فى هذه الأيام المعلومات ـ أيام الحج ـ وبها ينبغى أن يقتدى المسلمون فى جميع أقطارهم وعلى كافة المستويات جنسا ولونا ولغة ، ففيها ـ كما فى جميع مبادىء الاسلام قوام حياتهم ، وصالح دنياهم وآخرتهم ، ومعنى السلوك الجماعى الموحد أن يثبت المسلمون داخل أيام الحج وخارجها من بقية أيام العام أنهم يد واحدة على من

(١) المائدة آية ٣

عاداهم ، وانهم كلمة واحدة أمام أبواق الدعايات المغرضة ، وأنهم عون لبعضهم البعض فى الشدة والرخاء .

ـ ومنها أن الحج شعور مكتمل بمعانى الاخاء والمساواة ، وقد أكدها الرسول الكريم فى خطبة حجة الوداع ـفى السنة العاشرة الهجرية ـ فى قوله صلى الله عليه وسلم : «أيها الناس ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذه ، أيها الناس انما المؤمنون اخوة فلا يحل لامرىء مال أخيه الا عن طيب نفس منه .. أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى » ، وفى اطار هذا المعنى ينبغى أن يشعر المسلمون بمشاكل بعضهم البعض ، وأن يعد المسلم الغنى نفسه مسئولا عن تلبية حاجة المسلم الفقير فى أى بلد من بلاد الاسلام ، وأن يعمل على أن تتوحد المشاعر والغايات والأهداف والوسائل ، ولأن يقلل بقدر الامكان أن لم يستطع التخلص نهائيا ـ من الطائفية والحزبية ، فالاسلام له مبادىء عامة واحدة يجب أن يلتزم بها كل مسلم ، وأن يؤمن بها ويعمل على تحقيقها وما أحرى المسلمين فى مؤتمرهم هذا ، أو مؤتمراتهم الأخرى فى أى مكان وأى زمان أن يتدارسوها ، وأن يستخلصوها ، وأن يعملوا على تطبيقها بكل مافى اسلامهم من التزام وشرعية ، وأن يلزموا أنفسهم بها الزاما أمينا ودقيقا ، ولا معنى لاسلام مسلم يمد يده لعدوه بالاعتراف أو تبادل المنافع أو تبادل الحوار ، لامعنى لاسلام مسلم يتعامل مع عدو أخيه المسلم فكرا أو عملا أو مادة الا اذا كان خارجا على اجماع المسلمين وفى هذه الحالة ينبغى أن تطبق عليه شريعة الله التى لا يشترعها أو يخرج عليها ، أن موقفنا اليوم ـ أعنى موقف المسلمين المخلصين ـ ينبغى أن يكون صريحا وواضحا ـ وان بلغ القسوة أحيانا ـ من كل خارج على اجماع الأمة ، وكل متعامل مع عدوها ، وكل لا مبال فى سبيل حقوقها ، وأعتقد أن مطالبنا اليوم واضحة ، وطريق الوصول اليها واضح كذلك ، فأرض المسلمين لا ينبغى أن يعتدى عليها أحد ، فاذا اعتدى عليها دخيل

فالمسلمون جميعا يد واحدة ، من لا يشارك فى محاربة العدو الدخيل ليس مسلما ، من لا يقف مع أخيه المسلم ليس منه وليس من الاسلام فى شىء ، صراحة ووضوح يلزمنا الاسلام باتباعهما ، حقوق شعب فلسطين واضحة أيضا ولا خلاف عليها ، من لا يعمل على ردها بكافة الوسائل فهو خائن للاسلام ، وهو خائن للاخوة الاسلامية ، وهكذا فى كل مواقف المسلمين اليوم ، فلم تعد المسألة مسألة عدد المسلمين فى العالم بل يجب أن تكون المسألة : الى أى حد يطبقون شريعة الاسلام ؟ والى أى حد يمدون يد التعاون والاخاء لكل مسلم ، والى أى حد تبلغ قوتهم عدة وعددا لينصروا دين الله ، فان العصر عصر قوة واتحاد ، وليس مجرد عصر ايمان وتراشق بالألفاظ .

ـ ولعل من أهم الدروس التى تتعلمها من الحج : درس الأمانة ، أمانة المرء مع نفسه ومع الناس ، فلا يقبل الا حلالا طيبا ، ولا يتعامل الا بالحلال الطيب ، وفى حديث عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله فى الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لبيك وسعديك ، زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور ، واذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الغرز فنادى لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور ، هذه الأمانة تقتضى أيضا أن تكون نفس المسلم راضية مطمئنة الى عملها ، ساعية جهدها الى العمل الصالح الذى تقر به العين ويهدأ الخاطر ، ويرتاح الضمير ..

وفى وقفة الحج هذا العام دعاء الى الله بدوام النصر واكتماله عزيزا مؤزرا ، وعهد يأخذه كل مسلم أن يستمر جهاده فى سبيل الله علما وعملا واخاء وتعاونا فى الشدة والرخاء مع أخيه المسلم فى كل بقعة وزمان ، « ان

تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »(١) « ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون »(٢) ، وماذا بعد النصر من مطلب لكل مسلم ؟ فاللهم « أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين »(٣) .

صدق الله العظيم ؟

**محمد كمال الدين على يوسف**

---

(١) محمد آية ٧
(٢) آل عمران آية ١٦٠
(٣) البقرة آية ٢٥٠

## النظام الإدارى الإسلامى :

# المرافق العامة الدينية (١٣)

للدكتور مصطفى كمال وصفى

ولمــــا كانت أولى الضرورات الاجتماعية ـ حسب التخطيط السابق ذكره للمصالح والمقاصد الشرعية ـ هو الدين ، فان المرافق المتعلقة بهذه المصالح هى أهم المرافق الاسلاميــة وأولاها بالرعاية والتقديم •

وغياب هذه الحقيقة هى التى جعلت أهل هذا العصر لا يفهمون الاسلام ، ويضعون أيديهم على معالمه البارزة ، ويقولون : أين هى ؟ كالظمآن الغارق فى النبع العذب الصافى الســلسبيل !

لأن أهل هــذا الزمان يعتبرون الدين من الكماليات ، لا يعرفون له ضرورة ، ولا يرون سببا لأن يكون الانسان متدينا ، بل يرون الدين عائقا طبيعيا يلحق الانسان بالعجزى والسذج والمتواكلين • نعم يصــح أن تصحو روح الانسان وقتيا فى خلوة أو جلوة بينــه وبين نفســه أو فى حفل من الأناشيد والترانيم ونحو ذلك ، ولكنهم لا يجعلون أية صـلة بين ذلك وبين ما يرونهم واقع الحياة •

وهــم فى ذلك متشــبعون بروح العصر ، الذى يضع المـال والاقتصاد فى المقام الأول ، ويجعله مركزا هاما للمنظمــات والمؤسسات ، بل كذلك الفن والترف واللهو يصح أن يكون من مرافق الحيــاة •• أما الدين !! فانهم يعجبون أشــد العجب مــن أن يجدوا المراجع الاسلامية تستغرق فى بحوثه حتى تغيب عن هــذه الأمور الهامة فى نظرهم •••

ولكن الواقع أننــا لا نقترب من روح الاســلام ، وفهم حقيقة نظمــه السياسية والادارية والمــالية وغيرها ، الا اذا دخلنا الى هذا النظام من بابه الرئيسى : وهو باب الدين • وأن نفهم جيــدا أن جميع الاعتبــارات الأخرى المــالية والاقتصادية وغيرها ، كلهــا ثانوية بالنســبة لهــذا الغرض ومقيدة به •

## المساجد :

وأول هذه المرافق ـ وأهمها ـ هى المساجد . وهى تقابل فى النظم الحديثة تلك الوحدات الشعبية التى تقوم بالعمل السياسى ، من تصعيد المقترحات وتلقى التوجيهات وانشائها والقيام بأعمال التوعية السياسية .

وكذلك فالمساجد تقوم بعمل سياسى أهم وأظهر . فهى تغطى جميع « القاعدة الشعبية » الاسلامية لانتشارها فى القرى والأحياء وأماكن العمل وغيرها . وهى لا تقوم فقط بالتصعيد والتلقى ، بل تقوم أصلا بانشاء روابط التضامن الاجتماعى الشامل بين المسلمين ، الذى يتلاقون ويتعارفون فيها ويحسون بآلامهم ورغباتهم جميعا كل يوم فى لقاء دائم . ويتعلمون فيها الطاعة ويتعودون عليه بسبب ما يقتضيه أداء الشعائر من النظام ويتدارسون العلم الذى هو أساس المذهب الجامع للأمة ، وأساس العمل المتوحد الذى يربط القلوب ويوحد الفكر بوحدة الوسائل والفهم . وبذلك يقوى العنصران الأساسيان للنظام الاسلامى ، وهما : وحدة العقيدة ، والتضامن الاجتماعى . ومن بين صفوف المصلين تظهر العناصر القيادية التى نسميها « أهل الحل والعقد » أو أهل الاختيار » [1] وهم أهل حل وعقد لأن أهل المسجد لا يبرمون أمرا الا بمشورتهم وقرارهم، وهم أهل اختيار ، لأن الناس قد وثقوا فيهم واختاروهم لمهامهم .

فاذا التقى أهل المدينة أو أهل المصر فى الجامع الذى تعقد فيه الجمعة ـ وهذا هو الأصل وليس هذه الصورة العجيبة التى نراها الآن

(١) الواقع انه ليس فى المراجع الاسلامية التى عرفناها تحديد لأهل الحل والعقد أو أهل الاختيار ، وانما ينصب كلامهم فيهم على انهم أهل البيعة واختيار الامام .

وأما هذا التحليل فهو من ملاحظتنا لعمل ظاهرة تسمى ظاهرة التدرج الاجتماعى Hyrarclie Sociale التى تؤدى الى تميز الأفراد فى مجتمع معين حسب صفاتهم المناسبة لهذا المجتمع وذلك ان لم يعقه عائق . وهو لا ينافى كلامهم لأنهم لم يعرضوا الى نشأة هذه الجماعة من جذور القاعدة الشعبية ولم يعرضوا لأصلها وتعريفها ، ولذلك فلا تعارض . انظر كتابنا : المشروعية فى النظام الاسلامى . وتحت الطبع كتاب لنا باسم : النظام الدستورى الاسلامى ، أخرجه الله الى الوجود .

حيث تعقد الجمعة فى الحوانيت وعلى قارعة الطريق ـ برز فيهم اهل حل وعقد أو أهل اختيار على هذا المستوى الأعلى ، وهكذا يتميز فى قطر علماؤه وأهل الحل والعقد فيه ، فيستقيم أمر النظم الاسلامى ، وتتهيأ الوظيفة الصحيحة للمسجد فى تكوين البيئة الاسلامية الضرورة لهذا النظام ، اذ أنه من المتعذر أن يطبق الاسلام بغير بيئة ، كالحب لا ينبت الا فى حقل مجهز .

فاذا أضفنا الى هذه الوظيفة الدستوريه الاساسية ، أن أهل المسجد انما يقومون ـ فى الواقع ـ بوظيفة الادارة الشعبية التى المحنا اليها ، والتى نسأل الله أن يمد لنا حتى نعرضه ، لتبين لنا جوهرية هذا المرفق الدينى وحيويته . ولدلك كان الامير فى الاقليم او المصر يصلى بالناس ، ولذلك فهى عماد الدين . وعدم العناية بها يؤدى الى اختفاء النظام الحقيقى الاسلامى ثم لا يقوم بعده ـ ان سمحت الظروف وصلحت ـ الا نظام له رسوم الاسلام وتشكيلاته لا جوهره وحقيقته ، وتكثر فيه المؤسسات الاصطناعية التى لا تحل محل المسجد فى دوره ، ولا تقوم بما يقوم والتى قد يعتبر الاكثار منها ظاهرة مرض انتاب الجسد الاسلامى الصحيح . ولذلك فادارة المساجد والجوامع فى مقدمة الوظائف الادارية ومطلعها .

**الزكاة وبيت المال :**

ويلى هذين الجهازين الاداريين الأساسيين ـ المسجد والجامع ـ جهاز آخر : هو جهاز جمع الزكاة وتفريقها.

وهذا الجهاز شعبى صميم فى أساسه ، لأن من أصناف الزكاة ـ كزكاة الحرث والعين والتجارة ـ ما لا يدخل الخزانة العامة ، بل يقوم صاحب الشأن بتفريقه ، ومنهما ما قد لا يدخلها ، اذا وجد صاحبها أو العامل لها مصرفا ، كزكاة الأنعام ، فقد ورد فى صحيح البخارى أن العامل كان يعود ـ فى الغالب ـ الى المدينة خالى الوفاض وقد وزع ماجمع وهو فى طريقه اليها .. ولا نعلم تقدما للخزانة العامة على أفراد الناس من المستحقين للزكاة . فان بقى شىء لبيت المال فبها والا فقد بلغت محلها.

والزكاة : من أهم أسباب التضامن الاجتماعى ؛ لأنها تؤدى الى تصفية العلاقات المحلية المباشرة من عوامل

الحقد الاجتماعى والصراع الطبقى . ولا يتأتى ذلك - ومرة أخرى - الا بسبب التعارف فى المسجد والخلطة العميقة التى يوجدها ، وتسمح باطلاع الغنى على حال الفقير وتفاصيلها ، فتصل الصدقة لمحلها .

ولذلك فادارة الزكاة - أيضا - من أهم الولايات الاسلامية وأكثرها حيوية فى الجماعة ، والا هددها ما أطاح بالنظم من هذه النوازع اليسارية التى هدمت ولم تقم .

وانما يتمول بيت المال من مصادر أساسية أخرى له فيها سهم معلوم ، هى الغنائم والفىء ، وأخرى فرعية كالتركات الشاغرة واللقطة ونحوها . وهذه ليست ذات بال ، ولا هى دائمة . ولذلك فحالة بيت المال من حالة قيام هذه الأمة على أمر الله وفى سبيله ، ان قامت تمولت وكسبت خير الدنيا والآخرة ، وان نامت هانت ، وقانا الله شر الهوان .

وهكذا نرى أن مؤسسة مالية فى النظام الحديث - وهى الخزانة العامة - ليست ذات بال فى النظام الاسلامى . وانه يتصور جدا أن تكون خاوية ثم لا يختل شيئا من انتظام الأحوال . وتقوم أعمال القربى - وخاصة الأوقاف - مقام الخزانة العامة فى كثير من الأحيان ، وذلك لمناسبتها لطريقة الادارة الشعبية ، فتقوم بالصرف على مثل المدارس ، والمشافى ، والرباطات؛ ويصح على الطرق والجسور ، والقناطر ، ونحوها مما يعتبر من صميم المرافق العامة فى القانون الحديث .

وبهذا أيضا نرى أن المرافق الدينية ، أو ما يرتبط بها كالأوقاف الخيرية ، فى مقدمة النظم الادارية وتسبق فى أهميتها المرافق العمرانية والاقتصادية ، فهذه لا تقوم الا بتلك. والعكس ليس صحيحا ، فان المرافق العمرانية والاقتصادية لا تقيم مرافق الدين ، وان كانت - بطبيعة الحال - ذات أثر فى انتظامها وتحسنها واضطرادها .

**الحج :**

وكذا فان اقامة الموسم فى الحج من أهم المرافق الدينية فى الاسلام لما فيه من الارتباط الشامل والتعقيب الكامل على شئون وحدة الاسلام ولقوله تعالى : « وليشهدوا منافع لها » وهى كثيرة .

ولذلك كانت امارة الحج من أهم الولايات الاسلامية لتعلقها بالركن الخامس من أركان الاسلام ، الذى ترتبط به هذه المصالح •

وان من يشهد الموسم بالأراضى المباركه يدرك مدى الصعوبات الادارية التى تحيط بهذه الشعائر والتى تتطلب نظاما اداريا على الكفاية والقدرة •

وحقيقة ، فان ادارة هذا المرفق تقوم فى الأراضى المقدسة الآن على أحسن وجه ، جزى الله عاهل الحرمين عن المسلمين خيرا •

وليس من السهل أن تواجه البلاد ما يقرب من المليونين من الوافدين للحج لتستوعب احتياجاتهم فى النقل، والاقامة ، والاعاشة ، والتموين ، والنظافة ، والصحة ، والأمن ، والأعمال المصرفية والتجارية التى يتطلبها ، وغير ذلك مما يتطلبه هذا العدد الكبير • فان هذا العدد الضخم يتطلب ازالة مخلفات طعامهواستهلاكه مرتين على الأقل فى اليوم ، مما يجعل عمال النظافة يعملون بعد العشاء لساعة متأخرة من الليل حتى تصبح الأماكن نظيفة معدة لاستقبال يوم جديد •

ولقد عجبت من هذا النشاط ، ومن الهمة الصارمة الحكيمة التى لاتحتمل التأخير لحظة ، فانه ان تعطلت الطريق لحظة فربما عاق ذلك الركبان المتلاحقة يوم الدفع فتتراكم وتتصادم كأجزاء القاطرة ان تعطلت احدى وحداتها ••• ولذلك ، فانه ــ فى نظر القانون الادارى ــ تعتبر هذه الحالة من حالات الطوارىء التى تتطلب أحكاما ابتثنائية ، بل أحكاما عرفية ، لمواجهة حالة الضرورة القاهرة والضغط الشديد الذى يتطلب الانسياب الرتيب للأمور فى مجراها • وأعتقد أنه لذلك كانت هذه الولاية مرتبطة بالامارة العسكرية فى بعض عهود الاسلام •

ويسير التنظيم المرفقى لهذا الأمر : على أساس استخدام « المطوف » كشخص ادارى مسئول يتولى وظائف عامة ادارية لاشك فيها •

فيتطلب النظام أن يعهد بالحجاج الى الموظفين ، فلا يجوز أن يكون ثمة حاج غير مقيد على مطوف •ويقوم المطوف بحصر أسماء الحجاج المقيدين عليه ــ ولو لم ينزلوا طرفه ــ واستلام جوازات مرورهم وتقديمها لنقط

المرور بين المواقيت ـ كجدة الآن التى أصبحت فى نظرنا ميقاتا[1] ـ ويستوفون الاجراءات الادارية المرتبطة بذلك ثم ان عليهم معونتهم فى النفر الى عرفات والنزول الى منى ونحوه من الشعائر ان طلب الحاج ذلك • كما يتولى تدبير اقامته وربما اعاشته ولكن هذا أمر يخضع للاتفاق والعلاقة الشخصية • وبذلك فان المطوف انما يساهم ـ فى الواقع ـ فى أهم أعمال هذا المرفق العام ، وهو حصر الحجاج وتنظيم مرورهم وانتقالهم ، ثم اعانتهم فى اسكانهم وفى اعاشتهم •

وتصدر كل عام فى بداية الموسم الأوامر الادارية التنظيمية المتعلقة بالحجيج وتنشر فى الجرائد اليومية السيارة هناك •

وليس الحج مؤتمرا شعبيا سياسيا ، ولا ينبغى ، لما رواه الامام البخارى من أن عمر أراد أن يكلم الناس فى مكة ـ وهم فى الحج ـ فى أمر نابه ، فنهاه الصحابة عن ذلك ، وقالوا له : انتظر حتى ترجع الى المدينة وفيها علماء الأمة ، ففعل ، وهو فيما نرى حجة على ألا يتخذ من الحجة موسما سياسيا ، حتى لا يثور الجدل فيفسده •

فهذه هى نظرة النظام الادارى الاسلامى لهذه الولايات ، ومدى ارتباط اضطراده وانتظامه بها ؟

**د • مصطفى كمال وصفى**

---

(١) حددت السنة المواقيت ، كالجحفة ( رابغ الآن ) للمدينة ، وقرن لنجد ، ويلملم لليمن ، ولم تكن بينها جدة ؛ لانه لم يكن الحج من البحر أو الجو فى وقته صلى الله عليه وسلم مما أثار الخلاف حول مكان الاحرام ووقته للقادمين بالبحر أو الجو . وفى رأيى أن جدة ميقات ، لأنها أول أرض يطؤها فى الحرم ، فلا ينطبق وصف الميقات من قبلها ، وقد علم أن من شروط الميقات انه أرض بالجزيرة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

# محمد إقبال

للأستاذ عبد الودود شلبي

لم تغب عني هذه اللحظات التى وقفتها خاشعا أمام ضريحه المسجى بالجلال بجوار « بادشاهي مسجد » في مدينة لاهور .

كل ما قرأته عنه تمثل أمامي في صورة نورانية تتحرك في اطارها كل معاني العظمة .. لم يعد يفصل بيني وبينه حاجز من الحياة أو الموت ... كنت روحا تناجي روحا .. لقد نسيت أنني أمام ميت .. ؟ والا بماذا أعلل هذا الحوار بيني وبينه وقد مضت على وفاته ستة وثلاثون عاما .. ؟

وقد عاش اقبال حياته كلها ساعيا عاديا . كان روحا تحلق في آفاق سامية . كان قبسا من نور الحقيقة التى أتى بها محمد صلوات الله وسلامه عليه ..

وقد عاش اقبال حياته كلها ساعيا وراء هذه الحقيقة ... حقيقة الايمان المستعلي على نقائص الدنيا فما أتفه الحياة حين تخلو من الرجال الذين يزرعون في القلوب شجرة المحبة .. وما أوحشها دنيا حين يصطبغ كل شيء فيها بالكذب والغش والخديعة ؟

يقول اقبال في احدى قصائده :

« رأيت البارحة شيخا يدور حول المدينة وقد حمل مشعلا كأنه يبحث عن شيء . قلت له يا سيدي : تبحث عن ماذا ؟ قال : قد مللت معاشرة الوحوش والدواب ... ضقت بها ذرعا ... خرجت أبحث عن انسان في هذا العالم ...

فلقد ضاق صدري من هؤلاء الكسالى والأقزام الذين أجدهم حولي فخرجت أبحث عن عملاق من الرجال وبطل من الأبطال يملأ عيني . قلت له : لا تتعب نفسك انني لا أرى لهذا الكائن الذي تبحث عنه أثرا ..

قال الشيخ : اليك عني يا هـذا ••• فأحب شيء الى نفسى أعـزه وجـودا وأبعده منالا ••• » •

ترى هل تغير المضمون والأمل فى هذه الأسطورة التي صور بها « اقبال » واقع الحياة فى عصره ومجتمعه ؟؟

يقول اقبـال نفسه مجيبـا على هذا السؤال :

« لقد ضربت فى مشـارق الأرض ومغـاربها • عرضت قـلبى عسى أن يشتريه أحد أبحت ثروتى لمن يطلب ••• فتحت صـدرى لمن يرغب ••• ياالهى ••• انى أحترق بنـار شـوقى وحبى • وأعجب أن أخلق فى عصر لا يعرف الاخلاص •••

أنا غريب فى الشرق والغرب ••• أعيش وحدى • وأغني وحدى ••• »

هل كان « اقبال » يائسـا ؟ ان اليأس فى ضمير المسلم جريمة •• وما خفق قلب بالايمان والأمل كمـا خفق قلب هذا الشاعر العظيم الذى عاش حيـاته شديد الايمان قوى العقيدة •• فقـد كان وهو صبى يبـدأ يومه بتـلاوة القـرآن الكريم ويدخل عليـه والده يسأله عما يفعل • فيقول أقرأ القرآن •• وظل على هذا الحال ثلاث سنوات يسأله أبوه نفس السـؤال • ويجيب « اقبـال » بنفس الجواب وذات يوم قال لوالده : لقد مضت ثلاث سـنوات وأنت تسألنى نفس السـؤال وأجيبك بنفس الجواب ثم لا يمنعك ذلك من تكرار السـؤال كلمـا رأيتنى أقرأ القرآن • فماذا تقصد ؟ •

قال أبوه : انمـا أردت أن أقـول لك : اقرأ القرآن كأنما تسـمعه من الله ••• ومنذ ذلك اليوم بدأ «اقبال» يتفهم القرآن ويقـبل عليه فكان من أنواره ما اقتبس ومن درره ما نظم •

وحين دعاه المرحوم « نادر شـاه » ملك أفغانستان أهداه « اقبال » نسخة من المصـحف وكتب فى اهـدائه الى الملك هذه الكلمات : « ان هذا الكتاب رأس مال أهل الحق • فى ضـميره الحياة ، وفى سطوره الحق ، والعزة والعدل » •

فليس من المعقول أن يكون صاحب هذا الايمان يائسا من شيء •ان اليأس صنو الأنانية والحرص « واقبال » لم يكن كذلك لم يكن فى دنياه طامعا ولا

عليها حريصا . لقد عاش زاهدا ومات ناسكا . وكان يقول مفتخرا :

« انى من غير شك فقير قاعد على قارعة الطريق ولكنى غنى النفس أبى» ان الموت أفضل من رزق يقص من قوادمى . ويمنعنى من التحليق فى السماء .. اذا لم تعرف رازقك كنت فقيرا الى الملوك . واذا عرفت خالقك افتقر الملوك اليك .. !

لقد عاش « اقبال » للجمال والحق والخير .كان قيثارة علوية تهتف لبنى الانسان فى كل أمة .. انه مسلم .. والمسلم كالشمس يتوهج ضوؤها الساطع حيث طلعت .. وحاجة الكون اليه ليست أقل من حاجته الى الماء والنور والحرارة . ان المسلم جسمه من تراب لكن قلبه من نور .. والمسلم « حقيقة » عالمية لا تعرف حدوده الطين والأرض . ليست دجلة والنيل والدانوب الا أمواجا صغيرة فى بحره المتلاطم . وكل ما كان لله من أرض وبلاد فهو بلده ووطنه .. ومن هنا بدأت وحشة « اقبال » ومعاناته .. لقد رسم هذا الأمل فى قلبه صورة المسلم .كما يريده . وبحث عنه فلم يجده . فحلق كالطائر الغريب فى سماء العالم يبحث عن رجل . لقد درس فى كمبردج وفى ميونيخ . وحصل على أرقى الشهادات فى الفلسفة والسياسة والاقتصاد . وزار اسبانيا وفرنسا وايطاليا . سافر يبحث ويدرس ويناقش وينقب . وحصل من ثقافة الغرب وعلومه على الكثير الوافر . ثم ماذا ؟

لقد رأى الخواء ينخر فى روح الحضارة الغربية بكل مذاهبها وأنظمتها . الخواء الذى تختنق فيه روح الانسان وتهدر فيه قيمه وخصائصه .. انه الخواء الذى يهدد وجود الانسان على ظهر هذا الكوكب ويعرقل مسيرته الهادية الى عالم أرقى وأفضل ...

« ان أوربا تفلس.. الروح تموت عطشا فى سرابها الخادع .. فيها حضارة نعم ... ولكنها حضارة تحتضر .. وان لم تمت حتف أنفها فسوف تنتحر غدا وتذهب .. فأساس هذه الحضارة منهار لا يحتمل صدمة وكما يقول دكتور كاريل ان الحضارة الغربية تجد نفسها فى موقف صعب . لأنها حضارة تولدت من خلال

الكشوف العلمية •ومن خلال شهوات الناس ونزواتهم والعلاج الوحيد الممكن معرفة أكثره عمقا بأنفسنا وبأرواحنا •• لقد ذهبنا نبحث عن الروح في « المعدة » تفعل هذا الرأسمالية كما تفعل الشيوعية • ان هذه وتلك تعيشان على الشره والنهامة وخداع الانسانية •• الشيوعية تقضى على الدين • والرأسمالية تقضى على الروح •وكلاهما موت للانسان الذى استخلفه الله على هذه الأرض •••

« فالغياث الغياث من الفرنجة » لقد أصبح العالم خرابا بغزوهم واغارتهم وأنت أيها المسلم فارس الأمل والمستقبل •••

ولكن أين هذا المسلم؟

هذا هو السؤال الذى شغل «اقبال» طويلا • وبحث عن جوابه كثيرا • لقد كان المسلم كما يقول أرنولد : « رسالة الله الأخيرة • موجة من أمواج بحر الاسلام العارم كبحر الحياة • وبحر الوجود • يتبدل العالم ولا يتبدل كيانه » •

فهل وجد « اقبال » هذا المسلم الذى تحدث عنه أستاذه أرنولد •••

الصورة الكثيبة للعالم الاسلامى وحاضره لا تساعد على اكتشافه وقد بذل « اقبال » قصارى جهده فى مقابلة هذا الفارس المنتظر لقيادة العالم وخلاصه ••• لكن •••

« واحسرتاه ••• لقد قابلته مرتاعا تطير نفسه شعاعا من الخوف ••• لا يزال ركبه تائها فى الصحراء • ان غمده فارغ ككيسه • وان الكتاب الذى فتح به العالم وضعه فى بيته الخرب على طاق تراكمت عليه الأتربة ونسج عليه العنكبوت ••ان عينه فقدت النور ان رزيئته أنه يعيش ولا يعرف لماذا يحيا •• ؟

عجبا لك أيها المسلم تجلت لك الآفاق وغابت عنك نفسك •• ؟

وكما فعل « ديوجين » حين ترك « أثينا » الى قمم الألب • ولى «اقبال» وجهه الى العرب •ان التاريخ لا ينكر للأمة العربية فضلها فى نشر الاسلام• فاذا بالعلوم والفنون والآداب الاسلامية تضىء معالم الطريق لحضارة رفيعة عالمية يتفيأ ظلالها البشر فى أخوة وسماحة من غير تعصب ولا تزمت • واذا بالاسلام بمعناه الحضارى الفسيح

مهوى الأفئدة . وموضع التجلة . واذا بالعرب فى الشرق والغرب أساتذة فى الهندسة والطب والأدب والموسيقى والاختراع .

ومن الذى أكرمه الله بالسبق الى قراءة القرآن ونشر رسالته فى العالم ؟ من الذى أطلعه الله على سر التوحيد فنادى بأعلى صوته لا اله الا الله .. ؟ انه ذلك العربى الذى حمل لواء العقيدة الجديدة فانطلق بها يزيح عن كاهل الانسان أوزار القرون المظلمة .. ويمهد أمامه الطريق لحياة أكثر عدلا وطمأنينة . وأقام ـ ولأول مرة فى تاريخ الانسان ـ حضارة « الشمول » لحاجات الانسان وأشواقه » .

يقول اقبال :

« أيتها الأمة العربية التى كتب الله لباديتها وصحرائها الخلود ... من الذى سمع منه العالم نداء « لا كسرى ولا قيصر » لأول مرة فى التاريخ ، من الذى أطلعه الله على سر التوحيد فنادى بأعلى صوته : لا اله الا الله .. ليت شعرى .. من خلفكم فى الحياة ... ان العصر الحاضر وليد نشاطكم وجهادكم ومازلتم سادته حتى أفلت زمامه منكم .. ان الله قد رزقكم البصيرة النافذة . ولا تزال فيكم الشرارة كامنة فقوموا أيها العرب وردوا فيكم روح عمر بن الخطاب مرة أخرى ..

فيا رجل البادية .. ويا سيد الصحراء .. عد الى قوتك وعزتك . وامتلك ناصية الأيام . وخذ عنان التاريخ وقد القافلة البشرية الى الغاية المثلى ... » .

...

لقد ودع اقبال هذه الدنيا منذ ست وثلاثين سنة وقال قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة بعشر دقائق ..

« أنا لا أخشى الموت .. أنا مسلم .. ومن شأن المسلم أن يستقبل الموت مبتسما ».!

عبد الودود شلبى

# كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

— ٥ —

٤١ — ويقولون للمكان الذى تباع فيه الخمر : خمارة ، والفصيح أن يقال له : مخمرة وزان مرحمة ، وذلك كما يقال : مسبعة للمكان الذى تكثر فيه السباع ، ومذأبة للمكان الذى تكثر فيه الذئاب ، أو يقال له : خمر وزان كتف ، وكذا يقال له الحانة .

والحانية بتشديد الياء : الخمر المنسوبة الى مكان بيعها ، أما الخمارة فهى المرأة التى تبيع الخمر ، كما أن العطارة هى المرأة التى تبيع العطر .

٤٢ — ويقولون : تنازل فلان لأخيه عن بعض حقه فى الميراث ، والفصيح أن يقال : نزل له عن بعض حقه ، أى تركه ، أو يقال : هضم له من حقه ، اذا ترك له منه شيئا عن طيب نفس ، وتقول : هضمت لك من حقى كذا اذا تركته وأسقطته ، وهضمت المرأة من مهرها لزوجها اذا وهبت له منه شيئا .

أما التنازل فانما يكون فى الحرب والقتال ، تقول : تنازل فلان وفلان اذا نزل كل واحد منهما فى مقابلة الآخر أثناء المعارك ، ومثله النزال ، تقول : نازله فى الحرب منازلة ونزالا ، وهو أن ينزل المحاربان عن بعيريهما الى فرسيهما فيتقاتلا ويتضاربا .

٤٣ — ويقولون : لا يخفاك أن الاطلاع أساس التزود من الثقافة ، فيعدون الفعل يخفى بنفسه الى المفعول به ، وكتب اللغة لا تعديه الا بعلى ، ومعناه الاستتار ، تقول : لا يخفى عليك كذا ، ومن الغريب أن هذا الوهم وقع لبعض كبار الكتاب ، قال صاحب نفح الطيب فى المجلد الثانى : ولا يخفاك حسن هذه العبارة .

٤٤ — ويقولون : ابدأ به أولا بالتنوين ، والفصيح أن يقال ابدأ به أول بالبناء على الضم قال معن ابن أوس :

لعمرك ما أدرى وانى لأوجل  
على أينا تغدو المنية أول

وانما يبنى فى مثل هذا الموضع لأن الاضافة منوية ومرادة ،وتقدير الكلام ابدأ به أول الناس ، فلما قطع عن الاضافة بنى كأسماء الغايات التى هى قبل وبعد ، وأسماء الجهات الست ، وانما سميت بالغايات لأنها جعلت غاية للنطق بعد أن كانت مضافة ، ولهذه العلة استوجبت أن تبنى لأن آخرها حين قطع عن الاضافة صار كوسط الكلمة .

على أن أول اذا أعرب لا يصرف ، لأنه صفة على وزن أفعل ، ولهذا قالوا : كان ذلك عاما أول ولم يسمع صرفه الا فى قولهم : ما تركت له أولا ولا آخرا ، فجعلوه فى هذا الكلام اسم جنس ، وأخرجوه من حكم الصفة ، وأجروا هذا الكلام بمعنى ما تركت له قديما ولا حديثا .

ونظير أول فى المبنيات على الضم أنك تقول : انحدر فلان من فوق ، وأتاه أخوه من قدام ، ولقيه آخر من وراء ، وشاهده من تحت ، قال الشاعر :

ألبان ابل تعلة (١) ابن مساور
ما دام يملها على حرام

لعن الاله تعلة ابن مساور
لعنا يصب عليه من قدام

٤٥ ــ ويقولون لمن ألقت ولدها ناقصا : انها سقطت ، وهذا وهم ، والصواب أن يقال : أسقطت بالهمز فهى مسقط بضم الميم ، ومعتادته مسقاط بالكسر ، كما يقال : أجهضت فهى مجهض ، والجمع مجاهيض ، والسقط مثلث السين الولد ذكرا كان أم أنثى يسقط قبل تمامه وهو مستبين الخلق .

ويقال : سقط الولد من بطن أمه سقوطا فهو سقط ، ولا يقال وقع ، كما لا يقال أسقط بالبناء للمفعول فى هذا المعنى ، وانما يقال ذلك فى معنى الندم، تقول : أسقط فى يده ، وسقط فى يده ، ومن هذا قوله تعالى : « ولما سقط فى أيديهم » أى ندموا .

٤٦ ــ ويقولون : حكم على المجرم بالسجن بكسر السين ، وهذا خطأ ، لأن السجن هو المحبس والصواب أن يقال : حكم عليه بالسجن بالفتح وهو الحبس .

---

(١) التعلة وزان تحلة : ما يتعلل به كالعلالة بضم العين .

تقول : سجنه يسجنه سجنا من باب قتل فهو مسجون ، وسجين ، وهم مسجونون ، وسجناء ، وسجنى ، وهى سجين وسجينة ، ومسجونة من سجنى ، وسجائن •

ومن المجاز سجن فلان لسانه ، واسجن لسانك أى احبسه وامنعه عن الخوض فى أعراض الناس ، أو فيما لا يجدى عليك نفعا ، وفى الحديث : « ليس شىء أحق بطول سجن من لسان » •

٤٧ - ويقولون : شطب الكاتب السطور أو الكلمات بعد كتابتها ، ووجه الكلام أن يقال رمجها ترميجا ، أى أفسدها ، ويمكن اصلاح عبارتهم اذا قلنا : شطب الكاتب عن السطور أو الكلمات أى عدل عنها ، لأن الفعل بهذا المعنى وهو العدول لا يتعدى الا بعن أما المتعدى بنفسه فله معنى آخر هو القطع ، تقول : شطبت الثوب ونحوه اذا قطعته طولا ، والشطبة بالفتح السقفة الخضراء •

٤٨ - ويعاملون الجمع معاملة المفرد ، لاشتباه صيغته ببناء المفرد ، فكلمتا آنية ، وآونة ، جمعان على وزن أفعلة ، غير أن شبههما بصيغة فاعله جعل كثيرا من الخاصة يستخدمونهما إستخدام المفرد ، فيدخلون عليهما لفظ كل ، فيقولون : أحضر معك كل آنية ، وقابلنى كل آونة •

وهذا قياس خاطىء ، لأن آنية جمع اناء كأردية جمع رداء ، وأكسية جمع كساء •

وكذا آونة جمع لأوان ، كما أن أطعمة جمع لطعام ، وأربطة جمع لرباط •

قال الفيومى : الاناء والآنية كالوعاء والأوعية وزنا ومعنى ، والأوانى جمع الجمع •

وقال كذلك : آونة جمع أوان كأزمنة جمع زمان ، ويظنه بعضهم مفردا ، فيدخلون عليه كل ، ويقولون : هذا الأمر لا يتيسر كل آونة ، وهذا وهم •

نعم يجوز أن تقول : قابلت كل الرجال ، وكافأت كل المتفوقين بالتعريف ، ولا يجوز أن تقول : قابلت كل رجال ، وكافأت كل متفوقين بالتنكير •

٤٩ ـ ويقولون : محمد أفضل اخوته ، فيخطئون ، لأن أفعل التفصيل لا يضاف الا الى ما هو داخل (١) فيه ومنزل منزلة الجزء منه ، ومحمد غير داخل فى جملة اخوته ، ألا ترى أنه لو قال لك قائل : من اخوة محمد ؟ لعددتهم دونه ، فلما خرج عن أن يكون داخلا فيهم امتنع أن يقال : محمد أفضل اخوته ، كما لا يقال : محمد أفضل النساء ، لتميزه من جنسهن ، وخروجه عن أن يعد من جملتهن ، ولاصلاح تعبيرهم يجب أن يقال : محمد أفضل الأخوة ، أو أفضل بنى أبيه ، لأنه حينئذ يكون داخلا فى المضاف اليه ، بدلالة أنه لو قيل لك : من الأخوة ؟ أو من بنو أبى محمد لعددته فيهم ، وأدخلته معهم *

٥٠ ـ ويقولون للاثنين زوج ، وهذا خطأ ، لأن الزوج فى كلام العرب هو الفرد المزاوج لصاحبه ، وأما الاثنان المصطحبان فيقال لهما : زوجان ، كما قالوا : عنده زوجان من النعال ، أى نعلان ، وزوجان من الخفاف أى خفان ، وكذلك يقال للذكر والأنثى من الطير زوجان ، قال تعالى : « وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى » ومما يشهد بأن الزوج يقع على الفرد المزاوج لصاحبه قوله تعالى : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين » ثم قوله فى الآية التى تليها : « ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين » فدل هذا التفصيل على أن معنى الزوج هو الفرد المزاوج لغيره ، ومما هو نص فى ذلك قوله تعالى : « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين » لأن الواحد منهما زوج ؟

**عباس ابو السعود**

---

(١) وذلك اذا كان على معنى من ، اى أفضل من اخوته ، اما اذا قصد أنه الأفضل من بينهم ، أو هو فاضلهم فلا يشترط أن يكون بعض المضاف اليه .

# المرأة فى ظل الاسلام

للأستاذ محمود محمد رسلان

— ٢ —

أوجز للقارىء الكريم ما بدأت به هذه المقالة وضعت بين يديه جزءا من القوانين الوضعية ، وكيف أهدرت كرامة المرأة وجعلتها مستعبدة لغيرها من بنى البشر وما أردت بهذه المقالة الا ايضاح التشريع الاسلامى .

ولقد رمتنا أوربا ومن يدور فى فلكها بكثير من المشاكل حتى يظل الشرق يخوض فيها فينصرف عن عقيدته وعن تحرير بلاده .. ولقد كنا نظن أننا نحيا ـ على الأقل ـ بعيدا عن التيارات الغربية المنحرفة ولكن هذا الأمر أصبح وكأنه بعيد المنال ، وكنا نعتقد أيضا أن عصر العلم الذى ظهر فى أوربا ومن على شاكلتها قد يجعلها تنظر الى بلاد المشرق العربى نظرة انصاف وتقدير ، ولكننا وجدنا مشاكل عديدة قد أثارتها وضخمتها علينا دعايات هذه الدول حتى جعلت من الزواج مشكلة ، والطلاق مشكلة ، وتعدد الزوجات مشكلة ، والنفقة مشكلة ، وحرية المرأة مشكلة ، والحضانة مشكلة ، والزى مشكلة ... الخ .

وهذه المشاكل وغيرها قد وضع لها الاسلام الحلول اللازمة ، وحسم الأمر فيها حسما جازما ، ومن يمعن النظر فى تعاليم الاسلام يعلم أن ما يثار حول هذه المشاكل انما هو صرف الهمم عن الصالح العام كما أنه مضيعة للوقت ، فالمسلمون الأوائل عاشوا فى مثل هذه المشاكل ولكنهم عالجوها بتعاليم الاسلام فلم تصرفهم عن عقيدة أو وطن ؟ لأنهم طوعوا أنفسهم لتعاليم الله وحكمه : « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (١) « فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك

---

(١) الحشر آية : ٧

فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (١) .

فلم تكن المشاكل الاجتماعية اذن تبعدهم عن أوامر الله بل كانوا يلتمسون لها الحل فى كتاب الله وسنة رسوله ويذبون عن عقيدتهم ووطنهم حتى استقامت لهم الحياة ، ولما كانت المرأة تقاسم الرجل حياته حلوها ومرها بين القرآن منزلتها ومكانتها ، ومن ينادى بحق المرأة وحريتها فهو لم يأت بجديد ؟ فالقرآن أعطاها حقها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا .

ولكن الغرب لا يكف عن القول بأن المرأة عندنا مهيضة الجناح ، مهضومة الحقوق ، ولابد أن تنال حقوقها من الرجال ونقول له : ان الاسلام أعطى المرأة حقوقها كاملة دون مطالبة منها ، فان كان هناك بعض الأسر التى أجحفت بحق المرأة فان مثل هؤلاء ليسوا بحجة على الاسلام ، لأن القرآن أوضح حق المرأة منذ ولادتها ، بل وهى فى المهد لم تصبح بعد زوجة وأما وجدة .. وما كان ينبغى للمشاكل الأسرية أن تعيش بيننا الا على نطاق ضيق ، لو سلط المسلمون عليها القوانين القرآنية لتبددت وأمنت المجتمعات من الهزات الأسرية التى تكاد تعصف بمستقبل بعضها .

ولعل الصورة تتضح فى ذهن القارىء اذا علم أن الزواج مثلا فى الاسلام وهو نواة الأسرة وصمام أمن الأمة وساعدها الأيمن يختلف فى أحكامه عندنا عن أمم الغرب المسيحى فالزواج فى الاسلام لايجعل المرأة تفقد اسمها ولا شخصيتها ولا أهليتها فى التعاقد ولا حقها فى التملك اذ لا يجوز للزوج أن يأخذ من مال زوجته شيئا قل هذا المال أو كثر الا برضاها وعن طيب خاطر منها يقول سبحانه : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » (٢) .

وحرص الاسلام على حقوق المرأة جعل الزوج لا يتصرف فى مال امرأته الا برضاها وأباح لها أن توكل غيره اذا أرادت . مع أن أرقى الأمم

---

(١) النساء آية ٦٥
(٢) النساء آية ٤

حضارة ومدنيـة لم تهتم بحالة المرأة كما اهتم بها الاسلام ،فهذه فرنسا مثلا كانت الى عهد قريب تعامل المرأة معاملة أشبه بالرق المدنى ومن يقرأ المادة ٢١٧ من القانون المدنى الفرنسى يعلم الى أى حد وصلت المرأة فى ظل الاسـلام ورعايتـه حدا لم تصل اليـه المرأة الغربيـة فى ظل الحضارة والمدنيـة تقـول هـذه المـادة : « ان المـرأة المتزوجة ، حتى لو كان زواجها قائما على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها ، لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنقل ملكيتهـا ولا أن ترهن ولا أن تملك بعوض أو من غير عوض بدون اشتراك زوجها فى العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية » .

ويقول الدكتور على عبـد الواحد وافى معلقا على هذه الفقرة : « ومع ما أدخل على هـذه المـادة من قيود وتعديلات فيمـا بعـد فان كثيرا من آثارها لا يزال ملازما لوضـع المرأة الفرنسية من الناحيـة القانونيـة الى الوقت الحاضر » أ . هـ (١) .

وتوكيدا لهذا الرق المدنى المفروض على المرأة الغربيـة المتزوجة ، تقرر قوانين الأمم الغربية ويقضى عرفها أن المرأة بمجرد زواجهـا تفقد اسـمها واسم أسرتها ،

وفقدان اسم المرأة وحملها لاسـم زوجها ، كل ذلك يرمز الى فقـدان الشخصية المدنية للزوجة واندماجهـا فى شخصية الزوج .. يقول الدكتور عبد الواحد :

« ومن الغريب أن الكثير من سيداتنا يحاولن أن يتشبهن بالغرب حتى فى هـذا النظـام الجـائر ، ويرتضـين لأنفسهن هذه المنزلة الوضيعة ،فتسمى الواحدة منهن نفسها باسم زوجها ، أو تتبع اسمها باسم زوجهـا وأسرته بدلا من أن تتبعه باسم أبيها وأسرتها كما هو النظام الاسلامى . وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل اليه المحاكاة العميـاء اذ أغرب من هـذا كله أن

---

(١) الدكتور على عبد الواحد وافى « حقوق الانسان فى الاسلام ».

اللائى يحاكين هذه المحاكاة من المطالبت بحقوق النساء ومساواتهم بالرجال، ولا يدرين أنهن بتصرفهن هذا يفرطن فى أهم حق منحه الاسلام لهن ورفع به شأنهن وسواهن فيه بالرجال »(١) .

ومما حرص عليه الاسلام أيضا فى رعايته للمرأة حق التعلم أسوة بالرجل فقد قال صلى الله عليه وسلم : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للشفاء بنت عبد الله العدوية من رهط عمر بن الخطاب : ألا تعلمين حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة ؟ وكانت الشفاء كاتبة فى الجاهلية (٢) هذا فى الوقت الذى نرى فيه من يسم تعاليم الاسلام بالتأخر والرجعية والجمود ، وهذه قوانين أثينا الوضعية فى عصر الديمقراطية تغلق باب العلم فى وجه المرأة ! ونقرأ معا هذه الفقرة كما جاءت فى كتاب المساواة فى الاسلام للدكتور على عبد الواحد وافى ص ٥٠ ، ٥١ :

« وكانت قوانين أثينا نفسها ، وهى أرقى قوانين اليونان جميعا ، وأدنى الى الديمقراطية ، لا تتيح فرصة الثقافة والتعلم الا للأحرار من ذكور اليونان، بينما توصدها ايصادا تاما أمام النساء . وقد عبر عن وجهة نظرهم هذه أصدق تعبير ، وصاغها فى صورة نظرية علمية كبير فلاسفتهم أرسطو ، اذ يقرر فى كتابه « السياسة » : أن الطبيعة لم تزود النساء بأى استعداد عقلى يعتد به ، ولذلك يجب أن تقتصر تربيتهن على شئون تدبير المنزل والحضانة والأمومة . ولم يكن أرسطو فى ذلك معبرا عن رأيه الشخصى ، وانما كان مسجلا لما كان يجرى عليه العمل فى دولة أثينا التى يعدون نظامها أرقى نظام ديمقراطى فى الأمم السابقة للاسلام ، ولذلك حينما قرر فى مدينته الخيالية « الجمهورية » مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة فى حق التعلم والثقافة والاضطلاع بمختلف الوظائف كانت آراؤه موضع تهكم وسخرية من مفكرى أثينا وفلاسفتها وشعرائها ،

---

(١) المصدر السابق .
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان فصل بعنوان : « امر الخط » جـ ٣ ص ٥٨

حتى ان أريستوفان عميد شعراء الكوميديا فى ذلك العصر وقف تمثيليتين من تمثيلياته على السخرية بهذه الآراء ، وهما : « برلمان النساء » و « بلوتوس » .

أما فى الغرب وفى عصوره المظلمة حتى بداية العصر الحديث فان المرأة كانت تعامل بمثل ما كانت تعامل به المرأة فى الجاهلية ... « وفى سنة ١٧٩٠ بيعت امرأة فى أسواق انجلترا بشلنين لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التى كانت تأويها .. وكان تعلم المرأة سبة تشمئز منها النساء قبل الرجال ، فلما كانت اليصابات بلاكويل تتعلم فى جامعة جنيف ١٨٤٩ - وهى أول طبيبة فى العالم - كانت النسوة المقيمات معها يقاطعنها ويأبين أن يكلمنها ، ويزوين ذيولهن من طريقها احتقارا لها متحرزات من نجاسة يتقين مساسها .

ولما اجتهد بعضهن فى اقامة معهد يعلم النساء الطب بمدينة فلادلفيا الأمريكية أعلنت الجماعة الطبية بالمدينة أنها تصادر كل طبيب يقبل التعليم بذلك المعهد .. وتصادر كل من يستشير أولئك الأطباء .

وهكذا تقدم الغرب الى أوائل عصرنا الحديث ولم تتقدم المرأة فيه تقدما يرفعها من مراغمة الاستعباد التى استقرت فيها من قبل الجاهلية العربية . فماذا صنع الاسلام للمرأة؟ حكم واحد من أحكام القرآن الكريم أعطى المرأة من الحقوق كفاء ما فرض عليها : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » وحكم آخر من أحكامه العالية أمر المسلم باحسان معاشرتها ولو مكروهة غير ذات حظوة عند زوجها : « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »[1] .

وهذا نبى الاسلام يوصى الرجال بحسن معاملة المرأة فيقول صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وان لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا ، ولا يعصينكم فى معروف ، واذا فعلن ذلك فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف » .

---

(١) المرحوم الأستاذ العقاد : عبقرية محمد ص ١٣٢

ميراث المرأة فى الاسلام :

واذا نظرنا الى نظام الميراث العادل فى الاسلام وجدناه أحاط المرأة بسياج منيع ، كفل لها عيشا كريما فى ظل حياة مستقرة ، فهى طفلة فى رعاية والدها أو ولى أمرها وهى زوجة فى رعاية زوجها ، وهى أخت فى كنف أخيها فان فقدت العائل ولم يكن لها مال فعلى بيت المال أن يكفلها . أما فى حالة وجود تركة فان لها نصيبا مفروضا فرضه الاسلام ويكون على النصف من الرجل ، وهناك حالات يتساوى فيها النساء بالرجال فى الميراث كما فى الحالات الآتية :

( أ ) اذا وجد أبوان مع بنتين فأكثر فان نصيب الأم هنا مساو لنصيب الأب لقوله تعالى : « ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد » (١) .

(ب) اذا وجد أخوة وأخوات لأم فانهم جميعا يستحقون ثلث التركة تقسم بينهم بالتساوى بشرط ألا يحجبهم عن الميراث حاجب كولد أو أب لقوله تعالى : « وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهم السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث » ، فنجد أن الله سبحانه وتعالى لم يقل : « للذكر مثل حظ الأنثيين » (٢) .

(ج) اذا مات شخص وترك ابنا أو بنتين فأكثر وله أبوان فان الأبوين يأخذ كل منهما السدس بالتساوى .

فهل هناك حكمة تجعل نصيب الرجل ضعف نصيب المرأة ؟ والجواب : لعل الحكمة فى هذا أن أعباء الرجل الاقتصادية فى الحياة أكثر ، ومسئوليته المالية أكبر من المرأة ، وأن السعى والكد على المعاش من نصيب الرجل نلمح هذا فى قول الله تعالى : « فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة

(١) النساء آية ١١
(٢) النساء آية ١٢

فتشقى » (١) اشارة الى الرجل وحده دون المرأة ؛ « فالرجل هو رب الاسرة وهو القوام عليها ، والمكلف بالانفاق على جميـع أفرادها بالفعـل ان كان متزوجا ، او سيصبح مكلفا بذلك بعد زواجه . وعلى الرجل وحده كذلك تجب نفقـة الأقرباء . على حـين أن المرأة لا يكلفها الاسلام حتى الانفاق على نفسها .. فكان من العـدالة اذن أن يكون حظ الرجل من الميراث أكبر من حظ المرأة حتى يكون فى ذلك ما يعينـه على القيام بهـذه التكاليف الثقيلة التى وضعها الاسلام على كاهله وأعفى منها المرأة رحمة بهـا وحدبا عليها وضمانا لسعادة الأسرة . بل ان الاســلام قد بالغ فى رعاية المرأة اذ أعطـاها نصف نصيب نظـيرها من الرجل فى الميراث مع اعفائه لها من أعباء المعيشة والقائها جميعا على كاهل الرجل » (٢) .

ومن يقرأ القرآن ويتـدبر ما جاء بشأن المرأة يتيقن أنه أنصفها وأظلها بعنايته ورعايته ، وسيظل هذا الانصاف الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهـو مؤمن فلنحيينـه حياة طيبـة ولنجزينهم أجـرهم بأحسن ما كانوا يعملون »(٣) ولقد خاطب القرآن المرأة بما خاطب به الرجل فى شأن العقيدة فقال تعالى : « يا أيها الناس اعبـدوا ربكم » (٤) وقال : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (٥) .

وجعل لها حق الهجرة من أجل العقيـدة ومبايعة الرسـول صلى الله عليـه وسـلم .. يقول جل ذكره : « يا أيهـا الذين آمنـوا اذا جاءكم المؤمنـات مهـجرات فامتحنـوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن » (٦) .

---

(١) طه آية رقم ١١٧ .
(٢) الدكتور علي عبد الواحد وافى : « حقوق الانسان فى القرآن » .
(٣) النحل آية ٩٧
(٤) البقرة آية ٢١
(٥) الذاريات آية ٥٦
(٦) الممتحنة آية ٥٦

وأباح لها حق الشهادة فقال تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » (١) أما فى النظام الأسرى العام وصيانته فان الله يقول :« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » (٢) وكلمة « درجة » فسرها المرحوم العقاد فى كتابه الفلسفة القرآنية بقوله : « تكون هذه القوامة هى الدرجة التى يتفوق بها الرجال » ثم قال فى آخر بيانه : « على أن هذه التفرقة بين الجنسين لا تتعدى تكاليف المعيشة وعلاقات المجتمع ، الى تكاليف العقيدة وفضائل الأخلاق ، ومطالب الروح ، لأن المرأة تخاطب فى القرآن كما يخاطب الرجل فى هذه الأمور ، وتندب لكل ما يندب له من الفرائض والأخلاق التى تجمل بذوى الخير والصلاح » .

أيها القارىء الكريم ، مما سبق يتضح اشادة الاسلام بحق المرأة ووضعها مع الرجل فى المسئولية والحقوق أمام الله مما يدل دلالة واضحة على أن القرآن وهو دستور الاسلام قد ضم بين دفتيه حقوق البشرية ، فهو جدير بكل دراسة أمينة صادقة ، ومن يحاول الانسلاخ من تعاليمه بحجة المدنية ومتطلبات العصر فلن يعود عليه هذا الانسلاخ الا بالخزى ، بل ان من يتنكر لتعاليم الاسلام وفرائضه فهو اما متشكك أو منحرف التفكير وكلا الأمرين يضر صاحبه ولا ينفعه . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ؟

**محمود محمد رسلان**

## « استدراك »

وقع فى الجزء التاسع عدد ذى القعدة ١٣٩٤ هـ فى مقال « المراة فى ظل الاسلام » خطأ مطبعى فى الصفحة ( ٩٨١ ) النهر الثانى السطر ١٢ مكرر ، وبعد حذفه تصبح صحة العبارة : « .. لما انها تطلق من زوجها لأهون الأسباب بل ولأقل حجة » . وبهذا تستقيم العبارة .

**المجلة**

---

(١) البقرة آية رقم ٢٨٢
(٢) البقرة آية رقم ٢٢٨

## صفحات من تاريخ القاهرة :

# الخليج المصري أو شارع بورسعيد

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

هذه الأسماء التى تزخر بها لافتات الشوارع والميادين فى مصر القهرة ، هى فى الواقع صفحات من تاريخ العاصمة • وبالتالى حلقات من سلسلة تاريخ الدولة •

وقديما لم تكن هناك لجان لتسمية الشوارع • بل الأسماء تجرى على ألسنة الناس لشهرة خاصة بالمكان كمسجد أو دار عظيم أو حرفة معينة أو غيرها من الأسباب • فيصبح الاسم علما للمسمى • فاذا اندثر الأثر ، أو تغيرت معالمه وأوضاعه ، تبعا لتطور المدنية ومقتضيات العصر الحديث ، من اتساع الشوارع لتوفير المسكن الصحى وسهولة المواصلات ، بقى الاسم دلالة على ما كان هناك ، ويصبح الاسم بديلا عن المسمى ، يربطنا بالماضى وتاريخه بهذا الخيط الرفيع من لافتة بالاسم ، نستعملها الآن للتعريف بالمكن ، وهى فى الواقع أيضا تعريف بالزمان •

وأول تنظيم رسمى لتسمية الشوارع بدأ فى عهد محمد على ، فقد أصدر أمره سنة ١٢٦٣ هـ ( ١٨٤٧ م ) بضرورة تسمية الشوارع وترقيم المنازل ، ويكون الترقيم فرديا على يمين المار ، وزوجيا على يساره ، وهى الطريقة المتبعة الآن ، وأمر بأسماء الشوارع تكتب على لوحات وتسمر على الجدران ، وجعل للوحات والمداد الذى تكتب به ألوانا تختلف باختلاف الشوارع ، أما أرقام المنازل فاكتفى بكتابتها فوق الأبواب أو بجوارها •

وفى سنة ١٨٩٧ م ، صدر أمر عباس حلمى الثانى بترقيم المنازل بلوحات تثبت عليها •

فاذا نظرنا الى هـذه الأسماء التى تزخر بها لافتات الشوارع فى العاصمة نجد أن لكل اسم علة ، ولكل اسم قصة وتاريخا ، وقد تندرس الآثار ولا يبقى غير الأسماء ، فلم يبق من القصرين الشرقى والغربى الفاطميين غير اسم بين القصرين ، ولا يوجد أى سروجى بحى السروجيـة ، ولا فحم بحى الفحامين ، ولا تجارة ولا مخازن للسكر بحى السكرية ، ولا صناعة ولا تجارة للأسلحة بحى سوق السلاح ، سواء الحى القديم فى عهد السلاطين المماليك بالقرب من بين القصرين ، أو المستجد فى عهد المماليك البكوات بالقرب من القلعة ، ولا سور بشارع بين السورين ، ولا بركة بشارع وجه البركة قبل أن يطلقوا عليه اسم شارع نجيب الريحانى ، ولا باب ولا بحر بباب البحر عند ميدان رمسيس ، ولا بركة ولا فيل ببركة الفيل ، ولا عشش أو أكواخ أو أخصاص ـ كما يدل عليه الاسم التركى ـ بحى الزمالك ، بل قصور وعمارات •

وأيضا لا خليج فى شارع الخليج• زال كل هذا واندرس ، وأصبح صورا فى الذاكرة والخيال ، لا بقاء لها الا بهذا الخيط الرفيع الذى يربطها بالتاريخ وهو الاسم على لافتة الشارع أو المكان •

فتعالى نتجول فى أنحاء العاصمة لنرى ما على هذه اللافتات من حلقات من سلسلة تاريخ العاصمة وتطورها ، وما فى بعض هذه الآثار الباقية من مجد وعظمة ، وما فى البعض الآخر من عظة وعبرة ، ذاكرين قول المتنبى:

تتخلف الآثار عن أصحابها
حينا ويدركها الفناء فتتبع

ونبدأ بشارع الخليج المصرى ، أو كما يسمى الآن شارع بور سعيد •
والخليج المصرى موغل فى القدم فى أغوار التاريخ آلاف السنين ، ويعتبر من أقدم المجارى الصناعية التى حفرها الانسان واستمرت حتى العصر الحديث •

فقد ذكر أن سنوسرت الثالث ( ١٨٨٧ ـ ١٨٤٩ ق٠م ) ـ وكان يسمى أيضا سيزوستريس ـ من ملوك الأسرة الثانية عشر وصل النيل بالبحر الأحمر •

وأن سيتى الأول ( ١٣١٤-١٢٩٢ ق٠م ) من ملوك الأسرة التاسعة عشر حفر خليجا يصل البحرين الأبيض والأحمر من فرع النيل الشرقى ٠

وأن نخاو الأول بن بسماتيك ( ٦٠٩ - ٥٩٣ ق٠م ) من ملوك الأسرة السادسة والعشرين شرع فى كرى الخليج الموصل بين البحرين الأبيض والأحمر عن طريق فرع النيل الشرقى ٠

وأن دارا الأول بن قمبيز ( ٥٢١ - ٤٨٠ ق٠م ) حفر الخليج الذى يصل النيل بالبحر الأحمر ٠

وأن بطليموس الثانى ( ٢٨٥ - ٢٤٧ ق٠م ) جدد حفر الخليج الذى حفره الفراعنة ليصل بين النيل والبحر الأحمر ٠

وأن القيصر أدريان ( ١١٧ - ١٣٨ م ) حفر الخليج بين النيل والبحر الأحمر ٠

وأخيرا أن عمرو بن العاص - بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - جدد حفر هذا الخليج سنة ٢٣ هـ (٦٤٤م) وذكر المؤرخون أنه أتم ذلك فى ستة شهور ، وقصر المدة دليل على وجوده من قبل ٠

وذكر أيضا أنه ردم جزء من هذا الخليج قبيل اتصاله بالبحر الأحمر بأمر الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ ( ٧٦٢ م ) ليمنع وصول المؤن من مصر الى المدينة المنورة امدادا للثائر العلوى بها محمد ابن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن على بن أبى طالب المعروف بالنفس الزكية ٠

وظل الخليج مجرى مائيا داخل مدينة القاهرة حتى سنة ١٨٩٧ م ٠

ففى ١٨٩٧/٢/١ صدر الأمر العالى بردمه مراعاة للصحة العمومية٠ وتعهدت شركة الترام بردمه ليسير فيه أحد خطوط الترام ٠

وكان ردم الخليج قبل ذلك محل مناقشة بين المفكرين٠ فكان المحافظون منهم يرون الابقاء عليه لما له من القيمة التاريخية ٠ فقد ارتبط بتقاليد معينة مثل حفلة جبر الخليج وكسر السد عند وفاء النيل ٠ فضلا عن أنهم كانوا يعتبرونه مجرى مائيا وسط المدينة يزيد جمالها وينعش هواءها ٠ ومن ضمن هؤلاء المحافظين على باشا مبارك٠

وكان رأى الآخرين أنه بوصفه الأخير أصبح مصبا لقاذورات المدينة ومنبعا للميكروبات والأمراض •

وتغلب الرأى الثانى أخيرا •

فقد ورد فى تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٨٩٧ ( نشر بجريدة المقطم فى ١٨٩٨/٦/٤ ) : أفضى مد الترام الكهربائى فى شوارع القاهرة الى ردم الخليج • وهو ترعة قديمة كانت تمر سابقا فى قسم من القاهرة • وكان يحتفل بفتحها كل سنة عند ارتفاع النيل احتفالا يظن أنه يمتد الى أيام فتوحات العرب الأولى • غير أن هذه الترعة أهملت منذ سنوات بسبب الاصلاحات التى تمت بالرى • فصار الاحتفال بفتح الخليج مجرد صورة فقط • ثم ان مصلحة الصحة ( وزارة الصحة لم تنشأ الا سنة ١٩٣٥ ) ألحت على الحكومة مرارا فى وجوب ردم الخليج • ولما فشت الكوليرا سنة ١٨٩٦ لم يفتح وقتيا وكن يظن أن الأهالى يستنكرون ردمه وابطال الاحتفال به • لذلك لم يشدد فى الأمر كما يقتضى • غير أنه ظهر على ممر الأيام أن اهتمام الأهالى ببقائه مبالغ فيه • وعليه قر القرار فى السنة الماضية - ١٨٩٧ - على ردمه • وشرع فى ذلك حتى امتلأ !! ( لعلها ترجمة خاطئة للفظ بمعنى تنفذ ) وأصبح الآن سكة عمومية • ولم يبال الأهالى بردمه أى مبالاة • بل ان أصحاب المنازل المبنية على جانبيه ربحوا كثيرا بزيادة أثمان ممتلكاتهم • ا هـ •

وهكذا تم ردم الخليج سنة ١٨٩٨ وسار الترام فيه سنة ١٨٩٩ • فكأن عمر الخليج المصرى حوالى ٣٨٠٠ سنة •

ويمكن أن نحدد من أقوال المؤرخين مجرى الخليج الذى حفره الفراعنة على وجه التقريب •

فقد نقل على مبارك عن هيرودوت أن الخليج بحرى عين شمس وأول من شرع فى عمله سيزوستريس فرعون مصر • ولم يكمله • ولما ملكت الفرس بلاد مصر أراد دارا الأول تكملته فلم يتم له ذلك • ولما ملكت البطالسة أتموه • فكان فرع منه يصل الى السويس وآخر الى البرك المرة - وقال فى موضع آخر أن فمه كان عند بوسط ( بين الزقازيق وبلبيس ) ومده القيصر أدريان الى مدينة بابليون ( قصر الشمع ) - وقال أيضا فى الكلام عن عين شمس أن فى

بحريها بركة وأنها تأخذ ماءها من الخليج المجاور لها •

واستنتج على مبارك أن البركة هى بركة الحاج التى ارتدمت وصارت مزارع • والخليج المصرى يمر بحافتها • فعلى هذا يكون الخليج المصرى هو الخليج الذى حفره الفراعنة •

وبركة الحاج كانت بين المرج والخانكة • وسميت كذلك لأن الحجاج كانوا يجتمعون عندها فى خروجهم للحج وفى عودتهم منه •

ومدينة بابليون التى ذكر أن القيصر أدريان مد الخليج اليها مدينة مصرية قديمة كان بها الحصن المعروف بحصن بابليون ( قصر الشمع ) الذى فتحه العرب فى أول المحرم سنة ٢٠ هـ ( ديسمبر سنة ٦٤٠ م ) عند قدومهم مصر • وآثاره باقية للآن جنوب غربى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط بحوالى كيلو متر تقريبا • وكان الحصن وموقع جامع عمرو على النيل مباشرة عند الفتح العربى • وقيل ان الحصن أصلا من بناء الفرس وأن القيصر تراجان ( ٩٨ – ١١٧ م ) السابق لأدريان قد جدده • وقيل أن اسم بابليون معناه بابل الصغيرة •

وقال على مبارك أن الخليج كان يتبع فى سيره أكثر المواضع التى شغلتها الترعة الحلوة الموصلة لبندر السويس كما وجد ذلك من الآثار القديمة عند حفرها وحفر ترعة الاسماعيلية • وكان يمر بقرب بلبيس والعباسة والتل الكبير والسرابيوم ويملأ البرك المرة بسبب أن بركة التمساح والبرك المرة كانت متصلة ببعضها وبالبحر الأحمر كما قال بذلك المؤرخون •

ومع تضارب الأقوال فى مجرى الخليج القديم فلا شك أن الفراعنة نفذوا اتصال النيل بالبحر الأحمر • وأن هذا الاتصال كان – على الأرجح – من فرع النيل الشرقى المعروف ببحر الطينة أو البحر البلوزى الذى كانت تقع عليه مدينة عين شمس مقر عبادة رع أى الشمس • وينتهى بحر الطينة الى مدينة الطينة أو بلوزة شرقى قناة السويس الحالية على طرف بحيرة تنيس – المنزلة – التى كانت ممتدة الى هناك •

ولا يزال اسم سهل الطينة يطلق على ما تخلف من بحيرة المنزلة شرقى قناة السويس وشرقى مدينة بورفؤاد

كما لا تزال هناك قرية باسم بلوظة محرفة من اسم بلوزة .

وللاستطراد واستكمال الصورة نذكر أن دلتا النيل كانت قديما فى زمن الفراعنة من سبعة أفرع :

١ - الشرقى واسمه بحر الطينة أو البلوزى المذكور . ويبدأ من النيل جنوبى موقع القناطر الخيرية - أى قبل الدلتا الحالية - وقل على مبارك ان خليج أبى النجا ومصرف أبى الأخضر الحاليين جزء منه .

٢ - البحر التنيسى ويبدأ من فرع دمياط الحالى بالقرب من موقع مدينة زفتى وينتهى الى بحيرة المنزلة عند صا الحجر .

٣ - البحر المنديسى . ويبدأ أيضا من فرع دمياط الحالى بالقرب من موقع مدينة المنصورة . ويصب فى بحيرة المنزلة . والأرجح أن هذا الفرع هو البحر الصغير الحالى بمحافظة الدقهلية .

٤ - البحر الفاتنيتى . وهو الباقى للآن باسم فرع دمياط .

٥ - الفرع السبنتى فى وسط الدلتا الحالية يأخذ من فرع دمياط عند موقع مدينة طلخا ويصب شرقى البرلس .

٦ - الفرع البلبتينى وهو الباقى للآن باسم فرع رشيد .

٧ - الفرع الكانوبى . ويبدأ من فرع رشيد بالقرب من موقع كفر الزيات ويصب فى البحر الأبيض عند أبى قير .

وفى موقع مدينة الطينة المذكورة أو بالقرب منها قامت المدينة التى عرفها العرب باسم مدينة الفرما . والفرما محرفة من اسمها القبطى فرومى . وكان الرومان يسمونها بلوزيوم . وقال بعض مؤرخى العرب أن الأرض هناك كانت فى الأزمن السحيقة ممتدة الى جزيرة قبرص ثم طغى البحر عليها . وكان للفرما فى التاريخ شأن يذكر كحصن أمامى لمصر ، ثم تضاءل شأنها حتى أصبحت منفى للعصاة من المماليك ، ثم اندثرت وتلاشت منذ القرن التاسع عشر الميلادى .

وينسب بعض المؤرخين العرب الى الفرما أنها مجمع البحرين الذى ذكر التقاء موسى وفتاه يوشع بالخضر عليهم السلام عنده ( فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ) (الآية ٦٥ من سورة الكهف) . وأنه كانت بها الأبواب التى قال عنها

يعقوب عليه السلام لأولاده (لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ) ( الآية رقم ٦٧ من سورة يوسف ) •

ونعود الى ما قبل الاستطراد •

فمن الأقوال السابقة يرجح أن الخليج المصرى بعد مأخذه من بحر الطينة كان يمر بطريق يقرب كثيرا من مجرى ترعة الاسماعيلية الحالية • حتى يصب فى الجزء الجنوبى من بحيرة التمساح أو فى البحيرات المرة التى كانت والتمساح والبحر الأحمر متصلة ببعضها • وأن بطليموس الثانى أخذ من نهايته فرعا الى المدينة القديمة القلزم التى قامت السويس مكانها • وأن القيصر أدريان مده بالقرب من مأخذه من بحر الطينة الى مدينة بابليون • وأن هذا الخليج مع تطاول الأزمان منذ حفره الفراعنة أول مرة فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد كان يهمل أحيانا حتى يصبح غير صالح لتحقيق الغرض من انشائه ثم يأتى حاكم مصلح فيجدده سواء فى مجراه الأصلى أو مع بعض التغييرات •

فان صح هذا ــ وهو راجح ــ كان الخليج الذى حفره الفراعنة فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد هو نفس الخليج الذى جدد حفره عمرو بن العاص والذى أخذت ترعة الاسماعيلية جزءا منه فى القرن التاسع عشر بعد الميلاد • والذى بدأت شركة الترام سنة ١٨٩٧ م في ردم جزء آخر منه داخل المدينة • وردمت بعد ذلك أجزاء أخرى أخيرا لما امتدت حدود عوايد أملاك القاهرة شمالا ــ لكان عمر هذا الخليج ٣٨٠٠ سنة تقريبا •

ولكن لاجدال أن الخليج أو الجزء من الخليج الذى بدأت شركة الترام فى ردمه سنة ١٨٩٧ م هو من الخليج الذى جدد حفره عمرو بن العاص سنة ٢٣ هـ ( ٦٤٤ م ) وقامت على جانبه العسكر ثم القطائع ثم القاهرة الفاطمية • ولم يتغير مجراه داخل المدينة طول هذه المدة • وعمر هذا الجزء قريب من ثلاثة عشر قرنا غير مشكوك فيه •

ويبدو مما ذكر فى أول هذا المقال أن الفراعنة نفذوا اتصال البحرين الأبيض والأحمر عن طريق خليج آخر عرف باسم خليج البرزخ •وهى فكرة دى ليسبس فى انشاء قناة السويس • ونظرا لاختلاف منسوب

المد فى البحرين الأبيض والأحمر ( أقصى المد فى البحر الأحمر ٢ متر و ٤٠ سنتى وفى الأبيض ٣٨ سنتى ) ولانخفاض الأرض بجوار بحيرة المنزلة مما يخشى عليه من التلف نتيجة التأثر بالملوحة فقد أقاموا سدودا فى خليج البرزخ تفتح وتقفل حسب احتياجات الملاحة كما أقاموا سدودا فى الخليج الحلو الآخذ من النيل لتحفظ مناسيب المياه وتحمى سلامة التربة ( الخطط التوفيقية لعلى مبارك ج ١٨ ص ١١٤ و ص ١٢٤ ) .

وقد أراد عمرو بن العاص تجديد هذا أيضا ولكن منعه عمر بن الخطاب خوفا من وصول مراكب الأعداء للحجاز .

وكان الخليج المصرى بوصفه المذكور الغرض منه أولا الملاحة لنقل التجارة بين وادى النيل والبحرين الأبيض والأحمر . وثانيا لرى الأراضى التى يمر بها . ثم استغل أهل القاهرة وجوده للاستقاء والنزهة . وبالغوا فى هذا حتى خرجوا عن حدود اللياقة والأدب مما دعا بعض الحاكمين الى تحريم المرور فيه الا للتجارة .

ويجدر بنا أن نذكر أن ترعة الاسماعيلية كان لها مأخذان من النيل . الأول شمال قصر النيل أى بالقرب من موقع فندق هيلتون الحالى . والثانى المأخذ الحالى عند شبرا . وكان الفرع الأول يسير فى جزء من مجرى الخليج الناصرى حتى الظاهر ثم يتجه شمالا بشرق حتى يلتقى بفرع الاسماعيلية الحالى شمال الأميرية . وقد تم الآن ردم الفرع الأول .

والخليج الناصرى ـ نسبة الى الناصر محمد بن قلاوون . وكان يبدأ من النيل شمال موقع القصر العينى ثم يتجه شمالا بشرق الى موقع ميدان التحرير وشارع سليمان باشا الحاليين حتى ميدان رمسيس بالقرب من جامع أولاد عنان (بشارع الجمهورية حاليا) ثم يتجه شرقا فى حى الفجالة حتى قرب ميدان الظاهر حيث يلتقى بالخليج المصرى .

وكان الخليج المصرى بعد تقاطعه مع شارع رمسيس عند غمرة يسير فى الجانب الشرقى لفرع ترعة الاسماعيلية السابق مخترقا الوايلى ( والوايلى نسبة الى بنى وائل احدى القبائل العربية ) وموازيا لهذا الفرع حتى التقائه بالفرع الثانى شمال الأميرية . ثم يسير بجوار

ترعة الاسماعيلية الحالية بعد اندماج فرعيها وموازيا لها تقريبا الا فى بعض الأجزاء • ثم يتجه شرقا بشمال مستشفى الأمراض العقلية بالخانكة • ثم شمالا الى قرب أبى زعبل •

وتضاءل طول الخليج فقد ذكر على مبارك أن الخليج فى وقته أصبح بعد انشاء ترعة الاسماعيلية يصب فى الجبل جنوبى أبى زعبل • وأن طوله ٤٦٢٠٠ متر وعرضه من ٤ ـ ١٥ مترا وارتفاعه فى الفيضان ٦٫٢٠ متر •

وكان يخرج من الخليج من جانبه الشرقى داخل حدود عوايد أملاك مدينة القاهرة الحالية خمسة فروع ردمت جميعها • ولا تزال أسماء بعض هذه الفروع تطلق على الشوارع التى حلت محلها •ثم شارع ترعة الجبل •

وكان الخليج مردوما عند الفتح الاسلامى لاهمال مرافق البلاد الحيوية والوهن الذى دب فى الامبراطورية الرومانية • وقد مر بين أدريان آخر من جدد حفره وبين الفتح الاسلامى ما يقرب من الخمسة قرون • فلما دعت الحاجة الى اتخاذ طريق سهل لنقل المؤن الى الحجاز لما فى مصر من وافر الخيرات • أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عمرو بن العاص باعادة حفره سنة ٢٣ هـ ( ٦٤٤ م ) ولهذا عرف باسم خليج أمير المؤمنين•

ثم دخل الفاطميون مصر فى عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله • وأنشأ قائده جوهر مدينة القاهرة سنة ٣٥٨ هـ ( ٩٦٩ م ) على الشاطىء الشرقى للخليج فيما بين باب الشعرية وباب الخلق الحاليين فعرف بخليج القاهرة •

وذكر المقريزى أن العامة تسميه فى وقته ( القرن التاسع الهجرى ـ الخامس عشر الميلادى ) بالخليج الحاكمى وبخليج اللؤلؤة والحاكمى نسبة الى الحاكم بأمر الله الفاطمى واللؤلؤة نسبة الى منظرة اللؤلؤة ـ والمنظرة عبارة عن قصر صغير ـ التى أنشأها العزيز بالله بن المعز على الشاطىء الشرقى للخليج بالقرب من موقع ميدان باب الشعرية الحالى • وكان الخليفة وحاشيته من رجال ونساء فى أيام الفيضان وغيرها من المناسبات ينتقلون اليها للنزهة من القصر الشرقى الكبير على الدواب وعلى الأقدام فى سراديب تحت الأرض حتى لا تراهم العيون •

ثم تطورت المدينة حتى اتصلت القاهرة الفاطمية بالفسطاط وما بينهما

من العسكر والقطائع حتى أصبح الجميع مدينة واحدة يجوز أن نسميها مصر القاهرة ( أو ما اصطلح أخيرا على تسميتها القاهرة الكبرى ) أو ما كان يجرى على ألسنة الناس مصر فقط أو كما ورد اسمها فى كثير من الحجج القديمة مصر المحروسة •
وكان الخليج يحدها غربا فى الجزء الأكبر منها •وغربى الخليج والبساتين حتى النيل ثم حكرت هذه البساتين والمزارع وتحولت الى مبانى تضاف الى رقعة المدينة الكبيرة تعرف باسم الخليج المصرى •

ثم لما جدت خلجان أخرى مثل الخليج الناصرى ، وخليج الذكر ، وخليج الخور ، وغيرها عرف باسم الخليج الكبير •

واذا قيل الخليج فقط انصرف المعنى الى هذا الخليج الكبير •

ولم يكن النيل عند الفتح العربى وعند تجديد عمرو بن العاص حفر الخليج يجرى فى مجراه الحالى • فقد ذكرنا أن جامع عمرو ، وحصن بابليون بالفسطاط كانا وقتذاك على النيل مباشرة • والآن يبعدان : جامع عمرو عن النيل بحوالى ٥٢٥ مترا ، وحصن بابليون بحوالى ٢٥٠ مترا تقريبا •

وكان النيل يجرى غربى موقع مسجدالسيدة زينب بحوالى ٣٠٠ متر، والآن يبعد عنه بحوالى ١٣٠٠ متر تقريبا • وكان النيل يسير فى اتجاه شارع عماد الدين على وجه التقريب حتى ميدان رمسيس • وكان جامع أولاد عنان بشارع الجمهورية على النيل مباشرة • وكان هناك الميناء النهرى للمدينة • وهناك أيضا كان الفاطميون يحتفلون بتوديع الأسطول الخارج للغزو فيسير منهناك فى النيل الى فرع دمياط ثم الىالبحر الأبيض •

وبالقرب من موقع ميدان السيدة زينب كان أول الخليج الذى جدد حفره عمرو بن العاص • وهناك أنشأ عبد العزيز بن مروان ( تولى ولاية مصر منقبلأخيه عبد الملك بن مروان من سنة ٦٥ ـ سنة ٨٥ هـ ) قنطرة على الخليج • وكان بالقرب من هذه القنطرة منظرة السكرة التى أنشأها الفاطميون ، وكانوا ينتقلون اليها فى الاحتفال بجبر الخليج ووفاء النيل • وقال المقريزى عن منظرة السكرة : أنها منجنان الدنيا المزخرفة •وأفاض

فى وصفها ووصف الاحتفال بجبر الخليج • وقد نعود الى ذكرها وذكر هذا الاحتفال فى مقال آخر باذن الله وقد جهل الآن مكان قنطرة عبد العزيز ابن مروان ومنظرة السكرة • ولكن نرجح أن المنظرة كانت مكان المدرسة السنية أو دار الهلال الحاليين بشارع محمد عز العرب ( المبتديان سابقا ) أو قريبا منهما •

ثم بعد الفتح العربى أخذ النيل فى التحول غربا • حتى اذا كان القرن السابع الهجرى (١٣ الميلادى) جدت أحياء نعرفها الآن بفم الخليج ، والمنيرة ، والقصر العينى ، وجاردن سيتى ، وميدان التحرير ، وباب اللوق ، وسليمان باشا وغيرها • وبذلك بعد النيل عن مأخذ الخليج • فمد الصالح نجم الدين أيوب سنة بضع و ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) الخليج الى النيل عند المكان الذى لا يزال معروفا للآن بفم الخليج •

وبعد انشاء القاهرة الفاطمية على الشاطىء الشرقى للخليج استجد شارع بينها وبين الخليج ( وكان السور الغربى للقاهرة يبعد عن الخليج حوالى ثلاثين مترا ) كما استجدت أملاك تشرف على الخليج من ناحية وعلى الشارع المذكور من ناحية أخرى • وعرف هذا الشارع فى مقابل القاهرة الفاطمية بشارع بين السورين • ولسبب تسميته هذا الاسم تفصيل ليس هنا مكانه •

ثم امتد هذا الشارع الموازى للخليج حتى موقع ميدان السيدة زينب وعرفت أجزاؤه بأسماء مختلفة تبعا للأحياء والمعالم التى يمر بها • وكان ترتيب هذه الأسماء ابتداء من باب الشعرية : شارع الشعرانى ــ ثم بين السورين ــ ثم بين النهدين ــ ثم جامع البنات ــ ثم قنطرة الأمير حسين ــ ثم شارع الحين ( جامع الحين موجود حاليا فى الطرف الجنوبى لميدان باب الخلق ) ــ ثم شارع ضلع السمكة ــ ثم شارع بشتاك أو درب الجماميز ــ ثم شارع اللبودية حتى ميدان السيدة زينب •

ثم اندثر جزء من هذه الأسماء • أو اختصرت • وأصبحت : شارع الشعرانى • ثم شارع بين السورين لغاية تقاطع الموسكى ــ ثم شارع جامع البنات حتى باب الخلق ــ ثم شارع درب الجماميز ، وبعده شارع اللبودية الباقى منه جزء للآن حتى ميدان السيدة زينب •

ولكل اسم من هذه الأسماء قصة وتاريخ نتركهما الآن لعدم الاطالة .

وكانت المبانى بأجزاء الشارع المذكور فى الجانب الغربى منه تطل من جانبها الغربى على الخليج ومن جانبها الشرقى على هذا الشارع .

ثم ردم الخليج وسار فى مجراه الترام سنة ١٨٩٩ م وأصبح شارعا باسم الخليج المصرى كما سبق ذكره .

وفى سنة ١٩٣٠ تقرر توسيع شارع الخليج فأزيلت المبانى بينه وبين الشارع المذكور . وأصبح عرض شارع الخليج بوجه عام مكونا من ثلاثة أجزاء : مجرى الخليج الأصلى والمبانى التى كانت تشرف عليه والشارع المذكور .

وفى سنة ١٩٥٦ أطلق على شارع الخليج اسم شارع بورسعيد تخليدا لمقاومة المدينة الباسلة للعدوان الثلاثى من انجلترا وفرنسا واسرائيل سنة ١٩٥٦

والخليج المصرى اسم جدير بالاحتفاظ به فهو ثمانية وثلاثون قرنا من تاريخ مصر ؟

محمد كمال السيد محمد

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

*** فى رحاب الايمان .**

**للأستاذ محمد عبد العزيز عبد الدايم .**

هذا الكتاب الذى نشرته «الأهرام» يقع فى أكثر من ثلثمائة صفحة من القطع الكبير ، وهو يمثل السلسلة الأولى من حلقات البرنامج الاذاعى المعروف الذى يقدمه يوميا المؤلف من اذاعة جمهورية مصر العربيــة ، والمؤلف من شباب علمـاء الأزهر الشريف ، واذاعى لامع فى اذاعة القرآن الكريم ، يقدم عدة برامج ناجحة لها جاذبيتها لدى المستمعين ، وقد صدر الكتاب بكلمة قيمة للامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، جاء فيها : « فهــذه كلمات منيرة فى رحاب الايمان ، أضاء بها قلب كاتبها الفاضل ، وفاضت على قلمه البليغ بالموعظة الحسنة ، والعبرة النافعة ، والحكمة المرجاه ، فحق لها أن تشق طريقها الى الأسماع .. وأن تنفذ الى القلوب ، وتستحوذ على النفوس » .

الحق أن المؤلف الذبه جال بنا جولة ممتعـة ، وقدم لنا من خلال هـذه الجولة الممتعة وجبات شهية فيها غذاء الروح والقلب والعقل ، كلمات فى سطور ، جاءت فى زهاء مائة وثمانين صفحة ، حيث أمتعنا أيضا بزهاء مائة وثمانين خاطرة ، تميزت هذه الخواطر كلها بأنها على صلة وثيقة بحياتنا ، فى مجالها الروحى ومجالها المادى ، ومجالها السلوكى : مع الله ، الثقة فى الله ، الاعتزاز بالله ، احفظ الله يحفظك ، اذا سألت فاسأل الله ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، اتق الله حيثما كنت ، قل آمنت بالله ثم استقم ، لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، قل لن يصيبنا الا

ما كتب الله لنا ، اذا كنت فى نعمة فارعها ، لتظل كلمة الله هى العليا ، رحم الله رجلا شغلته عيوبه عن عيوب غيره ، لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل ، الاسلام وتكوين الرأى العام ، السماحة ، رحم الله رجلا أهدى الى عيوبى ، الانسان والجماعة ، رقابة الله ، المسلم الايجابى ، من المفلس ؟ ، ما كان لله دام واتصل ، االانسان الخليفة ، الدنيا ومكانها الصحيح ، عبيد الدنيا ، مرضى التكالب على الدنيا ، حقيقة الايمان ، حماية العقيدة ، كما تدين تدان ، الدين النصيحة ، الدين المعاملة ، شريعة الله ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، الأمية الدينية ، خشية الله وخشية الناس ، صلاح القلوب ، الاسلام والمادية ، وظيفة المسجد •• وهكذا خطرات عديدة ، فيها توجيه لبناء المسلم على أسس سليمة وقوية من العقيدة ، والعبادة والسلوك معا ، انها خواطر فى كلمات ليست من سطور وحسب ، بل كلمات من نور أيضا ، فيها تجلية لكثير من المعانى الاسلامية ، وفيها تصحيح للمفاهيم الاسلامية ، وفيها حوار يتجلى فيه الدفاع عن الفكر الاسلامى •• فى دوحة القرآن •• هذا هو الباب الثانى من الكتاب ، وقد استوعب ست عشرة لقطة من كتاب الله ، أو بمعنى آخر ست عشرة وقفة ازاء ست عشرة آية قرآنية : التقوى والقول السديد ، الانسان بين الهلع والأمن ، ذكر الله ، رفض الظلم ، تسبيح الله ، خوف الله ، عاقبة السكوت مع الظلم ، انما أموالكم وأولادكم فتنة ، اعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ؟ قد أفلح من تزكى ، ثم ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا •• وقفات فيها عمق ، ووثيقة الصلة بسلوكنا فى الحياة ••

و « خواطر من الحياة » هو الباب الثالث ، وهذه الخواطر ليست ذهنية ، بل جاءت نتيجة احتكاك المؤلف بالأفراد والأحداث والمشاهدات •• و « سبحات مع الرسول » هو الباب الرابع •• صفحات قليلة كلها مناجاة مع رسول الله ــ صلوات الله عليه وسلامه ، فى يوم مولده ، وفى روضته الشريفة ، و «مواقف خالدة» هو الباب الخامس ، للرسول العظيم يوم مات ابنه ابراهيم ، ويوم انتصر على أعدائه فى فتح مكة ، ومع بعض عماله ، وفى قصة فاطمة المخزومية

التى سرقت ، وفى قصة أبى ذر حين عير بلالا بأمه ، كذلك مواقف خالدة لعمر بن الخطاب ، وأنس بن النضر صاحب رسول الله ، وعمر بن عبد العزيز والشافعى ، و « مع رسائل المستمعين » هو الباب السادس ..

وهو ردود على أسئلة المستمعين واستفساراتهم فى شتى الشئون الدينية وشئون الحياة وعلاقتها بالدين ، أما بقية الأبواب التسعة ، فهى «مناجاة ودعاء » و « فى رياض الصالحين » و « من كلمات الصالحين » وعناوينها تدل عليها ..

وبعد ..

فأكرر القول هنا ، بأن الكتاب متعة فى جولات وخواطر ، ووجبات دسمة فيها غذاء شهى للروح والقلب والعقل معا ، فقد عالج المؤلف كثيرا من القضايا الدينية والاجتماعية والسلوكية الحية ، ودفع عديدا من الشبهات التى أدت الى شىء من القلق لدى شبابنا المسلم المثقف ، وذلك كله فى أفق واسع ، وعبارات سهلة ، وأسلوب شيق ، وفى ذلك كله نرى المؤلف يبنى عرضه للمسألة على أساس آية من كتاب الله ، أو حديث لرسول الله ، أو حكمة لأحد الحكماء من السلف الصالح ..

كنت أود ـ وحسب ـ أن يراعى المؤلف أن الأحاديث المذاعة ، حين تتحول الى كتاب ، يجب أن يستدرك فيها ما لم يكن يسمح بذلك الوقت المحدد لاذاعة كل حلقة ، ومن الأهمية بمكان مسألة الأحاديث النبوية ، ففى مجال الكتابة تتوافر الفرصة لضبطها وتخريجها ولو بالاشارة على هامش الكتاب ، كذلك مسألة شرح الألفاظ التى كانت فى حاجة الى الشرح ، ولو أنها قليلة فى الكتاب ، وهذه ملاحظة عابرة لا تمس قدر الكتاب الجيد شكلا وموضوعا ، الذى أمتعنا بكلمات من نور .

**✻ من الخالق .. الله أم الصدفة ؟**
**للأستاذ رشدى مدبولى .**

هذا كتاب نشرته مكتبة الزهراء بالقاهرة ، ويقع فى أكثر من مائتين وثلاثين صفحة من القطع الكبير ، قدم له بمقدمة موجزة فضيلة الشيخ محمد الغزالى ، أشار فيه الى سروره بقراءة هذا البحث ، وأن تتداوله أيدى القارئين له فى كل مكان ، والى أن الأسلوب العلمى الجاد ضرورة ملحة ماسة لحماية الحقيقة واقناع الآخرين بها ..

والمؤلف الشاب المتخرج فى كلية العلوم ، أهدى كتابه الى الذين يبحثون عن الحقيقة •• والى الذين يتشوقون الى معرفتها ، وأهداه الى المدافعين عن الحق ، والى المؤمنين لعل الكتاب يزيدهم ايمانا ، والى المتشككين ، لعله يزيل الغشاوة عن عيونهم ، ثم أهداه أخيرا الى الذين آمنوا بالصدفة وحدها •• لعل نورا ينبلج فى قلوبهم فيهتدون للخالق •• ويهتدون للحق ••

فى المقدمة المركزة المثمرة ، عرض المؤلف لسؤال ردده الكثيرون عبر الزمن : من هو الخالق ؟ •• سؤال حار فيه الفلاسفة والمفكرون - كما يقول المؤلف ، وتعددت الاجابات وتفاوتت •• فتارة تتجسد صورة الخالق حيوانا من تلك التى يهابونها ويخشونها ، وتارة أيضا نرى صورة الخالق قد تجسدت فى مظهر من مظاهر الطبيعة الخارقة التى لايستطيع الانسان دفعها • فعبدت الشمس والقمر والسحاب ، ثم يشير المؤلف فى النهاية ، الى أن السماء لم تترك الانسان يبحث وحده ، وتتركه حائرا ، ولم تتركه يبحث عن الحقيقة مجتهدا بفكره ، ولذلك كانت رسالات السماء ، ولذا كان الرسل الذين أرسلوا لهداية الانسان الى الحق ••

وفى المؤلف يرى بعد ذلك ، أن كل ما حولنا ليدعونا أن نبحث عن الله ، وسوف نرى الله فى كل ما حولنا ، فى الطيور ، فى الحشرات ، فى الحيوانات ، فى البحر ، فى النباتات ، فى السماء والأرض ، فى الغلاف الهوائى ، فى الكائنات الدقيقة ، فى القدرات الرائعة ، فى الانسان ، والمؤلف يعنى بهذا التعبير أننا نرى الله من خلال قدرته العظيمة ، وصنعه الدقيق ، فى كل ما حولنا ، مما لايدع مجالا للشك فى أنه يستحيل على المصادفة أو الطبيعة أن يكون لها حيلة بهذا الكون الذى يسير وفق تدبير محكم ، وصنع متقن ، والحق أن المؤلف فى هذا الجزء الأكبر من الكتاب جال بنا جولة علمية ممتعة ، فيها تفصيل لكل شىء ، ولا يسع القارىء بعد الانتهاء منها الا أن يهتف من أعماق نفسه : صنع الله الذى أتقن كل شىء ••

وتحت عنوان : ماديون وجاحدون •• سجل حوارا دار بينه وبين أحد الملاحدة ، والحق أنه حوار مقنع تفوق فيه جانب الايمان على جانب الالحاد ، وتحت عنوان : معاول وفؤوس ، عرض المؤلف لأولئك الملاحدة الذين يحملون المعاول والفؤوس متصدين لفكرة وجود الله ، كما عرض لآراء بعض الفلاسفة الغربيين الذين وقفوا الى جانب فكرة وجود الله ، وأخيرا تساءل المؤلف : أين هى الصدفة ؟ فالعجيب أن القائلين بالصدفة يتحدثون باسم العلم ، والعلم فى الحقيقة منهم يدير ظهره لهم ••

وبعد ••

فما أحوجنا الى هذه الدراسة التى قدمها المؤلف الأستاذ رشدى مدبولى، فالفكر الاسلامى اليوم فى مواجهة عديد من التحديات التى تهب علينا من الشرق والغرب ، فى ثياب المادية الملحدة ، وكم كنا نود أن يدلى شبابنا المثقف من خريجى الكليات المدنية العملية والنظرية بدلائهم فى هذه المعركة التى لا تزال حامية الوطيس بين الاسلام وبين الأفكار العدوانية التى تقف للاسلام بالمرصاد، فالمؤلف أجاد لأنه كتب فى مجال تخصصه ، وأملنا كبير فى أن يحتذى به الشباب فى مجالات تخصصاتهم ان شاء الله •

*** حول حكم قضائى جرىء :**

لم أكد أصدق عينى وأنا أقرأ هذا الخبر الموجز فى الصفحة الأخيرة من جريدة الأهرام فى ٧٤/١٠/٣٠، الخبر تحت عنوان : للعاملة الحق فى السفر دون اذن الزوج •• يقول : « ابراهيم رشدى رئيس محكمة شمال القاهرة أصدر أول حكم بحق الزوجة فى السفر للخارج — رغم اعتراض الزوج — الذى سيعتبر مبدأ قانونيا•• الحكم صدر لصالح فاطمة محمود التى تعمل مدرسة فى الكويت ، وسينفذ — أى الحكم — بمسودته قبل طبعه حتى تستطيع السفر فورا » •

كنت أود أن يشير الخبر الى : «على أى أساس بنى القاضى حكمه الجرى»، ونحن نعلم أن من حق القاضى أن يجتهد فى مجال القانون الوضعى ، لكن المسألة تتصل بنصوص شرعية لا تقبل المناقشة ، ونحن نعلم — على قدر معلوماتنا البدهية ، أن من حق

الزوج أن يستأنف الحكم ، والسرعة في تنفيذ الحكم يضيع على الزوج حقه في الاستئناف ، وهو حق قانوني من النظام العام ؟ ولست أدري اذا كان القاضي قد جال بذهنه ان أي زوج يحس بشيء من الكرامة لا يمكن ـ والحال كذلك ـ أن يبقى على مثل هذه الزوجة التي تعتبر ناشزا .. !

*** قراءات :**

« لا تكلف ما لا تطيق .. ولا تتعرض لما لا تدرك .. ولا تعد بما لا تقدر عليه .. ولا تنفق الا بقدر ما تستفيد .. ولا تطلب من الجزاء الا بقدر ما صنعت .. ولا تفرح الا بما نلت من طاعة الله .. ولا تتناول الا ما رأيت نفسك له أهلا .. » .

« الحسين بن على »

**محمد عبد الله السمان**

# باب الفتوى

للأستاذ محمد أبو شادي

س ١ – هل الحج واجب على الفور أم على التراخي وما رأى الفقهاء في ذلك ودليلهم ؟

الجواب : ذهب الامام الشافعي : والثوري ، والأوزاعي ، ومحمد بن الحسن الى أن الحج واجب على التراخي ، فيؤدى في أي وقت من العمر ، ولا يأثم من وجب عليه بتأخيره ، متى أداه قبل الوفاة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر الحج الى السنة العاشرة من الهجرة ، وكان معه أزواجه وكثير من أصحابه ، مع أن ايجابه كان سنة ست .

فلو كان واجبا على الفور لما أخره صلى الله عليه وسلم ، وذهب أبو حنيفة ، ومالك وأحمد بن حنبل ، وبعض أصحاب الشافعي ، وأبو يوسف الى أن الحج واجب على الفور واستدلوا بحديث ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أراد الحج فليعجل فانه قد يمرض المريض ، وتضل الراحلة ، وتكون الحاجة » وعنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « تعجلوا الحج – يعني الفريضة – فان أحدكم لا يدرى ما يعرض له » رواه أحمد والبيهقي ، والقائلون بالتراخي حملوا هذه الأحاديث على الندب ، وأنه يستحب تعجيله والمبادرة به ، عند الاستطاعة .

س ٢ – هل حج الصبي يجزئه عن حجة الاسلام ؟ وما رأى الفقهاء في ذلك بالتفصيل ؟

الجواب – أجمع الفقهاء على أن الصبي اذا حج قبل أن يدرك فعليه الحج اذا أدرك ، والدليل على ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله

عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أيما صبى حج ثم بلغ الحنث ـ أى بلغ أن يكتب عليه اثمه ـ فعليه أن يحـج حجـة أخـرى » ، رواه الطبرانى بسند صحيح ، وعن جابر رضى الله عنـه قـال : حججنـا مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، ومعنا النسـاء والصبيان ، فلبينـا عن الصبيان ، ورمينا عنهم ، رواه أحمد وابن ماجه وروى عن عمر رضى الله عنه أن الصبى يثاب على طاعته وتكتب له حسناته دون سيئاته .

س ٣ ـ تكالب الناس على العمرة فى رجب فهل النبى صلى الله عليه وسلم اعتمر كثيرا فيه ؟

الجواب ـ ورد عن ابن عمر ، أنه قيل له كم اعتمر النبى صلى الله عليه وسـلم ؟ قال : أربعـا احـداهن فى رجب ، قال السائل ، فقلت لعائشـة يا أماه ، ألا تسـمعين ما يقـول أبو عبد الرحمن قالت ما يقول ؟ قال : يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمـرات احداهن فى رجب قالت يرحـــم الله أبـا عبد الرحمن ، ما اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم ، عمرة الا وهو شاهده وما اعتمر فى رجب قط » .

والسيدة عائشة قالت ذلك مبالغـة فى نسـبة ابن عمر الى النسيان ولم تنكر عليه الا قوله احداهن فى رجب وزاد مسلم وابن عمر يسمع فما قال لا ولا قال نعم وسكت وقال النووى سكوت ابن عمر على انكار عائشة يدل على أنه كان اشتبه عليـه أو نسى أو شك ، ومن هذا نعلم أن النبى صلى الله عليه وسـلم لم يعتمر فى رجب وتكالب النـاس على العمرة فيه لأنه شهر الله الحرام والعمل الطيب فيه مضاعف ثوابه .

س ٤ ـ هل يجزىء الحج من مال حـرام ؟ وما حـكم من حج من مال حرام ؟

الجواب ـ اختلفت الفقهـاء فى هــذا فمنهـــم من أجازه مـــع الاثم ومنهم من منعـه ، وقـال الامام أحمد : لا يجزىء وهو الأصح مستدلا بقول النبى صـلى الله عليه وسلم : «ان الله طيب لا يقبل الا طيبا» وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ـ حلال ـ ووضع رجله فى الغرز ـ ركاب من جلد يعتمد عليه الراكب حين يركب ـ فنادى لبيك اللهم لبيك ، ناداه منـاد

من السماء لبيك وسعديك ، زادك حلال ، وراحلتك حلال وحجك مبرور ـ مقبول ـ غير مأزور ـ جالب للوزر ـ واذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز ، فنادى لبيك، ناداه مناد من السماء ، لا لبيك ولا سعديك ، زادك حرام ، ونفقتك حرام ، وحجك مأزور غير مأجور ، رواه الطبراني في الأوسط ، ورواه الأصبهاني .

س ٥ ـ منى محصورة بين جبال صخرية وأرضها رملية وهي التي تسبب ضربة الشمس فهل جميع الفقهاء متفقون على أن المبيت بها أمر لابد منه ؟

الجواب ـ المبيت بمنى واجب عند الأئمة الثلاثة ، ويرى الأحناف أنه سنة ولا شيء على من تركه لقول ابن عباس اذا رميت الجمار فبت حيث شئت رواه ابن أبي شيبة وقال ابن حزم ومن لم يبت ليالي منى فقد أساء ولا شيء عليه واتفق الأئمة الأربعة وغيرهم على أنه يسقط عن ذوى الأعذار كالسقاة ورعاة الابل فلا يلزمهم شيء بتركه .

س ٦ ـ من السيد ابراهيم محمد عيطه ، انسان شفي من مرضه المزمن فهل يحج عن نفسه بعد انابته الغير ليحج عنه مع العلم بأنه توفى .

الجواب : يرى بعض الفقهاء ومنهم الامام أحمد أنه يجزيء حج النائب عنه بشرط أن يكون النائب قد حج عن نفسه قبلا ـ ولا تلزمه الاعادة بشفائه ـ لأن القول بالاعادة مفض الى ايجاب حجتين ـ ويرى البعض الآخر أنه لا يجزئه لأنه تبين أنه لم يكن ميؤوسا من شفائه وأن العبرة بالانتهاء ويرى ابن حزم ما رآه الامام أحمد وقال : اذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالحج عمن لا يستطيع الحج راكبا ولا ماشيا وأخبر أن دين الله يقضى عنه فقد تأدى الدين بلا شك وأجزأ عنه وأن مما لا شك فيه أن ما سقط وتأدى فلا يجوز أن يعود فرضه الا بنص ولا نص هنا أصلا بعودته ويقول لو كان عائدا لبين عليه الصلاة والسلام ذلك اذ قد يقوى الشيخ فيطيق الركوب ولم يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فلا يجوز عودة الفرض عليه بعد صحة تأديته عنه .

س ٧ – من السيدة هانم ابراهيم ، هل على المرأة حج مع استطاعتها وقدرتها المالية سواء صحبها محرم أم لا ؟

الجواب : يقول ابن عباس رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة الا مع ذى محرم فقام رجل وقال يا رسول الله ان امرأتى خرجت حاجة ، وانى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا فقال : « انطلق فحج مع امرأتك » رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم •وعن يحيى بن عباد قال : كتبت امرأة من أهل الرأى الى ابراهيم النخعى تقول : « انى لم أحج حجة الاسلام وأنا موسرة وليس لى ذو محرم » فكتب اليها : انك ممن لم يجعل الله له سبيلا » • والى اشتراط هذا الشرط ، وجعله من جملة الاستطاعة ذهب أبو حنيفة وأصحابه والنخعى والحسن والثورى وأحمد واسحق •

قال الحافظ : والمشهور عند الشافعية اشتراط الزوج أو المحرم أو النسوة الثقات وفى قول تكفى امرأة واحدة ثقة وفى قول – نقله الكرابيسى وصححه فى المهذب – تسافر وحدها اذا كان الطريق آمنا وفى سبيل السلام وقال جماعة من الأئمة يجوز للعجوز السفر من غير محرم ، وقد استدل المجوزون لسفر المرأة من غير محرم اذا وجدت رفقة مأمونة أو كان الطريق آمنا بما رواه البخارى عن عدى بن حاتم قال : بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدى هل رأيت الحيرة – قرية قريبة من الكوفة – قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال فان طالت بك حياة لترين الظعينة – المرأة فى الهودج – ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله » •

ويقول ابن تيمية اذا حجت المرأة من غير محرم صح حجها •

س ٨ – من السيد/داود ابراهيم على – ما رأى الدين فيمن حج لنذر وعليه حجة الاسلام ؟

الجواب : أفتى ابن عباس وعكرمة بأن من حج لوفاء نذر عليه ولم يكن قد حج حجة الاسلام أنه يجزىء

عنهما وأفتى ابن عمر وعطاء بأنه يبدأ بفريضة الحج ثم يفي بنذره بعد ذلك .

ومن السائل نفسه - وما رأى الدين فيمن يقترض للحج ؟

الجواب : عن عبد الله بن أبى أوفى قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يحج أيستقرض للحج ؟ قال : لا ، رواه البيهقى .

س ٩ - من السيد/يوسف موسى على - هل يجوز للحاج أن يتاجر ويؤاجر ويتكسب وهو يؤدى أعمال الحج والعمرة ؟

الجواب : قال ابن عباس رضى الله عنهما أن الناس فى أول الحج كانوا يتبايعون بمنى وعرفة وسوق ذى المجاز - موضع بجوار عرفة - فخافوا البيع وهم حرم فأنزل الله تعالى : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » فى مواسم الحج رواه البخارى ومسلم والنسائى وعن ابن عباس أيضا أن رجلا سأله فقال أؤجر نفسى من هؤلاء القوم فأنسك معهم المناسك كلها ألى أجر ؟ قال ابن عباس نعم « أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » رواه البيهقى والدارقطنى .

س ١٠ - من موسى على موسى - هل العمرة فى رمضان تعدل حجة مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتسقط الفرض ؟

الجواب : وردت عدة أحاديث صحيحة ذكرها المنذرى فى الترغيب والترهيب وكلها تدل على أن العمرة فى رمضان لها ثواب كثير وفضل كبير ولكنها لا تسقط الفرض ؟

**محمد ابو شادى**

# أنبـاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

* الحج :

ارتفع عدد حجاج جمهورية مصر العربية هذا العام ارتفاعا كبيرا ، وتفيد الأنباء أن عددهم وصل حوالى ٩٠ ألفا بين القرعة والدعوات والسياحة وكبار السن الذين لم تدركهم القرعة فأمر الرئيس محمد أنور السادات بسفرهم لأداء الفريضة على أن يتمتعوا بجميع الامتيازات التى يتمتع بها حجاج القرعة •

وقد اتخذت جميع الاجراءات اللازمة لراحة الحجيج ورعايتهم فى السفر والاقامة والعودة •

ولأول مرة منذ سبع سنوات سافرت وفود من الحجيج بطريق البحر الذى كان معطلا بسبب العدوان الاسرائيلى الغادر عام ١٩٦٧ م ، حتى جاء الفجر الجديد ، يوم العاشر من رمضان العظيم ١٣٩٣ هـ - السادس من أكتوبر المجيد ١٩٧٣ م ، الذى حقق الله فيه لجيشنا ولأمتنا الاسلامية والعربية بقيادة الرئيس المؤمن محمد أنور السادات العبور والنصر والفتح •

واننا نحمد الله تبارك وتعالى ، وندعوه سبحانه أن يعيد موسم الحج فى العام القادم على الأمة الاسلامية والعربية وقد تحررت جميع الأرض ، وتخلص القدس الحبيب ، والمسجد الأقصى الحبيس •

* حجاج ايران :

وصل عدد الذين يؤدون فريضة الحج من ايران هذا العام ٦٠ ألفا ، وقام معالى وزير الدولة لشئون الحج فى ايران بزيارة للمملكة العربية السعودية للتشاور مع المسئولين فيها من أجل توفير المزيد من الراحة لحجاج ايران •

*** مجمع البحوث الاسلامية :**

تقرر تأجيل مؤتمر علماء المسلمين الثامن الى ما بعد موسم الحج ، وكان من المقرر انعقاده يوم ١٥/١١/١٩٧٤م

*** ندوة عالمية :**

أقيم فى تونس ندوة عالمية عن (الضمير الاسلامى والمسيحى وتحديات النمو ) نظمتها جامعتها فى شهر نوفمبر ١٩٧٤ م ، واشترك فيها الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الأوقف ، ومعه عدد من كبار الشخصيات الاسلامية والمسيحية ، وألقى سيادته فى الندوة محاضرة عن الاسلام ودوره فى بناء الانسان المعاصر •

*** فصول للتدريس بالمساجد :**

اتسعت رسالة المسجد فى هذه الأيام بشكل ملحوظ ، ففتحت بها فصول للطلبة والطالبات ، لتقويتهم واعطائهم دروسا فى جميع المواد بالمجان ، يقوم بالتدريس لهم فيها أساتذة متخصصون متطوعون ، كما ألحق ببعض المساجد نواد للرياضة ، ومصانع للخدمات ، وعيادات للتمريض ، وذلك عودا بالمسجد الى سيرته الأولى فى صدر الاسلام ليكون كما كان لا للعبادة فحسب ، وانما للعبادة والدرس والعلاج والتدريب وتعويد النشء على حب المساجد •

*** مساجد جديدة :**

قرر الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الاوقاف انشاء ١١ مسجدا جديدا فى مدن القناة الثلاث •• كما قرر سيادته أن تبدأ وزارة الأوقاف فى تجديد واصلاح مقابر علماء مصر ومشاهير رجالها ، وسيشرف سيادته على هذا المشروع الذى يبدأ بمقابر ثلاثة علماء هم : الشيخ محمد عبده ، وحفنى ناصف ، ورينيه جينو المستشرق الفرنسى الذى أسلم وسمى نفسه الشيخ عبد الواحد وأصبح من كبار مفكرى الاسلام •

*** آثار اسلامية :**

تم الاتفاق بين مصر وفرنسا على ترميم ٣٥ بيتا أثريا اسلاميا فى القاهرة ورشيد وأرسلت فرنسا لذلك الأثرى الفرنسى برنارد مورى ، والمهندس جاك رينو •

* **برنامج للدكتوراه :**

افتتحت جامعة الملك عبد العزيز برنامجا للدكتوراة بقسم الدراسات العليا الشرعية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة ، وسيكون برنامج هذا العام فى فرع الكتاب والسنة ، وفرع الفقه وأصوله.

* **فى جامعة الأزهر :**

قبلت جامعة الأزهر هذا العام جميع الطلبة والطالبات الذين تقدموا للالتحاق بها من حملة الثانوية الأزهرية بقسميها العلمى والأدبى ، وعددهم ٣٣٤٢ طالب وطالبة ، واعتمد نتيجة التنسيق بين كليات الجامعة فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الأزهر .

وكان الحد الأدنى للقبول على النحو التالى :

كلية أصول الدين بالقاهرة ٣٢٠ درجة ، وكلية أصول الدين بأسيوط ٣٢٠ر٥ درجة ، وكلية اللغة العربية بالقاهرة ٣٥٠ر٥ درجة ، وكلية اللغة العربية بأسيوط ٣٥٥ درجة ، وكلية الشريعة والقانون بالقاهرة ٣٢٥ درجة ، وكلية الشريعة والقانون بأسيوط ٣٢٠ درجة ، وكلية التجارة أدبى ٣٦٥ درجة وعلمى ٣٠٨ درجة، ومعهد الدراسات الأسلامية ٣٦٥ درجة ، ومعهد اللغات والترجمة ٣٣٥ر٥ درجة ، وكلية التربية ٣٦٥ر٥ درجة ، وكلية الطب ٤٢١ر٥ درجة ، وكلية الصيدلة ٣٨٨ر٥ درجة ، وكلية طب الأسنان ٣٦٧ درجة ، وكلية الزراعة ٣٠٨ درجة ، وكلية العلوم ٣٣٨ درجة ، وكلية الهندسة ٣٥٠ر٥ درجة .

وكلية البنات الاسلامية :

شعبة التجارة ٣٣٧ر٥ درجة ، وشعبة الطب ٣٨٤ درجة ، وشعبة العلوم ٣٥٠ درجة ، وشعبة الدراسات الاسلامية والأدبية ٣٣٧ر٥ درجة .

**ابراهيم النويهى**

# فهرس أبجدى عام

## للمجلد السادس والأربعين من مجلة الأزهر سنة ١٣٩٤ هجرية

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصفحة

(ط)



(ع)



(ف)



(ق)

الموضوع الصفحة

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|



( ن )



( هـ )



( و )



( لا )

## هدايا صدرت ملحقة بالمجلة

١ ـ الاسلام والمسلمون فى أوربا .
٢ ـ الأمومة والطفولة فى الاسلام .
٣ ـ أهم مسائل الطلاق .
٤ ـ الجريمة والعقوبة بين الشريعة والقانون .
٥ ـ صلاة الليل .
٦ ـ قصة القبلة فى الكتاب والسنة .
٧ ـ المبادىء الدستورية فى الشريعة الاسلامية .
٨ ـ المساواة فى الحقوق والواجبات .
٩ ـ منهج الاسلام فى بناء العقيدة والشخصية .
١٠ـ الهجرة فى فلك التاريخ .

---

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل أول
رئيس مجلس الادارة
على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٤/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٠٠٢-١٩٧٤م١٢٣٦٠

Najran (IS. T. I-ii, P. 35). But a tribute paid by state and not in all these cases, the jizya was a poll-tax. Bukhari opens his book of jizya with a chapter headed as follows : "Jizya and concluding of peace with ahl al-harb (those at war with the Muslims)" (Bu. 58 : 1). Continuing, he is more explicit, remarking under the same heading: "And what is related in the matter of taking jizya from the Jews and Christians and the Magians and the non-Arabs". The rule of the jizya was thus applicable to all enemy people, and the Prophet's own action shows that treaties subject to the payment of jizya were concluded, not only Jews and the Christians but also with Magians. It would be seen from this that the words ahl al-Kitab used in 9:29, quoted above, must be taken in the wider sense of followers of any other religion. But jizya, which was originally a tribute paid by a subject state, took the form of a poll-tax later on in the time of Umer ; and the word was also applied Umer; and the word was also applied to the land-tax which was levied on Muslim owners of agricultural land. The jurists however made a distinction between the poll-tax and the land-tax by giving the name of kharaj to the latter. Both together formed one of the two chief sources of the revenue of the Muslim state, the zakat paid by the Muslims being the other source.

(to be continued)

pted Islam, they were recognised as owners of the property of which they had become masters, though it originally belonged to those Muslims who had fled to Madina. The second speaks of Rabdha, a place at a distance of about three days' journey from Madina, the lands near which were turned into a pasture by 'Umar and, on the owners' protest, made over to them. Both Makka and Rabdha were at one time at war with the Muslims, and on this account Bukhari speaks as dar al-harb. Dar al-Islam is evidently a place where the laws of Islam prevail and which is under a Muslim ruler. The use of dar al-harb in the sense of a place actually at war with the Muslims, is unobjectionable. But the jurists apply the word to all states and countries which are not dar al-Islam or under the Muslim rule, though they may not be at war with the Muslims, and thus look upon a Muslim state as being always in a state of war with the whole of the non-Muslim world. This position is not only inconsistent with the very basic principles of Islam, but actually it has never been accepted by any Muslim state that has ever existed in this world. The difficulty has been met by some jurists by bringing in a third class, called dar al-sulh or dar al-'ahd, or a country which has an agreement with the Muslims. But even this does not exhaust the whole world. Many of the laws relating to war are based on this fictitious division of the world for which there is not the least authority either in the Holy Quran or Hadith.

The word jizya is explained as meaning the tax that is taken from the free non-Muslim subjects of a Muslim government, whereby they ratify the compact that ensures them protection or a tax that is paid by he owner of land, being derived from jaza which means he gave satisfaction or he compensated him for a certain thing, or for what he had done (LL.). In the Holy Quran, jizya is spoken of only one place, and there in connection with wars with the followers of the Book: "Fight those who do not believe in Allah ... out of those who have been given the Book, until they pay the jizya in acknowledgement of superiority and they are in a state of subjection" (9:29). The Holy Prophet made treaties subject to the condition of payment of jizya with the Magians of Bahrain (Bu. 58:1), with Ukaidar, the Christian chief of Duma (AD. 19:29 ; IH.), with the Christian ruler of Ayla (IJ-H. III, p. 146), with the Jews of Jarba and Adhruh (ibid), and with the Christians of

at the point of the sword, peace with unbelievers is simply a contradiction of this object. But peace wth unbelievers is not only a matter of choice; it is an injunction which must be carried out when the enemy is inclined to peace, "And if they incline to peace, do thou incline to it" (8:61).

The above quotations from the Hidaya will show that even the jurists felt that their exposition of jihad was opposed to its basic principles as laid down in the Holy Quran. Probably the new doctrine grew up slowly. It is clear that the earlier jurists did not go so far as their later annotators. Notwithstanding the wrong conception which introduced into the meaning of jihad, by not paying proper attention to the context of the Holy Quran and the circumstances under which the Holy Prophet fought, they still recognized that the basic principle of jihad was the repelling of the enemy's mischief, and that hence peace with the unbelievers was jihad in spirit. But the later generation would not tolerate even this much. Some of them have gone to the length of holding that not permanent peace but only peace for a limited period can be concluded with the unbelievers, an opinion flatly contradicting the Quranic injunction in 8 : 61. It must however be repeated — and it would bear repitition a hundred times — that, essentially, the Holy Quran is opposed to taking the life of conscience by stating that there is no compulsion in religion (2: 256); it establishes religious freedom by enjoining war to cease when there is no religious persecution, and religion become a matter between man and his God (2:256); it plainly says that the life of a man cannot be taken for any reason except that he kills a man or causes mischief (fasad) in the land (5 : 32)

With the new notion introuduced into the word jihad, the jurists artificially divided the whole word into dar al-harb and dar al-Islam. Dar al-harb literally means the abode or seat of war, and dar al-Islam, the abode of Islam. The words are not used in the Holy Quran, nor have I been able to trace them in any hadith. Bukhari uses the word dar al-harb in the heading of one of his chapters, "When a people embrace Islam in dar al-harb" (Bu.56 :108). Two haith are mentioned under this heading, in neither of which do the words dar al-harb occur. The first speaks of Makka, and the subject-matter of the hadith is that, when after the conquest of Makka, the unbelieving Qureish acce-

for the repelling of evil (daf'al-sharr) from His servants" (H. I, p. 537). The use here of the words daf-al sharr shows that, even according to the jurists in its origin is only for repelling evil and is therefore defensive, not offensive. Again, when discussing the reasons for the prohibition of killing a woman and a child and an oldman and one who refrains from fighting (muq'id) and a blind man, the Hidaya says : "For what makes the killing lawful (mubih li-l-qatl) according to us, is the fighting (hirab), and this is not true in their case, and therefore the man whose one side is withered (yabis al-shiqq) and the man whose right hand is cut off and a man whose hand and foot are cut off cannot be killed" (H.I, p. 540). Here it is admitted that what makes the killing of a man lawful is not his unbelief (kufr) but his fighting (hirab), for, if men could be killed for unbelief, even women, children, and old and incapacitated men would not be spared. That is indeed a sound basis. But if the reason given on this occasion is true, and it is unlawful to kill any one merely on account of unbelief, it is also unlawful to undertake war against a people because they are unbelievers or idolaters, as in such a war people would be killed for mere unbelief.

In still more plain words, the Hidaya recognizes, in its discussion on the making of peace with unbelievers, that the real object of jihad is the repelling of the enemy's mischief : "And when the Imam is of opinion that he should make peace with those who are fighting (against the Muslimss) (ahl al-harb), or with a party of them, and it is in the interests of the Muslims, there is no harm in peace, on account of what Allah says, 'And if they incline to peace, do thou incline to it and trust in Allah;' and the Holy Prophet entered into agreement with the people of Makka, in the year of Hudaiyibia, that there shall be no war between him and them for ten years; and because entering into agreement is jihad in spirit, when it is for the good of the Muslims, as the object, which is the repelling of mischief (daf' al-sharr), is attained thereby" (H. I, p541). Here again it is admitted that real object of jihad is the repelling of the enemy's mischief, and it is on this basis alone that peace can be made with the unbelievers. The annotator of the Hidaya does not conceal the fact that it is a plain contradiction of what is said elsewhere as to the object of jihad. But the question is, how can peace with unbelievers and idolaters be justified? If the object of jihad is the enforcing of Islam

the Hidaya brings in support of this wrong conception of jihad, is the 36th verse of the ninth chapter, which runs as follows : "And fight the polytheists all together as they fight you all together" (9 : 36). Now this is, in fact, only an injunction to the Muslims to remain united in the war against the polytheists, as they, the polytheists, were united in their war against the Muslims. It does not mean that there were no polytheist tribes that did not fight against the Muslims, for this is not only historically untrue, but is also contradicted by the Holy Quran itslf: "Except those of the idolaters with whom you made an agreement, then they have not failed you in anything and have not backed up any one against you" (9 : 4). A reference to history would show that there were idolatrous tribes that never fought against the Muslims, but, on the other hand, were in alliance with them, and the Muslims fought in their behalf. Such alliances are met with not in the lifetime of the Holy Prophet but also in the wars of the early Caliphate. nor does the verse mean that there should be no Muslim on the face of the earth who should not be engaged in war against the polytheists. Even the supporters of unprovoked war hardly go so far as that. The Hidaya, after quoting this verse in support of a war against all polytheists, adds that this is a "fardz kifaya," an obligation which if performed by some Muslims relieves others of the duty. Now the word kaffa (meaning all together) occurs in this verse twice, one in connection with the Muslims and again in connection with the idolaters, so that if all polytheists, without any exception must fight against them. As this is impossible, it follows that the verse only enjoins unification in the ranks of the Muslims, in like manner as there was unification in the ranks of the idolaters, and there is nothing said here as to the condition under which fighting is to be carried on. These conditions are expressly laid down in other verses and can on no account be dispensed with : "And fight in the way of Allah with those who fight with you and be not aggressive, for Allah does not love aggressors" (2 : 190).

The jurists themselves have challenged the accuracy of the principle on which their wrong notion of jihad is based. For instance, the Hidaya gives the following reason for jihad being a fardz kifaya : "It is not made obligatory for its own self (li 'aini-hi), for in itself it is causing of mischief (ifsad), and it is made obligatory for the strengthening of the religion of Allah and

The question is simply this, What was the object for which the Prophet fought? There is not the least doubt about it, as the Holy Quran is clear on the point : "Permission to fight is given to those upon whom war is made, because they are oppressed" (22 : 39); "And had there not been Allah's repelling some people by others, there would have been pulled down cloisters and churches and synagogues and mosques in which Allah's name is much remembered" (22 : 40); "And what reason have you that you should not fight in the way of Allah and of the weak among the men and the women and the children who say, Our Lord ! cause us to go forth from this town, whose people are oppressors, and give us from Thee a guardian and give us from Thee a helper" (4 : 75); "What ! will you not fight a people who broke their oaths and aimed at the expulsion of the Apostle, and they attacked you first" (9 : 13); and so on. If then there are hadith which speak of the excellence of keeping horse (Bu. 56 : 45), or of keeping horses ready on the frontier of the enemy (Bu. 56 : 73), or hadith recommending the learning of shooting (ramy) (Bu. 56 : 78), or practising with implements of war Bu. (56 : 79), or hadith speaking of swords and sheilds and armour and so on, they show, not that the Muslims were spreading Islam by force of arms, not even that they were waging aggressive war against peaceful neighbours, but that they had to fight, and hence all deeds done to carry on a successful war are praised. Indeed in one hadith it is stated that "Paradise (al-Janna) is under the shadow of swords" (Bu. 56 : 22). All this is true so long as the sword is used in a right cause.

The wrong notion of jithad, introduced by the jurists, was owing to a misconception of certain verses of the Holy Quran, due, inthe first place, to the fact that no regard had been paid to the context, and, in the second place, to a disregard of the circumstances under which the Holy Prophet fought. It has already been shown that the fifth verse of the ninth chapter contains nothing that is not contained in the earlier revelation, and that itis simply a re-assertion of the original injunction to fight against tribes that were first to attack the Muslims and that broke their agreements; but reading it out of its context, a significance was given to it that was never contemplated, and it received the name of 'ayat al-saif' (the verse of the sword), which is assuredly a misnomer. Another verse which

In another hadith occur the words, "He who fights that the word of Allah may be exalted," which being severed from the context are sometimes construed as meaning fighting for the propagation of Islam, but when read with the context, their meaning is clear. The hadith runs thus: "A man came to the Holy Prophet and said, There is a man who fights for gain of riches and another man who fights for the sake of reputation, and another man who fights that his exploits may be seen, which of these is in the way of Allah ? The Prophet said, The man who fights that the word of Allah may be exalted, that is in the way of Allah" (Bu. 56 : 15). It is clear that these words only mean that a man who fights in the way of Allah (which, as shown from the Holy Quran, means only in defence of the faith) should have his motives free from all taint of personal gain or reputation. The unbelievers sought to annihilate the faith of Islam, and the defence of the faith was, therefore, equivalent to the exaltation of the word of Allah. In the Holy Quran these words are used on the occasion of the Prophet's flight to Madina. The Prophet's safe flight is spoken of as making the word of the unbelievers lowest, and the word of Allah highest: "And made lowest the word of those who disbelieved, and the wordof Allah, that is the highest" (9: 40).

There are many hadith which speak of the excellence of jihad or of the excellence of fighting, and these are sometimes misconstrued, as showing that a Muslim must always be fighting with other people. It is in a hadith that a Muslim is defined as being "one from whose hands and tongue Muslims - or, according to another account, people - are secure" (Bu. 2:4; FB. I, p. 51); and a Muslim literally means "one who has entered into peace." According to another hadith, a mu'min (believer) is "one from whom people are secure concerning their lives and properties" (MM. I - ii). But war is undoubtedly a necessity of life, and there are times when fighting becomes the highest of duties. Fighting in the cause of jusice, fighting to help the oppressed, fighting in selfdefence, fighting for national existence are all truly the highest and noblest of deeds, because in all these cases a man lays down his life in the cause of truth and justice, and that is, no doubt, the highest sacrifice that a man can make. Fighting, in itself, is neither good nor bad; it is the occasion which makes it either the best of deeds or the worst of them.

## JIHAD - ITS MEANING AND SIGNIFICANCE—III

*By*

MAULANA MUHAMMAD ALI

The fact that treaties and agreements were entered into by the Holy Prophet with polytheists (mushrikin) and the Jews and the Christians is proof that the al-nas (people) spoken of in the hadith were particular tribes which, as the Holy Quran shows, violated their treaties again and again If there had been any commandment like that which it is sought to deduce from this hadith, the Prophet would have been the first man to act on it. But he always made peace and entered into agreements with his enemies, not once in his whole life demanding that a people vanquished in battle should accept Islam. The injunction to make peace with a nation inclined to peace (8:61), and the fact of the Prophet's repeatedly making treaties with unbelievers, are clear negations of the impossible construction which it is sought to put upon the words of the Hadith, namely, that the Holy Prophet was commanded to wage war against people until they embraced Islam.

Other hadith which are sometimes misinterpreted are of a similar nature. For instance, in one it is stated that the Holy Prophet when he went out to fight with a people, did not attack them till morning, and if he then heard the adhan being called out, he refrained from attacking the people (Bu. 10:6). This hadith evidently refers to such people as are spoken of in the ninth chapter as breaking their agreements repeatedly and attacking the Muslims. At this very time, that is, in the ninth and tenth years of Hijra, the time to which the 9th chapter relates, tribe after tribe came over to Islam, deputations from different tribes coming to Madina and going back to their people to convert them to the new faith. Therefore, when an expedtion had to be sent for the punishemnet of a tribe which had proved unfaithful to its agreement, it had to be ascertained that it had not in the meanwhile accepted Islam, and therefore the precaution spoken of in the hadith was taken.

animals. So Islam has introduced the idea of sacrifice with a new and deeper meaning. The outward act, like all other religious principles which are univesally recognised, but it no longer conveys the meaning attached to it in some ancient religions, namely, that of appeasing a deity or serving as an act of drawing a fortune.

In Islam it signifies the sacrifice of the sacrificer himself, and becomes thus an outward symbol of his readiness to lay down his life, and to sacrifice all his interests and desires in the cause of Truth. One particular day is chosen so that all Muslim hearts all over the world may pulsate with one idea at a particular day, and thus lead to the development of the idea of 'self-sacrifice' in the community as a whole. This day is celebrated as the Eid al-Adha (10*th* Dhul-Hijjah) all over the Muslim world.

---

« والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنـوبها فكلوا منها وأطعموا القـانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن ينـاله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين » .

( الحج ٣٦ ، ٣٧ )

It means : "and (as for) the camels, We have made them of the signs (of the religion) of Allah for you; for you therein is much good ; therefore mention the name of Allah on them as they stand in a row, then when they fall down eat of them and feed the poor man who is contented and the beggar; thus have We made them subservient to you, that you may be grateful''.

There does not reach Allah their flesh nor their blood, but the piety of your (hearts) reaches Him; thus has He made them subservient to you, that you may magnify Allah because He has guided you aright; and give good news to those who do good (to others)'' (22 : 36-37).

The act of the sacrifice of an animal is thus in some way connected with righteousness, with submission to One God, with humbleness of heart, with patience under sufferings. It is not an empty mention of a word that they make, but the meaning, underlying, is that their hearts should thrill at the mention of Allah's name.

In the midst of verses speaking of sacrifice is introduced a verse which requires the faithful to be patient under trials and hardships. The Holy Quran says :

« ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين . الذين اذا ذكر الله وجلت قلـوبهم والصـابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

( الحج ٣٤ ، ٣٥ )

It means : "And to every nation We appointed acts of sacrifice that they may mention the name of Allah on what He has given them of the cattle quadruped; so your God is one God, therefore to Him should you submit, and give good news to the humble ones, whose hearts tremble when Allah is mentioned, and those who are patient under that which afflicts them...'' (22:34,35).

In the Sacrifice of animals, the Holy Quran thus gives to its followers the lesson of laying down their own lives in the cause of truth, and creates humbleness in their hearts, because they realize that if they have sacrifficed an animal over which they hold control, it is their duty to lay down their own lives in the way of Allah, Who is not only their Master but also their Creator and Sustainer, and Who therefore exercises a far greater authority over them than they do over the

And in the whole world there is only this unhewn stone, that is the cornerstone of Kaba. The kissing or touching of this stone renews the significance of a House which is point of importance stands unique in the world. As the Holy Quran says :

« ان اول بيت وضـع للنـاس للذى ببكة مباركا وهدى للعالين » .

( آل عمران ٩٦ )

It means : "Most surely the first House appointed for mankind is the one at Bekka (another name of Makka), blessed and a guidance for the nations'' (3 : 96).

Another important act of pilgrim is the 'Saay' (which means running) between the two little hills situated near Makka, called the Safa and Marwa. The Saay is spoken of in the Holy Quran :

« ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جنـاح عليه ان يطـوف بهما ... » .

( البقرة ١٥٨ )

It means : "Surely the Safa and the Marwa are among the signs appointed by Allah, so whoever makes a Hajj to the House or an 'Umra' (lesser pilgrimage), there is no blame on him if he goes round about them'' (2 : 158).

These two hills were the scene of 'Hajar's (Mother of prophet Ismail) running to and fro in quest of water for her baby Ismail, when she was left there by his father prophet Abraham. The two hills have thus become monuments of patience under the hardest trials, and it is in connection with the teaching of patience that the going round about the Safa and Marwa is spoken of in the Holy Quran as the context of the above verse (2 : 158) would show.

The Muslims so hated idolatry that they could not brook the thought of idols being connected in any way with their religious practices. How could they think of worshipping the Kaba and the Black Stone, which even the idolaters had never worshipped. And again, the Prophet made circuits of the Kaba on the back of a camel, and he also touched the Black Stone with the rod in his hand. All of these facts show that the Muslims never entertained the idea of the worship of these things, nor was their attitude towards them at any time that of the worshipper towards the object of his worship.

*The Idea of Sacrifice During Hajj.*

The idea underlying Sacrifices during the Hajj does not consist in the act of shedding the blood of an animal or feeding on its meat. This is made plain by the Holy Quran : ,

*The Significance of the 'Kaba' and the Hajar al-Aswad*

There is a misunderstanding, in some corners, about some of the outward actions of Hajj, like the 'Tawaf' (circumambulation of Kaba), kissing of the Hajar al-Aswad (the Blackstone) and 'Saay' (runing between Safa and Marwa). and even some people dare to say the Tawaf is a remnants of idolatry ! Here we have to keep in view of two main poits, one is that there is a fundamental and clear difference between the worship and respect, and between an object which is considered sacred and one which is worshipped. A cursory glance at the following few facts is enough to show the absurdity of this misunderstanding, or misleading :

The 'Kaba' and the 'Black Stone' were never worshipped, and were not taken by pre-Islamic idolators for their idolatrous practice, notwithstanding the reverence which the Arabs had for them before Islam. The Kaba was contained idols, yet it was the idols that were worshipped, and not the Kaba; and the same is true of the Black Stone. The Muslim would be farthest from the idea of idol-worship in his Tawaf of the Kaba, when he feels himself in the presence of the One God, crying aloud "Labbaik Allahumma Labbaik, La Sharika laka Labbaik", which means : "Here am I, O Allah ! here am I in Your Presence, there is no partner with You, here am I".

There is but one slogan on his tongue, one idea in his heart; 'there is One God, and no Partner to Him, and no associate with Him', from the timo when he is still at a distance of several miles from Makka, to the time when he leaves it after the completion of the Hajj. How then could at the same time entertain the idea of idol-worship? and after all what is Tawaf itself ? and what is the significance of the kissing or touching the Black Stone?

Tawaf is going round about the House (Kaba) which is an emblem of Divine Unity, the place from which sprang the idea of Divine Unity, and place would always be the centre for all believers in Divine Unity. All ideas of the pilgrim at that time are concentrated upon one theme, the theme of Divine Unity. He forgets everything and remembers only the One God. The Black Stone is, in fact, the corner-stone of the Kaba, and stands there only as an emblem, a token that the Black Stone has been there ever since the Kaba has been known to exist. That the Kaba was rebuilt by prophet Ibrahim (Abraham) is an historical fact.

of the Hajj journey, the Holy Quran says :

« الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولى الالباب . ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم » .

( البقرة ١٩٧ – ١٩٩ )

It means :

"The pilgrimage is (in) the well-known months, and whoever is minded to perform the pilgrimage therein (let him remember that) there is (to be) no lewdness nor abuse nor angry conversation on the pilgrimage. And whatsoever good ye do Allah knoweth it. So make provision is for yourselves (hereafter); for the best provision is to ward off evil. Therefore keep your duty unto Me, O men of understanding. It is no sin for you that ye seek the bounty of your Lord (by trading). But when ye presson in the multitude from 'Arafat, remember Allah by the sacred monument. Rember Him as He hath guided you. although before ye were of those astray. Then hasten onward from the place whence the multitude hasteneth onward, and ask forgiveness of Allah. Lo; Allah is Forgiving, Merciful" (2.197-199).

The utilization of the Hajj season for seeking of increase in one's wealth, by means of trade is allowed. But the Quran called it as a "bounty from your Lord". Even if the trading is allowed in the Pilgrimage season, this great assemblage of Muslims from all corners of the world may also be made the unique occasion of other advantages of cultural, economic, political or other material nature which should serve the cause of Truth and the Progress of the Humanity, as a whole, and the Muslim world in particular.

Though the other activities are allowed in the Pilgrimage season, yet the pilgrim should not mix up the spiritual experience and the lessons of pilgrimage with material advatages. Explaining the reason of the revelation of this verse, the great commentator of the Holy Quran, Ibn Abbas says : There were famous markets, like 'Ukaz and Dhul-Majaz for trade in the pre-Islamic times. The Muslims did not like the idea of trading during the pilgrimage season, until this verse was revealed which allowed the carrying on of trade in the Hajj season. It is clear from this report that the trading in the Hajj season is allowed, and the seeking of bounty of God is accepted, but it should not be a least aim of this great institution, in a material sense.

and there remains nothing to distinguish one from another. All make in one way, all have but one word to speek (Labbaik Allahumma Labbaik).

The Hajj brings into the domain of practicality what would otherwise seem impossible; that the people belong to different classes and countries and speak different languages should assemble in one place, wear one dress and speak one language. When one could pass once in his life through that narrow gate of equality which leads to the broad fraternity he should surely remember again, the plain fact that all men and women are equle in birth and death, and thay come into life in one way and they pass out of it in one way. Not only that, but the Hajj gives them a practical lesson how to live in one way, how to act in one way and how to feel and think in one way. Thus there is no any other occasionin the world on which the human beings are taught such a practical lesson.

Another unique feature of the Hajj is its remarkable form of asceticism. Islam lays the greatest stress upon the spiritual development. The main institutions of Islam, namely : The Prayer, the Zakat, the Fasting and the Hajj, introduced workable ascetic formula into the daily life of a Muslim. But this asceticism is quite in keeping with the secular side of life. Let us take first of all the five daily Prayers, which require the sacrifice of a small part of his time, and without interfering with his everyday life, he can realise the Divine Guidance in walks of life. The Zakat system demands the giving up of a small portion of his wealth. The institution of the Fasting requires the giving up of food and drink not in such a manner as to make him unfit for carrying on his regular daily work.

In the Hajj the asceticism assumes a marked form; The Pilgrim is required to give up his regular work for a number of days and he also has to give up many other amenities of daily life. Thus he should live a life of a real ascetic. But this is a function which comes very often in a life time, and therefore, while it leads the pilgrim through the highest spiritual experience, it does not interfere with any major degree of his regular caurse of life. In this way Islam makes a man pass through an ascetic course of life without neglecting his secular duties.

While Hajj is meant to bring about a spiritual experience in the practical life, yet so Hajj combined it with a secular experience. Explaining the provisions

spiritual experience of each one of such companions. Deeper than that, hundreds of thousands of devotees, all inspired by the one idea and all concentrating their minds on the one Supreme Divine Being, Who for the time is their sole object, assembled in the Plain of Mount 'Arafat' being clad in the same two sheets, reciting in one language : "Labbaik Allahumma labbaik" which means-Here we are, O Our Lord! Here are we in Your Presence.

Although a Muslim is taught to hold communion with God in every moment and every place, and thus all alone he goes through the experience of drawing nearer to God, but there is yet a higher spiritual experience to which he can attain in this vast and great assemblage in Makka. Thus the object of Hajj is to concentrate all one's ideas on the Almighty God, not in solitude but in the company of others also. Because the spiritual experience, not of the hermit who is cut off from the world, not of devotee holding communion with God in the corner solitude, but of the man living in the world in the company of his family, his friends and his foes, has the higher significance.

The appearance of the Pilgrims, as well as the words which are on their lips, show that they are standing in the Divine Presence. Who has yet not gone deep enough into its inner signifcance may wonder that in this vast concourse of humanity, there are tears flowing from every eye, and sobbings on every side. They forget that they are in the midst of an assemlage, and they forget even themselves, and the remembrance of God is all in all to them. It is true that the presence of God is everywhere, but their appearance, as well as the words which are on their lips show that they are standing in the Divine Presence, so engrossed as they have lost all ideas of self. When we give a thought to the innerchange which thus effects them outwardly we can understand the spiritual experience which is made possible by the Hajj. The pilgrim's exeperience is not of the hermit shut up in his closet cut off from the world, but the experience of a mighty and wast concourse gathered together in one place. This is a unique and wonderful experience achieved among the discordant eliments of humanity.

The other chief feature of the Hajj is its wonderful influence in levelling all distinctions of rank, race and colour. The people of all races, all countries, all colours and all ranks meet together in one place, with one purpose as the servants of One God. Not only that but they, are all clad in one dress,

# MAJALLAT'UL AZHAR

**(AL-AZHAR MAGAZINE)**

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

| Dhu'l Hijjah 1394 | ENGLISH SECTION | JANUARY 1975 |
|---|---|---|

## THE SPIRITUAL EXPERIENCE AND THE LEVELLING INFLUENCE OF "HAJJ"

*By*

DR. MOHIADDIN ALWAYE

The details of the institution of the Hajj had been discussed in the previous issues of this magazine, but now let us try to discover its real inner values and significances. No other institutions in the world has the following two wonderful effects — a higher spiritual experience and a levelling influence.

The usual dscription of 'Hajj' deals with its outward actions. The unique assemblage of the people at 'Makka' during the Hajj days, made the higher spiritual experience possible — the experience of drawing nearer and nearer to God till the pilgrim feels that all those veils which keep him away form God are entirely removed and he is standing in the Divine Presence. Every member of this great assemblage sets out from his home with that object in view. He is put on the simplest dress, avoiding all talks of an amorous nature and all kinds of disputes. He also discards all those comforts of life which acts as a veil against the inner sight.

Another significance of this assemblage is that the pilgrim concentrates all his ideas on God, not in solitude but in the company of others. It is the recognized fact that there is a mysterious way from one heart to another. Therefore the company of a man who is inspired by similar feelings and who is undergoing similar experience would undoubtedly give additional force to the